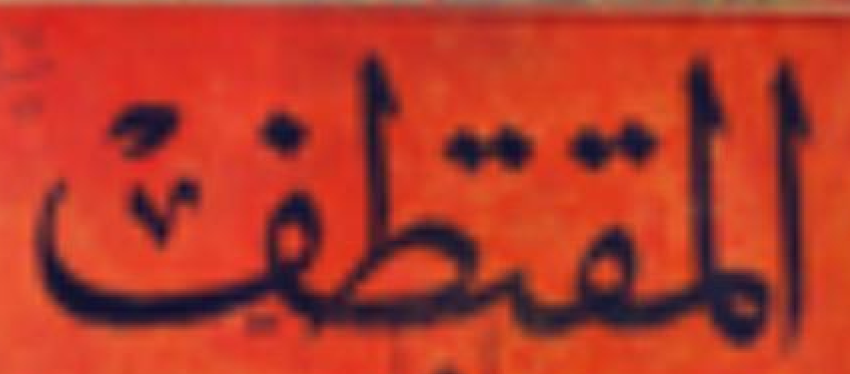


December

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثلاثين

١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣٢٢

النحاس والميكروب

نفتتح العام الجديد بنبإٍ اهتزت لهُ اندية العلماء طرباً وحقق القول المأثور ان في الزوايا خبايا وكم ترك الاول للآخر . فقد بيَّن احد العلماء واسمهُ الدكتور مور ان النحاس اقتل السموم للميكروبات ولو كان مقدارهُ صغيراً جدًّا قمحةً واحدة في خمس مئة رطل من الماء

والنحاس المعدني غير سامّ ولكنهُ يستحيل الى املاح سامَّة حتى جرت العادة ان تبيَّض آنيتهُ بالقصدير اذا استعملت لوضع الطعام لئلا تتركب منهُ ومن حوامض الطعام املاح سامَّة غيران القصدير لا يدوم طويلاً على الآنية الكثيرة الاستعمال والناس يقضون بها اغراضهم فيطبخون ويستقون ويأكلون ويشربون ولا يشكون ضيماً لقلَّة ما يتولَّد فيها من الاملاح السامَّة ولأنَّ هذه الاملاح لا تسمُّ الانسان اذا كان مقدارها قليلاً جدًّا ولكن ما لا يسمُّ الانسان يسمُّ الميكروب على ما يظهر ويميتهُ ويزيل ضررهُ . وقد كان العلماء يعلمون ان املاح النحاس تميت الميكروبات ولكنهم كانوا يحسبون ان المقدار الكافي منها لامانة الميكروب يسمُّ الناس ايضاً . فثبت الآن ان المقدار الذي يميت الميكروبات قليل جدًّا ولا يضرُّ احداً وهذا هو الاكتشاف الجديد

واشهر املاح النحاس الشبَّة الزرقاء التي تستعمل كثيراً لكيِّ الجفون الرمداء واللثث الملتهبة واكثر استعمالها في الصناعة . وقد وُجد الآن ان هذا الملح الذي تضع قمحة منهُ في فمك فتكره طعمهُ ولكنك لا تخشى ضررهُ اذا اضيف الى ماء ناقع كثير الميكروبات فاسد الرائحة امات ميكروباتهِ كلها وازال منهُ الرائحة الخبيثة فصار صالحاً للشرب

ذكر بعضهم انهُ كان في ولاية كنتكي باميركا مستنقع كبير فيهِ نحو ٢٥ مليون جالون من

الماء او نحو مئة الف متر مكعب وذلك يساوي بحيرة طولها مئة متر وعرضها مئة متر وعمقها عشرة امتار وكان قد تولد الخزّ في هذا الماء وكثرت الميكروبات فيهِ وخبثت رائحتهُ حتى صارت الدواب تعاف الشرب منهُ فوُضع مئتا ليبرة من الشبة الزرقاء في اكياس من الخيش وعُلقت في قارب وسير بالقارب في المستنقع ذهاباً واياباً الى ان ذابت الشبة الزرقاء وانتشرت في الماء فلم يمضِ ثلاثة ايام حتى صفا ذلك الماء وزال طعمهُ الكريه ورائحتهُ الخبيثة وامتُحن بالميكروسكوب وبالوسائل الكيماوية بعد بضع ساعات من اذابة الشبة فيهِ فوجد انهُ خلا من الميكروبات ولم يوجد فيهِ شيءٌ من النحاس فصار صحيحاً سليماً وبلغت النفقات التي اقتضاها تطهير المستنقع كلهِ ٢٥٠ غرشاً لا غير وكانت المدينة المجاورة لهُ تنفق الوفاً من الريالات كل سنة على تطهيرهِ فلا تعود بطائل

والميكروبات التي تكون في المستنقعات لا تكون دائماً من ميكروبات الامراض ولكن لو كان في الماء ميكروبات مرضيَّة مثل ميكروب التيفويد وميكروب الكوليرا فان النحاس يميتها وينقيهِ منها وهذا من اكبر الفوائد التي تعود على نوع الانسان من هذا الاكتشاف البديع. وقد ثبت بالامتحان ان املاح النحاس تميت هذه الميكروبات في اربع ساعات الى خمس والنفقة قليلة جدًّا من عشرة غروش الى ستين غرشاً لتطهير كل مليون جالون من الماء او اربعة آلاف متر مكعب وليس من ذلك اقل ضرر للذين يشربون ذلك الماء لان النحاس الذي يستعمل قليل جدًّا لا يشعر بهِ مطلقاً في ما يستعمل من الماء

ومما يذكر من هذا القبيل ان الناس استعملوا نقود النحاس من عهد قديم جدًّا ولا يزالون يستعملونها على كثرة فتتداولها ايدي الفقراء القذرة ويضعها البعض في افواههم ومع ذلك لم يسمع عن مرض انتقل بها. وتجد الميكروبات كثيرة على النقود الذهبية والفضية ولا يوجد منها شيءٌ على النقود النحاسية. ويقال ان الكوليرا لا تنتشر في بلاد الصين ولا تفتك باهاليها على كثرة المياه فيها وازدحام السكان في المدن والقرى لانهم يستقون ماءهم في آنية نحاسية. ويقال ايضاً ان النحاسين لا يصابون بالكوليرا ولو انتشرت بين مجاوريهم

واذا ثبتت هذه الحقائق كلها صار اتقاء الامراض المعدية كالكوليرا والتيفويد من اسهل الامور باضافة قليل من مذوب الشبة الزرقاء الى ماء الشرب وصار غسل الجراح بمذوب الشبة الزرقاء اوقى لها واسلم عاقبةً من غسلها بمذوب الحامض الكربوليك. ولعلَّ فائدة الكي بالشبة الزرقاء ناتجة عن كونها تميت الميكروبات لا عن كونها تكوي الجروح والقروح. وكذلك سهل اماتة عوَم البعوض من الماء الناقع فتستأصل الحمَّى الملارية وحمَّى الدنج والحمَّى الصفراء

ونحو ذلك من الحميات التي تنتشر بواسطة البعوض

بقي ان النساء في هذه البلاد وغيرها من بلدان المشرق يعلقن على اصداغ اولادهنَّ شبة زرقاء قصد وقايتهم من العين ويبدلنها احياناً بخرزة زرقاء أفلا يحتمل ان العادة القديمة كانت مقصورة على استعمال الشبة الزرقاء وانها نتجت عن اكتشاف الناس او اختبار احد حكمائهم لفائدة الشبة الزرقاء في الوقاية من الامراض وان صحَّ ذلك فلا جديد تحت الشمس

وعسى ان تهتم مصلحة الصحة المصرية بهذا الاكتشاف المفيد وتستخدمهُ في تطهير المستنقعات ومياه الشرب ومقاومة الامراض المعدية

المصل في السرطان

كلٌّ يذكر ما كان لنبإ الدكتور كوخ العلامة الالماني من الوقع العظيم عند ما اعلن منذ بضع سنين انهُ اكتشف مصلاً لمقاومة السل الرئوي ولكن لسوء الطالع مالبثت التجارب ان اظهرت فساد ذلك الزعم الذي لو صح لكان كوخ من اكبر المحسنين الى بني الانسان مثل بستور اما بستور فكان يذيع طرق اكتشافاته لترفعهِ عن الانتفاع بها وكتمان سرها على الملإ الطبي واما كوخ فلم يشرح طريقة تحضير مصلهِ بل كتم ذلك ليستثمر اختراعهُ مما يحطُّ من قدر العالم المكتشف. ومصل كوخ مستعمل الآن خصوصاً في الحيوان لتشخيص الاصابات الدرنية

ولا يعجب احدٌ اذا قلنا ان الاطباء الفرنسويين سلقوا كوخ بالسنة حداد وشددوا عليهِ النكير ولم يدُر في خلدهم انهُ سيقوم واحدٌ منهم ويجاري كوخ في عملهِ . وذلك ان الجراح الفرنسوي الشهير دوين الذي تحدَّث عنهُ الناس منذ عامين يوم شقَّ التوأمتين داديكا وراديكا وفصلهما احداهما عن الاخرى قد قدم الى الاكادمية الطبية من مضي عام مذكرة يقول فيها انهُ اكتشف مصلاً لمقاومة السرطان بدون ان يبين طريقة تحضير ذلك المصل . وفي هذه الايام قدم باريس احد الاميركيين المثرين لمعالجة امرأتهِ من ورمٍ سرطاني ولما علم بالمصل الجديد توجه الى الجراح دوين وطلب اليهِ ان يعالج امرأتهُ واتفقا على مبلغ مئة الف فرنك دفعها الاميركي للجراح بعد ان تمت مدة المعالجة بالمصل لكن العلاج لم يأتِ بفائدة كما شهد بهِ جمهور من اطباء باريس فقام الاميركي يطالب الدكتور دوين امام المحاكم بالمال المدفوع . غير ان فريقاً من الاطباء يقول بصحة فعل هذا المصل

وكان العلامة ريشي الافرنسي وهيريكور حاولا منذ تسعة اعوام معالجة السرطان بمصلٍ

اكتشفاهُ وحصلا منهُ على بعض النتائج ثم ظهر ان فائدة ذلك المصل غير نوعية وانهُ خالٍ من الخصائص المقاومة لداء السرطان رأساً اي ان فعلهُ كفعل مصلٍ بسيط مستخرج من دم الحيوان يؤثر في الانسجة فينشط عملها الحيوي. ولما كنتُ طبيباً في المستشفى البلدي في القدس جربت طريقة ريشي وهيريكور في حادثة سرطان ونشرت نتيجة تجربتي في مجلة المقتطف عام ١٨٩٥ وكان العلامة ريشي طلب اليَّ نشرها في كتاب لاحد تلامذتهِ فاجبت طلبهُ

وخلاصة الحادثة ان امرأة افرنسية اصيبت بنكس سرطاني تحت الترقوة اليمنى في حجم البرتقالة الصغيرة بعد ان كان قطع ثدياها لنفس المرض وكانت الغدد الابطية والعنقية من الجانب الايمن متضخمة. فاستأصلت السرطان كأنهُ ورم بسيط ثم قطعتهُ الى كتلٍ صغيرة وهرست تلك الكتل واخذت عصارتها وحقنت بها ثلاثة كلاب تحت الجلد وفي اليوم الثالث والسابع والخامس عشر استنزفت دم الكلاب الثلاثة تباعاً وحقنت بمصل ذلك الدم حوالي الجرح الناشيء عن استئصال الورم السرطاني والغدد المتضخمة فالتأم الجرح بالمقصد الاول. هذه خلاصة ما ذكرتهُ حينئذٍ في المقتطف وتحسنت حالة المريضة العمومية مدة ثمانية اشهر ثم ازداد تضخم الغدد وبدأت تشعر بآلام في ذراعها اليمنى بسبب الضغط على الاعصاب وبعد مضي عامين من العملية توفاها الله وهي في حالة الهزال السرطاني

وخلاصة الامر ان المصل المقاوم للسرطان لم يكشف الى الان ولا الجراثيم المسببة لهذهِ العلة وهنا سؤال نتساءل بهِ: هل من الممكن ان يكون لكل داء مصل خاص بهِ ؟

فالجواب على ذلك اجماليًّا من اصعب الامور ولكن اذا دققنا النظر في بعض الامراض نراها تختلف سيرًا وعقبى عن غيرها فالحمى التيفوئيدية والجدري والشهقة مثلاً يتولد على اثر الشفاء منها مناعة في البدن فلا تعاود العليل ثانية على العموم ولا فرق في ان تكون شديدة الوطأة او خفيفتها فضلاً عن ان لها اجلاً دوريًّا تتطور فيهِ واما السرطان والسل فعلى العكس لا يزيد الشفاء منهما العليل إلاَّ استعداداً لقبول المرض ثانية لفقد تولد المناعة في البدن. والاصابة فيهما تقتصر على بعض الاجسام المهيأة لها بالوراثة وغير ذلك مما نضرب عنهُ صفحاً على عكس الامراض الاولى السابقة الذكر فانها وافدة وهي تصيب الاجسام بالعدوى لادنى سبب مما يستنتج منهُ ان للمكروب المقام الاول في تولد الاصابات واما في التدرن الرئوي وفي السرطان فان العامل الاكبر هو الاستعداد الشخصي الذي يهيئ البدن لقبول الجرثومة المرضية ولذلك فمن الضروري تقوية الجسم في هاتين العلتين بالادوية والاغذية. وحسن الانذار فيهما يكون بالنسبة الى عود القابلية الى عهدها السابق فالحمية تختلف عن الحمية في الحمى

التيفوئيدية وذات الرئة وما اشبه حيث يعطى اللبن والمرق ولا يعوَّل على تقوية البدن هنا الاَّ باعطاء المنبهات اذا اقتضت الحال

فيستنتج مما تقدم ان بعض الامراض يولّد مناعة في البدن وهي عبارة عن تولّد مصل شافٍ في الجسم على عكس غيرها كالتدرن الرئوي والسرطان حيث لا مناعة اذا تم شفاءه الواحد او استؤْصل الورم السرطاني اي ان هاتين العلتين لا يولدان من طبيعتهما مصلاً شافياً او واقياً

وقد قدم الدكتور دوين تقريرًا الى المؤتمر الجراحي الاخير تكلم فيهِ عما يزعم انهُ ميكروب السرطان وكيفية تحضيرهِ لمصلهِ المقاوم لهذا الداء ومما قالهُ ان مصلهُ يعارض سير العلة اذا لم يقاومها تماماً وان الحقن المصلية لاتجدي نفعاً بل تضر اذا كانت الاورام السرطانية كبيرة

واهم ما جاء في تقريرهِ فصلهُ العلة السرطانية من حيث المعالجة المصلية عن بقية الادواء كالدفثيريا وغيرها التي لمكروبها دور حاد يتطور فيهِ فاما موت واما شفاء على عكس داء السرطان فانهُ مرض مزمن ذو سير منتظم متقطع احياناً والغاية من العلاج المصلي فيهِ جعل خلايا الجسم غير صالحة لامتداد العلة مما يؤيد مدعاي في مقالتي ان المكروب لهُ المقام الاول في الامراض الحادَّة كذات الرئة والحمى التيفوئيدية وغيرها واما في التدرن والسرطان فللاستعداد البدني ومصل دوين يؤَثر في السرطان اذا كان سطحيًا واما اذا كان ثمَّ ورم غائر فيجب استئصالهُ قبل المعالجة المصلية . وخلاصة القول ان هذا المصل لا يغني عن اجراء العملية الجراحية وان لهُ احياناً بعض النفع ولكن لا يمكن الجزم في ما اذا كان تأثيرهُ نوعيًا كمصل الدفثيريا

الدكتور نعمه

من اعضاء جمعية العلاج في باريس

[المقتطف] قرأنا في الجرائد الاوربيَّة التي وردت الينا بعد كتابة ما تقدَّم ان اللجنة الطبيَّة التي عُينت للبحث في مصل الدكتور دوين ومشاهدة المرضى الذين يدَّعي انهُ عالجهم بهِ وشفاهم قد رأَت ما يدلُّ على فائدة هذا المصل ولكنها لم تقرَّ على ذلك حتى الرابع عشر من شهر دسمبر. وسنترقَّب ما يكون من امرها وننشرهُ في باب الاخبار العلمية . اما اللجنة المقامة في بلاد الانكليز للبحث في سبب السرطان وعلاجهِ فلم توفَّق الى اكتشاف علاج لهُ حتى الآن

محمود باشا سامي البارودي



منذ اربع وعشرين سنة كان صاحب الترجمة كما تُرى صورتهُ التي صدَّرنا بها هذه السطور في عنفوان القوة ومتسع الآمال كان ناظرًا للجهادية والاوقاف مرموقًا بعين العناية من مولاهُ والاكرام من اخوانهِ وزيرًا بين الوزراء وشاعرًا بين الشعراء. زرناهُ حينئذٍ فرأينا فيهِ آمالاً اوسع من رحاب مصر وكانت تلك الآمال ملكاً مشاعاً يشترك فيها المالك والمملوك والغني والصعلوك منشأها الميل الفطري الى الحرية في القول والعمل والتغرير الاجنبي للتطوح في اعمال تدعو الى تشديد الخناق والطمع في ما بقي في البلاد من موارد الارزاق والغرور والتحمس المتولدان من الجهل والسخافة فتجمعت الاسباب وولدت الثورة العرابية وما جرّت اليهِ وجُعل صاحب الترجمة رئيساً للنظار في بداءتها ثم استعفى في اثنائها وُعدَّ من زعمائها ونفي معهم

وهو من متولدي مصر لا من ابنائها فان جدهُ جركسي الاصل . ولد في العاصمة ودرس في المدرسة الحربية واتقن اللغة التركية والفارسية مع العربية وتدرَّج في المناصب الحربية الى

ان كانت حرب الروس مع الدولة العلية فأرسل اليها وكوفئ برتبة اللواء ومما قالهُ في تلك الحرب (روتهُ لهُ جريدة الجوائب المصرية)

ادور بعيني لا ارى غير امةٍ | من الروس بالبلقان يخطئها العدُّ
جواثٍ على هام الجبال لغارة | يطير بها ضوءُ الصباح اذا يبدو
اذا نحن سرنا صرَّح الشر باسمهِ | وصاح القنا بالموت واستقتل الجندُ

ولما عاد الى مصر جُعل مديرًا للشرقية وتولى نظارة الاوقاف والمعارف في وزارة رياض باشا الاولى وكان تعرُّفنا بهِ حينئذٍ واعيد ناظرًا للحربية في وزارة شريف باشا ثم جعل رئيسًا للنظار وناظرًا للداخلية وابتدأت الثورة حينئذٍ وحدثت مذبحة الاسكندرية فأسندت رئاسة النظار الى راغب باشا وتشكلت وزارة جديدة لم يكن صاحب الترجمة فيها ولم يُعد الى خطط الحكومة لكنهُ أُخذ مع غيرهِ من زعماء الثورة وحوكم ونفي مع مَن نفي ثم عفي عنهُ وعاد الى القطر ليموت فيهِ فقضى الى رحمة ربهِ يوم الاثنين في الثاني عشر من الشهر ودفن بما يليق من الاكرام بعد ان خلَّد لنفسهِ ذكرًا لا تنالهُ مجالس الاحكام ولا يسمع فيهِ لقضاة التحقيق كلام. فانهُ كان من امراء القريض وارباب القرائح فنظم القصائد الحسان. ومن بدائع شعرهِ قولهُ في منفاهُ (وقد ذكرهُ محمد افندي امام العبد في مجلة الثريا قبيل وفاتهِ)

محا البين ما ابقت عيون المهى مني | فشبتُ ولم اقضِ اللبانة من سني
عناءٌ ويأسٌ واشتياقٌ وغربةٌ | ألا شدَّ ما القاهُ في الدهر من غبنِ
فان اكُ فارقت الديار فلي بها | فؤاد اضلتهُ عيون المهى عني
بعثت بهِ يوم النوى اثر لحظة | فاوقعهُ المقدار في شرك الحسنِ
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا | فليس كلانا عن اخيهِ بمستغنِ
ولما وقفنا للوداع واسبلت | مدامعنا فوق الترائب كالمزنِ
اهبتُ بصبري ان يعود فبزَّني | وناديت حلمي ان يثوب فلم يغنِ
وما هي الا خطرة ثم اقلعت | بنا عن شطوط الحي اجنحة السفنِ
فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى | وكم مقلة من غزرة الدمع في دجنِ
وما كنت جرَّبت النوى قبل هذهِ | فلما دهتني كدت اقضي من الحزنِ
ولكنني راجعت حلمي وردني | الى الحزم رأيٌ لا يحوم على افنِ
ولولا بنيَّاتٌ وشيب عواطلٌ | لما قرعت نفسي على فائت سني
فيا قلب صبرًا ان جزعت فربما | جرت سنحًا طير الحوادث باليمنِ

فقد تورق الاغصان بعد ذبولها ويبدو ضياء البدر في ظلمة الوهن
واي حسام لم تصبه كهامة ولهذم رمح لا يفلُّ من الطعن
ومن شاغب الايام لان مريره واسلمهُ طول المراس الى الوهن
وما المرء في دنياه الا كسالك مناهج لا تخلو من السهل والحزن
فان تكن الدنيا تولت بخيرها فاهون بدنيا لا تدوم على فن
تحملت خوف المن كل رزيئة وحمل رزايا الدهر احلى من المن
وعاشرت اخداناً فلما بلوتهم تمنيت أن ابقى وحيداً بلا خدن
اذا عرف المرء القلوب وما انطوت عليهِ من البغضاء عاش على ضغن
يرى بصري من لا أود لقاءه وتسمع اذني ما تعاف من اللحن

وقوله في الحماسة معارضاً ابا تمام (رواه لنا السيد البكري)

واني من القوم الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجرُ
اذا استلَّ منهم سيد غرب سيفهِ تفزَّعت الافلاك والتفت الدهرُ

وقوله في الفخر (وقد ذُكر في كتاب المنتخبات العربية)

ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمة تردُّ لهام الجيش وهو يمورُ
همامة نفس ليس يثني ركابها رواح على طول المدى وبكورُ
معودة ان لا تكفَّ عنانها عن الجد الا ان تتمَّ امورُ
لها من وراء الغيب اذن سميعة وعين ترى ما لا يراهُ بصيرُ
وفيت بما ظنَّ الكرام فراسةً بامري ومثلي بالوفاء جديرُ
واصبحت محسود الجلال كانني على كل نفس في الزمان اميرُ
اذا صلت كفَّ الدهر من غلوائهِ وان قلتُ غصَّت بالقلوب صدورُ

ولعله قال ذلك قبل حبوط المساعي وقوله

وقد تنطق الآثار وهي صوامتٌ ويثني برياهُ على الوابل الزهرُ

وقوله في شكوى الزمان

حمل الزمان عليَّ ما لم اجنهِ ان الاماثل عرضة الحدثان
صادقت بعض القوم حتى خانني وحفظت منهُ مغيبهُ فرماني
فليجرِ بعد كما اراد بنفسهِ ان الشقيَّ مطية الشيطان

وسيجتمع شعراء مصر على ضريحهِ يوم الاربعين من وفاتهِ وينشدون ما نظموهُ في رثائهِ وتأبينهِ

الحرب الحاضرة ونتائجها

ذكرنا في مقالتنا السابقة (بورت ارثر والحرب الحاضرة) شيئاً عن اسباب هذه الحرب وانها تنازعٌ ومزاحمة على السلطة والتجارة في الشرق الاقصى لكن بين الدول الاوربيَّة على التحقيق ولاسيما بين الدولتين روسيا وانكلترا دولتي البر والبحر — الاولى تحاول ان تجد منفذاً بحريًّا لاساطيلها وتجارتها . والثانية تخاف استفحال قوة الدولة الاولى في بحار الشرق الاقصى بما يهدد في المستقبل البعيد قواتها البحرية وفي الحاضر القريب تجارتها ونفوذها في بلاد الصين ولاسيما في ما يجاور منشوريا من ولايات الصين الشمالية

ان هذه الحرب اخذت مظهراً آخر غير مظهرها هذا وتلبست باسباب أُخرى غير اسبابها الحقيقية . اما المظهر الذي اخذتهُ فتنازع دولتين احداها شرقية من الجنس الاصفر والاخرى غربية من الجنس الابيض على النفوذ والتجارة في الصين اعمر بلاد الشرق الاقصى واكثرها سكاناً وغنى طبيعيًّا

واما الاسباب التي من اجلها شبَّ ضرامها فتهجم روسيا ومطامعها من الجهة الواحدة وشمم اليابان ووقوفها موقف الدفاع عن كيانها واستقلالها من الجهة الاخرى . كل ذلك صوَّرتهُ لنا الجرائد الآخذة بناصر اليابان ومن الـ لفها من الكتَّاب والمؤلفين والخطباء والواعظين جيشٌ من امضى الجيوش سلاحاً وامرّها نزالاً وان كان سلاحهُ الاقلام وساحة وغاهُ الطروس . والحقيقة في ضبابٍ من وراء ذلك كلهِ . راجع ما في سجلات الدول الاوربية من المعاهدات والمخابرات السرية ولاسيما سجلات بطرسبرج ولندن . راجع خريطة وادي يتغتسي وما على تلك الخريطة من المدن العامرة الغاصة بالسكان وما حوالي تلك المدن في جبالها واوديتها من الغنى الطبيعي . راجع ايضاً العلامات الحمراء والزرقاء والخضراء التي يضعها رسامو الخرائط للاشارة الى المحلات التجارية الاوربية ولمن من الممالك هذه المحلات . راجع تقاليد اهل بريطانيا العظمى وعاصمتهم لندن وتقاليد السلاف وعاصمتهم بطرسبرج وما مرَّ من المنازعات والمشاحنات بين هاتين الدولتين العظيمتين . راجع تقارير غرفهم التجارية كتقرير اللورد برسفرد مثلاً وما يماثلها من تقارير رجالٍ تنتهي اسماؤُهم بكوف او فيتش او اوف — راجع كل هذه تعلم اسباب الحرب الحقيقية . وتعلم ان اليابان (وكانت تتظاهر بالصلاح والمسكنة) كانت الآلة التي استخدمت لخدمة مقاصد هاتين الامتين كذا ارادتها هاتان

الامتان ان تكون وكذلك تظاهرت في اي انها العوبة لهاتين الدولتين والحقيقة انها كانت تبطن ان تتلاعب باللاعبين بها وعلى ما يقول مثلنا تسرُّ حسواً في ارتغاه

اما الآن وقد انجلى للعيان ما تطمح اليهِ هذه الدولة من الاستبداد بالنفوذ والتجارة في الشرق الاقصى وما لديها من القوَّات البريَّة والبحرية للذبّ عن حوزتها والتوصل الى مطامعها والقيام دونها في وجه من يعارضها فلا شكَّ أن ستتطوَّر هذه الحرب الى طور غير ما كان يُظن ان تكونهُ في ابتدائها واليك البيان

كان يُظنُّ قبل ان ابتدأت هذه الحرب ان اليابان تحشد الى ساحات القتال في منشوريا وكوريا اربعماية الف مقاتل من خيرة جنودها بالعُدَّة الكاملة قبل ان تحشد روسيا المئة الف او المئة والخمسين الفاً في الاكثر. وكانت النتيجة ظاهرة لهولاء الذين قدَّروا هذا التقدير اي انهُ لا تمرُّ السنة قبل ان تستولي اليابان على بورت ارثر وفلاديفوستك ومنشوريا بعد ان تطحن الروس طحناً وترمي بهم الى شرقي بيكال من شمالي خربين لا تبقي على احد منهم في منشوريا القتيل قتيل والاسير اسير. وتضطرُّ روسيا الى تجييش جيش آخر من جديد. وهذا الجيش الثاني ليقف في وجه اليابان لا بُدَّ ان يكون ما فوق الثلاثمئة الف مقاتل. وهذا مما يتعذَّر عليها حشده ُقبل ان تمرَّ سنة اخرى من الزمان. فتمرُّ من ثمَّ سنتان واعلام النصر الباهر تخفق بنوده ُ فوق جنود اليابان. وليظهر للملا عجز الروس وفشلهم بازاء اليابان كما ظهر من قبل عجز الصين وفشلها فتزول هيبتهم من القلوب وتطمع فيهم بقية شعوب اسيا وعلى الارجح تكون خزينتهم قد فرغت من المال فتلجأ حينئذٍ صاغرة الى بعض دول اوربا يتوسَّطن لها عقد صلح شريف ترضى فيهِ من الغنيمة بأن تبقى على ما كانت عليهِ قبل الحرب اليابانية الصينيَّة اي تترك بورت ارثر وشأنها وكوريا وشأنها وتكتفي بميناء فلاديفوستك وشيء من شمالي منشوريا الى شمالي خربين وتقصر همَّها من بعد ذلك على مناوأة اليابان وتتربص الفرص لاعادة الكرَّة عليها. وبالاجمال تصبح اليابان شغلاً شاغلاً لروسيا بحيث تنسى معها الى امدٍ طويل تقاليدها في اوربا ومنازعة بعض دولها السيادة والنفوذ في اوربا واسيا معاً

واذا اصبحت اليابان شغلاً شاغلاً لروسيا فبالضرورة تصبح روسيا شغلاً شاغلاً لليابان لا تزال هذه تخاف من عواقب كرَّتها عليها فترصد لذلك المعدَّات والجيوش وينصرف همُّها عن المزاحمة التجارية الى المجد العسكري والمحافظة على ما اوصلتها اليهِ حراب جنودها ومدافعهم من التفوُّق والسيادة في كوريا ومنشوريا. ولا يزال من همّ هاتين الدولتين الاولى ان تاخذ بثارها وترد شيئاً مَّا خسرتهُ من مجدها ونفوذها والثانية ان تحافظ على ما نالتهُ وتبقى متربعة في

دست المجد العسكري الى أن تبلغ معدّات كلٍّ منهما غايتها . وحينئذٍ تنشب الحرب ثانية فتكون الحرب الثانية شرًّا من الاولى على كلٍّ من الدولتين لما يهرق فيها من الدماء ويُنفق من الاموال فتضحي فيها روسيا معظم رجالها وتنفق آخر فلس في خزينتها اخذًا بالثار وتخلّصاً من وصمة عار اتخذالها في الحرب الاولى . والنتيجة من كل ذلك ان اوربا ترى اليابان في نهاية هذا الحرب الثانية في حالةٍ من الضعف لاتخشى بعدها جانبها ولا تتخوّف من مزاحمتها النفوذ ولا التجارة في املاكها الشرقيّة لان الحرب تتركها لا رجال عندها ولامال ولا اساطيل فضلاً عن انها تكون قد استغرقت بالديون واصبحت ماليتها تحت سيطرة الماليين الاوربيين وهيهات ان تتخلّص رقبةٌ وضعت عنقها تحت نير هولاء

واما روسيا فمع انها تخرج من الحرب الثانية فائزة فلما يلحقها من الخسارة في المال والرجال تقف في ممالكها موقف الناقة من مرضٍ شديد لا تستطيع حراكاً ولا تقوى على معارضة دول اوربا الغربيّة فيصبحون وهم المسيطرون دونها على اسيا وافريقية مدةً طويلة لا يخشون فيها من معارضتها ولا من مسابقتها لهم لا في نفوذ ولا في تجارةٍ . وتنام انكلترا زمانًا على مخدّات من ريشٍ لا ترى في احلامها ما يرعبها من زحف جيوش الروس وفرسان القوزاق على املاكها في الهند ولا على ما يجاورها من البلدان المتاخمة كبلاد الافغان وفارس وخليج العجم . ولا شكّ ان مدّة نقه الدولة الروسيّة فيما لو وقع ما صوّرناه تكون بعيدة المدى حتى اذا عادت الى سالف قوّتها تكون دول اوربا ولاسيّما انكلترا قد حصّنت نفسها منها واقامت في وجهها من الحواجز ما يصعب تهجّمها عليها من فوقها وازعاجها كما عنّ لها أن تعنتها او تكسر من خيلاء نفوذها

والظاهر انّ كتّاب الانكليز كانوا يقدّرون التقدير الذي ذكرناه او شيئًا ممّا يقاربهُ فانك اذا راجعت كتاباتهم في جرائدهم المشهورة رأيتهم كانوا كالمجمعين على ما يأتي

(اولاً) انّ اليابان تحشد من الجنود في ساحات الحرب في السنة الاولى ثلاث مرات ما تستطيع روسيا حشدهُ في منشوريا وكوريا

(ثانياً) ان الروس لا يستطيعون ان يحشدوا في منشوريا اكثر من مئتي الف جندي وذلك بعد ان يمرّبهم سنة كاملة او ما يزيد عنها لانّ خطّهم الحديدي لا يستطيع ان ينقل اكثر من ٥٠٠ الى ٨٠٠ جنديّ في اليوم مع ما يكفي لتموينهم من الزاد والذخيرة

(ثالثاً) انهُ لا تمرّ السنة الاولى قبل ان تستولي اليابان على منشوريا كلها الى خربين

ومن جملة ذلك بورت ارثر وعلى فلاديفوستك ايضاً وما اليها من املاك روسيا الى شمالي خربين

(رابعاً) اذا صحّ ما قدّروهُ من امتلاك اليابان بورت آرثر وفلاديفوستك وما هو كالتابع لها من كوريا ومنشوريا الى خربين واذا كانت السكة الحديدية الروسيّة لا تستطيع ان تنقل اكثر من ٥٠٠ الى ٨٠٠ جندي في اليوم فبالضرورة لا ترى روسيا افضل من عقد صلح موقت بمداخلة بعض الدول يرجع فيهِ القديم على قدمهِ وتضمر روسيا بعد هذا الصلح معاودة الكرّة بعد ان تضاعف الخط الحديدي السيبيري لكن الى فلاديفوستك فقط لان الخط المنشوري الى بورت ارثر يكون قد خرج عن ملكها بموجب شروط عقد الصلح المزعوم. ثم هي لا يتم لها معاودة الكرّة او الحرب قبل ان تمرّ سنين عديدة مهما كانت ترغب في معاودتها. ومثلها في ذلك مثل فرنسا والمانيا فانهُ مرّ على الاولى اربع وثلاثون سنة ولم يتأتَّ لها بعد او لم تجد وجهاً لارجاع الالزاس واللورين مع مزيد رغبة شعبها وحكومتها وتوالي احلامهم في استرجاع هاتين الولايتين

ولا يخفى انهُ لو كان يقع هذا التقدير لكانت الامة الانكليزية اكثر شعوب اوربا اغتباطاً بهِ لانهُ كان يصرف روسيا اياماً طويلة عن التعرض لهم بما يتجه من وجهة افكارهم الى اليابان. وربما تهيأ لهم في اثناء ذلك ان يبسطوا نفوذهم في منشوريا بما يكون تجارهم وبيوتهم المالية قد فعلوهُ من اخذ الامتيازات في تعدين المعادن وتسليف الاموال واسترهان الاملاك ما لا تستطيع معهُ روسيا بعد ذلك على مد نفوذها في منشوريا بالقدر الذي كانت تريدهُ وتحلم بهِ فيما لو كانت البلاد خالية من تعلقات التجار الانكليز

الاَّ ان هولاء الكتّاب غلطوا على الارجح في تقدير قوة اليابان ومقدار استعدادها وغلطوا ايضاً في تقدير القوات الروسيّة ولا سيما في مقدرة الخط الحديدي السيبيري على النقل. امّا غلطهم في تقدير قوة اليابان فظاهر من انهُ مرّ على اليابان ثلاثة اشهر قبل ان استطاعت ان تعبر اليالو بجند لا يزيد عن المئة الف مقاتل الاَّ ما هو دون الطفيف ثم مرَّ عليها ثلاثة اشهر اخرى قبل ان انزلت مئة وخمسين الفاً اخرين. وبالاجمال نقول انهُ بعد سبعة اشهر وسبعة عشر يوماً لم يتهيأ لقوادهم ان يضموا من قواتهم اكثر من ٢٤٠ الفاً هجموا بها على الروس في لياو ينغ وعندها كان قد توارد على الروس من الجنود والذخائر ما استطاعوا معهُ على صد هجمات اليابان مرَّات مدة ثمانية ايام حملوهم فيها خسائر كبيرة ثم انسحب قائدهم الاكبر بجنودهِ الى موكدن لم يفقد جندياً اسيراً

وامّا غلطهم في تقدير القوات الروسيَّة فظاهر من تفاني اليابان على حصون بورت ارثر ولم ينالوا منها مأرباً لهذه الساعة (١٥ نوفمبر) وكانوا يقدّرون انها لا تلبث ان تسقط قبل ان يمرّ شهر او شهران على معركة ناتشان. والذي ارجحهُ انها ستثبت الى ان يُرفع عنها الحصار وذلك قبل ان يمرّ شهران من اليوم او شهران وبضعة عشر يوماً. واما الغلط في تقديرهم مقدرة الخط الحديدي السيبيري على النقل ففاحش جدًّا لان الخط اصبح ينقل اكثر من ثلاثة آلاف يومياً. وبعد ان كانوا يقدّرون ان الروس لا تستطيع ان تحشد من الجند اكثر من مئتين وخمسين الفاً (لان ما فوق هذا العدد تعجز وسائط النقل عن تموينهِ) تبيَّن لهم انها تستطيع ان تحشد اكثر من خمسمئة الف جندي وتموّنهم ايضاً. وان هذا العدد لا تمرّ هذه السنة قبل ان يكون معظمهُ ان لم يكن كلّهُ في منشوريا وكوريا

وبناءً على هذه الاغلاط لا بدَّ ان تكون نتائج هذه الحرب غير ما كانت تقدَّر في ابتدائها على ما مرَّ بك من تقدير كتاب الانكليز ومَن لفَّ لفَّهم. فإن قلت وما ظنك في نتائجها قلتُ بعد ان تفانى من اليابان ما يقارب المئة الف من خيرة مقاتليهم على حصون بورت ارثر. وبعد ان افنت المعارك ما بين كابينغ وموكدن ما يقارب هذا العدد او يزيد عليهِ وبعد ان تمكن قائد الروس الاكبر من المحافظة على جيشهِ الى هذه الساعة وتكاد تكون قوّتهُ اليوم في منشوريا تكافئ القوات اليابانية فيها. وبعد ان اصبحت السكة الحديدية تنقل في اليوم ما يقارب الثلاثة الآلاف باعتدتهم الحربية. وبعد ان مرَّ على الروس نحو من ثمانية اشهر كانوا فيها ولا شكّ يدرّبون تلاميذهم على الحرب والسلاح في ثكناتهم في اوربا وعمّا قليل سيتواردون تباعاً الى منشوريا وفلاديفوستك فتصبح جنودهم تزيد على الجنود اليابانية في المئة خمسين او ستين على الاقلّ. وبعد ان سار اسطول البلطيك الى مياه الشرق الاقصى وبعد ان اخذ كوروبتكين خطة الهجوم الآن وتوجهت الغلبة بعض التوجه على اليابان — بعد ان ظهر كل ذلك ولم يمضِ على الحرب اكثر من ثمانية اشهر وبضعة ايام فما تكون النتيجة الا اوضح من الصبح وهي ان الحرب ستضع اوزارها بعد شهور وتنجلي ضبابها عن فوز الروس واخذال اليابان اخذالاً لم يكن في الحسبان عند كثيرين. ولا بعد ان يعقد الروس الصلح في طوكيو (قبل ان تمرّ سنة من اليوم) كما نُقل عن كبير قوادهم في بداءة الحرب فيما هو متوجه الى منشوريا لاستلام زعامة الجيوش فيها

وما اظن الروس يرضون ان يعقدوا صلحاً الا ومنشوريا في حوزتهم او كالتي في حوزتهم وكوريا تحت حمايتهم فان جنودهم ستحتل هاتين البلادين بحيث لا تطمع دولة في اخراجهم

منها الاَّ اذا اتحدت دول اوربا باجمعها واميركا ايضاً على ذلك · وهذا بعيد الحصول على ما تدل عليهِ ظواهر الاحوال الحاضرة فان التنافر بالغ حدَّهُ بين الالمان والانكليز ويكاد من المستحيل ان يكونا في جانب واحد· وتقضي المعاهدات بين فرنسا وروسيا ان تلزم الاولى الحياد التام ان لم تكن في جانب روسيا · وواضح ان ضلع الدولة العثمانية مع الروس · واذا كانت المانيا في جانب روسيا فمن المرجح ان تكون النمسا على الحياد التام وعندها فلا ترى دولة ايطاليا الاَّ التزام العزلة وترك روسيا وشأنها مع اليابان · فان بقي دولة في غير جانب الحياد او في غير جانب الروس فانكلترا . وهذه دولة حكيمة سريعة التكيُّف بما يلائم الاحوال الحاضرة وبما يبعد بها عن الفشل والخسران ايضاً ولذلك فالارجح انها تلزم الحياد وتأخذ نصيبها في تيبت هنيئاً مريئاً بعد ان تعقد اتفاقاً مع الروس يضمن لها مصالح تجارتها ونفوذها في الصين وتطمئن على املاكها في الهند

فان قيل لا بدَّ لهذه الدولة من نزول ساحات الوغى مع الروس لان احتلال هؤلاء منشوريا وبسط حمايتهم على كوريا مما يهدّد نفوذها وتجارتها في الصين . قلتُ ان هذه الدولة الحَذِرة المتأنية العاقلة لا تخطو خطوة الى الامام الاَّ بعد ان ترى ما يضمن فوزها فهي كما عُرِف عنها تقدّر قبل النوم مضطجعاً فانها ان رأت في منشوريا وكوريا من جنود الروس الظافرة ما ينيف على المئتي الف على الاقل ورأت مع ذلك ان جنودها في ثغور تركستان واوربا لا تزال على عددها وأُهبتها وقد هزَّ النصر من شجاعتها وحماسها اذا رأت ذلك ورأت دول اوربا غيرها اما في جانب الحياد التام او هي اميل الى جانب الروس لا يسع حكمتها حينئذٍ الاَّ ترك التقاليد القديمة نوعاً وفتح باب للمصافاة بينها وبين الروس · والراجح انها تنتفع بذلك اضعاف ما كانت تنتفعهُ من مصافاة اليابان فيما لو اتيح الغلبة لهذه الدولة· وارجح ان عقلاء الامتين يفتحون منذ الان ابواباً وكوًى غير التي كانت قبلاً بينهم وبين الروس فيرى الشعبان الروسي والانكليزي ان مصالح الدولتين تقضي عليهما بترك المشاحة والعدول الى الموافقة والمعاضدة · ولا يبعد في المستقبل ان يتحوَّل خط سيبيريا ومنشوريا الحديدي عن صبغتهِ الحربية الى صبغة تجارية نوعاً فيشتري الانكليز حينئذٍ قسماً كبيراً من اسهمهِ · لكن ذلك بعيد الان اذ لا بدَّ قبل هذا التحول من اعمال الراي والفكرة ليجمع الخط عند تحوُّل صبغتهِ الحالية بين الصفتين التجارية والحربية بحيث تنتفع الامتان منهُ من غير ان تتخوَّف احدى الدولتين من اثرة صاحبتها واستبدادها

وقد كان الاوربيون والدولة الانكليزية من جملتهم يحسبون اليابان دولة شرقية حديثة

النشأة مقصورة مطامعها على ترقية شؤونها الداخلية . وربما كان كثيرون يظنون ان ماظهر عليهم من آثار نهضتهم الحديثة انما هو قشر سطحي لايلبث ان يزول بزوال القائمين بهِ من الميكا دو الحالي ومن حولهُ من رجال وزارتهِ الحاليين. ثم هم كانوا يرون شدة ما بين اليابان والصين من التنافر والبغض حتى كانوا يرون ان الصينيين يفضلون الاستتباع للاوربي مهما كان في ذلك الاستتباع من العنف والمذلة على ان يروا اليابانيَّ الاقزم صاحب الكلمة العليا بينهم والآمر في شؤونهم ولذلك كان اغلب الدول الاوربية يفضلون في سرهم اندحار الروس وكسر شوكتها في الصين لان ماينقص في نفوذ الروس يزيد في نفوذهم ويتوزَّع عليهم

ومع ما كانوا يطرئون من ترتيب جندية اليابان وحسن تدربها على القتال ما كانوا يقدرون قوتها بالمقدار الذي ظهر منها حتى ان بعض الكتاب الانكليز مع شدة تحاملهم على الروس والتنقيص من قدر قوتهم الحربية ما كانوا يرون اليابان تفوز عليهم الاَّ بكثرة العدد لانهم كانوا يحسبون ان في مكنة اليابان ان تسوق الى ساحة القتال اربعة من جنودهم قبل ان تسوق روسيا جنديًّا واحدًا . امَّا بعد ان رأوا ما رأوا من استماتة الجندي الياباني في الدفاع عن بلادهِ واطاعة أوامر قوادهِ وبعد ان رأوا ان الجيش الياباني لايقوى على قهرهِ الاَّ جيش يماثلهُ عددًا من الروس الابطال انتبهوا لانفسهم واستفاقوا من غفلة موجدتهم على الروس فرأَوا الخطر الاصفر يتهددهم على نفوذهم واملاكهم وتجارتهم في الشرق الاقصى بصورة الدولة اليابانية

وتصويرًا للواقع نقول خذ مثالاً الدولة الالمانية فانها اذا قدر الفوز لليابان اصبحت املاكها وتجارتها في الصين تحت رحمة اليابان . واليابان قادرة في اي زمن كان ان تشهر عليها الحرب وتطردها من الصين كما يُطرد الواغل او المستعطي الذليل . ومثلها النمسا وايطاليا فان اليابان لاتعبأ بهما وهي قادرة في اي وقت كان على التقطع بهما . بل فرنسا نفسها تستطيع اليابان ان تتهددها باكثر مما تستطيع ان تتهددها بهِ روسيا لانها تستطيع متى قصدت ان تجمع جيشًا من ستين الى تسعين الفًا تجعل قاعدتهُ في فرموزا وتغزو بهِ املاكها في التونكين وتكون الفائزة في آخر الامر فان ستين الفًا الى التسعين من جنود اليابان في بلاد معادية لفرنسا تحبُّ التخلص من نيرها تقاتل مئة الف او مئة وعشرين الفًا من الفرنساويين . وهيهات ان تستطيع فرنسا ان تجند جيشًا من مئة الف وترسلهُ في بواخر النقل الى الشرق الاقصى دفعة واحدة او دفعتين واليابان واقفة لها بالمرصاد بين فرموزا والتونكين باسطول لايقل منعة الآن عن اسطول فرنسا في الشرق الاقصى فكيف بهِ اذا كان الفوز لها على الروسية وصرفت

همتها لتعزيزهِ . بل اليابان اذا استفحل امرها بالغلبة على الروس تصبح على تهديد انكلترا وتهديد نفوذها في كل الشرق الاقصى اقدر من روسيا وذلك بدون ان تحتاج اليها الصين فكيف اذا اذعنت الصين لقياد اليابان وطمعت ان تطرد بمساعدتها الاجانب من بلادها

وهب ان اليابان تترك الدول الاوربية وشأنها في الشرق الاقصى لاتفعل الآن كما تفعل روسيا من مسابقتهم النفوذ والوجاهة واعلاء كلمتها على كلمتهم احياناً فان هذا وحدهُ يكفي لاثارة احقادهم على اليابان اضعاف مايحقدون بهِ على الروس لانهم اعتادوا ان يحتملوا ذلك لروسيا ولم يعتادوا ان يحتملوهُ لليابان فكيف اذا خافوا فوق ذلك مزاحمتهم في التجارة والسيادة وان يجرئوا الصين وسائر البلدان الشرقية على نفض الاوربيين من على اكتافهم ويطالبوهم بتخفيف نيرهم عن اعناقهم وان ينظروا اليهم نظرة الاكفاء والاضياف لا نظرة الاسياد والمالكين . كلُّ ذلك اصبحت اوربا تتوقعهُ من اليابان اذا تغلبت على روسيا وردتها الى بلادها مقهورةً مدحورةً وهذا ما لا يريدونهُ ولا يصبرون عليهِ . وقد بدأ كتابهم من المان وفرنساويين ان يكتبوا في مطامع هذه الدولة وتشرُّفها لمناوأة الاوربيين في الشرق الاقصى والعمل على طردهم لتحلَّ محلهم متى آن الاوان

والمأخوذ من كل ما ذكرنا ان الاوربيين اصبحوا في سرّهم على عكس ما كانوا اولاً اي اصبحوا يودّون انتصار روسيا وانخذال اليابان . والآن نأتي الى السؤَال الذين نختم بهِ هذه المقالة وهو ما هي نتيجة هذه الحرب الحاضرة اجمالاً ومن جميع الاوجه ؟

ألمعنا من قبل الى نتيجة هذه الحرب فيما يتعلق بالدولتين المتحاربتين وفذلكة ذلك انهُ عما قليل ستظهر تباشير النصر لروسيا ويأفل طالع سعد اليابان الذي كانت تعظّمهُ لنا كثير من الجرائد والكتّاب ونعيد القول انهُ من المرجّح ان يُعقَد الصلح في طوكيو قبل ان ينقضي الصيف القادم . اما نتيجتها اجمالاً فمما يطول شرحهُ ولا بدَّ فيهِ من النظر الى اعتبارات مختلفة (١) نتيجتها باعتبار تعلقها بروسياً وحدها (٢) نتيجتها باعتبار تعلّقها بانكلترا وروسيا والمسألة الشرقية الاوربية (٣) نتيجتها باعتبار تعلّقها باوربا والشرق عموماً

نتيجتها فيما يتعلّق بروسيا وحدها

اما روسيا فستصل الى ما كانت تتطلبهُ منذ اكثر من قرن — الى ميناء بحري لا يتسلّط عليهِ الجليد يوصل تجارتها بسائر تجارة المعمور ولاسيما في الشرق الاقصى . ودالني خير لها من احسن ميناء على البحر المتوسط . وعليهِ فالمرجّح انها تتنازل عن حدّة تقليدها فيما يتعلق بالقسطنطينية

ويعود جلالة القيصر نقولا الثاني الى دعوة اوربا الى السلم مرَّة ثانية كما دعاها الى ذلك من قبل . والذي نعتقده ان دعوة القيصر دول اوربا لعقد مؤتمر السلم الماضي انما كان معناها اني عدلت عن التقاليد القديمة وتنازلت عن معظمها مما يتعلق بالاستانة . وكأنهُ كان يقول ان دالني اصبحت تغنيني عنها فلا اتعرَّض من ثمَّ لتكدير سلام اوربا وصفوها كما فعل اسلافي غير مرَّة في القرن التاسع عشر لانهم كانوا يحاولون الوصول الى البحر من اقرب طريق وانسبه لهم لذلك الحين فكانوا بحكم الضرورة التي تدعو اليها المصلحة القومية يثيرون الحروب في شبه جزيرة البلكان توصُّلاً الى غايتهم تلك اما الآن وقد وجدتُ ضالة امتي المنشودة عن طريق دالني وخط منشوريا الحديدي فانا ادعوكم للسلام واحافظ عليهِ

ولا يخفى ان القيصر كان لذلك الوقت يخاف ان يُنازَع على دالني كما كان يُنازَع اسلافهُ على الاستانة . امَّا بعد ان يُعقد الصلح في طوكيو فلا يبقى من ينازع امتهُ على منشوريا لانها (على ما في عرف الاوربيين) اشترتها بدماء الالوف من شبانها . ثمن لم يُدفع اعظم منهُ الى الان لا في الصين ولا في الهند ولا في التونكين ولا في اواسط افريقيا ولا في شماليها . ولعلَّها تستحق هذا الثمن امَّا اولاً فلانها طريق تجارة عظيمة بين اوربا والشرق الاقصى وامَّا ثانياً فلأنَّ فيها من السكان ما يزيد عن الاثني عشر مليوناً وفضلاً عن ذلك هي بلاد طيبة الهواء خصيبة التربة والراجح انها كثيرة المعادن النفيسة ايضاً . واذا وقعت كوريا تحت سيطرة الروس ايضاً كان المبيع يناسب الثمن ويزيد عليهِ والمرجح ان كوريا ومنشوريا ستكونان لروسيا ما كانته الولايات المتحدة لاوربا عموما ولانكلترا خصوصاً . ولسوف تنشأ الافكار الحرَّة في خربين ودالني وبورت ارثر ونيوشوانغ وشملبو الخ وتسري من هذه المدن الى روسيا واوربا فتعدل وتغيّر من افكار اهل بطرسبرج وموسكو وغيرها من المدن الروسيَّة . ولسوف ينتبه هذا الشعب القوي البنية البسيط الفطرة الشديد التديُّن على اثر انضمام هاتين الولايتين الى بلادهِ لما يعقب ذلك من الحركة التجارية والمهاجرة من تلك الاصقاع واليها على ما كانت الحال عليهِ بين انكلترا واميركا

نتيجة هذه الحرب باعتبار تعلُّقها بروسيا وانكلترا معاً

لا بدَّ قبل انتهاء هذه الحرب من عقد محالفة بين روسيا وانكلترا متينة العرى تكفل لكل دولة دائرة نفوذها في الشرق الاقصى بحيث تتبادل الثقة بين هاتين الدولتين الى زمن طويل فلا يخاف الانكليز من مطامع الروس ولا الروس من مطامع الانكليز . وعندها يسعى

عقلاء الامتين الى العدول عن التقاليد الموروثة منذ اجيال والتي كان من مرماها ان تأخذ كلّ دولة بخناق الاخرى وتسعى في معارضتها جهدها ليس لشيء اكثر من التشفي والانتقام وايقاع الضرر بالدولة المعارضة وان لم تستفد المعارضة بشيء. ثم لما كان جلّ منشإ النزاع بين هاتين الدولتين طموح الروس بابصارهم الى الاستانة ووقوف الانكليز في وجههم ابعاداً لهم تخوفاً من نفوذهم وذوداً لهم عن التخم على املاكهم وطريق املاكهم في الهند اذا هم استولوا على هذا المركز المنيع في اوربا كان لا بدَّ من ان يؤدي الاتفاق بينهما في الشرق الاقصى الى وضع حدٍّ لتنازعهما في جهات البلكان ايضاً . وهذا مما اصبحت روسيا ترغب فيهِ لانهُ اذا كان قد انصرف همّها عن الاستانة استغناء عنها بدالني وشملبو مثلاً فلا يسعها منذ الان الاّ المحافظة على الاستانة وابقاؤُها في ايدي العثمانيين ايضاً لانهُ لا يناسب مصلحة الروس اذا تخوا عن الاستانة ان يسمحوا لغيرهم بالاستيلاء عليها وستنقلب سياستهم من الهجوم على الاستانة الى الدفاع عنها . وهذا يكفل سلامة املاك العثمانيين وبقاء الاستانة وما حولها في حوزتهم . واذا صحّ هذا الذي قلناهُ فمن نتائج هذه الحرب اذن انحلال عقدة المسألة الشرقية في اوربا فيصفو جوّ هذه القارة في المستقبل القريب مما كان يكدّر آفاقهُ من مخائل الحرب مدةً بعد اخرى اللهمَّ الاَّ اذا ظهرت مطامع لدولة اخرى غير الروس في الاملاك العثمانية فان الروس يكونون في جانب العثمانيين . وربما لا نخطئ اذا قلنا ان الروس والعثمانيين سيكونون بعد هذه الحرب اقرب دولتين في اوربا واشدّهما الفةً واتحاداً . وفيما ظهر من تقرّبهما وتوادّهما منذ نشبت هذه الحرب الى الان دليل على ما سيكون بينهما من الوفاق والموالاة الى ما شاء الله

نتيجة هذه الحرب باعتبار تعلّقها باوربا والشرق الاقصى عموماً

لا يخفى ان اوربا هي المسيطرة الآن على الشرق الاقصى والمستبدة باهلهِ وممالكهِ والامل بعيد ان يتمكن الشرق من الاستقلال بنفسهِ او من حمل اوربا على ان تنظر اليهِ نظرة المساوي. والراجح ان سيبقى تحت سيطرتها زمناً طويلاً بعدُ. ومعلوم انَّ المسيطر المستبدّ يبقى على استبدادهِ (انْ لم يزدَد استبدادهُ) مهما خلا لهُ الجوّ ولم يجد مزاحماً يخوّف مزاحمتهُ . فاذا أنس ان هنالك وراء الاكمة قوياً آخر مثلهُ يطمع في سيادتهِ ويزاحمهُ عليها تحسَّب من ميل المستبدِّ بهم معهُ عليهِ فيجنح حينئذٍ الى محاسنتهم والرفق نوعاً في معاملتهم

اذا سلمنا بصحة المبدإ الذي ذكرناهُ قلنا ان اوربا قسمان اوربا الغربية وفيها انكلترا

وفرنسا والمانيا واوربا الشرقية وفيها روسيا فكأنما روسيا في كفة وبقية الدول التي ذكرناها في كفة اخرى . ولما كانت المنازعة في الشرق الاقصى على اشدها بين روسيا وانكلترا كان كأن هنالك دولتين روسيا وانكلترا وبقية الدول تابعة لها . ولو فرضنا ان روسيا تخرج من ميدان هذا القتال ذليلة مقهورة لم يبق في الشرق الا انكلترا لا تخشى مزاحماً ولا معارضاً حيث هي . اما اذا خرجت روسيا ظافرة لم تقلم اظفارها ولا تهشمت انيابها بقيت مناظرة لانكلترا تنازعها النفوذ . وهذا يحدو بكل من الدولتين (وان عقدتا بينهما اتفاقاً) أن تستميل الاهلين الى جانبها ليقوى نفوذها على مناظرتها . ولا يُستمال الاهلون الا بالرفق وحسن المعاملة ومراعاة العدالة بقدر الامكان . وهذا ما اخذ يفعله التجار الانكليز ومن في الشرق الاقصى من ابناء البريطان على اثر احتلال الروس بورت ارثر ونيوشوانغ سنة ١٨٩٨ بحسب تقرير اللورد تشارلس برسفرد . فان جماعة الانكليز هناك على ما صُرح به في التقرير المذكور اخذوا يجاملون اهل منشوريا و يتقربون اليهم بانشاء المدارس واقامة الملاجيء والمستشفيات من جهة ومن جهة اخرى تجنبوا في معاشراتهم ومعاملاتهم وطلب امتيازاتهم كل ما من شأنه ان يجرح احساسات الاهلين . وما حصل في الماضي سيحصل مثله في المستقبل فتتبارى كل من الدولتين الروس والبريطان في استمالة الاهلين اليها مخافة انحيازهم الى جانب صاحبتها . واذا تسابق الروس والانكليز في احسان معاملة الاهلين والتقرب منهم تبعهما في ذلك الفرنساويون والالمان وغيرهما من تجار بقية الدول الاوربية ايضاً

واليك خلاصة ما في هذه المقالة عن نتائج هذه الحرب عموماً (١) انتباه الامة الروسية الى مجاراة اوربا الغربية في صناعاتها وتجارتها ونظاماتها وسيكون لهذه الامة الفتية شأن يذكر في تاريخ العمران . (٢) اتفاق طويل المدة بين الروس والانكليز وتنازل الروس عن تقاليدهم فيما يختص بالاستانة فتبقى في يد العثمانيين ويكون الروس من اعظم انصارهم ايضاً وبذلك يصفو جو اوربا من منازعات المسالة الشرقية وتعدل دولها الى التحكيم فتُفصل به معظم اختلافاتهم . (٣) يستريح اهالي الشرق الاقصى من غطرسة الغربيين نوعاً ويحسن الاوربيون معاملتهم ومجاملتهم بما لم يسبق لهم مثله الى هذا التاريخ . وبالاجمال سيكون من وراء هذه الحرب اعظم خير ممكن للعالم اجمع لكن بالقدر الذي تحتمله طبيعة العمران والله اعلم

م . ع . ج

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل العاشر في الاشخاص الذين يصح لنا التصرف بهم

لكن معلوماً انهُ يصح لكل احدٍ ان يتصرف اما باسمهِ او باسم الغير · واما ذلك الغير فكالوكيل والوصي وناظر البالغ او قيمهِ

(١) يُنصب الوكيل بدون صورة رسمية من دون حضور الخصم وبدون ان يعلم بنصبهِ وهذا هو الاكثر عادةً [١]

الفصل الحادي عشر في الكفالات

(١و٢) اذا ادعي على زيدٍ لعهدنا باسمهِ دعوى عقارية اودعوى شخصية فلا يكره على اعطاء كفالة ما بالقيمة المتنازع فيها انما يجب ان يُعطى كفالة احضار وكفالةً بأنهُ يبقى في الدعوى الى ان تنتهي فيستوثق منهُ بوعدٍ مقرون بالقسم ويُطلَب منهُ بحسب مقامهِ اما مجرَّد وعدٍ بذلك واما كفالة

(٣) اذا أُقيمت الدعاوي او كان قد اقامها وكيل فلينظر فيما يتعلق بالمدَّعي فان لم تكن الوكالة مقيدةً في السجلات العمومية او اذا صاحب الدعوى الحاضر لم يثبت امام القاضي اقامة وكيلهِ فيلزَم الوكيل ان يعطي كفالةً بأن الموكّل راضٍ بهذه الوكالة

(٤) اذا كان زيد المدعى عليهِ ومستعدًا ان ينصب وكيلاً عنهُ ولو كان حاضرًا فلهُ اما ان يحضر هو بنفسهِ امام القاضي ويثبت وكالة وكيلهِ او ان يقدم كفالةً غير شرعية بانهُ يحضر لدى القاضي يوم تبليغ الحكم والأوف الكفيل كلَّ ما يحكم بهِ القاضي · ذلك مالم يستأنف الدعوى

(٥) اذا غضَّ النظر عن دواعي تغيب المدعى عليهِ فيقبل ايٌّ كان وكيلاً عنهُ لكن بشرط ان هذا الوكيل يقدم كفالةً بالمبلغ المتخاصم فيهِ

---

(١) الوكالة اقامة الغير مقام نفسهِ في تصرُّف معلوم · ان التوكيل على هذا الوجه موافق لقول ابي يوسف ومحمد ومخالف لقول ابي حنيفة لانهُ قال لايجوز التوكيل بالخصومة الا برضا الخصم الاَّ ان يكون الموكل مريضاً او بحال تمنعهُ من حضور مجلس الحكم · والمختار في هذه المسئلة ان القاضي اذا علم التعنت من الآبي يقبل توكيلهُ من غير رضاهُ · واذا علم ان الموكل يقصد اضرار خصمهِ لايقبل كما في قاضي خان عن شمس الائمة السرخسي

الفصل الثاني عشر في الدعاوي الدائمة والموقتة وفي الدعاوي المنتقلة الى الورثة لهم او عليهم

ان القوانين الماهلية قد ضربت اجلاً للدعاوى العقارية والشخصية . اما الدعاوي المتأتية عن سلطة القاضي الخاصة فهذه معظمها لا اجل لهُ وقد تبقى دائماً

(١) من قواعد الشرع ان الدعاوي الجزئية الصادرة عن الجرائم لاتنتقل الى الورثة ونظائر هذه الدعاوى تنتقل لمنفعة الوَرَثة ولا يُرفض عليهم الاَّ دعاوي الشتم وما شابهها . اذا وُجد مع ذلك ذات مرة دعوى صادرة من عقد فلا تُقام على الوارث . واما الدعاوي الجزئية فاذا ثبت اقامتها بين المدعيَين الاصليين جاز للوَرَثة ان يقيموها او ان تُقام عليهم

الفصل الثالث عشر في الاستثناآت

انما أُدخلت الاستثناآت لكي يدفع من يُدَّعى عليهم وكثيرًا ما يقع ان دعوى المدَّعي تكون محقةً في نفسها ومبطلةً في حق من تُقام عليهِ

(١) مثلاً اذا أُكرهتَ خوفًا او خُدعتَ بغتةً او غُششتَ فوعدت زيدًا بعهد بما ليس لهُ عليك فيباح لك على وجه الاستثناء ان تُسقط دعواهُ عليك

(٢) ومن ذلك اذا أخذ عليك زيدٌ عهدًا أنك ملتزم ان تقرضهُ مبلغًا ثم لا تستوفيهُ

(٣) اذا عقد المديون ميثاقًا مع غريمهِ واتَّفقا بهِ على ان المديون لا يُطالَب بشيءٍ فلا يبقى المديون ملتزمًا بالوفاء لكن للغريم ان يدفع ذلك باستثناء العقد المتفق عليهِ

(٤) اذا حلف المديون بانهُ لا يجب عليهِ ان يؤدي شيئًا متى لقَّنهُ الغريم ذلك القسم فهو قد بريء بمجرَّد حلفهِ اليمين . والاستثناآت ضروريَّة ايضًا في الدعاوى العقارية

(٥) اذا بُتَّ معك على يد القاضي حكم في دعوى عقاريَّة او شخصية فيجب ان تكون مؤيدًا باستثناء الشيء المحكوم بهِ

(٦و٧) ان موجبات الاستثناآت اما الشرائع واما غرض القانون الذي لهُ قوة الشريعة واما وجدان القاضي نفسهِ

(٨) بعض هذه الاستثناآت يُدعى دائمًا مستمرًّا وبعضها يُدعى موقتًا زائلاً

(٩) الاستثناآت الدائمة والمستمرَّة هي التي يعارَض بها المدَّعي في كل زمانٍ وتُسقِط الدعوى ابدًا

(١٠) الاستثناآت الموقتة هي التي لا يصحُّ ان يُعارَض بها الاَّ مدةً معينة والتي الغرض منها الحصول على المهلة . فمن كان قد اراد ان يقيم دعاوى قبل حلول الأجل المضروب ودُفع

بذلك الاستثناء فما كانت تسمع لهُ دعوى . وكذلك متى كان قد اراد ان يقيم الدعوى عند انقضاء ذلك الأجل واما اليوم فمن يتجاسر ان يقيم الدعوى قبل الأجل المضروب في الميثاق او العهد فتجري عليهِ احكام قانون زينون بحيث انهُ ان لم يحافظ على المهلة التي اعطاها باختياره او التي يشملها جنس الدعوى فهذه الآجال تُضاعف في حقّ من تحمّلوا مثل هذا الظلم وليس للمدّعي بعد انقضاء كل هذه الآجال ان يستأنف الدعوى الأغبّ ان يكون قد غرم كل النفقات

(١١) وقد بقي استثناآت موقتة في خصوص الشخص وهي الاستثناآت الوكاليَّة . اما الاستثناآت التي كان الوكلاء يُعارضون بها قديمًا اما لقبح سيرة الأصيل او لقبح سيرة الوكيل نفسهِ فنريد ان تُلغى

الفصل الرابع عشر في اجوبة الخصوم

ان الاستثناء الذي يظهر عادلاً في بادىء الرأي قد يكون ذات المرار مخلاً بالعدل ومتى وقع كانت مدافعة الوكيل ضروريةً اعانةً للمدّعي

(١) قد يقع ذات المرار ان مدافعة الخصم العادلة في بادىء الرأي تكون مجحفة بالانصاف فمتى وقع ذلك كان دفعهُ ضروريًا تأييدًا لحجة المدّعي عليهِ

(٢) اذا تبيّن ان ردّ ذلك الجواب عادل في بادىء الرأي غير أنهُ لسببٍ ما كان مضرًا بالمدّعي ضررًا مجحفًا بالحق استعان بالرد على ذلك او بدفع ذلك الدفع

(٣و٤) الاستثناآت التي يُستعان بها للدفاع عن المديون هي عادةً مباحةٌ لكفلائهِ

الفصل الخامس عشر في الممنوعات

ان ما يأتي هو متعلق بالممنوعات . ان الممنوعات قد كانت بصيغ وتراكيب من الكلم بها القاضي كان يأمر بفعل شيءٍ او ينهى عنهُ . وذلك حين كان يثور الخلاف بين بعض الناس على وضع اليد او شبههِ (او التملك او شبههِ)

(١) وهي اما مانعة . واما مؤدّية . واما مبيّنة . فأما المانعة فهي التي بها القاضي يمنع من عمل شيءٍ ما . واما المؤدّية فهي التي بها القاضي يأمر بردّ شيءٍ . واما المبيّنة فهي التي بها القاضي يأمر باظهار شيءٍ ما. فمن الناس من يظنون انهُ لا يجوز ان يُطلق لفظ الممنوعات الأعلى الصُور المبيّنة فيجب ان تدعى أوامر او احكامًا. وقد غلب الاستعمال على ان تدعى كلها الممنوعات

(٢) من الممنوعات ما يقرّر وضع اليد . ومنها ما يقرّر حفظ الملك . ومنها ما يقرّر استردادهُ

(٣) المنع لاستفادة وضع اليد هو المسمّى ذا اليد . ونتيجة هذا المنع هي هذه . ايْ من

وضع يده كوارثٍ اوكحابسٍ بعض السلع المتعلقة بالتركة فهو مطالبٌ بأن يردّها الى من كان له وضع اليد. وهذا المنع لا يفيد الاّ من يبذل جهده ان يضع يده على الشيء لأول مرةٍ. المنع المدعو سلفيان هو المقرّر استفادة وضع اليد فمالك الارض له ان يستعمل في تلك الارض الادوات والأمتعة التي يكون المساقي قد حبسها ورهنها فيما عليهِ من الاجرة

(٤) قد تقرّرت الممنوعات للمحافظة على وضع اليد حين يثور الخلاف بين اثنين على ملكية شيء . يبحث اوّل الامر في ايهما يجب ان يكون مدّعيًا . فالمنع يحصل في الاختلافات على الاشياء المنقولة . فالقدماء قد وضعوا جملة فروق في مقتضيات هذه الممنوعات . واما في ايامنا فمقتضيات كلٍّ منها فيما يخصّ وضع اليد اضحت متساوية بحيث ان الذي وقت الاثبات في المحاكمة يترك وضع اليد يكون له التفضيل متى تأتّى وضع اليد من المدّعى عليهِ فلا يكون غصبًا ولا مستترًا ولا بمعرض الزوال

(٥) كلٌّ يُعتبر ذا يدٍ حين يضع اليد بنفسهِ او يضعها آخر باسمهِ . وزد على ذلك انهُ يصح ان يحافظ على وضع اليد بمجرّد النية . لكن لا ريب انهُ ليس لاحد ان يكتسب وضع اليد بمجرّد النية

(٦) اما ما يتعلق بوضع اليد عند الاسترداد فاذا نُزعت يد زيدٍ غصبًا عن ارض او بنايةٍ فيعطى المنع الذي بهِ يُجبر المتغلّب الذي نزع يد المالك عن ملكهِ ان يردّه اليهِ. ان من استحوذ على شيء غصبًا يفقد الملكيّة بمقتضى القوانين ولو صار هذا الشيء جزءًا من املاكهِ. واذا كان الشيء لآخر يُلزَم غاصبهُ ان يؤدّي قيمتهُ بحسب التثمين لمن وقع عليهِ الغصب . من يزِل يد الغير بالقوة تجرِ عليهِ عقوبات شريعة جوليا في الغصب الخاصّ وفي الغصب العامّ

(٧) الممنوعات اما مفردة واما مزدوجة . فالمفردة ما فيها مدعٍ ومدعى عليهِ . وهذه هي كل المؤديات وكل المبينات . والمانعات بعضها مفردة وبعضها مزدوجة . فاما المفردة فهي التي بها القاضي يمنع بعض الاعمال في مكان مكرّم او في نهرٍ عامٍّ او على ضفّتهِ والمزدوجة هي نظير الممنوعات المعروفة بكأنك ملكتَ الشيء . وقيل لها مزدوجة لان في هذه الممنوعات مقام كل من المتخاصمين واحد . ولا سيما انهُ يميز فيها بين المدعي عليهِ والمدعي

(٨) كلما جرت المرافعة على دعوى استثنائية (مثل جميع الدعاوي لعهدنا) يقضي فيها بدون النظر الى الممنوعات كما لو لم يكن هناك وجهٌ لاسباب المنع

الفصل السادس عشر في عقوبات الوكلاء المتجاسرين

الجسارة قد تكون من المدعي وقد تكون من المدعى عليهِ وهي تقمع طوراً بضرب جزاء نقدي على مرتكبها وطوراً بالحلف وطوراً بإضافة التشهير على ان (١) الحلف يلقمّ كلّ من يدّعى عليهِ . ولا جرم ان المدعى عليهِ لايتهيأ له ان يستعمل ما عندهُ من ذرائع الدفاع وبلوغ غرضهِ من رد قول المدعي الأ بعد ان يحلف انهُ معتقدٌ انهُ جارٍ على سببٍ صحيح . والمدعي يلتزم انهُ يحلف انهُ سليم النية ووكلاء الفريقين يحلفون ويلقن القسم ويحكم على المخاصم عن نية رديئة وعلاوةً على القسم أُنشئ الحكم على المخاصم بنية غير صالحة ان يؤدي لخصمهِ ما انزلت بهِ الدعاوي من الاضرار والنفقات

(٢) اما السرقة والغصب والشتم والخداع فهي تسم بسمة العار المحكوم عليهم بها بل والمعتدى عليهم اذا صالحوا اصحاب هذه الجنايات او الذين سعوا بين الفريقين في الصلح

(٣) ان ابتداء اقامة كل دعوى صادر عن امر القاضي باقامة الدعوى قانونياً فيقتضي هذا الامر بشرف القاضي الاصول والموالي والموليات واولاد الموالي والموليات بان لا تقام عليهم دعوى من قبل اولادهم او معتقيهم الأ بعد ان يأذن القاضي هو نفسهُ في ذلك . واذا تجاسر احد على اقامة الدعوى عليهم بوجهٍ آخر يغرم لذلك خمسين صوليداً

الفصل السابع عشر في أدب[1] القاضي

على القاضي ان يجهد جهدهُ بان لا يراعي الأ الشرائع او القوانين او العادة المقررة

(١) لذلك متى دار الكلام في جناية العبد ورأى القاضي ان المولى مجرم وجب ان يقضي عليهِ

(٢) متى طلب انسان الحكم في دعوى عقارية فان حكم القاضي على المدّعي وجب تبرئة ذي اليد . وان حكم على ذي اليد أمره بردّ الشيء وغلّتهِ . وان كان ذو اليد واضعاً اليد بنيّةٍ رديئة حُوسب على ما لم يقبض من الغلّة لتقصيره كما يحاسب على ما قبض منها . وان كان ذو اليد واضعاً يدهُ بنيّةٍ سليمة لم يطالب بالغلّة المستهلكة ولا بما لم يقبض منها

(١) الأدب اسم يقع على كل رياضة محمودة يخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل كما في الجوهرة وفي الفقه الاسلامي في كتاب أدب القاضي «لا باس بالدخول في القضاء لمن يثق بنفسهِ انهُ يؤدي فرضهُ وهو الحكم على قاعدة الشرع ويكره الدخول فيهِ لمن يخاف العجز عن القيام بهِ على الوجه المشروع ولا يأمن على نفسهِ الحيف فيهِ . ولا ينبغي للانسان ان يطلب الولاية بقلبهِ ولا يسألها بلسانهِ » قلت من عارض هذا الباب بسعي الطالبين القضاء اليوم نقل تلك احكام قد نسخت وشروط قد لغت

(٣) اذا كان الكلام في صدد الدعوى المسمَّاة (المبينة) كان من اللازم ان يحصّل المدّعي نفس النتائج التي كان يحصّلها لو كان المدّعى عليهِ أدى الشيء فورَ طلب رؤيتهِ

(٤) اذا كان البحث في دعوى تقسيم الميراث وجب على القاضي ان يسلّم شيئاً لوارثٍ وشيئاً آخر لوارثٍ آخر

(٥) وكذا الأمر فيما اذا كان الكلام في دعوى تقسيم التركة على الجميع اذا تعدَّدت الاشياء من أمتعة وسلع وغيرها . اما اذا لم يكن الكلام الاَّ في شيء واحد فعلى القاضي ان يحكم لكل من المتشاركين في الميراث بجزء من ذلك

(٦) اما دعوى اقامة الحدود فالحكم فيها ضروريّ اذا كان ذلك اصلح لتبيين الحدود وجعلها اوضح مما كانت قبلاً

(٧) الشيءُ الذي يحكم بهِ لواحدٍ بعد هذه الدعاوي يصير للحال ملكاً لمن حُكم لهُ بهِ

الفصل الثامن عشر في المحاكمات العموميَّة

المحاكمات العمومية لا تنشأُ عن الدعاوي ولا هي شبيهة بسائر المحاكمات في شيء والاختلاف بينهما في طريقة فتح الدعوى ومتابعتها كبير

(١) يقال لها عموميَّة لما ان المطالبة بها في الأعمّ الاغلب مباحةٌ لكلّ من ابناء الوطن .

(٢) الاحكام بعضها احكام قتلٍ وبعضها ليس احكام قتل فاما احكام القتل فهي ان يُقضى بها على الانسان بازهاق الروح ومنعهِ من استعمال الماء والنار او بالنفي او بالشغل في المعادن واما التي ليست احكام قتل فهي التي يصدر عنها التشهير والتغريم بالجزاء النقدي

(٣) من جملة المحاكمات العمومية في شأن الاعتداء على الملك . ان هذه الشريعة تحكم بغاية الشدة على من كادوا مكيدة على العاهل او على المملكة والعقاب الذي تحكم بهِ هو ازهاق الروح والامتناع من ذكر المجرم حتى بعد موتهِ

(٤) شريعة جوليا في شأن الزناة . [1] هذه الشريعة تعاقب بالسيف من يدنّسون مضجع الزواج . واللواتي يبذلنَ انفسهنَّ للرجال في اعمال فسقيَّة . وتعاقب ايضاً على جرم الاغواء والتغرير . متى غرّرت عذراء او ارملة من ذوات الصيانة بدون اكراهٍ تحكم هذه الشريعة

(١) اذا زنى المحصن بمحصنةٍ مطاوعةٍ رجما بالحجارة الى ان يموتا وان كان الزاني حرّاً غير محصنٍ فجدهُ مائة جلدة بأمر الامام بضربهِ بسوط لا ثمرة لهُ اي لا عقد في طرفهِ ضرباً متوسطاً وتنزع عنهُ ثيابهُ دون الازار ويفرق الضرب على اعضائهِ الاَّ رأسهُ ووجههُ وفرجهُ (كذا في كتب الفقه الاسلامي)

على المغوي ان ذا مقام شريف باستصفاء نصف امواله وان منحط القدر فبالضرب والحبس

(٥) شريعة كورنيليا في شأن القتلة . ان هذه الشريعة تعاقب بالقتل القتلة المستأجرين او الذين يسيرون وهم حاملون سهاماً وقد عقدوا النيَّة على القتل . وهذه الشريعة تعاقب ايضاً بازهاق الروح من يقتلون الناس بالسم [1]

(٦) شريعة بومبيا في شأن قتلة الآباء . ان هذه الشريعة تقضي بأنَّ من تعجّل موت احد أُصوله او ابنه او ذوي قرابة يدخل تحت الاصول او الفروع يخيَّط عليه في كيس من جلد مع كلب وديك وأفعى وقرد ويُطرح في البحر او في اقرب نهر الى بلده . من قتل اشخاصاً كان بينهُ وبينهم لحمة نسب او مصاهرة ينْزَل به العقاب الذي تحكم به شريعة كورنيليا على القتلة المستأجرين

(٧) شريعة كورنيليا في شأن التزوير . ان الشريعة تقضي بقتل العبد الذي بنيَّة رديئة يكتب ويوقّع ويقرأ او يقيم دعوى كاذبة . او يفعل او يحفر او يضع ختماً مزوَّرًا . وتقضي بالتغريب والنفي على من فعل ذلك من الاحرار

(٨) شريعة جوليا في شأن الغصب العمومي او الخصوصي . هذه الشريعة تعاقب من يغصبون بسلاح او بدونهِ . فمن حُوكم على انهُ غصب بسلاح فعقوبتهُ التغريب والنفي . ومن حُوكم على انهُ غصب بغير سلاح فعقوبتهُ استصفاء ثلث مالهِ وان خُطِفت بنت عنوةً او ارملة او راهبة او امرأة أُخرى فالخاطفون ومماثلوهم على هذا الجرم يُعاقبون بالموت

(٩) شريعة جوليا في شأن اختلاس الأموال الاميريَّة . هذه الشريعة تعاقب من يسرقون الأَموال الاميريَّة او شيئاً مقدساً او دينيًا . اذا اختلس القضاة الأَموال الاميريَّة اثناء القيام بوظائفهم فيُعاقبون بقطع الرأس . واما غير القضاة فينفون

(١٠) وفي جملة المحاكمات العمومية شريعة فلافيا في شأن منتحلي التآليف . ان هذه الشريعة تحكم احيانًا بالقتل واحيانًا بعقوبةٍ أخف

(١١) وفي جملة المحاكمات العموميَّة ايضاً شرائع جوليا في شأن السعي وراء المناصب بوجهٍ محرَّم وفي عسف الناس بالخراج وبالأقوات وبقايا الحسابات . وهذه الشرائع تجري ايضاً في احوال معيَّنةٍ وان كانت تلك الاحوال لا تستوجب القتل فانها تستوجب عقوباتٍ أُخر على من يخالف نصوصها

---

(١) في مذهب الامام مالك يقتل الجمع بواحدٍ اذا تمالأُوا عليهِ كما جاء في متن خليل

قال مترجمهُ الفقير الى عونهِ تعالى قد فرغت من نقل مختصر قوانين يوستنيانوس عن الفرنسوية إلى العربيَّة ضحوة يوم الاثنين ثامن عشر تموز من سنة ١٩٠٤ للميلاد في مدينة بيروت وقد ذيَّلتهُ ببعض تعاليق من الفقه الاسلامي

ولم اتصدَّ لبيان دواعي الفرق بين احكام الفقهين على ما فيهِ من اللذَّة والفائدة لمن يطالعون هذهِ المباحث وذلك حبَّ الاجتزاء بهذا القدر واكتفاء بمعرفة العارفين بالفقه والقوانين فهؤلاء لا يبعد عليهم العلم ببواعث الفروق بين الشريعتين الاسلامية والرومانية ولاسيما اذا كانوا قد ضمُّوا الى علم الفقه والقوانين العلم بتاريخ المسلمين وتاريخ الرومانيين ومآخذ الشرعين ومباني الفقهين والحمد لله اوَّلاً وآخراً

بيروت (سعيد الخوري الشرتوني)

احاديث نبوليون

لا شيء ادلُّ على الانسان من حديثهِ . ومن امثالهم لا تعرف الانسان ما لم تحادثهُ . ولقد جرت عادة الناس ان يلفِقوا ما شاؤوا من الاحاديث وينسبوها الى العظام الذين يعجبون بهم لكي تكون اقوالهم كلها من جوامع الكلم وفرائدهِ . وقد وُفِّق نبوليون الى اناس مثل هؤلاء وكان يعلم ان اقوالهُ التي يفوه بها في المحافل العمومية تكتب وتنشر وكذلك كان معهُ في منفاهُ منتولون واوميرا وغورغو ولاس كاز (١) وكل منهم يكتب في يوميتهِ كل كلمة يقولها فكان حذوراً لا ينطق الأ بما يرضى ان ينقل عنهُ . ومع ذلك لم يكتفِ هؤلاء بنقل ما سمعوا بل توسَّعوا فيهِ واضافوا اليهِ اقوالاً كثيرة من عندهم . ومن رأي اللورد روزبري ان غورغو اصدقهم نقلاً واقلهم اختلاقاً واقربهم الى الحقيقة فاذا اختلف هو وغيرهُ فيما رووهُ من اقوال نبوليون فهو اقربهم الى الصواب مثال ذلك ان منتولون ذكر ان نبوليون قال في ٢١ فبراير ان "قتل المرشال ناي (٢) جريمة

(١) الاول مركز منتولون Marquis de Montholon جنرال من جنرالية نبوليون ولد سنة ١٧٨٣ وتوفي سنة ١٨٥٣
والثاني الدكتور O'Meara جرَّاح ارلندي كان مع نبوليون في منفاهُ وكتب سيرتهُ وتوفي سنة ١٨٣٦
والثالث البارون غورغو Baron Gourgaud جنرال فرنسوي ولد سنة ١٧٨٣ وتوفي ١٨٥٢
والرابع الكونت لاس كاز Comte Las Cases مؤلف فرنسوي توفي سنة ١٨٤٢

(٢) المرشال ناي Maréchal Ney هو دوق الشغن وبرنس موسكو اشجع قواد نبوليون ولد سنة ١٧٦٩ وارسل لمقاومة نبوليون وهو راجع من جزيرة البا فانضمَّ اليهِ وحارب معهُ في معركة ووترلو وابلى فيها بلاء حسناً وحاول الهرب الى سويسرا بعد التسليم فقبض عليهِ وقتل في ٧ دسمبر سنة ١٨١٥

لا تغفر فان دمهُ عزيز على فرنسا وما بدا منهُ في حرب الروس لايماثلهُ شيء فان كان قد خان وجب ان يلقى على جريمتهِ ستار يسترها ولكنهُ لم يخن". مع ان مقتل ناي لم يبلغ نبوليون الاَّ في اواسط شهر مارس. اما غورغو فروى عن نبوليون قولهُ " ان ناي استأهل القتل بخيانتهِ وان الخائن لا كره الناس اليَّ. لقد كان بطلاً مقداماً في ميدان القتال لكنهُ خليع بليد" ثم قال انهُ ندم على جعلهِ مرشالاً وكان يجب ان يبقيهُ قائد فيلق. ولا شبهة في ان نبوليون كان يعجب بالمرشال ناي وقد قال في حرب الروس انهُ يودُّ ان يفتديهُ بكل خزائن فرنسا ثم تغيَّر عليهِ لما قابلهُ في فونتنبلو[١] سنة ١٨١٤ وزاد حنقهُ منهُ لما سمع انهُ قال انهُ سيجلبهُ في قفص

واختلف هؤلاء الرواة في ما قالهُ لما بلغهُ نعي مورا[٢] صهرهِ فقال لاس كاز انهُ هو الذي ابلغهُ الخبر فلما سمعهُ امسك بيدهِ وقال لهُ " ان الكلبزيين ارأف من الذين نفوني الى هنا" ولم يزد

وقال اوميرا انهُ هو الذي ابلغهُ الخبر اولاً فسألهُ نبوليون هل قُتل في الحرب فلم يشأ اوميرا ان يخبرهُ انهُ قُتل كمجرم ولكن نبوليون كرر السؤال عليهِ فاخبرهُ كيف قُتل فسمع الخبر ولم يفهُ ببنت شفة ولا تغيَّر وجههُ

وقال غورغو لما اوصلت النعي المشوم الى جلالتهِ لم يتغير وجههُ بل قال ان مورا جُنَّ حتى يخاطر بنفسهِ. فقلت اني آسف جدًّا على رجل شجاع لا يهاب الموت مثل مورا ثم يلاقي منيتهُ بايدي اناس مثل هؤلاء فقال" نعم ما افظع ذلك" فقلت كان يجب على فرديننّد[٣] ان لا يسمح بقتلهِ فقال "هذا ما يظنهُ الشبان الذين مثلكم ولكن عرش الملك لا يُستخفُّ بهِ اما مورا فلم يعد جنرالاً فرنسويًّا ولا اعترفوا بهِ ملكاً فامر فرديننّد ان يرمى بالرصاص كما امر بشنق غيرهِ" وكانت تبدو عليهِ دلائل الالم وهم يقرأُون لهُ الجرائد عن مقتل مورا

ثم قال " ان مورا نال ما يستحق ولكن اللوم عليَّ لانهُ كان يجب ان ابقيهُ مرشالاً ولا اجعلهُ ملك نابلي ولا غران دوق برج "

---

(١) Fontainebleau مدينة فرنسوية صغيرة قرب باريس

(٢) Maréchal Murat ملك نابلي كان من اصل وضيع جدًّا فارتقى بجدهِ وفروسيتهِ واقترن باخت نبوليون. ولد سنة ١٧٧١ وقتل سنة ١٨١٥

(٣) هو Ferdinand I ملك نابلي وصقلية ابن كارلس الثالث ملك اسبانيا ولد سنة ١٧٥١ وحارب فرنسا فخلعهُ نبوليون سنة ١٨٠٦ واخذ مملكة نابلي ونصب عليها اخاهُ يوسف ثم صهرهُ مورا ثم اعادهُ مؤتمر فينا الى الملك وسمي ملك الصقليتين وتوفي سنة ١٨٢٥

وكانت الديانة من اهم المواضيع التي يحدث رفاقهُ بها ويكثر من قراءة التوراة ويعجب ببولس الرسول. ويقال انهُ قابل مرةً بين قيصر والاسكندر وبين السيد المسيح وقال ان المسيح لا يمكن ان يكون انساناً. ولكن يظهر مما كتبهُ غورغو عنهُ انهُ كان اميل الى الاسلام منهُ الى النصرانية وكان يقول ان الديانة التي تكفّر سقراط وافلاطون والانكليز لا يستطيع ان يدين بها ثم هو لا يفهم لماذا يكون العقاب ابدياً. وقال ايضاً انهُ لا يزال يفكر في حجة مشايخ الاسلام في مصر على النصارى وهي انهم يعبدون ثلثة آلهة فهم مشركون. وان الاسلام ابسط الاديان وهو اقوى من النصرانية لان اصحابهُ تغلبوا على نصف المسكونة في عشرة اعوام اما النصرانية فمضى عليها مئة سنة قبلما رسخت قدمها وقال مرةً "نحن معاشر المسلمين".

وكان يفضل المذهب الروماني على المذهب الانكليكاني ويقول بوجوب زواج الاكليروس ويكره البابوية ويغبط الانكليز واهالي شمالي اوربا على خروجهم من كنيسة رومية فصار ملوكهم رؤساء كنائسهم ويأسف لان فرنسيس الاول لم يعتنق الاصلاح ولانهُ هو لم يصر بروتستانطياً بدلاً من ان يرتبط بالكنكردات مع البابا ويقول انهُ لو فعل ذلك لتبعهُ كل اهل فرنسا وخلعوا نير رومية

ولم يكن يصدّق بالمسيح ولكنهُ كان يكرم موسى ويقول انهُ رجل مقدام واما اليهود فجبناء

وقال مرةً ان الانسان خُلق من طين كما تخلق الفيران في مصر من طين النيل على ما رواهُ هيرودوطس. وقال مرةً أخرى ان ليس في الارض غير المادة وان الكائنات كلها سلسلة متصلة النبات اولها والانسان آخرها ولا يفرق الانسان عن الحيوان الا في انهُ اكمل منهُ بناء واصلح معيشة. الى ان قال هذا هو رأيي ولو كان مخالفاً للدين. وقال ايضاً ما هي الكهربائية والمغنطيسية فيهما سرّ الطبيعة فان الدماغ يتناولهما من الهواء فتتألف النفس منهما وتعود الى الهواء بعد الموت وتنتقل منهُ الى ادمغة اخرى

ومن اقواله "اننا نموت فنزول ما هي النفس اين نفس النائم والمجنون والرضيع. اذا اضطررت ان اعبد شيئاً فانني اعبد الشمس مصدر كل حياة وهي اله هذه الدنيا"

والظاهر انهُ كان يقول هذه الاقوال من باب الجدل لان غورغو كان شديد التعصب فكان نبوليون يجادلهُ ويحاول اغاظتهُ ولكنهُ لم يكن خالياً من التديّن لا سيما وانهُ فعل للديانة المسيحية ما عجز عنهُ غيرهُ فردها الى فرنسا وعقد الاتفاق مع رومية وكان يذهب الى الكنيسة جهراً ويضطر اعوانهُ الى الذهاب معهُ حين كان رجال فرنسا يستخفون بالاديان ولا يعتقدون

صحة شيء منها وقد اخبر تلران[1] هنري غرفيل[2] المؤرخ أن الملك لويس الثامن عشر وجد اكثر مكتبة نبوليون الخصوصية كتباً دينية وقال له ان نبوليون كان يكثر من قراءتها. فسأله غرفيل هل تظن انه كان متديناً فقال كنت اظنهُ كذلك لكنهُ مثل غيره من رعاياه" ولعلهُ لم يكن اقل تديناً من خلفهِ. ولا شبهة في انهُ كان مضطرب البال وهو في جزيرة القديسة هيلانة من حيث الحياة والمعاد فكان يكثر من البحث في المسائل الدينية ويقول " ان من يموت من غير ان يعترف بذنوبهِ ويطلب الغفران فهو احمق لان الانسان لا يعلم كل شيء ولا يفهم كل الاشياء "

واطال لورد روزبري في ما قالهُ نبوليون عن الانكليز واطوارهم وتاريخهم وعن محاولتهِ تعلم اللغة الانكليزية واخفاقهِ ونشر مكتوباً كتبهُ بالانكليزية مشحوناً بالغلط. ويظهر مما نقلهُ من اقوالهِ انهُ كان يعجب بشجاعة الانكليز ولكنهُ كان يحتقر سياستهم وساستهم وقال مرةً انهم غرَّموا فرنسا ٧٠٠ مليون فرنك ولكنهُ هو غرَّمهم عشرة آلاف مليون فرنك اما هم فاوجبوا الغرامة على فرنسا بحراب بنادقهم واما هو فاوجب الغرامة عليهم بواسطة نوَّابهم. وكان يستغرب قلة النفع الذي جنوهُ من حروبهم وعلَّل ذلك بانهم كرهوا ما يقال عنهم من انهم تجار لا يفعلون شيئاً الاَّ للكسب فارادوا ان يصرفوا الناس عن هذا الاعتقاد بهم. واستغرب تركهم بتافيا لهولندا وبوربون وبوندشري[3] لفرنسا وقال انهُ كان يجب عليهم ان يستقلُّوا بالتجارة في بحار الهند والصين ولا يدعوا دولة اخرى من دول اوربا تمدُّ انفها وراء الكاب (راس الرجاء الصالح) والآن تستطيع انكلترا ان تفعل ما تشاء ولا سيما اذا استرجعت جنودها من قارة اوربا واقتصرت على كونها دولة بحرية فتقوى على فعل ما تريد

وكان يقول ان لويس الرابع عشر اعظم ملوك فرنسا لان جنودهُ بلغوا اربع مئة الف ولو كان هو في جنودهِ لصار مرشالاً ولا يضاهيهِ احد غيرهُ (اي غير نبوليون)

وذكر عن اهلهِ وذوي قرباه ما لا يذكرهُ الملوك ابناء الملوك عن ذويهم فقال ان لهُ في جزيرة كورسكا ثمانين من ابناء الاعمام ولكنهُ كان يأنف من عدهِ كورسكياً ويقول انهُ فرنسوي

---

(١) Talleyrand تلران وزير من اعظم وزراء فرنسا وادهى ساستها توفي سنة ١٨٣٨

(٢) كذا قال لورد روزبري ونرجح ان المراد تشارلس غرفيل لا هنري لان هنري غرفيل Henry Greville اسم منتحل لمدام دبران الكاتبة المشهورة

(٣) Batavia عاصمة جاوى و Bourbon جزيرة في الاوقيانوس الهندي و Pondicherry مدينة فرنسوية في الهند

لانهُ ولد بعد ان أُضيفت كورسكا الى فرنسا او ايطاليَّة او طسكانيَّة لان عائلتهُ كانت تقطن طسكانا منذ مئتي سنة . ومن اقوالهِ المأثورة " ان احدى قدميَّ في ايطاليا والاخرى في فرنسا " . ولقد استفاد من هذين النسبين فملك فرنسا وايطاليا معاً

وحاول البعض ان يوصلوا نسبهُ الى الرجل المقنَّع [1] الذي يقال انهُ اخو الملك لويس الرابع عشر زاعمين انهُ هُرِّب الى كورسكا واقام فيها باسم بونابرت . قال ولو قلت كلمة واحدة لصدَّق الجميع هذه الرواية . ولما تزوج ماري لويز بنت امبراطور النمسا اراد حميهُ ان يوصل نسبهُ بالاشراف فارسل اليهِ اوراقاً تثبت اتصال نسبهِ بدوقات فلورنسا فردها اليهِ وقال للرسول مالي ولهذا الهذيان ثم انهُ ان ثبت اتصال نسبي بدوقات فلورنسا ابقى دون امبراطرة المانيا وهذا لا اريدهُ اما انا فان شرفي ابتدأ من واقعة فتونو (بلدة في شمالي ايطاليا نال فيها اول نصر على النمسويين وذلك في ١٢ ابريل سنة ١٧٩٦)

وكان يميل الى ايصال نسبهِ ببيت بوناروتي الذي منهُ ميخائيل انجلو النحات الشهير . وكان من اسلافهِ راهب من الرهبان الكبوشيين فارادوا ان يطلب من البابا الاعتراف بهِ قديساً واظهر البابا رغبتهُ في ذلك لما جاء فرنسا الاَّ ان نبوليون خاف ان يتهكَّم الناس عليهِ وهو يخشى التهكم كثيراً شأن كل من ارتقى من اصل وضيع

والمحقق من امر نسبهِ انهُ ولد في كورسكا لما كانت مضمومة الى فرنسا وبقي فيها الى ان صار عمرهُ تسع سنوات ثم عاد اليها بين سنة ١٧٨٦ وسنة ١٧٩٣ واقام فيها ثلاث سنوات وشهرين ولم يدخلها بعد ذلك ولا رآها الاَّ وهو راجع من مصر ثم وهو في جزيرة البا . وهربت بهِ امهُ من كورسكا وهي لا تملك شيئاً . وضاقت بهِ الحال مرةً حتى وقف على ضفة نهر السين وعزم ان يطرح نفسهُ فيهِ لضيق ذات يدهِ لكن مرَّ بهِ صديق وعلم ما بهِ من الضنك فاقرضهُ قليلاً من النقود . وقد ذكر هذه الامور وامثالها في احاديثهِ مع رجالهِ . وكان يتكلم ايضاً عن زوجتيهِ والظاهر انهُ احب الاولى اكثر من الثانية مع ان حبهُ للاولى كان دون الطفيف وقال عنها انها كانت كثيرة الكذب ماهرة فيهِ الاَّ حينما تتكلم عن عمرها وانها لم تطلب منهُ شيئاً لا لنفسها ولا لاولادها ولكنها القت عليهِ جبالاً من الدَّين

اما زوجتهُ الثانية ماري لويز فقال انها كانت محبة حقيقةً وكانت تود ان تتبعهُ الى جزيرة البا لولا الطغام الذين حولها . ومع ذلك كان يفضل جوزفين زوجتهُ الاولى عليها ويقول انها لو

---

(١) انظر خبرهُ في الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين من المقتطف في الكلام على احدى غوامض التاريخ

ولدت له ولداً ما طلّقها وتزوج اخرى وكان ذلك انفع لفرنسا لانهُ لولا ما حارب روسيا

وكان كثير التفكير بابنهِ كما يُستدلُّ من وصيتهِ ولكنهُ لم يُشر اليهِ في الحديث الاَّ مرةً واحدة . وذكر اخوتهُ واخواتهِ وكانوا كثاراً وما منهم الاَّ من حمَّلهُ حملاً ثقيلاً من الهموم والغموم لانهُ اضطرَّ ان يرفعهم معهُ الى مقام الملوك والامراء وهم ليسوا اكفاء فلبسوا اثواباً طويلة الاذيال تعثروا فيها . فاختهُ كارولين زوجة مورا مالأَت زوجها عليهِ لما انضمَّ الى خصومهِ . واقامت مع زوجها عشرين سنة ولم تصدق ان قُتل حتى تزوجت آخر فلما بلغ نبوليون ذلك اغتاظ جداً لكنهُ قال الطبع غلّاب فقد كان الحب رائدها والهوى شرك الهوان. ثم اراد كظم غيظهِ وجلس للطعام لكن نفسهُ كانت منفعلة اشد الانفعال فافتأت على الطباخ ان الطعام ممزوج بالرمل والحجارة وجعل يشتمهُ ثم امر بهِ ان يضرب ويُطرَد حتى قال غورغو ومنتولون انهما لم يرياهُ في نوبة غضب مثل هذهِ ولم يكن الطبَّاخ علة غيظهِ بل اختهُ كارولين وكأَنهُ تذكَّر حينئذٍ خيانة زوجها لهُ لما اراد الانضمام الى اعدائهِ ومالأَتها لهُ لان قيادهُ في يدها

وقال انهُ اخطأَ خطأً فظيعاً بجعلهِ اخاهُ يوسف ملكاً على اسبانيا اذ الواجب ان يكون ملكها رجل حرب ويوسف زير نساء . وكان يستغرب من اخويهِ لويس ولوسيان عكفهما على نظم الاشعار السخيفة واهدائها الى البابا. وطلب لوسيان منهُ بعد حادثة برومير[1] ان يزوجهُ ملكة اتروريا والاَّ تزوج امرأَة من العواهر وفعل. ثم طمحت نفسهُ الى السلطة بعد واقعة وترلو فقال لنبوليون ان الحزب الجمهوري يميل اليهِ فيجعلهُ رئيساً وهو يبقي لنبوليون قيادة الجيش فلم يجبهُ نبوليون بل التفت الى كارنو[2] فقال كارنو ان الحزب الجمهوري يفضل نبوليون على كل [illegible] الى بقية اخوتهِ واخواتهِ الاَّ نادراً. ولم يكونوا يستحقون عناية كبيرة منهُ لانهم لم يعترفوا بفضلهِ عليهم فان يوسف كان يزعم انهُ لو استرجع نبوليون جنودهُ من اسبانيا لاستتبَّ لهُ (ليوسف) الملك فيها وكذلك كان زعم اخيهِ لويس في هولندا وكارولين وزوجها في نابلي

وكثيراً ما كان يذكر النساء اللواتي كنَّ لهُ كالسراري وهنَّ سبع اشهرهنَّ مدام ولوسكا البولندية وكان يعطيها عشرة الآف فرنك كل شهر مع اشتهارهِ بالبعد عن معاشرة النساء

لكنَّ اكثر احاديثهِ كان عن حروبهِ فقال انهُ حارب ستين حرباً وامجد نصر فاز بهِ في واقعة

---

(١) Brumaire شهر من الشهور الفرنسوية التي وضعت وقت الثورة وهو من ٢٢ اكتوبر الى ٢٠ نوفمبر حدث في الثامن عشر منهُ قلب حكومة الدركتوار في فرنسا واعطاء السلطة لنبوليون

(٢) Carnot كان وزيراً لنبوليون

بورودينو ثم في استرليتز ووغرام[1]. ففي استرليتز كان نخبة جنوده وفي وغرام اكثرهم واما بورودينو فاعظم المواقع لانها ابعدها . ووواقعة اكمهل[2] افضلها حركات حربية وفيها قهر مئة وعشرين الفاً بخمسين الفاً ولو نام قبل المعركة ما استتب النصر له

واكثر من ذكر قواده وقال "ان توران[3] كان اعظم قوّاد فرنسا وهو القائد الوحيد الذي زاده الشيب جرأةً واقداماً وفعل ما كنت افعله لو كنت في مكانه ولو جاء في سيف وغرام لادرك حالاً ما ارمي اليهِ وكذلك كان يفعل كُنْده[4] واما قيصر وهنيبال فلم يكونا يفعلان ذلك . ولو كان عندي قائد مثل توران اعتمد عليهِ في حروبي لملكت المسكونة ولكن لم يكن عندي احد فاذا غبت دارت الدائرة على رجالي . كان كُنْده قائداً بالفطرة واما توران فحنكتهُ التجارب وعندي ان توران افضل من فردرك[5] ولو كان مكان فردك لفعل اكثر منهُ ولم يرتكب اغلاطهُ"

وكان كريماً في ذكر قواد خصومهِ فقال ان القنزي افضل القواد الذين حاربوهُ في ايطاليا . واشار الى ما فعلهُ ولنجتون في البرتغال فقال لا يفعل ذلك الاَّ انا وولنجتون

واشار الى جزيرة البا مرةً وقال انهُ لو أُعطي المال الذي قُطع لهُ لبقي فيها وجعلها مقرًّا للعلماء والفضلاء من كل الاقطار وابتعد عن مطامع الملك ومشاكل السياسة . الاَّ ان غورغو قال ان جزيرة القديسة هيلانة افضل من البا بما لا يقدَّر

وكان يأسف اشد الاسف لامور ثلاثة الاول لانهُ لم يمُت وهو في اوج مجدهِ . والثاني لانهُ خرج من مصر وترك ما كان يتمناهُ من الاستيلاء على بلاد المشرق . والثالث ما جرى لهُ في ووترلو . اما من جهة الامر الاول فكان يودّ لو اصابتهُ قنبلة وهو في قصر كرملين بروسيا فقتلتهُ اذًا لبقيت سلالتهُ بعدهُ وبقي كل ما انشأهُ . قال ولو متُّ في موسكو لخلفتُ اسماً لا مثيل لهُ في التاريخ . ولو متُّ في بورودينو لمتُّ مثل الاسكندر وخير من ذلك لو مت في

(١) Borodino قرية روسية قرب موسكو حدثت فيها معركة عظيمة في ٧ سبتمبر سنة ١٨١٢ و Austerlitz قرية في مورافيا قهر فيها نبوليون جنود روسيا والنمسا في ٢ دسمبر سنة ١٨٠٥ وتعرف بمعركة الامبراطرة الثلاثة و Wagram قرية على ١٠ اميال من فينا قهر فيها نبوليون النمسويين في ٥ و ٦ يوليو سنة ١٨٠٩

(٢) Eckmühl قرية في بافاريا قهر فيها النمسويين في ٢٢ ابريل سنة ١٨٠٩

(٣) Vicomte de Turenne قائد من اشهر قواد فرنسا قتل سنة ١٦٧٥

(٤) Condé من اعظم قواد فرنسا واكبر كتابهم كان نداً لتوران وتوفي بعدهُ

(٥) يراد بهِ فردرك الثاني ملك بروسيا الملقب بالكبير

درسدن وخير منهما لو مت في ووترلو فاني كنت اذهب محبوباً مأسوفاً عليهِ

وعدَّ افضل ايامهِ يوم كان في درسدن سنة ١٨١٢ حين خضع لهُ كل ملوك اوربا ما عدا سلطان تركيا وقيصر روسيا وملك انكلترا. واسعدها لما كان سائراً من كان الى باريس او لما كان في تلست حين نجا من المشاكل وخرج ظافراً والملوك والقياصرة يخطبون ودَّهُ او لما تغلَّب على ايطاليا وهتف لهُ الشعب كمحرر لها وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ فانهُ رأى من ذلك الحين ما سيأول اليهِ امرهُ وشعر كأَنهُ طائر على جناح الهواء والعالم كلهُ تحتهُ

واسف لانهُ ترك مصر فقال "اني افضل ان اكون امبراطور بلاد المشرق على ان اكون امبراطور بلاد المغرب . ولو تمَّ لي ذلك ما ثلَّ عرشي واني لافضل قفار المشرق على رياض المغرب واسمي يدلُّ على ذلك لان معناهُ اسد القفر. ولو فتحت عكاء لسرت منها الى الهند واعتممت بالعمامة في حلب وجيَّشت مئتي الف محارب من تلك البلاد. والشرق كلهُ في انتظار رجل يتولاهُ . ولو استتبَّ لي ان احالف المماليك لكنت الآن سلطان المشرق"

والظاهر انهُ اسف لترك مصر لانهُ كان يعدُّها مفتاح الهند فقد قال "لو بقيت فرنسا في مصر لامتلكت الهند هذا كان غرضي الاول وكان في نيتي ان احفر ترعتين الواحدة تصل البحر الاحمر بالقاهرة والثانية تصلهُ ببحر الروم واوسع تخوم مصر الى سنار ودارفور وازحف على العراق بسبعين الفاً من السودانيين وثلاثين الفاً من الفرنسويين فاستولي عليهِ واسير الى الهند واحالف ملوكها وافتن الجنود الهندية واطرد الانكليز من بلادهم". وقال مرة أُخرى "ان الهند للروس ولا بدَّ لهم ان يستولوا على ايران ويزحفوا منها الى الهند. وروسيا الدولة الوحيدة السائرة في توسيع املاكها والاستيلاء على المسكونة سيراً حثيثاً بقدم راسخة"

والظاهر انهُ كان في النيَّة تتويجهُ بلقب امبراطور الغرب لو لم يطلب قيصر روسيا ان يعطى الاستانة لرد الموازنة لكن نبوليون قال وهو في منفاهُ انهُ كان يفضل ان يتوَّج امبراطوراً على الشرق لكي يقهر الانكليز ويتشبَّه بالاسكندر المكدوني فانهُ كان كثير الاعجاب بهِ في حروبهِ وفي سياستهِ لانهُ غلب المسكونة قبل ان يتم الرابعة والثلاثين من عمرهِ وعرف كيف يصطنع الناس فذهب الى هيكل امون في الواحات سياسةً منهُ. قال ولو بقيت في مصر لانشأت مملكة مثل مملكة الاسكندر وحججت الى مكة . وقال للقبطان متلند وهو خارج من فرنسا لولاكم ايها الانكليز لكنت الآن امبراطور المشرق ولكننا نجدكم في طريقنا حيثما يوجد ماء كافٍ لحمل سفينة من سفنكم. وقال وهو في اوج مجدهِ "لولا قرصان الانكليز ومهاجري الفرنسويين الذين تولوا اطلاق مدافع الاتراك واضطروني هم والطاعون ان ارفع الحصار عن عكاء لفتحت

نصف اسيا ورجعت الى اوربا اطالب بعرش فرنسا وايطاليا امَّا الآن فعليَّ ان اجري في خطة مخالفة للاولى فازحف على اسيا من آخر اوربا . هب اننا استولينا على موسكو وقهرنا الروس وصالحنا القيصر او اغتلناهُ في احد قصوره افلا يسهل على جيش فرنسوي كبير معهُ نجدات من تفليس ان يصل الى الكنج واذا مسَّ سيف فرنسا السلطة التجارية التي في الهند تداعت حالاً . والعمل عظيم ولكنهُ غير مستبعد في القرن التاسع عشر"

هذا ما كان يتمنَّاهُ و يأسف لانهُ لم ينلهُ

يسعى الفتى لامور ليس يدركها فالنفس واحدة والهمُّ منتشرُ

والمرء ما عاش ممدود لهُ اجلٌ لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثرُ

والامر الثالث معركة ووترلو فانهُ كان يحرّق اسنانهُ عليها و يتحسَّر ويقول اوَّاه لو عدنا اليها و يستغرب كيف قُهر فيها فيلقي اللوم تارة على المطر وطوراً على الضباط. ويوجز في الملامة مرة و يسهب اخرى وقال ان الدائرة دارت عليهِ لان ضابطاً اخطأ في تبليغ الامر الى غيره ليهجم بالفرسان . وبعد ان افرغ جعبة ادلتهِ في تبرير نفسهِ والقاء اللوم على غيره عاد فاعترف بشيء من المقدرة للانكليز فقال انهم غلبوا بحسن انتظامهم ثم عقَّب على ذلك بقولهِ اذا نزل القدر بطل الحذر ولولا ذلك لكان النصر لي على كل حال. وان لمن اكبر البلايا على فرنسا ان يغلبها مثل اولئك الطغام. وقال قولاً واحداً في ما كان يجب عليهِ ان يفعلهُ بعد ووترلو ولم يحد عنهُ وهو انهُ كان يجب ان يقتل فوشه[1] . اما ما قالهُ عن غيره فلم يكن فيهِ على رأي واحد فقد قال مرةً انهُ كان يجب عليهِ ان يقتل سولت[2] وقال مرةً اخرى انهُ كان يجب ان يقتل لافايت[3] ولانجوينه[4] وغيرهما من الزعماء الى عشرة او مئة وكان يجب ان يجمع الحرس الامبراطوري والذين يعتمد عليهم من الحرس الخاص و يسير بهم الى مجلس النواب فيحلهُ فيكون لهُ فرصة اسبوعين على الاقل يستطيع فيها ان يحصن ضفة السين اليمنى و يجمع مئة الف مقاتل . واعترض غورغو ولاس كاز على هذا الرأي فقال الاول ان رصاصة من فدوي[5] تكفي لقتل الامبراطور وقال لاس كاز ان هذا الفعل عقيم والتاريخ يذمهُ . وقال

---

(١) Fouché وزير البوليس في عهد نبوليون

(٢) Soult المرشال سولت من اكبر قواد نبوليون توفي سنة ١٨٥١

(٣) Lafayette قائد فرنسوي شهير توفي سنة ١٨٣٤

(٤) Lanjuinais سياسي فرنسوي توفي سنة ١٨٢٧

(٥) وفي الاصل Decius اشارة الى القائد دسيوس الروماني الذي افتدى قومهُ بنفسهِ

غورغو انهُ كان الأولى بالامبراطور ان يأتي من ووترلو الى مجلس النواب رأساً ويحثهم على الاتحاد ويجعلهم يشعرون ان تخليص الوطن متوقف على ذلك فاجابهُ نبوليون انهُ كان متعباً خائر القوى وقد مضى عليهِ ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فيتعذر عليهِ ان يخاطب النواب ويقنعهم معاً كان فيهِ من الضعف بل كان يجب عليهِ ان يأتي المجلس بقوتهِ المعهودة ويأمر بتنقيتهِ من الخونة فياخذ سبعة او ثمانية وفوشه في اولهم ويطرحهم في النهر لكنهُ لو فعل لفشت الفوضى في البلاد لكثرة اعدائهِ وكثر فيها سفك الدماء ولذلك فضَّل ان يتنازل لابنهِ فيقنع الامة ان الدول المحالفة عدوة لفرنسا كلها لا لهُ وحدهُ خاصةً وقال للنواب انكم تحسبونني عثرة في سبيل السلم فاخلصوا من هذه الورطة بدوني

وجادلهُ غورغو في ذلك وقال لهُ لو دخلت المجلس لسخرت النواب على جاري عادتك فقال لقد كان ذلك حينما كنت قويًّا يخشى جانبي اما بعد ان قُهرت فباي شيءٍ أسحر وانا لست من بيت مُلك حتى استعين بمجد اسلافي وانما كان علي ان اقتل فوشه اولاً . ثم عاد فقال نعم كان يجب ان اذهب الى مجلس النواب ولكنني كنت خائر القوى ولم يخطر ببالي انهم ينقلبون عليَّ بالسرعة التي انقلبوا فيها فانني وصلت الساعة الثامنة صباحاً وفي الساعة الثانية عشرة كانوا قد تألبوا كلهم عليَّ فباغتوني مباغتةً . ثم أمرَّ يدهُ على وجههِ وقال انما انا انسان ومع ذلك كان يجب ان ابقى في قيادة الجيش الراضي بتنصيب ابني بدلاً مني ومهما ترتب على ذلك فهو خير من القيام في هذه الجزيرة

في احكام اسماء العدد ومميزها على التفصيل

من كتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب

❊ في اسم العدد المفرد ❊ ويتناول من الواحد الى العشرة اما الواحد والاثنان فيطابقان المعدود ولكن لا يتقدَّمان عليهِ تقول مثلاً " اشتريتُ كتاباً واحداً . وكتابين اثنينِ . وكرَّاسةً واحدةً وكرَّاستين اثنتَينِ . وهلم جرًّا

واما ما فوق ذلك الى العشرة فيخالف المعدود في التذكير والتأنيث ويضاف اليهِ في المشهور فتقول " جاءني ثلاثةُ رجالٍ . واربعةُ رجالٍ وثمانيةُ رجالٍ . ورايتُ ثلاثَ نساءٍ وأربعَ نساءٍ . وثماني نساءٍ " الى آخرهِ

ومن غير المشهور ان يُنوَّن اسم العدد ويُنصَب المعدود على التمييز . وقد يجوز في المعدود ان يَتبعَ اسم العدد في اعرابهِ فتقول مثلاً عندي ثلاثةٌ رجالاً او رجالٌ . وفي الدار خمسٌ

نساء او نساءٍ . والاتباع ضعيف فاستعملهُ اذا احتجت اليهِ والاَّ فلا

ومما يجوز في المعدود (اذا اقتضى الاعتبار ذلك) ان يجرَّ بمن معرَّفاً بال او بدون تعريف كقولك اشتريتُ خمسةً من كتُبِ النحو ورايتُ ثلاثاً من نساء او مِنَ النساء

فاذا تاخَّر اسم العدد عن المعدود أُعرِبَ نعتاً وبقي على حكمه من مخالفتهِ للمعدود في التذكير والتانيث فتقول رايتُ رجالاً اربعةً . ونساء اربعاً

﴿ في اسم العدد المركَّب ﴾ ويتناول الاعداد من أحدَ عشرَ الى تسعةَ عشرَ . وحكم العشرة ان تطابق المعدود في التذكير والتانيث واما المركب معها فيخالفها في ذلك الاَّ الواحد والاثنين فانهما يطابقانها . " تقول جاء أحدَ عشرَ رجلاً . وإحدى عشْرةَ امراةً . واثنا عشرَ رجلاً . واثنتا عشرةَ امراةً . وثلاثةَ عشرَ رجلاً . وثلاثَ عشْرةَ امراةً الخ "

واسم العدد هذا يُبنى فيهِ الجزآن على الفتح لفظاً الاَّ المختوم بالف او ياء فانهما يُبنيان على السكون . والاَّ اثنا واثنتا فانهما يكونان بالالف رفعاً وبالياء نصباً وجرًّا

واما المعدود فياتي مفردًا منصوباً على التمييز دائماً الاَّ في بعضِ لغاتٍ سنذكرها لك لتستفيد منها عند الحاجة

﴿ في العقود ﴾ وهي العشرون والثلاثون الى التسعين . وحكمها ان تُعرب بالحروف ملحقةً بجمع المذكر السالم كما علمت . واما المعدود فيأتي معها مفردًا منصوباً على التمييز دائماً كقولك اشتريتُ عشرين كتاباً اوعشرين كُرَّاسةً . ومرَّ عليَّ عشرون سنةً او عشرونَ شهرًا الخ

﴿ في العدد المعطوف ﴾ ويتناول الاعداد من واحدٍ وعشرينَ الى تسعٍ وتسعين وحكمهُ ان يُعربَ الجزآن ويُنصبَ المعدودُ مفردًا على التمييز

اما الواحد والاثنان فيطابقان المعدود في التذكير والتأنيث وامَّا ما بعدهما فيخالفهُ على ما مرَّ في العدد المفرد . تقول مثلاً عندي واحد وعشرون كتاباً . وواحدةٌ وعشرون كرَّاسةً واثنان وعشرون كتاباً . واثنتان وعشرون كراسة . وثلاثةٌ وعشرون كتاباً . وثلاث وعشرون كرَّاسةً . وهلمَّ جرًّا

﴿ في المئة وتكتب ايضاً مائة بالف زائدة ﴾ المئة تلزم الاضافة الى المعدود في المشهور فيقال عندي مئة كتاب او كُرَّاسةٍ . ومئتا كتاب او كرَّاسةٍ وثلاثمئة كتاب او كرَّاسةٍ . الاَّ انها اذا لم يذكر معها المعدود او ذُكر مجرورًا بمنْ جاز فيها الافراد وهو الاشهر وجاز ان تجمع جمعاً سالماً لمؤنث او لمذكرٍ . تقول مرَّتْ عليهِ تِسعُ مئةٍ من السنوات او السنين .

بافراد لفظة المئة . او تقول مرَّتْ عليهِ تِسعُ مئاتٍ او مئينَ من السنوات او السنين . بجمعهِ سالمًا لمؤنثٍ او لمذكرٍ

﴿في الالف واحكامها﴾ ولفظها مذكرٌ ومن ثمَّ فتؤنَّث معها الاعداد من الثلاثة الى العشرة (على عكس المئة كما رأيت) وتجمعُ معها على وزن آلاف والوف . والاول اشهر

واذا ذُكِرَ معها اسم العدد أُضيفَ اليها وأُضيفتْ هي الى مميزها . تقول قُتلَ من جيشهِ خمسة آلافِ رجلٍ . ويجوز ان تنوَّن ويجرُّ مميزها بمن مجموعاً كقولك وكان في المدينةِ خمسةُ آلافٍ من الرجال . وقد يُنصبُ المميزُ مفردًا كقولك وكان في جيش الاميرِ خمسةُ آلافٍ فارساً وهو ضعيفٌ فاستعملهُ عند الحاجة والاَّ فلا

﴿في تعريف العدد﴾ اعلم انَّ اسم العدد صفة في المعنى وموصوف في اللفظ ولذلك جاءت احكامهُ في التعريف والاضافة كثيرة متداخلةً يصعب تخريجها على مقتضى القواعد المشهورة الاَّ اذا تُفطِّنَ لخاصتهِ هذه . واليك تلك الاحكام على التفصيل . فان ظهر لك فيها ما يخالف المذكور في كتب النحاة التي بين ايدينا فاستعمل رأيك قبل ان تتسرَّع الى الانكار والتخطئة . وللاستاذ ان يمرَّ بتلامذتهِ على ما نذكرهُ في هذا الشأن او يتجاوزهُ الى ما يُذكر بعدهُ من احكام العدد الوصفي

﴿في تعريف اسم العدد المفرد﴾ تقول مثلاً "أعطيتُ زيدًا خمسةَ دراهمَ" فاذا أردت تعريفها ادخلت ال على المعدود وقلتَ "ما فعلتَ بخمسةِ الدراهمِ" او على اسم العدد ونصبتَ المعدود كقولك "ما فعلتَ بالخمسة دراهمَ" او على العدد والمعدود معاً . وحينئذٍ فيجوز ان تجرَّ المعدود بالاضافة (لانهُ من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف) او تنصبهُ على التمييز . او تبدلهُ من اسم العدد . تقول "ما فعلتَ بالخمسةِ الدراهمِ" فاختر ما شئتَ من هذه الصور واخفها على اللسان واحلاها في السمع هو افضلها

﴿في تعريف اسم العدد المركَّب﴾ ويجوز ادخال "ال" على الجزء الاول او على الجزئين معاً كقولك "ما فعلتَ بالخمسةَ عشرَ درهماً . او بالخمسةَ العشرَ درهماً" ويجوز تعريف المعدود فقط كقولك "اين خمسةَ عشرَ الدرهمَ" او تعريف اسم العدد والمعدود معاً كقولك "اين الخمسةَ عشرَ او الخمسةَ العشرَ الدرهمَ"

واحسن هذه الصور اخفها على اللسان . واخفها على اللسان هي الصورة المتعارفة عند العامة على ما ارجح . اي تعريف الجزء الاول من اسم العدد فقط

﴿ في تعريف اسم العدد المعطوف ﴾ وتدخل " ال " على كلا الجزئين وهو المرجّح في ارجوزة المرحوم اليازجي . وعلى المعطوف عليهِ فقط . واجازهُ بعضهم جوازًا . الا انهُ هو الشائع على السنتنا . وعندي أنهُ هو الاولى بالاستعمال غالبًا . تقول "اين الخمسة وعشرون درهمًا او الخمسة والعشرون درهمًا " ويجوز على القياس ان تدخل على المعدود فقط . او عليهِ وعلى اسم العدد معًا . فان احتجت الى ذلك في شعر فلا تخف من استعمالهِ واشكر فضل هذه اللغة على هذه الجوازات ان كنتَ شاعرًا

﴿ في تعريف المئة والالف ﴾ اذا لم يتقدمهما اسم العدد من ثلاثة الى عشرة فحكمهما مع المعدود حكم اسم العدد المفرد معهُ . أي تقول "ما فعلت بالف الدرهم او بالالف درهمًا او بالالفِ الدرهمِ" فان تقدمهما اسم العدد جاز دخول " ال " على المعدود فقط . او على اسم العدد فقط . او عليهما معًا . واليك الصور الآتية (١) ما فعلت بخمس مئة الغرشِ (٢) ما فعلتَ بالخمس مئةٍ غرشًا بتنوين مئة او بترك التنوين (٣) ما فعلتَ بالخمس مئةِ الغرشِ (٤) ما فعلتَ بالخمسِ المئةِ غرشًا او الغرشِ

(٥) ما فعلتَ بالخمسِ مئةَ غرشٍ . وهذه الصورة بالنظر الى المعنى اكثر صاحباتها كلفةً من جهة تخريج الاعراب على ما ارى

واعلم أنَّ هذه الصور كلها مفهومةٌ لا لبسَ فيها . ولجميعها وجوهٌ من الاعراب تقاس على غيرها . فالقول اذن إنَّ بعضها جائز وبعضها ممنوع تحكمٌ من قبلِ القائل . فان قلت فايها افصح قلت اخفها على اللسان واقلها كلفةً في تخريج الاعراب وهذا يُراجع فيهِ ذوقك وعقلك فاعتمد عليهما

﴿ اسم الجنس واسم الجمع ﴾ اذا وقع هذان تمييزًا لاسم العدد فالمشهور فيهما أنْ يجرَّا بمن تقول عندي ثلاثةٌ من القوم وأربعٌ من الابل او اربعةٌ . وخمسٌ من الزنجِ او خمسةٌ . الآ ان ما لا مفرد لهُ من لفظهِ من اسماء الجنس كابلٍ وذود قد يجوز فيهِ ان تضيفَ اسم العددِ اليهِ كقولك عندي ثلاثةُ ابلٍ وثلاثُ ذودٍ فتجرّ المسموع . واستعمل فطنتك عند الحاجة في غيرهِ . واما تنوين اسم العدد ونصب اسم الجنس بعدهُ كقولك عندي ثلاثة إبلاً فلا غبارَ عليهِ من جهة الاعراب وان كان المشهور ان يجرَّ بمن

﴿ تنبيه معنوي ﴾ كل اسم جمع يُنظر فيهِ الى الوحدة كالقوم . وكل اسم جنسٍ واحدهُ بالتاء او بالياء كشجرٍ ورُوم فحكمهُ ان يجرَّ بمن لا يجوز اضافة اسم العدد اليهِ كقولك عندي ثلاثة

من القوم واربعةٌ من الرومِ وثلاثةٌ من الزنجِ . واما ما سوى ذلك من اسماء الجمع المنظور فيها الى الكثرة كالرهط والنفر · واسماء الجنس التي لا واحد لها كالابل فحكمها المشهور الجرّ بمن كما مرّ . وقد يجوز اضافة اسم العدد اليها كقولك اشتريتُ ثلاثَ ذودٍ او إبلٍ وكان في المدينةِ اربعةُ رهطٍ او نفرٍ . فاستعمل فيها فطنتك وذوقك

في اسم العدد الوصفي واحكامهِ

﴿ في احكامهِ من العدد المفرد ﴾ يُبنى العدد المفرد من اثنين الى عشرةٍ على وزن فاعل فيُنعتُ بهِ ويطابق حينئذٍ منعوتهُ في التعريف والتنكير والتذكير والتانيث . فيقال مثلاً الفصلُ الثاني والثالثُ والمقامةُ الثانيةُ والثالثةُ الخ

واما الواحد والواحدة فيُعدَلُ عنهما الى الاول والاولى . فيقال مثلاً نقرأُ الفصلَ الاوّلَ ونُرنّمُ الترنيمة الاولى

﴿ في احكامهِ من العدد المركب ﴾ يُبنى فيهِ الجزء الاوّلُ فقط على وزن فاعل وفاعلة ويبقى الثاني على حالهِ · فتقول الفصلُ الحاديَ عشرَ. والثانيَ عشرَ . والثالثَ عشرَ .والمقامةُ الحاديةَ عشرةَ . والثانيةَ عشرةَ · والثالثةَ عشرةَ وحكمهُ ان يبنى الجزآن على الفتح لفظاً ويعربَ محلاً الاَّ ما انتهى بياء كالحادي والثاني فانهُ يجوز فيهِ البناء على السكون للتخفيف . ويجوز البناء على الفتح طرداً للباب

﴿ في احكامهِ من اسم العدد المعطوف ﴾ يبنى الجزء الاول على فاعلٍ وفاعلةٍ ويبقى الثاني على حالهِ معطوفاً · نقول الفصلُ الحادي والعشرونَ والثالث والعشرونَ . والمقامةُ الثانيةُ والعشرون · والثالثةُ والعشرون ويُعربُ الجزآن الاول بالحركات والثاني بالحروف

﴿ المئة والالف ﴾ ويبقى هذان اللفظان على حالها فيقال الفصلُ الالفُ والمئةُ والمقامةُ الالفُ والمئةُ · والفصلُ الالفُ والمئةُ والواحدُ . والمقامةُ الالفُ والمئةُ والواحدةُ · والفصلُ الثلاثةُ آلافٍ والثلاثُ مئةٍ والثالثُ والثلاثونَ . والمقامةُ الثلاثةُ آلافٍ والثلاثُ مئةٍ والثالثةُ والثلاثونَ

[المقتطف] تجد كلاماً مسهباً عن هذا الكتاب في باب التقريظ والانتقاد

الارض والقمر

انني بين الدراري كتلةٌ جرمها سيّارٌ[1] قذفتني من حشاها شعلةٌ تدهش الابصار[2]
أفأمٌ بنيها برّةٌ تقذف الابكار قد عرتني مذ رمتني حيرةٌ تجلب الاكدار
فاذا ضلّت عن امّ طفلةٌ كيف لا تحتار

***

حيرةٌ قد سبّبت لي دورةً والحشى واجف[3] حول ذاتي لستُ اهدا لحظة كالرحى الطائف[4]
والامي بذكي بجوفي لوعةً جرمها قاذفٌ يُخار صار منهُ حقبةً مدمعي واكف[5]
ذي نواميسٌ براها حكمةٌ فاعلٌ مختار

***

كل يومٍ رحتُ اطوي مرّةً حيزي الفارغ[6] ولهيب الشوق ينشي ديمةً ذيلها سابغ[7]
يا لنارٍ قد اعارت مقلةً مدمعاً سائغ[8] بردت وجهي وقلبي لوعةً ذائبٌ زائغ[9]
فهو مصهورٌ ويبدي قشرةً بحرها زخّار[10]

***

ابتغي العودَ الى حجر ذُكاء فهي تحييني[11] هي أمي عاملتني بالجفاء منذ تكويني
ابعدتني وهي تهفو للقاء كي تربيني وانا العمياء من فرط البكاء لا تدانيني
لستُ ارجو في ضلالي الاهتداء منتهى الادوار[12]

---

(١) اشارةٌ الى كونها من سيارات النظام الشمسي (٢) اي انها في الاصل جذوة قذفها جوف الشمس الناري (٣) تعليلٌ تخيلي لاسباب دورانها (٤) اشارة الى استمرار دورتها الرحوية على ذاتها (٥) اشارةٌ وتعليل لوجودها في دورها الاول دائمة المطر (٦) اشارة الى انها تتم دورتها على ذاتها مرّةً كلّ اربع وعشرين ساعة ضمن حيزها الوهميّ في الفضاء (٧) تعليلٌ لدوام السحب المنتشرة في افقها في دورها الاول (٨) تعليلٌ واشارة الى ان مطرها الدائم اذ ذاك ناشيءٌ عن شدة حرّها وحرارتها
(٩) تعليل لاسباب برودة سطحها وتجمده في دورها الثاني مع بقاء باطنها ذوباً نارياً
(١٠) تعليل لاسباب مغموريتها بالماء في دورها الثاني (١١) ذُكاء من اعلام الشمس
(١٢) دلالة على استحالة انضمام الارض الى الشمس ما دام ناموس التجاذب عاملاً

كل عامٍ بطوافي اقتربُ من مغانيها[١] وفؤادي بهيامي يضطربُ لتلاقيها
ثمَّ يبدو حيثما لم احتسبُ لي تجنيها وعجيبٌ ان عني لم يغبُ وجهها تيها[٢]
وكلانا حسبوهُ مغتربُ وهو جار الدارْ

***

خدعَ الوهمُ عقولَ القدماء هالهمْ امري صيَّروا قرنًا لثورٍ فوق ماء مركزي الدهري[٣]
ثمَّ قالوا هي سطحٌ ذو استواء قام كالقصرِ راسخ الاركان والسقف السماء شمسها تجري[٤]
جاءهم من بعد (غاليلو) الذكاء مزَّق الاستارْ[٥]

***

كرةٌ تظهر شبه الاستواء في استدارتها[٦] قد بدا في قطبتيها إنزواء عند دورتها[٧]
عالم الافلاك اضحى باستياء حين رؤيتها في ضلالٍ وانزواء وعماء إثر فرقتها
ولذا أوفد عنهُ للعزاء ابهج الاقمارْ[٨]

القمر

هو منها بان عنها وانفصلْ بعدما ضلَّتْ[٩] قد لمت عنهُ بهاتيك العلل حينما حلَّتْ
قد نست منهُ وليدًا مذ رحلْ عينهُ اعتلت[١٠] مذ رأتهُ مقبلاً عاش الاملْ والمنى جلَّتْ
هيَ بكرٌ لم يهذ بها الازلْ تعشق الزوَّارْ

---

(١) اشارة الى دورة الارض حول الشمس مرَّةً في كل عام (٣) اشارة الى تقابل وجهيها كل يوم مع وجود الابعاد الشاسعة الفاصلة بينها (٢) ان العرب وغيرهم قالوا ان الارض مسطحة ثابتة مرتكزة على قرن ثورٍ رجلاهُ في الماء وهو اذا تعب حوَّلها من قرنٍ الى آخر فينشأ الزلزال عن هذا التحويل

(٤) الاقدمون يقولون ان الارض لا تتحرَّك اما الشمس فمتحرّكة تجري في افق الارض كل يوم صادرة من المشرق ومحتجبة في المغرب ثم تخترق باطن الارض مرورًا الى مشرقها اثناء الليل لكي تعاود سفرها في الصباح (٥) غاليلو رجل ايتاليٌّ هو اوَّل قائلٍ بكروية الارض ودورانها (٦) اشارةً الى كون كروية الارض غير تامة (٧) اشارةً الى تسطح قطبتيها الناشىء عن دورانها على محورها وهي مائعة القوام

(٨) اي ان قمر الارض اجمل من اقمار زحل (٩) ان القمر منفصل عن الارض وسيعود اليها في مستقبل الازمنة (١٠) ان العامة يزعمون ان القمر اعور حسبما يتراءى للعين المحسوسة وفي البيت اشارة الى ان اعتلال عينهِ نشأ عن فراق الارض

يا لهُ غرًّا رآها فاستهام ندَّ عنهُ الصبر راح يجري حولها تحت الظلام ساهرًا للفجر
بطوافٍ بالغ حدَّ التمام مرَّةً في الشهر[١] وسناهُ مرسلٌ يهدي السلام عن لسان البدر[٢]
ابرما بينهما عقدَ وئام ثابتًا ادهار

***

قد تناست في هواها أمّها غادةَ الافلاك لم تعد تبكي ويشكو همَّها ثغرها الضحّاك
بل ازاحت بالتصابي غمّها في دجى الاحلاك هوَ يرجو بعد حين ضمّها والرجا أفّاك
نحلتهُ الشمسُ نورًا عمّها بغيةَ الإصهار[٣]

***

كان عند اليأس من عقد الولاء مغرمًا ناحل[٤] فاغتدى مذ مرَّهُ حسنُ الرجاء مزهرًا كامل[٥]
ينفحُ المحبوبُ شوقًا بالضياء راجيًا آمل يطمعُ الاثنانِ يومًا باللقاء والهنا شامل
انما الدهر حسودٌ ذو رياء ماكرٌ غدار

***

من جرى هذا تراهُ ناحلاً اكثر الاوقات[٦] ثمَّ حينًا تلتقيهِ شاغلاً عالم الاموات[٧]
فيناديهِ الهوى مستعجلاً "للمنى نهزات" "سوف صرف الدهر يمسي زائلاً وهو ذو غفلات"
"قم بنا اسرع الينا مقبلاً وابعث الانوار"

***

ينفخُ الحبُّ بهِ روح الحياة بعدما قد زال[٨] يبتغي من بعد ما امسى رفات بعثهُ في الحال[٩]
فيلبيهِ على إثر العظات ملؤهُ آمال[١٠] يلبس الارضَ على رغم العداة بالضيا سربال
هكذا حال الهوى بالمعجزات يمنح الاعمار[١١]

"سليم عنحوري"

---

(١) اشارة الى كون القمر يتم دورتهُ حول الارض مرَّةً في الشهر (٢) ان نور القمر لا يشمل كلَّ الليل الَّا عندما يكون بدرًا (٣) اشارة الى كون القمر يستمدُّ ضياءهُ من الشمس · والاصهار هنا من الصهر والمصاهرة (٤) تعليل شعريٌّ لاسباب نقص القمر بعد الكمال حسبما يبدو للعين المجرَّدة وخلافًا للحقيقة (٥) تعليل آخر لاسباب كمالهِ بعد النقص (٦) تعليل واشارة الى كون ايام نقصهِ اكثر من ايام امتلائهِ وكمالهِ (٧) تعليل شعريٌّ لاسباب محاقهِ (٨) اي بعد محاقهِ (٩) الرفات بقايا الرمم بعد الموت والبعث تجديد الحيوة ثانية (١٠) تعليل واشارة الى سرعة عودهِ هلالاً بعد المحاق (١١) هذا البيت يعني ان القمر يستمدُّ اعمارهُ التي تتجدَّد في كل شهر بمعجزات مصدرها حبهُ للارض · والحبُّ والتجاذب في الحقيقة مظهر الاكوان وقوام العمران

تقدُّم الفلسفة الطبيعية

في القرن التاسع عشر

في السابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٦١٠ أدار غليليو الفيلسوف الايطالي تلسكوبهُ نحو السماء يرقب بهِ المشتري فكان اول من رأى نظام ذلك السيَّار الذي يمثل نظام الكون كلهِ على ما بين النظامين من التفاوت العظيم في القدر . وكان قد درس اوجه القمر ورأى كلف الشمس ثم اكتشف دوران الشمس على محورها واطلع على بعض اسرار زحل . وكأنهُ حان للانسان ان يدرك حقيقة علاقتهِ بالكون فاكتشف غليليو هذه الاكتشافات كلها في سنة واحدة وهو مالم يرد لهُ مثيل في تاريخ الاكتشافات والاختراعات

ومات غليليو سنة ١٦٤٢ وفي تلك السنة نفسها ولد نيوتن . ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمرهِ جعل يبحث في الجاذبية واسرارها فلم يكد القرن السابع عشر ينصرم حتى تجلى لهُ ناموس الجاذبية العام باكلهِ فكان ذلك اساس علم الطبيعيات الحديث . وبنى البناة على ذلك الاساس بناءً عظيماً في القرن الثامن عشر ولكن مابني منهُ في القرن التاسع عشر كان اعظم قدرًا وافخم بنيانًا

ولبيان ما اكتشف في القرن الماضي من هذا القبيل وزيادة تقريبهِ الى الافهام نقسمهُ الى اقسامهِ المختلفة ونذكر تحت كلّ قسم ما يختص بهِ

الحرارة

قام في القرنين السابع عشر والثامن عشر فلاسفة ذهبوا الى ان الحرارة وحركة دقائق المادة شيءٌ واحد ولكن لم يعبأ احد بقبولهم بل بقي المذهب القديم سائدًا حتى اواخر القرن الثامن عشر . ومآل هذا المذهب ان الحرارة سائل لطيف يواصل الاجسام اذا حميت ويفارقها اذا بردت . ولكن ظهر بالامتحان ان ثقل الاجسام لايتغير باحمائها وتبريدها فاضطرَّ اصحاب هذا المذهب ان يصفوا سائل الحرارة بقولهم انهُ سائل لاثقل لهُ وتجنبوا تسميتهُ بالمادة اذ كلُّ مادة لها ثقل فوضعوهُ في مصاف النور والكهربائية والمغنطيسية . ومما قالوهُ في اوصافهِ انهُ مرن وان دقائقهُ متدافعة متنافرة وانهُ يجذب المواد اليهِ

وفي آخر القرن الثامن عشر نشر عالم اميركي شهير اسمهُ بنيامين طمسن (وهو المعروف بلقب كونت رمفورد) نتيجة ابحاثهِ وتجاربهِ في طبيعة الحرارة وماهيتها فدال المذهب القديم وقامت

على انقاضهِ دولة المذهب الجديد . واشهر تجاربهِ في هذا الصدد تمَّ وهو في مدينة مونخ بالمانيا فانهُ كان يشاهد مدفعاً يثقب فادهشهُ مقدار مايتولد من ذلك من الحرارة ورأى انهُ لا حاجة في توليد الحرارة الاَّ الى الفرك وما دام الفرك جارياً مجراهُ فجعبة الحرارة لاتنفد . فقال ان ما كان تولدهُ مثل ذلك لا يمكن ان يكن مادة بل لا بدَّ ان يكون حركة وعليهِ فالحرارة حركة لا مادة

ومضى زمن طويل ومذهب رمفورد منبوذٌ الى ان قام الاستاذ دافي الانكليزي وايدهُ بتجاربهِ . منها انهُ أذاب قطعتي جليد بفرك احداها بالاخرى وهما بعيدتان عن كلّ حرارة . لكنهُ لم يرِ مذهبهُ مقبولاً حتى اواسط القرن الماضي وكانت الكتب العلمية لاتزال تعوّل على المذهب القديم . فدائرة المعارف البريطانية (Encyclopædia Britannica) قالت في حدّ الحرارة في طبعتها الثامنة التي صدرت سنة ١٨٥٦ "انها عامل مادّي ذو خواصّ غريبة " وقد قالت هذا القول مع ان كثيرين من مشاهير العلماء وفي جملتهم هلمهلتز ووليم طمسن (اللورد كلفن) اثبتوا قبل ذلك بالتجارب الكثيرة ان الحرارة حركة لا مادّة . وهذا الذي اثبتوهُ يعدُّ من اعظم الاكتشافات واعمها في الفلسفة الطبيعية منذ عهد نيوتن

وكان علماء الفلسفة الطبيعية في اوائل القرن الماضي يحسبون الابخرة والغازات اشكالاً خصوصية من اشكال المادة ويقولون ان الابخرة تتصاعد من السوائل بالتبخير ويمكن تحويلها الى سوائل بلا صعوبة ولكن لم يدرْ في خلدهم انهُ يمكن تحويل الغازات الى سوائل حتى ظهر العالم فاراداي وأسال بعضها بالضغط . وكان قد سبقهُ بعضهم فأسالوا الامونيا (روح النشادر) وغاز الحامض الكبريتيك والكلور بالبرد . ومضى نحو خمس وعشرين سنة على تجارب فاراداي قبلما اتضحت حقيقة العلاقة بين السوائل والغازات وعُرف ان زيادة الضغط وتقليل الحرارة لازمان لإسالة الغازات عموماً . وفي سنة ١٨٧٧ أسال عالمان فرنسويان الاكسجين والهيدروجين والنتروجين والهواء . وما زال العلماء يكررون تجاربهم في هذا الصدد حتى صار يمكن تحويل هذه الغازات وغيرها الى سوائل فجوامد . وتمكنوا بتجاربهم من خفض الحرارة الى درجة ٢٥٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد

ومذهب الحرارة هذا افضى الى مبدإِ حفظ القوة المشهور

حفظ القوة

هذا المبدأ يجعل نسبة الفلسفة الطبيعية الى القوة مثل نسبة الكيمياء الى المادة . ولو لم تكن المادة "محافظة" اي لو كان الانسان يبيدها ويعيدها كما يريد لما كان للكيمياء محلٌّ

بين العلوم . والفلسفة الطبيعية مبنية على اساس متين لانها تفرض حفظ القوة او عدم تلاشيها اي ان القوة لا تخلق ولا تمكن ملاشاتها ولكنها تتغير على صور واشكال تتحول من بعض الى بعض

واعظم الذين اشتغلوا بهذا البحث رجل انكليزي اسمهُ جول . وخلاصة ما اتصل اليهِ بابحاثهِ وتجاربهِ ان الحرارة اللازمة لرفع حرارة مقدار معلوم من الماء درجة واحدة بمقياس فارنهيت تساوي القوة الميكانيكية اللازمة لرفع ذلك المقدار الى علو ٧٧٢ قدماً عن الارض . وبالعكس اذا ترك مقدار من الماء يسقط من علو ٧٧٢ ثم صدَّ بغتة عن سقوطهِ تتولد من صدمهِ حرارة تكفي لرفع حرارتهِ درجة واحدة بمقياس فارنهيت

ومن غرائب الاتفاق انهُ في نفس السنة التي اذاع جول فيها خبر اكتشافهِ (سنة ١٨٤٧) قام العالم الالماني هلمهلتز وقرأ على جمعية الفلسفة الطبيعية في برلين مقالة تشبه في مضمونها ونتائجها اكتشاف جول مع انهُ لم يكن لاحدهما علاقة بالآخر . وهلمهلتز هذا عدَّ عند وفاتهِ (سنة ١٨٩٣) من اعاظم الرياضيين واعظم فسيولوجي في عصرهِ بلا خلاف ومن اكبر علماء الفلسفة الطبيعية لا يدانيهِ احد فيها من علماء القرن التاسع عشر الاَّ عالم واحد وهو اللورد كلفن فانهُ اشترك مع جول المذكور في ايضاح مبدإِ حفظ القوة حتى موت جول سنة ١٨٨٩

وممن لهم اليد الطولى في هذا الموضوع العالم تندل الانكليزي الشهير . ويقال بالاختصار ان مبدأ حفظ القوة كان اساس جميع الاكتشافات والاختراعات التي تمت في النصف الاخير من القرن الماضي

النور

من اعظم مآثر القرن التاسع عشر مذهب تموُّج النور . واول من قال بهِ رجل انكليزي اسمهُ توماس ينغ ورجل فرنسوي اسمهُ فراسنل . وكان الفيلسوف اسحق نيوتن قد ذهب الى ان النور مادة وان الاجسام المنيرة تقذف دقائق صغيرة منهُ تنعكس وتنكسر ويحدث البصر منها . ولكن كثيراً من الظواهر البصرية لم يمكن تطبيقهُ على هذا المذهب بخلاف مذهب التموُّج . ولما كان لا بدَّ للحركة التموجية عموماً من وسط تنتقل فيهِ كما ينتقل الصوت في الهواء فان اصحاب مذهب تموُّج النور فرضوا وجود مادة ينتقل النور بها حيث كان وسمَّوها بالاثير ثم اثبتوا وجودها اثباتاً يقرب من اليقين . وشرعوا يستنبطون الوسائط لقياس سرعة النور وكانوا يقيسونها قبلاً بخسوف اقمار المشتري ورصد مواقع الكواكب وتأثير حركة الارض في

رؤيتها فوجدوا ان هذه السرعة ١٨٠ الف ميل في الثانية تقريباً وهي سرعة عظيمة جداً ظنوا انهُ يستحيل قياسها بالمسافات الارضية ولكن علماء الفلسفة الطبيعية الذين قاموا في القرن التاسع عشر تمكنوا من ذلك . وبيانهُ انهُ اذا كانت الحركة منتظمة فالسرعة تساوي المسافة مقسومة على الوقت . وعليهِ فاذا امكن قياس الوقت اللازم لاجتياز شيءٍ مسافة معلومة عرفت سرعتهُ حالاً . ولما كانت سرعة النور عظيمة جداً فان الوقت الذي يقضيهِ في اجتياز المسافات لا بدَّ ان يكون قصيراً جداً لا يقاس لقصرهِ ما لم تكن المسافات طويلة جداً . والنور يقطع ميلاً واحداً في جزء من ١٨٦ الف جزء من الثانية فاذا أردنا قياس سرعتهِ وجب ان يكون عندنا آلات دقيقة تستطيع قياس اجزاء صغيرة جداً من الوقت وقد اخترعت آلات لذلك فصارت سرعة النور تقاس بالضبط والدقة

ومن الاكتشافات التي تمت في القرن التاسع عشر ولم تكن تعرف قبلهُ وهي في الدرجة الاولى من الاهمية ما يسمَّى بالحل الطيفي . وهذا الاكتشاف لا يزال يحيّر العقول ولا سيما عقول الذين يلمون بهِ فانهُ ازاح النقاب عن موادَّ كثيرة لم تكن معروفة قبلاً وهو في يد العالم الطبيعي آلة للتنقيب والتنقير لا غنى لهُ عنها ولا يبعد ان يكون في المستقبل اعظم واسطة لمعرفة طبيعة المادَّة . وقد كشف للفلكي سرَّ الاجرام السموية من حيث تركيبها وحالها الطبيعية وحركتها مما كان الفلاسفة يعدونهُ منذ مئة سنة ضرباً من المحال

واول من اشتغل بالحلِّ الطيفي رجل انكليزي اسمهُ ولستون سنة ١٨٠٢ فانهُ رأى خطوطاً سوداء في نور الشمس بعد مرورهِ في شقٍّ ضيّقٍ ووقوعهِ على منشور زجاجي . وبعد ذلك بعشر سنوات رأى رجل الماني اسمهُ فرونهوفر خطين اصفرين في طيف المصباح . ثم شاهد في طيف الشمس خطوطاً سوداء لا تكاد تحصى . وعقبهُ السر جون هرشل فدرس طيوف مواد متعددة وفعل كثيرون غيره مثلهُ الى ان قام كرشوف وبنسن وبنيا على الاساس الذي وضع لهما فجعلا علم الحلّ الطيفي علماً ذا اصول وقواعد . ولو لم يثمر العلم في القرن التاسع عشر غير هذه الثمرة لكفى بها ان تكون فاتحة عصر جديد لانهُ يعلم الانسان بها ما يجري في الكواكب والاجرام السموية التي يفصل بينهُ وبينها ملايين الملايين من الاميال كما يعلم بها تراكيب المواد الارضية

واهم اكتشاف في ما يتعلق بالنور اكتشاف مكسول سنة ١٨٧٣ او استنتاجهُ ان النور والكهربائية من طبيعة واحدة ويمكن تحويل كلٍّ منهما الى الآخر

الكهربائية والمغنطيسية

لم يطرأ على فرع من فروع العلوم الطبيعية انقلاب اعظم مما طرأ على الكهربائية والمغنطيسية بدليل كثرة الاكتشافات التي اكتشفت فيهما وتطبيق العلم فيهما على العمل وشدة تأثيرها في معايش الناس كما هو معلوم من امر التلغراف والتلفون والترامواي الكهربائي والنور الكهربائي وغيرها من الاكتشافات التي يستخدمها الناس في اعمالهم اليومية واساسها المغنطيسية او الكهربائية

واول خطوة تذكر في هذا السبيل اختراع الفيلسوفين الايطاليين جلفني وفولطا للبطرية الجلفنية او الفلطائية فباتت الكهربائية بهذا الاختراع اسيرة الانسان وطوع بنانهِ يولّدها ويقودها انى شاء. وقد أُهملت هذه البطرية الآن وحلَّ غيرها محلّها ولكنها بقيت المصدر الوحيد للكهربائية في ثلاثة ارباع القرن الماضي وبها اكتشفت جميع الاكتشافات المهمة في هذا الباب. ومن اشهر الذين استخدموا الكهربائية في اكتشافاتهم العلية السر همفري دافي فانهُ حل بها القلويات التي لم تكن قد حلّت بعد واكتشف الصوديوم والبوتاسيوم

ولما كانت نفقة توليد الكهربائية ببطرية فولطا عظيمة فقد حال ذلك دون تقدم الاكتشافات والاختراعات المتعلقة بها تقدماً سريعاً. نعم انهُ لو لم يكتشف شيء في الكهربائية غير البطرية المذكورة لامكن استخدام التلغراف والنور الكهربائي ولكن لم يكن هناك بدٌّ من اكتشاف آخر لتزول المصاعب الكثيرة التي في هذا السبيل. وهذا الاكتشاف هو علاقة الكهربائية بالمغنطيس ومكتشفها استاذ دنمركي اسمهُ اورستد. فقد أبان بالامتحان انهُ اذا أُدنيت قطعة من سلك النحاس المكهرب الى مغنطيس يتحرك مثل الابرة المغنطيسية التي في الحك مثلاً انحرفت الابرة الى جهة مخصوصة حسب جهة المجرى الكهربائي. فثبت بذلك ان المجرى الكهربائي يفعل فعل المغنطيس. وجاء بعد اورستد كثيرون خاضوا هذا الموضوع ونقبوا فيهِ اخصهم أمبير الفرنسوي فانهُ بحث في اكتشاف اورستد بحثاً رياضياً وايد بحثهُ بالتجربة والامتحان وما زال كذلك حتى ابلغهُ الغاية القصوى فاستحق ان يلقب مبدع علم المحركات الكهربائية Electro-dynamics واصبح التلغراف بمساعيهِ ومساعي غيرهِ مثل هنري ومورس الاميركيين والتلفون بمساعي بل وريس وغيرهما على ما نراهما الآن من الدقة والاتقان. واكتشف فراداي كيفية توليد الكهربائية بواسطة المغنطيس فوضع اساس جانب كبير من المخترعات والمستنبطات الكهربائية ثم ارتأى مكسول ان الكهربائية تموج في الاثير كالنور واثبت ذلك العالم هرتس الالماني وبني عليهِ تلغراف مركوني

ومن الاكتشافات والاختراعات المشهورة في القرن الماضي الفونوغراف او التصوير الشمسي

وهو وان لم يكن فرعاً ضروريًّا الاَّ انهُ اصبح ولا غنى عنهُ في الابحاث العلمية . ثم تجارب السر وليم كروكس التي كانت اساساً لاكتشاف اشعة رنتجن المعروفة باشعة اكس والبحث في المواد المشعة الى ان تصل الى الراديوم وغرائبهِ . والبحث في الصوت والامواج الصوتية ادَّى الى استنباط الفونوغراف وكتابة الاصوات والانغام وحفظها

ولم يتمكن العلماء من البلوغ الى النتائج المتقدمة الاَّ بعد جهاد طويل وحرب شديدة اثارها العلم على الجهل ففاز في امور كثيرة وما فوزهُ هذا الاَّ بداءة عصر جديد ينتصر فيهِ العلم على الجهل انتصارًا تامًّا وتعرف حقائق الكون كما هي

الحسر (او قصر النظر)

اسبابهُ وعلاجهُ والوقاية منهُ

لا شك ان داء الحَسَر وهو ما يدعونهُ بالفرنساوية (Myopie) يزداد انتشارًا في بلاد الشرق كلما ازدادت مدنيةً وعمرانًا . وتعليل ذلك ان الحَسَر يصيب على الغالب ان لم اقل دائمًا اهل العلم الذين يكثرون من القراءة والكتابة وارباب الصنائع والحرف الدقيقة الذين يقضون الساعات الطويلة محدقين في دقائق الآلات كصناع الساعات والصياغ وامثالهم . وحيث ان العلوم والصنائع تكثر وتروج في البلاد الراقية وتقل وتكسد في البلاد المتأخرة فيكون قصر النظر واخالهُ هذه اليف المدنية والعمران وطول النظر اليف الهمجية والبداوة . واقوى دليل على ذلك كثرة الحَسَر بين سكان البلاد الراقية كالالمانيين والاميركيين والفرنسويين وسكان اوربا بوجه العموم وقلتهُ بل ندرتهُ بين سكان البلاد الهمجية على الاطلاق

وحيث الأمر كذلك فعلى اطبائنا ان ينبهوا افكار الجمهور الى هذا الأمر ويرشدوهم الى طُرُق الوقاية من هذا الداء وتخفيف مضارهِ اذا اصيبوا بهِ . ولذلك رأيتُ ان انشرَ مقالتي هذه في مجلة المقتطف وهي اوسع المجلات العربية انتشارًا وارفعها منزلة لعلَّ القراء يجدون بعض الفائدة فيما ساذكرهُ

ما هو الحسر

يتوهم كثيرون منهم ان الانسان يخلق قصير النظر او طويلهُ . وهم مخطئون من جهةٍ ومصيبون من جهة فطول النظر "Hypermétropie" يكون دائمًا خلقيًّا واما الحسر

" Myopie " فلا يكون خلقياً الاَّ فيما ندر ولكنهُ على الغالب علة مكتسبة تستطيل فيها العين فلا تعود صور المرئيات البعيدة تُرسم واضحة على الشبكية (وهي الغشاء الحساس في باطن العين) كما يحصل في العين الصحيحة وانما تُرسم امام ذلك الغشاء . فلكي يرى الاحسر المرئيات البعيدة واضحة لا بدَّ لهُ ان يضع امام عينيهِ بلورتين مقعرتين تُقرِّب بواسطتهما صور تلك المرئيات من الشبكية حتى ترسم عليها فتراها العين واضحة . وتعليل ذلك مبنيٌّ على ناموس انفراج اشعة الضوء بمرورها في العدسيات المقعرة . وكلما ازداد الحسر لا بدَّ لاصلاحهِ من زيادة درجة تقعير البلورات

كيف يحدث الحسر

قلت ان علة الحسَر مكتسبة وانها تكثر بين طلاب العلم وارباب الصنائع الدقيقة الذين يجهدون عيونهم في التحديق عن قربٍ مما تستطيل بسببهِ العين . بقي ان اعلل ذلك اي ان اشرح كيف تستطيل العين من اطالة التحديق في المرئيات الدقيقة

ولكي يسهل على القارىء فهم ما سأشرحهُ لابدَّ لي من كلام تمهيدي بسيط موجز عن عضلات العين لانها هي السبب في استطالة المقلة وحدوث الحسَر كما سترى

العضلات المحركة للعين

للعين ست عضلات محركة وهي

(١) العضلة المستقيمة العليا التي ترفع العين

(٢) العضلة المستقيمة السفلى ووظيفتها خفض العين

(٣) العضلة المستقيمة الانسية وهي التي تحرك العين الى الداخل اي الى جهة الانف

(٤) العضلة المستقيمة الوحشية وهي التي تحرك العين الى الخارج اي الى جهة الصدغ

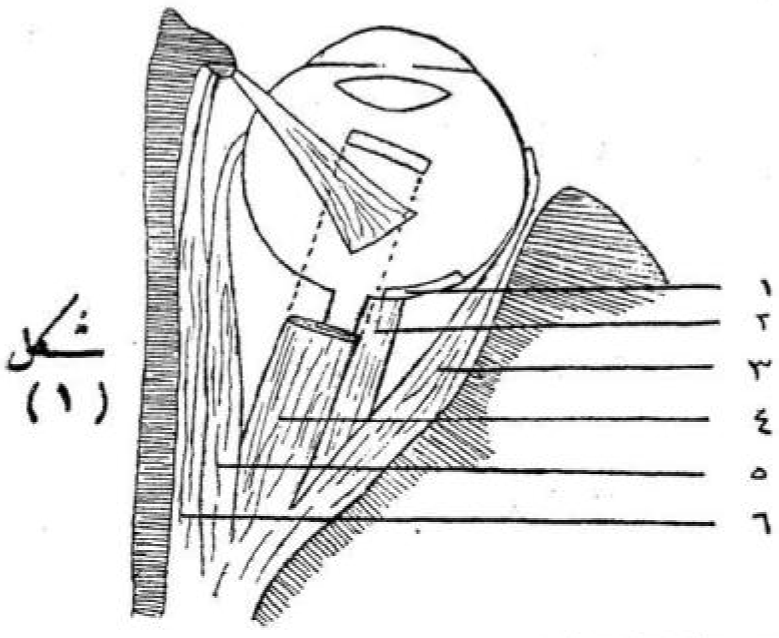
(٥) العضلة المتحركة الكبرى ووظيفتها تحريك العين الى اسفل والى الداخل في آنٍ واحدٍ

(٦) العضلة المتحركة الصغرى وهي التي تحرك العين الى اعلى والى الخارج في آنٍ واحدٍ

وهذه العضلات تكتنف العين من كل جهاتها ما خلا الجهة الامامية حيث ترتكز اوتارها حول القرنية وتمتد من هناك الى داخل المحجر كما ترى في الشكل (١)

فمتى كان الانسان ناظرًا الى مرئيات بعيدةٍ واقعةٍ امامهُ على خطٍ مستقيم تبقى عضلات عينيهِ كلها منبسطة انبساطاً طبيعياً ولكنهُ اذا حولها الى جهةٍ من الجهات تتقلص العضلة التي تدير العين الى تلك الجهة وتُمدد العضلة المقابلة لها فتنضغط العين . وهذا الضغط لا يؤَثر فيها اذا كان قصير المدة ولكنهُ اذا طال اي اذا بقي الانسان ساعات طويلة موجهاً عينيهِ الى

جهةٍ واحدةٍ من الجهات وتكرر الأمر اشهراً وسنين لا تلبث العين ان تمدد وتستطيل بسبب ذلك الضغط الدائم عليها لاسيما اذا كانت عين فتى صغير السن كما يتمدد راس الطفل اللين العظام اذا لففناهُ برباطٍ ضاغطٍ وابقيناهُ على هذهِ الحالة زمناً طويلاً



(١) وتر العضلة المخرفة الصغرى
(٢) العضلة المستقيمة السفلى
(٣) العضلة المستقيمة الوحشية
(٤) العضلة المستقيمة العليا « مقطوعة ليرى تحتها وتر المخرفة الكبرى »
(٥) العضلة المستقيمة الانسية
(٦) العضلة المخرفة الكبرى

وهذا نفس ما يحصل للذين يقضون الاشهر والسنين مكبين على مطالعة الكتب الصغيرة الحروف او مشتغلين بالصنائع الدقيقة مما يستلزم انهاك العينين في التحديق فتستطيلان· ذلك لانهما متى كانتا تنظران الى الاشياء الدقيقة لا بدّ من تقريب تلك الاشياء منهما وفي هذه الحالة تتحولان الى الداخل والى اسفل بتقليص العضلتين المستقيمة الانسية والمخرفة الكبرى وبسبب هذا الانحراف تتمدد العضلات المستقيمة الوحشية والمستقيمة العليا والمخرفة الصغرى

تضغط على العين. فاذا طال هذا الضغط وكانت صلبة العين لينة كما هي الحالة في الاحداث تأخذ هذه الصلبة في التمدد شيئاً فشيئاً وتستطيل العين بالتدريج على قدر ما تطول مدة ضغط العضلات المذكورة عليها او بعبارة أخرى بقدر ما يطول زمن التحديق في المرئيات الدقيقة عن قرب

واذا عرفنا هذه الحقيقة عرفنا لماذا يكثر الحسر بين اولاد المدارس لاسيما في الزمن الذي يجهدون فيهِ عيونهم بكثرة المطالعة اعني في اواخر الايام المدرسية وقت الاستعداد لنيل الشهادات . وذلك نفس مايحصل للاحداث المشتغلين بالحرف الدقيقة كما قدمنا

اما الذين يحترفون الحرف التي تستلزم التحديق او يكبُّون على القراءة والكتابة وهم كبار السن فقلما يصابون بالحسر لان نسيج الصلبة في عيونهم يكون متيناً ويفقد مرونتهُ فلا يعود يتمدد بضغط عضلات العين مهما طال هذا الضغط. ولكن رب معترض يقول : — "اذا كان الامر كذلك فلماذا لايصاب بداء الحسر كل فتيان المدارس واصحاب الصنائع الدقيقة مع انهم كلهم يحدقون في المرئيات الدقيقة على حدٍ سوى ؟" والجواب ان للاستعداد الطبيعي يداً في حدوث داء الحسر . فذوو البنية القوية من الاحداث سواء كانوا من تلامذة المدارس او المشتغلين بالحرف الدقيقة قلما يصابون بداء الحسر الاّ اذا اجهدوا عيونهم في التحديق اكثر من امثالهم ذلك لان نسيج الصلبة في عيونهم اقوى منهُ في عيون ضعفاء الاجسام الذين يكثر بينهم الحسر. وهنالك سبب اخر في اصابة بعض التلامذة بالحسر دون سواهم وهو التفاوت في الاجتهاد وكثرة المطالعة او التفاوت في الاعمال الدقيقة بين تلميذ وتلميذ او صانع وصانع فالتلميذ الكسول الذي يقضي ساعات العمل في اللعب يندر ان يصاب بالحسر وبالضد من ذلك التلميذ المجتهد الذي لا يكل من المطالعة . وهنالك ايضاً امر آخر لابدَّ من الالتفات اليهِ وهو ان للوراثة شأناً كبيراً في علة الحسر فبنو المصابين بهذه العلة يكونون اكثر تعرُّضاً للاصابة بها من سواهم. ولا شك ان ابن الاحسر يصاب بحسر اشد من حسر ابيهِ اذا احترف حرفتهُ واجتهد اجتهادهُ

هذه هي اعراض الحَسَر واسبابهُ قد توخيت في شرحها ما امكن من الاختصار خوفاً على القارئ من الملل . وبقي عليَّ ان اتكلم عن علاج هذه العلة وطرق الوقاية منها وهما الامران اللذان يهم القارئ الوقوف عليهما وموعدي بهما الجزء التالي

الدكتور ابرهيم شدودي

الاستاذ كوري وزوجتهُ

مضى بضع سنوات والمجلات العلميَّة والصحف اليومية تردد اسم الاستاذ كوري وزوجتهِ لانهما فتحا باباً جديداً للبحث العلمي باكتشافهما عنصر الراديوم واظهارهما خواصهُ الغريبة. وشغلا عقول العلماء والفلاسفة بما يمكن ان يكون من وراء هذا الاكتشاف البديع والخواص المخالفة خواص المادة . واثبتا ان المرأة تجاري الرجل في اعوص مباحث العلم اذا شاءت وشاء واجباً العلم لذاتهِ



المسيو كوري



مدام كوري

والزوجان الاستاذ كوري وامرأتهُ على غاية البساطة والبعد عن الدعوى يسكنان بيتاً صغيراً في ضواحي باريس زارهما فيهِ احد الادباء وكتب عنهما ما تعريبهُ قال

للمسيو كوري اسم كبير في المجلات العلمية وصحف الاخبار فينتظر من يقصد زيارتهُ ان يرى امامهُ رجلاً عارفاً ما لهُ من المقام الرفيع والشهرة الواسعة ولاسيما بعد ان مُنح جائزة نوبل وجائزة اكادمية العلوم الفرنسوية اما هو فعلى الضد من ذلك خجول مستصغر قدر نفسهِ. ولما قابلنا رأينا في وجههِ ما يدلُّ على اندهاشهِ من ان احداً يهتم بزيارتهِ في الحي الذي هو فيهِ والدار الحقيرة التي يسكنها فان الحي عند حصون باريس ويكاد يكون غير مطروق لقلة المارَّة فيهِ والبيت طبقة واحدة وليس فيهِ الأَّ ثلاثة شبابيك. قابلنا في غرفة للاستقبال ساذجة الاثاث وظهر لنا كانهُ هو وامرأتهُ يعيشان من العلم وعلى العلم ولا يهتمان بشيءٍ آخر ولكل منهما وظيفة في الحكومة ولكن المال المقطوع لها طفيف جداً. ورواتب العلماء قليلة في فرنسا على وجه العموم

وهو من اهالي باريس وابوهُ طبيب وقد ورث منهُ الميل العلمي. ولد سنة ١٨٥٩ فهو الآن في الخامسة والاربعين من عمرهِ . وطلب العلم مثل غيرهِ من الشبان واخذ يشتغل فيهِ وعمرهُ عشرون سنة وظلَّ يشتغل بهمة ونشاط الى ان جُعل استاذًا للعلوم الطبيعية سنة ١٨٩٥ والتقى حينئذٍ بالفتاة التي تسم لها ان تكون شريكة لهُ في حياتهِ واشغالهِ وهي بولندية الاصل واسمها ماري سكلودوسكا ولدت في مدينة ورسو سنة ١٨٦٨ من بيت علم وفضل فان اباها كان استاذًا مشهورًا بالتاريخ الطبيعي وامها رئيسة لمدرسة عالية من مدارس البنات ولها اخت درست الطب واقترنت بطبيب وانشأا مصحًّا يعالجان فيهِ المرضى والناقهين . وهي اي ماري سكلودوسكا اتمت دروسها وعمرها ست عشرة سنة وأُعطيت وسامًا ذهبيًّا لامتيازها على غيرها واشتغلت في معرض الطبيعيات والصناعات ثم اتت باريس سنة ١٨٩١ ودرست سنتين فقط فنالت الشهادة في العلوم الرياضية ثم درست سنتين اخريين ونالت الشهادة في الكيمياء والطبيعيات . ورأى المسيو كوري امامهُ فتاة بديعة الجمال مغرمة بحب العلوم الطبيعية غرامهُ فعلق قلبهُ حبها وتزوج بها

ثم اشتغلت في البحث عن الراديوم فوجدتهُ بعد تعب كثير وعناء ليس لهُ نظير وكتبت مقالة في هذا الموضوع قدمتها الى اكادمية العلوم فاجازتها عليها برتبة دكتور في العلوم وهي اسمى الرتب العلمية . ووجدت هي وزوجها اولاً عنصرًا جديدًا سمياهُ بولونيوم نسبة الى بولونيا وطنها . ولا يزالان يشتغلان بالبحث عن خواص الراديوم وجواهر الاجسام والعلماء الراسخون حتى اكبرهم سنًّا واوسعهم شهرة يشاركانهما في البحث والتنقيب مشاركة النظير للنظير

دفاع اليابان

نشرنا في مكان آخر من هذا الجزء مقالة لكاتب سوري مشهور بالتحيُّز للروس يعتقد ان الحق في جانبهم والنصر لهم ويكتب كانهُ ينطق بلسانهم . وقد رأينا ان ننشر هنا حديثًا لرئيس وزراء اليابان حادث بهِ مكاتب شركة روتر التلغرافية قبل افتتاح مجلس الشورى الياباني وعرض ميزانية الحرب عليهِ بأيام وقد نشرنا تعريب هذا الحديث في المقطم ورأينا ان ننقلهُ عنهُ الى المقتطف لكي يطلع قرَّاؤُهُ على وجهي المسألة

قال الوزير " ان حكومتنا لا تقصد من الحرب سوى توطيد السلم على اركان ثابتة لا تزعزعها عواصف السياسة في مستقبل الايام وصيانة الامة اليابانية من الهلاك والمحافظة على استقلالها

وقد وطنَّا النفس على ان لا ندخر عزيزًا ولا نضن بغالٍ في ذلك السبيل لان روسيا لم يكفها نكث الوعود ونقض العهود في منشوريا بل حملها الطمع على مد الايدي الى كوريا والسعي في ابتلاعها وهضم مصالحنا فيها فكبر الامر علينا ولكننا بذلنا الجهد للمحافظة على السلم وحاولنا حسم النزاع بالطرق الودية فذهبت مساعينا ادراج الارياح لان روسيا جهلت قدرنا وغرتها قوتها فاعتقدت اننا لا نمتشق حسامًا في وجهها ولا نخوض قتالاً معها فشمخت علينا وازدرت بنا حتى طفح الكيل وبلغ السيل الزبى فدخلنا الحرب مضطرين . ولم يجئ بأس الجنود الروسية في ميدان القتال مطابقًا لما ابدتهُ حكومتهم من الغطرسة والادعاء في خلال المفاوضات فاصابها ما اصابها برًّا وبحرًا وعرفت انها ركبت خشنًا وسلكت وعرًا فقامت تتبصر لتدارك ما فات وتدبير ما هو آت

اما نحن فاننا عرفنا ان الامر جلل وادركنا مصير الاحوال فتأهبنا لها تأهبًا تامًّا منذ البداية ولا شك ان روسيا تدرك الآن ان الحرب التي احدثتها ليست من الحروب التي تنتهي بمعركتين او ثلاثٍ لان في اليابان خمسة واربعين مليونًا يعلمون حق العلم ان هذه الحرب فيها الحياة والممات ان فازوا بقوا وان كسروا انقرضوا فلا يضنون بآخر قطرة من دمائهم وآخر درهم من اموالهم في سبيلها

وقد اتضح لنا ان ثبات بورت آرثر الى الآن جدَّد الآمال في صدور الروس بانقاذ الحامية فقرروا ان يجردوا علينا ما بقي عندهم من القوات بحرًا كما يجردون علينا الفيالق اثر الفيالق برًّا ويظهر لي ان الروس قد عقدوا آمالهم كلها بتلك المدينة فجعلوا انقاذها الغرض الاول الذي ترمي اليهِ تدابيرهم البرية والبحرية فأمروا كوروبتكين بالعدول عن خطة الدفاع الى خطة الهجوم سعيًا في انقاذ المدينة ولما لم يفلح وعاد الى التقهقر امروهُ بألاَّ يتجاوز مكدن حتى لا تبعد المسافة بينهُ وبين بورت آرثر فتقطع الامة الامل من انجادها برًّا وكنت اود ان يتوقف ختام الحرب على اخذ تلك المدينة ولكنهُ لا يجوز لي ان اعلل النفس بتلك الامنية لاني اعلم ان روسيا تتخذ سقوطها حجة لمواصلة الحرب على خطة جديدة ولذلك تراني ارقب حركات الروس لمعرفة الخطة التي سيعولون عليها قريبًا واتخاذ التدابير اللازمة لافسادها. ومما يسهل علينا ذلك ان احوالنا الداخلية تجري بكل انتظام وعلى غاية المرام واصدق دليل على ذلك ان مجلس الشورى كان دائبًا في معارضة الحكومة في الشؤون المالية فحدث اختلاف شديد بين الوزارة واعضاء الشورى على عهدي مرارًا فتكاتفت الاحزاب على الوزارة عند المناقشة في ميزانية قدرت المصروفات فيها ٢٥ مليون جنيه فقط ولم يشفع في الحكومة حسنات كثيرة

انها في ابواب الادارة فرفضت الميزانية وطلب المجلس الاقتصاد

على ان ذلك المجلس نفسهُ واولئك الخصوم عينهم وافقوا على انفاق ٥٧ مليون جنيه على هذه الحرب بلا قيد ولا شرط . وستعرض عليهم في الجلسة القادمة ميزانية جديدة لا تقل المصروفات التي قدرت فيها عن ٧٧ مليون جنيه . وكل القرائن تدلنا على انهم سيوافقون عليها بلا ابطاء ولا تردد . وقد يستغرب الاجنبي هذا الانقلاب في اعضاء الشورى ولكن من خالط اليابانيين وعرف تاريخهم عرف انهُ يطابق اخلاقهم وقواعد سياستهم كل المطابقة فان اليابانيين اعتادوا ان يطرحوا اسباب الخلاف والنزاع جانباً كما طرأ طارئٌ يخشى منهُ على مصالح الامة وشرف البلاد فتراهم يداً واحدة وقلباً واحداً لا عامل فيهِ غير الحمية والغيرة فلما شبت نار الحرب انضمت الاحزاب اليابانية بعضها الى بعض فلا ترى في اليابان قوماً يميلون الى السلم وآخرين يريدون الحرب كما ترى في روسيا بل كاننا رجل واحد لا ننفك عن قتال العدو ما دام فينا عرق ينبض . ويزيدنا اتفاقاً وقوة ان احوالنا المالية حسنة فان اليابان دخلت طوراً جديداً من حياتها وهو طور الحركة والنشاط والهمة والاقدام فاتقنت التجارة والصناعة والزراعة وجمعت الاموال فلا نخشى الاحتياج الى المال في هذه الحرب وقد عقدنا قروضاً داخلية ولكنها لم تؤثر في اسواقنا الاعتيادية بل يتضح من الاحصاءات ان اعمال البنوك زادت كثيراً عما كانت عليهِ قبل الحرب مع ان مصروفات الحرب الشهرية تبلغ مبلغاً عظيماً وما ذلك الا لان الحكومة ساهرة متيقظة لئلا تثقل كاهل السوق وتفضي البنوك بمطالبها ويؤيد ذلك ان الاسواق لم تضطرب اقل اضطراب ولا النقود المتداولة في البلاد نقصت نقصاً يذكر

اما الاهالي فانهم راضون بالرسوم والضرائب التي فرضت عليهم بسبب الحرب وهم يدفعونها عن طيب نفس وزد على ذلك انهم اقبلوا على القروض الداخلية اقبالاً عظيماً ولذلك لم نعقد قرضاً الا تغطى مراراً وربما كان ذلك لسببين الاول ان الشعب الياباني لم يخرج عن خطة الهدوء والسكينة والثاني انهُ ثابر على العمل بهمة ونشاط مع المحافظة على بساطة المعيشة والابتعاد عن الترف والرفاه . هذا واذا رجعنا الى الاحصاءات رأينا ان قيمة محاصيلنا تزيد ١٠ ملايين جنيه في هذا العام عن المعدل السنوي وان تجارتنا الخارجية راجت اكثر من قبل والمظنون انها تبلغ ٧٠ مليون جنيه في هذا العام نعم ان بعض لوازم المعيشة ارتفعت اسعارها ولكن ذلك لا يؤثر في الاحوال المالية والاقتصادية فلا عجب اذا ادهشت احوالنا عدونا فانها قد ادهشتنا نحن قبلهُ " انتهى

هذا ومن يتدبَّر قول هذا الوزير الحكيم وافعال اليابانيين يعلم مزية العلم في ارتقاء الامم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في تاريخ الصين

نقلاً عن مجلة القرن التاسع عشر

تقول المرأة الصينية عن نفسها " انا انسان " كما يقول الرجل بلا تمييز لفظي يعرف به الجنس . فاذا أُريد التمييز أُضيف الى كلمة " انسان " اداة تفرق بين الذكر والانثى . ومن أقدم الاشارات الى المرأة في آداب الصينيين ما ورد في قصيدة قديمة من انهُ اذا ولدت بنت وجب ان تضجع على الارض دلالة على الذل والخضوع وتعطى قطعة لبن لتلعب بها دلالة على ثقل الحمل الذي ستضطر يوماً ما الى حملهِ ولا تفكر في شيء سوى طبخ الطعام ومعالجتهِ وتخفيف كرب المعيشة عن والديها

هذه اشارة الى الاوامر والنواهي التي سنت للمرأة الصينية منذ ثلاثة آلاف سنة لتسير بموجبها . وجاء في كتاب آخر احدث عهداً من القصيدة المشار اليها اي منذ الفي سنة انهُ لا يجوز للرجال والنساء ان يجلسوا معاً ولا ان يتداولوا سرجاً واحداً ولا منشفة واحدة ولا مشطاً واحداً ولا شيئاً آخر غيرها لئلا تتلامس الايدي . واذا ارادت المرأة ان تناول الرجل شيئاً وجب ان تضعهُ في سلة وهو يأخذهُ منها وهكذا اذا رام هو ان يناولها شيئاً . ولا يجوز لاخوة بنت مخطوبة ان يجلسوا على حصيرة واحدة معها ولا ان يأكلوا من القصعة التي تأكل منها . وكان من الامور المخالفة للآداب العمومية عندهم ان تقف المرأة في المركبة لان الوقوف فيها من امتيازات الرجل ولكن احد الشراح قال في تعليل ذلك ان المرأة نحيفة البناء فلا تستطيع الوقوف خلافاً للرجل . وكانت المرأة تجلس الى يسار السائق اي قرب اليد التي يمسك بها اعنة الخيل وذلك خشية ان يطوق خصرها بذراعهِ اذا جلست عن يمينهِ

وكانوا يقسمون حياة المرأة الى ثلاثة اطوار يسمونها اطوار " الطاعات الثلاث " ففي الطاعة الاولى وهو طور الشباب يحتم عليها ان تطيع اباها واخاها الاكبر . وفي طور الطاعة

الثانية وهو طور الزواج تلزم بطاعة زوجها . وفي الطاعة الثالثة وهو طور الترمُّل تلزم بطاعة ابنها

ويجب عليها ان تعقص شعرها متى بلغت الخامسة عشرة وان تتزوج متى بلغت العشرين ووالداها يختاران لها زوجاً بمساعدة سمسار . وعليهِ جاء في بعض القصائد القديمة ما ترجمتهُ

الفأس آلة من بغى قطعَ الوقودِ من الحطبْ
وكذلك السمسار آ لةُ من تزوَّج او خطبْ

ومتى دخلت بيت زوجها وانتظمت في سلك اهلهِ وسميت باسمهِ وجب ان تخدم والديهِ وتبذل من الغيرة في خدمتهما مثلما كانت تبذلهُ في خدمة والديها . فتنهض صياح الديك وتأتيهما بماء سخن ومنشفتين وتضعها عند سريريهما

ومن الرجال خمسة اصناف يحرَّم على المرأة التزوج منها — ابن عائلة عاصية . وابن عائلة عُرفت بخرق حرمة الآداب . ورجل حكم عليهِ لجرم ارتكبهُ . ورجل مصاب بداء عياء . والابن الاكبر الذي فقد اباهُ ويشترط ان يكون الابن في سنٍ يمكنهُ من الزواج في حياة ابيهِ

ويجوز للرجل ان يطلّق امرأتهُ لسبب من سبعة اسباب . وهي سوء تصرُّفها مع حميها وحماتها والعقم والزنى والحسد والاصابة بداء عياء والثرثرة والسرقة . الاَّ اذا لم يكن لها منزل تأوي اليهِ . او كانت قد لبست الحداد مرتين كلَّ مرة ثلاث سنوات على حمٍ او حماة . او كان زوجها فقيراً فاصبح غنيًّا معها

وكانت المرأة المتزوجة تسمَّى " فو " ومعناها خضوع دلالة خضوعها لزوجها . ولكن منزلتها ارتفعت بعد ذلك بدليل ما ورد في كتاب نشر في القرن الاول بعد المسيح من ان المرأة المتزوجة تسمَّى " تشي " اي مساواة دلالة مساواتها لزوجها

والزوج من الارقام في اللغة الصينية مذكَّر والفرد مؤنث . وعندهم ان الرقم سبعة راس الاعداد المؤنثة لانهُ يتضمَّن من علامات التأنيث اكثر مما يتضمنهُ سائر الارقام ومن علامات التذكير اقلَّ منها . وقد ورد في كتاب طبٍّ قديم عندهم ان البنت تبدأ بالتسنين في الشهر السابع من عمرها وتسقط اسنان الحليب متى بلغت السنة السابعة وتبلغ في الرابعة عشرة . ويطلع لها ضرس العقل في الحادية والعشرين . وتتصلب عظامها ويكون شعرها على اطولهِ وجسمها على اشدّهِ في الثامنة والعشرين . ويأخذ لون وجهها يحول وشعرها يسقط في الخامسة والثلاثين . ويتغضن وجهها وتزول نضارتهُ ويأخذ شعرها يبيضُّ في الثانية والاربعين . ويبدأ طور اليأس والشيخوخة في التاسعة والاربعين وكل ذلك من مضاريب الرقم ٧

واقدم الكتب الصينية المنوطة بالنساء كتاب الفتة امرأة في القرن الاول للمسيح وسمتهُ

"نصائح للنساء" . ومن نصائحها لهنَّ قولها "كنَّ خاضعات محتشمات وقدّمن الغير على انفسكنَّ ولا تفخرنَ بما تصبن من النجاح ولا تعتذرن عن قصوركنَّ . واحتملن الاهانة واغضين عن الذمّ والشتم وكنَّ دائماً كمن في خوف ورعدة . والواجب على الزوجة ان تكون صدى زوجها واتبع لهُ من ظلهِ

" ولقوى المرأة اربعة مسالك تنصرف فيها وهي السلوك والكلام والمنظر والواجبات . فالسلوك الحسن لا يقتضي عقلاً فائقاً . والكلام الحسن لا يستلزم لساناً زلقاً وبداهة شديدة . والمنظر الحسن لا يستلزم جمالاً رائعاً . وحسن القيام بالواجبات لا يستوجب خفة في اليد . بل ان السلوك الحسن يقوم بالبساطة والطهر والحياء واللياقة . والكلام الحسن باختيار الالفاظ الرقيقة واجتناب البذيئة والحديث الملائم الموجز . والجمال الصحيح بنظافة اللباس ونظافة البدن . والواجبات الصحيحة بالانكباب على الغزل والحياكة بلا ضحك ولا لعب والاهتمام بتدبير ما يلزم من الطعام والشراب

" هذه هي المسالك التي يجب ان تنصرف قوى المرأة فيها . فلا تهملها ولا تستصعبها اذا كانت ذات عزم وهمة . فقد قال احد الفلاسفة القدماء هل الصلاح بعيد عني يا ترى اني اتمنى الصلاح وها هو امامي "

وفي القرن السادس من التاريخ المسيحي قام عالم صينيّ فصنف كتاب "وصايا للعائلات" جاء فيهِ قولهُ " لتهتم الزوجة بطبخ الطعام وتدبير الشراب واللباس . ولا تتعرض لشؤون الحكومة ولا لشؤون العائلة . فاذا كانت حاذقة مطلعة على العادات القديمة والحديثة فلتساعد زوجها ولتسدَّ نقصهُ . ولتحذر ان تملأ الكون صياحاً عند الفجر كصياح الديك فان ذلك يجرُّ النكد والغمة "

وفي اواخر القرن الثامن واوائل التاسع عاش خمس اخوات اشتهرن بالحذق والذكاء فحرّمن الزواج علي انفسهنَّ ووقفن عمرهنَّ على الدرس والمطالعة فالفت كبراهنَّ كتاباً موضوعهُ " احاديث مع البنات " على نسق احاديث كنفوشيوس . وهاك مثالاً منهُ تخاطب المؤلفة فيهِ البنت

" اذا مشيتِ فلا تلتفتي الى الوراء . واذا تكلمتِ فلا تفغري فاكِ . واذا جلستِ فلا تهزي ركبتيك واذا وقفتِ فلا تحركي ذيل ثوبكِ . واذا مررتِ فلا تقهقهي في ضحكك . واذا غضبتِ فلا تصيحي . ولا تطلي من فوق السور . ولا تخرجي الى ساحة الدار الخارجية . واذا خرجت من المنزل فتبرقعي . واذا لصتِ فخبئي جسمك . ولا تحدثي رجلاً من غير اهلك "

وهاك نبذة من كتاب الفهُ كاتب بين القرن السابع والعاشر قال

" يعلمنا كتاب لن يو ان النساء والخادمات صعبات المراس لانك اذا تعرفت بهنَّ وصادقتهنَّ لم يحترمنك واذا كنت غريباً عنهنَّ اوسعناك ذمًّا وطعناً . ويخبرنا كتاب التاريخ ان صياح الدجاجة في مطلع الفجر يورث العائلة الخراب والدمار . ويقول كتاب آخر ان مهمة المرأة العظمى تدبير الطعام . فان دوق واي ترك امرأتهُ وشأنها فجرَّت عليهِ الوبال وعرَّضت سلامة البلاد للاخطار . وكان الامبراطور كاوتسو يخاف زوجتهُ فكانت النتيجة فتناً وثورات كادت تودي بالدولة . واستسلم الامبراطور وان تي لزوجتهِ فدالت دولتهُ . وكلف الامبراطور كاوتسنغ بجمال ووتشاو ففقد سلطانهُ . فاذا كان كبار الحكام يفعلون اشباه هذه الامور فاي شيء لا تفعلهُ الرعية اللابسة الثياب القطنية

"اما الزوج الذي بات اسير جمال زوجتهِ او حديثها الفتان فينحط حتى يصير عبداً ذليلاً لها لا يرجى لان سلطتها تزيد وسلطتهُ تنقص فيمسي كأنهُ مكموم بكمامة لا يستطيع نطقاً او كأن في راسهِ رسناً فتتولى قيادتهُ كما تشاء وتهوى او كأنهُ موثق بالاغلال لا يأتي حراكاً . فاذا قضت ان يكون منافقاً مقصرًا عديم الولاء واللطف وجب عليهِ طاعتها واذا امرتهُ ان يفعل الامور التي ينفر ادنى الناس منها حتى الكلاب والخنازير فلا مانع لهُ من امرها ولا عاصم . واذا امرتهُ ان يقتل احد الناس او يقتل نفسهُ فلا يخشَ سوى الابطاء في اعداد السلاح لاجراء امرها . واذا لعنتهُ واهانتهُ فليتلقَّ ذلك بالابتسام واذا ضربتهُ بكلِّ قوتها فليعترف بذنبهِ طالما اخطأ اليها وجب ان يركع على ركبتيهِ طالباً صفحها وغفرانها . . . . . "

وقام في القرن الحادي عشر مؤرخ فألف كتاباً في سلوك العائلة وأطال في الكلام على سلوك الكنَّة فقال ان الواجب عليها ان تخدم حماها وحماتها على المائدة وفي غرفة النوم وان تحترمهما كل الاحترام وتجيب على اسئلتهما بصوت خافت وان تسندهما حين يخرجان للنزهة ولا يجوز لها ان تبصق او تصرخ في حضرتهما او تقعد او تترك الغرفة ما لم يسمحا لها بذلك

وجاء في كتاب آخر كتب في القرن الثاني عشر ما يأتي " قال بعضهم ان المرأة تزين العائلة التي تنضمُّ اليها او تشينها . فاذا تزوج رجل امرأة لمال وجاه ينالها منها نال المال والجاه ولكن زوجتهُ تعدهُ رخيصاً وتحتقر ابويهِ ويشتدُّ الكبر والحسد فيها وهذا شرٌّ ما يمكن الوصول اليهِ . ولعمري كيف يطيق الحرُّ ان يصير غنيًّا بمال زوجتهِ او يرتقي الى المناصب السامية بجاهها وسطوتها "

وقال آخر " انهُ يجدر بالرجل الذي لهُ ابنة ان يزوجها من شابٍّ مقامهُ ارفع من مقامها

قليلاً لانهُ اذا فعل ذلك اتمت ما عليها من الواجبات بجدّ وعناية وكذلك يجدر بالرجل الذي لهُ ابن لن يزوجهُ فتاة مقامها ادنى من مقامهِ قليلاً لانهُ اذا فعل ذلك خدمت والدي زوجها كما يليق بالزوجة "

وفي الكتب الصينية من التصريح القبيح بالنساء ما يملأ مجلداً ضخماً وهذا مثال منهُ : —

" في كلّ عشر نساء تسع حسودات

اذا كانت المرأة فتيَّة فهي إلاهة واذا شاخت مُسخت قرداً

ثلاثة اعشار جمال النساء جمال حقيقي والسبعة الاعشار الباقية في اللباس

لا يعدُّ ناب الافعي وحمة الزنبور شيئاً في جنب السم الذي في قلب المرأة

صلاح المرأة مثل شجاعة الجبان

قد ترتقي المرأة الى المناصب الرفيعة ولكنها لا تزال امرأة

لا يجوز للنساء ان يتعرضن لشؤون الحكومة "

على ان في هذه الكتب اشارات كثيرة الى فضل النساء وتقواهنَّ ونكران انفسهنَّ وما سوى ذلك من الفضائل والمكرمات . ففيها ذكر ٤٠٠ امرأة اشتهرن بالصلاح . حكي ان فتى توفيت امهُ فكتب لها تأبيناً طويلاً وكان ابوهُ قد توفي قبلها فلم يحفل بهِ فلما سئل في ذلك أجاب ان الرجل يستطيع ان يشهر فضائلهُ باعمالهِ . اما فضائل المرأة فتبقى مكتومة الى الابد الاَّ اذا أُعلنت في تابينها بعد موتها . وحكي ان امرأة كانت تتفرج ذات يوم على ما في خزائن ابنها من الاموال فالتفتت اليهِ وقالت ان اباك تولى مناصب رفيعة في العاصمة والولايات مدة سنين كثيرة ولم يجمع مالاً قدر ما أرى هنا . وهذا دليل على انك ادنى منهُ كثيراً

وفيها ذكر ٧٧٥ امرأة اشتهرن بالبر باولادهنَّ و ٤٧٥ امرأة اشتهرن بانكار النفس وفعل الواجب . يحكى ان جندياً قتل في معركة فأرسل القائد الاكبر ضابطاً الى امهِ ليعزيها عن فقدهِ فاجابتهُ قائلة ان اسرتنا مؤلفة من ٣٠٠ نفس طالما تنعموا بما أُغدق عليهم من النعم والخيرات الامبراطورية فلو أُبيدوا عن آخرهم ما كفى ذلك لايفاء التعطف الذي شملنا حتى الآن اذاً افتأبى على ملكنا واحداً منا

وفيها ذكر ٦٠٠ امرأة فضلن الموت على العار و ٣٠٠ امرأة حكيمة و ٥١٠ اكثرهنَّ شاعرات . ومن الشاعرات امرأة هجرها زوجها وتعلق بحظيَّة لهُ . فحاكت منديلاً يحتوي على ٨٤١ حرفاً صينياً ٢٩ حرفاً على كلّ جانب بالوان حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء وارجوانية تستوي قراءتها طرداً وعكساً ومن ايّ الجهات بدأت بحيث يجتمع من ذلك مئتا بيت من

الشعر الصيني على غاية الدقة في النظم وكلّها شكوى ممّا نالها من الضيم والظلم على اثر فراق زوجها لها . ولما اتتها ارسلتها اليهِ فلم يلبث ان هجر حظيتهُ وعاد الى امرأتهِ نادماً على ما فعل وأعاد لها مكانتها الاولى

وكذلك ذكر النساء اللواتي اشتهرن بعمل من الاعمال مثل اللواتي لبسن ملابس الرجال وخضن ميادين القتال واشتهرن بالصيد والفروسية او قمن من الاموات وصعدن الى السماء او دفنّ حيات او كان لهنّ اولاد كثيرون والمشوهات الخلقة والخنثات واللواتي عرفن بجمالهنّ الرائع . منهنّ فتاة تزوجها امبراطور من امبراطوري الصين حكم في القرن الثاني للمسيح وهاك ما وصفها بهِ الواصفون قالوا

" ذات محيّا بهاؤهُ كالسحاب الذي تنعكس عنهُ اشعة الشمس او كالثلج يفيض بشراً وحبوراً حتى لا يسع الناظر اليها ان يحدق بصرهِ فيها وعيناها مثل الامواج المتلألئة وفمها وردي واسنانها مضيئة واذناها طويلتان وانفها مخرف الرأس . وشعرها الاسود مضيء كالمرآة . وجلدها لامع ناعم . وفيها من الدم ما يكفي ليصبغ شحمها . ومن الشحم ما يكفي ليزين لحمها ومن اللحم ما يكفي ليغطي عظمها . طولها خمس اقدام[1] واربع عقد . وعرض منكبيها قدم و $\frac{2}{5}$ ٢ العقدة . وعرض وركيها $\frac{7}{10}$ ١١ العقدة . ومن كتفها الى اصابعها قدمان و $\frac{3}{10}$ العقدة وطول اصابعها $\frac{3}{5}$ ٣ العقدة وهي مثل قضب الخيزران . وعيناها مثل فلقتي اللوز . واسنانها كالصدف . وحاجباها كحاجبي فراشة القز . وخصرها كغصون الصفصاف . وشفتاها كالكرز"

وقد نظم شاعر صيني عشرة ابيات يصف بها معشوقتهُ في عشر حالات في المشي والجلوس والشرب والغناء والكتابة والمقامرة والبكاء والضحك والنوم واللبس فقال " فاذا مشت فمشيها كالشعر نظماً . او جلست فعلى اتمّ الرزانة والوقار . او شربت فالخمر تزيد عينيها رونقاً وصفاء . او غنّت تحوّل سواد السحاب بياضاً . او كتبت فانما تكتب عن القمري والحمام . او قامرت فانها تبتسم للخسارة . او بكت فبكاؤها ساعة الفراق . او ضحكت فبنغمات ذهبية . او نامت فكأنها الزنبق الشذي . او لبست زججت حاجبيها فصارا كحاجبي فراشة القز " انتهى

نقول وان العربي ليقرأ وصف هذا الشاعر ويغرب في الضحك لما يرى فيهِ من بعض اوجه الشبه المستهجنة ويقول في نفسهِ شتانَ بينهُ وبين غزل الشاعر العربي حيث يقول

فاذا شدا واذا رنا واذا سرى واذا سفرْ
فضح الحمامة والغزا لة والغمامة والقمرْ

(١) القياسات المذكورة هنا انكليزية محوّلة عن الصينية

حديث المائدة

انتقدت كاتبة انكليزية شهيرة حديث المائدة في انكلترا فقالت ان من اعظم عيوبهِ حصرهُ في موضوع واحد مثل القضاء ومجلس النواب والتصوير وماشاكل من المواضيع الخصوصية المملة الى ان قالت

وللفرنسويين عادات خاصة في الحديث على المائدة · فاذا اجتمع منهم ثمانية انفس او عشرة حول مائدة واحدة كان الحديث عامًا لهم مشتركاً بينهم حتى اذا حاول احدهم ان يحدث جارهُ في موضوع خصوصي على انفراد لم يستطع ذلك . فالحديث العمومي عندهم قسم من الغذاء كالخبز والملح والخمر يتناول الكلُّ منهُ ويتجاذبون اطرافهُ على السواء . واذا تناولت الطعام على احقر المآدب سمعت من الحديث المطرب ما تسرُّ بهِ النفوس وتبتهج القلوب . وكلُّ نكتة تقال يتداولها الجلوس حول المائدة كلهم . والفرنسويون يحبون اتقان الكلام و يعدُّون لغتهم اجمل اللغات واطوعها للاحاديث العمومية وهم مصيبون في ذلك. فتراهم يعنون باتقان الالفاظ والتلاعب بها بظرف ورشاقة · وعندي ان لحسن الحديث على المائدة قاعدتين : —

الاولى ان يهتم المحدث بما يقول

الثانية ان يحسن الكلام اي ان يكون كلامهُ واضح اللفظ حسن الوقع

تعليم البنات الكلام

وكتبت سيدة اخرى مقالة في تعليم البنات الكلام فقالت كانت البنت منذ عشر سنوات او نحو ذلك اذا لزمت الصمت فانما تفعل ذلك عن حياء سببهُ اهتمامها بمراعاة آداب اللياقة والحشمة فكان ذلك يشغلها عن سائر الامور · اما الآن فقد تبدلت الحال وصارت البنت تلميذة المدرسة تلزم السكوت اما عن ترفعها عما حولها واما عن عدم استطاعتها للاخذ والعطاء في المواضيع التي يحوم الكلام عليها

ولا ريب ان كثيرًا من عيوب البنت مرجعهُ الى اهمال الام . فقد سمعت بنتًا تقول " ان امي توصيني بمحادثة الناس ولكن اذا لم يكن للناس حديث الاَّ الناس فلا ادري ماذا اقول " . فبنت مثل هذه في حاجة الى امٍ اعقل من امها تمرّنها على الحديث كلَّ يوم . فان البنات كثيرًا ما يمتنعن عن الكلام لا عن قلة مادتهنَّ بل عن عجز في التعبير عن افكارهنَّ ولذلك تراهنَّ جالسات في المجالس يسمعن ما يقال واعينهنَّ تتلألأُ واسرتهن تبرق دلالة على

انهن يعلمن كثيرًا عما يقال ولكن افواههنَّ مكمومة والسنتهنَّ معقودة لانهنَّ لم يعتدن الكلام واستعمال الالفاظ الواجب استعمالها

ولست أُريد بهذا تجرئة البنات على الثرثرة والقول الهراء . فان من قواعد الحديث ان يعرف الانسان متى لا يجوز لهُ ان يتكلم . وكثيرًا ما منع الناس الخير عن انفسهم لانهم لم يقولوا الكلمة الواجبة في الساعة الواجبة

حفظ الفضيات وتنظيفها

اذا اريد حفظ الادوات الفضية من غير استعمال فلفها بورق صقيل متين مما لا ينفذهُ النور والهواء لان النور والهواء يسوّدان الفضة . واذا كمدت الفضة فافركها بماء سخن اضيف اليهِ قليل من الامونيا ولا تفركها بالفلانلاَّ ولا بالقطن بل بجلد ناعم خاص بذلك

فوائد منزلية

اذا ذرَّ قليل من الملح على البن قبل عمل القهوة منهُ على الطريقة الاوربية زادت نكهة القهوة

الشاي للمرضى يجب ان يصنع باللبن بدل الماء فيكون مغذيًا طيب الطعم

صفار البيض يقيم يومًا او يومين من غير ان يفسد اذا وضع في غرفة باردة قليلة النور

اذا اضيف قليل من السكر الى الماء الذين تسلق فيهِ الخضر جاد طعمها

لحم العجل يحتاج الى زمن اطول مما يحتاج اليهِ لحم الثور لكي ينضج مثلهُ

غراء قريب الاستعمال

كثيرًا ما تحتاج ربة البيت الى الغراء فلا تجدهُ ذائبًا وتستصعب تذويبهُ حالاً . و يسهل تحضير الغراء الذائب هكذا : يكسر لوح الغراء قطعًا صغيرة توضع في قنينة و يصب عليها قليل من الوسكي او الكنياك وتسد القنينة جيدًا وتترك بضعة ايام فيذوب الغراء في الوسكي او الكنياك ويصير صالحًا للاستعمال حينما يراد استعمالهُ

دواء الصداع

اذا اشتدَّ الصداع فبلَّ منشفة بالخل السخن والماء وضعها على الجبهة وهي سخنة قدر ما تحتمل الجبهة سخونتها . او امسح الجبين والنقرة بماء سخن اضيف اليهِ قليل من ماء كولونيا . ويحسن بمن اصيب بالصداع ان يشرب فنجانًا من الشاي السخن جدًا بعد ان يعصر فيهِ قليلاً من الليمون الحامض

البورق والامونيا

لا بدَّ لكل ربة بيت من البورق والامونيا لتنظيف ما لا يحسن تنظيفهُ بالماء والصابون فالبورق يستعمل لتنظيف ادق انواع الدنتلا وذلك بان يذاب قليل منهُ في الماء ويضاف اليهِ قليل من الصابون وتنقع المنسوجات الرقيقة فيهِ فيزول الوسخ عنها بقليل من الفرك

وكذلك اذا اضيف قليل من مذوب البورق الى الماء والصابون الذي تغسل بهِ الملاعق والشوك ونحوها من الادوات الفضيَّة زاد لمعانها لمعاناً . وفرشاة الشعر تنظف بمذوب البورق ويجب ان لا يلمس الماء ظهر الفرشاة ويكون الماء فاترًا قليلاً ثم تغسل بماء ابرد منهُ ثم بماء بارد

ويصنع مذوَّب البورق هكذا : اغلِ رطلين من الماء واضف اليهما اربع ملاعق من مسحوق البورق وحينما يذوب البورق صب الماء في القناني وسدَّها جيدًا الى حين الاستعمال واذا زاد البورق عن ذلك فلا فائدة من الزيادة لانها تتبلور في القناني

والامونيا افعل من البورق ولذلك تستعمل لتنظيف ما يزيد وسخهُ من المنسوجات وغيرها ولكن لا يجوز استعمالها لشيءٍ مدهون بدهان . وتستعمل الامونيا لازالة فعل الحوامض اذا انصبت على الرخام او على الثياب . واذا اضيف قليل منها الى الماء الذي تنظف بهِ البسط او الاقمشة السوداء زاد لمعانها كثيرًا

تاريخ العام الماضي

سنة ١٩٠٤

يناير

(١) حرّرت بنود معاهدة للتحكيم بين بريطانيا العظمى وايطاليا

(٢) طلبت الدولة العلية من ايطاليا تعيين جنرال ايطالي لقيادة الجندرمة المكدونية فاجابتها الى طلبها وعينت الجنرال دي جورجس

(٣) توفيت البرنسس متيلدا بونابرت ابنة اخي الامبراطور نبوليون بونابرت الشهير

(٦) وصل المنبهي وزير حربية المغرب الاقصى الى الاسكندرية

(٢١) احتفل بفتح المستشفى الانكليزي الاميركي

(٢٣) شبت نار هائلة في مدينة آلسند بنروج فاحرقتها كلها
(٢٦) احترقت مكتبة تورين الشهيرة وذهب كثير من الكتب الثمينة طعم النار
وفي هذا الشهر زارت برنسس باتنبرج القطر المصري

فبراير

(٨) شهرت الحرب بين روسيا واليابان
(٩) حدثت معركة بحرية بين الفريقين امام بورت آرثر خسر الروس فيها. وحدثت معركة اخرى في مياه شمولبو (كوريا) فخسر الروس فيها الطرّاد فارياق والمدفعية كوريتز
(١٦) وصل المستر تشمبرلن وقرينتهُ القاهرة قادمين من انكلترا
(٢٢) اجتمعت الجمعية العمومية
(٢٤) هاجم اليابانيون بورت آرثر مرة اخرى
(٢٦) احتفل بعيد الاضحى
(٢٨) وصلت ميناء السويس سبع مدرعات روسية قاصدة روسيا
وفي اواسط هذا الشهر ظهر الطاعون البقري ووهب السر ارنست كاسل هبتهُ المشهورة لمعالجة الرمد

مارس

(١) توفي السر جون سكوت مستشار الحقانية السابق في الحكومة المصرية
(٢) نزل ٦٠ الف ياباني الى ساحل كوريا الشرقي
(٥) توفي الكونت فون والدرسي الالماني الذي كان قائدًا لجيوش الدول المتحدة في ثورة البوكسر في الصين
عين المستر فنسنت كوربت العضو الانكليزي في صندوق الدين مستشارًا للمالية مكان السر الدن غورست
(٦) نزل مئة الف ياباني الى كوريا
(١٢) سافر الجنرال كوروبتكين من بطرسبرج الى ساحة الحرب
(١٧) توفي دوق كمبردج ابن عم الملكة فكتوريا
احتفل بكشف الستار عن تمثال المرحوم ماريت باشا
(٢٢) احتلَّ اليابانيون انجو وبنغ بنغ

ابريل

(١) عادت السفينة دسكفري الى نيوزيلندا بعد ما قضت مدة ترود الاصقاع المتجمدة الجنوبية قصد الاكتشاف

(٨) أُمضي الاتفاق الانكليزي الفرنسوي في لندن

(٩) أُمضي الاتفاق بين الدولة العلية والبلغار في الاستانة

توفيت الملكة ايزابلا ملكة اسبانيا السابقة

(١٢) نشرت صورة الاتفاق الانكليزي الفرنسوي وتقرير اللورد كرومر

(١٣) غرقت البارجة بتروباولسك الروسية وغرق فيها الاميرال مكاروف والمصور فرستشاجن الروسي

(١٤) عيّن الاميرال سكريدلوف خلفاً للاميرال مكاروف

(١٦) توفي الدكتور صموئيل صميلس مؤلف كتاب سرّ النجاح

(٢٠) أُدب سمو الخديوي مادبة في سراي عابدين اكراماً للسر الدن غورست

(٢١) ادبت مادبة في فندق سافوى اكراماً للسر الدن غورست برئاسة رئيس النظار

(٢٣) زار رئيس الجمهورية الفرنسوية رومية

(٣٠) فتح معرض سنت لويس في الولايات المتحدة الاميركية احتفالاً بمرور مئة سنة على شراء اميركا لولاية لويزيانا من فرنسا

مايو

(١) انتصر اليابانيون على الروس عند نهر يالو

(٢) سافر سمو الخديوي الى الاسكندرية

(٣) تمَّ عقد الاتفاق بين فرنسا والولايات المتحدة الاميركية على بيع الاولى حقوق شركة بناما وممتلكاتها للثانية وأُمضيت اوراق البيع

(٥) نشرت خلاصة تقرير الدكتور كوخ عن الطاعون البقري في القطر المصري

(١٠) توفي السر هنري ستنلي الرحالة الافريقي

(١٤) احتفل باستقبال المحمل في العاصمة

(٢١) استدعت الحكومة الفرنسوية سفيرها في الفاتكان

(٢٦) نشرت الحكومة الفرنسوية كتاباً اصفر عن اتفاق انكلترا وفرنسا على المغرب الاقصى ومصر وغيرها

(٢٨) احتفل بالمولد النبوي

يونيو

(٣) احتفل بكشف الستار عن تمثال نوبار باشا في الاسكندرية
(٨) سافر الخديوي الى اوربا
(١٤) احتفل بمترجم الالياذة
(١٥) احترقت باخرة في ميناء نيويورك فمات نحو الف راكب من ركابها حرقاً وغرقاً
(٢٣) حدثت معركة بحرية بين الاسطول الياباني والاسطول الروسي الذي في بورت آرثر كان النصر فيها لليابان
وفي اواخره احتفل بتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية بالاسكندرية

يوليو

(١٤) توفي كروجر رئيس جمهورية الترنسفال
(٢٨) قتل المسيو دي بلاف ناظر داخلية روسيا

اوغسطس

(٣) بلغت حملة تيبت مدينة لاسّا
(١٠) توفي المسيو ولدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية السابق
خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر فالتقاهُ الاسطول الياباني وجرت معركة انتصر الاسطول الياباني فيها وتفرقت بوارج الاسطول الروسي
(١١) ولدت القيصرة ابناً وليّاً للعهد فسمي الكسيس
(١٣) احتفل بمولد الخديوي
(٢٧) احتفل بفتح الخليج ووفاء النيل

سبتمبر

(٢) ارتدَّ الجيش الروسي كلهُ امام الجيش الياباني بعد معركة لياويانغ
(٤) استولى اليابانيون على لياويانغ
(٩) وصلت الباخرة دسكفري الى بورتسموث في انكلترا
(١٥) ولدت ملكة ايطاليا ابناً وليّاً للعهد
(٢٣) اشتدَّ ثوران بركان يزوف اشتداداً لم يسبق لهُ مثيل في العشر سنوات الماضية
(٢٥) تمَّ مدُّ سكة الحديد حول بحيرة بيكال

اكتوبر

(١) توفي السر وليم هاركورت من كبار زعماء الاحرار في انكلترا

(٨) عاد سمو الخديدي الى الاسكندرية بعد قضاء فصل الصيف في اوربا وزيارة الاستانة

(١٣) انتصر اليابانيون على الروس حول ينتاي فارتدَّ الروس الى مكدن

(١٥) توفي ملك سكسونيا

(٢٢) اطلق الاسطول الروسي الذي سافر من بحر البلطيك مدافعهُ على قوارب الصيادين الانكليز لانها بانت لهُ كقوارب طربيد

(٢٥) عين الجنرال كوروبتكين قائدًا عامًّا للجيش الروسي في منشوريا

نوفمبر

(٣) وصل الاميرال روجستفنسكي قائد اسطول البلطيك الى طنجة

(٨) قدم سمو الخديوي العاصمة من الاسكندرية
بدأ شهر رمضان

(٩) استعرضت الجنود الانكليزية بحضور الخديوي احتفالاً بعيد ملك الانكليز

(١١) وصل الاميرال الكسيف الى بطرسبرج عائدًا من الشرق الاقصى

(١٩) عقد نواب بلدان الامبراطورية في روسيا جلسة طلبوا فيها انشاء قانون اساسي ومجلس شورى انتخابي وحرية الدين والصحافة والخطابة والتعليم

(٢٦) وصل الاسطول الروسي الى السويس
وفيهِ احتفل بدفن نجران باشا

دسمبر

(١) استولى اليابانيون على حصن "تل ٢٠٣ امتار" من حصون بورت ارثر

(٧) تعطلت البوارج الروسية الباقية في بورت آرثر بقنابل اليابانيين

(٨) اول عيد الفطر

(١٢) توفي محمود باشا سامي البارودي

(١٩) توفي احمد باشا المنشاوي الغني المحسن الشهير

———



كتاب الاطيان والضرائب

نشر الآن كتاب الاطيان والضرائب الذي لا غنى عنهُ لمالك من اصحاب الاطيان في هذا القطر ولكل من يريد الاطلاع على احوالهِ المعاشية وعلاقة بلاد السودان بهِ وقد تساهل حضرة مؤلفهِ الفاضل جرجس بك حنين احد مديري الاموال المقررة في نظارة المالية فجعل ثمنهُ خمسين غرشاً لا غير وهو ثمن بخس جداً بالنسبة الى حجم الكتاب وما اقتضاهُ جمعهُ وطبعهُ من النفقات الطائلة فان فيهِ ٧٢٠ صفحة بقطع المقتطف وحرفهِ عدا المقدمة وفهرسين كبيرين احدهما حسب ابواب الكتاب والاخر مرتب على حروف المعجم. وهو مطبوع في مطبعة بولاق الاميرية علي ورق جيد متين . اما مواضيعهُ وكيفية البحث فيها فقد ابناها في الجزء الماضي في ما كتبناهُ عنهُ ونقلناهُ منهُ وسنعود الى نقل بعض فوائدهِ في الاجزاء التالية

الخواطر العراب
في النحو والاعراب

تأليف الاستاذ جبر ضومط استاذ اللغة العربيَّة في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت

لا مشاحة في ان ايمة العربية عنوا بلغتهم وجمعوا قواعدها منذ مئات من السنين والاسلوب الذي جرى عليهِ ابن الحاجب وابن مالك والسكاكي وغيرهم من النحاة والبيانيين كافل بتعليم قواعد النحو والبيان كما تعلمنا نحن وتعلَّم اسلافنا وكما لا يزال كثيرون يتعلمون ولكن كان ذلك حين كان الطالب يتعلَّم لغتهُ لا غير وكان تعليم قواعد اللغة مقصوراً على بعض الخاصَّة او الذين يتفرغون للعلوم اللغوية حتى لقد كان الواحد يقضي بضع سنوات في درس علوم اللغة اما الآن وقد كثرت المطالب واشتدَّت المزاحمة وعلمت الاساليب التي تتقوى بها قوى العقل وتحصل لها ملكات العلم باقل ما يكون من التعب فلا بدَّ من تنسيق قواعد اللغة على اساليب جديدة بحيث يسهل تناولها كلها في اقصر ما يكون من الزمن ولا بدَّ ايضاً من جمع كل ما

هو ضروري منها حتى يغني عن الرجوع الى المطولات المملَّة . وهذا قد فعلهُ الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط فجمع قواعد النحو والاعراب وشواردها في هذا الكتاب كما جمع قواعد المعاني والبيان في كتاب الخواطر الحسان

وقد اشرنا الى كتاب الخواطر العراب غير مرة ونقلنا منهُ فصلاً في العام الماضي وفصلاً آخر في هذا الجزء ففي الفصل الاول شيء من القواعد العمومية التي تذكر في كل كتب النحو كاحكام المعربات والتنوين وعائد الموصول . وفي الفصل الثاني المنشور في هذا الجزء فوائد كثيرة يحتاج اليها الكتَّاب ولا توجد الاَّ في المطوَّلات . والكتاب كلهُ على هذا النسق فتجد قواعد النحو مبسوطة فيهِ بسطاً يفهمهُ كل طالب ومشفوعة بالامثلة والتمارين وتجد فيهِ الفوائد والتدقيقات التي لا توجد في غير المطوَّلات . ومن مزاياهُ ايضاً انهُ لم يكتفِ مؤلفهُ بذكر الامثلة المتعارفة التي اقتصر النحاة على ذكرها في كتبهم بل ذكر ايضاً امثلة اخرى مألوفة مما يستعمل في مكالمات الناس ومكاتباتهم لهذا العهد كما ان ائمة النحو مثلوا بما كان يستعمل في عصرهم

ومنها انهُ دخل في علم اللغة عينهِ (فيلولوجيا) فبين اصل بعض الكلمات والادوات ايضاحاً لمعناها فرجح مثلاً ان اصل حتى الى حد وقال ان هذا هو السبب في دلالتها او تضمنها انتهاء الغاية ولم يحتم بصحة ما ذكرهُ من هذا القبيل ولكنهُ فتح بهِ باباً واسعاً للطالب لكي يستعمل عقلهُ في التعليل والتأويل فيصير يحسب اللغة علماً طبيعياً معقولاً لا علماً منقولاً محتوماً فقط . ولذلك كلهِ نودُّ ان يجرب كل ارباب المدارس تدريس هذا الكتاب لطلبة علم النحو ويقيننا انهم يجدونهُ اوفى من غيرهِ بالمراد

وقد أُهدي الكتاب الى حضرة استاذنا العالم الفاضل الدكتور جورج بوست وطبع في المطبعة الادبية في بيروت

هذا ونقترح على حضرة المؤلف ان يلحقهُ بفهرس شامل مرتب على حروف المعجم يُستدلُّ بهِ على كل قاعدة من قواعدهِ وكل فائدة من فوائدهِ تسهيلاً للمراجعة

كتاب المسؤولية المدنية

كما رحَّب المالكون في هذا القطر بكتاب الاطيان والضرائب يرحبون بكتاب المسؤولية المدنية هم وسائر سكان القطر لان الحقوق المدنية كثيرة وتجدها متفرقة في كتب واحكام شتى يتعذَّر الوصول اليها . ولقد احسن حضرة المحامي الفاضل نجيب افندي شقرا في جمعها وتبويبها في كتاب مختصر وسنترك الى علماء القانون البحث في ما جمعهُ منها وكفاءتهِ وذكر

الاقوال الراجحة والمرجوحة ونكتفي بمثال واحد منهُ للدلالة على فائدتهِ للجمهور وجمعهِ اللباب من احكام القضاة قال في حماية الملك الادبي والفني والصناعي ما نصهُ

" قرَّرت المحاكم المختلطة في حكم اصدرتهُ في ٢٧ مارس سنة ١٨٨٩ ان الملك الادبي والفني في مصر لم يُنَص على حمايتهِ في معاهدة او في قانون خاص ولذلك يجب ان تطبَّق عليهِ نصوص القانون العام وبناء على ذلك فان الضرر الذي ينشأ من الاعتداء على هذا الحق يعطي للمصاب بهِ الحق في اقامة قضية لطلب تعويض ضد الشخص المعتدي

" ثم قرَّرت ايضاً في حكم آخر اصدرتهُ في ٨ مايو سنة ١٨٨٩ ان حق المؤلف في مؤلفهِ كحق المالك في ملكهِ وان الملك الادبي في مصر لما كان غير محمي بقانون خاص فحمايتهُ موكولة الى المادة ٣٤ من لائحة ترتيب المحاكم المختلطة

" وان نشر مؤلفات ادبيَّة في جريدة دون مكافأة صاحب تلك المؤلفات حالة كونهِ حفظ حقهُ في امتلاكها طبقاً لقانون بلادهِ يسبب ضرراً لذلك المؤلف يوجب على مرتكبهِ التعويض "

والكتاب كلهُ على هذا النسق وهو ٤٣٠ صفحة بقطع المقتطف فلمؤلفهِ الفاضل الشكر الجزيل

تلستوي والحرب الروسية اليابانية

مقالات للكونت تلستوي الفيلسوف الروسي ابان فيها فظائع الحروب ومضارها ومخالفتها لتعاليم الديانة المسيحية ولما تقتضيهِ العقول المستنيرة . وقد فات الفيلسوف انهُ لا يزول شيء الاَّ اذا بطل نفعهُ فاذا بطل نفع الحروب زالت رويداً رويداً كما زال كثير مما كان شائعاً . وهذا لا ينفي ما ذكرهُ من فظائع الحروب ومضارها . اما الزمن الذي تبطل فيهِ فلم يحن حتى الآن ولم يزل ابناء هذا العصر يقولون كما قال اسلافهم

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدم

ولكن يرجى ان ادباء البشر وفضلاءهم يستمرُّون على التذكير والتنديد والتقريع وعلى اظهار معايب الناس الذين يسعون في نفع انفسهم ولو بهلاك غيرهم

وقد ترجم هذه المقالات حضرة الاديب سيد افندي كامل احد طلبة الحقوق في المدرسة الخديوية فنثني على همتهِ واجتهادهِ

باب الزراعة

القطن المصري والقطن الاميركي

بلغ ثمن الحاصلات الزراعية في اميركا في العام الماضي الف مليون جنيه فزاد ثلاثين في المئة عمَّا كان منذ خمس سنوات . وبلغ ثمن محصول القطن وحده مئة وعشرين مليون جنيه على قلتهِ . والظاهر ان ثمنهُ هذا العام على كثرتهِ لا يبلغ ما بلغهُ في العام الماضي لانهُ اذا بلغ الموسم اثني عشر مليوناً ونصف مليون بالة حسب التقدير الاخير بل اذا بلغ ثلاثة عشر مليون بالة اي ٦٥ مليون قنطار وقدرنا متوسط ثمن القنطار ثمانية ريالات فثمنها كلها ٥٢٠ مليون ريال اي مئة واربعة ملايين جنيه . طلب زارعو القطن الزيادة فوقعوا في النقصان . وسّعوا زمام زراعتهِ فجاءت احوال الجو موافقة لنموهِ وزاد المحصول على المقطوعية فهبطت الاسعار هبوطاً فاحشاً وهبط معها سعر القطن المصري

اما الاميركيون فالقطن عشر حاصلاتهم الزراعية فان زاد ثمنهُ عشرين في المئة او نقص عشرين في المئة فالزيادة والنقصان اثنين في المئة من ثمن حاصلاتهم الزراعية كلها ولذلك لا يهمهم امرهُ كثيراً فلا يغنيهم ولا يفقرهم . واما اهالي القطر المصري فثمن قطنهم نصف ثمن حاصلاتهم الزراعية كلها فاقل اختلاف في ثمنهِ يؤثر في دخلهم تأثيراً كبيراً . وزد على ذلك ان الولايات المتحدة الاميركية بلاد صناعية ومعدنية وقيمة مصنوعاتها في السنة اكثر من قيمة حاصلاتها الزراعية وقيمة الفحم الحجري وسائر المعادن التي تستخرج منها نحو ربع قيمة الحاصلات الزراعية واذا جمعت موارد كسب الاميركيين كلها فالحاصلات الزراعية لا تزيد على ثلثها وقد تقدم ان القطن عشر الحاصلات الزراعية فهو جزء من ثلاثين جزءا من حاصلات البلاد كلها زراعية وصناعية ومعدنية

اما القطر المصري فلا مورد فيهِ يستحق الذكر غير الزراعة وعليها المعوَّل في دفع الضرائب وايفاء الديون ودفع ثمن البضائع الواردة من اوربا فاذا بقي ثمنهُ معلقاً على ثمن القطن الاميركي فدخل البلاد المصرية غير مضمون ولا بدَّ من الاهتمام بموارد أُخرى للثروة زراعية وصناعيةّ

الحرير المصري

ابنًا في النبذة السابقة انهُ لا يحسن ان نبذل العناية كلها في زرع القطن في هذا القطر ونهمل بقية الاصناف الزراعية لان ثمن القطن المصري مرتبط بثمن القطن الاميركي على نوع ما وثمن القطن الاميركي يزيد او ينقص حسب تقلبات الجو في اميركا وليس لزيادتهِ ونقصانهِ شأن كبير عندهم كما عندنا لان ثمن قطنهم كلهِ عشر ثمن حاصلاتهم الزراعية ونحو ثلاثة في المئة فقط من مجموع مكاسبهم السنوية وليس كذلك سكان هذا القطر كما تقدَّم . ولما كان القطر المصري زراعيًّا محضاً و يصعب تقدُّم الصناعة فيهِ لعدم وجود القوة التي تدير الآلات ولعدم وجود الفحم الحجري فالسبيل الوحيد للكسب فيهِ هو تقدُّم الزراعة وزرع ما يمكن ان يصدر منهُ ولهُ سوق رائجة في اوربا واميركا كالقطن . ولا مثيل للقطن الاَّ الحرير ولعلَّ الحرير افضل من القطن

ولدينا بشرى نزفها الى اهالي هذا القطر وهي ان الحرير المصري الذي نتج من عزبة خطار افندي ثابت امتحن في فرنسا فوجد اجود من كل حرير في الدنيا ولا يماثلهُ الاَّ الحرير الفرنسوي ولذلك يهتم الفرنسويون الآن بتنشيط زراعة التوت في هذا القطر لتربية دود الحرير فيهِ

وقد ظهر لنا بالبحث انهُ اذا بقي سعر القطن المصري كما كان في العام الماضي القنطار باربع مئة غرش فزرع التوت لتربية دود الحرير ليس اربح من زرع القطن ولكن اذا هبط ثمن القطن الى ثلثمئة غرش القنطار فزرع التوت وتربية دود الحرير اربح

وعلى كل حال لا يحسن بالبلاد ان يكون مورد ثروتها واحدًا وتبقى معلَّقة على رحمة الاحوال الجوية في اميركا . فيجدر بالحكومة المصرية الساهرة على خير رعاياها ان تهتم بهذا الامر شديد الاهتمام وتسعى بكل واسطة ممكنة لزرع التوت وتربية دود الحرير في هذا القطر

زراعة النخل

لا يزرع النخل الاَّ في شمالي افريقية وحول خليج العجم وفي سواحل سورية . وقد بلغ ما صدر من التمر ممَّا حول خليج العجم في العام الماضي ١٦٧ الف قنطار

وجُرِّب زرع النخل في اماكن كثيرة فلم يفلح الاَّ في جزيرة القديسة هيلانة ولكن يحتمل انهُ يفلح في الولايات المتحدة الاميركية في اماكن مخصوصة منها

ولا يجود النخل الاَّ اذا كان الهواء جافًّا حارًّا والتربة السفلى من الارض كثيرة الرطوبة . وهذه الشروط متوفرة في القطر المصري وما يليهِ من سواحل افريقية الشمالية وهي متوفرة ايضاً

في بعض الاماكن في الولايات المتحدة الاميركية

اما من حيث حرارة الهواء فقد ظهر بالاستقراء ان التمر لا ينضج ما لم تكن حرارة الهواء فوق ثمانين درجة بميزان فارنهيت مدة شهر من الزمان على الاقل وفوق ٧٥ درجة في بقية الاشهر التي يتكوَّن فيها البلح. اما في فصل الشتاء فالنخل يحتمل البرد اذا لم يكن شديداً جداً

ويعيش النخل ولو كان الهواء رطباً ولكن تمره لا ينضج الاَّ اذا كان الهواء جافاً ولذلك يزيد خصبهُ وتزيد جودة تمرهِ كلما كان الهواء حارًّا جافاً

هذا من جهة الحرارة والجفاف اما الارض التي يزرع فيها فيجب ان تكون رطبة حتى تجد جذورهُ فيها غذاء كافياً او سائلاً يذيب الغذاء ولذلك كان وادي النيل والواحات الغربية منهُ من اصلح البلدان لزرع النخل فقد كان في الواحة البحرية والفرافرة في تعداد سنة ١٨٩٧ اكثر من ٩٣ الف نخلة مع ان النخل لا يزرع هناك الاَّ في جزء صغير منهما

وقد وجد ارباب الزراعة من الفرنسويين وغيرهم ان النخل يكون على اجودهِ اذا جُعل البعد بين الشجرة والشجرة ثمانية امتار اي اذا زرع في الفدان سبعون نخلة لا غير فان النخل يجود حينئذٍ والارض التي بينهُ يمكن زرعها مزروعات أُخرى . ووجدوا ايضاً ان النخلة الذكر تكفي لتلقيح مئة نخلة انثى فلا يبقون من النخل الذكر الاَّ شجرة واحدة لكل مئة انثى . اما في القطر المصري فيزرع في الفدان الواحد ٢٥٠ شجرة او اكثر وقلَّما يهتم زارعو النخل بتسميدهِ ولكن لا شبهة في نفع السماد لهُ اذا كان ميسورًا والاَّ فتزرع ارضهُ برسيماً او نحوهُ من المزروعات التي يزيد بها خصب الارض

وقد ثبت بالاختبار انهُ يمكن زرع الكرم بين اشجار النخل فيجود وكذلك يمكن زرع الزيتون فيجود ويستفيد من ظل النخل

ويحمل النخل في السنة الثالثة من زرعهِ اذا زرع من الفروخ لكن وجد الفرنسويون في الجزائر انهُ لا يصلح ترك الحمل على النخل قبل السنة السادسة . ولا يبلغ حمل النخلة اكثرهُ قبلما يصير عمرها عشر سنوات بعد غرسها . ثم تستمرُّ على الحمل مئة سنة . ويبلغ حمل النخلة الواحدة قنطارًا الى قنطارين وقد يبلغ خمسة قناطير او ستة حيث تكون الارض خصبة ومياه الري متوفرة

وقد جرَّب الاميركيون زرع النخل المصري في ولاية اريزونا منذ سنة ١٨٩٠. وفي سنة ١٩٠٠ حملت نخلة منهُ من النخل العوامري ثلاثة قناطير ونخلة من نخل سيوى قنطارين ووضع

ثمرها في صناديق صغيرة في الصندوق منها نصف رطل وقد بيع الصندوق منها باربعة غروش والطلب كثير عليهِ

واهالي اميركا يغالون بالتمر المسمَّى نور دجلة والتمر الجزائري والتونسي وهو عندهم اغلى من التين الازميري واغلى من كل فاكهة مقددة . ويظهر لنا ممَّا طالعناهُ في هذا الموضوع انهُ اذا اجيد تجفيف التمر المصري حتى لايقع فيهِ الدود ووضع في صناديق صغيرة حسنة المنظر راجت سوقهُ في اوربا واميركا وكان منهُ ربح وافر فان الولايات المتحدة تدفع الآن نصف مليون ريال ثمن التمر الذي تأخذهُ من تونس والجزائر وخليج العجم ولا يبعد ان تدفع اضعاف ذلك اذا جاءها التمر نظيفاً من القطر المصري في صناديق صغيرة

اتقاء ندوة القطن

لقد ثبت ان الندوة او المرض الفطري الذي اصاب قطن هذا الموسم اضرَّ بهِ ضرراً عظيماً ولا سيما في مديرية البحيرة وجانب كبير من مديرية الغربية . وقد ثبت للباحثين في هذا الموضوع من علماء الزراعة في اميركا انهُ لابدَّ من حرق كل اللوز والشجر المصاب بالندوة ويبتدأ بذلك من اول ظهور الندوة على الورق واللوز ثم يكرر البحث عن الشجر المصاب بالندوة بعد انتهاء الموسم ويحرق كلهُ لكي لا يبقى منهُ شيء في الاطيان الى العام التالي لان بزور الندوة تبقى من عام الى آخر وتضرب القطن الجديد

وكذلك يجب ان لا يزرع القطن التالي حيث كان مزروعاً في العام الماضي لئلاَّ يكون في الارض شيء من بزور الندوة التي كانت فيها فيصيب الموسم التالي

وقد تعلق بزور الندوة ببزرة القطن ولذلك يحسن ان تنقع التقاوي قبل زرعها في سائل من السليماني فيهِ خمسة دراهم من السليماني لكل عشر اقات من الماء ساعةً من الزمان فان هذا المقدار من السليماني يميت بزور الندوة ولا يضر بالتقاوي

وخير من ذلك ان تنتقى التقاوي من القطن الذي لم يصب بالندوة مطلقاً

المواشي السودانية

خفَّ مرض المواشي او طاعون المواشي حتى كاد يزول تماماً ولكنهُ قتل من مواشي القطر المصري اللازمة للزراعة نحو مئتي الف ثور . وقد ظهر الآن ان هذا المرض افاد من وجهين الاول انهُ نبَّه كبار المزارعين الى استعمال المحاريث البخارية فابتاعوا منها عدداً ليس بقليل وسيزيد اعتمادهم عليها رويداً رويداً لان الحرث بها اسهل من الحرث بالمواشي واقل نفقة . والثاني انهُ

دعا الى جلب المواشي من الجهات القاصية كقبرص والبلغار وبلاد السودان . وقد ثبت لنا بالتجربة ان المواشي القبرصية قوية على الحرث والتقصيب مثل اجود المواشي المنوفية وثبت لغيرنا ان المواشي السودانية جيدة ايضاً على رخص ثمنها . وبلغنا من القادمين من جهات السودان العليا ان المواشي كثيرة فيها جداً حتى لا يقل صداق الزوجة عن عشرين او ثلاثين ثوراً وهي رخيصة جداً يمكن مشترى الثور منها بجنيه او جنيهين لان اهالي تلك البلاد لا يستحلون ذبح مواشيهم ولا يأكلون لحمها الا اذا اشرفت على الموت وحينئذٍ يأكل كلٌّ منهم لحم ثور غيره لا لحم ثوره ونفقة جلب المواشي من هناك الى القطر المصري ليست كثيرة ولاسيما في بعض شهور المطر وقد لا يزيد ثمن الثور واصلاً الى القطر المصري على ستة جنيهات فاذا بيع بثمانية او تسعة فثمةَ ربح وافر لجالبهِ . ولا يبعد ان تصير بلاد السودان مصدراً لجلب المواشي الى القطر المصري للحرث وللذبح

الجمعية الزراعية الخديوية

تحتاج الديار المصرية الى ديوان للزراعة يهتم بكل ما يفيد الزراعة كانتقاء التقاوي ومعرفة فائدة السباخ والاشارة بالوسائل اللازمة لمقاومة الآفات التي تعتري الزراعة وتقدير محصول القطن ونحو ذلك من الاغراض التي يهتم بها ديوان الزراعة في اميركا او نظارة الزراعة في فرنسا . وقد رأت الحكومة المصرية ان تعضد الجمعية الزراعية الخديوية بالمال لكي تقوم بهذه الاغراض كلها فجعلت غرضها ما يأتي

(١) انتقاء التقاوي الجيدة وتوزيعها

(٢) ادخال الاجناس الجديدة الموافقة من البزور والنباتات والاشجار

(٣) عمل التجارب الخاصة بالاسمدة وغيرها مما يرجى منهُ فائدة عملية للزراعة

(٤) ابتياع الاسمدة التي وجدت موافقةً للمحصولات الزراعية وتوزيعها

(٥) السعي وراء تحسين اجناس المواشي وغيرها من حيوانات الزراعة

(٦) البحث لاجل اصلاح العدد والآلات الزراعية الحاليَّة وادخال اصلح الآلات مما ترجى فائدتهُ للزراعة

(٧) درس الحشرات المختلفة والامراض الفطرية التي تتعرَّض لها المزروعات المصرية درساً علمياً وعملياً للوصول الى العلاج الفعال الواقي منها

(٨) اصدار نشرات في المسائل الزراعية من وقت الى آخر تكون مناسبة للاعمال الزراعية

في الوقت الذي تنشر فيهِ ونشر تقرير سنوسي يفصّل فيهِ عمل الجمعية ونتائج الابحاث التي قامت بها هي وغيرها

(١٠) الاشتراك في الاعمال مع الجمعيات والمصالح الزراعية المشابهة لها في الممالك الاخرى لكي تتمكَّن بواسطة ذلك من معرفة جميع المسائل المتعلقة بالزراعة والتي يحتمل ان تعود بنفع البلاد على وجه العموم

(١١) اتباع الوسائل الاخرى التي تراها الجمعية مفيدة من وقت الى آخر

وعينت الحكومة لجنة عمومية لادارة اعمال الجمعية واباحت لها ان تختار منها لجنة تنفيذية واباحت لكل سكان القطر الاشتراك في هذه الجمعية وجعلت قيمة الاشتراك السنوية مئة غرش وجعلت لها لجاناً في المديريات تجتمع مرةً او اكثر في الشهر للبحث في المسائل الزراعية وتنشر بين المزارعين ما تراهُ الجمعية من الوسائل الآيلة الى تقدُّم الزراعة وتقوم بعمل التجارب الزراعية في اراضي المزارعين وتجمع قيم الاشتراك من المشتركين

وقد زادت الحكومة المال الذي تعطيهِ للجمعية الزراعية حتى يكفي للقيام بهذه الاعمال ووعدتها بان تزيدهُ ايضاً رويداً رويداً حسب اتساع نطاق اعمالها

اما النفع الذي يُنتظر ان تنالهُ البلاد من هذه الجمعية فيتوقف على كفاءة الرجال الذين تختارهم لادارة اعمالها وغيرتهم على نشر الفوائد لان الخمسة آلاف جنيه او العشرة آلاف جنيه التي تنفقها الحكومة عليها لا تزيد عما ينفقهُ مزارع كبير على زراعتهِ

ثم ان امتلاك الاطيان الواسعة لا يخوّل صاحبها معرفة الامور الزراعية العلمية والعملية لان مفتش الزراعة قد يكون اعلم بها من صاحب الاطيان . والناظر قد يكون اعلم بها من المفتش . والخولي الذي اجرتهُ الشهرية مئتا غرش قد يكون اعلم بها من الناظر والمفتش والمالك

وقد اختارت الحكومة اعضاء اللجنة العمومية واعضاء اللجنة التنفيذية وبعضهم من المشتغلين بالزراعة علماً وعملاً كالمستر فودن والمستر جبسون والبعض الآخر لا نرى لهم صفةً الا كونهم يملكون اطياناً وسيعة او يشغلون منصباً رفيعاً في الحكومة وهي في اختيار هؤُلاء كأنها اهتمت باصلاح صحة الاهالي ومعالجة ما يعتريهم من الامراض فاختارت لذلك لجنة من امراء البلاد وكبار المحامين فيها او اهتمت باصلاح القوانين فاختارت لذلك لجنة من كبار الاطباء والتجار . وعندنا انها لا تصل الى الغرض المطلوب ما لم تنشئ مجلساً للزراعة يكون اعضاؤُهُ كلهم من العلماء في العلوم الزراعية الذين قرنوا العلم بالعمل

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اصل الشعوب الصفراء

الخواجه رشيد فارس ابو ريحان. جكسن باميركا. جاء في التوراة انهُ لما كثر الناس على الارض رأى ابناء الله بنات الناس حسنات فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا. ويظهر لي ان المراد بابناء الله نسل ادم ومنهم الشعوب البيضاء وبابناء الناس الامم التي كانت في الارض قبل ادم ومنها الشعوب الصفراء كالصينيين واليابانيين فهل يوافق علماء التفسير على ذلك

ج كلاَّ ولكن غيرهم من كتَّاب النصارى ارتأوا هذا الرأي وألَّف احدهم كتاباً جعل عنوانهُ "السابقون لآدم" استنتج من الآية التي ذكرتموها ومن آيات اخرى ان كتَّاب التوراة يفرقون بين الناس والبشر وان ابناء الله هم نسل ادم وغيرهم بقيَّة نوع الانسان

(٢) اصل الصفر

ومنهُ. ان كان الامر كذلك فالشعوب الصفراء متسلسلة من القرود هي والشعوب السوداء واما الشعوب البيضاء فمن نسل ادم وقد خلقهُ الله مباشرة دفعةً واحدة فهل يوافق العلماء على ذلك

ج ان الكاتب المشار اليهِ آنفاً يقول مثل هذا القول. وسنبسط اراءهُ في بعض الاجزاء التالية. لكن المعلومات المعروفة حتى الآن لا تكفي للبحث في منشإِ الانسان بحثاً علميًّا مقنعاً

(٣) حساب الاميركيين الاصليين

طرابلس الشام. احد المشتركين. كيف كان اصطلاح سكان اميركا في حساب الايام قبلما اكتشفها كولمبوس هل كانوا يقسمون السنة الى اشهر واسابيع ويحسبون الاسبوع سبعة ايام

ج ان العمران الذي كان مشهوراً في اميركا قبلما فتحها كولمبوس هو عمران الازتك وهؤلاء كانوا يقسمون السنة الى ١٨ شهراً وكل شهر ٢٠ يوماً. فيكون من ذلك ٣٦٠ يوماً يضيفون اليها خمسة ايام في آخر السنة يسمونها ايام النحوس. ويقسمون الشهر الى

اربعة اسابيع كل اسبوع منها خمسة ايام واليوم الاخير من كل اسبوع يوم الاسواق العمومية ولذلك كانت شهورهم متساوية واسابيعهم متساوية وجارية على نسق واحد دائماً . ولما كانت السنة الحقيقية اكثر من ٣٦٥ يوماً بنحو ست ساعات كبسوا ١٢ يوماً او ١٣ يوماً كل ٥٢ سنة اي انهم كانوا يكبسون ٢٥ يوماً كل ١٠٤ سنين فاسلوبهم اقرب الى الصواب من الاسلوب المتبع الآن عندنا وعند الاوربيين لان خللهُ لا يبلغ يوماً واحداً في خمس مئة سنة

(٤) مرض القلب

مصر . احد المشتركين . أُصبت بألم في معدتي وحينما آكل تحصل لي دوخة وطنين في اذني اليسرى واذا تقلبت على فراشي اشعر بالدوخة والدوار . وقد ضعف قلبي وكبر حجم كبدي وكلما رفعت رأسي اشعر كأنَّ شيئاً مسك رقبتي والدوخة على نوب منتظمة وغير منتظمة خفيفة وشديدة فهل من دواء شافٍ لهذه العلة

ج يظهر من وصفكم انكم مصابون بعلة في القلب فلا بدَّ ان من ان تستشيروا طبيباً ماهراً بامراض القلب يفحص قلبكم ويشير عليكم بالعلاج المناسب

(٥) نور الشمعة والعين

الاسكندرية . محمود افندي حلي سوكه جاء في احد اعداد المقتطف الماضية ان من ضمن النصائح لوقاية العين عدم القراءة والكتابة على نور ضعيف . ولكن كثيراً ما نسمع ان نور الشمع اقل ضرراً للعين من نور البترول مع ان هذا اقوى من نور الشمع فكيف ذلك

ج ان الذي تسمعونهُ غير صحيح ونور الشمع ضارٌّ من وجهين الاوَّل انهُ ضعيف فتتعب العين في استجلاء حروف القراءة والثاني ان اقل حركة في الهواء تحرك لهب الشمعة فيتغير اشراقهُ وتتعب العين في تحكيم نفسها . والقراءة على النور الصناعي تتعب العينين في كل حال

(٦) تعلم الانكليزية

ومنهُ . هل يوجد لمن يعرف اللغة الفرنسوية كتاب بعلمهُ اللغة الانكليزية من غير معلم وما هذا الكتاب

ج يوجد كتب مختلفة اشهرها كتاب اولندرف ولكن لا بدَّ من معلم لتعليم اية لغة كانت اذا أُريد تعلُّم التلفُّظ باللغة قراءةً وتكلُّماً

(٧) كثرة الطعام وقلتهُ

اقاره بالبرازيل . ن . خ . ذكرتم في احد اعداد المقتطف قول الطبيب النمسوي بامكان الاكتفاء بقليل من الطعام اذا مضغ جيداً وفي كتب الصحيين انهُ يجب استحضار الغذاء من مواد مغذية ومواد قليلة الغذاء ولكنها كبيرة الحجم لكي يمتلئ بها المعى الدقيق

فيحرّك حركتهُ الدودية التي بها يتم فعل الامتصاص وان الغذاء من الدقيق المنخول ليس اصلح من غيرهِ لهذا السبب فكيف توفقون بين القولين

ج ان كثيرين يتناولون من الطعام اكثر مما يلزم لهم وهؤلاء يمكنهم ان يقللوا طعامهم الى حد الكفاف . والطعام الذي لا يزيد عن الكفاف يكفي لملء المعي الدقيق وتحريكهِ ولاسيما اذا شرب الانسان الماء الكافي . وكل ما يقال عن تقليل الطعام انما يُقصد بهِ الذين يأكلون اكثر كثيرًا مما تحتاج اليهِ ابدانهم

اما ما يقال عن الدقيق غير المنخول انهُ اصلح من الدقيق المنخول فمبني على ان في النخالة كثيرًا من المادة المغذية ولكن هضم النخالة صعب او متعذر الأ اذا كانت القناة الهضمية على غاية الصحة والقوة

(٨) توقيف حركة القلب

ومنهُ . حدثني طبيب وطني عن كثير من عوائد اهالي البرازيل القدماء هي غاية في الغرابة قال ان بعض تلك القبائل كانوا يذبحون اسراهم في ولائم انتصاراتهم ويأكلون لحومهم ولكنهم لا يأكلون لحم الميتة فكان اذا وقع احدهم اسيرًا وقدم لهذهِ الغاية امات نفسهُ حالاً بواسطة ايقاف حركة قلبهِ وذلك بقطع النفس ويداهُ مكتوفتان فهل ذلك صحيح

ج اما من جهة اكل لحوم الاسرى فالظاهر انهُ صحيح وقد ذكرهُ المؤرخون القدماء وذكرناهُ في ما كتبناهُ عن فتح بلاد المكسيك ولكن انتحار الاسرى بتوقيف قلوبهم لم نرهُ في مؤرخ يوثق بهِ ولا يحتمل تحققهُ في تلك الازمنة بل قد قرأنا في كتب الثقات ما يدل على ان الاسرى كانوا يصبرون على الموت الزؤام لا انهم كانوا يتخلصون منهُ على اسهل سبيل

(٩) ابن العبري

منتريال باميركا جرجس حنا جرجور . من ابن العبري المذكور في التاريخ واين نشأتهُ وما هي مؤلفاتهُ

ج هو جمال الدين ابو الفرج مار غريغوريوس الملطي ولد بقرية ملطية من اسيا الصغرى ثم رحل مع ابيهِ الى انطاكية وقرأ الطب على ابيهِ واشتغل بالعلوم اللاهوتية والرياضية والفلسفية في انطاكية ثم انقطع في بعض الاديرة وصار اسقف غوبا ثم حلب على اليعاقبة ومؤلفاتهُ كثيرة جدًّا اشهرها تاريخان بالسريانية والعربية ينتهيان الى سنة ١٢٨٤ والعربي منهما تاريخ الدول . وتوفي في مراغة من اذربيجان سنة ١٢٨٦

سؤَال وجواب

زار العاصمة في هذه الايام الشاعر المصري الطائر الصيت سليم بك عنحوري ناظم الدواوين الحسان ومؤلف كتاب كنز الناظم فاتحف المقتطف بالابيات التالية تقريظاً لهُ وابى الاَّ نشرها فيهِ وهي

يا سائلي عن منتهى رتب المعالي والشرف
تلك التي من نالها في قمة العليا وقف
يسمو الخلائق سؤدداً ويفوز منها بالشغف

***

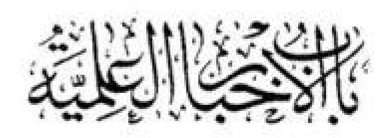
ان العلوم باسرها ضُمَّت بصدر المقتطف
فغدا كصرحٍ حافلٍ يبديع انواع التحف
وبدا ككنزٍ شاملٍ اسمى الجواهر والطرف
مفتوحةً ابوابهُ للناس مبذول الغرف
من شاء بات ومن يشاء اقام حيناً وانصرف
فيهِ تعلم جاهل وبهِ تفقه من عرف
وافاد اصناف العبا — د ذوي الزراعة والحرف
واُولي المتاجر والمنا — جم والتنعم والترف
وكذاك ارباب العرو — ش وكلٌّ من بهم انتصف
وجلال قدر المرء قا — مَ بقدرِ إحسانٍ سلف
وجميل هذا الفعل فو — ق جميل اعلام السلف
قد قصروا عن بعضهِ طراً كما عجز الخلف
فهو الوحيد ولا جدا — ل بما افاض وما اغترف
حكمٌ تقرَّر عند من بالعدل والنُبل اتصف
هيهات ينكرهُ سوى من زاغ بغياً وانحرف

***

فافقهْ اذن يا سائلي ان كنت لستَ من اَعتسف
ان المفاخر والعلى والمجد اجمع والشرف

والذكر يلبث خالدًا ما دام في البدر الكلف
عقدٌ مجيد "مجلّةٍ" غرّاء تدعى "المقتطف"

في دسمبر: ١٩٠٤ سليم عنحوري



آراء العلماء في المستقبل

يقول المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير انهُ لا يمضي زمان طويل حتى تتغير احوال الحياة تغيرًا تامًّا فيضطر الناس ان يغيروا الآراء الحاضرة من اجتماعية واقتصادية وادبية لعدم انطباقها على معايشهم . فتبطل الزراعة وما يتعلق بها من الحرف كتربية المواشي لان الانسان يحلُّ قضية الطعام بالكيمياء وتزول معها الحقول المكتسية خضرة وكروم العنب والتين والحدائق الغناء والمراعي المانجة بالماشية اذ يكفُّ الناس عن ذبح البقر والغنم وما سواها من المواشي لاكل لحومها فتبيت الاراضي المخصبة والمجدبة شرعًا في نظر الانسان لا مزية للاولى منها على الثانية

وكان المسيو برتلو قد صنع في معملهِ الكيماوي منذ سنة ١٨٥٢ جميع الزيوت والادهان التي يستخدمها الناس في طعامهم . ثم صنعت جميع انواع السكر فبقيت المواد الزلالية لم تستخرج بالصناعة . ولا يشك احد من العلماء ان صنعها ميسور بمرور الزمان

على ان القضية التي تشغل البال هي اكتشاف مصدر للقوة لا ينفد ويستطيع الانسان استخدامهُ متى شاء بلا تعب او بتعب قليل . ومن رأي المسيو برتلو ان في استطاعة الانسان استخدام قوة الشمس التي يستخدم بعضها الآن بنقل قوة الشلالات الى مسافات بعيدة واستخدام قوة حرارة الارض المركزية وعندهُ انها ستكون اعمَّ استعمالًا من قوة حرارة الشمس واهمَّ شأنًا . ويكفي لاستخدامها ان يحفر في الارض الى عمق ثلاثة اميال وهو امر يستصعبهُ مهندسو هذه الايام وان كانوا لا يقولون باستحالتهِ واما مهندسو الزمان الآتي فيعدونهُ سهلًا ميسورًا

وتنتفي الامتيازات من بين طبقات الناس ويضطر كلٌّ منهم الى العمل بل ربما عمل

اكثر مما يعمل اليوم ولكنَّ عملهُ يكون ممزوجاً بالمحبة والمسالمة والسرور. وتزول الحروب من بين الامم المتمدنة

هذه خلاصة ما يذهب المسيو برتلو اليهِ وقد خالفهُ بعض علماء الانكليز فقال اللورد كلفن انهُ لا يمكن استخدام حرارة الارض بالحفر فيها الى عمق ثلاثة اميال . وقال السر وليم كروكس انهُ لا يعتقد بحدوث انقلاب عظيم في مسألة الطعام والقوات التي يستخدمها الناس الآن في اعمالهم بل لا بدَّ قبل ذلك من تغير وظيفة الهضم في الانسان تغيرًا عظيماً . نعم ان استعمال الناس لاسنانهم يقلُّ شيئاً فشيئاً ولكنهم لا يزالون بعيدين الوفاً من السنين عن الزمان الذي يمكن احلال خلاصة الطعام محلَّ اللحم وغيرهِ من المواد المغذية وقال ايضاً انهُ لا يعتقد بامكان استخدام حرارة الارض الداخلية وليس كذلك حرارة الشمس

ومن رأي السر اولفر لودج والاستاذ راي لنكستر ان اصطلاح الناس الحالي في تنظيم اوقات الاكل اصطلاح فاسد وان استعمال الحبوب والخلاصات الكيماوية تجعل الناس يأكلون حين يجوعون

وفي اعتقاد السر وليم رامسي ان آراء المسيو برتلو خيالية وهمية وان الطعام الصناعي لن يقوم مقام الطعام الطبيعي وانهُ لا يمكن خرق الارض الى العمق الذي يمكن استخدام حرارتها عندهُ

العلم قوام اليابان

كتب الدكتور هنري ديَر رسالة الى جريدة نانشر حثَّ فيها قومهُ الانكليز على الاقتداء باليابان في نشر العلوم والفنون في بلادهم . فلما قرأناها قلنا يا لله صار الانكليز وهم ارقى الامم الاوربيَّة يطلبون الاقتداء باليابان تلك الامة الشرقية التي كانت منذ خمسين سنة مستضعفة مهتوكة الستار بل لم يكن لها شأن يذكر حينما كان القطر المصري يعبئ الجيوش ويبني الاساطيل في عهد محمد علي باشا . ومن رأي الدكتور دير ان الذي انقذ اليابان ونهض بها ورقَّاها انما هو التعليم . قال في ذلك ما ترجمتهُ — ان اصل هذا الارتقاء كلهِ انما هو نظام التعليم النظام التام الشامل للبلاد كلها فالمدارس الابتدائية موجودة في كل ولاية والمدارس الثانوية والمدارس العالية في كل مدينة كبيرة وفي طوكيو وكيوتو مدرستان جامعتان تعلمان اعلى فروع العلوم التي تحتاج اليها الحياة القوميَّة . والاساس الذي بني عليهِ ما تقدَّم هو منشور امبراطور اليابان الذي نشرهُ بُعيد ارتقائهِ الى سدَّة الملك وهو ان يُطلَب العلم من كل المسكونة لكي ترتقي بهِ امبراطورية اليابان دواماً

لكن اليابانيين يرتابون في فائدة مدارسهم وايصالها اياهم الى الغرض المطلوب مخافة ان تبذل الهمة في تنظيم المدارس نفسها وهي وسائل التعليم لا في التعليم الذي يعلم فيها وهو الغاية المقصودة منها ولذلك تراهم يكرهون جعل مدارسهم على نسق واحد لئلا تصير مثل مصالح الحكومة ويصير الغرض منها اتمام فروض معينة اذا قام المدرسون بها حسبوا انهم قاموا بكل ما يطلب منهم. ومن الذين لهم الشأن الاكبر في تقدم اليابان العلمي رجل اسمهُ يوكيشي فوكوزاوا فانهُ انشأ مدرسة كلية تخرج فيها اشهر رجال السياسة اليابانيين واشهر رجال القضاء ورجال الادارة وكذلك انشأ الكونت اوكوما مدرسة جامعة خصوصية واقتدى بهِ غيرهُ من رجال اليابان نساعدوا حكومة بلادهم اكبر مساعدة وغرضهم الاول من التعليم ليس ان يكتسب التلامذة علوماً يظهرون بها وقت الامتحان بل ان يصيروا رجالاً يخدمون بلادهم فالغرض من التعليم عندهم ليس اجتياز الامتحان السنوي بل تربية الاخلاق التي يصير بها الشاب رجلاً نافعاً لبلادهِ. وعندهم ان التعليم لا يفيد الفائدة المطلوبة ما لم يكن مبنياً على علم الاخلاق وعلم النشوء

هذا وعندنا ان السبب الاكبر لنجاح اليابانيين هو انهم تُركوا من غير مرشد فهم كالطفل الذي تُرك الى الطبيعة فدبَّ ثم مشى وغيرهم كطفل ظلت المرضع تحملهُ ولم تدعهُ يقف على رجليهِ فبقي كسيحاً لا يستطيع الوقوف

جوائز نوبل

أُهديت جائزة نوبل عن الطبيعيات الى اللورد رايلي وجائزة الكيمياء الى السر وليم رمسي وجائزة الفسيولوجيا الى الاستاذ باولوف الروسي من اساتذة كلية الطب الحربية في بطرسبرج وقد وزعت هذه الجوائز على نائليها في ستوكهولم عاصمة اسوج في الشهر الفائت بحضور الملك اوسكار وعائلتهِ والسفراء والوزراء وكثيرين من العلماء فأُلقيت الخطب اولاً ثم سلَّم الملك الجوائز الى العلماء المذكورين وقدر كلٍّ منهما ٧٨٢٥ جنيهاً وبعد ذلك أُدبت مأدبة رأسها وليُّ العهد وشرب الحضور فيها نخب اصحاب الجوائز ودام الاحتفال اياماً القى السر وليم رمسي في اثنائها خطبة في الارغون والهاليوم واللورد رايلي خطبة في كثافة الزجاج

الجواد العالِم

كتب بعضهم رسالة الى جريدة ناتشر العلمية يقول فيها ان اعمال الجواد هنس (الذي ذكرنا خبرهُ سابقاً تحت هذا العنوان) تشبه اعمال جواد آخر عرض منذ نحو اثنتي عشرة سنة اي انها اعمال يعتمد الجواد فيها على مراقبة حركات مروّضهِ والاصغاء الى نغمات صوتهِ.

وقد امتحنت لجنة من الخبيرين بالشؤون العقلية هذا الجواد فأجمعت على انهُ لا يستطيع الافتكار مستقلاً وان لهُ قوة فائقة على ملاحظة الاشياء وقد ترقت هذه القوة فيهِ بالتمرين الكثيرة مدة اربع سنوات . فاذا سئل سؤالاً علم ان الجواب عليهِ يقوم برفس الارض بحافرهِ ولكنهُ لا يعلم متى يجب ان يكفَّ عن الرفس ما لم يرَ علامة من سائلهِ تدلُّهُ على ذلك . ومن رأي اللجنة المذكورة ان مروّض الجواد يبدي علامات وحركات اضطرارية يدركها الجواد ولا يدركها من الناس الأ كلُّ دقيق النظر . والنتيجة انهُ ليس في الامر حيلة ولا الجواد بعالم مفتكر والسرُّ كلُّهُ في حذق صاحب الجواد وصبرهِ ودقة نظر الجواد وملاحظتهِ

نسبة الاجرة الى العمل

تختلف نسبة اجرة العامل الى مقدار العمل الذي يعملهُ باختلاف الحرَف والمهن فالمعدّن يأخذ ٥٥ جنيهاً اجرة عن كل مئة جنيه يحصلها . والعامل في بناء السفن يأخذ ٣٧ في المئة . وعامل الارصفة والموافي ٣٥ في المئة . وعامل سكك الحديد ٣٠ والعامل في الارض وفي حفر الترع وفي معامل القطن ٢٩ وفي معامل الفولاذ (الصلب) ٢٣ وفي معامل نسج الانسجة ٢٣ وفي معامل الغاز ٢٠ وفي معامل صنع البيرا ٧ وهذه اقل الاجور

النشا من الكسافا

يهتمُّ الانكليز باستخراج النشا من الكسافا ليحلَّ محلَّ النشا الذي يستخرجهُ الالمان من البطاطس ويبيعونهُ رخيصاً في الاسواق الانكليزية . ومزية الكسافا على البطاطس ان كمية النشا فيها مضاعف ما في البطاطس وهي ليست عرضة للامراض التي تسطو على البطاطس في المانيا وتتلف موسمهُ . ويمكن زرعها في جميع الفصول

اقفال معرض سنت لويس

أُقفل معرض سنت لويس في غرة الشهر الماضي فبلغ عدد الذين دخلوهُ يوم افتتاحهِ نحو ١٨٠ الفاً ويوم اقفالهِ ٢٠٠ الف فاكثر ومجموع الذين زاروهُ ١٨ مليوناً ونصف مليون . وبلغ ما انفقتهُ شركة المعرض عليهِ منذ انشائهِ ٣٢ مليون ريال وما انفقتهُ الولايات المختلفة ٩ ملايين ريال . وبلغ دخلهُ من بيع تذاكر الدخول والعوائد نحو ١٠ ملايين ريال وتقدر نفقات المعرض كلها بمبلغ ٥٠ مليون ريال او ١٠ ملايين جنيه . ويقال بالاجمال ان فائدتهُ كانت ادبية اكثر منها مالية

الابحار برًّا

من اغرب وسائل التسلية وابهجها تمثيل ركوب البحر وتلاعب الامواج بالسفن وما يصيب الركاب من الدوار وذلك ان بعضهم

اخترع آلة بهيئة قارب يعلق بجوانبهِ قطع من النسيج رسمت عليهِ صور البحر وامواجهُ متلاطمة و يوضع على آلة تحركهُ مثل تحريك امواج البحر للسفن فاذا ركبهُ احد اصابهُ ما يصاب بهِ ركاب السفن عادة عند اشتداد النوء من الدوار والتقيوء

وحيد القرن معمر

جيء الى حديقة الحيوانات في لندن بوحيد القرن سنة ١٨٦٤ ومات في السابع من الشهر الفائت فيكون قد اقام في الحديقة اكثر من اربعين سنة

احمد باشا المنشاوي

اذا كان للمدارس شأن يذكر في ارتقاء البلاد فسيبقى اسم احمد باشا المنشاوي مذكورًا بالاكرام مدى الدهر فانهُ وقف على المدارس اكثر مما وقفهُ كل احد سواهُ في هذا القطر او غيرهِ من الاقطار العربيَّة . التقينا بهِ بُعَيد خروجهِ من السجن وذكرنا لهُ ما كان يودهُ البعض منهُ وهو وقف المال الكافي لانشاء مدرسة جامعة فقال اني لست فاعلاً لانني لم ارَ من المتعلمين الاَّ ما يؤذي . فجعلنا نبين لهُ ان اللئيم بالفطرة لا يفيدهُ التعليم شيئًا بل قد يقويهِ على الاضرار بالناس ولكن الانسان اقرب الى الخير منهُ الى الشر ولذلك فاكثر المتعلمين ينفعون بلادهم وامتهم بدليل ما نراهُ من التقدم والارتقاء في البلدان التي يكثر التعليم فيها . وبعد حديث طويل في هذا المعنى ظهر لنا انهُ كان اميل الى الاقتناع منهُ الى الانكار . ولا ندري كيف نشأ في نفسهِ الميل الى نفع بلادهِ بوقف الاموال الطائلة على المدارس ولا كيف نما هذا الميل فيهِ . ولكن النتيجة معروفة وهي انهُ وقف من الاملاك على انشاء المدارس واقامة شعائر الدين ما يقدَّر ريعهُ السنوي بنحو اربعين الف جنيه وكان عازمًا على انشاء مدرسة جامعة يقف عليها ما ريعهُ السنوي عشرون الف جنيه لكن عاجلهُ القدر قبل ان يتم ذلك وكانت وفاتهُ في العاصمة في العشرين من دسمبر فعسى ان يتم الذين ورثوهُ امنيَّةً كانت في نفسهِ وكاشف بها كثيرين من اخصائهِ

رواية المقتطف

الحقنا بهذا الجزء من المقتطف اربعة فصول من رواية ادبيَّة فكاهية نقصد ان نضمنها اشهر الحوادث التي حدثت في العام الماضي واهم المواضيع الاجتماعيَّة والفلسفيَّة التي يبحث فيها العلماء الآن

فهرس الجزء الاول من المجلد الثلاثين



December 1930 — ديسمبر ١٩٣٠



الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ شعبان سنة ١٣٢٣

مقام المعلّم

خطبة للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة

اصدق وصف ينطبق على المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية انهُ جنديٌّ حاكم. والتاريخ شاهد ان الجنود اذا حكموا نبغوا واشتهروا من الاسكندر الكبير الى قلب الاسد وصلاح الدين ففردرك الكبير فنابليون الاول. والرئيس روزفلت جنديٌّ باسل خدم بلادهُ في الحرب الاهلية وتجمَّل بفضائل الجنود ولم تصمهُ نقائصهم فلما القيت اليهِ مقاليد الامور في الولايات المتحدة تجلت فيهِ تلك الفضائل على اكملها فكان مثالاً يحتذى وقدوة تتبع في استقامة السيرة وطيب السريرة وحرية الضمير وطهارة الذمة. ومن حسن حظهِ انهُ في امة تعرف اقدار الرجال فلذلك ترى قومهُ يكادون يؤَلهونهُ لا سيما وانهُ جعل الولايات المتحدة محط انظار الدول وصاحبة الكلمة المسموعة في مجامع السياسة الخارجية. ولسوف يذكر العالم بالشكر سعيهُ في مصالحة الروس واليابانيين ما دام في الناس قلب يخفق ولسان ينطق

على ان اعظم ما اشتهر بهِ غيرتهُ على شؤُون بلادهِ الداخلية ودأبهُ في ترقيتها من عالٍ الى اعلى ونقلها من حسن الى احسن. وقد خطب حديثاً خطبة شائقة في التعليم والتهذيب على اعضاء جمعية المعلمين الوطنية اخترنا تلخيصها اظهاراً لفضل الرجل وعلمهِ وغيرتهِ لعلَّ فيها لنا عبرة. قال:

انكم ايها الاساتذة اخص جماعة جمهورية في بلاد جمهورية لانكم تجتمعون وتتذاكرون وتتباحثون كالاكفاء من كل وجهٍ وكلكم ساعٍ في تربية الناشئة من الصبيان والبنات ليكونوا رجال الامَّة ونساءها

وليس كثيراً ان يقال ان من اخص اعمال الجمهورية ما يعملهُ المعلمون المهذبون. فانهُ مهما تكن عيوبنا — ولا ننكر ان فينا بعض العيوب — فقد ادركنا حق الادراك اننا

لا نستطيع ان نقوم بما يجب علينا في الحكم على انفسنا بانفسنا ما لم تكن عقولنا مستنيرة واخلاقنا مهذبة . وانتم ايها المعلمون ان لم تحسنوا القيام باعمالكم فان اجل هذه الجمهورية ينقضي في جيل . فقد خدمتم هذه البلاد وهذه الجمهورية اجل خدمة وذلك بتعليمكم الاولاد الذين يولدون هنا والذين يأتون الينا من اطراف الارض النائية على اختلاف بلدانهم وجعلكم اياهم جسماً واحداً وهذه خدمة جوهرية للجمهورية لا يقدر ثمنها . وزدتم على ذلك انكم وجهتم عقول الطلبة المختلفي الشعوب والاجناس الى وجهة واحدة حتى يمتزجوا معاً ويصيروا امة واحدة

وما من منكر ان الفضل الأعظم في صيرورتنا نحن اهل هذه الجمهورية الاميركية العظمى شعباً واحداً متحداً بدلاً من ان نكون مجموع شعوب متنافرة عائد عليكم وعلى مساعيكم . وان التلامذة الذين يتعلمون في مدارسنا العمومية سواء ولدوا هم وآباؤهم هنا او في الخارج يشربون في قلوبهم الحب والاحترام المتبادلين اللذين لابدَّ لنا منهما في حل القضايا التي امام امتنا

ولكم خدمة اخرى جديرة بالذكر ولا غنى لنا عنها . ففي بلادنا هذه حيث تنزّل الثروة فوق منزلتها الحقيقية نحن مديونون اعظم دين لهذه الجمعية التي تستبدل هذا المطلب المادي اي جمع الثروة بمطلب ادبي اسمى واكمل وهو حب العمل الشريف لمجرَّد كونهِ عملاً شريفاً . ولست انكر البتة ان الغنى الماديّ لازم لتمدننا ولكنني اقول انهُ اذا كان تمدننا لا يبني على اساس الغنى صرحاً ادبياً مشيداً لم نعدّ في مصاف الامم العظيمة فالمال لازم للامة لزومهُ للافراد وما من عمل اراهُ الزم من زيادة المال للمعلمين لاصلاح حالهم مادياً جزاء ما لهم من الفضل على الامة

ومما يزيد خدمتكم قدراً ورفعة شان انكم تُظهرون بسيرتكم ان الغاية الادبية التي تتوخونها جديرة بما تبذلون عليها من التعب وانكم تهتمون اعظم اهتمام بعمل كلّ ما من شأنهِ ان يعود بالخير على بني وطنكم ولو لم يكن منهُ ربح مادي لكم . وسيرتكم هذه اكبر خدمة تخدمون بها ابناء وطنكم لان الضرر الاعظم الذي يجلبهُ ارباب الثروة الواسعة على الامة هو ان نجاحهم يضع نصب العيون مثالاً فاسداً لا يصح النسج على منوالهِ . فاذا لم نبالغ في الحفاوة بالغني الذي لا ميزة لهُ الا غناهُ لم يبقَ لهُ شأن يذكر بيننا ولا سلطة علينا . ولئلا تسيئوا فهم مقالي اقول ان الغنيّ الذي أعنيهِ انما هو الرجل الذي لا همَّ لهُ الا مالهُ لا الرجل الذي ينفق مالهُ في وجوههِ ويعدّهُ وسيلة لا غاية . اما الاغنياء الذين ينفعون بلادهم بغناهم فيستحقون الاكرام مثل سائر الانام . واذا اصابنا ضرر من الاغنياء فاللوم علينا غالباً لا عليهم لان ضررهم ينحصر بالاكثر في اثارة حسدنا وتذمرنا . اما في معاملاتهم فهم اقرب الى النفع منهم الى الضرر

ويحق لكل احد ان يتّقي ضرر الضارين منهم ولكن لا يحق ولا يجوز لاحد ان يذم الاغنياء لمجرّد كونهم اغنياء . لا تنسوا ذلك ايها الاساتذة فانهُ لا يجوز ذم الغني لانهُ غني كما لا يجوز ذم الفقير لانهُ فقير . والرجل الذي يحملهُ الغنى على البطر هو الرجل الذي لو بقي فقيرًا لحملهُ الفقر على الحسد والضغينة . والامران صحيحان على حدٍّ سوى

الرجل الذي يرى غيرهُ اصلح منهُ حالاً فيحسدهُ ويكرههُ هو الرجل الذي لو اغتنى لساء سلوكهُ وبطر وعتا واضرَّ بغيرهِ . والذي يحسد الغني ويكرههُ لانهُ غني يعرب عن مخافة وخللٍ في عقلهِ وعن انهُ يكون عبدًا ذليلاً للمال ما دام لغيرهِ وسيدًا عاتيًا اذا صار المال لهُ . وهذه الاخلاق اي البغضة والتذلل والعتو والحسد من قبيل واحد لانها ناتجة عن خطاءٍ في قدر الغنى فوق قدرهِ كثيرًا

ثم ان قيامة العامة على الاغنياء وهزء الجرائد بهم وسوء سلوك الاغنياء الذين يستخفون بحقوق غيرهم لا علاقة لها بعضها ببعض في الظاهر ولكنها في الحقيقة ناشئة عن عيوب واحدة في جوهرها . واحد تلك العيوب عدم توجيه الاذهان الى غاية حميدة . والامة التي لها غاية حميدة ترمي اليها وترفع اقدار الرجال الذين يسعون في بلوغها لا ترى بينها من يضع الغنى في غير موضعهِ او يرفع قدر الغنى اكثر مما يستحق

وهذا العيب انما يصلح على ايديكم وايدي الاساتذة اخوانكم المنتشرين في جميع اطراف البلاد . فالواجب عليكم ان تبينوا بعلمكم وعملكم معًا انكم ان كنتم تعدون الغنى امرًا حسنًا فانكم تعدُّون غيرهُ احسن منهُ . نعم ان من اللازم الذي لا انفكاك عنهُ ان يحصّل المرء شيئًا من المال يكفي لهُ وللذين هم عالة عليهِ ولكن السعي وراء المال اذا تجاوز حدَّ الكفاف انحطَّ عن المطالب الشريفة والغايات السامية

وتاريخ الامة الامركية مملوءٌ باسماء الرجال العظام مثل وشنطون ولنكن وغرانت وفرغوت وهوثرن وبو وفلتن ومورس وسنت غودنس ومكمونس مشاهير القواد والكتَّاب والمصورين والنحاتين والعلماء والمخترعين والمكتشفين والمهندسين والمحسنين وقادة الافكار وكل الذين اشتهروا في مطلب من المطالب المختلفة ولا يذكر بينهم من الاغنياء الاَّ الذين استخدموا مالهم في طرقهِ المشروعة ووجوههِ النافعة وعدوهُ وسيلة لا غاية واحسنوا التصرف في كسبهِ وانفاقهِ

طوبى لكم لانكم أُعطيتم ان تقودوا النفوس وترشدوها الى الغايات النبيلة ولانكم تبثُّون بعلمكم وعملكم في عقول رجال الجيل المقبل ونسائهِ ما يُعرَف بهِ مقام ذلك الجيل في تاريخ الانسان

واريد في الختام ان اذكر امورًا حدثت في الاسبوع الماضي امورًا تؤيد ما قلتهُ لكم من

انهُ ينبغي ان يكون في البلاد اناس يفضّلون المطالب السامية على اكتساب الثروة . ففي الاسبوع الماضي فقدت هذه البلاد رجلاً من كبار ساستها ومن نوابغ رجال القلم فيها رجلاً كان لهُ مقام غريب انفرد بهِ بيننا . رجلاً يحقُّ لكلٍّ منا ان يفتخر بهِ لاننا كلنا استفدنا منهُ والولايات المتحدة كلها صارت احسن مما كانت لان جون هاي عاش فيها . انتظم هذا الرجل في خدمة الحكومة وهو شاب وجُعل سكرتيرًا للرئيس لنكن وكان لنكن يثق بهِ و يعتمد عليهِ ثم تقلّب في مناصب كثيرة وكان من مزاياهُ انهُ كان يعتزل الخدمة دائمًا حينما لا يستطيع ان يجري فيها على حسب رغبتهِ . وظلَّ يتقلب في المناصب التي خدم بها وطنهُ الى ان بلغ اسماها فصار وزيرًا وتربَّع في الوزارة ست سنوات في عهد رئيسين فانالـــ هذه الجمهوريَّة احترام امم الارض بما فعلهُ وما كان عليهِ . وهذه الخدمة لا يستطيعها الاَّ رجل امامهُ مطالب سامية تبعد عن كل ما يشين بُعد المشرق عن المغرب

ولقد اردتُ ان يخلف جون هاي الرجل الذي احسب انهُ خير خلَف لخير سلف ولما طلبت منهُ ان يقبل هذا المنصب كنت كمن يطلب منهُ ان يتجاوز عن ربحهِ المالي الوافر ولكنني لم افكّر بذلك ولا هو فكّر بهِ ايضًا لاني كنت اعلم انهُ مهما كان المانع الذي يمنع اليهو روت عن قبول الوزارة فلا يكون الخسارة المالية التي يخسرها لو قبل الوزارة فاجاب طلبي وقبلها

ولا اتكلّم عن هاي وروت كانهما فردان لا مثيل لهما في هذه البلاد كلاَّ بل هما مثال لاناس كثيرين من اقرانهما فاذا سمعنا الانتقاد على رجال الحكومة الانتقاد الذي اقول بأسف انهُ في محلهِ غالبًا وجب علينا ان نتذكر ايضًا ان لهذه الصورة وجهًا آخر وان في اميركا الآن كما في كل زمان وعندما تلمُّ الملمات وتشتدُّ الخطوب رجال ادارة من الطراز الاول لا يضنُّون بشيءٍ في سبيل النفع العام ولو خسروا بذلك خسارة مالية لا تقدَّر . وليس بين وزرائي الآن مَن لم يخسر ماليًّا بانتظامهِ في سلك الوزارة وما من احد منهم الاَّ وقد خسر شيئًا يعزُّ عليهِ لكي يبقى في خدمة امتهِ وليس لهُ الاَّ جزاءٌ واحد ينتظرهُ او يعبأ بهِ وهو الشعور الداخلي بانهُ خدم بلادهُ وعمل ما يستحق ان يُعمل

وارجو ان تزيد الرغبة في خدمة الامة في البلاد كلها حتى يسهل على كل احد ان يضحي مصلحتهُ الخصوصية لاجل المصلحة العمومية سواءٌ كان في خدمة الحكومة او في غيرها من الاعمال لان الذين ليسوا في خدمة الحكومة قد ينفعون قومهم اكثر من الذين في خدمتها . وليكن النفع العام خير ما تحدى اليهِ الركاب وما يتوخاهُ كل انسان رجلاً كان او امرأة في هذا العصر وفي كل العصور وفعلهُ هو الجزاء وهو الفخر لمن يفعلهُ

همّة الشيوخ

يؤخذ من مراجعة تواريخ المشاهير من العلماء ان كبر اعمارهم لم يخفض من هممهم ولا اضعف قواهم العقلية بل ان كثيرين من اشهر مشاهيرهم ظهروا للعالم واشتهروا بعد ان جاوزوا سن الكهولة ودخلوا طور الشيخوخة . وامثلة ذلك كثيرة نأتي على بعضها تأييدًا لما تقدم

فنهم كنت الفيلسوف الالماني كتب كتابهُ المعنون "بحث في العقل المجرَّد" وهو في سنّ السابعة والخمسين وهو كتاب مفعم تصوراتٍ وافكارًا سامية حتى لم يقم بين العلماء بعده سوى نفر قليل أُدرك كنهها . وكتب كتابًا آخر لا يقلُّ عن الكتاب المذكور آنفًا علمًا وسموًّا فلسفة وهو في سنّ السبعين

ومنهم لابلاس الرياضي الفرنسوي نشر اوائل كتابهِ المسمى "نظام العالمين" وهو في سنّ الخمسين ونشر الباقي منهُ وعمرهُ سبعون سنة . وهو الكتاب الذي بسط فيهِ رأيهُ في المذهب السديمي فاقام العلماء واقعدهم لاول الامر ثم صار المذهب المقبول عند الاكثرين الى الآن

هذا في علم الافلاك او تكوُّن العالمين واما في الجيولوجيا فاشهر من اشتهر السر تشارلس ليل ومعظم ما كتبهُ فيها كان بعد ان جاوز الاربعين واكمل تنقيح كتابهِ "مبادىء الجيولوجيا" قبل موتهِ بثلاثة ايام ومات وهو ابن ٧٨ سنة . وكتابهُ هذا لا يزال الى اليوم حجة يرجع الجيولوجيون اليهِ ليهتدوا بمشكاتهِ حتى لقد لُقّب بابي الجيولوجيا ومبدعها

وفي طليعة علماء البيولوجيا تشارلس داروين قضى شبابهُ ومرحلة من كهولتهِ ينقب وينقّر حتى سنّ الخمسين فنشر كتابهُ "اصل الانواع" المشهور وهو الكتاب الذي حام عليهِ الجدال واشتدَّ النضال بما لم يعهد في كتاب قبلهُ ولا بعدهُ . ثم كتب كتاب "تسلسل الانسان" وهو في الثانية والستين فكان مثل كتابهِ الاول شهرة وانتشارًا وتأثيرًا

ومنهم الفيلسوف هربرت سبنسر فانهُ توفي وعمرهُ ٨٣ سنة ولما بلغ الاربعين من عمرهِ لم يكن قد نشر شيئًا من مؤلفاتهِ المشهورة . فلما بلغ الثانية والاربعين نشر كتاب "المبادئ الاولى" ونشر كتاب "مبادىء الفلسفة العقلية" وهو ابن اثنتين وخمسين سنة و"مبادىء علم الاجتماع" وهو ابن ست وخمسين وكتاب "العدل" وهو ابن احدى وسبعين وهذا الكتاب من اسمى ما الفهُ في الفلسفة الادبية . ولما بلغ الثمانين اتمَّ آخر كتاب من فلسفتهِ المشهورة المعروفة بالفلسفة التركيبيَّة ولم تكلّ قريحتهُ ولا نبا سيف دماغهِ

واشهر ساسة الاميركيين وفلاسفتهم بنيامين فرنكلين اخذ صيتهُ يمتدُّ في السياسة

والفلسفة بعد ان جاوز الستين . وبلغ الثمانين وهو في مناصب الحكومة يطلب الاعتزال وهي تضن به حرصاً على خدمته

واكتشف كولمبس اميركا وعمره ٥٦ سنة ودار مجلان حول الارض وعمره ٤٩ سنة واكمل جيثي الشاعر الالماني كتابة "فوست" وعمره ٨٠ سنة . وعمر اللورد كلفن الآن ٨١ سنة ولا يزال يشتغل بالطبيعيات والرياضيات بهمة لا تعرف الملل ولا الكلل واكتشافاته فيهما ابتدأت بعد ان بلغ الاربعين . واتم ما كتبه في سلك البحار والمادة والفلسفة الطبيعية والجيولوجيا بعد ما جاز الستين

واكتشف فاراداي تأثير المغنطيسية في استقطاب النور وهو بين الخمسين والستين من عمره . وكتب جون فسك كل ما كتبه في التاريخ بعد الاربعين واهمها ما كتبه بعد ما ناهز الخمسين . وكسب فندربلت ١٦ مليون جنيه بعد الخامسة والسبعين . وبيربنت مورجان الغني الاميركي الشهير حي يرزق وعمره ٦٨ سنة واعظم اعماله تأليف شركة الفولاذ (الصلب) وهي اعظم شركة صناعية في الدنيا الفها بعد ان بلغ الستين . وعمر كارنجي ٧٠ سنة وقد جمع ملايينه الكثيرة بعد ان جاوز الخمسين ولا يزال الى الآن متوقد الذهن اذا تكلم فالعالم كله يسمع كلامه . والدكتور ويرمتشل في السادسة والسبعين مارس صناعة الطب زمناً طويلاً وفاق بها الاقران ثم مال الى الانشاء وهو ينشئ الآن الروايات البديعة فيكتسب من الرواية منها يكتبها في شهر من الزمان الوف الريالات ان لم نقل الوف الجنيهات (انتهى ملخصاً من مقالة في مجلة العلم العام)

فهذه الشواهد وامثالها دلائل ناطقة على ان كبر السن لم يؤثر في كبار الرجال فلا أضعف لهم همة ولا فلَّ عزيمة ولا اطفأ نور قريحة وقادة . اما نحن فترى الواحد منها اذا جاوز حد الاربعين تمثل بقول عنترة

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

وقعد عن السعي يندب شبابه وقد يبلغ الثمانين وهو في صحة وعافية يحسد عليهما ولو ابدى بعد الاربعين بعض ما ابداه من السعي والهمة قبلها لانجز في كهولته وهرمه ما لم ينجزه في شبابه . ولعل في ما نقدم تعزية لمن خانه السعد ولزمه النحس شاباً فيئس وقطع كل امل بالنجاح كهلاً . ولا يبعد ان يكون معظم السبب في نجاح الكهول والشيوخ خلوهم من مشاغل الشباب وانصرافهم بكليتهم الى ما فيه مصلحتهم دون لذتهم واهتمامهم باعداد ما يعولون به انفسهم وعيالهم اذا اقعدهم المرض او الهرم عن السعي والعمل في أُخريات العمر

غرائب النبات والحيوان

تلك الفلوات المحرقة والفيافي المجدبة التي يأبى ساكن النار ان يستجير بها والتي اذا دعا على اخيهِ لم يدعُ عليهِ باحرَّ منها — فيها ما يزيل وحشتها كما يزيل البدر وحشة الليلة الظلماء ويزين وجهها كما تزين الشامة وجنة الصهباء ويعلي قيمتها كما يعلي الدرُّ قيمة الصدف . فكأنَّ الطبيعة خشيت ان يقال عنها انها ملأَت رحابها بما لوكان بدلاً منهُ نارٌ لاستخدمها الانسان لحاجتهِ واصطلى بها المعدم من بردهِ فأودعتها ما يخفف وطأة الانتقاد ويدلُّ على ما في اعمالها من الحكمة والسداد وانها خلقت الدواء قبل ان تخلق الداء واوجدت الكرب ولكن بعد ان اوجدت العزاء

فمن ودائعها في الصحراء الواحات وامرها مشهور . ولكن سل علماء الطبيعة الذين جابوا الارض طولاً وعرضاً يستجلون غوامضها وينقبون عن كنوزها يخبروك ان في اكناف المفاوز المترامية نوعاً من النبات يذخر الماء لحاجتهِ ويجود بهِ على طالب رفدهِ من الانسان او الحيوان تبريداً لغلتهِ . منهُ نبات ينبت في صحراء موهاف بكليفورنيا يبلغ علوُّهُ نحو نصف متر وتضرب جذورهُ في الارض فتملأُ بقعة قطرها نحو ستة امتار وهي مساحة واسعة بالنسبة الى حجم النبات . وترى الجذور قرب سطح الارض لا تبعد عنهُ الى اعمق من ١٠ سنتيمترات فتتمكن بذلك من امتصاص مقدار كبير من ماء المطر ولو هطل مرة واحدة فيكفيها مؤُونة على مدار السنة . على ان منهُ ما يرسل بعض جذورهِ افقية وبعضها عمودية فتغرز في الارض الى عمق كثير

اما الطريقة التي تخزن هذه النباتات الماء بها فغريبة في بابها . فان مقدار ما يتبخر من ماء النباتات عادة انما هو على نسبة مساحة سطحها الاخضر او اوراقها . فقد اخذت شجيرة من شجيرات البن اليمني ووزنت فبلغ ثقلها ٢٠٫٥ الجرام وقيست مساحة اوراقها فبلغت ١٦٤٤٧٦ مليمتر مربع اي ان نسبة ثقلها الى مساحة اوراقها كنسبة ١ الى ٨٠٢٣ . واخذت شجيرة من البسناجا وهو نوع من الصبر ينبت في الصحراء ويذخر الماء ولهُ جذع بلا اوراق ووزنت فبلغت زنتها ٧٧٠٠٠ جرام ومساحة سطح جذعها ١٠٣٣٣٠ مليمتراً مربعاً اي ان نسبة ثقلها الى مساحة سطحها كنسبة ١ الى ١٣٫٤ . فيظهر من هذه المقابلة ان مساحة السطح الاخضر في نبات البن ٦٠٠ ضعف مساحة السطح الاخضر في الصبر المذكور وبعبارة اخرى ان قوة التبخر في نبات البن اشد من قوة التبخير في نبات الصبر ٦٠٠ ضعف

وزد على ذلك ان تركيب نبات الصبر هذا هو بحيث يقل معهُ مقدار ما يتبخر منهُ كثيرًا ويستطيع النبات بهِ ان يحافظ على القسم الاعظم من الماء الذي امتصهُ . فان قشرتهُ صلبة وداخلهُ مؤلف من خلايا يذخر الماء فيها والماء ٩٦٫٣ في المئة من ثقلهِ وعليهِ فان فيهِ من الماء ما لا يوجد في اكثر الخضر ماء كالخيار فان فيهِ ٩٥ في المئة من الماء

وهذا الصبر على انواع منها ما ماؤهُ مرٌّ مقيئ ومنها ما ماؤهُ حلو طيب المذاق . شاهد بعضهم استخراج الماء من نوع البسناجا المذكور آنفًا ووصفهُ فقال جيء بشجيرة منهُ علوُّها نحو متر ثم قطعت من اعلاها حتى بان لبابها وأُخذت عصًا فدقَّ اللباب بها حتى خرج العصير كلهُ منهُ وصبَّ في اناء فاذا هو ماء لذيذ الطعم فيهِ ملوحة قليلة يشربهُ العطشان ويفضلهُ اهالي المكسيك على الماء القراح

وقد جهزت الطبيعة هذا النبات بحرس قوي من الاشواك تكسوهُ كلهُ فتصونهُ من غارات الحيوان آكل العشب اما ما كان منهُ مرًّا مقيئًا فانك تراهُ قليل الشوك اذ مرارتهُ كافية لان تدفع عنهُ هجمات اعدائهِ

غير ان الحيوانات التي تسكن الصحراء وان كانت تلقى اشدَّ الصعاب في سبيل استقاء الماء الآن المشهور عنها انها قلما تتطلبهُ تقضي الايام الطوال بل الشهور صائمة عنهُ ولا ينالها من صيامها شرٌّ ولا ضرٌّ . ومن الحيوان ما لا يشرب الماء بتاتًا ولا يأكل المواد التي يكثر الماء فيها كالخضر بل طعامهُ الحبوب اليابسة . ذكر بعض اهل السياحة من العلماء انهُ توغل في احدى صحارى استراليا ومعهُ تسعة جمال فلم تشرب ماء مدة اثني عشر يومًا. وذكر آخر ان الغنم المعروفة بالمرينوس قد يمرُّ عليها شهران كاملان لا ترى فيهما الماء فضلاً عن ان تشربهُ . وربى آخر فارة برية فلم تشرب الماء شهرًا كاملاً وكانت تقتات بالحبوب اليابسة ولما أُلفت اتاها بالماء فلم تشرب وادناهُ منها حتى مسَّ فاها فنفرت منهُ . وربى غيرهُ فارة اخرى ثلاث سنوات فلم تشرب في خلالها ماء وانما كانت تقتات بالحبوب اليابسة . وقد حار العلماء في ذلك اذ يستحيل على حيوان لهُ اجهزة للتنفس والهضم والافراز ان يعيش على مثل هذا القدر اليسير من الماء حتى تساءل البعض قائلين ترى هل لتلك الحيوانات اعضاء تمتص بها الرطوبة من الهواء وتحولها ماء تسدُّ بهِ حاجة اجسامها . أو هل تأخذ ما تحتاج اليهِ من الماء من نشا الطعام عند تحليلهِ في اجسامها كيماويًّا كما انها لا تستطيع اخذ طعامها مباشرة من التراب فتأخذهُ من النبات بعد امتصاصهِ لهُ واغتذائهِ بهِ

المدح والذم والتقريظ والانتقاد

المدح والذم وما ادراك ما هما . أمران استأسد فيهما الهوى والتصق بهما العلم والجهل والرجاء واليأس والرغبة والرهبة حتى ندَّت الالسنة والاقلام عن مناهج الصواب . فشردت الاماديح والاهاجي عن مواطن الصدق ودرجت مدارج الكذب وتجلببت جلابيب التمويه فانقلب كلٌّ منها الى ضدّ ما أريد بهِ . اي استحال هجو الكرام مدحاً ومدح اللئام هجواً على حدّ ما قال المتنبي

واذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فليت شعري من يقوم في زعمهِ ان هجو المشهور بالانصاف والوفاء يصدَّق عند من اتصل اليهم صيتهُ او من الذي يستطيع ان يغطي بسجف مدحهِ ما شاع وذاع من رذائل وخيانات من اشتهر بقلة الحياء وعُرِف بالكبرياء والخيلاء

فما مثل هذين الأَمثل من يطلي العبد الاسود بطلاء ابيض او يطلي الابيض الكرجي بطلاء اسود حتى يظهرا للنظر على ضدّ ما جبلا عليهِ ولكن لا يحكم على العبد الاسود انهُ ابيض ولا على الابيض انهُ عبد أسود الأَ ريثما يذهب الطلاء فيعود كل منهما الى حالهِ الاول فكم ياوقاك الله في الاقدام على مثل ذلك من صفاقة الوجه ولآمة النفس

فمن ثمَّ كثر ما نسمع لعصرنا في هذه الناحية " انا لا امدح " او " انا لا احب المدح " فاذا تذكرت ان متعلّق المدح هو الصفات الجميلة كالحكمة والكرم والشجاعة والمروءة والرأفة والوفاء . وأنَّ متعلق الذم انما هو الصفات القبيحة كالجهل والطيش والجبن والشح والاختلاس والرثاء حكمت الحكم البات ان ما ذكرنا من قول ناشئة العصر " انا لا امدح " او " انا لا احب المدح " انما هو ضلال مبين ان أُخذ الكلام على اطلاقهِ والأَ فهل من انسانٍ يذم المحسن ويهجو الشجاع ويطعن في اهل المروءة والنجدة ام هل من احدٍ يشقُّ عليهِ مدح الكرام او هل من امرىءٍ ينفر من الثناء على الابطال الصناديد او يشمئز من التنويه بارباب العلم من مثل الائمة الذين وضعوا كتب العلوم وقرّروا قواعدها وحرّروا ضوابطها او من مثل المخترعين الذين كانوا ولن يزالوا للبشرية وَبْلَ منافع وديمَ فوائد كمخترع الخط ومخترع السفن البخارية والسلك البرقي وغيرهم ممن يضيق المقام عن سرد اسمائهم

ولكن اذا نظرت الى وقوع المدح غير موقعهِ ورأيت مطارفهُ الفاخرة على من يدنسونها

بصديد المعايب هان عليك ان توافقهم وذهب عنك استغراب قولهم ذاك "انا لا امدح" وايقنت ان ذلك المدح لمن يتنكبون السنن المسنونة والآداب المحمودة لا يتعدى ان يكون من باب وضع الشيء في غير موضعهِ وهو لعمر الله الظلم بعينهِ وما كان الظلم بمحمد

بالله ربك قل لي من ذا الذي اذا خلي وشأنهُ تطاوعهُ نفسهُ ان يمدح من اذا راجعت تاريخ اعمارهم او نظرت الى آثارهم اخذك العجب من اجترائهم على الظهور للناس مع كثرة قبائحهم ووفرة فضائحهم . ألا بعيشك انبئني من الذي يطيب لهُ ان يسمع الثناء على جماعة لو انبعثت عن المساوىء رائحة كريهة لما امكن التخلص من نتانة مساوئهم الاَّ باحراق القناطير المقنطرة من العود والبخور

فما تقول يا اخا الادب وظهير الفضل متى رأيت في مديح كل منهم مئين من القصائد تصورهم للناس بصور ينابيع الفضل ومصادر المجد واركان الحق وانصار العدل . وما هم وحياة الانسانية الاَّ دمامل مثالب يسيل قيحها على ذلك المحيا الجميل محيا الانسانية

اقول هذا اضطهاد للادب واصحابهِ . والفضل وار بابهِ وهو لو اريد تصويرهُ او تمثيلهُ جاز ان يقال انهُ كاعداد المزابل للادباء والنبلاء ونصب كراسي الكرامة والتعظيم للسفهاء. فيالحق من مضيعيهِ وللفضل من مضطهديهِ

واعلم ان لا داعي الى شيء من ذلك الجور على الاخلاق الكريمة واهلها والخروج عن الواقع الاَّ هوًى متبع او امل في نوال او خوف من عقاب او جهل بحقيقة الحال كما سبق الالماع اليهِ. فربما هوي الشاعر امرأةً غير بارعة في الجمال فيصور لها في شعرهِ من المحاسن ما لا اثر لهُ الاَّ في تخيلاتهِ . وقد يعظم امل امرىء في شخص حتى يقوم في زعمهِ انهُ سيفتح لهُ خزائن روتشيلد فيمثلهُ فيما ينظم في مدحهِ من القصائد بحر جود يتدفق على الدنيا او سحاباً من ذهب يهمي على الارض

وربما خشي على حياتهِ من جائرٍ لا قبل لهُ بكف عاديتهِ عنهُ فيتزلف اليهِ بقصيدة او بقصائد تشرح تفوُّقهُ على الانام وتبين عظمة شأنهِ عند الاقوام وتجعلهُ ملاذ البلاد وتحط عن مرتبتهِ عنترة بن شداد وذلك كلهُ رجاء ان لا يتناولهُ بمكروهٍ وفراراً من ان يمسهُ بأذى . وقد يكون المرء معتقداً علو الهمة وشرف النفس في زيدٍ فيطلق قريحتهُ في بيان رفعة قدرهِ وعلو منزلتهِ حالة كون الواقع على ضدّ ما قام في وهمهِ ولا يكون ذلك عن رغبةٍ ولا عن رهبة ولا انقياداً لهوى في الصدر بل تمثيلاً لما ثبت لهُ عند المادح من الطباع السليمة والصفات النبيلة

ومن هنا فلا تستغرب ان ترى الشاعر يمدح زيداً ثم يهجوهُ ويهجو عمراً ثم يمدحهُ وهو لا يبالي ما قال الناس فيهِ ولا يخشى عار هذا الانقلاب حتى كأن البشر أصبحوا بهائم لا يُستحى ان ترتكب المعاصي امامهم . فهذا المتنبي مدح كافوراً أعلى المدح واجلَّهُ ثم هجاهُ اشدَّ الهجو واوجعهُ فاليك بعض ما قال في مدحهِ

ولكن بالفسطاط [1] بحراً أزرتهُ حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيرهِ ومن قصدَ البحرَ استقلَّ السواقيا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانهِ وخلَّت بياضاً خلفها ومآقيا

الى ان يقول

يُدلُّ بمعنًى واحدٍ كل فاخرٍ وقد جمع الرحمان فيكَ المعانيا

ودونك ما قال في هجوهِ

من ايَّةِ الطرقِ يأتي مثلك الكرمُ أينَ المحاجمُ يا كافورُ والجلمُ
جازَ الالى ملكتْ كفاك قدرَهمُ فعرِّفوا بك ان الكلبَ فوقهمُ

أخذتُ بمدحهِ فرأيتُ لهواً مقالي للأحيمقِ يا حليمُ
ولما أنْ هجوتُ رأيتُ عِيّاً مقالي لابن آدم يا لئيمُ

اني نزلتُ بكذابينِ ضيفهمُ عن القرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجال من الأيدي وجودهمُ من اللسان فلا كانوا ولا الجودُ
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهمِ الاَّ وفي يدهِ من نتنها عودُ

ومنها

لا تشترِ العبدَ الاَّ والعصا معهُ ان العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ
ما كنتُ أحسبني أحيا الى زمنٍ يسيءُ بي فيهِ كلبٌ وهو محمودُ

ومنها

مَنْ علَّم الاسودَ المخصيَّ مكرمةً اقوامهُ البيضُ ام آباؤهُ الصيدُ

ثم استيعاباً للكلام في هذا الباب نقسم المدح الى قسمين احدهما المدح بالصفات الفطرية كالسماحة والبسالة والآخر المدح بالصفات الكسبية كالتبحر في العلم وطول الباع في الصناعة . فاما المدح بالصفات الفطرية فلا يحتاج الى علم يتلقى على استاذ . فكلٌّ يستطيع ان يعرفهُ ويحقّ

---

(1) الفسطاط مصر القديمة

لهُ ان يذكرهُ ويثني بهِ على صاحبهِ . فمن يرَ زيداً يفرق المال على العفاة ويقري الضيفان ويرَ عمراً يخوض غمار الحرب ويفتك بكماتها يتهيأ لهُ ان يثني عليهما بالسخاء وشدة البأس وثبات الجأش . وكذلك من ينال عوارف خالدٍ او يأمل تحصيل فائدة عندهُ يطلق لسانهُ في مدحهِ . وكذا قل في من يخشى غائلة قوي فانهُ يتذرع الى التخلص منهُ بالمدح . فاذا راجعت دواوين الشعراء فلا ترى مدحةً لم تشذ عن باعثٍ من تلك البواعث

وممن مدحوا رهبةً عبد الله الشهير بصفي الدين بن الشكر كما قال فيهِ شمس الخلافة

مدحتك السنة الانام مخافةً ... وتقارضت لك في الثناء الاحسنِ

أترى الزمانَ مؤخراً في مدتي ... حتى أعيش الى انطلاقِ الالسنِ

واما المدح ببسطة العلم وطول الباع فيهِ والبراعة في الصناعة فلا يُقبَل الاّ من اكابر العلماء وحذاق اهل الصناعة او ممن يسند ذلك اليهم . والاّ فمن اين للتاجر الجاهل صناعة التصوير مثلاً ان يحكم بأن فلاناً هو ابرع مصوري زمانهِ ولا يعرف من دقائق الصنعة شيئاً ولم يكاشف بشيءٍ من اسرارها . بل من اين للبقال ان يحكم لخالدٍ انهُ اعلم زمانهِ وفرد اوانهِ وهو لا يعرف قاعدة من قواعد ذلك العلم الذي ميزهُ فيهِ على الاقران . ورفعهُ عن الامثال والانداد . فلا جرم ان كلا هذين ممن يهرف بما لا يعرف فالمدح بالعلوم والصنائع انما هو من خصائص اربابها يقبل منهم ولا يقبل من سواهم لمكان انهم اهل المعرفة بذلك والخبرة بهِ . وفي الشرائع عامةً ان ما لا يعلمهُ الاّ ذوو الخبرة يقضى فيهِ على قولهم

غير ان تباين الانظار والاذواق وتلاعب الاهواء والاغراض بنفوس من اثبتنا ان لهم القول الفصل بذلك وتفاوت طبقاتهم في العلم وسعة الاطلاع وقلتهِ قد اطاش سهامهم واوهن احكامهم فارانا واحداً لسان اهوائهِ ورغائبهِ وواحداً مقول حسدهِ وكبرهِ وآخر شاهداً بفساد ذوقهِ وضعف نظرهِ او مثبتاً بوهن حكمهِ قلة اطلاعهِ

ألا وان بعض ما يخالط النفس مما ذكرناهُ يثور عليها فيخيم ضبابهُ حتى ما ترى وجه الصواب فتركب مطايا الغلو مدحاً او ذماً . ومن هناك تراهم في تراجم العلماء وتقريظ كتبهم يجاوزون حد المعقول كما يفعل الشعراء في مدح من يجزل لهم الصلات ويسني لهم الجوائز كابي دلف الجواد المشهور فقد قال فيهِ العكوّك احد فحول الشعراء المبرزين

انما الدنيا ابو دُلَفٍ ... بين مغزاهُ ومحتضرهْ

فاذا ولى ابو دُلفٍ ... ولت الدنيا على اثرهْ

كلُّ من في الارض من عربٍ ... بين باديهِ الى حضرهْ

مستعيرٌ منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخره

والذي يبعث المقرظ على المغالاة في مدح كتاب او قصيدة إما نشوة تأخذ بلبهِ لوقوعهِ في الكتاب او القصيدة على ما يحسن في ذوقهِ ويلائم ما في نفسهِ . وإما كون الكتاب او الشعر لحبيب لهُ كرامة عندهُ فهما وان كانا من طبقة متوسطة يجعلهما في الطبقة الاولى ولا يرى فيهما مغمزًا ولا مطعنًا وينوه بالمؤلف والشاعر تنويهاً ينطبق على ما لهُ في صدرهِ من التكريم . وكذلك يفعل في الانتقاد اجابةً لداعي سخطهِ كما سترى . وإما مقصد آخر تتعلق بهِ نفس المقرظ فتتطرق الى ادراكهِ بالتقريظ المتعدي حد ما يستحق المقرظ ونظائر ذلك كثيرة لعهدنا . فأجدر باولئك المادحين والمقرظين ان يرفعوا البراقع عن عيونهم ويجعلوا المدح والتقريظ منطبقين على الواقع ولو توسعوا فيهما كما تقتضيهِ طبيعة الثناء بالخير والاَّ ازرى بهم اهل الذوق من الخواص والعوام ولم يعد فيهم من يحفل بكلامهم او يأخذ بهِ فيكون لهم بذلك عقوبة شبيهة بعقوبة المأمون للعكوَّك . فقد اخرج لسانهُ من قفاهُ لقولهِ في ابي دلف ايضاً

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ الى حالِ

وما مددتَ مدى طرفٍ الى احدٍ الاَّ قضيت بارزاقٍ وآجالِ

والادلة على الغلو في التقريظ كثيرة نقتصر منها على ثلاثة ونحيل بالباقي على مطالعة الكتب

الدليل الاول

في تقريظ الخطب النباتية

قال ابن خلكان في خطب عبد الرحيم بن نباتة[1] "وقع الاجماع على انهُ ما عمل مثلها" يريد انها فريدة في بلاغتها وحيدة في حسن ديباجتها يتيمة الدهر في انسجامها وقوة معانيها . اقول ان هذا الاطلاق ليس بقائم على اسٍّ متينٍ كما يراهُ من اطلع على نهج البلاغة فقد أُودع من الخطب ما تراءى فيهِ البيان بأبهى مظاهرهِ وتجلى بابهر بدائعهِ . فياليت شعري من ذا الذي يوازن بين خطب الامام عليٍّ وخطب ابن نباتة ثم يجرؤُ ان يقول في الخطب النباتية "وقع الاجماع على انهُ ما عمل مثلها"

لا أُريد بذلك الغضَّ من هذه الخطب فهي والحق يقال خطب بليغة محبرة تشهد لصاحبها بطول الباع في صناعة الانشاء وتقضي لهُ بانهُ من افرس فرسان البيان ومن

(١) ولد ابن نباتة سنة ٣٣٥ هـ بميا فارقين وتوفي بها سنة ٣٧٤ هـ وقد خرج من ميا فارقين الخطيب الشهير المعروف بأبي حليم وهو احد بطاركة النساطرة

احقَّ من يشار اليهم بالبنان . ولكنها لم تبلغ ان تفضّل على الخطب الحريرية [١] فضلاً عن الخطب العلوية . وان شئت فعارضها بها تظهر لك حقيقة الامر وتعلم حينئذٍ ان ابن خلكان [٢] انما قال فيها ما قال اما لأنها اشدّ ملاءمةً لذوقهِ واما لأنها احسن من سواها موقعاً في نفسهِ واما لانهُ لم يقابلها وقتئذٍ بما هو من جنسها فقلّد في تقريظها غيرهُ فجاء حكمهُ جائرًا فيما أُرى

الدليل الثاني

في وصف ابي الوليد بن زيدون

قال ابن بسّام [٣] صاحب الذخيرة في ابي الوليد بن زيدون "كان ابو الوليد غاية منثورٍ ومنظومٍ وخاتمة شعراء بني مخزوم اخذ من حرّ الايام حرًّا . وفاق الانام طرًّا"

نعم ان ابن زيدون [٤] كاتب بليغ وشاعر مجيد . فلا يتعدّى الحدّ من يقول انهُ غاية منثورٍ ومنظوم

اما اطلاق القول بأنهُ فاق الانام طرًّا فمن قابل شعرهُ بشعر غيرهِ من الفحول انتقض عندهُ هذا القول من اصلهِ فانهُ يرى في طبقتهِ خلقاً من الشعراء فلو سئل ابن بسام متى امتحنت الانام اجمع وعرفت طبقة كلّ منهم حتى جاز لك القول انهُ فاق الانام طرًّا ما استطاع الى الجواب سبيلاً اللهم الاَّ ان يقول انما اراد انام بلدهِ وعصرهِ فيكون من باب قولهم جمع الامير الصاغة يعني كلهم والمراد كل صاغة بلدهِ لا كل صاغة الدنيا

قلت الاولى في مثل ذلك ان يُجرى على سنة التخصيص كما جرى صاحب الذيل في ترجمة ابي الفضل الميكالي [٥] قال "كان أوحد خراسان في ذلك العصر ادباً وفضلاً" وكما قال في صفيّ الدين الحليّ [٦] ونصُّ قولهِ "هو الامام العلاَّمة البليغ القدوة الناظم الناثر شاعر عصرهِ على الاطلاق" واوقع منهُ في النفس واثبت عند الامتحان ما جاء لابن شاكر في

(١) كانت ولادة الحريري سنة ٤٤٦ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ

(٢) ولد ابن خلكان باربل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ

(٣) ابن بسام توفي سنة ٣٠٢ وقيل ٣٠٣ هـ

(٤) كانت وفاة ابن زيدون بمدينة اشبيلية في صدر رجب سنة ٤٦٣ هـ (٥) كانت وفاة ابي الفضل الميكالي يوم عيد الأضحى سنة ٤٣٦ هـ

(٦) كانت ولادة الصفي الحلي سنة ٦٧٧ هـ ووفاتهُ سنة ٧٥٠

ترجمة ناصر الدين بن النقيب (١) وهذا نص قوله " شعره حسن جيد عذب منسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة . وهو احد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء مصر في ذلك العصر ومقاطيعه جيدة الى الغاية " ونظير هذا قوله في عبدالله الجماعلي الدمشقي (٢) " كان اماماً حجة مصنفاً متفنناً محرراً متبحراً في العلوم "

وينتظم في هذا السلك قوله في الكاتب المعروف بالبديع (٣) كان آية في النظم والنثر. فما قاله ابن شاكر فيمن ذكرنا تنويه مقبول ونعت يصح في المعقول ومن هذا الباب وصفه لابن المعتز (٤) بصاحب الشعر البديع والنثر الرائق

الدليل الثالث

ما جاء للزمخشري في تقريظ مقامات الحريري وهذا هو

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
أن الحريري حري بأن نكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى ولوسروا في ضوء مشكاته

قلت لامراء ان النسج على منوال الحريري اشق ما يحوم حوله المنشي وأوعر ما يسلكه الكاتب ومقاماته حرية بان تكتب بماء الذهب فقد شهدت بلاغتها انه قد ملك قياد البديع وقامت له اللغة مقام الخادم المطيع والعبد الامين وانقادت له المعاني انقياد الاسير العاني لكنني لا احسبها معجزة تقصر ايدي البلغاء قدمائهم ومحدثيهم عن الاتيان بمثلها . وما كان الزمخشري ليعجزه انشاء مقامات في طبقتها وهو من ابلغ الكتاب في اللسان العربي . وعندي ان هذا الغلو في تقريظ المقامات الى هذا الحد وان كان لأحد امراء البيان وفرسان اليراع اشبه بغبار يقع على محياها فيحجب من جماله وربما ساق الفحول من علماء الأدب الى تعقبها والتنديد بها

ورب قائل يقول كفى بالحريري فضلاً وحسبه فخراً ان يطرئه مثل الزمخشري هذا الاطراء ويقضي له بالسبق على الناس اجمعين . فهذا من فريق من لا يدققون النظر في الامور واما انا فلو كنت الحريري وكانت هذه المقامات لي لتبرأت من قبول تقريظ يجعلني

(١) توفي ناصر الدين بن النقيب سنة ٦٨٧ هـ (٢) ولد عبدالله الجماعلي الدمشقي سنة ٥٤١ هـ ومات سنة ٦٣٠ هـ (٣) توفي الكاتب المعروف بالبديع سنة ٥٢٤ هـ (٤) ولد ابن المعتز في شعبان سنة ٢٤٩ هـ وقيل في ربيع الآخر سنة ٢٩٦

فريد الدنيا وفائق الناس من درج منهم ومن بقي ومن يأتي · وفي قول ابي القاسم الحريري " هذا مع اعترافي بان البديع [1] سبّاق غايات · وصاحب آيات · وان المتصدّي بعده لانشاء مقامة ولو أُتي بلاغة قدامة لا يغترف الاّ من فضالته ولا يسري ذلك المسرى الاّ بدلالته " ما يشير الى انهُ لا يرتاح نفساً الى ان يبلغ الغلوّ في تقريظ مقاماته الى حد ان يجعلها فوق طوق البشر كما هو صريح قول الزمخشري فيها · ولعلَّ سائلاً يقول لو سئل الزمخشري [2] عن قوله

معجزةٌ تعجز كلَّ الورى ولو سروا في ضوء مشكاته

بماذا كان يجيب قلت ما كان يسعهُ ان يخرج من ذلك الاّ بان يقول انما أُردت ان الحريري بلغ اقصى ما يستطيع ان يبلغهُ أكابر اهل الانشاء في وضع المقامات وانما عدلت عن مذهب الاقتصار على الحدّ الاوسط الى مذهب الغلوّ تفخيماً للأمر واظهاراً لمزيَّة ذلك المنشىء الناشر راية الابداع الحامل لواء البراعة · على ان الزمخشريّ قد غلبت عليه فيما اظنّ نشوة الاستحسان لبدائعها والتعجب من روائعها حتى خيل لهُ انها معجزة تفوت حدَّ الفصاحة البشريَّة ولاسيما ان كان ممن يهيمون بمتانة العبارة مع التنميق والزخرفة فيكون قد رآها بعين الساري وقد طلع عليه البدر. هذا ولم أرَ مادحاً أرعى لقدر العلم والانصاف من البديع الهمذاني فقد وصف في مقامته القريضية امرأ القيس والنابغة وزهيراً وطرفة وجريراً والفرزدق والمحدثين والمتقدمين من الشعراء وصفاً منطبقاً على الصحة قال في امرىءِ القيس " هو اول من وقف في الديار وعرصاتها واغتدي والطير في وكناتها · ولم يقل الشعر كاسباً . ولم يجد القول راغباً ففضل من تفتق الحيلة لسانهُ . وتنتج الرغبة بيانهُ "

وقال في النابغة " يثلب اذا حنق · ويمدح اذا رغب · ويعتذر اذا رهب فلا يرمي الاّ صائباً "

وقال في زهير " يذيب الشعر والشعر يذيبهُ ويدعو القول والسحر يجيبهُ "

وقال في طرفة " هو ماء الاشعار وطينتها وكنز القوافي ومدينتها . مات ولم تظهر اسرار دفائنه . ولم تفتح اغلاق خزائنه " ثم وازن بين جرير والفرزدق فقال

" جرير ادقّ شعراً · واغزر بحراً · والفرزدق امتن صخراً · واكثر فخراً · وجرير اوجع هجواً · واشرف يوماً · والفرزدق اكثر روماً واكرم قوماً · وجرير اذا نسب اشجى واذا

(1) البديع الهمذانيّ توفي سنة ٣٩٨ هـ وقد أربى على الاربعين (2) الزمخشري ولد بزمخشر قرية بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ ومات في جرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ

ثلب أردى . واذا مدح اسنى . والفرزدق اذا افتخر اجزى . واذا احتقر ازرى . واذا وصف اوفى "

وقال " المتقدمون اشرف لفظاً . واكثر من المعاني حظاً . والمتأخرون الطف صنعاً . وارق نسجاً "

وشتان ما حكم البديع وحكم الحريري في مسئلة المتقدمين والمتأخرين اما الاول فقد مرّ بك حكمهُ واما الثاني فقد قسم الناس الى فريقين فريق قضى للمتقدمين على المتأخرين حيث قال في المقامة المراغية "حضرت ديوان النظر بالمراغة . وقد جرى بهِ ذكر البلاغة . فاجمع من حضر من فرسان اليراعة . وارباب البراعة على انهُ لم يبقَ من ينقح الانشاء . ويتصرف فيهِ كيف شاء ولا خلف بعد السلف .... وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل . ولو ملك فصاحة سحبان وائل"

وفريق قضى للمتأخرين على المتقدمين حيث قال "عظمتم العظام الرفات . وافنتم في الميل الى من فات وغمصتم [1] جيلكم الذين فيهم لكم اللدات [2] ومعهم انعقدت المودّات . أَنسيتم ياجهابذة النقد . وموابذة [3] الحل والعقد . ما ابرزتهُ طوارف القرائح . وبرّز فيهِ الجذع على القادح . من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة . والاساجيع المستملحة . وهل للقدماء اذا انعم النظر . من حضر . غير المعاني المطروقة الموارد . المعقولة الشوارد . المأثورة عنهم لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد"

ثم مهد لنفسهِ طريق الامتياز على المتأخرين والمتقدمين من البلغاء . ونادى بلسان حالهِ انهُ مع ما اخذ نفسهُ بهِ من الاعنات في تلك الرسالة بالتزام ما لا يلزم البليغ من الاتيان بكلمة مهملة واخرى معجمة مع التقيد بالسجع والجناس وسائر وجوه البديع قد جاء بابلغ الكلام واسمنهِ فبز الاوائل والاواخر

قلت لاغرو ان هذا المنشئ الذي يعدُّ من اعيان الطبقة الاولى بين ارباب اليراع قد حال العجب بينهُ وبين الاصابة بالحكم فكان البديع اصوب منهُ رأياً في ذلك واصح نظراً وارسخ في البلاغة قدماً . والواصف اذا خرج من رق الهوى وانقاد لدليل الحجى كان في الموازنة كالميزان عدلاً وصدقاً . وهذا خالد بن صفوان الشبيه بالبديع في الموازنة الخالية من جذبات الحب ودفعات البغض الناطقة يسطة العلم وصفاء الذهن قد وازن بين جرير

(١) غمصتم اي عبتم (٢) اللدات المساوون في العمر (٣) الجهابذة جمع الجهبذ وهو الصراف والموابذة جمع الموبذ وهو في الاصل حاكم المجوس فاستعيرهنا

والفرزدق والاخطل في مجلس هشام بن عبد الملك موازنةً انعقد عليها رضاهم واليك خبرها

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان صف لي جريرًا والفرزدق والاخطل فقال يا امير المؤمنين اما اعظمهم فخرًا وابعدهم ذكرًا واحسنهم عذرًا وايسرهم مثلاً . واحلاهم عللاً . البحر الطامي اذا زخر. والحامي اذا دغر [١] والسامي اذا خطر. الذي اذا هدر [٢] قال واذا خطر صال [٣] الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق

واما احسنهم نعتاً . وامدحهم بيتاً . واقلهم فوتاً . الذي اذا هجا وضع . واذا مدح رفع فالاخطل

واما اغزرهم بحرًا . وارقهم شعرًا واهتكهم لعدوهِ سترًا . الاغر الابلق . الذي ان طُلب لم يُسبق . وان طَلب لم يُلحق فجرير

وكلهم ذكي الفؤَاد . رفيع العماد . واري الزناد

قال مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرًا ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الاولين ولا في الآخرين اشهد انك احسنهم وصفاً. وألينهم عطفاً .واخفهم مقالاً . واكرمهم فعالاً

فقال خالد اتم الله عليك نعمتهُ . واجزل لك قسمتهُ . انت والله ايها الامير ما علمت كريم الفراس عالمٌ بالناس. جوادٌ في المحل. بسام عند البذل. حليمٌ عند الطيش . في الذروة من قريش . من اشراف عبد شمس ويومك خيرٌ من الأمس

فضحك هشام وقال ما رأيت يا ابن صفوان كتخلصك فى مدح هؤُلاء ووصفهم حتى ارضيتهم جميعاً وسلمت منهم "

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة كلامٌ يجدر بنا في هذا المقام ذكرهُ فنرويهِ لك بنصهِ قال " لا احسب احدًا من اهل التمييز والنظر نظر بعين العدل وترك التقليد يستطيع ان يقدّم احدًا من المتقدّمين المكثرين الاَّ بان يرى الجيد في شعرهِ اكثر من الجيد في شعر غيرهِ ولله در القائل : اشعر الناس من انت في شعرهِ حتى تفرغ منهُ

وقال العتبي " أُنشد مروان بن ابي حفصة لزُهَير فقال زهير اشعر الناس ثم أُنشد للأعشى فقال بل هذا اشعر الناس ثم أُنشد لامرىء القيس فكأَنما سمع بهِ غناء على شراب فقال والله امرؤُ القيس اشعر الناس "

والحاصل ان المدح والتقريظ بحيث لا مصدر لها الاَّ الفضل والصواب كما تقدّمت لنا

---

(١) دغر: قحم من غير تثبت (٢) هدر: صوّت (٣) صال: سطا

الاشارة اليهِ كان على المادح او المقرظ ان يقطع لممدوحهِ او مقرَّظهِ ثوباً من الثناء واسعاً ضافياً ليكون في سعتهِ وضفوهِ دليل على ان ذلك وان كان حقّاً الاَّ انهُ قد خالطهُ شيءٌ من تحسين الحبّ وما كان الحبيب ليقري حبيبهُ بالطعام الجشب (١) او ليقف بمدحهِ عند حدّ الاهلية بل يدفعهُ الحبّ الى ان يتخطى ذلك الحدّ تخطياً مألوفاً. وهل المدح الأعن كرم في الطباع وكيف يتلاق الشحّ والكرم في جهةٍ واحدة وباعتبارٍ واحدٍ

سعيد الخوري الشرتوني

زوجها ابوها

الشعر القصصي كان شائعاً عند العرب قبل الاسلام كما ترى في اراجيزهم وبعض قصائدهم المشهورة وهو اقرب الى الفطرة من الشعر المقصور على المدح والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكم او على نظم العلوم والفنون. لكن العرب لم يبلغوا فيهِ مبلغ اليونان والرومان ولا مبلغ الفرس والهنود ثم اهملوهُ بعد الاسلام فوضعوا قصة عنترة نثراً بدلاً من وضعها شعراً. وفعلوا كذلك بالف ليلة وليلة. وقد رأى ابناء عصرنا ان يعودوا الى الشعر القصصي ويجاروا فيهِ الافرنج ومن ذلك هذه القصيدة وقد حدثت حادثتها في احدى مدن سويسرا وتناقلتها الجرائد الافرنجية. وخبرها ان احد الشبان واسمهُ مولر تزوج منذ عشرين سنة بفتاة فقيرة مثلهِ فاضطرّ ان يرحل عنها وهي حامل ثم انقطع خبرهُ حتى ظنهُ الناس قد مات في غربتهِ اما زوجتهُ فولدت بنتاً وماتت عنها ساعة وضعها فتبنّى الطفلة رجل غنيٌّ كريم من بلدة مجاورة. وفي هذه الايام عاد والد تلك الطفلة من سفرهِ وقد حسنت حالهُ فأُخبر بوفاة زوجتهِ اما ابنتهُ فلم يعرف عنها شيئاً ورجح لهُ اهل بلدهِ انها قد تكون لحقت بوالدتها ثم فارقهم. واتفق انهُ قدم بلد الرجل الذي تبنّى ابنتهُ ووقع بصرهُ عليها دون ان يعرفها فأُعجب بجمالها وآدابها فخطبها الى مربيها فازوجهُ بها ثم عرف من حديثها انها ابنتهُ بلا ريب فلم يجد افضل من الانتحار فانتحر بعد ان اوصى لها بثروتهِ. انتهى الخبر ملخصاً

فتناول هذه القصة حضرة الشاعر المصري نقولا افندي رزق الله ونظمها فجاءت قصيدة حسناء تشهد لناظمها بالبراعة والفضل قال

---

(١) الجشب من الطعام ما لا ادام فيهِ

تزوَّجها لكنْ بغير غرامِ وفارقها من بعد صحبةِ عامِ
وما كان لولا فقرُهُ بمسافرٍ وهل لفقيرٍ راحةٌ بمقامِ
على أنهُ مذ سار ألقى اعتمادهُ على جيرةٍ في الحيّ غيرِ كرامِ
ثنى الطرفَ عنها منهم "كل مرتجى" لدفع بلاء او لنيل مرامِ
واعرض عنها عارفوها لفقرها كاعراضهم عن مبتلي بجذامِ
فمدّتْ بديها للسؤال برغمها كما مدَّ جانٍ عنقهُ لحسامِ
تطوفُ غرثى بالبيوتِ لعلها يجودُ عليها محسنٌ بطعامِ
وكم ليلةٍ باتتْ وقد غلبَ الاسى عليها فلم تهنأ بطيب منامِ
يزيدُ سكونُ الليلِ حزناً فؤادها لما حولها من وحشةٍ وظلامِ
وما زال ذاك البؤس يطوي شبابها وينقلها من صحةٍ لسقامِ
الى ان تولاّها المخاضُ بطفلةٍ بدايتها موصولةٌ بختامِ
قضت أمها وقت الولادة ما دَرَتْ ببنت حباها النحسُ أمْ بغلامِ
رمتها الى الدنيا تعاني شقاءها وليس لها من ناصرٍ ومحامِ
ومن عاشَ منكوداً مدى العمر عيشةً فما يتهنّأ مرة بحمامِ

∴

توهم قومٌ ابصروا البنت انها الى قبرها منقادةٌ بزمامِ
كذاك حياةُ الطفلِ لولا عنايةٌ قضى قبلَ يوميْ حبوةٍ وفطامِ
ولكنها لاقتْ كريماً محبياً فعاشتْ لديهِ في اعزّ مقامِ
كريمٌ تبنّاها فكان لها أباً وكان لها في الناسِ خير امامِ
فشبّتْ على مهد الدلالِ ولم تُعبْ ولا عيرتها الحاسداتُ بذامِ
ولما مضت عشرون عاماً تسربلتْ من الحسن والاحسانِ ثوبَ تمامِ
فكانت تفيض السحر في قلب من ترى فتملأُهُ من صبوةٍ وغرامِ
نفورٌ نفارَ الظبي من ظلِّ ريبةٍ ومن وَحي الخاطرِ وهمسِ كلامِ
وما ذاكَ عن كبرٍ ولكن لعلها بمن حولها من حسدٍ ولئامِ
وخيرُ حجابٍ للمليحةِ بخلها وان لم يحجبْ وجهها بلثامِ

∴

ترامى الى الشبانِ في الحي صيتها وللحسنِ صيتٌ طائرٌ مترامِ

فاقبلت الخطَّابُ منهم وبعضهم يزاحمُ فيها البعض ايَّ زحامِ
وفيهم ابوها عادَ من بعد غربةٍ ادرَّتْ لهُ مالاً كصوبِ غمامِ
ويجهل كلَّ الجهل أنَّ لهُ ابنةً يهيم بها الخطَّابُ كلَّ هيامِ
وقد بلغ الضعفينِ من عمر بنتهِ ولكن لهُ قلبٌ كقلبِ غلامِ
فلما رآها عاد من غير علةٍ طريحَ سقام او جريحَ سهامِ
فما نبذوهُ حينما جاء خاطباً ولم يسمعوا فيهِ أقلَّ ملامِ
وللمال عند الاكثرين كرامةٌ وفضلٌ بخطَّابِ الاوانسِ سامِ
وما هي الاَّ حفلة عقدوا بها زواجهما ثم انقضت بسلامِ
فكان زواجاً في الكتاب محرَّماً وعند عبادِ النارِ غيرَ حرامِ

⁂

تمازجت الروحانِ كلَّ تمازجٍ كما التزمَ الجسمانِ كلَّ لزامِ
فأذكرَها ذاك الهناء شقاءها وللبتمِ جرحٌ في الحشاشةِ دامِ
فسالت مآقيها بدمعٍ كلؤلؤ تحدَّر من سلكٍ بغيرِ نظامِ
فقال لها لا تكتمي الأمر واكتمي مسيلَ دموعٍ في الخدودِ سجامِ
فقصَّتْ عليهِ كيف عاشت يتيمةً على فضلِ قومٍ صالحينَ كرامِ
وكيف أصيبتْ أمها حين وضعها بموتٍ كما شاء الشقاء زؤامِ
فلما انتهت مما روَتْ ظلَّ صامتاً لفرطِ جواهُ ملجماً بلجامِ
فحدق في ماضيهِ تحديق نادمٍ فأقشعَ عن عينيهِ شبهُ غمامِ
رأى انهُ جهلاً تزوَّج بنتهُ كرامٍ رمى أحشاءهُ بسهامِ
فباء بيأسٍ يذهلُ المرء بعضهُ ويصرعهُ سكرًا بغير مدامِ
فأملى عليهِ ذلك اليأس أسطرًا بدمعٍ أسى مكتوبةً وضرامِ
يقول لها فيها مقالة والدٍ يحنُّ حنين الزوج دون ملامِ
وهبتكِ مالي وَهوَ ابقى لديكِ من حياتي التي لم ارجها لدوامِ
أقيمي بلا زوج غدًا او تزوَّجي بذاك وهذا تحفظين ذمامي
ولا تسألي عما لقيتُ فانني لقيتُ «حمامي قبل يوم حمامي»

القاهرة نقولا رزق الله

القويُّ يأكل الضعيف

او الحق للقوة

اظهر ما في هذا الكون من الآيات بين الاحياء آية سُطِّرت في اديم الارض ورحاب الفضاء — وهي ان القويَّ يأكل الضعيف . وعلى هذه الآية بنى علماء البيولوجيا والطبيعة اقوالهم وشروحهم في تفسير قواعد الحياة ومنها اشتقوا قولهم "الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح" اي ان القويَّ يبيد الضعيف ويرث الارض بعدهُ إما بالاعتداء عليهِ مباشرة كما تفعل الضواري من الحيوان وكما كان الانسان يفعل في عهد همجيتهِ وإما بالاعتداء عليهِ بواسطة وتلك الواسطة هي الطبيعة بما فيها من حرّ وبرد وجوع وعري ومرض . فان هذه العوامل كلها تساعد القوي على الضعيف او تقرض الضعيف من امام القوي فالصحيح والغني اصلح للبقاء وابعد عن الفناء من السقيم والفقير . وغالى اهل السياسة في هذا المذهب قولاً لما رأوا شدة تمكنهِ بين الامم فعلاً وانهُ هو المبدأ السائد للناس في معاملاتهم بعضهم لبعض فوضعوا قاعدتهم المشهورة وهي "الحق للقوة"

وتاريخ الانسان من بدء ظهورهِ على هذه الارض الى عهدنا الحاضر شاهد على ان هذا المبدأ لم يتغير بتغير احوال الناس في معايشهم وارتقائهم من حال البداوة والهمجية الى حال الحضارة والمدنية . فقد كانت طوائف البشر فيما مضى كطوائف الحيوان في كل زمان ومكان — يبتلع القوي الضعيف ويهضم حقوقهُ . ولم يكن لها دأب سوى شن الغارات بعضها على بعض لجرّ مغنم او اخذ ثار وما اشبه . وهذا ما لا يزال يجري الى الآن ولكن على شكل آخر وفي زي آخر اي ان الدولة الفلانية تغتصب وتسمي اغتصابها استرداد حق مفقود وتعتدي وتسمي اعتداءها دفع اهانة او تعويض شرف او اتقاء شر . وقاعدة "الحق للقوة" من موضوعات القرن التاسع عشر قرن العلم والنور والعمران . وليست هذه باول مرة ظهرت الذئاب فيها بجلود الحملان

واذا كان الانسان طماعاً سلاباً نهاباً لاخيهِ فلهُ اسوة بسائر الحيوان ولا لوم عليهِ في ذلك ما دامت الاثرة سنة طبيعية عامة وانما يلام لان لهُ ميزة على سائر الحيوان بشيء هو النفس او الروح او العقل مهما شئت سمهِ وحقنا ان نقول

لولا العقولُ لكان ادنى ضيغمٍ   ادنى الى شرف من الانسانِ

والحيوان يعتدي بعضهُ على بعض ويفترس بعضهُ بعضاً بطرق شتى واساليب مختلفة . فمن

السمك نوع يسمى الرامي تشبيهاً لهُ برامي السهم عن القوس او البصّاق وانما سمي كذلك لانهُ اذا رأى حشرة على نبتة نبتت قرب الشاطئ دنا منها الى اقرب ما يمكنهُ ثم ملأ فاهُ ماء وقذف بهِ على الحشرة فتسقط في الماء فيلتهمها . وهو يصيب غرضهُ وقلَّما يخطئهُ ويكثر وجودهُ في انهار جزائر الهند الشرقية واهل جاوى وما جاورها يصيدونهُ من الانهار ويحفظونهُ في بركهم للعب والتسلية وذلك انهم يلتقطون لهُ الذباب ويدنونهُ منهُ فيقذف عليهِ الماء من فيهِ حتى يقع في البركة فيلتقمهُ

ومن الحيوان ما يصطاد فريستهُ بكمونهِ لها حيث يَرى ولا يُرى لعلمهِ بالسليقة ان منها ما هو شديد الحذر والتوقي على نفسهِ كالتمساح فانهُ يتربص لفريستهِ في الماء او بين الاعشاب اياماً لا يبدي حراكاً كأنهُ ميت حتى تمرّ من امامهِ فينقضّ عليها كالبرق الخاطف . ومن الافاعي نوع يتعلق بالاشجار من ذنبهِ متدلياً ويبقى كذلك لا يتحرك حتى يعسر التمييز بينهُ وبين الغصون الَّتي حولهُ . فاذا مرَّت فريستهُ تحت الشجرة التي بنفسهِ عليها . وهكذا يفعل بعض انواع العلق في حراج افريقية فانهُ يعلق بغصون الاشجار حتى اذا مرَّ انسان او دابة تحتهُ سقط عليهما ليمتص دمهما

ومنها النسر ملك الكواسر . وصف بعضهم صيد بعض انواعهِ لفريستهِ نثراً بمثل ما وصف المتنبي الاسد ملك الوحوش شعراً من قصيدتهِ في بدر بن عمار فقال : يحلق ملك الكواسر في الجوّ ثم ينقض فجأة على شجرة بجانب نهر يرصد فريستهُ منها بعين تقدح شرراً وتتبين الاشباح بجلاء ولو كانت على حدود الافق واذن تكاد تسمع دبيب النمل في قراهُ . وتراهُ آونة بعد اخرى ينظر الى اسفل خشية ان لا يطرق مسمعهُ وئيد الظبية وخشفها . وتجثم انثاهُ على شجرة في الضفة المقابلة وتصيح فيهِ حيناً بعد حين كأنها توصيهِ بالصبر وتحثهُ على السهر فينشر جناحيهِ ثم يطويهما وينحني الى الامام ويردّ عليها بصراخ كأنهُ قهقهة الضاحك او عربدة الشارب الثمل ويعود فيستوي في مجثمهِ كالملك على عرشهِ . فتمرّ من تحتهِ اسراب البط تباعاً سراعاً ترد الماء فلا يرمقها بنظرة كبراً وترفعاً

وفيما هو على تلك الحال يطرق اذنهُ واذن انثاهُ صوت اوزة عن بعد فتصيح الانثى صيحة شديدة وتأخذهُ هزة فينتفض كأن قد بللهُ القطر ويتحفز للانقضاض على فريستهِ حتى اذا مرَّت امامهُ جمع نفسهُ في زورهِ وانبعث من مكمنهِ انبعاث السهم عن قوسهِ او الشهاب الثاقب من فلكهِ وهو يصعق صعقات قوية تصيب اذن الاوزة فتقع عليها وقع الصاعقة وتحاول الفرار منهُ ولكن اين المفرّ وسلطان الطير هو الطالب . فتحاول إلقاء نفسها في الماء

فيمنعها من ذلك بان ينازلها من اسفل فيضطرها الى البقاء طائرة حتى تقع غنيمة بين براثنهِ

ومن السمك نوع يصيد فرائسهُ بالحيلة فان لهُ شبه عرف معلقاً بانفهِ فيدفن نفسهُ في الوحل ويبقي العرف فوق الماء فاذا رأت صغار السمك العرف اجتمعت حولهُ ظناً ان هناك غنيمة باردة فيفتح فاهُ بغتة فتنحدر الى جوفهِ وهو لم يحرّك لصيدها ساكناً

ومن الحشرات ما يحفر في الارض حفرة مستديرة جوانبها من التراب والرمل الناعم فاذا مرّت حشرة اخرى بها هوت الى اسفل فاصطيدت

والعناكب تقتنص صيدها بشباك تحوكها فمنها ما يقف لفريستهِ بالمرصاد وسط شبكتهِ ومنها ما يختبئُ قرب الشبكة في ثقب من الحائط فاذا وقعت الفريسة في الشبكة المنصوبة جعلت العنكبوتة تغزل الخيوط وتلفها حولها لتمنعها من الهرب . ومن هذه العناكب عنكبوتة في مدغسكر حيَّرت علماء الحيوان مدة طويلة فان في وسط الشبكة التي تحوكها خيطاً غليظاً لم يهتدوا الى فائدتهِ مع طول المراقبة ولم يروها تستخدمهُ لغرض من الاغراض · والغريب انهُ اذا أُزيل اسرعت فغزلت خيطاً آخر غيرهُ . واتفق انهُ بينما كان احد العلماء يراقب عنكبوتة من هذه العناكب رأى جندباً كبيراً قد وثب الى وسط الشبكة وما كاد يفعل حتى وثبت العنكبوتة خلفهُ باسرع من لمح البصر وشدّت وثاقهُ بالخيط الكبير لان الخيوط الصغيرة لا تكفي لذلك

ومن الحيوانات حيوان يسمّى آكل النمل وطريقة صيدهِ لها هي انهُ يبسط لسانهُ الطويل على الارض وكل نملة تمرُّ عليهِ تلصق بهِ لوجود مادة لزجة عليهِ فاذا اجتمع منها لقمة سائغة ازدردها هنيئاً مريئاً · وكثيرًا ما يغرز لسانهُ في قرية للنمل ثم يخرجهُ منها محملاً صيداً

ومن الحيوانات ما يصطاد جماعات كالكلاب البرية والذئاب والثعالب · روى بعضهم ان الكلاب البرية تجري خلف فريستها وهي تسابق الرياح وتستحثُّ بعضها بعضاً بالنباح حتى تخور قوة الفريسة رعباً وتعباً · واذا طاردت حيواناً لم ينقذهُ منها سرعة جريهِ ولا خفة حركتهِ ولا قوة عضلهِ ولا شدة بطشهِ . فالغزال والنمر والدب والاسد عندها شرعٌ . تتبع الفهد الهندي عن كثب وتهجم عليهِ فتثخن فيها جرحاً وقتلاً فلا يثنيها ذلك عنهُ بل لا تزال بهِ حتى تنال مأربها منهُ

ومثل الكلاب البرية الذئاب فان شراستها مشهورة ولاسيا اذا دهمها الجوع · ففي الحرب تسير في اثر الجيوش فتستفرد المتخلفين من الجنود وتلتهم القتلى · او تهاجم المسافرين زرافات او تجتمع زوجين زوجين وتأخذ صيدها بالحيلة · فاذا عثر الزوجان منها بقطيع من الماشية

حسبا للكلب الذي يحرس القطيع كلٌّ حساب عمّا منهما بشدة سهرهِ وقوة دفاعهِ ودقة شمّهِ فيحاولان خداعهُ بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مسترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويختبئ الآخر منهُ فيهجم الكلب على الذئب الذي يراهُ فيهرب هذا امامهُ والكلب في اثرهِ فيغتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منهُ شاة ويفرُّ الى حيث يقتسمها هو وشريكهُ

ومن الطير ما يعيش على صيد غيرهِ فاذا رأى طائرًا صاد شيئًا جدَّ وراءهُ حتى يدركهُ فيوسعهُ نقرًا بمنقارهِ او يترك صيدهُ فيتلقفهُ اذ ذاك غانمًا ويعود الآخر خاسرًا

وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصول فيهِ الاحياء ويجولون ويتجالدون ويتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الاَّ الجواد ولا يسلم الاَّ البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

المعالجة الحديثة (١)

ما زال الطب يجري مع الايام في مقدمة العلوم حتى وصل الى حالتهِ الحاضرة وقد اصبح مطلب العلماء وملجأ البائسين وهو الآن كما كان قبل سريع السير كثير التقلب بعيد المرمى شريف الغاية يتناول من الحقائق جوهرها ويبني عليهِ اعمالهُ العجيبة فهو صناعة دقيقة لا يمكن النجاح فيها الاَّ بعد عناء طويل ودرس كثير وعمل دائم وحسبنا شاهدًا على ما نقدم بذل العلماء نفوسهم في خدمتهِ. ومعلوم ان الطب في استخدامهِ الطبيعة لشفاء المرضى لا يستخدم بعض انواع المواد فقط بل كل ما يصل اليهِ فهو يستخلص الدواء اللازم من المعدن والنبات والحيوان والمصل والحرارة والنور والكهربائية واشعة رنتجن واشعة فنسن واشعة الراديوم وهلمَّ جرًّا الى ما لا نهاية لهُ. على انني لضيق المقام سأحصر بحثي في ثلاثة انواعٍ من طرق المعالجة: وهي اولاً المعالجة بالمصل. وثانياً المعالجة ببعض اعضاء الحيوان وثالثاً المعالجة بالاشعة المختلفة

اما المعالجة بالمصل فقد مهد لها السبيل الدكتور كوخ باكتشافهِ مكروب السل ففتح باباً جديداً للبحث اتجهت اليهِ الابصار ودخلهُ كثيرٌ من العلماء بآلاتهم المكبرة ليروا ما خفي عليهم منذ اجيال عديدة وهو ذلك المكروب الصغير الذي كان ولم يزل سبباً اكثر الامراض فدرسوا عنهُ ما استطاعوا وعرفوا شيئاً مهماً عن ماهيتهِ وانواعهِ وكيفية نشوئهِ وتوليدهِ. واتضح لهم انهُ كلما دخل جسماً أُوجد فيهِ سماً قتالاً واضطر الجسم ان يفرز من المواد اللازمة ما يضاد

(١) خطابة للدكتور توفيق بشارة كنعان احد المنتهين من القسم الطبي خطبها في احتفال كلية بيروت

ذلك السم وان افرز ما يكفي لمقاومتهِ أمِن شره ُ والاَّ اهلكه ُ[١] ولما تحققوا ذلك جعلوا يحقنون بعض الحيوانات كالخيل بكمية صغيرة من سموم احد المكروبات بحيث لا تضر بها لكي يتولد في الدم مادة تضادها ثم زادوا تلك السموم فازدادت المواد المضادة لها ولم ينفكوا يفعلون ذلك حتى وصل الى الدم من المواد المضادة ما جعل تلك الحيوانات غير قابلة السمّ مهما كانت قوة سمّ المكروب ثم اخذوا ذلك الدم المحتوي على هذه المواد وهو ما ندعوه ُ الآن مصلاً وحقنوا بهِ من اصيب بمرض سببهُ نفس المكروب الذي استخدم سمّهُ لاستخراج المصل فخفّت وطأة المرض وكثيرًا ما توقف سيرهُ بالكلية . واعظم شاهدٍ على ذلك مصل الدفثيريا اكتشفهُ بارنك وكيتساتو ووجد اورنسن طريقة لتطهيرهِ[٢] فقد قلل عدد الوفيات من ٦٠ الى ٢٦ في المئة[٣] ثم ان من الامراض ما استخرج مصلهُ ولكن لم يعم استعمالهُ لعدم تاكد فعلهِ كداء الحمرة (ومكتشف مصلهِ الدكتور إيڤو بندي[٤]) والطاعون (اكتشفهُ يرسن وهفكن[٣]) وداء الكلب (پاستور) والحمى الصديدية[٣] والحمى العفنة[٣] والتتنوس (كتّاني وتيزوني)[٣] والتيفوئيد (ڤيدال وكرينبوم وشانتمس[٣]) ولدغ الافاعي (كلمت)[٣] والسراجة (بوشكه وبونوم)[٣] والبرص (كرسكوبلاَّ)[٣] والزهري (پوكسن وريشُو وسيپولينا)[٥] وهلمَّ جرًّا . وقد نجح بومكرتن وهيكلر في حقن العجول بمصل السل وجعلها غير قابلة الاصابة بهِ[٦]

اما المعالجة ببعض اعضاء الحيوان فقديمة العهد الاَّ انهُ لم يحفل بها حتى نشر بَرون سيكار نتيجة بحثهِ وبرهن للعالم ان اغلب الاعضاء ولاسيما الغدد تفرز الى الدم بواسطة الجهاز اللمفاوي مادة لا يستغني الجسم عنها وان فقدها تألم جدًّا وظهرت عليهِ اعراض مختلفة وقد يموت من جراء ذلك[٧] وكفى بذلك برهانًا على ان الحيوان اذا فقد الغدة الدرقية هَزُلَ وتوقف نموهُ واصابهُ بلهٌ وتغير تركيب اعضائهِ المختلفة وقد ظهرت كل هذه الاعراض على من لم يكن لهُ غدة درقية او من استؤصلت منهُ بعملية جراحية . وكثير من الامراض والبله وسوء تركيب الاعضاء ناتجةٌ عن نقص في وظائف الغدة الدرقية او عن عدم وجودها . وقد قال الدكتور اوسلر[٨] لم تشاهد صناعة الطب تقدماً مثل تقدمها في شفاء الامراض الناشئة عن اضطراب في وظائف الغدة الدرقية واننا نخلّص اولادًا قضي عليهم بالبله والموت ونرد

(١) راجع كتاب Hare's "Pract. Therapeut" وجه ٤١٢ (٢) راجع Martindale's & Westcott's Extra "Pharmacop." وجه ٤٦٩ - ٤٩٠ (٣) "Hare's Pract. Therap." صفحة ٥٤١ (٤) راجع Lancet, Aug. 6, 1904 (٥) Lancet, Nov. 26, 1904. (٦) "Berlin. Klinische Wochenschrift" No. 3, 1905. (٧) "B. & W. Laborat. Researches" (٨) Osler's "Pract. of Medicine" p. 843

الى الحياة الذين كانوا فريسة هذا الداء . وذكر انهُ عالج ولدًا مصابًا بهذا الداء وابقاه تحت عنايتهِ مدة ١٨ اسبوعًا وفي نهايتها وجد مريضهُ قد نما ٢٠ سنتيمترًا وقوي جسمهُ وتقدمت قواه العقلية تقدمًا غريبًا [١] وقد ظهر حديثًا ان خلاصة الغدة الدرقية تنفع امراضًا كثيرة كداء قشر السمك والصدفة والسرطان وغيرها [٢] . قال احد الاطباء متهكمًا وقد ساءتهُ مبالغة البعض في مزية الغدة الدرقية : " لا يبعد بعد قليل ان نرى الجراحين يقطعون ارجل الناس وايديهم ثم يعطونهم خلاصة الغدة الدرقية فتنمو ثانية "

اما المعالجة بالاشعة فقديمة جدًّا لان اشعة الشمس رافقت الانسان منذ نشوئهِ واستخدمها لشفاء امراض كثيرة . وحديثًا ظهرت اشعة رنتجن فحارت فيها العقول وصوبت نحوها الآمال لما امتازت بهِ من خرق الاجسام التي لم تقوَ اشعة الشمس على خرقها فاستطاع الجراح ان يرى في الجسد الاجسام الغريبة التي دخلت اليهِ ويزيلها من اماكنها بكل سهولة . وما عدا ذلك فلهذه الاشعة قوة غريبة في توقيف كثيرٍ من الامراض كالسرطان والدمامل وغيرها . ثم توصل فنسن الى اكتشاف اشعتهِ وهي عبارة عن تحليل اشعة الشمس الى عناصرها المختلفة بحيث يمكن الطبيب بواسطة آلة خصوصية ان يستعمل بعض العناصر فقط في معالجة بعض الامراض الجلدية . ومنذ عام اكتشفت اشعة الراديوم فرحب بها الانسان وجعلها منتهى امالهِ لما بان فيها من الصفات الغريبة . وقد امتحنت منفعة الراديوم باستعمال مادتهِ واشعتهِ ومحلولهِ (اول من استعمل الراديوم الدكتور ليبر في نيويورك) في امراض الجلد والدمامل والسرطان والورم اللحمي والذئب والخراجات وامتحنت في خرق الاجسام فوفت بالمرام الّا انها لا تفضل على اشعة رنتجن في ذلك وكثيرون من العلماء يعتقدون بمنفعتهِ الخصوصية في بعض الاحوال كالدكتور ميرون متسنبوم والدكتور بيغارو والدكتور ليبر والدكتور ابولنت والدكتور اكسفر ولكن بعضهم يشكون في منفعتهِ او ينكرونها بالكلية كالدكتور ترنر والدكتور هرشل والدكتور مكس اينهورن والدكتور بليَر .

على ان اغلب العلماء يذهبون الى ان فائدتهُ ستكون محدودة جدًّا لعدم وجود غير غرام او غرامين منهُ (الدكتور هوفمن — ميونخ)

(١) "B. & W. Lab. Reports." (٢) ومرض كريفس (Grave's or Parry's Disease) حاصل عن تضخم في الغدة الدرقية بحيث انها تفرز كمية كبيرة جدًّا تسم الجسم وتسبب العوارض المشهورة في هذا المرض . وقد عالج حديثًا بارلت وتربل وبوركهرت وبلومنتال ولنس ومدسون هذا الداء بحليب ودم بعض حيوانات استوصلت منها الغدة الدرقية ونجحوا . فان هذا الحليب والدم يحتويان على مادة تعرف باسم رودجان (Rodagen) وهذه تضاد فاعلية السم الزائد من افراز الغدة الدرقية

تاريخ محمد علي باشا

الحملة على بلاد الشام

كانت بلاد الشام على ما وصفناها بهِ في العام الماضي في تاريخ الامير بشير الشهابي داراً للفتن ومغنماً لكل افَّاق يلتزمها الولاة ويأتونها اجوع من ذئاب فيبتزون اموالها ويرهقون سكانها

الارض طيبة والفلاَّح مجتهد يعمل في حقلهِ نهاراً وليلاً يغرس توتهُ ويربي دوده ويحل حريرهُ ويبيعهُ من التجار فيسلب عامل الناحية ثمنهُ منهُ ضرائب ومغارم ويؤديهِ الى الوالي ثمناً لمنصبهِ او ايفاء لما فرضهُ عليهِ والوالي يجمع الاموال ويبعث بها الى دار السلطنة تباعاً والاَّ عزل من منصبهِ

وبلاد الشام متوسطة بين اسيا واوربا تمرُّ فيها تجارة الهند وفارس وبلاد العرب ذاهبة الى الغرب وتجارة البلاد الاوربية ذاهبة الى الشرق · موارد الكسب فيها كثيرة ولكن لا يبقى منهُ شيء لاهاليها · وحبل التجارة بين مصر والشام متصل ولكن مواردها تصبُّ في هوتين وتنفق على تعبئة الجيوش وترفيه العظماء

ظفرنا بالامس بكتاب فيهِ ترجمة الذائع الصيت الدكتور ميخائيل مشاقه نزيل دمشق كتبهُ بيدهِ ووصف فيهِ ما راهُ في زمانهِ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فرأينا بين فصولهِ دلائل كثيرة على احوال البلاد المالية والاجتماعية من ذلك ان خالهُ الخواجه بطرس عنحوري نزيل مصر مضى الى جبل لبنان سنة ١٢٣٧ هـ ليطبب ابنتهُ من مرض اصاب عينيها واشترى موسم الحرير من الشيخ بشير جنبلاط وكان ينيف على الف واربعماية اقة (ولعلها كانت تساوي حينئذٍ عشرة آلاف جنيه او حواليها) وكتب لهُ صكاً بالثمن كفلهُ فيهِ بيت مشاقه ثم اراد صاحب الترجمة ان يهاجر هو وذووهُ الى القطر المصري مع الامير بشير الشهابي فمضى الى الشيخ بشير ليقدّم لهُ رهناً بدل الكفالة فقال لهُ الشيخ بشير خذ الرهن فاني اعرف ما انتم عليهِ وانا لم اطلب من خالكم كفالةً بل انتم كفلتموهُ من تلقاء انفسكم ثم لماذا انتم عازمون على السفر · فاجابهُ اننا نخشى من اعداء الامير بشير ان يسعوا في ضررنا · فقال الشيخ بشير ان الامير وان غاب عنا شخصهُ فنحن دائماً تحت امرهِ ولا ينالكم مكروهٌ الاَّ ما يفوتني علمهُ فخذ الرهن وابقوا في بيوتكم واعمالكم وعسى الله ان يسهل طريق الامير ويردهُ الينا في اقرب وقت

قال صاحب الترجمة فرجعت واخبرت الامير فقال ابقَ اذاً مع اخوتك كما قال لك الشيخ بشير ثم اقلع من معلقة الدامور قاصداً القطر المصري ولم يأخذ معهُ سوى مئة من اتباعهِ

وفي هذا الخبر البسيط دليل على وفرة الثروة في بلاد الشام وصدق المعاملة وائتمان الناس بعضهم بعضاً حتى في عصر القلاقل والفتن

وحدث قبل ذلك ان الامير بشيراً لجأ الى حوران من وجه والي صيداء قام اليها فجأة ولم يكن في خزينتهِ من النقود سوى ٢٨٠٠٠ غرش وبعث الى الخواجه جرجس مشاقه ابي صاحب الترجمة ليستدين لهُ مئة الف غرش (تساوي اربعة آلاف جنيه بمعاملة هذه الايام) من تاجر من تجار دمشق وكتب لهُ سنداً بالمبلغ وارسل معهُ من شيلان الكشمير والفراء ما ثمنهُ ثمانية آلاف جنيه او اكثر ليضعها رهناً عند صاحب الدين. فذهب واخبر رجلاً من تجار الحرير في دير القمر اسمهُ بطرس الجاويش وكان في دمشق ليبحث لهُ عن صرّاف يدينهُ هذا المبلغ . وفي صباح اليوم التالي جاء بطرس الجاويش ومعهُ رجل مهيب المنظر اسمهُ السيد محمد الجوخي ويتبعهما زنجي حامل كيساً ثقيلاً ولما جلس قال ان الخواجه بطرس اخبرني عن المبلغ اللازم لسعادة الامير فاحضرتهُ في هذا الكيس . قال صاحب الترجمة فعددناهُ فاذا فيهِ ما يساوي مئة الف غرش (٤٠٠٠ جنيه) وكلها من ارباع الذهب الفندقلي ذي الزنجير وكانت تلك النقود نادرة حينئذٍ . وقال السيد محمد اني اخترت هذا الصنف من النقود لان الامير في غربة وسائر اصناف الذهب تحتاج الى الوزن لانهُ يكثر النقص فيها ثم ان التعامل بالارباع اسهل من التعامل بغيرها. فكتبنا اسمهُ في السند وقدمناهُ اليهِ وسألناهُ الى اين يريد ان نرسل لهُ الرهن فضحك وقال ان الامير كتب سنداً وارسل رهناً لانهُ كان يظن انكم قد تأخذون المال من رجل لا يعرفهُ اما انا فو إن كنتُ لم اتشرف بمعرفتهِ قبلاً الّا انني سمعت عنهُ واشكر معروفكم لانكم كنتم الواسطة لاتصالي بهِ وها انا مستعد ان اقدم لسعادتهِ كل ما املكهُ . ثم شقّ السند وارجعهُ الينا ولم يقبل استلام الرهن . وارسلنا النقود الى الامير مع السند المشقوق واخبرناهُ بما توقع وان الرهن باقٍ تحت امرهِ فجاء الجواب منهُ وعن طيهِ تحرير الى السيد محمد الجوخي يشكرهُ فيهِ على معروفهِ ويخبرهُ ان النقود البالغة مئة الف غرش (اي اربعة آلاف جنيه) وصلت مع السند الذي شقهُ ولكنهُ يؤمل منهُ قبول الامتعة المرسلة واذا ابت عليهِ شهامتهُ ان يقبلها رهناً فليقبلها وديعة للاحتفاظ بها من التلف بالاسفار

فرضي السيد محمد بذلك واستلم الامتعة كوديعة للمحافظة عليها . ثم لما عاد الامير الى لبنان بعث يدعوهُ اليهِ وانزلهُ في افخر مكان من سراي بيت الدين واحتفل بهِ احتفالاً عظيماً

ولما اراد الرجوع الى دمشق بعد عشرة ايام البسهُ فروًا فاخرًا وقدَّم لهُ فرسًا من جياد الخيل وامر ان يدفع اليهِ مبلغ الدين مضاعفًا وارسل معهُ كتيبة من الفرسان توصلهُ الى دمشق

وهذه القصة من اقوى الادلة على توفر الثروة في البلاد وحسن المعاملة فيها وعلى انهُ لو خلت البلاد من عوامل التخريب والتدمير ولو عرف ولاة امرها كيف يبقون لها موارد الثروة ويدرأُون عنها اسباب الضعف والفاقة لما كنا نحسد الآن مملكة من الممالك الاوربية

هذا ولنعد الى حديث الامير بشير وحملة ابرهيم باشا على بلاد الشام فنقول

ان الامير بشيرًا لجأ الى القطر المصري لكي يستعين بمحمد علي باشا على استرضاء الدولة عن عبد الله باشا والي صيداء. فان عبد الله باشا هذا كان صنيعة الامير بشير فلما تقلد الولاية ذكر الجميل واقرَّ الامير على ولاية الجبل ولم يصغِ الى قول الوشاة وكان تدبير اموره في يد رجل يهودي اسمهُ حاييم فارحي وهو سبب توليتهِ على ولاية صيداء فانهُ استعان بالمعلم حزقيال الاسرائيلي الذي كان صرَّاف الباب العالي وارضى الدولة فولتهُ على صيداء واعطتهُ رتبة الوزارة فجعل مدينة عكاء الحصينة مقر ولايتهِ كغيرهِ من الولاة السابقين

قال الدكتور مشاقه في سيرة حياتهِ "ان عبد الله باشا لم يتصرف بالرزانة المطلوبة منهُ بل صار يخالط الاوباش ويعاشرهم ويعقد حلقة الذكر منهم وكان المعلم حاييم مملوءًا حكمة وتهذيبًا فساءهُ هذا التصرف وقدم لهُ النصيحة الواجبة لانهُ كان صادق الخدمة وهو يظن ان عبد الله باشا ينتصح بنصحهِ ويراعي حقوق صداقتهِ لكنهُ لم ينتصح بل اخبر خلاَّنهُ بما قالهُ لهُ المعلم حاييم فقالوا ان هذا اليهودي قد عتا وتكبر على اهل الاسلام حتى ان البعض صاروا يقبلون يدهُ وقد قال القرآن العظيم ان اليهود اشد عداوة للذين آمنوا فكيف يليق بمسلم مثلك ان يأْتمنهم ويعاملهم وان عمك المرحوم سليمان باشا كان رجلاً سادجًا فكان يمسك قرون البقرة واليهود يحلبونها ويشربون لبنها وقد صارت الخزينة كلها في بيت هذا الرجل ولا احد يعرف ما دخلها وماخرج منها والخزينة بيت مال المسلمين فهل يجوز وضعها في بيت يهودي وائتمانهُ عليها . وبمثل هذا الكلام احتالوا على هلاك المعلم حاييم فاولاً طلب منهُ عبد الله باشا ان يحضر مال الخزينة من بيتهِ ويضعهُ في سراي الحكومة وثانيًا امرهُ ان يلازم بيتهُ وسلم الخزينة الى المعلم يوسف قرداحي من موارنة صيدا بعد ان عرضها على المعلم جرجس مسديه فرفضها وهو من كتَّاب الخزينة . واجتمع الشيخ مسعود الماضي وعمر افندي البغدادي عند عبد الله باشا وقالا لهُ ان جميع المسلمين فرحوا برفعك نير هذا اليهودي عن اعناقهم وبمقدار فرحهم يخافون من مكرهِ وسحرهِ لانهُ ساحر ماهر وزد على ذلك ان لهُ كلمة مسموعة في الباب العالي

بواسطة المعلم حزقيال الذي سعى في توجيه الولاية اليك رعاية لخاطر حاييم فلا بدَّ من ان حاييم يكتب اليهِ الآن بما حدث والذي يقدر على التولية يقدر على العزل لا سيما واليهود اغنياء والدولة تفتش عن المال لا عن الرجال فما دام حاييم في قيد الحياة فلا يستريح البال من تدبيرهِ

فصمَّم عبدالله باشا على قتلهِ غير مقدِّرٍ العواقب وارسل تلك الليلة ابرهيم بك الجركسي زوج اختهِ وامرهُ بقتلهِ فناداهُ الى خارج منزلهِ وخنقهُ وطرحهُ في البحر

قال الدكتور مشاقه وقد اسف العقلاء كلهم على فقد هذا المدبّر الحكيم ولا سيما الامير بشير الشهابي وصار يترقب وقوع الخلاف بينهُ وبين عبدالله باشا حاسباً انهُ لابدَّ وان يصير يصغي الى اهل الدسائس والفتن . ونزح كبار التجار من عكاء الى بيروت ولبنان حذرًا من تقلب عبدالله باشا بعد ان رأوا ما فعل بمدبر امورهِ وسبب نعمتهِ وشرع عبدالله باشا يصادر الامير بشيرًا من ذلك الحين والامير يستعطفهُ بواسطة المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور لانهُ كان لعبد الله باشا المام بالادب فاذا حضر المعلم بطرس في مجلسهِ سحرهُ بظرفهِ وادبهِ وجعلهُ يرضى عن الامير واذا خرج من عندهِ غيَّرهُ المفسدون عليهِ زاعمين ان الامير مسيحي كافر لا تجوز موالاتهُ وان بطرس كرامه ساحر يأتي ويسحرهُ ويغير افكارهُ . ودام الحال على هذا المنوال الى ان تمكن اقارب المعلم فارحي من اسخاط الدولة على عبدالله باشا فعزلتهُ واضافت ولاية صيدا الى درويش باشا والي الشام . وبلغ عبدالله باشا ذلك فارسل الى الامير بشير يطلب منهُ ان يرسل اليهِ جدعون الباحوط وهو من اهالي ساحل بيروت وكان رجلاً وجيهاً مستقيم السيرة حسن السريرة وكان الامير يرسلهُ في مهامهِ الى عبدالله باشا قبلما استخدم المعلم بطرس كرامه فارسلهُ اليهِ فاخبرهُ عبدالله باشا ان اليهود سعوا فيهِ عند الدولة فعزلتهُ وولَّت درويش باشا وابقت ذلك مكتوماً حتى يذهب درويش باشا الى الحج ويرجع وقد عينت لمساعدتهِ مصطفى باشا والي حلب وبرهام باشا والي ادنه وقال لهُ قل للامير ان كنت تثبت معي فانا اقدر على مقاومتهم فكان جواب الامير انهُ عبد طائع لهُ يسفك دمهُ في خدمتهِ . وتمَّ الاتفاق بين عبد الله باشا والامير بشير على ضرب درويش باشا قبل وصول والي حلب ووالي ادنه فضرباهُ وجاهر عبدالله باشا بالعصيان وامتنع في عكاء وحصرتها جنود الدولة فعزم الامير بشير على المجيء الى القطر المصري والالتجاء الى محمد علي باشا ليتوسط لدى الدولة في العفو عن عبدالله باشا وتثبيتهِ في ولايتهِ كما تقدم

وفصّل الشيخ طنوس الشدياق صاحب كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان خبر مهاجرة الامير بشير الى مصر فقال انهُ سار مع الامير ولداهُ الامير خليل والامير امين واربعة

وتسعون رجلاً من خدمهِ منهم سبعة من بني الدحداح حتى اذا وصلت السفينة بهم الى العزبة امام دمياط التقاهُ نائب متسلمها بكل احترام وكتب المتسلم الى الاسكندرية يخبر العزيز بحضورهِ فامرهُ العزيز ان يسير الامير الى مصر وكتب الى مدبرها فيها ليقدم لهُ ما يلزم من الاكرام والميرة وانزلهُ في قصر من قصورهِ وزارهُ ابرهيم باشا مرارًا وكان يذاكرهُ في امور لبنان . ثم لما عاد العزيز الى مصر من الاسكندرية عاملهُ بمزيد الاكرام . انتهى

وكان محمد علي قد استحضر اناساً من جبل لبنان زرعوا لهُ التوت في القطر المصري وحاولوا تربية دود الحرير فيهِ فلم يفلحوا لان بزر الدود كان يفقس قبل ظهور ورق التوت لشدة الحر ولم يكن يخفى عليهِ مبلغ ثروة سورية من حريرها ومن وقوعها في طريق التجارة بين المشرق والمغرب ولا بدَّ من انهُ كان يودُّ الاستيلاء عليها بعد ما اخمد ثورة الوهابية وتمهدت لهُ السودان وصار عندهُ من الجنود المنظمة اكثر مما عند الدولة العلية لاسيما وان الدولة كانت في ارتباك تام من حيث تنظيم جنودها فلما اتى الامير بشير اليهِ بالغ في اكرامهِ لكي يصطنعهُ ويستعين بهِ عند الحاجة اليهِ واراهُ اولاً مقدار قوتهِ وثروتهِ وحسن تنظيمهِ لبلادهِ ثم اراد ان يعرف مقدار قوة لبنان فسألهُ عما اذا كان يستطيع ان يمدهُ باربعة آلاف مقاتل من رجالهِ الاشداء لحرب اليونان فقال انهُ يستطيع ذلك ويفعلهُ عن طيب نفس ولما عاد الى الجبل كتب اليهِ محمد علي ان يعدَّ لهُ الرجال كما وعد فاجابهُ انهم مستعدون ومنتظرون امرهُ فكتب اليهِ ثانية ان لا داعي لهم

وبسط الامير الى محمد علي رجاءهُ الذي جاء لاجلهِ وهو استعطاف الدولة على عبدالله باشا والي صيداء فكتب محمد علي الى الاستانة وتمكَّن بما لهُ من المكانة هناك من اصدار امرٍ عالٍ بالعفو عن عبدالله باشا وامر آخر بردهِ الى ولاية صيداء وبرفع الحصار عن عكاء ورجوع الولاة الى اماكنهم

ذكر الكولونل تشرشل في كتابهِ عن لبنان ان محمد علي استدعى الامير الى قصرهِ البديع في شبرا بعد ان ابان لهُ مكانتهُ في الاستانة بالحصول على العفو عن عبدالله باشا والي صيدا وكان جالساً يحيط بهِ ابناؤُهُ وخواص دولتهِ فلما دخل الامير نهض لهُ واستقبلهُ استقبال النظير للنظير وهش لهُ وبشَّ وعرَّفهُ بالذين حولهُ كأنهُ من اقرانهِ ومشيريهِ لا كأنهُ مهاجر ملتجئ اليهِ وامر بنزولهِ عندهُ تلك الليلة وفي اليوم التالي اختلى بهِ وقال لهُ ان بلاد الشام كانت خير بقاع المعمور لما كانت مع الديار المصرية لملك واحد ثم تولاها آل عثمان فاذهبوا بروتها واستنزفوا خيراتها وبلغ من ظلم ولاتها الذين يرسلون لادارة الاحكام فيها ان ارهقوا

الرعية وجاروا عليها حتى صارت ارضهم قفراً بلقعاً وجبل لبنان الذي اذا اسعده الله بوالٍ لا يخشى العزل والارهاق يصير جنة الله في ارضهِ صيروهُ بفساد سياستهم داراً للحرب وميداناً للخصام . ويقال جملة ان بلاد الشام كلها صارت بسوء ادارتها في حالة من الضعف والاضمحلال توجب على كل محب لبلادهِ ان يسعى جهدهُ في تخليصها منها وتجيز لبلاد مجاورة لها مثل بلاد مصر ان تسعى جهدها في انقاذها . ثم جعل يصف حالة القطر المصري بعد ان اصلح زراعتهُ وانشأ المصانع فيهِ ووسع نطاق تجارتهِ وكيف ان ذلك كلهُ وقع موقع الرضا والقبول لدى مولاهُ السلطان الاعظم كما يظهر من استعانة الدولة بهِ على كبح جماح العصاة في بلاد اليونان وبيَّن لهُ انهُ ينوي ضم بلاد الشام الى بلاد مصر عاجلاً او آجلاً ويعطيهِ ولاية لبنان لهُ ولاولادهِ من بعدهِ . ولما ودعهُ وعاد الى منزلهِ رأى صرَّة فيها اربعة آلاف جنيه هديَّة منهُ . وبعد ايام ورد الفرمان من الاستانة بالعفو عن عبدالله باشا وبتثبيتهِ في ولاية عكاء وصيداء فثبت للامير ما قالهُ الوزير من ان لهُ في دار السعادة مقاماً رفيعاً وكلمة مسموعة

وعاد الامير الى بلاد الشام وقوبل في عكاء بالترحيب والاكرام واطلقت المدافع لقدومهِ وقرئ فرمان العفو وفرمان التولية فانصرف الوزراء الذين كانوا يحاصرون عكاء واعيد الامير بشير الى ولاية الجبل

وكل ما اصاب اهالي الشام من الظلم والارهاق لم يكن اشدَّ وطأة مما كان يصيب فلاحي مصر في ذلك الحين حتى اضطرَّ كثيرون منهم ان يهجروا بلادهم ويلجأوا الى بلاد غزة ويافا فكتب محمد علي الى عبدالله باشا يطلب منهُ ارجاعهم الى بلادهم فلم يهتم عبدالله باشا باجابة طلبهِ. وكتب اليهِ الامير بشير ايضاً يحذرهُ سوء العقبى ان لم يجب عزيز مصر الى طلبهِ ويذكرهُ بما لهُ عليهِ من المعروف. وكان عبدالله باشا غرَّا مغروراً فكتب الى الامير يقول "ان الدولة رفعت الحصار عن عكاء لانها عجزت عنها وكيف لا تعجز وقد عجز عنها بونابارته وكانت محصَّنة بسور واحد والآن هي محصَّنة بسورين وانهُ لا يسمح بان يؤخذ بزر دود الحرير من الجبل الى مصر" كأنهُ كان يخشى ان يربي الدود في مصر ويكثر فيها الحرير فينقطع طلبهُ من جبل لبنان . وبلغ محمد علي ذلك فاغتاظ من عبد الله باشا واضمرها لهُ وقام ينتهز الفرص الى ان وقع الخلاف في الجبل بين الامير بشير وحزبهِ والشيخ بشير جنبلاط وحزبهِ فارسل يعرض على الامير عشرة آلاف مقاتل فاجابهُ شاكراً فضلهُ وشاكياً اليهِ تصرُّف عبدالله باشا في حمايتهِ للشيخ بشير وكان والي دمشق قد قبض على الشيخ بشير وبعض رجالهِ بخديعة وارسلهم الى عبدالله باشا فأمر عبد الله باشا اولاً بحبسهم ثم انعم عليهم وطيَّب قلوبهم فكتب

الامير الى محمد علي يخبره بذلك ويقول له انه ما دام الشيخ بشير في قيد الحياة فلا سبيل الى راحة الجبل . فكتب محمد علي الى عبد الله باشا ليقتل الشيخ بشيراً والشيخ امين العماد فقتلهما خنقاً وبقيت جثتاهما مطروحتين امام باب عكاء ثلاثة ايام كأنهما فرختنان او هرتان وهما من اعظم رجال لبنان واولها من اعاظم رجال المشرق ولكن اذا استفحل الظلم ضاعت الاقدار والنفوس

ثم تجدد الخلاف بين محمد علي وعبد الله باشا بسبب النازحين من القطر المصري وعلم محمد علي ان حكم الجبل قد تمهد للامير بشير وحده ولم يبقَ له منازع فيهِ بعد قتل الشيخ بشير وانخذال حزبهِ فبعث بالجنود المصرية لتدويخ بلاد الشام وكتب الى الامير بشير يخبره بذلك ويدعوه الى نجدة ابنهِ فجمع الامير بشير امراء الجبل ومشايخهُ في بيت الدين وبسط لهم واقعة الحال واستشارهم في الامر ففوضوا الرأي اليهِ لكن الدروز منهم خافوا العاقبة لانهم علموا انهُ ان صارت البلاد لعزيز مصر ضرب عليهم الضرائب الفادحة والمغارم الثقيلة واضطرهم الى الخدمة العسكرية . ولم يجاهروا برأيهم حينئذٍ بل تربصوا الى ان رأوا لهم فرصة للهرب والانضمام الى جنود الدولة ففعلوا . اما الامير بشير فلم يرَ لهُ مندوحة عن نجدة ابرهيم باشا ولعل رجالاً من الفرنسويين رغبوه في ذلك واغروه بهِ لانهم كانوا يعدونهُ بمجيء السفن الفرنسوية لمساعدتهِ كما سيجيء . هذا وسنقتصر في ما يلي على ما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في ترجمتهِ عن حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام لانهُ حضر كثيراً منها وكان لهُ اتصال بها قال :

لما بلغ عبد الله باشا والي صيداء خروج العساكر من مصر اسرع يجهز كل ما يلزمهُ للحصار ونادى برفع اسعار المعاملة فزادها نحو عشرة في المئة وحضر الى الامير بشير عمدة بكتابة من الشيخ حسين عبد الهادي من مشايخ بلاد نابلس يخبره عن وصول عساكر مصر الى اراضي غزة مع ابرهيم باشا ويسأل الامير عما يشير بهِ عليهِ فاجابهُ انهُ يحسن بالشيخ ان يلاقي ابرهيم باشا ويسير معهُ ومتى وصلوا الى امام عكاء فهو يسير للقائهم . وكنت قد اتيت الى الامير اسألهُ كيف يريد ان يتصرف الامير سعد الدين (امير حاصبيا وكان المؤلف مدبراً لهُ) فاجابني متى انتهى امر عكاء فاخبر الامير سعد الدين وغيره عما يجب عملهُ واما الآن فيجب ان يكون في طاعة والي الشام كعادتهِ . فكتبت اليهِ بذلك ونزلت الى بيروت لامر يخصني فلما وصلتها سمعت ان عساكر مصر بلغت صحراء عكاء وان ابرهيم باشا ارسل الى الامير بشير ليوافيهُ اليها فقمت الى عكاء في اليوم التالي ولما وصلتها وجدت اثنين وعشرين مركباً حربياً تحيط بها ثمانية من شماليها وثمانية من غربيها وستة من جنوبها امام برج الغربان ومن البر مدافع كثيرة على

تل الفخار وجميعها تضرب على عكاء باتصال وعكاء تضربها وكان دخان البارود مخيماً على المدينة حتى لم تعد ترى وبقي الضرب من الصباح الى قبل غروب الشمس بساعة ونصف فقامت المراكب الى حيفا ولم ترجع للضرب في ما بعد . والذي فهمتهُ ان المراكب قذفت على عكاء اكثر من سبعين الف كرة ولكن تعطل اكثرها من ضرب مدافع عكاء عليها . وبقيتُ هناك نحو عشرين يوماً وكان يخرج نحو خمسة آلاف من العسكر المصري كل ثلاث ليالي او اربع تحت ظلام الليل الى مكان بعيد ويرجعون عند شروق الشمس ايهاماً لعسكر عكاء ان عساكر مصر لم تزل تتوارد عليهم

واشتغل العسكر المصري بحفر الخنادق المعوجة المسماة عندهم طريق النار واقاموا متاريس قريبة من الاسوار ونصبوا عليها المدافع واتمّوا اعمالهم هذه في ظلام الليل لكي يتقوا نيران عكاء واستعرت نار الحرب بين المتاريس واسوار عكاء نهاراً وليلاً وكان جلّ ضرب المصريين على برج علي القريب من باب المدينة وكنت ارى انهم يعجزون عن فتح عكاء وابنت ذلك للخواجه حنا بحري فاجابني ان معنا نفراً من كبار المهندسين وهم يعلمون ما هو الاصلح

وكان في عكاء نحو ثلاثة آلاف من الجنود المجربين وكانوا يخرجون ويتحرشون بعسكر مصر ليجروهُ الى امام مدافع الاسوار فلا يفلحون لان ضباط الجيش المصري من ذوي الدراية التامة وكانت الكتابات من الدولة تدخل عكاء ليلاً مع اناس يأتونها بالبحر سباحة . وفي احدى الليالي حدث قلق وضجيج في العسكر ثم سمع طلق البارود والصياح والاغاني الفلاَّحية بمدح عبدالله باشا فظننا اولاً ان جيشهُ كبس الجيش المصري ثم تحقق لدينا ان ستماية رجل من اهالي نابلس عزموا على ان يخترقوا العسكر المصري ويدخلوا عكاء لمساعدة مَن فيها فاخترقوا المعسكر مشهرين السلاح وهم يضربون من يعارضهم والعسكر لا يستطيع ان يطلق عليهم الرصاص لئلا يصيب بعضهُ بعضاً ولما وصلوا الى عكاء اطلقوا عليهم الرصاص فلم يصيبوهم لان الظلام كان حالكاً ودخلوا عكاء سالمين وكنا نسمع صوتهم على الاسوار يدعون لعبدالله باشا بالنصر

وكان الخواجه حنا بحري مرسلاً من محمد علي باشا معاوناً لولده ابرهيم باشا مطلق التصرُّف في ترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى فباشر اتمام ما يلزم في كل الايالة على اكمل وجه لانهُ كان من افراد الرجال في الذكاء وسمو العقل مع الاستقامة التامة في اقواله وافعاله لمخدومهِ وللرعية

وبعد ان عرفت كل ما امكنني معرفتهُ عن عدد العسكر وهو ان عددهُ ثمانية الايات من المشاة فيها ثمانية عشر الف نفس وثمانية الايات من الفرسان فيها اربعة الاف ومعهم الفان من فرسان عرب المنادي وثلاثة واربعون مدفعاً ومطبعة حجر رجعت الى دير القمر

وقابلت الامير امينًا وكان وكيلاً عن والدهِ الامير بشير وطمنتهُ عن صحتهِ واخبرتهُ عما شاهدتهُ وسمعتهُ وسرت الى حاصبيا واخبرت الامير سعد الدين عما رأيتهُ ايضاً وابنت لهُ ما كنت اظنهُ وهو انهُ يستحيل على المصريين ان يفتحوا عكاء عنوةً في مدة قصيرة ان لم يتيسر لهم فتحها من جهة البحر لان اسوارها من جهة البر على غاية المناعة والإحكام ولا تصل المدافع الاَّ الى اعاليها لانها مستورة بالارض العالية التي امامها وهي مفصولة عنها بخندق عميق

وبعث ابرهيم باشا امير آلاي اسمهُ يعقوب بك ببعض الجنود الى دير القمر ليكون محافظاً فيها وسار بفرقة من عسكرهِ الى طرابلس فهرب واليها من وجههِ فدخلها ورتَّب امورها وتوجَّه منها الى حمص ثم عاد الى معلقة زحلة ومنها الى عكاء

وارسلت الدولة عسكرًا كثيفاً لقتال ابرهيم باشا بقيادة انجه بير قدار باشا والي حلب فجاء بالعسكر الى حمص ثم انتقل الى تل النبي مندو تحت قرية القصير على ضفَّة العاصي واقام هناك ينتظر قدوم العسكر النظامي لكي يسير معهُ الى عكاء عن طريق بعلبك والبقاع وبلغ ابرهيم باشا ذلك فارسل جانبًا من عسكرهِ الى معلقة زحلة مع بعض المدافع ليصدوا العساكر العثمانية وشدَّد الضرب على عكاء وردم الخندق الذي امام سورها وهجم عليها برجالهِ فارجعتهُ مدافعها ثم جمع جنودهُ وخطب فيهم وعدَّد المعارك التي فازوا فيها في المورة والحجاز على اقوام اشداء غير ضعفاء كالمحصورين في عكاء وقال ان رجوعهم عنها خائبين عار لا يمحى على اسم العسكري المصري لا يقبلهُ اناس اشتهروا بالشجاعة والشهامة في اقطار العالم. ثم امر بالهجوم على عكاء في ذلك اليوم وان تسير المدافع خلفهُ ولا ترجع حتى تمتلك السور ثم ساق العسكر وفتحت جهنم ابوابها من الجانبين فكان اول الصاعدين على السور سليم بك ارتوز برمير الاي الطبجية وابرهيم آغا الرشماني معلم الفرسان من موارنة دير القمر ووراءهما ابرهيم باشا نفسهُ ولكن اصابت رصاصة ابرهيم الرشماني من سور عكاء الداخلي فقتلتهُ وحينئذٍ كثرت الجنود المصرية التي بلغت اعلى السور والتحم القتال مع رجال عبدالله باشا وكان قد قلَّ عددهم جدًّا من كثرة قتلاهم وجرحاهم فلجأوا الى داخل السور الداخلي ورأى عبدالله باشا ان الجنود المصريَّة امتلكت السور الداخلي وانهُ لم يبقَ عندهُ من المقاتلة سوى ثلثمائة وخمسين رجلاً فسلم لابرهيم باشا وفتح لهُ الابواب فدخل العسكر المصري واستباح المدينة واما عبدالله باشا فعومل بالاكرام وأُرسل الى مصر واحسن محمد علي مقابلتهُ ورتب لهُ ما يقوم بنفقاتهِ فاقام مدة في القطر المصري ثم طلب التوجه الى الاستانة فأُرسل اليها والتمس من الباب العالي ان يقضي بقية عمرهِ في الحجاز فأُرسل اليهِ ومات فيهِ . وارتفعت رتبة حنا بحري بعد فتح عكاء فصار امير لواء وصار يلقب

بجري بك وكان ابرهيم باشا يوقع الكتابات الرسمية الحاج ابرهيم والي جدة والحبشة وسر عسكر عكا حالاً فصار يوقع سر عسكر عربستان

ثم رتب امور عكاء وامر بترميم ما تخرَّب من اسوارها ومبانيها وشحنها بالذخائر والمهمات الحربية ووضع فيها الحامية اللازمة لها وجاءته نجدات كثيرة من مصر فقام بالعسكر قاصداً مدينة دمشق ومعهُ الامير بشير وكان الامير بشير قد كتب الى ولدهِ الامير امين ليرسل اليهِ بعض اتباعهِ والى امراء حاصبيا وراشيا ليوافوهُ الى دمشق فسرتُ اليها مع الامير سعد الدين

وجميع علو باشا والي الشام عسكراً من الاكراد واولاد البلد واخرجهم لمقاتلة ابرهيم باشا وصدهِ عن دخول دمشق وكانوا نحو عشرة آلاف فنظرهم ابرهيم باشا من بعيد بالنظارات وعرف فرسان الاكراد من الشوام فوجه فرسان الهنادي لمقابلة الاكراد ونبه على العسكر النظامي ان يقابل الشوام ولا يؤذيهم بل يطلق بنادقهُ في الهواء. وعند ما سمع الشوام صوت النار الدائمة فرّوا هاربين اما الاكراد فقاتلوا جهدهم ثم انكسروا وتبعهم فرسان الهنادي يقتلون منهم. وبلغ علو باشا والي الشام انكسار عسكرهِ ففرَّ من دمشق ودخلها ابرهيم باشا ولم يسمح لعسكرهِ بالاعتداء على احد واطلق المناداة بالامان وان يبقى الجميع في اعمالهم مطمئنين. واقام في دمشق الى ٤ صفر سنة ١٢٤٨ (٢ يوليو) ١٨٣٢ وترك فيها المعلم بطرس كرامة لترتيب مجلس الشورى وولى عليها رجلاً من خواصهِ اسمهُ احمد بك ربيب كرد يوسف باشا احد ولاة الشام السابقين ثم خرج منها نهار الثلاثاء في ٥ صفر وعرفت عدد عسكرهِ كلهِ في ذلك اليوم وهو احد عشر الفاً من المشاة والفان من فرسان النظام وثلاثة آلاف من فرسان الهنادي وثلاثة واربعون من المدافع وثلاثة آلاف من الجمال الحاملة للذخائر والمهمات وكان معهُ عباس باشا ابن اخيهِ طوسن باشا ويكن احمد باشا ابن عمتهِ . ونهار الاربعاء قام بالعسكر الى النبك ونزل الامراء في دير عطية وهناك طلب الامير ان يرجع اعيان دمشق الى بيوتهم فرجعوا. ونهار الخميس قام الى حسيه ونهار الجمعة انعطف عن طريق حمص الى طريق القصير ونزلت العساكر على شاطىء نهر العاصي عند تل النبي مندو حيث كان العسكر العثماني لانهُ لما بلغهُ فتح عكاء رجع الى حمص

وكان ابرهيم باشا يسير في رحلاتهِ قبل الفجر بثلاث ساعات فيصل الى آخر المرحلة عند الضحى وساعة وصولهِ ذلك اليوم الى محلة النبي مندو وصلت بقية العسكر القادمة من طرابلس ومعلقة زحلة وهي نحو ستة آلاف فبلغ مجموع العساكر المصرية وعسكر الامراء عشرين الفاً (اي المشاة ١١ الفاً والفرسان الفان والهنادي ثلاثة آلاف وعساكر الامراء اربعة آلاف).

وكان المسموع ان العسكر العثماني في حمص اثنا عشر الفاً لا غير

ثم اجتمع ابرهيم باشا مع امراء العسكر واقروا على الخطة التي يجرون عليها وارسل فرسان المنادي عند نصف الليل الى حمص لمناوشة العساكر العثمانية وقام بعساكره عند طلوع النهار يوم السبت في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ ورتب المشاة ثلاثة اقسام جعل البعد بين القسم والذي يليهِ نحو ميلين والامير بشير وسائر الامراء ورجالهم في ساقة القسم الاوسط وخلفهم الجمال الحاملة للذخائر والمهمات . وكان ابرهيم باشا على ظهر جوادهِ يتردد بين الصفوف

ثم ضربت الموسيقات العسكرية ومشت صفوف العساكر في تلك السهول الفسيحة والرايات تخفق فوق رؤُوسها فكان المنظر مهيباً جدًّا وكلما مشى العسكر اقل من ساعتين يقف يستريح وعند الساعة السادسة وربع عربية وصل الى قرية قطينة وهي على ثلاثة اميال من مدينة حمص فامتدَّ منها الى جهة نهر العاصي الشمالي الغربي ومنها الى الجنوب الغربي فكان امتدادهُ نحو خمسة اميال وكان عباس باشا بالفرسان والمدافع عن يمين العسكر واحمد باشا عن يسارهِ وجعل ابرهيم باشا مقامهُ في القلب على تل قطينة وصدر امرهُ للامير بشير بان يقيم بن معهُ من الامراء والرجال عن يسار العسكر قرب نهر العاصي ولا يدخلوا ميدان القتال فنزلنا قرب تل عالٍ مخروطي الشكل وسند العسكر سلاحهُ ليأكل فتواردت فرسان المنادي على ابرهيم باشا بالرؤُوس التي قطعوها والاسرى الذين اسروهم من عسكر الترك فانعم عليهم واثنى على بسالتهم . وكان معسكر الترك عند تل باب عمر بعيداً عنا مسافة ميلين وعلى التل مدافع كثيرة وثارت ريح شديدة من جهة الغرب الشمالي في ظهرنا تنسف الغبار في وجه عسكر الترك وكانت الارض سهلاً ناعم التراب وقد زاد نعومة بحوافر الخيل فملأَ الغبار الجو وسدَّ الانفاس وكان ذلك اكبر معين للجنود المصرية على الجنود العثمانية . فصعدتُ الى راس التل مع البعض لارى الحرب وكان فرسان المنادي يهجمون على فرسان الاتراك كالضواري ويخطفونهم من بين جماهيرهم الكثيرة فالعشرة منهم تقاتل المئة واذا تكاثر عليهم الرجال لم يهربوا الى الوراء بل ساروا عرضاً الى ان تأتيهم النجدات فيهجموا على اضعاف عددهم ويقهقروهم عن مراكزهم . وقبل الغروب بثلاث ساعات نظرنا فارساً جاء مسرعاً من ساحة القتال ودنا من ابرهيم باشا فسار ابرهيم باشا الى حيث فرسان المنادي ولما رأيت ذلك ارسلت واخبرت الامير لانهُ كان لم يزل في خيمتهِ من شدَّة الرياح وكثرة الغبار فصعد الى قمة التل واخذ النظارة وجعل ينظر الى ساحة القتال فقلتُ لهُ اهؤُلاء هم الاثنا عشر الفاً الذين قلتم عنهم في دمشق فاجابني قلنا هذا ولم يصل معنا الى هنا نصف الذين كانوا معنا فكيف لو قلنا

انهم ستون او سبعون الفاً ولكن لا توهمك كثرتهم لانهم عند ما يسمعون تحريق الفرسي يهربون (يريد صوت رصاص العسكر النظامي والفرسي في لغة اهل الجبل قماش القطن المعروف بالخام) وبينما نحن في الكلام وصل رصاص الاتراك الينا لان عسكرهم تقدّم من جهتنا تخشيت من اصابة الامير فتوسلت اليهِ لينزل و يعود إلى خيمتهِ من شدّة الرياح والغبار فقال لا بل انك خفت من الرصاص خلافاً لطبيعة اهل بلدك فاجبتهُ اني ان خفت فلا يكون خوفي على نفسي بل على سعادتك لانك روحنا الثمينة واذا نزلتَ ونزل عبدك ايضاً فيكون خوفي على نفسي فارجو ان تخبرني وتنزل. وغايتي الوحيدة نزولهُ . فاجابني انهُ على الانسان ان يتقي المخاطر حين لا يضطر اليها ولا يحسن بقاؤُنا هنا ان كان منهُ خطر وكنت احتم على جميع الذين هنا بالنزول لو كان الامر كذلك ولكن لا خطر علينا لان الرصاص الواقع هنا لا عزم لهُ فيسقط سقوطاً من فروغ عزمهِ ولذلك لم يغرز في الارض بل تراهُ مطروحاً على وجهها

وصار فرسان المنادي الذين في جهتنا يرجعون الى الوراء وعدوهم يهجم عليهم و يضطرهم الى التقهقر فقال الامير لا شك ان المشايخ النكدية مع الاتراك لان هذه الهجمات هجماتهم (وتحققنا بعد ذلك ان النكدية كانوا هناك مع عسكر مرعش) . والتفت فرأيت عسكراً من النظام عن بعد واخبرت الامير فقال لقد حضر جاسوس هذا الصباح من معسكرهم وقال انهم خمسة وخمسون الفاً وليس فيهم عساكر نظامية. ثم نظر بالنظارة فلم يرَ احداً من النظام ولكنني رأيت طرابيشهم الحمراء ولمعان اسلحتهم في نور الشمس فراجعتهُ واشرت الى مكانهم فاعاد النظر اليهم بالنظارة فحققهم وقال لا بدَّ من ان يكونوا قد وصلوا الآن . وكان الوقت قبل الغروب بساعتين وربع وجاء فارس من عند ابرهيم باشا وتكلَّم مع القواد وللحال اصطفَّت العساكر صفاً واحداً في طرفيهِ الخيول والمدافع وعباس باشا مع فرسان الميمنة واحمد باشا مع الميسرة وضربت الموسيقات ومشى الجنود لمقابلة خصومهم فهرب الذين كانوا امامهم وتبعتهم فرسان المنادي وهجم نحو خمسة الآف من فرسان الترك على ميمنة العسكر فردهم عباس باشا بنار المدافع وبقي سائراً عليهِ نحو خمسة عشر الفاً من فرسان الترك وهجموا دفعةً واحدة فتلقاهم بمدافع الرش فانكسروا وتركوا من قتلاتهم اكثر من الفي قتيل . وقبل الغروب بساعة استعرت نار الحرب بين كل الصفوف واتصلت النار الدائمة بالبنادق والمدافع من الجهتين وكانت مدافع الاتراك على تل باب عمر تقذف قنابلها على المصريين. ويا لها من ساعة شديدة الهول تفتحت فيها ابواب جهنم تصب نيرانها على المحاربين. وعند غروب الشمس سكت صوت البنادق وبقي صوت المدافع الى ما بعد الغروب بساعة ونصف ثم سكت واستولى الهدو التام واتت البشائر الى

الامير بتمام النصر وان انجه بيرقدار باشا هرب هو ومن معهُ من الوزراء وان عساكر الترك بعضها قتيل وبعضها جريح وبعضها اسير والباقون تشتتوا

وصباح الاحد دخل الامير مدينة حمص وكانت الخيل تدوس على اشلاء القتلى مسافة ميل في سهل باب عمر وتسلَّم الامير احكام حمص ووجد بين الاسرى ثمانماية ارمني كانوا في خدمة العسكر فاطلقهم وارسلهم الى مطران الروم . والاسرى من العسكر كانوا الاياً كاملاً غير المفردات فارسلهم الى عكاء صحبة الشيخ حسين تلحوق . وجرحى الاتراك وهم نحو ستماية وخمسين سلَّموا للاطباء مع جرحى العسكر المصري وأُمر قاضي البلد ومفتيها بدفن القتلى ووكل كاتب هذه السطور بضبط متروكات الوزراء الهاربين وكانت محلتهم على نهر العاصي قرب جسر المياس فوجدتهم تركوا خيامهم بفرشها حتى ان كاتب الديوان ترك دواتهُ الفضية واقلامهُ مع الورق على الارض والطبائخ باقية على النار محروقة وصناديق الادوية ونسالة الكتان وقماش الاكفان وعدد وافر من الفراوي والبنشات للتلبيس ومهمات كثيرة ووجدنا مخزناً في محلة سيدنا خالد مملوءا من البن الحجازي يكفي مؤُونة مدينة . فاكملت مأموريتي ووضعت كل شيء في محلهِ

ومدينة حمص جيدة التربة معتدلة الهواء متسعة الارجاء تحيط بها قرى كثيرة ولكن اكثرها خراب من اعتداء عرب البادية عليها . واهالي المدينة نحو عشرين الفاً ربعهم نصارى والثلاثة الارباع مسلمون ولم ارَ فيها نصرانياً غير مولع بالسكر وكثير منهم يكتب خطاً جميلاً وقد خرج منها افراد مشهورون بالعقل والذكاء حال كون عامتهم تغلب عليهم السذاجة . وقد حكي لي قصص كثيرة عن سذاجتهم لا يسعني بسطها وانما اذكر ما شاهدتهُ بعيني وهو انهُ في اليوم الثاني من دخولنا حمص عُرِض للامير ان في ناحية تل باب عمر قتلى وجرحى من اولاد البلد يراد الكشف عنهم فارسلني لذلك فوجدتهم ثمانية رجال اربعة منهم قتلى واربعة جرحى فسألتهم عما اصابهم فقالوا انا اتينا الى هنا للفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرةً محشوة وفتيلها ظاهر فاردنا ان نرى كيف تصعد وتهبط فاشعلنا الفتيل ووقفنا حولها ننتظر صعودها ولا نعلم ماذا اعاقها عن الصعود ثم فقست واصابنا منها ما تراهُ . فاذنت في دفن الموتى ومعالجة الجرحى ورجعت وعرضت واقعة الحال للامير فقال اكتبها عندك لكي يقف منها المعلم بطرس كرامة على درجة ذكاء اهل بلدهِ . وفيما بعد كنت اتكلم مع بحري بك فسألني عما رأيتهُ في حمص فمدحت لهُ هواءها وماءها قال وما قولك في اهاليها قلت اني وجدت لهم دعوى على سعادتك وعلى المعلم بطرس كرامة فقال وما هي قلت انكما سلبتماهم نصيبهم من العقل والذكاء فقال وكيف ذلك فقصصت عليهِ قصة الكرة (ستأتي البقية)

منتخبات من ديوان الحماسة

وقال المقنع الكندي

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي ... زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمِ ... وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنًى ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدَا

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا ... وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ ... وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلٍ ... وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

وقال مضرس بن ربعي

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا ... وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصْيَدِ

وَمَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ ... نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ

وَإِذَا نَمَوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمِ ... مِنَّا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَّدِ

وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ ... حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ ... عَجِلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

وقال قيس بن الخطيم

وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا الفَتَى إِلَّا بَلَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ البَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
وَبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ كَمَحْضِ المَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءُ
يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلَا يُعْطَى الحَرِيصُ غِنًى لِحِرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الجُودِ الثَّرَاءُ
غَنِيُّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا البُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ الحُمْقِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدراً

يَا بَدْرُ وَالأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لِذِي اللُّبِّ الحَكِيمُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
وَاعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَالحَقُّ يَعْرِفُهُ الكَرِيمُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْ مًا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْـمُودُ البِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَاعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العَلِيمُ
إِنَّ الأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيجُ لَهُ العَظِيمُ
وَالتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تَقْـضَاهُ وَقَدْ يَلْوِي الغَرِيمُ

وَالبَغيُ يَصرَعُ أَهلَهُ وَالظُلمُ مَرتَعُهُ وَخيمُ
وَلَقَد يَكونُ لَكَ البَعيـدُ أَخاً وَيَقطَعُكَ الحَميمُ
وَالمَرءُ يُكرَمُ لِلغِنى وَيُهانُ لِلعَدَمِ العَديمُ
قَد يُقتَرُ الحَولُ التَقِـيُّ وَيُكثِرُ الحَمِقُ الأَثيمُ
يُملَى لِذاكَ وَيُبتَلَى هذا فَأَيُّهُما المَضيمُ
وَالمَرءُ يَبخَلُ في الحُقُو قِ وَلِلكَلالَةِ ما يُسيمُ
ما بُخلُ مَن هُوَ لِلمَنو نِ وَرَيبِها غَرَضٌ رَجيمُ
وَيَرى القُرونَ أَمامَهُ هَمَدوا كَما هَمَدَ الهَشيمُ
وَتَخَرَّبُ الدُنيا فَلا بُؤسٌ يَدومُ وَلا نَعيمُ
كُلُّ امرِئٍ سَتَئيمُ مِنـهُ العِرسُ أَو مِنها يَئيمُ
ما عِلمُ ذي وَلَدٍ أَيُثـكِلُهُ أَمِ الوَلَدُ اليَتيمُ

وقال منقذ الهلالي

مَا أَرَى الفَضلَ وَالتَكَرُّمَ إِلاَّ كَفَّكَ النَفسَ عَن طِلابِ الفُضُولِ
وَبَلاءٌ حَملُ الأَيادي وَأَن تَسـمَعَ مَنّاً تُؤتَى بِهِ مِن مُنيلِ

وقال محمد بن ابي شحاذ الضبي

إِذَا أَنتَ أَعطيتَ الغِنَى ثُمَّ لَم تَجُد بِفَضلِ الغِنَى أُلفِيتَ مَالَكَ حَامِدُ
إِذَا أَنتَ لَم تَعرُك بِجَنبِكَ بَعضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الأَدنَى رَمَاكَ الأَبَاعِدُ
إِذَا الحِلمُ لَم يَغلِب لَكَ الجَهلَ لَم تَزَل عَلَيكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

إِذَا العزمُ لمْ يفرُجْ لكَ الشكَّ لمْ تزلْ جَنِيبًا كَمَا استتلى الجنيبةَ قائدُ
وَقلَّ غناءً عنكَ مالٌ جمعتَهُ إِذَا صارَ ميراثًا وَوَاراكَ لاحدُ
إِذَا أنتَ لمْ تترُكْ طعامًا تحبُّهُ وَلاَ مقعدًا تُدعَى إِليهِ الولائدُ
تجلَّلتَ عارًا لاَ يزالُ يشبُّهُ سبابُ الرِّجالِ نثرُهم وَالقصائدُ

وقالت حرقة بنت النعمان

وبينَا نسوسُ النَّاسَ وَالأمرُ أمرُنَا إِذَا نحنُ فيهمْ سوقةٌ نتنصَّفُ
فأُفٍّ لِدُنْيَا لاَ يدومُ نعيمُهَا تقلَّبُ تاراتٍ بنَا وتصرَّفُ

وقال الفرزدق

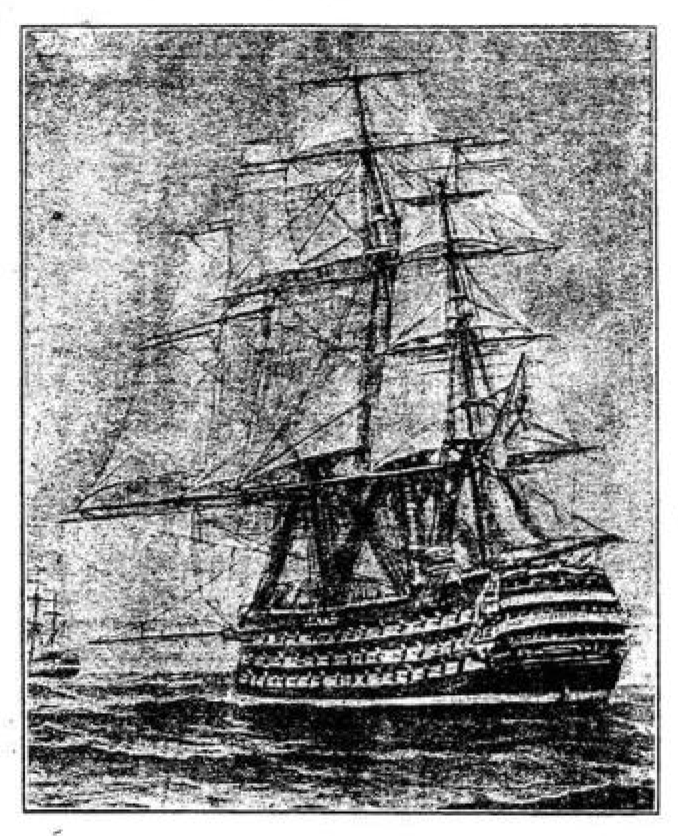
إِذَا مَا الدَّهرُ جرَّ عَلَى أُناسٍ كلاكلَهُ أناخَ بآخرينَا
فقلْ للشامتينَ بنَا أفيقُوا سيلقَى الشامتونَ كمَا لقينَا

وقال الصلتان العبدي

أشابَ الصَّغيرَ وَأفنَى الكبيـ ـرَ كرُّ الغداةِ وَمرُّ العشِي
إِذَا ليلةٌ هرَّمتْ يومَهَا أتَى بعدَ ذلكَ يومٌ فتِي
نروحُ وَنغدُو لحاجاتِنَا وَحاجةُ منْ عاشَ لاَ تنقضِي
وَيسلُبُهُ الموتُ أثوابَهُ وَيمنعهُ الموتُ مَا يشتهِي
تموتُ معَ المرءِ حاجاتُهُ وَتبقَى لهُ حاجةٌ مَا بقِي
إِذَا قلتَ يومًا لمنْ قدْ ترَى أروني السَّرِيَّ أروكَ الغنِي
ألمْ ترَ لقمانَ أوصَى ابنَهُ وَأوصيتُ عمرًا فنعمَ الوصِي
بُنيَّ بدَا خبُّ نجوَى الرِّجالِ فكنْ عندَ سرِّكَ خبَّ النجِي

وَسِرُّكَ ما كانَ عِنْدَ امرِئٍ وَسِرُّ الثَّلاثَةِ غيرُ الخَفي
كَما الصَّمْتُ أَدْنى لِبَعضِ الرَّشادِ فَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنى لِغَي

السفن الحربية في مئة عام



مضى مئة عام من حين انتصر نلسن في المعركة البحرية الكبيرة في طرف الغار على ساحل اسبانيا واكثر من مئة عام من حين انتصر في ابي قير قرب الاسكندرية وهما اشهر المعارك البحرية التي حدثت في القرن الماضي وتقابلهما المعركتان البحريتان اللتان انتصر فيهما اليابانيون على الروس منذ شهور قليلة . وقد يودُّ القارئ ان يعرف نسبة السفن الحربيَّة التي

تبني الآن الى السفن الحربية التي كانت تبنى في ذلك العصر ونسبة مدافع الواحدة الى مدافع الاخرى لاسيما واننا ذكرنا في ترجمة محمد علي باشا انهُ كان يبني السفن الحربية الكبيرة التي تحمل الواحدة منها مئة مدفع فاكثر والسفن الحربية لا تحمل الآن الاَّ عدداً قليلاً من المدافع فما هي النسبة بينها وبين سفن هذه الايام

اما السفن فكانت تبنى من الخشب الصلد كخشب السنديان وتُجعل طبقات توضع المدافع في كواها ثلاثة صفوف الواحد فوق الآخر على دائرها كما ترى في الصورة المتقدمة وهي صورة بارجة الفكتُري التي كان فيها نلسن لما حدثت واقعة طرف الغار على ما ذكر في الجزء الماضي من المقتطف. ولقد كان في تلك البارجة مئة مدفع وكان طولها من طرف الى طرف ١٨٦ قدماً انكليزية وعرضها نحو ٥٢ قدماً وعمقها ٢١ قدماً ونصف قدم ومحمولها ٢١٦٢ طناً. وكان الشروع في بنائها سنة ١٧٥٩ وتمت سنة ١٧٦٥ وجددت سنة ١٧٩٨ و١٨٢٠ فكان عمرها اربعين سنة لما حدثت واقعة طرف الغار ولا تزال الآن في مرفإِ بورتسموث فصار عمرها ١٤٠ سنة. وكان فيها مئة مدفع في ثلاثة صفوف على دائرها كما ترى في الشكل وبلغ ما أُنفق على بنائها وتسليحها نحو ستين الف جنيه. وكذلك كانت السفن الكبيرة التي بناها محمد علي باشا في الاسكندرية او بُنيت لهُ في اوربا فان محمول السفينة منها كان نحو الفي طن ونفقة الطن من عشرين الى ثلاثين جنيهاً ولم تكن تبنى باسرع مما تبنى البوارج الكبيرة الآن ولكنها كانت تخدم مدة اطول لان البارجة التي يمرُّ عليها الآن عشرون سنة تحسب عتيقة لا تصلح للقتال اما في ذلك العصر فلم تكن عشرون سنة ولا ثلاثون شيئاً في عمر البوارج

ولكن النسبة بين البوارج التي كانت تبنى في اول القرن الماضي والبوارج التي تبني الآن كالنسبة بين الزورق الصغير والمركب الكبير مثال ذلك ان البارجة الانكليزية المسماة بالملك ادورد السابع محمولها ١٦٣٥٠ طناً اي ثمانية اضعاف محمول الفكتُري وقد بلغت نفقات بنائها وتسليحها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فهي تساوي خمساً وعشرين بارجة مثل الفكتُري في ما انفق عليها واكثر من خمسين بارجة مثلها من حيث القوة ولو التقت بكل البوارج التي كانت في طرف الغار من انكليزية وفرنسوية واسبانية لتغلبت عليها ومزقتها ارباً

وعند الانكليز ثماني بوارج من طراز الملك ادورد محمول كلٍّ منهُ او تفريغها ١٦٣٥٠ طناً وسمك درعها ٩ بوصات وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصانٍ وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً ونصف ميل في الساعة. وبارجتان من طراز نلسن تفريغ كلٍّ منها ١٦٦٠٠ طن وسمك درعها ١٢ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٧٥٠ حصاناً وسرعتها ١٨ ميلاً ونصف ميل. وسبع عشرة

بارجة مما تفريغ كلٍّ منها ١٥٠٠٠ طن وتختلف آلاتها البخارية مما قوتهُ ١٨٠٠٠ حصان الى ما قوتهُ ١٢٠٠٠ حصان والتي قوتها ١٨٠٠٠ حصان سرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند فرنسا ست بوارج مما تفريغ كل واحدة منها ١٤٨٦٥ طنًّا وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الآتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند الولايات المتحدة الاميركية خمس بوارج تفريغ كلٍّ منها ١٥٠٠٠ طن وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الاتها البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا في الساعة وقد انزلتها كلها الى البحر سنة ١٩٠٣ وانزلت سنة ١٩٠٤ بارجة تفريغها ١٨٠٠٠ طن وكانت تبني خمس بوارج اخرى من طرازها تفريغ كل منها ١٨٠٠٠ طن وسمك درعها ١٢ بوصة وعندها ثلاث بوارج تفريغ كل منها ١٢٣٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٦٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة

وعند اليابان بارجتان تفريغ كلٍّ منهما ١٥٣٦٢ طنًّا وسمك درعها ٩ بوصات وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وبارجة تفريغها ١٤٨٥٠ حصانًا وقوة الاتها البخارية ١٤٥٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً وهي تبني بارجتين تفريغ كلٍّ منها ١٦٤٠٠ طن وسمك درعها ٩ بوصات وقوة الآتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً في الساعة

وعند ايطاليا بارجة تفريغها ١٥٩٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٧٩٧ حصانًا واربع بوارج تفريغ كلٍّ منها ١٢٦٢٥ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً في الساعة وبارجة تفريغها ١٣٨٦٠ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٢٢٨٦٠ حصانًا وسرعتها ١٩ ميلاً ونصف ميل وبارجة تفريغها ١٥٩٠٠ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٥٧٩٧ حصانًا وسرعتها ١٧ ميلاً في الساعة

هذا من حيث جرم البوارج وقوة آلاتها البخارية . والبوارج التي كانت شائعة في اوائل القرن الماضي لم تكن مدرعة اما البوارج الآن فمدرعة كلها وقد بالغوا في سمك درعها اولاً لما كان يصنع من الحديد الصاج فعند الايطاليين بارجتان من هذه البوارج سمك درع كلٍّ منهما ٢٢ بوصة ونصف بوصة اما الآن فابدل الحديد الصاج بالصلب ولا يزيد سمكهُ على ١٢ بوصة ولكنهُ امتن من ثلاثين او اربعين بوصة من الحديد الصاج

وكانت المدافع القديمة صغيرة الحجم جدًّا موضوعة على مركبات من الخشب تحشى باليد ثم كبرت رويدًا رويدًا حتى صار وزن المدفع منها مئة طن وطولهُ ٣٥ قدمًا ووزن قنبلتهِ ٢٠٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق بهِ ٤٥٠ رطلاً وهي تخرق صفيحة من الحديد الصاج

سمكها ٢٣ بوصة . ثم صُغّرت هذه المدافع واتقن صنعها و بنيت من اسلاك الصلب فصار وزن بعضها ٣٢ طنًّا فقط ووزن قنبلتهِ ٥٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق بهِ ٢٥٠ رطلاً وهي تخرق ما سمكهُ ٢١ بوصة من الحديد . والمدافع الكبيرة المستعملة الآن ثقل المدفع منها خمسون طنًّا وتخرق قنبلتهُ ما سمكهُ ٤٢ بوصة من الحديد الصاج . ومدفع ارمسترنغ الذي قطر فوهتهِ ١٢ بوصة تخرق قنبلتهُ ما سمكهُ ٥١ بوصة من الحديد الصاج واطلاقهُ سهل جدًّا حتى يطلق مرتين كل دقيقة . والغالب ان يكون في البارجة من البوارج الحديثة اربعة من هذه المدافع الاخيرة واربعة مما قطر فوهتهِ ٩ بوصات و٤ او ٦ مما قطر فوهتهِ ٦ بوصات عدا المدافع الصغيرة جدًّا وانابيب الطربيد

ولانبالغ اذا قلنا ان البارجة من بوارج هذه الايام بمثابة خمسين بارجة من البوارج التي كانت عند الانكليز والفرنسويين وقت معركة طرف الغار او من البوارج التي كان يبنيها محمد علي باشا . هذا ما صارت اليهِ السفن الحربية في المئة العام الماضيةِ واكثر ما حدث فيها من التغيير انما هو في العشرين سنة الاخيرة ومَن يدري ما تصير اليهِ في المئة العام التالية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

١

الاحتضارات

عثرت في اثناء مطالعتي على كثير من اقوال المحتضرين (من احتُضِر الرجل احتضارًا على المجهول اذا حضرهُ الموت فهو محتضر) عند العرب وغيرهم من العجم وقرأت مقالة باللغة الانكليزية ووقفت على بعض القبريات (ما يكتب على القبور) عند الفريقين فجمعت ذلك في هذه المقالة لعلها تروق في اعين القراء الكرام لما فيها من موارد الحكم ومرائي الاخلاق وغرائب العادات ومختلف الاعتقادات وبليغ العظات . ولقد اخترت من مختلف الروايات في كثير من النقول العربية ما يرفع عن القارىء الارتباك ولعلي اصبت المرمى فاقول

احتضارات العرب

كان يعرب بن قحطان جد العرب حكيمًا لبيبًا فلما حضرتهُ الوفاة احضر بنيهِ واوصاهم بقولهِ

"يابنيَّ تعلموا العلم واعملوا بهِ واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليهِ فانهُ داعية القطيعة بينكم وتجنبوا الشرَّ واهلهُ فان الشرَّ لايجلب عليكم الاَّ الشرَّ وانصفوا الناس من انفسكم فانهم ينصفونكم من انفسهم . واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فانهُ يقربكم من الناس ويحببكم اليهم . واذا استشاركم مستشير فاشيروا عليهِ بما تشيرون بهِ على انفسكم في مثل ما استشاركم فيهِ . فانها امانة قد القاها في اعناقكم وانشأ يقول

أُوصيكم بما وصى أَباكم ... أَبوهُ عن أَبيهِ عن الجدودِ
أَذيعوا العلم ثم تعلموهُ ... فما ذو العلم كالغر البليدِ
ولا تصغوا الى حسدٍ فتغووا ... غواية كل مخنبل[1] حسودِ
وذودوا[2] الشرَّ عنكم ما استطعتم ... فليس الشرُّ من خلق الرشيدِ
وكونوا منصفين لكل دانٍ ... لينصفكم من القاصي البعيدِ
وباب الكبر عنكم فاتركوهُ ... فان الكبر من شيم العبيدِ
عليكم بالتواضع لا تزيدوا ... على فضل التواضع من مزيدِ
وان الصفح افضل ما ابتغيتم ... بهِ شرفاً من الملك العتيدِ[3]
وحق الجار لاتنسوهُ فيكم ... تنالوا كل مكرمةٍ وجودِ

وأوصى أبرهة ذو المنار ولدهُ عمرًا ذا الاذعار عند احتضارهِ بقولهِ : (تولى عمرو الملك قبل المسيح بثلاثين سنة)

يا عمرو انك ما جهلتَ وصيَّتي ... إياك فاحفظها فإِنك ترشدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى ... فيما مضى الاَّ المعين المرفدُ[4]
يا عمرو مَن يشري العُلى بنوالهِ ... كرماً يُقال لهُ الجواد السيّدُ
كلُّ أمرىءٍ يا عمرو حاصد زرعهِ ... والزرع شيءٌ لا محالةَ يُحصدُ
واصل ذوي القربى وحُطهم إِنهم ... بهم تُذِلُّ الأَبعدين وتُكمِدُ

وقال مالك بن فهم اول ملوك العرب في الحيرة لما رأى سُلَيمة بن مالك يرميهِ بسهم قتلهُ بهِ :

جزاني لا جزاهُ الله خيرًا ... سُلَيمةُ إِنهُ شرًّا جزاني
أُعلِّمهُ الرماية كل يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

وقال مالك بن ريب التميمي يرثي نفسهُ ويصف قبرهُ لما لسعتهُ الافعى واحس بالموت

---

(١) المخنبل الفاسد العقل (٢) كفوا وادفعوا (٣) الحاضر المهيأ (٤) بمعنى المعين والمعطي

من قصيدة طويلة تعدّ من المراثي المشهورة عند العرب :

ألا ليت شعري هل ابيتنَّ ليلةً بجنب الغضا أُزجي [١] القلوص [٢] النواجيا [٣]

الى ان قال :

وأشقرَ خنذيذٍ [٤] يجرُّ عنانهُ سوى السيفِ والرمحِ الرديني باكيا
ولما تراءت عند مروٍ منيّتي وحلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقولُ لأصحابي ارفعوني فانني يقرُّ بعيني أنْ سُهيلٌ بدا ليا
و يا صاحبيَّ رحلي دنا الموتُ فانزلا برابية اني مُقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليوم او بعض ليلةٍ ولا تعجلاني قد تبيّن ما بيا
وقوما اذا ما استُلَّ روحي فهيئا لي الصدرَ والاكفان ثم ابكيانيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما من الارض ذات العرض ان توسعا ليا
وخطّا بأطراف الأسنّةِ مضجعي وردّا على عينيَّ فضل ردائيا
خذاني فجرّاني ببردي اليكما فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنتُ عطافاً إذا الخيلُ أدبرت سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنتُ محموداً لدى الزاد والقرى وعن شتم إبن العمّ والجار وانيا

وهكذا الى آخرها وهي بليغة تثير العواطف

ولما حان ارتحال نزار بن معدّ الى الآخرة دعا باولادهِ الاربعة مُضَر وربيعة وإياد وأنمار بين يديهِ واوصاهم قائلاً "إعلموا يا اولادي اني راحل عنكم الى الآخرة . وما احضرتكم الاَّ لاشرح لكم وصيتي فاحفظوا ما اقول لكم ولا تخالفوا وصيتي فيحلّ بكم الوبال" — قالوا : ما هي وصيتك يا ابانا — قال : "وصيتي لكم هي ان يوقر صغيركم كبيركم يا اولادي . اياكم والتكبر فانهُ مهلك الجبابرة . ما ولع بهِ احدٌ الأهلك . وفي غير طريق الحق سلك . يا اولادي اياكم والحسد . فانهُ يقلل الرزق ويذيب الجسد . والحسود لا يسود . ولا يموت الاَّ مكمود . واياكم والطمع فانهُ يرمي صاحبهُ في البلاء والعذاب . والقناعة غناء . يا اولادي اياكم والبخل فيبعدكم من الله ومن الخلق . ومن هان عليهِ مالهُ . حسنت حالهُ . وسُمع مقالهُ . يا اولادي آسوا الناس بالطعام واكثروا البشاشة . وافشوا السلام . وصلوا بالليل والناس نيام . يا اولادي اياكم والكسل . فانهُ يورث الفشل . يا اولادي اياكم والغضب فانهُ يورث

(١) ادفع برفق وأسوق (٢) الناقة الشابة كالجارية من النساء (٣) جمع الناجية بمعنى السريعة و يقال انها للأنثى خاصة (٤) الجيد من الخيل والفحل

السخط . والبشاشة في الوجه تورث المحبة وهي خيرٌ من القرى . ومن لانت كلمتهُ وجبت محبتهُ . يا اولادي لا تخالفوا وصيتي . واعلموا اني قد قسمت اموالي بينكم بالسويّة . وجعلت قسم كل واحد منكم في كتابي هذا . فاذا وضعتموني في حفرتي وغابت عنكم جثتي . واتت العرب لعزائي فاذبحوا لهم من نعمي [1] . واذا تفرَّقت العرب عنكم فاعتمدوا على كتابي ووصيتي ولا تثيروا الحرب بينكم اه »

وقال عُبيد بن الابرص لما امر النعمان بقتلهِ (نحو سنة ٦٠٠ م) وهو يتأهب لهُ :

ألا ابلغ بنيَّ واعمامهم بأن المنايا هي الواردهْ
لها مدةٌ فنفوس العبادِ اليها وإن كرهت قاصدهْ
فلا تجزعوا لحمامٍ دنا فللموت ما تلد الوالدهْ
ووالله ان متُّ ما ضرَّني وان عشتُ ماعشتُ في واحدهْ

وقال يرثي نفسهُ :

يا حارِ [2] ما راح من قوم ولا ابتكروا الاَّ وللموت في آثارهم حادِ
يا حارِ ما طلعت شمسٌ ولا غربت الاَّ تقرِّبُ آجالٌ لميعادِ
هل نحن الاَّ كأرواح يُمرُّ بها تحت التراب واجسادٍ كأجسادِ

واستنشدهُ النعمان قبل قتلهِ قصيدتهُ البائية الشهيرة التي مطلعها :

اقفر من اهلهِ ملحوبُ فالقطبياتُ فالذنوبُ [3]

الى ان قال :

وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ [4] وغائب الموت لا يؤوبُ
أعاقرٌ مثل ذات رحمٍ [5] او غانمٌ مثلُ من يخيبُ
من يسأل الناس يحرموهُ وسائلُ اللهِ لا يخيبُ
بالله يُدرك كلُّ خيرٍ والقول في بعضهِ تلغيبُ [6]
والله ليس لهُ شريكٌ علاَّمُ ما أخفت القلوبُ
أفلح [7] بما شئتَ قد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريبُ [8]
لا يعظُ الناس من لا يعظ الدهرُ ولا ينفع التلبيبُ [9]

(١) ماشيتي (٢) ترخيم حارث (٣) ملحوب والقطبيات والذنوب اسماء اماكن فالاولى اسم مياه لبني اسد بن خزيمة والثانية اسم جبل والثالث اسم موضع في ديار بني اسد (٤) يعود ويرجع (٥) الولود وهي ضد العاقر (٦) ضعف وافك (٧) عش ويروى افلح بمعناها (٨) العاقل (٩) تكلف اللبّ من غير طبع فهي بمعنى التطبع

الأَّ سجيات ما القلوب وكم يُرى شانئًا [١] حبيبُ
ساعد بأَرضٍ ان كنت فيها ولا تقل انني غريبُ
قد يُوصل النازحُ النائي وقد يُقطع ذو السهمة [٢] القريبُ
والمرء ما عاش في تكذيبٍ طولَ الحياة لهُ تعذيبُ

وهي طويلة اوردها صاحب شعراء النصرانية في صفحة ٦٠٥ فراجعها

ولما احتضر ذو الاصبع العدوانيّ دعا ابنهُ أُسيدًا فقال: "يا بنيّ ان أَباك قد فني وهو حيٌّ وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما ان حفظتهُ بلغتَ في قومك ما بلغتهُ فاحفظ عني: أَلِن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشيءٍ يسوّدوك . واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم . ويكبر على مودّتك صغارهم واسمح بمالك واحمِ حريمك واعزز جارك وأَعن من استعان بك واكرم ضيفك واسرع النهضة في الصريخ فإنّ لك اجلاً لا يعدوك [٣] وصُن وجهك عن مسأَلة أَحدٍ شيئًا فبذلك يتمّ سؤددك . ثم انشأ يقول

أَأُسيدُ ان مالاً ملكتَ فسر بهِ سيرًا جميلا
أَأُسيدُ ان أَزمعت من بلدٍ الى بلدٍ رحيلا
آخِ الكرام ان استطعت الى إِخائهم سبيلا
فاحفظ وان شط [٤] المزارُ أَخا أَخيك والزميلا [٥]
واشرب بكأسهم وان شربوا بها السمَّ الثميلا [٦]
واركب بنفسك ان هممت بها الحزونة والسهولا
أَهِن اللئام ولا تكن لإِخائهم جملاً ذلولا
وصِلِ الكرامَ وكن لمن ترجو مودّتهُ وَصولا
انّ الكرام اذا توآخيهم وجدت لهم قبولا
ودع التواني في الأُمور وكن لها سلسًا ذلولا
ودع الذي يعد العشيرةَ ان يسيل ولن يسيلا
ابنيّ ان المال لا يبكي اذا فقد البخيلا
وابسط يمينك بالندى وامدُد لها باعًا طويلا
وابسط يديك بما ملكتَ وشيِّد الحسب الأَثيلا

(١) مبغضًا (٢) النصيب (٣) لا يجاوزك (٤) بعد (٥) الرفيق (٦) يظهرانها من الثمال وهو السمّ النقيع

واعزم اذا حاولت أمراً يفرج الهمّ الدخيلا
وابذل لضيفك ذات رحلك (١) مكرماً حتى يزولا
واحلل على الأيفاع (٢) للعافين (٣) واجتنب المسيلا
واذا القروم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلا (٤)
فاهصر (٥) كهصر الليث خضب من فريسته التليلا (٦)
وانزل الى الهيجا اذا ابطالها كرهوا النزولا
واذا دعيت الى المهم فكن لفادحه (٧) حمولا

وقال دريد بن الصمة لما ادركهُ ربيعة بن رفيع السلمي وهم بقتلهِ (سنة ٦٣٠ م)

فويح ابن اكمة ماذا يريدُ من المرعش (٨) الذاهب الادردِ (٩)
فأقسم لو أنّ بي قوةً لولت فرائصهُ (١٠) ترعدِ
ويالهف نفسي ان لا تكون معي قوّة الشامخ الامردِ

ثم ضربهُ السلمي بسيفهِ فلم يغنِ شيئاً . فقال لهُ: "بئس ما سلحتك أمك . خذ سيفي هذا من موْخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ (١١) . فاني كذلك كنت افعل بالرجال". ففعل كما قال فوقع صريعاً

ولما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد عمر قرناً ونصفاً جمع بنيهِ فقال لهم: "يا بنيّ قد بلغت من العمر ما لم يبلغهُ احدٌ من آبائي . ولا بدّ ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت واني والله ما عيرت احداً بشيءٍ الاّ عُيرت بمثلهِ ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً فكفوا عن الشتم فانهُ اسلم لكم واحسنوا جواركم يحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب واذا حدّثتم فعوا (١٢) واذا حدثتم فأوجزوا فان مع الاكثار تكون الاهذار (١٣) واشجع القوم العطوف بعد الكر كما ان اكرم المنايا القتل ولا خير في من لا رويةَ لهُ عند الغضب . ولا من اذا عوتب لم يُعتِب (١٤) . ومن الناس من لا يرجى خيرهُ ولا يخاف شرهُ . فبكوءهُ (١٥) خير من دَرّهِ وعقوقهُ خير من برهِ اه"

---

(١) كناية عن المطية (٢) جمع يفع وهو المرتفع من الارض (٣) جمع عاف بمعنى الضيف (٤) جمع خصيلة وهي القطعة من اللحم (٥) اجذب وامل ومنها سمي الاسد الهصور (٦) العنق (٧) الامر المهم (٨) المرتعد او النسر قد هرم (٩) الذي ذهبت اسنانهُ كناية عن الهرم (١٠) جمع فريصة وهي لحمة بين الندوة والكتف ترتعد عند الخوف (١١) كنى بذلك عما بين الجذع والراس واراد العنق (١٢) من وعى اي حفظ (١٣) كثرة الكلام (١٤) لم عتبة وهمزته للسلب (١٥) قليلة من بكأت الناقة اذا قل لبنها

وقال أُمية بن ابي الصلت لما اشتد عليهِ مرضهُ وقربت ساعتهُ : " قد دنا اجلي وهذه المرضة منيتي وانا اعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد " ولما دنت وفاتهُ أُغمي عليهِ قليلاً ثم افاق فرفع رأسهُ فنظر حيال[1] باب البيت وقال

لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما

لا عشيرتي تحميني ولا مالي يفديني ". ثم أُغمي عليهِ ايضاً بعد ساعة احتى ظنَّ من حضره من اهلهِ انهُ قد قضى . — ثم افاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

لا بريءٌ فأعتذر . ولا قويٌّ فأنتصر . ثم انهُ بقي يحدّث من عندهُ ساعة — ثم أُغمي عليهِ مثل المرتين الاوليين حتى يئسوا من حياتهِ وافاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

محفوف بالنعم

ان تغفر اللهم فاغفر جماً واي عبد لك لا الما[2]

ثم اقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي فكونوا في أُهبتي وحدَّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضهِ وانشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيمٌ شاب فيهِ[3] الصغير يوماً ثقيلا
ليتني كنت قبل ما بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا
كلُّ عيش وان تطاول دهراً منتهى امرهِ الى ان يزولا
اجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر ان للدهر غولا

ثم فاضت نفسهُ في نحو سنة ٦٢٤ م

وبينما كان امرؤُ القيس الشاعر عائداً من بلاد الروم وصل انقره فاشتدَّ عليهِ فيها داء السلّ فلم يبرحها حتى احتضر فقال مشيراً الى قبر امرأةٍ من بنات الملوك في سفح جبل عسيب

اجارتنا انَّ الخطوب تنوب واني مقيمٌ ما اقام عسيبُ
اجارتنا انَّا غريبان ههنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ
فإن تصلينا فالقرابة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريبُ

---

(١) قبالة وإزاء (٢) الَمَّ باشر اللمم اي صغار الذنوب (٣) غير ظاهرة ولعلها شاب عزّ اي دافع ولم يبالغ

ويروى لهُ قولهُ عند احتضارهِ ايضاً :

ألا أبلغ بني حُجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحيَّ الحديدا
باني قد هلكت بأرض قوم سحيقاً من دياركم بعيدا
ولو اني هلكت بارض قومي لقلتُ الموتُ حقٌّ لا خلودا
أعالج مُلك قيصرَ كل يوم وأجدر بالمنيَّة ان تقودا
بارض الشام لا نسبٌ قريبٌ ولا شافٍ فيُسنِدَ او يعودا
ولو وافقتهنَّ على أسيسٍ وحاقةَ اذ وردنَ بنا ورودا
على قُلُصٍ تظلُّ مقلَّداتٍ أزمتهنَّ ما يعدقن [1] عودا

(توفي سنة ٥٢٩ م وقيل في غيرها) ستأتي البقية

الاتون الكهربائي

وعمل الماس والياقوت

اذا بلغت الحرارة درجة واحدة فوق الصفر اذابت الثلج وصيرتهُ ماء واذا بلغت مئة درجة أغلت الماء وصيرتهُ بخاراً . واذا بلغت ٣٢٦ درجة صهرت الرصاص وصيرتهُ سائلاً واذا بلغت ٩٦٠ درجة صهرت الفضة واسالتها واذا بلغت ١٠٦٢ درجة صهرت الذهب واسالتهُ واذا بلغت ١٠٨٠ درجة صهرت النحاس واذا بلغت ١٦٠٠ درجة صهرت الحديد وهي اشد حرارة يوصل اليها في الاتون الذي يوقد فيهِ الفحم ويجري فيهِ الهواء السخن بدل الهواء البارد. لكن من المعادن ما لا يصهر بهذه الحرارة كالبلاتين والاسميوم فلا يمكن صهرهُ في الاتاتين العادية . فان البلاتين لا يصهر الاَّ عند الدرجة ١٧٧٠ والاسميوم لا يصهر الاَّ عند الدرجة ٢٥٠٠ فكيف يمكن الوصول الى هذه الحرارة

لاحظ العلماء من عهد طويل انهُ اذا أشعل الاكسجين والهيدروجين معاً تولَّدت من اشتعالها حرارة شديدة جدًّا فصنعوا من ذلك ما سمي بالبوري الاكسيهيدروجيني ورأوا ان الحرارة ترتفع فيهِ الى الدرجة ٢٠٠٠ فتذيب كل المعادن المعروفة ما عدا الاسميوم وهذه الحرارة تقارب حرارة باطن الارض التي اذابت المعادن وكوَّنت منها الحجارة الكريمة كالياقوت فان هذا الحجر الكريم يكاد يكون الومينا صرفاً والالومينا هو الطفال او الدلغان

(١) تروى هكذا والصواب يعرقن اي يقشرن من عرق اللحم عن العظم اي جردهُ

وهو طين كثير الوجود جدًّا ولا قيمة له لكثرتهِ فاذا سحق ووضع مسحوقهُ في البوري الاكسيدروجيني ذاب من شدة الحرارة والتحمت دقائقهُ بعضها ببعض وصارت مادة زجاجية شفافة وهي الياقوت الصناعي الذي لا يفرق عن الياقوت الطبيعي لا في لونهِ ولا في صلابتهِ بل قد يكون اجمل لونًا واشدّ صلابة من الياقوت الطبيعي وهو يجتمع على طرف البوري نقطًا صغيرة او كبيرة وقد يبلغ وزن الكبيرة ١٠ قراريط الى ١٥ قيراطًا

لما تمكن العلماء من عمل الياقوت خطر لهم ان يحاولوا عمل الماس . ومن المؤكد ان الماس فحم متبلور فاذا امكن ان يصهر الفحم من غير ان يحترق ثم يترك حتى يتبلور فلا يبعد ان يصير ماسًا غالي الثمن لكن حرارة الاتون العادي لا تصهر الفحم ولم تكن تعرف طريقة لصهرهِ الى ان بحث الاستاذ مواسان في هذا الموضوع فوجد ضالتهُ في الاتون الكهربائي فانهُ اذا اتصل القطبان الكهربائيان في بوتقة ارتفعت الحرارة الى الدرجة ٢٧٧٠ بميزان سنتغراد او الى درجة ٥٠٠٠ بميزان فارنهيت . وقد خطر لهُ ان الماس قد يصنع بواسطة الاتون الكهربائي من رؤيتهِ حجارة صغيرة من الماس في بعض الحجارة النيزكية فقد أُرسلت اليهِ قطعة من النيزك الذي وقع في وادي ديابلو باميركا فحللهُ ووجد فيهِ حجارة صغيرة من الماس الاسود والماس الابيض الشفاف فاستنتج ان الكربون صُهر وهو في الحديد ثم تبلور فصار ماسًا . ولا بدّ ان الحرارة التي صهرتهُ كانت شديدة جدًّا تكفي لصهر الحديد وتزيد فلما برد تبلور كما تتبلور اكثر المواد التي تبرد بعد ما تكون مصهورة . ولكن لا بدّ من ضغط شديد حتى يتبلور الماس في الحديد وهذا الضغط يحصل من تجمد سطح الحديد بغتةً فان داخلهُ يتمدَّد حينما يشرع في التبلور ولا يجد الى تمددهِ متسعًا لان سطح الحديد الظاهر يكون قد جمد فيضغط باطنهُ بعضهُ على بعض ضغطًا شديدًا جدًّا فيتبلور الكربون الذي فيهِ من البرد والضغط . وقال المسيو مواسان انهُ اذا استطاع ان يقلّد الطبيعة فيذيب الكربون في قطعة من الحديد المصهور بحرارة شديدة جدًّا كالحرارة التي في باطن الارض او كالحرارة التي تذوب بها الحجارة النيزكية الساقطة من الجو حتى يصهر بها الكربون وهو في قلب الحديد صار ماسًا حينما يبرد ويجمد

فلجأ الى الاتون الكهربائي الذي تبلغ حرارتهُ ٢٧٧٠ درجة كما تقدم اي تزيد اكثر من الف درجة على الحرارة اللازمة لصهر الحديد وهي ليست حاصلة من فعل كيماوي كالحرارة الناتجة من احتراق الوقود بل من تحوُّل القوَّة الكهربائية الى حرارة

ويؤلف الاتون الكهربائي من قطبين من الكربون قطر كلٍّ منهما بوصتان او ثلاث

يتصلان في حفرة مصنوعة في قطعة من الطباشير فوق بوتقة من الكربون ويغطي ذلك بطبقة من الطباشير حتى تنحصر الحرارة كلها داخل الحفرة . والطباشير غير موصل للحرارة فيستطيع الانسان ان يضع يدهُ عليهِ من الظاهر بل يضع عليهِ قطعة من الثلج فلا تذوب الاَّ بعد مدة طويلة مع ان نار الجحيم تتأجج في باطنهِ. ويخرج من شقوق هذا الاتون أَلسنة من اللهب تبهر العيون بنورها الساطع فلا يستطيع العمال ان ينظروا اليها ما لم يلبسوا عوينات من زجاج اسود لشدة سطعانها . ومتى بلغت الحرارة الدرجة ٢٧٧٠ اذابت كل شيء تقريباً حتى الطباشير نفسهُ يصهر من الداخل ولكنهُ لا يصهر من الخارج لانهُ غير موصل للحرارة كما تقدم واذا وضعت في البوتقة قليلاً من الرمل صهر حالاً واستحال بخاراً . وقوة المجرى الكهربائي الذي يستحيل الى حرارة تساوي قوة ١٥٠ حصاناً ولذلك فالاتون الكهربائي كثيرة النفقة لا تقل نفقتهُ عن عشرة جنيهات في الساعة وعن مئة جنيه في اليوم

لما استتبَّ للمسيو مواسان استخدام الاتون الكهربائي وحاول تقليد الطبيعة في عمل الماس وجد ان الحديد يصهر بسهولة عند حرارة هذا الاتون ويذيب كثيراً من الكربون . وكان عليهِ ان يبرد الحديد بغتةً حتى يجمد سطحهُ ويشتد الضغط على باطنهِ ليتبلور ويحاول التمدد فلا يجد اليهِ سبيلاً . فجعل يذيب الحديد اولاً في الاتون ثم يزج فيهِ قطعاً صغيرة من الكربون ويغطي الاتون حتى اذا حسب ان الكربون ذاب في قلب الحديد الذائب فتح الاتون واخرج البوتقة منهُ بملقط طويل وزجها في سطل من الماء البارد فيتطاير الشرر منها في كل ناحية بازيز شديد . ثم وجد انهُ تتكون طبقة من بخار الماء حول البوتقة تقيها من برودة الماء فجعل يبرّدها في الرصاص المصهور لان الفرق بين حرارتها وحرارة الرصاص المصهور عظيم جداً فالرصاص المصهور حرارتهُ ٣٢٦ درجة والبوتقة حرارتها ٢٧٧٠ درجة

وحينما تبرد البوتقة يوضع الحديد الذي فيها في حوامض تذيبهُ فتبقى منهُ قطع الكربون المتبلور ماساً اسود وابيض ويفرق بين الماس الاسود والابيض بوضعهما في سائل يغرق فيهِ الماس الابيض ولا يغرق الماس الاسود. والابيض بلورات شفافة كالماس الطبيعي تماماً لكن حجارتهُ التي صُنعت حتى الآن صغيرة جداً. ولو صنع مواسان او غيرهُ حجارة كبيرة تباع كما يباع الماس الطبيعي أَترى كان يفشي سر عملهِ ويخبر ان حجارتهُ صناعية لا طبيعية أَو لا يرجح ان شركات مناجم الماس التي تربح خمسة ملايين جنيه كل سنة من مناجمها تبادر وتشتري منهُ حق اكتشافهِ وتكتم امرهُ لكي لا يرخص ماسها ولو مدة وجيزة

هذا وفوائد الاتون الكهربائي كثيرة جداً مثل كل ما بني على الكهربائية او نتج عنها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وانتخاب النواب في انكلترا

كتبت لادي مود سلبورن قرينة ارل سلبورن الذي عين حاكماً لجنوب افريقية مكان اللورد ملنر وابنة مركيز سلسبري المتوفى مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن منح النساء حق الانتخاب في انكلترا اسوة بالرجال فقالت ما يأتي

ان النساء اللواتي يدفعن ضرائب هنَّ غالباً من صاحبات الاملاك ومن المتقدمات في السن . وكثرة علاقتهنَّ بالاشغال والاعمال صيرتهنَّ معروفات في البلاد وصاحبات كلمة مسموعة وهنَّ لو كنَّ رجالاً لنلنَ حق الانتخاب بلا جدال

والذين يعترضون على منح النساء حق الانتخاب فئتان . فئة تقول ان النساء لا يصلحن للانتخاب لان منحهنَّ هذا الحق يبعدهنَّ عن صفات النساء وانهنَّ لا يستطعن اتباع حكم العقل في ذلك بل يستسلمن لهوى النفس . وفئة تقول ان منحهنَّ هذا الحق لا يضرُّ بل ربما افاد ولكنهُ يكون توطئة لامر اعظم شأناً وهو منح هذا الحق للمتزوجات ايضاً وهذا الامر لا يستحب ولا يرغب فيهِ

وعندي ان اعتراضات الفئة الاولى هي الاعتراضات الجديرة بالرد . اما اعتراض الفئة الثانية فجوابي عليهِ موجز بسيط وهو ان منح المرأة المتزوجة حق الانتخاب بمنزلة تقوية اقتراع زوجها اذ ٩٥ في المئة من المتزوجات يقترعن مثل ازواجهنَّ وعليهِ أرى ان منحهنَّ حق الانتخاب ليس لازماً لهذا السبب

ولننتقل للرد على الفئة الاولى وهي اما رجل يغار على الدستور ويخشى من ادخال مبدإٍ جديد اليهِ . او رجل عزيز النفس كريم الطبع يحملهُ اكرامهُ لجنسنا ان يخاف علينا من التعرض لعدوى السياسة والتلوث بادرانها . او رجل كثر اختلاطهُ باهل الطبقة الدنيئة منا فبات وهو لا يخشى المجاهرة باحتقار النساء كلهنَّ . وهؤلاء الرجال مجمعون على الخوف من ان يكون منح النساء لحق الانتخاب طامة كبيرة على الامة

فلننظر الآن في ما اذا كان ثمة دليل على ان كوننا نساء يمنعنا من ابداء اراء رشيدة صائبة في امور السياسة وانتخاب افضل الرجال لاخراج تلك الاراء من القوة الى الفعل. لست انكر ان الرجال يستطيعون فعل امور كثيرة لا يستطيع النساء فعلها فانهنَّ لا يستطعن النبوغ في الموسيقى بل لم تقم منهنَّ امراة نبغت فيها الى الآن واريد بذلك انهُ لم تقم امراة ابتكرت نغمة او لحناً من الحان الموسيقى. وقليل منهنَّ نبغن في فنون النقش والتصوير والنظم واللواتي نبغن لم يبلغنَ المرتبة الاولى مع ان الفرص سنحت لهنَّ لدرس تلك الفنون وممارستها ولكن المقدرة السياسية او التضلُّع من علم السياسية مهما شئت سمّهِ اكثر شيوعاً بين النساء منهُ بين الرجال كما يتضح من المقابلة ومراجعة التاريخ. فان النساء اللواتي تولين زمام الحكومات فكنَّ ملكاتٍ ووصياتٍ قليلاتٌ وهنَّ لم يُختَرْنَ لمقدرة خصوصية فيهنَّ بل لاسباب اخرى مثل انقطاع الذكور من العائلة المالكة او غياب ازواجهنَّ او موتهم ولكن ازمنة حكمهنَّ كانت موسومة بالنجاح والارتقاء في كلّ عصرٍ وامة. وامم كثيرة — والامة الانكليزية في مقدمتها — خطت اوسع الخطى في مضمار التقدم والارتقاء مدة حكم النساء. فهل راى الناس ان الملكات كنَّ شديدات الانفعال والتأثر في امور الملك الى ما فاق الحدَّ. وهل ضحَّين خير شعوبهنَّ على مذبح عواطفهنَّ النفسية. وهل كانت تنقصهنَّ الجرأة والشجاعة الادبية في الدفاع عن شرف البلاد حين الحاجة. كلاَّ ثم كلاَّ

وعليهِ يرجح انهُ كما كانت الواحدة منا فكذلك تكون الجماعة التي أُخذت الواحدة منها

تهذيب النساء

معرفة النفس باب الصلاح والاصلاح وعليهِ قال احد الفلاسفة " ايها الانسان اعرف نفسك" فان الذي يرى نفسهُ كما هو يسهل عليهِ اصلاح عيوبهِ والذي يرى نفسهُ فوق ما هو تخفى عليهِ عيوبهُ ولكنها لا تخفى على غيرهِ

لا نكاد نتصفح مجلة من مجلات الغربيين الشهيرة او نقرأ كتاباً من كتبهم الاجتماعية الأ ونرى فيهما بحثاً في المواضيع العمرانية التي هي اساس التمدن الغربي كحرية المرأة ومقامها في الهيئة الاجتماعية وما اشبه. والغريب في ما يكتبونهُ عن المرأة عندهم انهم يصفون لك حالها باوصاف لا تكاد تميزها عن المرأة الهمجية فيغضون عن حسناتها ويكبّرون سيئاتها قصد الاصلاح لا غيرُ

كتبت كاتبة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر تحت عنوان " تدبير المنزل

والامة " قالت فيها ما خلاصتهُ

اذا جلنا في قرى البلاد نرى فيها كثيرين من الاولاد ذوي الاوجه الممتقعة والاجسام الضئيلة والصدور الضيقة والافواه التي لا اسنان فيها مثلما نراهُ في اكثر شوارع لندن ازدحاماً. وعليهِ فلا يمكن ان يكون الازدحام سبب ذلك بل السبب الحقيقي الوحيد ان نساءنا لا يعلمن شيئاً من الواجبات التي فرضتها الطبيعة عليهنَّ . فان البنات كثيراً ما يتزوجن باكرًا وهن لايعلمن ما اذا كنَّ صالحات لحمل الاولاد ولا كيف يربينهم بعد ولادتهم . وتراهنَّ يفتخرن بما تعلمن في المدارس من العلوم البسيطة فاذا سألتهنَّ اين بطرسبرج او ما هي طريقة استخراج الفائدة المركبة فربما أُجبن بالصواب ولكنَّ تمرينهنَّ على الاشغال المنزلية البسيطة عن ايدي امهاتهنَّ اولاً وايدي مربيات يخترن لذلك ثانياً من الامور التي أُهملت الآن بعد ما كان المعوَّل عليها في سالف الزمان . وغاية ما تسعى اليهِ البنت اذا لم تتزوج ان تدخل في خدمة التلغراف او تتعلم الكتابة على الآلة الكتابية لا ان تكون خادمة في المنازل . واما التي تتزوج فان في رأسها قدرًا كافياً من المعرفة يجعلها تحتقر الاشغال البيتية وتكبُّ على قراءة الجرائد والمجلات الرخيصة الثمن التي تصدر بالالوف لمطالعة البنات اللواتي من طبقتها وتشتري معظم طعام عائلتها ولباسها من الخارج فلا تتعب بطبخ ولا خياطة وهمها الاول فطم طفلها باسرع ما يمكن تخلصاً من تعب الرضاع

وليس ثمة سوى وسيلة واحدة لاصلاح بنية الاولاد وهي تعليم النساء الواجبات المنزلية التي كانت فخر امهاتهنَّ وجداتهنَّ وسبب سعادتهنَّ مثل عمل الخبز والطبخ والخياطة وتربية الاولاد والعناية بانفسهنَّ قبل ولادة اولادهنَّ . فان المرأة الانكليزية الآن اكثر نساء الارض جهلاً لتدبير منزلها وقد كانت افضلهنَّ في ذلك منذ مئتي عام . فكم من بنت لا تعرف كيف تخيط زرًّا على قيص ولا تعرف كيف تمشط شعرها وتعقصهُ . وقد عرفت امرأة متزوجة كانت اذا غابت خادمتها الخصوصية عن المنزل عدة ايام لا تجسر ان تحلَّ شعرها خشية ان لا تستطيع مشطهُ وعقصهُ ثانية

وربَّ معترضة تقول لماذا أُعقص شعري وعندي من تعقصهُ لي ولماذا اذهب الى المطبخ واراقب ما يجري فيهِ اذا كان عندي من هو اخبر مني بذلك . فالجواب انهُ اذا كانت المرأة تستطيع اقتناء الخدم وكانت الاعمال التي يعملونها على اتمّ المرام كما هي الحال عليهِ في بعض المنازل فلها بعض العذر في اهمال امور بيتها اتكالاً على همة خدمها وامانتهم . ولكن من رأيي ان تطلع على كلّ ما يجري في منزلها وتراقب كلَّ حركة وسكنة بنفسها ان لم يكن لقصد غير القدوة فكفى

وخير حلٍّ لهذه القضية ان تعلّم المرأة ان تدبير امور بيتها واولادها ليس امرًا دنيئًا ولا هو علامة انحطاط عقليّ بل هو غاية وجودها وانهُ ما لم تدرك هذه الغاية لا يحقّ لها ان تهتمّ بجمعية ولا برياضة ولا بقراءة كتب الادب ولا بتعلم فنّ من الفنون الجميلة . وليس يصعب على المرأة ان تكون جميلة فتّانة وعالمة بتدبير شؤُون بيتها معًا . فان النساء الفرنسويات يجمعن بين هذين الامرين فهنّ افتن نساء الارض للعقول ومن افضلهنّ تدبيرًا لمنازلهنّ . والنساء الالمانيات قلما يبالين بالفنون الجميلة ولكنهنّ صاحبات علم وخبرة في جميع الشؤُون وموصوفات بحسن تدبير منازلهنّ فلماذا لا تكون المراة الانكليزية مثل الفرنسوية في حسن هندامها وكياستها ولباقتها ومثل الالمانية في علمها وتهذيبها وحسن تدبيرها لمنزلها . انتهى

طعام الفطيم

اذا فطم الطفل وعمرهُ تسعة اشهر يطعم الطعام الآتي :

الساعة السابعة صباحًا — ١٢ ملعقة كبيرة من اللبن الحليب وملعقة من القشدة وملعقة صغيرة من سكّر اللبن وثلاثة ملاعق كبيرة من الماء تمزج لهُ معًا

الساعة ١٠ ١/٢ لبن وسكر وماء كما تقدَّم ومعلقتان صغيرتان من طعام ملن Mellin الذي يطعم للاطفال تذابان في ماء سخن وتضافان الى اللبن

الساعة ٢ بعد الظهر كما أُطعم الساعة ١٠ ١/٢

الساعة ٦ " " " "

الساعة ٧ " " كما أُطعم الساعة ٧ صباحًا

ومن سن العشرة اشهر الى سن الاربعة عشر شهرًا يطعم كما يأتي

الساعة ٧ صباحًا ١٥ ملعقة كبيرة من اللبن الجيد وملعقة من القشدة وملعقة من طعام ملن وثلاثة ملاعق من الماء تمزج معًا

الساعة ١٠ ١/٢ فنجان كبير من اللبن الفاتر

الساعة ٣ بعد الظهر صفار بيضة مسلوقة وقليل من الخبز او فنجان من مرق اللحم فيهِ قليل من الخبز

الساعة ٦ بعد الظهر مثل طعام الساعة السابعة

الساعة العاشرة مثل طعام الساعة ١٠ ١/٢ . ومن الشهر الرابع عشر الى الثامن عشر يبقى طعامهُ في الخمسة الاوقات المتقدمة ففي الوقت الاول فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز

يُفَت فيهِ ويجب ان يكون الخبز بائتاً لا جديداً . وفي الثاني فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث فنجان من المرق وقليل من الخبز ومعلقة كبيرة من الرز المطبوخ باللبن والسكَّر . وفي الرابع كما في الاول . وفي الخامس ملعقة كبيرة من طعام ملن وفنجان كبير من اللبن

ويمكن ابدال الطعام هكذا في الوقت الاول صفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز وفنجان من اللبن . وفي الثاني فنجان من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث قليل من البطاطس المسلوقة المدقوقة واربعة ملاعق من خلاصة اللحم وقليل من اللبن الرائب

ومن الشهر الثامن عشر الى نهاية السنتين يطعم اربع مرات في النهار. ففي الفطور فنجان كبير من اللبن وصفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز والزبدة وقبيل الظهر فنجان من اللبن وقليل من البسكويت والظهر او بعدهُ قليلاً فنجان كبير من مرق اللحم او الشوربا وقليل من الخبز وصحفة من الرز المطبوخ باللبن والسكر

وعند العشاء فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة

والاعتماد في طعام الاطفال على الخبز واللبن والرز المطبوخ باللبن والسكر مع قليل من مرق اللحم ويحسن اطعامهم شوربا الرز او شوربا العدس ولا بأس بالعدس المقشور اذا كان مطبوخاً مع الرز

والماء لازم للاطفال دائماً فاسقهم قدر ما يشربون منهُ بشرط ان يكون نقياً

ويتفق ان معد الاطفال لاتهضم اللبن وهذا نادر فيجب ان يبدل حينئذٍ بما يقوم مقامهُ من المآكل المغذية كالشوربا ونحوها

ولا بأس باطعام الصغار قليلاً من اللوز والفستق ونحوهما مما فيهِ من المواد الزيتية ولكن لايجوز الاكثار من ذلك

حب الصبا

يخرج من مسام الوجه مادة دهنيَّة ولاسيما في سن البلوغ وبعدهُ وقد يعاق خروجها لضعف الجلد فتتصلَّب ويسودُّ ظاهرها المعرَّض للهواء فتظهر في الوجه والانف والجبهة نقطاً سوداً فاذا عُصرت خرج منها مادة بيضاء دقيقة كالدود. وقد يلتهب مكانها قبل خروجها ولا بدَّ من الاعتناء بالصحة والهضم اولاً . ويوضع على حب الصبا خرقة ناعمة مبلولة باللبن الغالي ثم يغسل الوجه بالماء البارد. وتنزع المادة الدهنية بالعصر ويعاقب على مكانها بالماء الحار والبارد دواليك

حتى يتقلّص الثقب الباقي هناك ويزول . ثم توضع عليهِ لبخ من المزيج التالي وهو اوقية من مذوب كربونات البوتاسا واوقيتان من ماء كولونيا واربع اواقي من الكنياك ولا بدّ من الاعتناء بالامعاء حتى لا يكون فيها قبض

ويحسن غسل البثور بالماء المضاف اليهِ نقط قليلة من الحامض الكربوليك

النمش

الشمس ضرورية للصحة ولكن التعرُّض لها طويلاً قد ينتج النمش في الوجه . ومن اسهل الوسائل لازالة النمش الغسل بعصير الليمون الحامض . ويجب ان يبقى العصير على الوجه بضع دقائق ثم يغسل بالماء النقي البارد وينشف . ولا بدَّ من غسل الوجه جيداً بالماء والصابون قبل وضع عصير الليمون الحامض عليهِ



تلقيح الاثمار

ذكرنا في عدد يونيو الماضي تحت عنوان تلقيح الاثمار ان رجلاً انكليزيًّا يعمل في زراعة الاثمار وتربيتها وتلقيحها بعضها من بعض حتى خرجت فائقة في منظرها وطعمها واشتهرت في جميع الاقطار . وذكرنا ايضاً ان زارعاً اميركيًّا مشهوراً اسمهُ بربنك يحذو حذوهُ وانهُ لقح كثيراً من الاثمار بعضها ببعض فخرجت من ذلك انواع تفضل الاولى منظراً وطعماً وظفر باستخراج برقوق بلا نواة وخرج من عندهِ نوع من الصبر بلا شوك يعيش بلا ماء في كل اقليم وتمكن من جعل الخوخ والبرقوق والنكتارين تحتمل البرد ولو على درجة الجليد الى غير ذلك مما ذكرناهُ في مكانهِ

وقد خطر للاستاذ ده ڤريس صاحب مذهب التحوُّل الفجائي الذي بسطناهُ في عدد يوليو الماضي ان يزور بربنك في مدينة سانتا روزا بكليفورنيا ويرى بالخبر ما سمعهُ عنهُ بالخبر فقصدهُ في جماعة من العلماء والاصدقاء منهم الاستاذ سفنت ارهينيوس الذي وضع اساس الكيمياء الطبيعية هو وهوف والاستاذ جاك لوب الفسيولوجي والاستاذان وكسون واوسترهوت

من كلية كليفورنيا وبعد ان شاهد ما شاهده كتب مقالة في هذا الموضوع نلخصها من مجلة العلم العام الاميركية

ذكر اولاً حسن مقابلة بربنك لهُ ولرفقائهِ وانهُ رجل عزب يعيش مع امهِ وشقيقتهِ في منزل بسيط وانهُ لا يقصد من اهتمامهِ بالزراعة شهرة او جمع ثروة بل زيادة اسباب الرفاه للناس بما يولّده كل يوم من الاثمار الجديدة اللذيذة . ثم قال :

اخذنا بربنك ذات يوم الى بستانهِ واوقفنا امام شجرة مثقلة باثمار البرقوق وكانت الاثمار زرقاء اللون تجذب الابصار اليها بجمالها ولكنها صغيرة . فقطف بعضها وطلب منَّا ان نعضّها باسناننا ففعلنا ومع اننا كنا نعلم ان لا نوى فيها لم نتمالك من اظهار العجب والدهشة لما فلقنا الاثمار ووجدنا داخلها بزوراً مثل اللوز شكلاً وطعماً ولكن بلا نوى ووجدنا مكان النوى طبقة بقوام الهلام فيها بعض آثار النوى . فقال لنا انهُ لا يقنع بذلك بل لابدَّ ان يوالي التجارب حتى يزول كل اثر للنوى وان عندهُ اشجاراً اخرى تحمل اثماراً لا اثر فيها للنوى البتة

وبينما نحن كذلك اخبرنا الاستاذ اوسترهوت بما جرى للاستاذ بايلي استاذ الزراعة في كلية كورنيل مع بربنك وهذه الشجرة فقال ان بربنك جاء بالاستاذ بايلي واوقفهُ تحتها والاستاذ يجهل ان اثمارها بلا نوى فاراد ان يمزح معهُ وكان بايلي قد قال انهُ يستحيل وجود برقوق بلا نوى فقطف بربنك لهُ ثمرة وطلب منهُ ان يعضّها باسنانهِ فلم يفعل بل تناول سكينهُ من جيبهِ وجعل يقطع بها اللبَّ لاظهار النواة اعتقاداً منهُ انها محاطة بقشرة صلبة فلما لم يجد اثراً لها دهش اعظم دهشة

وكنت قد قرأت في بعض الجداول التي يصدرها بربنك محتوية اسماء الاثمار التي عندهُ واثمانها ذكر برقوق بلانوى فلم اكد اصدق وقلت في نفسي كيف يمكن احداث تغيير عظيم مثل هذا في الاثمار فان الانواع الجديدة التي تنتج عن التلقيح لا تتضمن صفات جديدة بل هي مجموع جديد لصفات موجودة في الانواع الملقحة منها . وهذا مبدأ جوهري في التلقيح . على انهُ وان كان فقد النواة خسارة لا ربحاً الاَّ انهُ خسارة خارجة عن دائرة ايجاد الانواع المجنسة وعليهِ لم تكن دهشتي اقل من دهشة الاستاذ بايلي عند قراءة ذلك فعزمت منذ زمن طويل ان اسأل بربنك ما هو السر الذي تمكن بهِ من احداث ذلك التغيير الجوهري في النبات وهل كان ذلك قصداً او اتفاقاً . فما صدقت ان التقينا حتى سألتهُ هذا السوال معتقداً ان النتيجة العلمية من زيارتنا تتوقف على جوابهِ . فأجابني جواباً بسيطاً لم اكن انتظرهُ وهو " انهُ كان في فرنسا منذ نحو قرنين نوع من البرقوق بلا نوى ولا يزال منهُ شجر الى الآن

فاشتريت ثمرهُ وزرعت بزرة ولقحت منهُ البرقوق الذي عندي ". وعليهِ لم يشذ بربنك عن القاعدة المذكورة آنفاً اي انهُ لم يحدث نوعاً من الاثمار يتضمن صفات جديدة بل صفات قديمة

فخاب ظني وظن الاستاذ لوب لاننا كنا نؤمل ان نتعلم شيئاً كثيراً عن الصفات الجديدة واصلها وهو الاساس الذي نبني عليهِ دروسنا ومباحثنا

وليست هذه اول مرة خاب فيها ظني من هذا القبيل . فاني كنت منذ عشرين سنة ابحث في هذا الموضوع فاكتشفت القاعدة المذكورة آنفاً وهي ان التلقيح لا يولد صفات جديدة بل يجمع بين صفات قديمة . وجاءت تجاربي كلها مطابقة لهذه القاعدة ولكن ظهر بعد ذلك ما كدت اعتقد انهُ شذوذ عنها وهو اعلان لموان في نتسي وهو اشهر من لقح الاثمار ورباها في فرنسا انهُ استخرج زنبقاً مضاعفاً بالتلقيح بين انواع الزنبق المفرد . فزرتهُ في نتسي وسألتهُ كيف توصل الى ذلك فأجابني "هذا امر بسيط جداً فاني رأيت وانا صغير نوعاً من الزنبق المضاعف في حديقة لاحد اقاربي فاشتريتهُ الآن ولقحت بهِ انواع الزنبق المفرد التي عندي فخرجت مضاعفة كما ترى"

ولنعد الى بربنك فاقول انهُ أرانا كبوشاً من كبوش العليق كبيرة الحجم لذيذة الطعم فسألتهُ كيف استخرجها فقال انهُ استخرجها من كبوش برية بيضاء تنبت في كليفورنيا

ومن غرائب اعمالهِ عنايتهُ الشديدة بالصبر الذي لا شوك لهُ وهو ينبت في صحاري كليفورنيا و يعرف بالتين الهندي والبقر ترعى ثمرهُ بشراهة لكثرة مائهِ وقلة شوكهِ وهو كثير الغذاء . وقد يدهم المواشي الجوع فتأكل النبات كلهُ ولكن جذعهُ كثير الشوك . فاذا سلق لان الشوك الذي عليهِ واصبح طعاماً مغذياً ولكن سلقهُ يحتاج الى نفقة فاذا امكن استخراج صبر بلا شوك بطريق من الطرق زرعت بهِ الصحارى فحولها مراعي نضرة تسام فيها الانعام

فلبلوغ هذه الغاية جاء بربنك بصبر بري من المكسيك وجنوب افريقية وبلاد اخرى وبصبر من النوع العادي . واتفق انهُ كان بين الانواع المختلفة التي جاء بها نوع بلا شوك على ورقهِ ونوع آخر بلا شوك على اغصانهِ فرأى ان يستخرج من هذين النوعين نوعاً ثالثاً يجمع صفاتهما فيكون بلا شوك على ورقهِ واغصانهِ . وهو الآن يجرب التجارب الكثيرة ولا يمضي زمان طويل حتى يفوز بأربهِ

وطريقة انتقائهِ للاثمار هي انهُ يجول بين الاشجار بعد حملها فيعلّم كلّ شجرة تحسن في عينيهِ فيستبقيها ويقطع كلّ شجرة لا تصلح لسبب من الاسباب فلا يبقى بعد جولتهِ هذه سوى النصف منها ثم يعيد نظرهُ في النصف الآخر وينتقي منهُ الاصلح . كان مرة يعرض

٦٠ الف فسيلة من فسائل الكبوش لينتقي منها صنفاً جديداً وكانت مثقلة بالاثمار فانتقى البعض القليل واقتلع الباقي واحرقهُ

وربى مرة ٦٥ الف فسيلة فانتقى منها نحو مئة ثم جمع الباقي وهو مثقل بالاثمار فاحرقهُ وهو يفعل ذلك ١٥ مرة كل سنة

وما يفعلهُ بالاثمار يفعلهُ بالازهار ايضاً من حيث التطعيم والتلقيح والانتقاء فتخرج الازهار بديعة في الوانها واشكالها شذية في روائحها. جمع مرة ١٥ الف وردة قضى في تربيتها السنين الطوال فانتقى ثلاثة منها واتلف البقية غير آسف . وانتقى ٥٠ بصلة من الزنبق من نصف مليون فزرع الاولى واباد الثانية وهذا ما لا بدَّ منهُ في تحسين نتاج الاثمار والازهار

ولا يكتفي بتطعيم صنف من آخر بل يطعم عدة انواع بعضها من بعض حتى تجتمع صفات الانواع المختلفة في النوع الذي يراد استخراجهُ منها. وقد طعَّم البرقوق بالمشمش فخرج من ذلك ثمر جديد سماهُ "بلامكوت" نسبة الى البرقوق والمشمش معاً اما طعمهُ فلذيذ جداً واما منظرهُ فاشبه بالمشمش في نعومة ملمسهِ وبالبرقوق في لونهِ ثم استخرج منهُ اصنافاً مختلفة في لونها فمنها اصفر ومنها احمر ومنها وردي ومنها ابيض وطعمها مختلف ايضاً

ومما ينظر اليهِ في تربية الاثمار وتحسين نوعها ان تكون صلبة بحيث يسهل ارسالها الى البلدان البعيدة من غير ان تفسد . وان تزرع في تربة لم تكن تصلح لها سابقاً . وان تكون الاشجار كثيرة الحمل تقوى على احتمال الصقيع الى حدّ محدود ففاز ببعض الفوز حتى صارت اثمار كليفورنيا مشهورة في اوربا ترسل اليها ولا يصيبها تلف مع ترامي الشقة وكثرة مشقة السفر بينهما براً وبحراً

المن والندوة

ظهر المن في بعض الجهات على شجر القطن وهو مقدمة لظهور الندوة العسلية التي تتلف القطن تماماً . وقد اشار البعض بقتل المن بمذوب الصابون على هذه الكيفية

قطّع رطلاً من الصابون حتى ينعم جيداً واذبهُ في اربعة اكواز من الماء الغالي واضف الى المذوب اربعة عشر كوزاً من نفاية الصابون (وهي سائل يبقى في الاناء الذي يصنع الصابون فيهِ ولا ثمن لهُ او ثمنهُ بخس جداً) واغلِ المزيج نصف ساعة واتركهُ حتى يبرد فيختثر ويصير كاللبن ضعهُ في القناني الى حين الاستعمال وضع رطلاً من هذا المزيج في رشاشة واضف اليهِ خمسة وعشرين رطلاً من الماء وحركهُ في الرشاشة جيداً ورش بهِ ورق القطن

من اعلاهُ ومن اسفلهِ فيموت المن عليهِ ويسلم القطن ويستفيد من محلول الصابون لانهُ كالسباخ لهُ ويسلم من الندوة وقد جرّبناهُ فوجدنا فائدتهُ قليلة

الاراضي الزراعية في الفيوم

اشرنا في باب التقاريظ الى كتاب وضعهُ الجيولوجي المستر بدنل عن جيولوجية الفيوم وطبوغرافيتها وقد رأينا في هذا الكتاب فصولاً يحسن نشرها في باب الزراعة لما فيها من الفوائد الزراعية ومن ذلك فصل عن الاراضي في الفيوم قال فيهِ ان مساحة الاراضي الزراعية في مديرية الفيوم ١٨٠٠ كيلومتر مربع (نحو ٤٣٠ الف فدان) وهي طفالية مثل اراضي وادي النيل مرتفعة في الجهات الشرقية والمتوسطة ثم تنحدر رويداً رويداً ولاسيما في الجهة الشمالية حيث الانحدار نحو بحيرة قارون . وتروى كلها من بحر يوسف الذي يمر في ممرّ ضيق من الارض واصل بين وادي النيل واطيان الفيوم فانهُ يفارق وادي النيل من عند اللاهون ويجري في طريق متعرّج في الصحراء مسافة ٥ كيلومترات ويروي ارضاً ضيقة على جانبيهِ تتسع عند هوارة وتتصل باراضي الفيوم ثم ينقسم الى فروع كثيرة جداً تروي اطيان المديرية كلها . وهذه الاطيان تصرف كلها في بركة قارون ما عدا الغرق جنوبي الفيوم فانهُ يروى من فرع يأتيهِ من بحر يوسف حال دخولهِ المديرية ولكنهُ لا يصرف في البحيرة لبعدهِ عنها وارتفاع الارض بينهُ وبينها بل يبقى ماؤُهُ فيهِ

وحول هذه الاطيان الزراعية اراضٍ طينية رملية الى جهة الشمال والشمال الغربي والغرب تسمى بالاراضي البحيرية وهي من الاراضي القديمة التي كانت حول بحيرة قارون ممزوجة بما يحملهُ بحر يوسف اليها من طمي النيل وبما يصلها من الرمال التي تسفيها الرياح اليها مما حولها

لما انحسر ماء البحيرة في عهد البطالسة انكشف كثير من هذه الاراضي البحيرية وزرع بعضها ثم اهملت زراعتها وانحصرت الزراعة بعد ذلك في الاراضي النيلية التي يغطيها طمي النيل . ثم لما اصلح الري حديثاً وزاد الماء في بحر يوسف أُحييت بعض الاراضي البحيرية ولا سيما شمالي الطامية وقرب قصر قارون

اما بركة قارون فطولها ٤٠ كيلو متراً ومعظم عرضها عشرة كيلومترات ومساحة سطحها الآن ٢٢٥ كيلومتراً مربعاً وهي قليلة العمق لم يجد السر همبري برَوْن فيها ما هو اعمق من خمسة امتار ولكن الصيادين يقولون ان فيها اماكن اعمق من ذلك وهي الى الجنوب الغربي

منها وقد كانت في قديم الزمان تغطي اكثر اراضي الفيوم ثم جُعِلَت خزانًا للماء في عهد الملك امنمحات الاول فتنصب فيها زيادة مياه النيل وقت الفيضان ثم يجري الماء منها وقت التحاريق لمد النيل فتفعل فعل خزان اصوان الآن . ثم اهملت في عهد الفرس والبطالسة فصارت تصغر رويدًا رويدًا حتى بلغت مساحتها الحاضرة وكانت لا تزال آخذة في الهبوط والصغر فقد هبطت في العشر السنوات الماضية نحو نصف متر فانحسرت عن اراضٍ كثيرة احييت للزراعة

ولكن لابدَّ من ان يزيد ماء الصرف الذي يصب فيها باتساع مساحة الاراضي الزراعية فيبطل انخفاضها ثم تأخذ في الارتفاع وقد ارتفعت قليلاً سنة ١٩٠٤ واذا ارتفعت نصف متر فقط غمرت ارضًا واسعةً لان الاراضي على شاطئها مستوية قليلة الارتفاع في الغالب (١)

وقد استنتج الاستاذ شوينفورت ان لها مصرفًا تحت الارض ينصرف بهِ ماؤُها والاَّ لزادت ملوحتهُ عما هي عليهِ الآن

الحشرات والزراعة

ترد الاخبار تباعًا عمَّا اصاب القطن الاميركي من الضرر بسبب الحشرات التي تسطو عليهِ ويقال انهُ ما من بلاد تصاب بالحشرات اكثر من الولايات المتحدة الاميركية او ما من بلاد يظهر فيها ضرر الحشرات ويقدَّر بالضبط كما يظهر في تلك البلاد ويقدَّر فيها فان قيمة الحاصلات الزراعية فيها سنويًّا الف مليون جنيه والحشرات تتلف منها عشرة في المئة كل سنة على الاقل وتتلف في بعض السنين اكثر من ذلك كثيرًا فيكون ثمن ما تتلفهُ كل سنة مئة مليون جنيه على الاقل وهذا التلف لا يشمل ما يصيب الحاصلات بعد جمعها وخزنها كالسوس الذي يضرب الحبوب على انواعها والذي ينخر الخشب وقد لا يقل الضرر منهما عن اربعين مليون جنيه فيكون ضرر الحشرات للزراعة الاميركية مئة واربعين مليون جنيه كل سنة على الاقل ولذلك لا عجب اذا بذلت الحكومة الاميركية اقصى جهدها وانفقت الاموال الطائلة واستخدمت كبار العلماء لاجل محاربة الحشرات وتقليل ضررها على قدر الامكان .

وابن آدم في جهاد دائم واذا خلت الحياة من الجهاد والظفر خلت من البهجة واللذة

---

(١) رأينا البرشبالي سنهور كثير الارتفاع عن البحيرة حتى لو ارتفعت مترًا او مترين لا تغمر الاَّ جزءًا صغيرًا منهُ



ديوان الرافعي

نشر الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي الجزء الثاني من ديوانهِ وهو الذي قال فيهِ نابغة شعراء العصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر

الشعر فوَّض امرهُ ونحاك في تفويضهِ
وعليك اسبغ بردهُ لتجرَّ ذيل رحيضهِ
فقبضتَ من مبسوطهِ وبسطت من مقبوضهِ
اشرقت فوق سمائهِ وسواك دون حضيضهِ
ديوانُ شعرك حيَّر الشعراء في تقريضهِ
ماذا يقول مقرظوهُ وانت رب قريضهِ

وقد اجمل الكاظمي في الوصف فابدع لكن الناس الفوا مبالغة الشعراء وغلوَّهم فلا يبنون عليها حكماً ولو كان الكاظمي ضنيناً بالمدح على غير اهلهِ ولذلك رأَينا ان ننشر ابياتاً مقتطفة من هذا الديوان للدلالة على طريقة الناظم وامتلاكهِ ناصية هذه الصناعة وتفوقهِ في ابتكار المعاني او ابرازها في صورة حسناء ومن ذلك قولهُ في الفقر والغنى

واطراق الزمان يغرُّ قوماً وما اطراقهُ الاَّ افتكارُ
يظن المرء ان قد فرَّ منهُ ولكن كان منهُ لهُ الفرارُ
اذا وسعتَ في قفص لطير فكيف يفرُّ والقفص المطارُ

وقولهُ في تطرُّف العلماء

ارى للعقل حدّاً في التسامي كمرمى الباصرات الى حدودِ
وكل تطرُّف العلماء جهل وبعض الجهل بالعلماء يودي
وسيَّانِ البصير وكلُّ اعمى اذا نظرا الى شيء بعيدِ

وقولهُ في المرأَة المصرية

تالله لو كان من علم وتربية شيء يآزرهُ ذا الصبر والجَلَدُ

اذا لما سخرت من بنت جمعتها مَن يومها السبت اومَن يومها الاحدُ
ياقوم لو نام ليث الغاب نومكمُ لاستنكف الفارُ أنْ قالوا لهُ اسدُ

وقوله

دعي عنكِ الطلاء فليس حسناً واي حقيقة كانت مجازا
ومَن ذا غرّهُ التحسين اني رأيت الشمس لاتحتاج غازا

وقوله

وقتيلٌ مَن كان في الغاب حيًّا تتولاّهُ اعين الآسادِ
انما الناس ما يخلدهُ النا س وان كان امرهم للنفادِ
شدّ ما يؤخذ الظلوم اذا ما سار في الناس سيرة استبدادِ
انما انفس الانام سيوف ان تحرّكْ سالت من الاغمادِ

وقد طبع الديوان مشروحاً بقلم حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي وثمن النسخة منهُ خمسة غروش فقط وهو يطلب من المكتبة الازهرية بمصر ومن سائر المكاتب وحبذا لو اقلّ الناظم من الغزل لان الشعراء لم يغادروا منهُ عامرًا ولا متردماً واكثر من صوغ المعاني الجديدة في سياق الوصف والرواية والعرض والتخضيض

آفات المدنية الحاضرة

في بيروت جمعيةٌ ادبيةٌ تسمّى جمعيَّة شمس البر يتمرّن اعضاؤُها في الانشاء والخطابة ولا يتلى فيها الأ كلما يهذّب الاخلاق و يثقف العقول وقد عينت منذ مدة جائزة لمن يؤلف افضل كتاب في آفات المدنية الحاضرة يزيح النقاب عنها ويبين مضارها وطرق النجاة منها فنال هذه الجائزة حضرة الكاتب الغيور جرجي افندي نقولا باز على كتاب ألَّفهُ في هذا الموضوع واهداهُ الى المقتطف لانهُ "عامل على اذاعة المعارف في الشرق" ولاننا من مؤسسي جمعيَّة شمس البر

والكتاب يتناول كل الآفات التي لها علاقة بالمدنية الحاضرة او التي زادت بزيادة المدنية جريًا على ما قلناهُ غير مرة وهو ان العمران لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل لاتلافها بل زاد العقول استعدادًا لنموها. وقد عدّد المؤلف ثلاثين آفة مثل المقامرة. والسكر. والعزوبة. والزواج. والعقم. وقلَّة الالفة العائلية. والانتحار. والتدخين. والبورصة. والاحتكار. والاعتصاب. والافلاس. والغش. والمجاملة. والمخاصرة. والحسر. والسل. والزهري. وشرح كل آفة منها وبيَّن مضارها مستشهدًا باقوال مشاهير الكتاب والمواضيع

التي تحتمل شرحاً مسهباً تضيق عنهُ صفحات هذا الكتاب وعد بشرحها في كتاب يفردهُ لها

ولا شبهة ان للمدنية الحاضرة شوائب كثيرة وان تبيين مضارها بالكتابة والخطابة والتعليم من افضل الوسائل لمقاومتها ولذلك احسنت جمعية شمس البر في اجازتها هذا الكتاب وطبعهِ على نفقتها فعسى ان يكون من المرغبات في اقتباس الفضائل واجتناب الرذائل وانَّا نسدي مؤلفهُ الاديب جزيل الشكر على الخدمة الجليلة التي خدم بها ابناء وطنهِ

جيولوجية الفيوم

The Topography and Geology of the Fayum Province; by H. I. L. Beadnell. F.G.S., F.R.G.S.

لم يكن يخطر بالبال ان علماء الجيولوجيا يجدون في مديرية الفيوم والصحراء المحيطة بها ابدع المكتشفات الجيولوجية كما وجد علماء الآثار في وادي النيل ابدع المكتشفات الاثريَّة لكن السنوات الاخيرة ارتنا الغرائب بهمة رجال المساحة الجيولوجية كما يظهر من مراجعة ما كتبناهُ عن مكتشفاتهم في سني المقتطف الماضية . وقد نشر المستر بدنل الآن كتاباً مسهباً عن جغرافية الفيوم وطبوغرافيتها ضمنهُ كثيرًا من الحقائق التي اكتشفها هو وغيرهُ من رجال المساحة ورجال الري وسننشر بعضها في باب الزراعة وبعضها في باب المقالات تعميماً لفوائدها لان الكتاب باللغة الانكليزية

وانا لنأسف لان المستر بدنل ترك خدمة الحكومة المصرية ولكننا نرجو ان يجد في الواحات التي انتظم في خدمتها باباً اوسع للفائدة العلمية لانهُ لا يبعد ان يجد فيها عظام كثير من الحيوانات المنقرضة التي يجلي بها كثير من غوامض علم الجيولوجيا وعلم البلينتولوجيا

معين المبتدئين

في صرف ونحو اللغة العربية

هو كتيب في صرف اللغة العربية ونحوها ألفهُ حضرة الاديب جرجس افندي الخوري المقدسي مدرس العربية في مدرستي الاميركان الداخليتين بطرابلس الشام ليستعين بهِ المبتدئ في درس قواعد اللغة . وهو يتضمن ٤٩ درساً مصدرة بامثلة وايضاحات تمكن الدارس من ادراك الاحكام المهمة في الصرف والنحو على اسلوب بسيط متحاشياً فيهِ التثقيل على اذهان الاحداث بذكر شيء يتعذر عليهم فهمهُ

الالزم

من لزوم ما لا يلزم

وهو ديوان النخبة حضرة الاديبين احمد افندي نسيم وعبد الله افندي المغبرة من ديوان ابي العلاء المعري المسمى "لزوم ما لا يلزم" وعنيا بالانتخاب حتى جاء ديواناً فريداً جامعاً لحسنات ابي العلاء نابذاً لكثير مما جاء منها مكرراً . وفي حسن الانتخاب دليل على حسن ذوق هذين الاديبين . وقد اهديا الكتاب الى سعادة حسين واصف باشا محافظ القنال سابقاً

مراشد الهدايات

الّف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور احمد افندي الدرندلي مفتش صحة الفيوم وأبان فيهِ واجبات الحلاقين والدايات لمنافع العائلات . وهو قسمان الاول اعمال الحلاق الصحي وتجاه ابواب في الكشف عن المتوفى واسباب الوفاة والتبليغ عن الامراض المعدية مثل الحصبة والجدري والدفتيريا والتيفوس والكولرا والطاعون وما اشبه وغير ذلك من المباحث الكثيرة . والقسم الثاني في اعمال الدايات او القوابل . وهو مفيد لكل عائلة فنحث الجميع على اقتنائهِ

الفهميات

وهو كتاب في علم الحساب من تأليف حضرة الاديب احمد افندي فهمي الباجوري مدرس الرياضية في مدرسة دولة البرنس عزيز باشا حسن بالزقازيق . وهو شامل لمقرر المدارس الابتدائية ويحتوي على اكثر من ٢٥٠ مسألة حسابية وتمريناً في الجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور الاعتيادية والعشرية

كتاب حاضر الحبشة ومستقبلها

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الاديب رمزي افندي تادرس من محرري جريدة مصر وهو يبحث في نشوء المملكة الحبشية وجغرافيتها وسياستها وآداب اهلها وآثارهم ومعيشتهم وهيئتهم الاجتماعية وحكومتهم واستقلالهم وتاريخهم الحديث وعلاقتهم بالدول ومستقبلهم وقد زينهُ ببعض الصور ويجد القارئ فيهِ اخباراً كثيرة تفكه وتفيد وفوائد جمة لا يجدها في غيرهِ فنشكر لحضرة المؤلف على هذه التحفة السنية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تولد البعوض ودواؤُهُ

مصر . ا . رافعي ارجوان تفيدونا عن الدواء القاتل للناموس (البعوض) وعن سبب وجودهِ في بعض المنازل دون البعض ومن اي شيء يتولَّد

ج تبيض البعوضة في الماء الراكد نحو اربع مئة بيضة او اكثر او اقل وبيضها يصير دوداً صغيراً وهو العوم التي ترى احياناً في الماء الراكد كما ترون في هذه الصورة وهي صورة عومة من العوم مكبَّرة جدًّا . وهذه العوم تتخلَّق بعوضاً بعد ولادتها باسبوع او اسبوعين . فلا يتولد البعوض في بيت ما لم يكن فيهِ او في ما يجاورهُ ماءٌ راكد تبيض فيهِ بعوضة فاذا لم تدعوا في البيت ولا حولهُ ماء راكداً فالبعوض الذي فيهِ لا يطول عليهِ الزمن حتى يموت ولا يتولَّد فيهِ بعوض غيرهُ

بالامس رأينا عوماً من هذه العوم في الماء الذي نغسل بهِ فاستنتجنا حالاً ان الخادم ترك الماء اياماً في الخزان المتصل بالحنفية فوق المغسلة . وصببنا قليلاً من هذا الماء في كاس وفيهِ بعض العوم وصببنا عليهِ نقطاً قليلة من زيت البترول فماتت العوم بعد بضع ساعات



وصببنا غيرهُ في كأس اخرى وغطيناها بورقة ثقبنا فيها بعض الثقوب وتركناها ثلاثة ايام

فاستحالت العوم بعوضاً بقي يطير في الكاس فوق الماء اربعة ايام او خمسة ثم مات ووقع في الماء . وترون من ذلك ان زيت البترول يميت العوم التي يتولَّد البعوض منها اذا كانت في بركة كبيرة يتعذر نزح مائها ولكن اذا كان نزح الماء ممكناً فهو اسهل سبيل لمنع البعوض وقتلهِ

وقد يهتم السكان بمنع الماء الراكد من البيت وينسون ان الغسَّالة تضع الماء في اناء في غرفة الغسل وتتركهُ من غسلة الى اخرى فيتولَّد البعوض فيهِ او ان اصحاب البيت يتركونهُ ويبقى خزان منجنيق الكنيف مملوءًا ماء فيتولَّد البعوض فيهِ

(٣) ضرر البعوض بالطعام

ومنهُ . ما قولكم في طعام سقطت فيهِ بعوضة هل يصير ضارًا

ج يحتمل ان تقع البعوضة على شيءٍ سام او تمتص من دم انسان مريض بمرض معدٍ قبلما تقع في الطعام فيكون منها ضرر ولكن ذلك قليل نادر فلا يخشى منهُ وما احسن ما قيل

اذا انت لم تشرب شراباً على القذى
ظمئتَ واي الناس تصفو مشاربهُ

والمعدة القوية تهضم العقرب والافعى والمعدة الضعيفة يؤْذيها اقل شيءٍ مما يؤذي واذا عاف الناس كل ما يقع فيهِ البعوض او يقع عليهِ الذباب وجب ان يعافوا كل شيءٍ وقد لا ينجون من عوادي الادواء ولو اتخذوا نفقاً في الارض او سلَّماً في السماء

(٢) لغة الاقزام

نيو اورليانس باميركا . الخواجه طانيوس خليل ابو حيدر . هل لغة الاقزام الذين جاء بهم الكولونل هريسن نوع من لغات البشر او هي حركات واشارات يتفاهمون بها

ج هي لغة من اللغات يتكلمون بها تكلماً مثل غيرهم من الناس وكان معهم ترجمان منهم يعرف لغتهم واللغة السواحلية المنتشرة في شرقي افريقية والكولونل هريسن يعرف هذه اللغة فيكلمهم بواسطة الترجمان . وكيف لا تكون لهم لغة يتكلمونها وهم على شيءٍ من الحضارة فقد نقلنا عن الرحالة ستانلي انهم كرماء ذوو انفة وعزة نفس مرتبطون بنظام سياسي واجتماعي يشفُّ عن وحدة اصلهم وتقاليدهم ولهم ملكة جمعت بين اللطف والذكاء ولهم مهارة فائقة في عمل الحراب وهم يسبكون الحديد والنحاس ويصنعون الادوات والاسلحة منهما

(٤) عدد الاقزام

ومنهُ . كم عدد هؤلاء الاقزام بالتقريب

ج لا يُعلَم كم عددهم ولكنهم قبائل كثيرة ولا يبعد ان يكونوا مئات الالوف . راجعوا ما كتبناهُ عنهم في صدر الجزء الخامس من هذه السنة

(٥) كثرة ولد الحيوانات

بدران افندي احمد. ان اكثر الحيوانات لا تلد الاَّ ولداً او اثنين ما عدا الكلاب والقطط والارانب فانها تلد من اثنين الى ثلاثة عشر فكيف ذلك

ج ان الغرض من الولادة حفظ النسل فاذا تعرَّضت الصغار لموت الكثير كثرت جدًّا حتى يحفظ النسل ولا ينقرض فالسمكة تبيض نحو مليون بيضة لانهُ لا يبلغ من اولادها غير اثنين او ثلاثة وكذا اكثر صغار الحيوانات التي هي صيد مستطاب لغيرها من الحيوانات الكبيرة فانها تلد اولاداً كثاراً حتى يبقى من ولدها ما يُحفظ بهِ نسلها بخلاف الحيوانات الكبيرة كالخيل والبقر والاسود والافيال فانها تلد ولداً واحداً كل مرة لانها تستطيع ان تدافع عنهُ وتحميهُ حتى يكبر

(٦) دواء النمل

ومنهُ . كثر في دارنا النمل رغماً عن اتخاذ الحيطة فهل لديكم وسيلة لاتقائهِ

ج نحن نتقي شرَّهُ بسدّ كل الخروق التي يمكن ان يأتي منها ووضع ما يقع عليهِ في خزانة كبيرة ارجلها قائمة في اربعة آنية مملوءة رماداً ومسحوقاً يميت النمل . والرماد وحدهُ يكفي لانهُ يتعذَّر على النمل الدب عليهِ

(٧) المسيحية والمصرية

كدوك باعالي النيل . فؤاد افندي مغبغب باش كاتب اعالي النيل . بماذا يجيب علماء الديانة المسيحية على اقوال المستر وليم اوكسلي في كتابهِ Egypt & the Wonders of the Land of the Pharos.

وهو ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون باوسيرس كاعتقادنا نحن الآن بالمسيح تقريباً اي انهُ ولد بالروح وكان مع والدهِ ووالدتهِ الهاً واحداً بثلاثة اقانيم وانهُ بعد ما قُتِل وقُطع جسمهُ قطعاً عاش ثانية . وقد تمادى المؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هي الاَّ نوع مما كان يعتقد بهِ القدماء وضع على نسق احدث واكثر تهذُّباً واستشهد اثباتاً لاقوالهِ بصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا في انس الوجود باصوان وطبع تلك الكتابات في كتابهِ وعلَّق عليها شروحاً

ج يجيبون ان المستر اوكسلي مبالغ متخيل قاصد ان يثبت امراً في ذهنهِ والذي يقصد ان يثبت امراً من اشياء غير واضحة يراهُ فيها او يخيَّل لهُ انهُ يراهُ فيها كما اذا رأيتم الغيم في السماء متشكلاً باشكال مختلفة فاذا تصورتم ان بعضهُ يشبه الجمل وبعضهُ يشبه الفيل وبعضهُ يشبه الانسان لم يتعذَّر عليكم ان تروا اوجه المشابهة . وفي كتابات المصريين الاقدمين عن اوسيرس امور كثير بعضها يشبه ما جاء في تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء في تاريخ اي انسان كان ولكن ذلك ليس دليلاً على ان تاريخ كل انسان منتحل من الاخبار المصرية عن

اوسيرس . ومن المحتمل ان بعض الذين تنصروا من المصريين الاقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم في الديانة المسيحية او في تعاليم الديانة المسيحية ولكن ذلك لا يدل على ان الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لان المخالفات والمناقضات بينهما كثيرة جدًّا وتعليل بقاء المخالفات على فرض وحدة الاصل اصعب من تعليل وجود المشابهات . ثم ان من علماء الديانة المسيحية من هم اعلم من المستر اوكسلي بالآثار المصرية كالاستاذ سايس القس اللاهوتي ومع ذلك لا يرى في الآثار المصرية ما ينقض معتقد المسيحيين في اصل ديانتهم . واذا صح ما يدعيه هولاء الباحثون عن اصل الاديان فالديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية او من الديانة البوذية لان فيها ما يشبه هذه وفيها ما يشبه تلك فاي النقيضين هو الصحيح وهل اذا رأينا امورًا متماثلة في حياة يوليوس قيصر ونبوليون بونابرت ومحمد علي باشا نستنتج انهم شخص واحد اخطأ المؤرخون لما ذكروهم في ازمنة مختلفة

والخلاصة ان اوكسلي بالغ كثيرًا في ما ذكرهُ من المشابهة وان المشابهة القليلة الموجودة قلما تخلو منها او من مثلها سيرة اثنين من الناس

(٨) الحشرات بلا راس

ومنهُ . مسكت فراشًا اعجبني تخطيطهُ ولونهُ فاحببت ان احنطهُ فغرزت دبوسًا في رأسهِ ولكنهُ لم يمت بل حمل الدبوس وطار فمسكتهُ ثانيةً وبينما انا اعالج اخراج الدبوس منهُ قُطع رأسهُ عن غير قصد مني فنظرت اليهِ آسفًا منتظرًا موتهُ في الحال لكنهُ لم يمت بل صفق بجناحيهِ وطار فاقتفيت اثرهُ ومسكتهُ ثالثة ووضعتهُ في صندوق صغير وهو مقطوع الراس فبقي حيًّا يتحرَّك ثلاثة ايام ولكنهُ فقد بعض القوة ولم يعد قادرًا على الطيران فكيف بقي حيًّا بعد انفصال رأسهِ وهل الفراش يختلف من جهة مركز الحياة عن بقية الطيور والحيوانات

ج يموت الحيوان اذا قطع رأسهُ لان في رأسهِ مركز الاعصاب التي تحرك قلبهُ ورئتيهِ واعضاءهُ المختلفة فيمتنع تنفسهُ ويسم دمهُ وتبطل حركتهُ واما الحيوانات الدنيا كالفراش والنمل فان مراكزها العصبية غير مجتمعة كلها في ادمغتها بل الكثير منها في ظهرها او في ما يقابل السلسلة الفقرية في الحيوانات الفقرية فاذا قطع رأسها نابت هذه المراكز العصبية عنهُ مدة الى ان تضعف قوة الحشرة من قلة الغذاء فتموت

(٩) تصبير الحشرات

ومنهُ . ما احسن طريقة لتصبير الحشرات الصغيرة كالفراش والصراصير على انواعها

ج لا يلزم لتصبيرها سوى ان يغرز فيها دبوس وتوضع في خزانة صغيرة محكمة حتى لا تصل اليها الحشرات التي تأكلها كالنمل والدود

(١٠) تفوُّق نبوليون

شيكاغو. الياس افندي بطرس حلوه . قرأت في مقتطفكم عن نبوليون وطالعت تاريخهُ المطوَّل بتدقيق فوجدت انهُ كان يوصف بالعظمة ويذكر بان قواه تفوق قوى البشر ومما يؤيد ذلك جواب اللورد روزبري في قولهِ " انهُ اذا اريد بالعظمة الجمع بين المزايا العقلية الرائعة والادبية السامية فنبوليون لم يكن عظيماً ولكن اذا اريد بالعظمة المقدرة العقلية والجسدية والتفوُّق في الصفات البشرية فلا شك انهُ كان عظيماً جدًّا لم يماثلهُ احد قط من اعظم الرجال الذين يعرف تاريخ اعمالهم " فوالحالة هذه لا يمكن ان نقول ان نبوليون من الجن بل هو من الجنس البشري ولكن يظن من صفاتهِ وقواهُ التي فاق بها غيره انهُ لا بد من ان يكون قد حدث اختلاف او زيادة في تركيب اعضاء جسدهِ او دماغهِ حتى فاق البشر بتلك الصفات التي خصَّ بها فهل لكم ان تفيدونا على صفحات مقتطفكم عن اسباب ذلك التفوُّق

ج لا يُعلَم كيف يتولَّد النوابغ من الناس كما لا يُعلَم كيف تتولَّد الاصناف الجديدة من الحيوان والنبات . ولكن المخالفة ناموس تخضع لهُ الاحياء كالمشابهة فيجيء الولد مشابهاً لاسلافهِ من وجوه كثيرة ومخالفاً لهم من وجوه اخرى وقد تكون هذه المخالفة ارتقاء في النوع وقد تكون انحطاطاً فيهِ وقد تكون صغيرة جدًّا لا يُشعَر بها ولا يُلتفَت اليها وقد تكون كبيرة جدًّا حتى تُخرِج الفرد عن صنفهِ وتجعلهُ صنفاً جديدًا او عن نوعهِ وتجعلهُ نوعاً جديدًا قائماً برأسهِ . وقد يحدث ذلك تدريجاً وقد يحدث فجأةً كما ابنا في الكلام على التحوُّل الفجائي في الجزء السابع من اجزاء هذه السنة . والظاهر ان نبوليون خُصَّ بشيء من ذلك فولد وعقلهُ قابل للنمو في الامور الادارية والحربية وجسدهُ قابل لتحمُّل المشاق الى حدٍّ فاق بهِ غيرهُ وجاءت الاحوال موافقةً لهُ فبلغ ما بلغ ولكن لما تغيَّرت احوال معيشتهِ واحوال البلاد حولهُ ضعف جسمهُ او ضعف هضمهُ واثَّر ضعفهُ في عقلهِ فضعت عزيمتهُ واخطأت احكامهُ فغُلِبَ على امرهِ . ويعسر جمع المعلولات كلها في اخلاق الانسان واطوارهِ وردها الى عللها الاصلية لانها لم تدرس الدرس الكافي حتى الآن ولأن ملابساتها والمؤثرات فيها كثيرة جدًّا واكثرها غير معلوم

(١١) العرب والسياسة

مصر . عطا افندي فهمي . هل اشتغل العرب بعلم السياسة وهل لعلمائهم في هذا العلم مباحث وما هي اعظم الكتب التي وضعت فيهِ وهل يصح الاخذ بما فيها الآن

ج يظهر لنا ان العرب اشتغلوا بكل العلوم التي ترجمت كتبها من اليونانية الى لغتهم وفي جملتها علم السياسة لارسطو فقد

ترجموهُ وقلَّدوهُ ومن الكتب العربيَّة فيهِ السياسة المدنية لابي نصر الفارابي المتوفى سنة ٩٣٣ وسياسة الملك لابي الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ والسياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيميَّة. ويصح الاخذ بما في هذه الكتب ولكنها لا تكفي لان علاقات البلدان بعضها ببعض قد زادت كثيراً وترتب على ذلك شؤُون كثيرة لا بدَّ للسياسي من معرفتها لكي يحسن سياسة بلادهِ ويحكم علاقاتها بغيرها من البلدان



اوجه القمر في اكتوبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الربع الاول	٥	٢	٥٤	مساء
البدر	١٣	١	٣	صباحاً
الربع الاخير	٢١	٢	٥١	مساء
الهلال	٢٨	٨	٥٨	صباحاً

السيارات في اكتوبر

عطارد لا يُرى في اول الشهر ثم يصير نجم المساء في الخامس عشر منهُ

والزهرة نجم الصباح

والمريخ يغيب نحو الساعة العاشرة مساء الشهر كلهُ

وزحل يغيب الساعة الثالثة صباحاً في اول الشهر والساعة ١ صباحاً في آخرهِ

الكسوف في اصوان

حسب علماء الفلك ان كسوف الشمس سيكون تامًّا في اصوان فاوفدوا الوفود لمراقبتهِ من روسيا واميركا وانكلترا فالوفد الروسي ورئيسهُ الدكتور دوبنسكي جاء لاجل الارصاد المغنطيسيَّة اي ليرى هل تقل مغنطيسيَّة الارض باحتجاب نور الشمس عنها فاعطتهُ مصلحة الآثار المصرية مدفناً رحباً حيث وضع آلاتهِ بعيدة عن سائر آلات الرصد لكي لا يؤَثر فيها شيء منها. والوفد الاميركي فيهِ الاستاذ هسي والاستاذ وست وهو من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ويرصد معهُ. ووفدان آخران من اميركا الواحد في لبرادور والآخر في اسبانيا. وغرضهم رصد الاكليل الذي يظهر جليًّا حول الشمس وقت كسوفها وما يظهر فيهِ من

المشاعل والنثوات . ورؤية السيّار الذي زعم البعض انهم رأوهُ حول الشمس وهو اقرب اليها من عطارد. والحكمة في جعل الوفود الاميركية ثلاثة في اماكن مختلفة ان ترى حركة المشاعل وسرعتها فاذا رأى الوفد الذي في لبرادور مشعلاً ورآهُ الوفد الذي في اصوان فتكون رؤية هذا لهُ بعد رؤية الاول بنحو ساعتين ونصف فيعلم كم يطول او كم يقصر في هذه المدة وتعلم سرعتهُ وكذا يُعلم ما يحدث في الاكليل من التغيرات مدة الكسوف بين حدوثهِ في لبرادور وحدوثهِ في اصوان . وفي الوفد الانكليزي الاستاذ ترنر والمستر بلي وغرضهُ قياس اشراق الاكليل على ابعاد مختلفة من مركز الشمس وقياس ما فيهِ من النور المنعكس او المستقطب . ولما حدث الكسوف كانت السماء صافية والريح هاجعة او تهب نسيماً وحدثت المماسة الاولى الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ وانحجب وجه الشمس كلهُ الساعة ٤ والدقيقة ٣٦ وبقي محجوباً دقيقتين و ٢٤ ثانية وظهرت نجوم كثيرة ولا سيما المريخ وكان الاكليل واضحاً جداً والمشاعل كبيرة في مناطق الكلف والغربية منها اقصر من الشرقية وطول الاطول مضاعف قطب الشمس وظهرت مشاعل قصيرة من قطبي الشمس الشمالي والجنوبي وكانت النثوات كبيرة ولا سيما الناتئة من طرف الشمس الغربي . وشاهدنا الكسوف في العاصمة فابتدأ الساعة ٣ والدقيقة ٩ ولما بلغ اشدهُ بقي من الشمس هلال صغير كالقمر وهو ابن ثلاثة ايام ولكن نورها بقي ساطعاً لا تحتمل العين النظر اليها من غير زجاجة مدخنة او ملونة وبقيت الغربان والحدآن محلقة في الجو على جاري عادتها لكن العصافير الصغيرة سكنت

ديون اليابان

استدانت اليابان لهذه الحرب من اوربا واميركا ٣٢ مليون جنيه سنة ١٩٠٤ و ٦٠ مليون جنيه سنة ١٩٠٥ . ويبلغ ربا هذه الديون مع الديون التي استدانتها قبل الحرب خمسة ملايين ونصف من الجنيهات اي ما يساوي رسوم الاشربة الروحية فيها تقريباً. وكان غرض الماليين من اول الامر ان لا يزيد ربا دين اليابان على ذلك فوضعت الحرب اوزارها وخرجت اليابان منها بنصف سخالين ورُدَّت منشوريا الى الصين واطلقت يدها في كوريا اكثر مما كانت مطلقةً قبلاً واعترفت لها الدول الاوربية انها من الدول العظيمة . فاذا انتابتها سنوات خصب متوالية سهل عليها القيام بالحمل الجديد الذي حملتهُ بزيادة نفقاتها الحربيَّة برية وبحرية وايفاء ربا دينها والاَّ رزحت تحت حملها . وكانت تظن ان روسيا تدفع لها غرامة مالية وكانت الجرائد والمجلات الانكليزية والاميركية تؤكد ذلك لكن خاب ظنها ولا يعلم هل

عادت من الحرب كاسبة او خاسرة الاَّ بعد ان تمرَّ عليها بضع سنوات وتظهر النتيجة في ماليتها

المناجم ومتعلقاتها

اصدرت نظارة الداخلية في انكلترا تقريرًا عموميًّا عن مناجم سنة ١٩٠٣ يتضمن احصاء مدققًا عن عدد العمال الذين استخدموا في مناجم الدنيا في تلك السنة وما استخرج من المعادن وعدد الذين اصابتهم النكبات وهم يعملون فيها . فجاء فيهِ ان عدد العمال بلغ ٤٨٦١٩٣٢ الخمس منهم في انكلترا والثلث في السلطنة الانكليزية كلها . واكثر من النصف استخدموا لاستخراج الفحم الحجري فبلغ ما استخرج منهُ في العالم كلهِ ٨٨١٠٠٢٩٣٦ طنًّا. وما استخرج من النحاس ٦٠٩٩٨٥ طنًّا. ومن الذهب ٤٩١٦٧٢ كيلو غرامًا . ومن الحديد ٤٤٥٤٨٩٦٢ طنًّا . ومن الرصاص ٨٩٢٨٩٩ طن . ومن زيت البترول ٢٦٢٣٢٠٩٩ طنًّا. ومن الملح ١٢٨١٨٢٥٣ طنًّا . ومن الفضة ٤٩٩٧٤٩١ كيلو غرامًا. ومن القصدير ٩٨٢٩٥ طنًّا . ومن التوتيا ٥٧٠٤٤٠ طنًّا

وبلغ متوسط الذين ماتوا بنكبات المناجم في العالم كلهِ ١,٨٣ في الالف يقابلهُ ١,٩٣ في الالف سنة ١٩٠٢ . ومتوسط الذين ماتوا بنكبات مناجم الفحم الحجري في انكلترا وحدها ١,٣٦ في الالف . وفي السلطنة الانكليزية ١,٣٣ في الالف . وفي فرنسا ١,٠٢ وفي المانيا ٢ . وفي الولايات المتحدة ٣,٠٩ . اي ان استخراج الفحم الحجري في انكلترا اقل خطرًا من استخراجهِ في معظم البلدان الاخرى

المسكرات في انكلترا

قدَّر بعض الانكليز انهُ لو صُبَّ ما شربتهُ الامة الانكليزية من البيرة سنة ١٩٠٣ في حوض لاستطاعت جميع سفن الاساطيل الانكليزية ان ترسو فيهِ ولكان متوسط عمقهِ ٢٠ قدمًا . ولو صفّت البراميل التي توضع فيها ثلاثة ثلاثة وطرف الواحد منها الى طرف الآخر لامتدت من اقصى جبال اورال الشمالي الى راس سنت فنسنت في البرتوغال ويقتضي لشرب هذا القدر الهائل اذا شربهُ انسان واحد في السنة ان يشرب ٦٦ برميلاً في الدقيقة ليل نهار . ولو دفع رجل واحد ثمن هذه البيرة لوجب ان يدفع نحو ٦ جنيهات كلَّ ثانية ونحو ٢٠ الف جنيه في الساعة ونصف مليون جنيه في اليوم . اي ان دخل الحكومة الانكليزية كلهُ في تلك السنة يكفي لمشترى ما يشرب من البيرة في ثمانية اشهر ونصف شهر فقط

على ان ما يفوت حصر الحاسب ووهم الكاتب ان الامة الانكليزيَّة انفقت على

المسكرات من سنة ١٨٤٥ الى السنة الماضية ٧٣٩٠ مليون جنيه وهو مبلغ لو جمع ذهب العالم وفضته معاً ما بلغ ربعهُ ويبلغ عشرة اضعاف الدين الانكليزي وثلاثة اخماس ثروة السلطنة الانكليزية اليوم واعظم من عشر ثروة العالم كلهِ اجمع . وانفق الانكليز في العشر السنوات الاولى من المدة المذكورة ٨٥٣ مليون جنيه على المسكرات وفي العشر السنوات الاخيرة (١٨٩٤ — ١٩٠٤) ١٧٦٠ مليون جنيه او اكثر من ضعف المبلغ الاول . وفي الاربعين سنة الاخيرة ما يشتري جميع المنازل والمزارع وسكك الحديد في انكلترا كلها

لكنَّ شرب المسكرات قلَّ تدريجاً في الخمس السنوات الاخيرة فيها . فقد قلَّ ثمن ما انفق عليها في السنة الماضية خمسة ملايين ونصف مليون جنيه عما انفق عليها في السنة التي قبلها و ١٧ مليون جنيه عما انفق سنة ١٨٩٩ وهي سنة زاد شرب المسكرات فيها عن كل سنة قبلها وبعدها فقد لحق الفرد فيها نحو ٤ جنيهات ونصف

خسارة الحروب

بلغ متوسط خسارة الجيش المنصور في ١٣ معركة كبيرة من حرب السبع السنوات التي جرت في القرن الثامن عشر ١٤ في المئة وخسارة الجيش المكسور ١٩ في المئة . وخسارة الجيش المنصور في ٢٢ معركة من معارك حروب نبوليون ١٢ في المئة والمكسور ١٩ في المئة . وخسارة المنصور في اربع معارك كبيرة من معارك حرب القرم ١٠ في المئة والمكسور ١٧ في المئة . وخسارة المنصور في ١٢ معركة كبيرة من معارك الحرب الاهلية الاميركية ١٩٫٧ في المئة والمكسور ١٩٫٦ في المئة . وخسارة المنصور في ثماني معارك كبيرة من اوائل الحرب السبعينية ١٠ في المئة والمكسور ٩ في المئة . وخسارة المنصور في ٣ معارك من اواخر الحرب المذكورة ٢٫٥ في المئة والمكسور ٣٫٥ في المئة . وبلغ متوسط خسارة الروس في ١٤ معركة من معارك هذه الحرب (ما عدا حصار بورت آرثر) ٩٫٥ في المئة واليابانيين ٤٫٦ في المئة

فيظهر مما تقدم ان خسارة الحروب قلَّت مع مرور الايام وذلك لاسباب منها ان الجيوش في الحروب الحديثة توجه معظم قوتها الى مكان واحد على خلاف ما كانت تفعل في الحروب الماضية فان تفرق قوة الجنود الاميركية مدة الحرب الاهلية هو السبب في كثرة ما سفك من الدماء فيها . ومنها ان الجروح الحديثة اسهل شفاء والرصاصة الحديثة اقلُّ فتكاً . ومنها قرب المسافة بين الفريقين المتحاربين في المعارك القديمة وبعدها في المعارك الحديثة . فقد كانت المسافة بين نابليون وولنتون في معركة ووترلو ميلاً وبين كبار القواد في معركة

مكدن بين ٢٥ و ٣٠ ميلاً . وكلما اقترب الجيشان المتحاربان الواحد من الآخر زادت الخسارة لسهولة اللحاق بالجيش المكسور عند اندحاره والضرب في اقفيته

مخدِّر جديد

بحثت الجمعية الجراحية الفرنسوية في ما هو افضل الطرق للتنويم بالكلورو فورم عند عمل العمليات الجراحية بحيث يكون من ذلك اقلُّ خطر على المريض اذ كثيراً ما يتفق ان المريض يمتقع لونهُ وهو تحت العملية وينقطع نفسهُ ويقف ضربان قلبهِ ويموت مع انهُ لم يكن قد استنشق سوى بخار نقط قليلة من الكلوروفورم . فتداركاً لمثل هذا الخطر رأى بعض الاطباء ان يخفف الكلوروفورم بمزجهِ بالهواء على مقادير مختلفة محدودة ولكنَّ ذلك لم يفِ بالمرام لانهُ كلما زادت طريقة تنشيق الكلوروفورم تعقداً زاد الخطر على المريض

وفي هذه الاثناء اهتدى الطبيبان تريه ودجاردن الفرنسويان الى استعمال عقَّار جديد مكان الكلوروفورم . وكان الدكتور شنيدرلن الالماني قد اكتشفهُ قبلهما واسمهُ سكوبولامين لانهُ يستخرج من نبات يسمى سكوبوليا جابونيكا او البلادونا اليابانية . واول من حللهُ تحليلاً كياوياً لانجارد فاستخرج منهُ جسماً شبيهاً بالقلوي لهُ جميع خصائص قلويات البلادونا وفعلهُ انهُ يوسع الحدقة والاوعية الدموية ويخدر الجسم فيلقي عليهِ سباتاً عميقاً ويعوق التنفس ويزيد حركة القلب ويخدر الدماغ

وكيفية استعمال الدكتور شنيدرلن واتباعهِ لهُ في عملياتهم الجراحية هي انهم يضعون مليغراماً الى مليغرام ونصف منهُ في سنتمتر مكعَّب من الماء ويحقنون المريض بالمزيج تحت الجلد قبل العملية بساعتين ثم يحقنونهُ بهِ مرة ثانية قبل العملية بساعة ثم مرة ثالثة قبلها بنصف ساعة . وتحوطاً للخطر يضيفون الى المزيج قدراً صغيراً من هيدرو كلورات المورفين اي سنتغراماً في السنتمتر المكعب . فلا تمضي عشرون دقيقة على الحقنة الاولى حتى يشعر المريض بنعاس شديد فيحاول مقاومة النعاس ويفرك عينيهِ بيديهِ ويأخذ يتثاءب ثم ينام نوماً طبيعياً كمن أنهكهُ التعب والاعياء . وبعد الحقنة الثانية يعمق نومهُ ويقلُّ تأثرهُ فاذا ناداهُ احد باسمهِ مناداة قوية فتح عينيهِ ثم اطبقهما واستغرق في نومهِ حالاً . وبعد الحقنة الثالثة يزيد استغراقاً في النوم ويشتدُّ بهِ الخدر فيقدم الطبيب على العملية آمناً . ومن الغريب انهُ مهما يكن نومهُ عميقاً فانهُ يستيقظ اذا نودي نداء عالياً كمن نام نوماً طبيعياً ولكنهُ لا يتأثر بالقرص والوخز

واهمُّ ما في طريقة التنويم هذه ان التخدير

يبقى بعد العملية مدة طويلة يسلم بها المريض من آلام ضمد الجراح بعد العملية فينام عدة ساعات . ومن المرضى من ينام خمس ساعات او ستاً ثم يستيقظ ليأكل ويعود فينام . واذا استيقظ المصاب لم يتذكر شيئاً مما جرى قُبيل العملية او بُعيدها

وهذه الطريقة لم تستعمل في فرنسا بعد ولكنّ الجراحين الالمانيين يستعملونها كثيراً وقد نوموا بها ١٥٠٠ مصاب او أكثر الى الآن والطبيبان الفرنسويان المذكوران عوّلا على اتباعها في فرنسا ولكنهما تفننا فيها . فبدلاً من الحقن ثلاث مرات بالسكوبولامين يحقنان به مرة واحدة قبل العملية بساعة او ساعتين وفي اثناء العملية يستعملان قليلاً من الكلوروفورم

ولا ريب ان هذه الطريقة تفضل طريقة التنويم بالكلوروفورم لانها تطيل زمان النوم والتخدير وتقلل الخطر اذ لم يمت حتى الآن احد بها . وتفضل الكوكايين لان الكوكايين مخدّر موضعيّ فقط

اصل بعض العادات

من عادات الغربيين انهُ اذا كان الرجل لابساً قفازين واراد مصافحة امرأة نزع القفاز الذي في كفهِ اليمنى قبل ذلك . واصل هذه العادة ان الناس في زمان الفروسية كانوا يلبسون دروعاً تغطي اجسامهم كلها فكان لابس الدرع اذا اراد مصافحة آخر ليس عليهِ درع نزع قفاز الحديد من يدهِ . ومن عاداتهم ان يرفع الرجل قبعتهُ عن رأسهِ عند ارادة السلام واصل هذه العادة ان الفارس المدرّع في الزمان المشار اليهِ كان اذا ضاف رجلاً في قلعتهِ رفع خوذتهُ عن رأسهِ دلالة على انهُ لا يروم بهِ سوءا . ومعنى السلام العسكري ان المسلّم لا يحجم عن رفع خوذتهِ عن رأسهِ اذا سمح لهُ القانون العسكري . واصل عادة اطلاق المدافع للسلام رغبة المسلّم في اظهار ما لهُ من الثقة بزائرهِ الى حدّ انهُ يطلق كلّ مدافعهِ حتى لا يبقى فيها بارود وقنابل قبل الوصول اليهِ والدخول عليهِ . وكانت المدافع تحشى في بادىء الامر بالقنابل ثم جعلوا يكتفون بالبارود خشية حدوث ما لا يُحَبّ

الشعب الالماني

كان عدد الالمانيين ٤٠ مليوناً سنة ١٨٧٠ فزادوا حتى بلغ عددهم ٦٠ مليوناً سنة ١٩٠٠ اي انهم زادوا ٥٠ في المئة في تلك المدة . وزاد عددهم في العشر السنوات الاخيرة ١٥٠٠٠ نسمة في المليون كلّ سنة على حين ان الانكليز زادوا ٩٤٠٠ في المليون والفرنسويين ١٧٠٠ فلا عجب اذا افتخر الالمانيون بانهم سيملكون الارض في المستقبل اذا بقوا يزيدون على هذه النسبة

ولكن هنا امراً غريباً جديراً بالذكر

وهو انهُ بينما ترى الالمانيين سكان المانيا يزيدون هذه الزيادة الكبيرة ترى الالمانيين سكان النمسا والمجر وغيرها يقلون سنة فسنة وعددهم الآن ٣٠ مليونًا . وليست قلتهم ناشئة عن انقراضهم بل عن فقد الصفات الالمانية التي تميز الشعب الالماني عن غيره وعدم تمسكهم باللغة الالمانية . وعليهِ يقدرون انهُ لا تمضي ٤٠ او ٥٠ سنة حتى يُدرج الالمانيون الذين خارج المانيا في الامم الذين يساكنونهم في كثير من ممالك اوربا وفي الولايات المتحدة فيفقدوا المزايا الالمانية الخصوصية

جبابرة القرود

ورد من اخبار الجزائر ان بعض السياح كانوا يسيحون في اعالي نهري لوم وسنجا فرأوا قرودًا هائلة الكبر من نوع الغورلاَّ . وان سائحًا اسمهُ اوجين بروسو عاد الى الجزائر حديثًا من سياحتهِ في تلك البلاد ومعهُ صور فوتوغرافية لغورلاَّ قتلهُ احد رجالهِ فاخبر ان طولهُ ٧ اقدام و ٦ بوصات وعرض كتفيهِ ٣ اقدام و ٩ بوصات وثقلهُ ٧٢٠ رطلاً . واقتضى لجرهِ ثمانية رجال . اما منظرهُ فيشبه الغورلاَّ المعروف فان جبهتهُ كبيرة منحرفة الى الوراء واذنيهِ صغيرتان جدًّا وجلدهُ عارٍ من الشعر على صدرهِ ومعدتهِ اما كتفاهُ وركبتاهُ فمغطاة بشعر طويل وقد اتى بجثتهِ فدفنت في الارض لكي يبلى لحمهُ ويبقى عظمهُ فينقل الى متاحف التشريح

ومن رأي المسيو بروسو ان هذا الغورلاَّ من نوع غير النوع المعروف

المواليد والوفيات في انكلترا

يؤْخذ مما نشره مكتب الاحصاء العمومي في انكلترا ان متوسط المواليد قلَّ في السنوات الاخيرة حتى بلغ اقل ما بلغهُ قبلاً وهو ٢٧ في الالف في لندن و ٢٩,٢ في الالف في ٧٥ مدينة كبيرة . وقد ذكرت جريدة نانتشر الانكليزية هذا الخبر قلقة وعقبت عليهِ بقولها اذا استمرَّ الحال على هذا المنوال فلا بدَّ ان يجيء زمان تزيد الوفيات فيهِ على المواليد فيقلَّ عدد شعبنا . ولو لم يكن متوسط الوفيات يقلُّ وخصوصًا بين الاطفال لادركتنا تلك المصيبة من قبلُ . وقلة المواليد واقعة في الاكثر بين الطبقتين العليا والوسطى والسبب في ذلك حبُّ النفس وحبُّ الملذات وثقل مطالب المعيشة الحديثة

القطب الشمالي

عادت السفينة "ترانوفا" التي سارت الى الاصقاع القطبية للتفتيش عن حملة زيجلر وهي تقلُّ رجال الحملة سالمين . فأخبرت ان السفينة "اميركا" التي كانت تقلُّ المستر فيالا قائد حملة زيجلر ورجالهُ بلغت جزيرة

البرنس رودلف في اواخر اغسطس سنة ١٩٠٣ فانشأت هناك محطات مغنطيسية وفلكية . ولما دخل شهر اكتوبر اطبق الجليد عليها فانكسرت في نوفمبر اما رجالها فنجوا الى البرّ على المزالق . وفي يناير سنة ١٩٠٤ ثارت الزوابع والعواصف فتكسّر الجليد وانتثر قطعاً وتبددت آثار السفينة . فحاول رجال الحملة بلوغ القطب ثلاث مرات على المزالق فلم يفوزوا باربهم بل كان اقصى حدّ بلغوهُ شمالاً على عرض ٨٢° و١٣َ ولكنهم اكتشفوا اموراً كثيرة قيمتها العلمية عظيمة

الدم في الاماكن العالية

راقب المسيو راول بايو الدم في الذين يصعدون جبل بلانك في اوربا فوجد ان الكريات الحمراء تزيد فيه كلما صعد الانسان من مكان الى مكان اعلى منهُ واذا اقام هناك قلّت الكريات الحمراء نوعاً ولكنها تبقى اكثر مما كانت قبلاً . ثم اذا نزل الى مكانهِ الاول وصعد ثانية قبلما تعود الكريات الى حالها الاولى زادت ثانية اكثر مما زادت اولاً . وتظهر هذه الزيادة في الذين لم يعتادوا الاقامة في الجبال العالية اكثر مما تظهر في الذين اعتادوها . وهذه هي اول مرَّة عدَّت فيها كريات الدم في اعالي جبل بلانك وهو اعلى جبال اوربا . وعليهِ فبين سكنى الجبال العالية واحمرار الوجه علاقة سببية

تصوير اكليل الشمس

قلنا في نبذة الكسوف ان غرض الوفد الاميركي الذي جاء لرصد الشمس هو رصد الاكليل الذي يرى حولها وقتما تكسف وهذا الاكليل موجود حولها دائماً ولكن تتعذَّر رؤْيتهُ لان نور الشمس يكسف نورهُ وقد حاول البعض اكتشاف طريقة يحجّب بها قرص الشمس ويصوّر اكليلها فقط وظنوا انهم نجحوا في ذلك ولكن تبيَّن بعدئذٍ انهم لم ينجحوا وان ما ظنوهُ اكليلاً انما هو خطأٌ في التصوير . ويقال الآن ان الدكتور هوسكي مدير مرصد اودسا بروسيا اكتشف طريقة لتصوير الاكليل والشمس غير مكسوفة وكان عازماً ان يصورهُ قبيل كسوفها تماماً ثم تقابل صورتهُ بصورتهِ وهي مكسوفة

واقية الاوتوموبيل

كثرت الحوادث التي يصطدم فيها الاوتوموبيل بشيء فيلحق بهِ ضرراً او يلحق الضرر بهِ وبالذين فيهِ . وقد استنبط بعضهم شيئاً لاتقاء ذلك وهو نصف اطار من الكاوتشوك ينصب امام القنديل الواحد ونصف اطار آخر امام القنديل الآخر فيزيلان قوة الصدمة وقد جرّبا في اوتوموبيل قوتهُ عشرون حصاناً فوفيا بالغرض

رصد الكسوف في اصوان

بعد كتابة ما تقدَّم على الكسوف وقفنا على رسالة في الغازت ذكر فيها كاتبها اموراً لم تذكر في ما تقدَّم فاقتطفنا منها ما يلي اتماماً للفائدة

اقام الاستاذ ترنر رئيس الوفد الانكليزي آلتين كبيرتين للتصوير الشمسي فيهما مرآتان كبيرتان عاكستان وقد تمكَّن من تصوير اربع عشرة صورة فوتوغرافية. واقام الوفد الروسي الى الغرب منهُ ومعهُ تلسكوب كبير عاكس وآلة تصوير متقنة وصوَّر اربع صور . هذا عدا رصد التغيرات المغنطيسية التي قام بها على الضفة الغربية . واقام الوفد الاميركي آلتين للتصوير الشمسي كبيرتين جدًّا طول الواحدة منهما اربعون قدماً صوَّر بها عشر صور تختلف مدتها من نصف ثانية الى ٦٤ ثانية . والثانية فيها اربع عدسيات بحيث تصور بها اربع صور مختلفة في وقت واحد وقد صورت بها ثماني صور

اما الآلة التي طولها اربعون قدماً فنصبت على الارض افقيَّة ووضعت امامها مرآة تعكس صورة الشمس اليها وحُكِمت المرآة امام الشمس تماماً وكانت تدور معها وتبقى الصورة المنعكسة عنها في محلها ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة الكبيرة . ثم ان انبوب الآلة جعل طبقتين الواحدة داخل الاخرى حتى تكون الطبقة الخارجة بمثابة واقٍ للطبقة الداخلة

واقام الدكتور ميرالالماني تلسكوباً صغيراً ولكنهُ قوي جدًّا صور بهِ اطراف الاكليل

ونصب المستر رينلدز تلسكوباً في محطة سكة الحديد طولهُ ١٢٠ قدماً صوَّر بهِ صورتين واتفق ان اتى القطار الى اصوان في ساعة الرصد لكنهُ نظر عن بعد قبلما يصل الى المحطة واشير اليهِ ليقف فوقف في مكانهِ ولولا ذلك لتلف الرصد بهذه الآلة

اما المرصد الخديوي فرصد رجالهُ التغيرات المغنطيسية في ثلاثة اماكن مختلفة في اصوان ودكا على سبعين ميلاً من اصوان جنوباً وادفو على سبعين ميلاً من اصوان شمالاً

ويقال ان ظلَّ القمر ظهر مارًّا على التلال في الضفة الغربية قبيل تمام الكسوف ودام الكسوف التام دقيقتين و ٢٤ ثانية

وقد رحَّبت الحكومة المصرية بالوفود كلهم وبذلت وسعها في ما يريحهم ويسهل عملهم فعادوا شاكرين لها معترفين انها من اول الدول في عضد العلوم

منع ضرر البَرَد

عرض المسيو فيدال حديثاً مذكرة على مجمع العلوم الفرنسوي أبان فيها فائدة القنابل التي اخترعها لمنع ضرر البَرَد . فقال ثارت زوبعة بَرَد في اول اغسطس سنة ١٩٠٤ وكان مبدأها على علو عشرة آلاف قدم في

جبال الالب فمرّت على سهول واسعة في تلك الناحية وانزلت ضرراً عظيماً بما فيها من الزروع الا قريتين صغيرتين فانها لم تلحق بهما ضرراً والسبب في ذلك ان المسيو فيدال كان قد اطلق بعض قنابله فيهما قبل مرور الزوبعة

المعالجة بالمصل

يعدُّ العلماء العشر السنوات من سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٠ العصر الذهبي لعلم فلسفة الامراض اي معرفة اصلها وسببها لانهُ اكتشف فيها مكروب الحمى التيفويدية والسلّ والملاريا والكولرا الاسيوية . على ان العشر السنوات التي تلتها (١٨٩٠ — ١٩٠٠) ليست اقلّ شهرة منها في هذا الباب فقد اكتشف الدكتور بهرنغ فيها المعالجة بالمصل ففتح الباب ومهّد السبيل لطريقة جديدة من طرق معالجة الادواء اذا امكن تعميمها عدّت اعظم اصلاح في علم صحة الانسان

كرم الاغنياء

منح المستر جون ركفلر اغنى اغنياء اميركا مجلس التعليم العمومي عشرة ملايين دولار (مليوني جنيه) ينفق ريعها على تعليم العلوم العليا في الولايات المتحدة الاميركية . ومنح كلية يايل مليون دولار اخرى (مئتي الف جنيه)

دالية قديمة

في انكلترا دالية (شجرة كرم) زرعت سنة ١٧٦٩ فكبرت وضخمت حتى بلغ محيط جذعها ١٣ بوصة وطول اطول اغصانها ١١٤ قدماً سنة ١٨٣٠ . وحملت في احدى السنين ٢٢٠٠ عنقود عنب معدل ثقل العنقود منها رطل مصري وثقل حملها كلهِ طنٌ تقريباً

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة الراس بجنوبي افريقية . وخطب فيهِ الاستاذ دارون بن دارون الشهير خطبة الرئاسة وسنأتي على خلاصتها وخلاصة غيرها من الخطب في الجزء التالي

غلة القمح في اميركا

موسم القمح في الولايات المتحدة الاميركية اكبر مواسم الحبوب فيها فقد بلغ ثمنهُ في السنوات الاخيرة ٢٠٠ مليون جنيه سنوياً وزاد في بعض السنين على ذلك

اكرام العلماء

عينت بلدية برلين اربعة آلاف جنيه لاقامة تمثال تذكاراً للعالم فركو من اعاظم علماء الطب بين الالمانيين

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثلاثين



December 1930 | ديسمبر ١٩٣٠

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٢٣

شيوع مذهب النشوء

مقتطفة من خطبة الرئاسة التي القاها الاستاذ جورج داروِن في مجمع ترقية العلوم البريطاني بجنوبي افريقية

لا نعلم ما اذا كان القرن الماضي يُعَدُّ في المستقبل قرن العجائب والغرائب باكتشافاته واختراعاته او انهُ مقدمة لقرون اخرى اعجب منهُ واغرب . والحق يقال ان العلوم والمعارف تتقدم الآن تقدماً مدهشاً فلا تكاد سنة تمرُّ الآ ونرى عجيبة جديدة من عجائب الاكتشاف او الاختراع . وسواء كان تغير الحوادث والاحوال التي تقع تحت حواسنا سريعاً او بطيئاً فانهُ حلقة من سلسلة طويلة من تغيرات طرفاها الازل والابد . ولا شيء ترتاح اليهِ النفس مثل درس العلل والمعلولات او الاسباب والنتائج في سلسلة الحوادث التي تكوَّن منها تاريخ الارض وما عليها من الاحياء وبسط الآراء عما تأول اليهِ الحيوانات والسيارات والشموس والكواكب . وعليهِ فسأبسط في خطبتي هذه بعض هذه الآراء المتعلقة بمذهب النشوء والارتقاء عموماً فاقول

بين من يعتقد بمذهب النشوء والمؤرخ فرق بيّن . فان الاول يستنتج تاريخ الماضي من ادلة الحاضر واما الثاني فيمتاز عنهُ بان تاريخ الماضي مدوَّن امامهُ فيبني عليهِ و يستند اليهِ . ولا ينكر ان تمييز الحق من الباطل في التواريخ المتناقضة يقتضي نظراً دقيقاً ونقداً صحيحاً فاذا اجتمع ذلك في المؤرخ لم يبقَ امامهُ سوى ان يحوّل هيكل الوقائع والحوادث التي امامهُ الى جسم حي بإلباسهِ لحم البواعث والمقاصد البشرية . فيلزم ان يكون المؤرخ ممن خبر الناس ودرس اخلاقهم واطّلع على احوالهم

اما الاول فلهُ وظيفتان ادناها وظيفة قاضي التحقيق الذي يجمع وقائع الجناية في

مخيلتهِ بما يراهُ ويستنتجهُ . واعلاها وظيفة رجل تحرَّر من ربقة المصطلحات والمسلَّمات البشرية وتصوَّر اموراً جديدة لم تخطر على بال انسان قبلهُ . ولا بدَّ لهُ في كلّ حال من ان يفرض علة للامور التي امامهُ . والفرق بين صاحب النظر الصائب وبين المتسرّع الذي يفرض لكل معلول علَّة سواءٌ اصابت او لم تصب انما هو في دقة النظر وبعدهِ وهذا ما يصير بهِ الاول قليلاً نادراً والثاني كثيراً شائعاً

والمحكّ الذي تعرف بهِ صحَّة المذهب العلميّ عدد الحقائق التي يجمعها وتنطبق عليهِ . وشرطهُ ان يرشد الى حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً والى علاقتها بعضها ببعض . فالمذهب الوجيه اشبه بدائرة معارف يمكن توسيعها باضافة مجلدات كثيرة اليها الى ما لا حدَّ لهُ . ولا يكاد يوجد بين المذاهب ما هو صحيح برمتهِ وكثير منها ليس فاسدًا كلهُ . وقد يكون المذهب فاسدًا في جوهرهِ متصدعاً من اساسهِ ولكنهُ يدل على طريق الصواب فلا يجدر بنا من ثمَّ ان ننبذ احد مذهبين متضادين بدعوى تضادهما اذ لا يبعد ان يتضمن كلٌّ منهما حقائق جديرة بالمعرفة . والمذاهب التي سأبسطها الآن قد تلوح متناقضة في ما لدينا من نور المعرفة فلا نحجم البتة عن تتبعها الى نتائجها المنطقية معتمدين على ما يجدّ من الاكتشاف في المستقبل لنبذ الباطل والتوفيق بين الحقائق التي تتألف منها

على ان الذين ليس لهم قدم راسخة في العلم يخلطون بين مذهب النشوء بنوع عام ونشوء انواع الحيوانات المختلفة بعضها من بعض ويحدثونك عنهما كما لو كانا اسمين لمسمى واحد . ثم يخلطون بين نشوء انواع الحيوانات وبين الانتخاب الطبيعي ويعدونهما واحداً . ولكن الراسخين في تاريخ التصورات العلمية يعلمون ان مذهب نشوء الطبيعة بما فيها من حي وجماد مذهب قديم جدا

وَمثل الحقائق التي بنيت مذاهب النشوء المختلفة عليها مثل عرمة من الخرز والجزع يختار الناقد البصير منها بعضاً لشبه يراهُ بينها وينظمهُ في سلك واحد فيخرج منها عقد منتظم . وكانت مذاهب النشوء المختلفة الى عهد قريب متقطعة غير كاملة وحلقاتها قصيرة غير متماسكة حتى ظهر مذهب الانتخاب الطبيعي وابان السبب في اختلاف انواع الاحياء المتعددة عن الاصل الذي اشتقت منهُ فكان للعالِم الطبيعي من ذلك واسطة لنقد الحقائق التي امامهُ وتمييز صحيحها من فاسدها بعض التمييز ورأى النظام سائداً حيث ظن اولاً ان الفوضى ضاربة اطنابها . ولكن تنظيم تلك العرمة كلها وترتيب آحادها بحيث لا يبقى اثر للفوضى بينها قد يقصر دونهُ علم الباحث وهمتهُ

وليس غرضي الآن ان ابحث في مقدار التغيير الذي طرأ على مذهب الانتخاب الطبيعي منذ وضعهُ ابي وولس ولو ان مبدأهُ العمومي من المبادىء الراسخة . بل ان ابين اوجه المشابهة بين عالم الاحياء وعالم الجماد من حيث مذهبُ النشوء والارتقاء . ومما يحسن بي ذكرهُ ان البارون كارل دي بريل سبقني الى الكلام في هذا الموضوع منذ سنة ١٨٧٣ فوضع كتاباً موضوعهُ " تنازع البقاء في الافلاك "

من المعلوم ان مادة الجماد تتحرك بقوات ابسط جدًّا من القوات التي تخضع لها مادة الحي ولكن القضايا التي تعرض للعالم الطبيعي والعالم الفلكي لحلّها ليست اسهل مراساً من القضايا التي تعرض للعالم البيولوجي فان سرَّ الحياة لا يزال بعيداً عن الحلّ كما كان منذ القدم والبيولوجي لا يحاول تفسير ماهية الحياة نفسها بل يبحث في علاقة الحيوانات بعضها ببعض وبالوسط المحيط بها . اما العالم الطبيعي فمضطرٌّ ان يرتئي الآراء في ما بين اجزاء المادة من القرابة ويسعى في ضمّ تاريخ السيارات والكواكب والسدام الماضي الى تاريخها المستقبل وهو والعالم الفلكي ليسا الاَّ مبتدئين ومع ذلك فقد اهتديا الى امور كثيرة ساذكر بعضها الآن

اهمُّ ما في مذهب الانتخاب الطبيعي بقاء انواع الحيوانات التي تصلح للاقامة في الوسط المحيط بها وفناء الانواع التي لا تصلح لذلك . والتنازع على البقاء بين الحيوانات التي يختلف بعضها عن بعض من هذا القبيل هو السبب في تحوُّل الانواع تحوُّلاً بطيئاً . وهذا ما يجري في عالم الجماد ايضاً وان كنا لا نعبّر عنهُ بعبارة واحدة . وايضاحاً لذلك أُورد مثالاً من النظامات السياسية لسهولة مأخذها بالنسبة الى القضايا الطبيعية فاقول

يعبَّر عن علاقة الناس بعضهم ببعض ومعاملتهم بعضهم لبعض في مجتمع واحد بكلمات مصطلح عليها مثل المملكة والحكومة وما شاكلها . والحكومات تختلف اختلافاً عظيماً في نظاماتها وتراكيبها ونوع احكامها فمنها الحكم المطلق ومنها المقيَّد ومنها الجمهوري وكلها تدل على التداخل في افعال الناس ومعاملاتهم . وعليهِ يمكن تحديد الحكومة بانها اسلوب منظم للمعاملات ولتأثير افعال الناس بعضهم ببعض . والتاريخ السياسي يبحث في التغير البطيء الذي طرأ على الحكومات واكتشاف ما وجد منها اصلح من غيره للبقاء

وترى البيولوجي يسمّي الحيوانات التي تحافظ على كيانها بالانواع . والعالم الطبيعي يحدثك عن الاشكال الثابتة وانواع الحركة والسياسي عن الحكومات . والمبدأ الذي هو قاعدة هذه التصورات كلها الثبات او القدرة على مقاومة الانحلال . وبعبارة أُخرى ان ثبات او بقاء نوع من انواع الحي او شكل من اشكال الجماد او حكومة من الحكومات يتوقف على درجة

صلاحيتها للبقاء وقدرتها على تكييف نفسها طبقاً للتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بها

والذي يراجع تاريخ بلاد من البلدان يرى درجة ثباتها متغيرة تغيراً بطيئاً على الدوام فتعلو تدريجاً حتى تبلغ اعلاها ثم تهبط تدريجاً حتى الحضيض فيعقب هبوطها ثورة ويعقب الثورة حكومة ذات نظام جديد . وهذه الحكومة الجديدة او الحركة الجديدة تكون متقلقلة قليلة الثبات في بادىء الامر ولكنها تاخذ تقوى وتشتدّ في دورها وتزيد ثباتاً حتى تبلغ اشدّها ثم تضعف رويداً وتهبط تدريجاً ويجري بها ما جرى بنظام الحكومة الاولى

وهذه الازمات في التاريخ السياسي قد تفضي الى حالة لا تستطيع حكومة البقاء عندها بالتغير من صورة الى اخرى . وهذا يحدث اذا أفنت قبيلة متوحشة قبيلة اخرى واتخذت من بقي منها ارقاء واجلتهم عن بلادهم فان شكل الحكومة الاولى ينقرض ويفنى بفناء القبيلة

والعالم الطبيعي يرقب نتيجة تغير الاحوال الخارجية مثل البيولوجي والمؤرخ فيرى قوة الثبات تنحط تدريجاً حتى تزول ثم يعقب زوالها ما يسمى في التاريخ السياسي بالثورة

فهذه الاعتبارات تحملني على الريب في ما اذا كان البيولوجيون مصيبين في ظنهم ان الانواع متصلة التحوُّل من حال الى حال . واذا اتخذنا التمثيل قياساً لنا وجب ان ننتظر حدوث تغيُّر بطيء متصل في زمن مديد يعقبهُ تغيُّر فجائيٌّ الى نوع جديد او انقراض سريع . ومهما يكن من ذلك فانهُ اذا ضعف ثبات شكل من اشكال الحركة في عالم الجماد فاما ان يتحول الى شكل جديد اثبت منهُ واكثر ملاءمة للاحوال المتغيرة او ينقرض . ثم ان معظم الاحياء التي انقرضت لاتزال محفوظة متحجرة في الطبقات الجيولوجية . وانواع الحكومات المنقرضة مدونة في بطون التواريخ فيتخذ البيولوجي تلك الطبقات اساساً لابحاثهِ والسياسي تلك التواريخ مشكاة يهتدي بها واما العالم الطبيعي فيقدم على البحث ولا اساس يعتمد عليهِ ولا مشكاة يستضيءُ بها

والوقت الذي يقتضي لتحول انواع الحيوان يقاس بالادهار والعصور لا بالسنين والشهور ومثل هذا يقال في التغيرات التي تطرأ على الكواكب والاجرام السموية . واما الوقت الذي يقتضي لتحول شكل من اشكال الجواهر والدقائق التي تتألف المادة منها الى شكل آخر فقد يكون جزءا من مليون جزء من الثانية فلا يدركهُ الوهم لقصرهِ . ومع ذلك التفاوت العظيم في الوقت فان العمل واحد في جوهرهِ

هذا ولا يستبعد انهُ اذا عرفت الاحوال التي تصير فيها الحركة ثابتة منتظمة بالدقة والضبط عرفنا ايضاً تاريخ تكوين العالمين في الماضي ومصيرها في المستقبل ولكننا بعيدون

الآن مراحل كثيرة عن ذلك كما يتضح مما يأتي

هذا وان من اقدم المذاهب ان المواد كلها على تعدُّد انواعها من اصل واحد وعليهِ حاول اصحاب الكيمياء في العصور الوسطى تحويل المعادن الدنيا ذهباً وكانوا يظنون ان العقبة الوحيدة في هذا السبيل اكتشاف الطرق الكيماوية الملائمة التي توصل الى تلك النتيجة . ونحن وان كنا نعلم الآن انهم كانوا بعيدين عن غرضهم بعد الارض عن السماء ولكننا لا ننكر عليهم انهم مهّدوا السبيل للكيمياء الحديثة . وقد كان غرضهم حلّ جواهر عنصر من العناصر الى الاجزاء ألّتي يتركب منها ثم تركيبها ثانية لتخرج جواهر ذهب . ولم يهتدِ كيماويو هذه الايام بعد الى الخطوة الاولى في هذا السبيل وهي حلّ العناصر ولكن مباحثهم ازاحت الستار عن تركيب الجواهر بحيث صرنا نعلم ماذا ينبغي ان نفعل لتحويل العناصر. وما التغيرات المختلفة التي تحدث من نفسها في الاورانيوم والراديوم وما شابههما سوى مظاهر من مظاهر حلّ العناصر وتحوُّلها من نفسها على الراجح

وقد يلوح لاول وهلة ان الانتخاب الطبيعي لا علاقة لهُ البتة بمذهب الكيماويين هذا ولكن حلّ العناصر وتحولها يتوقفان على عدم ثبات الجواهر اولاً ثم استرداد ثباتها ثانية . وبقاء الجواهر الثابتة يتوقف على مبدإ الانتخاب الطبيعي . وكان الكيماويون يعتقدون منذ عشر سنوات ان العناصر الكيماوية متعددة ضرورة حتى لقبوا بالجوهر الفرد الجزء الذي زعموا انهُ لا يتجزأ من المادة فكنت تراهم لا يتحدثون الاَّ عن الجوهر الفرد وكانت الكيمياء الحديثة كأنها بناية من الجواهر الفردة . ولكن لنارد ورنتجن وبكريل وكوري ولارمُر وطمسن وكثيرين غيرهم اثبتوا بمباحثهم ان الجوهر الفرد متجزّئ فكشف الستار بذلك عن تركيب المادة الحقيقي . اثبتوا ان الجوهر الفرد مؤلف من اجزاء عديدة وان جوهر الهيدروجين ابسط الجواهر مؤلف من نحو ٨٠٠ جزء وان الجوهر من العناصر التي هي اكثف منهُ مؤلف من عشرات الالوف من الاجزاء . وقد سمي الجزء منها كريَّة او الكترونًا ويمكن وصفهُ بقولنا انهُ ذرة من الكهربائية السلبية . ومن الغريب ان العالم الطبيعي يعلم عن هذه الالكترونات ما لا يعلمهُ عن الجواهر الفردة وعدُّها اسهل من عدِّ الجواهر الفردة

ولما كانت هذه الالكترونات مكهربة كلها سلبًا فانها تدفع بعضها بعضاً كما تتدافع شعرات الراس اذا مشطت بمشط اسود . ولا يعلم بعدُ لماذا لا ينحلّ الجوهر والالكترونات التي يتألف منها متدافعة بسبب كهربائيتها السلبية فلابدَّ من وجود كهربائية ايجابية او ما يفعل فعلها في الجوهر لمنع انحلاله . اما كون الجوهر مؤلفًا من الكترونات سلبية فأمر مؤكد وهذه

الالكترونات تتحرك بسرعة تفوق سرعة النور فان سرعتها ٢٠٠ الف ميل في الثانية

ومنذ سنة صنع طمسن آلة كهربائية تمثل الالكترونات في الجوهر وفحص خصائصها فحصاً دقيقاً بالطرق الرياضية . وهي مؤلفة من كرة مكهربة بالكهربائية الايجابية تمثل الجوهر الفرد وضمنها الف او الوف من الذرات مكهربة بالكهربائية السلبية وهي تدور في دوائر منتظمة بسرعة عظيمة وهذه الذرات تمثل الالكترونات . ولما كانت كهربائيتها من نوع واحد فانها تتدافع ولكن الكرة تجذبها كلها لان كهربائيتها من نوع آخر

وقد ظهر من هذه التجربة ان تحرُّك الالكترونات في دوائر ذات نظام محدود لازم لثبات حركتها . ولكن عدد الالكترونات في الجوهر ليس محدوداً فقد يمكن زيادة عدد قليل منها بغير ان يتشوش نظامها في الجوهر وبالتالي نظام الجواهر الاخرى المرتبطة بهِ كما انهُ يمكن زيادة سيار صغير او عدة سيارات صغيرة على النظام الشمسي ولا ينشأ عن ذلك خلل في موازنتهِ ولا اضطراب في حركتهِ ولكن لا يمكن زيادة عدد كبير منها لان ذلك يفضي الى وقوع خللٍ في مجموعها كما لو زيد على النظام الشمسي مئة سيار يساوي مجموعها حجم المشتري فان ذلك يحدث اضطراباً فيهِ لا تحمد عواقبهُ . وهكذا يمكن ان تضاف الكترونات قليلة الى الجوهر او تطرح منهُ من غير ان يقع خلل في نظامهِ ومن غير ان يفضي الى تحوُّل العناصر

ويمكن اجتماع الالكترونات بعضها مع بعض على صور شتَّى فتكون ثابتة جدًّا او قليلة الثبوت او بينَ بين فيدور الالكترون في مجتمع منها الوفاً من الدورات قبلما يبدو عليهِ عدم الثبوت . وجوهر مثل هذا يبقى ملايين من الدقائق ولكن لا بدَّ من تمزّقهِ اخيراً وتفرُّق الكتروناتهِ او عودها الى الانتظام بعد ما يفقد بعضها . ولذلك يظن ان العناصر الكيماوية البسيطة هي الاجسام التي اجتمعت الكترونات جواهرها وانتظمت بعضها مع بعض وثبتت امام ما انتابها من النوائب في جهادها لاجل البقاء . وان كان الامر كذلك فيكاد يستحيل ان تكون الانواع التي نجحت في هذا الجهاد ازلية ولا بدَّ من انها تكوَّنت في احوال مخصوصة

ولكن ان لم تكن العناصر ازلية فهل من دليل على انها ابدية . ان انحلال العناصر وتلاشيها او تحوُّلها من نوع الى آخر امور بقي الكيماويون يحكمون باستحالتها الى عهد قريب ولكن قياس التمثيل يدلُّ على ان العناصر ليست ابدية

ومهما يكن من ذلك فتتبُّع ما يطرأ على الجوهر الذي صنعهُ طمسن مثالاً للجوهر الفرد لا يخلو من الفائدة فان النواميس المتسلطة على الكهربائية تدلُّ على ان الجوهر يشعُّ من قوتهِ او يفقد بعضها رويداً رويداً ولا بدَّ من ان يأتي وقت تنفد قوتهُ فيهِ ومتى جاء هذا الوقت

يستحيل الى جوهر يكتفي بقوة اقل من القوة الاولى التي كانت فيهِ . ويظن الاستاذ طمسن انهُ يمكن ان يُصنع جوهر بطيء الانحلال حتى يبقى مليون سنة ولكنهُ لا يمكن ان يكون ابديًّا

فهذه النتيجة تناقض تمام المناقضة كل ما كان معروفًا عن العناصر الى عهد حديث اذ لم يكن هناك علامة تدل على انحلالها . وزد على ذلك ان العناصر التي يتألف النظام الشمسي منها لا بدَّ ان يكون قد مرَّ عليها ملايين من السنين وهي على تلك الحال . ومع ذلك فان هناك ما يحمل على الظن ان ما نراهُ من الانحلال والتركيب في الراديوم والعناصر الاخرى التي لها جواهر كثيرة التركيب مثلهُ انما هو من قبيل تحول العناصر

والالكترونات على غاية من الصغر وقد أبان اللورد كلفن انهُ اذا كبرت نقطة ماء حتى صارت بحجم الارض بلغ حجم كل دقيقة من دقائقها (جواهر المادة) حجم كرة كالمشمشة . وكل دقيقة مؤلفة من ثلاثة جواهر فردة اثنين من الهيدروجين وواحد من الاكسجين فهي مثل النجوم المجتمعة ثلاثة ثلاثة يدور بعضها حول بعض في دوائر لا تعرف تمامًا . ولا يعلم مقدار الحيز الذي تشغلهُ هذه الجواهر بالنسبة الى ما تشغلهُ الدقيقة كلها وجهد ما يقال انهُ ربما كانت نسبة الحيز الذي يشغلهُ الجوهر الى الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة كنسبة الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة الى نقطة الماء ومثل ذلك يقال في نسبة الالكترونات الى الجوهر

قلتُ ان الجواهر الثلاثة من الهيدروجين والاكسجين في دقيقة الماء تشبه المجاميع المؤلفة من ثلاثة نجوم ولكن من الدقائق ما فيهِ خمسون جوهرًا او مئة جوهر فهي مثل المجاميع الكبيرة الكثيرة النجوم

واحوال الدقائق مثل احوال الجواهر فان الدقائق الكيماوية مؤلفة من جواهر مختلفة وهي على درجات متنوعة من الثبوت . ولا تكون الجواهر منفردة واذا استفردها الكيماوي لم تلبث منفردة الأ دقيقة من الزمان وبعضها لا يُستفرد مطلقًا ولذلك فالتحليل والتركيب عملان مستمران في العالم كلهِ . والمركبات التي هي اثبت من غيرها تحفظ كيانها في هذا الوجود اكثر من غيرها كأنها تفوز على غيرها في تنازع البقاء وهي اكثر الموجودات وجودًا كملح الطعام ومركبات السليكون ولكن لم يجد احد منجمًا من قطن البارود لان هذا القطن قليل المقاومة سريع الانحلال فاذا تركبت دقيقة منهُ بواسطة من الوسائط الطبيعية العرضيَّة كانت حياتها قصيرة جدًّا

ثم ان ثبوت المركَّب يدل على مناسبة الاحوال لهُ ومناسبتهِ لها فالملح مؤهَّل للبقاء على الارض لان احوالها مناسبة لبقائهِ ولكنهُ لا يستطيع البقاء على سطح الشمس لانهُ لا يحتمل حرارتها

الذهب

خطب المستر بلبي رئيس قسم الكيمياء في مجمع ترقية العلوم البريطاني خطبة موضوعها الذهب اكثرها علمي كيماوي لا يلذ جمهور القراء ولا يفيدهم ولكن فيها حقائق كثيرة يودُّ كل احد ان يطالعها من قلم كيماوي مجرَّب من ذلك :—

ان العناصر البسيطة كثيرة تبلغ ثمانين عنصرًا ثلثاها نافع او عُلِم نفعهُ والثلث غير نافع او لم يُعلَم نفعهُ حتى الآن واذا استثنينا العناصر اللازمة لتركيب جسم الانسان فانفع العناصر لهُ واكثرها دخلاً في شؤُونهِ المختلفة الحديد والذهب

ولقد تطلَّب الناس الذهب من اول عهد العمران وضحُّوا في سبيلهِ كل مرتخص وغالٍ وبذلوا كل وسيلة للحصول عليهِ اما من معادنهِ او من الناس الذين وجدوهُ عندهم فاراقوا الدماء وبذلوا المهج في هذا السبيل . وعصر الذهب ليس العصر الذهبي لان هذا الاصفر البرَّاق قلَّما يمثل غير المطامع والمتاعب

ولما ارتقت الصناعة وتقسَّمت الاعمال وبطلت المقايضة وقع الاتفاق بين الناس على جعل الذهب مقياسًا وممثلاً للقوى والممتلكات فزاد ذلك في ارتقاء الصناعة والتجارة حتى بلغنا ما بلغناهُ

ولما كان الذهب يحصَّل من التراب كان العثور عليهِ من قبيل الاتفاق فقد يعثر عامل على شذرات كبيرة منهُ في بضعة ساعات وقد يقضي الايام والشهور ولا يجد منهُ شيئًا يذكر ولا ينقطع عن تطلبهِ مهما تجشم من المشاق لان الكسب الذي يأتي بالصدفة غرَّار فهو كالمضاربة او كلعب القمار . ثم وجدوا ان الذهب قد يكون متخللاً بعض الصخور فجعلوا يسحقونها ويمزجونها بالزيبق فيمتزج الزيبق بالذهب ويصير معهُ ملغمًا ثم يحمون الملغم فيطير الزيبق ويبقى الذهب . وهذه هي الدرجة الثانية وكانت تستعمل حينما كانت مناجم الذهب سطحية ثم لما عمقت صار سحق الحجارة التي فيها الذهب صعبًا جدًّا ولا يستخرج كل الذهب منها فصارت تحمى حتى يسهل سحقها . ولم تصلح طريقة استخراج الذهب اصلاحًا كبيرًا الاَّ منذ بضع عشرة سنة حين استعمل مذوب سيانيد البوتاسيوم لاذابتهِ فشاع استعمالهُ في كل مناجم الذهب وصارت طريقة استخراجهِ عملية قانونية واستخدم لهُ اناس من اكبر علماء الكيمياء

وقد وجد بالامتحان ان ماء البحر لا يخلو من الذهب وبيَّن الاستاذ لفرسدج ان في الطن من ماء الاوقيانوس نحو قمحة من الذهب في الكيلومتر المكعب سبعة آلاف كيلو غرام . ولا نقطة من ماء البحر الاَّ وفيها ملايين كثيرة من دقائق الذهب وعليهِ فالسفن التي تجري فيهِ

انما تجري في بحر من الذهب ودقائق الذهب تمس كل جزء من سطحها الغائص في الماء في كل لحظة من سيرها . ولكن استخراج الذهب من ماء البحر اكثر نفقة من ثمنهِ اي لا يستخرج ما يساوي ديناراً الأَ بعد ان ينفق على استخراجهِ اكثر من دينار فكل الذين يزعمون انهم الفوا شركات لاستخراج الذهب من ماء البحر انما هم يخدعون الناس ليسلبوا اموالهم

ودقائق الذهب صغيرة جدًّا فاذا اذيبت قمحة ونصف قمحة منهُ في الطن من الماء ففي كل مليمتر مكعب من ذلك الماء ٦٥٠٠ مليون دقيقة من دقائق الذهب واذا غرزت ابرة في هذا الماء غطي رأسها ١٥٠٠ دقيقة من دقائق الذهب واذا بسطت هذا الماء على ارض مساحتها ١٦٨٠ ميلاً مربعاً انبسط الذهب عليها كلها حتى لا يكون فيها مغرز ابرة خالياً منهُ

اقدم الآثار الاشورية

لا تكاد سنة تمرُّ الأَ وترى الاثريين في هذه الناحية او تلك البقعة من بقاع الارض يستخرجون من الاطلال القديمة آثاراً جديدة تميط النقاب عن كثير مما خفي علينا من تواريخ الاقدمين ونوع عمرانهم ومبلغ علومهم ومعارفهم

من ذلك ان فيس قنصل فرنسا في البصرة المسيو ده سرزك وهو من المولعين بالآثار القديمة نقب الاطلال الواقعة في اسافل وادي الفرات ودجلة فعثر في احدى التلال التي نقب فيها على جدران بناية كبيرة ظهر فيما بعد مما وجد فيها من الكتابات والنقوش انها قصر الملك جوديا من ملوك الكلدانيين القدماء . والقصر بناء قائم الزوايا طولهُ ١٧٠ قدماً وعرضهُ ١٠٠ قدم وفيهِ غرف ومقاصير كثيرة طول بعضها اربعون قدماً في مثلها عرضاً . ووجد في القصر وحواليهِ كثيرًا من تماثيل هذا الملك منحوتة في صخر اخضر قاتم اللون وهي في القدر الطبيعي وعليها كتابات كثيرة ووجد معها اسطوانتين كبيرتين من الخزف . فنقل بعض ما وجدهُ الى باريس حيث فحصهُ المسيو ليون هنري وغيرهُ من كبار علماء الآثار والعاديات. ثم وضع في متحف اللوفر وكلّ يوم يضاف اليهِ آثار جديدة

واقدم هذه الآثار قطعة فيها تمثال شخص بلا لحية ولعلهُ تمثال امرأة وعلى رأسهِ غطاء يشبه ما يوجد على رؤوس التماثيل الكلدانية عادة . وهو يشير بيدهِ الى تمثال شخص آخر اصغر منهُ وقد كسر بعضهُ . والظاهر انهُ يمثل طفلاً جالساً على ركبتي التمثال الاكبر ولعلّ التمثالين يمثلان احدى الالهات الكلدانيين والاشوريين وطفلها كما هو مذكور في خرافاتهم

ومنها قطعة مثقوبة من الوسط لا يعلم الغرض منها وهي من عهد الملك اورنينا احد ملوك الكلدانيين وتاريخها من نحو ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح وعليها نقوش تمثل الملك اورنينا يحفُّ بهِ اولادهُ وكبار حشمهِ . ومعنى الكتابة التي امامهُ هكذا — " اورنينا ملك سربورلا ابن نينيهالدو بنى هيكل الالاهة نينا " ولذلك مُثّل حاملاً السلَّة المقدسة التي هي رمز بناء الهيكل . ولعلَّ الكتابة المتقدمة اقدم تاريخ مصوَّر لحادثة حقيقية

ومن ذلك قطع من عهد الملك ايانادو حفيد الملك اورنينا كسرت من نصب طولهُ سبع او ثماني اقدام وعرضهُ ٥ اقدام . ففي واحدة منها رسم قسم من جسم الملك وفي الثانية رسم جنودهِ في ساحة القتال وقد صورت فيها الجنود في المقدمة والتروس الكبيرة في اياديهم وقد اتصل بعضها ببعض حتى صارت كالحصن امام الجيش وتسلحوا بالفؤوس والحراب

وكانت فؤوسهم وحرابهم من البرنز كما يظهر من مكتشفات اخرى اكتشفها المسيو سرزك وكانوا يمسكون الحربة من عند زجها والظاهر ان الملك كان يستعمل يسراهُ كما يستعمل يمناهُ على حدّ سوى لانهُ صوّر وفي كلٍّ من يديهِ حربة الاَّ اذا اريد المبالغة في بسالتهِ . ومن القطع قطعة فيها صورة الملك وقد سدَّد حربتهُ الى اعدائهِ وهم محلوقو الرؤوس وقد هربوا امامهُ والتفت رئيسهم اليهِ وبسط يديهِ مسترحماً ولكن حربة الملك اصابت جبهتهُ بين عينيهِ . ومنها قطعة فيها صورة ثور رُبط والقي على الارض كأن المراد تضحيتهُ

ومن الانصاب التي وجدت نصب يسمى نصب النسر وفيهِ صورة ايانادو في اربع حالات في الاولى صورتهُ مع المشاة من جنودهِ وقد تغلبوا على العدو . وفي الثانية صورتهُ وهو راكب مركبتهُ في طليعة فرسانهِ يقتفي اثر العدو . وفي الثالثة صورتهُ وهو يضحي الضحايا تذكاراً لنصرتهِ . وفي الرابعة صورتهُ يمثّل بالاسرى

وهذا اقدم رسم معركة وجد حتى الآن

اقدم الآثار البابليَّة

ابنا غير مرة ان السمار بين سكنوا بلاد بابل قبل البابليين وتاريخهم متوغل في القدم . وقد كشف الآن تمثال ملك من ملوكهم اسمهُ داود او داودو اكتشفهُ الوفد الذي انتدبتهُ مدرسة شيكاغو الجامعة وارسلتهُ الى خرائب بابل للبحث والتنقيب في مكان اسمهُ بسميا والمرجح ان تاريخهُ نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح . ولما وجد كان ملقىً على ظهرهِ ورأسهُ مفقود واصابع

يديهِ مكسورة ومطروحة امامهُ . ثم وجد الرأس في مكان آخر

وعلو التمثال ٨٨ سنتمترًا ومحيطهُ ٨١ سنتمترًا ورأسهُ اصلع ولا شعر في وجههِ وعيناهُ مثلثتان وحجاجاها فارغان الآن وقد كان فيهما مقلتان من العاج ملصقتان بالزفت . وهو عارٍ الى وسطهِ وتحت ذلك ازار يتدلَّى من خصرهِ الى كعبيهِ يمثل الفرو وعلى كتفهِ اليمنى ثلاثة اسطر باللغة السمارية القديمة اي اللغة التي تقدمت اللغة البابلية وهذه صورتها



اشار
الملك داودو
ملك ادنكي

اي ان ذلك التمثال صنع لهيكل اشار هيكل ملك ادنكي

اما اسم الملك فجديد عند علماء الآثار الاشورية واما اسم المدينة والهيكل فمذكوران على حجر حمورابي الذي اشرنا اليهِ غيرة مرة

والذي جعل علماء الآثار يرجحون ان عمر هذا التمثال اكثر من ستة آلاف سنة هو اولاً ان نوع الكتابة التي عليهِ من نوع الكتابة المنقوشة على الآثار التي تاريخها قبل تاريخ

الملك سرجون اقدم ملوك بابل وتاريخهُ سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح

وثانياً ان التمثال وجد تحت انقاض عدة هياكل بنيت وهدمت ثم رممت . ففي الانقاض العليا كتابة تذكر الملك دنجي الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وتحتها انقاض عليها اسم الملك سرجون الذي كان سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح وتحتها آثار انقاض اخرى والتمثال تحتها كلها

وثالثاً ان طراز صناعة التمثال وعينيهِ اللتين على شكل مثلثين وشكل انفهِ وزي لباسهِ — كل ذلك يشبه تمثالين الواحد في متحف اللوفر والآخر في المتحف البريطاني . وعلماء الآثار الاشورية يقولون ان تاريخهما نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح ولا يخالفهم عالم كبير في ذلك

ويقال بالاختصار ان هذا التمثال اقدم من اقدم اثر بابلي بالف وخمس مئة سنة وهو مثال كامل لاقدم صناعة في العالم

التلوتوغراف

التلوتوغراف آلة للكتابة عن بعد . وقد بلغ من اتقانها الآن ان صارت بسيطة جداً وصارت بحيث يستطيع كل احد ان يستعملها اذا كان عارفاً الكتابة . فاذا مسكت قلمها بيدك وكتبت بهِ تحوَّلت حركتهُ الى كهربائية وانتقلت على سلك التلغراف او التلفون الى الطرف الآخر منهُ وحركت هناك قلماً دقيقاً من اشعة النور على ورق من ورق التصوير الشمسي الحساس فترتسم عليهِ كتابة مثل كتابتك تماماً كما ترى في الرسم التالي فان فيهِ صورة الكتابة الاصلية التي كتبها الكاتب والكتابة التي كتبها قلم النور على الورق الحساس

والآلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها فالقسم الذي لارسال الكتابة فيهِ قلم عادي من اقلام الرصاص متصل بخلين صغيرين يحلان كل حركة من حركاتهِ الى حركتين واحدة افقية وواحدة عمودية وهاتان الحركتان تؤثران في كهربائية بطرية صغيرة متصلة بهذا القسم من الآلة وتسير الكهربائية على سلك التلغراف او التلفون الى حيث القسم الثاني من الآلة وهناك قنديل كهربائي صغير ومرآتان ينعكس نورهُ عنهما وهاتان المرآتان تتحركان بواسطة المجرى الكهربائي الآتي من المكان الاول وتأثيرهُ في مغنطيس متصل بهما فتكون النتيجة ان الحركتين اللتين انحلت اليهما حركة قلم الرصاص في يد الكاتب تصلان الى المرآتين وتحركانهما فتؤثران بقلم النور الواقع عليهما من القنديل الكهربائي فتحركانهِ حركتين تكون نتيجتهما مثل حركة قلم الرصاص . وفي هذا القسم من الآلة شريط

من الورق الحساس ملفوف على بكرة فيجري امام قلم النور رويداً رويداً وقلم النور يؤثر فيهِ فيكتب عليهِ مثل صورة الكتابة التي انتقلت بالمجرى الكهربائي

Der Telautograph (Gruhn)
braucht wenig Stromkraft,
kann mit dem Telephon ver-
bunden werden. Er sen-
det original Handschrif-
ten auf grosse Entfer-
nungen. Näheres durch
Grzanna, Charlottenburg 5.

Der Telautograph (Gruhn)
braucht wenig Stromkraft,
kann mit dem Telephon ver-
bunden werden. Er sen-
det original Handschrif-
ten auf grosse Entfer-
nungen. Näheres durch
Grzanna Charlottenburg

ومن مزايا هذه الآلة ان الورق الحساس هذا يمرّ في مغنطيس يظهر تأثير النور فيهِ ويثبت اثر الكتابة عليهِ في عشر ثوانٍ من الزمان . فاذا مسكت قلم هذه الآلة بيدك وكتبت بهِ رسالة استغرقت كتابتها ربع ساعة فبعد انتهائك من الكتابة بعشر ثوانٍ فقط تكون الرسالة قد طبعت على الورق الحساس في المكان الذي ارسلت الرسالة اليهِ وصورتها مثل كتابتك تماماً كما ترى في الشكل المتقدم

ولا يخفى ان هذه الآلة يمكن وصلها بالتلفون فيستطيع الانسان ان يكاتب غيرهُ بها كما يستطيع ان يكالمهُ بالتلفون وهي تنقل خط الكاتب كما ينقل التلفون صوت المتكلم . وفي كل آلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها . وقد ظهر بالامتحان في المانيا ان خطوط التلفون العادية تكفي للتلوتوغراف وانهُ يمكن ارسال الكلام والكتابة على الخط الواحد في وقت واحد من غير ان يقاوم احدهما الآخر

وقد امكن نقل الكتابة بين برلين ودرسدن مسافة ١٢٤ ميلاً فاذا استعمل بين مصر والاسكندرية كانت منهُ فائدة كبيرة ولا سيما في الاشغال المالية حيث تدعو الحال ان تكون " الاذونات " بخط صاحبها وامضائهِ وحيث يخشى من وقوع الخطإ اذا اقتصر على صوت التلفون . وتوضع آلة التلوتوغراف بجانب آلة التلفون ويمكن استعمالها معاً في وقت واحد او استعمالها بالتعاقب

الهالة حول الراس

ادَّعى البعض انهم رأَوا هالة حول رؤُوس بعض الناس فحسبوا انها من الدلائل الالهية على قداستهم او على ترفعهم عن غيرهم من البشر . وقد تناول الاستاذ تندل هذا الموضوع وعلَّل ظهور الهالة في بعض الاحوال تعليلاً علمياً طبيعياً . لكننا اطلعنا الآن على فقرات في مجلة العلوم النفسية يظهر منها ان بعض الهالات لا يعلَّل بتعليل تندل لها وان بعض علماء الامراض العصبية لا يزال يظن ان هذه الهالات اذا ظهرت فلها علاقة باحوال الاعصاب المرضية فقد كتب الدكتور فره Féré بالامس يقول انهُ رأَى حادثتين من هذا القبيل منذ اكثر من عشرين سنة تعذر عليهِ تعليلهما ثم لما عُلم ما عُلم عن اشعة الراديوم ظن ان فيهِ ما يعللها فنشرها الآن قال

الاولى امرأَة عمرها ٢٨ سنة رأَيتها سنة ١٨٨٣ وهي من عائلة فيها الجدار العصبي وكانت تصاب باعراض هستيرية في العشر السنوات السابقة للوقت الذي رأَيتها فيهِ و بالتشنج وفقد الشهية للطعام وبالازيميا البيضاء وتبقى منها علامات في جسمها. و يصيبها احياناً صداع شديد يبتدئُ في الصباح و ينتهي في المساء بالقيء . وفي نوبة من هذه النوبات شعرت بصداع في صدغيها و ببرد في اطرافها . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر اتيت لمشاهدتها فرأَيت هالة من النور حول رأْسها قطرها ٤٠ سنتيمترًا لونها برتقالي يقلُّ اشراقهُ في محيطها ورأَيت هالتين أُخريين مثلها حول يديها وصار لون جلدها برتقالياً اقتم من لون الهالة وكان اصلاً ابيض ناصعاً وقد ظهرت الهالة قبل وصولي بساعتين وابتدأَ التلوُّن في جلدها قبلما ظهرت الهالة ببضع ثوانٍ ثم زالت الهالات من حول رأْسها و يديها واللون من جلدها بعد حضوري بساعتين في الوقت الذي ينتابها فيهِ القيءُ اي انها بقيت اربع ساعات

الثانية امرأَة عمرها ٢٥ سنة يصيبها صداع كل شهر من حين بلوغها ولها ابنة عمرها اربع سنوات تصاب بنوبات هستيرية . واصيبت هذه المرأَة بالصداع في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٤ على جاري عادتها فبقيت في فراشها ودعيت لمشاهدتها واصيبت ابنتها بالتشنج والحوَل ايضاً ولما رأَيتها كذلك تألمت جدًّا وللحال تغيَّر لون جلدها فصار برتقالياً كما صار جلد المرأَة الاولى وظهرت هالة حول رأْسها وهالتان حول يديها وهذه الهالات اضيق من الهالات الاولى ولكنها اشد منها اشراقاً وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولكن هذه الحالة لم تدم الاَّ بضع دقائق ولم يرَ زوجها هذا النور قبلاً في كل ١٠ اصابها من نوبات الصداع قبل ذلك الوقت

ولم يبلغني ان احداً من الاطباء شاهد ما شاهدتهُ لكن ذكر في التواريخ الدينية ان كثيرين حدث لهم ذلك فكانت رؤُوسهم او اجسامهم تحاط بهالة من النور. وذكرت ما رأيتهُ لاستاذي شاركو فظهر لي انهُ كان مرتاباً في صدقهِ . ثم بلغني حدوث شيء من ذلك في الصيف الماضي وهو ان سيدة من عائلة لا مرض فيها ولا يزال ابواها حيين (عمر ابيها ٧٨ سنة وعمر امها ٧٣ سنة) مرض زوجها فقلقت لمرضهِ قلقاً شديداً وهمَّها امرهُ جداً فانحطت قواها وصارت تسمع اصواتاً مقلقة وهي نائمة فتستيقظ مذعورة واستيقظ زوجها ذات ليلة اذ سمعها تصرخ فرأى هالة من النور حول رأسها وكان امامهُ خزانة كبيرة ذات مرآة فرأى صورتهُ وصورتها في المرآة بالنور الذي كان حول رأسها وهو اشعة بعضها اطول من بعض تحيط برأسها كيفما ادارتهُ وكان وجهها اصفر وكانت اذا اشتدَّ تهيجها يشتدُّ نور الهالة ودامت نحو ربع ساعة

معاهدة الصلح

المادة الاولى . تشترط هذه المادة اعادة السلم والصداقة بين امبراطوري السلطنتين وبين رعايا روسيا واليابان

المادة الثانية . يعترف جلالة امبراطور روسيا بمصلحة اليابان الراجحة في امبراطورية كوريا سياسيًّا وماليًّا وعسكريًّا ويتكفل بان روسيا لا تعارض التدابير التي ترى اليابان ضرورة اتخاذها في كوريا بالاتفاق مع حكومتها لادارة احكامها وحمايتها ومراقبتها ولكن الرعايا الروسيين واصحاب المشروعات الروسية يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعايا البلاد الاخرى ومشروعاتها

المادة الثالثة . اتفق الفريقان على ان تجلي الجيوش الروسية والجيوش اليابانية عن منشوريا معاً وان تبقى جميع الحقوق التي اكتسبها الاشخاص والشركات فيها من غير ان تمس

المادة الرابعة . تنقل كل الحقوق التي لروسيا بمقتضى عقد الايجار في بورت آرثر ودلني والاراضي والمياه المحاذية لها الى اليابان ولكن تصان وتحترم حقوق الرعايا الروسيين واملاكهم

المادة الخامسة . تتكفل الحكومتان الروسية واليابانية ان لا تلقيا العراقيل والعوائق في سبيل الاحتياطات العمومية التي تتخذها الصين لنماء التجارة والصناعة في منشوريا وستكون هذه الاحتياطات واحدة لجميع الامم على السواء

المادة السادسة . يستثمر الروس واليابانيون معاً سكة حديد منشوريا في كوانغ تشنغ تسي ولا تستعمل اجزاء هذه السكة التابعة لكل فريق من الفريقين الا لنقل المتاجر فيبقى للروس

جميع الحقوق التي خولت لهم باتفاقهم مع الصين على انشاء السكة الحديدية وتمتلك اليابان المناجم التابعة لقسم سكة الحديد الذي يعطى لها وتحترم حقوق الاشخاص والاعمال الخصوصية ويترك للفريقين المتعاقدين الحرية التامة في اجراء ما يستحسنانهِ على الاراضي التي نزعت ملكيتها

المادة السابعة . يتكفل الروس واليابانيون معاً بوصل خطي السكة الحديد التي تخص كلاً منهما في كوانج تشنج تسي

المادة الثامنة . اتفق الفريقان على ان يضمنا للسكك الحديدية المشورية نقل التجارة بلا مقاومة ولا تضييق

المادة التاسعة . يتنازل الروس لليابان عن القسم الجنوبي من جزيرة سخالين الى الدرجة ٥٠ من العرض الشمالي والجزر التابعة له وتضمن حرية الملاحة في خليجي بيروز وتارتاري

المادة العاشرة . يكون المستعمرون الروسيون احرارًا في القسم الجنوبي من سخالين فيحق لهم ان يبقوا فيهِ من غير ان يغيروا جنسيتهم ولكن يجوز لليابان من جهة ثانية ان تلزم المسجونين الروسيين بترك الاراضي التي اعطيت لها

المادة الحادية عشرة . تعقد روسيا اتفاقاً مع اليابان يمنح الرعايا اليابانيين حق الصيد في مياه الاراضي الروسية من بحور اليابان واخوتسك وبيرين

المادة الثانية عشرة . تكفل الفريقان المتعاقدان بان يجددا المعاهدة التجارية المعقودة بين الحكومتين قبل الحرب بكل معانيها مع تعديلات طفيفة في تفاصيلها

المادة الثالثة عشرة . يتكفل الروس واليابانيون معاً برد اسرى الحرب ودفع المصاريف الحقيقية التي صرفت عليهم ويجب ان تؤيد هذه المصاريف بمستندات خطية

المادة الرابعة عشرة . تكتب هذه المعاهدة باللغتين الفرنسوية والانكليزية ويعول الروس على النص الفرنسوي واليابانيون على النص الانكليزي واذا وقع خلاف في تفسير شيء منها يرجع في حلهِ الى النص الفرنسوي وحده

المادة الخامسة عشرة . يمضي امبراطورا الحكومتين التصديق على هذه المعاهدة في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً من تاريخ امضائها ويكون سفراء فرنسا واميركا وسطاء بين حكومتي اليابان والروس فينقلون بالتغراف خبر المصادقة عليها . انتهى

وواضح ان الدولتين خرجتا من الحرب خاسرتين ولم يكسب منها الا ارباب الاموال والمعامل في اوربا واميركا فان الدولتين استدانتا واشترتا منهم ما يساوي مئتي مليون جنيه وتعهدتا بدفع الربا الفاحش

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ويروى ان عدي بن ربيعة المهلهل لما اسنَّ وخرف وكان لهُ عبدان يخدمانهِ فملَّ منهُ خرج بهما يريد سفرًا فاناخا بهِ في الفلوات وعزما على قتلهِ فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقتهِ هذا البيت ويروى انهُ اوصاهما ان يقولاهُ لولديهِ وهو

من مبلغ الحيينِ انَّ مهلهلا ... لله دركما ودرُّ ابيكما

ثم قتلاهُ ورجعا الى قومهِ فقالا مات . وانشداهما قولهُ محتضرًا . ففكر بعض ولدهِ وقال ان مهلهلاً لايقول هذا الشعر الذي لا معنى لهُ وانما اراد ان يقول

من مبلغ الحيين انَّ مهلهلا ... أمسى قتيلاً في الفلاة مجندلا

لله دركما ودرُّ ابيكما ... لايبرح العبدانِ حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقرّا بقتلهِ فقتلا بهِ في سنة ٥٠٠ م

وهذا اشبه بما يروى ان شاعرًا التقى بعدوهِ منفردًا فهم بقتلهِ . فقال لهُ : انا اعلم ان المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني فامضِ الى داري وقف بالباب ونادِ

أَلا ايها البنتان ان اباكما ... .

فاقسم لهُ بالوفاء . فقتلهُ وسار الى بابهِ وانشد . وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قولهُ اجابتاهُ

.... قتيلٌ خذا بالثار ممن اتاكما

ثم انهما تعلقتا بالرجل وحملتاهُ الى الحاكم فاستقرهُ فاقرَّ بقتلهِ وقُتل بابيهما

ولما رمى وزرُ بن جابر النبهانيُّ عنترة العبسي المشهور بنبلة قطعت ظهرهُ تحامل بالرمية حتى اتى اهلهُ فقال وهو مجروح

وان ابن سلمى عندهُ فاعلموا دمي ... وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

إذا ما تمشى بين اجبالِ طيّءٍ ... مكان الثريا [1] ليس بالمتهضمِ

رماني ولم يدهش بأزرقَ لهذمٍ [2] ... عشيةَ حلّوا بين نعف ومخزمِ [3]

ثم مات على اثر ذلك الجرح سنة ٦١٥ م :

---

(١) اي ذو رفعة ليس بذليل (٢) الحادّ القاطع من الاسنة (٣) اسم محلين

وقال لبيد بن ربيعة العامريّ يخاطب ابنتيهِ محتضرًا (توفي سنة ٦٨٠ م)

تمنّى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الاَّ من ربيعة او مُضرْ
فقوما وقولا بالذي تعلمانهِ ولا تخمشا وجهاً ولا تحلق شعَرْ
وقولا هو المرء الذي لا صديقهُ اضاع ولا خان الخليل ولا غدَرْ
الى الحول ثمَّ اسمُ السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

ولما ماتت ليلى العامرية اتى المجنون (قيس بن الملوّح العامري) الى الحيّ وسأل عن قبرها فلم يهدوهُ اليهِ فاخذ يشمّ تراب كلّ قبرٍ يمرُّ بهِ حتى تراب قبرها فعرفهُ وأنشد :

ارادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيبُ تراب القبر دلَّ على القبرِ

ولم يزل يكرّر البيت حتى مات ودفن الى جنبها

ولما حضرت عبيدَ الله بن شدَّاد الوفاة دعا ابنهُ محمدًا فأوصاهُ وقال لهُ : " يا بنيّ أرى داعي الموت لا يُقلع . وبحق إن مضى لا يرجع . ومن بقي فإليهِ ينزع[1] . يا بنيَّ ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية . والشكر لله وصدق الحديث والنيَّة فان للشكر مزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة :

ولستُ أرى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لابدَّ أن يأتي قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

وقال ابن قتيبة : بلغني ان اول من بكى على نفسهِ وذكر الموت في شعرهِ يزيد بن خرَّاق فقال:

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ ام هل لهُ من حِمام الموت من راقِ
قد رجّلوني[2] وما بالشعر من شعَثٍ[3] والبسوني ثيابًا غير اخلاقِ[4]
وطالبوني وقالوا ايّما رجلٍ وادرجوني كأنّي طيُّ مخراقِ[5]
وارسلوا فتيةً من خيرهم حسبًا ليسندوا في ضريح القبر اطباقي[6]
وقسموا المال وارفضّت عوائدهم[7] وقال قائلهم مات ابن خرَّاقِ
هان[8] عليك ولا تولع بإشفاقِ فإنما مالُنا للوارث الباقي

---

(١) يميل (٢) من رجل الشعر اذا سرَّحهُ (٣) تلبدهُ لقلة الطيب (٤) جمع خلق اي بالية (٥) منديل ويريد الكفن (٦) جمع طبق وهو عظم رقيق يفصل بين كل فقارتين ويريد به الجسم من باب تسمية الكل باسم الجزء (٧) اي تفرّقت النساء الزائرات لي في مرضي (٨) المشهور هوّن عليك والصدر مثل والاشفاق الخوف

وقال عروة بن حزام لما نزل بهِ الموت :

من كان من أخواتي باكيًا ابدًا فاليوم اني أراني اليوم مقبوضا
ليسمعنيهِ إني غير سامعهِ اذا علوتُ رقاب القوم معروضا

وقال كليب وائل لقاتلهِ جسّاس بن مرّة لما طعنهُ وادركهُ الموت : "يا جسّاس أغثني بشربةٍ من ماء" — قال جسّاس تجاوزت شبيثًا والأحص" (١) فذهبت مثلاً ثم اجهز عليهِ

واستقدمت امرأة من بني حنظلة أمام عمرو بن هند لما اقسم انهُ ليحرقنّ من بني حنظلة مائة رجل في يوم أوارة بناحية البحرين . فبعد ان ناقشها الكلام قال لها : اما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : اما والذي أسألهُ ان يضع وسادك . ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت الأ نساء ذوات ميسّم ودين (٢) . قال : اقذفوها في النار . فالتفتت فقالت : " ألا فتى يكون مكان عجوز " — فلما ابطأوا عليها قالت " كأن الفتيان حمى " فأحرقت وذهب كلامها مثلاً

ولما حضرت زرارة بن عدس الحنظلي الوفاة جمع بنيهِ واهل بيتهِ ثم قال : " انهُ لم يبقَ لي عند احد من العرب وِترٌ (٣) الا وقد ادركتهُ غير تحضيض الطائي ماقط الملك علينا . حتى صنع ما صنع . فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيء " — قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : " أنالك بذلك يا عمّ " فمات زرارة مطمئنًا

وقال لقيط بن زرارة لما طعنهُ شريح وارتثّ اي حمل مجروحًا وقربت ساعتهُ مخاطبًا ابنتهُ دختنوس

يا ليت شعري عنك دختنوسُ اذا اتاكِ الخبرُ المرسوسُ (٤)
أتحلق القرونَ (٥) ام تميسُ لا بل تميس انها عروسُ

وقال عبد يغوث بن صلاءة رئيس مذحج في يوم كُلاب الثاني لما شدّوا على لسانهِ نِسعة اي قطعة من سير : — " انكم قاتليّ ولا بدّ فدعوني أذمّ اصحابي وأنوح على نفسي " — فقالوا : " انك شاعر ونخاف أن تهجونا " فعقدلهم ان لا يفعل فأطلقوا لسانهُ وامهلوهُ حتى قال قصيدتهُ هذه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما أنّ الملامة نفعها قليلٌ وما لومي أخي من سماتيا

(١) اسم موردين (٢) اي حسن وجمال (٣) يعني الثار (٤) من رسّ أمور القوم واخبارهم اذا تعرّفها (٥) اي الشعر

فيا راكباً إما عرضت فبلغنْ ندامايَ من نجران أن لا تلاقيا

أبا كرب والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً صريحهمُ والآخرين المواليا

ولو شئت نجّتني من القوم نهدةٌ (١) ترى خلفها الجردَ الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذمار (٢) ابيكمُ وكاد الرماحُ تختطفن المحاميا

أحقاً عباد الله ان لست سامعاً نشيد الرعاء (٣) المعزبين (٤) المتاليا (٥)

اقولُ وقد شدُّوا لساني بنسعةٍ أمعشر تيمٍ اطلقوا لي لسانيا

وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ (٦) كأن لم ترى قبلي اسيراً يمانيا

أمعشر تيمٍ قد ملكتم فأسجحوا (٧) فإنَّ اساري لم يكن من توانيا

فان تقتلوني تقتلوني سيداً وان تطلقوني تحربوني (٨) بماليا

وقد علمت عرسي مليكةُ أنني انا الليثُ معدوًّا عليهِ وعاديا

قد كنتُ نحارَ الجزور ومعملَ المطيِّ وامضي حيث لا حيَّ ماضيا

واعقر (٩) للشرب (١٠) الكرام مطيتي واصدع (١١) بين القينتين (١٢) ردائيا

وكنت اذا ما الخيل شمصها (١٣) القنا لبيقاً (١٤) بتصريف القناة بنانيا

فياعاصِ فكَّ القيد عني فانني صبورٌ على مرِّ الحوادث ناكيا

وعادية (١٥) سومَ (١٦) الجراد وزعتها (١٧) برمحي وقد أنحوا (١٨) عليَّ العواليا (١٩)

كأنيَ لم اركب جواداً ولم اقل لخيليَ كرّي قاتلي عن رجاليا

ولم اسبإِ (٢٠) الزقَّ الرويَّ ولم اقل لأيسار صدقٍ اعظموا ضوء ناريا

فما اتمها حتى ضربوا عنقهُ بجو سنة ٥٨٠ م

وقال عدي بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان بن المنذر قبل ان اتى على نفسهِ في سنة ٥٨٧ م : (وتروى مقيدة الروي)

---

(١) فرسٌ حسنة (٢) ما يلزمك حفظهُ من عرض ونحوهِ (٣) جمع راعٍ (٤) المصيبين الكلأ البعيد (٥) المتالي من الابل التي لم تنتج حتى صافت (٦) منسوبة من عبد شمس (٧) اسجح الوالي احسن العفو (٨) تصادروني (٩) انحر واذبح (١٠) جمع شارب كالصحب جمع صاحب (١١) أمزّق واشق (١٢) مثنى قينة وهي الجارية المغنية (١٣) طردها طرداً عنيفاً (١٤) هو ذو اللبق اي الحذق والرفق بالعمل (١٥) جماعة القوم يعدون لقتال (١٦) من سامت الطير على الشيء حامت او من سامت الابل والريح مرت (١٧) دفعتها (١٨) بعنق وجهوا (١٩) صدور الرماح (٢٠) اشتري وابتع

ابلغ النعمان عني مألكاً [١] انهُ قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصانِ بالماءِ اعتصاري [٢]
وعداتي شُمتٌ اعجبهم انني غُيبت عنهم في اساري
لامرىءٍ لم يبل مني سقطة ان اصابتهُ مُلمات العثارِ
فلئن دهرٌ تولى خيرهُ وجرت بالنحس لي منهُ الجواري
ربما منهُ قضينا حاجةً وحياة المرءِ كالشيء المعارِ

ولما رمي ربيعة بن مكدم في يوم الكديد لحق بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امهِ ام سنان فقال: على يدي عصابة. وهو يرتجز ويقول

شدي عليَّ العَصْبَ [٣] ام سيَّار فقد رزيتِ فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقالت امهُ

انا بنو ثعلبة بن مالكِ مرور اخبارٍ لنا كذلكِ
من بين مقتولٍ وبين هالكِ ولا يكون الرزء الاَّ ذلكِ

وشدت امهُ عليهِ عصابة فاستسقاها ماء فقالت: ان شربتَ الماء متَّ فكرَّ على القوم. فكرَّ راجعاً يشتدُّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أُثخن [٤] فقال للظعن: "أوضعن ركابكنَّ حتى ينهين الى ادنى البيوت من الحي فاني لما بي سوف اقف دونكنَّ لهم على العقبة فاعتمد على رمحي فلا يقدمون عليكنَّ لمكاني" ففعلن ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ ثم مات. قال ابو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ

وكان توبة بن الصمة محاسباً لنفسهِ في اكثر آناء [٥] ليلهِ ونهارهِ فحسب يوماً ما مضى من عمرهِ فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فكانت احدى وعشرين الف يوم وخمسمائة يوم فقال يا ويلتا الق مالكاً باحدى وعشرين الف ذنب"— ثم صعق [٦] صعقة كانت فيها نفسهُ

وقال عمرو بن زيد بن المتمني يوصي ابنهُ وهو يجود بنفسهِ

أبنيَّ زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحل قاترِ [٧]
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين [٨] معاً لحشر الحاشرِ

---

(١) رسالة (٢) من اعتصر بالماء ما غص بهِ من الطعام اي شربهُ قليلاً قليلاً ليسيغهُ (٣) البرد وبريد هنا ما يشد بهِ الجرح منهُ (٤) وهن وضعف (٥) جمع انى وهو ساعة النهار (٦) غشي عليهِ وذهب عقلهُ من صوت يسمعهُ كالصاعقة ونحوها (٧) القاتر من الرحال والسرج الجيد الوقوع على الظهر او اللطيف ومنها الذي يقي الظهر ولا يعقرهُ (٨) مجتمعين

من لا يوافيهِ على عثراتهِ فالخلق بين مدفَّع او عاثرِ

وقام ابو عبيدة بن الجراح خطيباً في طاعون عمواص فقال : "ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان ابا عبيدة يسأل الله ان يقسم لهُ منهُ حظهُ" — فما أتم كلامهُ حتى اصابهُ الطاعون فمات لوقتهِ سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

وقال خالد بن الوليد عند موتهِ "لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسمي موضع شبرٍ الاَّ وفيهِ ضربة او طعنة ثم ها انا ذا اموت حتف انفي[١] كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء" توفي سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م

وارتجز رُوَيد بن زيد محتضرًا

اليوم يبنى لدويد بيتهُ لو كان للدهر بلا ابليتهُ
اوكان قرني[٢] واحداً أكفيتهُ يارب نهبٍ صالحٍ حويتهُ
ورب قيلٍ[٣] حسنٍ لويتهُ ومعصمٍ[٤] مخضَّبٍ ثنيتهُ

واستدعى جريدة بن الايشم الاسدي ابنهُ سعيدًا فاوصاهُ وهو يلفظ انفاسهُ

ياسعد إما أهلكنَّ فانني أُوصيك ان اخا الوصاة الاقربُ
لاتتركنَّ اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعيرٍ صالحٍ وسقِ الخطيا[٥] انهُ هو اقربُ
ولعلَّ لي مما تركتَ مطيةً في القبر اركبها اذا قيل اركبوا

ونبغ جوشن بن قنفذ الكلابيُّ في الشعر ومنعهُ عنهُ ابوهُ فجاش في صدرهِ ومرض حتى اشرف على الموت فاذن لهُ ابوهُ في انشادهِ : فقال "حال الجريض دون القريض" والجريض غصة الموت فذهب قولهُ مثلاً وقيل قالهُ عبيد بن الابرص للنعمان

وقال درَّاج لما طعن

شدي عليَّ العصب أم كهمس ولا تُهلك اذرع وارؤُس
مقطعات ورقاب خنس[٦] فانما نحن غداة الاخمس
هيمٌ[٧] بهيمٍ[٨] طليت تمرَّس[٩]

(١) لغير علة (٢) نظيري وكفوءي (٣) ساعد ريان ممتلئ (٤) موضع السوار من اليد (٥) مشي رويد اي على مهل (٦) منقبضة (٧) جمع هياء وهي الناقة التي اصابها داء الهيام من العطش (٨) جمع هياء وهي المفازة بلا ماء (٩) تمرس بمعنى تحتك من الجرب

ولما احس الحطيئة الهجاء بالموت اجتمع اليهِ قومهُ فقالوا : يا مليكة اوص فقال : ويل للشعر من رواية السوء . قالوا اوص رحمك الله يا حطي قال : من الذي يقول

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا الشماخ . قال ابلغوا غطفان أنهُ أشعر العرب . قالوا ويحك أهذه وصية اوصِ بما ينفعك . قال ابلغوا اهل ضابيء انهُ شاعر حيث يقول :

لكلِّ جديد لذَّة غير انني رأيت جديد الموت غير لذيذِ

قالوا اوصِ ويحك بما ينفعك . قال ابلغوا اهل أمريء القيس انهُ اشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

قالوا اتقِ الله ودع عنك هذا قال : ابلغوا الانصار ان صاحبهم اشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

قالوا هذا لا يغني عنك شيئًا فقل غير ما انت فيهِ فقال :

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلّمهُ اذا ارتقى فيهِ الذي لا يعلمهُ

زلّت بهِ الى الحضيض قدمهُ يريد ان يعربهُ فيعجمهُ

قالوا هذا مثل الذي كنت فيهِ فقال :

قد كنت احيانًا شديد المعتمد وكنت ذا غربٍ على الخصم ألدّ

فوردت نفسي وما كادت تُرَد

قالوا : يا ابا مليكة ألك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على المديح الجيد يمدح بهِ من ليس لهُ اهلاً

قالوا : فمن اشعر الناس . فأومأ بيدهِ الى فيهِ وقال هذا الجُحَيْرِ [1] اذا طمع في خير . يعني فمهُ واستعبر باكيًا فقالوا لهُ قل لا اله الاَّ الله فقال :

قالت وفيها حيدة وذعرُ عوذٌ بربي منكم وحجرُ

فقيل لهُ ما تقول في عبيدك وإمائك . فقال : هم عبيد قنّ [2] ما عاقب الليل النهار . قالوا فاوصِ للفقراء بشيء قال أوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور . قالوا فما تقول في مالك . قال للأنثى من ولدي مثلا حظّ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى عزَّ وجلَّ لهنَّ قال: لكني هكذا قضيت . قالوا . فما توصي لليتامى قال : كلوا اموالهم . قالوا فهل شيءٌ تعهد

(١) تصغير جحر وهو الغار البعيد القعر (٢) اي ملكوا هم وآباؤهم يقع على المفرد والجمع والمؤنث

فيهِ غير هذا قال نعم . تحملونني على اتان وتتركونني راكبها حتى اموت فإن الكريم لا يموت على فراشهِ والأتان مركب لم يمت عليهِ كريمٌ قط. فحملوهُ على أتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا احدٌ ألأمُ من حطيئة هجا بنيهِ وهجا المريَّة
من لؤمهِ مات على فُرَيَّة (١)

وتوفي في خلافة عمر بن الخطّاب

ولما رُمي بشر بن ابي حازم بن عوف الأسديّ الشاعر بسهم في غزوة بني وائل ونفذ في صدرهِ خرَّ عن فرسهِ وانشد عند موتهِ ٥٣٠ م :

اسائلة عميرة عن ابيها خلال الجيش تعترف الركابا
تؤمل ان اعود لها بنهب ولم تعلم بأن السهم صابا
فإنَّ أباكِ قد لاقى غلاماً من الابناء يلتهبُ التهابا
وإن الوائليَّ أصاب قلبي بسهمٍ لم يكن نكساً (٢) لُغابا (٣)
فرجي الخير وانتظري إيابي اذا ما القارظ العنزيُّ آبا (٤)
فمن يكُ سائلاً عن بيت بشرٍ فإنَّ لهُ بجنب الردّ بابا
ثوى في ملحدٍ (٥) لا بدَّ منهُ فأذري الدمع وانتحبي انتحابا
مضى قصد السبيل وكل حيٍّ إذا حانت منيتُهُ اجابا

وروى ابو الحباب أنَّ معاذ بن جبل لما أُحضر قال لخادمتهِ ويحكِ هل أصبحنا . قالت لا . ثم تركها ساعةً ثم قال لها انظري فقالت نعم . قال أعوذ بالله من صباح الى النار. ثم قال "مرحباً بالموت مرحباً بزائرٍ جاء على فاقة لا افلح من ندم . اللهمَّ انك تعلم أني لم أحبَّ البقاء في الدنيا لجري الأنهار وغرس الاشجار ولكن لمكابدة الليل الطويل وظما المواجر (٦) في الحرّ الشديد ومزاحمة العلماء بالرُكب في مجالس الذكر" وتوفي سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

ستأتي البقية

(١) أتان (٢) السهم المنكسر (٣) اخطأ الرامي الغرض ولم يسمع غيرهُ من حابي
(٤) مثل لعدم العودة (٥) قبر (٦) جمع هاجرة وهي الظهيرة

ماضي الاحياء ومستقبلها

في السماء نجوم لا عديد لها واكثرها عوالم كلٌ منها يكبر ارضنا الوفاً من المرات بل نسبة الارض اليها نسبة عزبة صغيرة فيها عشرون او ثلاثون بيتاً الى مدينة كبيرة مثل لندن او باريس فيها مئات الوف من البيوت فهل يعقل ان تكون الارض مسكونة وتلك العوالم خالية من السكان خلقت لكي تدور في افلاكها وترى من الارض كنقطة صغيرة في كبد السماء والارض وحدها من بين كل العوالم تسكنها المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وهي اصغرها جرماً ولا تمتاز عليها بوجه من الوجوه

ثم انهُ ثبت بالادلة العلمية القاطعة ان المواد الكيماوية التي تتركب منها الاجرام السموية هي نفس المواد الكيماوية التي تتركب منها الارض اي ان طينة العوالم واحدة فعلى مَ لا تكون مسكونة كالارض بخلائق عاقلة مثلنا

لكن الاجرام السموية ليست الآن في الحالة التي فيها الارض من حيث الحرارة والبرودة والكثافة واللطافة اي لو انتقل الانسان الى المشتري او الى زحل او الى الزهرة ما استطاع السكنى فيها ساعة واحدة فان كان هناك خلائق حيةٌ عاقلة فهي ليست مثلنا في شيء

ويُعلَم بالبحث ان الارض لم تكن في عصورها الغابرة ولا تكون في العصور التالية كما هي الآن فان كانت الاجرام السموية مسكونة فالارض كانت مسكونة ايضاً لما كانت شديدة الحمو مثل بعضها وستبقى مسكونة بعد ان تصير شديدة البرودة مثل البعض الآخر

كتب العالم جفري مارتن مقالة في جريدة العلم الانكليزية بحث فيها بحثاً جديداً في ماهية الحياة واصلها فأبان اولاً ان جميع المركبات الكيماوية تنحلُّ عند حرارة وضغط معلومين وان الحرارة اللازمة لحل المواد تختلف باختلاف عدد الجواهر التي تتألف منها كلُّ دقيقة من دقائق المادة وصفة تلك الجواهر . ثم بحث في ما يكون تركيب المادة التي آخر ما تحتملهُ من الحرارة والضغط يطابق الحرارة والضغط اللذين على الارض الآن وما تكون خصائص تلك المادة واستنتج انهُ لا يستحيل على الاحياء ان تعيش والحرارة شديدة جداً كما لا يستحيل عليها ان تعيش والبرد شديد جداً . قال

اذا وضعنا مركباً كيماوياً مثل كربونات الكلس مثلاً في اسطوانة مسدودة وعرضناهُ لحرارة متزايدة وضغط مستمرّ اخذ في الانحلال عند بلوغ درجة معلومة من الحرارة . ثم اذا

زدنا الضغط توقف الانحلال وصار المركَّب يحتمل حرارة أعلى من الحرارة الاولى من غير ان ينحلّ . واذا استمررنا على زيادة الحرارة وصلنا الى درجة تتساوى عندها القوى الخارجية التي من شأنها تفريق الجواهر بعضها عن بعض والقوى الداخلية التي تربط الجواهر بعضها ببعض في الدقيقة . وبناءً على ذلك نقول انهُ اذا زادت الحرارة عن درجة معلومة فلا ضغط يمنع المادة من الانحلال التامّ مهما كان ذلك الضغط شديدًا . وهذا الضغط وهذه الحرارة نسميهما الحدّ الاقصى لانحلال المركبات

وكلما قلّ عدد الجواهر في دقيقة من دقائق الجسم المركَّب علا حدُّ الحرارة الاقصى لانحلالهِ وكلما كثر عددها انخفض هذا الحدُّ . والسبب في ذلك انهُ اذا كثر عدد الجواهر في دقيقة الجسم المركَّب ضعفت القوة التي تربطها بعضها ببعض وهذا ظاهر من انهُ كلما زاد المركب اختلاطًا سهل انحلالهُ

اذا اردنا توليد مركب مختلط مثل هذا وجب ان نختار اساسًا لنا جوهرًا لهُ ميل شديد الى التركب مع غيرهِ حتى نستطيع ان نضيف اليهِ جواهر اخرى مختلفة . والجواهر التي تضاف اليهِ يجب ان يكون فيها الفة نحوهُ وبعضها نحو البعض الآخر لتستقر على حال واحدة . وافضل العناصر المعروفة التي تصلح لان تؤخذ منها جواهر أساسية يبنى عليها ويضاف اليها انما هو الكربون . والعناصر التي لها الفة بعضها لبعض وللكربون وهي اكثر العناصر وجودًا على الارض انما هي الهيدروجين والاكسجين والنتروجين في المرتبة الاولى والكبريت والفصفور في الثانية . ولكن الفة الكربون للهدروجين والاكسجين والنتروجين ضعيفة في المواد التي تتركب منها (المواد الآلية) وحدُّ الحرارة الاقصى لانحلالها واطىءٌ حتى انها تنحل اذا اشتدت الحرارة فصارت مثل حرارة النار

ثم انهُ لما كان جذب الجواهر بعضها لبعض في هذا المركب ضعيفًا فان جذب دقائقهِ بعضها لبعض يكون ضعيفًا ايضًا وعليهِ فاما ان يكون المركب سائلاً او شبه سائل قوامهُ كقوام الجلاتين . وهذا هو البروتوبلازم اساس المادة الحية فانهُ مركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنتروجين وقليل من الكبريت والفصفور وقوامهُ مثل الهلام دائم التغير ما دامت الحياة فيهِ وحرارتهُ واحدة فاذا زادث عن حد انحلالهِ الاقصى انحل واضمحل حسب الظاهر واذا نقصت عنهُ بطل انحلالهُ فبطل عملهُ

اما سبب التغير المستمر الذي يطرأُ على الجسم الآلي فهو التغير الدائم الذي يطرأُ على الحرارة والضغط والفواعل التي تفعل في الارض من الخارج كالاشعاع والنور . وتركيب الجسم

الآلي هو بحيث يستطيع معهُ تكييف نفسهِ على حسب التغير الدائم في الاحوال المتسلطة على الارض وهذا التكييف هو ما نسميهِ بالحياة

والمرجح ان السبب في وجود اعضاء مختلفة في البروتوبلازم ذات وظائف مختلفة هو تفاوت اجزائهِ في التأثر بالمؤثرات الخارجية المتنوعة وان اختلاف الاعضاء يتمُّ بحلول دقائق النور او العناصر الثقيلة محل العناصر الخفيفة التي يتركب البروتوبلازم منها

هذا وان الحرارة والضغط على سطح الارض ليسا الآن مثلما كانا عليهِ في سالف الزمان بل المرجح ان الارض كانت شديدة الحرارة فيما مضى وانها تبرد على التوالي اي انها كانت في اوائل عمرها كتلة نار تحيط بها سحب كثيفة من البخار . وعليهِ فان وجد فيها احياءٌ حينئذٍ فلا بدَّ ان تركيبها كان يختلف عن تركيب الاحياء الموجودة فيها الآن لاختلاف حدّ الحرارة القصوى وحد الضغط الاقصى . وكلما زاد الضغط والحرارة زاد ميل الجسم الحي الى اضافة العناصر الثقيلة الى تركيبهِ وطرد العناصر الخفيفة الطيارة منهُ . فان وجد في الارض احياءٌ حين كان ضغطها وحرارتها شديدين فلا بدَّ من ان العناصر التي كانت تلك الاحياء تتركب منها تختلف كل الاختلاف عن العناصر التي تتركب منها الآن . وفي رأيي ان تركيب المادة الحية مرَّ في ادوار نشوء وارتقاء مثل معظم الاشياء ولا يزال يمرُّ فيها الى الآن وانهُ حين كانت الارض كتلة بيضاء من شدة الحرارة كانت الاحياء تختلف عما هي عليهِ الآن . وان العناصر الرئيسة التي كانت تتألف منها كانت ثقيلة غير معدنية كالسلكا والكبريت والفصفور والاكسجين فلما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تطرد الثقيلة وتحل محلها حتى صار تركيب الجسم الحي كما يرى الآن

وربَّ سائل يسأل هل يوجد بين العناصر عنصر يفعل بالاجسام الحية في الحرارة العالية ما يفعل الكربون بها في الحرارة العادية . فالجواب نعم وهذا العنصر هو السلكا واوجه الشبه بينهُ وبين الكربون ميلهُ الشديد الى التركيب والفتهُ لبعض العناصر حتى يتكون من تلك الالفة عدد عظيم من الاجسام المختلطة التركيب مثل السليكات وما يشتق منها . والفرق الجوهري بين مركبات الكربون ومركبات السلكا انما هو في الحرارة فان مركبات الكربون اقرب الى الانحلال بالحرارة العادية

ولما كانت الحرارة التي يتولد البروتوبلازم عندها من الكربون هي الحرارة التي يكون عندها اكثر مركباتهِ مع الهيدروجين والاكسجين سائلاً او شبه سائل استدللنا على ان الحرارة التي تولّد السلكا عندها مركبات غير ثابتة هي الحرارة التي تكون تلك المركبات

عندها سائلة او شبه سائلة او الحرارة البيضاء . وليس لدينا ادلة قطعية على ان الحياة لم تبدأ بمركبات الكربون بل بدات بعناصر اكثر احتمالاً للحرارة مثل السلكا والفصفور والكبريت والاكسجين ولكن يرجح ان الاحياء وجدت بكثرة في السلكا المصهورة التي كانت تغطي سطح الارض في العصور الخالية ثم لما ماتت تلك الاحياء امتزجت اجسامها بمادة الصخر المصهور المحيطة بها من غير ان تترك خلفها اثرًا يستدلُّ بهِ على وجودها

وظاهر انهُ لما اخذت الارض تبرد وصلت حرارتها الى درجة دون ما تستطيع الاحياء المكونة من السلكا البقاء عندها فماتت لجمود مادتها . والذي اراهُ ان السلكا كانت قوام الحياة في عصر من العصور السالفة ثم حلَّ الكربون محلها على كرّ الاعصر وتغير الاحوال ولم يبقَ لها اثر في اجسام الحيوانات الآن الأ حيث يراد تقوية بنائها . اما النباتات فتحتوي مقادير كثيرة منها . ومثل هذا يقال في الكبريت والفصفور فان الالبيومن يحتوي شيئاً قليلاً من الكبريت ولا يعلم احد وظيفتهُ والدماغ والاعصاب تحتوي قليلاً من الفصفور . فلما اخذت الحرارة تبرد جعل الاكسجين يحلُّ محلَّ الكبريت في الاجسام الحية والنتروجين محلَّ الفصفور

هذا ولا يكاد يعقل ان وجود الاحياء انحصر في زمان مثل الزمان الحاضر تبعاً لما فيهِ من الحرارة والضغط . وكيف يتصور ان وجود الاحياء انحصر في هذا الزمان الذي لا يعدُّ شيئاً في طولهِ بالنسبة الى الدهور الطويلة التي مرّت على الارض قبلما بردت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن والدهور التي ستمرُّ بها قبلما تهبط حرارتها الى درجة الصفر المطلق . والقول بهذا مثل القول بان الشمس والاجرام السموية والكون باسرهِ كان يدور حول الارض وانها هي مركز الخليقة كلها كما كان الفلكيون القدماء يزعمون

وهل يعقل ايضاً انهُ لا يوجد بين الالوف المؤلفة من العناصر ما يستطيع ان يكون مقرًّا للحياة سوى الكربون والهيدروجين والنتروجين والاكسجين . فاننا اذا درسنا خصائص هذه العناصر الاربعة وقابلناها بخصائص العناصر الاخرى لا نرى فيها ما يمتاز بهِ فريق عن فريق بل ان كلَّ خاصة من خصائص هذه العناصر الاربعة موجودة في العناصر الاخرى على درجة متفاوتة من القلة او الكثرة . فلماذا نقول انها هي وحدها قوام الحياة دون غيرها . اما كون الاحياء التي على الارض تتألف منها على الاكثر فربما كان ذلك صدفة واتفاقاً . فانها وجدت وفيها الصفات التي تجعلها اكثر ملاءمة من العناصر الاخرى لان تتركب الاحياء منها عند الحرارة والضغط اللذين في الارض الآن . ولكننا نعلم ان الخصائص الكيماوية تتغير كثيرًا بتغير الحرارة والضغط اللذين تتعرض العناصر لهما حتى لقد قال بعضهم انهُ يمكننا تغيير خواص

العناصر الكيماوية تحت حرارة وضغط معلومين بتغيير الاحوال الخارجية التي تكون تلك العناصر فيها . فاذا كان الامر كذلك لم يسعنا سوى الاستنتاج ان عناصر اخرى تتغير كذلك في احوال خارجية اخرى حتى يمكن ان تدخل في تركيب الاحياء مع انها لا تستطيع ذلك تحت الحرارة والضغط المعروفين الآن

وفي الفضاء ملايين الملايين من الكواكب والسيارات والاجرام المتأججة من شدة الحرارة وكثير من الشموس المظلمة التي تختلف احوالها الطبيعية عن احوال ارضنا فهل هذه كلّها خالية من المخلوقات الحية أو لا يرجح العقل ان الاحياء موجودة فيها ولكن على صور واشكال وتراكيب تختلف عن صور الاحياء الارضية واشكالها وتراكيبها

ولا يطمئن العقل الّا اذا اعتقد ان الحياة قديمة بل هي مثل الكون قدماً . وقد وجدت على الدوام في العالمين والارض في جملتها وستبقى على الدوام مهما آل اليهِ امر الارض . والبروتوبلازم الارضي نتيجة نشوء وارتقاء في دهور وعصور لا يحصى عديدها من العصور التي كانت الارض فيها كتلة نارية الى هذا اليوم . وقد تناوبت العناصر كلها في تركيبهِ فدخله البعض ثم خرج ليحلّ غيره محله . والعناصر التي تركب البروتوبلازم منها اولاً كانت اثقل من غيرها واقل تبخّراً ثم لما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تحلّ محلّ الثقيلة حتى اتخذت الاحياء صورها الحالية وتراكيبها المعروفة . وهذا التبديل بين العناصر من الثقيلة الى الخفيفة يكاد يكون تاماً الآن اي انهُ لا ينتظر ان يحدث تغيير كبير في تركيب الاحياء بعد لان العناصر التي يتركب البروتوبلازم منها من اخفّ عناصر الكون فلا يوجد اخفّ منها ليحلّ محلها . ولكن الارض لا تزال تبرد وعليهِ فان الاختلاف بين حرارة الاحياء وحرارة الارض والهواء آخذ في الزيادة على مرّ القرون فلا بدّ من ان يصعب حفظ الحياة رويداً رويداً

∴

من الشروط التي لا بدّ منها لظهور الحياة في الجسم الحي السيولة فان المادة الحية تقتضي ان تتحرك بسهولة فيجب ان تكون في سائل وهي نفسها تشبه السائل في قوامها . وكلّ الدلائل تدلّ على ان السيولة شرط لازم من شروط الحياة حتى لقد قيل ان الاحياء ظهرت اولاً في الماء ثم انتقلت منهُ الى اليابسة . ومما يؤيد ذلك ان الماء يؤلف الجانب الاكبر من تركيب الاحياء سواء كان مركباً بها او غير مركب

والغرض من كون الاحياء سائلة او شبه سائلة ظاهر من درس طبائعها الكيماوية فانها

مركبة من جواهر مختلفة دائمة التغير . ومن اهم شروط الحياة التغير ولا يتمّ هذا التغير في الجسم الحيّ لمقاومة انحلاله الدائم الاَّ بواسطة جسم سائل او شبه سائل . فاذا كانت الاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط تمنع وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل لم يمكن وجود الحياة فيها كما نعرفها الآن

وعليهِ يجب ان يكون تركيب الاحياء مطابقاً للاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط الى حدّ ان تبقى تلك الاحياء دائمة السيولة . ويظهر لنا من مراجعة تاريخ الارض ان تلك الاحوال كانت تختلف عما هي عليهِ الآن . فقد اتى على الارض حين من الدهر كانت فيهِ كتلة نار ولم يكن القمر قد انفصل عنها بعد فاخذت تبرد حتى نقصت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن ولا تزال تبرد ولا بدّ ان يأتي يوم ينخفض فيهِ معدَّل حرارتها من ١٥ درجة بميزان سنتغراد الى الصفر فعشر درجات تحت الصفر فئة فاوطأ من ذلك الى درجة يجمد الهيدروجين عندها

وحرارة الارض الآن اعلى قليلاً من الحرارة التي يتحول ماء الارض كلهُ عندها جليداً وقد ابتدأ دور التجمد حتى ان مساحات واسعة من سطح الارض جمد الماء فيها الى الابد وستمتد على مرّ الزمن حتى يجيء زمان تتحول فيهِ البحار والاوقيانوسات جليداً من سطحها الى قعرها فيظهر الماء للانسان المستقبل كأنهُ من الجوامد مثلما يظهر صخر الرخام لنا

وقد يظهر لاول وهلة ان نتيجة هذا التجمُّد العام ابادة الاحياء برمتها لانهُ اذا جمد الماء كلهُ بات من المستحيل وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل . والماء كما لا يخفى قوام الاحياء وعلى سيولتهِ تتوقف سيولتها وحركتها . ولكن درجة جمود الماء يمكن تخفيضها باضافة بعض المواد الى الماء . مثال ذلك ان الماء الملح يبقى سائلاً عند درجة الجليد . ولو كانت الاحياء آلة جامدة لا تتكيف بالمكيفات الخارجية ليئسنا من بقاء الحياة في الاعصر المقبلة حين يسودُ البرد والظلام ولكن الدلائل الكثيرة تدلّ على انها ليست آلة صماء بل تكيف نفسها بحسب الاحوال الخارجية المتغيرة . مثال ذلك اننا اذا رفعنا درجة حرارة الماء الذي يعيش فيهِ بعض الاحياء الصغيرة امكننا على مرّ الزمن ان نجعلها تعيش في حرارة لا تستطيع الاحياء التي من نوعها ان تعيش فيها ما لم تكن قد اعتادت المعيشة فيها مثلها بل تموت حالاً اذا تعرضت لها . فالمسألة الآن كيف تستطيع الاحياء ان تغير تركيبها حتى يمكنها المعيشة في درجة من البرودة اوطأ من درجة الجليد بكثير

والجواب على ذلك انهُ اذا كان لا بدّ للاحياء ان تسلم من الموت برداً فلا بدّ من ازالة

الماء منها تدريجاً واستبدالهِ بمادة اخرى تبقى سائلة في درجة يجمد الماء عندها . وتلك المادة هي الكحول فانهُ لا يجمد الاَّ عند الدرجة ١٣٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد والماء يجمد عند درجة الصفر . ثم ان الكحول اقرب المواد الى الماء في خصائصهِ الكيماوية والطبيعية بل هو ماءٌ يحلُّ محلَّ جوهرٍ من جوهري الهيدروجين اللذين فيهِ مادة اخرى. ثم ان الكحول يتمم وظائف كثيرة من وظائف الماء ولهُ علاقة بالمواد الآلية مثلهُ ولكن تلك العلاقة اضعف كثيراً من علاقة الماء بها وهو نتيجة اختمار الاحياء الدنيا ويكثر وجودهُ في النباتات والاثمار الناضجة المختمرة . فليس غريباً والحالة هذه ان يدخل في تركيب المواد الحية اكثر مما يدخل في تركيبها الآن ويحلّ محلّ الماء فيها على مر الزمان لاسيما وان بعض الاحياء الدنيا تولد الكحول في اجسامها . فاذا هبطت الحرارة الى تحت درجة الجليد لم يؤثر ذلك فيها لان الكحول يحلُّ محلَّ مائها

ومن المشهور ان سكان المناطق الباردة يشربون الكحول اكثر من سكان المناطق الحارة واذا برد انسان تراهُ يطلب الكحول ويشربهُ كأنهُ ينقاد بالغريزة اليهِ وعليهِ فلا بدَّ من ان هذا الميل الى الكحول يزيد كلما بردت الارض

ولا اسهل عليَّ من ان اتصوَّر الانسان يشرب الماء القراح اولاً ثم الماء ممزوجاً بقليل من الكحول كما يفعل الآن ثم يزيد الكحول ويقلل الماء بزيادة البرد على مر الدهور حتى يأتي زمان يشرب الكحول فيهِ صرفاً . وكلما زاد شربهُ للكحول زاد مقدار الكحول المذخور في جسمهِ وقل مقدار الماء حتى يحل الكحول محل الماء تماماً كما حل الاكسجين والنتروجين والكربون والهيدروجين محل الكبريت والفصفور والسلكا فيهِ او يبقى من الماء اثر قليل في الجسم كما بقي فيهِ اثر قليل من الكبريت

اذاً أفليس ما يرى في الانسان الآن من الميل الى الاقلال من شرب الماء القراح والاكثار من شرب المشروبات الكحولية في البلدان الباردة طلائع الدور الجديد الذي بدأ الكحول فيهِ يحلُّ محلَّ الماء من جسم الانسان . وقد يحتمل ان سائلاً آخر غير الكحول يحلُّ محلَّ الماء كالزيت الذي يوجد بكثرة في اجسام الاسماك السابحة في البحور الباردة . وسواءٌ حلَّ الكحول او الزيت او غيرهما محل الماء فمن المؤكد الذي لاريب فيهِ انهُ اذا كان لا بدَّ من بقاء الاحياء في حرارة اوطأ كثيراً من حرارة سطح الارض الآن فلا بدَّ من ان يزول الماء من اجسامها ويحلَّ محلهُ سائل آخر لا يسهل تجميدهُ مثلهُ

عدد سكان العواصم الكبرى

اسم المدينة	المملكة	عدد سكانها	بحسب تعداد سنة
لندن	انكلترا	٦ ٥٨١ ٣٧١	١٩٠١
نيويورك	اميركا	٣ ٨٣٣ ٩٩٩	١٩٠٠
باريس	فرنسا	٢ ٧١٤ ٠٦٨	١٩٠١
برلين	المانيا	١ ٨٨٤ ١٥١	١٩٠٠
شيكاغو	اميركا	١ ٦٩٨ ٥٧٥	١٩٠٠
ڤينا	النمسا	١ ٦٣٥ ٦٤٧	١٩٠١
كنتون	الصين	١ ٦٠٠ ٠٠٠	تقديراً
طوكيو	اليابان	١ ٥٠٧ ٦٤٢	١٩٠٠
فيلادلفيا	اميركا	١ ٢٩٣ ٦٩٧	١٩٠٠
بطرس برج	روسيا	١ ٢٤٨ ٦٤٣	١٩٠٠
القسطنطينية	تركيا	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٠١
بكين	الصين	١ ٠٠٠ ٠٠٠	تقديراً
موسكو	روسيا	٩٨٨ ٦١٤	١٨٩٧
بونس ايرس	الارجنتين	٩٠٠ ٠٠٠	١٩٠٠
بمباي	الهند	٧٧٦ ٨٤٣	١٩٠٠
غلاسكو	سكتلندا	٧٦٠ ٤٢٣	١٩٠١
بودابست	المجر	٧٣٢ ٣٢٢	١٩٠١
همبرج	المانيا	٧٠٥ ٧٣٨	١٩٠٠
لفربول	انكلترا	٦٨٥ ٢٧٦	١٩٠١
ريوجناريو	برازيل	٦٧٤ ٩٧٢	١٩٠٠
وارسو	روسيا	٦٣٨ ٢٠٩	١٨٩٧
سنت لويس	اميركا	٥٧٥ ٢٣٨	١٩٠٠
القاهرة	مصر	٥٧٠ ٠٦٢	١٨٩٧

جزاء سِنِمّار

تليان وزوجتهُ

" غداً يقتلونني أفلستَ الاَّ نذلاً جباناً "

هذا ما كتبتهُ الى عشيقها امرأة بديعة الجمال بعد ان غلبها اليأس واشتدَّ بها الجزع وهي في السجن وقد قضي عليها بالموت . هذه هي تريزيا ابنة الكونت كباروس رجلٍ فرنسوي الاصل اسباني المولد . كانت في سجن " لافورس " في باريس مع من طُرح فيهِ من الابرياء في عهد الجمهورية الاولى (١٧٩٤) وهم ينتظرون القتل علناً بقلوب واجفة . وكان موعد قتلهم في غد اليوم الذي كتبت فيهِ ما كتبت وذلك في اليوم التاسع من شهر ترميدور[١] في السنة الثانية من الجمهورية الاولى

وكانت قد تزوجت قبل الثورة مركيز دي فونتناي وسكنا بوردو . ففي الثورة قُبض عليهما وطرحا في السجن بتهمة ان لهما علاقة بالاشراف والاعيان وانهما كانا ينويان الفرار الى اسبانيا

وكان زمام الامر حينئذٍ بيد روبسبيير وانصارهِ ولهم احدى وعشرون الف لجنة من لجان الثورة بثَّت العيون والارصاد والجواسيس في جميع انحاء فرنسا يأمرون و ينهون بما لم يبلغ اليهِ حَول ملك فرنسوي ولا تجاوزهُ طول طاغية روماني في اكثر ايام رومية بؤساً واشدها ظلماً . فكانوا يحكمون الاحكام الجائرة وينفذونها ولا رادع لهم ولا رقيب عليهم حتى امتلأت السجون بالابرياء من الرجال والنساء

غير ان ما خصَّت بهِ هذه المرأة من الحسن الرائع والجمال البارع حال دون انزال البلاء بها وبزوجها فانها امتلكت لبَّ شاب من اكبر زعماء الثورة اسمهُ تليان كان قد أُرسل من باريس الى بوردو ليستأصل شأفة الملكية منها فبات وهو الآمر الذي لا يردُّ لهُ امر لايستطيع ان يُردَّ لها اشارة . وكان قد رآها قبل ذلك باربع سنوات وهو عامل في احدى مطابع باريس فافتتن بها . والآن اصبح الرجل الوحيد الذي يستطيع ان ينقذها من الموت فانقذها هي وزوجها

وتليان هذا اشتهر بالهجوم على قصر التويلري وكان من اشدّ زعماء الثورة بطشاً واعظمهم فتكاً اتى بهِ بونابرت معهُ الى مصر بعد انتهاء الثورة فجاء القاهرة وقضى مدة فيها يحرّر الجريدة

(١) الشهر الحادي عشر في روزنامة الجمهورية اولهُ ١٩ يوليو وآخرهُ ١٨ اغسطس واليوم التاسع منهُ اي ٢٧ يوليو مشهور لان روبسبيير احد كبار زعماء الثورة قتل فيهِ

الرسمية الفرنسوية المسماة "دكاد اجبسيان" ثم عزلهُ الجنرال منو. وكان وضيع الاصل ضعيف النسب صغير النفس مثل اكثر زعماء الثورة فلم يكن في معاملتهِ لها اكبر نفساً ولا اكثر مروءة وابوّة مما طبع عليهِ. فصاحبها في بوردو كارهة ثم تزوجها في باريس مكرهة. ولما اكمل ما انتدب اليهِ في بوردو اخذها معهُ الى باريس. فنظر روبسبيير وغيرهُ من زملائهِ اليهِ والى علاقتهِ بها نظرة الشبهة والايجاس لانها من الاشراف تخافوا ان ينقلب عليهم فقبضوا عليها ثانية والقوها في سجن "لافورس" المذكور آنفاً وحكموا عليها بالقتل فكتبت الى تليان حينئذٍ تستثيرهُ للدفاع عنها قائلة "غداً يقتلونني افلست الاّ نذلاً جباناً"

اما تليان فلم يكن الرجل الجبان الذي يصبر على الضيم والاذى ويقعد عن خلاص محبوبتهِ ولكن ما هي حيلتهُ فقد ضحى نفسهُ في سبيلها المرة الاولى وكاد يفقد ثقة اصحابهِ بهِ اكراماً لها ولم يحفظ لهُ مكانتهُ عندهم الاّ ما كان يظهرهُ من الغيرة الشديدة على الثورة ومبادئها. فلم يجرأ على الانتصار لها هذه المرة ايضاً علماً بان ذلك لا يجديهِ نفعاً بل ربما اودى بهِ وبها معاً

ولكنهُ لم ييأس ولم يقنط بل سعى سعياً مستمراً لعلهُ يستطيع الى انقاذها سبيلاً. وكانت امهُ بوابة في منزل بشارع "لابرل" وبجانب السجن منزل فيهِ بوابة أُخرى صديقة لامهِ فكان يدخل المنزل كل يوم سرًّا فيرى من احدى نوافذهِ الامراة التي كانت شغلهُ الشاغل ويكلمها تارة بالاشارة وطوراً بالكتابة. ولم يكن يدري بموعد اعدامها حتى جاءتهُ هذه الرقعة منها فهاج وماج وارغى وازبد واقسم لينقذنها او يموت

ومهما كانت عيوب تليان ونقائصهُ فانهُ كان شجاعاً بطلاً اذا اثير ثار كأنهُ اسد رئبال فرأى ان السبيل الوحيد الى نجاة خليلتهِ قلب الهيئة المتربعة في دست الاحكام حينئذٍ واثارة ثورة وسط ثورة وتسليط فوضى على فوضى والقذف بروبسبيير وانصارهِ من حالق. ففكر في ذلك ملياً وعقد العزم عليهِ مع ما يحف بهِ من الاهوال والمخاطر. ولم يرعهُ الاقدام على هذه الثورة سعياً في تخليص امرأة فاما ان يخلصها او يقتل معها

∴

جاء صباح التاسع من شهر ترميدور وهو اليوم الملقب "يوم اللّهب" وأُعدت المركبات لنقل المحكوم عليهم بالقتل وعدتهم ستة وثلاثون نفساً ووقف الجلاّد ومساعدوهُ في "ميدان الثورة" يشحذون آلات الذبح للساعة العصيبة. وعقدت الجمعية الوطنية برئاسة روبسبيير لتسمع ما يقولهُ هو وغيرهُ من الزعماء ولكن اعضاءها لم يبدوا من الارتياح ما جرت عادتهم بهِ قبلاً كأنهم ملّوا تلك الحال وكأنهم يرومون الخلاص منها فلا يلزم لذلك سوى عزمة من عازم او

كلمة من قائل حتى يلتفوا حوله فتنقلب آمال روبسبيير واتباعه احلاماً وتذهب مساعيهم ضياعاً
ولم تعدم الجمعية رجلاً يعزم تلك العزمة ويقول تلك الكلمة — رجلاً تمرّس بجميع فظائع روبسبيير ورجاله ومحارمهم وجزاراً ترك بوردو سابحة في بحر من الدماء . فلما أزفت الساعة لقتل الابرياء وازدحم الموقف بجماهير المشاهدين وثب تليان وهيئتهُ واشاراتهُ كمن أصيب بمسّ من الجنون وصاح برجال الجمعية الوطنية ان ينهضوا من غفلتهم ويقاوموا جماعة العتاة الغاشمين الذين اغتصبوا السلطة من ايديهم وصيروا الجمعية الوطنية في حال من الرقّ والاستعباد لا يُصبَر عليها وتركوا الجمهورية تسبح في سيل من دماء الابرياء

قال المؤرخ "لنوتر" يصف تليان في تلك الساعة ما يأتي

"وقف وعيناه تقدحان شرراً وصدره يجيش غيظاً ويغلي غمراً فصُعِق سامعوه لما رأوا من اقدامهِ وما سمعوا من فصاحتهِ ثم بعث فيهم روح عزم وشجاعة فصيَّر جمعيتهم التي كانت كأنها جثة من الغراء لاحياة فيها ولا شعور ولا حراك جسماً حياً فيهِ العظم والعصب . ولما أمسك روبسبيير من خناقهِ وجذبهُ الى الارض من مجلسهِ لم تمدّ يدٌ لا يقافهِ عند حدّهِ ولم يعلُ صوت للاعتراض على فعلتهِ . فهو قد خلّص الجمهورية وفرنسا بل العالم اجمع من غير ان يقصد ذلك او يدري بهِ . ولقد نال مأربهُ اقدم على ثورة لينقذ من الموت تلك التي احبَّها"

فانتهى بذلك حكم الارهاب الذي ساد البلاد وكان شعارهُ اراقة الدماء ففتحت السجون وأطلق منها سراح المسجونين المظلومين فلم تقلّ المركبات احداً الى ساحة الاعدام بعد ولا شحذت آلة الذبح لتضريب الاعناق وازهاق الارواح الاّ حين سيق روبسبيير وعشرون من انصارهِ بعد ايام قليلة الى حيث احتزت رقابهم وختم حكم الارهاب بدمائهم

وعظم شأن تليان بعد هذه الحادثة فصار سيّد فرنسا وقائدها وخدمها اجلّ خدمة في الشؤون العسكرية والملكية معاً . وكان من اعمالهِ انهُ صار حامي بونابرت حتى لقد قيل انهُ لولاهُ ما استطاع بونابرت ان يتوج رأسهُ بتاج فرنسا

على ان السعد لم يخدمهُ طويلاً بعد ذلك نعم انهُ كان راضياً بحالتهِ سعيداً بالحصول على اجمل نساء باريس ولكنها هي لم تكن راضية بذلك لانها اعتادت عيشة النعمة والترف مع زوجها الاول وتليان لم يكن موسراً ولو شاء لكانت لهُ زروع وأنعم وثروة طائلة مثل غيرهِ من زعماء الثورة الذين عرفوا كيف تُغتنَم الفرص ولكن اباء نفسهِ حال دون جمعهِ للمال بالوسائط الدنيئة وكان يحسب نفسهُ اغنى الناس واسعدهم بحبيبتهِ والناس يحسبونهُ كذلك

ولما لم يبق امامهُ مطمح يطمح بابصارهِ اليهِ ولا مطمع يمني نفسهُ بهِ وكل ما يشتهيهِ عندهُ

عزم على اعتزال مناصب الحكومة والسكنى في منزل بسيط بعيداً عن الهموم والمشاغل لكن ابنة الكونت وزوجة المركيز لم يرضها شظف العيش . فقد كانت ناعمة البال مجبورة الخاطر ايام كان تليان يقيم الحفلات ويولم الولائم فيؤمُّ دارهُ كل ذي وجاهة وذات دلال ليسجدوا امامها — ايام كانت زوجة بطل ترميدور وسيد فرنسا . اما الآن وقد اعتزل الشؤُون العمومية وانزوى في منزل حقير انزواء الراهب العابد في ديرهِ او الناسك الزاهد في منسكهِ فلم يطب لها المقام معهُ بعد ذلك بل تاقت الى عيشتها السالفة وحنَّت الى منزلها الاول

وفي ذات يوم افتقدها فلم يجدها . وبيان الخبر ان صديقاً من اصدقائهِ الاغنياء بنى قصراً بديعاً في شارع مجاور لمنزلهِ ودعاها لزيارتهِ فسحرت بما رأتهُ فيهِ وصاحت وقد عرتهُ الدهشة " ما اجمل هذا القصر — هنا السعادة والهناء المقيم " فأجابها صاحبهُ " ما دام الامر كذلك فدونكِ مفتاحه " وكان هذا الحديث المقتضب بدء الفصل الثالث من رواية حياة هذه المرأة التي كانت مركيزة دي فونتناي فصارت مدام تليان والآن سمت نفسها باسمها وهي فتاة قبلما تتزوج اي — تريزيا كباروس . وكانت لم تتجاوز الثلاثين من سنها وعادت لا تهتم بتليان الاَّ لتطلقهُ باسرع ما يمكن

***

وبدأ الفصل الرابع من رواية حياتها سنة ١٨٠٥ عند ما تزوجت برنس دي كرمان . وكان لها اربعة اولاد من تليان صبيٌّ وثلاث بنات ولكنها كانت تبذل الجهد في نسيان ما مضى ولم تلتقِ بتليان بعد ذلك سوى مرة واحدة وذاك ان ابنتهما البكر واسمها ترميدور كانت مخطوبة للكونت دي ناربون بليه . فازف يوم زواجهما وكان لا بدَّ من حضور تليان لامضاء عقد الزواج على كره من اصحاب العرس . فحضر وامضى العقد ببساطة لا يشينها شين وهو الرجل الذي امضى قبل ذلك بعدة سنوات عقد زواج زوجين لولاهُ لم يصيرا امبراطورين (نابوليون وجوزفين)

ولما انتهى العقد تنازلت التي كانت زوجتهُ ودعتهُ لركوب مركبتها حتى الشانزاليزه بجوار منزلهِ الحقير فقبل دعوتها وركبا معاً آخر مرة في الشوارع التي طالما ضجت بصدى الهتاف والابتهاج لرجل جعل لترميدور شأناً في التاريخ لا ينسى وقضى قضاء مبرماً على حكم الارهاب والاستبداد

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٢٠ نشرت جرائد باريس خبراً موجزاً تنعي فيهِ المسيو تليان وتقول انهُ مات فقيراً مدقعاً في منزل حقير وكاد يتضور جوعاً قبل موتهِ لولا ان الملك عيَّن لهُ مرتباً طفيفاً من جيبهِ الخاص جزاء مساعدتهِ لهُ على خلع اخيهِ

السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقيين صروف الدهر فانقرضوا واندثرت معهم مدنيتهم الغريبة وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رحال بجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم المعمور في ايامهم عظمة وثروة وقوة اثارًا طوامس واطلالاً دوارس

ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء ومآثرهم الشماء لم تمت . فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبقَ لنا نحن السوريين شيء يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوهُ من درجات المجد والسعد قليلة جدًّا بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر . غير انهم خلفوا لنا مزية لانقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثار المنافع . فقد اموا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبثوا روح المدنية . ولو كان افتتاح كولمبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوهُ وحرثوا اراضيهُ واستثمروا خيراتهِ واستخرجوا معادنهُ وعمروا مدائنهُ ونظموا هيئتهُ الاجتماعية

عرف عامة السوريين منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلادًا جديدة تسمى اميركا ، وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من المحقَّق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحائها وان مئات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطنًا لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولَّدت روحًا جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة لجاذبها . ولما تحققوا بالخبر ما سمعوهُ بالخبر ارسلوا يطلبون عيالهم وانسباءهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكتهم المسلوكة فكثر عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يفتحون ابواب الرزق ويكتسبون المال . فمنهم مَن

جعل هذه البلاد وطناً لهُ ومنهم من رجع الى سورية فحسَّن املاكهُ بما اخذهُ من المال او ابتاع بها املاكاً جديدة او نفدت دراهمهُ لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية

وقدوم السوريين الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا نرى سفينة قادمة الى هذه البلاد الاَّ وفيها عدد كبير من مهاجريهم . اما عدد السوريين في المهاجر كلّها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدَّر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفاً منهم . ولقد سأَلت حضرة الكاتب الاديب نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى عن عدد السوريين في المهاجر كلها فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفاً ٦٠ الفاً في الولايات المتحدة و ٥٠ الفاً في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفاً في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في اوستراليا وبعض الجزائر والباقون في افريقية والهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودُّون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمةً في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة

البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والاوسع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارتهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهادهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نفَّر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعمالهم عما كانت عليهِ قبلاً

ولما كثر عدد المهاجرين واختبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومتاجرهم وصنائعهم اقتصروا على الاتجار بالاقمشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحريرية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

وربح بائع الكشة يقدر سنويًّا بنحو ٥٠٠ ريال واذا كان عدد الباعة خمسين الفاً كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ريال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قلَّ عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فتحولت انظار كثيرين منهم الى مجاراة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بمعيشة صاحب

الكشة والتجول في البراري والقفار ومقاساة آلام الحرّ والبرد الوانًا فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحريرية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكابرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملكت فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيرًا عن سكان البلاد الاصليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظرًا لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة

ومنهم عمال المعامل والطرق والاسواق والمناجم وهم قليلون لا يرجى منهم نفع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلال جدًا بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيرًا لمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجانًا لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانًا تملكه اياها شرعيًا بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذوو ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولهم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطون في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق وانخر بضائع فرنسا وايطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة والعمران

ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصولاً تثني فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتفننهم في اساليب التجارة . ولا غرو فان بيننا منهم من يفتخر بذكرهم ويعطر اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عمومًا والسجّاد التركي والعجمي خصوصًا . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاَّتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤمها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحًا للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شباننا الادباء ان هذه المهنة اشرف المهن واجزلها ربحًا فان تجارتها محصورة مع اكابر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانهُ كلما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحهُ

ومنهم ارباب الجرائد والاطباء. وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثماني جرائد وهي كوكب اميركا اقدم جريدة عربية في العالم الجديد والهدى ومرآة الغرب والصخرة والمحيط والاقبال والراوي والمهاجر. وهي تدخل الممالك العثمانية ما عدا الثلاث الاولى لانها حرَّة ولقد كانت حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها. واما اليوم فحالتها سارَّة واقوالها مفيدة. وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الاَّ انها ماتت لقلة مكاسبها وفي نية بعض ادبائنا انشاء جرائد جديدة

وبين نزالتنا جماعة من ارباب الاقلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم ما زالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية. ولذا تراهم يفضلون المراكز الماديَّة على المراكز الادبيَّة فصار اكثرهم تجارًا وكانت النتيجة حرمان الامة السوريَّة من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية. وثانياً فساد بعض عمَّال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤون والاحوال

هذا شول بغداد المهجور الفسيح الارجاء. وهذه بادية الشام واراضي باشان. وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة. فلو ساد في اطرافها الامن ووجهت الدولة اليها انظارها ووهبتها لفلاحي البلاد ليحرثوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادباؤهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ولكنهم ظلوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً. فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شرقيون. فاذا زارهم اميركي عاملوهُ كما يعاملهُ ابن بلادهِ وما زار اميركي سوريًّا الاَّ خرج مادحاً ما لقيهُ من حسن ضيافتهِ ورقة اخلاقهِ ومتعجباً كيف ان هذا الشرقي الحديث العهد في بلادهِ جاراهُ في مصطلحاتهِ وباراهُ في عوائدهِ وكاد يسبقهُ في اتقانها

وقد افتتح السوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية. فاذا جاء قادم من الشرق ومرَّ على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيويورك خال نفسهُ في سورية

اما الالقاب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً. فكل من الكاتب والشاعر والاديب

والطبيب والوجيه والرئيس والزعيم يلقب بالافندي والشيخ ما زال شيخًا والامير ما برح اميرًا اما الذين ولدوا في هذه البلاد الجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على معاشر السوريين حتى ان معدهم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعلومة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاهية بالتمدن وزاهرة بالحضارة والعمران . فلولا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغهُ من التقدم والارتقاء. ولولا اختلاط الشعوب المنحطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدودًا من العصور المظلمة بالجهالة والتقهقر. فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيرًا الآن. هذا جبل كسروان فلولا اميركا لظلت مساكنهُ اكواخًا واهلوهُ يقاسون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فلولا اميركا لما كثرت دورهُ الفخيمة وتحسنت املاكهُ واراضيهِ وتساوى فقيرهُ بغنيهِ . وهذا وادي التيم فلولا اميركا لبقي فقيرهُ مدوسًا فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم محسوبًا من اصاغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشًا في السنة واكثر فامسى الآن خمسة غروش للتجار وثماني او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل القلمون وغيرهِ من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض اهاليها الى اميركا. فان حالتهم كانت كحالة اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم. واما اليوم فقد تحسنت شؤونهم وتوفرت اموالهم

وارتفاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على ان اميركا اكثرت ثروة القطر السوري الى حدٍ لم يحلم بهِ احد من اجدادنا. ومن اين رأس مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ. وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

بل بالاختلاط والاقتداء . فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاتلون كل ظالم مكابر بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسهُ وسمت مطالبهُ وتشددت عزائمهُ وحلقت ابصارهُ الى طلب المعالي

الفائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلادهِ الداخلية افقدتهُ نشاطهُ لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الانحطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليهِ روح النشاط فقرنهُ بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد وتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

الفائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اقبح العوائد في القطر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالفلاح والصانع والعامل والخادم ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عندهُ هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لا غير . فكل من هؤلاء اذا قيض لهُ ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنتهِ ولو اضطرهُ اقلالهُ الى التسوُّل ظناً منهُ ان العمل عار عليهِ . والوجيه او المثري او الكبير الذي ساعدتهُ الايام ليكون كبيراً بوجاهتهِ او بمالهِ او بنفوذهِ او برجالهِ اذا عاندهُ التوفيق وسطا عليهِ الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعماً بان هذا التنازل يحط من قدرهِ ومقامهِ وشرفهِ

واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاَّب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقداً ان "كل عمل محلل شريف" وانهُ ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كثار لحصاد مزروعاتهم فاذاعوا انهم يدفعون اجرة اليوم من ريالين الى ثلاثة ريالات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عاراً او اهانة كما يتوهم ابناء سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقتهِ . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا تراهم يتقلبون في الاعمال كلما سنحت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تماماً ولكننا نقول بالاجمال

انهُ سيكون مجيدًا للاسباب الآتية وهي

اولاً . اتساع ثروتهم

ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بتحسينها ومجاراة الاميركيين

ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنهُ في البحث الرابع من هذه المقالة

رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الآيلة لخيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسن والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات

خامساً . اهتمامهم بتهذيب ابنائهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم

سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بتحسينها وتقدمها واكثارها ونشرها للمواضيع المفيدة

سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولهم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على مَن يريد المجيء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم والعيون . فان كان ذا مرضٍ معديٍ وكانت عيناهُ ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معهُ مقدارًا قليلاً من المال ينفقهُ قبل شروعهِ في العمل

الثالثة . ان يكون اقرارهُ في ادارة المهاجرة في نيويورك كاقرارهِ في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة . والاقرار هو سؤَالات تطرح على القادم المهاجر في الكمبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسؤَالات هي كما يأتي

(١) الى اين تقصد الذهاب

(٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة

(٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم

(٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك

(٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امرأتهُ واولادهُ فالكمبانية

تنصحهُ ان يكون اقرارهُ انهُ اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح لهُ بالدخول اذا كان متزوجاً وقد ترك عائلتهُ في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امراة غير مصحوبة ببعلها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضاً

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملقى في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الاَّ الذي عضهُ الفقر وتعود الدأب والتعب . فكل مَن تعود الترف والراحة الجسديَّة في بلادهِ وكان فقيراً فننصح لهُ ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجديهِ نفعاً

السادسة . ان يحسب انهُ اذا كان دخلهُ الشهري في سورية ٢٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفيهِ عاماً في بلادهِ نفقةً لا يكفيهِ في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجهل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشة وقد سبق الكلام عن اشكال الاتعاب التي يقاسيها صاحب هذه الحرفة

الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيرًا ما دمرت الدور والمساكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرُها الحديدية وسائر الآلات التجارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء واماتت العباد . وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسببت طوفاناً في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقاً وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة آنفاً . فكثيرًا ما يتغير الطقس في النهار من حرّ شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغيُّر السريع عللاً صدريَّة واضرارًا صحية مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية ونقاوة هوائها وترتيب فصولها وطيب مائها

التاسعة . انهُ اذا تحسنت شؤُون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

الولايات المتحدة — يوسف جرجس زخم الريشاني

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

ذكرنا في الجزء الماضي استيلاء ابرهيم باشا على قلعة عكاء وانهزام الجيوش العثمانية امامهُ في واقعة حمص نقلاً عن الدكتور ميخائيل مشاقه الذي رأى تلك الواقعة مرأى العين وكان لهُ شأن فيها . وها نحن متمون اخبار ابرهيم باشا نقلاً عنهُ قال :—

اقام ابرهيم باشا في حمص يوماً واحداً . ويوم الاثنين عاشر صفر سنة ١٢٤٨ خرج بالعساكر في طريق حلب وقبلما وصل اليها التقى بحسين باشا قادماً لمقاتلتهِ ومعهُ اربعون الفاً من العساكر فانكسر حسين باشا وبقي ابرهيم باشا سائراً الى حلب ففتحت لهُ ابوابها فرتَّب امورها وارسل والياً الى ايالة اورفه وسار نحو بلاد الترك واستولى على ايالة ادنه بغير حرب لان البلاد كلها خافتهُ . وسار الى قونية فهرب محافظوها ودخلها بعسكرهِ ولم يكن قد بقي معهُ سوى اثني عشر الفاً لانهُ ترك بعضهم للمحافظة على البلاد التي فتحها وفتك الهواء الاصفر بالبعض الآخر . وبلغهُ حينئذٍ ان الصدر الاعظم وصل الى قرب قونية ومعهُ مئة وخمسون الفاً من الجنود بالمدافع والمهمات الحربية الكثيرة فخرج اليهِ بعساكرهِ القليلة وهي بقيادة سليمان باشا الفرنسوي فالتقى الجيشان ونشب القتال وكان الصدر الاعظم راكباً جوادهُ يجول بين العساكر يحرضهم ويشجعهم وكان الضباب كثيفاً والدخان منتشراً يعمي الابصار ورأى ابرهيم باشا كثرة عدد خصومهِ وعدد رجالهِ فيئس من النجاة ووقف لا يدري ماذا يعمل ومرَّ بهِ سليمان باشا الفرنسوي وهو على تلك الحال فقال لهُ اراك تجهل ابواب الحرب ولا تفرق بين الغالب والمغلوب فان نظام خصمنا قد اختلَّ وستدور الدائرة عليهِ قريباً واما نحن فلم يزل ترتيب جنودنا على ما يرام فتشجع ولا تخف لاني اعتقد ان عسكرنا هذا القليل يكفي لقهر خصمنا ولو كان ضعفي ما هو

فاشتدت عزيمة ابرهيم باشا وزاد تحريضهُ لرجالهِ . وبقي الصدر الاعظم يجول بين عساكرهِ في مقدمتهم ولشدة الضباب دخل بين الجنود المصرية وهو لا يدري فاحاطوا بهِ وقبضوا عليهِ واتوا بهِ الى ابرهيم باشا فقام للقائهِ واستقبلهُ بالاحترام اللائق برتبتهِ ونودي في الجيوش التركية ان الصدر الاعظم أُخذ اسيراً فاختلَّ نظامهم وار كنوا الى الهزيمة تاركين ما معهم من ميرة وذخيرة للمصريين

اما ابرهيم باشا فسار ومعهُ الصدر الاعظم الى قونية ثم بعث بهِ الى الاسكندرية وارسل بشائر انتصارهِ الى جميع البلاد الشامية وبلاد الترك التي فتحها . ولما استراح عسكرهُ نهض بهِ قاصداً ايالة كوتاهية فهرب حكامها من وجههِ ولم يبقَ من يعارضهُ لان الرعب ملأ القلوب فدخل كوتاهية من غير مقاومة وجعل فرسان المنادي يسيرون الى مدينة ازمير فلا يجدون من يعارضهم مع انها كانت لاتزال في حكم الدولة

وحينئذٍ بعث سفير انكلترا وسفير فرنسا الى ابرهيم باشا ليقف عن التقدم حتى يأتيهُ امر من والدهِ لان الدول الاوربية كانت قد توسطت في ازالة الخلاف من بينهِ وبين الباب العالي فوقف الى ان قرَّ القرار على ان يبقى لمحمد علي ايالات صيدا وطرابلس والشام وحلب وادنه ويعود ابرهيم باشا بجنودهِ الى سورية

وحضر شريف باشا الى دمشق حكمداراً على بلاد الشام من حلب الى غزة وهو من اقرباء محمد علي وكان على جانب كبير من الذكاء والانصاف الاَّ انهُ كان صارماً جداً لا يشفق على مذنب ولا يرحم مسترحماً فامات كثيرين بضرب السياط فالذي يستحق ذنبهُ الضرب عشرين سوطاً يضربهُ خمس مئة سوط وكان عندهُ للضرب رجل مصري اسمهُ علي يفتخر بانهُ يجلد الانسان على رجليهِ اربع جلدات فيخرج الدم منهما وقد شاهدتهُ يجلد انساناً أُغمي عليهِ والدم ينزف من رجليهِ . لكن شريف باشا كان عادلاً صادقاً في كلامهِ ومواعيدهِ فرتب الولاية والمجالس على احسن حال وجعل لها مجلس استئناف في دمشق لاستئناف الاحكام واطلق الحرية التامة للقضاة ليحكموا كما يتراءى لهم وترفع الاحكام الى حنا بك بحري فينظر فيها ويعلق عليها ما يبدو لهُ من الملاحظات ويردها الى المجلس فاذا رأى اعضاؤهُ ان بحري بك مصيب عملوا برأيهِ والاَّ دارت المناقشة بينهم وبينهُ الى ان ينجلي الحق ويعمل بهِ

وفرض ابرهيم باشا على الرعايا مالاً سنوياً سُمّيَ اعانةً وهو يختلف حسب غنى الانسان وفقرهِ من خمس مئة غرش في السنة الى خمسة عشر غرشاً حتى يكون المتوسط مئة غرش فاكثر وكان الريال العمود حينئذٍ بخمسة عشر غرشاً فاستثقل الناس ذلك من مسلمين ونصارى ولا سيما سكان القرى الذين يدفعون الاموال عن اراضيهم واغراسهم ومواشيهم ونحلهم وعسلهم وزاد على النصارى منهم مال جزية رقابهم كاهالي حاصبيا فوقع الامير سعد الدين في ارتباك عظيم لانهُ لا يستطيع ان يخالف اولياء الامر ولا يرى ان الرعايا قادرون على دفع ما فرض عليهم فامرني بالنزول الى دمشق ومعي ورق ابيض عليهِ ختمهُ لكي اكتب عليهِ باسمهِ ما اراهُ لازماً فاتيت دمشق وكان كاتب مجلس الشورى يميل اليَّ وبيننا قرابة

وصداقة فقدمت كتاباً من الامير سعد الدين الى شريف باشا يقول فيهِ انهُ ارسلني وكيلاً عنهُ لترتيب اعانة بلاد حاصبيا في مجلس الشورى . فاحال شريف باشا هذا الكتاب الى المجلس فاخذتهُ الى الكاتب فوعدني بانجاز طلبي حالاً فقلت لهُ ارجو ان يؤخر الى ما بعد غيرهِ وجعلت احرك وكلاء البلاد للشكوى من ثقل هذه الاعانة فكتبوا يشكون ويسترحمون

ونجح المعلم بطرس كرامة في تنزيل فئة الاعانة عن اهالي لبنان الى خمسين غرشاً وجعل عدد الرجال المكلفين اربعين الفاً لا غير مستثنياً الامراء والمشايخ وايمة الدين من مشايخ المسلمين وخطبائهم ومطارنة النصارى وخوارنتهم ورهبانهم ومشايخ العقل عند الدروز وخلواتيتهم وخطبائهم فكانت جملة الاعانة المفروضة على اهالي لبنان اربعة آلاف كيس وفرضت الاعانات على سائر البلاد على هذه النسبة وكان البقاع اقلها وهو ٣٥ غرشاً على المكلَّف وحينئذٍ اجتهدت في تقليل اعانة حاصبيا فجعلتها ٣٠ غرشاً على المكلف واما دمشق فلم يحسن اهاليها التصرُّف في ترتيب فئتها فجعلت ١١٠ غروش وبلغ المفروض عليها اكثر من اربعة آلاف كيس سنوياً. واكثر اهاليها من الصنَّاع الفقراء فوقع عليهم ضنك شديد لان الاغنياء الذين فُرض عليهم مبلغ كبير قليلون جداً

ثم شرعت الحكومة المصرية تمنع الامراء والمشايخ من الاستقلال في حكم بلادهم وجعلتهم مأمورين من قبلها برواتب معلومة لا تساوي عشر ما كانوا يجمعونهُ من بلادهم ثم صارت تعزلهم منها وتولي غيرهم لكن الامير بشيراً استصدر امراً من محمد علي باشا الى شريف باشا ليتركهُ مستقلاً في امارة لبنان فاستثقل شريف باشا ذلك ولبث يتحين الفرص لنزع هذا الامتياز من الامير بشير . فنزع اولاً استقلال الامراء الحرافشة في بلاد بعلبك ورتَّب لهم معاشاً وفعل مثل ذلك بامراء حاصبيا وراشيا وذلك سنة ١٢٥٠ فصممتُ حينئذٍ على سكن دمشق فحضرت اليها وسكنتُ فيها وكنت الاحظ اشغال الامير سعد الدين عند الحكومة وفي مجلس الشورى وعندي ختمهُ على ورق ابيض

ولما تمادى المصريون في تغيير عادات العشائر وفرْض الاموال الطائلة على الاهالي نفرت القلوب منهم وصار سكان البلاد يتمنون رجوع حكم الاتراك وجاهر بعضهم بالعصيان فاضطر المصريون ان يكثروا عساكرهم لمنع الثورات واول من عصا طائفة النصيرية في جبال اللاذقية فأرسلت الجنود من لبنان وحاصبيا وراشيا لتأديبهم فقهرتهم اولاً ودخلت جبالهم وامتلكت اماكن كثيرة فيها ثم تغلبوا عليها وقتلوا كثيرين منها فعادت الى اللاذقية لكن جاءتهم نجدات قوية فاخمدوا ثورة الثائرين

ثم شرعت الحكومة المصرية في اخذ العساكر من الاهالي وكانت لا تراعي نظاماً مخصوصاً ولا تجنّد الجنود الى اجل معين وذلك جعل الشبان يهربون من وجهها الاَّ مسلمي لبنان ودروزهُ فان الامير بشيرًا امر ان لا يجنَّد احد منهم الاَّ باختيارهِ فلم ينزح منهم احد واما في المدن الكبيرة كدمشق فان الجنود كانت تجول في الشوارع وتقبض على كل الشبان الذين تجدهم وكل مَن وُجد منهم صحيح الجسم ادخلوهُ العسكرية ولو كان وحيدًا لوالديهِ بل ولو كان لهُ اخ في العسكرية ولم يبقَ في بيت ابيهِ غيرهُ

واستثقل اهالي نابلس وطأة الحكومة فجاهروا بالعصيان وهم ابطال مجربون فقام اليهم ابرهيم باشا بعساكرهِ فحاربوهُ وضايقوهُ وكادوا يقبضون عليهِ وبلغ خبرهُ اباهُ في مصر فحضر بنفسهِ الى يافا لكن ابرهيم باشا نجا منهم ثم اغراهم بالطاعة وقبض على كبرائهم وقطع رؤوسهم

وسنة ١٢٥٣ عصى دروز جبل حوران بسبب المغارم الكثيرة فبعث شريف باشا ٤٥٠ من فرسان الهوارة عليهم ظانًّا انهم يكفون لتأديبهم لكنهم بيتوا الهوارة وذبحوهم الاَّ القليل منهم وغنموا خيلهم واسلحتهم . وطار الخبر الى شريف باشا فارسل عليهم ستة آلاف من الفرسان والمشاة . اما الدروز فانهم تحالفوا مع عرب السلوط ولجأوا الى اللجاة بعيالهم وهي عسرة المسالك جدًّا طولها عشرون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور والشقوق يتعذر على الغريب السلوك فيها فدارت الدائرة على الجنود المصرية ولاسيما بعد ان جاء الشيخ شبلي العريان لمساعدة الدروز وكانت الدواب ترسل من دمشق بالميرة وتعود بالجرحى حتى دعت الحال الى مجيء الدكتور كلوت بك الفرنسوي من مصر ومعهُ بعض الاطباء لكثرة الجرحى

واخيرًا قام شريف باشا وذهب الى اللجاة بنفسهِ ومعهُ جيش كبير فانهزم الدروز من امامهِ اولاً حتى اذا توسط اللجاة في مكان عسر المسالك عادوا عليهِ وقام الذين كانوا كامنين لهُ وراء الصخور واطبقوا على عسكرهِ وذبحوهُ ذبح الغنم وفاز شريف باشا بالفرار ولكن قتل اكثر الذين كانوا معهُ واستولى الدروز على اسلحتهم وامتعتهم واشتدت عزائم الدروز وكثرت جموعهم بمن كان ينضم اليهم وصاروا يرسلون سرية وراء سرية للقبض على الميرة الواردة الى الجيش المصري بطريق عكاء

وبلغ ابرهيم باشا ما حلَّ بجنودهِ من الدروز وكان في حلب فاتى دمشق وجهز جيشاً كبيرًا وسار لقتالهم فلم ينل منهم مأربًا لان جنودهُ كانوا يخافونهم فانتقل الى سهل تسهل الحركة فيهِ على الجيوش المنظمة وبعث فرسان الاكراد امامهُ وسار في اثرهم ببقية الجيش حتى اذا بلغ الاكراد ارض دامه اطبق عليهم الدروز وكسروهم شر كسرة فدافع عنهم ابرهيم باشا بالجنود النظامية

وكان الرعب متمكناً من قلوب جنوده كما تقدم فانهزموا امام الدروز وجدَّ الدروز وراءهم وسدُّوا عليهم الطرق ولم يتمكن ابرهيم باشا من الخروج من اللجاة الاَّ بعد عناء شديد وخسارة كبيرة فعمد الى منع الماء عنهم وكانوا يشربون من مياه في لحف اللجاة فعزم على دس السم فيها وطلب من كلوت بك ان يذيب السليماني حتى يصبهُ لهم في الماء فابى كلوت بك ان يفعل ما امرهُ بهِ قائلاً ان صناعتي لاتجيز لي ذلك لا سيما وان الذين يشربون من الماء ليسوا الرجال فقط بل النساء والاطفال ايضاً . فقال لهُ ابرهيم باشا اني لا اخدعهم بل اخبرهم بما فعلت فاصرَّ كلوت بك على انهُ لايفعل ذلك. وكان في العسكر المصري غير كلوت بك من العارفين بفن الكيمياء فالزمهم ابرهيم باشا باذابة السليماني واشترى كل ما وجدهُ منهُ في اسواق دمشق فاذابوهُ وصبوهُ في الماء الذي يستقي منهُ الدروز فمات بعضهم عطشاً واضطروا ان يتركوا اللجاة ويمضوا الى بلاد راشيا وعرقوب حاصبيا . وكان في راشيا طابور من العسكر المصري في سراي الامير افندي فحاصروهُ واضطروهُ الى التسليم والرجوع الى دمشق ثم تبعوهُ في الطريق وذبحوهُ عن آخرهِ وبلغ ابرهيم باشا ذلك فكتب الى الامير بشير ان يرسل ابنهُ الامير خليلاً الى حاصبيا ومعهُ ثلاثة آلاف من اللبنانيين فرساناً ومشاة ونهض هو من دمشق بالعساكر قاصداً راشيا عن طريق الديماس حتى اذا بلغ وادي بكا التقى بالشيخ ناصر الدين العماد قادماً من لبنان بالف رجل من دروزه لمساعدة الدروز في راشيا فنشب القتال بين الفريقين وكان الشيخ ناصر الدين من الابطال المعدودين ولكن اصيب برصاصة فخرَّ قتيلاً والتجأ رجالهُ الى ربوة كثيرة الصخور والادغال ولا ماء فيها فاحاط بهم العسكر المصري فاصلوهُ ناراً حامية الى ان فرغ بارودهم واستمرَّ العسكر يطلق الرصاص عليهم الى ان افناهم ٠ قال ابرهيم باشا في كتاب بعث بهِ الى شريف باشا انهُ رأى منهم رجلاً واحداً فاز بالنجاة لانهُ لم يصعد الربوة معهم اما انا فبلغني من اهالي بنطا المجاورة لمكان الواقعة انهُ نجا منهم اربعون نفساً والظاهر ان ابرهيم باشا لم يرَ غير الذي اخبر عنهُ

وبلغ الدروز في راشيا قدوم ابرهيم باشا عليهم فهربوا الى ارض جنعم من بلاد حاصبيا بالقرب من قرية شبعا . وشرقي جنعم جبل الشيخ وغربيها الجبل الوسطاني وهو عسر المرتقى يفصل حاصبيا وبعض قراها عن جنعم والتفَّ عليهم كثيرون من دروز حاصبيا وبلادها وبلاد راشيا واقليم البلاَّن واتاهم شبلي العريان من اللجاة فارسل ابرهيم باشا الى الامير خليل ليوافيهُ برجالهِ الى جنعم ولما التقى بالدروز اصلاهم ناراً حامية الى ان دارت الدائرة عليهم واستأمنوا وارسلوا اليهِ الشيخ حسن البيطار من عقّال راشيا يلتمس لهم الامان وكانت عباءتهُ مخرَّقة من الرصاص وكان ابرهيم باشا

يعرفهُ ويسرُّ بكلامهِ فقال لهُ ألم تزل حيًّا فقال انظر ما في عباءتي من خروق الرصاص والباري سبحانهُ لم يسمح بقتلي فان شئتهُ انت فانا بين يديك . فقال لهُ انا لا اشاء قتل احد ولكن قومك يسعون في قتل انفسهم . فقال الشيخ انهم انتبهوا الآن من غفلتهم وارسلوني اطلب لهم العفو والامان . فقال ابرهيم باشا ذلك لهم على شرط ان يسلموني سلاحهم . فقال الشيخ انهم خاضعون يفعلون كل ما تأمرهم بهِ فاصدر امرك بمرسوم الامان وليتوجه معي مأمور لكي نجمع السلاح ونسلمهُ لهُ . فكتب المرسوم وذهب المأمور فاعطوهُ السلاح وعندهم غيرهُ

ونهبت خلوات البياضة في هذه الحوادث وهي للدروز بمثابة الاديرة للنصارى (واستطرد المؤلف هنا الى ذكر عقائد الدروز والى حادثة البادري توما الذي قتل في دمشق واتهم اليهود بقتلهِ وغير ذلك من الحوادث التي ليس لها شأن كبير في تاريخ ابرهيم باشا) الى ان كانت سنة ١٢٥٥ فارسل السلطان محمود جيشاً كبيرًا لمحاربة ابرهيم باشا واخراجهِ من سورية فمضى ابرهيم باشا الى حلب وجمع عساكرهُ والتقى بالجيش التركي وانتصر عليهِ ووجد بين اوراق السرعسكر فرمان الولاية على الشام لعلي اغا كاتب الخزينة

وكان شريف باشا والي الشام ناقماً على علي آغا هذا لانهُ كان وجيهاً عند ابرهيم باشا وكان ابرهيم باشا ينزل في دارهِ كما جاء دمشق ويسرُّ بمسامرتهِ ونوادرهِ . وحضر علي آغا حرب نابلس التي اشتدَّ فيها الضيق على ابرهيم باشا واظهر حينئذٍ من الشجاعة والبسالة ما رفع منزلتهُ عند ابرهيم باشا ثم سار معهُ لمقابلة محمد علي باشا لما جاء الى يافا . وكان يخدم الحكومة المصرية مجاناً لم يقبل وظيفة ولا انتفع بشيءٍ وعرض عليهِ ابرهيم باشا وظائف تليق بهِ فاعتذر عن قبولها . وقال لهُ ابرهيم باشا في مجلس شراب الى متى اعرض عليك الوظائف وانت تأباها فقال علي آغا اني اخدمك في كل ما تريد الاَّ الوظائف المرتبة فاني لا اقبلها. وكان حاضرًا حسن بك الكحالة الدمشقي متسلم القدس فقال لهُ اما خدمت في اللاذقية متسلماً ثم صرت متسلماً في حماه . فاغتاظ ابرهيم باشا منهُ وقال لهُ هل الوزراء الذين خدمتهم اعظم مني . فقال كلا ولكنهم ما كانوا يسألون عن تصرفي واما دولة مصر فتعاقب خادمها اذا تناول هدية ولو ديكاً فتحبسهُ ويحضر القبطي يكتب جورنال الدعوى بعينين مزورَّتين ويلحظني شزرًا كأني قاتل اباهُ ويقول قرَّر فلان وقرَّر فلان وتكون الدعوى على ديك او جرزة بقل فلا اجعل نفسي لاجلهما اسيرًا وخير لي ان ابقى حرًّا اقبل هدية الثور والجمل ولا احد يسألني. فقال لهُ ابرهيم باشا اني ارتب لك راتباً يكفيك ويرضيك فلا يبقى لك عذر ولا حاجة الى الهدايا . فاجابهُ ان الباري تعالى عندما خلق السموات والارض خلق الاسماك في البحار

والحيوانات في البر والطيور في الجو وجعل جنة فيها من الاشجار انواع شتى من كل ما تشتهيهِ الانفس ثم استحسن ان يخلق حضرة ابينا آدم فخلقهُ على صورتهِ في غاية الكمال وافاض عليهِ روح النبوَّة وجعلهُ حاكماً على جميع مخلوقاتهِ من البهائم والاسماك والطيور والاشجار والاعشاب لا يزاحمهُ فيها انسان آخر واختص الله لذاتهِ شجرة واحدة ونهى آدم عنها فعصا واكل منها وهو نبي. فمهما اعطيتني لا تقدران تعطيني ما اعطاهُ الله لآدم وانا ابنهُ فلا بدَّ وان يكون طبعي مثل طبعهِ ولا اقف عند نهيك فتعاقبني فخيرٌ لي ان ابقى خارجاً عن وظائف الحكومة.

فسرَّ ابرهيم باشا بهذا الجواب واقتنع بهِ. لكن لما رأى فرمان التولية لهُ من الباب العالي امر بتوقيفهِ في محل بدار الحكومة. وكان شريف باشا كارهاً لهُ كما تقدَّم فعمل مجلساً لاثبات تهم اتهمهُ بها. وكان علي آغا يبرهن على براءتهِ منها وكنت اقف على كل ما يقال في الجلسات من الامير محمود حفيد الامير بشير فانهُ كان يحضرها بامر شريف باشا ولم يذكروا لهُ فرمان الولاية ولا هو كان عالماً بهِ (كما ثبت لي بعدئذٍ من علي بك ابن خليل باشا الذي حضر دمشق والياً عليها فانهُ اخبرني ان اباهُ سعى في الحصول على فرمان الولاية لعلي آغا من غير ان يخبرهُ بذلك). لكن براءتهُ وتبرئتهُ نفسهُ لم تجدياهُ نفعاً. فقطعوا رأسهُ امام سراي الحكومة في الصباح وتركوهُ مطروحاً الى آخر النهار ليراهُ الناس وكان عمرهُ سبعين سنة لكنهُ كان كابن خمسين. وكان يوماً عبوساً على اهالي دمشق من مسلمين ونصارى ويهود لان علي آغا كان محبوباً مكرَّماً عند الجميع ولم يكن احد يظن ان تكون لهُ هذه الخاتمة من يد المصريين لانهُ كان محباً لابرهيم باشا مخلصاً الولاء لهُ

ثم ان الامراء بيت الحرفوش اصحاب بعلبك كانوا حكامها منذ قرون كثيرة فلما اخرجهم ابرهيم باشا من حكمها رتّب لهم رواتب لا تقوم بمعيشتهم فشقوا عصا الطاعة وكان الامير جواد الحرفوش اعلاهم مقاماً واشدهم بأساً لكنهُ ملَّ من الفرار امام رجال الحكومة فالتجأ الى الامير بشير واستأمن اليهِ فامَّنهُ ووعدهُ بالسعي لهُ لدى الحكومة للعفو عنهُ وكتب الى شريف باشا فاتاهُ الجواب بان يرسل الامير جواداً واتباعهُ الى دمشق. ولما وصل الى دمشق قطع رأسهُ وطرحهُ امام باب السراي. فهذه الاعمال المَّت الامير بشيراً واضعفت ثقتهُ بالمصريين وصار ينتظر زوال نعمتهِ عن يدهم كما ازالوا نعمة غيرهِ. (ويظهر من حوادث كثيرة ذكرها الدكتور مشاقه في عرض كلامهِ ان ابرهيم باشا كان اعدل من شريف باشا وارأف منهُ جداً فكان يعفو عن القاتل والعاصي اذا طلبا العفو وذكرا سبباً معقولاً للقتل او للعصيان. مثال ذلك ان الامير بشيراً والامير خليلاً الشهابيين اخوي الامير سعد الدين

صاحب حاصبيا قتلا الامير بشيرًا والامير عليًّا بديعه بعد رجوع ابرهيم باشا من حاصبيا وكانا قد استأمنا اليهِ فامَّنهما . فامر بتوقيف الامير سعد الدين عند الامير بشير في لبنان وفرَّ القاتلان من وجه الحكومة واختفيا مدة . واتَّفق ان حسين الطرابلسي من متوالة بلاد بشارة وهو رجل مشهور بالشجاعة ولهُ احد عشر ولدًا وكلهم من الشبان الاشداء وكان يقطع الطرق ويعتدي على ابناء السبيل بالسلب والنهب التقى بالامير خليل احد الاخوين القاتلين فاطلق عليهِ الرصاص واخطأهُ فهجم عليهِ الامير خليل برجالهِ وقبضوا عليهِ ونزعوا سلاحهُ وشدُّوا وثاقهُ وسلموهُ لمحمد آغا سويدان حاكم حاصبيا وأُرسل الخبر الى ابرهيم باشا فقال يا سبحان الله ان القتلة الهاربين من وجه الحكومة يمسك احدهم الآخر ويسلمهُ للحكومة . فقال لهُ احد الحضور ان المقبوض عليهِ كان يقتل طمعًا بسلب الاموال واما القابض فقتل قاتل اخيهِ أخذًا بثارهِ وفرَّ خوفًا من سطوة الحكومة ولم يسلب راحة الرعية ولا اتعب الحكومة ثم اظهر ولاءهُ لها في هذه الحادثة . فقال ابرهيم باشا لا ريب عندي في ولاء الامراء الشهابيين ولكن اخذهم تأرهم بيدهم لما يشين ولا سيما لانهم خفروا ذمتي ومع ذلك فقد عفوت عنهم لصدق خدمتهم وامر باطلاق الامير سعد الدين وتأمين اخويهِ وصرف معاشاتهم وشنق حسين الطرابلسي فشنقوهُ في حاصبيا ثم ارجع حكومة حاصبيا وراشيا الى الامراء الشهابيين

ومن هذا القبيل ان شبلي العريان البطل المشهور الذي قاوم ابرهيم باشا اشد مقاومة في حوران وحاصبيا واستأمن ثم خان عاد وطلب الامان وسلم سلاحهُ لابرهيم باشا والقى نفسهُ بين يديهِ فعفا عنهُ واحضرهُ معهُ الى دمشق وردَّ لهُ سلاحهُ وعقد لهُ على ثلاث مئة فارس

وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وخلفهُ ابنهُ السلطان عبد المجيد وكثرت القلاقل في بلاد الشام بسبب المغارم التي فرضتها الحكومة المصرية على الاهالي مع انها انصفتهم بعضهم مع بعض ولم تكن تأخذ منهم غير ما فرضتهُ عليهم وكانت تهتم بالمنافع العمومية فتدفع نفقاتها من غير ان تكلفهم شيئًا . مثال ذلك ان المياه القذرة كانت تنصبُّ من بعض احياء دمشق وتجتمع في خندق خلف السور جهة باب شرقي ويفوح منها روائح كريهة على البيوت المجاورة واكثر سكانها من النصارى واذا جفَّت في الصيف نزعها اصحاب البساتين ونقلوها الى بساتينهم فتجتمع اقذار غيرها ويمكن صرفها في نهر عقربا الذي لا يستعمل الا للري لانهُ يحمل اقذارًا كثيرة من دمشق ولكن لا يمكن جرُّها اليهِ الا اذا مرَّت في اراضي وقف المجذومين فالتمس اهالي المحلة من ابرهيم باشا ان يأذن لهم في صرف تلك الاقذار في نهر عقربا على نفقاتهم فكتب الى شريف باشا لكي يبحث في طلبهم بمعرفة المهندسين ويرى مقدار النفقات اللازمة لهُ ولما

ثبت له ان الضرر حاصل وانهُ يمكن صرف الاقذار في نهر عقربا امر بعمل كل ما يلزم لذلك على نفقات الحكومة قائلاً انهُ من المنافع العمومية التي يجب ان تتحمل الحكومة نفقاتها لانها مكلفة بدفع الضرر عن الرعية

ومنها ان الجزارين رفعوا سعر اللحم حتى صار ثمنهُ فاحشاً فامر ابرهيم باشا مجلس الشورى ان يبتاع الغنم ويعين من يذبحهُ ويبيعهُ بثمن معتدل ولما رأى ان الجزارين لم يرعوا امر ان يترك لهم الربح الكافي وتؤخذ منهم الزيادة وتنفق في المصالح العمومية فارتدعوا

الاَّ ان ثقل الضرائب وانقطاع ارزاق ابناء العشائر ومساعي الاتراك والاوربيين حملت اهالي سورية على شق عصا الطاعة فجاهروا بالعصيان وفازوا باخراج ابرهيم باشا من بلادهم كما سيجيء

الشيخ محمد عبده

سيرتهُ ومآثرهُ

نشرت جريدة المنار ترجمة مسهبة للشيخ محمد عبده ووعدت بنشر كتاب مطوَّل جمعت فيهِ اثارهُ ومآثرهُ وما كتب عنهُ . واجتمع كثيرون من تلامذتهِ واصدقائهِ ومريديهِ في الاربعين من وفاتهِ وتلوا خطباً وقصائد في سيرتهِ ومآثرهِ في الجامع الازهر ومجلس الشورى ومحاكم القضاء والبلاد الاسلامية عامةً فكثرت لدينا المواد فوق ما نعرفهُ بالخُبْر من امر الفقيد فاقتطفنا منها ما يأتي :

ولد سنة ١٢٦٦ للهجرة من ابوين متوسطي الحال ووالدهُ من بلدة محلة نصر في مديرية البحيرة وينتمي بيت والدهِ الى بني عدي من العرب وقال انهم من ذرية عمر بن الخطاب . وقد سمعنا من الفقيد انهُ من العرب الذين هاجروا من بلاد المغرب الى القطر المصري وقال صاحب المنار انهُ نشأ كما ينشأ امثالهُ من ابناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة الاَّ بعد ان جاوز العاشرة من سنهِ وقد كتب عن مبدإ تعلمهِ وتأدبهِ ما نصهُ

" تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليهِ وحدي جميع القرآن اول مرة ثم اعدت القراءة حتى أتممت حفظهُ جميعهُ في مدة سنتين ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا الحافظ ظناً منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من اثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني

والدي الى طنطا حيث كان اخي لامي الشيخ مجاهد رحمهُ الله لأجوّد القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائهِ بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

" ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الاجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفاً لا افهم شيئاً لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية او فقهية لانفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فادركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة اشهر ثم عثر عليَّ اخي فاخذني الى المسجد الاحمدي واراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت لهُ : قد أيقنت ان لانجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليَّ الاَّ ان اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من اقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليهِ فاخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا اعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

" فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقتهُ في الازهر وهو الاثر الذي يجدهُ خمسة وتسعون في المئة ممن لايساعدهم القدر بصحبة من لايلتزمون هذا السبيل في التعليم — سبيل القاء المعلم ما يعرفهُ او ما لا يعرفهُ بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعدادهِ للفهم . غير ان الاغلب من الطلبة الذين لايفهمون تغشهم انفسهم فيظنون انهم فهموا شيئاً فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال وهم في احلام الاطفال ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عندهُ داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينهُ وبين نفع الناس بعلمهِ

"بعد ان تزوجت باربعين يوماً جاءني والدي ضحوة نهار والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ووجدت فرساً أُحضر فركبتهُ واصحبني والدي باحد اقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (ايتاي البارود) التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء تحصب الوجه بشبه الرمضاء فلم استطع الاستمرار في السير فقلت لصاحبي اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بدَّ من التعريج على قرية انتظر فيها ان يخف الحر فابى عليَّ ذلك فتركتهُ واجريت الفرس هارباً من مشادتهِ وقلت اني ذاهب الى (كنيّسة ادرين) — بلدة غالب سكانها من خوؤلة ابي — وقد فرح بي

شبان القرية لانني كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح واملوا أن أُقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبهِ . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وارادني على السفر فقلت لهُ خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوماً تحولت فيها حالتي " وبدلت فيها رغبة غير رغبتي "

" ذلك ان أحد اخوال أبي واسمهُ الشيخ درويش سبقت لهُ اسفار الى صحراء ليبيا ووصل في اسفارهِ الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عندهُ شيئاً من العلم واخذ عنهُ الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمهُ ثم رجع من اسفارهِ الى قريتهِ هذه واشتغل بما يشتغل بهِ الناس من فلح الارض وكسب الرزق بالزراعة

" وان هذا الشيخ جاء في صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة وبيدهِ كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديهِ بالاطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان اقرأ لهُ فيها شيئاً لضعف بصرهِ فدفعت طلبهُ بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منهُ اشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميتهُ الى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى اخذت الكتاب وقرأت منهُ بضعة اسطر فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبهُ وتسبق الى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابهِ والحَّ عليَّ في قراءة شيء منهُ فقرأت وفسر ثم تركتهُ الى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الاول . اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ لهُ فيهِ وهو يشرح لي معاني ما اقرأ نحو ثلاث ساعات لم أَملَّ فيها فقال لي انهُ في حاجة الى الذهاب الى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منهُ ابقاء الكتاب معي فتركهُ ومضيت اقرأهُ وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأسألهُ عنها الى ان جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني الى البطالة . وعصر ذلك اليوم سألتهُ عما لم افهمهُ فابان معناهُ على عادتهِ وظهر عليهِ الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل الى الفهم

" كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من

مظاهر هذه الحياة الدنيا

" لم يأت عليّ اليوم الخامس الاّ وقد صار ابغض شيء اليّ ما كنت احبهُ من لعب ولهو ونخفخة وزهو . وعاد احب شيء اليّ ما كنت ابغضهُ من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت احب و يزهدونني في عشرة الشيخ رحمهُ اللهفكنت لا احتمل ان ارى واحداً منهم بل افر من لقائهم جميعاً كما يفر السليم من الاجرب . في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت او ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب و بغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوي الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور باننا مسلمون ناجون وان كنا في غمرة ساهين . سألتهُ ما وردكم الذي يتلى في الخلوات او عقب الصلوات . فقال لا ورد لنا سوى القرآن نقرأ بعد كل صلاة اربعة ارباع مع الفهم والتدبر : قلت انَّى لي ان افهم القرآن ولم اتعلم شيئاً قال اقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل واذا خلوت فاذكر الله : على طريقة بيَّنها . واخذت اعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض عليَّ بضعة ايام الاّ وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت اعهد واتسع لي ما كان ضيقاً وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً . وعظم عندي من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً . وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الاّ هم واحد وهو ان أكون كامل المعرفة كامل ادب النفس ولم اجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليهِ نفسي الاّ ذلك الشيخ الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد . هذا هو الاثر الذي وجدتهُ في نفسي من صحبة احد اقاربي وهو الشيخ درويش خضر من اهالي (كنيِّسة ادرين) من مديرية البحيرة . وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة وهو الذي ردَّ لي ما كان غاب من غريزتي وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي

" وفي اليوم الخامس عشر مرَّ بي احد سكان بلدتنا (محلة نصر) فاخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكنيسة فاصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتدادهِ في اللوم لانني لو كنت اقمت الف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبهُ ومطلبي لما اقتنع

" ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الاخرة من

سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنتهُ فعاقهُ الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منعهُ عن اتمام شرح الشيخ خالد على الاجرومية فادركت كلاً منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرسهُ وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لاطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه . وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت امامي شخصاً يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسي اليهِ قال لي ما معناه : ما احلى حلوى مصر البيضاء : فقلت لهُ واين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله من جد وجد : ثم انصرف فعددت ذلك القول منهُ الهاماً ساقهُ الله اليَّ ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا

" وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخهِ مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصاً كلمة لغير ضرورة . وفي اواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى (محلة نصر) لاقيم فيها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال . وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ درويشاً قد سبقني اليهِ فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فاذكر لهُ ما درست فيقول : ما درست المنطق ما درست الحساب ما درست شيئاً من مبادىء الهندسة : وهكذا وكنت اقول لهُ بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيلهِ في اي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت اخطىء في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر اواخر سنة ١٢٨٦

"وقد صاحبتهُ من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ واخذت اتلقى عنهُ بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وادعو الناس الى التلقي عنهُ كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبتهِ يتقولون عليهِ وعلينا الاقاويل ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والاخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمهُ وحكمتهُ وان اعدى اعداء العليم هو الجاهل واعدى اعداء الحكيم هو السفيه وما تقرب احد الى الله بافضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديهِ الا ما يسميهِ بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر

والشعوذة ونحوها اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس:"

هذا ما كتبهُ الفقيد عن مبدإ تربيتهِ وتعلمهِ في ترجمتهِ التي كتبها لي قبل اشتداد مرضهِ الاخير وكان قد حدثني قبل بشيء من ذلك ومنهُ انهُ لم يكن يواظب على حضور دروس من لا يفهم او لا يستفيد منهم وانهُ ربما كان يحضر درس احدهم وفي يدهِ كتاب آخر يطالع فيهِ مدة الدرس وان من شيوخهِ الذين فهم منهم واستفاد في اول تحصيلهِ الشيخ محمد البسيوني وانهُ بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين ملَّ الدروس المعتادة كأنهُ اخذ حظهُ منها وصارت نفسهُ تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنهُ حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى اعادة شيء منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بعلم المنطق فحضرهُ عليهِ ولم يكن يشفي ما في نفسهِ بل كانت تتشوق دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبتهِ فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر بهِ القطب على الشمسية ناقصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بان المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات او اشبه بالحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليهِ نفسهُ من اضطرابها ووجدت عندهُ جميع طلبتها واقصى امنيتها . واخبرني رحمهُ الله تعالى ان الذي اخبرني بقدوم السيد جمال الدين هو احد المجاورين في رواق الشوام قال لهُ انهُ جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسناً ودعاهُ الى زيارتهِ معهُ فالفياهُ يتعشى فدعاهما الى الاكل معهُ فاعتذر فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قالهُ المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب الفقيد بهِ عجباً وشغفهُ حباً

وقال حسن باشا عاصم في ترجمتهِ التي تلاها يوم تذكار الاربعين ان الفقيد "عرض نفسهُ في سنة ١٢٩٤ هـ على مجلس الامتحان طالباً شهادة العالمية من الازهر فنال الشهادة رغماً عن تشديد اكثر المشايخ عليهِ لحضورهِ على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية واما دور العمل والاصلاح فقد بدأ بهِ في اثناء الطلب . كان يقرأ دروساً في التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتباً جديدة من كتب سلفهم واسلوباً جديداً يتدفق فصاحة وبلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتى مطلع الفجر

وبعد ان صار مدرساً رسمياً زادت عنايتهُ بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عليش للفقيد لوشاية مكنتها من نفسهِ حضور الفقيد على السيد جمال الدين

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامي بواسطة الحكومة لانهُ اسرع فائدة وابنع ثمرة لو تم . وقد مهد لهُ السيد بتلاميذهِ ومريديهِ حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذي كان متصلاً بهِ قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى اوغر الوشاة صدرهُ على السيد وعلى تلميذهِ الاول ويمينهِ في العمل فنفي السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلدهِ (محله نصر) وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦ هـ

كان الفقيد قبل ذلك عين معلماً للتاريخ في مدرسة دار العلوم واللغة العربية في مدرسة الالسن يجري في التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الاصلاح والنجاح . وكان يقرأ في مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم تقرأ قبلهُ درساً في مصر وكان يسلك في تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد في علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسهِ هذا لربى رجالاً واحيا آمالاً

وفي سنة ١٢٩٧ هـ عينهُ صاحب الدولة رياض باشا محرراً في الجريدة الرسمية ثم جعلهُ رئيس التحرير فيها ورغب اليهِ في سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من احكام ذلك القانون انهُ يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على ما يراهُ منتقداً منها كما انهُ لهُ حق المراقبة على الجرائد التي تنشر في البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن احكامهِ ان ينشئ رئيس التحرير في الجريدة الرسمية قسماً ادبياً تنشر فيهِ المقالات في التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة في الاخلاق والعادات

بهذا القانون صار الفقيد كالمسيطر على عمال الحكومة والمربي للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسمية تنتقد ما تكتبهُ مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقي دروس في العربية وانشئت لذلك مدارس ليلية تبرع الفقيد بالقاء دروس في بعضها وتنتقد الاعمال حتى كان ذلك عوناً على اصلاحها لما يتوقاهُ العمال من الانتقاد والتشهير بل من المؤاخذة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس التحرير الحق في مطالبة الحكومة بالتحقيق عما تقولهُ الجرائد المحلية في عمال الحكومة فان ظهر صدق طعن في احد فعلى الحكومة ان تؤاخذهُ . وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عباراتها حتى انهُ انذر بعض الجرائد بالتعطيل اذا لم تأتِ بمحرر بارع يصحح عباراتها بعد ايام حددها ففعلت فكان وجودهُ في المطبوعات مبدأ النهضة القلمية في القطر المصري بعد ان اعدهُ السيد جمال

الدين وافراد آخرين لذلك . وقد كان من اثر انتقاده على الحكومة انشاء مجلس اعلى لنظارة المعارف هو احد اعضائهِ والغرض منهُ ترقية التربية والتعليم في البلاد

بعد ذلك جاءت الثورة فاوقفت سير هذا الاصلاح في اللغة والاعمال والآداب كما اوقفت غيره مما كانت الحكومة شرعت فيهِ بهمة رياض باشا

لذلك كان الفقيد شديد الانتقاد على العرابيين قولاً وكتابة ولكن الوشاية اتهمتهُ فحكم عليهِ بالنفي ثلاث سنين

اذا اراد الله بعبد خيراً اهلهُ للاستفادة من كل شيء ولقد كانت تربية الفقيد تحتاج في كمالها الى السياحة في الارض واختبار الامم فتمَّ لهُ ذلك بهذا النفي

ذهب الى سورية واقام فيها نحو سنة ثم سافر الى اوربا واقام نحو عشرة اشهر التقى فيها باستاذهِ وصديقهِ السيد جمال الدين على موعد واصدرا جريدة العروة الوثقى التي كان لها اعظم تأثير في العالم الاسلامي ولكن لم يطل عليها العهد اذ منع دخولها في مصر والهند وهما القطران المقصودان بها اولاً وبالذات ثم عاد الى سورية ماراً بتونس فاقام فيها عدة سنين

كان في بيروت يدرس العقائد الاسلامية في المدرسة السلطانية ويقرأ درساً في التفسير في الجامع الكبير ودرساً آخر في جامع آخر وكانت دارهُ ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف وكان يكتب في الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف اتم الاختبار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى مصر وتسابق العظماء الى الشفاعة فيهِ لدى الخديوي السابق فعفا عنهُ وامر بان يعين قاضياً في المحاكم الاهلية فلما علم بذلك استاء وسعى في ان يكون معلماً في دار العلوم قائلاً اني خلقت لان اكون معلماً لا قاضياً فلم يقبل الخديوي الاَّ ان يكون قاضياً فرضي رحمهُ الله بالقضاء وارتقى الى اعلى مرتبة فيهِ وكان فيهِ قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون اذا لم ينطبق معهُ على العدل والانصاف بل يعمد الى الصلح وكان يتوخى التربية في احكامهِ حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير

منذ اكثر من ثلاثين سنة فكر بعض عقلاء هذه الامة في طريقة لارتقاء علماء الدين الى درجة ينفعون بها العالم الاسلامي كما نفعهُ سلفهم فكان رأي البعض ان لا سبيل الى ذلك الاَّ بايجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الاخرى وكان من وراء ذلك انشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ هـ والبعض الاخر كان يرى ان اقرب الطرق للوصول الى هذا

الغرض هو اصلاح الازهر. وكان الفقيد على هذا الرأي ولذلك ما كان يجد فرصة الاَّ انتهزها لتحقيق امانيهِ حتى انهُ لما اتصل بسمو الجناب الخديوي عباس الثاني في اول ولايتهِ ونال الحظوة عنده ُ تعين عضواً في مجلس ادارة الازهر وتمكن من العمل في اصلاح التعليم والتربية الدينية فيهِ لاعتقادهِ انهُ اصلاح اسلامي عام ينتشر نوره ُ في جميع بلاد الاسلام. وفي سنة ١٣١٧ قلده ُ سمو الجناب الخديوي منصب افتاء الديار المصرية فكان بهِ لهذا المنصب الشأن العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء في العالم الاسلامي

وكان من مقتضى منصب الافتاء ان كان رحمهُ الله عضواً في مجلس الاوقاف الاعلى فكان نبراساً للمجلس يستضيء برأيهِ في تطبيق اعمالهِ على احكام الشرع الشريف وفي حل المشكلات. ومن اقتراحاتهِ المفيدة ان تشكلت لجنة تحت رئاستهِ وضعت نظاماً للمساجد لو عمل بهِ كما هو لعمرت بيوت الله وبيوت خدمتها ولكانت عوناً على احياء علوم الدين

عقب تقلدهِ منصب الافتاء عين عضواً في مجلس شورى القوانين فكان للمجلس على عهدهِ من الخدمة النافعة والاحترام ما لم يكن لهُ من قبل فقد كان عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان اهم غرض لهُ من التعب الشديد في المجلس تعويد الامة دقة البحث في امورها وتربية الراي العام فيها. ولا ننسَ من خدمتهِ للعلوم الاسلامية رئاستهُ لجمعية احياء العلوم العربية فقد أُسست هذه الجمعية في سنة ١٣١٨ لاحياء كتب سلف هذه الامة وافاضل علمائها وكانت فاتحة اعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير لهُ في موضوعهِ. وقد تولى تصحيحهُ مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وان الفضل في خدمة الشنقيطي لهذا الكتاب راجع الى فقيدنا فانهُ لولاهُ لما اقام في هذه البلاد. وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص في احياء مدون الامام مالك رضي الله عنهُ. وللفقيد من الخدمة في استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ما لولاهُ لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كلهِ

وكان يعتقد انهُ لا يرجى خير لامة الاَّ اذا دبت في افرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الاسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الأمر الذي لا يتأتى الاَّ بالتربية والتعليم. ولما كان يرى نفسهُ مخلوقة لتربية الامة وتعليمها فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية في سنة ١٣١٠ هجرية ولهُ من العمل فيها ما يجعلهُ في مقدمة اعضائها. فانهُ كان يحض الامراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسهِ اذا اقتضت الحال ذلك ويعمل كل ما في جهدهِ لارتقائها واتساع نطاقها. وكان يرى ان الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع لاجل التعاون وشعار قلوب الاغنياء

عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك في الاحتفال السنوي من كل عام"

وافاض حضرة القاضي الفاضل الشيخ احمد ابي خطوة في وصف ما عملهُ الفقيد للازهر فنقتطف منهُ ما يأتي قال

"كان شغلهُ الشاغل لاوقاتهِ الازهر واهلوهُ لعلمهِ ان في صلاحهِ صلاح المسلمين ولقد نقل عنهُ وهو بالشام انهُ لا يرتاح ولا يهدأ خاطرهُ الاَّ اذا صلح هذا المكان . وانهُ لا بدَّ ان يجهد نفسهُ ويعمل فكرهُ ويعمل في صلاحهِ وانهُ ان مات في هذا السبيل مات قرير العين . ولهذا كان دأبهُ السعي في مصلحتهِ وهو غير مكلف بهِ الاَّ من نفسهِ . فلما ان كلف بهِ من الحكومة المصرية في ١٧ رجب سنة ١٣١٢ وصدر الامر العالي بتعيينهِ عضواً في مجلس ادارة الازهر رأى انهُ سيصل الى ضالتهِ المنشودة واخذ في كل ما يرقيهِ من كل جهاتهِ . ووافقهُ وساعدهُ على ذلك بعض كبراء مشايخ الازهر واعضاء مجلس ادارتهِ خصوصاً عضدهُ وصديقهُ الشيخ عبد الكريم سلمان

ابتدأ بالبحث عن اهل الازهر وسيرهم واخلاقهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة بينهم وطرق العلم والتعليم . فعلم انهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصاً في امر معيشتهم لان اكثرهم من الفقراء الضعفاء . وليس لهم الاَّ قليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة آلاف رغيف في اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيهات مرتبات شهرية و٦٣٧ جنيهاً مرتبات سنوية وهي المعروفة بدل الكساوي وان مساكنهم عتيقة ضيقة . فرأى ان من اول الواجبات ان يتقدم الاصلاح المعنوي اصلاح الماديات فاجتهد مع من بيدهم الامر في الحكومة حتى زيد في المرتبات الشهرية المرتبة من المالية الفا جنيه في السنة ووعدوهُ بالمزيد الى عشرة آلاف جنيه متى ظهرت فائدة الاصلاح . ثم استمطر فيوضات الجناب العالي الخديو فافاض ما اوجب على الازهر بين شكر اياديهِ واصدر امرهُ الى ديوان الاوقاف بترتيب ثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة واربعة وسبعين جنيهاً في السنة وزيد في خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم هذا الخير الجهات الملحقة بالازهر كالجامع الاحمدي والدسوقي وعلماء دمياط والاسكندرية حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر وملحقاتهِ نحوَ اربعة عشر الف جنيه وسبعمائة وخمسين جنيهاً بعد ان كان فوق الاربعة الاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض اشخاص منهم وغير ما زيد في رواتب الخدم والموظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية في اليوم بخصوص الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد ان كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناهُ وذلك غير ما رتب من الجرايات للملحقات المذكورة . واما ما يتعلق بالمساكن فانهُ قد عرض امرها على الجناب

الخديوي فصدر امره بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جهتهِ الغربية ليجعل مكانها اماكن لسكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الاروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكمل هذا وذاك على احسن مثال مراعى فيهِ النظامات الصحية . ثم توجهت الفكرة الى نظافة الازهر بتمامهِ فبعد ان كان يفرش في السنة مرة واحدة صار يفرش في العام مرتين وبعد ان كان يضاء بالزيت القليل الضوء حسب العادة أمسى يضاء بمصابيح الغاز التي تكفي القارئ والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال ليلاً . وبعد ان كانت المياه المستعملة فيهِ معينة مالحة راكدة قذرة لا توجد الا بمزيد التعب والمشقة ادخلت فيهِ حنفيات شركة المياه فاصبح ماؤهُ يتجدد كل يوم نقياً صالحاً للاستعمال

كان امر الصحة في الازهر مهملاً بالمرة وكانت الامراض المعدية منتشرة فيهِ فعين لهُ طبيب يعرض عليهِ كل مَن يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب ويعالج المرضى ويراقب تنفيذ الامور الصحية وانشئت لهُ اجزاخانة بالرواق العباسي ومحل لعيادة المرضى وصرفت لهم الادوية مجاناً فاصبح ولاهلهِ عناية تامة بالصحة من انفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة المرضى لا يسعهم اشتغل رحمهُ الله في ديوان الاوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار الازهر في شارع الشنواني أُعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيهِ خصوصاً في زمن الامراض الوبائية دفعاً لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريباً ان شاء الله . وناهيك بامر صيانة نظام الضبط والربط في الازهر فقد زيد عدد خدمتهِ وملاحظيهِ بنسبة عدد المجاورين فيهِ فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات

كانت مشيخة الازهر تدار اعمالها بمنزل من يكون شيخاً لهُ يتحمل اهلهُ مشقة الذهاب والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الازهر وبين بيوت مشايخهِ . وكان لهُ كاتب واحد يجلس في الازهر حيث شاء . وكانت سلطتهُ عامة طامة . فكان من عمل المرحوم وسعيهِ ان أُنشئ في المباني الجديدة مكان للمشيخة والادارة . وتبينت كثرة الاعمال وان كاتباً واحداً لا يكفيها . فزيد في عدد الكتبة خمسة ووظف لمجلس الادارة العدد الكافي من الخدم حتى صارت الادارة ديواناً كبيراً واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع الاوقات في الذهاب الى بيوت المشايخ وتجزت الاعمال في اوقاتها

كانت المرتبات في الازهر مبعثرة مشتتة لا ضابط لها سنويَّة كانت او شهريَّة . كانت تمنح لاناس دون اخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشاً في الشهر وللكثير منهم الحرمان ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش . وكان لاولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط ولا قيد حسبما يراهُ شيخ الجامع وحدهُ فجاء نظام المرتبات الذي اشتغل بهِ الشيخ المرحوم

اول الامر ودفع كل هذه الاستئثارات فجعل العلماء درجات علم كل منهم درجتهُ ومقدار مرتبهِ فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال في المرتبات السنوية التي هي بدل الكساوي فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجتهِ وانتفع بهِ بلا حاجة الى الرجاء والاستجداء . واما اولاد العلماء فقد جعل لهم في استيلائهم على المرتبات المنحلة عن آبائهم شروطاً وقيوداً الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيهِ وبسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوهُ في انفسهم من الضعف عنهُ فحرموا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمهُ الله رثى لفقرهم وجمع لهم من اهل البر والخير صدقة واسعة ها هي مودعة في خزينة الازهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الازهر تقريباً وربما زاد

اما نظام الجرايات فكان من الهمجية بمكان لا يتصور ما هو عليهِ ولا كيف رضي بهِ اهلوهُ فلم تكن الاَّ منبع ثروة للنقباء ومشايخ الاروقة والحارات وسبباً للتخاصم والتحاسد بين اهليهِ ولذلك رأى الشيخ رحمهُ الله ان يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارتهِ وانتهى الامر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يعم جميع الاروقة والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيهِ شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة والاَّ فيرجع الى قواعد الشرع الشريف . فشكلت تحت رئاسة الاستاذ الشيخ الرافعي

وكذلك وُضع لكساوي التشريف نظام حتى لا تكون في اعطائها والحرمان منها موكولة الى رأي واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من اهل العلم كما كان جارياً من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطاً بشروط مقيداً بقيود الغرض منها ان لا تمنح الكسوة الاَّ لمن وضح نفعهُ في التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوي وبذلك انتقل الحال فيها ايضاً من الهمجية الى النظام

هذا ما وجه اليهِ المرحوم فكرتهُ من اصلاح الماديات الذي جعلهُ مقدمة لاصلاح المعنويات وبعد الفراغ منهُ وجه فكرتهُ الى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الازهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيهِ مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن وبينت علوم المقاصد بانها هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصولهُ والاخلاق الدينية وبينت الوسائل بانها هي المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم اليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان والزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بادائهِ في المقاصد وبعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم

القانون على معلمي العلوم الآلية خصوصاً علوم البلاغة ان يدربوا الطلبة على تطبيق العلم على العمل وان يتجنبوا في السنين الاربع الاول قراءة الحواشي والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الاحكام الكثيرة التي ترجع كلها الى تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلي بمحاسن الاخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصلوهُ من العلوم. وبهذا تحول الازهر من فوضى التدريس الى نوع من النظام. ولقد كانت العادة ان لا يتجاوز عدد الممتحنين من طالبي الامتحان الكثيرين عن ستة اشخاص في السنة وقد يكونون في الغالب ثلاثة اشخاص لا غير فوصل عدد الممتحنين بعد وضع هذا النظام وتنفيذه الى خمسة وتسعين في السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث وبذلك سار الامتحان في طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم في التحصيل. وكانت المدة التي يشتغل فيها الطالب في السنة قبل وضع هذا النظام في الازهر لا تزيد عن اربعة اشهر مقطعة في السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد ايام العطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثمانية اشهر

هذا ما يتعلق باصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمهُ الله بافكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ما سنح لهُ منها على مشيخة الازهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعاً بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد اساسية الى اليوم. منها ما يرجع الى كيفية تعليم المعلم. ومنها ما يبين الواجب على المشايخ في اثناء التعليم وان يكونوا قدوة للطالب في مكارم الاخلاق. ومنها ما يتعلق بسير الطالب وآدابهِ مع الاستاذ واخوانهِ من الطلبة المتعلمين معهُ. ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى في تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها الى المقاصد وتستثمر بها الحكم التي قصدها الشرع الشريف من الاحكام. واستعان مجلس الادارة بما زيد في نقود المرتبات على هذه الامنية خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانهُ خصص منها ستمائة جنيه لمعلمي تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها في الازهر معلمين كانوا قد تخرجوا في الازهر وانتقلوا الى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلموها اجانب عن هذا المكان. وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنيهاً لتعليم الخط فاصبح هذا الفن مع سابقيهِ منتشراً في الازهر بين كل الطلبة واستفاد اهلوهُ من ذلك فائدة عظيمة فاصبحوا في هذه العلوم على حال لم تكن لتنتظر منهم. فانهُ يوجد فيهِ الآن خمسة عشر عالماً يدرّسون الحساب على احسن ما يكون في تدريسهِ بالمدارس الاميرية وثلاثة يدرّسون علم تقويم البلدان وواحد يدرّس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد ادى الامتحان في الحساب والجبر العالي وتحصل على الشهادة باكمال دروسهما ومن بينهم عدد كبير تقدموا في امتحان الاساتذة بالمدارس الاميرية ومدارس الاوقاف والمدارس

الاهلية وحازوا قصب السبق فيهِ على المتخرجين من تلك المدارس واحرزوا وظائف الاساتذية فيها باستحقاق وهذه احدى النتائج الحسان التي ربما كانت لا يحلم بها ولا تخطر على البال

ولما لغط اللاغطون في ان هذه العلوم الحديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة في الازهر رأى المرحوم ان يعمل احصاء عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحان المكافآت في كل عام يقصد فيهِ تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة. فكان كذلك ووضع رحمهُ الله طريقة لهذا الاحصاء. فظهر من بعد البحث الدقيق والتحري السديد الشديد ان نسبة الناجحين في العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها اقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها. وتلي ذلك في جمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع واكابر العلماء وظهر من ذلك ظهورًا جليًّا ان العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويهِ في فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة في الازهر

وقد رأى المرحوم ان الوسيلة في تدريس كل العلوم وتلقيها هي الكتب فلذلك وجه همتهُ الى جمع ما تشتت من كتب الازهر وجعلهِ في مكان واحد (وكلامهُ عن جمع الكتب وانشاء مكتبة الازهر لا يخرج عما نشرعن هذه المكتبة في الجزء الماضي من المقتطف. ثم استطرد الى عنايتهِ بالعربية وبآداب الازهريين ومما قالهُ في هذا الصدد)

"انهُ كان يحب للازهر ان يبلغ الغاية القصوى من الكمالات العلمية والاخلاق الدينية خصوصاً في هذا الزمن الذي انتشرت فيهِ الافكار والمدنية الغربية معلماً ان الشريعة الاسلامية تنطبق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وان جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وانهُ يجب على المسلم ان يكون متحلياً بالفضائل متخلياً عن الرذائل. وكان شديد الحرص على ذلك في كل مجالسهِ ومحادثاتهِ سواء كان مع الازهريين او مع اي طبقة من طبقات الناس" الى ان قال:

"وبالجملة فان مقاصدهُ بالازهر وبالازهريين كانت خيرًا محضاً لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجههِ تعالى وابتغاء ان يترقى اهل هذا المكان المنيف الى ما يحبهُ لهم من كمال الاخلاق وعلو المكانة بين الناس. والحمد لله لم يجعل الله اتعابهُ سدًى بل قد اثمرت وهو حي وانبتت نباتاً حسناً فنجب من شبان الازهر ومن علمائهِ من يقدرون العلم حق قدرهِ ويعملون بعمل الاستاذ وفكرهِ وسيكونون ان شاء الله في المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك ان شاء الله الى من بذر هذا البزر الحسن وتعهدهُ بالتربية والتغذية"

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مؤلّفة ومؤلَّف غريب

ظهر حديثاً كتاب من قلم كاتبة انكليزية بامضاء "أيّم" اي فتاة جاوزت سن الزواج ولم تتزوج وعنوانهُ "حقيقة الرجل". وقد تضمن كثيراً من القدح والهزء بالرجال والمبالغة في وصف عيوبهم ومساوئهم ولكنهُ لم يخلُ مع ذلك من الحقائق الراهنة. وقد استشهدت فيهِ على صدق دعاويها بحقائق اوردتها من تاريخها الخصوصي. فقالت انهُ أحبها ثلاثة اميركيين وفرنسويان والماني وارلندي وسويسري وثلاثة اسكتلنديين واثنان او ثلاثة من المستعمرات ولكنها أبت ان تتزوج احداً منهم وأهدت كتابها "الى الرجل الساكن في القمر لعلهُ لا يجزيها عن المعروف بالانكار ولا يقابل الاحسان بالاساءة" وفي اعتقادها ان رجل الارض كثير الصلف والخيلاء قليل الشعور فاقد الرقة والانعطاف وكلَّما مرَّ يوم اصبحت المرأة اكثر غنىً عنهُ. الى ان قالت "أعطِ المرأة شيئاً تعيش منهُ وتلتهي بهِ وأجرِ عليها رزقاً معلوماً واختر لها نفراً من الاصدقاء الكرام تتسلى بعشرتهم وانظر حينئذٍ ان كانت لا ترضى بالعيش وتقنع بالحياة بلا زوج. وقد اخذت المرأة تتعلم بالمشاهدة والاختبار انهُ يمكنها ان تعيش ناعمة مسرورة بلا محبة الرجل لها مثلما تعيش بمحبتهِ لها. ولو كانت كثيرة الحذر من الزواج مثلهُ لما عُقد في الارض عقد زيجة"

واشدُّ ما كانت وطأتها على الرجل محباً وزوجاً وبشرتهُ بمستقبل قاتم وسقوط لا انقال لهُ عثرة بعد ما تظلُّ المرأة الحاضرة مرتقية في سلَّم القوة البدنية حتى يأتي يوم تقذف فيهِ بالرجل الى مركزهِ الحقيقي فيعلم جلية امرهِ. ثم شبهت المرأة بالكلب والرجل بالهرّ في اوصافها فقالت

"ان للمرأة معظم اوصاف الكلب وللرجل معظم اوصاف الهرّ. فان الكلب يطيع صاحبهُ طاعة عمياء ويخضع لامرهِ بلا تردُّد ولا احجام ويلحس اليد الذي تضربهُ. واما الهرُّ فحيوان

ذكيٌّ انوف لا يُكره على عملٍ ما لا يحبُّ بل يصرُّ على عمل ما يحبهُ هو وما لا يحبهُ صاحبهُ وكثيرًا ما يخدش اليد التي تلاعبهُ · فالرجل مثل الهرّ ينكر كل معروف وجميل ولا يقيم الاَّ حيث تطيب لهُ الاقامة . ومما يؤيد حجتي ولعنا نحن النساء بالهرر والاَّ فما يحملنا على الولع بها لو لم تكن تمثل الرجال "

النظافة والصحة

نظافة الجلد · اهمُّ وظائف الجلد صيانة الجسم ووقايتهُ فاليهِ تنتهي اعصاب الحسّ واللمس ومن مسامهِ تخرج بعض مفرزات الجسم فتنتظم درجة حرارتهِ · وفيهِ الغدد العرقية والغدد الزيتية او الدهنية فالاولى لحفظ حرارة الجسم على درجة واحدة والثانية لصيانة الجلد

وصحة الجلد تتوقف على بقاء عملهِ وطرح القشور الجافة منهُ واستبدالها بقشور جديدة . والسبيل الى ذلك ان يكون الطعام ملائمًا والرياضة كافية والاستحمام متواترًا · فان في سطح الجلد ما يزيد على مليونين من المسام تخرج منها بعض فضلات الجسم فاذا تبخر ماء العرق بقيت المادة السامة على سطح الجلد فاذا لم تُزَل بالاغتسال عاد الجسم فامتصَّ بعضها وسدَّ البعض الآخر مسامَّ الجلد · واذا سدَّ نصف تلك المسام عقب ذلك الموت لا محالة

وقد كان الناس في العصور الوسطى لا يغتسلون فاذا هبّت من اجسامهم رائحة خبيثة كانوا يتطيبون بالاطياب منعًا لها فكثرت بينهم الادواء والاوباء وامراض الجلد

والاوساخ التي تتراكم على سطح الجلد تسدُّ المسام كما تقدَّم وتبلي الجلد فتظهر البثور والدمامل على سطحهِ والأكثر العمل على الرئتين او الكليتين او عليها كلها معًا فتتقرَّح وتسوءُ الصحة

وكثيرًا ما تظهر البثور على الوجه والسبب في ذلك ان الناس يعنون على الغالب بنظافة وجوههم دون ابدانهم فتندفع الفضول الى الوجه لتنصرف منهُ الى الخارج

والحمَّام على نوعين او بعبارة اخص للحمام غايتان · الاولى تنظيف الجلد فقط والثانية تنظيف الجلد ومساعدتهُ على طرد الفضول الى الخارج بزيادة حرارتهِ وتفتيح مسامهِ · فلبلوغ الغاية الاولى يغتسل بماء فاتر ثم يصبُّ على الجسم ماء بارد · او يغتسل بماء بارد فقط · وطريقة الاغتسال او الاستحمام هي ان يبلّ الصدر والوجه والعنق اولاً بالماء البارد ثم ما بين الكتفين نازلاً على السلسلة الفقارية وتفرك هذه المواضع جيدًا باليدين ثم يصب الماء على البطن والوركين والظهر والذراعين والساقين وتفرك جيدًا في اثناء ذلك · ثم ينشف الجسم بمنشفة

خشنة وتلبس الملابس حالاً . ويروض الجسم بعد ذلك اما بالمشي او بغيره بحيث يحصل من الحمّام ردّ فعل

والفرك اهمّ ما في الحمّام فان الماء يليّن القشور التي تغطي الجلد والفرك يزيلها ويدفع الدم الى سطح الجلد فتسرع الدورة الدموية وينتعش الجسم . والحمّام اليومي يصيّر الجلد ناعم الملمس كالحرير على شرط ان يكون الطعام في اثناء ذلك سهل الهضم حسن الغذاء

اما تنظيف الجلد بزيادة حرارتهِ وتفتيح مسامهِ فيكون بالحمّام الحارّ والصابون . واذا أُطيل الحمّام كثيرًا أضعف الجسم . ولا بدَّ من الراحة بعده والَّا ذهب نصف فائدتهِ سدًى فلذلك يستحسن الاستحمام بالماء السخن قبل النوم . ويجب غسل الصابون جيدًا لانهُ اذا بقي على الجلد اضرَّ بهِ

ومن اهم الامور للجسم غسل المعدة اذا كانت معرَّضة للاختلال والارتباك وطريقة ذلك ان يشرب العليل كأْسًا او كأْسين من الماء السخن صباحًا قبل الطعام فتطرد المواد المخاطية المجتمعة فيها وتترك نظيفة مستعدة لقبول الطعام

الرواء . وهو ماء الوجه او ما يسميهِ الافرنج (complexion) وهو يتوقف على شفوف الجلد وصحتهِ وحالة الدم وحسن الطعام . والحمّام مجلبة لشفوف الجلد وصحتهِ ومصلح للدم على شرط ان يكون الطعام حسنًا صالحًا للتغذية

وآفات الرواء اصفرار الوجه وحبّ الصبا والنمش والكلف والتلويح او السَّفع وسبب هذا الاخير كثرة التعرض للشمس . واما الاخرى فمنها ما هو خلقي كالنمش ومنها ما سببهُ اهمال الجسم وعدم العناية بهِ . وكلما تقدم الانسان في السن ظهرت الغضون والاسارير في وجههِ وسببها كثرة تحريك الجلد في مكان دون الآخر فكثرة العبوسة وتقطيب الجبين تغضن الجلد ما بين الحاجبين . وكثرة الابتسام تحدث الاسرة فيما يلي الفم والعينين

اما اصفرار الوجه فقد يكون سببهُ بلادة في الكبد او سوء التغذية وعلاجهُ تنظيم امر الاكل والاستحمام والرياضة والتنفس العميق . وليكن الطعام خضرًا واثمارًا . وليشرب العليل كاس ليمونادة بلا سكر قبل النوم . واذا كان مصابًا بعسر الهضم ايضًا فليأْكل مرتين في اليوم فقط الاولى الساعة العاشرة صباحًا والثانية الساعة الرابعة بعد الظهر

واما الكلف فسببها اختلال في بعض وظائف الجسم مثل امتصاص الجسم لمفرزاتهِ او عدم انتظام الكبد . وعلاجها تنطيل الوجه وذلك بان توضع قطعة من الفلانلا فوق بخار الماء ثم توضع على الوجه حتى تبرد . ويكرر ذلك مرارًا ثم يغسل الوجه بماء بارد اذيب فيهِ بعض

كربونات الصودا ويدهن بزبدة غير مملحة او فازلين او زيت حلو . ودهن جوز الهند افضل الادهان لذلك

واما التلويح فيعالج بالدهن بمزيج مؤلف من زيت الزيتون وماء الكلس على نسبة واحدة

اثاث غرفة المائدة

اذا كانت غرفة المائدة متجهة الى الجنوب وفيها بساط يغلب فيهِ اللون الاخضر والازرق ومائدتها وخزائنها وكراسيها من خشب الاكاجو الاحمر وجلدها بني وجب ان تبطَّن جدرانها بورق بني لهُ حواشٍ يغلب فيها اللون الاخضر والازرق والنحاسي وان يكون لون ستائرها نحاسيًّا وان تكون آنيتها المعدنية من النحاس ويصبغ الخشب الذي فيها بلون بني . وكذا اذا كان خشب المائدة والخزائن والكراسي من الجوز . واما اذا كان الخشب من السنديان وجب ان يكون لون البساط كثير الخضرة وكذلك لون ورق الجدران او دهانها ويكون في الحواشي ازهار وردية وجلد الكراسي اخضر او زيتيًّا

العسل في البيت

كان القدماء يكثرون من اكل عسل النحل . فلما كثر السكّر ورخص ثمنهُ قلَّ استعمال العسل جدًّا وقلَّت تربية النحل ايضاً وهذا خطأ لان عسل النحل احلى من السكر واطيب منهُ طعماً واكثر منهُ نفعاً هذا من حيث كونهُ طعاماً . ولهُ فوائد اخرى فانهُ يلين الجلد اذا دهن بهِ الوجه واليدان واكثر الادهنة المستعملة لتليين الجلد قوامها العسل

تعليم الاولاد التوفير

ملكة التوفير من اهم الملكات التي يجب ان يربَّى عليها الصغار فلا بدَّ لك من ان تعطي ولدك قليلاً من النقود وتعلّمهُ ان يعرف قيمتها وذلك بان تدعهُ يصرف بعضها ويوفر بعضها فاعطهِ مثلاً غرشاً كل اسبوع واشترِ لهُ صندوقاً صغيرًا يضعهُ فيهِ ويصرف نصفهُ بشترى شيء يحبهُ او يفيدهُ ويوفر نصفهُ ومتى وفَّر عشرة غروش او عشرين غرشاً فدعهُ يضعها في صندوق التوفير في البوسطة او في بنك من بنوك التوفير . وكلما توفَّر معهُ خمسة غروش دعهُ يضعها فوقها فيصير يوفر من نفسهِ . ولكن التوفير وحدهُ لا يكفي لئلاَّ يصير بخيلاً فعلّمهُ ان يشتري ببعض ما يوفرهُ شيئاً مما يحتاج اليهِ او يدفعهُ احساناً لفقير او ثمناً لهدية يهديها الى صديق لهُ فيربى على صفتين شريفتين الاقتصاد من جهة واستعمال المال في ما يصلح استعمالهُ لهُ من جهة اخرى فلا يشب مبذرًا ولا مقترًا

قلي سمكة موسى

وصفت الجريدة الانكليزية المسماة عالمَ المرأة كيفية قلي سمكة موسى قالتْ : اغسل السمكة جيدًا واقطع رأسها وزعانفها وذنبها ولتّها بالدقيق حتى تنشف واضرب بيضة حتى تمتزج جيدًا وغطّ السمكة فيها ثم لتّها بمدقوق الخبز المحمّص واقلها قليلاً في مقلاة صغيرة كثيرة الزيت او السمن ثم صب الزيت او السمن عنها وانقلها الى مقلاة كبيرة فيها صاصة وضعها على نار خفيفة ربع ساعة ثم صبها في صحن وكلها مع الفطر او الخضر المطبوخة . والصاصة المشار اليها تصنع من الزبدة والبصل والجزر والدقيق والماء تسخن اوقية ونصف من الزبدة يضاف اليها نصف جزرة مفرومة فرمًا رفيعًا ثم بصلة صغيرة مفرومة ومتى قلي البصل وصار لونهُ اصفر ذهبيًا اضف اليهِ اوقية ونصفًا من الدقيق ثم فنجانًا كبيرًا من الماء واغلهِ جيدًا واضف اليهِ ما يكفي من الملح والبهار . ويحسن ان تضيف الى الماء نصف معلقة من مربى الطماطم



تاريخ الدولة العلية

أُهدي الينا كتاب " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " لحضرة مؤلفهِ الفاضل ابرهيم بك حليم مفتش اوقاف دمنهور . وهو يتضمن تاريخ سلاطين آل عثمان وما تمَّ على ايديهم من الفتوحات وما جرى من الحروب وما عقد من المعاهدات بينهم وبين سائر الدول واسماء معاصريهم من الملوك والامراء من عهد السلطان عثمان الاول مؤسس الدولة العثمانية الى عهد سلطانها الحالي

والكتاب كبير فيهِ نحو ٢٥٠ صفحة ومطبوع في مطبعة ديوان عموم الاوقاف . وحبذا لو عني حضرة مؤلفهِ العناية الكافية بتصحيح عبارتهِ وروايتهِ لان كتابًا مثل هذا جدير بان يكون اماماً للعثمانيين في معرفة تاريخ دولتهم

واننا نورد المثال التالي من هذا الكتاب للدلالة على قلّة ما فيهِ من الدقة في سرد الوقائع التاريخية قال

"وفي سنة ١٢٥٦ اهتم محمد علي باشا وابنهُ ابرهيم باشا بالحرب وظنا ان موت السلطان محمود وجلوس السلطان عبد المجيد يكونان سبباً لاتمام انتصاراتهما فارسلت الدولة دونانمة عظيمة الى مينا وسواحل اسكندرية واحالت ادارة ولاية مصر موقتاً على محمد باشا عزت فاستولت الدونانمة على قلاع جونيه وصيدا وسوريا وانتصرت عساكر الدولة برّاً على ابراهيم باشا. فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك اهالي ومشايخ جبل لبنان والشيخ احمد بك شيخ العربان ثم استولت عساكر الدولة على قلاع صيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص . اما من جهة الدول فان انكلترا واوستريا والروسيا وبروسيا قطعوا العلاقات مع محمد علي باشا بل ان انكلترا اظهرت المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد علي باشا مرة اخرى تم الصلح على ما هو معلوم فبناء عليهِ عادت دونانمة الدولة السابق تسليمها الى محمد علي باشا الى الاستانة كما كانت"

فليقابل القارئ ذلك بما هو معلوم من حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام ومساعدة الدول الاوربية للدولة العلية كما سنبينهُ في الجزء التالي من المقتطف

الكلية الشرقية

أُهدي الينا كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . وهي الكلية التي انشأتها الرهبانية الكاثوليكية في مدينة زحلة بلبنان سنة ١٨٩٨ . وهو يشتمل على مقدمة في مختصر تاريخها وعلى قوانينها واشغالها المدرسية واسماء اساتذتها وتلامذتها ودوائرها وترتيب صفوفها. وفيهِ ثلاث صور لها من جهات مختلفة . ويظهر منهُ انها سائرة في مقدمة المدارس العليا بهمة اساتذتها ومديريها فندعو لها بالتقدم والنجاح

تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس

الاثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس من قلم عزتلو وهبي بك مدير مدرسة الاقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية . وهو ثلاثة ابواب الاول في تاريخ مصر من عهد مينيس الى هذا العصر . والثاني في ملخص تاريخ بطرس الاكبر . والثالث في محاكمة الكسيس وهو رواية محزنة ذات خمسة فصول نثرية وشعرية . ويلي ذلك خاتمة الكتاب في خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الاكبر الى هذا اليوم . والكتاب حسن اللغة صحيحها مثل كل ما ينشئهُ حضرة مؤلفهِ . فنشكر لهُ غيرتهُ على نشر الآداب

حقوق المرأة في الاسلام

وضع هذا الكتاب حضرة احمد بك اجايف من كتّاب الروس وعرّبهُ حضرة الاديب سليم افندي قبعين وقدّمهُ الى حضرة القاضي الفاضل عزتلو قاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة وقال في مقدمتهِ انهُ احتمل مشاق تعريبهِ والانفاق على طبعهِ ليطلع عليهِ اخوانهُ من مسلمي الشرق فيعلموا ان الناشئة الاسلامية في روسيا تشكو نفس شكوى الناشئة الاسلامية المصرية من سوء حالة المرأة المسلمة وحرج مركزها في المجتمع الانساني

هذا وقد رأينا ان ننقل الفصل الآتي من هذا الكتاب المستطاب اظهاراً لفضل المؤلف والمعرب وايضاحاً لاسلوبيهما في الانشاء والترجمة وتعميماً لما فيهِ من الفوائد :—

"ونحن الآن نترك البحث فيما وصلت اليهِ حالة المسلمين ونأخذ بتلابيب مسألة المرأة وعلاقة الاسلام بها من الوجهة العملية او بعبارة اوضح نبحث فيما جاء في الديانة الاسلامية من التعليم بخصوص المرأة ونعرّف القارئ بالحالة التي وجد فيها محمد المرأة في البلاد العربية خصوصاً والشرق عموماً ثم ننتقل بعد ذلك الى البحث فيما صنعهُ للمرأة او فيما حاول صنعهُ لها على الاقل . واظن ان هذه الطريقة تؤدي الى امكان معرفة ما ستؤول اليهِ حالة المرأة المسلمة في المستقبل عند ما يفتح الله بصيرة المسلمين ويكشف لهم عن نور الحقيقة فيدركون جوهر دينهم ويفهمونهُ فهماً حقيقياً كما هو . ومن جهة اخرى ارجو ان ادحض تلك المثالب التي ينسبها للاسلام اولئك العلماء والباحثون المجردون عن الانصاف الذين يستسلمون للاغراض والاهواء النفسانية فيصدرون احكاماً سطحية تكذبها الحقيقة الراهنة كاتهامهم الاسلام مثلاً باحداث امر تعدد الزوجات

ان حالة المرأة في البلاد العربية والمتاخمة لها قبل ظهور الاسلام كانت حالة مؤلمة لا يرضاها من كان في فؤادهِ اقل شعور حي . ففي بلاد فارس لم تكن المرأة تمتاز في شيء عن الامة او العبدة الرقيقة فكانت تقضي جميع ايام حياتها مسجونة ضمن جدران منزلها لا يسوغ لها ان تخرج منهُ مطلقاً او تجيل بصرها في فسيح الفضاء . وقد اباحت نظامات البلاد المدنية بيع وشراء النساء كالسلع (١) واما نظامات البلاد الدينية فقد اباحت الزواج بالامهات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت (٢) . ثم انهُ في الادوار الطبيعية المشهورة التي

(١) راجع كتاب (شاه نامه) للفردوسي

(٢) "Zende Avesta" Iames Dermerterer.

تحدث لمرأة كانت نساء الفرس يُبعدن عن المنازل ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة او البلدة ولا يجوز لاحد مخالطتهن قطعاً (وتعرف تلك الخيام المخصصة لاقامة النساء في ايام الطمث باسم داخمي) حتى انهُ كان يجب على الخدام الذين يعهد اليهم تقديم الطعام والشراب لهن ان يلفُّوا مقدم انوفهم وآذانهم وايديهم بلفائف من القماش الغليظ وكانوا يتحفظون بمثل هذا التحفظ لانهم كانوا يعتقدون انهم يتنجسون اذا مسوهن او مسوا الخيام او الاشياء المحيطة بهنَّ حتى الهواء[١] وكانوا يكرسون بنات الاشراف والملوك للالاهة اناخيدا المشهورة حيث كان كهنتها يحتمون عليهنَّ بعض الفروض المخصوصة ويعدونهن بتعاليم خاصة الى الزواج[٢] واما بشأن حقوق المرأة ومركزها في العائلة ونسبتها الى زوجها ووالديها فحدث ولا حرج فان النساء كن في بلاد فارس تحت سلطة الرجل المطلقة الذي كان يحق لهُ ان يحكم عليها بالموت او ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراهُ وتطيب لهُ نفسهُ وبوجه عام فانهُ كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وادوات بيتهِ

واما حالة المرأة في البلاد العربية فكانت اشد صعوبة واتعس حالاً منها في بلاد فارس فكان العربي يتطير اذا ولدت لهُ ابنة وترتعد فرائصهُ جزعاً ويعد ذلك علامة على عدم رضى الالهة عنهُ[٣] فكان اما ان يئد بناتهِ في الرمل او يبيعهن بيع الرقيق او يستبدلهن ببعض الحيوانات الاهلية[٤] واما الزواج عند العرب فلم يكن لهُ نظام مخصوص محدد ببعض الفروض او مقيد بعادات متبعة بل كان يحدث بطريق المصادفة ولم يكن احد الزوجين ملزماً بدفع بائنة او شيءٍ من الاشياء. ويظهر للباحث ان اخلاق العرب البدوية وما اتصفوا بهِ من البسالة والشجاعة والفروسية كانت السبب الوحيد في عدم تقييد الزواج باصول متبعة. والغالب ان الزواج كان يحدث من طريق الحب الاختياري المقرون بالتغزل والقصائد الشعرية وبدائع النسيب وفي جميع احوالهِ كانت الحرية مطلقة للزوجين ان يترك احدهما الآخر متى شاء واراد والامر الوحيد الذي كان يربط الاتحاد الزوجي انما هو الخوف من انتقام اقارب المرأة الاشداء البأس. وقد وصف ذلك أحسن وصف في الرواية الآتية الطبري المؤرخ العربي المشهور[٥] في واقعة احد التي وقعت بين اهل مكة وصحابة النبي محمد اهل المدينة خرجت نساء المكيين الى ساحة القتال وراء ازواجهن وكانت ترأسهن هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان

---

(١) لبيد (٣) راجع كتاب (المملكة العربية السابعة) لرولنسون

(٢) راجع كتاب (الاسلام ومؤسسو) لجون شولل (٤) راجع كتاب (البلاد العربية قبل الاسلام) لماشانوف (٥) الطبري صحيفة ٢٦٥ طبع القاهرة

وقد قامت في النسوة اللاتي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الادبار ضربا بكل بتار

وتقول ايضاً ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان تعدد الزوجات لدى ظهور محمد منتشراً انتشاراً هائلاً فلم يكن عربي ميسور الاّ وتراهُ متزوجاً ١٥ او ٢٠ واحياناً ١٠٠ زوجة[١] وكانت المرأة محرومة من جميع الحقوق على الاطلاق وحالتها لما يرثى لها فلم يكن لها حق بالارث عن زوجها او احد اقاربها من الرجال[٢] وكانت عندهم عادة مقدسة معمول بها تخول الوالد حق التصرف بينتهِ كيفما يشاء فكان يزوجها لشخص وهي رضيعة في المهد فاذا ما نمت وبلغت سن الرشد لا تستطيع المعارضة بل يتحتم عليها ان ترضخ رضوخاً اعمى لاحكام والدها عليها[٣]

اما النبي محمد فانهُ نادى في بدء ظهوره بضرورة ازالة تلك العادات الهمجية البربرية المتبعة مع النساء وكان يتأثر اشد التأثر لحالة المرأة وما هي عليهِ من الانحطاط والامتهان ولم يكن فؤادهُ الرقيق يتألم ويتأثر ايضاً لشيء مثلما يتأثر مما كان يراهُ من حالة المرأة السيئة المتروكة دون اقل اهتمام وليس لها عضد او نصير وكذلك كان يتألم لرؤيتهِ الاطفال والاولاد الذين يتركهم والدوهم ومثل ذلك الغرباء الذين لا مأوى لهم . والمطلع على ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات بشأن النساء والايتام والغرباء لا يفتأ حتى يتقطع فؤادهُ ألماً وجزعاً لما تضمنتهُ تلك الآيات من الكلام المؤثر الشديد اللهجة . وقد خصصت في القرآن سورة طويلة للنساء معروفة بهذا الاسم وهي تدل دلالة واضحة على الاهمية الكبرى التي اظهرها محمد بشأن مسألة المرأة وتبتدئ تلك السورة بآية لم يكن ينتظر سماعها رجال العرب وعدوا ذكرها جرأة عظمى وهي : "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" . ان كلمات هذه الآية اشتمَّ منها العرب الوثنيون رائحة الاضطراب والثورة المقصود بها القضاء على سننهم وتقاليدهم وعاداتهم واخلاقهم وافكارهم وافهامهم ولكن اذا نظرنا الى كلمات تلك الآية من وجهة اخرى نجد انها توجه الى العرب عبارات التوبيخ والملام المملوءة بالعار والشنار وتفهمهم ان الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة وانهما متساويان في كل شيء ومسؤولان امام الله على

(١) انظر كتاب منهج الصادقين في تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٢٣ وما بعدها

(٢) تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٢٣ وما بعدها (٣) ابن خلدون

السواء عما يفعلانهِ . وبعد ذلك يقص القرآن كيف خلق الله آدم وحواء واورد تلك القصة كما جاءت في التوراة بتغيير طفيف لا يذكر ونحن لا نتمسك كثيرًا بآيات هذه السورة التي نزلت خاصة للمرأة لانها لم تجيء مترادفة بل تخللتها آيات كثيرة خاصة بالتعليم عن القداسة والاعمال الطيبات واغاثة الملهوف وحماية الغرباء والرفق بالايتام وغير ذلك . ثم ان القرآن وقف وقفة المدافع الشجاع ضد عادة العرب الهمجية الا وهي وأد البنات في الرمل وقد ورد الكلام عنها دفعتين في الاولى مثل للقارىء حالة جهنم المخيفة ونيرانها الملتهبة وافاعيها المتصاعدة من افواهها النيران المحرقة ثم اقام امام عيني العربي ابنتهُ الموؤودة تقول لهُ (واذا الموؤودة سئلت باي ذنب قتلت) وفي الدفعة الثانية يصف جنة الخلد وصفًا مؤثرًا ثم اتبعهُ بالآية القائلة (ولا تقتلوا اولادكم) وفوق هذا وذاك فان محمدًا لم يدع في حياتهِ احدًا يئد بنتًا واجتهد اجتهادًا عظيمًا لنزع هذه العادة من بين العرب ولم يقف عند هذا الحد بل زرع في قلوبهم هول وفظاعة هذا العمل الشنيع . وبعد فتح مكة ودخول اهلها الوثنيين في الاسلام كان من جملة الشروط عليهم ان يقسموا الايمان الغليظة بعدم وأد بناتهم (١)

وعدا ذلك فقد وصلت الينا جملة احاديث نبوية تتضمن الكلام بخصوص المرأة ورفع منزلتها في عيون العرب ففي احدها جاء ما مضمونهُ (ان ولادة البنت علامة من علامات نعم الله ومراحمهِ)

ووردت ايضًا احاديث اخرى بشأن الاولاد الذين يموتون كيف انهم يشفعون بوالديهم ويكونون وسيلة لادخالهم الجنة فنذكر بعضها اتمامًا للفائدة

اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال: "ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين ومشفعين"

واخرج حميد بن زنجون ومسلم وابو نعيم عن حسان قال قلت لابي هريرة توفي لي ابنان فحدثني شيئًا سمعتهُ من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم تطيب بهِ انفسنا عن موتانا قال "صغارهم دعاميص الجنة يلقى احدكم اباهُ فيأخذ بصنفة ثوبهِ كما اخذت بصنفة ثوبك فلا ينتهي حتى يدخلهُ الله واياهُ الجنة"

وروى ابو النضر السلمي ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال: "لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا لهُ جنة من النار"

واخرج البخاري والنسائي وابن ماجة عن انس قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم "ما من

(١) الطبري ص ٢٧٠ طبع مصر

الناس يموت لهُ ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الاّ ادخلهُ الله الجنة بفضل رحمتهِ اياهم [١]

ومنها ايضاً . روى ابو هريرة عن شيخ من بني تميم عن عمر بن ابي بكار عن محمد بن ابي فراس عن احمد بن الهيثم بن فراس بن خلف بن المرزبان قال ان قيس بن عاصم دخل على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وفي حجره بعض بناتهِ يشمها فقال لهُ ما هذه السخلة تشمها فقال هذه بنتي فقال والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن انثى ولا ذكرًا قط فقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فهل الاّ ان ينزع الله الرحمة من قلبك [٢]

وقال النبي ايضاً في بعض كلامهِ (الجنة تحت اقدام الامهات) [٣]. وبعد ان رفع النبي محمد كما قدمنا منزلة المرأة الادبية خولها حقوقاً واسعة لم تخطر على بال احد من المتشرعين العصريين كالفرنسويين مثلاً او سواهم

ان البنات بحسب الشريعة المحمدية يرثن عن آبائهن وامهاتهن ثم ان الشريعة حرمت على الوالدين السلطة المطلقة على البنات فلا يستطيعون التصرف بشؤونهن قبل بلوغهنَّ سن الرشد وبعد ان تبلغ البنات الرشد يجوز لهنَّ التزوج بمن يخترنهُ لنفوسهنَّ بعلاً بقطع النظر عن موافقة والديهنَّ . والزواج بدون ارادتها يعد لاغياً فاسدًا غير شرعي وهنَّ يتمتعنَ بجميع الحقوق المدنية ويستطعنَ الاشتغال باية مهنة شريفة يردنها ويعقدن السندات سواء لهنَّ او عليهنَّ [٣]

ثم ان الشريعة السمحاء خولت المرأة المتزوجة جميع الحقوق المدنية فهي تدبر شؤونها وممتلكاتها بنفسها مستقلة بذلك عن زوجها الذي لا يحق لهُ ان يلزمها بعمل امر من الامور قط عدا ارضاع اطفالها وانما هي مرغمة لزوجها بالعفة المطلقة والطاعة ضمن حدود معلومة واذا شاءت الاعتناء بتدبير شؤون منزل زوجها وممتلكاتهِ فانما تأتي ذلك مخيرة يدفعها الى ذلك حبها الحقيقي لهُ . ثم ان كل خصام يحدث بينهما ينبغي ان ينظر ويحل بواسطة مؤتمر عائلي مؤلف من حكم من اهلهِ وحكم من اهلها قال الله تعالى "وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهلهِ وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما " والشريعة السمحاء خولت للنساء حق الارث عن ازواجهنَّ واولادهنَّ . وامرت الشريعة ايضاً بان يكون عقد الزواج مبنياً على الحب الحقيقي فقال جل شأنهُ "فانكحوا ما طاب لكم من النساء" وهو مؤسس على فروض شرعية مقدسة تجعلهُ محترماً معلوماً لدى الجميع وقد جاء في القرآن الكريم "ومن آياتهِ ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة " . اجل انهُ

---

(١) الاحاديث الشريفة المذكورة مأخوذة عن رسالة المجلد عند فقد الولد للسيوطي

(٢) ابو الفدا . كتاب الاغاني (٣) ارنست رنان في كتابهِ تاريخ الاديان (٤) مجمع النورين

يسوغ نقض عقد الزواج لان الشريعة اباحت الطلاق وانما ضمن حدود معلومة حيث ينبغي ان يكون مبنياً على اسباب شرعية ويحتم على الرجل في جميع احوال الطلاق (ما عدا طلاقة زوجةٍ بسبب خيانتها وعدم صون عرضها) ان يدفع لها نفقة العدة لمدة ثلاثة شهور على الاقل. واباحت الشريعة للمرأة المطلقة ان تبقي لديها اولادها الصغار وفي مثل هذه الحالة حتمت على الرجل ان يدفع لها نفقة لتنفقها على تربية الاولاد . قدمنا ان الشريعة اباحت الطلاق ولكنها من جهة اخرى حقرتهُ وابغضتهُ فقد جاء في الحديث الشريف " ابغض الحلال عند الله الطلاق " ثم ان الشريعة حتمت على الازواج ان يعيشوا مع زوجاتهنَّ على اتم وفاق ووئام قال الله تعالى " وعاشروهنَّ بالمعروف فان كرهتموهنَّ فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيهِ خيراً كثيراً وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منهُ شيئاً أتأخذونهُ بهتاناً واثماً مبيناً وكيف تأخذونهُ وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً " . ثم انهُ يحتم على الازواج ان يتساهلوا مع زوجاتهنَّ ويصفحوا حتى عن الزوجة التي تسقط في الضلال وتمزق شعار طهارتها وعفتها . ثم اوضحت الشريعة ايضاً بانهُ لا يجوز ادانة الزوجة بالزنا لمجرد الشك او النميمة او السماع وانما ينبغي ان ينظر قضية ادانة الزوجة بالزنا مجلس عائلي يتثبت من الامر بشهادة اربعة شهداء عدول مشهود لهم بطهارة الذمة والامانة وعدم الميل لغرض من اغراض القضية المرفوعة وقبل اصدار الحكم يدعوها المجلس الى التوبة والرجوع عن غيها وضلالها قال الله في كتابهِ العزيز

" واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهنَّ في البيوت حتى يتوفاهنَّ الموت او يجعل الله لهنَّ سبيلاً واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان تواباً رحيماً "

افليس هذا الكلام يطابق كل المطابقة لتعليم نبي الله الآخر (عيسى) عن المرأة الزانية او ليس ايضاً كان سماع مثل هذه الآيات البينات صعباً على اولئك الاعراب البرابرة المتوحشين الذين كانوا يرجمون نساءهم بالحجارة لاقل حادث او اثم بسيط[1]

ولننتقل الآن الى الكلام على تعدد الزوجات فقد سبق لنا القول بانهُ عند ظهور النبي كان امر تعدد الزوجات منتشراً انتشاراً هائلاً في البلاد العربية والبلاد المجاورة لها ولم يكن في الامكان ازالة هذه العادة التي رسخت في افئدة القوم منذ اجيال عديدة ويظهر ان تلك العادة كانت من مطالب الحياة الضرورية لاهل الشرق ولا يمكنهم ان يستغنوا عنها او يعيشوا

(١) ابن خلدون

بدونها وينسبون اسباب انتشارها بين الشرقيين الى المناخ وتركيب بنية اجسامهم ولكن مع ذلك فقد اصلح الاسلام هذه العادة وصنع كثيرًا للشرق بشأنها فقد عين اولاً بان عدد الزوجات الشرعيات ينبغي ان يكون اربعة وحصرهذا التعيين ضمن حدود معلومة يصعب على الانسان تعديها او القيام بما جاء فيها ولذلك فاذا تأملناها فاننا نجدها تفضي الى الزواج بواحدة . ورأس هذه الحدود انهُ يحتم على الرجل ان يعدل بين جميع زوجاتهِ ونحن ايضاحاً لذلك نكتفي بايراد مجمل اقوال المفسرين لكلمة "العدل" كالامام فخر الرازي والملا فتح الله وغيرهما : ينبغي على الرجل ان يطلق العدل ليس فقط على علاقاتهِ الخارجية مع زوجاتهِ اي الانفاق عليهنَّ على السواء كلا بل يجب على الرجل ان يعدل في محبتهِ بين نسائهِ وهل هذا امر مستطاع يا ترى ؟ وقد اجاب القرآن الشريف على هذا السؤَال بقولهِ تعالى "ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا او تتقوا فان الله كان غفورًا رحيماً" ولذلك كان العدل بين النساء من رابع المستحيلات يؤَدي بالذين يتزوجون باكثر من واحدة الى ارتكاب الخطيئة وتعدي حدود الله فما العمل ايضاً لقاء هذا الامر . وعلى هذا السؤَال ايضاً يجيب القرآن الكريم بقولهِ تعالى "فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم . ذلك ادنى ان لا تعدلوا" ....

ان الآيات التي اوردناها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام مؤَيد للزواج بواحدة وهذا امر مما لا ريب فيهِ وانهُ سيأتي يوم عند ما يدرك المسلمون فيهِ روح دينهم وجوهرهُ سينبذون عادة تعدد الزوجات ويقبلون من نفوسهم على امر الاكتفاء بزوجة واحدة ولذلك فيخطئ كتَّاب الاوربيين خطأً جسيماً باتهامهم القرآن ومحمدًا بعداء نصف الجنس البشري اي المرأة ويخطئون ايضاً بنسبتهم جمود المسلمين ونقائصهم الى الدين مع انهم لو انصفوا ونطقوا بالحقيقة المجردة عن كل غرض سيء لرأوا ان هذه النقائص وجدت من نفسها في العالم وان دين اولئك الكتاب اي النصرانية يقاومها مقاومة عنيفة متواصلة اما القرآن فقد قام بعمل خطير جدًا فانهُ رفع شأن المرأة واعلى منزلتها وخولها حقوقًا لم يسمع بمثلها في الشرق مطلقًا فانهُ جعلها امًّا وزوجة بعد ان كانت امة ليس لها كرامة او مقام معروف . وقد ادركت النساء مقدار الحقوق التي خولتها اياها الشريعة الغراء فتمسكت بها وحافظت عليها ودافعت عنها دفاعاً شديدًا ولم تخشَ بسببها بأس احد يدلنا على ذلك الرواية الآتية التي رواها الملا فتح الله في تفسير القرآن العزيز حيث جاء فيهِ ما نصهُ : بعد وفاة النبي وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبتهِ انهُ يروم ابطال عادة دفع المهر للزوجة فقامت احدى

النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة : يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ فرجع الخليفة عن عزمهِ . انتهى

جواهر البلاغة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية في القاهرة نسخة من كتاب الَّفهُ حديثًا وسماهُ "جواهر البلاغة" في المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر الثلاثة عشر . وهو على مثال الكتب التي من موضوعهِ في تبويبهِ وتقسيمهِ وتقديم بعض مباحثهِ وتأخير الآخر ولكنهُ ربما فاقها في حسن طبعهِ وما في آخر كلّ فصل من التمرينات التي لا غنى للدارس عنها لفهم ما ورد في الفصول

وقد اكثر من الشواهد تحت بعض الانواع مثل حسن التعليل من المحسنات المعنوية والجناس من المحسنات اللفظية . فأورد من الاول مثلاً قول ابي هلال العسكري

زعم البنفسج انهُ كعذارهِ   حسنًا فسلوا من قفاهُ لسانهُ

وقال في تفسيرهِ "لخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علة لهُ لكنهُ ادَّعى ان علتهُ الافتراء"

واورد من الجناس اللفظي قول ابي فراس

ما كنت تصبر في القديم فلمْ صبرت الآن عنّا

ولقد ظننت بك الظنون لانهُ من ضنّ ظنّا

ومن الجناس المعنوي قول احدهم

منعم الجسم تحكي الماء رقتهُ   وقلبهُ قسوةً يحكي أبا أوس

فقال في تفسيرهِ "واوس شاعر من شعراء العرب واسم ابيهِ حجر فلفظ ابي اوس يحضر في الذهن اسمهُ وهو حجر وهو غير مراد وانما المراد الحجر المعلوم"

ويلي البديع العروض وتحتهُ ابواب في بحور الشعر المختلفة . ثم القوافي وفنون الشعر الملحقة بالبحور كالتشريع والتشطير والتخميس والجارية على ألسنة العامة كالزجل والمواليا . ويلي ذلك كلهُ خاتمة في السرقات والمحاضرات الشعرية

قلنا ان طبع الكتاب حسن وانما ينقصهُ شكل ما ورد فيهِ من الآيات والشواهد الشعرية التي قد تلتبس على المتعلم . لكن ذلك لا يقدح في فضل مؤلفهِ فلهُ منا عاطر الثناء

الارشادات الوفية في القضايا الشرعية

ألَّف هذ الكتاب حضرة الاديب عبد المجيد افندي البيومي الكاتب في محكمة مديريَّة البحيرة الشرعية . وهو يحتوي على فصول مختلفة في دعاوي النكاح والصداق والجهاز والطلاق والنفقة والوقف والولاية والرشد والارث والوصية وما اشبه . وقد قرظهُ حضرة الفاضل الشيخ علي هاني مفتي مديرية البحيرة فقال انهُ نافع في الغرض المطلوب من الاحكام

حسناء نيويورك

رواية ادبيَّة فكاهية عرَّبها عن الانكليزيَّة حضرة نجيب افندي جرجس عبدالله واعتنى باصلاحها حضرة اسعد افندي ملحم وكلاهما من السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية وهي تفضل كثيرًا من الروايات التي تتداولها الايدي الآن في لغتها وطبعها فانها سهلة العبارة صحيحة اللغة عمومًا ومطبوعة طبعًا حسنًا على ورق جيد فنثني على حضرة معربها ومصلحها ونتمنى لها الانتشار



العدس المصري

من مقالة لمستر بونابرت من اساتذة مدرسة الزراعة الخديوية

العدس نبات معروف وحبوبهُ كثيرة الاستعمال في هذا القطر والقطر السوري وكان يطبخ ويؤكل فيهما منذ الوف من السنين . قال المسيو ده كندول النباتي الشهير انهُ كان يزرع في اسيا وبلاد اليونان وايطاليا قبل زمن التاريخ ونقلت زراعتهُ منها الى القطر المصري

ويزرع العدس الآن في المانيا وفرنسا وجنوبي اوربا وجانب كبير من اسيا ولاسيما في الهند . وزراعتهُ واسعة نوعًا في القطر المصري ولاسيما في الوجه القبلي وحبوب العدس المصري صغيرة سمراء كثيرة الغذاء ولاسيما اذا قشرت فيها نحو ٢٥ في المئة من المواد الالبيومينية

و ٥٨ في المئة من النشاء ودرجتها في الغذاء ٨٧

والعدس الذي يُستَغلُّ من القطر المصري يؤكل فيهِ ولا يصدر الاَّ القليل منهُ واكثر الصادر يرسل الى البلاد الانكليزية وسائر اوربا وتركيا

الارض الصالحة لهُ — يزرع العدس في كل الاطيان . والاطيان التي لا يجود فيها القمح والفول كالخفيفة والجديدة يجود فيها العدس ولكنهُ يجود بنوع خاص في الاراضي الطينية الرملية الجافة التي فيها شيء من الجير

اعداد الارض — اذا زرع العدس في حياض الوجه القبلي فلا تحرث الارض لهُ بل يزرع فيها ملقاً فيبذر على الارض بعد نزح الماء عنها كما تبذر الحنطة ثم تحرث واما في الوجه البحري فتحرث الارض مرة ويبذر فيها بمعدل اربع كيلات للفدان ثم تحرث

وهناك زراعة ثالثة وهي زراعة العفر تحت الذرة فانهُ يبذر تحت الذرة والارض مروية ويترك الى ان تجف الذرة وتقطع فيروى مرة او مرتين

وقت الزرع — في الوجه القبلي في اواخر اكتوبر ويتاخر الزرع في الوجه البحري الى نوفمبر من ١٥ الى ٣٠ منهُ

الخدمة — اذا زرع في حياض الوجه القبلي فلا يحتاج الى شيء واذا زرع في الوجه البحري يروى مرتين غالباً المرة الاولى قبلما يزهر والثانية حينما يعقد زهرهُ . ولا يستعمل لهُ سماد مطلقاً

الجمع — يبلغ العدس في الوجه القبلي في اواخر شهر مارس وفي الوجه البحري في اواسط شهر ابريل ويقلع من الارض قلعاً قبلما يجف لئلاَّ يقع كثير من بزرهِ ويبسط حتى يجف ثم يدرس كما تدرس الحنطة

مقدار محصولهِ — يبلغ محصول الفدان نحو ثلاثة ارادب من العدس وزن الاردب منها ٣٣٠ رطلاً وثلاثة احمال من التبن وتبن العدس اكثر غذاء من سائر انواع التبن

و يضرب السوس العدس ولكنهُ اذا جُرِش وحفظ مجروشاً سلم منهُ . وهو اذا جُرِش يخسر كيلة من كل اردب تذهب كسراً وقشراً فيبلغ الكسر او سن العدس قدحين والقشر خمسة اقداح والتراب نصف قدح . وسن العدس وقشرهُ مغذيان جداً فيطعمان للمواشي لتسمينها انتهى

ولو زادت العناية بزراعة العدس وجلبت التقاوي من سورية مما لونهُ ابيض وهو سريع النضج اذا طبخ لكان منهُ ربح وافر

الزيتون وزيتهُ

من المظنون ان موطن الزيتون الاصلي بر الاناضول وبر الشام ثم نقل منهما في عهد بعيد جدًّا الى مصر واليونان ثم الى بلاد اخرى فكانت زراعتهُ منتشرة في ايطاليا واسبانيا سنة ٦٠٠ قبل المسيح

والفرق بين الزيتون وبعض البزور التي يعصر الزيت منها انهُ يمكن عصر الزيت من الزيتون بسهولة كلية بخلاف البزور الاخرى فانهُ يقتضي لها معاصر كبيرة لا يستطيع اقتناءها سوى الاغنياء

والزيتون انواع فمنهُ ما ثمرهُ كروي ومنهُ ما هو مستطيل ومنهُ ما هو رقيق القشر واللب كبير النواة ومنهُ ما هو على ضد ذلك. ونضجهُ بطيء يتم في نحو عشرة اشهر وقبلما ينضج يكون فيهِ كلوروفل وتنين وكثير من النشا فاذا نضج اختفى الكلوروفل وهيدرات الكربون وحل الزيت محلهما في خلايا النواة والقشرة

وكمية الزيت في النواة واللب تبلغ معظمها في اثناء نضج الاثمار ثم تقل تدريجًا ويقال بالاجمال ان الاثمار التي لبها سميك اكثر زيتاً من التي لبها رقيق ونواها كبير. واذا كانت الاثمار من حجم واحد فان اخفها اكثرها زيتاً

وللتربة تأثير عظيم في كمية الزيت ونوعهِ. فاذا كانت التربة جيرية (كلسية) او ممتزجة كان زيت الزيتون الذي يزرع فيها افخر مما يزرع في الاراضي الدلغانية الكثيرة الرطوبة. والزيتون الذي يزرع في الاراضي الصخرية جيد الزيت جدًّا . ويختلف مقدار الزيت في الزيتون البري من ١ الى ٩ في المئة اذا كان اخضر ومن ٢١ الى ٢٨ في المئة اذا كان جرجارًا وفي الزيتون الجوي الجيد من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

ويتوقف زمن النضج على الاقليم . ففي بر الشام يجنون الزيتون بين سبتمبر ودسمبر وفي ايطاليا في نوفمبر وفي البرتوغال في دسمبر. وفي الجزائر وتونس يبتدئ القطاف في نوفمبر ويستمر طول الشتاء . وفي فرنسا يكون موسم الزيتون في اواسط الشتاء

وطريقة القطاف هي انهم يأخذون عصياً طويلة ويضربون الاغصان بها فيسقط الزيتون الى الارض . ولكنها طريقة لا يصلح اتباعها لانها تضرُّ الاشجار وتؤثر في حمل السنة التالية وخير منها قطف الثمر الداني القطوف باليد والقاصي بالضرب بالعصا . ويجب ان يتلقى الزيتون بملاءات تنشر تحت الشجر وان يفرز الزيتون المصاب عن الصحيح

وافضل الزيت ما استخرج من الزيتون حالما يقطف وذلك لانهُ بعد قطفهِ يدبُّ الاختمار فيهِ فيخرج زيتهُ حرّيف الطعم . ومن طرق حفظهِ بعد قطفهِ ان ينشر طبقة واحدة على موائد خشبية ولكن هذه الطريقة لا تفي بالمرام لانهُ اذا ترك على تلك الحال دبَّ اليهِ الفساد في ثمانية ايام او عشرة . ومنها ان يوضع في الماء ويغيَّر الماء من آن الى ان وهذه الطريقة لا تفي بالمرام ايضاً لانها تفضي الى خسارة بعض الزيت . وخير منهما الطريقة التي تتبع في الجزائر وهي ان يوضع الزيتون في ماء غالٍ . ومن الطرق ان يوضع في آنية ويعصى قليلاً فيخرج منهُ زيت يطفو على وجه الاناء فيحفظ ما فيهِ من الزيتون من الفساد . ومنها ان يملَّح الزيتون ثم يكبُّ الماء الذي يتكون بعد تمليحهِ فيحفظ بذلك شهراً لا اكثر . واحسن من ذلك كلهِ ان يملَّح الزيتون ويترك سابحاً في مائهِ فيحفظ خمسة اشهر ولكن الزيت الذي يستخرج منهُ لا يكون جيداً كالزيت الذي يستخرج من الزيتون الجديد

ويدرس الزيتون بحجارة كبيرة ثقيلة تديرها الرجال يكون الحجر منها اسطوانياً قطرهُ نحو متر او اكثر وسمكهُ نحو نصف متر وهو ليس اسطوانياً تماماً بل مخروط ناقص اي ان احد وجهيهِ اضيق من الوجه الآخر . ولهُ ثقب في محورهِ يدخل فيهِ عمود طويل يرتكز امام وجههِ الاضيق على محور قائم ثابت ويكون تحت الحجر فرش من الحجر منبسط مستدير ويبنى حولهُ حاجز مرتفع فيدار العمود فيدور بهِ الحجر على الفرش حول المحور القائم ويوضع الزيتون على الفرش فيهرسهُ الحجر هرساً ويصيرهُ مادةً رخوة القوام كرب الاثمار الناضجة . وقد يوضع على الفرش حجر واحد وقد يوضع عليهِ حجران متقابلان والعمود الذي يدير الحجر او الحجرين يديرهُ الرجال او البهائم وقد يدار بقوة مائية او بخارية

ومتى هرس الزيتون وصار ربًّا يوضع في قفف من الخوص او الخيش ويعصر الزيت منهُ بمعاصر لولبية او مائية

وعصر الزيت اسهل في الحر منهُ في البرد ولذلك يمزج الرب بماء سخن اذا كان الفصل بارداً او تحمى الآنية التي يوضع فيها حتى يسخن قليلاً او تزول برودتهُ فقط لان الحرارة الشديدة تضرُّ بهِ . والزيت المعصور من الرب البارد اجود من المعصور من الرب السخن لكنهُ اقل منهُ . ويجب ان يكون العصر معتدلاً خفيفاً في اول الامر ثم يزاد رويداً رويداً لان الزيت الذي يخرج بالعصر الخفيف اجود من الزيت الذي يخرج بالعصر الثقيل . ثم يطلق البخار السخن في الرب ويعصر ايضاً فيخرج منهُ زيت اقل جودة من النوع الثاني . ولذلك فالزيت ثلاثة انواع اجودهُ ما يخرج من رب الزيتون بعصر خفيف ويتلوهُ ما يخرج منهُ بعصر

شديد ثم النوع الثالث الذي يخرج منهُ بعد ان يسخن على النار او بالبخار السخن ويعصر منهُ والغالب ان لا يكون الزيت نقيًّا حالما يعصر بل يكون فيهِ عكر فيترك حتى يرسب العكر منهُ . او يضاف اليهِ ماء بارد فيحمل العكر وينزل بهِ الى اسفل الاناء فيصفَّى الزيت النقي عن العكر . ولا بدَّ من الاسراع في تصفية الزيت النقي والاَّ تغيَّر طعمهُ لان العكر والفضلات التي فيهِ تختمر فتؤَثر فيهِ

والزيت الجيد يقيم مدة طويلة جدًّا من غير ان يتعكَّر او يحل بهِ شيءٌ من الفساد وهو خالٍ من كل طعم آخر غير طعم الزيت الحلو . والزيت العكر اذا طال عليهِ الزمان زاد عكرًا وفسادًا . ولا يصحُّ تعريض الزيت للهواء والنور والحرارة لئلاَّ يسرع اليهِ الفساد

ومهما كانت المعاصر قوية لا يستخرج بها كل الزيت بل يبقى في الكسب خمسة في المئة الى عشرة في المئة منهُ . والكسب يستعمل علفًا ووقودًا فلا يضيع من الزيتون شيءٌ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستفار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

قد اطلعت على رسالة في العدد الاخير من المقتطف من احد كرام المشتركين بشأْن عدوى الجذام "ورجوعي الى الحق بعد خمس وعشرين سنة" ورأيت فيها وجهين للمسئلة احدهما شخصي يتعلق بي والثاني علمي . اما الاول فحقير لا يعتد بهِ لاني لست بخارج عن قول المثل الروماني القديم الغلط من شأْن الانسان

واما الوجه العلمي فلهُ شأْن عظيم لما فيهِ من العلم بوقاية الاصحاء من اخبث الامراض . وقد تذكرت ما توصلت اليهِ من هذا القبيل بعد درس طويل في مقالة تُرجمت عن

الانكليزية وطبعت في المقتطف في هذه السنة (نيسان ١٩٠٥) . وخلاصة ذلك ان السبب الباثولوجي لهذا المرض نوع من الباشلس خاص بهِ وانهُ لما كان الجلد مجلسهُ الاصلي ترجح دخولهُ اليهِ اما بواسطة خدش يحملهُ اليهِ الهواء او الماء او بواسطة لسع الهوام كالذباب والبعوض الذي ينقلهُ من المريض الى الصحيح . فاذا ثبت هذا القول لم تكن العدوى بالملامسة والمخالطة بل على وجه التلقيح ولكنهُ لايثبت الاَّ بمشاهدة هذا الباشلس في الهوام المحيطة بالمجذومين وهو امر لم يخطر لي مدة درسي الكلينيكي لهذا المرض فاتركهُ الى غيري من احداث الاطباء

بيروت يوحنا ورتبات

داء الاسد

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

قرأت في الجزء الماضي من المقتطف كلمة في "الرجوع الى الحق" ايد بها احد المشتركين صدق الحديث الشريف في عدوى الجذام ولا ازيد في نصر ذلك بتأ كيده فان للدين ربًّا يحميهِ قال "انَّا نحن نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون" . وليست هذه باول مرة وافق فيها الدين الاسلامي كل علم صحيح

ولكن رواية الحديث المشهور هي "فرَّ من المجذوم كما تفر من الاسد" لا كما ذكر هناك مغيرًا

والعامة في مصر تسمي هذا المرض "بالاسد" فلعلهم تخطفوا هذه الكلمة من هذا الحديث هذا ما لاحظتهُ فارجو اثباتهُ في المقتطف ولكم الشكر

فنار بورسعيد

اعجب بهذا الفنار مرتفعًا ... يبيت بالنيّرات ملتفعا

يلوح منهُ الضياء منصلتًا ... كالسيف راع الظلامَ فانقطعا

يُقطّع الليل بالسنا قطعًا ... تمرُّ ثمَّ السحاب منقشعا

يبدو سناهُ بمنظر بهجٍ ... كأنهُ من زبرجد لمعا

لا تسأم النفس حسنهُ ابدًا ... وقد تملُّ الاعيادَ والجمعا

وهو اذا زدتموهُ من نظرٍ ... يزداد حسنًا في غيرهِ امتنعا

لو خيّروا متعباً لينظرهُ او يتهنّى بالنوم ما هجعا
لو كانت الثاكلات تبصرهُ لأُنسيت حزنها وما رجعا
بنجدر الضوء من جوانبهِ كأنهُ السيل جاء مندفعا
يُطلع في كل لحظة قمرا يغني عن البدر حينما سطعا
لا البدر يغني السفّار عنهُ اذا بدا ولا النجم كلما طلعا
يقصِّر النجم عن هدايتهِ اما تراهُ للسفن مطّلعا
ترقبهُ السفن للنجاة كما ترقب غرقى البحار مرتفعا
كأنهُ قبلة الصلاة لها او كامام تأتي لهُ تبعا
يحسب ربانها اشعتهُ الحبال مستمسك بها انتفعا
يدور في الليل حاكياً فلكاً يريكم الليل والنهار معا
سبحان ربي اعطى خليفتهُ في الارض[1] عقلاً فانظر لما صنعا

حسين عبد الفتاح الجمل

باب المسائل

(١) قوات الدول البحرية

سليم افندي صادق بكفركلا الباب . ذكرتم في الجزء التاسع الصادر في غرة سبتمبر الماضي قوة كل دولة من الدول البحرية ورسمتم صورة اساطيلها مبتدئين بدولة بريطانيا العظمى ومنتهين بدولة النمسا ولم تذكروا قوة الدول الاخرى فنرجو ان تبينوا لنا قوات الدول التي اهملتم ذكرها مبتدئين بالدولة العثمانية ثم اليونان

ج لم نذكر اساطيل بقية الدول لانها ليست دولاً بحرية اي انها لا تعتمد في حروبها على الاساطيل البحرية اما لانها غير متصلة بالبحر فلا اساطيل لها او لان اساطيلها البحرية ضعيفة لا يعتدُّ بها ومن هذا القبيل الدولة العليَّة فانها كانت قبلاً دولة بحرية وبرية ثم اهملت اساطيلها البحرية . فاكثر

---

(١) خليفة الله في الارض الانسان قال الله تعالى في القرآن « وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » يعني آدم وذريتهُ

سفنها الحربية قديمة لا يعتدُّ بها في الحروب الحديثة وليس عندها من السفن الجديدة سوى طرَّادين محميين تفريغ كلٍ منهما ٣٥٠٠ طن وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ٦ بوصات وسبعة اعشار البوصة وقد اصلحت الطرَّاد المسعودية في ايطاليا وفيهِ الآن مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ٦ بوصات لكن سرعتهُ لا تزيد على سبعة عشر ميلاً بحريًّا في الساعة واصلحت ثلاثة طرَّادات أُخرى في الاستانة اصلحها لها عمَّال ايطاليون فصارت عمارتها البحرية مؤلفة من ستة طرَّادات صغيرة تفريغ كلٍ منها ٣٥٠٠ طن وستة من قوارب الطربيد ولكن عندها من البحارة والجنود البحرية ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فان عدد جنودها البحرية وبحارتها نحو اربعين الفاً

اما اليونان فعندها ثلاث مدرعات صغيرة تفريغ كلٍ منها ٥٠٠٠ طن وفي كل منها ثلاثة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ١٠ بوصات ونصف وخمس مدافع اصغر منها قطر فوهة الواحد منهما ست بوصات وعندها ١٩ من قوارب الطربيد لكنها قديمة لا فائدة منها وعدد الجنود والبحارة لا يزيد على ٤٠٠٠ نفس . واما سائر الدول فلا فائدة من وصف قواتها البحرية

(٢) الدولة العلية واليونان

ومنهُ . اي الدولتين اقوى بحرًا أَالدولة العلية ام دولة اليونان

ج يظهر من الوصف السابق ان الدولة العلية اقوى من دولة اليونان

(٣) الدولة العلية واسبانيا

ومنهُ . ما نسبة الدولة العلية الى اسبانيا الآن من حيث القوة البحرية

ج كانت اسبانيا من الدول البحريَّة الكبيرة قبل حربها مع اميركا وقد فقدت اكثر اسطولها في تلك الحرب ولكن لا يزال عندها الآن ما هو اقوى كثيرًا من الاسطول العثماني فعندها بارجة تفريغها ٩٠٠٠ طن وفيها مدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ١٢ بوصة وستة اعشار ومدفعان قطر فوهة كلٍ منهما ١١ بوصة وتسعة مدافع قطر فوهة كل منها خمس بوصات ونصف وطراد تفريغهُ ٩٢٠٠ طن وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًّا في الساعة . وجملة ما عندها الآن سفينة حربية من الدرجة الثالثة وسفينة من الدرجة الرابعة وثلاثة من الدرجة الخامسة وواحدة من الدرجة السادسة وواحدة من الدرجة السابعة وسبعة من قوارب الطربيد وستة من متلفات الطربيد وهي تبني الآن طرادين من الدرجة الخامسة وطرادين من الدرجة السابعة فهي اقوى جدًّا من الدولة العلية من حيث اسطولها

(٤) برد البطيخ في الشمس

ومنهُ . اتينا ببطيخة من محل منبتها وكان الوقت ظهرًا فكان جلدها سخناً كأنهُ

موضوع في ماء مغليّ ثم شققناها ووضعناها في الشمس نحو نصف ساعة فبرد لبها حتى كأنها وُضعت في الثلج فما سبب ذلك

ج اذا مسحتم يدكم بماء حرارتهُ مثل حرارتها تماماً شعرتم ببرودة لان الماء يتبخر عنها وتبخرهُ هذا يستدعي استخدام جانب من حرارتها اي ان جانباً من حرارة اليد يمدد الماء ويحوّلهُ بخاراً فتشعرون بالبرودة. واذا وضعتم الماء في ابريق من الخزف الذي يرشح كثيراً لا يلبث ان يبرد لان الماء المترشح منهُ يطير بخاراً سالباً جانباً من حرارتهِ . ولا يخفى انهُ اذا اتسع السطح الذي يصعد البخار عنهُ كثرت البرودة المتولدة من ذلك . وفي البطيخ الناضج حبوب صغيرة فيها ماء ويحيط الماء بها فاذا وضعتهُ في الشمس كثر صعود البخار عنهُ لكثرة ما يتعرَّض منهُ للتبخر فيسلب جانب كبير من حرارتهِ فيبرد كثيراً

(٥) الوسكي والبصل

ومنهُ . اصحيح ان الوسكي مستخرج من ماء البصل وهل هو افيد المشروبات الروحية بعد البيرة والنبيذ

ج لا يستخرج الوسكي من ماء البصل ولا هو نافع . واذا وقع التفاضل بينهُ وبين البيرة والنبيذ فيكون في ايها اكثر ضرراً او اقل ضرراً . ويستخرج الوسكي غالباً من استقطار الشعير والذرة والارز والبطاطس واكثر المواد التي فيها نشاء او سكر ولا يتعذر استخراجهُ من البصل لان في البصل مادة نشوية . وعند الاوربيين شراب آخر اقوى من الوسكي يستخرج من جذور الجنطيانا وهي نبات ورقهُ مثل ورق البصل او بصل الفار ولعل مخبركم خلط بين هذا الشراب وبين الوسكي وخلط بين الجنطيانا وبصل الفار فقال ان الوسكي يستخرج من البصل

(٦) تحسين الخطابة

اسنا . الخواجا عزيز جرجاوي . ما هي احسن الوسائط لتحسين الخطابة

ج الدرس الكثير للاحاطة بالموضوع من كل جهاتهِ والتمرُّن الكثير على الخطابة حتى تصير ملكة في النفس والاعتماد على رجل يعرف محاسن الخطابة ومذامها يرشد الى مواقع الخطإِ ويساعد على اصلاحها كل ذلك لازم للنبوغ في الخطابة

(٧) الخطباء الضعفاء الصوت

ومنهُ . هل قام خطباء اشتهروا بالخطابة وكان صوتهم ضعيفاً

ج يحكى ان ديموستنس كان أَلكن ثم قوم لسانهُ بوضع الحصى في فيهِ لكنَّ هذه الحكاية تفتقر الى الاثبات. وقد سمعنا جون مورلي يخطب في مجلس النواب الانكليزي فوجدنا صوتهُ ضعيفاً على اشتهارهِ بالخطابة وسمعنا غيرهُ من المعدودين بين الخطباء وصوتهم ضعيف لا يكاد يسمع على مئة قدم

ولكن الخطباء المشهورين حقيقةً الذين سمعناهم صوتهم جهوري فخيم او حادٌ رنان وهو في الحالين قوي يبلغ السامعين على مئات من الاقدام

(٨) عصب الريق

ومنهُ . اعرف خطيباً ينشف ريقهُ عند الخطابة حتى يضطران يضع شيئاً من الملبس في فيهِ ادراراً للعابهِ والاَّ تعذَّر عليهِ الكلام فهل من دواء لهذا الداء

ج ان عصب الريق وفيضانهُ ناتجان عن فعل عصبي والغالب ان عصب الريق ناتج عن الخوف او الهيبة حتى انك اذا امرت السارق ان يتفل على الدقيق تعذَّر عليهِ ذلك . ودواؤُهُ التمرن على الخطابة طويلاً حتى تصير مألوفة ويزول الخوف من الناس

(٩) دعوى من يغني الناس

مسقط . الخواجا يوسف اسطفان .

قرأت اعلاناً للمسترهنس الاميركي في مجلة ستندرد يقول فيهِ انهُ استغنى بالمتاجرة بطريقة عجيبة وانهُ يودُّ ان يغني كل مَن يرسل اليهِ دراهم للمتاجرة بها كما انهُ قد اغنى كثيرين ممن اعتمدوا عليهِ وقدموا لهُ دراهم فهل ذلك صحيح

ج اذا كانت اقامةُ هذا الرجل في الولايات المتحدة الاميركية فالاموال تربح فيها نحو اربعة او خمسة في المئة سنوياً ربحاً يكاد يكون ثابتاً فاذا كان هذا الرجل بالغاً حد الاستقامة فلا يحتمل ان يربح الذين يعتمدون عليهِ اكثر من ذلك ولكن يغلب على ظننا انهُ غاش او مغشوش . والذي يعرف طريقة للغنى يستعملها لنفع نفسهِ

(١٠) الاحكام العرفية

كندا . الخواجا جرجس حنا جرجورا .

كثيرًا ما نقرأُ في الجرائد قولهم وضعت المدينة الفلانية تحت الاحكام العرفية فما هي الاحكام العرفية هذه

ج اذا اضطربت احوال بلاد بسبب ثورة داخلية او بدنو العدو منها حتى لم يعد سكانها يخضعون لقوانين الحكومة اضطرَّت الحكومة ان تعدل عن الجري على موجب قوانين البلاد وان تتصرف حسبما تراهُ مناسباً فتقبض على زيدٍ مثلاً وتسجنهُ او تقتلهُ من غير مرافعة او محاكمة وهذه هي الحكومة العرفية وقد تلجأُ الى القوانين العسكرية فتجري عليها . وبعض الحكومات التي تفعل ذلك في وقت الاضطراب او وقت الحرب تضطرُّ ان تبرر عملها وقتما يستتبُّ الامن وتعوّض على الذين اوقعت بهم ضررًا . لنفرض ان اهالي مدينة هاجوا وماجوا لسبب من الاسباب فاراد البوليس ان يسكّن هيجانهم فهجموا عليهِ ورموهُ بالرصاص ثم هربوا من وجههِ وتحصنوا في البيوت القريبة فان الحكومة قد تضع المدينة تحت الاحكام العرفية حينئذٍ وتأمر البوليس باطلاق الرصاص عليهم من

غير محاكمة وبحرق البيوت التي تحصنوا فيها ثم متى استتب الامن قد يضطرها مجلس الشورى الذي فيها الى تبرير عملها هذا والى التعويض على اصحاب البيوت التي امرت باحراقها

(١١) التدخين والعمر

مصر . الخواجا يوسف ابرهيم كوهن . هل ثبت ان التدخين يقصر العمر واذا كان ذلك صحيحاً فما هو سببهُ

ج ان التدخين يضرُّ المرَضين للامراض القلبية بنوع خاص ولا يبعد ان يقصّر عمرهم وليس منهُ ضرر صحي كبير في ما سوى ذلك ولا ثبت ان الذين يدخنون اقصر عمراً من غيرهم والافراط في التدخين مضر كالافراط في الاكل والشرب والنوم والسهر وكل شيء

(١٢) بزر الموز والقصب

ومنهُ . اننا لا نرى بزراً في الموز ولا في القصب فاين بزر هذين النباتين

ج يكون في بعض الموز بزر صغير داخل ثمرهِ ولكن الاستمرار على توليد الموز من الفسائل اضعف بزرهُ جداً حتى لم يعد يتولَّد منهُ . وكذلك القصب يظهر في اعلاهُ زهر وبزر صغير ولكنهُ لا يتولَّد منهُ بل من العقل كما لا يخفى

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	٣	٣٩	صباحاً
البدر	١٢	٧	١١	"
الربع الاخير	٢٠	٣	٣٣	"
الهلال	٢٩	٦	٤٧	مساء

السيارات

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب بين الساعة ٩ ١/٢ و١٠ مساء الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب الساعة ١ صباحاً في اوائل الشهر والساعة ١١ مساء في آخرهِ

مؤتمر السل الدولي

التأم مؤتمر السل الدولي في مدينة باريس من ٢ الى ٧ اكتوبر وحضرهُ جمهور كبير من نخبة الاطباء من كل اقطار المسكونة . واهم ما تُلي فيهِ خطبة الاستاذ بهرنغ مكتشف علاج الدفثيريا قال فيها انهُ اكتشف علاجاً شافياً لداء السل يشفيهِ كما يشفي المصل الذي

اكتشفهُ داء الدفثيريا . وقد قال انهُ جرَّب هذا العلاج في الحيوانات فوجد انهُ يشفيها من السل ويودُّ ان يجربهُ غيرهُ من الاطباء ايضاً لئلاَّ يكون مخطئاً في حكمهِ ثم يجرّب في الناس . وسننشر ترجمة خطبتهِ في الجزء التالي

وعُرِضت في المؤتمر امثلة كثيرة يظهر منها الفرق بين ميكروب سل البقر وميكروب سل البشر وميكروب سل الطيور ومقدار ضرر كلٍّ منها . وأُقيمت الأدلَّة على ان الكلاب تصاب بالسل الرئوي والمعوي وان الكلاب التي تكون في البيوت ويلعب بها الاولاد قد تكون مسلولة فيعدون منها لاسيما وان ميكروب السل يكون كثيراً في افواهها فاذا لحست ايدي اصحابها اوصلت اليهم ميكروب السل . ويكثر السل بنوع خاص في الكلاب التي تقيم في الحانات الكثيرة الازدحام الفاسدة الهواء

وثبت ان الانسان يُعدَى بسل البقر وان ميكروبهُ اعدى لهُ من غيرهِ ويصل ميكروب السل اليهِ من شربهِ لبن البقر المصابة بالتدرُّن . وكل ذوات الثدي تعدى بسل البقر وبسل البشر ايضاً . واذا دخل ميكروب السل جسم حيوان من غير ذوات الثدي تغيَّر تغيُّراً كثيراً ولكن لا يتعذَّر ارجاعهُ الى اصلهِ

والمصل الذي استخدمهُ الاستاذ دنس افاد في التدرُّن الجراحي الذي يصيب المفاصل وظهرت لهُ فائدة قليلة في علاج السل نفسهِ فيستحق ان تكرَّر التجارب فيهِ

وشدَّد الاطباء في وجوب منع الاولاد من الاقامة في غرف يقيم فيها المسلولون وفي وجوب مراقبة اللبن الذي يستعمل في المدن وقالوا انهُ يجب على الحكومة ان تراقب اماكن اللبانة من وقت الى آخر . وانهُ لا يجوز للمدارس ونحوها ان تستعمل لبناً لم يثبت انهُ حُلب من بقر سليمة من السل او لم يعقم قبل استعمالهِ حسب طريقة باستور

وسيعقد المؤتمر التالي في اميركا بعد ثلاث سنوات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم في جنوبي افريقية كما ذكرنا في الجزء السابق فاجتمع اولاً في مدينة الراس وتلا رئيسهُ الاستاذ جورج دارون جانباً من خطبة الرئاسة وقد ترجمناهُ ونشرناهُ في هذا الجزء وتلا بعض رؤَساء اقسامهِ خطبهم ثم ضرب اعضاؤُهُ شمالاً الى ان وصلوا مدينة جوهنسبرج فتلا الرئيس فيها القسم الثاني من خطبتهِ وتلا غيرهُ من الرؤَساء خطبهم وسننشر بعض ذلك في الاجزاء التالية

وختم الاجتماع في مدينة جوهنسبرج وانتخب الدكتور راي لنكستر رئيساً للاجتماع التالي . وتقدم الاعضاء من هناك شمالاً وزاروا مناجم الذهب والماس ولما بلغوا مناجم

الماس خطب فيهم السر وليم كروكس خطبة بليغة موضوعها الماس فبيَّن فيها كيفية عمله للماس الصناعي باشعال الكرديت ونحوهِ . وقد ابتهج السامعون بهذه الخطبة وطلبوا منهُ ان يعيدها لهم مرة ثانية فاعادها في اليوم التالي وسننشرها في جزء تالٍ . وعاد الاعضاء الى السير في خمسة قطرات خاصة الى ان بلغوا شلالات فكتوريا في الحادي عشر من سبتمبر ففتح الاستاذ دارون الجسر الذي أنشئ فوق تلك الشلالات وقد وصفناهُ في الجزء الثامن من المقتطف وزاروا الجزائر الكثيرة التي في ذلك النهر ثم انقسموا الى قسمين قسم عاد بطريق مدينة الراس وقسم بطريق بيرا . ووصل بعضهم السويس ومرُّوا بالقاهرة وكان معهم السر كولن سكوت منكريف وكيل نظارة الاشغال المصرية سابقاً ورئيس قسم الهندسة في هذا المجمع فزار بهم القناطر الخيرية واراهم بالعيان ما وصفهُ لهم في خطبتهِ باللسان

المعارف الانكليزية

بلغ ما انفقتهُ الحكومة الانكليزية في العام الماضي على التعليم وترقية العلوم والفنون ٥٣٨ ١٠٧٩٥ جنيهاً انكليزياً يقابلها ٩٤٧ ١٦٣٢٨ جنيهاً هذا العام منها ٨١٦ ١٢٦٦٠ انفقها مجلس التعليم وهو بمثابة نظارة المعارف وهي

للادارة	٣٢٢ ١٦٩ جنيهاً
للتفتيش والامتحان	٢٥٩٩١٩ "
اعانات للمدارس الابتدائية	١٠٩٥١١٠٤ "
" للمدارس المعلمين	٤٨٩٨٤٣ "
" للمدارس الثانوية	٢٤٢٥٠٠ "

والباقي أُنفق على المتاحف ومسح الاراضي التي لم تمسح بعد واللجان العلمية وما اشبه ذلك من الاغراض العلمية . فنفقات الادارة تبلغ نحو جزء في المئة فقط مما ينفق على التعليم

الاوتوموبيل في فرنسا

حازت فرنسا قصب السبق في اتقان مركبات الاوتوموبيل حتى فاقت المركبات التي صُنعت فيها المركبات التي صنعت في البلدان الاخرى في كلّ سباق جرى . وصناعة الاوتوموبيل فيها على ازدياد كلَّ سنة ففي سنة ١٨٩٨ صنع فيها ١٨٥٠ مركبة ثمنها ٣٣٢٠٠٠ ثم زادت زيادة عظيمة حتى بلغ عدد ما صنع منها سنة ١٩٠٤ اثنتين وعشرين الف مركبة ثمنها ٧٠٤٠٠٠٠ جنيه اي ان الزيادة اكثر من ٢١ ضعفاً

وصدر منها الى الخارج سنة ١٨٩٨ ما ثمنهُ ٧٠٠٠٠ جنيه فزاد حتى بلغ ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٣ و ٢٩٦٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤

و يقدرون عدد الذين يعملون في معامل الاوتوموبيل في فرنسا باكثر من ٣٠٠ الف

نفس وعدد هذه المعامل ١٧٢ وعددها في انكلترا ١١٤ وفي المانيا ٠٦٠ وفي فرنسا الآن نحو ٣٠ الف مركبة بين ايدي الاهالي

الطلاق في الصين

يطلق الصيني امرأتهُ للعلل الآتية وهي العقم والزنى وسوء معاملة والديهِ والنميمة والسرقة والغيرة . واذا طُلّقت امرأة جاز لها ان تتزوج ثانية وجاز لها ايضاً ان تشكو زوجها الى الحكومة اذا كان تطليقهُ لها مخالفاً للقانون فيحكم عليهِ بالجلد ثمانين جلدة وارجاع زوجتهِ

وقد يفترق الزوجان بالتراضي لاختلاف في طبعهما ومزاجهما . واذا هجر احدهما منزلهُ فللآخر الخيار في قبولهِ ثانية او تطليقهِ . فاذا كانت الزوجة هي التي هجرت منزل زوجها عوقبت بمئة جلدة ولزوجها الخيار في ان يستردها او يتزوج غيرها او يزوجها من اراد . والمرأة التي تتزوج غير زوجها الشرعي من نفسها بعد هجرها اياهُ وقبل تطليقها منهُ تقتل خنقاً وهو عقاب الزانية عندهم . واذا كان الزوج هو الذي هجر منزلهُ وجب على امرأتهِ ان تقيم على تلك الحالة ثلاث سنوات فاذا لم يأتها خبر منهُ في تلك المدة طلقت باذن الحكومة وتزوجت ثانية اذا شاءت . فاذا لم تنتظر ثلاث سنوات بل هجرت منزلها ايضاً جلدت ٨٠ جلدة واذا تزوجت جلدت مئة

والطلاق الزامي اذا زنت الزوجة او ضربت زوجها ضرباً افضى الى جرحهِ جروحاً بالغة او كسر عظم من عظامهِ او فقد عضو من اعضائهِ او ضربها هو ضرباً افضى الى مثل ذلك

وفاة ممثل مشهور

توفي السر هنري ارفنغ اعظم ممثل انكليزي في هذا العصر . وكانت وفاتهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد تمثيل الفصل الاخير من رواية "بكت" رئيس اساقفة كنتربري الذي قتل في اوائل القرن الثاني عشر بامر الملك هنري الثاني . ولم يلحظ احد من اعضاء جوقهِ تغيرًا في حركاتهِ واشاراتهِ ليلة التمثيل مما ينذر بمرضهِ حتى آخر الفصل الاخير حين كان يمثل موت بكت وكانت عادتهُ في تمثيل موتهِ ان يسقط على المشهد ولكنهُ هذه المرة سقط عند الدرج الذي امام مذبح الهيكل حيث قتل بكت وفاه بالكلمات التي فاه بها بكت وهي " اسلم امري الى الله في يديك يا رب في يديك " ومن غرائب الصدف انها كانت آخر عبارة فاه بها السر هنري في التمثيل . فانهُ بعد ان سقط على المشهد وانزل الستار بقي منطرحاً على ظهرهِ فهرع اليهِ احد رجال الجوق ومسَّ يديهِ لينهضهُ فاذا هما باردتان فسألهُ هل انت مريض فلم يجبهُ . ورفع الستار وأنزل مرارًا

والناس يصفقون له ولا يدرون انهُ لا يستطيع النهوض من الاعياء . واخيرًا استفاق مضطربًا ووقف والتفت الى احد مساعديهِ قائلاً "وماذا جرى" فاجابهُ ان الحضور يطلبون رؤْيتك فلا بد لك من كلمة تقولها فتردد هنيهة ثم رفع الستار وفاه بكلمة شكر للحاضرين

وكان الاعياء قد بلغ منهُ مبلغهُ فبدل ملابسهُ وركب مركبة الى النزل الذي يقيم فيهِ . وبينما كان يدخل القاعة عثر وسقط ولكن احد ملازميهِ واسمهُ شبرد أقالهُ ولم يدعهُ يسقط الى الارض فقال بصوت خافت "ذلك الكرسي يا شبرد" وكانت آخر عبارة نطق بها وهو يجود بنفسهِ ومات ولم تبدُ عليهِ علامة نزع والم

والانكليز يجلون قدرهُ كثيرًا حتى انهم اقروا على دفنهِ في كنيسة وستمنستر مدفن عظمائهم وكبار كتبتهم وشعرائهم

الاشعاع من غير الراديوم

اكتشف الدكتور توماسينا الجنيڤي انهُ اذا كهرب سلك بالكهربائية السلبيَّة واحمي فعل بغيرهِ من المواد فعل الراديوم . وكذلك اذا وقعت اشعة رنتجن على الجسم صار يشع مثل الراديوم وبقيت فيهِ قوة الاشعاع بضعة ايام . ثم رأى ان قوة الاشعاع موجودة في كثير من الاجسام كالاثمار والازهار والاوراق وموجودة ايضًا في الطيور وهي في كبارها اكثر منها في صغارها

العلم في حرب اليابان

أُمر بحارة اليابان والجنود البحرية ان يستحم كلٌّ منهم قبل كل معركة بحرية ويبدل ثيابهُ التحتانية بثياب نظيفة حتى اذا جُرح لا تدخل مادة سامة في جرحهِ واعطي كل واحد منهم قطع من القطن ليسد اذنيهِ بها ومحلول حامض البوريك ليغسل عينيهِ بهِ من دخان البارود . فكانت نتيجة هذه التحوطات العلميَّة ان اكثر الجرحى برئوا من جراحهم

نفقة بعض الكليات

يبلغ ما تنفقهُ كلية برلين على كل تلميذ من تلامذتها في السنة ١٣ جنيهاً وباريس ١٤ ١/٢ وفينا ١٥ وادنبرج ٣١ ١/٢ وهارفرد ٦١ وكولمبيا ٩٤ وبايل ٥١ وبرنستون ٦٧ وهذه الاربعة الاخيرة في الولايات المتحدة الاميركية

قوة شلال نياغرا

قدَّر مهندسو اميركا حديثًا انهُ ينصب من شلال نياغرا ٢٣٠٠٠٠ قدم مكعبة من الماء كل ثانية من الزمان وفي انحدارها من القوة ما يساوي تسعة ملايين حصان يمكن استخدام نصفها للاعمال المختلفة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين



December

ديسمبر

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ شوال سنة ١٣٢٣

السر هنري ارفنغ

لقد يعجب المرء لاول وهلة اذا دخل كنيسة وستمنستر التي يدفن فيها ملوك الانكليز وعظماؤهم ورأى ضريح ممثل من الممثلين او شاعر من الشعراء بجانب اضرحة كبار الملوك والقوّاد والوزراء . ولكنهُ اذا نظر في الامر مليًّا لم يرَ سببًا للعجب لان النوابغ الذين يفوقون غيرهم لا ينحصرون في فئة من الناس والنابغة في الشعر او في التمثيل او في الغناء كالنابغة في سياسة الممالك او في قيادة الجيوش ولا مزية للواحد على الآخر الأ بمقدار ما يسترعي السمع ويحمل الامَّة على اكرامهِ فاذا نهضت الامة واكرمت شاعرًا او مغنيًا في حياتهِ وطلبت ان يكرم في مماتهِ فقولها القول الفصل وكلمتها هي المرعية . ومن هذا القبيل اكرام الامة الانكليزيَّة للسر هنري ارفنغ الممثل المشهور الذي توفي بالامس

ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٨ واسم ابيهِ صموئيل برودريب ولكن السر هنري انتحل اسم ارفنغ سنة ١٨٨٧ برخصة ملكية . وكان مولعًا منذ صغرهِ بمطالعة الاقاصيص الشعرية فحفظ منها ما راقهُ . ولما بلغ الحادية عشرة اتى مدينة لندن ودخل احدى مدارسها وكان يقضي وقتًا طويلاً في مكتبتها يقلّب الكتب القديمة وينتقي الخطب التي كان يُطلب من التلامذة حفظها فيفضّل ما كان كثير الخيال منها

وبعد ان اقام في المدرسة سنتين اخرجهُ ابوهُ منها وادخلهُ مكتبًا تجاريًا ليكون كاتبًا فيهِ فكان يأتي كلَّ يوم بالدواوين الشعرية والروايات التمثيلية ويطالعها في ساعات الفراغ ويبذل الجهد في استظهارها حرفًا حرفًا . وكان راتبهُ ١٣ شلنًا في الاسبوع فكان يوفر منهُ بعض دريهمات لمشترى كتب التمثيل وينهض كلَّ يوم الساعة الرابعة صباحًا فيتمشى الى النهر حيث

كان يغتسل ثم يشرع في قراءة تلك الكتب وحفظ ما فيها حتى الساعة التاسعة وهو وقت فتح المكتب



السرهنري ارفنغ يقرأ اشعار تنيسن

واتفق ان بعض المولعين بفنّ التمثيل نظم فرقًا لدرس هذا الفنّ فكان تلامذة كلّ فرقة يجتمعون في مكان معيّن ويتلو كلٌّ منهم ما اختار حفظهُ ويتفنن في الالقاء والاشارات كما لو كان يمثّل على المشهد فينتقد الآخرون القاءهُ واشاراتهِ . وفي ذات مساء دخل عليهم شابٌّ حسن الطلعة طويل القامة لابس ملابس سوداء ولم يكن احد يعرفهُ . فجلس يصغي الى ما يقال حتى جاء دورهُ فوقف وجعل يلقي ما وعاهُ من غير ان يعتذر عن تطفُّلهِ عليهم فأُعجبوا بهِ غاية الاعجاب وهو هنري ارفنغ . واخيرًا عوَّلوا على التمثيل في المشاهد العمومية فطرب ارفنغ لذلك وكان كلما القى شيئًا في دورهِ يصفق لهُ السامعون و يستعيدونهُ وكان يميل الى تمثيل ادوار الرجال في الروايات ولكن حال دون ذلك نحافة جسمهِ ولطافة قدّهِ فكان يعطى ادوار النساء

اما ابوهُ فكان يؤمل انهُ يرتقي في وظيفتهِ من كاتب الى شريك ولكنهُ كان ضعيف الرأي فلم يقاوم تعلق ابنهِ بفنّ التمثيل . واما امهُ فهالها ذلك الامر ورأت في تعلّقهِ بالتمثيل ضياع آمالها فتوسلت اليهِ ان يترك التمثيل وشأنهُ وكانت مخالفتها اصعب شيء عليهِ لانهُ كان يحبها فحاول اقناعها بانهُ مصيبٌ في رأيهِ ولكن على غير طائل لان نفورها من التمثيل كان شديدًا وحبها لابنها كان اشدّ حتى انها اجتمعت مرةً بالممثلين الذين كان ابنها منتظمًا في سلكهم وكلمت كلاًّ منهم على حدة وتوسلت اليهِ ان يقنع ابنها بالعدول عن اتخاذ التمثيل حرفة لهُ . لكنهُ لم يعبأ بذلك كلهِ بل ظلّ يواظب على الدرس والمطالعة في ساعات الفراغ نهارًا وحضور فرقة التمثيل ليلاً ولجأ الى ممثل معروف فكان يعلمهُ كيفية الالقاء وإتيان الاشارات ساعة كلّ يوم. ولم يكن قد حضر تمثيل الروايات في المشاهد العمومية بسبب ما كان يلقى من مقاومة عائلتهِ لذلك فاغتنم الفرصة ذات ليلة وخرج من المنزل سرًّا وحضر تمثيل رواية "هملت" في احد المشاهد وخرج مرة ثانية وحضر تمثيل رواية اخرى وعاد الى منزلهِ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وكان اهلهُ قد دروا بخروجهِ فرآهم مجتمعين يندبون مستقبلهُ ويبكون ضياع آمالهم بهِ

ولم يمضِ زمان طويل على ذلك حتى ترك المكتب واعلن عزمهُ على الانتظام في سلك الممثلين جهارًا . وفي سبتمبر سنة ١٨٥٧ ظهر اول مرة في مشهد عمومي وما زال منذ ذلك الحين يواظب على التمثيل بلا كلل ولا ملل حتى طبقت شهرتهُ الآفاق وانعمت الملكة فكتوريا عليهِ بلقب سر سنة ١٨٩٥ وهو اول ممثل اعطي هذا اللقب

الاَّ ان الشهرة لا تأتي عفوًا . وليس الناس بالمبذرين في اكرامهم لغيرهم حتى يكرموا مَن يستحق الاكرام ومَن لا يستحقهُ . فلم ينل ارفنغ ما نال من الشهرة الواسعة الاَّ بعد ان دفع ثمنهُ سهرًا ودرسًا واجتهادًا قلَّ ان فاقهُ احد فيها . وهذا مضافًا الى ما ميزتهُ بهِ الفطرة من المزايا اللازمة للتفوّق في فن التمثيل اكسبهُ ما اكسبهُ من المقام بين قومهِ . ولقد اجمع الباحثون في سيرتهِ على انهُ رقّى فن التمثيل في البلاد الانكليزية وجعل عقلاء الامة وعلماءها يرغبون فيهِ بعد ان رغبوا عنهُ زمانًا طويلاً . ولم يقصّر في ما يتطلبهُ اهل العواطف والازياء بل ارضى الجميع فرأى العلماء والحكماء في تمثيلهِ علمًا وحكمةً واهل الخيال ومحبو الجمال تخيلاً وجمالاً وطلاَّب القصوف والتسلية ما يسر ويسلّي فاجمعت الامة على الاعجاب بهِ من حين قام في مشاهد التمثيل الى ان واراهُ لحدهُ وختمت اكرامها لهُ بدفنهِ حيث يدفن اعظم عظمائها وبتأبينهِ في جرائدها كأنهُ اعظم النابغين فيها

الرائحة وسببها

والفائدة العملية من ذلك

ان الذين درسوا العلوم الطبيعيَّة رأَوا فيها ان الرائحة ناتجة عن دقائق صغيرة تنتشر من الجسم ذي الرائحة وتؤَثر في اعصاب الشم . لكن الروائح العطرية ونحوها تدلُّ دلالة واضحة على ان دقائق الجسم يجب ان تكون اصغر مما يفرَض عادةً فان القمحة من المسك تضوّع رائحتها في غرفة توضع فيها سنين كثيرة ثم توزن في آخر المدة فاذا ثقلها على حالهِ لم ينقص شيئاً

ولبعض الحشرات قوة غريبة في الشم فانهُ اذا وُضعت فراشة من الفراش المعروف باسم ستورنيا كربيني في صندوق من الخشب ووضع الصندوق في غاب شمّت ذكور الفراش رائحتها عن بُعد ميل واتت اليها وما ذلك الاَّ لان رائحتها انتشرت على مسافة ميل حولها مع انها ضمن الصندوق فاذا فرضنا انهُ انتشر في القدم المكعبة من الهواء عشر ذرات فقط من رائحتها وفرضنا ان سمك منطقة الهواء عشر اقدام فقط فقد انتشر فيها ثلاثة عشر الف مليون ذرة

وكان المظنون ان هذه الذرات مواد جامدة خارجة من الجسم الذي تنتشر منهُ لكن الدكتور اتكن العالم الطبيعي اثبت الآن انها ليست مواد جامدة بل هي غاز ينتشر من الجسم ذي الرائحة

وذلك انهُ اذا كان في اناء زجاجي اجسام دقيقة منتشرة فيهِ وأُدخل اليهِ قليل من البخار المائي تكاثف البخار حول الدقائق المنتشرة في الاناء وصار ضباباً منظوراً

واذا كان في الاناء هواءٌ عاديٌّ تكاثف البخار فيهِ ضباباً ولكن اذا رُشّح الهواء من من الغبار والهباء بمروره في القطن المندوف لم يتكاثف البخار فيهِ بل يبقى غير منظور

وطريقة اظهار ذلك ان يوضع قليل من الماء في زجاجة وينزع بعض الهواء منها بمفرّغة الهواء فللحال يستحيل بعض الماء الذي فيها بخاراً ويتكاثف فيها ضباباً حول دقائق الهباء التي في هوائها . ثم اذا زيد تفريغ الهواء منها حتى لم يعد فيها شيءٌ منهُ بطل تكوُّن الضباب فيها مع انها تكون مملوءَة بخاراً وحينئذٍ اذا أُدخل اليها قليل من الهواء العادي عاد الضباب فتكوَّن فيها ولكن اذا أُدخل اليها هواءٌ منقًّى من الهباء بمروره في القطن المندوف لم يتكون الضباب فيها

وقد وضع الدكتور اتكن في قنينة مثل هذه حبَّة من المسك وقال انهُ اذا كانت رائحة المسك تتضوَّع منها ذرات صغيرة وجب ان يتكاثف البخار حولها ويصير ضباباً واذا لم يتكاثف

فالرائحة ليست ذرات صغيرة بل هي غاز منتشر من المسك . ووجد لدى الامتحان ان البخار لا يتكاثف في قنينة ملئت من رائحة المسك ولا اذا ملئت من رائحة الكافور ولا من رائحة النفثالين . وامتحن كذلك ثلاثاً وعشرين مادة من المواد الجامدة ذات الرائحة القوية فوجد ان روائحها لا تتولّد من ذرات صغيرة منتشرة منها بل من غازات صاعدة عنها . والظاهر انهُ لا دليل عندهُ على ان الرائحة غاز سوى انها يجب ان تكون مادة جامدة او سائلة او غازية وهي احوال المادة الثلاث فهي غاز لانها ليست جامدة ولا سائلة ولكننا لا نرى ما يمنع ان تكون من الحالة الرابعة من حالات المادة اي الكترونات منتشرة من المادة ذات الرائحة فدقائقها اصغر من الجواهر المادية التي تتكوّن الغازات منها

ولو اقتصر بحث الدكتور اتكن على ما تقدَّم لاقتصرت فائدتهُ على كونها عملية نظرية . ولكن العلوم النظرية صارت الآن اساساً للعلوم العملية فلا تكاد تكتشف حقيقة نظرية الاَّ وتكتشف لها فائدة عملية . والفائدة التي بناها الدكتور اتكن على ذلك هي ان الروائح التي تنتشر من الكنف لا يكون فيها اجسام جامدة بل هي غاز محض فليس فيها شيءٌ من جراثيم الامراض على ضد ما يتوهم جمهور الناس والاطباء ولا سيما اطباء الصحَّة الذين اذا شمُّوا رائحة كريهة منتشرة من كنيف في البيت اضطروك ان تقاومها برائحة قد لا تقل كراهة عنها وهي رائحة الحامض الكربوليك . ولا مشاحة في ان الرائحة الكريهة كريهة ويجب التخلُّص منها او تجنُّبها لانها تؤثّر في الاعصاب تأثيراً شديداً وقد تمرض بعض الناس ولا سيما قبل ان يعتادوها ولكن الروائح الطيبة تفعل ذلك ببعض الناس . ولا دليل ولا شبه دليل على ان الجراثيم المرضيَّة تكون منتشرة في الروائح الكريهة الاَّ اذا تحركت السوائل في الكنف ومجاريها فانتشر منها رشاش في الهواء وانتشرت معهُ بعض الجراثيم التي كانت في مواد الكنف وكان بينها جراثيم مرضيَّة وذلك نادر جدًّا كما لا يخفى . وهذا يفسّر لنا كيف عاش الناس قروناً كثيرة قبل استنباط الاساليب الجديدة لمنع غازات الكنف من الانتشار في البيت ولم ينقرضوا بالامراض ولا كانوا يشكون الاَّ من خبث الرائحة . ويفسّر لنا ايضاً كيف ان السرَبية اتخذوا كسح الكنف حرفةً لهم ولم يصبهم ضرر الاَّ من قلة الهواء النقي . وكيف ان عيالاً كثيرة تسكن حول اسراب المدن الكبيرة ولا ينالها اذًى

وخلاصة ما تقدَّم ان الرائحة ليست ذرات جامدة منتشرة في الهواء وان الروائح الطيبة والخبيثة سواءٌ في ذلك فلا يُحتمل ان يكون في الرائحة الخبيثة جراثيم مرضية خلافاً لما هو شائع ولما يقول بهِ كثيرون من الاطبَّاء

الدكتور برناردو المحسن الكبير

توفي بالامس رجل اقلُّ ما يقال فيهِ انهُ عظيمٌ . وقد قامت عظمتهُ باحياء النفوس المائتة وانتشالها من وهدة الفقر والبأساء

والرجل المشار اليهِ هو الدكتور برناردو الانكليزي مولدًا والاسباني اصلاً . ولد سنة ١٨٤٥ ولما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعدادًا للخدمة في الصين كاحد المرسلين فرأى ذات يوم غلامًا رثَّ اللباس مستفع السحنة فرقَّ لهُ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ الغلام انهُ يتيم لا مأوى لهُ يأوي اليهِ ولا سند يعتمد عليهِ وان لهُ رفقاء كثيرين حالهم شرٌّ من حالهِ فطلب برناردو منهُ ان يريهُ اياهم فمشى امامهُ الى حيث كانت زمرة منهم نائمة. قال الدكتور يصف ذلك المنظر " فرأيت احد عشر غلامًا نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسندًا لرؤوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلبًا للدفء فمنهم من اضطجع على جنبهِ وجمع رأسهُ الى رجليهِ كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم الى رفيقهِ تخفيفًا لالم البرد كما تفعل الغنم . ولاح لي ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة والبقية بين ٩ و ١٤ فراعني انهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم وقلت في نفسي ما هؤلاء المساكين الاَّ بعضٌ من كلٍّ وشعرت كأنَّ يد الله مدَّت وازاحت الستار من امام عينيَّ لأرى خلقة ما يقاسيهِ كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعلهُ وحدي وهو انقاذ الولد البائس الذي كان اول من رأيت من هؤلاء المساكين ثم على السعي في انقاذ امثالهِ "

وحدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجههِ وشدَّد عزيمتهُ على السعي والعمل . وهو انهُ عقد اجتماع للمرسلين في احد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برناردو ان يتكلم بدلاً منهُ وكان لا يزال تلميذًا في مدرسة الطب فتمنَّع عن الكلام تهيبًا لانهُ لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف وقال انهُ نظرًا الى غياب بعض الخطباء طلبت من احد تلامذة الطب ان يقصَّ علينا شيئًا عن اشغالهِ المدرسية قبل سفرهِ الى الصين قريبًا . فصفق السامعون فلم يسع برناردو اذ ذاك الاَّ ان يمتثل فنهض وهو لا يكاد يعي مما عراهُ من الحياء وبدأ الكلام وعيناهُ مغمضتان ليستجمع شوارد الموضوع وينسى مكان وجودهِ . فجعل يتعثَّر اولاً ويتمتم حتى اذا امتلك قواهُ اخذ يتدفق في الكلام تدفق السيل ويصف هول المناظر التي رآها في ايست اند احد احياء لندن ونسي نفسهُ وسامعيهِ حتى بلغ كلامهُ اعماق القلوب

ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان

وما كاد ينزل عن المنبر حتى استقبلتهُ فتاة خادمة وقالت لهُ "قد جئت الى هذا المكان لمساعدة المرسلين وجعلت دأبي الصلاة لاجلهم منذ سنين . وانا لست الاَّ خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كلَّ ما استطيع لهم . ولكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على ابوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعتهُ لمساعدة المرسلين" . ثم وضعت في يدهِ صرَّة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك . ولما وصل الى منزلهِ فكَّ الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش وكانت اول الدراهم التي جاءتهُ من الجمهور والبذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ما جمعهُ مدة خدمتهِ البالغة نحو ٤٠ سنة

ونشرت الجرائد خطبتهُ واطَّلع عليها لورد شفتسبري فأثرت فيهِ تأثيرًا شديدًا فدعا برناردو للعشاء عندهُ . وبعد العشاء سألهُ وهو بين مصدّق ومكذّب هل تظنُّ اننا نرى غلمانًا نائمين في العراء هذه الليلة . فأجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قولهُ وطلبوا منهُ ان يدلهم على المكان الذي يظنُّ الغلمان نيامًا فيهِ فقام امامهم وتبعوهُ على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأوا بعيونهم ما تحققوا بهِ صدق قولهِ . وكان ذلك بدء عمل من اعظم الاعمال الخيريَّة ومبرَّة من اشرف المبرات فجمع برناردو على اثرهِ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم ربَّى بها نحو خمسين الف يتيم ويتيمة فخرجوا من ملجإهِ شبانًا وشاباتٍ ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوهُ علمًا وعملاً

واول ملجإ انشأهُ كان في مكان اسمهُ ستابني بلندن وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جعل يوسعهُ بما يضيفهُ اليهِ من المباني حتى صار دارًا كبيرة سميت ملجأ برناردو وكني هو "بابي الذين لا اهل لهم" وعدد الذين يربون فيها الآن يزيد على ستة آلاف نفس وانشأ ملاجئ اخرى في غير لندن من مدن انكلترا وقراها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل شرع يفكر في طريقة يمكّن بها الذين يخرجون من ملجإهِ من العمل خارجهُ فاهتدى اليها وهي انهُ انشأ ادارة للمهاجرة وجعل يسفّر الشبان والشابات الى كندا حيث اشترى مزارع وحقولاً تقدر مساحتها بالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار والبنات فاعطوا اعمالاً اخرى . وكان يرسل كلَّ سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجإهِ الى كندا فيجدون لهم اعمالاً ويفلحون كلهم ما عدا ٢ في المئة على وجه التعديل

وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين

والسياسة والادب في لندن مثل اسقف لندن واسقف ستابني واللورد روبرتس والمسترستد صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان تقدم على الاكتتاب بالاموال لمساعدة ملاجىء برناردو تذكاراً لعيد ملادهِ وأرسلت اليهِ جلالة ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيدهِ تهنئةً بها وتدعو لعملهِ بالنجاح العاجل

وفي سبتمبر الماضي اصابتهُ نوبة قلبية ذهبت بحياتهِ فكتبت الملكة رسالة تعزية الى ارملتهِ. وعرضت جثتهُ فمرَّ من امامها الوف من عارفي فضلهِ والمعجبين بهِ . واحتفل بدفنهِ احتفال قلَّ نظيره فمشى في مقدمة جنازتهِ الوف من الاولاد الذين في ملاجئهِ وقد صفوا صفوفاً عديدة على حسب سنهم ومشى خلف نعشهِ كثيرون من علية القوم ونخبة الامة الانكليزية ودفن مأسوفاً عليهِ . فيا سعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال

اليزه ركلي

اليزه ركلي زعيم من زعماء الفوضويين وعالم من علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان وهو صاحب الجغرافية العمومية الجديدة التي صدرت في تسعة عشر مجلداً كبيراً . ولد سنة ١٨٣٠ ودرس على كارل رتر الجغرافي الالماني وكان من المتطرفين في الحرية فاضطرَّ ان يخرج من فرنسا سنة ١٨٥١ واقام سبع سنوات في انكلترا واميركا حيث اتسعت معارفهُ بالاسفار ثم عاد الى فرنسا وانضمَّ الى الكومون فنفي منها بعد الحرب وعاد اليها لما صدر العفو العام سنة ١٨٧٩ وشرع في تأليف جغرافيتهِ الكبيرة وهو في المنفى. ولهُ كتب كثيرة من هذا القبيل مثل كتاب الارض في مجلدين كبيرين والظواهر الارضية وتاريخ جبل . ولهُ كتاب تركهُ من غير طبع في اربع مجلدات موضوعهُ التاريخ وتأثير الجغرافية فيهِ . وهو من نوابغ الكتاب ومن اكثرهم تدقيقاً



وقد كان كريماً جواداً تنطبق سيرتهُ على تعاليمهِ فاستعزَّ بهِ الاشتراكيون والفوضويون المعتدلون وكانت وفاتهُ في الرابع من شهر يوليو الماضي

قبل الولادة وبعد الموت

اين كانت نفوسنا قبلما وُلدنا واين تذهب بعد ما نموت أَوَليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها . هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الاَّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

الاديان المختلفة تحلُّ هذا السوءال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبني على الحس والمشاهدة . والذين يبحثون عن ادلة علميَّة لمعرفة ما كان الانسان عليهِ قبلما وُلد وما يصير اليهِ بعد ما يموت فئتان فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم . وفئة تقول ان في الجسم الحي روحاً وهذه الروح تنفصل عنهُ احياناً فيبقى حيًّا وتغادرهُ عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحلَّ في جسم آخر . ويدَّعون انهم وجدوا ادلَّة تؤيد ذلك فكأنهم عادوا الى مذهب التقمص الذي قال بهِ القدماء ولا يزال الهنود يقولون بهِ الى الآن

وقد اطَّلعنا على مقالة للكولونل ده روشا نشرت في مجلَّة العلوم النفسية التي يحررها جماعة من اشهر علماء العصر مثل الدكتور داريه والاستاذ ريشه والسر وليم كروكس والمسيو فلامريون والاستاذ لمبروسو والاستاذ مورسلي والدكتور اوشروتز . وفي هذه المقالة وصف فتاة نوَّمها الكولونل ده روشا على اسلوب خاصّ فتنبَّهت ذاكرتها وصارت تتذكر احوالها الماضية قبل ان ولدت ولادتها الاخيرة وقبل ان ولدت الولادة التي قبلها وهلمَّ جرًّا وتنبأَت بما ستصير اليهِ بعد بضع سنوات وها نحن موردون خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن لغرابتهِ لا لاننا نعتقد صحتهُ ثم نعقب عليهِ بما يبدو لنا قال

لا يخفى ان الانسان وهو في سكرات الموت قد تتنبَّه ذاكرتهُ فيتذكَّر امورهُ الماضية بدقة ولقد بيِّنت ان ذلك يمكن احداثهُ في بعض الناس بتنويمهم بواسطة الاشارات الطولية اي من الاعلى الى الاسفل فيصيرون يتذكرون ماضي حياتهم الى سن الصغر ثم اذا ايقظتهم بواسطة اشارات عرضية تقاطع الاشارات التي ناموا بها مرُّوا في تذكرهم من سن الصغر الى ان يبلغوا السن الذي هم فيهِ

وهذا الامر على غرابتهِ لم يدرَس حتى الآن الدرس الكافي ولكنهُ ليس الاَّ توسُّعاً في

امور محققة فلا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى ما يحدث لو واصلنا الاشارات الطولية حتى يصل المنوَّم الى سن الطفولية ثم يتجاوزهُ الى ما قبل ولادتهِ وواصلنا الاشارات العرضية حتى يصل المنوَّم الى سن الشيخوخة فالهرم فالموت وما يتلوهُ فيُعرَف بالاشارات الاولى ماضي الانسان وبالاشارات الثانية مستقبلهُ . ويقال ان بعض الباحثين في هذا الموضوع في اسبانيا وليون تمكنوا من جعل بعض الناس يتذكَّرون احوال ماضيهم ويكتشفون احوال مستقبلهم ثم كرَّروا عليهم تلك الاشارات فتذكر كل منهم نفس ما تذكرهُ اولاً واكتشف نفس ما اكتشف اولاً دلالة على ان ذلك حقيقي جارٍ على نمط واحد

ولا استطيع ان اذكر كل ما ثبت لي بالعمل فاجتزي عنهُ بذكر ما رأيتهُ في فتاة عمرها ثماني عشرة سنة لم تسمع كلمة عن المغنتزم ولا عن السبرتزم واسمها ماري مايو وهي ابنة مهندس فرنسوي قضى جانباً من عمرهِ في بلاد المشرق في انشاء سكك الحديد ومات فيها فتزوجت امرأتهُ مهندساً آخر من مهندسي سكك الحديد وبقيت الابنة في مدينة بيروت الى ان صار عمرها تسع سنوات وكانت تتعلَّم في مدرسة للراهبات وتعلمت هناك مبادئ القراءة العربيَّة ثم أُتي بها الى فرنسا وكفلتها عمتها وكانت تسكن البروفنس

وبقيتُ امتحن التنويم في هذه الفتاة شهرين جارياً في ذلك على غاية الرفق والتأني وكنت انومها ومعي الدكتور برتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وقد فوَّضتُ اليهِ كتابة ما يراهُ ويسمعهُ ولم يكن هو والدكتور برتران رأيا احداً من هذا القبيل ولذلك كتب ما رآهُ غير ميَّال لتأييد امر راسخ في ذهنهِ . وها خلاصة ما جرى

الجلسة الاولى في ٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ . حاولتُ تنويم ماري مايو بالاشارات الطولية فشعرت بشيء من التخدر ثم ايقظتها باشارات عرضية مقاطعة للاشارات الاولى . وأعدت ذلك بعد ربع ساعة فاوصلتها الى الدرجة الاولى من درجات النوم المغنطيسي

الجلسة الثالثة في ٥ دسمبر. نوَّمتها واوصلتها الى درجة المشي النومي (سمنمبولزم) فنامت وبقيت عيناها مفتوحتين وامتحنتُ فعل الموسيقى بها فطربت بصوت الغناء ولكنها لم تطرب بصوت البيانو

الجلسة الرابعة في ٦ دسمبر. اوصلتها في التنويم الى ان صارت ترى طيفاً منيراً خارجاً منها ولكن رؤيتها لهُ لم تكن جليَّة

الجلسة الخامسة في ٧ دسمبر . نوَّمتها وجعلتها تمر في درجات التنويم المختلفة رويداً رويداً وكنت امتحن قوة شعورها وهي في كل درجة من هذه الدرجات فوجدتُ انها وهي في درجة

المشي النومي تبقى تتذكر ما كانت تعلمهُ وهي مستيقظة ولكن حينما تصل الى درجة الاتصال (الربور) لا تعود ترى غيري ولا تسمع غيري وبقيت تتذكر اسمي واسمها . ثم لما بلغت درجة الشعور بالاتصال صارت تشعر بكل ما اشعر بهِ انا اذا لمستها ولكنها تنسى كل ما كانت تشعر بهِ في الحالة السابقة

الجلسة السادسة في ٩ دسمبر . صارت ترى طيفاً جليًّا قائماً بجانبها وقلتُ لها ان تتصورهُ بصورة امها فتصوَّرتهُ كذلك لكن لم يظهر في ذاكرتها شيء من تذكُّر الماضي

الجلسة السابعة في ١٠ دسمبر . تمَّ انفصال الطيف عنها واقام الى جانبها وقلتُ لها ان تنقلهُ من مكانهِ فنقلتهُ وقلتُ لها ان تجعلهُ يخرق سقف البيت ويخرج منهُ فلم تستطع . وكانت ترى بينها وبينهُ حبلاً من النور ممتدًّا فوق رأسها فكلما لمستهُ تألَّمت من ذلك

الجلسة التاسعة في ١٢ دسمبر . درسنا في هذه الجلسة تأثير التنويم فيها حسب الوقت وكتب المسيو لاكوست الملاحظات التالية

الساعة ١ والدقيقة ٣٠ كانت مستيقظة لم تؤثر الاشارات فيها

الساعة ١ والدقيقة ٣٣ امسك المسيو ده روشا بيديها واضعاً ابهاميهِ في راحتيها فشعرت كأنَّ سائلاً مرَّ في كل ذراع من ذراعيها ونامت بعد دقيقة من الزمان

الساعة ١ والدقيقة ٣٦ مرَّت من حالة السبات الى حالة المشي النومي وهي الحالة الثانية من حالات التنويم المغنطيسي على رأي المسيو ده روشا وكانت عيناها مفتوحتين وهي لا ترى ولا تشعر وبعد ثلاث دقائق ونصف دقيقة بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال (ربور) فكانت تأبى ان ترينا رجلها خجلاً ولكنها لا تأبى ان تدنو من المسيو ده روشا وتعتنقهُ

وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٦ بلغت الدرجة الرابعة فنسيت اسمها وبقيت تخجل من اظهار رجلها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٠ بلغت الدرجة الخامسة والقت رأسها على كتف المسيو ده روشا لتستمد قوةً منهُ ونسيت اسمها ولكنها تذكرتهُ لما فرك المسيو ده روشا مارن انفها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٦ رأت طيفاً عن يسارها فيهِ شيء من الانارة

وفي الساعة ٢ والدقيقة ١ دخلت الدرجة السابعة فرأت طيفها عن يمينها وزال الطيف الذي كان عن يسارها وتذكرت انها رأت امها وهي في الدرجة السادسة ولكنها ابت ان تراها ثانية

الساعة ٢ والدقيقة ٤ تم تكوُّن الطيف وهو المسمَّى عندهم بالجسم الاثيري وحاول المسيو ده روشا اخراجهُ من الغرفة فكان يصل الى الجدار ويقف وقال لمايو ان تمدَّ اليهِ يد

الطيف اليسرى فقرصهُ اي قرص الهواء فشعرت مايو بالقرصة

الساعة ٢ والدقيقة ١١ ايقظها بالاشارات العرضية المقاطعة للاولى فاستيقظت ولم تشعر بتعب وفي يمينها علامة القرصة التي قرص بها طيفها · انتهى

قال المسيو ده روشا ونوّمتها في الثالث عشر من دسمبر وفتشت عن نقط الاستهواء في بدنها حيث يُسمح لي بالتفتيش عنها فوجدتها في رسغيها وفوق عينيها ووراء اذنيها وفوقهما وفي نحرها

ثم نوّمتها في السادس عشر من دسمبر واوصلتها الى درجة اخراج الطيف منها فكانت ترى نصفهُ عن يمينها ونصفهُ عن يسارها ونظرتُ الى الطيف الذي عن يسارها فرأتهُ جانبياً وظهرهُ الينا اي انهُ مخالف لها في اتجاهها · ونوّمتها في السابع عشر وابلغتها درجة الاتصال وكنت ادني شمعة مشتعلة من عينيها فلا تراها وادنيت من انفها قنينة مفتوحة فيها امونيا فلم يظهر انها شمّت رائحتها ولكنني تنفست قليلاً في بخار الامونيا فشمّت رائحتهُ حالاً · وطلبتُ منها ان تقبّلني فقبّلتني في وجهي ولمست شفتيها قليلاً فنفرت مني مغضبةً

وتماديت في تنويمها فصارت ترى طيفها واقفاً بجانبها فقلت لها ان تجعل شكلهُ مثل شكلها وهي ابنة ١٨ سنة ثم وهي ابنة ١٤ سنة ثم وهي ابنة ١٢ سنة ثم وهي ابنة ١٠ سنوات وسألتها اين كانت حينئذٍ فقالت في مرسيليا وهذا صحيح ثم وهي ابنة ٨ سنوات وقالت انها في بيروت وصارت تتكلم عن ابيها وامها والذين تعرفهم من سكان بيروت ممن كان يتردد على بيت ابيها · وكان كل ذلك صحيحاً

ثم غيرت الاشارات وجعلتها تقاطع الاشارات الاولى فعاد طيفها اليها ولم يكن ذلك بالامر السهل · ثم ايقظتها تماماً ولما استيقظت لم ارَ اختلافاً في قواها العقلية ولكنني خفت ان يظهر فيها اختلاف لانني اعدت طيفها اليها وهو في السنة الثامنة من عمرها فنوّمتها ثانيةً واخرجت طيفها منها فوجدتهُ في السنة الثامنة من العمر فرددتهُ الى السنة الثامنة عشرة وارجعتهُ اليها وايقظتها

الجلسة الخامسة عشرة في ١٩ دسمبر . نومتها حسب العادة واوصلتها الى الدرجة الثالثة وادنى الدكتور برتران شمعة مشتعلة من عينيها فلم يظهر انها كانت تراها ولكنها اغمضت عينيها حالما التفتَ الى الشمعة . وادنى زجاجة امونيا من انفها وقلتُ لها ان تشمها فشمتها ولم تشعر بشيء ولكنني لمست يدهُ والحال ابعدت رأسها عن الزجاجة كأنها شمّت رائحة الامونيا حينئذٍ. ولما بلغت الدرجة الرابعة نسيتْ كل شيء حتى اسمها واخذ طيفها يخرج منها · وبلغت الدرجة الخامسة فرأت الطيف عن يسارها وفيهِ نقط سوداء تقابل نقط الاستهواء في جسمها وقلت

لها ان تدل على نقطة تراها في طيفها في جبهتهِ فدلت على نقطة في جبهتها ولكنها رأَت النقطة في الطيف الى الجهة اليسرى ودلت على نقطة في الجهة اليمنى من جبهتها . فوضعت مرآة امام الطيف فرأَتهُ فيها واصلحت خطأَها ودلت على نقطة في الجبهة اليسرى من جبهتها . وتمَّ شكل الطيف لما بلغت الدرجة السابعة وصارت تراهُ امامها مواجهاً لها ومنحرفاً الى اليمين قليلاً وفقدت حينئذٍ كل حياء وحشمة ولم تعد تتذكر احداً وسأَلتها كم عمركِ فقالت ١٨ سنة فقلت لها ان ترجع الى سن ١٦ فرأَت جسمها يتغير حتى صارت كما كانت وهي ابنة ١٦ سنة . ثم طلبتُ منها ان ترجع الى ما كانت عليهِ وهي ابنة اربع عشرة سنة فاثنتي عشرة سنة فعشر سنوات وسأَلتها حينئذٍ اين تسكن فقالت في مرسيليا . ثم طلبت منها ان ترجع الى سن ٨ سنوات وسأَلتها اين هي فقالت في بيروت وسأَلتُ ما معنى كلمة بون جور بالعربية فقالت سلام عليك . ثم قلت لها ان ترجع الى السنة الرابعة وسأَلتها اين هي فقالت في مرسيليا . ثم الى السنة الثانية وسأَلتها اين هي فقالت في كوجه وهذا صحيح ايضاً . ولما وصلت الى السنة الاولى لم تعد تتكلم بل كانت تكتفي بالنظر اليَّ وبقولها نعم او لا . ولما ارتدَّت الى ما وراء ذلك بقيت تشعر بوجودها ولكن ليس في حالة محدودة ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى وجود آخر . ووقفتُ عند هذا الحد واعدتها الى حالتها الطبيعيَّة رويداً رويداً الى ان صار عمرها ١٨ سنة ولم اقف عندهُ بل تماديت في الاشارات العرضية وسأَلتها كم صار عمركِ الآن فقالت ٢٠ سنة فقلت لها اين انتِ الآن هل انتِ في اكس فقالت كلاَّ فقلت لها هل تتذكرين مسيو لاكوست ومدام لاكوست فقالت نعم وسأَلتها هل تتذكرين المسيو ده روشا فتبسمت وقالت نعم . واعدتها الى حالتها الطبيعية بالاشارات الطولية

الجلسة السابعة عشرة في ٢٢ دسمبر . نوَّمتها واعدتها الى سن ١٢ وقلت لها ان تكتب اسمها فكتبتهُ marie بحروف متساوية ارتفاعاً . ثم اوصلتها الى السنة الثامنة وطلبت ان تكتب اسمها فكتبت حرفين عربيين[1] ورددتها رويداً رويداً الى ان وصلت الى زمن ولادتها والى ما وراء ذلك ودار بيني وبينها المسائل التالية

س . من انتِ الآن

ج . امرأَة اسمها لينا

س . اين تسكنين

ج . لا اعلم

(١) (المقتطف) الحرفان يشبهان شد او شهد بخط قريب من الفارسي

س . هل انتِ حية او ميتة

ج . ميتة

س . كيف متِّ

فاجابت انها لم تمت بمرض بل بالماء غرقت واختنقت وورمت

س . هل كنتِ حاضرة في جنازتها

ج . كلاَّ لان جسمها لم يستخرج من الماء

س . هل تألمتِ من الانحلال في الماء

ج . كلاَّ لم اشعر بلذة ولا بالم

ثم رأيت ان اعيدها الى حالتها الحاضرة بالاشارات العرضية فارتدّت رويداً رويداً الى ان دخلت جسم امها وهي حبلى وولدت ثانية ونمت حتى صار عمرها ١٩ سنة فسألتها اين هي الآن

ج . ليس هنا

س . اتعرفين في اي بلاد انتِ

ج . كلاَّ

واوصلتها الى سن ٢٠ سنة وسألتها اين انتِ الآن . فاشارت بيدها انها لا تعلم فقلتُ لها اين تكونين حينما يصير عمرك عشرين سنة فقالت لا اعلم ولكني اري اناساً ليسوا مثل الذين هنا

فقلت لها اني عازم ان اقدمك في السن اكثر فاكثر فاذا حدث لكِ شيء مهم فاخبريني حتى اقف . صار عمركِ ٢١ سنة صار عمركِ ٢٢ سنة ألا تزالين هناك فقال لا وعادت بغتة الى سن ١٨ سنة وبقي طيفها عن يمينها فايقظتها ثم نوَّمتها وجعلتها تعود رويداً رويداً الى ما قبل ولادتها فاذا هي امرأة اسمها لينا ماتت غرقاً وصعدت في الهواء ورأت فيهِ كائنات منيرة ولكن لم يسمح لها بالتكلم معهم ولم تتألم ولا تعبت وهي في تلك الحالة ثم ارجعتها الى سنها الحالي ونقدمت بها الى ان صار عمرها ٢١ سنة فاذا هي تقطن بلاداً اهلها زنوج عراة ولم تتقدَّم عن ذلك بل عادت الى سنها الحالي

الجلسة الثامنة عشرة في ٢٣ دسمبر . نوَّمتها لاعرف ماضي حياتها بالتدقيق فعرفت منها ان المرأة لينا التي كانتها قبلما ماتت وولدت الولادة الاخيرة كانت زوجة صياد اسمهُ ايفون وكان لها ولد وحيد مات وعمرهُ سنتان وكسرت السفينة بزوجها فمات غرقاً فيئست من الحياة والقت

نفسها في البحر من رأس شاهق واكل السمك جسمها . هذا من جهة ماضيها اما مستقبلها فرأت فيهِ انها وهي في التاسعة عشرة من عمرها تسافر مع امها وتقيمان في بلاد اهاليها سود عراة ولم ترَ شيئاً وراء ذلك . وبقيت لا تنوَّم الاَّ بارادتها

الجلسة التاسعة عشرة في ٢٤ دسمبر . نوَّمتها ورددتها الى الحالة التي كانت فيها لما كان اسمها لينا ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى التيه ثم صارت رجلاً غير صالح وضربتُ يد طيفها بيدي حينئذٍ فاحمرَّت يدها الحقيقية

الجلسة العشرون في ٢٦ دسمبر . لا يزال الاحمرار في يدها حيث ضربتُ يد طيفها . وكانت ترى الطيف الذي الى يمينها احمر والطيف الذي الى يسارها ازرق اي انها كانت ترى طيفها نصفين احدهما الى يمينها وهو احمر والآخر الى يسارها وهو ازرق وكل نصف منها جانب واحد منها ظهرهُ الينا ووجههُ الى ما وراءها كأنهُ صورتها في مرآة جانبية

ثم جعلتها تتدرَّج في تاريخ ماضيها فكانت ترى طيفها يصغر كما صغرت سنًّا حتى اذا صارت طفلة في بطن امها زال الطيف تماماً وامتزج بالجو . ولما صارت لينا وماتت دخلت العتمة وحاولت ان تلتقي بزوجها وولدها فلم تلتقِ بهما . وكانت في زمن لويس الثامن عشر وقبل ذلك كانت رجلاً اسمهُ شارل موفيل ابتدأ كاتباً في احدى نظارات باريس . وكان الناس حينئذٍ يقتتلون في الاسواق وقتل هو بعضهم لانهُ كان شريرًا ولما صار عمرهُ خمسين سنة مرض وترك منصبهُ ثم مات وسار طيفهُ في الجنازة وسمع الناس يقولون "لقد تمادى في الشر" وبقي في حالة غير راضية الى ان دخل جسم لينا

الجلسة الحادية والعشرون في ٢٧ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى الدرجة السابعة فنسيت اسمها واسمي وصارت ترى نصف طيفها ازرق عن يسارها والنصف الآخر احمر عن يمينها واذا رفعت يدها اليمنى رأت النصف الايسر من طيفها يرفع يدهُ والضد بالضد . واوصلتها الى الدرجة الثامنة فتم الطيف وعادت ذاكرتها اليها ولما بلغت السنة الاولى من تدرجها الى الوراء سألتها عما اذا كانت تتكلم فقالت لا فقلت لها كيف قلتِ لا وانتِ لا تتكلمين فقالت ان الذي اجابك هو انا ليس الشخص الصغير الواقف بجانبي . فقلتُ لها اذًا لستِ كائنةً في هذا الشخص الصغير . فقالت لا لان حول هذا الشخص ضباباً منيرًا . فقلت لها أَوَ لا يوجد شيء آخر فقالت نعم يوجد شيء اخر وهو نفسي التي ترى الشخص الذي عمرهُ سنة والشخص الذي هو انا الآن

واعدتُها الى ما وراء ذلك وسألتها في اي وقت دخل الطيف جسمها فقالت انهُ دخلهُ قُبيل ولادتها وكان قبل ذلك حول امها ثم كان قبل ذلك في العتمة

وردها الى ان كانت لينا حينما كان عمرها ١٥ سنة وكانت مع امها وهي لا تعرف اباها ولا اسم عائلتها ووراء ذلك كانت في الظلمة وهي في حالة الألم من توبيخ الضمير وكانت قبلها رجلاً اسمهُ شارل موفيل مات من برد اصابهُ وعمرهُ خمسون سنة · وحاول ارجاعها الى ما وراء ذلك فجعلت تسعل ثم ردها الى جسم لينا وتدرّج في عمرها الى ان حانت وفاتها فابطأ في الاشارات فانقطع نفسها وجعل جسمها يتمايل كأنها محمولة على ظهر الامواج وظهر عليها كأنها كادت تختنق فاسرع الاشارات وايقظها حالاً

الجلسة الثانية والعشرون في ٢٩ دسمبر · ووصفها منقول عن الدكتور برتران . قال ان المسيو ده روشا نوّمها وتدرّج الى ان بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال فلم تعد ترى غيرهُ وطلب منها ان تعود الى سن ١٦ فقالت انها عادت . ثم اوصلها الى الدرجة الرابعة ولم تعد تشعر الاَّ في الغشاء المخاطي كما في لسانها وشفتيها وفي كتفيها · ولما وصلت الى الدرجة الخامسة ظهر طيفها كغيمتين منيرتين في شكلين جانبيين احدهما ازرق وهو عن يسارها والآخر احمر وهو عن يمينها · وفي الدرجة السادسة التحم الطيفان وصارا طيفاً واحداً نصفهُ احمر ونصفهُ ازرق ووقف امامها وكانت ذاكرتها قد ضعفت فقويت بغتةً وامرها حينئذٍ ان تجعل طيفها يرتفع فارتفع ولكنها لم تستطع ان تجعلهُ يخرق السقف وكانت تشعر باقل حركة تحركها يدهُ فوق رأسها وفسر ذلك بان طيفها متصل بها بحبل اثيري ممتد فوق رأسها · ثم اعادها الى سن ١٨ واوصلها الى سن ٢٠ ودار بينهُ وبينها الحديث التالي

س · في اي بلاد انتِ

ج · لا اعلم

س · مع مَن انتِ

ج · مع زوج امي

س · وبعد ذلك

ج · مع الزنوج

ثم قال امشِ معي فاني اريد ان تصيري ابنة ٢١ سنة ثم ابنة ٢٢ سنة . فلم تتقدم عن سن ٢٠ سنة ثم قالت انها مع الزنوج في بيت بعيد عن محطة سكة الحديد · فاعادها الى سن ١٨ فسن ١٦ و ١٤ و ١٢ و ٨ و ٥ و ٢ . ولما صارت في سن سنتين قالت انها لا تعرف ان تتكلم

وسألها عن نفسها فقالت انها مثل لسان الشمعة بين جسمها الحالي والطيف الصغير الذي صارته ثم دار بينهما الحديث التالي

هو — ارجعي الى بطن امكِ ماذا اصاب الجسم الصغير الآن

هي — اختلط

هو — اين انتِ الآن

هي — لا اعلم ولا ارى شيئاً ولكني اشعر بشيء متحرك

هو — عودي الى حالتكِ الحاضرة كيف شعرتِ لما ولدتِ

هي — تجسّم طيفي حينما قُطع الحبل السري

هو — ارجعي الى بطن امكِ واخرجي منهُ ولا يزال حبلك السري متصلاً فهل تتنفسين

هي — كلا

هو — قُطع الحبل السري فهل تتنفسين الآن

هي — نعم

هو — عودي الآن الى العتمة

ثم قال لها يجب ان تصيري كما كنتِ وقتما غرقتِ . وللحال دارت على جانبها الايمن ووجهها بين يديها وبقيت كذلك بضع ثوانٍ . ثم دارت على جانبها الايسر وصار تنفسها صعباً وبانت على وجهها دلائل الاضطراب والخوف وصار حلقها يتحرك كمن يبلع الماء غصباً عنهُ ونطقت بالفاظ لم نفهمها وجعلت تتململ وبانت على وجهها علامات الالم الشديد فامرها ان تتقدّم عن ذلك بضع ساعات ثم قال لها هل اتعبكِ النزع . فقالت نعم

واشار بعض الاشارات العرضية وقال لها اين انتِ الآن فقالت في العتمة ولم تعد تتذكر شيئاً مما جرى لها ولا غرقها . ووالى الاشارات العرضية فتقدّمت الى سن ٢ و ٦ و ١٠ واخيراً بلغت سن ١٨ وهو سنها الحالي وايقظها فيهِ

الجلسة الثالثة والعشرون في ٣٠ دسمبر . مما كتبهُ الكومندور رميس رئيس الجمعية الثيوصوفية في مرسيليا

عمر الفتاة ١٨ سنة وهي متعلمة متهذبة مستكملة الصحة جسداً وعقلاً لا تتعب من التنويم . حالما اشار اليها الكولونل ده روشا بالاشارات الطولية نامت وتنقلت في درجات التنويم . وحالما نامت فقد جسمها الشعور ولم يعد يشعر الاَّ بعد ان تجرّد طيفها منها . والطيف يخرج منها رويداً رويداً في طبقات سائلة يمتزج بعضها ببعض على مقربة منها واذا قُرِص

شعر جسمها بالقرص . ولم تعد ترى احداً غير الكولونل وكنت واقفاً امامها على نحو متر منها فلم ترني ولكن الكولونل لمسني فوصلني بها وللحال صارت تراني اي انها صارت تشعر بواسطته وادنيت من انفها زجاجة فيها امونيا فلم تشعر برائحتها ثم ادنيت هذه الزجاجة من انف الكولونل فشعرت هي برائحتها ونفرت كأنَّ الزجاجة امام انفها وقد شعرت برائحتها

ولما كمل تجريد طيفها منها قام وحده على نحو متر منها ورأته عن يسارها ممزوجاً من لونين ازرق واحمر وهو متصل بها بحبل سائل في ثخانة الاصبع . ومددت يدي الى هذا الطيف فشعرت بهِ بارداً . ثم امرها ان تقسم الطيف الى قسمين فقسمته الى قسمين احمر وازرق واقام القسم الاحمر عن يمينها والازرق عن يسارها ثم مزجت القسمين معاً واوقفتهما عن يمينها وكان الكولونل يقرص الهواء في المكان الذي ترى فيهِ الاتصال بينها وبين طيفها فتشعر بالقرص وتبعد الى الوراء . وطلبتُ منها ان ترفع الطيف فارتفع الى ان وصل الى السقف ثم طلب منها الكولونل ان تنزله وتوقفهُ عن يمينها ففعلت وامرها ان تتدرَّج في ماضي حياتها فتدرَّجت رويداً الى حين ولادتها ثم الى ما وراء ذلك . ولما بلغت السنة السادسة عشرة من العمر سألها هل تعرفين الكولونل ده روشا فتبسمت وقالت لا كأنها تقول لم اكن اعرفهُ حينئذٍ . وظهرت عليها دلائل الاستحياء حين صار عمرها ست سنوات فاذا لمست ركبتها وعمرها ست سنوات خجلت ومدَّت يدها لتدفع بها اليد التي لمستها واما اذا لمست ركبتها وعمرها خمس سنوات لم تفعل ذلك . ولما كان عمرها ١٢ سنة قالت انها كانت لا تزال في بيروت ولم تكن تعرف اللغة الفرنسوية بل تعرف العربية . ولما بلغت سن الولادة فارقها طيفها لكنها رأتهُ محيطاً بامها كأنهُ سحابة من مادة سائلة وكانت قبل ذلك في العتمة لا تتألم ولا ترى شيئاً حولها ولكنها تشعر ان حولها خلائق اخرى لا تعلم ماهيتها . ثم اجتازت هذه الحالة بألم شديد (لانها ماتت غرقاً) وظهرت في بريتني امرأة اسمها لينا زوجة رجل صيَّاد

واجتازت عمر هذه المرأة وعادت الى الظلمة حيث كانت تتألم وكانت قبل ذلك رجلاً شريراً اسمهُ شارل موفيل مات وعمرهُ خمسون سنة ووصلت الى حين ولادتهِ ولم تتجاوزها فسألها الكولونل المسائل التالية

هو — اين ولدت

هي — في باريس

هو — في اي عهد

هي — في عهد الملكية

هو — انت الآن في السنة الثلاثين من عمرك فاين انت وماذا تفعل

هي — في باريس في احد الدواوين

هو — ما هو عملك

هي — لا اعلم

هو — اكتب اسمك

فامضت اسمها شارل موڤيل

هو — من المتسلط على فرنسا الآن

هي — كثيرون

هو — انت من حزب الثورة بلا شك

فلم تجب لكنها تبسّمت

هو — لا بدَّ من انك كنت راضياً بقتل الملك والملكة

هي — الملك نعم واما الملكة فلا

هو — انت الآن في الخمسين من عمرك وقد دنا الموت منك

فاصابها سعال وضيق نفس شديد كما يصيب المصدورين

هو — اكان وراء النعش كثيرون

هي — كلاَّ

هو — هل قالوا انك كنت رجلاً شريراً

هي — نعم (قالت ذلك بصوت منخفض بعد ان ترددت عن الجواب هنيهة)

ثم انتقلت الى الظلمة وتقمصت ثانية في بريتني ووُلدت ابنة وتقدَّمت في السن الى ان صار عمرها ١٨ سنة فتزوجت وتمخَّضت وولدت ابناً وظهرت عليها كل آلام المخاض حتى اضطرَّ الكولونل ان يجعلها تجتاز ذلك بسرعة ثم صار عمرها ٢٢ سنة فغرق زوجها ومات ابنها ويئست من الحياة فالقت نفسها في البحر ولما كان الغرق مؤلماً لها جعلها تجتازهُ بسرعة فانتقلت الى العتمة ولم تتألم فيها كما تألمت لما كانت في الظلمة بعد موتها وهي شارل موڤيل . وتقمَّصت اخيراً في جسمها الحالي فايقظها لما بلغت السن الذي هي فيهِ

وسنأتي على تتمة هذا البحث في الجزء التالي ونشفعهُ بما يبدو لنا من التعاليل

الري في اعالي النيل

من مقالة للسر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية
نشرت في مجلة القرن التاسع عشر

قسمت هذا الموضوع قسمين ضمنت الاول منهما وصفاً مختصراً لمجرى النيل من منبعهِ الى مصبهِ والثاني وصف المشروعات التي يراد عملها للتحكم بهِ وضبط مياههِ من مخرجهِ الى مصبهِ في بحر الروم . ولما كان النيل بين مخرجهِ من بحيرة فكتوريا واقترانهِ بالبحر الازرق عند الخرطوم مختلف الاسماء باختلاف شعبهِ وفروعهِ المتعددة مثل نيل فكتوريا وبحر الجبل وبحر الزراف فسأعدّي عن هذه الاسماء الى اسمهِ المشهور وهو "البحر الابيض" طلباً للبسط وهرباً من الغموض والابهام

لا يخفى ان النيل شمالي الخرطوم مؤلف من فرعين كبيرين يقترنان على مسافة قصيرة منها وهما البحر الازرق والبحر الابيض والاول يجري من الجنوب الشرقي والثاني من الجنوب وكلاهما يستمدُّ ماءهُ من بحيرات كبيرة واقعة في صُعُدٍ ترتفع كثيراً عن سطح البحر. فالبحر الازرق منبعهُ بحيرة تسانا في صعيد الحبشة الشمالي والابيض بحيرة فكتوريا نيانزا في صُعُد اوغندا على خط الاستواء وبحيرتا ألبرت ادورد نيانزا والبرت نيانزا فيخرج من من الاخيرة ويجري الى الشمال نهراً واحداً

ويختلف البحر الازرق والبحر الابيض الواحد عن الآخر كلَّ الاختلاف ولكلٍّ منهما شأن عظيم في انتظام الفيضان السنوي بين ارتفاعهِ وهبوطهِ ولكن البحر الابيض اعظم شأناً وعليهِ يتوقف عمران البلاد التي الى واديهِ الشمالي . اما البحر الازرق فانهُ وان كان كثير الطمي الذي لا غنى عنهُ لخصب مصر فهو متقلّب في اطوارهِ فيضنُّ بالماء والحاجة اليهِ شديدة ووجه الارض يُقلى بحر الشمس صيفاً

واهمُّ اوجه الفرق بين البحرين في مجراهما ان البحر الازرق ينحدر من صُعُد الحبشة الى بلاد جبلية كثيرة الغياض والسيول ويجري في وادٍ عميق لم يستطع السياح تتبعهُ من اولهِ الى آخرهِ تتخللهُ شلالات كثيرة الانحدار ذات قاع صخري . ومتى بلغ نصف الطريق انساب في بلاد سهلية جبلية . وينضم اليهِ في اثناء جريهِ انهر عديدة من صعيد الحبشة الغربي واكثرها غدران تسيل وتطمُّ ثم تنضب

واذا كان واطئاً رأيت ماءهُ صافياً نقياً من شوائب الاكدار ينعكس عنهُ وجه السماء

كما من مرآة فيظهر لونهُ مزرقًا . ولكن في زمن الفيضان يكثر الطمي فيهِ فيخرج لونهُ مثل القهوة . وهذا الطمي هو السبب في خصب تربة مصر الذي اشتهرت بهِ من قديم الزمان . والفرق بين مقدار الماء في البحر الازرق فائضًا وبينهُ فيهِ غائرًا عظيم جدًّا لان مقدارهُ في الحالة الاولى ستون الى سبعين ضعف مقدارهِ في الثانية

اما البحر الابيض فيختلف عن الازرق من جميع الوجوه فانهُ يجري اولاً في بلاد جميلة المناظر الطبيعية . وبحيرة فكتوريا التي يستمد ماءهُ منها يصبُّ فيها عدة انهر اهمها نهر كاجيرا وموقع هذا النهر في بلاد قاحلة مغطاة بالمواد البركانية تخللها سلسلة براكين صغيرة منها ما هو ثائر الى الآن . وهذه البلاد يكتنفها الضباب معظم السنة وقمم البراكين الخامدة تملأ ارضها في كل ناحية . وكلما اقتربتَ من البحيرات انقشع الضباب وصارت المناظر الطبيعية اجمل منها في البلاد الاولى . فان في بحيرة فكتوريا جزرًا عديدة يعلو النبات شواطئها وينعكس لونهُ عن وجه الماء فيزيد المنظر رونقًا وبهاء . واما بحيرتا ألبرت ادورد وألبرت فتختلفان كلَّ الاختلاف عن بحيرة فكتوريا فان حولها بلادًا قفراء والجبال تكتنفهما من كل جانب وبينهما صعيد من الارض فيهِ جبال رونزوري يغطي الثلج قممها على مدار السنة وهي جبال القمر المشهورة في التواريخ وقصص الاقدمين . وفي هذا الصعيد سهول ونجود واكام تغطيها الاشجار والانجم كأنها روضة غناء فيها مسارح الظباء ومضارب اقوام اغرب مما فيها من انواع الحيوان

وبعد ما يخرج البحر الابيض من بحيرة ألبرت يجري في ارض كثيرة الشلالات تكسب منظرهُ جمالاً وجلالاً او ينساب بين اكام تكسوها الاشجار ويبقى كذلك مسافة تعادل ربع طولهِ ثم يتغير تغيرًا عظيمًا اذ يدخل ارض المستنقعات الكبيرة فتقلُّ سرعتهُ ويتسع مجراهُ ويقلُّ عمقهُ ويصير قاعهُ وحلاً بعد ما كان صخرًا وتكثر تعاريجهُ الى الدرجة القصوى ويتغير لون مائهِ فيصير مخضرًّا . وفي هذه المستنقعات موقع السدّ المشهور الذي عاق ماء النيل عن الجري في الزمان الماضي فأُزيل حديثًا بمساعي زمرة من الضباط الانكليز . ومساحتها الوف من الاميال المربعة يعلوها القصب والبردي في معظم نواحيها ويكثر فيها البعوض وتخللها برك قريبة القعر يجلب اليها ماء النهر واسم النهر هناك بحر الجبل ثم يتبخر منها بسرعة عظيمة فيفقد النهر بهذا التبخر وبامتصاص النباتات المائية جانبًا كبيرًا من مائهِ حتى اذا خرج من المستنقعات كان مقدارهُ حينئذٍ جزءا من ٥٠ الى ٨٥ من مقدارهِ عند دخولهِ اليها . وضياع هذا القدر العظيم من الماء من اشهر مزايا البحر الابيض او بحر الجبل بنوع اخص . ومهما

يكن الماء في بحيرة ألبرت عالياً او مقدار الماء الذي ينصب في بحر الجبل من الانهر الصغيرة كثيراً فان مقدار الماء الذي يخرج من بحر الجبل بعد مروره في السدّ واحد على مدار السنة وفي كلّ الاحوال . فمنع ضياع الماء هذا هو المشكل الكبير الذي يحتاج الى الحلّ فيما يختص بالنيل

هذا وان بحر الجبل او القسم المعروف منهُ بالبحر الابيض يصب فيهِ نهران كبيران عدا الانهر الصغيرة الواحد غربي واسمهُ بحر الغزال والآخر شرقي واسمهُ نهر السبت وهما يختلفان اختلافاً عظيماً من حيث تأثيرهما في الفيضان . فبحر الغزال يجري من الصعيد الواقع بين النيل واوغنده وتصب فيهِ نهيرات عديدة ويمرّ في سلسلة مستنقعات طولها مئتا ميل قبل التقائهِ ببحر الجبل فتمتص ماءهُ كما تمتص الاسفنجة الماء حتى اذا بلغ بحر الجبل او اوائل الابيض لم يبقَ منهُ سوى بحيرة ماء عميقة راكدة يعلوها القصب والبردي فما لا يتبخر منها يتحلب الى البحر الابيض عند انخفاض مائهِ

واما الفرع الشرقي اي نهر السُّبت فعليهِ يتوقف معظم الفيضان في مصر فانهُ نهر جبلي ينبع من صعيد الحبشة الجنوبي وينخفض ماؤُهُ في بعض الفصول حتى يكاد يغور ويجف ولكن سيلهُ يطمو نحو ستة اشهر وينحدر بشدة فاذا بلغ رباهُ بلغ مقدار الماء الذي يصبّهُ في البحر الابيض نحو ثلاثة اضعاف الماء الذي يجري اليهِ من البحيرات الاستوائية بطريق بحر الجبل . ويكون ماؤُهُ اذ ذاك كدراً مبيضاً ومنهُ اسم البحر الابيض

وقبل البحث في المشروعات المختلفة التي ينظر فيها للتحكم بماء النيل في اعاليهِ لا بدَّ لي من كلمة في وصف البحيرات والانهر المتعددة التي يتكوَّن النيل منها متوخياً الايجاز ما امكن لاسباب منها اولاً ان التطويل غير مقصود في عجالة مثل هذه . وثانياً ان المعلومات في هذا الصدد قاصرة محدودة . وكل سنة تمرّ تزيد معرفتنا من هذا القبيل وتمكننا من فهم احوال النيل شيئاً فشيئاً . اما البحيرات فكل الدلائل الحديثة تدلُّ على ان فائدتها من حيث خزن الماء اقل مما كان يظن قبلاً وان ارتفاع الماء وانخفاضهُ فيها كل سنة يتوقفان في الاكثر على وقوع المطر فيها وتبخر الماء منها لا على الانهر التي تصب فيها او الماء الذي يستمدهُ النيل منها

وعلى ذلك فان بحيرة تسانا مصدر البحر الازرق لا تؤَثر في مقدار الماء الذي يتدفق منهُ تأثيراً كبيراً على ما يظهر ولا يؤَثر ذلك المقدار في ارتفاع مائها وانخفاضهِ في فصل من فصول السنة لانهُ ليس شيئاً مذكوراً في جنب الماء الذي يجري الى البحر الازرق من

الانهر التي تصب فيهِ مثل الدبوس والدسا والرهد ودندر

هذا ولنرجع الى البحر الابيض فنقول ان مصدرهُ الحقيقي بحيرة فكتوريا نيانزا ولكن مقدار الماء الذي يخرج منها يقلُّ كثيرًا بعد مرورهِ في مستنقعات بحيرة تشوجا حتى ان ما يبلغ منهُ بحيرة ألبرت نيانزا و يصبُّ فيها يكاد يكون واحدًا على مدار السنة مهما ارتفع الماء فيها او انخفض. ولست اعني بهذا القول ان مقدار الماء الذي يجري الى بحيرة البرت في النهر الواصل بينها و بين بحيرة فكتوريا (نهر فكتوريا) واحد بل ان المقدار الذي يصل اليها من بحيرة فكتوريا فقط هو واحد تقريبًا . فان المطر يهطل غزيرًا في البلاد الواقعة شمالي بحيرة تشوجا فيزيد مقدار الماء الذي يدخل بحيرة ألبرت

وعلى علو الماء في بحيرة البرت يتوقف مقدار الماء في البحر الابيض على الغالب. فان كانت بحيرة فكتوريا مصدر النيل الحقيقي فبحيرة ألبرت خزانهُ الحقيقي وقنطرة موازنتهِ لانها تمدُّهُ بالماء وتحدد مقدار ما تمدُّهُ بهِ منهُ . وهي تستمدُّ ماءها من بحيرة فكتوريا بواسطة نهر فكتوريا ومن بحيرة ألبرت ادورد بواسطة نهر سمليكي . وهذا النهر يستمد ماءهُ من بحيرة البرت ادورد ومن الثلج الذائب في قمم جبال رونزوري

وللمطر فصلان في صعيد اوغندا الاول من شهر مارس الى شهر يونيو والثاني من اكتوبر الى يناير . ويكون الماء في بحيرة فكتوريا على اكثرهِ في اواخر مايو وعلى اقلهِ في سبتمبر . وفي بحيرة البرت يرتفع تدريجًا مدة الصيف كلهِ ولكنهُ يبلغ اكثرهُ في نوفمبر او دسمبر واقلَّهُ في اواخر مارس . وارتفاع الماء المستمر مدة الصيف في هذه البحيرة هو الذي يؤهلها لأَن يقام فيها خزَّان للماء في المستقبل

اما المطر في اعالي النيل فيغزر في اواخر الخريف ثم في يوليو واغسطس فيملأُ المسايل والغدران التي تصبُّ في النيل بعد خروجهِ من بحيرة فكتوريا . ومتى اخذ ماء بحيرة البرت يتخفض وغاض ماء الغدران ينخفض النيل ايضًا حتى يبلغ اقلهُ في مارس او ابريل . ثم يأخذ ماء البحيرة يرتفع وماء النيل يزيد بما يقع من المطر الغزير في يوليو واوغسطس فتمتلئُ الغدران وتصبُّ فيهِ فيبلغ اكثرهُ في سبتمبر. ولكن تأثير هذه الغدران اقلُّ كثيرًا من تأثير البحيرة فيهِ كما يستدلُّ من الادلة الحديثة فاذا كان الماء في البحيرة عاليًا في اواخر السنة كان ماء بحر الجبل غزيرًا في صيف السنة التالية والفيضان حسنًا على الغالب . وبضدّ ذلك اذا كان ماء البحيرة منخفضًا في دسمبر فان ماء بحر الجبل في الصيف التالي يكون دون المتوسط والفيضان رديئًا مهما امتلأَت الغدران وطمت

واني اوجه الانظار بنوع خاص الى هذا الامر اذ على بحيرة ألبرت يتوقف حلُّ المسألة المهمة ألا وهي الحصول على قدر كافٍ من الماء كل سنة للزراعة الصيفية . ومعلوم اني اذا قلت ان الفيضان حسن او رديء فانما أُشير الى مقدار الماء الذي يصل الى المستنقعات الكبيرة

⁂

اذا اتضح ما تقدم فقد اصبح من السهل فهم علاقة كل نهر من الانهر التي يتكون النيل منها بالفيضان كل سنة . ففي شهري ابريل ومايو يكون ماء هذه الانهر على اقلهِ فلا يتجاوز الخرطوم منهُ الاَّ ما يتحلَّب من مستنقعات البحر الابيض مضافاً اليهِ قدر صغير من ماء البحر الازرق . وفي يونيو يقع المطر في بلاد الحبشة فيفيض البحر الازرق ويتعاظم في يوليو ويبلغ معظمهُ في اغسطس ثم يهبط سريعاً في سبتمبر . ويأخذ الاتبره يرتفع في يونيو ويبلغ رباهُ في اغسطس او قبل البحر الازرق بقليل ثم يهبط سريعاً في سبتمبر ويجف في اشهر الشتاء . واما البحيرات الاستوائية فيخرج منها مقدار قليل مستمر يتحلَّب من المستنقعات الكبيرة بواسطة بحر الجبل وبحر الزراف . وعليهِ فالفيضان في البحر الابيض يتوقف كلهُ على نهر السُّبت . فان هذا النهر يغزر عادةً في شهر يونيو ويأخذ يتعاظم بعد ذلك حتى يبلغ معظمهُ في سبتمبر او اكتوبر ثم يهبط سريعاً. واذا زاد مقدار الماء الذي يصبهُ في البحر الابيض توقف الماء الذي يتحلَّب اليهِ من المستنقعات عن النزول واخذ يعلو فيها حتى تبيت غامرة على مسافة طويلة ويخزن الماء فيها فلا ينصرف منها حتى يهبط نهر السبت. وماء السبت يصب في البحر الابيض من يوليو الى اكتوبر وعليهِ يتوقف ما يصل الى الخرطوم من الماء بالبحر الابيض في هذه المدة

اذًا فالماء الذي يمرُّ بالخرطوم مدة شهر يوليو ويتزايد كل يوم يجيء من البحرين الازرق والابيض وينضم اليهِ ماء الاتبره . وهذه الانهر الثلاثة سبب الفيضان السنويّ في القطر المصري . وفي شهر اغسطس يزيد تأثير النهرين الشرقيين (الازرق والاتبره) زيادة ظاهرة فيبلغ مقدار الماء الذي ينصب من البحر الازرق حينئذٍ عشرة اضعاف ما ينصبُّ من البحر الابيض ويفعل البحر الازرق بالبحر الابيض ما يفعلهُ نهر السبت بهِ ايضاً كما تقدم ولكن على قدر اعظم جدًّا . اي انهُ اذا بلغ فيضان البحر الازرق حدًّا معلوماً عند الخرطوم أوقف ماء البحر الابيض عن الجري فيأخذ ماء البحر الابيض يعلو ويتعاظم حتى يفيض عن جانبيهِ على مسافة مئات من الاميال جنوبي المقرن ويبقى الماء مخزوناً على تلك الحال حتى يقلَّ فيضان البحر الازرق عن الحدّ المشار اليهِ وذلك يكون في سبتمبر غالباً فيأخذ ماء البحر الابيض يجري شمالاً . وكلما قلَّ الماء في البحر الازرق حلَّ ماء البحر الابيض محلهُ وبقي يجري شمالاً

بمقادير متزايدة حتى اواخر السنة . وكذلك اذا قلَّ الماء في نهر السبت فان الماء المخزون في البحر الابيض فوق ملتقى النهرين ينصرف شمالاً ويضاف الى الماء المخزون فيهِ فوق المقرن . وفي شهر نوفمبر يقلُّ الماء في نهر السبت جدًّا فيعود البحر الابيض يستمدُّ معظم مائهِ من البحيرات الاستوائية . والماء المخزون في الخزانين المشار اليهما كثير جدًّا الى حدٍّ ان الماء الذي يمرُّ بالخرطوم شمالاً في اشهر الشتاء الاولى اعظم مقدارًا من الماء الذي يجلب من البحيرات الى البحر الابيض مارًّا في المستنقعات الكبيرة

***

ولننتقل الآن الى الكلام على ما تحتاج مصر والسودان اليهِ من الماء فأقول : —

لا يخفى ان في القطر المصري نظامين للريّ وهما ري الحياض والري الصيفي فالاول قديم من عهد الفراعنة وطريقتهُ ان يطلق ماء الفيضان على الاطيان ثم يصرف عنها وتزرع . وطريقة الثاني ان تروى الاطيان على مدار السنة عند الحاجة الى ريها بواسطة ترع يجري الماء فيها بالقسط فيتسنَّى بهذه الطريقة زرع القطن وقصب السكَّر . والاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا يزيد ثمنها زيادة عظيمة على ثمن الارض التي تروى ري الحياض فقط . فبناء على ذلك وجهت مصلحة الريّ المصريَّة جلَّ همها واهتمامها الى تدبير الطرق اللازمة لزيادة المياه في زمن التحاريق اي في الاشهر التي قبل اشهر الفيضان لكي تزيد مساحة الاطيان التي تزرع صيفاً

اما من جهة ما يحتاج اليهِ القطر المصري من الماء فاقول انهُ يؤْخذ من احدث التقديرات ان مجموع مساحة الاطيان التي يمكن زرعها في القطر المصري ثمانية ملايين فدان منها نحو مليون فدان من الاطيان البور . ونصف مليون فدان لا تصلح للزراعة . ونصف مليون اخرى على حدود الصحراء جنوبي القاهرة لا يمكن ارواؤُها الاَّ ري الحياض . فتهبط مساحة الاطيان الزراعية بذلك الى سبعة ملايين فدان منها اربعة ملايين تزرع الآن زراعة صيفيَّة وفي آخر سنة ١٩٠٨ تصير مساحتها اربعة ملايين ونصف مليون اي يبقى مليونان ونصف تحتاج الى زيادة الماء لاجل الري الصيفي . وقد ابان الاختبار ان الف مليون متر مكعب من الماء المخزون يكفي لارواء نصف مليون فدان صيفاً وعليهِ فالمليونان ونصف تحتاج الى خمسة آلاف مليون متر مكعب من الماء

ومسألتنا الآن كيف يمكن الحصول على هذا القدر من الماء . فانهُ اذا أُعلي خزان اصوان خزن من الماء ما يكفي نصف مليون فدان اخرى فتبقى ثمة حاجة الى اربعة آلاف مليون من الامتار المكعبة . ولسدّ هذه الحاجة اقترح البعض جعل وادي الريّان خزانًا . ولا يستبعد ان

يستخدم ذلك الوادي لهذا الغرض في المستقبل ولكن يستصوب الآن نظرًا الى موقعهِ ان يترك حتى تضطر الحال الى استحياء البحيرات التي تتاخم الدلتا شمالاً وزرعها في مستقبل الزمان والمرجح ان تبنى خزانات تسع الاربعة آلاف مليون المشار اليها في وادي النيل بين الشلال الثاني والسادس . ولا يمكن الجزم بهذا الامر قبلما يتمّ مسح الشلالات . على انهُ لو امكن بناء تلك الخزانات ما امكن ان تملأ ماء ما لم يزد الماء الذي يجري في النيل شتاء من الجنوب زيادة عظيمة . والمسأولون عن الريّ في مصر يعلمون علم اليقين انهُ اذا أُعلي الخزان كما هو في النية أمكن ان يخزن فيهِ الف مليون آخر فقط من الماء في الاحوال الحاضرة وفي سنة فيضانها قليل . واذا تمّ ذلك لحق بالملاحة بين مصر واصوان ضرر عظيم مدة الشتاء . فلا غنى اذًا لوجود الماء المطلوب عن اكتشاف طريقة لزيادة الماء في اعالي النيل مدة الشتاء والربيع واوائل الصيف

ستأتي البقية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ولما حضرت النبي الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا متّ " إنَّا لله وإنَّا اليهِ راجعون فان لكل انسان مصيبةً معوَّضة " — قالت ومنك يا رسول الله . قال " ومني " ويروى انهُ لما تراكدت[1] عليهِ كُرَب الموت وفاطمة بين يديهِ رفع رأْسهُ وقال " واكرباهُ " فبكت فاطمة وقالت — واكرباهُ لكربكِ يا أَبتاه — قال : " لا كرب على ابيكِ بعد اليوم " وتوفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)

وروي أن أَبا بكر حين حضرتهُ الوفاة كتب عهدهُ وبعث بهِ مع عثمان بن عفان ورجل من الأَنصار ليقرأَهُ على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد ابي بكر فان تقرُّوا بهِ نقرأْهُ وان تنكروهُ نرجعهُ فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد ابي بكر بن ابي قحافة عند آخر عهدهِ بالدنيا خارجًا منها واوَّل عهدهِ بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤْمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب اني امرتُ عليكم عمر بن الخطَّاب فان عدل واتَّقى فذاك ظني بهِ ورجائي فيهِ وان بدَّل وغيَّر فالخيرَ اردتُ ولا يعلم الغيب الاَّ الله اه " توفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)

---

(١) لعلها بمعنى تتابعت او سكنت

ولما احتضر عمر بن الخطاب قال لولده عبدالله " ضع خدّي على الأرض علّ ربي ان يتعطّف عليّ ويرحمني " ثم لفظ أنفاسهُ بعد قليل سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م)

ولما عاين عثمان بن عفان القتل وايقن بهِ كتب الى عليّ بن ابي طالب " اما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزُبى(١) وجاوز الحزام الطبيين(٢) فاذا أتاك كتابي فأقبل اليّ عليّ كنت ام لي ثم تمثل ببيت العدوي وهو :

فان كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلاّ فادركني ولمّا أُمزّقِ

توفي سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م

ولما احتضر سلمان الفارسيّ تحسّر عند موتهِ فقيل لهُ علامَ تأسّفك يا أبا عبد الله قال ليس تأسّفي على الدنيا ولكنّ رسول الله عهد الينا وقال ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب وأخاف أن نكون جاوزنا أمرهُ وحولي هذه الاشياء وأشار الى ما يليهِ واذا هو سيف ودست وجفنة ثم اسلم الروح سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م)

وروي ان الامام علي بن ابي طالب بعد ما ضربهُ ابن ملجم شهق شهقةً بعد ان أُغمي عليهِ ثم افاق ودعا ولديهِ الحسن والحسين وقال : " أُوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها فانكما عنها راحلان . افعلا الخير وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً " — ثم دعا محمداً ولدهُ وقال لهُ : " اما سمعتَ ما اوصيتُ بهِ اخويك " — قال : بلى — قال " فاني أُوصيك بهِ وعليك ببرّ(٣) اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امراً دونهما " — ثم اقبل عليهما وقال : " أُوصيكما بهِ خيراً فانهُ اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان انّ اباهُ كان يحبهُ فاحباهُ " — ثم قال : " يا بنيّ أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد(٤) في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدوّ والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدّة والرخاء

يا بنيّ ما شرّ بعدهُ الجنة بشرّ ولا خيرٌ بعدهُ النار بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية . يا بنيّ من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ . ومن رضي بما قسم الله لهُ لم يحزن على ما فاتهُ . ومن سلّ سيف البغي قتل بهِ ومن حفر لاخيهِ بئراً أُوقع فيها ومن هتك حجاب اخيهِ هُتكت عورات بنيهِ . ومَن نسي خطيئتهُ استعظم خطيئة غيرهِ ومَن

---

(١) جمع الزبية وهي الرابية لا يعلوها ماء و يروى الربى (٢) مثنى الطبي وهي حلمات الضرع والعبارتان مثلٌ بمعنى اشتداد الامر وتفاقمهِ (٣) بمعنى أكرام من برّ والديهِ اذا اكرمها وضدّهُ عقها

(٤) بمعنى الاقتصاد والتوفير ولا تخفى بلاغة هذه الفقرات فانها من جوامع الكلم

أُعجب برأيهِ ضلَّ · ومَن استغنى بعقلهِ زلَّ · ومن تكبر على الناس ذلَّ · ومن خالط الانذال احتُقِر · ومن دخل مداخل السوء اتُّهم · ومن جالس العلماء وقر · ومن مزح استُخِفَّ بهِ · ومن اكثر من شيءٍ عُرِف بهِ · ومن كثر كلامهُ كثر خطؤهُ · ومن كثر خطؤهُ قلَّ حياؤهُ · ومن قلَّ حياؤهُ قلَّ ورعهُ · ومن قلَّ ورعهُ مات قلبهُ · ومن مات قلبهُ دخل النار

يا بنيَّ الادب ميزان الرجل · وحسن الخُلُق خير قرين · يا بنيَّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت إلاَّ ذكر الله تعالى وواحدٌ في ترك مجالسة السفهاء · يا بني زينة الفقر الصبر · وزينة الغنى الشكر · يا بنيَّ لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى · ولا شفيع انجح من التوبة · ولا لباس اجمل من العافية · يا بنيَّ الحرص مفتاح التعب ومطيَّة النَّصَب[١] توفي سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م

ودنا اجل الحسن بن علي وهو يكثر الاسترجاع[٢] فقال لهُ ابنهُ " امثلك يسترجع على الدنيا " — قال: " يا بني ما استرجع الاَّ على نفسي التي لم أُصبْ بمثلها قط " توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لهُ ابنهُ: " يا ابتاهُ انك كنتَ تقول لنا " ليتني كنتُ القى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت بهِ حتى يصف لي ما يجد " وانت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال: " يا بنيَّ والله كأنَّ السماء قد أُطبقت على الارض وكأنَّ جنبيَّ في تخت وكأني اتنفَّس من سمِّ[٣] إبرة وكأنَّ غصن الشوك يجذَب من قدمي الى هامتي " ثم انشأ يقول:

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ويروى انهُ دعا بغلٍّ وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر[٤] ابن آدم بنفسهِ ثم استقبل القبلة وقال: " اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ[٥] بك فان تعفُ فانت اهل العفو وان تعاقب فبما قدَّمت يداي لا إله الاَّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين " ثم مات وهو مغلول مقيد · فبلغ ذلك الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعهُ

ويروى انهُ جمع بنيهِ فقال " يا بنيَّ ما تغنون عني من امر الله شيئاً " — قالوا: " يا أبتي

(١) بمعنى التعب (٢) استرجع قال انا لله وانا اليهِ راجعون (٣) ثقب (٤) يغرغر يجود بنفسهِ عند الموت (٥) الملتجئ

انهُ الموت ولو كان غيره لوقيناك بانفسنا " — فقال : اسندوني فاسندوه — ثم قال : " اللهمَّ انك امرتني فلم آتمر وزجرتني فلم ازدجر اللهمَّ لاقويٌّ فانتصر ولا بريٌّ فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر استغفرك واتوب اليك لا اله الاَّ انت سبحانك اني كنتُ من الظالمين " فلم يزل يكرّرها حتى مات

ولما احتضر ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الأَزدي الحافظ الكبير بكى فسئل عن ذلك فقال " ابكي على بعد سفري وقلة زادي واني اصبحتُ على مهبط جنةٍ او نار لا ادري ايهما يأخذ بي " ثم قضى نحبهُ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

ولما حانت وفاة سعيد بن العاص القرشيّ الصحابيّ قال لبنيهِ : " ايكم يقبل وصيتي — قال الاكبر أنا — قال انَّ فيها وفاء ديني — قال وما هو . قال : ثمانون الف دينار . قال وفيمَ اخذتها . قال " في كريم سددتُ خلتهُ[1] وفي رجل جاءني ودمهُ يتروَّى[2] في وجههِ من الحياء فبدأتهُ بحاجتهِ قبل سؤالهِ " ثم استأثرت بهِ رحمة ربهِ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل لهُ في مرضهِ ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما بهِ الى الطبيب فقال : " اما الأنين فهو جزع[3] وعار . والله لا يسمع مني انيناً فأكون عندهُ جزوعاً . واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء الله امسكها وان شاء قبضها " وعُوجل الى رحمة ربهِ

ولما أُصيب الربيع بن خيثم الزاهد بالفالج قيل لهُ : لِمَ لا تتداوى فقال : قد علمت ان لي الدواء شفاء ولكن عن قريب لا يبقى المداوي ولا المداوَى ثم توفي سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م

وقال الطرمّاح بن حكيم يرثي نفسهُ (توفي سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م)

فيا ربِّ لا تجعل وفاتيَ إنْ أتت على شرجعٍ[4] يُعلى بدكنِ[5] المطارفِ[6]
ولكنْ أجِزْ يومي شهيدًا وعصبةً يصابون في فجٍّ من الارض خائفِ
اذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الاذى وصاروا الى موعود ما في الصحائفِ
فأُقتَل قعصاً[7] ثم يُرمى باعظمي مفرَّقةً اوصالها في التنائفِ[8]
ويصبح لحمي بين طيرٍ مُعيلةٍ[9] دوين السماء في نسورٍ عواجفِ[10]

(١) فقرهُ وحاجتهُ (٢) لعلها يتراءى (٣) الجزع ضدّ الصبر (٤) نعش (٥) جمع ادكن وهو المائل الى السواد (٦) الاثواب المعلمة و يريد الاكفان والاغشية السود (٧) من قعص الجرح بالدم شرق بهِ وامتلأ اي قتلاً ولعله يريد القتل السريع (٨) الفلوات جمع تنوفة (٩) مكتنفة بهِ او حريصة عليهِ ومفتقرة اليهِ او ذات فراخ كثيرة (١٠) مهزولة

ولما احتضر معاوية بن ابي سفيان قال —

ألا ليتني لم أُغنَ(١) في الملك ساعةً ولم أكُ في اللذات أعشى النواظرِ
وكنتُ كذي طِمرَين(٢) عاش بُلغةٍ(٣) ليالِيَ حتى زار ضنك المقابرِ

ويُروى انهُ قال —

ان تعذّبْ يكن عذابك يا ربِّ غراماً لا طاقة بالعذابِ
او تجاوز فانت ربٌّ عفوٌّ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقيل وفد الناس يعدونهُ فقال لاهلهِ "مهّدوا لي فراشاً واسندوني واوسعوا رأسي دهاناً ثم اكحلوا عينيَّ بالاثمد(٤) ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلّموا عليَّ قياماً ولا تجلسوا عندي احدًا" ففعلوا ذلك . ولما دنا منهُ الموت تمثل بهذا البيت :

هو الموت لا منجي من الموت والذي نحاذر بعد الموت ادهى وافظعُ

ثم رفع يديهِ وقال : "اللهمَّ اقل(٥) العثرة واعفُ عن الزلة وعد بحكمك على من لم يرجُ غيرك ولا يثق الاَّ بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئةً منك مهرب" ثم اسلم الروح. توفي سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

ولما دنت ساعة معاوية بن يزيد قيل لهُ "لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفةً" قال "لم انتفع بها حيًّا فلا اقلدها ميتاً لا يذهب بنو امية بحلاوتها واتجرَّع(٦) مرارتها ولكن اذا متُّ فليصلِّ عليَّ الوليد بن عقبة . وليصلِّ بالناس الضحَّاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم" وتوفي سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

ودخل ابو سهل الساعديّ على جميل بُثَينَة وبوجههِ آثار الموت فقال لهُ "يا ابا سهل ان رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً ولم يشرب خمرًا ولم يأتِ فاحشة أفترجو لهُ الجنة" — قال الساعدي "اي والله فمن هو" — قال جميل "اني لأرجو ان اكون ذلك" — فذكر الساعدي لهُ بُثَنية . فقال جميل : "اني لفي آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد ان كنتُ حدَّثتُ نفسي بريبةٍ قطُّ"

ولما شعر جميل بقرب الساعة دعا صديقاً لهُ وعاهدهُ على ان يتم وصاتهُ وهي : "اذا انا

(١) اتعب واشقى (٢) الثوب البالي (٣) الكفاف من العيش او ما يسدّ به الرمق (٤) الكحل (٥) اقال عثرته انهضه من سقطتهِ (٦) اشرب واُسقى

متُّ فخذ حلّتي هذه التي في عيبتي [1] فاعزلها جانباً ثم كلَّ شيءٍ سواها لك وارحل الى رهط بني الأحبّ من عذرة وهم رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرفٍ [2] وصِح بهذه الابيات وخلاك ذمٌّ [3]

صدع [4] النعيُّ وما كنى بجميلِ وثوى [5] بمصر ثواء غير قفولِ [6]
ولقد اجرُّ الذيل في وادي القرى [7] نشوان [8] بين مزارعٍ ونخيلِ
قومي بثينةُ فاندبي بعويلِ وابكِ خليلكِ دون كلِّ خليلِ

وتوفي سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م وفعل صديقهُ حسب وصيتهِ

ولما احسَّ المهلَّب بن ابي صفرة الأزديّ البصريّ بساعة رحيلهِ عن الدنيا دعا بسهام فحزمت . ثم قال لبنيهِ : اترونكم كاسريها مجتمعة . قالوا : لا . قال : أفترونكم كاسريها مفرَّقة . قالوا : نعم . قال : "هكذا الجماعة" وتوفي سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ولما شعر عبد الملك بن مروان بالموت قال لابنهِ الوليد : "اذا انا متُّ اياك ان تجلس وتعصر عينيك [9] كالمرأة الوكعاء [10] . لكن ائتزر وشمّر والبس جلد النمر [11] وضعني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك شأنك وادعُ الناس الى بيعتك . فمن قال برأسهِ هكذا [12] فقل لهُ بسيفك هكذا [13] " — ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية . فقال : "هل عندكما ندامة في بيعة الوليد" — فقالوا : "لا نعرف احداً احقَّ منهُ بالخلافة. فقال "اما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيهِ اعينكما [14] " ثم رفع كنار [15] فراشهِ فاذا تحتهُ سيف مسلول تحت يمينهِ — كل هذا وروحهُ تتردَّد في حنجرتهِ وهو يقول : "الحمد لله الذي لا يبالي اصغيراً اخذ ام كبيراً . لا اله الاَّ الله محمد رسول الله . ثم بعد ساعة نفدت روحهُ سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م

وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلَّم بها عند الموت وهي "اللهمَّ ان ذنوبي وان كثرت وجلَّت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعفُ عني " اه

ويروى ايضاً انهُ في احتضارهِ في قصرهِ الذي كان يُشرف على بردى نظر فرأى غسَّالاً

(١) وعاء الثياب (٢) محلّ مرتفع (٣) دعاء بمعنى لا اتيت ما يستحق الذمّ (٤) كشف وبين (٥) حلّ ونزل (٦) راجع (٧) اسم محلّ (٨) سكران وهائم (٩) كناية عن البكاء (١٠) الحمقاء الوجعاء (١١) كناية عن التصبر والجلد (١٢) اي اشار برأسهِ اشارة النفي (١٣) كناية عن تجريد السيف والضرب بهِ (١٤) كناية عن الرأس (١٥) حاشية الثوب فارسيّ يريد بهِ الغطاء

يغسل الثياب فقال ليتني كنت مثل هذا الغسّال اكتسب ما اعيش بهِ يوماً بيوم ولم أَلِ [١] الخلافة وتمثل بقول امية

ليتني كنتُ قبل ما قد بدالي   في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ولما بلغ قولهُ ابا حازم قال "الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيهِ ولم يجعلنا في احتضارنا نتمنى ما هم فيهِ"

ويروى ان ابن القرّية خطيب العرب المشهور لما دعا الحجاج بن يوسف الثقفي بالسيّاف لقطع رأسهِ استوقفهُ وقال "كلمات اصلح الله الامير كأنهنّ ركب وقوف يكنّ مثلاً بعدي" قال هات : قال "لكل جواد [٢] كبوة [٣] ولكل صارم [٤] نبوة [٥] ولكل حكيم هفوة [٦]" قال الحجاج ليس هذا وقت المزاح ياغلام اوجب جرحهُ فضرب عنقهُ سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

ولما اشرف الاخطل الشاعر المشهور على الموت قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي. قال بلى. ثم انشد يوصي الفرزدق وكان صديقهُ

أُوصّي الفرزدق عند المماتِ   بأمّ جريرٍ وأغيارها [٧]

وزار القبور ابو مالكٍ   برغم العداة واوتارها [٨]

وتوفي سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م

ولما احتضر ابرهيم النخعي الكوفي جزع جزعاً شديداً فقيل لهُ في ذلك فقال "واي خطر اعظم مما انا فيهِ انما اتوقع [٩] رسولاً يرد عليّ من ربي اما بالجنة واما بالنار والله لوددت انها تلجلج [١٠] في حلقي الى يوم القيامة" وتوفي سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موتهِ : "اللهمّ اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي" وتوفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة منهُ ويغبطهُ عليها ولما حكى ذلك للحسن البصري قال أوَ قالها فقيل نعم فقال عسى

وانشد ابن سريج المغني المشهور لما حضرتهُ الوفاة في خلافة سليمان بن عبد الملك

كأني من تذكّر ما ألاقي   اذا ما اظلم الليلُ البهيم [١١]

سقيمٌ ملّ منهُ اقربوهُ   واسلمهُ المداوي والحميم [١٢]

ستأتي البقية

---

(١) أتملك واتولّى (٢) حصان كريم . (٣) عثرة وسقطة (٤) سيف قاطع (٥) نبا السيف عن الضريبة كلّ عنها وارتدّ ولم يقطع (٦) سقطة وغلطة (٧) يعني ضرّاتها (٨) جمع وتر وهو بمعنى الثار (٩) انتظر (١٠) اي تتلجلج اي تتردّد (١١) المظلم (١٢) الصديق

الشيخ محمد عبده

اشتغاله في مجلس الشورى

وقال سعادة حسن باشا عبد الرازق واصفاً اشتغال الفقيد في مجلس الشورى

ماكان فقيدنا رحمة الله عليه من الرجال الذين ينبغون في كل جيل او ينشأون من كل قبيل ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحاداً وتحلى بهم العصور في احقاب متفرقة فينشأون وقد عدّهم الله لجلائل الاعمال وعظائم الامور ومنحهم فطرة تعلو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأي ورجاحة العقل وبعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت امثال هؤلاء في ارض صالحة ووجدوا في امم مستعدة للرقي طامحة الى ادراك المعالي عرفت اقدارهم ووزنت اعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها في سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك لاسيما اذا طال بهم الاجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم واهلها منهم خير نصيب. هؤلاء الرجال العاملون لخير اممهم يجدون من قومهم في البلاد الحية ما يزيدهم اقداماً وثباتاً ويملأ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون ما يعيشون مؤيدة كلمتهم مكرمة رتبتهم محفوظاً لهم الجميل وبذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولاً واقبالاً زادوا رغبة في العمل ولا تجد انشط للعامل من ان يرى لعمله عند امته قبولاً

اما اذا قضى الله لأولئك النابغين ان يكونوا بين أمم فسدت اخلاقها وتمزقت روابطها وبعد ما بينها وبين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حرباً عواناً كلما ارادوا بهم اصلاحاً لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدة رسخت في نفوسهم واطمأنت لها قلوبهم ويعملون لتحويل وجوههم الى الرشاد بعد ان انصرفت الى الغي وأنست به وما اصعب نقل الطباع في الامم من الفساد الى الصلاح وما اشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد في تلك الامم الميتة بعض افراد يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون على اولئك المصلحين بوجوههم ويصغون لندائهم فان مد الله لهم في حبل الحياة اثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم في اعمالهم اما اذا اسرع اليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئاً

ولا يخفى عليكم ايها السادة حال امتنا المصرية وما لاقى الاستاذ الفقيد رحمهُ الله منها ابتداء من مناصبتها له ووضعها العقبات في سبيله

(وافاض الخطيب في وصف هذه العقبات وتغلب الفقيد عليها وساق الحديث الى آثارهِ في مجلس الشورى فقال)

ولكني ارى من الواجب عليَّ ايها السادة ان اذكر لكم مجملاً من مآثرهِ الغراء واعمالهِ الجليلة في مجلس شورى القوانين لانني رافقتهُ فيهِ في اغلب اوقاتهِ وشاركتهُ في معظم اعمالهِ وعرفت من حسن نيتهِ وصدق عزيمتهِ ما لا يعرفهُ كثير من الناس

اختارت الحكومة الاستاذ رحمة الله عليهِ عضواً في المجلس وتعين بامر عالٍ في ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ واول جلسة حضرها كانت في يوم الخميس ٢٩ منهُ وكان اذ ذاك بين اهل الحل والعقد في الحكومة وبين رجال الشورى شيءٌ اشبهُ بالخلاف في الرأي ادَّى الى ان الحكومة نفَّذت كثيراً من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة في عدم العمل بها وصرفت النظر ايضاً عن كل او جل التعديل في المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة في تعديلها فلما جاء الاستاذ الى المجلس ونظر في الامر نظرة الحكيم البصير وعرف ان ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمهُ الله في ان يزيل اسباب هذا الخلاف فكان ما اراد وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيهِ السعادة للامة ويبتغي الخير لها وان ليس لهُ غرض في مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصدهِ وعلم المجلس ايضاً ان الحكومة لا تقصد الى شيء وراء ما يقصدهُ لمصلحة البلاد وبذلك اتفقت الكلمة في الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حلهُ

كان الاستاذ رحمة الله عليهِ واسطة العقد في مجلس الشورى فالتفَّت حولهُ القلوب وعرف الكل مكانتهُ من قوة الحجة وسداد الرأي وطهارة النية وكان اخوانهُ من رجال الشورى يلجأُون اليهِ اذا اشتبه الامر وخفي الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا اسرع الناس قبولاً الى الحق واوسعهم لهُ صدراً فاذا سقت اليهِ الحق هشت لهُ نفسهُ وقرَّت بهِ عينهُ ولم يصرفهُ عنهُ تمسك بالرأي ولا تعصب لمشرب

وكثيراً ما كنا نباحثهُ في امرٍ اختلف النظر فيهِ بيننا وبينهُ فيرجع الينا ويوافق رأيهُ رأينا ولم ترَ مثلهُ في احترام الآراء ما دام مصدرها شريفاً لم يشبهُ الغرض

ولقد كنا نختلف معهُ في رأي ويجاهر كل منا برأيهِ ويدعو اليهِ اعتقاداً منهُ انهُ الحق ولا نزال بعد ذلك اخلص الناس سرًّا واصفاهم ودًّا

وكان رحمهُ الله واسع الاطلاع نير البصيرة في كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرًا بصيرًا واذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن اقلّ من اهلها علمًا بدقائقها واسرارها واحاطةً بمنافعها ومضارها واذا جاءت المسائل المالية رأيتهُ ماهرًا باساليب الحساب عارفًا بفنون الاقتصاد فكنا نجد منهُ في سائر الابواب علمًا جمًّا ومعرفة وفهمًا ورأيًا صائبًا وذهنًا ثاقبًا ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواهُ عن العمل وحال بينهُ وبين مرادهِ الاجل. قضى هذا الفقيد الكريم مدتهُ بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموتهِ رجلاً لا تعوضهُ الرجال وانثلم بفقدهِ بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود

اخلاقهُ وفضائلهُ

وقال حضرة القاضي الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف

اذا أُصيبت امة من الامم الغربية بفقد رجل من رجال العلم او الادب او السياسة كانت تعتمد عليهِ في اصلاح شأن من شؤونها قال قومهُ "ليس في الوجود انسان لا يعوَّض" ووجدوا في الحال بين اهل طائفتهِ او صناعتهِ من يسدُّ الفراغ الذي تركهُ ويأخذ مكانهُ

اما الحال عندنا فليس كذلك . مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يعوض علينا ما خسرناهُ بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده لا اقول ذلك محاباة لصديق كانت محبتهُ من اسباب الشرف والسعادة لي ولا موافقة للعادة المتبعة في رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم احد بشيء منها مدة وجودهم بين الاحياء

وانما هذا هو الحق الذي يجب اعلانهُ اعترافًا بالفضل لمصري وصل الى اسمى مقام يمكن ان ينالهُ انسان في هذه الحياة . مقام لم يستمد وجودهُ من منصب عالٍ في الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة الى بيت قديم ولا من شيء آخر من القاب الشرف المعروفة التي اخترعت لتحلَّ محل شرف النفس . مقام اهتدى اليهِ بشعورهِ واكتسبهُ بجدهِ وعملهِ وحافظ عليهِ بقوة ارادتهِ وحسن سياستهِ وخدم فيهِ بعلمهِ وعقلهِ . مقام مكنهُ من ان يمسك بيدهِ زمام امة باسرها ويحركها نحو الخطة التي رسمها ويسوقها الى المستقبل الذي هيأهُ لها . مقام الامامة باوسع معناها . تركهُ الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجرأ على ان يدعي فيهِ استحقاقًا بعدهُ

لهذا رأينا مدة مرض الامام ويوم وفاتهِ حركةً في شعور الامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر الى الاسكندرية حيث كان المئات من اصدقائهِ ومعارفهِ وزملائهِ وتلاميذهِ يودعونهُ في المحطة وجميعهم في سكون وقلق وخوف على حياتهِ . وتتذكرون اقامتهُ في الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليهِ افواجاً في كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الامل واليأس يسألون عن صحتهِ ويرسلون اخبارهُ الى محبيهِ الكثيرين الذين كانت تمنعهم اشغالهم عن زيارتهِ وتعلمون الاحتفال الجليل الذي قام بهِ سكان الثغر والعاصمة بعد موتهِ

رأينا كثيرًا من العلماء والذوات والامراء مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للمظاهرات الرسمية ولم نشاهد ان عددًا يذكر من الامة غير اقاربهم واصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث واظهر شيئًا من شعورهِ

ذلك لان اولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لانفسهم ولكن امتنا قد شعرت في هذه الدفعة بحسن غريزتها انها فقدت رجلاً كان عائشاً لها اكثر من كونهِ كان عائشاً لنفسهِ ولعائلتهِ . هذا هو سر الشعور الجديد الذي رأيناهُ لاول مرة في الامة المصرية شعور الاتحاد في الكدر والحزن لحرمانهم من امامهم المحبوب

فكان هذا الحادث العظيم مبدأ الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة المصرية جمعهم احساس واحد . وهذه خطوة في سبيل التقدم الادبي الذي هو في نهاية الامر عبارة عن ترقي الاحساس الى درجة يميل معها الى الجميل وينفر من القبيح في جميع اشكالها ومظاهرها

سادتي ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال اكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نموًا عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على احسن شكل زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالاً في الجمال يجب ان نضعهُ دائمًا امامنا لنتعلم منهُ مقدار ما يصل الجهد في العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للازهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة

المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليهِ ويراسل علماء المسلمين في جميع الاقطار التي يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصدهِ · وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور اصحابهُ ويشاركهم في جميع افراحهم واحزانهم

ونتعلم منها ايضاً مبلغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسهُ وهذبها ورباها حتى ارسلها الى اقصى ما تصل اليهِ نفس بشرية من الجمال اوالكمال

بلغت فيهِ طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة . كان يجذبهُ الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليهِ ويسعى الى كل نفع للغير عام او خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين باي مصيبة واهل الازهر الذين هم اكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن انفسهم في ميدان حياتنا الجديدة · يبذل اليهم مالهُ ويسعى لهم عند ولاة الامور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لاعز انسان لديهِ يسعى مرة ومرتين وثلاثاً الى ان يقضي حاجتهم وهم جميعهم في نظرهِ مستحقون سواء كانوا كذلك في الحقيقة ام لا · بل كان يسعى الى صاحب الحاجة وهو يعلم انهُ اساء اليهِ وقدح فيهِ وتحالف مع خصومهِ واشترك في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنهُ يوماً مدة حياتهِ

لا يصل انسان الى هذا الخلق العظيم الاَّ اذا ربى نفسهُ على ان تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكماً عليها يحاسبها على كل عمل او نزعة او فكرة او خاطر مما يرد عليها . كان الاستاذ يرى ان الشر لا فائدة منهُ مطلقاً وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما احسن ما يعالج بهِ السوء ويفيد في اصلاح فاعلهِ . كان متفقاً مع فلاسفة العصر على ان الخير لا يتولد الاَّ من الخير والشر لا ينتج الاَّ من الشر

نعم كان للامام الكبير الذي فرض على نفسهِ اصلاح امتهِ خصوم واعداء كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لان يدركوا مقاصدهُ ويفهموا مباحثهُ فيقتصروا على التمسك بما وُجد عليهِ آباؤهم من قبل —وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليهِ الحاسدون الذين يتألمون اذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم الاَّ اذا انزلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ في مستوى واحد معهم — وفي مقدمة هذا الجيش كقواد لهُ ارباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتي الرياح · فكان الاستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار

العقل فيهما ولكنهُ كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذي لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش . وكان فضلاً عن ذلك لا يكره خصومهُ ولا يبغض اعداءهُ وانما يناقش افكارهم ويطعن على اوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم الى الصواب

كان الكثير من اصحابهِ ينصحونهُ ان يجتنب اسباب العناء ويترك ادارة الازهر والدروس التي كان يلقيها فيهِ ومجلس الاوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود الى مركزهِ في الاستئناف براتب اعظم مما كان يكسبهُ وعمل اخف مما كان يكابدهُ فيعيش كغيرهِ خالياً مستريحاً مطمئناً . ولكنهُ لم يسمع قول نصوح . واقول انهُ كما عرفتهُ كان من المستحيل عليهِ ان يعيش عيشة اخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليهِ قائلين: ما هذا الشيخ الذي يتكلم باللغة الفرنساوية ويسيح في بلاد الافرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم ويباحث علماءهم ويفتي بما لم يقل بهِ احد من المتقدمين ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ان كان من اهل الدين فليقضِ حياتهُ بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراهُ يعمل فيها وحدهُ اكثر من جميع الناس . كان الاستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت الى اقوال المنتقدين حسنت نيتهم او ساءت

كان محركاً بقوة غير عادية ملآناً بالفكر الى حد انهُ ما كان يسعهُ كلهُ فكان يفيض منهُ بالرغم عنهُ. وكان قلبهُ ملتهباً بحب وطنهِ فلا يستريح الأ وهو مشغول بهِ وبسعادتهِ ومستقبلهِ وكان مثل جميع النوابغ لا يبالي بالالم الذي يأتيهِ بسبب امنيتهِ التي كان يعزها بل كان يجد الالم فيها لذيذاً كما يلتذ العاشق بما يقاسيهِ من العذاب في هوى من يحبهُ

كم من مرة سمعتهُ يؤكد بانهُ صمم على ان لا يتداخل في شيء من هذا القبيل ثم رأيتهُ في الغد منغمساً فيهِ اكثر مما كان بالامس

ذلك لانهُ كان بعكس ما يراهُ عموم المصريين في نفسهم عندهُ امل لا يزعزعهُ شيء في اصلاح امتهِ . واعتقاد متين ان البذرة الطيبة متى القيت في ارض بلادنا الخصبة نبتت وازهرت واثمرت كما نبتت وازهرت واثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقي بملء يديهِ كل ما جمعهُ في حياتهِ من الافكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة — كأنهُ كان يشعر ان حياتهُ ليست طويلة وكان يعجل ببذل جميع ما كان عندهُ وهل كان مخطئاً في آمالهِ ؟ كلاَّ . وانما يخطئ من يقنط وييأس من مستقبل امتهِ

ان لم تسمح القدرة لامام مصر باتمام مقاصده جميعها فلا ينكر احد ان تعاليمهُ قد أثرت في عموم الامة وفي اهل الازهر على الخصوص تأثيرًا حسنًا

ولكن ينبغي ان لا يغيب عن فكرنا ان الامم التي تستفيد من الاصلاح هي التي تستحقهُ اي تدركهُ وتفهمهُ وتحبهُ وتطالب بهِ وتكرم رجالهُ وتحترمهم وتعزهم والاَّ فكل اصلاح فيها مصيرهُ الى الزوال السريع

يجب علينا ان نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام اساسهُ ونحافظ عليهِ وندافع عنهُ ونضيف اليهِ ان امكننا حتى نتركهُ الى ذريتنا كميراث نفيس تنتفع منهُ وتزيد عليهِ ثم تتركهُ الى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح فينا كلما مرت الايام والاجيال كما هو الحال عند الامم الحية . سادتي نحن اليوم في عصر توفرت فيهِ ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا اذا نحن عرفنا ان نستخدمها . نحن في عصر النظام والحرية التامة التي لا تقف الاَّ عند حد القانون وارى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عالٍ وينشرون ما يوافق مصالحهم ويختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . اراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية التي منحها المصريون وارى بعكس ذلك ان الطيبين منا الصادقين الذين يريدون الخير لبلادهم لا يستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيءٍ يتكلمون بصوت منخفض او لا يتكلمون ولا ينشرون اميالهم وآراءهم ويبتعدون عن ولاة امورهم ويترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون الى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة العامة فكان ضعف هؤلاء وجراءة اولئك من اهم العوائق التي صادفها الامام في طريق الاصلاح

اذا دام هذا الحال كان نصيب ما شيدهُ من البناء الخراب والسقوط

اما اذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بافكارهم ودافعوا عن آرائهم وتركوا ما اعتادوهُ من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة الزائدة عن حد المعقول وساروا في الطريق الذي رسمهُ لهم امامهم ملهمين بروحهِ مهتدين بنورهِ مقتدين بسيرتهِ معجبين بما اظهرهُ في حياتهِ من علو النفس وشهامة الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة فلا ريب ان البناء يكمل والاصلاح يتم ويحقق ما كان استاذنا وامامنا العزيز يريدهُ وما يتمناهُ كل مصري من الشرف والمجد والسعادة لامتهِ

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ان فوز ابرهيم باشا على الجنود العثمانية لم يرضِ انكلترا لا لأنها كانت تكره محمد علي وترغب في مناوأتهِ بل لأنها تحسب ان سلامة الدولة العلية لازمة لها لكي تبقى سدًّا منيعاً في سبيل الروس ولانها خشيت ان تدور الدائرة على ابرهيم باشا ولو مرةً واحدة فيندحر اندحاراً يضعف مركز ابيهِ في مصر فتعزلهُ الدولة منها وتعود الفوضى الى القطر المصري وهذا لا يرضيها لانها استفادت اكثر من كل الدول الاوربية باستتباب الأمن في الديار المصرية وتسهيل سُبُل المواصلات فيها وقد اعربت عن ذلك بكلام قالهُ سفيرها في فينا للكولونل هوجس الذي جُعِل حينئذٍ وكيلاً سياسيًّا لبريطانيا في مصر وهو "قل لمحمد علي ان انكلترا لا تنوي لهُ العداء وان النظام والامن اللذين نشرهما في القطر المصري اثمن في عينيها مما هما في عيون سائر الدول لانهما سهّلا عليها المواصلات الى الهند وان نجاح التجارة في القطر المصري نافع لنا ولذلك يهمنا و يفيدنا جدًّا ان يبقى متمتعاً بحسن الادارة التي اوجدها محمد علي فيهِ ففي افريقية نحن اصدقاءُ لمحمد علي ولسياستهِ ونودُّ بقاءَها واذا لم نكن كذلك في اسيا فليس لاننا نكرههُ بل لان وجودهُ في اسيا يضعف سلطنة آل عثمان ويحلها وهو لا يستطيع ان ينشئ سلطنة تقوم مقامها ونحن عازمون ان نبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل الاحتفاظ بتلك السلطنة

" فان كان غرض محمد علي ان يمهّد الملك لاولادهِ من بعدهِ فذلك انما يكون في افريقية هناك تساعدهُ اوربا وتصالحهُ مع الباب العالي ولهُ ان يقوي البناء الذي انشأهُ فيها ويعززهُ بما شاء حتى يتركهُ لاولادهِ مشيد البنيان معزز الاركان • والامر على ضد ذلك في اسيا لانهُ اذا قام فيها بقي العداء بينهُ وبين الباب العالي فإما ان يَقْهَر او يُقهَر ولكن هاتين النتيجتين غير متوازنتين فاذا قُهِر في معركة واحدة اضطرَّ ان ينكص على عقبهِ الى افريقية واذا فاز فغاية ما ينالهُ ان الطريق تفتح لهُ ليزحف على الاستانة وهي امنع من ان ينالها فلا يستتبّ لهُ الفوز التام وغاية ما يكسبهُ في اسيا ان يحتلَّ بعض الولايات احتلالاً وقتيًّا وغاية ما يخسرهُ تُعلَم مما اصاب كلَّ فاتح اذا دُحر في بلاد غير بلادهِ"

ونقل الكولونل هوجس هذا الكلام الى محمد علي فلم يتزحزح عن عزمهِ بل قال لقد استوليتُ على هذه الولايات ولا اتخلّى عنها ما دمت حيًّا

وكان لورد بالمرستون في الوزارة فامر الكولونل هدجس بما تعريبهُ

اذا قابلت محمد علي وذكر لك حقوقهُ فقل لسموهِ ان حكومتك امرتك ان تقول لهُ "ان ليس لهُ حقٌّ من الحقوق الاَّ ما منحهُ اياهُ السلطان وان السلطة الشرعية الوحيدة التي لهُ هي السلطة التي خوَّلهُ اياها السلطان على جانب من سلطنتهِ وقد ائتمنهُ عليها لكي يستخدمها في طاعتهِ والعمل باوامرهِ. وان للسلطان حقًّا بان ينزع منهُ ما وهبهُ اياهُ والمرجح انهُ يفعل ذلك اذا رأى ان سلامتهُ تقتضيهِ. وانهُ اذا اراد السلطان ذلك ولم يكن عندهُ الوسائل الكافية للدفاع فلهُ حلفاء يساعدونهُ . وبيّن لمحمد علي ان الحامية التي تستأمن قبل ان تؤْخذ حصونها تنال من التساهل في شروط التسليم اكثر مما تنالهُ الحامية التي لا تستأمن الاَّ بعد ان تخسر كل شيء"

الاَّ ان هذا الكلام الصريح لم يصرف محمد علي عن عزمهِ لان الحكومة الفرنسوية كانت تشد ازرهُ فان المسيو تيير (وكانت مهام الامور في يدهِ حينئذٍ) حسب ان مصالح انكلترا ومصالح فرنسا متضاربة في مصر فاذا ضعفت مصالح انكلترا قويت مصالح فرنسا . فأغري محمد علي بذلك وسدَّ اذنيهِ عن نصح انكلترا ووعيدها

واتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على ان تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسلهِ من بعدهِ وتكون لهُ ايضاً الولاية على عكاء وجنوبي سورية مدى عمرهِ على شرط ان يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية في مدة عشرة ايام . فقبل محمد علي ولاية مصر ولكنهُ ابى ان يخرج جنودهُ من سورية حاسباً انهُ خدم الدولة خدماً عديدة تؤَهلهُ لامتلاك سورية كلها وانتظر ان تؤْيدهُ فرنسا في ذلك . ولما مضت العشرة الايام ولم يجب الدول الى ما طلبت منهُ خرج معتمدوها من الاسكندرية واعلن الباب العالي انهُ عزل محمد علي عن ولاية مصر واستعدَّت الدول لاخراجهِ من سورية بالقوة . وثار اهالي لبنان عليهِ وهاك تفصيل ذلك منقولاً عما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في تاريخهِ قال

"شاع سنة ١٢٥٦ هـ اتفاق الانكليز والنمسويين مع الدولة العثمانية على محمد علي وحضرت مراكبهم الى بيروت مع المراكب العثمانية وحضرت ايضاً مراكب فرنسوية وهي غير متحدة معهم وكان الظاهر لمصر ان فرنسا تدافع عنها ولذلك توقف المصريون عن قبول ما عُرِض عليهم وهو ان تكون مصر لذرية محمد علي باشا يتوارثونها الارشد فالارشد مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويُدفَع عنها للدولة العلية ستون الف كيس كل سنة ويكون عدد عساكرهِ ومراكبهِ الحربية معيناً لا يزيد عنهُ وان بر الشام يبقى في يدهِ مدة حياتهِ فقط وما عداهما مما في يدهِ

كالحجاز وكريت يرد للدولة فاذا لم يرتضِ بذلك في مدة عشرة ايام يؤخذ بر الشام من يدهِ ونترك لهُ بلاد مصر ثم يمهل عشرة ايام اخرى فان لم يرتضِ تؤخذ منهُ بلاد مصر ايضاً . ولولا ثقة محمد علي بمواعيد فرنسا لقبل بما عرض عليهِ اولاً"

"واما ابرهيم باشا فلما تحقق عصيان اهل كسروان بمساعي السنيور وود[1] قام لمحاربتهم باثني عشر الف عسكري من المشاة وابقى شريف باشا حاكماً في دمشق وارسل حنا بك بحري ليقيم عند الامير بشير رقيباً عليهِ . ولما وصل ابرهيم باشا بجنودهِ الى كسروان قاومهُ رجالها فانكسرت الجنود المصرية مراراً وارسل قنصل الانكليز في دمشق روفائيل مشاقه الى الامير بشير ليخبرهُ عن قرار الدول المتحدة وانهُ الاجدر بهِ ان يطيع الدولة . وطُلب من الامير ان يرسل معتمداً الى بيروت لمواجهة الكومودور نبير[2] فارسل اليهِ ابرهيم مشاقه سراً عن طريق صيدا وبعد المكالمة رجع الى الامير عن طريق صيدا ايضاً وذلك خفية عن بحري بك الذي أُقيم في سراي الامير ليراقب حركاتهِ وسكناتهِ . وكان من كلام الكومودور نبير لابرهيم مشاقه ان لا بدَّ من اخراج المصريين من بلاد الشام فعلى الامير بشير ان لا يغرر بنفسهِ

ولما رفض محمد علي ما عُرض عليهِ صدر الامر باخراج المصريين من سورية بالقوة ورجع بحري بك الى دمشق قبل ضرب بيروت . وفي احدى الليالي اتى السنيور مرلاتو قنصل النمسا ليسهر عندي وسيق الكلام الى حضور المراكب الى بيروت فقلت لهُ انها فعلت عين الصواب في اخذها الاماكن الضعيفة اولاً ثم يكون لها الزمن الكافي لمحاصرة عكاء . فقال اتظن ذلك فقلت لهُ هذا ما يظنهُ الجميع . فقال ان المراكب اتت بيروت اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها فخافت ان يقع عليها ضرر . ثم كم تظن ان عكاء تحتمل مع الانكليز. فقلت لهُ ان ابرهيم باشا حاربها سبعة اشهر ولم يكن داخلها قوياً كما هو الآن ثم زاد في تحصينها فيجب ان تزيد قوة الانكليز على قوتهِ حسب ما زاد في قوتها . فضحك وقال يا تعس من يقاوم الانكليز . فقلت ولكن عكاء حصينة جداً وقد زاد ابرهيم باشا في تحصينها . فقال نعم انا اعرفها بعد تحصينها فصارت تحتمل ضرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي حينئذٍ رجل من انسباء بحري بك وهو صديق لي وقد سمع كل ما دار بيننا من الحديث فاوجست شراً وخفت من بلوغ الخبر الى الحكومة المصرية فطلبت من صديقي هذا ان يذهب

(1) هو رتشرد وود احد تراجمة سفارة الانكليز في الاستانة جاء لبنان لتعلم اللغة العربية ولاثارة اهاليهِ على الحكومة المصرية (2) هو السر تشارلس نبير امير الاسطول الانكليزي واحد القواد المشهورين

حالاً ويخبر بحري بك عن لساني بكل ما سمعهُ . ففعل وفي الصباح اتاني رسول يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت اليهِ فقال حضر فلان واخبرني ما هو كيت وكيت فاريد ان اتحققهُ منك لئلا يكون قد وقع فيهِ زيادة او نقصان . فقصصت عليهِ واقعة الحال فقال اريد منك ان تستعلم منهُ هل هو على ثقة ان الانكليز والنمسويين يحاربون مع الدولة وتردّ عليَّ الجواب باسرع ما يمكن . فقلت لهُ ان القنصل المشار اليهِ لا يسهر عندي دائماً واذا ذهبت اليهِ بهذا السؤال فقد يفتكر افكاراً تمنعهُ عن الاخبار بالحقيقة فارجو منك ان تمهلني حتى ارى الطريق الاصلح لذلك

وفي المساء جاءني القنصل وكان حضورهُ اليَّ في ليلتين متواليتين نادراً فقلت لهُ بعد حديث طويل انني لا ازال افتكر بقولك ان عكاء تؤخذ في ست ساعات ثم هل انت واثق ان المراكب اتت بيروت لصيانة اموال الاجانب فقط او هي مأمورة بالضرب مع المراكب العثمانية كما قلت البارحة . فقال ان المراكب الانكليزية والنمسوية ما حضرت الاَّ للضرب واما الفرنسويون فيبقون على الحياد

وفي الصباح ذهبت الي بحري بك واخبرتهُ بما سمعتهُ فاكفهرَّ وجههُ واستعادني الحديث فاعدتهُ فقال الله يجازي الفرنسوي اذا بقي على الحياد لانهُ بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيدهُ بالمساعدة ما كان افندينا يخالف رأي الانكليز ويجعلهم لهُ خصوماً . فقلت لهُ ان بونابرت الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكاء وكان لها سور واحد وكان داخلها جزار باشا وجنودهُ لا تساوي طابوراً واحداً من العسكر المصري والآن صارت عكاء ذات سورين وزاد تحصينها عن الاول وفيها عسكر ابرهيم باشا لا عسكر الجزار الضعيف . فقال ان الذي اعجز ابرهيم باشا عن فتح عكاء ليس تحصينها بل قوة الانكليز التي اتت ضدهُ وزاد عليها انقلاب جمهورية فرنسا عليهِ وقطعها عنهُ المدد وتعمُّدها اهلاكهُ في هذه البلاد فاضطرَّ ان يقوم عن عكاء والاَّ فما هي عكاء وما كان اعظم منها بالنسبة الى اقتدار الملوك العظام فلو كانت قوة الاتراك وحدها موجهة ضد افندينا ما كان يبالي بها مهما كثرت عَدَداً وعُدَداً وانت شاهدت بنفسك حربهُ في حمص وكيف كان الجمهور الكبير من الاتراك يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ثم ما كفانا مقاومة العدو القادم علينا من الخارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين لمعروف الدولة المصرية مع النصارى

فقلت لهُ أتسمح لي ان اتكلم بالحرية ام ابقى صامتاً فقال بل اود ان تتكلم بكل حرية عن كل ما يلوح في فكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانهُ اذا

كان لبنان معنا فهو الحصن لنا لا عكاء وانت تعرفهُ جيداً فلا بدَّ من انك تعرف ما يصلحهُ وما يفسدهُ

فقلت ان من القواعد المقررة بالاختبار ان المغتصب لبلاد اذا لم يحسن سياستها واحدث فيها غير المألوف عند اهاليها فلا بدَّ ان تصير لغيرهِ كما صارت لهُ . فاولاً ان لبنان كان يدفع الى خزينة الولاية الفين وثلاثمائة كيس كل سنة فزدتم عليهِ اربعة آلاف كيس كل سنة ودائماً تطلبون منهُ رجالاً لمعونتكم وقت الحرب بدون اجرة فيتعطلون عن اشغالهم اللازمة لمعيشة عيالهم ويُقتَل منهم كثيرون . وليس افقر من اهالي لبنان في كل بلاد الشام نعم انهُ يخرج منهُ حرير من الف الى الف وخمسمائة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبان واهالي المدن كبيروت وطرابلس فالاهالي يبقى لهم القليل من حاصلات الجبل وهم نحو ثلثمائة الف نسمة وليس عندهم ارض لزرع الحبوب فيضطرون ان يشتروها من الخارج

ثانياً اي رئيس عشيرة ابقيتموهُ ولم تهينوهُ وتنزعوا بلادهُ من يدهِ نعم ان الامير بشيراً بقي على لبنان كعادتهِ بامر خصوصي من محمد علي باشا ولكن بعد ان رتَّبتم على فقراء بلادهِ اربعة آلاف كيس سنوياً زيادة عن المرتَّب قبلاً حتى بلغ المطلوب ثلاثة اضعاف ما كان يطلب عادة وما كفى حتى تماديتم في اعمال تهين شرف اسمهِ بطلبكم منهُ تسليم اللاجئين اليهِ لكي يتوسط عندكم في الرأفة بهم ولما ارسلهم اليكم قطعتم رؤُوسهم بدلاً من قبول وساطتهِ

ثالثاً ان اهالي سورية لم يعتادوا العبودية كاهالي مصر الذين اعتادوها من زمن الفراعنة فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكر من غير ان تعينوا أجلاً محدوداً لخدمتهم فالذي يؤْخذ ابنهُ يعلم انهُ لا يرجع اليهِ الاَّ اذا لم يعد يصلح للحرب ولا للعمل اذا بقي سالماً ثم انهم يأخذون الوحيد لوالديهِ ولا يراعون حالهما ولا صغر اطفالهِ وشدَّة حاجتهم اليهِ فهذهِ الامور كافية لتنفير الناس منكم اما التجار واصحاب الاموال فيرغبون في بقاء الحكومة المصرية لحفظ الامن وتحصيل الحقوق . وشمالي لبنان كان من قبل استيلاء المصريين على سورية ناقماً على الامير بشير وقدنشأت فيهِ فتنة جسيمة سنة ١٨٢١ وكان الاكليروس يعضد الاهالي والبطريرك يصمت عنهم ولا سيما البطريرك يوسف حبيش

فقال ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل الى الامير مع انهُ من طائفتهِ

فقلت هذا اعرفهُ من قبل انتظامهِ في سلك الكهنوت وقد كان اسمهُ الشيخ يعقوب حبيش كنت اتعلم عند اولاد فرنسيس باز في حوالي سنة ١٨١١ وكان الشيخ يعقوب هذا يقيم في دير القمر مدداً طويلة لدرس الشريعة على الشيخ شرف الدين القاضي مع خصم لهُ اسمهُ الشيخ

شمسين وهو من حزب الشيخ جنبلاط . وكان الشيخ يعقوب يمضي اكثر اوقاتهِ عند اولاد باز يتذاكر مع احدهم في علوم اللغة وكان ينسب عدم نجاح دعواهُ الى رغبة الامير بشير في اذيتهِ بكلام يدل على عظم كراهتهِ لهُ وحقدهِ عليهِ . اما جنوبي لبنان فاذا لم يتدارك امرهُ امتدت الفتنة اليهِ لان الموارنة نحو نصف اهاليهِ والمشايخ الذين يربطونهم مع الدروز حتى يكونوا يدًا واحدة هم آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيون الى مصر فاذا أرجعوا الى اوطانهم وطيبت خواطرهم فبواسطتهم يثبت جنوبي لبنان ويخشاهُ شماليهُ فهذا الذي اظنهُ وقد اكون غلطانًا

فقال وانا من رأيك والاجدر بنا احضار المشايخ من مصر

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر من ابرهيم باشا الى شريف باشا بان يحجز على قنصلي انكلترا والنمسا في بيتيهما ويضع خفراء من العسكر على بابيهما . وبعد ايام ورد كتاب من ابرهيم باشا الى شريف باشا يقول لهُ فيهِ ان بيت قنصل الانكليز لهُ بابان فما المنفعة من وضع الخفر على واحد منهما . وكان ذلك صحيحًا . وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم في بيتي بواسطة الترجمان وكنت افعل ما يلزم لقنصل الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات سرًّا لا كرهًا بالحكومة المصريَّة ولا حبًّا بالحكومة التركية بل لانني منتمٍ الى الدولة الانكليزيَّة وخدمتها واجبة عليَّ لانني من مأموريها فعندما كانت تساعد المصريين كنت اسير حسب رغبتها وعندما صارت تساعد الاتراك صرت اساعدهم معها وفي الحالتين ابذل جهدي لكي لا اضرَّ احدًا بل اساعد كل احد حسب طاقتي

ثم حاق الفشل بالعساكر المصريَّة لان رجال كسروان اتتهم الاسلحة والمهمات الحربية والعساكر المصريَّة ملَّت مواصلة الحروب . ولما رأى ابرهيم باشا تأخر عساكرهِ سار بهم الى زحلة غربي البقاع حاسبًا ان خصومهُ يطمعون ويتبعونهُ وهناك سهل فسيح تسهل فيهِ الحركات العسكريَّة فيفتك بهم لكن اهالي الجبل لم يتبعوهُ بل اكتفوا بخروجهِ من بلادهم

وفي غضون ذلك استولت الدولة على مدينة صيداء . وصدر الامر الى الامير بشير لينزل اليها في يوم معيَّن فيفوَّض اليهِ حكم الجبل . فارسل الى حفيدهِ الامير مجيد لكي يتخلَّص من معسكر ابرهيم باشا ويأتي اليهِ مسرعًا وطلب من اندراوس مشاقه ان يحصي ما عندهُ من النقود في دار الحريم فاحصاها فوجدها ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعين كيسًا وهي تساوي حينئذٍ اربعة وستين الف ليرا فرنسوية (٦٤ الف بنتو) . فامرهُ ان يضع الثمانية الآلاف في اكياس ويكتب على كل كيس مقدار ما فيهِ ويضعها في صندوق ويأتيهُ بمفتاحهِ . فعمل

كما امرهُ وقال لهُ ماذا افعل بباقي الدراهم فاجابهُ ابقها لترسلها الى البطريرك (بطريرك الموارنة) . فقال ان سيدنا البطريرك لا يحتاج الى النقود وهي الزم لسعادتك مما هي لهُ . فتنهّد الامير وقال ان ارسالي النقود الى البطريرك الزم لي من كل نفقاتي

ولما بلغ الامير مجيداً امر جدهِ احتال وتخلّص من العسكر المصري ولكنهُ لم يصل الى جدهِ الاّ في اليوم الذي عيّن لهُ ليصل الى صيداء بجميع اولادهِ واحفادهِ . ولما وصل صيداء خرج خالد باشا للقائهِ بالعساكر واحتفل بهِ كثيراً وكتب الى بيروت عن وصولهِ الى صيداء فأتى الامر ان يمضي الى بيروت فمضى فلاموهُ على تأخرهِ ولم يقبلوا لهُ عذراً وخيّروهُ في الاقامة حيث شاء الاّ في سوريا وفرنسا فاختار الاقامة في مالطة وامهلوهُ ليرتّب امورهُ . وارسل اليهِ البطريرك الخوري نقولا مراد ليكون معهُ لاجل الخدمة الدينية وهو في الحقيقة رقيب عليهِ . فسار الامير بكل عائلتهِ وخدمهِ الى مالطة

وبقي ابرهيم باشا في زحلة . وشاع في دمشق ان فردوس بك اتى الى اخوتهِ في دمشق وهو ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم في محاربة الفرنسوية بمصر سنة ١٨٠١ وتزوج علي آغا بابنتهِ وولد لهُ منها بنون وبنات وتزوج شريف باشا واحدة منهنَّ . وكان فردوس بك مع عساكر السلطان . وذات يوم طلبني بحري بك وسألني قائلاً هل علمتَ بقدوم فردوس بك الى دمشق فقلت سمعت بقدومهِ ورأيت اخاهُ عاكف بك في احد البيوت وسألتهُ عنهُ فاخبرني انهُ حضر الى بيروت وليس الى دمشق . فقال بلغني انهُ حضر الى دمشق وانت طبيب تدخل كل البيوت فارجو ان تحقق لي ذلك . وكنت اعلم انهُ اتى الى حاصبيا الى الامير سعد الدين وأُلبس ملابس اهل الجبل وأُوصل الى دمشق ولكنني خفت ان أُخبر بذلك فيُقبض عليهِ ويُقتَل وقلت لبحري بك ان البكوات المشار اليهم اصدقائي وانا اتردَّد عليهم ولكنني لا ادخل دور الحريم لانني لست طبيبهم . والطبيب نفسهُ لا يدخل دار الحريم الاّ اذا طلبوهُ لذلك . فقال ومن هو طبيبهم قلت روفان صيدح الذي تقصد ان تزوج ابن اخيك بابنتهِ

وكان متسلّم دمشق حينئذٍ حافظ بك بن عبدالله باشا العظم وكان من المخلصين للحكومة المصرية وهو من اقارب فردوس بك فاخبر بحري بك ان فردوس بك اتى دمشق واجتمع في بيتهِ بشريف باشا ثم عاد الى بيروت ويجب ان تخبر ابرهيم باشا بذلك فقال بحري بك وما هو الدليل الذي نثبت بهِ قولنا لو انكروهُ فقال حافظ بك هلمَّ معي نتغدَّ سوية في بيتي وهناك ترى الدليل فمضى معهُ وبعد الطعام دخلا مخدعاً واستدعى حافظ بك ولداً لاخي فردوس

بك وقال لهُ اي متى يخرج عمك فردوس من الحريم . فقال الولد ان عمي سافر منذ ثمانية ايام وما تعوَّق عندنا غير يومين . فقال لهُ اذاً ما صبر حتى قابل صهركم شريف باشا فقال الولد ان الباشا اتى الى هنا ثاني ليلة وسهرا وحدهما في القصر وسافر عمي في الليلة التالية . ثم صرف الولد وقال لبحري بك أبقي عندك شك . فاجاب كلاّ ولكن ابقِ ذلك في سرك الى ان نخبر ابرهيم باشا ونجري حسب ارادتهِ

وكان بحري بك يكره الوشاية بشريف باشا لانهُ صديقهُ ولانهما تعلما وتهذبا معاً عند عبود البحري ولكنهُ كان يخشى ان يبلغ الامر مسامع ابرهيم باشا فيرى انهُ اخفى عنهُ خبراً مثل هذا فيبطش بهِ فاجتمع بشريف باشا وقصَّ عليهِ واقعة الحال وقال لهُ صرتَ في خطر وان هربت فقد لا تسلم وتفقد جميع اموالك ومقتنياتك واذا انا كتمت الخبر عن ابرهيم باشا فلا يكتمهُ عنهُ الذي اخبرني بهِ وحينئذٍ يحسبني خائناً ويهلكني معك . فاتفقا على ان بحري بك يكتب الى ابرهيم باشا لكي يستدعيهُ اليهِ بكتاب يرسلهُ الى شريف باشا فورد كتاب الى شريف باشا من ابرهيم باشا يقول فيهِ لا بدَّ من المذاكرة في بعض المهام والحالة الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فارسلوا الينا بحري بك للمذاكرة معهُ . فمضى بحري بك حالاً وقصَّ على ابرهيم باشا واقعة الحال فاستشاط غيظاً وقال لا بدَّ من قتل شريف باشا فقال بحري بك نعم ولكن لا بدَّ من النظر في العواقب قبل الحكم فان اذنتموني في الكلام اتكلم فقال تكلم

فقال ان شريف باشا ليس غريباً عنكم بل هو من انسبائكم وقد ربَّيتموهُ واحسنتم اليهِ ورفعتم قدرهُ وقطعتم لهُ ثلاثة آلاف كيس كل سنة حال كون السلطنة لا تعطي مَن كان في رتبتهِ غير خمسة آلاف غرش شهرياً وصار لهُ عقارات كثيرة في الاقليم المصري والشامي وزاد على ذلك انكم جعلتموهُ حكمداراً على اقليم سورية . فهذا اذا لم يحفظ ولاءكم فهل يرجى حفظ الولاء من كل الذين دونهُ وهم ليسوا من انسبائكم ولاهم حاصلون على شيءٍ من النعم التي حصل عليها واذا كان خصومكم قد نجحوا في اغراء اعقل من تعتمدون عليهِ من انسبائكم المغمورين بانعامكم وليس عندهُ قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل يؤمن انهم لا يفلحون في اغراء رؤساء عساكرنا الذين يرجونهم ويتقونهم . فالآن اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون لهُ امثال في رؤساء العساكر فينفرون وتقوم الفتنة في عسكرنا ويقوى الخصم علينا ورأيي ان تنزل الى دمشق بالعساكر وتعمل هناك ما تراهُ موافقاً

فاستحسن ابرهيم باشا رأي بحري بك ونزل الى دمشق واخذت عساكرهُ تجتمع من

جميع الجهات . وأُخرج قنصل انكلترا وقنصل النمسا من دمشق وأُوصلا سالمين الى ايالة صيداء . وسارت المراكب الانكليزية والنمسوية والعثمانية الى عكاء وضربتها وامتلكتها عنوة بعد ضرب ثلاث ساعات وثلث ساعة لانهُ كان قد وصل اليها كثير من صناديق البارود من مصر وكانت ملقاة بين السورين لانهُ لم تكن المهلة كافية لتخزينها فوقعت عليها قنبلة فاشعلتها وكان لذلك فعل مدهش حمل العساكر الذين في عكاء على الهرب منها واستولت الدولة على البر المحيط بالساحل بغير حرب وكذلك استولت على البقاع حينما تركهُ ابرهيم باشا وسار الى دمشق

وسنأتي على تتمة اخبار ابرهيم باشا واخبار ابيهِ في الجزء التالي

دواء السل

من الخطبة التي القاها الدكتور بهرنغ الالماني على مؤتمر السل الذي عقد في باريس واعلن فيها اكتشافهُ دواء للسل شافياً لهُ واقياً منهُ . قال —

تحققت في السنتين الماضيتين وجود جوهر شافٍ للسل يختلف كل الاختلاف عن جوهر اللقاح الذي وصفتهُ منذ ١٥ سنة

وهذا الجوهر الجديد هو العامل الاهمّ في اللقاح البقري الذي اكتشفتهُ وجربتهُ منذ اربع سنوات الى الآن فثبتت فائدتهُ في مقاومة سل البقر

وتأثيرهُ يتوقف على اشباع الخلايا او الحويصلات الحية في جسم الحيوان مادةً تستخلص من سمّ التدرن أُسميها (TC)

ومتى صارت هذه المادة (TC) قسماً من حويصلات الحيوان الذي يعالج بها وحولتها تلك الحويصلات من حالٍ الى حالٍ فاسميها حينئذٍ (TX)

ومادة (TX) وبعبارة اصح (TC) توجد في ميكروب التدرُّن ولها خواص غريبة فتكون بمثابة شيء لازم لقوام الميكروب ولحلول الاختمار فيهِ وتحليلهِ . ومن خصائصها انها تجعل بعض المواد ثابتة ولها خاصة التمثيل في بعض الحالات . ويقال بالاختصار انها الجوهر الحيّ في الميكروب

وعندي انهُ اذا لُقحت المواشي لوقايتها من التدرُّن تحرَّرت مادة (TC) التي في

الميكروب من المواد التي تكون قد امتزجت بها عرضاً والَّفت بين العناصر الخلوية التي داخل الخلايا الآلية وخصوصاً ما كان مصدرهُ في مركز الانسجة اللمفاوية وهي سبب ردّ الفعل الذي يحدث بعد التلقيح بلقاح كوخ من الجهة الواحدة وسبب الوقاية من التدرن من الجهة الاخرى

وقد طال بي المطال وكثرت امامي الصعوبات قبلما توصّلت الى ما تقدم في ادراك ماهية اللقاح الواقي من التدرن . ولولا اطلاعي على مباحث متشنكوف في الكريات البيضاء وفعلها في مقاومة ميكروبات الامراض ما ادركت الفرق بين الوقاية الحادثة في خلايا الجسم والوقاية الحاصلة في رطوباتهِ

ولوشئت تفصيل الادلة على صحة قولي لقضيت في ذلك عدة ساعات . ولكني اكتفي الآن بوصف طريقة العلاج الجديدة التي توصلت اليها من درس التدرن درساً علميًّا . واعتقادي ان هذه الطريقة الجديدة تقي المعرضين للسل من عواقب عدواهِ . وقد علمني الاختبار ان امتنع عن ادخال ميكروبات التدرن الحية الى جسم الانسان مهما كانت الغاية من ذلك . وعليهِ فان علاج الناس لوقايتهم من السل بدأ باكتشافي علاجاً اتقدم الآن لوصفهِ لكم فاقول

واضح مما تقدم اني بذلت اقصى الجهد لاكفي الجسم العناء والخطر اللذين يترتبان على توليد مادة (TC) فيهِ فعملت التجارب في آنية زجاجية وفزت بالمطلوب اذ استبدلت الوقاية الحاصلة من الداخل بوقاية آتية من الخارج . ولم أسرَّ في عمري قط كما سررت ايام كنت أراقب الحلقات السببية التي تصل ما بين التلقيح والوقاية حتى تجلّت لي باوضح مظاهرها من فضل التجارب العديدة التي جربتها في المواشي

وخلاصة ابحاثي انهُ يقتضي لتحرير مادة (TC) من المواد التي تعوق عملها الشفائي التمييز بين ثلاثة انواع من المواد الميكروبيَّة وهي

(١) مادة تذوب في الماء القراح فقط ولها خاصة اختيارية تحليلية . ومن هذه المادة تتألف عناصر لقاح كوخ السامَّة (توبركولين) وأسميها (TV) . ولادراك قوتها التلقيحية اقول ان قوة غرام جافٍ منها تفوق قوة لتر من لقاح كوخ

(٢) مادة هلامية تذوب في محلول ملح متعادل مثل محلول من الملح العادي فيهِ ١٠ في المئة ملحاً وقد سميت هذه المادة (TGL) وهي سامة مثل لقاح كوخ

(٣) مواد اخرى غير سامة تذوب في الكحول والاثير والكلوروفورم وغيرها

وبعد ما يحرَّر ميكروب التدرن من هذه الانواع الثلاثة من المواد الغريبة يبقى جسم سميتهُ " الميكروب الباقي "

وهذا الميكروب مثل ميكروب التدرن في شكلهِ وفي قابليتهِ للتلون ويمكن تغييرهُ حتى لا يبقى لهُ شكل مخصوص وحتى اذا لقحت بهِ خنازير غينيا او الارانب او الغنم او المعزى او البقر او الخيل امتصتهُ حويصلاتها اللمفاوية وغيرتهُ فصارت بهِ اكسيفيلية . وفي اثناء ما يحدث من التغيير في الخلايا بفعل مادة (T C) ينال الجسم الوقاية

ومن الامور الجوهرية ان في مادة (T C) قوة لتوليد التدرن وان تكن هي نفسها لا تتوالد والدرن الذي يتولد منها لا يجبن ولا يلين

وقد اتضح لي من تجارب عملتها في حيوانات مختلفة من ذوات الثدي ان مادة (T C) التي توجد من قبل في ميكروب التدرن يمكن تربيتها في آنية زجاجية بحيث يستخلص منها علاج يمكن استعمالهُ في الناس بلا ضرر

وأرى من اللازم ان يمتحن العلماء الذين يشتغلون بهذا الفن في المستوصفات الاخرى فعل علاجي في الحيوانات ويتأكدوا انهُ لم يكتشف علاج مثلهُ قبل الآن

ومعلوم عندكم ان لقاح كوخ ولقاحهُ الجديد (T R) ولقاح مراجليانو ولقاح مرمولاك وغيرها من المستحضرات لها بعض التأثير الشافي او الواقي بشهادة اصحابها . ولكن غيرهم جربوها وخصوصاً في خنازير غينيا فلم تسفر تجاربهم عن النتائج المرضية . اما انا فأومل ان يكون علاجي نافعاً وان العلماء الذين اسلمهُ اليهم ليجربوهُ يفوزون بنتائج حسنة مثل التي فزت بها انا او احسن

هذا واني ارجو منكم ان لا تنسوا ان اكتشافي الذي اعلنهُ اليوم يذكرنا باكتشاف علاج الدفثيريا الذي اعلنتهُ سنة ١٨٩٠ وقد أيدت التجارب فائدتهُ بما لا يترك مجالاً للريب فيهِ. وقد مضى على اكتشافي الاول نحو اربع سنوات قبلما صار موضع ثقة الاطباء ولو لم يقم صديقي الدكتور رو في بودابست و يساعدني على مقاومة الدفثيريا قاتلة الاطفال لاضطررت ان انتظر زماناً اطول حتى يتحقق الناس صحة قولي وفائدة اكتشافي

ولا ادري كم من الوقت يمضي قبلما يصبح اكتشافي الجديد موضع ثقة الناس بهِ وتحقق فوائدهُ

طلاق

الامبراطورة جوزفين

رأى قلبهُ من قلبها ما يكابدُ فنازعهُ فيها الهوى والمقاصدُ
رأى حبَّهُ معبودها وفؤادها يدق كما دق النواقيس عابدُ
رأى دمها وجدًا رأى وجدها دمًا فغيَّب عنهُ الرأيَ ما هو واجدُ
رأى قلبها كاللؤلوء الرطب ناضرًا فأشفق ان تُلقى عليهِ الجلامدُ
فتًى جاهد الدنيا وجاهد اهلها وفي نفسهِ لم يدرِ كيف يجاهدُ
اقامت لهُ الايام صدر امورها وفي صدرهِ همٌّ من الحب قاعدُ
بكى وبكت "جوزفينُ" حزنًا وقلبها على قدميهِ من جوى الحب ساجدُ
ولما أضا برق المنى في فؤادهِ لها ايقنت ان سوف تدوي الرواعدُ (١)

∴

يقولون هذا ليثنا اين شبلهُ ألم تدرِ ان الدهر يا ليث صائدُ
فمن يرث التاج الذي انت تاركٌ ومن ينتضي السيف الذي انت غامدُ
ومن يلجُ الباب الذي قد فتحتهُ ومن خلفهِ الدنيا وتلك الفراقدُ
واي جبين فيهِ سماك بيننا واي فؤاد فيهِ سرُّك خالدُ
سيظلم عرش الشمس ان غاب بدرهُ ولم يكُ مولود عليهِ ووالدُ

∴

اثبت هذي الارض لاثنين مثلهُ وقد هزَّها ما بين كفيهِ واحدُ
فأولى بنابليون نسلٌ من السما يجاهد في افلاكها ويجالدُ
لتنضمَّ في املاكهِ الارض كلها وبنتون في جوّ السما وعطاردُ
ويرمي ذاك النسر ظل جناحهِ الى حيث لا يرقى من الوهم صاعدُ
كفى الارضَ ما نالتهُ من مطَراتهِ لكل اوانٍ زارعون وحاصدُ

∴

ويوم تولّى برجهُ شرُّ كوكب فدارت على اقطابهنَّ الشدائدُ

(١) يشير ببرق المنى الى رغبة نابليون في الاولاد و بالرواعد الى ما سيكون من كلمات الطلاق

ومدّ عليهِ النحس ظلاً كآبةٍ تغشّتهُ حتى كلُّ ما فيهِ كامدُ
كأنّ خيال الموت مدّ طرافهُ عليهِ فكلٌّ ساهم الخد جامدُ
كأنّ لهيب الشمس في مهجة الهوى فللشمس جرمٌ اكمد اللون باردُ
اذا كان في الايام ايمانُ رحمة فيومك يا جوزفين فيهنّ جاحدُ
صرخت فردّ الجو انفاس اهلهِ ليصعد صوت من فؤادك شاردُ
ليصعد صوت العدل لله شاكياً عليهِ يمينٌ من بكاكِ وشاهدُ
ليبلغ سكان السماء تنهدٌ من الارض اذ جوُّ الفضيلة راكدُ
لتضطرب الارواح من ظلم اهلها لتصرخ في سرّ القلوب المحامدُ
فقد نزعوا قلباً وتاجاً ونعمةً وزوجاً ولم يفقد كهاتيك فاقدُ
رموا قلبك المكسور في مطرح النوى يطارد من آفاتهِ ما يطاردُ
ولا فخر للانثى سوى ضبط قلبها تقرّ بهِ أنّى تشأ وتباعدُ

***

دوت قصفات الدهر وانطوت المنى وغطت سماء النصر تلك المكائدُ
وجاء وليُّ التاج والتاج ذاهب وحلّت اماني الدهر والدهر زاهدُ
واصبح ركن العرش كالغصن مائلاً على كل ريح لا يرى من يُساندُ
ودارت بنابليون في النحس دورةٌ تقابل فيها حظهُ والنواكدُ
وقصوا جناحي نسرهِ بعد ان دوى تخفقهما جوُّ العلى والفدافدُ
فيا نسر ماذا يصنع الفرخ بعدها وقد حطمت ظفريهِ هذي المباردُ
تركت لهُ ملكاً بغير رعيّة وكفًّا ولكن ليس في الكف ساعدُ
وبوّأتهُ عرشاً اذا ما ادّكرتهُ لقيت كما يلقى الخيالات راقدُ
جنيت عليهِ بالسياسة قبلها بلى قد جنتها قبل ذاك العوائدُ
اتذكر اذ عاندت قلبك جاهداً فهذا الذي قد كنت فيهِ تعاندُ
وكذّبتهُ والقلب صوتٌ من السما ولولاهُ ما سدّدت إذ انت قائدُ
والزمتهُ نصح الورى وهو مبصر وللعين لا للقلب تُعطى المراودُ
فما قتلتك الحادثات وانما أُرتك دم القلب الذي انت فاصدُ

مصطفى صادق الرافعي

شمول مذهب النشوء

[وهو القسم الثاني من خطبة دارون القاهُ في جوهنسبرج بالترنسفال . اما القسم الاول فالقاهُ في مدينة الراس قبل الثاني باسبوعين وقد نشرناهُ في العدد الماضي]

كان مدار بحثنا فيما مرَّ على الاشياء الصغيرة التي لا تكاد تُتصوَّر لصغرها ومرادي الآن ان ابيّن ان ما يجري بين الدقائق والجواهر الصغيرة يجري ايضاً بين الاجسام الكبيرة . فأتقدم اولاً الى الفلك وابدأُ بالاقدار الصغيرة متدرجاً منها الى الظواهر الفلكية الكبرى فاقول

وضع الفلكي الالماني بود قاعدة بسيطة للابعاد التي تفصل بين الشمس والسيارات . وقد صحت هذه القاعدة على السيارات كلها ما عدا نبتون حتى لا نرى لنا مناصاً من الاعتقاد ان السيارات كلها كانت منطبقة عليها

هذا وان الاسباب التي افضت الى هذه القاعدة البسيطة لم تعلم بعد ولكن يمكننا ادراك بعض كنهها من النظر الى ما يأتي

تصوَّروا شمساً يدور حولها سيار كبير في دائرة . واسمي هذا السيار زفس اذ يمكننا تشبيههُ بالمشتري اكبر سياراتنا . ثم افرضوا ان نيزكاً او سياراً صغيراً رمي في الفلك الذي يتحرك زفس فيهِ فكيف تكون حركتهُ . قد يظهر لاول وهلة ان هذا السؤَال مما تسهل الاجابة عنهُ والحقيقة ان حلهُ اعضل على الرياضيين فلم يهتدوا بعد اليهِ . على اننا نعلم ان النيزك المرميّ يرسم دائرة كثيرة التشويش والارتباك طوعاً لجذب الشمس والسيار فتارةً يسير سيراً بطيئاً على بعد شاسع من الشمس والسيار وطوراً يمرُّ بسرعة عظيمة قرب احدهما . وعندما يمرُّ قرب احدهما فقد يتفق انهُ يدنو منهُ الى حدّ ان يكاد يصطدم بهِ ثم ينجو بنفسهِ ولكن لا بدَّ ان يأتي زمان يصطدم فيهِ بالشمس او بالسيار فتكون بذلك آخرتهُ اي انهُ يتحد باحدهما والغالب ان يتحد بالشمس

ثم لنفرض بدل النيزك الواحد مئات من السيارات الصغيرة او النيازك تدور حول الشمس وزفس في جميع الجهات . ولما كانت كلها صغيرة جدًّا فان جذب بعضها لبعض لا يعتدُّ بهِ لضعفهِ وعليهِ فانها تتحرك حول الشمس وزفس كما لو كان لهما وحدهما تأثير في حركتها دون غيرها . وتكون النتيجة ان الشمس تجذب اليها معظم تلك النيازك وتبتلعها وان زفس يصطدم بالبقية القليلة ويجذبها اليهِ

ورب سائل يسأل وكم يطول عمر النيزك من ابتداء حركتهِ الى انتهائها . والجواب ان

عمره يتوقف على جهة حركته وسرعته وانهُ يمكن اطالتهُ بتكييفهما. فاذا أطلنا عمره بتأخير اوان الاصطدام الى ما لا نهاية له دار حول الشمس وزفس ولم يصطدم باحدهما ابدًا

اذًا هناك أفلاك يمكن ان يدور نيزك او سيّار صغير فيها الى الابد ولا يصطدما بشيء فاذا عُرف ذلك وجب علينا ان نعرف ايضاً هل اذا طرأ على ذلك السيار الصغير طارئ ينحرف بهِ اقلّ انحراف عن سيره يزيد ذلك الانحراف شيئًا فشيئًا على مرّ الزمان حتى يفضي اخيرًا الى اصطدام السيار بالشمس او بزفس او انهُ يبقى يسير في خط فلكهِ الجديد ولا يحيد عنهُ الى الابد . فاذا زاد الانحراف على مرّ الزمان كان الفلك غير ثابت والاَّ فاذا كان الانحراف قليلاً غير متزايد فالفلك يبقى ثابتاً غير متغير

وعلى ذلك فالافلاك نوعان نوع ثابت وهو الاقل ونوع غير ثابت وهو الاكثر . والأولى هي الافلاك التي تصلح للبقاء فتبقى والثانية هي التي لا تصلح له فتزول . فاذا فرضنا وجود نظام مؤلف من شمس وسيار كبير وعدد من الاجسام الصغيرة السائرة في كل جهة فان الشمس والسيار يكبران بما ينضمّ اليهما من تلك الاجسام السائرة على توالي الايام فيبقى عدد قليل من السيارات الصغيرة والاقمار يتحرك في دوائر وافلاك محدودة وتكون النتيجة نظاماً محكم الترتيب تنتظم افلاك سياراتهِ على حسب ناموس محدود

على ان مسألة هذا النظام البسيط لم تحل حتى الآن حلاً تامًّا فلم تكتشف بعد طريقة لمعرفة حركات الافلاك الدائمة ولا اهتدى احد الى ما يفرق بين الثابت وغير الثابت منها . ولكن العلماء شرعوا في معرفة بعض المناطق المحيطة بالشمس وزفس حيث يمكن وجود الافلاك الثابتة وحيث لا يمكن وجودها ولا يكاد يكون ثمة اقلّ ريب في انهُ اذا حلّت مسألة نظامنا الشمسي حلاً تامًّا وجدنا ان افلاك السيارات والاقمار التابعة لها من الافلاك الثابتة الدائمة فنصل الى تفسير قاعدة بود تفسيرًا رياضيًا فيما يخصّ ابعاد السيارات

وان الانسان ليدهش مما يرى من المشابهة العمومية بين المسائل المختصة بالذرات الدائرة في افلاك حول الجواهر وبين السيارات والاقمار الدائرة حول الشمس . ولعلكم تذكرون اني بحثت قبلاً في ما اذا كانت الالكترونات الدائرة في افلاك الجوهر ابدية غير متغيرة وان المشابهة بينها و بين غيرها من النظامات المتحركة تدلّ على انها كذلك . واهمّ نظام خطر على بالي حينئذٍ النظام الشمسي . فان الافلاك التي اشرت اليها سابقًا انما تكون دائمة حين تكون الاجسام التي تدور فيها صغيرة الى النهاية ولا تلقى مقاومة في دورانها . ولكن الاجسام الصغيرة الى النهاية غير موجودة ومن رأي اللورد كلفن و بوانكاره انهُ لا بدّ من وقوع

الخلل في اي نظام كان من نظامات الاجسام المتحركة حتى في الاجسام ذات الافلاك الثابتة وهذا بصرف النظر عن المقاومة التي تلقاها تلك الاجسام من اعتراض بقية غاز منتشرة في الفضاء ووقوفها في سبيلها . فالثبوت اذا نسبيٌّ لا مطلق وما من نظام الآ وفيهِ ما لا بدَّ ان يفضي الى خرابهِ ولكن لا نقلق لذلك ولا نيأس فان في النظام الشمسي بزور خراب ودمار اخرى يرجح ان تنبت وتثمر قبل حدوث الطارئة الاولى

***

شرحت في ما تقدَّم الرأي القائل بتكوُّن الشمس والسيارات من تجمع النيازك تدريجًا فهو يفرض وجود النيازك ولا يذهب الى ما وراء ذلك اي قبل ان وجد جسم كثيف مركزي او شمس يدور حولها جسم كثيف آخر . ولكن قام منذ اكثر من قرن مَن حاول الذهاب الى ما وراء ذلك وسعى في الوقوف على تاريخ الشمس والسيارات قبلما صارت اجسامًا كثيفة بانيًا سعيهُ على فرض غير ما تقدَّم عن تركيب النظام الشمسي الاوَّلي . ومن رأيي ان المذهب الذي بسطتهُ آنفًا والمذهب الذي سابسطهُ الآن كليهما يتضمن حقائق جوهريَّة وان ما بينهما من التناقض الظاهر لا بدَّ ان يزول في مستقبل الايام . اما المذهب الذي ساشرحهُ فهو المذهب السديمي المشهور اول من قال بهِ كنت الفيلسوف الالماني ثم اعلنهُ لابلاس الرياضي الفرنسوي من غير ان يعلم بما قالهُ كنت وعلى صورة اوضح

ذهب لابلاس الى ان اصل النظام الشمسي سديم او سحابة من الغاز اللطيف متجمعة حول مركز كثيف هو اصل الشمس . وكان الكلُّ يدور دورانًا بطيئًا على محور مارّ في مركزهِ حتى استدار وتسطح عند قطبيهِ بسبب دورانهِ وجذب الغاز بعضهِ لبعض . وقد ايَّدت ارصاد الفلكيين هذا الفرض فانهم اكتشفوا في السماء سحبًا عديدة من السديم واثبت السبكترسكوب ان نورها مشتقٌّ من الغاز . ولا ريب ان السديم الكروي الاول جسم ثابت وعليهِ فان مذهب لابلاس يطابق الناموس العمومي الذي ذكرتهُ آنفًا

وبعد ذلك اخذ السديم يبرد تدريجًا بالاشعاع الى الفضاء ففقد الغاز جانبًا من مرونتهِ ونتج عن فقدهِ لبعض مرونتهِ ان قلَّت قوة مقاومتهِ للجاذبية فاخذ يتجمع حول المركز المتكاثف ويتقلَّص ونقلُّصهُ افضى الى نتيجتين لازمتين على موجب نواميس الميكانيكيات الاولى ان حرارة المركز المتكاثف علت والثانية ان دورتهُ اسرعت . ونتج عن اسراع دورتهِ زيادة تسطحهِ من قطبيهِ فاتخذ شكل عدسية او شكل قرص اكثف في الوسط منهُ في المحيط

ومن هنا يبتدئ التعقيد والاشكال وتعرض الشكوك في هذا المذهب . فقد زعم اصحابهُ

ان السديم ما زال يرق حتى لم يعد يستطيع البقاء على حالهِ فانفصلت منهُ حلقة خارجية وحينئذٍ عادت اجزاؤهُ الوسطى فاتخذت الشكل الكروي الذي كان لهُ اولاً وعادت ترق ثانية بسبب اسراع دورتها حتى انفصلت حلقة اخرى . ودامت الحال على هذا المنوال حتى انقسم السديم كلهُ حلقاتٍ تحيط بالمركز المتكاثف . ولا بدَّ ان تكون حرارتهُ قد بلغت حينئذٍ درجة البياض

ثم جعلت كلُّ حلقة تجتمع حول نواة اكثف من غيرها اتفق وجودها في محيطها فتألف من ذلك سديم ثانوي مرَّ في الادوار التي مرَّ السديم الاول فيها ثم تحوَّل سياراً تتبعهُ اقمارهُ

هذا وان التلسكوب يؤيد مذهب لابلاس بوجه عامّ . فالسديم الكبير الذي في المرأة المسلسلة انما هو مثال لنظام لا يزال في طور التكوُّن ففيهِ نرى المركز المتكاثف يحيط بهِ سديم حلقيّ وفي احدى الحلقات مركز ثانوي متكاثف او نواة ثانوية

على ان في كلّ درجة من درجات العمل صعوبة او عقبة يستحيل علينا تمهيدها فنسأل مثلاً ايمكن كتلة غاز على غاية اللطافة والرقة ان تدور كلها كما لو كانت قطعة واحدة او ليس الارجح ان يكون هناك دردور مركزيّ سريع تحيط بهِ اجزاؤهُ تدور دوراناً بطيئاً . وما هي الاسباب التي تؤيد قول من يقول ان الحلقات انفصلت بفعل فواعل متقطعة او ليس المرجح انها تكونت من غاز يشع من الجهات الاستوائية فيها اشعاعاً متصلاً غير متقطع

والظاهر ان حلقة زحل هي التي حملت لابلاس على القول بالمذهب المتقدم ولكن اتخاذ تلك الحلقة قياساً يقاس عليهِ يقودنا الى صعوبة جوهريَّة لا تخلص لنا منها . ولبيان ذلك اقول انهُ اذا اجتمعت دقائق المادة على شكل حلقة يجذب دقائقها بعضها لبعض فانما تجتمع حول مركز الثقل لتلك الحلقة كلها ثم تهبط اليهِ وتتحد بمادتهِ . وعليهِ فلا بدَّ من قوة اخرى خارجية غير جذب دقائق الحلقة بعضها لبعض ليتيسر لها التجمع وهذه القوة لا ذكر لها في مذهب لابلاس . والطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الصعوبة ان يفرض ان الحلقة مستطيلة او غير متوازنة اي انها اكثف واثقل في جانب منها في الجانب الآخر وحينئذٍ تجتمع الدقائق حول نقطة داخل الحلقة ولكنها ليست في السيار . ويزعم كثيرون من العلماء ان الابعاد التي بين السيارات والشمس الآن تدل على سعة الحلقات الاصلية ولكن ذلك ليس صحيحاً لان دقائق الحلقة انما تجتمع حول مركز ثقلها وهي حجة لم يقل بها احد قبلي على ما اعلم

ثم ان تجمُّع دقائق الحلقة غير المتوازنة حول نقطة داخلية يولّد ضرورة سياراً يدور دوراناً مماثلاً لدوران الحلقة الاصلية اي في جهة دورة الارض . ولكن السيار نبتون

واقماره تدور دوراناً متقهقراً . واغرب من ذلك ما اكتشفهُ بكرنج حديثاً وهو ان القمر التاسع من اقمار زحل يدور دوراناً متقهقراً واما السيار نفسهُ وحلقتهُ واقمارهُ الثمانية فتدور دوراناً مستقيماً (اي ان القمر التاسع يدور من الشرق الى الغرب وزحل نفسهُ وسائر اقمارهُ تدور من الغرب الى الشرق) ثم اني اشك في ما اذا كان التلسكوب يؤيد مذهب لابلاس حقيقة فان ما نراهُ بهِ يدلُّ على ان السديم ينفصل على شكل لولبي لا حلقي

وليس المقام مقام افاضة وتفصيل فما تقدم يكفي لبيان ان المذهب السديمي لا يمكن ان يعوَّل عليهِ برمتهِ مهما تضمن من الحقائق الراهنة

⁂

قلنا في المذهب الاول الذي بسطتهُ امامكم عن اصل الشمس والسيارات انها تكوَّنت من تجمُّع النيازك الشاردة الآبدة في الفضاء وهذا يخالف مذهب لابلاس مخالفة جوهرية ولكن عنَّ لي منذ عدة سنوات رأي اوفق فيهِ بين هذين المذهبين . فان الغاز ليس مادة متصلة بل يتألف من عدد عظيم من الدقائق وهي تتحرك في كل جهة بسرعة عظيمة فتتلاحم وتتصادم . وقد قلت سابقاً انهُ اذا كثر التصادم بين مجموع من النيازك نشأ عن ذلك مادة لها كثير من صفات الغاز الميكانيكية مما يطابق الشروط التي وضعها لابلاس . وعليهِ يمكن حسبان السديم شبه غاز دقائقهُ النيازك ويكون النور الغازي الذي ينبعث من السديم ناشئاً عن اصطدام النيازك . واما النيازك نفسها فلا ترى اذ لا نور فيها . وقد حلَّل السر نورمن لكير طيف السديم بالسبكترسكوب فاستدل منذ زمن طويل على ما يشبه هذا الرأي

على اني لا اريد ان اتشبث برأيي هذا لان مجموعاً من النيازك لا يستطيع المحافظة على صفات الغاز الميكانيكية الا الى زمان محدود . وزد على ذلك انهُ يصعب علينا ان ندرك كيف ان مجموعاً من النيازك المتحركة في كل جهة ظهر الى عالم الوجود كما قال الاستاذ تشمبرلن

تقدم القول انهُ اذا شئنا تفسير تكوُّن السيارات على حسب مذهب لابلاس وجب ان تكون الحلقات غير متوازنة او متقطعة . فاذا كان لا بد من ان نفرض الحلقة بعيدة عن الكمال الى حدّ ان لا تشغل سوى قوس صغيرة من الدائرة كان الأسهل لفهم الاطوار التي تقلبت السيارات واقمارها عليها ان نفرض كروية الشكل او ما يقارب الكروي منذ بداءتها . وهذا الفرض يصل بنا الى مباحث حاول الرياضيون تفسير تكوُّن السيارات واقمارها بها على طريقة تظهر لاول وهلة مناقضة لمذهب لابلاس

ولا يخفى ان حلّ مسألة النشوء والارتقاء يتضمن البحث في الصور والاشكال الدائمة

والثابتة التي يسميها البيولوجيون انواعاً . والانواع التي ساتكلم عنها الآن يمكن ان تدرج تحت جنس شامل يتضمن جميع الصور المتنوعة التي يمكن ان يتخذها سائل يدور وهو معرَّض لعاملين الجاذبية والدوران . فلنبدأ اذاً بسيار كان سائلاً يدور مثل الارض ولنتصوَّر ان سرعة دورانهِ اخذت في الزيادة نجد بالحساب ان قوة مقاومتهِ لما قد يطرأ عليهِ من الاضطراب تصير اقل مما كانت عليهِ اولاً . وبعبارة اخرى ان ثبوتهُ اي بقاء شكلهِ على حالهِ يقلُّ بزيادة سرعتهِ حتى يبلغ حدًّا يزول ثبوتهُ عنده . ويصير شكلهُ حينئذٍ عرضةً للتغيُّر لان هذا الحدّ بدء نوع جديد تختلف صفاتهُ عن صفات النوع الذي قبلهُ وتكون درجة ثبوتهِ او قدرتهِ على الاحتفاظ بشكلهِ ضعيفة جدًّا . وكلما زادت سرعتهُ يزيد ثبوتهُ اولاً حتى يبلغ معظمهُ ثم يأخذ يقلُّ حتى يدخل في دور انتقال جديد ويتحول نوعاً جديدًا . وهكذا يمرُّ من نوع الى نوع بزيادة السرعة

واول انواع السيارات مستدير عند خطهِ الاستوائي مثل الارض . والثاني بيضوي يشبه بيضة موضوعة على مائدة وهي تدور على جنبها . والثالث بيضوي ايضاً ولكن احد طرفيهِ آخذ في الانتفاخ حتى ينتأ منهُ ويصير كوصلة متصلة بهِ واخيرًا يصير النتوء كالبصلة ويبقى متصلاً بالجرم الاكبر من السائل بعنق مستدقة ثم تندق العنق فتنفصل البصلة عن بقية الجرم فيصيران جسمين منفصلين يمكن تسميتهما بالسيار وقمرهِ . والحقُّ يقال ان هنا الانفصال خياليٌّ فرضيٌّ لان الرياضيين قصروا عن تتبُّع هذا العمل من اولهِ الى آخرهِ

هذا وان تحوُّل الانواع في الفرض الخيالي المتقدّم تمَّ بزيادة سرعة دوران السائل زيادة تدريجية . وقد يظهر ان هذه الزيادة المستمرة اعتباطية لا مثيل لها في الطبيعة ولكن الاجسام الحقيقية تبرد وكلما بردت تتقلص والتقلص يفعل في شكلها فعل زيادة السرعة وعليهِ فان ما تحدثهُ زيادة السرعة التي قد تظهر اعتباطية قد يحدث عن التبريد ايضاً . ثم ان الاشكال التي رسمتها بعد الحساب الدقيق عن حالة السيارات واقمارها في الدرجات الاخيرة من نشوئها وارتقائها تذكرنا ببروز البروتوبلازم من كتلة مادة حية ولعلنا نرى في ذلك ما يشبه شكلاً واحدًا على الاقل من اشكال تولد الكواكب المزدوجة والسيارات والاقمار

وقد كان نيوتن اول من عيَّن الشكل الاول من الاشكال المذكورة آنفاً بطريقة حسابية وتلاهُ جاكوبي فقال بالشكل الثاني ثم بوانكاره فقال بوجود شكل ثالث . وقد ظفرت انا بتعيين حدود الشكل الذي قال بوانكاره بوجودهِ تعييناً مدققاً و بالبرهان على انهُ شكل حقيقي ثابت

فهذه المباحث تبين لنا تكوُّن الاقمار على طريقة اكثر اقناعاً مما في مذهب لابلاس · ولا ينكر ان ما يترتب على ما افترضهُ لابلاس فيهِ كثير من الصحة ولكن تحوُّل الانواع على ما في المذهب الآخر اقرب الى الفهم · وعليهِ يرجح ان كلا المذهبين يتضمن حقائق لا ريب في صحتها وان كلاً منهما يفضل الآخر من بعض الوجوه

هذا وان جرم القمر اي مادتهُ جزء من ثمانين من جرم الارض على حين ان جرم تيتيان اكبر اقمار النظام الشمسي جزء من ٤٦٠٠ من السيار التابع لهُ وهو زحل · فبناء على هذا الفرق العظيم بين جرم قمر الارض واقمار السيارات لا يبعد ان تكون طريقة انفصال قمرنا عن الارض مختلفة عن طريقة انفصال الاقمار الاخرى عن السيارات التابعة لها · والمذهب الذي سأشرحهُ الآن يفترض وجود القمر اصلاً في مكان لا يبعد كثيرًا عن سطح الارض الحاضر ثم ابتعادهُ عنها تدريجًا · فاذا صحَّ هذا المذهب امكننا ان نفرض ان القمر انفصل عن الارض قطعةً واحدة لا حلقة غازية على ما في مذهب لابلاس فاقول

اذا كان وجه السيار مغطًّى ببحور من الماء والهواء او كان السيار مؤلفًا من صخر مائع يقبل شكلهُ التغير من حال الى حال فلا بدَّ من تكوُّن امواج مدٍ في اجزائهِ المتحركة طوعًا لجذب اقمارهِ والشمس لهُ · وهذه الامواج تقاوم دوران السيار بقوة الفرك حتى تعوقهُ عن الحركة رويدًا · ولما كان الفعل وردُّ الفعل متساويين ومتضادين فان فعل الاقمار في السيار وهو ما يسبّب فرك المدّ المذكور آنفًا يقابل ردَّ فعل من السيار في الاقمار فيؤثر في حركتها

واذا فرضنا النظام المؤلف من السيار والقمر التابع لهُ نوعًا ثابتًا من الحركة فان فرك المدّ يدخل قوَّات تحدث تحوُّلاً مستمرًّا بطيئًا في شكل هذا النظام · فمن المهم اذًا ان نعود بعين الخيال الى الماضي ونتتبع سلسلة التغيرات التي نشأت عن سبب دائم العمل مثل هذا (المد) لنعلم الحالة الاصلية التي انحطَّ السيار وقمرهُ عنها شيئًا فشيئًا · وان ننظر بعين الخيال ايضًا الى المستقبل لنرى الى اي حدّ يصل بنا هذا التحوُّل · فلنبحث اذًا في دوران الارض والقمر معًا حول الشمس مفترضين ان فرك المدّ في الارض هو الفاعل الوحيد الذي يحدث تغييرًا فيها

من المعلوم ان القمر يدور حول الارض على بعد ٢٤٠ الف ميل عنها ويتمُّ دورتهُ حولها في ٢٧ يومًا · ولما كانت الارض تتمُّ دورتها على محورها في ٢٤ ساعة فسرعة دورتها ٢٧ ضعف دورة القمر وفرك المدّ يبطئ حركتها · وعليهِ فلنعد بعين الخيال الى زمان كان طول اليوم فيهِ ٢٣ ساعة و٢٢ و٢١ و٢٠ وهلمَّ جرًّا الى ان نصل الى زمان كان اليوم فيهِ اقصر من ذلك ولكن ردَّ فعل القمر كان عاملاً في تلك المدة كلها فنتج عنهُ ان القمر كان يتمُّ دورتهُ حول

الارض في زمان اقصر من الزمان الحاضر وبالتالي ان الشهر القمري كان اقصر منهُ الآن . وهذه النتائج حقائق رياضية لا ريب فيها وان يكن ما يطرأ على حركة الارض والقمر من التغير يوماً بعد يوم لا يكاد يشعر بهِ ولا يقاس ولو بادق المقاييس الفلكية

ولنفرض ان معنى " اليوم " الوقت الذي تقضيهِ الارض في دورانها حول محورها بصرف النظر عن طولهِ . وان معنى " الشهر " الوقت الذي يقضيهِ القمر ليتمَّ دورتهُ حول الارض بصرف النظر عن طولهِ ايضاً . فنقول انهُ وان تكن عدة ايام الشهر الآن ٢٧ يوماً واليوم والشهر كانا اقصر في ما مضى مما هما عليهِ الآن فليس ثمة ما يدلنا على ان ايام الشهر كانت اكثر او اقلّ من ايام الشهر الآن . لانهُ ان كان اليوم يطول الآن باسرع مما يطول الشهر فقد كانت ايام الشهر في ما مضى اكثر منها الآن وان كان الشهر يطول الآن اكثر مما يطول اليوم فقد كان عدد ايام الشهر اقل مما هو الآن

ويظهر من الحساب الدقيق ان اليوم لا بدَّ وان يطول الآن اكثر من الشهر ولذلك فقد مرَّ زمان كانت فيهِ ايام الشهر اكثر منها الآن اي انها كانت ٢٩ يوماً بدلاً من ٢٧ يوماً كما هي الآن . ولكن ذلك الزمان كان شبه فارق في تاريخ القمر والارض لان اليوم كان يقصر قبلهُ بابطأ مما كان الشهر يقصر . وعليهِ فقبلما كانت ايام الشهر ٢٩ يوماً مرَّ زمان كانت فيهِ مثلما هي الآن اي اقل من ٢٩ يوماً

وهذا يوصلنا الى نتيجة غريبة وهي ان معظم ما بلغتهُ ايام الشهر ٢٩ يوماً فلم تزد على ذلك البتة وان الارض والقمر جازا هذا الفارق حديثاً . ولكن الزمن الحديث في تاريخ الارض طويل جدًّا قد يكون ملايين من السنين

واذا عدنا القهقرى الى ما وراء ذلك وجدنا اليوم والشهر آخذين في القصر الى ان نصل الى زمان كانا فيهِ متساويين وكلٌّ منهما اربع ساعات او خمس . وحينما كانا كذلك كان القمر مواجهاً لجانب واحد من الارض دائماً فكان وجه واحد من الارض يقابلهُ دائماً كما ان وجهاً واحداً منهُ يقابلها الآن . وكان القمر حينئذٍ قريباً من الارض على بضعة الوف من الاميال عنها وهو الآن على ٢٤٠ الف ميل

ويمكن ان يُستدل من ذلك على ان القمر انفصل عن الارض قبيل الزمن المشار اليهِ آنفاً . وعلى هذا دليل اقوى وهو ان الحالة الابتدائية التي كان فيها القمر يجب ان تكون حركتهُ فيها غير ثابتة حتى ينتقل من حال الى حال

وقد رأينا في الكلام على حركة الجسم السائل انهُ يميل الى ان ينقسم قسمين ولو تعذَّر

علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الدقيقة التي يتم فيها هذا الانقسام . وكذلك اذا تتبعنا تاريخ جسمين كانا جسماً واحداً واحدهما لا يزال قريباً من الآخر صعب علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الزمن الذي كانا فيهِ جسماً واحداً

هذا من حيث ماضي الارض والقمر اما من حيث مستقبلها فاليوم الارضي والشهر القمري يطولان الآن شيئاً فشيئاً لكن اليوم يطول اكثر مما يطول الشهر فسيأتي زمان يتساويان فيهِ كما كانا متساويين في الزمان الماضي وحينئذٍ يصير طول كل منهما ٥٥ يوماً من ايامنا ولا يرى القمر حينئذٍ الا وجهاً واحداً من الارض كما كان الحال حينما انفصل عنها في سالف الزمن ولكنَّ بين الحال الاول والاخير بوناً شاسعاً لان الحال الاول كان قليل الثبوت واما الحال الاخير فيكون كثير الثبوت

ثم ان النسبة بين القمر والارض متبادلة فيصح ان تحسب الارض قمراً للقمر . واذا كان القمر يدور على محورهِ كما كان يدور اولاً على ما يرجح فالارض كانت تحدث فيهِ مدًّا وجزراً كما يحدث فيها الآن . وهو اصغر من الارض كثيراً ففعل الارض بهِ اشد من فعلهِ بها ولذلك تدور ادوارهُ باسرع مما تدور ادوارها فقد بلغ الحالة التي نحسب ان الارض ستبلغها في مستقبل الزمان وهو يرينا الآن وجهاً واحداً كما ستريهِ الارض في المستقبل البعيد

واذا تساوى الشهر القمري واليوم الارضي ولم يكن في الكون غير الارض والقمر بقي هذا التساوي الى ابد الآباد ولكن الشمس تغيّر هذه النتيجة وتبعد زمن التساوي ولا نبحث في ذلك لان في النظام الشمسي ما يقضي بانحلالهِ قبل ذلك الزمن على ما يرجح

هذا من حيث الارض وقمرها اما باقي السيارات واقمارها فلا يصدق عليها ما صدق على الارض وقمرها ولذلك يبقى الاعتماد على مذهب لابلاس لتعليل انفصال الاقمار الاخرى عن سياراتها

ثم ان مسألة الزمن الذي تكوّنت فيهِ العوالم من اكثر المسائل اشكالاً فاذا اعتمدنا على مذهب لابلاس وهو المعروف بالراي السدمي لم نجد فيهِ ادنى مقياس للزمن وكذلك اذا اعتمدنا على الرأي النيزكي الذي يفرض ان الاجرام السموية تكونت من التقاء النيازك الصغيرة بعضها ببعض وتكوُّن الاجرام الكبيرة من مجموعها لان التقاءها هذا يقتضي ملايين الملايين من السنين ولمُّ ما بقي من شعثها يقتضي ملايين اخرى ولم يزل هذا اللمُّ جارياً حتى الآن كما يرى من النيازك الكثيرة التي تجذبها الارض اليها كل سنة . وغاية ما يقال عن الزمن الذي يتطلَّبهُ هذان المذهبان انهُ طويل جدًّا جدًّا اذا قدّر بالسنين

ولا يقاس من كل الافعال التي فعلت في تكوُّن العوالم الاَّ الفرك الناتج عن المدّ والجزر فاذا كان هذا الفرك قد فعل منذ تولَّد القمر كما يفعل الآن فالزمن الذي مرَّ من حين تولد القمر الى الآن لا يقل عن ستين مليون سنة ولا بدَّ من ان يكون اطول من ذلك كثيرًا . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ من خمس مئة مليون الى الف مليون سنة

وهذا الزمن ليس طويلاً في عرف الجيولوجيين الذين قدَّروا عمر الارض بوسائل اخرى تقريبيَّة مثل سمك الرواسب ومقدار ما تجرفهُ الامطار والانهار من الارض سنويًّا فوصلوا الى ان الزمن الذي مرَّ على الارض طويل جدًّا يقدر بمئات الملايين من السنين وهو بين مئة مليون والفي مليون سنة

وقد قدَّر جولي عمر الارض على اسلوب ادق من غيرهِ وذلك انهُ لما بردت الارض كان الماءُ كلهُ بخارًا يحيط بها فلما تكاثف وصار ماءً كان كلهُ عذبًا لا ملح فيهِ ثم صارت الامطار تقع على الارض وتذيب الملح من صخورها وتجري بهِ الى البحر فاخذ البحر يملح من ذلك الحين . ويسهل علينا الآن ان نعرف مقدار الملح في ماء البحر كلهِ ومقدار ما يصل اليهِ منهُ كل سنة بما ينصبُّ فيهِ من الانهار

فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحر على مقدار الملح الذي يصل اليهِ كل سنة عرف من ذلك عدد السنين وهو نحو مئة مليون سنة . فقد مرَّ مئة مليون سنة من حين شرعت الامطار تهطل على الارض . وفي هذا الاسلوب ابواب واسعة للخطإِ لكنهُ لا يزال ادق من كل الاساليب الجيولوجية التي امكن الوصول فيها الى تقدير عمر الارض بالسنين . ويمكنني ان اقول بنوع عام ان الادلة الجيولوجية تجعل عمر الارض بين خمسين مليون سنة والف مليون سنة والزمن الاول اقرب الى الصحة من الزمن الاخير ولذلك لا شيء فيها يناقض مذهب المدّ المتقدم ذكرهُ

الاَّ ان علماءَ الطبيعة يقدرون عمر الارض باقل من ذلك كثيرًا فانهم يحسبون حرارة الشمس حاصلة من تقلصها ومن وقوع النيازك عليها . وجرم الشمس معلوم فيعلم منهُ مقدار الحرارة التي تشع منها مهما كان مصدرها . ويعلم ايضًا مقدار الحرارة التي تصل الى الارض كل سنة واذا قسم مقدار الحرارة التي كان يمكن ان تتولد من جرم الشمس على مقدار الحرارة التي تشعُّ منها في السنة ظهر ان السنين لا تزيد على عشرين مليون سنة وذلك يقضي بان يكون عمر النظام الشمسي نحو عشرين مليون سنة لا غير

هذا دليل هلملتز وهو مبطل لتقدير الجيولوجيين اما انا فكنت اعتقد دائمًا ان تقدير

الجيولوجيين اصح من تقدير الطبيعيين

والآن كُشف ما يوفق بين المذهبين وهو الراديوم الذي قوتهُ تفوق قوة الديناميت الوفاً من المرات على ما يظن فقد قدَّروا ان في الاوقية منهُ ما يرفع عشرة آلاف طن مسافة ميل فوق سطح الارض وان ٢٢ اوقية منهُ تكفي لتسيير سفينة كبيرة محمولها ١٢٠٠٠ طن مسافة ستة آلاف ميل بسرعة ١٥ ميلاً بحريًّا في الساعة . وقد اثبت المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يشع الحرارة من تلقاء نفسهِ فان كان في الشمس قليل منهُ كفى لتعليل ما يصدر منها من الحرارة . والادلة متوفرة الآن على وجود الراديوم فيها مع ان هذا البحث لا يزال في طفوليتهِ وعليهِ فليس في الدليل الطبيعي الذي ذكرهُ هلمهلتز ما ينقض ادلة الجيولوجيين من حيث طول الزمن الذي مرَّ على الارض من حين تكوَّنت الى الآن

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فتح الشبابيك ليلاً

كان الاطباء منذ عهد قريب لا يعتدُّون بتهوية المنازل في علاج الادواء بل كانوا يحمقون كلَّ طبيب يصف لمسلول فتح الطاقات والشبابيك ويتهمونهُ بقتلهِ عمدًا ولكن آراءهم تغيَّرت تغيُّرًا عظيمًا بعد ذلك فصاروا يصفون تهوية المنازل في جميع الامراض تقريبًا ويعدُّونهُ العامل الاكبر في معالجتها والشفاء منها . وقد اثبت الاختبار والفحص البكتيريولوجي ان نور الشمس والهواء النقيَّ اقتل الاشياء لجراثيم الامراض وميكروباتها

ومبدأ علاج الامراض بالهواء النقي هو انهُ بدلاً من استعمال الوسائط الصناعية كالعقاقير الطبية لتقوية الجسم في مقاتلة الميكروبات الضارة التي تسطو عليهِ يفضَّل استعمال القوى الطبيعية لبلوغ تلك الغاية فيكون التأثير اشدَّ والنتيجة اثبت واذا كان استخدام القوى الطبيعية لمقاومة الامراض التي تفتك بالجسم يفيد الفائدة المطلوبة فأحرِ بها ان تستخدم لصيانتهِ منها وتحصين اسوارهِ دونها فلا تقوى على دخول ابوابهِ . فان منع الداء قبل دخولهِ ايسر من طردهِ بعد حلولهِ

ومن الغريب ان الانسان لا يحتمل الاقامة طويلاً في غرفة قد أُغلقت شبابيكها نهاراً ومع ذلك تراهُ ينام ثماني ساعات متوالية او اكثر في غرفة أُغلقت شبابيكها ليلاً ولا يبالي ولعلّ لذلك سببين الاول انهُ اذا فسد هواء الغرفة لم يشعر النائم باقلّ انزعاج واذا شعر بضعف وصداع نسبهما الى اسباب اخرى غير فساد الهواء . والثاني اعتقادهُ ان ما في الابواب والشبابيك من الشقوق المؤذنة للهواء يكفي لتجديد هواء الغرفة . نعم ان الهواء يتجدد بعض التجدد بواسطة الشقوق ولكن ذلك لا يكفي ولا يعتدُّ بهِ

هذا وان جسم الانسان اشبه شيء بمستنبت للميكروبات . والميكروبات منها ما هو نافع ومنها ما هو ضارٌّ . وفي الجسم خلايا خصوصية متفرقة هنا وهناك تثير على الميكروبات الضارة حرباً عواناً فهي حماة الصحة . وسلاحها الوحيد الذي تحتاج اليهِ في حربها انما هو الاكسجين ومصدرهُ الهواء النقي والغذاء الكافي فالميكروبات التي تلتقي بهذه الخلايا ينالها ما ينال البزور التي تقع في تربة صخرية

على ان كثيرين يعترضون على تهوية غرف النوم ليلاً باربعة امور الاول ان هواء الليل مضرٌّ . والثاني ان فتح الشبابيك يعرّض النائم لمجاري الهوائية . والثالث انهُ يعرّضهُ للبرد . والرابع ان هواء الليل كثير الرطوبة . وهي اعتراضات لا صحة لها فان هواء الليل ليس مضرًّا بل هو انقى من هواء النهار لقلة الغبار والدخان ليلاً . اما المجاري الهوائية فيمكن تجنبها اما بوضع حاجز بين سرير النائم والشباك المفتوح واما بفتح الشباك كلهِ فتقل سرعة الهواء الداخل منهُ . وعليهِ فكلما وسع الشباك قلّت سرعة مرور الهواء فيهِ وقلّت المجاري الهوائية . اما البرد فيمكن تجنبهُ بزيادة الغطاء . واما الرطوبة فخير ما يقال فيها ان الهواء في غرفة النائم المغلقة اكثر رطوبة من الهواء الخارجي لكثرة ما تفرزهُ الرئتان منها

ويقال اخيرًا انهُ ظهر من علاج السلّ في السنوات الاخيرة ان نور الشمس والهواء النقي اضمن الاسباب لحفظ الصحة ومقاومة المرض وانهما يفعلان ما لا تفعلهُ جميع العقاقير

عطر الورد

ان كثيرات يفضلن عطر الورد على غيرهِ من العطور وهو غالي الثمن ولكن النقطة منهُ تعطر زجاجة او خزانة فاذا وضعت ١٢ درهماً من السبيرتو في قنجر وصبيت عليها نقطة واحدة من عطر الورد الصحيح فيكون من ذلك عطر جيد لتعطير المناديل

واذا نقّطت نقطةً واحدة من عطر الورد على منديل ووضعتهُ تحت المناديل انتشرت الرائحة العطريَّة فيها كلها

واذا مُلئَ حنجر واسع الفم بالقطن ونقطت فيهِ ثلاث نقط من عطر الورد بعد ان تمزجها باثنتي عشرة نقطة من الغليسرين ووضع في درج على جنبهِ تعطَّر كل ما في الدرج من الثياب

واذا مزجت الغليسرين بقليل من عطر الورد وصببتهُ على سبيخة من القطن ووضعتها في خزانة الثياب لا تلبث ان تتعطر الثياب برائحتها

وقد جرت العادة الآن ان تعطَّر الحلى بوضعها في علبة فيها حشايا معطَّرة

الشعر وماء البحر

ماء البحر يضرُّ الشعر فيجب على السيدات اللواتي يغتسلن في البحران يقين شعرهنَّ منهُ واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بالماء السخن حالاً بعد الخروج من البحر ودهنهُ بسائل يقوي الشعر . ولا بدَّ من نزع كل آثار الملح من بين الشعر والاَّ اضرَّت بهِ . واذا تشققت اطراف الشعر فاحرقها مرة كل شهرين او ثلاثة

اللبن (الحليب)

اللبن طعام يجلب السمن لشاربهِ على شرط ان يلائم مزاجهُ . فاذا شرب بارداً وجب ان يمتصَّ شيئاً فشيئاً وذلك لانهُ متى بلغ المعدة تخثَّر بسبب حموضتها فاذا جرع كما يجرع الماء تخثَّر كتلاً كبيرة يعسر على العصارة المعدية اختراقها لهضمها . ويحسن مزج اللبن بقليل من ماء الجير

منع سقوط الشعر

من الوصفات الحسنة لمنع سقوط الشعر ان يؤخذ ٣٠ نقطة من صبغة الذرَّاح (كنثريدس) ونصف ملعقة من الملح العادي و ٦ اواقيّ من الروم ثم تمزج معاً ويفرك بها الموضع الذي اخذ الشعر يسقط منهُ فاذا جفَّ الشعر فليدهن بقليل من زيت الخروع

فائدة الماء السخن

اذا شرب الماء السخن كلَّ ليلة قبل النوم اصلح الهضم وأبعد الأرق وحسَّن رواء الوجه واذا احسَّ احد بألم في ظهرهِ فليضع عليهِ كيساً من الماء السخن او بألم في رأسهِ فليضعهُ على قفاهُ . واذا التهبت العينان فلتغسلا بالماء السخن او تعبت القدمان فلتغطسا فيهِ

فائدة التربنتينا

اذا دهن مكان الحرق بزيت التربنتينا زال المهُ وسهل شفاؤهُ . واذا دهنت بهِ البثور منع ورمها . واذا رشَّ نقط منهُ في الصناديق والادراج والخزائن سلمت الملابس التي توضع فيها من العثّ

غسل الاطفال

عند ما يغسل الطفل يجب ان تكون حرارة الماء معتدلة وواحدة وتقاس حرارتهُ بتغطيس المرفق فيهِ لا اليد . ويجب ان تكون الغرفة التي يغسل فيها حارّة غير معرَّضة للمجاري الهوائية . ويجب ان لا يغسل الطفل بعد الطعام رأساً خشية ان تنتابهُ نوب عصبية

نوم الاطفال

يجب ان ينوَّم الاطفال في غرفة فتحت نوافذها قليلاً لتهويتها وان تكون الغرفة معرضة لنور الشمس فقد ورد في بعض الامثال القديمة انهُ حيث لا تدخل الشمس يدخل الطبيب

نزهة الاطفال

يجب ان يخرج الطفل للنزهة مهما كانت عليهِ حالة الهواء الاَّ اذا كان متوعك المزاج . فان اخراجهُ للنزهة في يوم دون آخر يعرّضهُ لكثير من الادواء



قواد الغرب وقواد العرب

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

التمس منكما ان تنشرا لي هذه الجملة على صفحات المقتطف ولكما الشكر سلفاً

بينا كنت اسرح ناظري في رياض المقتطف الزاهر عثرت على جوابكم لسوءالي في العدد الثامن عن حجة تؤيد افضلية قواد العرب كقتيبة وغيرهِ على قواد الغرب كنبوليون وغيرهِ كما ذهب حضرة الكاتب الفاضل رفيق بك العظم ورأيتكم تتجافون عن الحكم الفصل

في هذه المسألة لانكم قلتم ان المقابلة بين القواد العظام ليست بالامر السهل بل هي تقتضي نصبًا كبيرًا للوصول الى الضالة المنشودة . فها كم بعض الوجوه التي اذا روعيت حق الرعاية دلّت دلالة صريحة على اخذ قواد الغرب كنبوليون المحل الاول واخذ غيرهم من قواد الارض المحل الثاني . ان عظمة نبوليون لم ينلها صدفة او اتفاقًا بل هي متسببة عن مواهب كانت في دماغهِ ولم تكن في دماغ غيرهِ وهو القائد الذي صادر الدول الاوربية على ما بها من فخامة الملك ونازل ملوكها في بلادهم واستطاع ان يستظهر عليهم في مواقع عدة مع انهم كانوا متعاونين عليهِ عاقدين النية على اجتياح دولتهِ واقتلاع جرثومتهِ . ويعلم الذين قرأوا تاريخ نبوليون ان الاحوال التي وجد فيها لم تساعدهُ على صيرورتهِ من اكبر القواد المعدودين في الارض انما الذي جعلهُ خليقًا بذلك هو ذكاؤهُ وعزمهُ وحزمهُ . ثم اننا اذا نظرنا الى موسى بن نصير مثلاً ومولاهُ طارق اللذين فتحا اسبانيا نجد ان احوال زمانهما كانت لهما من المنشطات المشجعات خلافًا لنبوليون فان احوالهُ كانت من المضعفات المثبطات واليك بيان ذلك . لما عزم العرب على فتح اسبانيا كانت قد ساد فيها الفساد وانتشر الضعف حتى لما دخلها العرب لم تكن لتقوى على مقاومتهم ناهيك عما جرى من الخيانة في تسليم البلاد لخلف بين زعماء الامة ورؤَسائها وقس على ذلك كل فتوحات العرب . وقد ذهب فلاسفة العمران الى ان فلاح العرب كانت علتهُ مفاسد بين دولة الروم والفرس وضعف في الدولتين فجاءتهما الدولة العربية على حين غرة واستولت عليهما غنيمة باردة ولم تلفِ وازعًا يزع او مقاومًا يقاوم فالقائد الذي فتح اسبانيا في مثل هذه الحال ليس جديرًا ان يدعى اعظم من نبوليون . ويدهشني الغلط الذي ارتكبهُ حضرة رفيق بك في تفضيل موسى بن نصير او قتيبة على نبوليون بمجرد وقعة لا تستحق الذكر مع ما هو عليهِ من التضلع في علم العمران وسعة علمهِ بمثل هذه الاشياء . اما هنيبال القائد القرطاجني فلا يقل عظمة عن نبوليون فانهُ دخل منذ نعومة اظفارهِ في معارك الحياة وناصب دولة الرومان اعوامًا متوالية وانتصر عليها في مواقع عديدة تخلف ذكرًا لا تخلقهُ العصور بمرورها ولا تهرمهُ الدهور بكرورها . وانتصار هنيبال على دولة طار نسرها في كل جو وعقدت رايتها في كل ارض لما يوهلهُ ان يكون اعظم قائد بخلاف عبد الله الغافقي وغيرهِ من الذين لم يذكر لهم التاريخ افعالاً تجعلهم خلقاء بان يعدوا من اعاظم القواد

لما كنا نقرأُ التاريخ وفلسفتهُ على العلامة الدكتور بورتر سألناهُ مرة ان يذكر لنا القواد العظام فذكر نبوليون وهنيبال والاسكندر ويوليوس قيصر ولم يذكر قتيبة ولا عبدالله بن

الغافقي ولا موسى بن نصير ولا خالد بن الوليد ولا سعد بن ابي وقاص ولا عبد الرحمان ولا ادري سبباً لذلك الآن اولئك القواد الذين ذكرهم راسخة اسماؤهم وصورهم في ذهن كل مؤرخ ومتخرج في فلسفة التاريخ لما قاموا بهِ من عظائم الافعال فتذكرهم الالسنة قبل غيرهم. وما قدمتهُ لا يمنع ان يكون قواد العرب من اعاظم القواد ولكنهُ يدلُّ على انهم ليسوا اعظم قواد الارض قاطبةً واعظم من نبوليون وهنيبال والاسكندر وقيصر

حمص خليل يعقوب الخوري

"مدير مدرسة انجيلية حمص"

فرس البحر

سيديَّ منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما ذكر في باب المسائل من الجزء التاسع من المقتطف الاغر عن فرس البحر ووصفهِ وقد شاهدت هذا الحيوان عياناً ومكثت طويلاً في البلاد التي يسكنها وعاشرت القوم المولعين بصيدهِ فاتيت بهذه الرسالة لازيد القراء الكرام بياناً عن هذا الحيوان الغريب وعن الطرق التي يتخذها سكان هذه البلاد في صيده فاقول:

اصطدنا بالامس واحداً منهُ ثقلهُ نحو ٩٠ قنطاراً مصرياً بعد ان أُطلق عليهِ ٢٩ رصاصة اصابتهُ كلها واستعملنا في جرهِ اقوى الحبال فتقطعت مراراً وقد بقي سكان كدوك الذين يزيد عددهم عن ١٥٠٠ نفس خمسة ايام ياكلون من لحمهِ. اما الطرق التي يتبعها الصيادون في صيدهِ فتختلف على اختلاف قبائلهم فالذين من قبيلة الشلوك يصطادونهُ بالطريقة الآتية

يذهب رجل الى المكان الذي يكثر صعود الحيوان اليهِ للرعى ويختبئ بحيث يَرى ولا يُرى وعند صعود الحيوان يطعنهُ بحربة ذات اسنان متعددة ومشعبة الرأس كالصنارة تدخل في جلدهِ فيصير من الصعب اخراجها وقد ربط بها بحبل مصنوع من جلد فرس البحر نفسهِ قطعة من الخشب الخفيف العوَّام تدل الصياد على محل الحيوان بعد نزولهِ واختفائهِ في الماء واذ ذاك يتبعهُ عن بعد عدد كبير من الرجال بقواربهم فيمسكون طرف الحبل المربوطة بهِ الحربة ويشدونهُ فيكثر الم الحيوان من جرحهِ ودخول المياه اليهِ ويخرج الى البر فيهجمون عليهِ ويكثرون من طعنهِ حتى يموت وان لم يمت وعاد الى الماء يكون قد زاد عدد الحراب المشعبة التي في جسمهِ وكل منها قد ربط بها حبل متين يشد بهِ فلا يعود يستطيع احتمال آلام جراحهِ والاستمرار على المقاومة فيطاوعهم ويخرج ثانية الى البر فيجهزون عليهِ

وهم يستعملون في صيده الحبال المصنوعة من جلده لان سواها غير متين يسهل عليه قطعهُ والافلات منهم

اما الدينكا فالبعض منهم يصطادهُ بهذه الطريقة والبعض الآخر يغوص وراءهُ ويقتلهُ في الماء . والنوير يختبئون لهُ بين الحشائش وعند خروجه يضربونهُ بحربة كبيرة على قوائمهِ فتنكسر ولا يبقى لهُ قدرة على الهرب

واسلم هذه الطرق طريقة الشلوك المار ذكرها والحربة التي تستعمل تسمى عند اهالي السودان العرب "بادنجو" وباللغة الشلكاوية "لونج" . والحيوان كبير في هذه الجهات يخرج الى البر ويرعى الحشائش كالبقر وهو يقلقنا دائماً بصوتهِ الذي يشبه قباع الخنزير ولكنهُ اعلى منهُ كثيرًا . ومن جلد هذا الحيوان تصنع الكرابيج والعصي المشهورة

كدوك في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ فؤاد مغبغب

باشكاتب مديرية اعالي النيل

تصحيح خطاء

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

ورد اليَّ المقتطف الاخير فاستقبلتهُ بما عودتهُ من البشر وجاءني بما عودني من جزيل الفوائد . فقلبت صفحاتهِ البيضاء فوقع نظري فيهِ على آخر ما نقلتموهُ في باب التقريظ والانتقاد من كتاب "حقوق المرأة في الاسلام" وهو

"وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبهِ انهُ يروم "ابطال عادة دفع المهر للزوجة" فقامت احدى النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة "يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ" . فرجع الخليفة عن عزمهِ"

فرأيت في هذه العبارة تحريفاً كبيرًا وخطأ كثيرًا لا ادري اذا كانا من المؤلف او من المعرب واحتمال كونهما من المعرب اقرب . فعدت الى الذاكرة الضعيفة فرأيتها تحفظ هذه العبارة بوجهٍ اصح . فاستمليتها فأملت عليَّ ما ارسلهُ الى المقتطف ليجود بنشرهِ كعادتهِ من الانصاف وتحرّي حقائق التاريخ

لما صعد عمر رضي الله عنهُ المنبر قال بلغني انكم تغالون في مهر الزوجة واحب ان ارجعهُ الى مثل مهر فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وهو قليل . فقامت امرأة من المسلمات فقالت ولكن

الله يقول غير ما نقول يا امير المؤمنين فاصغى اليها وقال وما يقول الله قالت يقول الله في كتابهِ الكريم

"وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا"

فقال عمر اصابت امرأة واخطأ عمر حسين عبد الفتاح الجمل

باب التقريظ والانتقاد

شرح قانون المحاكمات الجزائية

قانون المحاكمات الجزائية في الممالك العثمانية يقابل قانون العقوبات في القطر المصري · وقد شرحهُ حضرة الاصولي الفاضل والقانوني المدقق سليم افندي رستم باز مفتش عدلية لبنان سابقًا واهدى الينا نسخة منهُ فتصفحناها بقدر ما سمح لنا الوقت فرأينا الشرح وافيًا في مقاصدهِ لا يتردد الواقف عليهِ في الحكم بان صاحبهُ الفاضل عانى فيهِ الصعاب حتى خرج صحيح العبارة مسترسلها دقيق المعاني مبسوطها · قال في مقدمتهِ

"يراد باصول المحاكمة الجزائية طريقة تحقيق الجريمة ومحاكمة فاعلها وانفاذ الحكم فيهِ ولما كان الغرض المقصود من قانون الجزاء تحديد العقاب لكل جريمة كان مرمى ذلك الغرض من اصول المحاكمة اخراج هذا الوعيد الى حيز الفعل بطريقة تعصم من الخطإ في كيفيتهِ وبذلك تعرف اهمية اصول المحاكمة وصعوبة مسالكها · ولقد كان هذا الامر من اهم المشاغل التي تفرغ لها في جميع الاعصار كل من عُني بوضع القوانين شرقًا وغربًا حتى استفرغت آراءهم واستنفدت اعمارهم لان الخطأ في هذا الباب جسيم الغائلة وخيم العاقبة لا يقاس بهِ غيرهُ من مزلات العقل الانساني ومغالطهِ فغاية ما ينتقد بهِ على قانون الجزاء مثلاً انهُ لا يخلو عن اللين في موضع الشدة وعن الشدة في موضع اللين فالاول لا يعبأ بهِ لان الرفق بالمجرم لا يتأتى منهُ كبير ضرر اما الثاني فلا يعد جورًا ولو كان مما يؤسف لهُ لان العقوبة فيهِ واجبة وانفاذ العقاب عادل من حيث هو هو ولا يقدح فيهِ سوى الشدة لا غير وهذا مما يغتفر لهُ وخصوصًا لانهُ نادر الوقوع ولكن اين ذلك من الخطإ الذي يقع في المحاكمة فيضل الحاكم عن سبيل الحق اذ هناك يتملص الجري من العقوبة ويقاد البريء بجريمة غيرهِ وهذا مما ترتعد لهُ فرائص العدل والانسانية"

وترى في كل فصل من فصول هذا الشرح ادلة على اعتناء الشارح بسط الاحوال واقامة الادلة كقوله في الكلام على وجوب محكمة التمييز التي حُرِم منها القطر المصري قال

" (٧٩١) من ابدع ما وضعهُ الشارع عند ما سن قوانين العدلية الجديدة ومن اجلهِ نفعاً وعائدةً طريقة تمييز الحكم اذ من المعلوم انهُ لا يمكن صون الحاكم عن الخطاء في تطبيق الاحكام القانونية على الحوادث كما لا يمكن اتفاق آرائها في تفسير معاني القانون وما غمض من دقائقهِ فلو تركت المحاكم وشأنها تفسر القانون كما ترى لتشردت احكامهُ وتمزقت كل ممزق وتباينت معانيهِ وتضاربت بتضارب الآراء في تأويلها وتفسيرها فيصير ما يقضى بهِ هنا غير ما يقضى بهِ هناك واذا تمادى الامر تصدعت وحدة القانون وانقطع نظامهُ وصار كأن لكل ولاية بل لكل قضاء قانوناً مستقلاً في ذاتهِ والحال ان الركن الاساسي في العدل التسوية بين الرعية في الاحكام القانونية فلا يصح ان يعاقب الرجل هنا على عمل يعدُّ هناك مباحاً كما لا يجوز ان تكون مدة الاستئناف في هذه الولاية عشرة ايام وفي غيرها احد عشر يوماً لان هذه تطرح من المدة يوم التبليغ وتلك لا تطرحهُ الى غير ذلك من الاختلاف في الحكم بسبب تباين الآراء واختلاف المذاهب في التفسير والتأويل . ولا يمكن تلافي هذا المحذور الاَّ بوضع محكمة سامية لكل المملكة خاصتها ان تنتقد الحكم فتؤيدهُ اذا كان موافقاً للقانون وتنقضهُ اذا كان مخالفاً لهُ وانما لا يكون لها ان تحكم بالدعوى بل تعيدها الى المحكمة التي حكمت بها او الى محكمة اخرى لتراها مجدداً من النقطة التي وقع فيها النقض فما يليها وبذلك تعلم المحاكم ما يقع من الخطاء والصواب في الحكم فتجتنب الاول وتعتمد الثاني وتجري كلها على مذهب واحد في التأويل والتفسير فيتوحد القانون في جميع انحاء المملكة لفظاً ومعنى " انتهى

وغنيٌّ عن البيان ان احكام المحاكم المصرية صارت كثيرة التناقض والتضارب ولا سيما اذا قوبلت احكام المحاكم المختلطة باحكام المحاكم الاهلية فعسى ان يرى اولياء الامر ما يسهل لهم انشاء محكمة خصوصية لتمييز الاحكام لان محكمة النقض والابرام صارت عبئاً ثقيلاً على القضاة

والكتاب ضخم الحجم يزيد على الف صفحة مثل صفحات المقتطف ولهُ فهرس هجائي مسهب لتسهيل المراجعة . ولا غرابة اذا جاء كما وصفنا من البيان والسهولة لكثرة ما لصاحبهِ من الجولات في ميدان القضاء فقد شرح " المجلة " " وقانون الحقوق " قبلهُ وتولَّى القضاء في محاكم لبنان سابقاً وهو الآن من مشاهير المحامين فيهِ وفي بيروت

الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة

هي رسالة في بيان فضل العفاف للقس ماير الانكليزي الخطيب الشهير ترجمها الى العربية حضرة عيسى افندي الحلو في طرابلس الشام . وقد ذكر فيها الاخطار الادبية التي تعرض للشاب في سنّ بلوغهِ وما بعدهُ وقال انها ثلاثة الاغواءُ والخطيئة السرية الانفرادية ومعاشرة السفلة واردفها باربع حقائق وهي اولاً ان العفة دعامة الصحة . وثانياً ان الزواج ناموس مقدس والعفة واجبة فيهِ . وثالثاً ان لطالبي العفة وسائل تمهد لهم السبيل اليها . ورابعاً ان العفة مطلب الدين والآداب

والخلاصة ان هذه الرسالة جليلة في بابها . ولكن لمَّا كان الخطاب فيها موجهاً الى جميع الاحداث والشبان على اختلاف طبقاتهم وتفاوتهم في المعرفة والعمر فقد كان اجدر بها ان تكون اسهل مأخذاً وابسط عبارة لان معظم الذين يقصدون بها يشكل عليهم فهم كثير مما ورد فيها

كتاب الحيوان

لأبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وهو من اوسع الكتب العربيَّة واغزرها فوائد واندرها وجوداً عندنا نسخة منهُ ليس لها الاَّ شقيقة واحدة في القطر المصري نقحها المرحوم السيد محمود الشنقيطي . وقد تولى طبعهُ الآن حضرة الحاج محمد الساسي المغربي التاجر في مصر ونشر الجزء الاول منهُ وفيهِ نحو مئتي صفحة كبيرة وسيكون الكتاب نحو سبعة اجزاء او نحو ١٤٠٠ صفحة

الجغرافية الجديدة

الَّف هذه الجغرافية بالانكليزية حضرة الاديب احمد افندي حافظ واهداها الى سعادة سابا باشا مدير البوسطة العام ثم طبعها طبعة ثانية وهي مطابقة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومطبوعة طبعاً متقناً وفيها كلام ضافٍ عن مصر والسودان وسكانهما واقليمها وتجارتهما وسائر ما يتعلق بهما

قاموس انكليزي وعربي

وضعت هذا القاموس ادارة المكتبة العمومية لصاحبها الاديب سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ووقف على طبعهِ حضرة عزتلو الياس افندي جرجس طراد وهو يشتمل على ثلاثين الف كلمة واكثر وثمنهُ خمسة فرنكات وربع خالصة اجرة البريد

ديوان تذكار الصبا

نظم هذا الديوان الرقيق فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد فنفدت الطبعة الاولى فطبع ثانية على نفقة جرجي افندي غرزوزي صاحب المطبعة المعروفة باسمهِ في الاسكندرية فنثني على اهتمامهِ بالآداب

مراثي الشعراء

وهي المراثي التي نظمت في رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم محمود باشا سامي البارودي جمعها حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المجيد خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية " ذكرى خالدة للفقيد " وصدرها برسم الفقيد وترجمتهِ وبعض منتخبات من نظمهِ وفصل في اخلاقهِ وشعرهِ وآخر في مشهدهِ . ويلي ذلك المراثي التي تلاها اماجد الشعراء في حفلة الاربعين ثم المراثي التي نظمها غيرهم وبعثوا بها الى حضرة جامع الديوان

التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية

اتحفنا حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس بنسخة من كتابهِ " التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية " بعدما نفدت طبعتهُ الاولى وطبعهُ مرة ثانية مضيفاً اليهِ زيادات كثيرة وقد ضمنهُ كثيرًا من المفردات والجمل والاصطلاحات والتصاريف والمراسلات مما لا غنى لطالبي اللغة الانكليزية عن استيعابهِ

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الرابع

يقول علماء البيان ان قول الكافر انزل السحاب المطر يطابق الاعتقاد ولكنهُ لا يطابق الواقع وقول المؤمن انزل الله المطر يطابق الاعتقاد والواقع معاً . وعلى هذا النحو جرى اكثر الاقدمين في بحثهم عن الحوادث الطبيعيَّة والتاريخية فكانوا ينسبونها الى قوة الهية لكي لا يُنسبوا الى الكفر لكن جمهور الناس لم يجروا هذا المجرى في اعمالهم فرأوا بالاختبار ان الحرث والري ينبتان البزر والخدمة والسماد يزكيانهِ فاعتمدوا على حرث الارض وريها وخدمتها وتسميدها . وان السلاح والتمرُّن على القتال ادعى للظفر من التوكل فنظموا الجنود وسلحوها ومرَّنوها . ورأوا ان العلل

المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ففسروا حوادث الماضي بادلة الحاضر واخذوا تاريخ العصور السالفة وطبقوهُ على القواعد الكلية التي استنتجوها من تاريخ العصور الحاضرة فادركوا اسبابها ومسبباتها وصار التاريخ علماً معقولاً بعد ان كان مقصوراً على سرد الحوادث من غير ارتباط بينها ومن غير نظر في صحتها

وقد اراد صديقنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشئ مجلة الهلال الجري على الخطة العلمية في تاريخ العرب فجمع كثيراً من موادهِ بعضها مما هو متداول من الكتب وبعضها مما يندر العثور عليهِ في المكاتب الشرقية او مما لم يعثر عليهِ الأ الاوربيون وبوَّب ذلك وجمع منهُ كتاباً كبيراً اصدر منهُ الى الآن اربعة اجزاءٍ ووعد باصدار الجزء الخامس وبهِ تتمة الكتاب

وقد ذكرنا الاجزاء الثلاثة الاولى حين صدورها وامامنا الآن الجزء الرابع الذي صدر هذا الصيف وفيهِ ان اهل اللغات الاخرى في العالم الاسلامي احتفلوا بالاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب واعجب كبار العلماء المستشرقين في اوربا بموضوعها وقد اخذوا يشتغلون بنقلهِ الى السنتهم ونشرهِ بين مواطنيهم وبعض هذه الترجمات قد طبع ونشر ولا يزال البعض الآخر تحت الطبع والآخر تحت الترجمة

وموضوع الجزء الرابع سياسة الدول الاسلامية في خمسة عصور الاول العصر العربي الاول من ظهور الاسلام الى انقضاء الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية والثاني العصر الفارسي الاول من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٣ والثالث العصر التركي الاول من خلافة المتوكل الى تسلُّط الديلم سنة ٣٣٤ والرابع العصر العربي الثاني من قيام الدولة الفاطمية الى انقضائها والخامس العصر المغولي من ظهور جنكيز خان الى وفاة تيمور لنك .

وقسم كلاً من هذه الاعصر الى فصول وابواب ضمنها كثيراً من الفوائد التاريخية التي لا يعثر عليها الاَّ في المكاتب الحافلة فكيفما قلَّبت الكتاب تجد مباحث طلية تودُّ مطالعتها وفوائد جليلة ترغب في الاحتفاظ بها والرجوع اليها لا سيما وانها مسندة الى كبار المؤرخين مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزي والمسعودي والفخري وابن خلكان

واننا نؤْثر عنهُ فصلاً وجيزاً موضوعهُ الشعوبيَّة والعرب انموذجاً منهُ وهو

"وفي ايام المأمون ومن جاء بعدهُ تظاهر الشعوبية بالطعن على العرب وكان المأمون يقربهم ويجعلهم من بطانتهِ ويجيزهم ومنهم سهل بن هارون قيم بيت الحكمة وكان شديد التعصب على العرب وابو عبيدة الراوية الشهير وعلان الشعوبي . والف الشعوبية الكتب في ذكر مثالب العرب والردّ على القائلين بتفضيلهم على سواهم من الامم

والشعوبية يقولون بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم ايضاً "اهل التسوية" ومن اقوالهم في الردّ على العرب ان النبي نفسهُ ساوى بين المسلمين على اختلاف مللهم بقولهِ "المسلمون اخوة تتكافأ دماؤُهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على سواهم" وقولهِ في خطبة حجة الوداع "ليس لعربي على عجمي فضل الاَّ بالتقوى" وما جاء في القرآن "ان اكرمكم عند الله اتقاكم". والشعوبية ينوبون بدفاعهم عن كل امم الارض في ذلك العهد الاَّ العرب فاذا افتخروا بملوكهم ذكروا الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وافتخروا بسليمان الحكيم والاسكندر الكبير وبملوك الهند. واذا فاخروهم بالانبياء والمرسلين ذكروا الانبياء من آدم الى ايامهم وانهم جميعاً من غير العرب الاَّ اربعة هم هود وصالح واسماعيل ومحمد. واذا فاخروهم بالعلم والصناعة والفلسفة ذكروا اختراع لعبة الشطرنج ورمانة القبان والاسطرلاب وفخروا بفلسفة اليونان واشعارهم وسائر علومهم وعلوم الهند والفرس وغيرهم. وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردوده ان قال "فما الذي تفخر بهِ العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض فرجالها موثقون في حلق الاسر ونساؤُها سبايا مردفات على حقائب الابل" [1] واستشهدوا على ذلك بابيات من اقوال العرب تدلُّ على ضعف غيرتهم على العرض وقالوا "لا يفلح العربي ان لم يكن معهُ نبيٌّ ينصرهُ" [2] وعيروهم باستلحاق الادعياء ونظموا الاشعار طعناً فيهم. وممن نظم المطاعن عليهم الحسن بن هانئ وبشار بن برد وغيرهما على ان بشاراً كان تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء

وقام المتعصبون للعرب فألفوا الكتب في الردّ على الشعوبية. ومن اشهر ما الف في ذلك كتاب "تفضيل العرب" لابن قتيبة وقد ردَّ الشعوبية عليهِ في مناظرات يطول شرحها. وفي كل حال فان السياسة وطبيعة العمران قضت بذهاب دولة العرب" انتهى

والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل. وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وفي تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبَّه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولا سيما في تاريخ نصفهُ منقول عن السنة الرواة

(١) العقد الفريد ٦٩ ج ٢ (٢) ابن الاثير ٥٧ ج ٢

باب الزراعة

السكَّر وقصب السكَّر

ان الحلاوة التي في الاثمار المختلفة سببها السكَّر ولكن السكَّر الذي في القصب لا يوجد في كل الاثمار بل في بعضها فالسكَّر الذي في المشمش من نوع السكَّر الذي في القصب ولكن السكَّر الذي في العنب من نوع آخر يسمَّى سكَّر العنب كما ان الاول يسمَّى سكَّر القصب

وسكَّر القصب موجود بكثرة في القصب والبنجر السكَّري والسرغم والاناناس والقيقب السكَّري والشليخ والمشمش ومقدارهُ فيها تختلف كما ترى في هذا الجدول

في قصب السكر	من ١٥ الى ٢٠ في المئة
وفي البنجر	من ٨ الى ١٨ "
وفي السرغم	من ٩ الى ١٤ "
وفي الاناناس	١١ "
وفي القيقب السكري	٥ "
وفي الشليخ (كبوش القش)	من ٥ الى ٦ "
وفي المشمش	من ٥ الى ٦ "

ويوجد سكر القصب على قلة في الجمَّار واصول الذرة

وقد جيء بالسكر الى بلاد اليونان من المشرق في عهد الاسكندر المكدوني واستعملهُ اطباء اليونان في علاج الامراض وكان الفرس يستخرجونهُ في القرن الثامن للميلاد . ونقل العرب زرع قصب السكر الى صقلية واسبانيا في القرن العاشر ونقلهُ الاسبانيون الى جزائر مدايرا والى برازيل والهند الغربية وانشأ الاوربيون معامل تكرير السكر في بلادهم الى ان قام بونابرت ومنع جلب السكر غير المكرر الى اوربا سنة ١٨٠٦ فضعفت صناعة تكرير السكر من القصب ونشأت صناعة استخراج السكر من البنجر

ويزرع قصب السكر الآن بكثرة في كوبا وجاوي ومنلاً وموريتيوس وجزائر الهند الغربيَّة وشمالي الهند وشمالي اميركا وبرازيل واليابان والصين ومصر وجزائر صندريج

والقصب البستاني لا بزر لهُ او يندر ان يكون لهُ بزر ولذلك يزرع من العقل

ولا يجود قصب السكر الّا في الارض الجيدة التي احسنت خدمتها ويقلّ السكر في القصب اذا بقي في الارض بعد بلوغهِ او اذا قُطع وتُرك زماناً طويلاً قبل عصرهِ

اما كيفية استخراج السكر من القصب وتكريرهِ فمّما لا بد لاهل الزراعة فيهِ

حياة البزور والبرد الشديد

قرأ المسيو بول بكرل رسالة في اكادمية العلوم بباريس وصف فيها فعل البرد الشديد بحياة الخلايا الاصلية . فقد قال البعض ان بزور النبات تحتمل البرد الشديد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر وتبقى حياتها فيها فتنبت اذا زرعت دلالة على ان البرد لا يؤثر في الخلايا الحية مهما اشتدَّ وهذا يخالف ما يعتقدهُ علماء البيولوجيا . اما المسيو بكرل فاخذ انواعاً مختلفة من البزور وقسمها اربعة اقسام وجعل في القسم الاول منها البزور التي تكون جافة من طبعها كالقمح والذرة والفول . وفي الثاني البزور الجافة التي ينزع قشرها كالارز . وفي الثالث بزوراً جففها بمفرغة الهواء حتى لم يعد فيها شيء من الرطوبة . وفي الرابع بزوراً منقوعة في الماء . وبرّد هذه الاقسام كلها معاً في الهواء السائل مدة ١٣٠ ساعة ثم استخرجها منهُ وزرعها فالقسم الاول نبت بعض بزورهِ ولم ينبت البعض الآخر والذي لم ينبت هو الذي فيهِ كثير من الماء . والقسم الثاني نبت ثلاثة منهُ فقط . والقسم الثالث نبتت كل بزورهِ الجافة . والقسم الرابع لم ينبت شيء من بزورهِ واتضح من ذلك ان وجود الماء في البزر يقتلهُ اذا اشتدَّ البرد عليهِ لان الماء يجلد بالبرد الشديد ويشق الحويصلات الاصلية

الموز وتجارتهُ

الموز من الذ الاثمار طعماً واكثرها غذاء واغلاها ثمناً وهو يجود في القطر المصري كما يجود في غيرهِ من الاقطار الحارّة ولاسيما اذا كان ماؤها غزيراً . ولقرب القطر المصري من اوربا لا يصعب نقلهُ اليها وبيعهُ فيها بعد ان تستوفي البلاد حاجتها منهُ ولكن ذلك غير مرغوب فيهِ الآن لان الموز صار رخيصاً جدًّا في اوربا ولا سيما البلاد الانكليزية حيث تباع الصباطة (القرط) منهُ بشلنين او ثلاثة

ويجنى من الفدان الواحد ستمائة صباطة من الموز الى الف صباطة فاذا بيعت الصباطة الواحدة بعشرة غروش فقط بلغ ثمن غلة الفدان الواحد ستين جنيهاً الى مئة جنيه في السنة . ولا تبلغ نفقات الزرع والخدمة اكثر من سبعة جنيهات او ثمانية في السنة وهب

انها بلغت عشرة جنيهات فيبقى من الموز ربح وافر. ولا يزال الموز اغلى من ذلك كثيراً في هذا القطر يبلغ ثمن الصباطة منهُ خمسين او ستين غرشاً . ولا يخفى انهُ اذا اريد نقل الموز من بلاد الى اخرى وجب ان يقطع قبلما ينضج بخمسة عشر يوماً او اكثر ويعرف ذلك بان تقطف موزةً من آخر الصباطة اي مما يلي عرقها وتقطعها من وسطها بسكين ماضٍ قطعاً عرضياً ثم تنظر في مقطعها فاذا رأيت فيها اصفراراً قليلاً حول البزور السوداء الصغيرة التي في قلبها فيكون قد حان الوقت لقطف الصباطة فتنضج من نفسها بعد خمسة عشر يوماً والاَّ فاذا وجدت داخل الموزة التي قطعتها ابيض كلهُ لا اصفرار فيهِ فلا يكون الوقت قد حان لقطف الصباطة. ولا بدَّ من قطع رأس الصباطة قبل شحنها باسابيع حتى ييبس مكان القطع والاَّ عفن واتلف الصباطة

ويبلغ وزن الصباطة من اربعين رطلاً الى مئة رطل

القطن المصري

قدّر القطن المصري هذا العام باكثر من ستة ملايين ونصف مليون قنطار ولكن الذين قدّروا قطنهم قبل جمعهِ ثم وزنوهُ بعد جمعهِ وجدوا ان وزن المجموع لا ينطبق على التقدير الذي قدّروهُ بهِ بل ينقص عنهُ ثلاثين او اربعين في المئة فالفدان الذي قدّروا محصولهُ ستة قناطير لم يجمعوا منهُ خمسة والذي قدّروا محصولهُ اربعة لم يجمعوا منهُ ثلاثة فاذا كان هذا الامر عاماً فالمحصول اقلُّ مما قدّر بهِ وقد لا يبلغ ستة ملايين قنطار ولا نعجب اذا كان اقل من ذلك

ثم ان الجيد من القطن المصري اقل هذا العام مما كان في الاعوام السالفة ولذلك لم يكن في الحسبان ان الاسعار تهبط كما هبطت في اواسط هذا الشهر نعم ان الهبوط ابتدأ من اميركا وهي صاحبة القول الفصل في سعر القطن ولكن للقطن المصري محلاً لا يقوم مقامهُ فيهِ قطن آخر غير السي ايلند وهو اغلى من القطن المصري ولذلك لا تزال الآمال معقودة بارتفاع سعر القطن المصري ولو لم يكن ذلك قريباً والاَّ فخسارة القطر عظيمة جداً

القطن في جزائر الهند الغربية

دعا ارتفاع ثمن القطن الى تجربة زرعهِ في جزائر الهند الغربية فزرع منهُ ٩٥ فداناً بلغ متوسط محصول الفدان منها قنطارين وثلث قنطار من القطن الشعر وكان القطن من النوع

المعروف بالسي. ايلند وبلغ متوسط ثمن القطن والبزرة عن كل فدان ١٤ جنيهاً ومتوسط نفقات الزرع اربعة جنيهات فيكون صافي ربح الفدان عشرة جنيهات تدفع منها الضرائب وقيمة الايجار او ربا راس المال

غلاء الحاصلات

لقد شمل الغلاء الحبوب على انواعها والتبن ايضاً فيباع حمل التبن بمئة غرش او اكثر واردب الفول بمئة وخمسين غرشاً وكذلك القمح والذرة الا ان غلاء الحبوب لا يقدم ولا يؤخر في ثروة البلاد لان الصادر منها قليل جداً فقد بلغ ما صدر من الفول من غرة ابريل الماضي الى ١٧ نوفمبر ٩٣٦٠٠ اردب وكان في العام الماضي الى ١٧ نوفمبر ٣٠٨٣٤٦ اردباً اما ما يباع في البلاد من الحبوب ونحوها فلا يؤثر في ثروتها سواء كان غالياً او رخيصاً لان مفاده نقل النقود من يد زيد الى يد عمرو لا غير

حالة القطر المالية

يدلُّ تقرير الجمارك المصرية على ان العسر الذي اصاب البلاد في العام الماضي لا يزال مستمرًا ونعني بالعسر زيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات ولا عبرة بتوفُّر الاموال في القطر اذا كانت هذه الاموال قد أُرسلت اليهِ من اوربا ليستدينها اهاليهِ ثم يضطرون الى ايفائها وايفاء رباها لان الغني من كانت امواله لهُ لا لغيرهِ

وقد بلغت قيمة الواردات الى آخر اكتوبر الماضي ١٧٢٢١٤٠٩ جنيهات وكانت في العام الماضي الى آخر اكتوبر ١٥٦٩٣٧٠٩ جنيهات فزادت قيمة الواردات هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي ١٥٢٧٧٠٠ جنيه اي اكثر من مليون ونصف من الجنيهات

ومما زاد الطين بلَّة ان قيمة الصادرات نقصت ٧١٧٧٣٨ جنيهاً فانها كانت في العام الماضي ١٥٥٣٤٩٨٥ جنيهاً فبلغت هذا العام ١٤٨١٧٢٤٧ جنيهاً فقط . وبلغ الفرق على القطر المصري من زيادة قيمة الوارد ونقص قيمة الصادر ٢٢٤٥٤٣٨ جنيهاً اي نحو مليونين وربع مليون من الجنيهات فان كان في القطر شيء من المال المدَّخر فلا بد من ان يستنزف قريباً الا اذا رأى ارباب الزراعة سبلاً اخرى لزيادة قيمة الصادرات او اذا قلَّل الاميركيون زراعة القطن في العام المقبل كما قلَّلوها هذا العام فعاد سعر قنطار القطن الى اربعة جنيهات او خمسة فتزيد قيمة الصادرات وتنفرج الضيقة المالية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغرامة الحربية

كدوك بالسودان . فؤاد افندي مغبغب هل لليابان حق باخذ غرامة حربيَّة من روسيا ولم تتمكن من ذلك إما لضغط دول اوربا عليها او لسبب آخر او ليس لها حقٌّ مطلقاً وقد كان طلبها لها من قبيل تكثير الطلبات كعادة المنتصر

ج ان الغرامة ليست من قبيل الحق وما هي الآ فكاك يطلبهُ الغالب من المغلوب مقابل خروجهِ من بلاد احتلها او تنازلهِ عن حقوق اغتصبها او توقفهِ عن الحرب وهو قادر عليها فلو احتلت اليابان ولاية من ولايات روسيا وقالت انها لا تجلي عنها ما لم تدفع اليها روسيا كذا وكذا من المال لاضطرت روسيا اما ان تدفع المال المطلوب او تترك تلك الولاية لليابان . وقد كان في طاقة اليابان ان تبقى في جزيرة سخالين وتقول لروسيا انها لا تخرج منها ما لم تدفع اليها غرامة حربية ولكنها وجدت ان الجزيرة كلها لا تساوي قيمة تذكر فاكتفت بنصفها اما سائر البلاد التي احتلتها فليست من املاك روسيا وكذلك لم تستولِ على شيء مما لروسيا وعرضت ان تردهُ لها مقابل الغرامة الحربية او مقابل ما يساويهِ منها ولو عرضت ان ترد لروسيا قلعة بورت ارثر او البوارج التي استولت عليها مقابل ما يساويها من المال لقبلت روسيا ذلك عن طيب نفس . وكذلك لو كان في طاقة اليابان ان تواصل الحرب وليس في طاقة روسيا ان تواصلها وقالت اليابان انني لا انكفُّ عن الحرب ما لم تدفع اليَّ روسيا كذا وكذا من المال لكانت روسيا تفعل ذلك ولكن الظاهر ان اليابان كانت ترغب في الكف عن الحرب مثل روسيا فلم يبقَ لها سبيل الى الاصرار على طلب الغرامة

(٢) شروط الصلح

ومنهُ . اذا كانت شروط الصلح مجحفة بحقوق اليابان فما هو قصد انكلترا السياسي من عقدهِ على هذه الصورة فقد جاء في

التلغرافات والجرائد انهُ كان لجلالة الملك اليد الطولى في جعل اليابان تقبل بهذه الشروط

ج يظهر لنا ان اليابان لم تغبن في شروط الصلح وان انكلترا ساعدتها ادبيًّا ومادّيًّا اكبر مساعدة ممكنة ولولاها ما استطاعت ان تقهر الروس ولا احجمت الدول الاوربية عن مساعدة الروس عليها . وقد نالت اليابان كل ما كان يمكنها ان تنالهُ من هذه الحرب وليس الخطأ في عقد شروط الصلح بل في اعلان الحرب والاستعداد لها . واللوم في ذلك ليس على اليابانيين كافَّةً ولا على الروس كافَّةً بل على ارباب المال والمصالح المالية الذين امسى زمام السياسة في يدهم والكسب باية واسطة كانت غرضهم الاول والاخير

(٣) عسر الهضم

بيروت . ج . م . شاب عمرهُ ثلاثون سنة صناعتهُ الكتابة ضعيف البنية لا يشكو من شيءٍ سوى عسر الهضم لا يستريح في نومهِ بل يشعر بتعب اثناء النوم ورائحة فمهِ كريهة ولسانهُ اغلب الاحيان ابيض فاي شيءٍ يفيدهُ

ج تقليل الطعام ولاسيما مساء ومضغهُ جيدًا والرياضة في الهواء النقي فاذا اكتفى في الصباح بفنجان من اللبن والقهوة وكسرة من الخبز واكل الظهر طعامًا خفيفًا وقلَّل طعامهُ في المساء فاكتفى بصحن من الشوربا وقليل من الخبز والبيض او اللحم ومضغهُ جيدًا فالغالب ان يصطلح هضمهُ ويحسن نومهُ ولاسيما اذا قلَّل الشغل وروَّض جسمهُ في الخلاء ساعةً او ساعتين كل يوم

(٤) المرأة العرَّافة

مصر . كامل افندي حقي . ما قولكم في المرأة العرَّافة التي في جهة المتبولي هل علمها واستدلالها بالكف من قبيل علم الفلك

ج هي وكل العرَّافات دجَّالات على جانب من الذكاء فتتكلم كلامًا مبهمًا ولكن الذي يقصدها ويعتقد صحة قولها يفهمهُ على حسب ما قام في ضميرهِ فيرى صحتهُ . ولو قصدها واحد يعتقد كذبها لرأى انها لا تقول شيئًا محدودًا وان قالت شيئًا محدودًا فالغالب انهُ غير صحيح وان صحَّ شيءٌ مما تقولهُ فتكون صحتهُ من قبيل الممكنات فاذا قالت لامرأة انكِ تموتين قبل زوجك فالصحة في هذا القول خمسون في المئة اي انها اذا قالت هذا القول لمئة امرأة اصابت في خمسين على الراجح

(٥) اصل هنود اميركا

هملور باميركا . الخواجه بشاره ابو رزق . كيف دخل الهنود الى اميركا قبل وصول البيض اليها

ج ان هذه المسألة من المشاكل التي لم تحلَّ حتى الآن حلًّا مقنعًا والرأي الراجح ان هنود اميركا دخلوها من جهات الصين واليابان اما بسفن ساقتها الرياح اليها او

ساروا اليها برًّا في جزائر غارت في البحر وغمرتها المياه الآن لان الانسان وُجد في اميركا قبل العصر الجليدي اي منذ عشرين الف سنة او اكثر . ويظن البعض ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في اسيا واوربا وان الناس انتقلوا الى العالم القديم من العالم الجديد . ولم يُقَل القول الفصل في هذه المسألة حتى الآن

(٦) كسوف الشمس والاكليل

الفيوم . رزق الله افندي بولس . اطَّلعت على ما ذكرتموهُ عن كسوف الشمس يوم ٣٠ اغسطس الماضي وتصوير اكاليلها وقد اخذت صورة كسوف الشمس وارسلتها اليكم الآن ويظهر فيها اكاليل حول الشمس وهي في شكل الهلال كما ترون فهل هذا هو الاكليل الذي يرصده علماء الفلك

ج وصلت الصورة الفوتوغرافية التي ارسلتموها الينا وقد ظهرت صورة الشمس فيها جيدًا وهي كالهلال ولكن الايفاض الذي حولها ليس صورة الاكليل لأن الاكليل لا يظهر الاَّ اذا كان الكسوف تامًّا وغاية ما بلغت اليهِ السنة في هذه النوبة نحو قطرين مثل قطر الشمس فاذا كان قطر الشمس نحو اربعة مليمترات كما هو في رسمكم فاطول لسان من السنة الاكليل نحو ثمانية مليمترات فقط اما قطر النور في رسمكم فنحو خمسين مليمترًا وواضح ان الايفاض في رسمكم شامل للقمر الذي كسف الشمس فهو يقابل ما انحجب عنهُ نور الشمس بالنسبة الى الجزء الذي بقي ظاهرًا منها اي ان الهلال الذي بقي ظاهرًا من الشمس ظهر في صورتكم اسود فاحمًا لانهُ هو الجزء المنير الذي اثَّر في اللوح الفوتوغرافي وما بقي ظهر ابيض لان النور كان محجوبًا عنهُ فلم يؤثّر في اللوح الفوتوغرافي

(٧) الفرح والحزن

لبنان م . ط . ايُّ اشدُّ تأثيرًا في النفس الفرح في اشد درجاتهِ ام الحزن في اشد درجاتهِ

ج يظهر لنا ان الحزن اشد تأثيرًا من الفرح لان الفرح يزيد شيئًا موجودًا في النفس مألوفًا لها فلا يكون تأثرها منهُ شديدًا جدًّا واما الحزن فيوجِد شيئًا غير موجود في النفس او يمنع شيئًا موجودًا فيها فيكون تأثرها منهُ شديدًا ألا ترى ان البعض يحملهم الحزن على الانتحار لكي يتخلَّصوا من وطأتهِ عليهم واما الفرح فلم يُسمع انهُ ادَّى الى ذلك

(٨) اكليل القمر

المطرية بالدقهلية . ح . ع . ج في الليلة العاشرة من شهر رمضان رأينا حول صفحة القمر البيضاء الفضيَّة هالة خضراء زبرجديَّة يحيط بها دائرة حمراء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها

ج الذي رأيتموهُ ليس الهالة بل الاكليل

الذي يظهر احياناً حول الشمس وحول القمر اذا نظر اليهما من خلال الضباب الرقيق فان اشعة النور تمر في نقط الماء الصغيرة التي تكون منتشرة في الضباب وتنكسر وتنحل الى الوانها المختلفة ومن حيث ان هذه النقط منتشرة في فسحة واسعة وانكسار النور يجري على نسق واحد فما يحدث في الجهة الواحدة من القمر يحدث في كل الجهات حولهُ فترى الاشعة المنكسرة في شكل دائرة او اكليل حول القمر وتكون الوانها الخضراء والزرقاء الى الداخل والوانها الحمراء والصفراء الى الخارج ولا يتعذَّر ايضاح ذلك بالحساب



اوجه القمر في شهر دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٣	٨	٣٨	مساء
البدر	١٢	١	٢٦	صباحاً
الربع الاخير	١٩	٢	٩	مساء
الهلال	٢٦	٦	٤	صباحاً

السيارات

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في اواسطهِ

الزهرة نجمة الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نحو الساعة ٩ ١/٢ الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب بعيد الساعة العاشرة في اول الشهر وقُبيل ذلك في آخره

الاسراب في فلسطين

يستدل من بعض الدلائل التاريخية ان المهندسين الاسرائيليين حفروا سرباً في عهد الملك حزقيا (منذ ٢٥٠٠ سنة) على مثال سرب سمبلون الذي حفر حديثاً في جبال الالب . فقد ورد في بعض التواريخ ان حزقيا اضطرب لقلة الماء في اورشليم وكدره فأمر ببناء خزّان عند ابواب المدينة يجري الماء اليهِ من عدة ينابيع خارجها . فكاد عملهُ هذا يحبط في بادىء الامر لوجود سلسلة تلال عالية تفصل بين الينابيع والخزان . وعليهِ قرّ القرار على حفر قناة للماء في الصخر الصلب . وورد في ابن سيراخ ان حزقيا حصّن مدينتهُ بجرّ الماء اليها فحفر سرباً في الصخر الصلب بآلات من البرنز وجمع الماء في خزّان

وقد اكتشفوا في ضواحي القدس منذ ١٥ سنة قناة مكشوفة ولكن يظهر ان بانيها ملك من الملوك الذين تقدموا حزقيا لاحزقيا نفسهُ كما يستدل من نقوش بالعبرانية وجدت قرب القدس ونقلت الى متحف الاستانة وهذه ترجمتها " قد انتهى الحفر . وقبل ان التقى معول العامل الواحد بمعول العامل الآخر والبعد بينهما ثلاث اذرع كان العمال يسمعون نداء بعضهم لبعض في الجهتين المتقابلتين وفي آخر يوم من ايام الحفر لمست المعاول بعضها بعضاً . وكان علو الصخر فوق رؤوس العمال مئة ذراع ثم جرت المياه الى الخزان على طول ١٢٠٠ ذراع "

وقد اكتشف حديثاً سرب كان الماء يجري فيهِ من عين شرقي القدس الى بركة سلوام المذكورة في التوراة وهو المعروف بقناة شيلوه واستدل من الدلائل الكثيرة انهُ هو السرب الذي حفرهُ حزقيا . وطول هذه القناة نحو ٥٠٠ ذراع وتدلُّ آثار المعاول على ان العمال كانوا يحفرونها من الجهتين المتقابلتين في وقت واحد . وقد غيرت جهت الحفر مراراً لما ظهر للمهندسين ان العمال خرجوا عن الجهة المطلوبة . وعرض القناة يختلف بين ذراع وذراع ونصف وعلوها بين ذراع ونصف واربع ونصف حسب صلابة الصخر او ليونتهِ

ولا يعلم حتى الآن كيف كان المهندسون يعينون جهة الحفر في تلك الايام ويهتدون الى اصلاح خطائهم وما هي الادوات والآلات التي كانت تستعمل للحفر فان ذلك كلهُ لا يزال مجهولاً

عمر الارض

كتب الاستاذ سولاس الجيولوجي كتاباً في عمر الارض قدَّر فيهِ الزمان اللازم لتكوُّن الصخور المنضدة بستة وعشرين مليون سنة على تقدير انهُ يقتضي قرن كامل لرسوب قدم واحدة منها . وقال ان هذا التقدير يطابق مذهب البيولوجيين

واستشهد بقول اللورد كلفن ان عمر الشمس منذ صارت منيرة اقصر من عمر اوقيانوسات الارض . اي انهُ اذا كان عمر الطبقات المنضدة ٢٦ مليون سنة كما تقدم فلا يبعد ان يكون عمر الاوقيانوسات ٥٥ مليوناً . وكانت حرارة مياهها في بادىء امرها على درجة الغليان تقريباً ثم اخذت تبرد شيئاً فشيئاً حتى تكونت طبقة سميكة من الجليد على سطحها فلما ظهرت الشمس زال ليل الارض الطويل وخفَّ بردها الشديد واخذ الجليد يذوب والماء يجري فكان ذلك بدء تكوّن الصخور المنضدة

واستطرد الى الراديوم فقال ويؤكد بعض العلماء انهُ اذا كان في كلّ متر مكعب من الارض جزء من خمسة ملايين جزء من الراديوم فذلك يكفي للتعويض عما تفقدهُ

الارض من الحرارة بالاشعاع الى الفضاء وتبقى حرارتها على درجة واحدة زمناً طويلاً جدًّا

اكتشاف نجم جديد

اكتشفت مس فلنغ الاميركية نجماً ثانياً في النسر الطائر وهي من مساعدي مرصد هارفرد وقد اكتشفت ثمانية نجوم جديدة من الاحد عشر نجماً التي اكتشفت في العشر السنوات الماضية. وكانت تدرس الصور الفوتوغرافية التي كانت النجوم تصور بها كلَّ ليلة فرأت طيفاً جديداً في الصور التي صُوّرت في ١٨ اغسطس الماضي فراجعت الصور التي صوّرت في ١٠ منهُ فلم تجد اثرًا للطيف المشار اليهِ وكان حين رأتهُ من القدر السادس اي ان نوره كان اقلَّ قليلاً من نور اصغر نجم يرى بالعين المجردة. وجعلت تراقبهُ كلَّ ليلة فرأت نورهُ يقلُّ رويدًا حتى بلغ العدد الحادي عشر وهذا دليل على انهُ نجم جديد

الاحتضار والموت

كتبت كاتبة انكليزية مقالة عن الموت قالت فيها ان موت الجسد قد يتأخر عن خروج الروح مدة كما جرى لامبراطورة النمسا. ثم قصّت ما جرى لبعض المحتضرين وما فاهوا بهِ من العبارات قبيل موتهم منها ان نوتيًّا شابًّا احتضر فخاف من الموت اذ لم يكن يظن انهُ يموت وهو في عنفوان شبابهِ فلما اخبرهُ الطبيب بدنوّ اجلهِ صاح صيحة اليئس وكانت الكاتبة حاضرة قالت فتبدلت حالهُ ثم اخبرني انهُ وان كان قد اكتأب في بادىء الامر فهو لم يعد يبالي بالموت الآن ولكنهُ خاف لانهُ لم يعمل الصلاح دائماً. وظهر لي انهُ كان حائرًا في ما يفعلهُ بعد مفارقة روحهِ لجسدهِ. وقبل خروج النفس الاخير سمعتهُ يقول بصوت خافت لا بأس عليَّ فقد دلُّوا اليَّ حبلاً استطيع الصعود عليهِ

والمرجح ان الروح تختبر عالمَ الارواح والجسم لا يزال أسير اوصابهِ وآلامهِ بدليل ما يستولي على المحتضر من الغيبوبة قبل انفصال روحهِ عن جسدهِ. فقد روي ان امرأة غابت عن الوجدان قبيل موتها فردَّها زوجها الى وجدانها بالمنعشات والمنبهات. فنظرت اليهِ نظرة الموبخ وقالت لمَ ارجعتني فقد كنت أُصعّد في اكمة صعبة المراس وكدت ابلغ قنتها فأعدتني الى حضيضها. ثم غابت ثانية واسلمت الروح

سباق البلونات

جرى سباق للبلونات في ليبج بالبلجيك بين ثلاثة بلونات فكان السابق البلون الانكليزي المسمَّى ڤيڤيان الثالث. وركبهُ رجلان انكليزيان وكانت الريح عاصفة فبلغ

بهما علوَّ ١٦ الف قدم . ولما ركباه كانت سرعة الريح ٣٠ ميلاً في الساعة وكانت تهب من الشمال الشرقي فصعدا بهِ الى مافوق الغيم حيث كان العلو ٩٠٠٠ قدم وسرعة الريح ٥٠ ميلاً في الساعة وهي تهب من الجنوب الغربي فلما انتقل البلون من المجرى الاول الى الثاني المضاد له مال براكبيهِ بغتة ميلاً شديداً حتى كاد ينقلب بهما ثم عاد الى موازنتهِ الاولى وهو يسير صعداً . ولما بلغ علو ١٦٠٠٠ قدم سمع راكباه صوت الآلات تعمل في المناجم البلجيكية والالمانية تحتهما . ثم اقبل الظلام فهبطا الى الارض بعدما اجتازا اطول مسافة في ذلك السباق

وتسابق ١٣ بلوناً في ١٥ اكتوبر وبدأ السباق من حدائق التويلري في باريس فنزل بلون منها في المانيا نحو الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي بعد ان قطع ٨١٠ كيلو مترات ووصل آخر الى حدود النمسا نحو الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فقطع ٧٨٠ كيلو متراً في تلك المدة . ونزل آخر في بافاريا عند نصف الليل بعدان قطع ٦١٠ كيلو مترات وقطعت البلونات الاخرى مسافات متفاوتة في اوقات متفاوتة

السر جورج دارون

انعم ملك الانكليز بلقب سر على الاستاذ جورج دارون بن دارون الشهير

نقولا بك توما

خسرت صناعة المحاماة محامياً قوي الحجَّة وخطيباً شديد العارضة . والنزالة السورية وجيهاً يفتخر في انديتها بانهُ نشوه ذراعهِ ومحسناً يفتح ابواب الرزق في وجوه طالبيهِ . ولد في مدينة صيداء وهاجر الى القطر المصري فوصله وليس في يدهِ سوى ريالين فانتظم اولاً في خدمة الحكومة ثم تعاطى صناعة المحاماة فاشتهر فيها حتى صار يعدُّ من نوابغ الطبقة الاولى بين المحامين وجمع ثروة طائلة ولكن اعتلَّت صحتهُ من كثرة الشغل ومضى في الصيف الماضي الى اوربا مستشفياً فقضى نحبهُ في الفيان في الخامس والعشرين من شهر اغسطس الماضي ونقلت جثتهُ الى القاهرة فوصلتها في ١١ اكتوبر واحتفل احتفال عظيم بدفنهِ فيها

الدكتور بشاره زلزل

هو من اسرة لبنانية وجيهة اشتهر بعض افرادها بالعلم والفضل . درس الطب في المدرسة الكلية السوريَّة وبرع فيهِ وكان من كبار المنشئين وله مقالات كثيرة في المقتطف وغيرهِ من المجلات العلمية واشتغل بعلم الحيوان وجمع فيهِ كتاباً كبيراً شرع في طبعهِ ونشرهِ من عهد قريب فلم يمهله القدر حتى يتمهُ وكانت وفاتهُ في الحادي عشر من شهر نوفمبر الماضي فخسر ابناء المشرق بفقدهِ رجلاً يعدُّ من اركان النهضة العلمية الحديثة

الثلج في قطب المريخ الشمالي

كان بعضهم يرصد المريخ في مرصد لويل باميركا في ١٩ مايو الماضي فرأى بقعة بيضاء كبيرة الى الجنوب الغربي من مكان البقعة البيضاء التي كانت عليهِ في السنة الماضية ولم تكن ظاهرة في اليوم الذي قبلهُ وهذا الفصل في المريخ يقابل ٢٠ اوغسطس عندنا. وشوهدت البقعة في اليوم التالي ايضاً وبدأ تكونها بعد الانقلاب الصيفي في النصف الشمالي من المريخ بمئة وستة وعشرين يوماً وكان قد بدأ سنة ١٩٠٣ بعد الانقلاب الصيفي في تلك السنة بمئة وثمانية وعشرين يوماً اومئة وتسعة وعشرين مما يدلُّ على دوام التقلبات الجوية في المريخ

الكونت دي برازا

توفي من عهد قريب الكونت دي برازا السائح الفرنسوي المشهور . وهو ايطالي الاصل ولد في ريوجنيرو بالبرازيل سنة ١٨٥٢ ولكنهُ تعلَّم في المدارس الفرنسوية واستعدَّ لخدمة البحريَّة . وسنة ١٨٧٦ قصد افريقية للاكتشاف فاكتشف منابع نهر اوجوي اكبر انهار غينيا الفرنسويَّة في غربي افريقية . وفي ١٨٧٩ بلغ البقعة التي سميت فيما بعد برازافيل باسمهِ عند بحيرة ستنلي قبلما بلغ ستنلي اعالي الكونغو . وفي سنة ١٨٨٨ عيّن حاكماً عامًّا لبلاد الكونغو الفرنسويَّة فنظم ادارتها وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٧ فاستعفى لاعتلال صحتهِ

قتلى الوحوش في الهند

يؤْخذ مما ورد في بعض جرائد الهند ان عدد الذين قتلتهم الوحوش في الهند كلها بلغ ٢١٥٧ نفساً سنة ١٩٠٤ يقابلهم ٢٧٤٩ سنة ١٩٠٣ منهم ٧٨٦ قتلتهم الفهود يقابلهم ٨٦٦ في السنة التي قبلها و ٢٤٤ قتلتهم الذئاب يقابلهم ٤٦٣ سنة ١٩٠٣

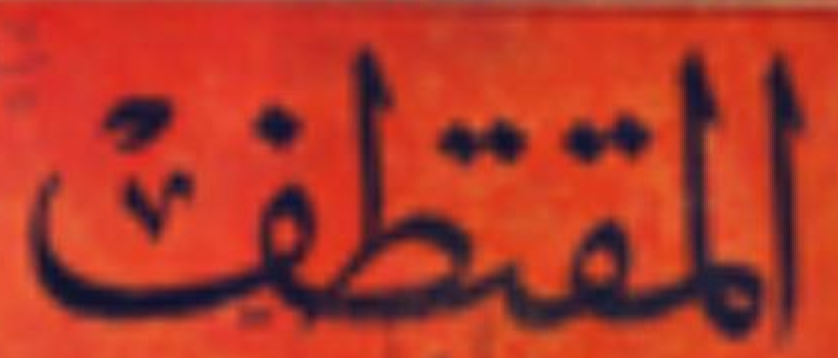
والذين اماتتهم الافاعي سنة ١٩٠٣ كانوا ٢١٨٢٧ نفساً فزادوا حتى بلغوا ٢١٨٨٠ سنة ١٩٠٤ . وبلغ عدد الافاعي التي قتلها الاهالي ٦٥٣٧٨

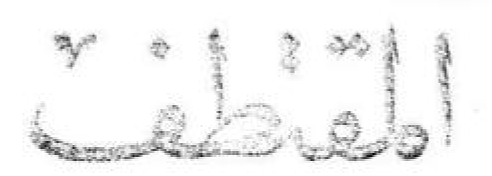
المطر في الهند

يشتدُّ وقوع المطر في بعض انحاء الهند حتى يبلغ حدًّا يبعد عن التصديق . فقد بلغ ما وقع منهُ في مدة ٢٤ ساعة في مقاطعة شيموجا نحو ٣١ بوصة وذلك في شهر يونيو الماضي على حين ان متوسط ما يقع من المطر في سواحل سورية على مدار السنة بين ٣٠ و ٤٠ بوصة . ومتوسط ما وقع منهُ في المقاطعة المذكورة مدة ٣٥ سنة الماضية لم يزد على ٣٧ بوصة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

فهرس المجلد الثلاثين


المقتطف



الجزء الثاني من المجلد الثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٢

العلم في العام الماضي

الإشعاع

بقيت مباحث العلماء متجهة في العام الماضي الى الراديوم بنوع خاص والاجسام المشعَّة بنوع عام ولكنها لم تنتج نتيجة كبيرة سوى ان الاشعاع غير خاص بعنصر الراديوم بل هو عام لاجسام كثيرة ولا سيما اسلاك المعادن اذا أُحميت الى درجة الحمرة فانهُ تصدر منها حينئذٍ اشعةٌ مثل اشعة الراديوم ولها ثلاثة انواع مثلها

وحاول الاستاذ بلندلو اقناع العلماء بان اشعتهُ المعروفة باشعة N نسبة الى مدينة نسي حيث اكتشفها موجودة حقيقة · فاعادوا تجاربهُ ودققوا في البحث والتنقيب ولا يزال الفريق الاكبر منهم غير مصدق بوجودها ولاسيما في انكلترا والمانيا · وقد بيَّن الاستاذ لمر في المانيا ان كثيرًا من النتائج التي وصل اليها الاستاذ بلندلو يمكن الوصول اليها من غير الوسائل التي استعملها فهي غير ناتجة عن اشعتهِ المزعومة · الاَّ ان الاستاذ شربنتيه ادعى انهُ يمكن تصوير اعصاب الانسان كلها بواسطة الاشعة المنبعثة منها فترتسم صورة اعصاب الانسان على اللوح الحساس كأنَّ عضلاتهِ وعظامهُ وجلدهُ شفَّافة كلها وليس فيهِ ما لهُ ظلٌّ وصورة غير اعصابهِ بما يشع منها من هذهِ الاشعة · وعسى ان يُحكم في هذهِ المسألة الحكم البات في غضون هذهِ السنة

وقد ظهر للعلماء ان العناصر الثلاثة الاورانيوم والثوريوم والراديوم تنحلُّ من نفسها ويتولَّد منها عنصر الهاليوم فاتخذ ذلك دليلاً على تحول العناصر من نوع الى آخر ولكن اذا صحَّ هذا التحوُّل لا تثبت بهِ مزاعم اهل الكيمياء الذين قالوا بتحوُّل الفضة الى ذهب بل يثبت ضدُّها وهو ان الذهب ينحل ويتحوَّل الى فضة او الى معادن أُخرى ادنى منهُ

التلغراف والتلفون

كثر استعمال تلغراف مركوني ومناظريهِ في العام الماضي . والانكليز والايطاليون يستعملون تلغراف مركوني والالمانيون تلغراف سلابي اركو والاميركيون تلغراف دفرست وكلها جارية مجرًى واحدًا . وقد رُبطت البوارج الحربية بها حتى صار استعمالها من الامور العادية واستعملها الروس واليابان في حربهم البحرية . ولا تزال الهمَّة مبذولة لنقل الاشارات بتلغراف مركوني بين اوربا واميركا نقلاً متصلاً منتظماً ولكن لم يتم ذلك حتى الآن . ويشتغل مركوني ومناظروهُ في توقيع آلاتهم حتى تصير الاشارات التي ترسل بها مستقلّة يتعذَّر على الغير استلاقُها في طريقها ومعرفة ما فيها وحتى الآن لم يفلحوا في ذلك . ويظهر ان العوائق التي تحول دون نجاحهم اقوى مما كانوا يظنون

واستنبط الاستاذ مايوراما الايطالي نوعاً جديدًا من التلفون تستعمل فيهِ الشرارة الكهربائية السريعة التي تتردَّد عشرة آلاف مرة في الثانية من الزمان فان صوت المتكلم يغير سرعة تردُّدها فيظهر واضحاً جدًّا عند الذي يسمعهُ في المكان الذي يصل اليهِ

ومن مستنبطات السنة الماضية التليكريتوغراف وهو تلغراف لهُ آلة كآلة الكتابة تكتب بها الرسالة البرقية كما تكتب على آلة الكتابة عادة فتنتقل على السلك وتحرك مفاتيح اخرى فتكتب رسالة مثل الاولى

وشاع في اوائل العام ان المستر بيجوت الاميركي اكتشف طريقة لتوليد امواج كهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية ومن غير اعمدة تنصب في الجو كالاعمدة التي تستعمل في تلغراف مركوني وانهُ ارسل الاشارات التلغرافية بهذهِ الامواج الكهربائية مسافة ٣٠٠ ميل من غير اسلاك معدنية

الطب

التقدُّم مستمر في كل فرع من فروع علم الطب واشهر ما يذكر مما حدث في العام الماضي ان اللجنتين المقامتين للبحث في علاقة سل البقر بسل البشر في انكلترا والمانيا قررتا تقريرين متناقضين فاللجنة الانكليزية قررت ان سل البقر مثل سل البشر فينتقل من البقر الى البشر ومن البشر الى البقر لان ميكروبهما من نوع واحد . وقررت اللجنة الالمانية ان سل البقر غير سل البشر ولا ينتقل السل من البقر الى البشر الاَّ نادرًا فاثبتت قول كوخ . ولا بدَّ من اعادة البحث الى ان تنجلي الحقيقة ويبطل النزاع فيها

وقد كُشف ميكروب الحمَّى الصفراء فاذا بهِ من نوع البروتوزون مثل ميكروب الملاريا

ينقلهُ من المريض الى السليم نوع من البعوض. ولذلك فالبعوض ينقل عدوى الملاريا والحمّى الصفراء وحمّى الدنج ولا يبعد ان يكون علة انتقال العدوى في كثير من العلل

وكشف ايضاً ميكروب الدوسنطاريا وميكروب مرض النوم او حُقق وجودهما

وكشف مخدّر جديد من فصيلة الكوكايين اسمهُ بوكايين يحقن بهِ تحت الجلد حيث يراد عمل العمليات الجراحية فيخدّر الاعصاب ويمنع الالم

وخُتم العام باستعمال املاح النحاس في تطهير المياه واماتة ما فيها من الميكروبات ونحوها مما يصير بهِ الماء ضاراً على ما شرحناهُ في الجزء السابق

الهندسة وتوابعها

كثر استعمال الكهربائية بدل البخار في السكك الحديدية ولاسيما في المدن وضواحيها لكي يتخلص السكان من دخان الفحم واصوات الآلات البخارية المزعجة. وفي النيَّة ان تساق كل القطرات بالكهربائية في مدينة نيويورك الى ان تبعد عنها اربعين ميلاً والكهربائية اللازمة لذلك تأتي من آلتين قوة كلٍ منهما اربعون الف حصان توضعان على نهر هدصن والنهر الشرقي وتداران بجريانهما

اما من حيث سرعة القطرات فالقاطرات الكهربائية سارت في التجارب التي جُرّبت قرب برلين ١٣١ ميلاً في الساعة ولكن اذا زيد عدد ما تجرّهُ من المركبات لم تزد سرعتها على ستين او سبعين ميلاً. والقاطرات البخارية لاتبلغ هذه السرعة اذا كانت تجرُّ كثيراً من المركبات

وكثر ايضاً حفر الاسراب تحت المدن الكبيرة لندن وباريس ونيويورك وشيكاغو لكي تجري القطرات فيها

والعمل جارٍ في اقامة جسور (كباري) كبيرة في اماكن كثيرة احدها على نهر سنت لورنس باميركا فيهِ قنطرة سعتها ١٨٠٠ قدم فهي اوسع قنطرة في الدنيا

والهمَّة مبذولة ايضاً في زيادة سرعة السفن البخارية الكبيرة ويبني الانكليز الآن باخرتين طول كلٍ منهما ٧٩٠ قدماً وعرضها ٨٧ قدماً وعمقها ٦٠ قدماً وقوة آلتها البخارية ٧٥٠٠٠ حصان وستكون سرعتها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وقد تبلغ ٢٦ ميلاً. والمال الذي تبنى بهِ هاتان السفينتان من الحكومة الانكليزية اقرضتهُ لاصحابهما مشترطة ان تأخذهما وقتما تشاء وتحولهما الى سفينتين حربيتين. وقد أُنزلت السفينة المعروفة بالفكتوريان الى البحر وآلتها البخارية من نوع التربين وهي اول سفينة كبيرة تجري بهذه الآلة لقطع الاوقيانوس. وسارت سفينة اخرى من هذا النوع اسمها لوتجانا من غلاسكو الى استراليا في ثلاثين يوماً ونصف يوم

وكانت سرعتها من ١٦ ميلاً بحرياً الى ١٨ ميلاً في الساعة وظهر انها تنفق من الفحم اقل مما تنفق الآلة العادية

ركوب الهواء

كان المنتظر ان يُظهر المخترعون من اتقان آلات ركوب الهواء في العام الماضي اكثر مما اظهروا في كل عام قبلهُ لاسيما وان القائمين بمعرض سنت لويس عينوا جوائز كبيرة لمن يفوق غيرهُ في سباق معين لكن ذلك السباق جاء محفوفاً بالفشل واعتدى رجل مجهول على بالون صنتوس ديمون فحملهُ وعاد بهِ الى اوربا بنفس صغيرة

العلم والحرب

ولقد كان العلماء يمنُّون انفسهم بان العلم يبطل الحرب باكتشاف آلات للهلاك تجعل الناس يحجمون عن استعمالها ولكن جاءت الحرب بين الروس واليابان نافية لذلك مخيبة للآمال. فان كل الوسائل العلمية التي اتصل العلماء اليها حتى الآن استُخدمت في تلك الحرب الدموية لقتل الناس بل لتمزيق ابدانهم بلا رحمة ولا شفقة . وتدل الدلائل على انهُ اذا زاد اتقان آلات الهلاك زاد الناس حماسةً وعناداً والذين يدفعونهم الى الحروب لا يبالون بحياتهم وموتهم بل يبقون متنعمين في قصورهم لاهمَّ لهم غير رواج متاجرهم وزيادة مكاسبهم وتوفُّر اموالهم

تأبين البارودي

قلنا في الجزء الماضي في الكلام على فقيد الادب محمود باشا سامي البارودي ان في نية بعض الادباء الاجتماع حول ضريحهِ في الاربعين من وفاتهِ لانشاد ما نظموهُ في رثائهِ وتأبينهِ. وقد اجتمعوا بدعوة من الكاتب البليغ والشاعر المطبوع خليل افندي مطران صاحب جريدة الجوائب المصرية في العشرين من يناير فتلوا ما نظموهُ من المراثي الواحد بعد الآخر جارين مجرى الشعراء السبعين الذين اجتمعوا حول ضريح ابي العلاء المعري لتأبينهِ. وقد نشرنا مرثيتين من مراثيهم وحبذا لو وسعنا المقتطف لنشرها كلها

قال خليل افندي مطران

مصابك حيًّا عرا جعفرا وخطبك ميتاً عرا قيصرا
رزئناكَ لم يغنِ عنكَ البيانُ ولم يعصم الجاهُ ان تقبرا
وهذي النهاية عقبى النهى وذاك الثراء لهذا الثرى

وغايةُ مجدك في العالمين ... اذا عرفوا الفضل أن تشكرا
وآخرُ بأسك ان يعتدى ... عليك دفيناً وان يفترى
أُبيهتك عنك قبص المروءة ... تحت البلى منعَ أن تسترا
وتُنوسي المروةُ في دارهم ... وترضى المروءةُ ان تذكرا
كذا انكشف الدهر للناس فيك ... عن قاهرٍ عز ان يقهرا
حليمٍ تراكاً باقباله ... ضروبَ دراكاً متى ادبرا
لامرٍ صفا لكَ حين صفا ... وكدّر وردك اذ كدرا
يقول بأحداثهِ الواعظاتِ ... لمن همّ بالزهوِ أطرقْ كرى

•••

حباك زماناً بجاه الملوك ... وبطش الاساطين مستوزرا
ونحرِ الغزاةِ قرومِ السرايا ... وفكرِ الحذاقِ نجومِ السُرى
وعزمٍ يكون على امة ... قتاماً وفي امة نيّرا
فكنت كما تبتغي عزة ... وكنت كما ترتضي مظهرا
وكنت معاً فارساً شاعراً ... وكنت معاً ندساً قسورا
جميعَ المزايا فما للبيانِ ... وما للغياثِ وما للقرى
نظيرُك مبتكرًا مبدعا ... شهاباً سنيًّا ندىً ممطرا
نظمتَ المعاليَ نظم المعاني ... ففتحُ الكلام كفتحِ القُرى
وطعنُ السنان كنفث اليراع ... وكلُّهما بالنهى حبّرا
وضم الجيوش كنسق القريض ... وتقسيمهُ اشطرًا اشطرا
وسهلُ القتال كطرس بهِ ... يسطر بأسك ما سطرا
بنقط الجماجم إعجامهُ ... واهمالهُ جوبهُ مقفرا
وتفويفهُ بنعال الجياد ... وتدبيجهُ بدمٍ احمرا
فياغازياً ذاك إعجازهُ ... ويانا ظماً ذاك ما صوّرا
اتلك من الكلم الذاكيات ... تسيل النفوس بها انهرا
شقائق آياتك الناديات ... رحيقاً من الانس او كوثرا
او الصافياتِ شوافي الاوامِ ... بما تحتها من زلال جرى
او الجاليات يبنّ لنا ... من الغيب كل ضمير سرى

او المطربات يشنفننا بشدو المزار وقد بكرا
او المرسلات هدًى للانام حقائق مودعةً جوهرا
فهل كان افرسَ منك فتىً وهل كان منك فتى اشعرا
كلا المفخرين يراعاً وسيفاً دعا ناجهُ لك مستأثرا
فتاجٌ عصاك وتاجٌ علاك وكان الاحقُّ بان يؤثرا

***

فلما رقيت الى المنتهى وكدت تجاوز ما قدرا
رماك الزمان باحداثهِ مجيشة فانبرت وانبرى
ابان المحبين والآل عنك واقصى المواليَ والعسكرا
واسكت افراسك الصاهلاتِ واصمت صمصامك الابترا
واخرس من قال لله انت وابكم كلَّ امرىءٍ كبّرا
وسكّن روع الفلا مجفلاتٍ وامّن شامخها اصعرا
ونفّس كربَ الظبي لافتاتٍ وروّح ايّلها اصورا
والوى عليك فادمى واصلى وصال وطال وما أقصرا
رمى بك في السجن من حالق اليف الجناة طريح العرا
واثخن جرحاً فاقصاك عن ثرى مصر مجتنباً مزدرى
وزادك ضيماً لحجب عن عيونك ضوء الضحى مسفرا
وجاز النكالَ فاردى ابنتيك كما يذبح الذبح أو انكرا
ولكن أبي لك ذاك الاباء الا الثباتَ وان تصبرا
وهل في الاسى غير صدع الحشى وتدميةِ الجفن مستعبِرا
وتهوين نفسٍ لدى خصمها بلا طائلٍ غير ان تصغرا
فلم تنتقصك العوادي ولكن اعادتك محنتُها اكبرا
وردٌ بياضُ المشيب ثناءك اجلى بهاءً وقد طهرا
فما كان سجنك الا قراراً وقد تعب الجد ان يسهرا
ولا النفي الا خلاءٌ اعدتَ بهِ زمن الادب الازهرا
ولا شكل الا لتأسى اساك وتبكي بكاءٍ ليوثِ الشرى
ولا الغضُّ عما تراه العيون الا وقد ساء ان يُنظرا

اذا وسع الارض فكر امرىء فلا بأس بالطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهدي المبصرين وليس على الشمس ان تبصرا

•••

فيا جسم محمود بت في سكون ويا عين سامي انعمي بالكرى
ويا فكره كم نشدت العلى بلغت مداها فماذا ترى
اطل على هذه الكائنات من حيث انت باسمى الذرى
انتظر غير فضاء رحيب تحاكي النجوم به العثيرا
وتسمع غير شبيه الحفيف لما اصطك منها وما كورا
فقل صامتاً واشر مائتاً لمن تاه في الارض واستكبرا
علام تباذخ هذي الجبال وفيم تشامخ هذا الورى

وقال حافظ افندي ابرهيم

ردوا علي بياني بعد محمود اني عييت واعيا الشعر مجهودي
ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدود
ظنت سكوتي صفحاً عن مودته فاسلمتني الى هم وتسهيد
ولو درت ان هذا الخطب الجمني لاطلقت من لساني كل معقود
لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا يا فارس الشعر والهيجاء والجود
ملكت القلوب وانت المستقل به ابقى على الدهر من ملك ابن داود
لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت عنها لياليك من بيض ومن سود
اغمضت عينيك عنها وازدريت بها قبل الممات ولم تحفل بموجود
لبيك يا شاعراً ضن الزمان به على النهى والقوافي والاناشيد
تجري السلاسة في اثناء منطقه تحت الفصاحة جري الماء في العود
في كل بيت له ماء يرف به يغار من ذكره ماء العناقيد
لو حنطوك بشعر انت قائله غنيت عن نفحات المسك والعود
حليته بعد ان هذبته قسما عقد بمدح رسول الله منضود
كفاك زاداً وزيناً ان تسير الى يوم الحساب وذاك العقد في الجيد
لبيك يا خير من هز اليراع ومن هز الحسام ومن لبى ومن نودي
ان هد ركنك منكوباً فقد رفعت لك الفضيلة ركناً غير مهدود

ان المناصب سيف عزل وتولية غير المواهب في ذكر وتخليد
اكرم بها ذلة في العمر واحدة ان صح انك فيها غير محمود
سلوا الحمى هل قضت اربابهُ وطرًا دون المقادير او فازت بمقصود
كنت الوزير وكنت المستعان بهِ وكان همك هم القادة الصيد
كم وقفة لك والابطال طائرة والحرب تضرب صنديدًا بصنديد
تقول للنفس ان جاشت اليك بها هذا مجالك سودي فيهِ او بيدي
نسخت يوم كريد كل ما نقلوا في يوم ذي قار عن هاني بن مسعود
نظمت اعداك في سلك الفناء بهِ على رويّ ولكن غير معهود
كأنهم كلم والموت قافية يرمي بها عربيٌّ غير رعديد
اودى المعري نقيُّ الشعر مؤمنهُ وكاد صرح المعالي بعدهُ يودي
واوحش الشرق من فضل ومن ادب واقفر الروض من شدو وتغريد
واصبح الشعر والاسماع تنبذهُ كأنهُ دسم في جوف ممعود
لوى بهِ الضعف واسترخت اعنتهُ فراح يعثر في حشو وتعقيد
وانكرت نسمات الشوق مربعهُ تثيرها خطرات الخرَّد الغيد
لو انصفوا اودعوهُ جوف لؤلؤة من كنز حكمتهِ لا جوف اخدود
وكفنوهُ بدرج من صحيفتهِ او واضح من قميص الصبح مقدود
وانزلوهُ بافق من مطالعهِ فوق الكواكب لا تحت الجلاميد
وناشدوا الشمس ان تنعي محاسنهُ للشرق والغرب والامصار والبيد
اقول للملإِ الغادي بموكبهِ والناس ما بين مكبود ومفؤود
غضوا العيون فان الروح يصحبكم مع الملائكِ تكريمًا لمحمود
يا ويح للقبر قد اخفى سنى قمر مقسم الوجه محسود التجاليد
يا ويحهُ حل فيهِ من قريحتهُ لها بخدر المعاني الف مولود
فرائد خرّد لو شاء اودعها محصي الجديد سجلات المواليد
كانها وهي بالالفاظ كاسية وحسنها بين مشهود ومحمود
لالئٌ خلف بلور قد اتسقت في بيت دهقان تستهوي نهى الغيد
محمود اني لاستحييك في كلمي حيًّا وميتًا وان جوَّدت تقصيدي
فاعذر قريضي واعذر فيك قائلهُ كلاهما بين مضعوف ومحدود

التهاب الزائدة الدودية

(او المعلقة الدودية)

كثر ذكر هذا الداء بين الناس وعلى صفحات الجرائد لتعدد الاصابات بهِ في هذه السنين الى حد لم يعرف من قبل وقد عثرنا على مقالة فيهِ من قلم طبيب انكليزي مشهور اسمهُ الدكتور جوزف كد مارس صناعتهُ في لندن مدة خمسين سنة فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي لفائدتهِ . قال

اقول قول خبير مارس صناعة الطب في لندن مدة تنيف على الخمسين سنة ان هذا الداء كان نادراً جدًّا قبل العشرين سنة الاخيرة . فقد قال الدكتور فنك انهُ لم يذكر في سجل الموتى الذين شُرِحت جثثهم في مستشفى لندن سوى ١٩ نفساً ماتوا بهِ في اربعين سنة . على ان كثيرين أُصيبوا بالتهاب البريتون فكنا نصف لهم الحمامات الحارَّة واحماء الفراش ووضع اللزقات السخنة وجرعة او جرعتين من زيت الخروع والحقن بالماء الحارّ والامتناع عن الاطعمة الجامدة اربعة ايام او خمسة والاكثار من الاطعمة السائلة مثل مغلي الاروروط وماء الشعير واللبن فشفي معظمهم بهذا العلاج

اذاً فما هو السبب في انتشار الداء الآن الى هذا الحدّ . وللجواب على هذا السؤال نبحث في الاسباب الظاهرة التي ينشأ الداء عنها لنرى تأثير كلٍّ منها في احداثهِ

(١) البرد — كثيرًا ما يكون البرد سبب الاصابة ولكنَّ كثيرين كانوا يتعرضون لهُ قبل ظهور هذا الداء ولا يصابون بهِ . ثم ان الناس صاروا الآن اكثر عناية بتدفئة ابدانهم فاخذوا يلبسون الاقمصة الصوفية مباشرة للجلد بدلاً من القطنية ويشربون الماء الفاتر بدلاً من البارد . ولا ينكر ان البرد قد يكون سبباً لهُ وخصوصاً في الذكور الذين سنُّهم بين العاشرة والعشرين وذلك لانهم يكثرون اللعب في اماكن رطبة فيعرقون ولا يغيرون ملابسهم فيتعرضون للبرد . وكثيرًا ما يزول البرد او الرشح على سلامة الاَّ اذا كان القولون (جزء من المعى الغليظ) ملآن طعاماً باهمال صاحبهِ فهناك الخطر من التهاب الزائدة الدودية

(٢) العجلة في الاكل — لا ريب ان العجلة في المضغ والبلع من اعظم اسباب هذا الداء ولكن الناس كانوا يعجلون في اكل طعامهم قبل انتشارهِ بزمن طويل . وقد صاروا الآن اكثر عناية بمضغ الطعام بعد ان اتقنوا فنَّ طبّ الاسنان الى الحدّ المعروف حتى قال السر فردرك تريفس الجراح الشهير "كم من اسنان صناعية منعت عملية جراحية في الزائدة الدودية"

(٣) المسهلات — وهناك امر آخر جدير بالذكر وهو تناول الناس للمسهلات . ففي

انكلترا كان القوم يتناولون المسهلات من الزيبق والسنا والمغنيسيا ثم ابطلوها واستعاضوا عنها بكاس ماء بارد عند الصباح وتدرَّجوا من الماء البارد الى شرب المياه المعدنية المختلفة والمسهلات الملحية ولا يزالون يشربونها الى اليوم . وربَّ سائل يسأل ما علاقة المياه المعدنية والمسهلات الملحيَّة بالزائدة الدودية والتهابها . والجواب انها تحدث افرازاً سائلاً في القناة الهضمية ينصرف الى الخارج ويترك خلفهُ الموادَّ الجامدة من الطعام فتجمع في الاعور (جزء اخر من المعى) قرب الزائدة الدودية على الجانب الايمن حيث ينتهي المعى الدقيق ويبتدئ المعى الغليظ فتأخذ تلك المواد تفسد رويداً رويداً وتسدُّ مجرى الطعام وتسمُّ الزائدة الدودية فيلتهب البريتون ويشتدُّ الخطر

ففي حال الصحة يمرُّ الطعام من المعدة في الفتحة المسماة بالبوَّاب ويقضي في ذلك عدة ساعات فاذا لم يكن ممضوغاً جيداً شدَّد البوَّاب في منعهِ من الخروج . ثم اذا خرج من المعدة الى المعى الدقيق بعد الجهد الشديد أُفرزت الصفراء وعصارة البنكرياس لزيادة هضمهِ مدة مسيرهِ في المعى الدقيق وطولهُ ٢٠ قدماً حتى يصل الى القولون. فيقف هناك مدة وتفرز عصارة اخرى لاكمال هضمهِ ومادة مخاطية لتسهيل سيرهِ في القولون . وهنا وجه الخطر من شرب المياه المعدنية المسهلة والمسهلات الملحية فانها تعجل مسير المواد السائلة وتترك المواد الجامدة تجمع في الاعور وتفسد فتصير بؤرة للكروبات فينشأ عن ذلك التهاب البريتون والزائدة الدودية

فلمنع التهاب الزائدة الدودية يجب الانتباه الى ثلاثة امور وهي

اولاً لاتهمل البرد الذي يعقب اللعب والتعب الجسدي او العقلي

ثانياً امضغ طعامك جيداً وعلى مهل ولا تبلع طعاماً لم تحسن مضغهُ . وخير للانسان الذي تمنعهُ كثرة اشغالهِ واعمالهِ من الاكل على مهل ان يأكل طعاماً قليلاً ويحسن مضغهُ من ان يملأ معدتهُ طعاماً لم يمضغ

ثالثاً اجتنب المسهلات من مياه معدنية واملاح مسهلة وما اشبه واترك الجسم يتمم وظائفهُ الطبيعية بلا مسهلات تزعجهُ . وقد يضطر الطبيب احياناً ان يصف المسهل لعليلهِ ولكن الواجب ابطال المسهلات شيئاً فشيئاً

اما العملية الجراحية فخطرة جداً لا يستهان بها وكثيراً ما يكون التمهل خطراً ايضاً . والطبيب اول من تجب مشاورتهُ في اجراء العملية اذا خيف من التهاب البريتون . واذا لم يكن من العملية بدٌّ وجب على العليل واهلهِ ان يسلموا امرهم الى الجراح فان الجراحة الحديثة فازت فوزاً باهراً في عمليات الزائدة الدودية

مضارُّ الميكروبات ومنافعها

ما فتئ الانسان منذ ظهر على وجه الارض في حرب عوان قامت سوقها بينهُ وبين الطبيعة من حيٍّ وجماد وهو في غالب الاحيان الفريق المعتدي يدأب ليلهُ ونهارهُ في اكراه الطبيعة على خدمتهِ وفعل كلّ ما فيهِ خيرهُ ورفاههُ بتذليل قواها المادية والادبية . ومرَّت بهِ قرون عديدة قبلما عرف ان لهُ اعداء خفية لا تدين لقوتهِ ولا تخضع لحكمهِ بل كثيرًا ما تتمرد عليهِ وتكيد المكايد لاغتيالهِ . وتلك الاعداء هي الميكروبات

واول من عرف شيئًا عنها عالم عاش في القرن السابع عشر فانهُ رأى بالميكروسكوب اجسامًا حية صغيرة في المواد الآلية التي دبَّ الفساد والانحلال فيها . ولكن لم تعرف حقيقتها حتى قام العالم داقان بعد ذلك بنحو قرنين وابان علاقتها بالامراض . وكان العلماء يظنون انهُ اذا مات الحيوان او النبات تغيرا تغيرًا كيماويًا صرفًا وعادت عناصرهما الى الارض والهواء لتغذية حيوانات ونباتات اخرى وان العامل الوحيد في ذلك التغير او الانحلال انما هو الاكسجين . وظنوا هذا الظنّ في الاختمار ايضًا فقد عرف الناس منذ القدم انهُ اذا ترك عصير العنب وشأنهُ في اناء طرأ عليهِ تغيرٌ يحولهُ الى خمر . واذا تركت الخمر كذلك تحولت الى خلّ ثم الى ماء وغاز الحامض الكربونيك . فهذه التغيرات كلها سميت بالاختمار

وفي سنة ١٨٢٢ ادَّعى كيماوي ايطاليّ ان سبب اختمار عصير العنب مادة نباتية ولكنها تقارب زلال البيض . وقال انها هي غلوتين الحنطة عينهُ . فوافقهُ الكيماويون على هذا الرأي مدة اربعين سنة بل قالوا ايضًا ان هذه المادة النباتية سبب كلّ اختمار . وهذا الرأي خطأ سببهُ جهل ما يطرأ من التغير في الاختمار . فان الخمر تحتوي عند تحولها الى خلّ على نبات حي لا على مادة زلالية ميتة . اثبت ذلك باستور الشهير في ابحاثهِ الطويلة المتعلقة بحدوث الخمر وتحوُّلها الى خلّ . وقد قام قبل باستور من انكر مذهب التأكسد الذاتي وحاول ان يثبت انهُ اذا أُغلي سائل قابل للاختمار في زجاجة ثم سدَّت الزجاجة سدًّا محكمًا لم يحدث اختمار فيهِ . اما باستور فابان ان النبات الذي تتحوَّل بهِ الخمر خلًّا هو ابسط اشكال الاحياء وتمكن اماتتهُ بالحرارة وان وجودهُ لازم للاختمار لزومًا لا انفكاك عنهُ . فحسم بذلك الخلاف بين الكيماويين الذين قالوا ان الاكسجين وحدهُ كافٍ للاختمار وبين الذين قالوا انهُ لا يكفي وحدهُ بل لا بدَّ من وجود خلايا نبات حيّ معهُ . ونشأ عنهُ علم جديد أُوضح بهِ كثير من مظاهر حياة النبات والحيوان وموتهما وافضى الى صيرورة فنّ الزراعة وتربية الحيوان علمًا ذا اصول وقواعد

وعرف من اكتشافات باستور سبب فساد اللحم وسائر انواع الطعام ومياه المستنقعات. وكان كثيرون من الباحثين قبلهُ قد اثبتوا ضرر اللحوم المقددة والخبز وغيرها اذا طال العهد عليها وتطرّق الفساد اليها . وقال احدهم في تعليل ضررها انها تحتوي على حامض دهني هو سبب السمّ فيها وقال آخر مثل ذلك في الجبن المسموم. واكّد غيرهُ ان السمّ الموجود في المادة الحيوانية الفاسدة يمكن ان ينشأ عن خلايا نباتية حية ولكن ضررهُ لا علاقة لهُ بتلك الخلايا فازاح باستور الستار عن اصل هذا السمّ وقال انهُ كما ان الاختمار سبب التغير المعروف في عصير العنب هكذا الاجسام الحية الميكرسكوبية سبب التغير الذي يطرأ على المواد الحيوانية والنباتية بعد موتها وسبب العوارض التي تصيب الجسم الحيّ ونسميها امراضاً

وكثير من هذه الاجسام الحية النباتية الميكرسكوبية المسماة بكتيريا او مكروبات تعيش على المواد الآلية الميتة ولكنها قد تعيش في الاجسام الحية وتتوالد فيها . ومنها ما يفضل النور على الظلام ومنها يفضل الظلام على النور . وبعضها يفضل الاكسجين وآخر يفضل النتروجين وفريق شديد التأثر بتغيرات الحرارة وفريق يلبس لكلّ حالة لبوسها فلا يهمهُ طارئ يطرأ

ثم ان منها ما هو غريب في اطوارهِ شاذ في طباعهِ فميكروب الدفثيريا مثلاً يختار السكن في بعض الاغشية المخاطية وغيرهُ يختار الرئتين او القناة الهضمية او الدم او سطح الجلد . وكلّ الميكروبات تقريباً تعيش على مرق لحم البقر وتتكاثر فيهِ ولكن بعضها يفضل المرق الحامض وآخر المرق القلوي وآخر السكّر وغيرهُ يقنع بالفوصفات والملح والماء طعاماً وشراباً

واكتشف سلمي الكيماوي الايطالي طريقة لاستخراج السموم من المواد الحيوانية الفاسدة وسمى هذه السموم "بتومايين" وبعد تحليلها وجد انها تشبه القلويات في فعلها الكيماوي . وكان جنّر وباستور قد أبانا انهُ يمكن تخفيف وطأة بعض الامراض بالتطعيم قبل الاصابة بها . وأبان غيرهما انهُ يمكن استعمال سموم الميكروبات لوقاية الانسان وسائر الحيوان من فتكها وذلك بالتلقيح بها حتى اذا دخلت الجسم فيما بعد لم يكن لسمها تأثير فيهِ . وقد جرّب ذلك في كثير من الامراض مثل الدفثيريا والتتنوس والكوليرا والحمى التيفويدية . وهذا الاكتشاف ادّى الى اكتشاف آخر اعظم شأناً وءالاً وهو ان مصل الحيوان الذي لقح بجراثيم مرض ما يقتل جراثيم ذلك المرض فاذا لقح بهِ انسان صحيح لم يعد يصب بذلك المرض او لقح بهِ مصاب توقف سير المرض فيهِ. وقد اثبت الطبيبان بهرنج ورو ذلك في الدفثيريا والتتنوس فأنقذ الوف من مخالب هذين الدائين . وعرف عن هذا المصل انهُ ليس مادة مضادة للسم رأساً ولكنها تبطل فعلهُ بطريقة غير معروفة

هذا من جهة هذه السموم ' واما من جهة سم الافاعي فقد ظهر ايضاً ان مصل الحيوان الملقح به يصير واقياً وشافياً منهُ . فالمصل المضاد لسم الافعى المعروفة بالكوبرا يقي الانسان والحيوان من سم الكوبرا نفسها ومن سم الافعى المعروفة بذات الاجراس ايضاً . فيظهر من ذلك ان هناك علاقة شديدة بين سموم الافاعي السامة وان ما يقي من سم هذه الافعى قد يقي من سم تلك ايضاً . ولا يبعد ان سموم الميكروبات التي من نوع واحد متقاربة حتى ان ما يقي من احدها يقي من الآخر كذلك بل قد ثبت بالتجربة ان لقاح الميكروبات المعروفة باسم "كولي كوميونس" وهي من نوع ميكروبات التيفويد تقي من ميكروبات التيفويد نفسه

وقد تضاربت الآراء في فعل اللقاح فمن قائل انهُ يضاد السموم التي تتولد من الميكروبات رأساً ولكن ذلك لم يثبت بالتجربة ومن قائل ان كريات الدم البيضاء تؤثر في الميكروبات فتبطل فعلها وهذا رأي سترنبرج ومتشنيكوف . ومن قائل ان اللقاح المضاد لسموم الميكروبات اشبه شيء بمادة مختمرة يبطل فعل تلك السموم

هذا وقد اكثر الناس من ذكر الميكروبات والامراض معاً حتى صاروا يعدونهما اسمين لمسمى واحد وفاتهم ان الميكروبات ليست سوى خلايا نباتية او حيوانية على ابسط اشكالها ولها وظائف مختلفة وان معظمها ليس ضارًّا بالانسان بل نافع لهُ متى عرف كيف يستخدمهُ . فهي التي تحدث الاختمار في الخمر والبيرة . وليست نكهة الزبدة والجبن سوى نتيجة فعلها وكذلك يقال في نكهة بعض الاسماك المقددة

اذا حُلبت البقرة كان حليبها خالياً من الميكروبات او يكاد يكون خالياً منها ولكن اذا عرض للهواء امتلأ ميكروبات لا ضرر منها البتة ثم اذا وضع في مكان حرارتهُ ملائمة توالدت تلك الميكروبات وتكاثرت فحمض وسبب حموضتهِ الحامض اللبنيك الذي تكوَّن من سكّر الحليب بواسطة الميكروبات فان كانت تلك الميكروبات مما تفوح منهُ رائحة ذكية كانت الزبدة طيبة النكهة لذيذة الطعم والاَّ فان كانت مما تنبعث منهُ رائحة خبيثة كانت الزبدة خبيثة الطعم ايضاً . واذا فرزت انواع الميكروبات التي توجد في لبن البقرة بعضها عن بعض واستنبت كلٌّ نوع منها على حدة لتعلم صفتهُ امكن تحسين الزبدة وزيادة نكهتها بابادة الميكروبات الخبيثة وتلقيح القشدة بالميكروبات الطيبة

وما قيل في الزبدة يقال ايضاً في انواع الفاكهة والاطعمة المختلفة فان نكهة كلٍّ منها ناشئة عن نوع مخصوص من الميكروبات . وكثير منها يفرز الواناً جميلة مختلفة لا يستطيع الانسان تقليدها ولا يعلم طبيعتها

وابلغ من ذلك كلهِ ان حياة الانسان نفسهِ متوقفة على عمل بعض انواع الجراثيم . فان الميكروبات التي تولّد الحامض النتريك والامونيا في التربة وتساعد النباتات على تمثيلها والميكروبات التي تسهل انحلال الفوصفات وتهيء الفصفور الذي لا غنى عنهُ لحياة النبات والحيوان ليغتذيا بهِ والميكروبات التي تساعد على حلّ المواد النباتية والحيوانية الميتة — كلها تؤَثر تأثيرًا عظيماً في بقاء نوع الانسان ودوام رفاهتهِ

العصبيّة

الانسان كائن حي من الكائنات الارضية ارتقى عمَّا حواليهِ من الحيوانات بما تلبّس بهِ من نفس ناطقة وقوة عاقلة ولكنهُ كان غير مستقل بالنسبة الى حاجياتهِ مفتقرًا الى غذاء تقوم بهِ حياتهُ ويعتاض بهِ عن الدقائق المنهدمة من جسمهِ محتاجًا الى درء المغالب ودفع المهاجم من الوحوش الكاسرة التي تنازعهُ في صيدهِ وتزحمهُ في معاشهِ مضطرًا الى التعاون والتعاضد لتتضاعف قوتهُ ويكمل بأسهُ فيصد القوات المهاجمة والعصابات المزاحمة . بهذا تكاثفت افرادهُ وتضامت فكان بينها الفطن الأيد والافين الوهن والشريف والدنيء والضعيف والقوي على نسبة بين الافراد مختلفة باختلاف هذه الصفات وقربها وبعدها من الانسانية وصفاتها الحقة . ولا شك ان من اخذ منهُ بناصر الفضيلة وحُبّبت اليهِ الاخلاق الطاهرة الحافظة لكيان الانسانية المشيدة لدعائمها من قوة وفتوة وعفاف وحلم وكرم ومجد نبيل وشرف اصيل كان موضع الرجاء في النازلة ومحل الالتجاء في الشدة وهو موضع اهوائهم ومحل امالهم وهو الذي يدافعون عنهُ ويفدونهُ بانفسهم استدامةً لنفعهِ واستمدادًا لبركتهِ . أخذ بذلك محل العصبية منهم يدرأ عنهم شر المهاجم وكيد الكائد ويد الفاتك يؤلفهم في شتاتهم . وان النفس لتستهويها منافعها فتستطلع من ثُنيَّات المصالح مهويها ولا تزال كلما تكررت المنفعة قوي الميل حتى يستحكم ويصبح ملكة وهناك تطلب لهُ كل محمدة ومدحة قضاء لحق الشكر واداء لحق الارتياح واظهارًا لما يكنّهُ الضمير من المنة واعظام النعمة فتتأصل بذلك عصبية راسخة تنصرف لارادة المهوي ومنفعتهِ حتى اذا زادت في نشأتها ورسخت باصولها وانصرفت بكليتها سلبت ذا العصبية رشدهُ واخذت منهُ ثلّة من حريتهِ فيقيد نفسهُ بقيود الانقياد ويضع في عنقهِ نير التقليد فاذا رأى سنّة سنّها ذو العصبية سار فيها دون نظر ولا روية

واظهر مظاهر العصبية اذا وشجتها وشائج الرحم ووصلتها شوابك القربى القريبة وما يتلوها

والانسان بالطبع ينتصر لابيهِ لان بهِ حمايتهُ وهو محل نسبتهِ ومبدأ نشأتهِ فخرهُ مربوط بفخرهِ وشرفهُ سائر بشرفهِ يشينهُ ما يشينهُ ويعليهِ ما يعليهِ علقةٌ ماسة وفطرة واحدة فتنصرف بذلك عصبيتهُ لابيهِ واخوانهِ واعوانهِ فاذا انتج اولادهُ جرت اولادهُ مجراهُ وسارت في سننهِ فتحفظ لهُ العصبية كما حفظها لابيهِ . يدلي هذا الخلق اليهم بالوراثة ويرتقي بالاعواز ولكن الخلقَ الموروث في الوارث اقل اثرًا من المورث فتكون عصبيتهم لابيهِ دون عصبيتهِ لهُ وهكذا كما نزلت ضعفت بنسبة نزولها الى ان تشعبت العصابات النسبية

قد يتصرف الطمع بالنفس فتصبو الى من هو مقتدر على النفع حبًا باستجلاب الخير من يدهِ وان لم تصل منهُ الى بلغة بعدُ ولكنها تطير باجنحة الطماعية وتدنو دنو الطير حام على قليب وهنالك يريها الطمع في المطموع بهِ اعتلاءً يورد الميل اعلى مراتبهِ لبريةُ استكمال نفعهِ بهِ

الانسان بانانيتهِ وطمعهِ يحب الاستئثار وجلب المنفعة فيعتدي على أخيهِ فان كان دونهُ حولاً وقوةً لجأ الى من هو أعلى كعبًا وأشد اسرًا ليفرج كربهُ ويزيل شدتهُ

قد يُغلق دون المرء وجه الرأي عند المشكلة وفي طروق النازلة فيلجأ الى رئيسهِ يأتمر بأمرهِ ويهتدي برأيهِ

امثال هذه المنافع تعلق قلب التابع بمتبوعهِ وتخلص لهُ مودتهُ وتوحدوجهة عصبيتهِ حتى اذا تأصلت وأصبحت ملكةً خرجت عن سلطة الارادة فتكون كالافعال المنعكسة تصدرها الملكة والعادة غير مراقبة نفعًا ولا مراعية مصلحةً ولا يزال أثرها قائمًا حتى تلاشيها الملاشيات الخارجية تدريجًا

حب الذات فطرة للمرء نشأ عليها بناموس بقاء الانسب فنشأت معهُ وللبيئة والاحوال الاجتماعية التي تحيط بهِ تأثير في قوتها وضعفها بحيث ثقفّها التهذيب وهذّبتها التربية ظهرت وهي اعظم فائدةً واعم نفعًا وان أُهمل فيها التهذيب والتثقيف خرجت عن حدها المحدود ورمت بصاحبها في مهالك الطمع والحسد . وبها ثبت التنازع في العالم وبسقت اصولهُ ولا بدَّ لها من قسطاس مستقيم ووازع قوي يقف بها عند حدها ولا يطلق منها الاَّ ما تقتضيهِ المصلحة وتصلح بهِ الهيئة الاجتماعية والتمدن الحقيقي وذلك الوازع هو الحاكم ولا بدَّ لهُ من سلطة منفذة وشريعة قانونية تقيم العدل على اساطينهِ وتكفل لذويها السعادة بالعدل . والشريعة قيد من قيود الانسان وحد يقف عندهُ دون التهور في اعمالهِ تمنعهُ من الافراط والتفريط وقيام ذلك يكون بافراد من الامة استكملوا المناسبات وحصلوا محبة المحبين ووجهة المتجهين فأخذوا باطراف العصبية عن اهليهِ وسقوا من رحيقها فدالت لهم الدولة واخذوا بيمين الصولة

اذا استحكمت الرئاسة ورسخت الدولة فاما ان تكون قواعدها متأصلة على أساس من العصبية او تكون ثابتة بالقوة والغلبة فان كانت الاولى دامت الدولة بدوام عصبيتها تجمع بها الشتيت وتقوي الضعيف وسارت في طريق مهيع وتجد لاحب حتى اذا شيبت باستبداد وظلم وغلبة وقهر لوت على عقبها واضمحلت عصبيتها شيئاً فشيئاً الى ان تقوم عصبية أخرى اقوى واخص فتجمع الشارد وتضم المتفرق وتحفظ كيانها وقوتها. يبعثها الى ذلك حياة في مجتمعها ونهضة منها لم شعثها فتتآخى على نقض القوة الاستبدادية والسلطة الظالمية حتى تعود فائزة ظافرة مستأثرة بالسلطة اذا جمعت اليها شروط الرئاسة كما دلنا عليهِ التاريخ وشهدت لنا مسوَّدة العراق لقطع ظلم الامويين. والاَّ هجعت في مهاد القهر واستسلمت لضرع الاستكانة في لبوس الذلة حتى تستثيرها او غيرها نهضة أُخرى والظلم لا يدوم لكن الهاجعين مختلفون بين من اعترتهُ سنة خفيفة وهجعة ضعيفة يتنبه بادنى منبه لم يلاقِ من الاستبداد غير لفحة لم تذهب منهُ بروح الاستقلال وبين من هو في سبات عميق لا يوقظهُ غير وخز السيوف ورث الذل والف الاستعباد خلفاً عن سلف حتى لم يبقَ لهُ من روع استقلالهِ نفحة

وان كانت الدولة قائمة بالقوة والغلبة فان سلكت نهج العدل وصراطهُ وقربت لمحكوميها منافعهم وقامت بمصالحهم قيام الناصح الساهر أخذت منهم عصبية قوية ونعرة وحمية ترسخ بها قواعدها وتحفظ شواردها ان لم تزاحمها عصبية أُخرى اقوى منها ولا تزال قائمة ما دام العدل والانصاف سائدين فتتأصل العصبية او يشاب حكمها بالاستبداد فينتكث فتلها وتعود من حيث اتت كما اجزتنا بهِ سلطة التاج وزنجيهِ في العراقين

سمعنا ان دولة بني العباس التي قامت بالعصبية وقويت بالنعرة لما قلَّ اثرها في الامة وتسلط عليها ثلة من الاعاجم ساموا الرعية مواقع الجهد والنصب والعناء والوصب ضعف صوت الدولة وقلت سطوتها فتناهبتها ملوك وطوائف من فاطميين وحمدانيين و بويهيين وان شئت قل عرب وعجم وترك وديلم ولكن بقي فيها حفظ للاساس ومحافظة على الراس ونعرة لبني العباس ولما طال الامد عصفت بذلك الرأس عاصفة بعد ان انهكتهُ الاسقام وصفرتهُ الايام فجلتهُ عن بغداد واطاحتهُ الى ارض مصر حيث فنيت عصبيتهُ وذهبت نعرتهُ ولم يبقَ لهُ غير شبهة دينية ومقاصد سياسية تجيش في صدور ملوك مصر تطلباً للميزة على غيرهم من ملوك الاسلام

فالعصبية اذاً روح سائرة تطرأ عليها الشدة والضعف والقوة واللين فاذا افرطت في مذهبها وطغت في مجراها اضرت بما فوقها من جنسها ضرراً يأخذ بابنائها طريقاً هو بالطمع اشبه فيعمون عن النظر في عصبيتهم العالية التي هم احوج اليها في حياتهم وحفظ كيانهم كما جرى لملوك

الطوائف والاندلس حيث ملكتها الذلة وحكم عليهم عدوهم واقتنصهم دولة دولة وطائفة طائفة وكما كانت غرناطة واعداؤها الاسبانيول على ابوابها يحصرونها وهي احوج ما تكون الى عصبية تضم اجزاءها لتدرأ عنها شر المهاجم كانت منقسمة على نفسها وعصبية اليازبين فيها تقاوم ضدها مقاومة اذهلتهم عن ان العدو في عقر دارهم ينازعهم استقلالهم ويهدم كيان دولتهم حتى سقطت دولتهم وأُخرجوا من ديارهم طردًا وذهب ما كانوا يؤملون من الفوز على اخوانهم بل هلكوا وهلك اخوانهم وهلكت عصبيتهم الجائرة واصبح من بقي منهم تحت ضغط محكمة التفتيش اونة من الزمن ثم انجلوا بلباس الذلة وتشتتوا عباديد بكل مكان يندبون دولتهم و يكون استقلالهم مثلما حصل بقسطنطينية والفاتح على اسوارها واهلها في جدال ديني يقول معهُ بعض قسوسها ان أحب الامور اليهِ أن يرى تاج الفاتح في كنيسة آيا صوفيا ولا يرى قلنسوة راهب روماني

هذا الخلق الطاهر وذلك الاساس المتين اذا تجاوز حدهُ استجلب الدم من محافلهِ واستجلب الذل من حوافلهِ وهي العصبية التي نهى عنها النبي صلى الله عليهِ وسلم بقولهِ ليس منا من دعي الى عصبية وامثال هذا من الآثار النبوية بهذا الشان . كان ذلك منهُ والامة العربية متفرقة اسرًا وافخاذًا وعشائر وقبائل تضم كل فريق عصبية قوية تنازع جاراتها والامة العربية اذ ذاك متهيئة لنهضتها من كبوتها متحركة للقيام من غفلتها بفضل ذلك الاصلاح الكبير الاسلامي تستعد لملك العالم والقبض على السلطة العامة في المعمور وأنى يتم لها ذلك دون ان تكون العصبية الملية والجامعة الامية اول العصبيات لديهم اهمية واعزها موقعًا واكبرها مقصدًا وان يكون الافراط في ما دونها مما يوقف من نموها مذمومًا منهيًا عنهُ بما نطق بهِ الحديث ونهى عنهُ الوازع الكريم صلى الله عليهِ وسلم . ما الذي انتجتهُ العصبية المذهبية التي أسسها العابثون بدولة العباسيين بين السنّة والشيعة ان ولج العدو دارهم فاذهب عزهم واباد صولتهم وتركهم عباديد وهم في مثل تلك الحال ما انفكوا في تنازع لا يستفيقون ولا يرعوون قد اوهى افراطهم في مذهبيتهم وغلوهم فيها وطنيتهم فاذهبها ومحا رسمها وهلكوا بهلاكها وذهب عز العراق وخبت نار بغداد ولله الامر

العصبية اما ثابتة واما مستقرة تأصلت في الاخلاق بحيث اصبحت ملكة في النفس او انها وقتية غير ثابتة بل هي مدارة للمصلحة وجودًا وعدمًا ولا شك ان اولاهما اعلى وامتن مبدأً وغاية لان الدائر مدار المصلحة منتفٍ بانتفائها وربما انقطعت المصلحة فتنعدم العصبية ويذهب اثرها ونفعها وبغير هذا الدائم الخلقي فانهُ دائم بدوامها ولئن ضعفت بضعف اسبابها فان للنعرة هبَّة تستثيرها ما دام لصاحبها عرق ينبض (ستأتي البقية)

الحسر (او قصر النظر)

علاج الحسر

يعالج الحسر إما باستعمال البلورات المقعرة او باستعمال هذه البلورات واعطاء املاح الزئبق والعقاقير المقوية من الباطن او باستعمال الطريقة الجراحية. ويختلف نوع العلاج باختلاف حالة المرض والمريض كما سنبين ذلك

والحسر مثل بقية الامراض يكون عند البعض خفيف الوطأة بطيء السير لا يحدث تلفاً عضوياً في العين ويكون عند البعض شديد الوطأة سريع السير ولا يلبث ان يتلف الاغشية الباطنة للعين ولاسيما الشبكيَّة والمشيمية وهما اهم طبقات العين. ولكلٍّ من هذين النوعين علامات خصوصية مميزة يعرفها اطباء العيون الخبيرون بفحص باطن العين بالمنظار البصري (الافتلمسكوب)

العلامات المميزة بين الحسر الخفيف والحسر الشديد

يعرف اطباء العيون ان تمدد الصلبة عند قسمها الخلفي في العين المصابة بالحسر يحدث علامةً خصوصية في القطب الخلفي وهي هلال ابيض اللون يكتنف حلمة العصب البصري من جهتها الوحشية. ففي الحسر الخفيف الوطأة البطيء السير يكون ذلك الهلال صغيراً ابيض اللون ذا حدودٍ مضبوطة تفصلهُ تمام الانفصال عمَّا يجاورهُ من الاغشية السليمة الوردية اللون وفي مثل هذه الحالة يكون الهلال بطيء الامتداد وقد لا يتجاوز حدًّا محدوداً عند البعض مهما تقادم عهد الحسر

اما في الحسر الشديد الوطأة السريع السير فيكون الهلال اكبر حجماً وذا لون اسمر ضارب الى السواد وتمتد منهُ شعابٌ دقيقةٌ عديدة الى الانسجة المجاورة بحيث لا تبقى لهُ حدود فاصلة واضحة. وهو سريع الامتداد ولا يزال يتسع نطاقاً حتى يتخذ شكل دائرةٍ ويكتنف حلمة العصب البصري من جهاتها الاربع وفي هذا النوع من الحسر يضعف البصر بسرعة ولا يزال يزداد ضعفاً يوماً عن يوم حتى يصل الى درجة تقرب من العمى

فاذا كان الحسر من النوع الاول اي خفيف الوطأة بطيء السير ولم يحدث ضعفاً شديداً في البصر فيكفي في علاجهِ استعمال البلورات المقعرة. وسأتكلم عن طريقة انتقاء البلورات فيما يلي

وانما اذا كان الحسر شديد الوطأة سريع السير واحدث تلفاً في الشبكية والمشيمية او كانت تنذر بحدوث ذلك فلا بدّ من علاج المرض من الباطن مع استعمال البلورات المقعرة واحسن علاج لايقاف سير الحسر الخبيث هو الزئبق واملاحهُ

ولا سبيل هنا الى اطالة الشرح عن طرق اعطاء الزئبق واملاحهِ وعندي ان احسن طريقة هي حقن الاملاح الزئبقية السريعة الذوبان المحلولة في الماء المعقم اما تحت الجلد او في الوريد مباشرة وهي طريقة استاذي الدكتور ابادي . وافضل الاملاح الزئبقية سيانور الزئبق فيحقن منهُ من ٢/١ سنتجرام الى سنتجرام كل يوم او كل يومين بحسب سن المريض وحالة المرض . واذا كان لا قبل للطبيب باستعمال هذه الطريقة فيمكنهُ أن يستعيض عنها بالطرق الاخرى كالدلك بالمرهم الزئبقي وما شاكل ذلك

اما فائدة الزئبق في الحسر الشديد فلم يتوفق اهل العلم الى التعليل عنها حتى يومنا هذا كما انهم لم يتوفقوا الى التعليل عنها في علاج الزهري فهي حقائق يرونها ولكنهم لا يدركون اسرارها

ومع استعمال الزئبق يمكن ايضاً تقوية جسم المصاب بالحسر الشديد بمستحضرات خشب الكينا وزيت السمك وما شاكل ذلك بحسب حالة المرض والمريض

الطريقة الجراحية في علاج الحسر الشديد

اذا ظلت علة الحسر تزداد شدة رغماً عن استعمال البلورات المقعرة واعطاء املاح الزئبق والعقاقير المقوية وكان ضعف البصر يزداد يوماً عن يوم حتى وصل الى درجة تقرب من العمى وصار يخشى من انفصال الشبكية وتلف العين كلها يضطر الطبيب الى استعمال الطريقة الجراحية وهي اخراج العدسية " البلورية " من العين

وقد جرب كثيرون هذه الطريقة فافلحوا احياناً وخابوا احياناً اخرى . ولا ريب ان هذه الطريقة من اصعب عمليات العين ويجدر بالطبيب البصري ان لا يقدم عليها الاَّ اذا اعيتهُ الحيل ورضي الاحسر بالعملية خوفاً من العمى المحتم

انتقاء البلورات المقعرة للمصابين بالحسر

يعلم الذين لهم المام بالفسيولوجية البصرية ان العين الصحيحة ذات النظر المعتدل ترى الاشباح البعيدة بكل وضوح ولا تتعب مطلقاً من اطالة النظر اليها . والدليل على ذلك ان الانسان يقضي الساعات الطويلة في الفسحة خارج المدن ناظراً الى ما حولهُ من المناظر الطبيعية دون ان يشعر باقل تعب في عينيهِ . والسبب في ذلك ان المرئيات البعيدة ترسم

صورها على شبكية العين تماماً فتراها هذه بلا تعب البتة

ولكن هذه العين الصحيحة ذات النظر المعتدل اذا نظرت الى المرئيات القريبة الدقيقة فلا تراها بوضوح الاَّ اذا تكيفت لانها اذا بقيت على الحالة التي كانت عليها وقت النظر الى المرئيات البعيدة تُرسم صور المرئيات القريبة خلف الشبكية فلا تراها العين والتكيف هو تمدد العدسيَّة "البلورية" في باطن العين بتقلص العضلة الهدبية ومتى تمددت العدسيَّة وانتفخت تُرسم المرئيات القريبة على الشبكية وتعليل ذلك تقارب اشعة الضوء بمرورها في الاجسام الشفافة المحدبة مثل عدسية العين وهو مما يضيق المقام دون شرحه هنا

ولهذا السبب تتعب العين الصحيحة المعتدلة النظر من اطالة التحديق في المرئيات القريبة لان العضلة الهدبية تكلُّ من طول التقلص لابقاء العدسية ممددة وذلك عكس ما يحصل عند المصاب بالحسر كما سيأتي

هكذا يتم نظر العين الصحيحة عن قرب وعن بعد . اما العين المصابة بعلة الحسر فلا ترى الاشباح البعيدة بوضوح على عكس العين الصحيحة لان صور تلك الاشباح لا ترسم على الشبكية وانما تُرسم امامها وسبب ذلك زيادة طول العين المصابة كما تقدم . فلكي تري هذه العين المرئيات البعيدة لا بدَّ من استعمال البلورات المقعرة التي تقرب صور المرئيات البعيدة حتى ترسم على الشبكية فتراها العين . وتعليل ذلك انفراج اشعة الضوء بمرورها في البلورات المقعرة كما يعرف ذلك الذين لهم المام بالفلسفة الطبيعية . وكلما زادت درجة الحسر وجب ان تكون البلورات اشد تقعيراً

اما المرئيات الدقيقة فترسم صورُها على شبكية العين المصابة بالحسر بغير ان تحتاج هذه الى تكيف اعني بغير ان تتقلص العضلة الهدبية وتتمدد العدسية وذلك لان العين المصابة بالحسر طويلة من طبعها فتبقى العضلة الهدبية والحالة هذه بلا عمل في المصابين بالحسر فتضمر وتفقد من قوتها لأن العضو الذي لا يعمل يضمر ويضعف . ولهذا السبب ترى المصابين بعلة الحسر يقضون الساعات الطويلة مكبين على مطالعة الكتب الدقيقة الحروف دون ان يشعروا بألم البتة

واذ عرف القارئ ما تقدم صار في امكانه فهم وجه الخلاف بين الطريقتين القديمة والحديثة في انتقاء البلورات للمصابين بداء الحسر وكيفية استعمالها فاصحاب الطريقة القديمة لا يصلحون الحسر اصلاحاً تامًّا اي انهم لا يصفون العدسيات المقعرة التي تعادل درجة تقعيرها درجة ذلك الحسر اعني التي ترى بها العين الاشباح البعيدة بوضوح تام وانما يصفون دائماً

بلورات درجة تقعيرها دون درجة الحسر ولو كانت لا تُرى بها الاشباح البعيدة بوضوح وذلك لزعمهم ان اصلاح الحسر التام يضر بالبصر ودليلهم على ذلك انهُ بهذه الطريقة تصغر الاشباح البعيدة فتتعب العين من النظر اليها . هذا هو الخطاء الاول في هذه الطريقة كما سنثبتهُ فيما يلي

ثم ان هذه الطريقة القديمة لا تجوّز للمصاب بالحسر استعمال البلورات المقعرة عن قرب استناداً على ان عينهُ ترى الاشياء القريبة بوضوح فلا ضرورة والحالة هذه لاستعمال البلورات وهو الخطاء الثاني كما سنثبتهُ ايضاً

الطريقة الحديثة في انتقاء البلورات واستعمالها

اما اصحاب الطريقة الحديثة الالمانية فيصلحون الحسر بالبلورات المقعرة التي تعادل درجتها درجتهُ اي التي يرى الاحسر بواسطتها المرئيات البعيدة باجلى وضوح ولو صغرت في عينيهِ تلك المرئيات لأن ليس العبرة بكبر المنظورات وصغرها وانما العبرة بوضوحها اما التعب الذي يقولون ان الاحسر يشعر بهِ اذا اتبع هذه الطريقة فلا يعبأ بهِ لانهُ تعبٌ وقتيٌّ لا يلبث ان يزول . ومتى تعود الاحسر استعمال البلورات الموافقة لدرجة حسرهِ تماماً فلا يعود يحسن النظر عن بعدٍ اذا استعمل بلورات اخرى اقل منها درجة . وهذه الطريقة اقرب الى الصواب من الاولى دون ريب لانها تعيد العين الى الحالة الطبيعية وذلك احسن ما يمكن الوصول اليهِ

وفضلاً عما تقدم فان اصحاب هذا المذهب الجديد لا يسوّغون للمصاب بالحسر ترك البلورات المقعرة وقت التحديق في المرئيات الدقيقة القريبة خلافاً لما يفعلهُ اصحاب المذهب القديم ولكنهم يحتمون عليهِ للنظر في تلك المرئيات القريبة استعمال نفس البلورات التي يرى بها الاشباح البعيدة . وهي الطريقة المثلى ولا شك لان العين المصابة بالحسر متى وُضعت امامها البلورة المقعرة الموافقة لدرجة الحسر تعود الى الحالة الطبيعية كما قدمنا اي انها تصبح كالعين الصحيحة فتصير ترى الاشباح البعيدة بوضوح ولا تعود ترى المرئيات القريبة الاَّ اذا تكيفت اي اذا تمددت عدسيتها بتقلص العضلة الهدبية وهو الغرض المقصود من الطريقة الحديثة لان هذه العضلة الضعيفة في عيون المصابين بالحسر لعدم استعمالها متى اضطرت الى التقلص كلما نظرت العين في الاشياء الدقيقة لا تلبث ان تنمو شيئاً فشيئاً حتى تعود الى الحالة الطبيعية

اما التعب الذي يشعر بهِ الاحسر في بادىء الامر من استعمال النظارات عن قربٍ فلا يُعبأ بهِ لانهُ يزول شيئاً فشيئاً مع اشتداد العضلة الهدبية

وقد ثبت لاصحاب المذهب الحديث بعد طول التجارب ان سير الحسر يقف عند حدّ معلوم باستعمال البلورات المقعرة للنظر عن بعدٍ وعن قرب على حدّ سوى خلافاً للطريقة

القديمة التي يظل الحسر يزداد معها لا سيما اذا كان من النوع الخبيث حتى يصل الى درجة وخيمة العاقبة . ولا يبعد ان تكون الحركة الباطنة التي تحدث من تقلص العضلة الهدبية هي السبب في وقوف سير المرض فقد قرأت في مجلة الكلينيك البصري ان الطبيب دوميك الفرنسوي جرَّب معالجة المصابين بالحسر بدلك عيونهم باصابعهِ على طريقة خصوصية . ويقول هذا الطبيب ان الذين عالجهم على هذه الطريقة تحسنت حالتهم تحسناً بيناً مما يبشر بحسن مستقبل هذا العلاج الجديد

اما انتقاء البلورات " النظارات " الموافقة للاحسر فليس بالامر السهل مع ما هنالك من التفاوت في درجات هذا المرض وانواعهِ ولا بدَّ للوصول الى نتيجة حسنة من الاستعانة بالمنظار البصري " الافتلمسكوب " لمعرفة درجة الحسر ثم انتقاء البلورات بمقتضى ذلك البحث الدقيق . وقد يحدث احياناً كثيرة ان تكون مع الحسر علة أُخرى ناتجة عن اختلال طبيعي في تحدُّب القرنية (Astigmatisme) فيلزم اصلاحهُ مع اصلاح الحسر ولا يخفى على ذوي البصيرة ما في ذلك من الوعورة والوصب . وهنا لا بدَّ لي من تنبيه العامة والحكومة الى ما يرتكبهُ بائعو النظارات من الخطاء بل الذنب بانتقاء البلورات لزبائنهم دون استشارة طبيب بصري . ولا شك ان هؤُلاء الدجالين يسيئون الى المصابين بعلل العين اكثر مما يحسنون . ولا ادري كيف يركبون هذا المركب وهم لا يعلمون اي منقلب سينقلبون

الوقاية من علة الحسر

لا بدَّ للوقاية من هذا الداء من اتباع النصائح التالية وهي

اولاً : تقوية الاحداث من تلامذة المدارس بترويض ابدانهم في الهواء المطلق لاسيما اذا كان هناك استعداد وراثي للاصابة بالحسر

ثانياً : تقليل ساعات الدرس على قدر الامكان وجعل الالعاب الرياضية اجبارية

ثالثاً : استبدال الكتب المدرسية الدقيقة الحروف بكتب ذات حروف كبيرة يستطيع التلميذ مطالعتها وهي على بعد ٤٠ سنتمترًا من عينيهِ

رابعاً : يجب ان تكون قاعات الدرس واسعة طلقة الهواء كثيرة الضوء

خامساً : يلزم الاقلال من المطالعة ليلاً ما امكن ومهما كان نوع المصابيح المستعملة في المدارس يجب ان يكون ضوءُها قويًا جدًّا وان يأتي للتلميذ من خلفهِ او جهة يمينهِ

مصر الدكتور شدودي
طبيب العيون

سكان استراليا الاصليون

منزلتهم الاجتماعية

أجمع الكتّاب على ان سكان استراليا الاصليين مخطون كثيرًا في ادراكهم وما زالوا على هذا الاعتقاد منذ قرن فلم يقم بينهم من يخالفهم فيهِ لكن قام الآن احد القاطنين في استراليا وخرق هذا الاجماع وبيَّن ان أُولئك الكتّاب مخطئون في ما ذهبوا اليهِ وسبب خطائهم ان سكان المستعمرة الاسترالية الاولين لم يكونوا هم انفسهم من ذوي المدارك السامية ولما لم يفهموا لغة السكان الاصليين وكان الفريقان متباينين كلَّ التباين في عاداتهما واخلاقهما وطرق معيشتهما فضى المهاجرون بما قضوا على السكان الاصليين فكان الاعتقاد المتقدم

قال وقد جيء بكثيرين من اولاد السكان الاصليين وادخلوا المدارس التي يتعلم اولاد البيض فيها فظهر ان الاولين لم يكونوا دون الآخرين في ادراكهم وفهمهم . وأيَّد هذا مباحث نفر من العلماء الذين بحثوا في اخلاق اهالي استراليا الوسطى وعاداتهم حديثًا وكتبوا تقريرًا ضافيًا في ذلك وسينشرونهُ عن قريب

ثم اورد الكاتب المشار اليهِ امثلة تدلُّ على ان سكان استراليا الاصليين ذوو مدارك سامية وان تكن منزلتهم واطئة في الحضارة

المثال الاول . جيء بغلام من اهالي استراليا الى نيوسوث وايلس وهو صغير واستُخدم في منزل احد الانكليز وكان سيده يحترف الحدادة في منزله في ساعات الفراغ من اشغالهِ وكان هذا الولد يظهر من الذكاء والمقدرة في جميع الاعمال الميكانيكية اكثر مما يظهرهُ الاولاد البيض عادةً ويشير بامور مفيدة لاتمام تلك الاعمال

المثال الثاني . غلام اسود خلاسيٌّ ولد بين السود وربي حتى شبَّ . ولما بلغ الثانية عشرة جعل ناقلاً للبريد في احدى المحطات فحنَّت اليهِ سيدة واخذت تعلمهُ القراءة والكتابة فتعلمها حالاً . وكان يقتصد في اجرتهِ حتى اجتمع عندهُ مبلغ معلوم فاستأجر اراضي من الحكومة واشترى غنمًا وبقرًا وجعل يربيها ويتاجر بها فكسب من تجارتهِ مكاسب طائلة وعندهُ الآن عشرة آلاف جنيه . ومهر في اعمالهِ حتى استخدمتهُ الشركات الكبيرة لمشترى المواشي السمينة بالعمولة ويبلغ ثمن ما يشتريهِ كلَّ سنة مئتي الف جنيه . وقد سرت وإياهُ ذات يوم الى متحف الآثار الاسترالية في سدني فحصنا ما رأيناهُ وتباحثنا فيهِ معًا . وأريتهُ قطعًا من حجارة الصوان التي كان اهالي اوربا القدماء يستعملونها للقطع وقابلناها بقطع الصوان التي يستعملها

بعض اهالي استراليا الى الآن فالتفت اليَّ وقال "أيستطيع احد بعد ان يرى ما رأيتهُ انا ان ينكر مذهب النشوء والارتقاء" ولما خرجنا من المتحف قال "لا يفخرنَّ البيض علينا فان اسلافهم كانوا مثل قومي الآن"

المثال الثالث . غلام اسود تبناهُ رجل اسكتلندي منذ كان طفلاً عمرهُ عدة ايام وهو الآن ابن ثماني عشرة سنة يتكلم الانكليزية الصحيحة او الاسكتلندية العامية . على انهُ لا يتكلم الاسكتلندية الاَّ عند ارادة المزاح فيدهش سامعيهِ من الاسكتلنديين بنكتهِ وتمكنهِ من اللغة العامية وتفننهِ فيها . وكان من انبغ تلامذة المدرسة التي درس فيها وعدد تلامذتها ٢٥٠ تلميذاً . ولما خرج منها استخدم عند شركةٍ من اكبر شركات الهندسة وبناء السفن في قسم الرسم ورسمهُ متقن جميل . وقد طالما ادهش الاسكتلنديين باعمالهِ وحركاتهِ التي يقلدهم بها حتى كانوا يسألون رؤساءهُ قائلين "من اين أتيتم بهذا الاسكتلندي الاسود"

المثال الرابع . غلام آخر أُرسل الى اوربا ثم عاد منها وهو يحسن البحث في كل المواضيع السياسية الاوربية التي يدور الكلام عليها ولا يحجم عن الخطابة على البيض في المجتمعات العمومية . ومن المواضيع التي خطب فيها لوم حكومات الاتحاد الاسترالي على بذخها واسرافها ايام زار البرنس اوف وايلس استراليا

وليست البنات السود باقل ذكاء من البنين في اعمالهنَّ حتى ان السيدات الاوربيات يفضلنهنَّ على البيض للخدمة

وربَّ معترض يقول ان هذه الامثلة من النوادر والشذوذ التي لا يصحُّ القياس عليها . وهو اعتراض صحيح ولكن يقال في الجواب عليهِ ان الفرص التي يجدها اولئك السود لترقية قواهم العقلية اكثر ندوراً من الامثلة المتقدم ذكرها

على ان من القياسات المصطلح عليها الآن لقياس ارتقاء الامم العقلي المهارة في الالعاب الرياضية . ولسود استراليا منزلة رفيعة فيها فان منهم كثيرين يعدون في الطبقة الاولى بين الذين اتقنوا الالعاب الرياضية الانكليزية

ومن الاعتقادات الشائعة للدلالة على انحطاط هؤُلاء السود في سلم المجتمع الانساني انهم لا يعرفون من العدد سوى الارقام الاولى البسيطة . ولكن عدم معرفتهم للارقام المركبة ليس ناشئاً عن انحطاط مداركهم بل عن عدم اضطرارهم الى استعمالها في حال الهمجية بدليل انهم لما اختلطوا بالبيض واضطروا الى استعمالها اصبحوا يحسنون العدَّ مثلهم

واتقانهم للغة الانكليزية الصحيحة مشهور فانهم قلما يخطئون في لفظ الكلمات واذا خوطبوا

بالفاظ مكسرة اشمأزوا من ذلك وعدوهُ اهانة لهم · وفي هذا فرق عظيم بينهم وبين الصينيين والسود الافريقيين

وقد اتخذ بعضهم رجوع هؤلاء السود الى قومهم بعد طول مساكنتهم للبيض دليلاً على قصر مداركهم وعندي انهُ دليل على ما للميل الجنسي من التأثير في تأخير تقدم السود وسط البيض فان الاسود يقيم بين البيض لا يشكو ضيماً ولا يبدو فيهِ ميل الى العود الى قومهِ حتى يدرك سنَّ البلوغ وحينئذٍ يفعل الميل الجنسي فيهِ فعلهُ . يرى ذلك الاسود انهُ مقضيٌّ عليهِ بالعزوبة بين البيض وهو مما لا يصبر البيض عليهِ ولا يطيقونهُ ولو كانت تدبُّ في صدورهم اسمى المبادىء الادبية والدينية فينفر الى قومهِ ارضاء لذلك الميل الطبيعي ولو وجد السود زوجات يتزوجون بهنَّ بين البيض لاقاموا بينهم دائماً

هذه خلاصة ما كتبهُ الكاتب المشار اليهِ وهو على نقص استقرائهِ يدل على ان اهالي استراليا الاصليين ليسوا في الدرجة التي وضعهم فيها البيض ولا سيما الذين ساكنوهم اولاً من اهالي اوربا فان اكثرهم كانوا من المجرمين المنفيين الى هناك ومن افسد الناس اخلاقاً وآداباً · ولو وُفق الاستراليون الى اناس ينقلون اليهم مبادىء الحضارة من غير ان يطمعوا بامتلاك بلادهم واخذ اشيائهم لكان حالهم الآن غير ما هو عليهِ

شهيد السياسة

لدويج ملك بافاريا السابق

اطلعنا على مقالة للكاتب فنس طمسن الذي جمع مكاتيب بلونز مكاتب التيمس الشهير ازاح فيها الستار عن رواية مُفجعة مثَّلها رجال السياسة منذ نحو عشرين عاماً واقنعوا الناس بصحتها وهي خداع ونفاق · قال الكاتب "لاشيء اكذب من التاريخ العمومي الا التاريخ السياسي والقصة التي تروى عن حياة ملك بافاريا الاخير وموتهِ كاذبة مثل اكثر الاقاصيص السياسية ولكن الذين يطلبون معرفة الحقيقة يجدونها رغماً عما في السجلات السياسية من الاضاليل فان في قصر من قصور مونخ رجلاً من الاشراف كلَّل الشيب مفرقهُ وفي حي من احيائها القديمة رجلاً كان من الفرسان وفي جبالها امرأة فلاحة وهؤلاء الثلاثة يعرفون تفاصيل قصة من اغرب ما رواهُ الرواة في هذه الايام قصة التخلص من ملك بدسيسة رجل من ادهى رجال السياسة · ونقطة المدار في هذه القصة مشيئة فتاة وحولها الملوك والامراء والقوَّاد والوزراء

والمفنون والاطباء يستنبطون الحيل ويلفقون الاكاذيب لكي يمثلوا هذه الرواية في مشهد الدهور وقد دخلت المرأة فيها حقيقةً كما أُدخلت في الروايات الموضوعة حكماً

∴

لما توج لدويج الثاني ملكاً على باڤاريا كان عمرهُ ثماني عشرة سنة . وكان طويل القامة نحيف البنية كثّ شعر الرأس خفيف العارضين اسود العينين كريم النفس . ربي وشبّ في الجبال فلم يتمرَّس بامور الدنيا ولا سُمح لهُ بمعاشرة الناس ومخالطتهم . بل لم يسمح لهُ برؤية رعيتهِ الاَّ من نافذة من نوافذ قصرهِ وحرم عليهِ المشي في شوارع عاصمتهِ . فاذا أراد زيارة متحف او مكان آخر عمومي زارها باكرًا قبلما تفتح الدكاكين والمخازن في الاسواق

واهتمت والدتهُ بتعليمهِ العلوم التي تليق بالملوك والامراء فدرس التاريخ واللغات واللاهوت وفن الحرب والتصوير والموسيقى الاَّ علم اخلاق الناس فانهُ لم يتسنَّ لهُ الوقوف عليهِ والالمام بهِ . ولم يكن يعرف من الناس الاَّ الفلاحين سكان الجبال فما تعلمهُ بمعاشرتهم لم يجدهِ نفعاً كبيرًا في القيام بمهام الملك فحاول وهو ملك ان يعيش العيشة التي كان يعيشها بين الفلاحين البسطاء

واتفق ذات يوم انهُ امتطى جوادهُ وخرج الى احد شوارع عاصمتهِ واذا بامرأة قد مسكت بعنان جوادهِ وجثت على الارض امامهُ باكية وتوسلت اليهِ ان يطلق سراح زوجها من السجن . فحنَّ اليها وقال "سنطلق سراحهُ ولك كلمتنا في ذلك"

وهذا السجين رجل من الاشراف كان صاحب بنك فافلس مكرًا واحتيالاً وخرب بافلاسهِ بيوت مئات من الناس . فاحتجَّ الوزراء على اطلاقهِ ولكنَّ الملك لم يتحوَّل عن وعدهِ . وكانت ام الملك بروسيانية تميل الى بسمرك وتحاول جعل باڤاريا ذيلاً لبروسيا فاستبدت هي والوزراء بامور الملك في الاشهر الاولى من تولي ابنها وكان الملك يميل الى معاشرة وغنر الموسيقي الشهير فقرَّبهُ منهُ وقطع لهُ مالاً واعطاه غرفاً في قصرهِ وأجلسهُ على مائدتهِ . وكان وغنر صاحب غرور واميال صبيانية ومطامع لا طائل تحتها فالتهى الملك بموسيقاهُ عن شؤون الملك

∴

وترك الوزراء الملك وشأنهُ يقضي الايام في اللهو والطرب حتى بلغ العشرين من عمرهِ وكان نفوذ بروسيا قد تزايد حتى بلغ الحدَّ في باڤاريا واخذ بسمرك يستعدُّ لمناوأة النمسا فكان من الامور الاولية عندهُ ان تنحاز باڤاريا اليهِ . اما الملك فكان شديد الميل الى استقلال مملكتهِ فرأى بعين بصيرتهِ ما يأول انتصار بروسيا اليهِ ومال الى النمسا بكليتهِ

وجرت للملك وقائع مع امهِ ووزرائهِ في هذا الشأن واشتدَّ الحجاج بينهُ وبينهم حتى اذا كان ذات يوم وقد احتدم الجدال على امر من الامور انتصب مغضباً وضرب المائدة بكفهِ قائلاً "الست انا الملك" فضحك الوزراء وامهُ استهزاءً في وجههِ وارادوا صرفهُ عن عنادهِ فجمعوا المجلس البلدي وقرروا ان لا يسمحوا لهُ ببناء مرسح للتمثيل اكراماً لوغنر وابعدوا وغنر من البلاد

ولم يمضِ على ذلك عدة اسابيع حتى أغارت بروسيا على النمسا وقهرتها في معركة سادوى واخذت قسماً من باڤاريا نفسها وكان ذلك بدء تعاظم صولة بروسيا في اوربا

اما ملك باڤاريا فأخذ يلهو باقتناء الجواهر الكريمة وبناء القصور الفخيمة والقلاع المنيعة فأنفق الملايين من الاموال وكانت رعيتهُ تحبهُ حبًّا شديدًا . وفي اواخر سنة ١٨٦٦ عاد الى الجبال التي نشأ وشبَّ فيها والى القوم الذين خبرهم فأحبهم وكان عمرهُ اذ ذاك احدى وعشرين سنة وهو مَلِك بلا مُلْك ولا قوة وآلة صماء او لعبة في ايدي وزرائهِ يقلبونها على هواهم . وبينما كان يدخل باب قصر من قصورهِ حانت منهُ التفاتة فقرأ آية نقشها ابوهُ على عتبة الباب العليا باحرف ذهبية منذ سنين كثيرة وهي "اهلاً وسهلاً ايها السائح . خلِ عنك هموم الحياة ومشاغلها واقتصر على الشعر والتصوير"

كان هذا القصر قلعة رومانية حوَّلها الملك مكسيمليان قصرًا فخيماً فاخرًا يشبه القصور الموصوفة في الف ليلة وليلة فانزوى فيها ينظم الشعر وكان اخوهُ اوتو يتردد عليها لزيارتهِ وامهُ ووزراؤهُ يفدون حيناً بعد حين ومعهم اوراق ليمضيها لهم . وكان بين حاشيتهِ واعوانهِ رجل يثق كلَّ الثقة بهِ وهو شابٌّ اسمهُ وبر اختارهُ من الفرسان وجعلهُ ياورًا وخادماً خاصًّا لهُ . وكان وبر هذا صادق الولاء لمولاهُ يصحبهُ في ركوبهِ الى الجبال للنزهة او القنص وكان يركب امامهما نفرٌ من الفرسان وبايديهم المشاعل ليلاً لئلاَّ يضلوا الطريق فاذا جاع الملك نزلوا في احد الخانات التي في طريقهم ريثما يتعشى ويستريح قليلاً

وكان وغنر منفيًّا في لوسرن بسويسره وهو لا يملك فلساً على جاري عادتهِ فكتب الى الملك ليقرضهُ مالاً . فملأ الملك كيسهُ وهبَّ هو ووبر وجاءهُ زائرًا وفعل ذلك مرارًا فكان يقضي يوماً في لوسرن ويعود في الليل التالي الى قصرهِ . وكان يلبس كلَّ مرة ملابس الصيد في خان صغير في لندرهوف منها قبعة في اعلاها ريشة وسترة خضراء . وكان صاحب الخان يعرفهُ منذ صغرهِ ولهُ ابنة بديعة الجمال اسمها روز عرفت في التاريخ باسم روز لندرهوف كان عمرها حينئذٍ ١٧ عاماً

في ليل ٢٤ يناير سنة ١٨٦٧ ركب الملك قاصداً لندرهوف وكان الليل بارداً والقمر لم يطلع بعد ولم يكن وبر معةُ . فلما دنا من الخان رأى من نوافذهِ نحو اثني عشر رجلاً جالسين حول موائد خشبية وهم يدخنون ويشربون البيرة ويلعبون بالورق والدومينو . فدار حول الخان حتى وقف امام باب صغير يفتح الى المطبخ وكان فيهِ روز وخادمتان فأشار اليها ان تدنو منهُ وكانت لابسة ملابس بيضاء وخضراء كما يلبس الفلاحون عادةً . فلما اقتربت منهُ سألها قائلاً "ما عندك لي يا روز" فمدّت يدها الى صدرها واخرجت كتاباً وقالت "هذا الكتاب لجلالتكم" فاخذهُ منها واذا هو كتاب ثقيل الوزن جاءهُ من وغنر في لوسرن . ثم قالت لهُ "لاتذهب جلالتك هذهِ الليلة فان الطرق وعرة والظلام دامس"

فقال لها "ماذا يهمك مني يا روز . لا احد يهتمُّ بي غيرك"

قالت "ألا يهتمُّ ذلك الرجل الشيخ بك"

فاجاب "نعم — نعم هو يهتمُّ بي"

فقالت "ذلك بعض ما يجب عليهِ . وانت تهتمُّ بهِ ايضاً لانهُ كما صفر مرة تركض اليهِ"

فضحك وقال "لابدَّ لنا من الاهتمام بشيءٍ من الاشياء وهو يحبني ولا يسيء الظن بي"

وكانا واقفين حيث يقع الضوء عليهما من شباك المطبخ فقالت روز "ذلك لانهُ يحبك هل تحب الذين يحبونك"

فقال "مَنْ مِنَ الناس لا يحب الذين يحبونهُ فالحبُّ يلدُ الحبّ . ألا تعلمين هذا"

فوضعت يدها على ذراعهِ ونظرت الى وجههِ وقالت "انا احبُّك ولا احد غيري يحبك حبي فاني احببتك منذ زمن طويل" . هذا كلُّ ما قالتهُ . فوضع يدهُ بيديها وتطلَّع في عينيها معجباً بحريتها في اعرابها عمَّا في ضميرها وقال في نفسهِ انهُ حنين الحمام البري لا تغريد الطيور التي تعلَّم التغريد

فقال "يا روز لم تقل لي امرأة قبلك مثل هذا القول" . ثم امسك يدها بكلتا يديهِ وخطر على بالهِ حينئذٍ الارشيدوق يوهان احد افراد عائلتهِ الذي احبَّ فتاة فقيرة فترك العرش وامجادهُ اكراماً لها وقال في نفسهِ لماذا لا تكون حالي مثل حالهِ

وعاد فقبَّلها في فيها فكانت اول مرة مسّت فيها شفتاهُ شفتي امرأة وعزم على الفرار بها مفضلاً عيشة الفقر والمسكنة والحرية معها على عزّ الملك وعبوديتهِ فركب جوادهُ واركبها جواد تابعهِ وسارا يسابقان الرياح طول الليل ويدهُ بيدها حتى وقفا امام منزل وغنر في لوسرن وكان الفجر قد لاح

وبقي في لوسرن عدة شهور. وفي الربيع التالي اجتمع بعض اشراف المملكة في قصره الجبلي وحضر الاجتماع الملكة امهُ وامبراطورة النمسا ابنة عمهِ وفردريك وليم ولي عهد بروسيا حينئذٍ والارشيدوق مكسيمليان وشقيقة الارشيدوق الصغرى صوفيا والكونت درخيم صديق الملك. وكانت البرنسس صوفيا هذه على جانب عظيم من الجمال وهي تحبهُ وهو يحبها ولكن حبهما كان عذريًا كحبّ الاولاد او الشعراء ولم يكن بين ذلك الجمع من يعطف عليهما ويميل الى تزوجهما سوى امبراطورة النمسا

وبينا كانوا ذات ليلة يتسامرون قال ولي عهد بروسيا بصوت جهوري " ان تزوجهما لن يتمّ البتة " فسألهُ الكونت درخيم " اسموّكم على يقين من ذلك " فقال وليُّ العهد ضاحكًا " اراهنك على عشر ليرات ". وبينما هما يتكلمان اذا بباب القاعة قد انفتح فدخل الملك والبرنسس صوفيا متكئة على ذراعهِ ونظر الى وليّ عهد بروسيا وعيناهُ تقدحان شررًا فدلّ ذلك على انهُ سمع ما قالهُ عنهُ وعن تزوجهِ بها . ثم دنا من امهِ وقال " يسرُّني يا اماهُ ان ابلغك خبر خطبتي لابنة عمي "

ولكن ما هكذا يتزوج الملوك . فان وزراءهُ ورجال بطانتهِ كانوا ضدهُ من الاول الى الآخر ولم يكن في جانبهِ سوى الكونت درخيم والحبّ المتبادل الذي بينهُ وبين البرنسس . والحب ركن شديد بين المحبين ولكنهُ اوهن من خيط العنكبوت حيث الملوك والملكات لعبة بين ايدي كبار السياسة مثل بسمرك

⁂

انصرف الضيوف من القصر وأُخذت صوفيا الى مونخ وعاد ولي العهد الى برلين وعادت الامبراطورة اليصابات الى فينا . ولم يبقَ مع الملك غير الكونت درخيم وخادمهِ وبر فتوجهوا الى العاصمة حيث كتب الملك الى ملوك اوربا يخبرهم بعقد خطبتهِ على البرنسس صوفيا فمنعت الوزارة ارسال تلك الكتب الى اصحابها ولكن اصحابها علموا بمؤداها ولو لم ترسل اليهم

وقضى الملك نهار احد الايام يغالب وزراءهُ حتى غلبهم فعزلهم . وعاد فجمعهم في نصف الليل وكان وبر يدخلهم اليهِ وهو يتمشى ذهابًا وايابًا فلم يسع الوزراء الجلوس . فخاطبهم بما يأتي والانفعال بادٍ على وجهه قال " لما كنت ملكًا بالاسم فاكتبوا لي صورة تنازلي عن الملك لكي اوقعها لكم وافعلوا ذلك حالاً لاني اريد ان اكون وليّ نفسي " . ثم خرج مسرعًا

فساد الهرج والمرج تلك الليلة في مونخ وبرلين وبذلت المساعي الكثيرة في الايام التالية لاقناعهِ بالعدول عن عزمهِ . لان تنازلهُ عن الملك لمثل هذا السبب البسيط يقيم المملكة

ويقعدها لاسيما وان رعيتهُ كانت تحبهُ كثيراً . ثم ان هناك سبباً آخر مهماً يحول دون تنازلهِ وهو انهُ لم يكن من يخلفهُ سوى اخيهِ اوتو وهو ضعيف لا يصلح لتلك الايام الصعبة

وكان بسمرك في حاجة الى مساعدة بافاريا لهُ على فرنسا ولم يسعهُ ان يسمح لملكها بتزوج شقيقة امبراطورة النمسا وكذلك لم يسعهُ ان يتعرض لخطر تنازلهِ عن الملك فلا بدَّ لهُ من منع ذلك الزواج ولكن ليس باقناعهِ بالعدول عنهُ لاستحالة ذلك

والذين اطلعوا على سيرة بسمرك يعلمون ان مصدر قدرتهِ على تصريف الحوادث كان عدم استنكافهِ من التذرع بادنى الوسائط واحقرها لبلوغ غايتهِ . فلما رأى ان الملك لن يحول عن عزمهِ وان امهُ لا سلطة لها عليهِ وجه قواهُ الى البرنسس صوفيا خطيبتهِ فأوفد اليها دوق لويتبولد قائم مقام ملك بافاريا الآن فأبان لها انهُ يجب عليها ترك الملك وان حبها لهُ يقضي عليها بذلك لئلا يضطر الى التنازل عن الملك فأجابتهُ "ان لدويج احكمنا كلنا وهو يفعل ما يريد"

ولما رأى بسمرك اخفاق مسعاهُ أنفذ اليها الفتاة روز لندرهوف التي كان الملك يحبها فزارتها في قصرها وتحادثتا في الامر ملياً ومن ذلك الوقت لم يعد الملك لدويج يرى ابنة عمهِ فرجع الى الجبال يقضي حياة مريرة وعاد الى ديدنهِ السابق من الاسراف والبذخ في بناء القصور الفخيمة وكان وغنر رفيقهُ في وحشتهِ لا يأنس الاَّ بهِ ولا ينظر في وجه امرأة اكراماً للفتاة التي هجرتهُ بعد تعلقهِ بها

***

ثم زهد في شؤُون الملك وكفَّ عن بناء القصور ولزم العزلة فلم يكن احدٌ من رعيتهِ يراهُ وسكن قصراً بناهُ لنفسهِ مقابل قصرهِ الجبلي الذي كان يسكنهُ اولاً واورث مملكتهُ ديوناً عظيمة فقرَّ القرار على خلعهِ وتنصيب دوق لويتبولد

وبينما كان ذات ليلة يتعشى وياورهُ وبرمعهُ جاء من اخبرهُ بقدوم ثلاث مركبات تقلُّ رجالاً لابسين ملابس رسمية فأوجس شراً وامر الحراس باقفال ابواب القصر ثم ارسل وبر ليرى ما الخبر فعاد واخبرهُ انهم اعضاء لجنة ارسلتها الحكومة ليفحصوا الملك فقد بلغهم انهُ أُصيب بمسٍّ من الجنون وقصدهم ان ينقلوهُ الى حيث يُعتنى بهِ . فأمر الملك بادخالهم الى القصر ولكنهم لم يروهُ فقرأُوا منشورهم امام الخدم وكان قد أُذيع في مونخ وحكم على الملك فيهِ بانهُ مصاب بالجنون قبل ان يفحصهُ طبيب . وأُعلن اسم من يقوم مقامهُ وحلف لهُ الجيش اليمين المعتادة

ولم يكد هؤلاء يدخلون القصر حتى أرسل الملك رسولاً الى الكونت درخيم يدعوهُ اليهِ فنصح الكونت لهُ ان يترك مملكتهُ ويجتاز الحدود ريثما يلتفُّ انصارهُ حولهُ ولكنهُ ابى

قبول نصيحتهِ فكتب احتجاجهُ وكتاباً آخر استغاث بهِ برعيتهِ وارسل الكونت بهما الى مونخ . وفي اثناء ذلك خشي اعضاء اللجنة ان يؤخذوا اسرى فامروا حرسهم فاحتلوا القصر واوثقوا جنود الملك وابقوا الملك سجيناً في غرفتهِ . وكانوا يجتمعون بهِ ويسألونهُ مسائل ليفحصوهُ فلم يبدُ عليهِ البتة ما يثبت جنونهُ . فسلموهُ الى الحرس وعادوا الى مونخ ثم جاءوا ثانية ومعهم اوامر بان يأخذوهُ الى قلعة قرب بحيرة سترنبرج جُعلت بيمارستاناً لهُ وسجن الكونت درخيم في سجن عسكري

فأرسل الملك رسائل برقية يستنجد بجنودهِ ورسائل اخرى الى الكونت درخيم لانهُ لم يكن يعلم ما جرى لهُ فلم ترسل تلك الرسائل الى اصحابها فبات ينتظر قدوم الجنود على غير جدوى ولكنهُ لم يقنط ولم ييأس بل سعى سعياً متوالياً في الوصول الى مونخ ليستنصر جندهُ وشعبهُ . وأرسل آخر رسالة الى لندرهوف

وأُخذ الى القلعة المذكورة وحدهُ ووكل الى الطبيب فون جودن العناية بهِ

وفي ذات يوم جاءهُ احد الخدم برسالة فاعطاهُ اياها سرًّا فاستأذن الطبيب في النزهة حول القصر فاذن الطبيب لهُ في ذلك ومشى معهُ وكان الضباب كثيفاً والمطر متساقطاً . ولم يبعدا كثيرًا حتى التفت الملك وراءهُ فرأى ثلاثة من الحرس يتبعونهما عن كثب فقال لطبيبهِ "هل وجود هؤلاء الحراس لازم هنا" فاشار الطبيب اليهم بالرجوع فرجعوا . وظل الطبيب والملك يتمشيان حتى بلغا ضفة البحيرة فجلسا على مقعد هناك

وفي الساعة العاشرة جاء الحراس فوجدوا جثة الملك وجثة طبيبهِ في الماء قرب شاطىء البحيرة وقد امسك الواحد منهما بالآخر . والظاهر ان الملك حاول الهرب سباحة فأخفق . ووجدوا ساعتهُ في جيبهِ وقد وقفت عند الساعة السابعة الا ربعاً

وفي الساعة السابعة تماماً جاء قارب من الضفة المقابلة وفيهِ حارس غابة الملك وفتاة هي روز لندرهوف وكانت تناديهِ ولكن لا حياة لمن تنادي فانهُ لما تركهُ الجميع ارسل يستنجدها فهبَّت لنجدتهِ بعد ان اساءت اليهِ اعظم اساءة وكانت قد اخبرتهُ في الرسالة التي ارسلتها اليهِ ان القارب يأتي اليهِ الساعة السابعة وان على الضفة المقابلة جماعة من الاصدقاء بخيولهم ينتظرونهُ فني ربع ساعة خاب الامل وانقطع الرجاء وكان ما كان . فاما ان يكون الطبيب قد اخذ يشتبه في عزم الملك على الفرار فحاول اكراههُ على الرجوع او ان الملك عيل صبرهُ من الانتظار فخلع بعض ملابسهِ والقى بنفسهِ في البحيرة قبل الساعة الموعودة فامسك الطبيب بهِ وكان ذلك خاتمة تلك الرواية

ولا يزال وبر وروز لندرهوف حيين الى هذا اليوم . واما الوزراء الذين خلعوا الملك فماتوا بعد موته باشهر قليلة والبرنسس صوفيا ماتت احتراقاً في سوق الشفقة بباريس منذ سنوات قلائل

شوارع مصر

تلك الشوارع عرضها أمتارا ستٌ بستٍ تدهش النظّارا
يجري الهواء بها رُخاء مطلقاً يمحو السقامَ ويُذهب الاكدارا
تزدانُ بالانوار فوق منائرٍ فيعودُ ليلُ المدلجين نهارا
تلقى الفراش يحوم حول زجاجها كالنحل في روضٍ رأى ازهارا
ما أبهج الاسواق في ظلماتها تشجي الغريب وتطرب السمارا

"الطرق"

قسمت فقسم اوسط خصُّوا بهِ الـعجماء ثم عواجلاً وقطارا
وعلى جناحيهِ تسير بنو الورى قسمانِ قد رصفوهما احجارا
رصفاً بإحكامٍ يريح ذوي الضنى لا يختشي فيهِ الضريرُ عثارا
خلصت من الاوحال والارجاس لا يطأُ المشاة بخطوهم أقذارا
ابداً يرَشُّ صعيدها بمضخةٍ رشًّا رفيقاً لن يثير غبارا
يفد الهواء بها بليلاً منعشاً يقصي الهجير ويدفع الاعصارا

"الحوانيت والمخازن"

وعلى الجوانب الف حانوتٍ زهت بنفائس تدع العقول حيارى
فيها الجواهر كالنجوم وجامها فلك يزيغ بهاؤهُ الابصارا
فيها لاصناف النسيج زخارفٌ تسبي النساء وتسلب الدينارا
خزٌّ وديباجٌ دمقسٌ اطلسٌ حَبرٌ كما نسج العناكب طارا
ما بين نقش موشعٍ ومطرّزٍ ومنمنمٍ ومدبجٍ أزرارا
فهي الحقولُ حبا الربيعَ مهادها حللاً زهت فتنوعت إزهارا
فيها لانواع الاثاث بدائعٌ تستوقف الانظار والافكارا
حيث التفتَّ تجد عجيباً شائقاً حسناً انيقاً غالياً مقدارا

" البيوت وسائر الابنية "

شادت يدُ الاتقان في اكنافها قللاً يناطح روقها الاقمارا
من كل صرحٍ باذخٍ شرفاتهُ تبدي متى حان الاصيلُ عذارى
غرّ الوجوه فواتناً تزري الدُمى بيضاً وسمراً خرّداً ابكارا
يخطرن من فوق العروش بواسماً جزلاً وهنّ من النعيم سكارى
يرمقن ابناء السبيل باعينٍ توحى الى اهل الهوى اسرارا

" الفنادق والنزل "

فيها لسيّاح البلاد فنادقٌ غرف الجنان تألفت ادوارا
طبقاً على طبقٍ عروجاً للعلى حملت لسكّان السما الأخبارا
قامت تماثيل على ابوابها تحكي الملائك منظراً وشعارا
حفّت بجنات الازاهر قد حوت درراً وآساً نرجساً وعرارا
جمعت لأسباب الهناء ذرائعاً تولي النزيل من المنى اوطارا
يمسي ويصبحُ والنعيمُ مهادهُ حتى لينسى أهلهُ والجارا
يستخدم " الموحي " لإبلاغ الذي يبغي مقالاً لا يذاع جهارا

" المدينة "

جمعت بها الحكّام كلّ مزيّةٍ ابداً تحببُ نحوها الاسفارا
لا ينفقون زمانهم بسفاسفٍ تذر البلادَ بلاقعاً وقفارا
هذي المعاهد لا (طويلع) و (اللوى) هذي المشاهد لا (مدائن دارا)

" المقابلة "

هذي الشوارع لاشوارع (غيرها) ستٌ بستٍ عرضها اشبارا
قد شارك الحيوان فيها معشر آل — انسان حيث سرى بها او سارا
بعداً لها من شركةٍ ملعونةٍ قد اورثتنا حطة وصغارا
كم قد سألنا فسخها فيجيبنا ذو الشأن " من ذا يمنع الاقدارا "

" التقادير "

فعلى التقادير السلام فكم بها وجد الغشومُ لبغيهِ اعذارا
وعلى التقادير السلام فكم لها في الشرق من اثرٍ يضيّع ثارا

وعلى التقادير السلام فكم بها   تخذ الخمول لذاته انصارا
وعلى التقادير السلام فقد غدت   ترساً بني الأشرار والأغيارا

"عود على بدء"

مفروشة حجراً تبعثر بعضهُ   والبعض ضارع صقلهُ المنشارا
اضواؤها في الليل نور حباحبٍ   ما ان تقيل بني السبيل عثارا
اوحالها مركومة كجبالها   حتى يجاوز اهلها آذارا
ما ان يروقك في مرورك منظرٌ   يثنيك عن ان ترمق الاقذارا
ترب تثور بهِ الرياحُ حواملاً   للانف نتناً يحصد الأعمارا
وكذا المياه تفيض من ينبوعها   عذباً زلالاً جارياً انهارا
حتى اذا بلغت مرابع اهلها   عادت مزيجاً جامعاً اخطارا
فيها جراثيم الوباء ولودة   في كل ملء زجاجةٍ (مليارا)

"الازقة"

فيها تعاريج كحيَّاتٍ لوت   في الزحف جسماً في الثرى يتوارى
تتصادم العربات عند مسيرها   ويزاحم الرجل النحيل حمارا
كم من سليم عادَ ذا جرحٍ وكم   طفلاً قضى دوساً وآخر غارا
هبطت بهِ بالوعة في هوَّةٍ   ملئت بماء نتنهُ قد ثارا
يعلو ويسفل ذو الخطى في سيرهِ   والكل وعرٌ يتلع الاصهار
فلأن ركبتَ وان مشيتَ بليَّة   دهماء جالبةً اسى وشنارا
الخير عنها راحلٌ والشرُّ فيها — نازل والكرب حلَّ وزارا
لا حسن فيها غير ان نزيلها   يخشى الردى فيجانب الأوزارا
حوت الكلاب عديدة آلافها   عجفاً ضئالاً تنبح الزوّارا
طوراً تعاظلُ بالمراش وتارةً   تجري فترمي الفارس المغوارا
ملأ القرادُ جسومها فجلودها   جرباً تحكُّ لتستريح جدارا
أفلا يعدُّ العيش رزءاً فادحاً   رجلٌ تناوشهُ الكلاب مرارا
فافقه وقابل بين (تلك) و (هذه)   واذرف بحزن دمعك المدرارا

سليم عنحوري

الرفق بالانسان

او اساطيل حماده

قال الشاعر كولي اعظم شعراء الانجليز في القرن السابع عشر ان الانسان يقرب من جميع انواع الحيوانات فهو كلب مداهن واسد زائر وثعلب خادع وذئب خاطف وسقر حائم

وقال شكسبير الشاعر المشهور ان الانسان سامي العقل واسع الملكات عجيب الافعال كالملائكة في فعله والآلهة في فهمهِ

وقال لامرتين من كتّاب فرنسا وساستها في القرن التاسع عشر ان الانسان إله ساقط لا نهاية لرغائبهِ ولا حد لامانيهِ

هذهِ الاقوال جميعها مع ما فيها من التباين حقائق تشير الى ما في افراد الناس من الصفات والطبائع والافعال والاميال مما يصلهُ تارة بالحيوانات على اشكالها ويرفعهُ اخرى الى صف الملائكة والآلهة. والحقيقة التي ريب فيها ان من الناس من يقصر عيشهُ على نفسهِ فلا يرى لهُ غاية في وجودهِ سوى خدمة ذاتهِ ليس الاَّ فيلجأُ الى وسائل غرضهِ بما تصل اليهِ يدهُ وما يدفعهُ اليها خلقهُ وطبيعتهُ فيتشكل بالاشكال التي اشار اليها الشاعر كولي وهؤلاء هم بلا ريب احطُّ نوعهم عقلاً وادراكاً واخلاقاً واقصر بصرًا لا يرون الاَّ قيد شبر من ارجلهم او ادنى

ومن الناس من ينظرون الى أُفق سمائهم الحاضرة والمستقبلة بعين بصيرة وقلب شريف يرون بهما ان الحب الذاتي البحت هو دون ما ترمي اليهِ النفوس البصيرة العالية وان علاقة الانسان بنفسهِ وذويهِ حاضرًا ومستقبلاً معقودة بعلاقة مواطنيهِ ثم بعلاقة اخوتهِ في الانسانية. وهذا الاعتقاد يدعوهم الى الاهتمام بشأن ذويهم ومواطنيهم ثم اخوتهم في الانسانية وهؤلاء يختلفون بعضهم عن بعض طبقة فوق طبقة ودرجة فوق درجة في المبادىء والوسائل ونجاحهم في دائرة مقاصدهم يتوقف على قوة تلك الوسائل ونظامها وقد تقف الاحوال في وجهها ولكن الى امد قصير حتى يقضي على الاحوال الصبر والثبات

وكلما عظمت نفوس هؤلاء ورقت اتسعت دائرة مبادئها فتنتقل من قصر الاهتمام على الاهل وذوي القربى الى الاهتمام بالجار ثم باهل المدينة او القرية ثم بالوطن. ومن هذه الى الاهتمام باجل الغايات واسماها الا وهو الاهتمام بالانسانية قاطبةً. ومن هؤلاء الآخرين اعظم

المصلحين العظام في العالم من فلاسفة وشارعي اديان حيث يرمي غرضهم الى رفع شأن الانسان في افعالهِ وآدابهِ وافكارهِ رفقاً بالانسانية ورغبة في ايصالها الى اسمى درجات الكمال والسعادة الحقيقية — والى هذه الطبقة الثانية اشار شكسبير ولامرتين في قولهما السالف الذكر

وكل فرد من هذه الطبقة الثانية هو قوة ادبية عظمى في بلدهِ وقطرهِ وهذه القوة الادبية هي مصدر قوة مادية فعالة ذات تأثير عظيم يقلّ ويعظم بحسب قوة مصدرها وكما كثرت هذه القوات الادبية كثرت معها القوات المادية واذا بدت ظواهر هذه القوات الادبية في بلدة بدت بلا ريب بشائر نهضة قومها بحيث لا يعوزها حينئذٍ لبلوغ غايتها القصوى سوى جمع هذه القوات بعضها الى بعض لتتكون من مجموعها قوة عظمى تأتي بنتائج هي اضعاف ما يأتيهِ افرادها جمعاء كما تأتي الاساطيل المجتمعة اضعاف ما يأتيهِ آحادها

ولقد تنبه المصريون منذ عهد قريب فادركوا ان لا وسيلة لمباراة الشعوب الاخرى الراقية في ميدان الحياة ودواعيها الاَّ تهذيب عقول الامة واطلاقها فقام افراد من هنا ومن هناك ينشؤُون المدارس والكتاتيب في جهات متفرقة وعلى نظامات متنوعة يصح لي ان القب كلاًّ منها بمدرعة او مدفعية او بارجة من وجهة الوقاية في نتائج الضعف لا من وجهة وسائل الاعتداء على الغير وذلك لان هذه المدارس على اشكالها هي القوات الفعالة لرفع شأن الامم واذا جمعت هذه المدرعات والمدفعيات والبوارج يوماً ما تحت قيادة واحدة ونظام واحد كان منها اسطول قوي يفعل اضعاف ما يفعلهُ آحادها ولا بد ان يأتي ذلك اليوم قريباً باذن الله حيث يشعر المصريون بوجوب جمع قواتها الادبية وتوحيد نظامها فتخطو حينئذٍ مصر الخطوة الصادقة في سبيل ارتقائها وشدّ ساعدها

حداني الى هذه المقالة ما رأيتهُ في الاسكندرية حين قصدتها منذ ايام فقد ساقني الحظ الى ميدان الجمرك حيث كانت حاجتي فرأيت بناء صغيراً جميلاً استوقف نظري هو بناء جمعية الشبان ثم دار الحديث مع رفيق لي عمّا يأتيهِ حضرة خليل باشا حماده رئيس الجمعية من الاهتمام بشؤُون الشبان فتشوقت الى زيارة مدرستها وطلبت ذلك من حضرة الرئيس فاستدعى ناظرها وهو حضرة الفاضل الشيخ محمد محمود وكلفهُ مرافقتي فادخلني اولاً بناء واسعاً على شكل "جمالون" يقرب طولهُ من الخمسين متراً او اكثر وفي جانبيهِ غرف رأيت في كل منها صبياناً يشتغلون هؤُلاء بصناعة النجارة واولئك بصناعة الاحذية وآخرون بتعلم الموسيقى على ضروبها فطربت من نشاط الاساتذة والتلامذة كباراً وصغاراً وخيل لي وانا اشاهد الصبية الصغار عابسين ينفخون في الآلات الموسيقية ذات المزمار ويضربون بارجلهم مع التأثيرات

الموسيقية انهم واقفون ينهضون همم اخوانهم المصريين الى النشاط والعمل قبل ضياع الفرص الثمينة فاغرورقت عيناي بالدموع وحامت بي نفسي على الاماني البعيدة الشاسعة الواسعة فخرجت وانا اناجي نفسي قائلاً هذا اسطول من اساطيل امتي وبلدي نعم هذا اسطول انشأته همة الرجل الفاضل خليل باشا حماده القوة الادبية الفعالة

ثم اخذني حضرة الاستاذ ناظر المدرسة الى بناء آخر عظيم في طريقنا واذا هو بناء جميل يحتوي على المساكن التي تبنيها الجمعية للشيالين كل مسكن منها يتكون من ثلاث غرف صغيرة فقابلت بين هذا البناء الجميل النظيف وبين العشش القذرة التي يسكنها عادة الشيالون فقلت ان فينا الآن من ارتقى من الرفق بالحيوان الى الرفق بالانسان — ثم اخذني الى دار مدرسة التعليم فوجدتها قسمين منفصلين قسماً لتعليم البنات وقسماً للاولاد ومما ادهشني طريقة التعليم فيها وسهولتها حتى اعتقدت من نجابة التلامذة والتلميذات ان هذه المدرسة الحديثة الصغيرة جمعت نخبة المدرسين فقد شاهدت بنات لا يتجاوز سنهنَّ ثماني سنوات يكتبن "باملاء المدرس" كتابة جميلة بلا غلط من قطع نثرية وشعرية ثم يشرحنَ معناها شرحاً بنبئ لاول وهلة عن الطريقة المثلى التي يتبعها المدرسون لسهولة التعليم · وقد علمت من حضرة الناظر ان نظام التدريس في مدرسة الاولاد يقضي عليهم ان يصرفوا يوماً في العلوم وآخر في مدرسة الصناعة وهكذا فانشرح صدري من هذه الطريقة الصائبة التي كانت صورتها تحوم دائماً في مخليتي وأرى وجوب اتباعها كلما رأيت شباناً كثيرين من الذين اتموا دروسهم العلمية يقضون اوقاتهم الثمينة في التماس خدمة صغيرة من خدم الحكومة للقيام بلوازم العيش الضرورية وهم يئنون ويتألمون ولا يجدون في نظرهم وسيلة للعيش الا تلك الخدمة الحقيرة الشاردة عن ابصارهم وامانيهم

ثم رأيت في فسحة المدرسة صورة رجل وجيه متحلٍ بلباس الرتبة الاولى وعلى صدره النياشين الكثيرة فسألت عنهُ فقيل لي هي صورة المرحوم احمد باشا المنشاوي المحسن الشهير الذي تبرع لهذه المدرسة باربع مئة جنيه سنوياً فعجبت من هذا العالم الغريب الشكل والاطوار في نظامهِ وبدعهِ ومن ظهور الباطل على الحق حين رأيت تلك النياشين الباطلة تملأ صدر الرجل وكثير منها خالٍ من المعنى في الحقيقة وليس بينها شيء يشير الى اعظم واجل عمل قام به الرجل في حياتهِ وهو الاحسان العظيم للعلم والادب والانسانية وقلت في نفسي متى تفيق الامة المصرية من نومها وتخرج من الباطل للحق الصحيح فتحلي الاحسان والفضل بوسامات خصوصية تشير الى الاعمال الجليلة التي يقوم بها اهل الفضل ويبقى المجال واسعاً للوسامات الاخرى التي لا معنى لها · وخاطبت في نفسي صورة ذلك المحسن العظيم قائلاً ان وسام احسانك

الخفي عن العيون المحفوظ في قلوب امتك هو اجل وابقى من هذه الوسامات الكثيرة فكفاك بهِ فخرًا وشرفًا وجلالاً . وقد مات الرجل الآن بعد ان ختم حياتهُ بافضل ختام واجلّ ختام وذهبت تلك النياشين بجمالها عن الابصار ولم يبق منها اثر ولكن هناك وهنا الشيء الباقي المخلد لهُ في القلوب وفي بطن التاريخ هو ذكر تلك الاحسانات الكثيرة العميمة التي امتاز بها عن جميع المصريين وفيها الآن معنى تغلُّب الحق على الباطل وبقاء الصحيح وزوال الفاسد

ثم انتقلت من بناء المدرسة الى بناء آخر اجمل مما قبلهُ وهو يحتوي اولاً على مسجد جميل مفروش بالسجاجيد العجمية الفاخرة ليؤدي الشيالون فيهِ فروض العبادة وثانياً اجزخانة لهم وثالثًا على محل معد لعيادة المرضى منهم ورابعًا حمام جميل لهم ايضاً وخامساً قهوة نظيفة لاستراحتهم فيها من عناء العمل وسادساً بناء واسع فيهِ سويقة تجمع لوازمهم فكادت نفسي تطير فرحاً بهذه الاعمال الجليلة الفاضلة التي قامت بها همة رجل عظيم من ذوي النفوس العالية محبي امتهم بل محبي الانسانية — رجل فاضل من رجال الاصلاح في العالم هو قوة ادبية عظمى في وطنهِ بمثلها لا بسواها يشتد ساعد الوطن — هو خليل باشا حماده مؤسس ذلك الاسطول الذي سميتهُ اسطول خليل باشا حماده — هو ذاك الرجل الذي ينطبق عليهِ قول لافاتر (من ادباء القرن الثامن عشر في سويسرا) "ان الرجل العظيم هو صاحب الصفات العظيمة الذي بعد ان يقوم باعمال لم يقم بها واحد من عشرة آلاف ينزوي مختفياً عن اعين المفاخرة والمباهاة لا يدري بهِ احد"

فيا ايها المصريون الى مثل هذا العمل الخطير — الى مثل هذه القوة الحقيقية الفعالة لرفع كلمتكم — الى مثل هذه الاساطيل لا الى سواها يجب ان تنهال اموالكم لتشييدها وتعزيزها لتقوم بها قوتكم الحقيقية على الاساس المتين المكين لا الى القوى الوهمية التي لا رسم لها الاَّ في الخيال — نعم بمثل هذه الاساطيل لا بغيرها يقوم الوطن والامة والمملكة القريبة والبعيدة وبمثل هؤلاء الرجال الشريفي المقاصد والغايات تنهض الامم من خمولها وضعفها الى النشاط والقوة — وعلى مثل المحسن العظيم المرحوم احمد منشاوي باشا يجب ان تبكي العيون ولمثلهِ يجب ان تقام الذكرى ليقوم الحق ويزهق الباطل

اخنوخ فانوس

حكم تنيسن

اللورد تنيسن اشعر شعراء الانكليز الذين نشأوا في القرن الماضي . في منظوماتهِ حكم كثيرة جرت عندهم مجرى الامثال وقد ترجمتُ بعضها في ما يلي مع قليل من التصرُّف ليطلع ابناء العربية على معانيها

يوحنا ورتبات

لا تبحث عن عيوب الناس . واذا عثرت عليها عثوراً فمن الحكمة وكرم الاخلاق ان تتجاهلها وتبحث عما قد يكون وراءها من الفضل

تصفو الحياة او تكدر بحسب ما ننتظر من فرح او ترح

درس الكتب تعب شاق طويل الشقة فاخرج خارج بيتك واسمع تغريد الطيور تلك هي الحكمة

ما الاماني الاَّ نقيطات ندًى تزين اوراق العشب في الصباح او خيوط العناكب تمتد فوق المعابر الضيقة فتخدع

آه امنك ايها الموت على مَ تترك البشر الذي يكره الحياة وتأخذ النفس الجذلة التي تهواها

آه متى يصير الخير العام انموذج الحياة

عش عفيفاً وقُلِ الحق واصلح الخطاء واطع حكم العقل والاَّ فحياتك باطلة

قد يتخذ الانسان من عثراتهِ مراقيَ يرتقي بها الى ما هو اعلى

الرجل الذي تهابهُ الرجال تحبهُ النساء

اكدار الحياة الدنيا دليل على دوام الحياة الاخرى والاَّ فما الدنيا الاَّ ظلام حالك وكل ما فيها تراب ورماد

لم اهمس قط على مسمع هرٍّ او فارة ولا ناجيت نفسي بشيء في خلوتي الاَّ سمعتهُ في الحال ينادى بهِ على السطوح

لا مجد كمجد من يخدم وطنهُ

نسير الى القبر في الخطاء والحزن وهو السبيل الذي سار فيهِ اسلافنا

الحياة خاضعة للموت والحكمة تقضي ان يخضع الانسان للقدَر

هل تجوز النقمة حبًّا بها بعد نيل الارب والحياة معدودة الانفاس

لا ارى الله في خلقهِ كما اراهُ في نفسي والاعتقاد بالله صعب ولكن عدم الاعتقاد بهِ اصعب

اصبر على مقاومة الباطل حتى الموت فلا تخسر خير الحياة

اذا اضطرب القلب والعقل فلا طرب في الاشعار

من اراد الانفراد في امر كان ذلك وبالاً عليهِ

احسنت الاختيار حياة نبيلة المقاصد كثيرة الاصدقاء خالية من الضوضاء

التوبة في الفكر فيجب ان لا تفكر بالآثام التي كانت نفسك تسرُّ بها

القليل يؤلم الجريح

ما من كبير الأ وقال قولاً صغيرًا

مَن لا عدو لهُ لا صديق لهُ

مَن لا يحب المعرفة . مَن يهزأ بجمالها . مَن يضع لها حدًّا . لتنمُ وتفلحْ ولتتسلطْ على الجميع

تشرق الشمس وتغرب مرارًا وتاتي الاعوام بما لا يكون في الحسبان

سقياً لمن احبَّ وقاسى وجاهد في سبيل الحق والانصاف

المحبة كنز ثمين لا يجوز التفريط بذرة منهُ

كن حازمًا جاهد وجدَّ وأجِدْ ولا تستسلمْ

اصوات الاعمال الكريمة سرور للقلوب الكريمة التي لا ترى الأ الظلم

اذا اعتمدت على الكلام في التعبير عن همي وغمي فقد اخطأ لأن الكلام كالطبيعة يكشف نصف الحقيقة ويخفي نصفها

اذا زال الحبُّ لم يعد ابدًا

الطمع كماء البحر زِدْ منهُ شربًا تزد عطشًا

من الامور المقررة ان الرجل يحلم بالشهرة والمرأة تستيقظ للحب

اذا انقضت الحياة فالحكم علينا لله لا للناس

اليك عن الطمع والحرص والعُجب والحسد وانزع جذور الغيظ والخوف واقطع من بيتك لسان النميمة وسد الاذن التي تسمع الغيبة لانها كلها شر على الناس

اذا احببنا حبًّا صادقًا اختلف الشك واليقين . والذي يرتاب في شيء يرتاب في كل شيء

احسن الى الناس ما استطعت ولا تضرَّ احدًا

ستنقلب الدنيا بما يطرأ عليها من الطوارىء الكثيرة فتصير الى ما لا يدخل الآن في الحسبان

فيَّ قوة عشرة من الرجال لان قلبي طاهر

اذا دخل الخوف خرج الصدق

من اطاع الناموس عاش بلا خوف · ومن اتبع الحق لانهُ حقٌ فهو الحكيم ولو لم تحسن العواقب

ليس العبرة بالمواعظ تنشرها على الملإ ولا بالنصح تلقيهِ القاء الرفيع فيكرههُ الوضيع بل بتعزية الحزين ومساعدة المحتاج

للانسان ان يشك اذا دعا الشك الى ظهور الحقائق وانجلائها

الموت يحيي آخر كلام يفوه بهِ الميت ويبقى كنقش الضريح بعد فناء ما فيهِ

ثقْ وارجُ الى المنتهى وعند الله يجتمع الجميعُ

اقبح الكذب ما نصفهُ صدق

اذا كانت الحياة سارَّة فلماذا نسرُّ كلما انقضى عام منها

ما اقسى قلوب الرجال فانهم لا يبلغون مبلغ النساء في ايثارهنَّ

مهما كانت افراحك فهي بزوال النهار زائلة ومهما كانت اتراحك فهي بالنوم ذاوية

من احبَّ عن عقل فكلما زاد حبًّا قلَّ بالحب مجاهرةً (الحب ما منع الكلام الالسنا)

فقد الحبيب اليم لكن حبنا لهُ يزيدنا نظرًا الى ما بعد الموت

هل يضعف العزم بالاتكال على الله

الامَّة كلها جنود في طلب الحرية والدفاع عن الوطن فتفرح اذا غلَبت وتحزن اذا غُلِبَت

اي زمان مثل زماننا مفعم بالوعيد والجنون والاكاذيب

الحب والغيرة توأمان اما الحب فبهج رضيٌّ جميل واما الغيرة فجفاء شمطاء شنعاء لكنهما توأمان وسيظلاَّن كذلك

اشد الناس حبًّا لوطنهم اشدهم حبًّا للغرباء عنهُ

اذا كان لا بدَّ من اصلاح انفسنا فالاسراع واجب لان الحياة قصيرة ومجالها ضيق

اذا لم نحاول ان نعلي انفسنا عن حالتها الطبيعية فقد نُسرُّ سرور النحل يجني العسل من الازهار

اياك والعُجب والافتخار بالمقام والنسب واياك والنميمة والحقد ودونك حب الصدق والحق وكل ما فيهِ خير

الايمان يرى الخير من خلال الشر كما يعلم ان الشمس باقية ولو غابت ويستروح الصيف من براعم الشتاء

الذين تعدهم امواتًا انما هم احياء وحياتهم افضل وغرضها أسمى

مُتْ في سبيل صالح فتُبكى وتكرَم

غردون باشا

عن مجلة الشرق والغرب بالمجاز

قلما نعرف عن طفولية غردون وحداثتهِ سوى انهُ كان ذا مزاج حادٍ يأبى الاقامة على الضيم وفيهِ ميل الى الغيظ والعناد. هذا مجمل صفاتهِ الطبيعية قبلما محّصت اخلاقهُ القوة الالهية وحياة الايمان الجديد وحركتاه الى العمل الصالح . ويظهر ان هذا التغيير العظيم طرأ عليهِ في السنة ٢١ من عمرهِ بعد ما خرج من المدرسة الحربية



واذا التفتنا الى تاريخهِ رأيناهُ في حرب القرم مشهورًا ببسالتهِ الفائقة كأنَّ حياتهُ كانت محروسة بعناية الهية اذ كان لا يبالي مطلقًا بالخطر والموت . ويؤخذ مما كتبهُ بعد ذلك انهُ كان دائمًا يتمنى الموت واستمرَّ هكذا الى آخر حياتهِ . هذا واعتقادهُ الثابت بان الله يدبرُ كل الامور وان الانسان قد يأمن الردى في ساحة الوغى كما في غرفة النوم كانا سبب عدم مبالاتهِ

بالخطر وهذه الشجاعة عينها أظهرها في الصين حيث لم يحمل سيفاً ولا طبنجة ولم يكن معهُ سوى عصا يتوكأُ عليها وبها كان يقف في ثغرة جدارٍ حملت عليهِ الجنود وينجو بدون ان تمسهُ نار الاعداء بضرر حتى اعتقد بعض الصينيين بان هذه العصا هي السحر المبين



تمثال غردون باشا في الخرطوم

وقد اظهر شجاعة اعظم في السودان . فمن ذلك انهُ لما ثار نخاسو دارفور تحت قيادة سليمان ابن الزبير باشا ركب هجينهُ وذهب بنفسهِ الى معسكرهم بدون ان يرافقهُ أحد من الجنود وطلب منهم الخضوع في الحال ولبث في خيمتهِ يومين شامخاً عليهم حتى اتوا الى الخيمة وسلموا صاغرين . لان هذا العمل الغريب هال اولئك النخاسين فلم يجسروا ان يهاجموا رجلاً رأوهُ مؤيداً بقوة من العلى . ولا حاجة الى ذكر شجاعتهِ في حصار الخرطوم خصوصاً انهُ اعترف بان ما شعر بهِ حينئذٍ من الخوف لم يكن على نفسهِ بل على سلامة المدينة

ولم يكن يبالي بمدح الناس او ذمهم فانهُ عند نهاية اعمالهِ المجيدة في الصين وتخليصهِ تلك

الامبراطورية بدرايتهِ وشجاعتهِ الخارقتين اجزل لهُ امبراطورها الجزاء واثابهُ بالمال والنياشين ولكن غردون رفض قبول ذلك كلهِ ما عدا نيشاناً ذهبياً تذكاراً لتلك الحملة الحربية

وبعد ما رجع الى انكلترا حصلت مجاعة في احدى مقاطعات انكلترا على اثر ازمة تجارية نشأت عن حرب اميركا ومات بها كثيرون جوعاً فسمع غردون بها واذ لم يكن عندهُ نقود لمساعدة المنكودي الحظ اخذ النيشان المذكور ومحا المكتوب عليهِ وارسلهُ اليهم بدون ان يذكر اسمهُ وقال بعدئذٍ ان السرور الناشيء عن ايثار الغير على النفس كان احسن عوض عن خسارة ذلك النيشان حتى ذهبت هذه الجملة " اعطِ نيشانك " مثلاً عندهُ ومعناها قدم ما هو كريم في عينيك لله او للآخرين تجازَ بمثلهِ مئة ضعف

ولم يكن يعتقد انهُ عمل عمل الابطال في الخرطوم وقال في عرض الكلام على ما قاساهُ واحتملهُ ما يأتي : " ان الممرضة التي تمرض نافهاً سيء الخلق تقاسي اكثر مما قاسى حامي حمى الخرطوم " وقال " تعب الغسالة قد يكون اشد من تعبي " . ولم يحاول في رسائلهِ وصف ما كان يقاسيهِ بعبارات مهيجة بل كان يقتصر على قولهِ " استودعك الله قد عملت ما في طوقي تشريفاً لوطني " وذلك لانهُ لم يكن يرى الاشياء بالعين التي كان يراها بها الآخرون فكان اعتبارها في عينيهِ مخالفاً لاعتبار اولئك . فمن عادة المرء ان يعدَّ دعوة مجلس النظار لهُ الى الطعام شرفاً عظيماً و يعتبر ذلك اليوم اسعد ايام حياتهِ ولكن غردون قال في هذا الصدد ما يأتي . " انني افضل تناول الشاي عند مدبرة بيتي الشمطاء اذا كان ذلك يسرها على تناول الطعام بدعوة مجلس النظار " . وهو يرى ان الاعمال الاعتيادية التي لا يُلتفت اليها يمكن ان تفضل ادبياً على الاعمال الجليلة المشهورة وقال " ان كلمة لطف لكناس قد تكون اشرف واجل من الانتصار في معركة عظيمة لان العمل الاول ينظر اليهِ في السماء والثاني يمكن ان ينسى هناك " . وسرّ هذا انهُ كان يعمل دائماً على الارض حسب الاقيسة والقوانين السماوية ولذلك اتخذ هذه القاعدة قياساً لهُ في حياتهِ . وعند ذهابهِ الى جنوب افريقية كتب الى شقيقتهِ بينما كان اسمهُ موضوع حديث كل فردٍ والجرائد ملأى باطرائهِ او ذمهِ ما يأتي

" انني اهتممت بصبي فقير بكى اذ اخبرتهُ بحلول الله فيهِ اكثر من اهتمامي بصيحة الجرائد وحديث القوم " . وعاش عيشة المؤمنين كأنهُ يرى الاشياء غير المنظورة لانهُ تحقق ان العالم ومجدهُ زائلان وان الذي يفعل ارادة الله هو الذي يحيا الى الابد . لذلك قضى حياتهُ في سبيل رضى الله سبحانهُ فكان من المقرَّبين

الاستاذ بكرل



لرجال الحرب والسياسة ورجال المال والاعمال شأن عظيم ومقام رفيع وقد يكون لهم نفع كبير لكن النفع الذي نالهُ نوع الانسان من رجال العلم اكبر واعم ولو لم يعظم الناس شأنهم ويرفعوا مقامهم . وقد تكون مكتشفات العلماء قريبة الفائدة ينتفع بها الناس حالاً نفعاً كبيراً كالآلة البخارية والتلغراف والتلفون وقد تكون وسيلة وسلماً يرتقى بهِ الى المنافع بعد مرور الاعوام الكثيرة كاكتشاف قواعد القطوع المخروطية التي مرَّ عليها نحو الفي سنة قبلما استعملت في شيء عملي . ومن هذا القبيل اكتشاف الراديوم فانهُ قد تمرُّ اعوام كثيرة قبلما يستعمل في شيء نافع

ومن العلماء الذين اشتغلوا في هذا الاكتشاف الاستاذ هنري بكرل فانهُ شرع في البحث عن المواد المنيرة او الفصفورية بُعَيْد ما اكتشف الاستاذ رنتجن الاشعة المنسوبة اليهِ فسميت الاشعة المنبعثة من تلك الاجسام باشعة بكرل

وهو من بيت علم وفضل ابوهُ وجدهُ من كبار علماء الطبيعة وهو الآن استاذ للعلوم الطبيعية . ولد سنة ١٨٥٢ ودخل مدرسة العلوم الصناعية وعمرهُ عشرون سنة ثم مدرسة السكك والجسور والهندسة المدنية فصار مهندساً ولكن ميلهُ الطبيعي كان الى العلوم المحضة وارثاً ذلك عن ابيهِ وجدهِ . وجُعل عضواً في اكادمية العلوم منذ سنة ١٨٨٩ واستاذاً في مدرسة العلوم الصناعية سنة ١٨٩٥ . قال بعضهم وقد انتدبتهُ جريدة السينتفك اميركان لمشاهدتهِ واستطلاع آرائهِ ما خلاصتهُ

زرتهُ في بيتهِ وهو في حي من الاحياء التي يسكنها خاصة اهالي باريز قرب قوس النصر ولما دخلت البيت ادهشني ما فيهِ من حسن الصناعة وفاخر الرياش ولاسيما الصور الثمينة التي ورثها عن ابيهِ وجدهِ . وهو من المغرمين بالصور والتماثيل وكل الاثار الصناعية يعدها تسلية يتسلى بها حينما يتعب من اشغالهِ العلمية

وهو ربعة بين الرجال صبيح الوجه تدلُّ امارات وجههِ على ما في نفسهِ فصيح العبارة كلامهُ منتقى الالفاظ شأن كثيرين من رجال العلم والفضل

يشتغل في معملهِ العلمي شغلاً منتظماً يتابعهُ يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر على نسق معلوم حتى لقد يستطيع ان يخبرك اليوم في اي موضوع من المواضيع العلمية سيبحث بعد سنة من الزمان . ثم ان شغلهُ هذا على ما فيهِ من الانتظام واتباع خطَّةٍ واحدة متصل بالشغل الذي جرى عليهِ ابوهُ وجدهُ من قبلهِ فكأَن الثلاثة جروا في خطَّةٍ واحدة نحو غاية واحدة تتفرَّع وتتشعب ولكنها لا تحيد عن سبيل العلم . وهو قد اشتغل في كل فرع من فروع العلوم الطبيعيَّة لكن شغلهُ الاهم في البحث عن الاشعة المنيرة التي درسها ابوهُ قبلهُ وحاول جدهُ كشف غوامضها قبلهما وهذا من المزايا التي تمتاز بها اشغال بكرل العلمية

وكانت بداءة البحث في الامر الذي كشفهُ فاراداي وهو علاقة المغنطيسيَّة الكهربائية بالنور فاثبت ان بينهما علاقة ثابتة سواءٌ كانت الاجسام جامدة او سائلة او غازية حتى صارت مغنطيسيَّة الارض تقاس بواسطة النور

ومن اهم الفروع التي اشتغل بها درس الاشعة التي تحت الجزء الاحمر من اجزاء الطيف مقتفياً خطوات والدهِ الذي اكتشف انها تجعل بعض الاجسام تنير مع انها هي نفسها غير منيرة . وهنا جرثومة البحث عن الاجسام المنيرة فقد وجد انهُ اذا وقعت الجمرة بعض المعادن على سطح قابل للاستنارة ظهرت فيها اشعة لم تكن ظاهرة

وبحث ايضاً عن امتصاص الاجسام للنور واستعمل مركبات الاورانيوم فاكتشف اموراً كثيرة ذات شأن كبير وفي جملتها ان العناصر التي تتركب منها بلورة من البلورات يؤثر كلٌّ منها تأثيراً خاصا بالحل الطيفي فيمكن ان تعرف ماهيتها من غير حلّ البلورة ونال على هذا الاكتشاف العضوية في اكادمية العلوم

واكتشف قوة الاشعاع في املاح الاورانيوم وابلغها اكادمية العلوم سنة ١٨٩٦ لكنهُ لم يشأْ نشر ذلك في اعمالها حينئذٍ . ومن المقرر الآن ان اكتشاف المسيو كوري وزوجتهِ على ما فيهِ من الابتكار بُني على مكتشافات الاستاذ بكرل ومباحثهِ في الاورانيوم

السرعة في الماء

ابتدأ الانسان الملاحة او ركوب الانهار والبحار في اطواف من جذوع الاشجار يشدها بعضها الى بعض بحبال من الجذور والاغصان . ثم جعل يجوّف الجذوع الكبيرة بالنار و يصنع منها قوارب يركبها ويركب الماء بها . ومن البيّن انهُ اذا جوّف جذع شجرة ووضع في الماء والقسم المجوف منهُ الى الاعلى طفا عليهِ ولاسيما اذا تُرك القسم الاسفل الغائص في الماء سميكاً ثقيلاً ورُقق الجانبان حتى خفّا . على هذا الاسلوب كان القدماء يصنعون زوارقهم ولا يزال بعض المتوحشين يصنعونها كذلك حتى الآن . واتصل بعضهم حيث لا توجد جذوع كبيرة من الاشجار الى عمل الارماث وربط قطعة ثقيلة من الخشب بها دقيقة من طرفيها لاجل حفظ الموازنة . وقد صنع بعضهم زورقاً على هذا الاسلوب ونصب لهُ شراعاً فسار بسرعة فائقة جدًّا وطاف بهِ حول احدى البواخر وهي مجدّة في سيرها . ووُضع هذا الزورق بين اليخوت السريعة وقت سباقها فسبقها كلها وسبق الزوارق البخارية ايضاً

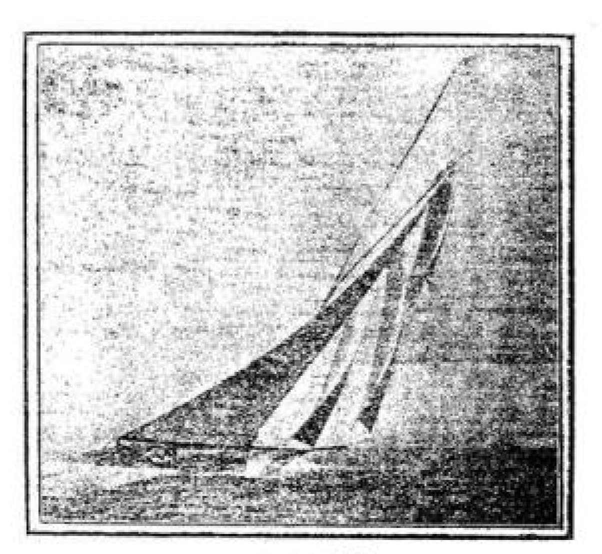
وكان القدماء يعتمدون على المجاذيف ويقيدون الاسرى والعبيد لكي يجذفوا بها وكان في السفينة من سفنهم الكبيرة ثلاثة صفوف من المجاذيف الواحد فوق الآخر على كل جانب من جانبي السفينة و بين كل صفين متقابلين لوح يمشي عليهِ الرقيب والسوط في يدهِ يشير بهِ الى العبيد لكي يجذفوا تجذيفاً منتظماً ويجلد بهِ من يتأخر او يتهامل . والعبيد عراة يكسوهم عرقهم وآثار السياط على ابدانهم . الاَّ ان سرعة تلك السفن لم تكن اكثر من اربعة اميال في الساعة ولا كان الاعتماد على العبيد في سيرها دائماً بل كانت تعتمد على الشراع والريح اذا كانت الريح موافقة

والسفن الشراعية من اسرع السفن ولذلك اعتمد عليها اهالي تونس والجزائر والمغرب الاقصى في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر وصنعوا سفناً شراعية تسابق الرياح وجعلوا يترصّدون بها سفن التجار و يأسرون من فيها و ينهبونها . ورسخ في عقول الاوربيين انهُ يستحيل على سفنهم النجاة منها فجعل ملوكهم يدفعون الجزية لاصحابها لكي يخلصوا من شرهم كما تدفع مصر الجزية الآن لعرب البادية لكي لا يوقعوا بالحجاج

ولما استتبّ الاستقلال للولايات المتحدة الاميركية ومخرت سفنها التجارية بحر الروم طُلبت الجزية منها ولم يكن الاميركيون يعلمون ما قاساهُ الاوربيون من سفن القرصان فابوا دفع الجزية لهم وهاجمت سفنهم سفينة حربية اميركية فقابلتها السفينة الاميركية بالقنابل وحطمتها تحطيماً

واقنعت ذويها ان قوة جديدة دخلت البحار لا تقاويها قوة القرصان

وفاق الاميركيون مَن سواهم في بناء السفن الشراعية لانهم جعلوا جوانبها محدبة على اسلوب علمي حتى تقل مقاومة الماء لها في سيرها ولا تزال سفنهم الشراعية كثيرة الاستعمال حتى الآن مع كثرة الاعتماد على السفن البخارية فان عندهم نحو الفين وست مئة سفينة شراعية كبيرة محمولها اكثر من مليون وثماني مئة الف طن ولا يدانيهم في ذلك الأ انكلترا فان عندها ١٦٢٢ سفينة شراعية محمولها نحو الف وخمس مئة طن. وسفن اميركا البخارية ١٢١٤ سفينة محمولها اقل من مليونين وربع فتكاد سفنها الشراعية توازي سفنها البخارية في محمولها ولو زادت عليها في عددها



الشكل الاول

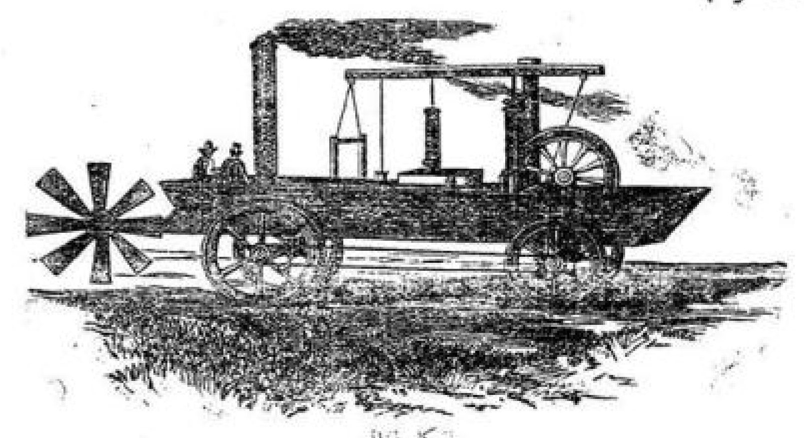
وقد بلغت السرعة في يخوت السباق خمسة عشر ميلاً في الساعة لكن هذه اليخوت كبيرة الشراع جدًّا كما ترى في الشكل الاول فلا يتيسر بناء سفن كبيرة على نسقها ولولا اكتشاف الآلة البخارية واستخدامها في تسيير السفن بدل الريح ما بلغ سفر البحر ما بلغهُ الآن من السرعة والانتظام

اما السفن البخارية فكانت في اول الامر بطيئة السير جدًّا لا يزيد ضغط البخار فيها على اثني عشرة ليبرة للعقدة المربعة . واول سفينة بخارية منها سفينة افانس التي ترى صورتها في الشكل الثاني وكانت تسير في البر والنهر معاً ثم زادت الآلات البخارية قوةً واتقاناً والسفن

البخارية كبيرًا وسرعة الى ان صار ضغط البخار مئة ليبرة علي العقدة المربعة وصارت السفن البخارية تقطع من اوربا الى اميركا في ثمانية ايام

ثم زيدت قوة الآلة البخارية حتى بلغ ضغط بخارها ١٥٠ ليبرة على العقدة المربعة٠ وبلغ محمول بعض البواخر عشرين الف طن وقوة الآتها البخارية اربعين الف حصان وصار يقطع المسافة بين اوربا واميركا في خمسة ايام وساعات قليلة ولو بلغت سرعتهُ سرعة السكك الحديدية لقطع هذه المسافة في اقل من يومين فعلى مَ لا تزداد سرعتهُ كذلك . وقد سأل السر حيرام مكسيم هذا السؤال واجاب عنهُ بما يأتي

انهُ اذا كانت سرعة سفينة بخارية عشرين ميلاً في الساعة وكانت قوة آلتها البخارية الكافية لتسييرها بهذه السرعة عشرين الف حصان فيلزم لها آلة بخارية قوتها مئة وستون الف حصان لتصير سرعتها اربعين ميلاً في الساعة اي يلزم ان تزيد قوة آلتها البخارية ثمانية اضعاف حتى تتضاعف سرعتها



الشكل الثاني

وذلك لانهُ اذا تضاعفت سرعة السفينة اضطرت ان تلطم من الماء مضاعف ما كانت تلطمهُ وتزيحهُ من طريقها وان تلطم كل قنطار منهُ بمضاعف القوة التي كانت تلطمهُ بها قبلاً فلا تسير بمضاعف السرعة ما لم تصر قوة آلاتها البخارية اربعة اضعاف ما كانت ويجب ان تصدر منها هذه القوة في نصف الوقت الذي كانت تصدر فيهِ اولاً اي يجب ان تصير قوتها الحقيقية ثمانية اضعاف ما كانت لكي تتضاعف سرعتها في وقت معلوم ٠ ولذلك فاذا كانت الآلة التي قوتها عشرون الف حصان تكفي لجعل السفينة تقطع المسافة بين اوربا واميركا في ستة ايام فالآلة التي تكفي لجعل السفينة تقطع هذه المسافة في ثلاثة ايام فقط يجب ان

تكون قوتها ثمانية اضعاف ذلك او مئة وستين الف حصان ولا اشكال في فهم ذلك.

ثم ان هناك امرًا آخر وهو ان سرعة السفن العادية في الماء محدودة بالنسبة الى طولها فالسفينة التي طولها اربع مئة قدم قد تبلغ سرعتها عشرين ميلاً بحريًا في الساعة ولا يمكن ان تزيد على ذلك والسفينة التي طولها مئة قدم قد تبلغ سرعتها عشرة اميال بحرية في الساعة ولا تزيد على ذلك اي ان منتهى السرعة اميالاً بحرية هو كالجذر المالي من الطول اقدامًا وذلك لان السفينة تشق البحر وتدفع الماء من مجراها فاذا زادت سرعتها جدًّا اضطرّ مؤخرها ان يقع في خليج عميق لان المدَّة لا تكون كافية لرجوع المياه التي دفعها مقدمها ولكن هذا يصدق على السفن التي لها شكل عادي فاذا اختلف شكلها عن الشكل العادي امكن ابلاغ سرعتها الى ابعد من هذا الحد وذلك برفع مقدمها وجعلهِ كصدر البطة حتى لا يشق الماء ولا يدفعهُ الى الجانبين بل الى الاسفل فلا يعود مؤخرها يغوص في خليج مفتوح امامهُ ولذلك لا يبعد ان تبلغ سرعتها حينئذٍ اربعين ميلاً في الساعة اذا وضعت فيها آلات بخارية كافية

وغاية ما وصلت اليهِ سرعة السفن الحربية الآن ثلاثة وعشرون ميلاً بحريًا او اربعة وعشرون ميلاً للطرادات وستة وعشرون ميلاً لسفن الاستطلاع . اما سفن التربين التي شاع ذكرها في العام الماضي فالزوارق الصغيرة منها تزيد سرعتها على ثلاثين ميلاً في الساعة واما الكبيرة فغاية ما بلغتهُ ٢٢ ميلاً بحريًا او نحو ٢٥ ميلاً اعتياديًا

باب الزراعة

زرع الغابات في القطر المصري

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للمستر جورج بونابرت من اساتذة المدرسة الزراعية الخديوية نشرتها مجلة الجمعية الزراعية قال فيها ما خلاصتهُ

ان الاراضي الزراعية لا تغرس فيها الاشجار التي تزرع لاجل خشبها لان ايراد زراعة القطن والحبوب وما اشبه اوفر من ايراد الاشجار ولان اقليم مصر لا يلائم زرع الاشجار التي يؤخذ الخشب منها عادة كالصنوبر والشربين لانهُ حارٌّ جاف ولذلك قلما تجد اشجارًا من اشجار الخشب في هذا القطر . غير ان فيهِ كثيرًا من الاراضي التي يمكن غرس الغابات فيها ولو لم

يغرس فيها اشجار مما خشبهُ ثمين يصلح للبناء ولعمل الخزائن والموائد وما اشبه

واكثر الخشب الذي يرد الى القطر المصري لاجل البناء يؤتى بهِ من اسوج وروسيا وتركيا والذي يرد لاجل عمل الاثاث الثمين يؤتى بهِ من املاك انكلترا في الشرق . اما الحطب فيؤتى باكثرهِ من تركيا

واكثر الخشب الوارد الى القطر المصري من الشربين والصنوبر ولهُ انواع تعرف هنا باسم خشب السويد والموسكي واللاتزانه والورقه والبندق موسكي والبندق تقليد وهلمَّ جرًّا . ويرد ايضاً خشب السنديان والزان والجوز والتيك والموغوني . واستعمال الموغوني قليل جدًّا لغلاء ثمنهِ . وخشب الابنوس وهو غالٍ وقليل الاستعمال او لا يستعمل الاَّ للتطعيم مع العاج

واشهر الاشجار التي تزرع في مصر لاجل خشبها ما يأتي

السنط والاثل واللبخ والتوت البلدي والجميز

اما ❁ السنط ❁ واسمهُ العلمي (Acacia arabica) فاشجار معتدلة الحجم او كبيرة كثيرة الفروع والشوك تتعرَّى من اوراقها . لحاؤها اسمر قاتم خشن وخشبها صلب الجزء الخارجي منهُ ثخين ضارب الى البياض والداخلي قاتم اللون ايضاً ولكنهُ يسمرُّ اذا عُرِّض للهواء وهو مبقع بخطوط عرضية سمراء والخطوط الشعاعية فيهِ كثيرة قصيرة غير منتظمة في ابعادها بعضها عن بعض ومسامهُ معتدلة في حجمها وقد تكون كبيرة . وهو اهم الاشجار التي تزرع لاجل خشبها في القطر المصري وتراهُ منتشرًا في البلاد كلها ولاسيما في الاماكن الجافة وخشبهُ صلب واذا جُفِّف جيدًا فهو طويل الاقامة والاَّ مال الى التشقق

ويستعمل قشرهُ وبزرهُ في الدباغة ولاسيما البزر وهو القرظ المعروف وفيهِ كثير من التنين او المادة العفصيَّة المستعملة في الدباغة والصباغة ويستعملها الوطنيون في الطب قابضاً . ويزهر السنط في شهري يونيو ويوليو وهو من فصيلة الاشجار التي يخرج منها الصمغ العربي ويخرج منهُ صمغ يشبهُ الصمغ العربي

ويصلح السنط لمسك الرمال عن الانهيال ويزرع حول الاراضي الزراعيَّة سياجًا لها

ولا يستعمل خشبهُ في البناء وعمل الاثاث بل في الاعمال الزراعيَّة ويفضَّل فيها على غيرهِ من انواع الخشب حينما يراد ان تطول اقامتهُ . ويستعمل بكثرة في بناء المراكب وفي الوقود وعمل الفحم وفحمهُ اجود انواع الفحم البلدي . ويزرع من البزر

❁ والاثل او العبل ❁ (Tomarix articulata) شجر معتدل الحجم او كبيرهُ وقشر سوقهِ ضارب الى السمرة خشن فيهِ شقوق قصيرة غير منتظمة وخشبهُ ابيض فيهِ صلابة وحلقاتهُ

السنوية غير ظاهرة جدًّا . ومسامهُ قليلة معتدلة الحجم مجتمعة او منفردة وخطوطهُ الشعاعية قصيرة عريضة جدًّا تظهر واضحة اذا قُطع قطعًا عرضيًّا ويصير بها لون الخشب فضيًّا جميلاً

والاثل اهم الاشجار التي تزرع من الاراضي الجافة القاحلة ويكثر في الارض الزراعية وينمو جيدًّا في الاراضي الرملية او الملحية واذا تأصل في الارض لم يعد يحتاج الأ الى قليل من الماء . وينمو من البزور بسهولة ومن الاغصان اذا قطعت وزرعت في الارض ويبلغ احيانًا ارتفاعًا عظيمًا ويكون شكلهُ مثل شكل الصنوبر ويتولّد على فروعهِ احيانًا كثيرة مادة ملحية تقع على الارض فتجعلها قلوية قاحلة . ويتولّد على اغصانهِ احيانًا ثآليل مستديرة عفصيَّة مسببة عن ثقب حشرة صغيرة ويسميها الاهالي عفصًا ويستعملونها لتثبيت الالوان في الصباغة والدباغة وكقابض في الطب حيث يستعمل العفص او التنين

وخشب الاثل كثير الاستعمال ولعلَّهُ اجود الاخشاب المصرية فانهُ ارخص من خشب السنط وتصنع منهُ المحاريث والسواقي ونحوها من ادوات الزراعة . ويحرق حطبًا ويصنع منهُ الفحم وفحمهُ دون فحم السنط

﴿ واللبخ ﴾ (Albizzia Lebbek) شجر كبير يعلو كثيرًا قشرهُ الخارجي مصفرٌّ والداخلي مسمرٌّ محمرٌّ خشن فيهِ شقوق كثيرة غير منتظمة . وخشبهُ صلب والخارجي منهُ ابيض او اصفر والداخلي اسمر قاتم صلب جدًّا لمَّاع فيهِ خطوط اقتم او اقتم من غيرها

ومسامهُ قليلة ولكنها واسعة وهي في حلقات منحرفة شعاعية تظهر واضحة اذا شُقَّ الخشب طولاً وخطوطهُ الشعاعية جميلة بعيدة بعضها عن بعض لا يظهر لها لمعان فضي

واللبخ من اشهر الاشجار المصرية ومن اصلحها للغرس على جوانب الطرق ومنظرهُ جميل لاسيما اذا كان مزهرًا

وهو سريع النمو ويجود في كل الاراضي ويسقط ورقهُ كل سنة ولكنهُ يبقى على الشجرة زمانًا طويلاً اذا كانت في مكان يقيها من عصف الرياح . وتظهر اوراقهُ الجديدة في شهر مايو ويتلوها ظهور ازهارهِ ويزهر مرةً ثانية في شهر اغسطس . وينمو من البزور ومن الاغصان التي تقطع وتزرع

ونموهُ سريع ولا سيما في السنة الاولى من زرعهِ ولا بدَّ من الاعتناء بتقليمهِ وتسنيدهِ اذا زرع على جانبي الطريق لكي يكون منظرهُ جميلاً

ويختلف خشبهُ كثيرًا في ثقلهِ ومتانتهِ وهو يقبل التجفيف والصقل جيدًا واقامتهُ غير قصيرة

ويكثر استعماله في الزراعة لعمل الادوات الزراعية ويمكن عمل الاثاث من خشبهِ الداخلي وتأكل المواشي ورقهُ وبزوره وهو علف مغذٍ لها

وينخر خشبهُ نوع من الدود فيتلفهُ

﴿والتوت البلدي﴾ (Morus alba) شجر معتدل الحجم قشره مصفرٌ مسمرٌ خشن وخشبهُ صلب الخارجي منهُ ابيض والداخلي اسمر مصفرٌ ويكمد لونهُ مع الزمن وفي حلقاته السنوية منطقة كبيرة المسام . والمسام في بقية الخشب قليلة وصغيرة · والخطوط الشعاعية كثيرة دقيقة ثم تعرض ويصير بها الخشب لماعاً

ويكثر زرع التوت في مديرية الشرقية حيث يستعمل لتربية دود الحرير . وورقهُ علف جيد للمواشي وهو مغذٍ ومدر للبن · وخشبهُ جيد قابل للتجفيف والصقل ثقيل صالح للآلات الزراعية والسواقي وهو صلب طويل الاقامة. يورق في شهر مارس وينضج توتهُ في مايو ويونيو ويزرع من البزر

﴿الجميز﴾ (Ficus sycomorus) شجر كبير كثير الاتساع تمتد اغصانهُ كثيراً وتغلظ ساقهُ ولحاؤه رمادي مخضر مالس تتولد فيهِ قشور وخشبهُ ابيض لين خفيف ومسامهُ كبيرة قليلة العدد غير منتظمة في انتشارها وخطوطهُ الشعاعية قصيرة وهو كثير في كل جهات القطر ويكثر زرعه قرب القرى والكفور وحول السواقي لاجل ظلهِ وثمرهِ · وثمره كالتين وينمو على الجذع والفروع الكبيرة وهو حلو فيهِ طعم عطري ويسرع نضجهُ اذا شُقَّ رأس الثمرة بسكين ويسلم حينئذٍ من تولد حشرة تعيش فيهِ. والغالب ان الثمر يظهر ثلاث مرات في السنة الواحدة

ولا قيمة كبيرة لخشبهِ لانهُ لا يجف جيداً واذا جفَّ انكمش لكنهُ يستعمل بكثرة لعمل الدلاء لان الماء لا يتلفهُ

وفي القطر اشجار اخرى تتلو ما تقدم ذكره في نفعها وهي

(١) الصفصاف (Salix safsaf) وخشبهُ ابيض لين مسامي يزرع من الاغصان تقطع وتغرس فتفرخ وتنمو

(٢) الحور البلدي (Populus alba) وخشبهُ ابيض لين مسامي ويزرع من الاغصان ايضاً

(٣) الشنار (الدلب) (Platanus orientalis) يشبه الحور خشب الاشجار الصغيرة ابيض مصفر وخشب الاشجار الكبيرة اسمر لماع معتدل الصلابة يمكن صقله ويسهل شغله ويزرع من الاغصان

(٤) النبق (Zisyphus spina christi) شجر معتدل الحجم شائك خشبهُ صلب ابيض محمر يزرع من البزر

(٥) الروبينيا (Robinia pseudacacia) وهو نوع من السنط زهرهُ عناقيد بيضاء وخشبهُ صلب الخارجي منهُ ابيض مصفر والداخلي اسمر مصفر وهو جيد طويل الاقامة جدًّا و يزرع من البزر

(٦) الزنزلخت او الازدرخت (Melia Azedarach) خشبهُ لين جميل يصقل جيدًا الخارجي منهُ ابيض مصفر والداخلي احمر مسمر و يزرع من البزر

(٧) خيار شمبر (Cassia fistula) شجر معتدل الحجم والغالب ان يكون كبيرًا خشبهُ صلب جدًّا ثقيل لكنهُ سريع الكسر والشق و يزرع من البزر

(٨) الصنوبر (Pinus halepensis) خشبهُ قطراني صلابتهُ غير واحدة في كل اجزائهِ مؤلف من طبقات متوالية واحدة بيضاء لينة وواحدة سمراء صلبة على التوالي . و يزرع من البزر

(٩) المخيط (Cordia mixa) شجرة معتدلة الحجم خشبها اسمر رمادي معتدل الصلابة تزرع من البزر

(١٠) السرو (Cupressus sempervirens) شجرة طويلة دائمة الخضرة خشبها اسمر صلب محشوك تزرع من البزر

(١١) الكافور (Eucalyptus) لهُ انواع كثيرة اشهرها ثلاثة وكلهُ اشجار عالية صلبة الخشب . خشبها يدوم طويلاً جدًّا ويقبل الصقال . ويزرع من البزر

(١٢) الجرفيليا (Grevillea robuita) شجرة معتدلة الحجم عالية خشبها صلب اسمر محمرّ وتزرع من البزر

(١٣) السرسو (Dalbergia Sissoo) شجرة صلبة الخشب جدًّا الخارجي منهُ ضيق ابيض والداخلي اسمر فيهِ خطوط طويلة اشد منهُ سمرةً و يزرع من البزر وهو يحتمل العطش الشديد ويحتمل ايضًا ان يغمر بالماء وخشبهُ من اجود انواع الخشب لكن ساقهُ قلما تكون مستوية . وهو جدير بان يكثر غرسهُ في هذا القطر

(١٤) الكازورينا (Casuarina equisetifolia) شجرة كبيرة دائمة الخضرة خشبها اسمر محمر صلب جدًّا ثقيل يصعب نشرهُ وشغلهُ قابل للتشقق يزرع من البزر وهو جدير ايضًا بان يزرع بكثرة لانهُ ينمو سريعًا وخشبهُ من اجود ما يكون ويسهل نموهُ على

الرمال المتاخمة للبحر وقد زرعت شركة قنال السويس مقداراً كبيراً منهُ قرب الاسمعلية

﴿ تجفيف الخشب ﴾ ان العصارة التي في الخشب هي سبب بلاه ولذلك تقطع الاشجار في فصل الشتاء حين تكون عصارتها على اقلها. واذا قطع الشجر لا بدَّ من تجفيفهِ قبل استعمالهِ والغرض من التجفيف اخراج العصارة منهُ وتقليل حجمهِ ما امكن حتى لا يتقلص بعد ذلك فيتشقق

والطريقة العادية لتجفيف الخشب ان يوضع في مكان جاف حيث يتحرك الهواء حولهُ بسهولة . ويوصل الى النتيجة المطلوبة اذا وُضع الخشب في الماء مرة ثم وضع في الهواء ولاسيما اذا كان الماء جارياً لان الماء يذيب المواد الزلالية التي في الخشب وينزعها منهُ فيصير اصلح لمقاومة البلى لكن الماء لا يزيل كل المواد الالبيومينية التي تبلي الخشب

تفاح بغير بزر

التفاح من الذ انواع الفاكهة ولا سيما اذا كان صادق الحلاوة كثير النكهة التفاحيَّة المعلومة . وقد تفنن ارباب الزراعة في توليد انواع مختلفة منهُ ولا سيما في اوربا واميركا . رأينا في بستان واحد قرب جنيفا اكثر من عشرين نوعاً منهُ تختلف شكلاً وحجماً ولوناً وطعماً . ولا يزال ارباب الزراعة يهتمون بتنويعهِ حتى توصلوا الى نوع لا بزر لهُ كما توصلوا قبلاً الى تنويع البرتقال وتوليد نوع جديد منهُ خالٍ من البزر

والذي ولَّد التفاح الخالي من البزر فلاح من المعتنين بتربية اشجار الفاكهة ظلَّ اثنتي عشرة سنة يجرب ويمتحن الى ان توصَّل الى هذا التفاح فولَّد اولاً شجرة لا تزهر بل تتولد على فروعها المدقات التي تكبر وتصير تفاحاً مع قليل من اللقاح . اي انهُ اعاد الثمر الى حالهِ الاصلية ورقاً او غصناً . فترى الشجرة قائمة في فصل الازهار عارية من الزهر ليس عليها الاَّ البراعم التي يتولَّد التفاح منها وحولها ورق صغير يقيها من الرياح الباردة

والتفاح الذي يتولَّد من هذه البراعم لا يكون في اعلاهُ مخبأ لبيض الدود كالتفاح العادي فلا يسطو الدود عليهِ كما يسطو على التفاح العادي وهو يتلف منهُ في اوربا واميركا ما قيمتهُ خمسة ملايين من الجنيهات في السنة الواحدة

ولون التفاح الجديد احمر مرقط برقط صفراء والاشجار التي تثمر لا تزهر ولا تثمر تفاحاً غيرهُ الاَّ اذا كانت مزروعة بين اشجار التفاح العادية واغصان النوع الواحد مشتبكة باغصان النوع الآخر فان التفاح الخالي من البزر يتولد في بعضهِ حينئذٍ بزرتان او ثلاث ولكنها لا تكون

في قلب التفاحة دائماً بل تكون احياناً قرب قشرتها . والتفاح الذي يتولد فيهِ البزر حينئذٍ يكون قليلاً جدًّا بالنسبة الى التفاح الذي يبقى خالياً من البزر . وسبب تولد البزر فيهِ وصول اللقاح من التفاح ذي البزر الى مدقات التفاح الخالي من البزر

وشجر التفاح قليل جدًّا في هذا القطر واكثر منهُ في بلاد الشام ولكن تفاح الشام قليل جدًّا في جنب ما يزرع في اوربا واميركا ففي الولايات المتحدة الاميركية مئتا مليون شجرة من شجر التفاح ويقدرون ان كل نفس من سكان الولايات المتحدة يأكل في سنتهِ ثمانين رطلاً (مصريًّا) من التفاح فيأكلون كلهم نحو ٦٤٠٠ مليون رطل او نحو ثلاثة ملايين طن

واشجار التفاح الخالي من البزر لا تزيد الآن على الفي شجرة ولكن ينتظر ان يصير عددها في غضون السنة التالية مليونين ونصف مليون

مستقبل القطن

لا تزال اسعار القطن آخذة في الهبوط المتوالي يرتفع ثمن القنطار ربع ريال اليوم ويهبط غداً نصف ريال حتى بلغ ثمن القنطار من القطن المصري في الكنترااتات احد عشر ريالاً ونصف ريال بعد ان بلغ ستة عشر ريالاً او اكثر . وسبب هذا الهبوط الفاحش كثرة الموسم الاميركي فانهُ زاد عن موسم العام الماضي على نسبة الزيادة في مساحة الارض ولولا ما اعتراهُ من الآفات لزاد على ذلك ايضاً ولكن الآفات التي اعترتهُ دلَّت اولاً على انهُ سيكون اقل من اثني عشر مليون بالة ثم زالت واعتدل الهواءُ فاستردَّ نموهُ وزاد المحصول على ثلاثة عشر مليون بالة ولا غرابة في ذلك فان موسم اميركا بلغ احد عشر مليون بالة حينما كانت مساحة ارضهِ نحو ٢٢ مليون فدان اما الآن فالمساحة ٣٢ مليون فدان فلا عجب اذا بلغ خمسة عشر مليون بالة او اكثر

والظاهر ان الاميركيين ينظرون الى جهتين في وقت واحد فمن الجهة الواحدة لا يوافقهم ان يكثر المحصول كثيراً فيهبط سعرهُ ولا يبقى ربح من زرع القطن كما حدث في بعض السنين الماضية ومن الجهة الثانية لا يوافقهم ان يقل المحصول فيغلو سعرهُ كثيراً ويندفع الناس الى زرع القطن في اماكن أُخرى فتناظر اميركا كما حدث في العام الماضي فان غلاء القطن فيهِ وفي العام الذي قبلهُ دفع الانكليز الى انشاء شركات تهتم بزرع القطن في جهات مختلفة من افريقية وجزائر البحر

ولا يبعد ان يستمرَّ الاميركيون سنة اخرى على الاكثار من زرع القطن ولو هبط سعرهُ

جداً لكي يبطلوا كل المساعي الآيلة الى زرعهِ في الاماكن التي لا يزرع فيها الآن ومتى بطلت تلك المساعي يعود الاميركيون فيتحكمون في الزراعة والاسعار بما تصل اليهِ طاقتهم

وقد جاءتنا شركة روتر قبل طبع هذه السطور بخبر من اميركا مفادهُ ان اهل الزراعة فيها اجتمعوا واقروا على تقليل زرع القطن خمسة وعشرين في المئة فان صحَّ هذا الخبر عادت الاسعار الى الارتفاع بعد زمن قصير

هذا من قبيل ما يفعلهُ الانسان اما الطبيعة فلا تخضع لهُ فلو بقي الضرر من الدود والقيظ والبرد مستمرًّا في اميركا لنقص محصولها مليوني بالة او اكثر. ولولا آفة الندوة في القطر المصري لزاد موسمهُ هذا العام مليون قنطار عمَّا هو الآن ولذلك لا يمكن الحكم البات بما يكون عليهِ سعر القطن في الاعوام التالية

محصول القطن

ان غلة القطن الآن في الدنيا كلها نحو ثمانين مليون قنطار وهي موزعة هكذا

من الولايات المتحدة الاميركية	٦٤	مليون قنطار
« « الهند	١٠	ملايين قنطار
« « مصر	٠٦	« «
والجملة	٨٠	

فمحصول الولايات المتحدة الاميركية ثمانون في المئة من محصول القطن كلهِ وقد زاد هذا المحصول زيادة مطردة منذ سنة ١٨٦٥ الى الآن كما ترى في الجدول التالي

محصول الولايات المتحدة سنة	١٨٦٥	٠٢١٧٠٠٠٠	بالة
« « « «	١٨٧٥	٠٥٧٠٨٠٠٠	«
« « « «	١٨٨٥	٠٧٢٦١٠٠٠	«
« « « «	١٨٩٥	١١٦٣٩٠٠٠	«
وسيبلغ المحصول الذي ينتهي	١٩٠٥ نحو	١٣٠٠٠٠٠٠	«

ولم يزد محصول القطن هذه الزيادة المطردة الَّا لان الاسواق التجارية اقتضت ذلك فقد زاد عدد الذين يستعملون القطن بزيادة عدد السكان المستمرة وبفتح بلدان المتوحشين العراة والباسهم الثياب

والزيادة في اربعين سنة اكثر من ستة اضعاف ولا يحتمل ان تجري على هذه النسبة

في الاربعين سنة التالية ولكن لا يبعد ان تجري على ما جرت عليهِ في السنوات العشر الاخيرة فقد بلغ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة احد عشر مليونًا ونصف مليون بالة وفي السنوات العشر التي قبلها اقل من تسعة ملايين بالة واذا حسبنا ان المتوسط يزيد في السنوات العشر التالية مليونين ونصف مليون بالة كما زاد في السنوات العشر الماضية بلغ المحصول في آخر سنة ١٩١٥ نحو ١٨ مليون بالة اي احتاجت اسواق المسكونة الى هذا المقدار من القطن الاميركي او ما يقوم مقامهُ

دود اللوز

كتب المستر ولككس في مجلة الجمعية الزراعية فصلاً عن الدود الذي يصيب لوز القطن قال فيهِ ان خير علاج لهُ ان تزرع الذرة بين خطوط القطن فان فراش دود اللوز يفضل سنابل الذرة على لوز القطن ويضع بيضهُ على السنابل فيسلم لوز القطن منهُ وذلك بان يترك خمسة خطوط لزرع الذرة لكل ٢٥ خطاً تزرع قطناً ويزرع اولاً خط من الذرة المبكرة بابكر ما يمكن من الوقت ومتى ظهرت السنابل (العرانيس) فيها تفحص حتى اذا وجدت بزور دود القطن في اطراف العرانيس تقطع وتحرق ثم تزرع الذرة في ثلاثة من الخطوط حتى تظهر عرانيسها في نحو اول يوليو وتترك العرانيس حتى يتولد الدود فيها وتتولد فيهِ الحشرات التي هي اعداؤهُ الطبيعية وتزرع الذرة في الصف الخامس حتى تظهر عرانيسها فيهِ في اول اغسطس ومن تمَّ وضع البيض في هذه العرانيس تنزع وتحرق

وقد وجد بالاختبار ان احسن سبيل للتخلص من دود اللوز ان تزرع خمسة افدنة ذرةً على ما تقدم بين كل خمسين فداناً من القطن

الذنيبة والقطن

ظهر بالامتحان الكيماوي ان الذنيبة لا تعيش في الارض اذا كانت الاملاح القابلة الذوبان تزيد فيها على ستة اجزاء في الالف واما القطن فيعيش فيها ولو كانت الاملاح القابلة الذوبان عشرة في الالف . هذا ما وجدهُ الذين بعثهم ديوان الزراعة في اميركا للبحث عن طرق اصلاح الاطيان في القطر المصري . والظاهر ان الملح متى كان سطحيًّا لا يضرُّ بالقطن وان القطن والذنيبة يحتملان من الاملاح اكثر مما يحتملهُ البرسيم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءِ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوّلة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

بينما كنت اتنزه نظري في مقتطفكما الزاهر اطلعتُ على خطبة للدكتور داجلو في الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين اكّد فيها انها شفى اربعة مصابين من الالم العصبي بواسطة التنويم المغنطيسي فنسأل حضرتهُ على صفحات مقتطفكم عن مريضة اعجز شفاؤُها الاطباء حتى اذا كان شفاؤُها ميسوراً لهُ ارسلنا بها اليهِ لكي يعالجها . والمريضة عمرها الآن خمسون سنة كانت متزوجة ولها اولاد وهي الآن ارملة . وتشكو من الم في رأسها اصيبت بهِ منذ ثلاثين سنة على اثر جفلة كانت السبب في ذلك. وقد نفدت حيل الاطباء ولم تنل الشفاء واذا اشتدَّ عليها الالم بقي معها من يومين الى اسبوع وهو شديد لا يطاق ويكثر عليها القيء وتفقد شهية الطعام و يعتريها دوار شديد يمنعها من الجلوس . وبعض الاحيان تنكمش اصابعها و يشتد المها . وهذه الاعراض تصيبها كل اسبوعين او اربعة اسابيع . ولما اطلعتُ على ما جاء في المقتطف عن الطبيب المشار اليهِ طلبت إليَّ أن أكتب اليكم بهذه السطور حتى اذا رأى انهُ يستطيع معالجتها وشفاءها تذهب اليهِ مع احدِ اولادها

سنت جواز بالبرازيل جبران قودم

حضرة الفاضلين صاحبي المقتطف الاغر

اني تمكنت بعد البحث الطويل وانفاق النفقات الكثيرة مدة خمس عشرة سنة من حلّ الذهب حلاً طبيعياً بحيث انهُ لا يرجع الى صورتهِ الاصلية مهما عمل بهِ لانهُ اتخذ صورة اخرى يسمّى وهو فيها ذهب الحياة

ايصدق العلماء ذلك أم لا. فان كانوا ينكرونهُ فاني مستعدٌّ ان ابرهنهُ بالتجربة والامتحان متى طلب مني ذلك على شرط ان يقدموا لي نقوداً مقابل اتعابي . فارجو نشر هذا ولكم الشكر سلفاً

احمد عاطف

مصر في ١٦ يناير سنة ١٩٠٥ بالخليفة

العربية المحكية في مصر

THE SPOKEN ARABIC OF EGYPT.

عزم جناب الفاضل القاضي ولمور على ان يعيد طبع كتابهِ الذي وضعهُ للعربية المحكية في مصر فراجع ما كتبناه عنهُ لما انتقدناه في الجزء الثاني من سنة ١٩٠٢ وراجع ايضاً ما كتبناه في هذا الموضوع منذ خمس وعشرين سنة في المجلد السادس من المقتطف وبعث الينا رسالة باللغة الانكليزية قال فيها بعد الديباجة ما تعريبهُ

"يظهر ان الدكتور صروف يقول بامكان جعل العامَّة يستعملون اللغة المكتتبة ولكنني لا اظن انهُ يستطيع ان يأتي بشاهد واحد من تاريخ البشر على حدوث ذلك في وقت من الاوقات بل الامر على الضد منهُ فان لغة الكتَّاب كانت تبدل دائماً باللغة التي يختارها العامَّة لانفسهم ولو كان الامر على غير ذلك لعُدَّ تأخراً لا تقدُّماً فان العامَّة يختارون لغتهم لانها موافقة لحاجاتهم والعربيَّة الفصحى مهملة الآن كما كانت اللاتينيَّة مهملة في اواخر القرون الوسطى ولو لم تنشط امم اوربا لاستعمال لغاتها الخاصَّة لما تقدَّم العمران في اوربا على ما اظن . قال احد مؤرخي الانكليز عن الشاعر تشوسر الذي اهمل اللاتينية لاجل الانكليزية "ان التغيير جاء تدريجيًّا فان جون كورنول وهو معلم مدرسة جعل التلامذة يترجمون اللاتينية الى الانكليزية وكان ذلك سنة ١٣٥٦ ولما انتهى القرن الرابع عشر صرنا امَّة لغةً وقلباً"

"وقد شبَّه الدكتور صروف الاختلاف بين اللغة المكتتبة واللغة المحكية في مصر بالاختلاف بين اللاتينية والانكليزية على ما فهمت منهُ فيأذن في الجري على هذا التشبيه

"وخير الكتب ما كان مفهوماً لدى الجميع . قال بسكال "ان احسن الكتب هي التي يظن كل امرىء انهُ يستطيع تأليفها لان الطبيعة سهلة المأخذ لا تكلُّف فيها وهي وحدها حسنة". اما الكاتب العربي فيظن ان احسن الكتب ما فهمهُ العدد الاقل من القراء ولذلك لا اري كيف يمكن نشر المعارف في البلاد. فهل تظنون انهُ يمكن ان يقوم عندكم رجل مثل دكنس او مثل ثكري بل لا اري كيف يمكن ان يتكاتب الناس مكاتبات وديَّة .

والكتب والمكاتيب التي تكتب بلغة لم نستعملها في صبانا وفي بيوتنا لا تؤثر في نفوسنا ولا تحرك عواطفنا. ولا فائدة من المحررات الرسمية اذا كانت مكتوبة بلغة لا يفهمها العامة. وكيف يستطيع القضاة ان يبنوا احكامهم وليس امامهم الا اوراق فيها ترجمة ما يقوله الشهود لا الالفاظ التي تلفظوا بها في شهادتهم. ولا ارى انهُ في الامكان تعليم العامة التكلم باللغة المكتتبة ولا اجد رغبة في ذلك. وهب ان الرغبة وُجدت فمن اين يجد العامة وقتاً يذهبون فيهِ الى المدارس ليتعلموا فيها لغة صارت غريبة وان وجدوا وقتاً وتعلموا هذه اللغة ألا ينسونها حينما يعودون الى اطيانهم واعمالهم. اما ما اشار بهِ البعض من جعل المتعلمين يتكلمون اللغة المكتتبة وتشجيع العامة ليحذو حذوهم فعندي ان دفع ماء النيل حتى يعود الى مصادره ليس اصعب من ذلك

" واني اتأسف جدًّا اذا نُسيت العربية الفصحى في هذه البلاد وارى انهُ يجب ان تدرس في مدرسة جامعة مع غيرها من اللغات السامية كما تدرس اللغات الميتة. وحبذا لو وُجدت مدرسة مثل هذه في مصر يتردد اليها طالبو علم اللغة وانا واثق ان العربيَّة تصير تدرس حينئذٍ احسن ممَّا تدرس الآن

" اخبرني بعضهم ان الازهري الذي اخذهُ الاستاذ برون الى مدرسة كمبردج قال انهُ تعلَّم في المانيا عن كتَّاب العربية القدماء اكثر ممَّا تعلَّم عنهم في القاهرة

" والظاهر ان شمس المعارف اللغوية كادت تزايل ديار المشرق فقد اخبرني استاذي في اللغة الفارسية وانا في القسطنطينية منذ سنين كثيرة (وهو من كبار العلماء) ان العلماء الكبار حقيقة صاروا يعدُّون على الاصابع

"اما العربية المتوسطة بين العامية والمعربة وهي عربية دواوين الحكومة المستعملة فليست عامية ولا معربة والذين يكتبونها لا يحسنون كتابتها ولو قضوا السنين الطوال في المدارس بل ان احكام القضاة لا يقلُّ الغلط اللغوي فيها عن الصواب كما يشهد رصفائي القضاة. ولا يخفى عليَّ ان تعلم اللغة المكتتبة يقتضي من الوقت اكثر مما يستطيعهُ الطلاب ولو كانوا من الخاصة لانهُ يُطلَب منهم ان يتعلموا لغة اجنبيَّة وعلوماً اخرى. ومن المرجح ان اللغة المعربة ستزول لتعصب القائمين بنصرتها ولا تقوم مقامها اللغة المحكية بل الانكليزية او الفرنسوية

" ولا اوافق الدكتور صروف على ان الاهتمام بكتابة اللغة المحكية جاء بعد اوانهِ ولا على ان الكتابة العربية صالحة بل احسبها مخالفة لقوانين العلم وليس اصعب منها الا الكتابة الصينية فان الصينية لا تستعمل الحروف مطلقاً واما الكتابة العربية فيقتصر فيها على كتابة الحروف

الصحيحة . ولا شبهة ان الكلمات تقرأ ولو لم تكن فيها حركات ولكن يبقى سبيل للبس ان كنت ابن اللغة وتكون لغتك مما يستحيل على الاجنبي تعلمهُ وهذا ليس المطلوب"

ثم اشار حضرة القاضي الفاضل الى بعض ما جاء في مناظرات "الممكن" الواردة في المجلد السادس من المقتطف وقال انها موافقة لآرائهِ . ونحن قد كتبنا ما جاء في تلك المناظرات لاننا كنا نعلم ان له وجوهاً وجيهة . ونعيد الآن ما قلناه لما قرظنا كتابهُ وهو "ان اقتصار المتعلمين في مصر والشام على الكتابة باللغة المعربة وشيوع الكتب والجرائد فيها واعتياد اكثر الذين يعرفون القراءة مطالعة الجرائد كل ذلك عضد اللغة المعربة وقوّاها حتى صار اهمالها متعذرًا ان لم يكن مستحيلاً ولذلك لا نطمع بكتابة اللغة المحكية الآن ولا نشير باستعمالهِ (بدل اللغة المعربة) ولكننا نطمع ونشير بالتوسع في اللغة المكتوبة حتى تدخل فيها كل كلمة محكية لا تقابلها كلمة فصيحة مألوفة سواء كانت الكلمة المحكية مما وضعه العامة او نحتوهُ او نقلوهُ عن لغة اجنبية ونطمع ونشير ايضاً بالتوسع في التعريب حتى تجاري لغتنا لغات اوربا ونشير ايضاً بالحرص على كل ما هو حسن من المعاني والاستعارات العامية والمنقولة عن اللغات الاجنبية. اي يجب علينا ان نجوّز للعربية ما يجوزهُ الانكليز للانكليزية والفرنسويون للفرنسوية وكل المتكلمين بلغة حيَّة للغتهم"

ولقد كان الشبه تاماً بين العربية واللاتينية بالنسبة الى العربية المحكية من الجهة الواحدة والايطالية من الجهة الاخرى ولكن كان ذلك قبل النهضة الاخيرة التي ابتدأت من عهد محمد علي باشا. وقد قلنا ولا نزال نقول انهُ لو اهتمّ محمد علي جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحكية في مصر والشام وجعل الكتابة بها وحدها ما وجد في ذلك كبير مشقة ولكننا الآن نجد اللغة المكتوبة قريبة من اللغة المحكية قرب اللغة الايطالية المكتوبة من اللغة الايطالية المحكية

لكن صارت الحال على غير ما يظنهُ جناب القاضي الفاضل فانهُ يُطبع الآن من الجرائد العربية في القاهرة والاسكندرية لا اقل من عشرين او ثلاثين الف نسخة يومياً والقراء ينتظرونها دقيقة فدقيقة ويشترونها بدراهمهم ويقرأونها كلمة كلمة وهي مكتوبة باللغة المعربة. واذا زاد عدد الكتاتيب والمدارس حتى صار الذين يعرفون القراءة نصف الاهالي او اكثر فلغة هذه الجرائد اليومية كافية لتقويم لسانهم فيصيرون يتكلمون ويكتبون لغة تقارب لغتها والاَّ فعقولهم تخالف عقول غيرهم من بني البشر. ولا يعقل ان لغة رسائل مثل رسائل بسكال تؤثر في لسان اهالي فرنسا كلهم والجرائد المصرية تُنشر سنة بعد سنة ولا تؤثر في لسان اهالي مصر. ولا يُحتمل ان

الحكومة المصرية تضغط على سكان البلاد حتى يكتبوا اللغة المحكية بدل اللغة المكتوبة

اما من حيث كتابة الحركات مع الحروف اذا كتبت العربيَّة بحروف افرنجية فلو امعن حضرة القاضي الفاضل نظرهُ لرأى ان الذين يحسنون قراءة لغة لا ينتبهون لكل حرف من حروف الكلمة بل يرون لها صورة مجملة كما ان من ينظر الى اخيهِ لا يدقق نظرهُ في شكل عينيهِ وحاجبيهِ وتقاطيع وجههِ بل يرى لهُ صورة مجملة تنطبق على الصورة الكليَّة التي في ذهنهِ. وقد اشار بعض علماء الافرنج بحذف حروف العلَّة من كلماتهم وقال انهم يستغنون عنها من غير مشقة كبيرة ويبقى القارئ منهم يقرأ لغتهُ كما يقرأ الكتابة المختزلة (shorthand) والاجنبي المتعلم يجد صعوبة في تعلمها ولكن هذه الصعوبة لا تقابَل بالنفع الذي ينال اهلها من الاقتصار على كتابة الحروف الصحيحة عند أَمْن اللبس. ثم ان كان اختبار ابناء العربيَّة مدة اثني عشر قرناً لا يعدُّ دليلاً علميًّا على سهولة القراءة ولو لم تكتب الحركات فليس في الكون دليل علمي

ولا شبهة عندنا انهُ لو هُذّبت اللغة العامية وكُتبت لوفت بالغاية التي تقصد من اية لغة كانت ولتهافت ابناء القطر على قراءة ما يكتب فيها اضعاف ما يتهافتون الآن على قراءة ما يكتب باللغة المعربة . وكل ما قالهُ جناب القاضي واورد من هذا القبيل صحيح لا ريب فيهِ ولكن الذين يهتمون بكتابة اللغة العامية افراد قلائل واما الذين يهتمون بكتابة اللغة المعربة فيعدُّون بالمئات او بالالوف وهم منتشرون في هذا القطر وفي كل الاقطار التي يتكلم سكانها العربية في الشام والعراق وتونس والجزائر وبلاد العرب بل في الهند وبخارى وما والاها ويبعد عن ظننا ان يتغلَّب اولئك الافراد على هؤلاء الالوف

وصفوة القول اننا لا نرى الآن موجباً لكتابة اللغة المصرية المحكية والاعتماد عليها في الكتابة والتأليف بعد ان انتشرت المطابع في البلاد العربية كلها وانتشرت بها الكتب والجرائد المكتوبة بلغة معربة واقبل الناس على قراءتها لانها قد أثرت وستؤثر في اللغة المحكية حتى تصلحها بعض الاصلاح . ولو كُتبت اللغة المحكية منذ مئتين او سبعين سنة لجرى الاعتماد عليها

ونكرر الشكر لحضرة القاضي الفاضل على اهتمامهِ بهذه اللغة اكثر من اهتمام ابنائها بها

معالجة الحصى والرمل الكلوي بالخلة

حضرة منشئ المقتطف الاغر

اثبتت لنا مشاهدتنا وتجاربنا العديدة ان مغلي بزر الخلة احسن دواء لمعالجة الحصى والرمل الكلوي مما يحدث في المريض آلاماً شديدة لا تطاق في القسم القطني والجزء السفلي

من الظهر كوخز الابر فيتمرَّغ على فراشهِ لا يعي من الالم · واذا صفي البول وجد الرمل فيهِ

والمعالجة بسيطة · فعندنا بزر الخلة · ونبات الخلة ينبت عندنا ايضاً في فصل نموّ القمح اي في الشهر الاخير من الشتاء فيرى اذ ذاك بكثرة في الغيطان · وفي شهر برمهات تجد زهرهُ على شكل خيمة ولذلك ادخلوهُ ضمن نباتات الفصيلة الخيمية · وفي شهر برموده تجف الحوامل الزهرية للنبات وتكوّن ما يعرف بالخلال تستعمل منها مساوك للاسنان · وما تحملهُ هو بزور الخلة يتحصل عليها بفرك الزهر ثم تنخل بمنخل شعر وتوخذ البزور نقية لاستعمالها

وكيفية المعالجة ان يؤخذ ملء ملعقة صغيرة و يغلى جيداً في نصف رطل من الماء القراح ويترك ليبرد ثم يصفى فيشرب المريض السائل المصفى دفعتين دفعة في النهار ودفعة بعد المساء في ٢٤ ساعة و يكرر ذلك ثلاث ايام من كل شهر فيزول ما تكوّن من الحصى والرمل من البول ويمتنع تكوُّن غيرها

وهذا الدواء اكثر فعلاً من الادوية الاخرى المستعملة لمعالجة هذا المرض وارخص ثمناً واسهل استعمالاً واقرب منالاً لجميع سكان القطر المصري

الدكتور
حسن باشا محمود

البول اللبني

حضرات الافاضل

تغير لون بولي منذ سنة حتى صار بلون اللبن وقد حللتهُ تحليلاً كياوياً ومكرسكوبياً وظهر ان فيهِ زلالاً كثيراً ومواد دموية ومخاطية وان هذا الزلال ليس من الكلى ولا من القلب بل من الدم وذلك نتيجة فعل دودة تسمى فلاريا تشتغل اثناء الليل فقط ويسمى هذا المرض Chyleuses اعني ان الاكل يدور مع الدورة الدموية ويتحول الى Chyle (كيلوس) ومن الغريب ان صحتي وشهيتي جيدتان ومعدتي منتظمة واني لا اشعر بادنى تعب وقد عرضت نفسي على جملة اطباء هنا فلم يوقفوني على علاج شاف وذلك لندرة هذا المرض وعدم ممارستهم معالجتهُ فرأيت ان انشر هذا السؤَال في مجلتكم الغراء ليطلع عليهِ حضرات الاطباء الافاضل عسى ان يوقفوني على هذا الداء وعلى العلاج الشافي لهُ او ما يخففهُ ولحضراتكم مني ومن الانسانية جزيل الشكر سلفاً

احد القراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسز نورمند

او النساء وفن التصوير

فن التصوير اجمل الفنون الجميلة وابقاها اثرًا وهو مثل غيرهِ لا يبرع فيهِ الاَّ افراد قلائل خُصوا بميل طبيعي للبراعة فيهِ

وقد يظهر باديء بدءٍ ان النساء يبرعنَ فيهِ كالرجال لكن الامر على خلاف ذلك فاذا طلبهُ مئة رجل ومئة امرأة وبرع فيهِ عشرة من الرجال لا يبرع فيهِ امرأة واحدة ولو ظهرت البراعة على النساء والرجال في اول الامر على حدٍّ سوى او لو فاق النساء الرجال لانهُ يقتضي من العناية والصبر والاهتمام ما لا يستطيعهُ الاَّ قليلات من النساء . لكن ذلك لا يقضي باضعاف عزائم النساء عن طلب هذا الفن اذا سمحت لهنَّ احوالهنَّ بطلب فن من الفنون الجميلة وهنَّ ان لم ينجحن و يصرن مثل المصورين النابغين الذين يشار اليهم بالبنان فانهنَّ قد يبلغنَ درجة وسطى تسرُّهنَّ وتسرُّ ذويهنَّ . والتوسُّط ليس حسنًا لمن يعمل للكسب ولكن لا بأس بهِ اذا كان لمجرَّد التسلية

وقد اطَّلعنا الآن على ترجمة امرأة بلغت درجةً عليا من المهارة في فن التصوير وهي زوجة المستر نورمند المصور وتعرف ايضًا بهنريتا راي وهو اسمها قبلما تزوجت

قالت انها ورثت الميل الى الفنون الجميلة من امها فانها كانت ماهرة في الموسيقى وهي تلميذة مندلسهن الموسيقي الشهير . ولم يظهر فيها هذا الميل في صباها بل ظهر في اختها وهي اكبر منها. وكانت لذة هنريتا الكبرى في ان تجلس امام اختها وتراها تصور وكانت تغار منها في ذلك وتطمع في ان تصير قادرة يومًا ما على تصوير صورة الانسان . وبلغت السنة التاسعة قبلما مسكت قلم التصوير لكنها ابتدأت حينئذٍ في ذلك وظهرت نجابتها حالاً حتى اذا بلغت السنة الثانية عشرة قرَّ القرار على ارسالها الى مدرسة من مدارس التصوير

وكانت وهي في المدرسة شديدة الكسل كثيرة الكلام كارهة للاساليب المتبعة في تعليم فن التصوير تهرب من الغرفة التي ينقل فيها التلامذة رسوم الصور الى حيث يصورون عن الطبيعة ولو كان ذلك غير جائز لها فتقاص ولكن القصاص لا يردعها. حتى اذا حان وقت المسامحة المدرسية اتّبعت ميلها الطبيعي وجعلت تنقل الصور عن الطبيعة وقضت ايام المدرسة كلها من غير ان تنال جائزة او يظهر لها امتياز على غيرها في شيء لانها لم تدخل في مناظرة قط حاسبة ان التناظر مع غيرها يفقدها ميلها الطبيعي الى الانفراد في الاعمال وعدم الجري على خطة الغير. الاَّ ان رفاقها ورفيقاتها في التعلُّم كانوا يحسبون حسابها ويقدّرون لها الفوز عليهم فكانت اذا اتت متأخرة يوسعون لها حتى تدخل وتجلس امامهم في رأْس الفرقة

ثم انتقلت من تلك المدرسة الى المتحف البريطاني حيث يتعلَّم طلاَّب فن التصوير بنقل الصور القديمة و يتناظرون لاكتساب التلمذة في مدرسة التصوير الملكية . وكان معها حينئذٍ كثيرون من الذين نبغوا في فن التصوير بعدئذٍ مثل سلامُن وجلبرت وهاكر والتقت هناك بالشاب الذي اقترنت به بعدئذٍ وكان يدرس فن التصوير مثلها و يستعد للدخول الى مدرسة التصوير الملكية

وبذلت من الهمة والاجتهاد حينئذٍ ما هو لازم للمهارة في كل فن ولاسيما في فن التصوير وكانت تصل الليل بالنهار درساً ومزاولة وحاولت الدخول في مدرسة التصوير الملكية خمس مرات قبلما قُبلت فيها وقبلت حينئذٍ تحت التجربة ولما مضت شهور التجربة الثلاثة حذف اسمها من عدد المقبولين لكنها قُبلت بعد ستة اشهر . وكان اساتذة التصوير حينئذٍ رجالاً من كبار المصورين مثل هركمر ودكسي وفرث والما تدما وميليز وفورد وقال ولورد ليتن . وقالت ان لورد ليتن افادها اكثر من الجميع بارائهِ الصائبة . ولم يكن يُسمح للتلامذة ان يصوروا صور الناس العراة وهم في المدرسة فجعلت زوجة احد الاساتذة تدعو التلميذات الى بيتها ليلاً وتسمح لهنَّ ان يصورن فيها الصور العارية وهنريتا في جملتهنَّ . كل ذلك وهي لا تكتسب غرشاً من التصوير الى ان تمكنت من عمل صورة باعتها لاحد صانعي البراويز بجنيه ونصف فعدَّت نفسها من اسعد الناس واشترت بهذا المبلغ الواناً و براويز وصنعت صورة عرضتها في معرض جمعية المصورين البريطانيين فتقدَّم واحد لمشتراها ثم عدل عنها فاسقط في يدها وعادت باليأْس لكنها صنعت صورة اخرى وعرضتها في معرض تلك الجمعية ووقَّعت اسمها فيها H. Rae فرأى احد القسوس الصورة فاعجبتهُ وظن المصورة رجلاً فكتب اليها باسم الخواجا ه. راي طالباً مقابلتها لكي تصورهُ ولم يكن لها مكان للتصوير تقابل الناس فيهِ فكتبت اليهِ ليقابلها في دار المدرسة

نجاء وهو ينتظر ان يقابل رجلاً ولما قابلتهُ لم يصدق في اول الامر انها هي المصورة ثم لما ثبت لهُ انها هي التي صورت تلك الصورة اتفق معها على ان تصورهُ فصورتهُ صورة رضي بها هو وكل ذويهِ ولما اخذت اجرتها منهُ عدَّت نفسها من الاغنياء فاشترت ما يلزم لها من ادوات التصوير وصوَّرت صورة كبيرة بيعت بثلاثمئة جنيه. ثم توالت صورها المشهورة فذاع صيتها وطُلبت صورها لتزيين الاماكن العمومية فاثرت وزارت باريس مع زوجها ودرست فيها على اشهر مصوريها. وهي تقضي على تصوير الصورة الواحدة من صورها الكبيرة سنتين او اكثر

وقد رأينا صورًا منقولة بالفوتوغراف عن صورها وهي من اجمل ما وقع نظرنا عليهِ وان كانت الوانها منطبقة على الحقيقة كتقاطيعها فتكون من اجمل ما صورهُ المصورون ولا غرابة في ذلك لانها تبذل من العناية في تصوير صورها ما يفوق الوصف فترسم اولاً رسماً بسيطاً تضع فيهِ كل الامور الجوهرية ثم تعيد الرسم والتنقيح الى ان يبلغ الغاية التي تطلبها ثم تجعل تصور كل جزء منهُ على حدتهِ ناقلةً صورتهُ عن الطبيعة نقلاً وتضمُّ الاجزاء بعضها مع بعض حتى اذا وجدت بينها اتفاقاً وانتساقاً تامًّا ابقت عليها والاَّ غيرتها ونقحتها الى ان تفي بمرادها ثم تصورها كلها معاً صورةً واحدة

واستشيرت في امر البنات اللواتي يطلبن تعلُّم فن التصوير فاشارت بان لا يحاولنَ ذلك لانهُ فن صعب شاق والنجاح فيهِ غير ميسور الاَّ لقليلات منهن

حرية انتخاب النساء

عُرضت على مجلس نواب انكلترا لائحة يطلب فيها ان يباح للنساء الاشتراك في انتخاب النواب . ولا بدَّ ان ينظر المجلس فيها ويقرر امرًا ما بشأنها . وقد قابل المستر وليم ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية عضوًا من اعضاء مجلس النواب واستطلعهُ طلع رأيهِ في الامر فبدأ الحديث معهُ بقولهِ "اعلم انك من اعظم انصار النساء في اعطائهن حق الانتخاب" فأجابهُ النائب "نعم لاني في كل اعمالي اسعى الى جعل الناس يعتمدون على انفسهم ويفكرون ويعملون لانفسهم. وعليهِ اريد ان اعطي النساء الحرية والمسؤُولية اللتين يستلزمهما الانتخاب وزد على ذلك اني اعتقد ان اعطاء النساء هذا الحق لا يكون عثرة في سبيل تقدم نوع الانسان كما يزعمون فاننا نكل الى النساء معلماتٍ وامهاتٍ تربية رجال البلاد فمن الحمق ان نأبى عليهن حقوق اولاد البلاد

"اما من جهة نساء العال فان اختباري لاعمالهن في بعض جهات البلاد جعلني اعجب بما

يبدين من البأس والعزم في مقاومة الفقر وما يجرهُ من المتاعب والارزاء "

ثم سالهُ المسترستد "وما ظنك في اللائحة التي عرضت على مجلس النواب ايصادق عليها في جلستهِ المقبلة ام يرفضها " فلم يجبهُ جواباً قاطعاً لكنهُ قال لهُ انهُ يسعى جهدهُ في حمل المجلس على النظر في هذه المسألة باسرع ما يمكن . وختم حديثهُ معهُ آملاً ان النساء يظفرن بامنيتهنَّ اسوة باخواتهنَّ في استراليا وزيلندا الجديدة وبعض ولايات اميركا

فاذا فاز نساء الانكليز بحق الانتخاب فلا يبعد ان يقتدي بالانكليز غيرهم من امم اوربا وحينئذٍ تعقد الآمال بان النساء يشترطن على النواب الذين ينتخبنهم السعي في ابطال الحروب ومنع الحكومات من اثارتها ولا منجاة لنوع الانسان من شرور الحروب الاَّ بذلك

لحم الخيل في المانيا وفرنسا

في المانيا الوف من الذين لا يأكلون لحماً سوى لحم الخيل ليس للذة خصوصية فيهِ تجعلهم يفضلونهُ على غيرهِ بل لانهُ ارخص اللحوم ثمناً . وفي احد شوارع برلين المعروفة مسلخ للخيل مقرر من قبل الحكومة وفيهِ رجال للبوليس واطباء بيطريون لفحص الخيل قبل ذبحها . وكل سنة يزيد عدد ما يذبح من الخيل عن السنة التي قبلها . ففي سنة ١٨٩٤ ذبح ٧٦٢٧ رأساً . وسنة ١٩٠٠ ذبح ١٠١٨٥ . وسنة ١٩٠٣ ذبح ١٢٠٠٠ . والسنة الماضية ذبح ١٣٠٠٠ وفي برلين ٦٤ دكاناً لبيع لحم الخيل . وبعض مدن المانيا الاخرى تأكل من لحم الخيل ضعفي ما تأكلهُ برلين او ثلاثة اضعافهِ والرطل من الجنس العال بنحو غرشين ومن الجنس الدون بنصف ذلك

ويقال ان الكلاب تذبح في بعض مدن سكسونيا ويأكل الفقراء المدقعون لحومها

اما فرنسا فيقال انهُ يذبح في باريس عاصمتها نحو ٤٠ الف حصان سنوياً وان في ضواحي باريس مئتي جزار لا يبيعون الاَّ لحم الخيل . وقد زاد ذبح الخيل في العشر السنوات الماضية لان الاطباء يصفونهُ للمرضى وخصوصاً الاولاد المصابين بالتدرُّن والشوربة المصنوعة من لحم الخيل تعد اكثر غذاء من شوربة لحم البقر او الضان . وقد عنيت الحكومة عناية خصوصية بذبح الخيل فأعفت لحمها من الدخولية على حين انها تأخذ ١٢ فرنكاً عن كل مئة كيلو غرام من لحوم المواشي . وقد قلت خيل الحراثة كثيراً في بعض جهات فرنسا لان الناس يبيعونها للذبح فيربحون من ذلك اكثر مما لو باعوها للحراثة

والخيل البيضاء يعدُّها الجزارون دون غيرها لان لحمها يحتوي على بقع سوداء لا تشرى

ولا تباع فيضطرون الى رميها . وهم يفضلون الخيل التي تربى في المدن وتعلف نوعاً من الحبوب يسمّى "اوت" يصير بهِ لحمها ابيض

واعظم ما يرغّب الناس في مشترى لحم الخيل في باريس رخص ثمنهِ فانهُ نصف ثمن لحم البقر او الضان والليبرة منهُ (نحو رطل) بغرشين صاغ

هذا ويقال عن ثقة ان كثيراً من اللحوم المقددة التي ترد علينا من الخارج انما هي لحم خيل وكلاب وقطط فلينعم الآكلون منها

سياسة الزوجة

كتبت احدى السيدات الانكليزيات مقالة عنوانها "سياسة الزوجة" قالت فيها ان الخرافات القديمة المتداولة على السنة العامة عندنا تمثل لنا الرجال حيوانات بكماء عمياء خلقت لتكون آلات صماء في ايدي النساء يدرنها على هواهنَّ حتى ضربت الامثال بحذق الزوجات ودهائهنَّ ولم تروَ حكاية عن دهاء الرجال

ولكن الحقيقة التي لا مفرّ من التسليم بها هي انهُ اذا كان الزوج موصوفاً بالدهاء فدهاؤُهُ ضعف دهاء زوجتهِ . والداهية من الازواج هو الذي يفعل ما يشاء من غير علم زوجتهِ . فاذا رأى ان مجرَّد تملقها يجعلها تستشيرهُ في ما يحب وما لا يحب من الوان الطعام المختلفة بعد ما كانت تفعل ما تشاء بلا استشارتهِ فمن الحكمة والصواب ان يتملقها كلما سنحت الفرصة لهُ. ولكن اذا اكتشفت حيلتهُ وعلمت انهُ انما يتملقها لغرض في نفسهِ فليعدل عن التملق الى حيلة اخرى. على ان الرجال الذين يعلمون هذه الحقائق قلال ولولا ذلك ما سلمت عنق زوجة من نير زوجها

ومن الامور التي يفعلها الرجل الداهية مع زوجتهِ ان يتركها وشأنها تبكي اذا همت بالبكاء ولست اريد بذلك ان يتسبب في بكائها او ان يتركها تبكي ويقف مقابلها ويداهُ في جيبيهِ يضحك ضحكة الاستهزاء بل انهُ يعلم ان بكاءها يخفف من حدتها ويزيل بعض كربها فيدعها تبكي ولا يغضب لذلك ولا يقلب الكراسي والموائد . حتى اذا بكت ملء عينيها دنا منها ووضع يدهُ على كتفها قائلاً كفكفي دمعك ايتها العزيزة فلقد ساءني ان ثوبك الجديد الذي صنعهُ الخياط لك لم يأت طبق مرغوبك . فسأكتب اليهِ غداً كتاباً يقف لهُ شعر رأسهِ . فتكفكف الدمع وتنظر الى وجههِ معجبة بلطفهِ وكرم خلقهِ وتسعى في تدبير الطرق المختلفة للاقتصاد شفقة عليهِ لانها تعلم ان جيبهُ يفرغ من المال مثلما يمتلئ

ثم ان الرجل الداهية لا يتأثر لاقل شيء وان تأثر فمن الواجب ان يعرف كيف يضبط

نفسهُ ويكبح جماح عواطفهِ . فقد يكون متأنقاً في أكلهِ وشربهِ ولبسهِ الى الدرجة القصوى حتى لا يعجبهُ العجب ولكنهُ يملك طبعهُ واذا وجد ما يكدرهُ يتظاهر بالرضى والسرور وهو يضمر الحنق والكدر وذلك خير من ان يقلب آنية المطبخ ويكسر من الاثاث ما وقع تحت يدهِ ويرفس الهرة برجلهِ ويقيم القيامة على رأس زوجتهِ

وخير الرجال هو الذي يفعل كلَّ ما يؤول الى سرور امرأتهِ وبقائها راضية سعيدة. وعلامة رضى المرأة وسعادتها شكرها واعترافها بالجميل على ان ذلك كثيراً ما يجعل المرأة محبة لنفسها الى حدٍ ان تعود لا تهتم بشؤون غيرها . وقد ظهر لي بالاختبار ان اشدَّ النساء حبًّا لانفسهنَّ لهنَّ ازواج كثيرو التسامح والاغضاء عن مساوئهنَّ

واحسن الزيجات ما تبارى فيها الزوجان على ان ينكر كلٌّ منهما نفسهُ ويضحي مصلحتهُ في سبيل مصلحة الآخر . فاذا كان الرجل مغرماً بالصيد مثلاً ميالاً الى العزلة والانفراد عن الناس وامرأتهُ ميالة الى معاشرة الناس والاختلاط بهم فلينكر نفسهُ وليرافقها الى حيث تستعرض ملابسها وحلاها فاذا فعل ذلك باتت شاكرة لهُ معترفة بفضلهِ ومعروفهِ وسمحت لهُ بالصيد والقنص انى شاء عن رضى وطيب نفس اتباعاً للمثل القائل " وكما تراني يا جميلُ اراكا "

اتقاء البعوض

مضى الزمن الذي كان الناس يعتقدون فيهِ ان المرض مسبَّب عن قوة روحيَّة او شيطانية وعُرفت اسباب اكثر الامراض فاذا هي تعب في الجسم من سوء الهضم او من مآكل سامة يأكلها الانسان او من احياء صغيرة تدخل جسمهُ مع الطعام او الشراب او الهواء او تصل الى دمهِ بواسطة الحشرات الصغيرة التي تلسعهُ كالبعوض والبراغيث وما اشبه . والبعوض اكثر هذه الحشرات ضرراً على ما يظهر فانهُ علَّة وصول العدوى من الحمى الملارية وحمى الدنج والحمى الصفراء

واتقاء البعوض سهل جدًّا لانهُ لا يتولَّد الاَّ في الماء الراكد القليل الذي ليس فيهِ سمك يأكل دودهُ . فاذا اهتمَّ السكان حتى لا يبقى شيءٌ من الماء القليل الراكد في بيوتهم ولا حولها لا في بركة صغيرة ولا في اناء مهما كان فان البعوض لا يتولَّد في منازلهم ويصعب عليهِ ان يصل اليها من اماكن بعيدة

ومعلوم ان ذلك لا يصدق على الاماكن الكثيرة الترع والبرك حيث يتعذَّر نزح المياه وتربية السمك فتبقى تلك الاماكن كثيرة الحميات الملارية وغيرها فيجب الابتعاد عنها او تجفيفها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الحفظ والاستحضار

تونس . احد المشتركين ما هي الطريقة المفيدة اللازم سلوكها ليستقر في الذهن ما يُطالَع وليُستحضَر وقت الحاجة اليهِ في التحرير والترجمة

ج ليس لذلك سكة سلطانية سهلة كما قال اقليدس عن تعلُّم الهندسة. والسكة المطروقة التي جرى عليها الكتّاب كلهم هي القراءة والكتابة فعلى من شاء البراعة في فن الانشاء ان يطالع افصح الكتب نظماً ونثراً ويكرر عليها حتى يستظهرها وان يكثر من الكتابة والتحرير حتى يصير الانشاء ملكة لهُ . ولا يفلح الناس كلهم على حدٍّ سوى بل منهم مَن يبلغ درجة معلومة بقليل من الدرس والعناء ومنهم مَن يبلغ نصف تلك الدرجة ولو درس وعني ضعفيهِ لاختلاف القرائح اي لاختلاف الاستعداد الفطري او الوراثي

(٢) رائحة الميكروبات

برازيل . ن . خ هل لكل من ميكروبات الامراض او لكل مرض رائحة خاصَّة بهِ وهل يمكن للانسان ان يتوصَّل الى معرفة كل مرض من رائحتهِ وهل ذكر احد من العلماء شيئاً عن ذلك

ج لا نتذكَّر اننا قرأْنا شيئاً من ذلك ولكن لا يبعد ان تمتاز ميكروبات الامراض برائحتها كما تمتاز بشكلها

(٣) عقص الشعر

ومنهُ . هل هيئة عقد الشعر التي عناها ابن قلاقس بقولهِ "عقدوا الشعور معاقد التيجان" مثل الزي الافرنجي المسمى Pitoté

لا نعرف ما هو المراد بكلمة pitoté ولا وجدناها في قاموس ولارأينا مَن يعرفها ومهما يكن معناها فالشاعر اما ان يكون قد وصف شيئاً رآهُ مرأى العين او وصف صورة خياليَّة ونرجح الفرض الاول لانهُ كان رجل سفر وقد زار صقلية ورأى سكانها من الافرنج والعرب . وكان في عهد اختلاط الصليبيين باهالي المشرق فلا بدَّ من ان يكون قد شاهد ازياء كثيرة لعقص الشعر فوصف واحداً منها . وعقص الشعر حتى يكون كالتاج على الراس

قديم معروف من عهد اليونان والرومان

(٤) عدد الاتراك

ومنهُ . كم عدد الاتراك الذين تؤلف منهم الدولة العثمانية

ج ليس لذلك احصاء مدقق ولكن يقال بالتقريب ان عدد العثمانيين في اوربا ستة ملايين والاتراك منهم نحو مليونين وعددهم في اسيا وافريقية ما عدا مصر نحو ٢٤ مليوناً والاتراك منهم نحو سبعة ملايين

(٥) خواص الفالريانا

مصر . احد المشتركين . ما هي خواص الفالريانا في الامراض العصبيّة وهل هي مضعفة للاعصاب في حالة انحطاط القوى وتخدر الاعصاب

ج الفالريانا مسكنة غير مضعفة

(٦) خواص الحلتيت

ومنهُ . ما هي خواص الحلتيت في الامراض العصبية وهل هو مقوّ للاعصاب او مضعف لها في حالة انحطاط القوى

ج الحلتيت مسكن لتهيُّج الاعصاب وغير مضعف

(٧) المعالجة في حالة الضعف

ومنهُ . هل تجوز المعالجة بالبروميرات او الفالريانا او الحلتيت في حالة الضعف وانحطاط القوى والتخدير العصبي المصحوب بآلام عصبية

ج نعم يجوز لان هذه المواد تسكّن التهيج العصبي

(٨) كاكوديلات الصودا

ومنهُ . ما هي المقادير الطبية النهائية لكاكوديلات الصودا والحديد المقررة طبياً لرجل بالغ مصاب بالضعف العصبي للحقن تحت الجلد والى حد كم حقنة يمكن استعمالها بدون ضرر

ج ان هذه المادة ترد عادة في زجاجات صغيرة في كل زجاجة منها حقنة او سنتيمتر مكعب فيحقن المريض بها ويراقب الطبيب فعلها بهِ فيعلم متى يكرر الحقنة وهل مقدارها كافٍ او هل يجب ان يقللهُ او يزيدهُ

(٩) اعادة الحقن بها

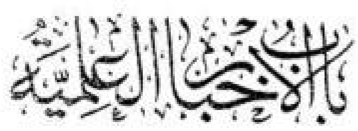
ومنهُ . هل تجوز الرجوع الى حقن الكاكوديلات المذكورة بغير ضرر بعد اخذ مقاديرها النهائية . وما هو مقدار الزمن الذي تجب فيهِ الراحة بين اخذ المقادير النهائية والرجوع اليها

ج الغالب ان يستعمل الحقن مدة اسبوع ثم يترك مدة اسبوع آخر ثم يعاد اسبوعاً دواليك . والطبيب الذي يعالج المريض يحكم في كل ذلك من رؤيتهِ فعل العلاج بالمريض

(١٠) ازالة رائحة البترول

شبين الكوم . عبده افندي حسن . ما هي المادَّة التي تضاف الى زيت البترول حتى يفقد رائحتهُ الكريهة وباي نسبة توضع هذه المادَّة معهُ

ج اضفنا اليهِ ماء كولونيا الجيد لكي نستعملهُ مقوياً للشعر فازال رائحتهُ او اخفاها وكنا نضيف نحو اربعة فناجين من ماء كولونيا الى كل فنجان من زيت البترول ونستعمل الزيت الاميركي النقي لا الزيت الروسي غير النقي ونحرك المزيج جيدا فلا نشعر لهُ برائحة قوية بعد ذلك



اوجة القمر في شهر فبراير

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٤	١	٦	مساء
الربع الاول	١٢	٦	٢٠	صباحاً
البدر	١٩	٨	٥٢	"
الربع الاخير	٢٦	٠	٤	مساء

السيارات

عطارد نجم الصباح في اول الشهر ثم يقترب من الشمس

والزهرة نجم المساء الشهر كلهُ وترى مدة ثلاث ساعات ونصف بعد الغروب

والمريخ يشرق نصف الليل في اول الشهر ونحو الساعة ١١ مساء في آخر الشهر

والمشتري يشرق الساعة العاشرة مساء في اول الشهر والساعة ٨ ١/٢ في آخرهِ

وزحل يرى في اوائل الشهر بعد الغروب ثم يقترب من الشمس فلا يعود يُرَى

ويكون التوأمان قرب سمت الرأس وكوكبة الشعرى العبور على ٤٥ درجة فوق الافق الساعة التاسعة مساء

قمر سادس المشتري

كان الاستاذ برين يرصد المشتري واقمارهُ الخمسة في شهر دسمبر الماضي فاشتبه في وجود قمر سادس لهُ وما زال يوالي الرصد والمراقبة حتى رأى ذلك القمر في الرابع من الشهر الفائت واذاع اكتشافهُ في جميع الاقطار

وهذا القمر ابعد اقمار المشتري عنهُ فان معظم بعدهِ ٤٥ً منهُ على حين ان ابعد الاقمار الاربعة التي اكتشفها غليليو لا يزيد بعدهُ على ١٠,٥ً والخامس الذي اكتشف في القرن الماضي بعدهُ عن المشتري نحو نصف

بعد قمر الارض عنها . فاذا صحَّ ان معظم بعده ٤٥ دقيقة فانهُ يتمُّ دورتهُ حول المشتري في نحو نصف سنة والقمر الرابع يتمها في ١٦ يوماً وكسور

اما قمر المشتري الخامس فاكتشفهُ الاستاذ برنرد في ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٢ كما ذكرنا في مقتطف اكتوبر سنة ١٨٩٢ صفحة ٦٨ وهو لا يرى الاَّ باعظم النظارات وفي اكثر الاحوال ملاءمة لان قطرهُ قد لا يزيد على مئة ميل . واما الاقمار الاربعة التي اكتشفها غليليو فقطر الاول منها ٢٤٠٠ ميل والثاني بين ٢٠٠٠ و ٢٢٠٠ (اي قدر قطر قمرنا) والثالث ٣٠٠٠ ميل والرابع ٣٦٠٠

ولا يزال تفصيل اكتشاف القمر السادس مجهولاً ولكن الاستاذ برين قال في رسالتهِ التي اذاع بها هذا الاكتشاف ان زاوية مركز القمر كانت ٢٦٩ في ٤ يناير وسرعة اقترابهِ الظاهر نحو المشتري ٤٥ً في اليوم اي نحو مئة الف ميل وهو من القدر الرابع عشر اي اقل من قدر القمر الخامس بواحد وكان بعدهُ من المشتري يوم اكتشافهِ نحو ٦ ملايين ميل

ساعة عجيبة

صنع رجل فرنسوي اسمهُ جونو من شركة لروى الفرنسوية المشهورة بعمل الساعات ساعة جيب صغيرة عجيبة قضى في عملها سبع سنوات واتمها حديثاً . وهي ذات وجهين احدهما مكشوف والآخر مغطى بغطاء منقوش نقشاً بديعاً . فالوجه المكشوف فيهِ دوائر وعقارب واشارات تدلُّ على الساعات والدقائق والثواني واوجه القمر الاربعة وايام الشهر والاسبوع الى ٤٠٠ سنة . والسنة مدة قرن كامل والشهور والفصول ونقطتي الانقلاب والاعتدالين . وفيها كرونوجراف يدل على الساعات والدقائق والثواني وكسور الثانية وهو يستعمل في التجارب والارصاد العلمية . وزنبرك يدلُّ على الدقيقة التي دورت الساعة فيها . واشارات اخرى تدلُّ على متوسط الوقت الشمسي ومعادلة الوقت

اما الوجه المغطى ففيهِ ثرمومتر من نوع سنتغراد . وميزان شعري لقياس رطوبة الهواء وبارومتر من النوع المسمى انيرويد وآخر لقياس ارتفاع الاماكن التي لا يزيد علوّها على ٥٠٠٠ متر . ودائرتان لمعرفة ساعات شروق الشمس وغروبها في لسبون عاصمة البرتغال . وآلة دقيقة تصلح وقت الغروب من غير ان يفتح غطاء الساعة ودائرة اخرى لمعرفة طول ١٢٨ مدينة من مدن الارض

وفيها ايضاً صور وجه السماء بابراجهِ وكواكبهِ ومجرَّتهِ كما يرى من باريس ولسبون وريو دي جانير وعاصمة البرازيل . وهي تدقُّ عند نهاية كل ساعة ونصف ساعة وربع ساعة ودقيقة . فاذا كانت الساعة ١١

والدقيقة ١٩ دقت احدى عشرة دقة دلالة على الساعات ثم ثلاث دقات بنغمة خصوصية دلالة على الربع ثم اربع دقات بنغمة اخرى دلالة على الدقائق الاربع الباقية

وقد اشترى هذه الساعة كونت برتوغالي بعشرين الف فرنك

آثار هركولانيوم

زار الاستاذ تشارلس ولدستين من اساتذة كلية كمبردج مدينة نيويورك حديثاً وخطب على جماعة من علمائها وادبائها خطبة ضمنها وصف مشروع غايتهُ التقب عن آثار مدينة هركولانيوم الرومانية التي اخربها بركان يزوف واخرب مدينة بمباي معها في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي . ومآل هذا المشروع ان تشترك حكومة اميركا وحكومات الدول الاوربية العظمي معاً في دفع المال اللازم للانفاق عليهِ . ولا بدَّ ان يكون العمل شاقًا والنفقة كثيرة لان مدينة رزينا الايطالية قائمة حيث قامت هركولانيوم قديماً فالحفر عن الآثار القديمة يستلزم عناية عظيمة ونفقات كثيرة

وعلماء الآثار يسمعون بهذا المشروع ويطربون ويتمنون تحقيقهُ في اقرب ما يكون اعتقاداً منهم بما يمكن ان يوجد في خرائب هركولانيوم وتحت انقاضها وردمها من الذخائر التاريخية التي لا تثمن . فان هركولانيوم كانت مدينة يسكنها اعيان الرومان واشرافهم واما بمباي فكانت مدينة الاوساط والفقراء ويؤمل العلماء ان يكتشفوا بين الانقاض كتب ليفي المؤلف المشهور الذي دفن عند ثوران البركان مع تآليفهِ فيعلموا منها عن تاريخ اوائل المسيحية اموراً لا يعلمونها الآن . و يظنون ان آثار هركولانيوم سلمت من التلف اكثر من آثار بمباي لانها غطيت بطبقة من الوحل الناعم سمكها ٨٠ قدماً فحفظت الخشب والقرطاس وغيره من المواد القابلة للتلف السريع بخلاف بمباي فانها غطيت برماد حارّ ابلى كثيراً مما كان فيها

طعام المستقبل

كتب احد الانكليز مقالة عنوانها "الثورة المستقبلة في الطعام" بناها على اكتشاف الدكتور هايج وهو ان معظم الامراض ناشئ عن زيادة تكوُّن الحامض اليوريك وانهُ يجب الامتناع عن تناول جميع المآكل التي يتكون الحامض المذكور منها . قال ان بين اهالي الطبقة المتوسطة في انكلترا ٥٠ في المئة صحتهم دون المتوسط وكلٌّ منهم يرغب طبعاً في تحسين صحتهِ وللوصول الى هذه النتيجة يجب الامتناع عن اكل اللحم والبقول مثل البازلا واللوبياء والعدس لانها تتضمن الاصل المسمى زانثين وهو الذي يتحول الى حامض يوريك في الجسم وعن

شرب الشاي والقهوة والشكولاتا والكحول للسبب نفسهِ ويكتفى بالخبز والرز والمعكرونة وما اشبه طعاماً واللبن والماء شراباً

آلة للنجاة من الغرق

اخترع بعض الفرنسويين آلة تنجي من الغرق يلبسها راكب البحر مدة سفرهِ كلها تحت ملابسهِ العادية فلا تضايقهُ ولا يشعر بها احد غيرهُ وهي مؤلفة من عدة اكياس لا يخرقها الماء تتصل بها انبوبة فيها عند مدخلها شيء من كربيد الكلسيوم فاذا سقط لابسها في الماء تبلل كربيد الكلسيوم الذي في الانبوبة فتكوّن منهُ غاز الاسيتلين وملأ الاكياس فعام لابسها . وقد جربوها في لاروشل بفرنسا فلبسها رجل لا يحسن السباحة ثم القى بنفسهِ في الماء فلم يكن الأ كلمح البصر حتى طفا وراسهُ وذراعاهُ الى فوق ومرت ثانيتان فقط بين تبلل الكربيد وتكوّن الغاز

دواء المسكر

أشار احد الكتاب الفرنسويين بالامور الآتية في معالجة المسكرات وتقليل ضررها منها

(١) ان تلغي الحكومات امتيازات عمل الكحول الأ لحاجة الطبيب

(٢) عقد الجمعيات ونشر الكتب للحضّ على هجران المسكرات

(٣) حماية اولاد السكيرين

(٤) الاعتناء بالسكيرين لشفائهم من السكر او التشديد في عقابهم

(٥) حرمانهم من بعض المناصب مثل النيابة في مجالس الامة والقضاء والطب والتعليم وما شاكل ذلك

مؤتمر للعاديات والآثار

يقام في ٧ ابريل القادم مؤتمر دولي للآثار والعاديات في اثينا برئاسة ولي عهد اليونان فتعقد جلستهُ الاولى في البارثنون حيث يخطب ناظر المعارف اليونانية خطبة الافتتاح ويقرأ مدير المتحف اليوناني تقريرًا يصف فيهِ سير اعمال البحث عن الآثار في بلاد اليونان . ويقسم المؤتمر سبعة اقسام تحصر اعمالها في الآثار التي قبل التاريخ والآثار الشرقية والحفر والمتاحف وحفظ الآثار وآثار القسطنطينية وعلم الآثار وما اشبه من المواضيع

الماجور رونلد روس

يذكر القراء الماجور رونلد روس الذي انتدب منذ مدة لدرس طبائع البعوض في الاسمعيلية وتخفيف وطأة الحمى الملارية فيها. وقد خطب اخيرًا خطبة في لفربول موضوعها " تقدم الطب في المنطقة الحارة " فاشار في خلال خطبتهِ الى الاكتشافات التي ثبت منها ان الحمى الصفراء لاتنقل الأ بواسطة البعوض والى الوسائط التي اتخذتها شركة

قنال السويس لمقاومة الملاريا فكانت النتيجة ان متوسط الاصابات السنوية بالملاريا في الاسمعيلية قلّ من الفين الى مئتين . ثم أخبر سامعيهِ ان مدرسة لفربول انفذت اربعة عشر وفدًا لدرس امراض المنطقة الحارة في جهات الارض المختلفة . وكان في جملة سامعيهِ البرنسيس كرستيان شقيقة ملك الانكليز والمستر تشمبرلن

تجارب بالبلون

نشر الدكتور بلاتسو الايطالي مقالة وصف فيها بعض تجارب علمية جربت باطلاق بلون في الهواء . وقد جاء فيها ان ذلك البلون يصنع من اللاستك على هيئة كرة وهو مقفل ويمكن ان يتمدد الى ٧٠ ضعف حجمهِ الاصلي . فكان اذا اطلقوهُ يصعد سريعًا الى علوّ ٢٠ الف متر حيث يهبط الزئبق في الثرمومتر الى ٦٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . وكانوا يطلقون بلونين معًا الواحد فوق الآخر فيملأُون الفوقاني جيدًا ويتركون التحتاني ناقصًا ويعلقون بهِ الآلات اللازمة للتجربة فينفجر الاول لشدة الضغط الداخلي ويأخذ الثاني في السقوط بسرعة عظيمة في بادىء الامر ثم تخف سرعتهُ فيصل الى الارض سالمًا ويُعلم مما فيهِ من آلات الارصاد الجوية مقدار الارتفاع الذي بلغهُ ومقدار البرد الذي لقيهُ هناك

بيع سفن قطبية

بيع ثلاث سفن من السفن المشهورة برحلاتها الى القطب الجنوبي . الاولى السفينة المسماة ترانوفا اشتراها تاجر اميركي بتسعة آلاف وست مئة جنيه وفي عزمهِ ان يرسلها للاكتشاف في الاقاليم القطبية الشمالية . والثانية السفينة مورننغ وقد بيعت بالف وست مئة جنيه . والثالثة السفينة دسكفري وقد بيعت بعشرة آلاف جنيه

علاج السرطان

خطب الدكتور وبصن في غرة دسمبر الخطبة المسماة خطبة بردشو في مدرسة الجراحين الملكية ببلاد الانكليز وكان موضوع خطبتهِ معالجة السرطان فبين انهُ لا فائدة من العلاج الدوائي في هذا الداء الوبيل وانما تفيد العملية الجراحية اذا عُرف السرطان في اول ظهورهِ واستئصل كلهُ وقليل من اللحم الذي حولهُ . والعملية الجراحية ممكنة اينما كان موقع السرطان من الجسم

جائزة للهندسة

تنوي احدى الجمعيات الرياضية الايطالية منح جائزة للهندسة في المؤتمر الرياضي الدولي الرابع الذي يعقد في رومية سنة ١٩٠٨ . والجائزة مدالية ذهبية ومال قدرهُ ثلاثة آلاف فرنك تعطى لمن ينشىء

مقالة مفيدة في مذهب المخنيات الجبرية ويشترط ان تكتب المقالة بالايطالية او الفرنسوية او الالمانية او الانكليزية وترسل الى رئيس الجمعية المسماة Circolo Matematico قبل غرة يوليو من سنة ١٩٠٨

خرائط كبيرة

شرع الاستاذ نبك منذ خمس سنوات في عمل خارطة كبيرة للارض بنسبة ١ الى مليون . وقد رفع حديثاً تقريراً الى المؤتمر الجغرافي الدولي الذي عقد في وشنطون عن سير عملهِ . واصدرت فرنسا والمانيا وانكلترا في السنوات الاربع الاخيرة خرائط لافريقية واقسام كبيرة من اسيا واميركا وفيها رسوم نحو ١٠ ملايين ميل مربع

تذكار فنسن

يهتم اهالي الدنمارك الآن بجمع المال لاقامة تمثال للدكتور فنسن مكتشف العلاج بالنور . وعلى هذا الاسلوب يكرَّم العلماء دواماً في البلدان التي تعرف قدرهم

هبة غنيّ

وهب المستر كارنجي الغني الاميركي المشهور ١٠٨ آلاف جنيه لانشاء دار للعلم والفنون في بوستن احدى مدن اميركا . وكان بنيامين فرنكلين السياسي والفيلسوف الاميركي المعروف قد اوصى بالف جنيه من مالهِ لمثل ذلك العمل منذ مئة سنة فبلغت هي وفائدتها ٥٤ الف جنيه في تلك المدة وستضاف الى هبة كارنجي لانشاء الدار المشار اليها

جوائز صناعية

منحت جمعية ترقية الصناعة الوطنية في باريس عدة جوائز للفائزين في حلبة الصناعة فنال بعضهم جائزة على اكتشافاتهِ في الفوتوغراف وآخر على تلبيس المعادن بالكهربائية وآخر على البناء والفنون الجميلة وآخر على زيادة احماء البخار

هذا في الصناعة المادية واما في الصناعة الادبية فقد نال المسيو فردريك مسترال الشاعر الفرنسوي نصف جائزة نوبل على اتقانهِ لصناعة الشعر ولكنهُ عزم على التنازل عن هذا المال لاحد المعاهد العلمية

علاج دويان للسرطان

لمَّا اذاع الدكتور دويان الفرنسوي خبر اكتشافهِ لسبب السرطان وعلاجهِ عينت لجنة من كبار العلماء لتحقيق اكتشافهِ منها المسيو متشنيكوف ومآل ما توصلت اليهِ انهُ لا يمكن الآن معرفة نوع الميكروب تماماً ولا ما اذا كان اللقاح الذي عملهُ الدكتور المذكور يشفي من السرطان او لا

تطهير السفن من مكروبات الطاعون

بحث بعض الاطباء في الطرق المستعملة لتطهير السفن من مكروبات الطاعون وقتل الجرذان وهي احراق الكبريت واستعمال سائل الحامض الكبريتوس واكسيد الكربون والحامض الكربونيك وطريقة كلايتون . فأبان ان اكسيد الكربون قاتل للجرذان ولكنهُ لا يؤثر في الميكروبات ولما كان عديم الرائحة فقد يميت من يستنشقهُ وهو لا يعلم وقد يحدث انفجارًا بمجرد ملامسته للهواء . والحامض الكربونيك قاتل للجرذان ولكنهُ لا يطهر من ميكروبات الطاعون ويقتضي استعمال مقدار كبير منهُ فتكثر نفقتهُ . اما احراق الكبريت فزعج ولكنهُ رخيص وتأثيرهُ متوسط وهكذا يقال في الحامض الكبريتوس ولكنهُ اسرع فعلاً واكثر ثمناً . فتبقى طريقة كلايتون وهي احراق الكبريت في فرن وارسال الدخان منهُ الى العنابر التي يراد تطهيرها ولعلها احسن الطرق ولكن دخان الكبريت يتلف بعض الادوات ولاسيما اذا كانت رطبة ولا ينتشر جيدًا

ساعة المرضى

استنبط الاستاذ هرث البقاري ساعة تنار بالكهربائية وينعكس النور عنها الى سقف الغرفة التي فيها المريض فيلقي ظلها على السقف مكبَّرًا فاذا اراد المريض ان يعرف كم الساعة ضغط زرًّا بجانبهِ فيتصل المجرى الكهربائي وينير القنديل فيقع ظل الساعة على سقف الغرفة امامهُ فيراهُ من غير ان يرفع رأسهُ

اكبر سرطان

مُسك سرطان من نوع الكركند طولهُ متر و١٣ سنتمترًا وثقلهُ ٣٦ رطلاً ويستطيع ان يضم الانسان بذراعيهِ وهو اكبر السراطين المعروفة ويتلوهُ سرطان من نوعهِ مُسك سنة ١٩٠٢ طولهُ ثلاث اقدام وثقلهُ ٣٤ رطلاً

شركة الاوتوموبيل

أُلفت شركة في مصر لجلب كثير من مركبات الاوتوموبيل وتسييرها في الشوارع ليركبها الناس بدل الامنيبوس . وتهتم الحكومة الآن بتعيين الشوارع التي تسير فيها مركباتها . وسترى انها خير واسطة لحفظ الشوارع من التلف ولاسيما الشوارع التي فرشتها بالاسفلت . وسيكون الاوتوموبيل مركبة المستقبل يستغنى بهِ عن الخيل والبغال فتقل نفقات اصلاح الشوارع ويسلم الهواء من انفاس الدواب وتخلص الطرق من اروائها

تقريظ الكتب

لدينا كتب ومجلات كثيرة ضاق هذا الجزء عن تقريظها وسنقرضها في الجزء التالي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثلاثين



December 1930 | دسمبر ١٩٣٠



الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٢

مرض النوم

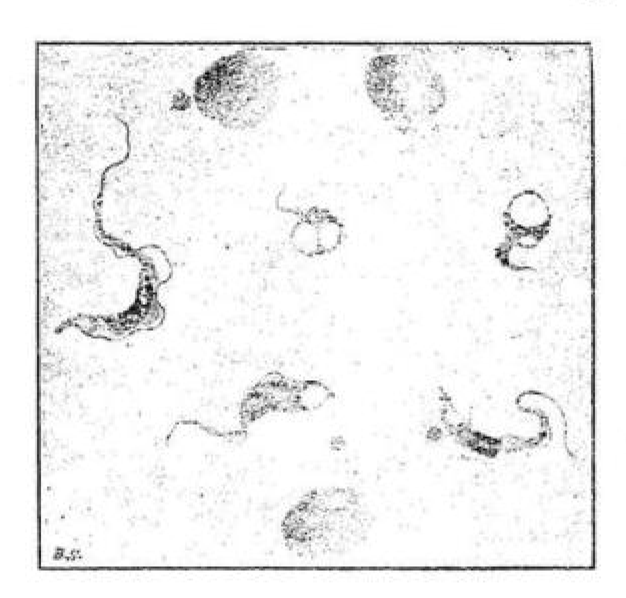
مرَّ الكبتن جريج بالقطر المصري عائدًا من قلب افريقية حيث ذهب للبحث عن مرض النوم وقد خطب في مدرسة قصر العيني الطبية في هذا الموضوع في الرابع من شهر فبراير فاستهل الخطبة بذكر تاريخ هذا المرض وقال انهُ اول ما وُصف بانهُ مرض قائم برأسهِ في غرب افريقية كان سنة ١٨٠٣. والظاهر انهُ اراد بذلك ان الاوربيين الذين دخلوا افريقية لم يذكروهُ قبل تلك السنة لان علماء العرب ذكروهُ قبل ذلك بمئات من السنين. قال ابن خلدون في تاريخهِ عند ذكر ملوك السودان ان الملك جاطه الذي كان تجار مصر يترددون الى بلدهِ " اصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيرًا ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصًا الرؤساء منهم يعتادهُ غشي النوم عامة ازمانهِ حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الأ في القليل من اوقاتهِ و يضر صاحبهُ ويتصل سقمهُ الى ان يهلك ودامت هذه العلة بجاطه مدة عامين اثنين وهلك سنة ٧٧٥ هـ". وهذا نصٌّ صريح على ان مرض النوم كان معروفًا عند العرب منذ نحو خمس مئة وخمسين سنة وان العرب سموهُ علة النوم وكان منتشرًا حيث هو منتشر الآن

ثم أبان الخطيب ان لجنة الجمعية الملكية اكتشفت السبب الحقيقي في انتشار هذا المرض واكتشفت وسائط انتشارهِ ايضًا في اوغندة سنة ١٩٠٣ فوجدت انهُ طرق اوغندة بفتح طرق التجارة اليها فأُصيب اول انسان بهِ فيها سنة ١٩٠١ ثم فشا باهلها فاهلك منهم مئة الف نفس منذ ذلك الحين ويموت بهِ الآن الف نفس منهم كل شهر

ثم وصف المرض فابان مكان انتشارهِ على الخريطة فاذا البلاد التي ينتشر فيها واقعة على الضفاف الشمالية من بحيرة فكتوريا نينزا حيث الاشجار كثيرة والظل وارف. واسم هذا

المرض بمرض النوم يوهم السامع بخلاف الواقع فان النوم لا يعتري المريض الاَّ في آخر درجة من درجات المرض وقد لا يعتريهِ مطلقاً بل يصاب بمس في قواهُ العقلية بدلاً من النوم

واهم اعراض هذا المرض تضخم الغدد اللمفاوية وخصوصاً العنقية منها في اوائلهِ اما درجة الحرارة فقلما تختلف حينئذٍ بل تسير على قياس واحد ثم تعلو فجأةً وتعود فتهبط وهكذا حتى تهبط اخيرًا الى ٩٢ فارنهيت ويموت المريض . ثم قال ان نحو ٧٠ في المئة من اهل الجهات التي فشا مرض النوم فيها مصابون بهذه العلة في اوائلها وهؤلاء اما ان تشتدَّ العلة عليهم ويعتريهم النوم واما ان تصيبهم علل أُخرى كذات الرئة فيموتوا بها واما ان يزمن معهم المرض وربما شفوا منهُ اخيرًا

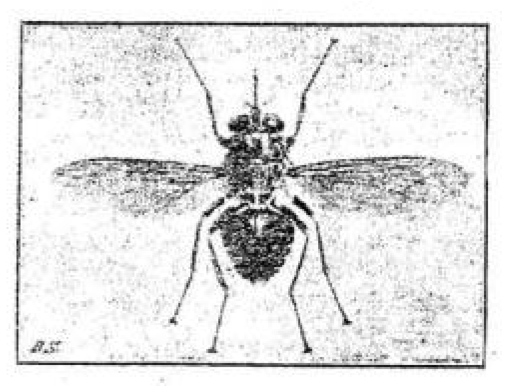


الشكل الاول

واستطرد من ذلك الى الكلام على سبب هذا المرض فوصف الطرق التي اثبتت اللجنة بها ان سببهُ حويين لا يرى الاَّ بالمكرسكوب وهو يشبه العوَم في هيئتهِ كما ترى في الشكل الاول . وعرض صورة هذا الحويين مكبرة كثيرًا وشرح كيفية تكاثرهِ بالانقسام واثبت انهم لقحوا القرود بدم فيهِ هذا الحويين فاصيبت بمرض النوم وان هذا المرض علة من علل الجهاز اللمفاوي في الجسم

وانتقل الى ذكر الواسطة التي تنقل العدوى بهذا المرض من شخص الى شخص فقال انها

ذبابة من الذباب المعروف بالتستسي وهذا الذباب انواع منها نوع يلسع الدواب والمواشي فيقتلها وهو غير ذبان مرض النوم فهذه الذبان تشبهُ ذبان البيوت كما ترى في الشكل الثاني ثم وصفها وعرض صورها مكبرة وعرض ذباباً منها ومن انواع التستسي الاخرى مصبرة وعرض ايضاً بيوضها مجففة وشرح كيفية نقلها للعدوى بامتصاصها دم المريض الذي فيهِ حويوين المرض وادخالها اياهُ في اجساد الاصحاء بلسعها اياهم واوضح كيفية اثبات اللجنة لذلك بطرق يضيق المقام عن ايرادها وقال ان معظم لسع هذه الذبابة يكون نهاراً حيث يجول الناس نهاراً للبيع والشراء والاخذ والعطاء. وانهم ارسلوا الاولاد لالتقاط ذبان منها وربوها وجربوا تأثير



الشكل الثاني

لسعها للقرود بعد امتصاصها دم المرضى من البشر فكان القرد يصاب بالمرض بعد ذلك بست ساعات او ١٢ ساعة او ٢٨ ساعة والمرجح انهُ لا يصاب بعد خمسة ايام كأن الحويوين يفقد قوتهُ فيها بعد تلك المدة . ولا يعدي الانسان بهِ غير القرد من انواع الحيوان . ثم عرض صورة قرود أُصيبت بهِ بعد ما عرض صور اناس مصابين بهِ فكان ظاهر تأثيرهِ في النوعين متشابهاً تشابهاً كلياً انتهى

اما من حيث علاج هذا المرض فقال الدكتور ستفنس في جريدة ناتشر ان لا علاج لهُ على ما يُعلَم حتى الآن لان كل الادوية التي استُعملت لم تنجع في المرضى والغالب انهم يموتون بهِ عولجوا او لم يُعالجوا فيجب ان توجَّه العناية الى الوقاية منهُ. والوقاية سهلة لان الذبابة التي تنقل عدواهُ تقيم في الغابات الملتفة وقلما توجد في الاماكن الخالية من الاشجار. هذا وقد بحثنا في كتب العرب لنرى ما ذكروهُ من امر هذا المرض فلم نقف الا على الفقرة المذكورة آنفاً وقد نبهنا اليها حضرة عباس افندي حمدي احد مشتركي المقتطف

بناء الارض والقمر

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ السر ارتشبلد غيكي الجيولوجي فاقتطفنا منها ما يأتي

اتجهت انظار الجيولوجيين في السنين الاخيرة الى القمر فدرسوا وجههُ لعلهم يبلغون من ذلك الى العلم بكيفية نشوء الاجرام السموية وارتقائها وخصوصاً الارض اذ معرفتنا من هذا القبيل قليلة جدًّا . فان معظم الذين بحثوا في هذا الموضوع يذهبون الى ان القمر كان في سالف الحقب كتلة سائلة كما كانت الارض وان كثرة براكينهِ تدل على انهُ طرأ عليهِ ثوران داخلي لايعدُّ ثوران الارض شيئًا مذكورًا في جنبهِ فكانت الحمم والغازات تنبعث من جوفهِ الى سطحهِ كما يحدث عند ثوران براكين الارض. ولكنَّ قومًا آخرين من العلماء يقولون ان القمر تكوَّن من تجمع الشهب والنيازك التي كانت تحيط بكرة الارض وان براكينهُ لم تنشأ عن انقذاف الحمم والغازات من جوفهِ بل عن سقوط النيازك والرجم التي انقضت عليهِ من جوّ الارض. فكانت تصل سطحهُ مائعة او غازية من شدة الحرارة فتصهر الاماكن التي تسقط فيها

وآخر المباحث في هذا الشان ما عرضهُ الفلكيان الفرنسويان ليوي وبويزه على اكادمية العلوم الباريسية فانهما وجَّها الانظار الى الصور الفوتوغرافية الحديثة التي صوَّرا القمر بها وما تدلُّ عليهِ من الادوار التي تقلبت الاجرام السموية عليها وهي تنتقل من السيولة الى الجمود وفي جملتها الدور الذي بلغتهُ الارض والدور الذي بلغهُ القمر في اثناء ذلك الانتقال

اما من جهة الارض فهناك مذهبان متناقضان . فمعظم الجيولوجيين يقولون ان جوف الارض مؤلف من مادة مصهورة بردت رويدًا من الخارج الى الداخل وان قشرتها الجامدة رقيقة بالنسبة الى حجمها . ولكن بعض العلماء الطبيعيين يقول ان القشرة التي تكونت اولاً عادت فانكسرت وصهرت وان جمود الارض الحالي بدأ من مركزها واخذ يمتد الى سطحها حتى جمدت كلها ما عدا بقعاً متفرقة تستمد البراكين منها مقذوفاتها. وان المواد التي هي اكثف من غيرها واصعب ذوبانًا تجمعت حول المركز واما التي هي اخفُّ من غيرها واسهل ذوبانًا فقد ارتفعت وتجمعت قرب سطحها

وبنى الجيولوجيون مذهبهم على ادلة كثيرة منها انهُ لا يمكن البراكين ان تقذف ما تقذف من المواد المصهورة ما لم يكن باطن الارض او الجزء القريب من سطحها سائلاً . واما العلماء الطبيعيون فيبنون مذهبهم على اسباب رياضية لم تثبت صحتها . فمن اعتراضاتهم على مذهب الجيولوجيين انهُ لو كان باطن الارض سائلاً لبات عرضة للمدّ والجزر مثل ظاهرها ولارتفعت قشرتها او هبطت تبعاً لذلك . ومنها انهُ لو كان سائلاً ما استطاعت قشرة الارض الرقيقة ان

تحمل سلاسل الجبال العظيمة فناءت بحملها وهبطت الجبال الى جوف الارض

على ان هناك مذهباً ثالثاً احدث من السابقين وهو ان جوف الارض مملوءُ غازاً وان غاز الحديد الذي فيهِ اصلب من الفولاذ على سطحها وذلك بسبب شدة الضغط عليهِ ويحيط بالغاز مواد سائلة تكوّن غلافاً رقيقاً لهُ وحول الكل القشرة الجامدة وقد لا يزيد سمكها على ٢٥ ميلاً او ٣٠ . ورأى اصحاب هذا المذهب في الزلازل الحديثة ما يدلُّ على صحتهِ

وقد بحث ليوي وبويزه في هذا الموضوع بلا غرض ولا هوى وبنيا بحثهما على الصور الفوتوغرافية التي صوَّرا القمر بها فسلّما بان القمر كان في سالف الزمن سائلاً وان هناك آثاراً تدلُّ على انتقالهِ من حال السيولة الى حال الجمود ولكنهما لا يعلمان ما اذا كانت الحرارة فيهِ تزيد بزيادة العمق وما اذا كان مختلف الكثافة وانما يريان في تلك الصور اموراً تدلُّ على ان جمودهُ بدأ من سطحهِ كما بدأ جمود الارض على مذهب الجيولوجيين

ثم ان اختلاف المرتفعات والمنخفضات على سطح القمر اعظم من اختلافها على سطح الارض والناظر اليها يرى فيها آثاراً تشبه الآثار التي يحدثها سائل متحرك في جدران الاناء الذي يحتوي بهِ وتدل على انبثاقهِ منهُ وفيضانهِ على الارض التي حولهُ وجعلها سهلاً منبسطاً في اطرافهِ قطع من الجدار الذي انبثق السائل منهُ . ومنها الشقوق الكبيرة في جوانب بعض الجبال وهي تدل على ان جوانب تلك الجبال انثغرت او انشقت لانها كانت غير ثابتة . ولا يعلل ما يرى من التموج في سطح واسع جداً من الارض ومن انتقال بعض الاجسام الكبيرة من جهة الى اخرى كسقوط قمة جبال الابنين وانقداد الصخور الكبيرة من جبال القوقاس وتكوّن الاودية القائمة الجدران بين جبال الالب الأ بان تلك الجبال كانت تخوماً لبحر من المواد السائلة

وفي هذه الصور امور اخرى واضحة تدلُّ على ان جمود القمر بدأ من الخارج الى الداخل وعليهِ قال العالمان المذكوران انهُ بعد ان تكوّنت قشرة رقيقة في القمر اخذ السائل يتقلص الى الداخل رويداً رويداً حتى انفصل عن القشرة فحدث فراغ بينهما امتلأ غازاً ولما كان شديد الانضغاط منع القشرة من الانخساف ولكنهُ لم يكن كافياً لمنعها من الانكسار عند فوران السائل الداخلي . فلما فار لاسباب لا تعرف انكسرت القشرة عند اضعفها فانخسفت وخرج السائل من الداخل فافضى ذلك الى حدوث الدوائر العظيمة المتدرجة التي ترى في الانحاء القطبية حيث كان الجمود على اسرعهِ . اما في الانحاء الاستوائية حيث قوة المدّ وقوة الدفع عن المركز على اشدها فان فوران السائل احدث ما تسمى بحور القمر . والصور تدل على ان ذلك تكرر خمس مرات وكان كلُّ مرة اخفَّ من الاولى بسبب تكاثف القشرة فالبحر الاول اوسعها

والخامس اضيقها وبين حفر الواحد والآخر منها مسافة عدة الوف من الامتار . فلو بدأ الجمود من الداخل لكانت النتيجة على خلاف ما نراهُ الآن فلم نرَ سوى آثار البحر الخامس او احدث البحور ولم يظهر اثر الثوران على سطح القمر

وخلاصة رأي هذين العالمين مؤيدة لآراء الجيولوجيين اي ان الارض والقمر اخذا يجمدان من السطح الى المركز وانهما لا يزالان يجمدان الى الآن

طول العمر

صدر في بلاد الانكليز مجلة جديدة اسمها المجلة العظيمة اقترحت على جماعة من الشيوخ ان يخبروها بما يظنون انهُ كان سبباً لطول عمرهم وقد اقتطفنا ما يأتي مما اجابوها بهِ

قال اللورد جويدر وهو اكبر اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي سناً لان عمرهُ الآن نحو ٩٥ سنة ان السبب لطول عمره امتناعهُ عن التدخين وكثرة الرياضة في الخلاء والاعتدال في الاكل والشرب قال "لست من الذين يقولون بوجوب الامتناع عن اكل اللحم والاقتصار على اكل الاطعمة النباتية بل اني آكل من جميع اصناف اللحم بلا استثناء . وطعامي في الصباح الآن بعض الخبز واللبن وكنت آكل قبلاً من جميع ما يقدَّم لي . وغدائي لحم وخضر وصنف من الحلوى واشرب معهُ قليلاً من الموسكي ممزوجة بالماء . وفي وقت شرب الشاي اشرب فنجاناً من الشاي وآكل بعض الكعك والفاكهة . وعشائي خبز وزبدة وشكولاتا ووقتهُ الساعة الثامنة وكنت اتعشى قبلاً عشاء ثقيلاً مثل الغداء . وكنت معتدلاً في شربي ولم امسَّ الدخان قط . اما من جهة الرياضة البدنية فاني كنت أُكثر منها ولم اقتصر على نوع واحد من انواعها . وكنت انهض من النوم الساعة السادسة صباحاً ولكنني الآن ابطئ في النهوض ومتوسط نومي عشر ساعات في اليوم

وسئل اللورد نلسون من اعضاء مجلس الاعيان ايضاً وعمرهُ ٨٢ سنة فقال "كنت مصاباً بسوء الهضم وانا صغير السن حتى بلغت السادسة من عمري فتمتعت بعد ذلك بالصحة التامة . ومنذ نحو عشرين سنة أُعطيت جرعة كبيرة من الستركنين فظهرت عليَّ اعراض السم ولزمت الفراش زماناً حتى قال طبيبي اني لن استطيع المشي بعد ولكنني لبثت اجهد النفس وانا لا آكل حتى صرت استطيع الخروج للصيد وامشي اربعة اميال او خمسة في اليوم. وما زالت هذه عادتي منذ عدة سنوات" . الى ان قال

" اذا لم يكن بك علة موروثة عن اجدادك فسرّ طول العمر ان تعيش على حسب القوانين التي سنّها الله . وانغماس الشاب في ملاذ الشباب انما هو السبب الحقيقي في معظم الشرور والبلايا التي ترافق هذا العمر . ولست انام في ساعة محدودة ولكنني انام غالبًا الساعة الثانية عشرة وقلّما انام سبع ساعات . ولا اترك للهموم مجالاً في نفسي فاذا عراني همٌّ او غمٌّ سرّحتهما بما في وسعي . وهذا مما يبعد العلل والاسقام ويشرح الصدر ويجعل الشيخ ابن الثمانين يشعر بنشاط الشباب وقوته . ولست ادخن وانا اعتدل في طعامي وشرابي واجتنب شرب المسهلات ما امكن "

وقال السر وليم هجنس رئيس الجمعية الملكية وعمره ٨١ سنة ما يأتي

" اني اقلل من اكل اللحم جدًّا واكثر من اكل اللبن وما طبخ به . واشرب القهوة وملعقة صغيرة من الموسكي الجيد ممزوجة بالماء البارد . ولم ادخن قط . وانام نحو تسع ساعات في الليل وافضل الاكل ثلاث مرات في اليوم . والرياضة في الخلاء مفيدة ولكنَّ احوالي الحاضرة تمنعني منها وخير الوصايا للأكل ان يقلل الانسان من اكل اللحم ويستعيض عنهُ باللبن والارز وما اشبه "

وقال السر وليم درنكووتر " لست من اكلة المواد النباتية بل آكل اللحم على انواعهِ . وآكل اربع مرات في النهار ولكنني اعتدت اخيرًا ان ازيد عليها مص اللبن والكعك ليلاً . وطعامي صباحًا سميذ مطبوخ باللبن وسمك ولحم مقدد وبيض واشرب القهوة . وغذائي لحم وبطاطس وشاي وملعقة من الموسكي . وعند الساعة الخامسة اشرب فنجان شاي وآكل معهُ بعض الخبز المحمص . واتعشى الساعة السابعة ونصفًا وعشائي من شوربة وسمك ولحم وحلوى وفاكهة واشرب بعض الخمر . ولست ادخن البتة . وكنت اركب الخيل واخرج للرياضة كل يوم تقريبًا ولكنني انقطعت عن ذلك منذ عشر سنوات واقتصرت على الخروج للنزهة ماشيًا او راكبًا مركبة وعلى لعب الالعاب الخفيفة مساء مثل البلياردو وما شاكل . وانام الآن سبع ساعات من الساعة ١١ مساء الى ٦ صباحًا ونحو نصف ساعة في النهار . وعمري الآن نحو ٩٣ سنة "

والاستاذ جون مايور استاذ اللغة اللاتينية في كلية كمبردج سابقًا وعمرهُ الآن ٨١ سنة يختلف عن الذين تقدم الكلام عليهم في انهُ من آكلي الاطعمة النباتية فانهُ امتنع منذ سنة ١٨٧٨ عن اكل اللحم وشرع في تجربة الاطعمة النباتية والصيام فلم يذق سمكًا ولا لحمًا منذ ذلك العهد الى الآن . وكذلك امتنع عن الشاي والقهوة والشكولاتا وغيرها من المشروبات الحارة وعن المسكرات والمخدرات والمسكنات والمنبهات وسائر الادوية . وقد يشرب اللبن ولكنهُ قلّما يذوق ما يصنع منهُ مثل الزبدة والجبن وغيرهما وقلّما يذوق البيض ايضًا . وقد سئل عما يأكلهُ عادة فقال " اشرب صباحًا فنجانًا من مرق الخضر المسلوقة بالماء وآكل بعض الفاكهة الخضراء مثل البلح

والموز وبعض الفاكهة المطبوخة مثل التفاح والخوخ والشليك. وغدائي يتألف من الخضر المطبوخة والفاكهة. وعشائي من شوربة الخضر والخبز الاسمر والمعكرونة والطماطم المحشوة والفطر وما اشبه ذلك. وآكل احياناً بعض الفطائر معها . ولست الآن في حاجة الى الرياضة لبساطة طعامي . واستيقظ صباحاً الساعة الرابعة وعيناي لا تكلآن من اصغر الحروف وسمعي لا يزال حاداً . واقرأ خمس ساعات او ستاً بصوت عالٍ كلَّ يوم وهذا مما يؤول الى حسن الصحة في اعتقادي "

ومما يهمُّ ذكرهُ في هذا الصدد ان طعام الاستاذ مايور خالٍ من المواد التي تحدث الحامض اليوريك في الجسم . والحامض اليوريك سمٌّ من السموم التي تدخل الجسم وتحدث الامراض فيهِ فتجنب اكل المواد التي تحدثهُ يجيد الصحة ويطيل العمر

وكثيرون من الذين عمَّروا طويلاً اقتصروا على شرب اللبن واكل الجبن وهما المادتان الحيوانيتان الوحيدتان اللتان لا اثر للحامض اليوريك فيهما . والبلغاريون يكثرون من شرب اللبن فلذلك كثر المعمرون بينهم وهم يحمضون لبنهم قبل شربهِ بترويبهِ ومتى راب اللبن تكوَّن فيهِ الحامض اللبنيك وهو قاتل لبعض المكروبات التي تعيش في المعى الغليظ على ما يقول الاستاذ متشنيكوف. وعندهُ ان الشيخوخة مرض معدٍ يمكن معالجتهُ مثل سائر الامراض

اما كون اللبن الرائب يحتوي مكروبات تحسن الصحة فامر اثبتهُ الاختبار ويجب ان يبقى اللبن اسبوعين في الاناء ليختمر ويحمض ثم يؤكل

وألف الدكتور كيث كتباً في اطالة العمر قال في احدها ما يأتي

" اتناول صباحاً فنجاناً كبيراً من الشاي والقشدة واربعين درهماً من الخبز الاسمر وقليلاً من السمك واقلَّ منهُ من اللحم المقدَّد وبعض الزبدة والمربى. وغدائي فنجان من الشكولاتا اذا كان الهواء بارداً والاَّ فكاس من اللبن تسع نصف رطل وسبعين درهماً من الخبز وبعض الزبدة والمربى. واذا لم يكن عندي لبن اكلت قليلاً من الجبن مكانهُ . واتعشى الساعة السابعة مساء وعشائي شوربة عدس وبطاطس وجزر وبازلا وهلمَّ جراً او شوربة سمك وقليلاً من السمك وراس بطاطس وشيء من الخضر. واذا لم يكن عندي سمك اكلت لحم ضان او طير او ارنب مرة او مرتين في الاسبوع ولا يزيد ما آكلهُ كلَّ مرة على ٣٠ درهماً ثم آكل قليلاً من الحلوى او الفاكهة . وفي الشتاء آكل بدلاً من الفاكهة والحلوى شيئاً من الكرفس والجبن او الزبدة . وفي الصيف اقلل اكل الخبز والزبدة "

وخلاصة ما تقدم انهُ يلزم لطول العمر الرياضة في الخلاء والاعتدال في الاكل والشرب

العصبيَّة

(تابع ما قبلهُ)

العصبية الدائمة الخلقية تتفاوت درجتها وتختلف قوتها بحسب مراتبها النفسيَّة فاساسها الانانية ومنها الروح السارية فيها ثم بعدها العصبية للاسرة ثم للعشيرة ثم للقبيلة ثم للامة ثم للنوع ثم للجنس. وكلما بعدت ضعفت والجنسية اضعف الجميع. هذا اذا تركت للفطرة دون تأثير للعوارض الخارجة الطارئة ولكن هنالك اسباباً تجعل المؤخر مقدماً والبعيد قريباً فربما يُذهب المرء نفسهُ ذبّاً عن امتهِ ووطنهِ او اسرتهِ وقبيلتهِ وهذا من الافراط فيها ولكنهُ محمود المغبة مشكور النقيبة قام عليهِ حفظ اصل النوع وبهِ اعتلت الفضيلة فاذا اختل مثل هذا تضعضع الكيان واضطربت الاكوان

لما تأصلت الغيرة الدينية في نفوس الاوربيين في القرن السادس للهجرة وتوجهت ابصارهم تلقاء فلسطين منبع اشعة النصرانية وعلموا ما يلاقيهِ الزائرون من العناء والاعنات كانت اقل نفحة من انفاس بطرس الناسك تذكي نار عصبية اندفع منها اتيّ عظيم على الشرق والشرقيين سال لهُ سيل الدم العرم يصلون حر النار لانقاذ البيت المقدس والمذبح المقدس والقبر المقدس من ايدي المسلمين

عصبية مذهبية ملية في غايات سياسية اذكاها امثال بطرس من زائري بيت المقدس المحرضين الهمم لانقاذهِ. صوَّروا للخاصة والعامة صوراً مختلفة متناهية في الفظاعة مثلوا بها حال المسلمين والاسلام في الارض المقدس صوراً اكبرها الوهم واعظمها النكر وبرهنتها العصبية فتناقلتها بينهم الالسنة وتنقلت في الاحاديث فظهرت لديهم بمظهر الحقيقة على ابين مثال ولم تكن اختبارات عقلاء المهاجمين لاحوال المسلمين كافية لمحو تلك الصور من الاذهان لاسيما والخاطبون بتأييدها دائبون في الدعوة اليها حتى اذا خمدت الجذوة وانطفأت الشعلة ووضح بعض الحق وارتقت العقول تراخت العصبية وقلت الفائدة فلم يبقَ لذلك التأثير الهائل من الخاطبين اثر يبعث الحروب ويجر الويلات ولكنهُ نمق اثاراً وشي في الافكار من العصبية بقيت تصور لهم المسئلة الشرقية بصورها المختلفة

قلنا ان العصبية اذا تجاوزت حدها الى افراط وتفريط كانت مذمومة المغبَّة وخير احوالها ما انتهجت فيهِ الطريق الوسط ولكن لابدَّ لما في ذلك من مسيطر وقوة حاكمة عليها تراعي فيها الاحوال وتصرفها كيفما شاءت وتلك القوة هي العقل وهو قد تتسلط عليهِ امور تقيد اطلاقهُ

من عادات وشهوات وملكات بكيفيات نفسيات فيصدأ من هذه الطوارق ولا صيقل له الأ التهذيب والتعليم والقدوة الحسنة . والقدوة قائمة على اتمها في الاصاغر بالنسبة الى الاكابر وفي العامة بالنسبة الى الخاصة ٠عنيت بالخاصة من بيدهم ازمة الامور في الحل والعقد والتربية والتعليم يقيمون العصبية الصالحة في هؤلاء حيث يسلكون منها النهج الصريح ويتلبسون بالمبدإ الصحيح فينسج المقتدون بهم على منوالهم وتأخذ العصبية الحقة حقها من النجاح ٠ لا اقول بانحصار التربية فيمن ذكرت بل اقول بلزومها لهم وانهم احق بها واهل لها. منزلة الاكابر في النفوس من الجاه والنفوذ وبسطة العيش والقوة هي مطمح انظار من دونهم يتعلق بها جل اهوائهم فبهم يتشبهون وبمثلهم يتمثلون كي يعدوا في عدادهم ويذكروا بينهم سنة جارية وحالة متبعة ٠ فاذا سلك الكبراء طريقاً تبعهم فيهِ غيرهم ان خيراً فخير وان شراً فشرٌ (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) لم تشذ بقوم عن نهجهم السوي غير العصبية الجائرة التي يسوقها الافراط والتفريط وانك لتجد في العصبية قبل تجاوزها حدها كياناً محفوظة واموراً متناسقة مستقيمة فاذا جاوزت حدها حصدت ما كانت جنتهُ قبل ادراكهِ فيذهب هشياً تذروهُ الرياح . وان الامة العربية لما ظهر فيها الاسلام ودعا في تعاليمهِ وشريعتهِ الى التآخي والتناصر في دفع المكاره واستجلاب المنافع قامت العرب امة حية تسعى لكيانها الديني بطريق لا يضر بل يحفظ لها كيانها الاجتماعي وضربت منها العصبية في النفوس لحفظوها فاستقامت لها الاحوال وانتظم المعاش وصعدت في رقيها حتى اصبحت المالكة ذات السلطة المطلقة . وللدين وآدابهِ الصحيحة وتعاليمهِ القوية فيها المقام الاول وهو بعدُ في جدتهِ لم تشبه البدع والاهواء بشوائبها ولم تدنسهُ الاباطيل بخزعبلاتها حتى اذا القت الرئاسة مقاليدها للداعين اليهِ والقائمين بنشرهِ قام فيهم جماعة لم يثقفهم التهذيب باصولهِ ولم يستمسكوا من عرى الدين بشيء وكثير ما هم فتراجع سيرُ الناهضين في رقيهم ووقفت حركتهم شيئاً فشيئاً واخذت القدوة تمثل اعمال اولئك بصورة مستحسنة تفتن الناظرين اليها فيسرون على نهجهم بعاداتهم وتقاليدهم فمسخوا كثيراً من القواعد الدينية وشوهوا بعض محاسنهِ وتراموا اولاً فاولاً في بيداء البدع بين آفن يرى بالرئاسة دون مالهُ من الحق وذي سلطة دينية يأمل ان تتخذ اعمالهُ واقوالهُ حجة ٠ فشذوا بذلك عن الاداب اللدنية والقواعد الدينية الصحيحة حتى تكوّن مع طول الزمن وترامي المدة بدعٌ اذهبت نضرة الدين والقوم سائرون في طريق القدوة لرؤسائهم حتي تفاقم الامر واستعظم وتشوهت الحقيقة بندوب البدع وتملكت العصبية من طريق القدوة في نفوس حرجة لا تفقهُ غير التقليد

يصدع الوازع بهدايتهِ وشريعتهِ حين يرى الضلال غالباً والشقاء حاكماً فلا يزال في وعد ووعيد وبشرى وانذار حتى يستفيء بمشكاة هديهِ جماعة ممن فتح الله قلوبهم للايمان بهِ فيستقيمون على سنة ولكن منهم من اخذ اليقين بلباب معرفتهِ فتراءى لهُ الحق باجلى مظاهرهِ فنبذ سنتهُ الاولى وعاداتهِ وعصبيتهُ حتى نُسخت من صحيفة ذهنهِ او كادت وبقيتهُ يدافعها عنهُ الى ان يدفع شرها وتقوم في نفسهِ عصبية جديدة للحق وللهادي اليهِ. ومنهم من ضعف يقينهُ شيئاً عن دفع مغالبة سننه القديمة وعاداتهِ وعصبيتهِ الاولى فكان بهِ نزعة لحالتهِ الاولى وعاداتهِ وتقاليدهِ القديمة ولا يزال يرمقها في افعالهِ واقوالهِ من طرف خفي ويقرب اليها من حيث لا يشعر حتى اذا طال الامد وسار المقتدون بهِ على منوالهِ وضحت تلك النزعات وظهرت تلك التقاليد في مظاهر اجلى في الخلف منها في السلف فتسترجع العوائد القديمة او ما يقاربها وترسخ بدعاً ثابتة فيقل اثر الاصلاح الذي صدع بهِ ذلك الوازع الكريم وتتجلى عادات مظهرها الديني والدين منها براء. بهذا وذاك تتأصل البدع وملكاتها في النفوس وتستطيل بتقلص ظل الهداية ويعود الدين غريباً كما بدأ ويستحكم التقليد

هذا هو الشأن في كل امة وملة ما لم يقم من رجالها سائرون في سنة الاصلاح على النهج السوي الصراح لا تثنيهم عن عزماتهم نزعات تلك العصبية ولا تقليدات تلك العظمة

نشأت المدنية في العرب وهم في خلة يتوارثونها خلفاً عن سلف وهي العصبية القومية والتباهي في العشيرة فلما ظهر الاسلام احل محلها العصبية الملية لمكان الحاجة اليها فهذبتها مهذبات الوحي وثقفتها مثقفات النبوَّة. ولما انقضى عصر النبوة وتلاهُ زمن الخلفاء الراشدين سارت الامة على الطريق المسنون اللاحب ولكن كان سيراً مع فتور يطرأ وشذوذ يحصل كما بعد المدى عن زمن الوحي حتى رجع حكم الامة الى الملك العضوض وترعرعت الفتن وعلت جذوتها تراجعت تلك العصبية القومية بما بقي لها من الآثار والنزعات في النفوس وتنوسي التثقيف الديني وذهب التهذيب الشرعي والقت الامة مقاليدها الى اولي العصبية منها غير ناظرة الى استجماعهم الشروط المطلوبة من الصلاح والاهلية خلا صبابة كصبابة الاناء من آدابها وتهذيبها وارتفع بالتدريج حق السيطرة والمراقبة المخول للامة على حاكميها واستبدُّوا بالرأي والعمل وضربوا على يد كل معترض او ناشدٍ بالله في نصيحتهِ كما قتل من نصح احد خلفاء بني امية اذ قال لهُ وقد اطال خطبة الجمعة اطالةً كادت تذهب وقت الصلاة الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك . وقبلها وضع الحجاب وغلقت الابواب وعلقت الستور ورفع عبد الملك بن مروان سوطهُ على يد كل مذكّرٍ لهُ بالمعروف او ناهٍ عن منكر. والعصبية تسهل كل امر من ذلك وتقعد كل قائم ولم

يكن من ثمة عاقل يجسر ان يتفوه ببنت شفة ضد المستبدين حتى تلاشت هذه العصبية بطبيعة هذا الاستبداد وقامت دونها اخرى تقاومها وتعارضها واخذ مسودة العراق قلوب السواد الاعظم غير انهُ بقي حثالة من العصبية الاموية قامت بها دولة الداخل في الاندلس وما زالت تحيا وتموت بالعدل والاستبداد حتى تلاشت وحل محلها غيرها كما كان مع العباسيين وقد تقدَّم ذلك كلهُ

قلنا ان النفع الذاتي والانانية سائقان الى النعرة مؤسسان للعصبية مقومان لها فاذا تقلص النفع اثر في اثرها واذهب من حشاشتها . وكلما بعد النفع وطرأ الضر تراخت العصبية فاذا دام هذا حلَّ محل الحب كره ونفور . ولهذا كان الاستبداد في الدولة سبباً لبطلان عصبيتها ونفور النفوس عنها فتنقطع امها وتنقسم على نفسها والنفس بالطبع مسوقة لجلب المنافع ودرء المفاسد فهي تريد دفع المضرة بكل طريق ترى امامها مفرًّا من الذلة فتنازع السلطة المستبدة سلطانها وقد كان اوهى امرها ونكث فتلها الاستبداد ولا يقعد بها وهي في تلك الحال عن مثل هذه غير خوف يبطىء بهمتها فاذا كان تألُّب واتحاد وعصبية اخص واقوى لم يبقَ من الخوف ما يدفع الهمم عن تطلب المصلحة ودفع الجور وتمكن العصبية التي هي اخص منهم وبعبارة اخرى ان العصبية بانواعها اذا وقع منها قسم بدافع سارت النفس منها الى نوع آخر حيث لا تخلو نفس من عصبية

حب الاستقلال وتطلب العز من مقتضيات الانانية وهو في الحقيقة من العصبية القومية لجميع الاحاد وكما ان العصبية تكون لشخص في الامة والعشيرة تكون للمجموع الكلي من حيث هو مجموع فتجعل حكمها وامرها كلهُ شورى وهذا اول الفطرة وغاية التمدن فاذا انحلّت عصبية الرئيس فإن بقي لغيره من الاشخاص عصبية جمعت حولهُ ذويها ونهضت بهم وان لم تكن رجعت الامة الى مجموعها وبعبارة اخرى رجعت الى انتظام هيئتها لادارة امرها فتحكم نفسها بنفسها ومنهُ الجمهورية

من آثار النفع الذاتي المؤسس على العصبية التضام والتلاحق والاجتماع حيث يبعث الفة تأنس بها النفس وتستوحش لبراحها فيحصل في قلب كل من المجتمعين الفة وبالتالي عصبية ولهذا كان الشتات في الامة وعدم الاتصال بين اجزائها موجباً لانحطاطها بفقدان عصبيتها فاذا بقي لها جهة جامعة بقي لها من العصبية بقدر ما تقتضيه تلك الجهة فالامة الاسلامية كان لها وئام وارتباط شديد ما دام لها اشتراك في اللغة يعني انها كلها ترمي الى اختيار لغة القرآن والسنة فلها بهذه الوحدة قوة في عصبية . ولقد كان العرب في دولتهم يؤيدون عصبيتهم

بنشر لغتهم في الاقطار حتى كانت ضواحي الهند والسند وربوع مرو وخراسان وهي لباب العجمة مقرًّا لائمة اللغة العربية وعلمائها ومنبتاً لفضلائها ولما ان ضعفت السلطة العربية وفشلت الدولة العباسية دولتها الكبرى فترت همة المسلمين في هذا السبيل فانحلّت تلك العصبية وحل محلها عصبيات مختلفة فابعد ذلك الاتصال بين اجزاء الامة وافرادها واوهى التفريق عزها

فالعصبية خلق طاهر وخلة كريمة وهي مرقاة النجاح وسلم السعادة اذا اخذت طريقها الحق وانتهجت سننها العادل واخذت التربية والفضيلة زمامها وتولتا قيادها يغضان طماحها ويردان جماحها فلا تركب الشطاط ولا تألف الانحطاط وخير الامور الوسط (ومن قيد بالفضيلة قاد السعادة) النبطية احمد رضا

قوانين الصحة في المشرق

من مقالة تليت على المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج وطبعت في مجلة ادنبرج الطبية
بقلم الدكتور يوحنا ورتبات احد اعضاء ذلك المجمع

ليس علم حفظ الصحة من العلوم الحديثة فان اسمهُ الهيجين يذكرنا بالعصر الذي كان اليونان والرومان يعبدون فيهِ الاهة الصحة هيجينيا بنت اسكولابيوس . واقدم من ذلك قوانين الصحة التي وضعها المصريون القدماء قبل التاريخ المسيحي بخمسة آلاف سنة او اكثر . ثم ان الاسراب التي اكتشفت في جزيرة كريت حديثاً وظهر انها تساوي في اتقانها ما بني من نوعها على قواعد العلم الحديث (وتاريخها ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح) وقوانين موسى التي سنها لليهود وأُدرجت في سفر اللاويين ومقالة بقراط في الهواء والماء والمساكن واطناب ابن سيناء في الكلام على تدبير الصحة في ما كتبهُ — كلُّ ذلك يدلُّ على المنزلة الرفيعة التي كانت للقوانين الصحية في عيون اطباء الاقدمين . والمثل اللاتيني القائل ان "العقل السليم في الجسم السليم" يقابل قول العرب "العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى"

ولقد صال ملاك الموت وجال في القرون المتوسطة فلم يبقِ ولم يذر وما ذلك الاَّ لعدم العناية بقوانين الصحة من مأكل وملبس ومسكن فكان فيهِ عظة وعبرة للعالمين . على ان الناس لم ينتبهوا لقوانين الصحة الانتباه الكافي الاَّ منذ عهد هفلند فشرعوا حينئذٍ في جمع مبادىء هذا العلم وتطبيقها على حاجات الافراد والبيوت والامة فكانت النتيجة استئصال

شافة البرص شر الامراض من اوربا عموماً وقطع دابر الطاعون والكولرا وحمّى التيفوس والجدري وهبوط متوسط الوفيات العمومية هبوطاً يذكر. بقي ان نعلم ما هو تأثير الاكتشافات الحديثة ومباحث العلماء عن اصل الامراض الحلمي في منع الامراض واطالة الاعمار

الاطباء والقوابل — اقدم الاشارات الى الاطباء في التاريخ هو ما جاء من ان احد ملوك المصريين القدماء كتب مقالة في التشريح · وكان اطباء المصريين كهنة يقيمون في الهياكل ويتفرغ كلٌّ منهم لدرس نوع خصوصي من انواع الامراض المختلفة . واقتبس الاسرائيليون مدة عبوديتهم في مصر كثيرًا من مواليهم. وقد كثر ذكر الاطباء والادوية في العهدين القديم والحديث. وأمر التلمود اليهود باحترام الاطباء ودفع اجورهم ونهاهم عن الاقامة في بلد ليس فيهِ طبيب. وترجم العرب في عهد الخلفاء العباسيين كتب ارسطوطاليس وبقراط وجالينوس الى العربية وتبارى علماء الاسلام والنصرانية في درس الفلسفة والطب · فبنيت المستشفيات في جميع المدن الكبيرة وأوى اليها اشهر الاطباء في ذلك العهد والتفَّ حولهم تلامذة درسوا الطبَّ عليهم ونالوا الشهادات منهم · ولا يزال في دمشق الشام آثار دار للمجانين وملجإٍ للقطط المريضة والضالَّة واخرى للبُرص يظنُّ انها بنيت من عهد نعمان السرياني

واشهر اطباء العرب الشيخ ابن سيناء عاش في اوائل القرن الحادي عشر وألَّف كتاب القانون فطبع في رومية سنة ١٥٩٣ اخذًا عن النسخة العربية · وترجم الى اللاتينية من نسخة خطية سنة ١٤٩٨ ثم طبع بها مرارًا وبقي زمناً طويلاً حجة يرجع اليها في الطب . وهو جعبة حاوية لجميع ما عرف عن صناعة الطب منذ نشأتهِ الى عهد المؤلف. ومن مشاهير اطباء العرب الرازي وهو اول من كتب عن الحصبة والجدري · واشتهرت مدارس الطب التي بناها العرب في الاندلس فأمها الطلبة المسيحيون في القرون الوسطى من جميع بلدان اوربا

وفي البلاد العثمانية الآن والقطر المصري خمس مدارس للطب أُنشئت على الاسلوب الحديث بدرس التلامذة فيها اربع سنوات · وبعض منتهي هذه المدارس يقصدون كليات الطب الشهيرة في اوربا حيث يتمرنون على العمل بادارة مشاهير الاساتذة

وفي كل من الاستانة والقاهرة مدرسة لتعليم التوليد وهما حديثتا العهد والتعليم فيهما بسيط يقتصر على تدبير حوادث الولادة الطبيعية واستعمال بعض مضادات الفساد . وهما خاصتان بالنساء ويمتحن طالبات الدخول في القراءة والكتابة والحساب ويحضرن بعض الخطب ويدرسن كتاباً صغيرًا في هذا الموضوع · ومدة درسهنَّ ستة اشهر. على ان عدد اللواتي درسن في هذه المدرسة لا يزال قليلاً ومعظم القوابل من اللواتي تعلمن صناعتهنَّ

من قوابل غيرهنَّ خلفاً عن سلف

الولادة — الام والولد . يلد النساء في الشرق على كرسي الولادة . وقد ذُكر هذا الكرسي اول مرة في سفر الخروج وذلك قبل التاريخ المسيحي باربعة عشر قرناً فتجلس المرأة فيهِ عند الولادة ولعلَّ ذلك اصلح من اضطجاعها على جنبها الايسر الاَّ اذا كانت نحيفة البنية او اصابها نزف . وحوادث النزف الخطرة او الموت عند الولادة نادرة جدًّا والغالب ان النفساء تتعافى سريعاً وسبب ذلك انتظام شكل الحوض في النساء الشرقيات وصحة بنيتهنَّ وشدة تقلص رحمهنَّ وقت الولادة

ومتى ولد الطفل قُمط بالقماط وهذه العادة قديمة جدًّا ذُكرت في سفر حزقيا ص ١٦ ع ٤ وهي وان تكن مخالفة لحكم العقل الاَّ انها لا تعوق نموَّ الجسم ولا تمنع حسن تكونهِ كما تشهد بذلك بنية اجسام الشعوب الشرقية . ويشير كتاب العرب بتنظيف انف الطفل وقطر الزيت في عينيهِ ويلقم ثدي امهِ حالاً وقد تستفيد الام من ذلك لانهُ يهيج فيها انقباض الرحم في حالة النزف . ومدة الرضاع سنتان على الغالب والتلمود ينهى المرأة التي يموت زوجها مدة الرضاع من الزواج ثانية قبلما يبلغ عمر طفلها ٢٤ شهرًا . واذا حملت المرضع قالوا ان لبنها يصير يضرُّ الطفل وامهُ وجنينها فينظم اذا كان قد بلغ السن الذي يفطم فيهِ والاَّ اعطي لمرضع ترضعهُ . ومن المشهور ان الشرقيين يفضلون الذكور على الاناث وسبب ذلك ان ولادة الذكور كانت تزيد العائلات والقبائل قوة وسطوة في الازمنة الاولى التي كان يكثر فيها الغزو وشنُّ الغارات وكان الحكم للسيف والقوة . وفي التوراة والقرآن اشارات كثيرة الى ذلك . اما البنات فقد قال التلمود فيهنَّ انهنَّ قد يُغوَين حين يكبرن او يتزوجن زواجاً لا يرضاهُ اهلهنَّ او يكنَّ عقيمات او يُطلقن فيعدن الى بيت والديهنَّ . وقال الشاعر العربي

اذا ما المرء شبَّ لهُ بنات   عصبن برأسهِ إبة وعارا

وكان من عادات عرب الجاهلية ان يئدوا البنات ايام الجدب الى ان جاء الاسلام وابطل ذلك

الختان — الختان عادة قديمة جدًّا جرى المصريون القدماء عليها واقتبسها منهم اليهود والعرب وغيرهم من امم المشرق . وهو عند اليهود فرض ديني اما المصريون وغيرهم فكانوا يختتنون للتطهير . قال هيرودتس ان المصريين القدماء كانوا يختتنون حرصاً على النظافة واعتقاداً ان النظافة خير من الجمال . وكان عرب الجاهلية يختتنون وبقوا كذلك بعد الاسلام . والقبط والاحباش يختتنون الى هذا اليوم على ما اظن

واهمّ فوائد الختان انهُ يقلل خطر العدوى بالامراض التناسلية كالزهري . ثم ان المختونين اقلّ تعرّضاً لبعض الامراض التي يصاب الغُلف بها كما هو معلوم

الزواج — لا يزال اليهود والمسيحيون والمسلمون يجرون على سنة الزواج المتضمنة في الشريعة الموسوية من حيث التحريم والتحليل . وتزوج الرجل باخت امراتهِ بعد موت امراتهِ محلّل والتلمود يمدحهُ جدًّا لانهُ يدعو الى سعادة العائلة وخير الاولاد الذين ولدوا من الام الاولى ولكن اليهود لا يميلون الى زواج الرجل من بنات اخيهِ او اختهِ او عمهِ اعتقاداً منهم ان النسل يجيء ضعيفاً بخلاف المسلمين فان الزواج ببنات العم كثير بينهم . والكنيسة الارثوذكسية تذهب الى ابعد مما تذهب شريعة موسى اليهِ في امر تحريم الزواج وتحليلهِ فهي تحرم الزواج الى الدرجة السابعة بحجة ان ذلك ادعى الى اصلاح النسل فضلاً عن انهُ يقرّب بين العائلات البعيدة في النسب ويصلها بصلة القربى والصداقة

واليهود والمسلمون يفضلون الزواج الباكر والتلمود يحتم على الذكور والاناث بالتزوج في سن الثامنة عشرة او قبلهُ ولكن اليهود كثيرًا ما لا يراعون هذه القاعدة . وعندهم ان الزواج الباكر ينقذ الشبان والشابات من العادات القبيحة ويؤول الى تحسين الصحة والنسل . ثم ان تعدد الزوجات بينهم والطلاق قليلان . فالحاخامون لا يحللون الطلاق الاَّ في احوال نادرة كما لو اصاب المرأة مسٌّ من الجنون او مرض عضال . ويحللون للرجل التزوج بامرأة ثانية اذا كانت امرأتهُ الاولى عاقرًا ولا يشاء ان يطلقها

ويكثر الصرع والجنون والبله بين العائلات اللبنانية العريقة في النسب لاقتصارها على التزوج فيها مدة طويلة . ولا ريب ان ذلك يضرُّ بالنسل بدنيًّا وعقليًّا . وينسب المسلمون العاهات البدنية التي توجد في الاطفال حين ولادتهم الى اسباب لا يعلمها الاَّ الله . اما بعض اليهود فينسبونها الى الوراثة او سوء سلوك الوالدين والتلمود ينسبها الى تأثير النجوم والابراج وكان هذا الاعتقاد شائعاً في العصور المتوسطة غير ان اليهود الذين يقولون بتناسخ الارواح يحسبونها قصاصاً على خطية سالفة ولعلَّ هذا هو مراد اليهود في سؤالهم عن الرجل الاعمى الذي شفاهُ المسيح حين قالوا اهذا اخطأ ام ابواهُ حتى ولد اعمى . ودروز لبنان يذهبون هذا المذهب ويقولون ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاظهار عدل الله في عبادهِ

الطعام — لا يزال اليهود متمسكين شديد التمسُّك بشريعة موسى من حيث الطعام الطاهر والنجس . وكان عند المصريين القدماء شيءٌ مثل ذلك . والظاهر ان هذا التمييز بين الطعام الطاهر والنجس بني على اسباب صحية فحرّم اكل جوارح الطير وكواسر الوحش لان لحمها مضرٌّ

بالصحة وكذلك الحيوانات القذرة كالخنزير او التي لحمها عسر الهضم كالارنب . وقد حرَّم القرآن اكل الميتة والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ولكن اشدّ التحريم في الدينين واقع على لحم الخنزير فانهُ رجس عند اليهود والمسلمين لقذارتهِ ولحم الخنزير مضرٌّ في الاقاليم الحارة وقد يصاب آكلهُ بمرض التريخينا . بل قد رأيت كثيرين اصيبوا بهذا الداء من اكل لحم الخنزير البري . ويحرم على اليهود والمسلمين اكل الدم اعتقادًا انهُ مركز الحياة وان اكلهُ مضرٌّ بالصحة . وعليهِ فاليهود ينقعون اللحم بالماء نصف ساعة قبل طبخهِ ويملحونهُ حتى يزول منهُ كلُّ اثر ظاهر للدم . وحاخامو اليهود لا يكتفون بتفسير قول التوراة " لا تطبخوا جديًا بلبن أُمهِ " حرفيًا بل يقولون انهُ لا يجوز ان يؤكل اللحم مع اللبن او ما يصنع منهُ كالزبدة والجبن وما اشبه بل يجب ان تكون الفترة بين الطعامين ست ساعات . وليس هناك من سبب صحي لهذا التحريم ولكن ابن ميمون احد اطباء اليهود وفلاسفتهم قال انهُ جرت عادة بعض الوثنيين ان يقدموا اللحم واللبن ممزوجين الى اصنامهم فمنع اليهود من اكلهما معًا لهذا السبب

واليهود يبالغون في التحوُّط والتدقيق عند انتقاء اللحم للطعام فيعينون رجالاً خبيرين يفحصون الذبائح فاذا اشتبهوا انها مريضة نبذوها والاَّ طبعوها بطابع معلوم . فما كان منها سليمًا سموهُ كاشير وما كان سقيمًا سموهُ تاريف والمرجح ان هذا هو السبب في قلة الذين يصابون بالسل بينهم . وهم يحرّمون اكل الثرب (شحم الامعاء) وشحم الكلى لاسباب دينية ونعم ما يفعلون لان هذا الشحم عسر الهضم جدًا

قلنا ان الاصابات بالتدرن الرئوي قليلة بين يهود المشرق ولا يعلم ان كان السبب في ذلك عنايتهم بانتقاء اللحم السليم لطعامهم او امر آخر مثل سكنهم في احياء خصوصية تمنعهم من الاختلاط بغيرهم . فان كان الاول فهو من الاهمية بمكان لا سيما وان الخلاف قائم بين كبار الاطباء على ما اذا كان ميكروب الحيوانات يعدي الانسان

اما مواد الطعام التي يأكلونها كالخبز واللحم والسمك والطير والخضر والاثمار واللبن والسمن والبيض فلا تختلف عما يؤكل في اوربا و يعدون الخبز واللحم قوام الحياة ولكنهم يحسبون ان الاكثار من اكل اللحم غير صالح ولا سيما للشبان والشيوخ ويفضلون السمين على المزبل والصغير على الكبير ويقولون كلِ الفواكه في ابانها

ولكن اكثر طعام الفقراء من الخضر المطبوخة بالزيت والاغنياء يأكلون الزيت في طعامهم ايضًا وهو مفيدٌ للصحة ومغذٍ ومن الاحاديث النبويّة " كلوا الزيت وادّهنوا بهِ لانهُ من شجرة مباركة " وينعت الزيتون في القرآن بالشجرة المباركة لما لهُ من الفائدة الجزيلة فخشبهُ متين

وثمرهُ يأكلهُ الغني والفقير على السواء. زيتهُ يطبخ بهِ ويستعمل في صناعة الصابون ولم يكن عندهم ما يستضيئون بهِ غيرهُ قبل استعمال زيت البترول. وقد اطنب ابن سيناء في فائدتهِ في الجروح والبثرة الخبيثة والذئب الاكال والقوباء واستعمالهِ مقيئاً بعد شرب السم او مسهلاً في المغص والادهان بهِ في الآلام العضلية والعصبية كما مدح السر جيمس سمسن استعمالهُ مرهماً تدهن بهِ اجسام الاطفال الذين يكونون ضعفاء البنية. ويظهر لي اني رأيت منهُ فائدة في ذلك. وجاء في التلمود ان اكل الزيت يشحذ القريحة. ويهود اوربا يعتقدون ان اخوانهم المشارقة يفوقونهم دهاء وذكاء لكثرة ما يأكلون منهُ

ومن القواعد الصحية المذكورة في كتب اليهود والمسلمين ان قليلاً من الملح قبل الطعام يهيج القابلية ويساعد على الهضم. وانهُ يجب الامتناع عن الاحاديث التي تجلب الكآبة على الطعام وان تكون اللقم صغيرة وتمضغ جيداً وان تكون كمية الاكل معتدلة وان يقوم الآكل عن الطعام قبل ان تمتلئ معدتهُ وان يأكل صباحاً قبل الشروع في العمل وان النوم المهنيء يعقب العشاء الخفيف وانهُ لا يجوز ادخال طعام على طعام وان النهم مجلبة للاسقام وتدبير الطعام خير الامور لمعالجتها. ومن امثال الشرقيين انهُ لا يجوز للشيخ ان يقلع عن عادة قديمة ولا ان يعتاد عادة جديدة

الماء — لما كانت كثرة الماء لازمة كل اللزوم في البلدان الشرقية حيث الهواء حارٌ جافٌ فلذلك ترى اكثر المدن مبنية قرب الانهار. ثم ان العيون والآبار والصهاريج كثيرة والاولى منها تفضل على البقية لنقاوة مائها وقلة تعرضهِ للاقذار وقد عني الرومان بان يكون الماء غزيراً نقياً بدليل ما بنوا من القناطر والقنوات في جميع انحاء سورية لجرّ الماء. وفي سنة ١٨٧٥ نالت شركة انكليزية امتيازاً بجرّ الماء من نهر الكلب الى بيروت فسلمت المدينة بذلك من الكولرا على حين ان البلاد المحيطة لم تسلم منها. وقد تتفشى الحمى التيفويدية فيها ولكنها نادرة خفيفة الوطأة عادة فيها سوى مرة واحدة وذلك سنة ١٨٩٥ حين اشتدت وطأتها

اما مصر فانهُ ليس عند اهاليها ما يستقون منهُ سوى النيل وماؤهُ كدر بالطبع ولكن معظم الاهالي يشربونهُ بعد تصفيتهِ بالازيار ومن رأي كوخ ان هذه الطريقة كافية لتصفيتهِ من ميكروبات الامراض. ولكن الفلاحين وهم معظم الاهالي يشربونهُ كما هو بلا تصفية فلذلك ترى اكثرهم مصابين بالبلهرتسيا. وقد قال الدكتور هارلي ان هذه الدودة تدخل مجرى البول عند استحمام الاهالي بماء النهر. ولكن الارجح انها تدخل الجسم مع ماء الشرب. ومن الامراض الخطرة المسببة عن شرب الماء غير النقي الدوسنطاريا وكثيراً ما تفضي الى تكوُّن خراج في الكبد

وقد كتب ابن سيناء فصلاً ضافي الاذيال في الماء ذكر فيهِ اموراً كثيراً مما في كتب الميجبين الحديثة عنهُ مثل مصادرهِ المختلفة وصفاتهِ وانواع التربة التي يتخللها والتغيير الذي يطرأ عليهِ في اثناء جريهِ واشار بشربهِ مصفًّى عديم الطعم والرائحة وبغليهِ اذا اشتبه فيهِ وبالامتناع عن شربهِ اذا كان راكدًا . وقسمهُ الى فاضل ورديء ومدح شرب ماء المطر اذا كان جديدًا ونهى عن شرب الماء مجرورًا بانابيب الرصاص لانهُ يفضي الى آلام في البطن وقال ان شرب الماء الراكد الناقع يسبّب امراضًا في الكبد والطحال والامعاء تنتهي بالاستسقاء ووصف شرب الماء الحارّ للمغص والقبض والصرع والسوداء وغيرها من الامراض العصبية لانهُ يطهّر المعدة والامعاء . وقال ان الماء العكر يسبّب الحصى واعتقال الامعاء

ومن قواعدهم ان الماء يجب ان يشرب على مهل كما يؤكل الطعام وان لا يكون باردًا جدًّا ولا يشرب والمعدة فارغة والجسم متعب . وان يملأ ثلث المعدة طعامًا وثلثها شرابًا ويترك الثلث الثالث للهواء . وان تغطَّى آنية الشرب

الاشربة الروحية — يُصنع في الشرق نوعان من الاشربة الروحية وهما العرق والخمر والغالب ان الخمر تحتوي على كثير من الكحول لكثرة السكّر في العنب السوري . وتصنع الخمر الآن على الطريقة الفرنسوية وهي حينئذٍ اقل الكحولا و يفضّل الاهلون البرندي الفرنسوي على العرق الاهلي ولكن العرق الاهلي الجيد انقى من البرندي بكثير . والغالب ان تشرب الخمر الآن ممزوجة بالماء كما كانت تشرب في زمان اليونان والرومان • وقد حدَّد التلمود النسبة بينهما وهي واحد من الخمر الى اثنين من الماء

والخمر ممنوعة في القرآن منع الميسر لانها " رجس من عمل الشيطان " وعليهِ لا يشربها مسلم ديّن . لكنّ اليهود يشربونها عمومًا . والحاخامون يمدحون الاعتدال في شربها بعد سن الاربعين . ومن اقوالهم ان الخمر المعتقة مفيدة للشيوخ • اما السكر فيختلفون فيهِ فمنهم من يحرّمهُ ومنهم من يتساهل فيهِ فلا يحرّمهُ الَّا عند الصلوات الثلاث نهارًا فيبقى الليل كلهُ للشرب . ومن الغريب ان المصريين القدماء حرموا السكر في الاثنين والاربعين وصية التي كانت عندهم ولا ذكر لهُ البتة في الوصايا العشر ولا في اسفار موسى الخمسة وقلما ذكر في العهد القديم مع ان اليهود اقتبسوا كثيرًا من عاداتهم عن المصريين

غير ان السكر ليس من المنكرات الكثيرة الشيوع في البلاد الحارَّة كما هو في اوربا وخصوصًا البلدان الشمالية منها ولكنهُ آخذ في الازدياد يومًا فيومًا • واطباء العرب يحذرون من الافراط في الشرب لانهُ مجلبة لامراض الكبد والاستسقاء والسكتة الدماغية والموت

القيحائي . ولعلَّ حاخامي اليهود يريدون من امتداح شرب الخمر باعتدال بعد الاربعين تثبيط العزائم عن شربها قبل ذلك السن خشية ان تمسي عادة يصعب الاقلاع عنها لان سن الاربعين هو السن الذي يصحو المرء فيهِ من سكر الشباب

النوم — يقول اطباء العرب ان النوم يتغلب على جميع انواع التعب ويفيد في النزف والاسهال وينفع الشيوخ كثيرًا ويشيرون بالنوم الباكر والقيام البكر (والتلمود يعين ثماني ساعات للنوم) وعدم النوم والمعدة ممتلئة او فارغة . ويقولون ان احسن اوقات النوم مساء بعد العشاء بثلاث ساعات او اربع وانهُ يجب على النائم ان يضطجع على جنبهِ الايمن اولاً ثم على الايسر لان ذلك يسهل الهضم اما النوم على الظهر فيجلب الكابوس وتعب الدماغ وغيرهما من العوارض ويصفون للارق الاستحمام بالماء الحار قبل النوم والاكثار من صبهِ على الرأس واكل الخس اقتداء بجالينوس . وزيت الخس يستعمل في ايامنا دواء للارق

والقيلولة الشائعة في الشرق وجنوب اوربا مفيدة للصغار والشيوخ والمرضى ولكن يجب ان تكون قصيرة المدة والتلمود يعين مدتها وهي ٦٠ نفسًا ولكن اذا أُفرط فيها آلت الى الضرر بالهضم والى الارق ليلاً . ومن الاحاديث النبوية "قيلوا فان الشياطين لا تقيل"

اللباس — أخذ الشرقيون يستبدلون الثياب القديمة الواسعة بالملابس الضيقة الحديثة ولا ريب ان لبس العمامة مفيد للصحة لانهُ يقي الرأس من حر الشمس . وما يلبسهُ البدو على رؤُوسهم يغطي الجبين والقسم الاعلى من العمود الفقري . اما الطربوش فعلامة الجنسية العثمانية ولكنهُ غير صالح . والمنطقة من ملابس الشرقيين الضرورية وهم يعتقدون انها تقوي الجسم عند العمل البدني وتدعم البطن وفي التوراة اشارات كثيرة اليها . والخف القديم والحديث لا كعب لهما وهما يريحان القدمين ولا يسببان نمو المسامير فيهما ولكنهما لا يصلحان للمطر والوحل . والقميص من اهم اجزاء اللباس والظاهر ان الصليبيين اقتبسوهُ عن العرب ومنهُ كلمة chemise الافرنجية . ولا يزال كثيرون من اليهود يطلقون سوالفهم عملاً بامر التوراة وعلامة لجنسيتهم والتلمود يأمر النساء بقص شعورهنَّ ولبس الشعر العارية لكي لا يغوى الناس بجمالهن ولكن نساء اليهود في اوربا ابطلن هذه العادة

النظافة — يعنى اليهود والمسلمون بنظافة ابدانهم ولاسيما قبل الصلاة . ويغسلون ايديهم قبل الطعام وبعدهُ ولكن النظافة الدينية شيء والنظافة البدنية شيء آخر وقد لا يجتمعان فان اليهود معروفون بقذارة ابدانهم وملابسهم ومساكنهم ولكن المسلمين على ضد ذلك . ويقول العرب "ان النظافة من الايمان" بدلاً من قول الانكليز اي النظافة بعد الايمان

البيوت — تختار الاراضي الجافة الصلبة لبناء المنازل عادة وتبنى بحيث تتعرض غرفها للشمس بعيدة عن المستنقعات والاماكن الرطبة. وسكن الجبال عندهم من وسائل الصحة والنشاط والشجاعة والجمال · وهندسة المنازل على مثال آثار المنازل التي وجدت في بمباي ومن احسن القواعد الاجتماعية عند المسلمين مراعاة حرمة الجوار والمثل العربي يقول اسأل عن جارك قبل دارك

على ان نزح المراحيض لا يعنى بهِ كما هو الواجب فلذلك كثيرًا ما تنشأُ الامراض عن هذا الاهمال · ولكنهم اخذوا يجرون على النظام الحديث في ذلك

دفن الموتى — من عوائد الشرقيين القديمة دفن الموتى حالاً بعد موتهم فان ذلك يقلل ابواب العدوى ويخفف لوعة الحزن على الميت ولعل السبب الاعظم في ذلك ان لا يرى اهل الميت ما يطرأُ على جثتهِ من الانحلال السريع في الاقاليم الحارة فيزيد ذلك كرب نفوسهم ويثير اشجانهم

واليهود والمسلمون يغسلون موتاهم بالماء والصابون ويطيبونهم احيانًا بالطيوب ثم يكفنونهم ويدفنونهم في قبور عمقها ٥ اقدام على الغالب

شعر البارودي

كان الشعر الى فجر القرن الخامس كأنما يتخطَّى روضة فينانة أخذ من جانبها الى ما يقابلهُ فكان في مبتدئهِ ذلك الحائط الخشن مما هو كالسور والحياطة لما وراءهُ وذلك عصر البداوة على تقلبات اللغة فيهِ فان غاية ما كان من امر الشعر يومئذٍ ان يترقرق على الالسنة الفاظًا عذبة واكثرهُ كشجير السرو لهُ رواءٌ وما لهُ ثمر · وللعرب في ذلك عذرهم الذي لا يُدفع ما دامت تلك ارضهم وذلك مقدار ما تناولوهُ من بساط العيش وما تقلبوا فيهِ من اعطاف العمران

غير ان السماء بما ينزل منها وما يعرج فيها وما تنير بهِ كانت لا تزال مرمى ابصارهم ومطرح اشعتها فلم يعدموا جهة ينفذ منها النسيم الى افئدتهم فيختلج فيها خاطر رائع او وصف بديع . وكذلك ما خلق الله بينهم من مَهْوَى القلوب ومسرح الابصار . وما احسب شاعرًا كان اشهر فيهم من فارس يصف حربًا او بليغ ينعت سربًا او متوجع يشكو قلبًا

وما زال الشعر يتخطَّى من تلك الروضة وكل جيل منهُ يقف من الظل والماء والرياحين عند ما لم يجد سلفهُ من صنوف ذلك حتى خرج آخرهُ من الجانب الثاني واذا هو بالطلول في المدائن والدِمَن في الرياض والبُرى تقعقع بين الكؤوس والاباريق والهجير يشوي الوجوه في ظل الورد والرياحين الى غيرها مما احالهُ عن وضعهِ وخفضهُ بعد رفعهِ وجعلهُ وخمًا ثقيلاً لا

يساغ ولا يهضم . ولكن تلك العصور لم تخلُ من الانفاس العذبة فان ايام الصيف بما يمل من طولها و يذيب الادمغة من حرها لا تخل بنفحة يخفق بها منديل الاصيل او يهتز لها ذيل السحر . ومن تلك النسمات كان شعر البارودي رحمهُ الله على حين لم يكن في مصر الاَّ النكباء والسموم فقد كان صاحب الوقت بزعم اهلهِ محمود افندي صفوت وهو قد اخذ لواءهُ من الدرويش وانضوى اليهِ مثل الليثي والبخاري والابياري وابو النصر والنديم ومجدي ورفاعه وسواهم

وان قُصارى ما يكون من ابرعهم شعرًا وابدعهم صنعة اذا نفض رأسهُ وزاد في حركة قلبهِ وضرب على جبهتهِ بكلتا يديهِ ان يعطس ببيت فيهِ نكتة من البديع اكثر ما تكون من نحو حسن الاخذ والتضمين والاقتباس الى ما يماثلها. وكان ابتداء الشاعر في تلك الايام ان يأخذ عن الطبقات الدنيا فينشأ منها اذا كان موفقًا او يكون ادنى بحكم الطبع . ولكن البارودي كان من صفاء الفطرة ونقاء الذهن وكمال الاستعداد ونصيحة اهل البصر بحيث وجد السبيل فابتدر الغاية

ومن اعجب امرهِ ما تراهُ فيما كتبهُ عنهُ الشيخ حسين المرصفي منذ ثلاثين سنة وهو استاذهُ قال : " انهُ لم يقرأ كتابًا في فن من فنون العربية غير انهُ لما بلغ سن التعقل وجد من طبعهِ ميلاً الى قراءة الشعر وعملهِ فكان يستمع بعض من لهُ دراية وهو يقرأ بعض الدواوين او يقرأ بحضرتهِ حتى تصور في برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيهِ المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . قال وسمعتهُ مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت لهُ في ذلك فقال هو كذا في قول فلان وانشد شعرًا لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية انها غير شاذة . ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدًا شريفها من خسيسها واقفًا على صوابها وخطإِها مدركًا ما ينبغي وفق الكلام وما لا ينبغي " اه . وهذا ليس باعجب من أمر الشاعر ابن حمدان المعروف بالخباز البلدي فقد كان اميًّا وكان الشعراء يذهبون اليهِ في مخبزهِ يتلقون عنهُ و يساجلونهُ وشعرهُ مع ذلك اطروفة نادرة كقولهِ من ابيات

اقلُّ ما بيَ من حبيك انَّ يدي   اذا دنت من فؤادي كاد ينضجها

وقولهُ

ياذا الذي اصبح لا والدٌ   لهُ على الارض ولا والدهْ

قد مات من قبلهما آدم   فاي نفس بعدهُ خالدهْ

ان جئت ارضًا اهلها كلهم   عور فغمض عينك الواحدهْ

وعلى ما رأيت من كلام المرصفي جاء شعر المترجم مونق الرويّ متلائم النسج حسن المعرض

مطروح العبارة الى حيث تثير القلوب ولو ان الله اعطاهُ مع ذلك خيال حكيم كالمتنبي او غيرهِ لكان اشعر من سمعت اذنٌ شعرهُ . وانا وان كنت أُجل الرجل لحسن صحبتهِ ولطف محادثتهِ وبشاشة محضرهِ وادبهِ غير اني في كتابتي عنهُ لا اكون كذلك الاعرابي الذي بلغ من حبهِ ان يرى الشمس على حائط من يهوى احسن منها على حيطان جيرانها ..

وللسبب الذي قدمتهُ لم يكن شاعرنا كامل التصرف في فنون المعاني وان كان اشعر من جميع معاصريهِ بلا مراء غير انهُ أتم ذلك النقص بما اتقن من جمال الصنعة وبديع الرواء فلو انك جرَّدتَ اكثر معانيهِ من الفاظها وما أَحاطها بهِ من الصياغة لرأيت مالا ينفرد بهِ بل ما ربما انفرد بغيرهِ سواهُ . اليك مثلاً قولهُ في التذكر

يا ذكرةً أبصرتُ في مرآتها صور التمني
علقت حبالة خاطري فيها بمكحول اغنِ

ففي البيتين من حسن الصنعة وحذقها ما يأخذ بالقلب ولكن النَّفَس قد هبط في البيت الثاني وانقطع في اخرهِ وسكن القلب فجأة لان الشعر في ذلك غير تام

وبعضهم يرى مثل ذلك من اجمل الكلام اخذاً بقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في حد البلاغة انها ليست في اللفظ ولا في المعنى ولكنها في الاسلوب . ويفهمون من الاسلوب انهُ مجرى الكلام وسياقهُ ولكني لا أدري كيف هذا والاسلوب لا يسوقهُ غير المعنى فالبلاغة في الحقيقة هي التصرف في المعاني المنصرفة الى الاغراض وذلك يتناول الالفاظ لان المعاني لا تقوم بغيرها و يتناول الاسلوب لانهُ طريق تلك المعاني التي تنصرف فيها

اما نمط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت لهُ الالسنة . عذوبة تكاد ترشف وجزالة تلعب بالنفس وسلاسة يستريح في ظلها القلب وتستنشق نسيمها الكبد فهو الغدير اعذب ما يسكن والمرآة اصفى ماتكون ولشدة رغبتهِ في ذلك النمط وانصرافهِ اليهِ بجماعتهِ جعلهُ المرجع في اختيار ما اختارهُ من شعر الشعراء في مجموعاتهِ التي سماها باسمهِ بحيث انتهى الى اللفظة المماثلة رواءً اسرع فاقتطفها بقلمهِ . كنت ذات عشية عندهُ فرأيت الى جانبهِ جزءاً من ديوان مهيار الديلمي فتناولتهُ وجعلت اقرأ قصيدةً كان قد علَّم ما اختارهُ منها وجملة ذلك أبيات فسألني أن أعرِّفهُ رأيي فيما اختارهُ منها فلم اذكر لهُ غير بيت واحد كان فخم المعنى ولم تكن تلك القصيدة مما يضيء فيهِ ذهن مهيار فضحك رحمهُ الله . وكذلك جرى في تلك المجموعات

وكان يقدم أبا تمام على المتنبي فسألني في ذلك مرة فتمثلت ان الذي ذكرهُ نقاد الكلام ان المعاني المخترعة لابي تمام ثلاثة بعد ان عدها بعضهم ثلاثين والمتنبي وان كان قد افتضح في سرقاتهِ

الاَّ ان لهُ ما ليس لابي تمام وذلك في بعض معانيهِ على ان كليهما قد تعثر في الفاظ كثيرة . فقال ولكن شعر ابي تمام اجزل وصنعتهُ اوضح واتم . ونسيت يومئذٍ ان اذكر لهُ أن بعض الاعراب سمع قصيدة ابي تمام "طلل الجميع لقد عفوت حميدا" فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها أشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منهُ

وانا ذاكر طرفاً من شعرهِ ونتفاً من بدائعهِ وهو قليل كما اخبرني رحمهُ الله فقد ذكر لي من اشهر انهُ لا يتجاوز ثلاثة آلاف بيت . قال من قصيدة يعارض بها النواسي في قولهِ "أجارة بيتينا ابوكِ غيورُ"

تلاهيت الاَّ ما يجنُّ ضميرُ وداريت الاَّ ما ينمُّ زفيرُ
فيا قاتل الله الهوى ما اشدهُ على المرء اذ يخلو بهِ فيغيرُ
تلين اليهِ النفس وهي أبيَّة ويجزع منهُ القلبُ وهو صبورُ
لطال عليَّ الليل حتى ملتهُ وعهدي بهِ فيما علمت قصيرُ
ألا فرعا الله الصبي ما ابرهُ وحيَّا شباباً مرَّ وهو نضيرُ
اذ العيش افواف توف ظلالهُ علينا وسلسال الوفاء نميرُ
واذ نحن فيما بين اخوان لذة على شيمٍ ما ان بهنَّ نكيرُ
تدور علينا الكأس بين ملاعب بها اللهو خدنٌ والشباب سميرُ
فألحاظنا بين النفوس رسائل وريحاننا بين الكؤوس سفيرُ
عقدنا جناحي ليلنا بنهارنا وطرنا مع اللذات حيث تطيرُ
وقلنا لساقينا أدرها فانما بقاء الفتى بعد الشباب يسيرُ
فطاف بها شمسيَّة لهبيَّة لها عند الباب الرجال تؤورُ
اذا ما شربناها اقمنا مكاننا وظلَّت بنا الارض الفضاء تدورُ

وهذا البيت على ما تراهُ من الرونق والحسن هو بيت القصيدة وانا اغتفر لهُ ما فيهِ فقد تقدم انهُ نشأ على الحفظ ومن كان ذلك مبدأهُ فقلما يسلم من مثل هذا فان البيت لأعرابي كان سائحاً فوقع اليهِ ان امرأتهُ تزوجت فقال من ابيات

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت فظلت بي الارض الفضاء تدورُ

ويحسن بي توفية للفائدة ان اذكر هنا ابياتاً من قصيدة لابن دراج الاندلسي المشهور المعروف بالقسطلي قالها في معارضة قصيدة النواسي المذكورة ومنها يخاطب امرأتهُ

أَلم تعلمي ان الثواء هو التوى وان بيوت العاجزين قبورُ
ذريني ارِدْ ماء المفاوز آجناً الى حيث ماء المكرمات نميرُ
فان خطيرات المهالك ضُمَّنٌ لراكبها ان الجزاء خطيرُ
ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبريَ منها أَنَّةٌ وزفيرُ
تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغيرُ
عييٌّ برجوع الخطاب ولفظهُ بموضع اهواء النفوس خبيرُ
تبوَّأَ ممنوع القلوب ومهدت لهُ أَذرعٌ محفوفة ونحورُ
عصيت شفيع النفس فيهِ وقادني رواحٌ لِتَدْآب السُّرى وبكورُ
وطار جناح البين بي وهفت بها جوانح من ذعر الفراق تطيرُ

فلا تجد احسن من وصفهِ نطق الصغير في قولهِ (عييٌّ الخ) . وقال البارودي على روي قصيدة الشريف "لغير العلا مني القلا والتجنب"

سواي بتحنان الاغاريد يطربُ وغيريَ باللذات يلهو ويعجبُ
وما انا ممَّن تأسر الخمر لبهُ ويملك سمعيهِ اليراع المثقبُ
ولكن اخو همٍ اذا ما ترجحت بهِ سورة نحو العلا راح يدأَبُ
بعيد مناط الهم فالغرب مشرقٌ اذا ما رمى عينيهِ والشرق مغربُ
لهُ غدوات يتبع الوحش ظلها وتغدو على آثارها الطيرُ تنعبُ
خلقت عيوفاً لا أَرى لابن حرة عليَّ يداً اغضي لها حين يغضبُ
فلست لامرٍ لم يكن متوقعاً ولست على شيءٍ مضى اتعتبُ
اسير على نهج يرى الناسُ غيرهُ لكل امرىءٍ فيما يحاول مذهبُ
واني اذا ما الشك أَظلم ليلهُ وامست بهِ الاحلام حيرى تشعَّبُ
صدعت حفافي طرَّتيهِ بكوكب من الرأي لا يخفى عليهِ المغيَّبُ
وبحرٍ من الهيجاء خضتُ عجاجهُ ولا عاصم الا الصفيح المشطَّبُ
تظل بهِ حمر المنايا وسودها حواسر في الوانها تتقلَّبُ
توسطتهُ والخيل بالخيل تلتقي وبيض الظبى في الهام تبدو وتغربُ
فمازلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعة فيها العقول تغيَّبُ
لدن غدوةً حتى اتى الليل والتقى على ساطع من غيهب النقع غيهبُ

ثم انتقل من هذا الوصف الرائع الى وصف اللهو والقنص والتغلغل في الملذات وعلى ذلك

اكثر قصائده المطلقة

وقال من الفخر كلمة أُخرى في روي قصيدة ابي فراس "اراك عصي الدمع شيمتك الصبر"

وأني امرؤٌ لولا العوائق اذعنت | لسلطانهِ البدو المغيرة والحضرُ
من النفر الغرّ الذين سيوفهم | لها في حواشي كل داجية فجرُ
اذا استلَّ منهم سيدٌ غرب سيفهِ | تفزّعت الافلاك والتفت الدهرُ
لهم عُمُدٌ مرفوعة ومعاقل | والوية حمر وافنية خضرُ
ونار لها في كل شرق ومغربٍ | لمدّرع الظلماء السنة حمرُ
تمدُّ يداً نحو السماء خضيبة | تصافحها الشعرى وبلثمها الغفرُ
وخيل يرجُّ الخافقين صهيلها | نزائع معقود باعرافها النصرُ
معوّدة قطع الفيافي كأنها | خدارية فتخاء ليس لها وكرُ
اقاموا زماناً ثم بدّد شملهم | اخو فتكات بالكرام اسمهُ الدهرُ

ومن سحرهِ الحلال هذه الابيات يصف بها الحرب قالها منذ ثلاث وثلاثين سنة

اذا نحن سرنا صرّح الشر باسمهِ | وصاح القنا بالموت واستقتلَ الجندُ
فانت ترى بين الفريقين كبّةً | يحدث فيها نفسهُ البطل الجعدُ
على الارض منها بالدماء جداول | وفوق سراة النجم من نقعها لبدُ
اذا اشتبكوا او راجعوا الزحف خلتهم | بحوراً توالى بينها الجزرُ والمدُّ
نشلُّهم شلَّ العطاش وَنتّ بها | مراغمة السقيا وماطلها الوردُ
ونقع كلج البحر خضت غمارهُ | ولا عاصم الاّ المناصل والجُردُ
صبرت بهِ والموت يحمرُّ تارة | وينغلُّ طوراً في العجاج فيسودُّ
فما كنت الاّ الليث انهضهُ الطوى | وما كنت الاّ السيف فارقهُ الغمدُ
صؤولٌ وللابطال همس من الونى | ضروبٌ وقلب القرن في صدرهِ يعدو
فما مهجة الاّ ورمحي ضميرها | ولا لبة الاّ وسيفي لها عقدُ

ولهُ من ابيات

اصبحت لا أستطيع الثوب اسحبهُ | وقد اكون وضافي الدرع سربالي
ولا تكاد يدي تجري شبا قلمي | وكان طوع بناني كل عسالِ
فلو تراني وبردي بالندى لصق | حسبتني فرخ طير بين ادغالِ
غال الردى أبويهِ فهو منفردٌ | في جوف خضراء لاراعٍ ولا والي

راجعت فهرس آثاري فما لمحت بصيرتي فيهِ ما يزري بأعمالي

ومن قولهِ في الغزل

هل من فتىً ينشد قلبي معي بين خدور العين بالاجرعِ

كان معي ثم دعاهُ الهوى فر بالحي ولم يرجعِ

فهل اذا ناديتهُ باسمهِ يفيق من سكرتهِ او يعي

فانتِ ياعصفورة المنحنى بالله غني طرباً واسجعي

وانتِ يانسمة وادي الغضا مرسي بريّاك على مضجعي

وانتِ ياعين اذا لم تفي بذمة الدمع فلا تهجعي

ولست أخشى ان اقول انهُ لم يكن واسع الحيلة في هذا النوع من الشعر الاَّ ابيات مبثوثة في تضاعيف اقوالهِ. ولهُ من قصيدة يصف النجوم

أرعى الكواكب في السماء كأن لي عند النجوم رهينة لم تدفعِ

زُهر تألق بالفضاء كأنها حببٌ تردد في غدير مترعِ

وكأنها حول المجرّ حمائم بيض عكفن على جوانب مشرعِ

والليل مرهوب الحمية قائم في مسحهِ كالراهب المتلفعِ

حسب النجوم تخلفت عن امرهِ فوحى لهن من الهلال بأصبعِ

ولما سبقت اليهِ بشارة العفو عنهُ في سيلان بقي بين الشك واليقين فذكر هذا التردد في بيت يقال انهُ امير شعرهِ وهو

أحسُّ في قلبي دبيب المنى والمح الشبهة في خاطري

والبيت حيث تراهُ من تصوير الوجدان ودقة الوصف . وكنت سألتهُ مرةً ان يوقفني على شيءٍ من شعرهِ الحديث فقال . ان عنترة يقول "هل غادر الشعراء من متردمِ" وهذا عيبٌ علينا (كلمتهُ بحروفها رحمهُ الله) ولذلك شرعت في نقض قصيدتهِ ثم انشد ابياتاً مطلعها

كم غادر الشعراء من متردمِ

يقول منها في وصف مصر

هي جنة الحسن التي زَهَرَاتها حور المهى وهزار أيكتها فمي

وهذا ما اتسع المقام لاختيارهِ من ذلك الدر النظيم وامتد النفس لذكرهِ من امر ذلك الرجل العظيم والله المسئول ان يجزيهُ عن اللغة واهلها باحسن مما أحيا من فضلها

طنطا مصطفى صادق الرافعي

السبق في الصحافة

حيث يكون رجال الصحافة فهناك تسمع النكات والنوادر الغريبة . اذ لا افكه من حديثهم ولا أبهج من الحكايات التي يحكونها عن طرق تسقطهم للاخبار واستقائها من مواردها والسبق الى نشرها على رؤوس الملإ كما يتبين من القصص الآتية وهي مقتطفة مما جمعهُ احد الادباء ونشرهُ في مجلة بيرصن

القصة الاولى — صاحب التيمس بين مرتبي الحروف

يحكى ان جون ولتر صاحب التيمس الثاني بعد منشئها الاول كان في صبيحة يوم من ايام سنة ١٨٣٣ في ادارة جريدتهِ فجاء الاكسبرس من باريس وفي الجرائد الباريسية صورة الخطبة التي خطبها الملك لويس فيليب عند افتتاح مجلس الشورى وكانت التيمس قد صدرت فلم يكن في الادارة احد من المحرّرين ولا من مرتبي الحروف . وكان لا بدَّ من نشر الخطبة على جناح السرعة لما لها من الشان فتناولها وترجمها الى الانكليزية ثم شرع في جمع حروفها بيدهِ حتى اذا انتصف النهار اكملها واصدر نسخة ثانية من التيمس فهبَّ الناس الى شرائها هبوب الرياح او اسرع

القصة الثانية — غرق البارجة فكتوريا

من الطف الحكايات التي تحكى من هذا القبيل حكاية نشر احدى الجرائد الاميركية خبر غرق البارجة فكتوريا سنة ١٨٩٣ مقابل طرابلس الشام اثر اصطدام البارجة كمبردون بها . فان جرائد لندن ونيويورك اقتصرت على نشر خبر موجز عنها واستنتجت انهُ لا بدَّ ان يكون كثيرون قد غرقوا بغرقها . وكان في لندن رجل اسمهُ فيلبس مكاتب الجريدة الاميركية المشار اليها فجاءهُ تلغراف من صاحب الجريدة يقول فيهِ "جئني بتفصيل الفاجعة مهما كلف" فهب المكاتب ومساعدوهُ يجوبون انحاء لندن و يطرقون ابواب كلّ كبير وصغير فيها ولكن على غير جدوى حتى سخر اصحاب الجرائد بهم قائلين من اين لهؤُلاء ان يجدوا في تلك البلاد النائية مكاتباً يوافيهم بتفصيل النكبة فقد جرَّبنا نحن واخفقنا فلا بدَّ من الانتظار حتى يرد تفصيلها على نظارة الخارجية لاسيا وان اقرب محطة للتلغراف البحري تبعد ٥٠ ميلاً عن مكانها

اما المكاتب فلم يقنط ولم ييأس بل طرق منزل مدير التلغراف البحري ليلاً وبسط لهُ مهمتهُ ووعدهُ بجعل كبير اذا فاز بمطلوبهِ قائلاً كلُّ ما اطلبهُ منك ان تؤجرني غلاماً من غلمانك الذين يشتغلون على آلة التلغراف في اقرب محطة الى محل النكبة فيوافيني باخبارها . فأبان المدير لهُ ما في ذلك من المشقة وقال انك تنفق المال ولا تستفيد شيئاً فاصرَّ الرجل

على عزمهِ هذا وارسل رسالة برقية الى طرابلس يقول فيها لعامل التلغراف " ارسل الي تفصيل نكبة فكتوريا وانا ادفع الاجرة مهما كانت " فجاءهُ الجواب صباح اليوم التالي ان "ليس عندنا تفصيل" وعاد فارسل رسالة اخرى يقول "استأجروا مركباً وأتوني بالتفصيل وانا ادفع لكم مئة جنيه" فجاءهُ الجواب " ارسلوا المال اولاً " وما زال يرسل الرسائل وتأتيهِ اجوبتها حتى انفق قدراً طائلاً على ذلك وبقي ساعتين يفاوض البنوكة حتى رضي احدها ان يرسل الحوالة بالمال المطلوب . وفي صباح اليوم الرابع من النكبة جاءهُ خبر مفصل عن غرق البارجة فارسلهُ الى جريدتهِ فنشرتهُ ولم تكن جريدة غيرها من جرائد اوربا او اميركا قد ذكرت شيئاً من ذلك

القصة الثالثة . مخبر جريدة صار صانع خياط

لما زار قواد البوير بوثا ودي وت ودلاري مدينة لندن بعد عقد الصلح قام اصحاب الجرائد يسعون الى مقابلتهم فلم يتسنَّ لهم ذلك . ولكن صاحب جريدة جمع بعد الجهد الجهيد جميع ما استطاع من حركات القواد وروحاتهم وغدواتهم فعلم ان احدهم سيأتي دكان خياط من خياطي المدينة في يوم معلوم ليخيط لهُ بذلة فدعا احد مخبريهِ وقال اذهب الى الخياط الفلاني واطلب منهُ ان يسأل القائد ما تراهُ من المسائل وأتني بعمود ننشرهُ في الجريدة والخياط صديقنا وهو يساعدك

فذهب المخبر لساعتهِ الى دكان الخياط واطلعهُ علي غرضهِ فقال لهُ الخياط خذ قلماً وقرطاساً فاذا جاء القائد آخذ انا قياسهُ وتكتبهُ انت كأنك من صنّاع المحل واسأل القائد ما تشتهي من المسائل فتسمع اجوبتهُ وتدوّنها وانت تكتب القياس . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى جاء القائد واوصى الخياط بصنع بذلة جديدة لهُ فشرع الخياط يأخذ الاقيسة والمخبر واقف على جانب وقلمهُ وورقتهُ في يديهِ . فقاس اولاً طول ذراعهِ وقال "٢٥" فردَّد المخبر ذلك ثم ناول الخياط الورقة ليعيد نظرهُ عليها فتناولها وقال للقائد جرت عادتنا ان نعيد النظر على ما يكتب من القياس خشية ان يقع غلط . ثم نظر اليها وقرأ فيها سؤَالاً كان المخبر قد كتبهُ عليها وهو " اسأل القائد رأيهُ في المستر تشمبرلن " ثم ردَّ الورقة الى المخبر واستأنف القياس وسأل القائد في اثناء ذلك عن المستر تشمبرلن فأجابهُ بما حضرهُ والمخبر يكتب ذلك . ثم قال الخياط "٤٠" فقال المخبر "٤٠" وسلم الورقة اليهِ فنظر فيها وقرأ سؤالاً آخر وهو "سلهُ عن رأيهِ في لندن" واعاد الورقة اليهِ . وما زال بهِ يسألهُ ويجيبهُ حتى انتهى من القياس فودعهُ القائد وانصرف . وفي اليوم التالي نشرت الجريدة حديث القائد فدهش لهُ كل من قرأهُ وعرفت حيلة صاحب الجريدة في الوصول اليهِ

القصة الرابعة . الدايلي تلغراف وحرب البوير

من اغرب ما رواهُ الرواة خبر الطريقة التي توصلت الدايلي تلغراف بها الى العلم بعقد الصلح في جنوب افريقية فنشرت الخبر على حين ان الجميع كانوا يكذبونهُ والحكومة لم تنشر شيئاً رسمياً عنهُ . وهاك ما قالتهُ الجريدة في ذلك

لما كان عيد العنصرة في ربيع سنة ١٩٠٢ أرسل الينا المستر برلي (مكاتبها في جنوب افريقية حينئذٍ) رسالة برقية من بريتوريا هذا نصها " اهنئكم بعيد العنصرة " فعند اطلاعنا عليها ادهشتنا مبالغتهُ في المجاملة الى حدّ ان يرسل الينا رسالة تهنئة بالعيد من تلك الاقاصي السحيقة على حين ان الوقت وقت حرب ونحن في حاجة اشد الى اخبار الحرب منا الى تهانيء العيد . ثم خطر في بالنا ان الكنائس الشرقية تتخذ الحمامة شعاراً لعيد العنصرة والحمامة ايضاً شعار السلام ولكننا لم نرَ من الصواب ان نبني الحقائق على مثل ذلك الاساس الموهوم ونزفّ الى الناس بشرى عقد الصلح ونحن لم نتثبت منها . فاخذنا كتاب الصلاة وقرأنا فيهِ الآيات المرسومة لعيد العنصرة فاذا هي قول الانجيل "سلامي اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا . لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب " (وكلمة سلام بالانكليزية مثل كلمة سلم او صلح) ولكن هذا كلهُ لم يكفِ لاقناعنا

وبينما كانت عوامل الشك واليقين تتنازعنا ونحن حيارى لا يقرُّ لنا قرار وردت رسالة منهُ على اخيهِ في غلاسكو يقول فيها " انا عائد . اخبروا لوصن " فانجلى لنا وجه الحقيقة اذ ذاك وبشّرنا البلاد بخبر عقد الصلح

القصة الخامسة . معركة التل الكبير

اول ما اشتهر بهِ المستر برلي المذكور آنفاً ارسالهُ تفصيل معركة التل الكبير الى الدايلي تلغراف . وبيان القصة انهُ لما انتصرت الجنود الانكليزية على الجنود المصرية في معركة التل الكبير ايام الثورة العرابية كان المستر برلي مكاتباً للدايلي تلغراف فأسرع الى محطة التلغراف في القصاصين وارسل رسالة برقية الى جريدتهِ قال فيها ان الجنود الانكليزية انتصرت في التل الكبير . فكانت اول رسالة وصلت انكلترا بهذا المعنى . ثم شرع في كتابة تفصيل المعركة ووطّن نفسهُ ان يكون الاوّل في ارسال التفصيل الى انكلترا كما كان الاوّل في ارسال الاجمال . وعاد الى ساحة القتال فعلم ان لواء الفرسان الانكليزية سار الى القاهرة على جناح السرعة فامتطى جوادهُ وهبَّ في اثرهِ وهو يجدُّ في السير ولا يلوي على شيء حتى ادركهُ وسبقهُ ولما بلغ القاهرة علم ان الحرب انتهت وان عرابي سلّم فتوجه الى مكتب التلغراف فوجد ان العمال

الوطنيين لا يفهمون الانكليزية ولا يستطيعون ارسال رسالتهِ بها

فاستعار جوادًا وعاد الى القصاصين وهو يتجشم مخاطر الظلام وضلال الطريق والوقوع في ايدي الثوار بعد ما انكسروا وتبدَّد شملهم . ولما كان على بعد عشرة اميال من مكتب القصاصين خارت قوى الجواد ووقع ميتاً فاستأنف السير ماشياً حتى بلغ مقصدهُ وارسل رسالتهُ بعد ما ركب يومين كاملين قطع فيهما ١٤٠ ميلاً ولم يسترح البتة

القصة السادسة — اتفاق غريب

من الطف ما جرى لصاحب جريدة من جرائد نيويورك ان لجنة سباق اليخوت الاميركية كانت تنتخب يختاً لمسابقة يخت السر توماس لبتون المسمَّى شمروخ الثاني وكان هناك يختان اسم الواحد كولمبيا والآخر كونستيتوشن وكان اهالي انكلترا واميركا ينتظرون بذاهب الصبر نتيجة حكمها في انتخاب احدها . فورد على صاحب الجريدة رسالة برقية قبل انتخاب اللجنة لليخت بعشرة ايام ليس فيها سوى كلمة واحدة وهي "كولمبيا" فلم يفهم المراد منها ولكنهُ قال في نفسهِ لعلَّ احد اصدقائنا علم بقرار اللجنة فابلغنا اياهُ قبل اوانهِ . فنشر خبرًا مآلهُ ان اللجنة ستنتخب اليخت كولمبيا لمسابقة اليخت شمروخ

وفي اليوم الذي قررت اللجنة فيهِ اختيار اليخت كولمبيا للسباق دخل رجل غريب ادارة الجريدة فلما رأى مدير الجريدة عاتبهُ لانهُ لم يستقبلهُ في الباخرة عند وصولها ولم يرسل احدًا من قبلهِ لاستقبالهِ فأجابهُ مدير الجريدة لِمَ لم ترسل اليَّ رسالة برقية تخبرني فيها باسم الباخرة التي ركبتها . فقال اني ارسلت رسالة فيها كلمة كولمبيا وهي من بواخر شركة همبرج واميركا كما تعلم فما تريد اكثر من ذلك . فأدرك صاحب الجريدة كنه المسألة اذ ذاك ولكنهُ كتم السرَّ ولم يبح بهِ الاَّ بعد سنتين من مرور الحادثة

القصة السابعة — حكمدار الهند

اتفق ذات يوم ان رجلاً من رجال الصحافة في لندن اجتمع هو وطبيب مشهور على مائدة واحدة فجعل الطبيب يتكلَّم عن هواء البلدان المختلفة وملاءمتهِ للابدان او عدمها الى ان قال "وكثيرون يخشون هواء الهند . فقد جاءَني اليوم اللورد الفلاني يستشيرني في ما اذا كان هواء الهند يلائم صحتهُ" . فتظاهر الصحافي بانهُ لم يهتمَّ بالخبر وقال للطبيب "وبماذا اشرت عليهِ" قال هذا وهو يتثاءب كأنهُ غير مهتم بالامر فاجابهُ الطبيب "قلت لهُ لا بأس من ذهابهِ الى الهند فانها تلائم صحتهُ" فلم يحتج الصحافي الى زيادة شرح وبيان بل هبَّ الى ادارة جريدتهِ ونشر خبرًا مآلهُ ان منصب حكمدارية الهند عرض على اللورد الفلاني فقبلهُ

القصة الثامنة — الدايلي مايل وحرب البوير

وهي قصة نشر الدايلي مايل خبر عقد الصلح في جنوب افريقية نشرتهُ قبل غيرها بيومين ويعدُّ الصحافيون عملها هذا من اعظم ما ورد في تاريخ الصحافة الحديثة

قال المستر ادجر وولس مكاتب الدايلي مايل في حرب افريقية وصاحب هذه المأثرة "اجتمع المندوبون الانكليز والبوير في مكان يبعد ٥٠ ميلاً عن جوهنسبرج للمفاوضة في عقد الصلح فلم يُسمح لمكاتب جريدة ما ان يحضر ذلك المجلس وكانت مراقبة الرسائل البرقية اذ ذاك على اشدّها والمراقب يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعليهِ فلم يكن لنا بدٌّ من ابتداع طريقة نوصل بها رسائلنا والحاجة تفتق الحيلة

اما حيلتنا فهي انني اتفقت انا ومحررو الجريدة في لندن على كلمات معناها الحقيقي غير منطوقها الظاهر وكان قلم المراقبة لا يتعرض للرسائل التجارية مما يتعلق بمناجم الماس والذهب وغير ذلك فجازت حيلتنا عليهِ . ففي ١٢ ابريل سنة ١٩٠٢ أرسلت الرسالة الآتية الى لندن وهي

" من جهة مشترى الارض التي فيها منجم الذهب اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجها الى بريتوريا حيث توجه ألف ايضاً ليساوم في الثمن ما امكن. وقد علمت عن ثقة ان البائعين يميلون الى البيع "

ففسّرها محررو الجريدة كما يأتي

" من جهة مفاوضات الصلح اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجهوا الى بريتوريا حيث توجه اللورد الفرد ملنر ايضاً للوصول الى احسن الشروط الممكنة · وقد علمت عن ثقة ان البوير يميلون الى الصلح "

وكنت ارسل كلَّ يوم رسائل على هذا النمط . ومما اتفقنا عليهِ ايضاً صورتان اخبرهم فيهما بعقد الصلح تماماً او بانقطاع كل مفاوضة . فالصورة الاولى هي هذه " اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند " ومعناها تمَّ عقد الصلح . والصورة الثانية " بعت لكم الف سهم من اسهم الرند " ومعناها انقطعت المفاوضات وخاب سعي المتفاوضين

هذا من جهة ارسال الاخبار الى انكلترا ولكن شتان بين ارسال الاخبار وبين الوصول اليها . فاني كنت اعلم ان دون وصولي الى المعسكر الذي اجتمع المتفاوضون فيهِ خرط القتاد وقد تزيا احد المراسلين بزي جندي ورام الدخول اليهِ فعرفوهُ واعادوهُ الى جوهنسبرج مهاناً · فرأيت ان لابدَّ لي من الاتفاق مع بعض المقيمين فيهِ على ايصال الاخبار المهمة اليَّ

وهكذا كان فاني فاتحت جنديًا بذلك وكان من اصدقائي فرضي ان يبلغني اخبار المتفاوضين بالطريقة الآتية

اتفقنا ان أركب القطار كلَّ يوم من جوهنسبرج الى مكان آخر مارًّا بمحطة المعسكر الذي فيهِ المندوبون من غير ان انزل اليها خشية اثارة الشبهات وعند ما يرى الجندي القطار مارًّا يخبرني بنتيجة المفاوضات بالاشارات . فاذا لوَّح بمنديل ازرق دلَّ ذلك على ان مفاوضات الصلح توقفت . او لوَّح بمنديل احمر كان المعنى ان الصلح قريب . او بمنديل ابيض كان المعنى ان الصلح تمَّ. ولا يعلم الاَّ الله كم مرة ركبت القطار ذهابًا وايابًا من جوهنسبرج واليها وكنت كلَّ يوم أرى صديقي واقفًا يلوّح بمنديلهِ فأرسل الرسائل البرقية الى الجريدة بسير المفاوضات . حتى اذا كان ذات يوم وقد مرَّ القطار بالمحطة اطللت من النافذة فرأيت صديقي وبيدهِ منديل ابيض فما صدقت ان وصلنا جوهنسبرج حتى أرسلت هذه الرسالة " اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند" فاذاعت الدايلي مايل بشرى عقد الصلح في طول البلاد وعرضها قبل سائر الجرائد بيومين

القصة التاسعة — خداع رصيف لرصفائهِ

شاع وذاع في نيو يورك بعد ثوران بركان بيله في المارتينيك وخراب مدينة سان بيير وهلاك اهلها كلهم ان باخرة اسمها كورونا ستصل نيو يورك قريبًا وهي تقلُّ اربعة رجال سلموا من الموت في ذلك الثوران بعد ان اصيبوا بجراح كثيرة . ولما كانوا قد رأوا ثوران البركان رأي العين اهتمَّ الناس بهم كلَّ الاهتمام وانتظروا وصولهم بذاهب الصبر وأعدَّ مخبرو الجرائد القوارب لملاقاة الباخرة حتى اذا وصلت صعدوا اليها لمحادثة اولئك المنكوبين في ما رأوا وسمعوا. ولما كان الوقت قصيرًا اقترح احدهم ان ينزل مكاتبو الجرائد كلهم الى قاربهِ وينزلوا الرجال الاربعة معهم فيحدثوهم بما جرى في اثناء الطريق فلا يبلغون البرَّ حتى ينتهوا من محادثتهم

فاستحسنوا رأيهُ واستعدوا للنزول الى قاربهِ فمشى هو اولاً وتبعهُ الرجال الاربعة . ولما اراد الباقون اللحاق بهم وقف رجل غريب على رأس سلَّم الباخرة واعترض في سبيلهم ثم فكَّ ازرار ثوبهِ الخارجي فراوا تحتهُ ثوبًا رسميًا دلَّ على انهُ من موظفي الحكومة وقال لهم هذا القارب للحكومة ولا اسمح لاحد بالنزول اليهِ . ثم صفر لهُ فسار يشقُّ العباب بمن فيهِ واستأثر مكاتب جريدة واحدة بمقابلة الرجال ومحادثتهم . ونقدت الجريدة كلا من الرجال الاربعة مئتي جنيه مقابل استئثارها بحديثهم

هذا وقد يبلغ مخبرو الجرائد جهدهم في تسقط الاخبار لكن المحررين يعجزون عن فهمها كما ترى في القصة التالية

القصة العاشرة — مهارة المخبر وبلادة المحرر

يذكر القراء انهُ قبلما شبت نار الحرب بين اميركا واسبانيا سنة ١٨٩٨ كان لاميركا بارجة من احسن البوارج الحديثة اسمها ماين نسفت في ميناء هفانا عاصمة كوبا وغرقت بمن فيها في اقل من طرفة عين فعقد مجلس تحقيق في هفانا ليعلم ما اذا كانت قد نسفت اتفاقاً من الداخل او نسفت بطربيد من الخارج. وكان هناك مكاتب جريدة من جرائد نيويورك الكبيرة فسعى سرًّا في الوقوف على حكم المجلس ولكنهُ خاف اذا نجحت مساعيهِ ان يعود المراقب فيحبطها فيذهب تعبهُ سدى وعليهِ ارسل رسالة الى صاحب الجريدة التي يكاتبها وقال فيها انهُ اذا بعث اليهِ بخبر ظاهرهُ غريب فان في طيهِ معنى لايخفى على اللبيب

وكللت مساعي المكاتب بالنجاح فانهُ علم من رجل غطس في اثر البارجة ان الفولاذ المصفحة بهِ وجد مثقوباً وحافات الثقب بارزة الى الداخل دلالة على ان البارجة نسفت بطربيد من الخارج اي بفعل فاعل . ففكَّر المكاتب في طريقة يبلغ جريدتهُ ذلك الخبر بها ولا يثير هواجس المراقب فأرسل اليها الرسالة الآتية وهي

غطس رجل في اثر البارجة ماين ليفحص صفائحها فوجد فيها ثقباً كبيرًا فدخل منهُ ولما حاول الخروج لم يستطع لان حافات الثقب حالت دون ذلك فاستبطأهُ صديق لهُ كان ينتظرهُ فوق الماء وخشي ان يكون قد لحق بهِ اذًى فغطس اليهِ وانقذهُ من الموت بعد عناء شديد

هذه هي القصة بعث بها المكاتب وهو يظن ان صاحب الجريدة يستخلص منها الخبر المهم اي ان سبب نسف البارجة من الخارج فينشر المراد منها ولكن خاب ظنهُ لان صاحب الجريدة نشر الخبر كما وصل اليهِ ولم يدرك معناهُ بل ظنَّ ان مكاتبهُ يهذي فقال " اننا ننشر رسالتهُ بحروفها " وقد اراد المكاتب ان يخفي المقصود منها على المراقب ويبينهُ لصاحب الجريدة فنجح في الاول واخفق في الثاني

هذا ونوادر المخبرين والمكاتبين كثيرة ولهم حيَل في تسقُّط الاخبار لا يفطن لها احد غيرهم وقد ينفقون الاموال الطائلة لكي ينالوا بغيتهم وربما استخدموا وسائل غير جائزة كما سنبينهُ في فرصة أُخرى

بورت آرثر والحرب الحاضرة

لقد كان من رأي المتحزبين للروس ان بورت ارثر امنع من ان تفتح كما ترى في ما كتبهُ واحد منهم في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة. وكان من رأي غيرهم انها تفتح ولكن الحرب لا تنتهي بفتحها كما ابنا غير مرة. وقد قال الواصفون لقلاعها وحصونها انها امنع من عقاب الجوّ واعزّ من الابلق الفرد واقوى ما بنتهُ يد انسان. ولا عجب فان الحكومة الروسية قضت في تحصينها نحو ثماني سنوات وانفقت عليها وعلى بناء دالني نحو ٥٠ مليونًا من الجنيهات حتى صارت تحسب امنع حصون الطبقة الاولى وحتى قال بعضهم انها كانت تساوي ستًّا من قلعة سفستبول المشهورة ومع ذلك تمكن اليابانيون من فتحها في غرة هذا العام

ولا حاجة بنا الى الاطالة في وصف حصارها فقد قاتل الفريقان قتال الابطال وخسرا خسارة عظيمة ولكن خسارة اليابانيين كانت اعظم لانهم الفريق المهاجم. وقد ظهر بعد تسليمها ان المؤونة والذخيرة لم تكونا تنقصها ولكن لا يلزم عن ذلك ان حاميتها لم تكن تقاسي الاهوال الصعاب قبل التسليم فان كثرة المرضى والجرحى في المستشفيات وقلة الماء والمدافع الكبيرة وما نتج من اطلاق اليابانيين لمدافعهم من التخريب والتدمير دلّ على ان الروس كانوا في مثل حشرجة الموت فجاء تسليمهم حافظًا للرمق الذي كان يتردد في صدورهم

وينتقد البعض على الجنرال ستوسل تسليمهُ مدعين ان بورت آرثر كانت تقوى على الثبات والمقاومة الى ان يأتيها الفرج عن يد اسطول البلطيك ويقول غيرهم ان استيلاء اليابانيين على الحصون المحيطة بها الواحد بعد الآخر ولا سيما الحصن المسمى حصن ٢٠٣ امتار قرّبهم منها بحيث بات الروس تحت رحمة مدافعهم فلم يرَ الجنرال ستوسل اذ ذاك مفرًّا من التسليم حقنًا للدماء وضنًّا بالارواح ان تزهق على غير جدوى

ولا ريب ان انتصار اليابانيين كان باهرًا بدليل عدد الاسرى ومقدار الاسلاب فقد قيل ان عدد الجنود الروسية التي سلمت ٢٨٠٠٠ وعدد ضباطها ٨٧٨ وكان في المستشفيات ١٤٠٠٠ ويقال ان الذين قتلوا من الحامية مدة الحصار بلغوا ١٠ آلاف. اما الاسلاب والغنائم فكانت ٥٤٦ مدفعًا و٣٥ الف بندقية ومقدارًا كبيرًا من الذخيرة واربع بوارج ما عدا البارجة سفستبول التي اغرقت وطرادين و١٤ مدفعية ونسافة. واستولى اليابانيون على ٥٩ حصنًا وقلعة منيعة. وهكذا عادت بورت آرث الى اليابانيين عنوة بعد ان اغتصبت منهم سياسة

اثر حربهم مع الصين حينما تألبت روسيا والمانيا وفرنسا واكرهتهم على تسليمها الى الروس وقد اختلف المقدّرون في عدد مَن قتل وجرح من اليابانيين قبلما تمكنوا من فتح بورت آرثر والمرجح انهم لا يقلون عن مئة الف

والصفحة البيضاء في قصة هذا الحصار السوداء ما ابدى اليابانيون من كرم الاخلاق في معاملة الحامية عند وضع شروط التسليم ممَّا دلَّ على انهم ليسوا كما يصفهم بعض الكتَّاب الاوربيين من انهم كالمتوحشين او ارقى درجة

ولا ينكر ان لاستيلاء اليابانيين على بورت آرثر شأنًا عظيمًا في مجرى الحرب . فان القيصر ومشيريهِ عدُّوهُ سببًا لمضاعفة قوتهم وتجديد اقسامهم ألاَّ يعيدوا السيف الى غمدهِ حتى ينتصروا على عدوهم انتصارًا باهرًا . وذلك امرٌ طبيعيٌّ يشعر بهِ المغلوب على اثر الانغلاب

على ان اهم الامور في هذه الحرب فقدان روسيا زمام البحر. نعم ان اسطول البلطيك لا يزال يمخر في عباب الاوقيانوس ولا يبعد ان يصل اخيرًا الى ساحة القتال ولكن الخبيرين لا يعدونهُ كفئًا لاسطول اليابان في ميدان النزال فان كان لروسيا امل باستقامة الحال وافول نجم النحس فانما يكون ذلك على ضفاف نهر شاهو حيث الجيشان نازلان ولكن لا يظهر ان الحال هناك على ما تحبُّ روسيا لان الجيشين تحصنا اشد التحصُّن فاذا هاجم الروس اليابانيين كما هو المنتظر فيبعد عن الظن انهم يزيحونهم من مواقعهم المنيعة لا سيما وان الروس لم يستطيعوا الثبات في لياونغ حيث كانت حصونهم واستحكاماتهم عزيزة وكان اليابانيون المهاجمين وكانوا هم المدافعين فكيف اذا انعكست الحال فصاروا هم المهاجمين واليابنيون المدافعين. ثم ان استئثار اليابان بزمام البحر يمكنها من ارسال النجدات الى جنودها اين شاءت ومتى ارادت على اهون سبيل على حين انهُ ليس عند الروس سوى خط حديدي مفرد لارسال النجدات . فموقف روسيا احرج مما يظنُّ وآمالها ابعد من ان تحقق بسهولة الاَّ اذا قام من رجالها مَن يحلُّ العقدة بسيف الاسكندر ويزيح من عاتقها الحمل الذي كادت تنوءُ بهِ ولكن الدلائل الحاضرة لا تدلُّ على ان الزمان يدخر لها مثل ذلك الرجل في خزائنهِ

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نذكر بعض الشيء عن بطلي بورت آرثر الجنرال نوجي قائد الجيش الياباني والجنرال ستوسل قائد الجيش الروسي فنقول :

لما انتدب الجنرال نوجي لقيادة الفيلق الياباني الذي حاصر بورت آرثر قال ان قيادة ذلك الفيلق اعظم شرف يحلم بهِ جنديٌّ من جنود الامبراطور . وفي ذلك اليوم نفسهِ نعي اليهِ ابنهُ الاكبر فلم يخفض نعيهُ من افتخارهِ بشرف المهمة التي انتدب لها وهي ان يعيد الى امتهِ ذلك

الحصن المنيع الذي فقدتهُ بحكم السياسة لا بحكم الغلبة

وقد وصفهُ بعض عارفيهِ فقال : يقولون ان الجنرال نوجي يجهل آداب المعاشرة الحديثة وهذا صحيح ولكن لا عار عليهِ منهُ ولا شنار فانهُ من شيوخ القرن التاسع عشر فلا غرابة اذا جهل ما احدثهُ شبانهُ في هذا الباب. اذا قابلتهُ ادهشك ما تراهُ عليهِ من بساطة الجندي كأنهُ لم يتعلم شيئاً غير فن الحرب . وهو حرُّ الفكر والكلام ليس على شيء من التملق وذلق اللسان ولهُ ثلاث فضائل جوهرية . الاولى سذاجتهُ . والثانية حرصهُ على النظام . والثالثة بشاشتهُ لجميع الناس . وهذه الصفات الثلاث يتصف بها كل رجل عظيم . ومع شدة حرصهِ على النظام تراهُ كثير المزاح في الكلام يقول نكتة فيقهقه لها جيش برمتهِ

وهو باسل شجاع وقد تركتهُ الحرب بلا عقب فقد قتل ابنهُ البكر في كنشاو والثاني في حصار بورت آرثر وليس لهُ غيرهما . يحكى انهُ كان جالساً في مكتبهِ يوم سفر ابنهِ البكر الى ساحة القتال فجاءهُ وهو يقول " اودعك الآن يا ابتاه فاني مسافرٌ الى منشوريا ولا امل لي البتة بالعودة اليك حيًّا وساُصلّي دائماً طالباً لوالدتي الصحة والعافية فاذا قتلت في الحرب فلا تبخل يا ابتِ بكلمة او كلمتين تقولها في رثائي ولابدَّ ان تكون حينئذٍ في طريقك الى ساحة القتال فاسمح لي ان اقول وان كنَّا نقاتل في جهتين تفصل بينهما المسافات الشاسعة فمن الواجب علينا كلينا ان نحاضر معاً ونحارب يداً واحدة في سبيل وطننا "

وكان ابنهُ الاصغر قد دخل الغرفة اذ ذاك وسمع ما يقولهُ اخوهُ فقال " ألا تسمح لي يا اخي ان اجري معكما في المضمار الذي عزمتما على الجري فيهِ . وسنرى لمن السبق منَّا " فضحك ابوهما وقال " حسناً يا ابنيَّ فان هذا المضمار يهمنا كلنا "

اما الجنرال ستوسل فكان رجال حاميتهِ يحبونهُ حبًّا يقرب من العبادة وهو كبير الجسم اشقر الشعر لطيف المعشر انيس المحضر . صوتهُ رخيم يناقض هيئتهُ لا يكلُّ من العمل ولا يملُّ . ولما انتهى تسليم بورت آرثر وعُلم ما كان فيها من الجنود والميرة قام اناس من الذين كانوا يطنبون بمدحهِ وقالوا ان تسليمها عار على الحامية الروسية لانهُ كان في طوقها المقاومة الى ان تأتيها النجدات وان زادها وذخيرتها كثيرة

وفي الرابع عشر من الشهر الماضي وصل الجنرال ستوسل ومن معهُ الى السويس في طريقهم الى روسيا فقابلهُ وكيل المقطم فيها وكتب في ذلك رسالة نشرها المقطم في حينها نقتطف منها ما يأتي . قال الوكيل

" علمت من الجنرال ستوسل ان حامية بورت آرثر لم تكفَّ عن القتال الاَّ لما اقتنع بان

الثبات اضحى ضرباً من المحال . فقد كان عدد الحامية في اول الحصار ٣٤ الفاً بين ضباط وعساكر برية وبحرية وهؤلاء لم يبقَ منهم يوم التسليم غير ثمانية آلاف عسكري ثلثة آلاف منهم اصيبوا بداء الاسكربوط او غيرهِ . وكان عندهم ثمانية عشر الفاً بين جريح وطريح على فراش المرض والسقام والباقون قتلوا او ماتوا . ونفدت الادوية والعقاقير والرباطات ولم يبق في الصيدليات الاَّ بعض المراهم ولم تبقَ محلات تسع الجرحى ولا ممرضات يمرضنهم . وقضى الجنرال اثنين واربعين يوماً لم ينزع فيها حذاءهُ من رجليهِ

"ونفد الزاد والمؤونة ايضاً فلم يبقَ عند الحامية من الارز والدقيق الاَّ مؤونة اربعة ايام فقط لان الغام اليابانيين اتلفت معظمها وفرغ لحم الضان والبقر فجعلوا يأكلون لحم الخيل مدة ثلثة اشهر ولما سلموا لم يكن باقياً عندهم من الخيل غير القليل

"وكذلك الذخيرة نفدت فلم يبقَ منها عند التسليم الاَّ القليل . فلما رأى الجنرال ذلك كلهُ ورأى اليابانيين قد فتحوا حصن ارلنغ شان بعد مادمروا البوارج عقد مجلساً من قواد الحامية فقرَّ قرارهم على التسليم فسلموا . وقد قال رئيس اركان حرب الجنرال نوجي للجنرال ستوسل اننا فقدنا على بورت ارثر ٩٨ الف مقاتل بين ضباط وعساكر

"وقال لي احد الضباط المرافقين لهُ ان اليابانيين فقدوا ١٧ سفينة حربية بين كبيرة وصغيرة امام بورت آرثر وانهُ فقد منهم في معركة من المعارك ١٣ الفاً في ساعة واحدة

"اما من جهة طول مدة الحرب ونتيجتها فراي الجنرال انها تطول سنتين او اكثر وان النصر يكون لروسيا في الآخر" انتهى

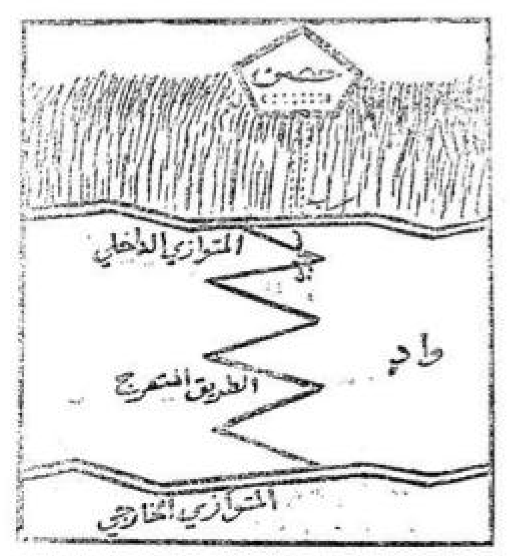
اما كيفية استيلاء اليابانيين على بورت آرثر فقد فصلتها جريدة السينتفك اميركان تفصيلاً دقيقاً قالت :

يحيط ببورت آرثر سلسلتان من التلال على شكل دائرتين الواحدة داخل الاخرى . فبني المهندسون الحصون والقلاع على رؤوس هذه التلال ووصلوا ابنيتها بالمعاقل والاستحكامات . والحصون والقلاع الداخلية تسمَّى بالدائمة وعليها المعوَّل في الدفاع ومتوسط بعدها عن بورت آرثر ميل واحد اما الحصون والقلاع الخارجية فتوسط بعدها ميل ونصف وهي اقل منعة من الداخلية وخلفها استحكامات اخري . وقد عني الروس باختيار مواقع الحصون بحيث اذا استولى العدوّ على حصن منها لم يستطع البقاء فيهِ لان الحصون القريبة تشرف عليهِ

وجوانب التلال ملساء جرداء لا يجد مهاجمها ما يحجبهُ عن حصونها ويقيهِ نيرانها الحامية . والاستحكامات ومعدات الدفاع ممتدة الى مسافة ١٨ ميلاً من بورت آرثر شمالاً حيث يضيق

شبه جزيرة بورت آرثر حتى يصير عرضهُ ٣ اميال

ولا حاجة بنا الآن الى وصف هجوم اليابانيين على الاستحكامات والحصون البعيدة واخذها عنوة الواحد بعد الآخر في الصيف الماضي وانما نقول انهم لما رأوا في اول سبتمبر الماضي ان الحصون والقلاع الداخلية لا تؤخذ بالهجوم عنوة كما اخذت الاستحكامات الخارجية عزموا على فتحها بواسطة اخرى وهي اولاً اطلاق مدافع الحصار الفخمة لهز اساسات الحصون وثانياً نسف الاستحكامات التي بنيت حولها ليستذري الجنود بها و يطلقوا النار من خلفها بالغام تحفر تحت الارض . وثالثاً الهجوم على الحصون من خنادق مستترة



واول ما عملوهُ لبلوغ مآربهم انهم حفروا حول كل تل خندقاً عمقهُ ست اقدام وعرضهُ اثنتا عشرة قدماً او اكثر موازياً لخط الحصون وعلى نحو ٣٠٠٠ قدم عنها . وهو المعبر عنهُ في هذا الرسم بالمتوازي الخارجي وحفروا منهُ طريقاً متعرجاً الى حضيض التل كما ترى في الرسم عمقهُ ست اقدام وعرضهُ ثماني اقدام بحيث يستطيع اربعة من الجنود السير فيهِ والهجوم معاً . وكانوا يحفرون هذا الطريق ليلاً وينقلون التراب منهُ ويسقفون الاجزاء الموازية لخط الحصون بالواح يضعون عليها تراباً وعشباً فلا يرى الروس ما هم فاعلون . ولكن الروس اكتشفوا هذه الحيلة في بعض الاماكن فكانوا يخرجون من الحصون ويهاجمون اليابانيين ليتلفوا ما حفروهُ . غير ان اليابانيين لم يكلوا ولم يملوا بل واظبوا على الحفر حتى بلغوا حضيض التلال التي بنيت

الحصون عليها وهناك حفروا خندقاً آخر موازياً للخندق الاوَّل كما ترى في الرسم والغرض منهُ جمع الجنود للهجوم الاخير . ومن هذا الخندق حفروا سرباً يؤدي الى اسفل الحصن الذي ارادوا مهاجمتهُ ثم حفروا اسراباً على زاوية قائمة منهُ وموازية لاسوار الحصن ووضعوا فيها مقداراً عظيماً من الديناميت واشعلوهُ فانفجر وثغر الحصن فهجموا واستولوا عليهِ . كلُّ ذلك والروس لايدرون بما يجري حتى يسمعوا صوت الانفجار تحتهم

وكان هذا يجري ومدافع الحصار لا تنقطع عن ارسال قنابلها على المدينة وحصونها . وعدد هذه المدافع ٣٠٠ على ان اعظم المدافع فعلاً مدافع الهاوون وعددها ١٨ وقطر فوهة الواحد منها ١١ بوصة . وثقل قنبلتهِ ٥٠٠ رطل وثمنها ٣٥ جنيهاً وثمن "الدكة" كلها ٨٠ جنيهاً . وكان كلُّ مدفع يطلق مرة كل ثماني دقائق عند اشتداد القتال مدة اربع ساعات وعليهِ فان اطلاق هذه المدافع وحدها كلّف اليابانيين ٤٠ الف جنيه واطلاق المدافع كلها كلفهم مئة الف جنيه كلَّ نوبة

ومدافع الهاوون هذه تستطيع عادة ان توصل قنابلها الى بعد سبعة اميال او ثمانية ولكن لما كان بعدها عن بورت آرثر لا يزيد على ٣ اميال وكانت في اماكن لا تُرى منها ولا يرى مطلقوها ما حولها فانهم كانوا يطلقونها صعداً في الهواء على زاوية ٦٠ درجة او اقل فتمر القنابل فوق رؤوس التلال ثم تنقضُّ على المدينة كأنها رجم هابطة من السماء

وربَّ قائل يقول انهُ ان كان مطلقو تلك المدافع لايرون ما حولهم فكيف استطاعوا ان يلحقوا ببورت آرثر ما لحقوا من التخريب والتدمير ويتلفوا البوارج الكبيرة التي كانت راسية في مينائها . والجواب على ذلك انهُ كان عندهم خرائط دقيقة رسم فيها جميع ما في بورت آرثر من الابنية الكبيرة والاماكن المهمة وعليهِ كان الطوبجية اذا ارادوا تدمير احدها عرفوا مقدار الزاوية التي يجب ان يصوّبوا مدافعهم عليها فيطلقونها ولا يخطئون

هذا من جهة الاهداف الثابتة كالمباني وغيرها مما على البرّ واما الاهداف المتحركة كالبوارج فان اصابتها لم تكن سهلة لان الروس كانوا ينقلونها من مكان الى مكان متى شاۤؤوا ولذلك رأى اليابانيون ان لا بدَّ لهم من الاستيلاء على مكان يرون البوارج منهُ ولم يكن هناك غير التلّ المعروف بتلّ ٢٠٣ امتار فاستولوا عليهِ بعد معارك يشيب لها الولدان ونصبوا فيهِ منظاراً يسمّى هيبوسكوب وهو منظار يستطيع الناظر فيهِ ان يرى ما امامهُ من غير ان يُرى فكان المدفعية يطلقون قنابلهم على البوارج والناظرون في الهيبوسكوب يخبرونهم من راس تل ٢٠٣ امتار بالتلفون ما اذا كانت القنابل تصيب البوارج او تقع امامها او خلفها او الى يمينها او شمالها

فيصلح المدفعية خطأهم وما زالوا كذلك حتى اصابت القنابل جميع البوارج . وحاولت البوارج ان تختبئ خلف التلال المعروفة بتلال ذنب النمر وتل الذهب ولكن ذلك لم يدفع عنها مقدورًا ولم يردَّ محذورًا

وقد استخدم الروس واليابانيون في هذه الحرب اقصى ما بلغ اليهِ العلم الطبيعي والعلم الرياضي اولئك في تحصين بورت آرثر والدفاع عنها وهؤُلاء في حصرها وفتحها وكانت الغلبة لهم لزيادة عددهم وعددهم اما الشجاعة والاستبسال فلا يمتاز فيهما فريق على فريق

خاتمة نبوليون واخلاقهُ

كان نبوليون يشكو من هواء منفاهُ ويقول انهُ اورثهُ داء الكبد . وكرر الشكوى هو واتباعهُ مرارًا على امل الخروج من تلك الجزيرة ولكن الداء لم يتمكن منهُ الاَّ قُبيل وفاتهِ بشهر وايام ولم يكن الكُباد كما توهم بل سرطان المعدة الذي مات بهِ ابوهُ من قبلهِ ولم يُعلم ذلك الاَّ بعد وفاتهِ وفتح رمتهِ . ولما قال الطبيب ان داءهُ عقام الأقبل ان جاءت الساعة ببضعة ايام في السابع والعشرين او الثامن والعشرين من شهر ابريل (نيسان) فأعلم حاكم الجزيرة والحكومة الانكليزية

وقضى نبوليون الايام التسعة الاخيرة من عمرهِ في حالة البحران ونطق بكلمات قليلة منقطعة في اليوم الخامس من شهر مايو (ايار) وهي فرنسا ... الجيش ... مقدمة الجيش . ونهض من فراشهِ وحاول منتولون ردَّهُ اليهِ فدفعهُ بيدهِ والقاهُ على الارض فاستعان بارشمبول وردَّاهُ الى فراشهِ . وفي الساعة السادسة مساء فاضت روحهُ وكانت العواصف تعصف في الجزيرة فعبثت باكواخ الجنود ومزقت الاشجار التي غرسها بيدهِ واقتلعت صفصافة كان يتفيأُ ظلَّها. كأن الطبيعة دُهشت من سكون الانسان وقامت تحرك الجماد والنبات

وكان حاكم الجزيرة واقفاً امام البيت ينتظر الخبر ووقع النزاع بينهُ وبين اتباع نبوليون هو يطلب فتح رمتهِ وهم يأبون ذلك عليهِ وهم يطلبون نقلها الى فرنسا وهو يأبى ذلك عليهم . والغلب للقوَّة الى ان يحين الحين . ففُتحت الرمَّة ولم تُنقل الى فرنسا حينئذٍ . وطلبوا ان يكتبوا اسمهُ " نبوليون " على تابوتهِ فأبى الحاكم الاَّ ان يكتب معهُ اسم بونابرت وانقضى الخلاف بان تُرك التابوت غفلاً لا اسم عليهِ

وعُرضت الجثة في اليوم التالي وسير بالجنازة بعد اربعة ايام وكان على التابوت سيف

نبوليون ورداؤهُ الذي لبسهُ في واقعة مارنجو(١) . وحملتهُ الجنود الانكليزية الى مركبة يجرها اربعة من جيادهِ وساروا بهِ الى بقعة اختارها ليدفن فيها في سفح وادٍ في ظل صفصافتين بجانب عين كان يستقي منها هناك حُفر قبرهُ ووري جثمانهُ ثم أُطلقت المدافع والبنادق اكراماً لهُ

وبعد تسع عشرة سنة رست في مرفإ الجزيرة بارجة فرنسوية معقود لواؤُها لبرنس جوانڤيل(٢) لتنقل رفاتهُ الى عاصمة مملكتهِ . رضيت بريطانيا بذلك لكي تدفن معهُ آخر اثر من آثار العداء السابق . وقبل ان تعود البارجة الى فرنسا كادت نار العداء تستعر ثانيةً بين الدولتين . وجاء في هذه البارجة غورغو وبرتران وابنهُ الذي كان اول مَن دخل الجزيرة من غير اذن حاكمها على ما سبقت الاشارة اليهِ ومرشان وارشمبول وغيرهم من رجال نبوليون واجتمعوا حول ضريحهِ في الخامس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٠ فنبشوا القبر واخرجوا التابوت فرأوا جثة نبوليون لم تزل على حالها لم يتطرَّق البلى اليها فعادوا بها الى باريس كأنهم عائدون بالغنائم ولم يُحتفل بدخولهِ تلك العاصمة حيًّا كما احتُفل بدخولهِ اليها ميتاً جلس ملك فرنسا يحيط بهِ الامراء والوزراء والعظماء بما لا مزيد عليهِ من الابهة جلسوا تحت قبة الانفاليد ينتظرون وصول الرفات واذا بالمنادي يقول "الامبراطور" وللحال نهض الملك والجمع الذي حولهُ لاستقبال امبراطور فرنسا ولو جثةً بالية واطرقت العيون خشوعاً وفاضت العبرات رهبةً وشجوناً ثم دفنوهُ باحتفال يليق بهِ وبابهة لا تليق بغيرهِ ولم يزل قبرهُ مقصد الزوار من كل البلدان والاقطار

هذه خاتمة نبوليون . اما اخلاقهُ فوصفها من اصعب الصعاب . من رأي لورد روزبري اننا لو عرفنا كل ما بدا منهُ وهو في منفاهُ ولا سيما في الاشهر الاخيرة من عمرهِ لعرفنا اخلاقهُ تماماً لانهُ تعرَّى حينئذٍ من ابهة الملك وغواشي السياسة . ولكن الذين كتبوا عنهُ حينئذٍ كانت افعالهُ لم تزل راسخة في نفوسهم فلم يستطيعوا ان يتجردوا عن الوهم الذين كان متغلباً عليهم سواء كانوا من محبيهِ والمعجبين بهِ او من مبغضيهِ والمحتقرين لهُ . ومع ذلك فقد كتب بعضهم اشياء كثيرة عنهُ لم تنشر حينئذٍ وهي ترشح الآن من مخابئها رويداً رويداً وفيها حقائق لم يبهرها نور الاعجاب ولا شوَّهتها نار الكراهة لهُ الا ان تمحيصها مما يمازجها ليس بالامر السهل . ولا يزال الكتَّاب مختلفين في حكمهم على نبوليون بين مادح وقادح واكثرهم على طرفي نقيض

اما الفيلسوف الذي يعتقد ان العناية الالهية تدبر امور الناس فيقول ان نبوليون أُرسل

(١) Marengo مدينة في ايطاليا حدثت فيها الواقعة الشهيرة سنة ١٨٠٠

(٢) Prince de Joinville ابن الملك لويس فيليب

الى الدنيا مؤيَّدًا بقوة خارقة العادة لكي يقاص ملوك اوربا و يطهرها من المفاسد ولما قضى ما أُرسل لهُ ذهب كما اتى فهو مثل قيصر واتلاً وتيمور. فان الثورة الفرنسوية فعلت فعل البركان دمَّرت ما دمَّرت وقتلت من قتلت وغطت البلاد بانقاض الرسوم القديمة تعلوها الحمم والرمضاء ونما عليها فطر الفوضى والفساد حتى لم يكد يُرى غيره. قال نبوليون انهُ وجد تاج فرنسا مطروحاً في بالوعة فالتقطهُ ورفعهُ على رأس سيفهِ. ولقد كانت حكومتها قرارة اقذار فردمها واحلَّ محلَّها حكومة منتظمة تسير في جادة العدل ما دام مديرها حكيماً حازماً. ولم يكتفِ بذلك بل دوَّخ ممالك اوربا وجاس بلدانها والسيف في يدهِ والارجوان على كتفهِ فاضطرَّ ملوكها ان يصلحوا احكامهم او تثور رعاياهم عليهم

ومهما اختلف الناس في اخلاق نبوليون فكلهم او اكثرهم متفقون على انهُ كان من اعظم القوَّاد ان لم يكن اعظمهم كلهم فقد فاق كل من تقدمهُ في سرعة الزحف واغتنام الفرص وجعلهِ رجالهُ يفعلون افعالاً خارقة العادة واحاطتهِ بصغار الامور وكبارها

هذا كان شأنهُ في اوائل امرهِ ثم جعل الخطأ يتطرق الى آرائهِ وافعالهِ كما اعترف بعدئذٍ وكما لا يخفى على احد. ويرى بعض المحققين ان جانباً كبيرًا من الفضل الذي ينسب اليهِ انما هو لقوادهِ فيقولون ان الفضل في واقعة مارنجو لدزه[3] وفي واقعة جينا[4] لدافو[5]. ولكن مهما طرح من فضلهِ بقي لهُ شيء كبير يكفي للدلالة على انهُ من نوادر الزمان ونوابغ الدهر في قيادة الجيوش والتنكيل بالاعداء

الاَّ ان شهرتهُ غير مقصورة على ذلك بل كان من اقدر الناس على ادارة مهام البلاد ولقد قبض بيدهِ على كل ازمتها وتصرَّف فيها تصرُّف المغني باوتار عودهِ فانهُ كان يدير نظارة الحربيَّة ونظارة البحرية ونظارة الخارجية. واي شيء اعجب من ادارتهِ لمالية فرنسا فانهُ انفق الوف الملايين على حروبهِ الكثيرة وعلى الابهة والمجد اللذين حفَّ دولتهُ بهما من غير ان يستدين دينارًا واحدًا. وكان يعرف كل ما يجري في دواوين الحكومة و يدير كل شيء فيها وكان لهُ ذاكرة منقطعة النظير تعي كل شيء ولا تنسى شيئاً فكان يعرف كل الناس الذين لقيهم و يتذكر كل ما عرفهُ عنهم ولا ينسى امرًا من امور الحكومة

قال الوزير دارو Daru وهو من اقدر وزرائهِ خرجت من حضرة الامبراطور يوماً لما كنا

---

(٣) Desaix قائد من قواد نبوليون

(٤) Jena بلد في المانيا حدثت فيها معركتها الشهيرة سنة ١٨٠٦

(٥) Davou المرشال دافو من اشهر قواد نبوليون توفي سنة ١٨٢٣

في ايلو Eylau وانا اقول لا بدَّ لي الآن من قراءة المكاتيب التي اتتنا فقال واي مكاتيب تأتينا ونحن في هذا البر الاقفر كالقبائل الرُحَّل . فقلت لهُ سوف ترى ثم عدت اليهِ ومعي ستة من الكتَّاب يحملون رزم المكاتيب ففضَّ واحدًا منها واذا كاتبهُ يطلب مئة حقنة لمستشفى ما بين فقال وهل تقديم الحقن منوط بالحكومة فقلت نعم وجلالتكم تدفعون ثمنها . فاقام اربع ساعات يفض كتابًا بعد كتاب ويقرأها وظلَّ كذلك ثمانية ايام متوالية ثم قال الآن فهمت ما هي ادارة الجيش . ولما عاد الى باريس بعد واقعة تلست Tilsit جرى على هذه الخطة مع كل الوزراء ففتش اعمالهم بالدقة في ستة اسابيع ثم فتش اعمال الذين تحتهم وارتبطت اعمال الحكومة بهِ ارتباطًا محكمًا كأنهُ الراس يدير حركات البدن كلهِ حتى لما قُطع عنها تولاَّها التشويش والخلل

ثم ان اعظم مآثرهِ القانون المنسوب اليهِ فان الحروب تضع اوزارها والغزوات تتقلَّص ظلالها وكل ما انشأهُ او حاول وضعهُ مضى كما مضى امس الدابر ولكن القانون باقٍ وسيبقى مدى الادهار ناشرًا لواء العدل والانصاف في فرنسا وفي كل البلدان التي جرت عليهِ

وعَمَلُ ما قام بهِ من الاعمال يقتضي قوَّة خارقة العادة جسدًا وعقلاً ولقد كان كذلك في جسدهِ وعقلهِ . بقي في معركة الفنزي خمسة ايام متوالية لم ينزع فيها حذاءهُ ولا اغمض عينيهِ ولما دحر النمسويين نام ستًّا وثلاثين ساعة . وكان يركب من بولاندا الى باريس ويجمع اعضاء المجلس ويرئسهم من غير ان يستريح . ومجالسهُ من اشق الاعمال يدوم الواحد منها ثماني ساعات الى عشر . كان مرة في احد هذه المجالس وبقي فيها الى الساعة الثانية بعد نصف الليل واخذت سنة الكرى وزير البحرية فلم يعد يستطيع ان يفتح عينيهِ فصرخ بهِ نبوليون قائلاً شدوا همتكم فان الوقت لم يفُت عن الساعة الثانية وحرامٌ علينا ان نأخذ اجورنا من الامة ولا نشتغل لها بها . وكان عنوان البحث والتدقيق في هذه المجالس فلا ينفضُّ مجلس منها الاَّ واعضاؤُهُ قد استناروا بآرائهِ الصائبة

وكان يشتغل ثماني عشرة ساعة من غير انقطاع إما في موضوع واحد او في مواضيع مختلفة ولا يكلُّ ولا يملُّ . ومها تعب جسمهُ ومهما حدث من الامور التي تهيج غيظهُ فان عقلهُ كان يبقى على مضائهِ وجلائهِ

وكذلك قوتهُ العضلية كانت من القدر الاعظم . سمع مرة الفيلسوف فولنه يقول ان فرنسا تريد البوربون فرفسهُ برجلهِ فوقع مغمًى عليهِ . واغتاظ مرة من رئيس القضاة فلطمهُ بيدهِ لطمة اطارت صوابهُ . لكن هذه الامور نادرة جدًّا ولم يأتها الاَّ في ساعة غيظ المحل فيها سلطان

الارادة عن القوة الغضبيَّة

ذكر لورد روزبري قانون نبوليون فقال انهُ اعظم اثر خالد ابقاهُ بعدهُ ويتلوهُ في العظمة والخلود المجد والجلال اللذان تردَّت بهما فرنسا في عهدهِ فانها مهما اصابت من نعيم الايام ومهما حلَّ بها من نوائب الدهر تتذكر اثار الملك الفخيم والمجد المؤثل اللذين تمتعت بهما في عهدهِ فتنعشها الذكرى وكأَنها تتفيأ الآن ظلَّ ذلك المجد الوارف ولا يزال جوُّها مستنيرًا بنور الزمن الامبراطوري وما تمَّ لها فيهِ من الظفر حين كانت اوربا كلها سندانًا لمطرقتها

ثم التفت الى اعمال نبوليون وكأَن الاهة الشعر التي انطقت المتنبي بقولهِ

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبلِ

انطقتهُ بما يماثل ذلك فقال ان نبوليون حشد في عشرين سنة اعمالهُ المجيدة غزواتهِ ونصراتهِ ابتدأ جائعًا نحيفًا فشبع وسمن وصار ملكًا عظيمًا بل ملك الملوك وضاقت بهِ الدنيا فاضاع رشدهُ وامسى لعنةً على بلادهِ وعلى غيرها ولم يعد في طاقتهِ ان يستريح او يريح فصار دأْبهُ العبث بالممالك التي حولهُ وهمُّهُ الاكبر عدوَّتهُ الكبرى انكلترا يضاربها على غير هدًى فاقلق اوربا كلها حتى خارت قواهُ جسدًا وعقلاً وظهرت نتائج ذلك فيهِ وهو في منفاهُ

وحقيقة الحال انهُ لم يكن في عقلهِ ثقل كافٍ لحفظهِ من الانقلاب اذا أُجهد زمانًا طويلاً اي ان قوتهُ كانت محدودة مثل قوة كل انسان فكان من النوادر ولكنهُ لم يكن من الخوارق وكأَن جسمهُ وعقلهُ كانا يقولان بلسان الشاعر العربي

لا احمل الاَّ مقدرتي والكأْس تفيض اذا طفحت
وكذا الميزان اذا حملت اثقالاً كفتها رجحت

ففي اول حكمهِ لما كان قنصلاً كان مثالاً في العدل والانصاف كان حكيمًا مثبتًا دقيق النظر كبير الهمة يشعر بقصورهِ في معرفة قوانين الادارة ولا يخجل من السؤال والاستفهام والاستفادة . وكان ذكي الفؤاد قوي الذاكرة يسأَل عن الشيء مرة واحدة ولا يثني فحصَّل في مدة قصيرة معارف كثيرة وتعلَّم كل ما استطاع مشيروهُ ان يعلموهُ اياهُ وللحال ظهر تفوُّقهُ عليهم وعلى كل الذين حولهُ ورأَى من نفسهِ انهُ اقدرهم في فنون السياسة كما انهُ اقدرهم في فنون الحرب ولما رسخ ذلك في ذهنهِ ولم يرَ حولهُ الاَّ اناسًا لا يقاسون بهِ سواءٌ كانوا ملوكًا او قوادًا او وزراء كبرت نفسهُ واتسعت مطامعهُ ولم يرَ ما يمنعهُ عن ان يحذو حذو الاسكندر المكدوني ويدوخ ممالك الارض كلها

ولو تمهَّل في حروبهِ وغزواتهِ حتى ترسخ قدمهُ في ما فتحهُ من البلدان والممالك لرسخت دعائم

ملكهِ ولم تتقوض كما تقوضت فقد بنى بناءه ثخيماً جاعلاً فرنسا اساساً لهُ وهي تحتمل الخم المباني ولكنها لا تحتمل المحال فانهُ دفن ثلثمئة الف من رجالها تحت ثلوج روسيا سنة ١٨١٢ وفي السنة التالية طلب منها ان تعبئ لهُ مليونًا وثلثمئة الف من الرجال بعد ان استنزف قوتها بحروبهِ الطويلة وسكانها كلهم لا يزيدون على ثلاثين مليونًا

ولقد ظن ان الممالك والامارات التي ضمها الى فرنسا من المانيا وايطاليا واسبانيا قد التحمت بها حتى صار عدد الرعايا الذين يعتمد عليهم ثمانين مليونًا لا ثلاثين لكنهُ اخطأ في هذا الظن وبعض الظن اثم لان ما اضافهُ الى مملكتهِ آل الى ضعفها لا الى قوتها تخدع نفسهُ واضعف شأنهُ لاسيما وانهُ كان يلعب بحدود الممالك كأنها رقعة الشطرنج فدلَّ بعملهِ هذا على انهُ لم يكن يعتقد ثبوتها. وكيف تثبت على ولائهِ ممالك دوَّخها تدويخًا فاضمر اهاليها العداء لهُ. ومن سياستهِ الخرقاء انهُ ضمَّ فرقًا من الجنود الاسبانية الى جنودهِ حينما كان الاسبانيون يغتالون كل فرنسوي يستفردونهُ واضاف اليها فرقًا من البروسيين وهو يعلم ان اهالي بروسيا كلهم حاقدون عليهِ متربصون بهِ فرص الدهر. ومزج بها فرقًا من النمسويين والنمسويون الد اعدائهِ

وخلاصة المقال في هذا الباب ان السلطة العظيمة التي بلغها شوشت عقلهُ فعمل اعمالاً لا يخفى خطأها على احد

ثم انهُ كان جنديًا شبَّ في ميادين القتال والجندي يرى من نفسهِ غرامًا بالحرب ويبلغ منهُ الغرام مبلغًا عظيمًا اذا كان قائدًا متسلطًا على جنودهِ ثم اذا كانت السلطة المطلقة في يدهِ بلغ هذا الغرام اشدَّهُ. والناس يخاطرون بما يمتلكون في المقامرة والمياسرة اذا هاجوا فلا عجب اذا خاطروا بالنفس والنفيس حين ينزلون ميدان القتال وتثور في نفوسهم سورة الغيظ ويبهرهم طلب المعالي وتسكرهم خمرة الظفر ويدوسون كراديس القتلى والجرحى كأنها اكداس الحنطة

الآن هذا التهيج لابدَّ وان يؤثر في الاعصاب تأثيرًا شديدًا لا تحتملهُ زمانًا طويلاً اذا تكرر عليها مرارًا كثيرة وقد أثَّر في اعصاب نبوليون فصار كالمقامر اذا افل نجم سعدهِ ظن افولهُ احتجابًا قصيرًا لا يلبث ان يزول. وهذا شأن قوَّاد الجيوش بنوع عام لكن وزراء المملكة يردونهم الى صوابهم ويمنعون تورُّطهم في المهالك لانهم لا يكونون منفعلين انفعالهم واما نبوليون فكان القائد والوزير في وقت واحد لا شكيمة تكبحهُ ولا حكمة تسيطر عليهِ. قال لورد روزبري ولا يعلم في اي وقت طرأ هذا الخلل على قواهُ العقلية ولكن لا شبهة في انهُ صار سنة ١٨١٠ غير ما كان عليهِ سنة ١٨٠١ والرجل الذي يقول ان على ممالك اوربا كلها ان تحفظ سجلاتها في مدينة باريس وعلى ملوك الارض كلهم ان يبنوا قصورهم فيها ويحضروا تتويج امبراطرة فرنسا كأنهم

من اتباعهِ ثم يأبى ان يمضي شروط السلم لايكون عقلهُ خالياً من الدخل . والظاهر ان رجالهُ المقربين منهُ رأوا ذلك وتآمروا مرة على خلعهِ بناء على انهُ مصاب بمس من الجنون. ولا شبهة في انهُ اضاع التوازن العقلي من سنة ١٨٠٨ فصاعداً ولم يعد يقدّر العواقب ولا يحسب للحدود الادبية والطبيعية حساباً بل صار يجري في اعظم المهام جري المقامر والمضارب . ولم يكن لهُ من رجالهِ احد يسترشد بهِ لانهُ بهرهم كلهم وصيرهم اصفاراً فعل ذلك لكي ينجو من مناظرتهم فخسر معاضدتهم ولو مات فجأة قبل سقوطهِ لترك بعدهُ الامناء من رجالهِ عجزة والاكفاء خونة وهذا وحدهُ دليل قاطع على انهُ لم يحسن السياسة ولم ينشئ سلطنة وطيدة الاركان. ولقد كان يُنتظر من رجل كبير النفس رحب الصدر مثلهُ ان يترفع عن الغيرة لكنهُ لم يكن كذلك وغيرتهُ هذه ابعدت عنهُ الاكفاء اومنعتهم من اظهار كفاءتهم واعتمادهم على انفسهم. وهي التي كانت تحملهُ على توبيخ قوادهِ على كل هفوة تبدو منهم لكي لا يعتدُّوا بانفسهم ويتطالوا الى التمثل بهِ ولذلك لم يكن يمدح الاّ مَن مات منهم مثل دزه وكلابر. وقد اثرت صرامتهُ فيهم على نوعين اماتت نفوس البعض وغرست الحقد في قلوب البعض الآخر . ومن امثلة صرامتهِ ما روي من انهُ كان يستقبل الزوار مرةً فرأى بينهم الجنرال سان سير وهو من افضل قوادهِ فقال لهُ لقد اتيت من نابلي فقال نعم يا مولاي بعد ان سلّمت قيادة الجيش للجنرال برنيون الذي بعثت بهِ ليخلفني

فقال نبوليون ولا بدَّ من انك استأذنت وزير الحربية فاذن لك في المجيء

فقال كلاّ يا مولاي ولكنني اتيت لانهُ لم يبقَ لي عمل في نابلي

فقال نبوليون اذا لم تكن في الطريق اليها من الآن الى ساعتين امرت بك ان ترمى بالرصاص قبل الظهر

وهذا كان شأنهُ مع سائر قوادهِ يمنحهم الرتب والالقاب ولكنهُ لا يجعلهم موضع ثقتهِ لانهُ لم يكن يثق باحد ولم يشأ ان يكون رجالهُ غير آلات في يدهِ . ولم يكن يخشى مناظرتهم لهُ بل كان يخشى تطاولهم اليهِ وانتقادهم لافعالهِ . وكان بين رجالهِ رجلان مقتدران ولما علم انهما صارا بحيث لا يستطيع الاستغناء عنهما اقصاهما عنهُ ثم لما دعت الحاجة اليهما قرَّبهما ثانية وهو يعلم انهما يكرهانهِ كما يكرههما

قال لورد روزبري ان الاسباب المتقدمة كافية لسقوط نبوليون ولو ذكر الباحثون في هذا الموضوع اسباباً أُخرى غيرها . ومن رأيهِ ان الاسباب الاخرى التي ذكرها غيرهُ انما هي نتائج نتجت من سوءِ سياستهِ. وخلاصة ما ذهب اليهِ ان مطامع نبوليون كانت اكبر من الوسائل التي

في يدهِ فضاق بها ذرعاً وسقط في ما سقط فيهِ من الخطاء

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

اما آدابهُ الشخصية فلم تكن احطَّ من آداب غيرهِ من ابناء عصرهِ الذين كانوا في مقام مثل مقامهِ . ولعلَّها كانت اسمى من آدابهم فلم يكن يخشى المجاهرة بلزوم التديُّن للامة وبوجوب العفَّة والطهارة العائلية ولو لم يكن يحسب ذلك لازماً لهُ لزومهُ لغيرهِ . ولقد كان محبًّا لزوجتهِ الاولى برًّا بوالدتهِ وفيًّا لاصدقائهِ ولا سيما في اوائل عهدهِ محبًّا لاخوتهِ غير طامع بجمع المال سريع الغضب قريب الرضا شفوقاً صبوراً . ثم كلَّت عواطفهُ ولم تعد آثار الشفقة تظهر عليهِ الاَّ نادراً

وكان جنودهُ والفريق الاكبر من قوَّادهِ يحبونهُ في اوائل عهدهِ حبًّا مفرطاً يقرب من العبادة اما الذين بقوا منهم الى اخريات ايامهِ وذاقوا خلهُ مع خمرهِ فتنحُّوا عنهُ او انقلبوا عليهِ حتى تعذَّر ان يوجد العدد الكافي منهم للذهاب معهُ الى جزيرة البا او الى جزيرة القديسة هيلانة . وزوجتهُ الثانية ابنة امبراطور النمسا كانت تقول وهي في بيتهِ انها لا يهنأُ لها عيش الاَّ وهي معهُ ولما مات قالت انها لم تكن تحبهُ قط . واللوم في ذلك كلهِ عليهِ لا على الذين تركوهُ . وما احسن ما كتبهُ الجنرال برتران في هذا المعنى وهو في جزيرة القديسة هيلانة قال ان الامبراطور على حالهِ ويستحيل علينا تغيير طبعهِ وطبعهُ هذا هو الذي اقصى اصدقاءهُ وكثَّر اعداءهُ واوصلهُ الى هذه الجزيرة

الاَّ ان هذا الطبع لم يظهر فيهِ الاَّ بعد ان ترفَّع فوق البشر ووضع نفسهُ في مصاف الآلهة اي حينما اختلَّ ميزان عقلهِ

هل كان نبوليون من عظام الرجال . سأل لورد روزبري هذا السؤَال واجاب انهُ اذا اريد بالعظمة الجمع بين المزايا العقلية الرائعة والادبية السامية فنبوليون لم يكن عظيماً ولكن اذا اريد بالعظمة المقدرة العقلية والجسدية والتفوُّق في الصفات البشرية فلا شك انهُ كان عظيماً جدًّا وقد اجتمع فيهِ من ذكاء العقل وعلوّ الهمة ومضاء العزيمة ما لم يفقهُ فيهِ احد او لم يماثلهُ فيهِ احد من الذين يُعرَف تاريخ اعمالهم فانهُ لم يقم في كل ازمنة الدهر رجل مثلهُ جمع بين المهارة الحربية والسياسة الادارية بكل دقائقهما وتفاصيلهما حتى قالت مدام هودتو عنهُ انهُ "طوى التاريخ ونشر التصوُّر" وقال لورد ددلي "انهُ اوقع الشك في كل ما جاء عن مجد الماضين ولم يبقِ مجالاً لشهرة الآتين" . وما من اسم مثل اسمهِ يمثل العظمة والابهة كانت قواهُ فوق كل قوى الناس فاحسن استعمالها فارتقى ثم اساء استعمالها فسقط ولم يكن سقوطهُ ممكناً الاَّ بمثل القوة التي ارتقى بها فهو المحسن الى نفسهِ وهو المسيء اليها انتهى

مقابلة الاحسان بالاساءة

كأني بالقارىء وقد وقع نظره على هذا العنوان يرفع طرفهُ نحو السماء وينادي العجب من اعاليها ثم يخفضهُ الى الغبراء ويستدعي الاستغراب من اعماقها ومهاويها

يقول من هذا الذي يريد ان يقلب نظام الكون ويبدّل سنة الخلق . وهذه الحجارة الكريمة على قدر صفاء الوانها تشتدّ رغبة الناس فيها فيتغالون في اثمانها ويتخذون لها اجياد الحسان موطناً وبنان الغيد الملاح مقرًّا وصدور الغواني مقاماً فتخرج من ظلمة استتارها في معادنها الى اجمل مناصّ الظهور والسناء فتكون حلي نساء الاغنياء بل حلي حرم الوزراء وكرائمهم بل حلي ربات التاج

فان كان هذا اثر الصفاء في الحجارة الكريمة أفلا يكون الاخلاص وهو صفاء القلب من آثار المماذقة والمخادعة اعلى قدرًا واعلى ثمناً في عيون الناس من تلك الجواهر التي لا تقاسي في الاحتفاظ بنقاوتها عذاباً . ولا يسومها الاستمرار على صفائها خسراناً ولا يجرّ عليها وبالاً . واما أُولو الاخلاص في الناس فيولد لهم ذلك الاخلاص اعداء وخصوماً يناصبونهم العداوة ويضرمون عليهم من الحسد نيراناً ويطلقون ضمائرهم من قيود العدل للاشتغال في تدبير الحيل المودية بحياة من كلّلوا هامة بلادهم باكاليل المجد وكتبوا اسمها في صدر جريدة العظمة والفخر حتى يكون مثلهم مثل من ولد ولدًا ونشأهُ وثقّفهُ فلما بلغ مبلغ الرجال عدا على والده فقتلهُ

وبما ان مثل هذا الانقلاب لا يكاد يصدّق نروي لك حادثة سنمار التي اشار اليها الشاعر بقوله

جزى بنوهُ ابا الغيلان عن صغرٍ وحسنِ فعلٍ كما يجزى سنمارُ

وسنمار هذا فيما قيل بنّاء روميّ بنى للنعمان بن امرىء القيس اللخميّ بظاهر الكوفة قصرًا وهو الخورنق المشهور فاجاد في صناعتهِ فلما فرغ من بنائهِ القاهُ من اعلاهُ لئلاّ يبني مثلهُ لغيرهِ فمات شهيد ما عند النعمان من الأثرة وضعف النظر فكانت فعلتهُ هذه ادلّ دليل على لؤم طبعهِ واصدق شاهد على وحشية خلقهِ استغفر الله ان الوحوش لتتكارم عن الهبوط الى حضيض هذا الخلق الرذل

اني رأيت الأُسدَ احسن مبدا من جنس هذا العالم المتمرّدِ

الناس تقتل كل يوم بعضها والاسد تقتلُ غيرها اذ تعتدي

فقتل سنمارٍ مصاب على صناعة البناء بل مصابٌ على العدل وكرم الطباع . ولكن اين هو من

المصاب بقتل القائم بالدعوة العباسية حجر الارض أبي مسلم الخراساني الذي قال فيهِ المأمون وقد ذُكر عندهُ "اجلُّ ملوك الارض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدول الاسكندر وأزدشير وابو مسلم الخراساني" . فهذا الداهية الذي مدحهُ المأمون مدحاً يُخني لعظمتهِ كل مدح هو الذي هدم صرح الدولة الاموية وبنى على انقاضهِ قصر الدولة العباسية فثلَّ عرشاً ونصب عرشاً واماتَ دولةً واحيا دولةً . وهو الذي كان السفَّاح اول الخلفاء العبَّاسيين يعظّمهُ لما صنعهُ ودبَّرهُ . كانت خاتمة امرهِ ان السفَّاح توفي بعد ان ملك بنحو من اربع سنين وتولَّى الخلافة بعدهُ اخوهُ ابو جعفر المنصور وهو بمكة يوم الاحد لثلاث عشرة ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ للهجرة . فتغيَّر على ابي مسلمٍ لاسباب وقضايا صدرت منهُ فلم يشفع فيهِ عند ابي جعفر المنصور انهُ واضع امرَّ الدولة العباسية وقصَّر ما أولى العباسيين من الصنائع ان يبتاع لهُ ما يستر بهِ ذنبهُ عن نظر المنصور فلا يتغير عليهِ قلبهُ فعزم على قتلهِ وبقي حائرًا بين الاستبداد برأيهِ في امرهِ والاستشارة فيهِ فشدَّدت الاستشارة عزيمتهُ والهبت نار سخطهِ ولاغرو فان المزايا تخلق لاصحابها اعداء ممن يحبون ان يُنظموا في سلكهم ويندرجوا في عدادهم . وليس لهم من افعالهم ما يبلغهم هذه الامنية فاذا رأوا باب التحريش مفتوحاً دبوا اليهم منهُ بكلام من السعاية الدغ من حمات العقارب واسم من نفثات الافاعي فيعضد السعاية والاغراء ما في نفوس الكبراء من الحفائظ فيفضي الامر الى مكافأة المخلصين بنقف الاعناق كما جرى مع ابي مسلم المشار اليهِ واليك لمعةً من كلام ابن خلكان في مقتل ابي مسلمٍ تؤيد لك ما قلتهُ

" قال المنصور يوماً لمسلم بن قتيبة ما ترى في امر أبي مسلم قال لو كان فيهما آلهةٌ الاَّ الله لفسدتا . فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد اودعتها اذناً واعية . ولم يزل المنصور يخدعهُ حتى احضرهُ اليهِ وكان المنصور يومئذٍ برومية المدائن التي بناها كسرى فلما دخل على المنصور رحَّب بهِ ثم امرهُ بالانصراف الى مخيَّمهِ وانتظر المنصور فيهِ الفرَص والغوائل . ثم ان أبا مسلم ركب اليهِ مرارًا فأظهر لهُ التجني ثم جاءهُ يوماً فقيل لهُ يتوضأ للصلاة فقعد تحت الرواق . ورتب المنصور لهُ جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف ابي مسلم فاذا عاتبهُ لا يظهرون . واذا ضرب يداً على يدٍ ظهروا وضربوا عنقهُ . ثم جلس المنصور ودخل عليهِ ابو مسلم فسلَّم فردَّ عليهِ واذن لهُ في الجلوس وحادثهُ ثم عاتبهُ وقال فعلتَ وفعلتَ . فقال ابو مسلم أتقول هذا لي بعد سعيي واجتهادي وما كان مني . فقال لهُ يا ابن الخبيثة انما فعلت ذلك بجدّنا وبحظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عملك . ألستَ الكاتب اليَّ تبدأ بنفسك قبلي ألستَ الكاتب تخطب عمتي آسية وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن العبَّاس لقد ارتقيتَ لا امَّ لك مرتقى صعباً . فأخذ ابو مسلمٍ

بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليهِ فقال لهُ المنصور وهو آخر كلامهِ قتلني الله ان لم اقتلك . ثم صفَّق باحدى يديهِ على الاخرى فخرج اليهِ القوم وخبطوهُ بسيوفهم والمنصور يصيح " اضربوهُ قطع الله ايديكم ". وكان ابو مسلم قد قال عند اول ضربةٍ " استبقني يا امير المؤمنين لعدوك " قال لا ابقاني الله ابدًا واي عدوٍ اعدى منك . ولما قتلهُ ادرجهُ في بساطٍ فدخل عليهِ جعفر بن حنظلة فقال لهُ المنصور ما تقول في امر ابي مسلم فقال يا امير المؤمنين ان كنت اخذتَ من رأسهِ شعرةً فاقتل ثم اقتل ثم اقتل. فقال المنصور وفقك الله ها هو في البساط فلما نظر اليهِ قتيلاً قال يا امير المؤمنين عِدَّ هذا اليوم اوَّل ايام خلافتك فأنشد المنصور

فالقت عصاهُ واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

ثم اقبل المنصور على من حضرهُ وابو مسلم طريح بين يديهِ وأنشد

زعمتَ ان الدَّين لا يُقتضى فاستوفِ بالكيلِ ابا مجرمِ

اشرب بكاسٍ كنت تسقي بها امرَّ في الحلق من العلقمِ

وكان مقتلهُ برومية المدائن وهي بُلَيدة من الأنبار على دجلة بالجانب الشرقيّ معدودة من مدائن كسرى

فيا ليت شعري ألم يكن الملك الذي نصب ابو مسلم عرشهُ للعباسيين باجتهادهِ وسعيهِ يصلح ان يكون شفيعًا فيهِ عند ابي جعفرٍ المنصور ثاني خلفاء دولةٍ قامت على سعي ابي مسلم . فما مثلهُ مع المنصور الاَّ مثَل الشمعة تحرق نفسها لتضيء على الناس سيَّما وان الاحوال لم تكن لتطمع أبا مسلم بالملك لما هو معهود من شروط الخلافة . فكان الاحرى بملك من مثل المنصور ان تربأ بهِ مروَّتهُ وتترفع بهِ نفسهُ عن التلطخ بدم من لبس التاج بثمرة اجتهادهِ خصوصًا وفي امكانهِ ان يعزلهُ ويستبقيهُ محجورًا عليهِ في دارهِ ويكتفي بذلك عقوبةً لهُ على ما بدا منهُ ممَّا لم يُطق المنصور الصبر عليهِ . فهذا بسمارك الذي على يدهِ اجتمع شمل الالمان وباجتهادهِ قامت العاهلية الالمانية لمَّا ثقل بقاؤهُ في منصبهِ على غليوم الثالث عزلهُ عنهُ ولم يمسَّهُ بسوءٍ فاستمرَّ بسمارك الشهير معتزلاً اشغال الدولة الالمانية الى ان وافاهُ اجلهُ . فشتَّان بين صنيع المنصور وصنيع غليوم . نعم قُتل ابو مسلم الخراساني وشفى ابو جعفر قلبهُ بقتلهِ وتشفَّى بهِ حسَّاد فضلهِ واطلق الشاعر السفيه ابو دلامة لسانهُ في هجوهِ وكناهُ ابا مجرمٍ . ثم مات ابو جعفر بنحوٍ من عشرين سنة بعد ان اغتال مؤسس ملك العباسيين والقائم بدعوتهم. ولكن التاريخ لم يمتْ بل هو حيٌّ باقٍ ابدَ الدهر ينتصف لأبي مسلم ممن قابل لهُ تلك اليد البيضاء بيدٍ سوداء ويثني عليهِ ويذم المنصور ابا جعفر على انهُ يخطئ ابا مسلم في تماديهِ مع هواهُ ونسيانهِ ان الملك لا يحتمل

ان يرى لاحدٍ في مملكتهِ كرامةً غير ما يترادد من التفاتهِ . ويفتح في وجوه بقايا الامويين سبيل الشماتة بأبي مسلم ويبرّد قلوبهم حتى يدعوا بطول عمر المنصور بما اغتال من عاون الايام على ابادة دولتهم وإركاد ريحهم

وممن ينتظم في سلك ابي مسلم تيموستكل القائد الأثينيّ الشهير الذي ردّ غارة الفرس عن بلاد اليونان وذهب بمجد الانتصار يوم سلامين . فهذا كان مصيره الى ان انكفأ عليهِ بالعدوان اولئك الذين بفضل نجدتهِ وأصالة رأيهِ خرجوا من شدوق الضراغم وافلتوا من براثن الشجاع واوقدوا له نار الاضطهاد وطردوه من البلاد حتى اضطرّ (ويا لضيعة الجميل عند اليونان) الى ان يعوذ بملك عدوّهم من اصفيائهِ وابناء وطنهِ وعتقاء سيفهِ الاثينيين . واليك ملخص قصةً تأثرها عن امبروسيوس رندبفيل تعرف بمطالعتها سعة فضل تيموستكل على الاثينيين وكرم سجيتهِ ولؤم اخلاقهم وخبث طينتهم . "لما اجتاز الفرس واقتربوا من اثينا واجتاحوا تلك النواحي واحرقوا الديار وسفحوا الدماء كان تيموستكل هذا القائد الحامل راية الحكمة وابادة الحياة في سبيل الوطن قد اعدّ اسطولاً عظيماً غير ان الاثينيين لم تكن لقاعدة ملكهم اسوار تصدّ هجمات الفرس ففزعوا الى دلفس يستطلعون الغيب فهبط عليهِ الوحي بهذا الجواب " لا يستطيع الاثينيون الى النجاة سبيلاً الاّ باسوار من خشب " فعند ذلك قال لهم ذلك الداهية تيموستكل تفادياً من ان يشغل فريقاً من جيوشهِ في الدفاع عن المدينة بما لاغناء بهِ ان الاله يأمر بهذا الكلام ان يخلوا منازلهم ويدخلوا في بوارج الاسطول فاقنعهم تفسير هذا الداهية وهجروا المدينة وانزلوا الشيوخ والنساء والاطفال في جزيرة سلامين واما المقاتلة فلم يبرحوا البوارج التي كان قد جمع تيموستكل في بوغاز سلامين وكان الفرس خلال هذه البرهة قد دخلوا اثينا فألفوها خالية ليس فيها ديّار فسلطوا عليها النار حتى احالتها رماداً لم يبقَ فيها غير هيكل دلفس . زعم المؤرخون ان ذلك الاله انتصر لمقدسهِ فقتل جماعة من الفرس بحجارة كانت تنقلع من الجبل ودحر الباقين وقد ذعروا من هول ما رأوا اما القادة اليونان الذين جمعهم الاسطول فعقدوا مجلساً وارتأى جمهورهم ان يذهبوا الى برزخ كورنثوس حيث كان الجيوش البرية قد نصبوا مضاربهم اما تيموستكل فخالف رأيهم اذ تبين ان في مغادرة بوغاز سلامين الذي يقيد الاسطول الفارسي ولا يمكنهُ من الهجوم بجملتهِ على البوارج اليونانية خطراً مبيناً وقد كبر ذلك عليهم حتى ان ايربياد الاسبرطي رفع عصاه عليهِ فقال له تيموستكل " اضرب ولكن اسمع " فعند ما القوّاد رأوا ما رأوا من اطمئنانهِ واعتداله صاخوا سمعاً لكل براهينهِ فاستحسنوا رأيهُ الذي كانت بهِ نجاة بلاد اليونان

واذ خشي أن يطرأ ما يغير عزيمتهم توسّل بحيلة حربية لطيفة ليمنع الاسطول ان يفارق جزيرة سلامين فبعث الى كسرى رسولاً يقول له ان اليونان ملكهم الخوف فهم يحاولون الفرار تحت ظل الليل فاما كسرى فلم يدرِ ان ذلك خدعة فأمر للحال ان ترصد الطرق والمعابر واعدّ هو نفسهُ هزيمتهُ ولم يبرح اليونان الموقع الذي تخيّرهُ لهم تيموستكل . وصبيحة الغد استعدّ الفرس ان يصلوا نار الحرب على نظر كسرى فأمر وهو موقن بالنصر ان ينصب له عرش فاخر على قنة جبل اجاليز ليتسنى له ان يرى حركات الاسطولين ففعلوا وفيما كان يرى ان الفرس قد اقتربوا وان اليونان طفقوا يرجعون القهقرى حتى يجرّوا العدوّ الى حيث يتعذّر عليهِ ان يستعمل ما لديهِ من القوات اذا بتيموستكل انتهز الفرصة فحطم بوارج الفرس الراسية في ذلك البوغاز فدارت عليهم الدائرة

واما كسرى الذي كان يعلل نفسهُ ان يشهد الظفر بعينهِ فقد كذب فألهُ وخاب ظنهُ فرأى وهو على ذلك العرش الهزيمة حظّ جيشهِ يجدّ في الفرار وقد اجتاز على قارب صيّاد هذا الملك الذي كانت سفائنهُ تغشي وجه اليمّ

وقد استبدّ بمجد هذا اليوم المشهور تيموستكل فان قوّاد اليونان على ماروى الاخباريون حين دعوا ليبينوا لايهم النصيب الاوفى والحظ الاوفر في الانتصار فاجتمعت كلمتهم على ان يقول كلٌّ من أولئك القوّاد "انهُ هو الاول وان تيموستكل هو الثاني فقضى له الشعب الاثيني بمجد الانتصار دون سائر القوّاد . وعقب ان اشتغل اهل اثينا رجالهم ونساؤهم واحداثهم في بناء السور انكروا فضل تيموستكل وطردوهُ من البلاد فالتجأ الى ملك الفرس فاكرم وفادتهُ واحسن ضيافتهُ ورجا ان يقيّدهُ بخدمتهِ وأدب له يوم وفودهِ عليهِ مأدبة فاخرة ويقال انهُ صاح تلك الليلة مرارًا "قد حصلت على تيموستكل الاثيني" ثم ارادهُ على محاربة وطنهِ فتجرع كاس سم مستحبًا الموت والامانة على الحياة والخيانة

وممن ساءت عواقبهُ ولم تشفع بهِ أياديهِ وصنائعهُ ملتياد الاثيني الذي تولى قيادة الجيش وقام بتدبير الحرب يوم ماراثون الشهير لليونان على الفرس وهزم داريوس واثخن القتل في عساكرهِ والصق بهِ من عار الهزيمة مالا يمحوهُ تطاول الاعصار فصوّرهُ اليونان في مقدمة القادة وهو يحرض الجيوش في تلك المعركة الهائلة تخليدًا لذكرى مالهُ من الشجاعة والنجدة . فلم يخلُ من يدور ان هذا البطل لزلة خفيفة ارتكبها في جزيرة باوس ينهض عليهِ الاوغاد الحساد ويطلبون ان يقضى عليهِ بالهلاك ويلقى في اخدود يطرح فيهِ اهل الجرائم الفظيعة فغضّ الاثينيون ابصارهم بل حوّلوها عن ذلك العمود الذي مثلوا عليهِ ملتياد رئيسًا لقوّادهم محرضًا

لجنودهم في القتال وتناسوا ماجرى لهم على يدهِ من الظفر وحكموا بالقتل على ذلك الذي جرح جراحات بالغة وهو يحارب عن وطنهِ اللهم الأَّ ان جماعة من ابناء وطنهِ صاحوا طالبين ان يبدّل الحكم الذي أُبرم بموت ملتياد مخلص اثينا والديار اليونانية بغرامة مبلغ قدرهُ ٢٧٠٠٠٠ فرنك. ولما لم يكن في ملك ملتياد مايوازي هذا المبلغ الطائل طرحوهُ سجناً مظلماً وما لبثوا ان أزهقوا روح مخلصهم ومخلص بلادهم

وهنا محل العبرة ومقام العجب الا وان ملتياد الذي اذلَّ بصولتهِ داريوس على كثرة جيوشهِ قد عجز ان يدفع عنهُ افتراء المفترين وأعيا ان يردَّ السنة الحساد المتملقين واللئام المتزلفين فيا لله من اهل اللؤم والخبث الذين بكلمة توافق هوى ملك يمحون مآثر العظماء الذين عزّزوا ملكهُ ووطدوا دعائمهُ وخاضوا الغمرات في الذبّ عن مملكتهِ وتلقوا الحراب والسيوف ليبقى مطمئناً على اريكة ملكهِ ثم لا يجتزئون بمحوِ مفاخرهم بل يصوّرونهم لمفوق هفوها خوَّاناً واعداء كما فعلوا بمن صرحوا انهُ مخلّص اثينا والديار اليونانية قاطبة فكانما في كلام السعاية والاختلاق مغناطيس يجذب القلوب الى اصحابها وكهربائية توغر قلوب ذوي السلطان على من نالوا عندهم الحظوة ذلك بما تنقل اليها من الشحناء والضغينة بالالفاظ المحفظة والعبارات المؤلمة

فان لم تكتفِ بماروبتهُ لك من اخبار من أُنزل البلاء وقذف عليهم جمر الاضطهاد عقب ان قلّدوا بلادهم وامتهم قلائد الفضل بل غبَّ ان منوا عليها بابقائها في صحيفة الوجود وحطموا سيوف مناوئيها وردّوا محاربيها على اعقابهم ناكسين فاعيد على سمعك قصص من نجَّر على اهل الدنيا انهار الثروة واباحهم المعادن الثمينة والجواهر الكريمة كريستوف كولمب الذي بعثتهُ حدة ذهنهِ للحكم بان وراء هذا البحر بلاداً أُخرى واسعفهُ علوّ همتهِ ان يخوض لجج المحيط ويقاسي هياج الخضم وهياج الرفاق فابحر ثالث يوم من شهر آب (اوغسطس) سنة ١٤٩٢ واستمرَّ الى ١٣ ت ١ (اكتوبر) من تلك السنة حتى رأى البر ووضع يدهُ على جزيرة سلفادور ونصب فيها الصليب فصار هذا الجنديُّ المتجافي عن الكبْر بعد معاهداتهِ مع الملوك امير البحر المحيط وحاكم الجزائر العام وارض الهنود فهذا بعد ان عاد الى اسبانيا سنة ١٤٩٣ ودخل برشلونة دهشت الديار الاسبانيولية لاستقبال هذا الفريد همة المنقطع النظير ذكاء ونال من الحظوة ما هو خليقٌ بمثلهِ ثم اثنى آيباً الى اميركا وواصل الاكتشاف والاستعمار وتوطين الجالية ولم ينفأ يلاقي المشاق ويكابد الشدائد وقد شقَّ عليهِ ما فعل اصحابهُ واتباعهُ من الكبائر فناصبهم وضادَّهم فاختلقوا على هذا الفاضل اموراً ورفعوا بها شكوى فقضت عليهِ الحال ان يقاوم ما اصاب اولئك الماكرون من النفوذ الذي كاد يزعزع دعائم عملهِ . وقصارى الكلام ان كولمب

ذهب ضحية اهول الدسائس السياسية . ألا وقد قبض عليهِ وبعث الى اسبانيا ليحاكم وبعد اللتيا والتي تبرأ فاطلق سراحهُ وحظر عليهِ ان يدخل اسبانيولا واراد ان تنقل القابةُ الى ابنهِ فلم يأذن لهُ فرديناند في ذلك ولما توفي طلب ان تجعل القيود معهُ في التابوت وقد دفن عند الكبوشيين بفالادُوليد ثم نقلت بقاياهُ الى اشبيلية

ناشدتك الله قل لي ألا يجدر بمن يشتكي اليهِ على مثل هذا الجدير ان ينعت بانهُ نسيج وحدهِ وفريد عهدهِ ويتيمة دهرهِ وأعجوبة عصرهِ افلا يجدر بهِ ان يطيل النظر في الامر وان يجيل طرف البصيرة في البحث عن احوال المشتكين واغراضهم وان ينقب عن احوال الحوادث وان يسبر التهم بمعيار الفطنة والانتباه . بلى ان هذا لهو الواجب الذي لا يجوز التخلف عنهُ حتى اذا ثبتت التهمة وصحت الدعوى وازن بين حسناتهِ وسيئاتهِ وعاملهُ بمقتضى قول الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنبٍ واحدٍ جاءَت محاسنهُ بالفِ شفيعِ

واذا شئت المزيد من الامثلة احلتك على كتب التاريخ فان لم تجد ثمةَ ما يروي غليلك ويشبع نهمك احلتك على مراقبة احوال العصر حيث تجد المخلص على تفوُّقهِ بالاعمال وعلوّ مرتبتهِ في اصالة الرأي يُنبَذ لاختلافةٍ يختلقها عليهِ مفترٍ حسود ويعزل من منصبهِ ثم لا يكتفى لهُ بذلك بل يُنهَش بانياب الغيبة ويبذل الجهد في اغلاق ابواب التقدُّم دون فضلهِ . ويُسدَل على جمال اهليتهِ سجاف مغشّى بالوشايات والمفتريات وكأنما في مثل هذه الأزمة قد وقع القائل " غبن الحرُّ لعمري غُبنا " بل كأنما صبّت هذه البلية على رأس القائل

سألت احبّتي ما كان ذنبي اجابوني واحشائي تذوبُ
اذا كان المحبُّ قليل حظٍ فما حسناتهُ الاَّ ذنوبُ

واعلم ان كلاًّ ممن تشدَّد على امثال من مرَّ بك ذكرهم لو ائتزع بالوازع الباطن عن سفك دم البريء ولو ازدجر عن مقابلة المحسن بالاساءة ما نزل بهؤلاء مثل ما نزل بهم من القتل او الاضطهاد . وكفى بهذه المقالة تذكيرًا وتحذيرًا لكل ذي يدٍ من الانقياد لما يزخرفهُ الحساد الصوَّاغون الاولى يجعلون الحبة قبةً ويسترون بالفاظ المداهنة ما لاهل الفضل من الصنائع الوافرة والمآثر الباهرة في جنب الوطن والمملكة

سعيد الخوري الشرتوني



التصوير الحديث

الفلم او الرق

التصوير الشمسي فنٌّ جميل مفيد لم تكشف اسرارهُ ولا عرفت مزاياهُ حتى اواسط القرن الماضي. وهو كسائر الاختراعات والمبتدعات لم يمتز باختراعهِ واحدٌ ولا باكتشافهِ رجلٌ فردٌ بل كثرت ايدي المجرّبين فيهِ وتتابعت اكتشافاتهم الواحد بعد الآخر فجعلوا يطّلعون على خصائصهِ رويدًا ويقفون على حقائقهِ تدريجًا حتى وصلنا اليوم فاذا بهِ في ارقى درجاتهِ وغاية ما يمكن الوصول اليهِ من التقدُّم والاتقان

وقد توالت عليهِ كما ذكرتُ الاكتشافات والتغييرات والتحسينات وهي لا تزال آخذة مجراها غير ان الاولى بالذكر منها ما أُجري على الالواح السلبية الحاسّة . فقد كان المصورون في سابق الزمان يحسّسون الزجاج قبل تصويرهم مباشرة بطلاء اللوح المراد التصوير عليهِ بالكلاديون وهو محلول من قطن البارود والايثير والكحول ثم يضيفون اليهِ بروميدًا او يوديدًا واخيرًا يغمسونهُ في نيترات الفضة فيصير حساسًا وينقل الى الحامل حيث يعرض في الآلة ثم يرجع الى الغرفة المظلمة ويظهر حسب الطرق المعروفة

ولا يخفى ان ما كان يقاسيهِ المصوّر من الصعوبات في مزج المواد المحسسة واتمام طلاء الزجاج المراد استعمالهُ في ظلام لا ينيرهُ سوى اشعة نور احمر ضئيل جعل الكثيرين يحجمون عن الاقبال على تعلم هذا الفن فاختص بهِ افراد قلائل كان لهم منهُ رزق واسع

وبقي الحال على هذا المنوال الى ثلاثين عامًا او ما يقاربها حين دخل التصوير الشمسي في عهد قرّب اليهِ الناس فاقبل كثيرون على تعلمهِ وازداد عدد المصورين كثيرًا. وكان ذلك نتيجة اكتشاف مادة تقوم مقام الكلوديون وهي جلاتين يشرب مواد حساسة تطلى بهِ الالواح الزجاجية وتبقى صالحة للاستعمال الى اجل طويل من غير ان يعتريها فساد وقد دعي هذا العهد بعهد الالواح الجافة الجلاتينية وهي نفس ما يستعملهُ المصورون الآن في جميع البلدان ولم يعم

انتشارها حتى سنة ١٨٧١ . وقد تفنن كثيرون في كيفية طلي الزجاج على طرق مختلفة ولكن المبدأ واحد

اخيرًا دخل التصوير في عصر جديد هو العصر الحالي عصر الرّق (بالانكليزية فِلم بالافرنسية پالكل) وهو رقٌّ كالورق ليناً ودقة لكنهُ شفاف كالزجاج احد سطحيهِ مطليٌّ بالمادة الجلاتينية الحساسة التي تطلى بها الالواح الزجاجية فيقوم الرق الحساس مقام الزجاج الحساس بحيث ان ما يصور على الزجاج يصور على الفلم بلا فرق ظاهر في الصورة . والفلم اما ان يُدخل الى الحامل فيستعمل فيهِ كلوح زجاج حساس واما ان يستعمل في هيئة ملف كما في الآلات الصغيرة المسماة كودك التي يحملها السياح ويجولون مصورين ما يحلو لهم من المناظر . والملف بكرة طويلة من الخشب ملفوف عليها قطعة طويلة من الورق الاسود المتين عرضها طول الصورة التي يمكن الآلة تصويرها على سطحها الداخلي قطعة من الفلم عرضها مثل طول الصورة وطولها مثل عرض ست صور او اثنتي عشرة صورة من الصور التي يمكن تصويرها بتلك الآلة . اي اذا كانت صورة الآلة ٩ × ١٢ سنتمترًا كان عرض الفلم ١٢ سنتمترًا وطولهُ ٥٤ سنتمترًا (لست صور) او ١٠٨ سنتمترات (لاثنتي عشرة صورة) . والآلة التي يستعمل فيها الفلم الملفوف تختلف تركيباً عن الآلات الاخرى اذ لاحاجة فيها لحامل ولا لزجاجة مغشاة تحكم الصورة عليها فان الملف يُدخل الى قسم خاص بهِ في جنب الآلة ثم يفك اول الورقة السوداء من الملف ويمر على باب الآلة من الوراء حيث تكون الزجاجة المغشاة في الآلات الاخرى وتسحب وتربط الى البكرة الفارغة في الجنب الآخر المقابل وهي معدة لذلك . ثم يقفل غطاء الآلة الخلفي (ليحجب النور عن الدخول الى الفلم) وتبرم البكرة الفارغة بمفتاح خصوصي من الخارج فتدور وتلتف الورقة السوداء عليها وحالما يصل الفلم الملصق بها الى امام العدسية يظهر رقم صغير في فتحة صغيرة خلف الآلة يستدل منهُ على وصول الفلم الى مركزهِ استعدادًا للتصوير . وكلما صوّرت الآلة منظرًا يبرم المفتاح ليسحب قسماً جديدًا من الفلم الى مركزهِ ويبقى العمل متواصلاً على هذا المنوال الى ان تنتهي الصور في الملف ثم يرفع غطاء الآلة الخلفي وتخرج البكرة التي كانت فارغة وقد لُفَّ عليها الورق الاسود وداخلها الفلم المصوَّر وتكشف في الغرفة المظلمة كالزجاج تماماً

وقد اشتهر معمل ايستمان في بلاد الانكليز واميركا بصنع آلات الكودك الصغيرة التي يسهل استعمال الفلم فيها فاقبل الناس على مشتراها واصبح اسمها معروفاً . وحجم الواحدة منها مغلقة لا يزيد عن حجم كتاب اعتيادي طولاً وعرضاً وسمكاً . والسياح الذين يزورون مصر

في الشتاء لا يذهبون الى مكانٍ الاَّ ومعهم كُدك يخلدون بهِ على سطح الفلم صور المناظر التي يستحسنونها ليروها لذويهم بعد رجوعهم الى اوطانهم

والمصورون فريقان فريق يفضل الفلم على الزجاج وفريق يفضل الزجاج على الفلم والفريق الاول يفضل الفلم للامور الآتية وهي :

اولاً ان الفلم يسهل حمل مقدار كبير منهُ في مساحة صغيرة

ثانياً انهُ اخف من الزجاج وغير قابل الانكسار

ثالثاً ان المصور بالفلم يستطيع تصوير مناظر عديدة في مدة قصيرة جدًّا ولا يمكن للمصور بالزجاج ان يسابقهُ

رابعاً يمكن للمصور ان يغير الملف كما انتهى منهُ ويركب ملفاً آخر ولو كان في نور الشمس

والمعارضون في استعمال الفلم يحتجون لذلك

اولاً ان الزجاج اسهل تداولاً بالايدي عند كشفهِ في الغرفة المظلمة

ثانياً ان كل لوح يكشف على حدتهِ واما الفلم فلا يمكن كشف صورة وترك الصور الاخرى الاَّ بصعوبة كلية

ثالثاً ان الفلم اغلى من الزجاج مرتين

هذا ما سمح لي بهِ المقام من الشرح العملي والتفسير الموجز

اسكندر مكاريوس

لحام للزجاج والصيني

(١) ضع جزئين من صمغ اللك وجزءا من التربنتينا البندقي في اناء من الحديد على النار حتى يذوب اللك في التربنتينا · ولابدَّ من ان تغطي الاناء جيداً حتى لا يصل اللهب اليهِ لان التربنتينا سريع الالتهاب · ثم اتركهُ حتى يبرد قليلاً واصنع منهُ قضباناً كقضبان شمع الختم · فهذه القضبان تستعمل للحم الزجاج والصيني بان تصهر قليلاً قرب النار ويلحم بها ما يراد لحمهُ

(٢) لحام آخر للزجاج لا يذيبهُ الماء — تذاب ثمانية اجزاء من الجلاتين الجيد في مئة جزء من الماء ويضاف الى المذوب عشرة في المئة من مذوب بي كرومات البوتاسا المشبَّع ويحفظ المزيج في الظلام وحينما يستعمل للحم الزجاج يفعل النور بقشرة الجلاتين فتتصلب وتمسك قطعتي الزجاج المتصلتين بها

(٣) و يُصنع لحام جيد للزجاج والصيني من جزئين من غراء السمك ينقعان في الماء حتى

ينتفخا ثم يصب الماء عن الغراء ويذاب في الالكحول على نار خفيفة . ويذاب جزء من المصطكى في ثلاثة اجزاء من الالكحول ويضاف مذوبه الى المذوّب الاول ثم يضاف اليهِ جزء من صمغ الامونياك ويبخر المزيج حتى يصير قوامه كقوام الغراء . ولا بدّ من تسخين القطع التي تلحم بهِ قبل لحمها

(٤) ويصنع لحام رخيص من خمسة اجزاء من مسحوق حجر الخفان وجزء من التربنتينا وجزئين من اللك

(٥) لحام شفاف — اذب جزءا من الصمغ الهندي في ٦٤ جزءا من الكلوروفورم واضف الى المذوب ٢٠ جزءا من مسحوق المصطكى واتركهُ يومين وانت تهزهُ من وقت الى آخر . وتدهن بهِ قطع الزجاج بقلم من الشعر

الزجاج على المعدن

يطلى المعدن بطلاء زجاجي هكذا : خذ ١٢٥ جزءا من قطع الزجاج الصواني و ٢٠ جزءا من كربونات الصودا و ١٢ جزءا من الحامض البوريك واصهر الجميع معاً وصب المادة على سطح بارد من الرخام او المعدن ودقها دقاً ناعماً متى بردت . ثم امزج الدقيق بمذوب سلكات الصودا واطل المعدن بهِ وضعهُ في فرن فيذوب عليهِ ويطليهِ بطلاء زجاجي



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاطعمة والهضم

تختلف المدة التي تهضم بها الاطعمة المختلفة من ساعة الى خمس ساعات حسب اختلافها هي فبعضها يتم هضمهُ في ساعة واحدة بعد اكلهِ وبعضها لا يتم هضمهُ الا في سبع ساعات وقد بحث الاستاذ بويد لينرد في هذا الموضوع بحثاً مدققاً مؤيداً بالتجارب فوصل الى النتائج التالية .

وقد قسمنا الاطعمة الى سبعة اقسام وهي اللحوم . والاسماك . والالبان وما يصنع منها . والبيض . والخبز . والحبوب والجذور . والبقول والخضر والاثمار . وهاك جدولاً لكل منها

اللحوم

		ساعة	دقيقة
الكرش المسلوق	يهضم في	١	٠٠
الحجل المسلوق	" "	١	٣٠
ديك الغاب المحمَّر	" "	١	٣٠
القطا المحمر	" "	١	٣٥
الحجل المحمر	" "	١	٣٥
لحم الغزال المحمر	" "	٢	
لحم الارنب المسلوق	" "	٢	
شوربة السلاحف	" "	٢	
الديك الرومي المسلوق	" "	٢	٢٥
لحم الحمل المحمر	" "	٢	٣٠
الديك الرومي المحمر	" "	٢	٣٦
لحم البقر المسلوق	" "	٢	٤٥
لحم الارنب المسلوق	" "	٢	٤٥
" " المحمر	" "	٣	
لحم الضان المسلوق	" "	٣	
" " المحمر	" "	٣	١٥
لحم الخنزير المملح المسلوق	" "	٣	١٥
لحم الارنب المحمر	" "	٣	١٥
لحم البقر المحمر	" "	٣	٣٠
سجق (مقانق) الخنزير المشوية	" "	٣	٣٠
الفراخ المسلوقة	" "	٣	٤٠
الحمام المسلوق	" "	٣	٤٠

		ساعة	دقيقة
الفراخ المحمّرة	يهضم في	٣	٥٠
الدجاج المسلوق	" "	٣	٥٠
لحم البقر المشوي	" "	٤	
كبد البقر المشوي	" "	٤	
لحم الخنزير المسلوق	" "	٤	
لحم العجل المحمر	" "	٤	
البط المسلوق	" "	٤	
" " المحمر	" "	٤	
الحمام المحمر	" "	٤	
الوز المسلوق	" "	٤	١٠
لحم البقر المملح المسلوق	" "	٤	١٥
البط المحمر	" "	٤	٢٠
فخذ الخنزير المسلوقة	" "	٤	٣٠
لحم العجل المشوي	" "	٤	٣٠
الوز المحمر	" "	٤	٣٠
الكلى المشوية	" "	٤	٤٥
لحم الخنزير المحمر	" "	٥	١٥
دهن البقر المسلوق	" "	٥	٣٠
لحم الخنزير المقدد المسلوق	" "	٦	٣٠
" " " المحمر	" "	٦	٣٠

الاسماك

سمك موسى	مسلوقاً	يهضم في	١	٣٠
البربوني	مسلوقاً	" "	١	٣٠
السمك الابيض	"	" "	١	٣٠
الكد	مسلوقاً	" "	٢	

			ساعة	دقيقة
التربط		يهضم في	٢	
البربوني	مقلوًا	" "	٢	٥٠
المحار نيئًا	"	" "	٢	٥٥
السردين	طريًا مسلوقًا	" "	٣	
"	" مقلوًا	" "	٣	٣٠
المحار	مطبوخًا	" "	٣	٣٠
السردين مكبوسًا بالزيت		" "	٣	٣٠
السلمون مسلوقًا		" "	٤	
سمك موسى مقلوًا		" "	٤	
الحنكليس مسلوقًا		" "	٤	١٥
الكركند "		" "	٤	١٥
السرطان "		" "	٤	٣٠

الالبان وما يصنع منها

		ساعة	دقيقة
اللبن المغلى	يهضم في	٢	
" من غير اغلاء	" "	٢	١٥
القشدة	" "	٣	
الزبدة المملحة	" "	٣	١٥
" الطرية	" "	٣	٣٠
الجبن	" "	٣	٣٠

البيض

		ساعة	دقيقة
البيض النيء والمخفوق	يهضم في	١	٣٠
" " غير المخفوق	" "	٢	
" المقلو	" "	٢	١٥
" المسلوق قليلاً (برشت)	" "	٣	
" " كثيرًا	" "	٣	٣٠

الخبز والكعك

		ساعة	دقيقة
الكعك الاسفنجي	يهضم في	٢	٣٠
كعك الزبيب	„ „	٣	
الخبز الابيض	„ „	٣	١٥
الخبز الاسمر	„ „	٣	٣٠

الحبوب والجذور

الرز المسلوق	يهضم في	١	
الارووط المسلوق	„ „	١	٣٠
الساغو „	„ „	١	٤٥
التبيوكا „	„ „	٢	
الاوت ميل „	„ „	٢	١٠
المكروني „	„ „	٢	٣٠
البطاطس المشوية	„ „	٢	٣٠
الفول „	„ „	٣	
البطاطس المسلوقة	„ „	٣	٣٠
الفجل الاخضر	„ „	٣	٣٠
الجزر „	„ „	٣	٤٥
الفاصوليا „	„ „	٤	

البقول والخضر والاثمار

الليمون	„ „	١	
البطيخ	„ „	١	
البرتقال	„ „	١	
الموز	„ „	١	١٠
الكمثرى	„ „	١	٢٠

		ساعة	دقيقة
الشلجم	يهضم في	١	٢٠
التوت	" "	١	٢٠
الخس	" "	١	٣٠
الخارقة	" "	١	٣٠
الفطر المشوي	" "	١	٣٠
الطماطم النيء	" "	١	٣٠
القرّة	" "	١	٣٠
التفاح	" "	١	٣٠
المشمش	" "	١	٣٠
المليون	" "	١	٣٠
الكرفس	" "	١	٤٠
القشمش	" "	١	٤٠
النعنع	" "	٢	
العليق	" "	٢	
الكرز	" "	٢	
التفاح	" "	٢	
الاناناس	" "	٢	
التمر	" "	٢	
الخرشوف المسلوق	" "	٢	
البازلاَ الخضراء المسلوقة	" "	٢	
الكومى المسلوق	" "	٢	٢٠
الرمان	" "	٢	٢٠
التين الاخضر	" "	٢	٢٠
الاصابغ المسلوق	" "	٢	٣٠
اللفت المسلوق	" "	٢	٣٠
الخوخ	" "	٣	

		ساعة	دقيقة
البازلا اليابسة المسلوقة	يهضم في	٣	
الزبيب	" "	٣	
الجزر المسلوق	" "	٣	١٥
الكستنا المشوية	" "	٣	٢٠
القنبيط المسلوق	" "	٣	٣٠
البصل المسلوق	" "	٣	٣٠
الكرنب (الملفوف) المسلوق	" "	٤	٢٠
اللوز	" "	٥	
البندق	" "	٥	
الجوز	" "	٥	
جوز الهند	" "	٥	
الكستنا النيئة	" "	٥	
الخيار	" "	٧	

ولم يذكر الاستاذ لينرد المدة التي تلزم لهضم اكثر هذه الاطعمة اذا كانت مقلوّة كما تطبخ عادة في بلادنا . ويظهر مما ذكرهُ عن اللحم المسلوق واللحم المحمَّر ان المسلوق اسهل هضماً من المحمَّر والمرجح ان ذلك يصدق ايضاً على الخضر والبقول بنوع عام لانهُ يبقى فيها بالقلي كثير من المادة الدهنية او السمنية التي تقلى بها اما القلي نفسهُ فلا يعسر هضمها بل يسهلهُ لانهُ من قبيل انضاجها

ثم ان للعادة فعلاً كبيرًا في سهولة الهضم وصعوبتهِ فبعض الناس يسهل عليهم هضم ما يصعب على غيرهم هضمهُ او ما هو عسر الهضم عادة وبعضهم يصعب عليهم هضم ما هو سهل الهضم عادة لكن ما هو مذكور في الجداول المتقدمة صحيح بنوع عام ويمكن الاعتماد عليهِ في تدبير الطعام

الاولاد ودرس الطبيعة

كتاب الطبيعة مفتوح امام جميع الناس ودارسهُ لا يحتاج الى تعلُّم حروف الهجاء ولا الى درس لغة اجنبية بل يكتفي فيهِ ان يفتح الانسان عينيهِ واذنيهِ وينظر ويقابل ويستنتج واذا كان لهُ منبّه ينبههُ الى ما امامهُ ومرشد يرشدهُ الى كيفية النظر والبحث والمقابلة جرى في

هذا الدرس من نفسهِ بعد ذلك. والاولاد يحبون الطبيعة . انظرهم في بستان يمرحون بين اشجارهِ ورياحينهِ ويقطفون من ازهارهِ واثمارهِ او انظرهم على شاطىء البحر يجمعون الابواق والاصداف او يحفرون الخنادق في الرمل ويبنون منهُ القلاع . او راقبهم يحتضنون اجراء الكلاب والقطط او يراقبون حركات الطيور في اقفاصها تجد البهجة والحبور على وجوههم وفي حركاتهم حتى الطفل الصغير الذي لم يناهز السنة يبتهج بمنظر جرو او عصفور اكثر مما يبتهج بمنظر والديهِ

ثم اذا كبر الولد وصار رجلاً او امرأة كثرت مطالب الحياة عليهِ واضطرَّ ان يوجه اهتمامهُ الى امور أُخرى لكن الميل الى الطبيعة يبقى في نفسهِ ويعود الى شدَّتهِ متى شاخ . واذا رُبّي من صغرهِ على درس الطبيعة وتعشقها وجد فيها عزاء وسلوى عن هموم الحياة ومتاعبها مهما كان سنُّهُ . وهنا مجال واسع للام الحكيمة لكي تربي اولادها على درس الطبيعة . مثال ذلك ان الاولاد يقطفون الازهار ويلعبون بها ثم يرمونها فالام الحكيمة تلتفت اليها وتخبر ولدها كيف تنمو الازهار وكيف تتكوَّن البزور منها والوقت الذي تنمو فيهِ من السنة وتقابل زهرةً باخرى فيتعلَّم الولد منها اموراً كثيرة في علم النبات . ولا بدَّ من ان يكون ذلك كلهُ بلغة الاولاد التي يفهمونها

والاولاد يسرُّون برؤْية الطيور على الاشجار والاسماك في البرك والام الحكيمة تستطيع ان تغتنم الفرص حين رؤْيتها وتذكر لهم قصصاً كثيرة عن الطيور والاسماك تشرح لهم فيها طبائعها

ومعلوم ان الوالدة لا تستطيع شيئاً من ذلك ما لم تكن هي قد قرأَت كتاب الطبيعة وطالعت كثيراً مما كتبهُ الكتَّاب في هذا الموضوع

واذا ربي الولد على حب الطبيعة بقي عمرهُ كلهُ مغرماً بها وزاد ذلك في سرورهِ ولين عريكتهِ مهما كانت مشاغلهُ

يحكى ان ملك اسوج خرج مرةً هو والملكة زوجتهُ يجولان لجمع النباتات والازهار وركبا حمارين ولم يكن معهما الاَّ خادم واحد فالتقى بهما رجل فرنسوي من علماء النبات وظنهما من علماء النبات مثلهِ وجال معهما وبقي الثلاثة يبحثون عن النباتات الى الظهر فطلب منهما ان يدلاَّهُ على مكان يتغدَّى فيهِ فقالا لهُ الملك تعال فنغديك معنا في بيتنا فشكرهُ وسار معهما الى ان وقفا امام القصر الملكي فالتفت اليهما مدهوشاً فقال لهُ الملك ان الامر كما ترى وانا ملك اسوج ولكن ذلك لا يمنعك من ان تتغدَّى معنا فدخل معهما الى القصر وتغدَّى على المائدة الملكية وكان الحديث كلهُ على النبات. وعشَّاق الطبيعة متساوون في محبتهم لها وفي نسبتهم اليها

غسل فرشاة الشعر

اذب قطعة من الصودا قدر الجوزة في رطلين من الماء السخن ثم نظف الفرشاة من الشعر بالمشط واغمس شعرها في الماء الذي اذبت فيهِ الصودا واحذر لئلا يصل ظهرها ومسكتها الى الماء . وكرر ذلك مرارًا الى ان ينظف شعر الفرشاة ثم اغسلهُ في ماء نقي بارد ونشف المسكة وظهر الفرشاة بمنشفة وضعها في الشمس او قرب النار حتى ينشف شعرها ولا تنشف الشعر بالمنشفة لئلاَّ يلين ولا تقربهُ من النار كثيرًا

قصر القطن والتيل (الكتان)

تصفرُّ ملاءة القطن والتيل احيانًا من عدم الاعتناء بغسلها او من قلَّة استعمالها . وتقصر بغسلها بالماء ونشرها على العشب في الشمس والهواء . ويمكن قصرها ايضًا بان يذاب رطل من الصودا في ثمانية ارطال من الماء الغالي وتغلى الملاءة فيهِ نصف ساعة . ثم يذاب رطل من كلوريد الجير في ثمانية ارطال من الماء ويوضع في اناء في الخزف ويهز جيدًا ويترك ثلاثة ايام حتى يصفو ويصب السائل الصافي في اناء آخر وتنقع الملاءة فيهِ ٣٦ ساعة ثم تغسل وتنشر فتقصر جيدًا



المعرض الزراعي

فتح المعرض الزراعي في الثالث عشر من فبراير فخامة الجناب الخديوي في موكب عظيم من اكابر رجال الحكومة واعضاء الجمعية الزراعية ووكلاء الدول وامراء القطر واعيانهِ . وجال فيهِ يتعهَّد المعروضات ويسأل العارضين عن اهمها . وقد امتاز معرض هذا العام بكثرة ما عُرض فيهِ من العدد والآلات الزراعية حتى امتلأت بها المباني الرحبة التي اقيمت لها واضطرَّ العارضون ان يعرضوا بعضها في الخلاء . والمزية الكبرى لهذا المعرض كثرة المحاريث البخارية المتنوعة فقد عرض فيهِ المحراث الذي استنبطهُ بوغص باشا نوبار ومحراث داربي البخاري الذي لهُ مسامير او اوتاد تدور في الارض والمحراث الذي لهُ معاول تتحرك وتركس الارض ركسًا وعُرض فيهِ ايضًا محراث فولر ومحراث صروف البخاري الذي لهُ سكك عادية تشق الارض

وتقلبها قلباً كالمحاريث الاوربية العادية لا كالعزّاقات وقد جُرب هذا المحراث في الوجهين القبلي والبحري فوفى بالمراد

ومحل نجيب صرّوف وشركاهُ جديد لكن معروضاتهِ استوقفت الانظار بكثرتها وتنوعها فان منها المحراث البخاري المشار اليهِ ومنها آلة دراسة لدرس الارز والحنطة تدعك تبن الحنطة دعكاً فتفضلهُ المواشي على كل تبن غيرهِ . وتدرس هذه الآلة ثلاثين اردباً من القمح او الشعير وتذريها وتغربلها وتخرج تبنها ناعماً مدعوكاً وذلك كلهُ في الساعة الواحدة فتدرس ثلاثمئة اردب في عشر ساعات وتديرها الآلة البخارية التي تجر المحراث البخاري

ومنها آلة بخارية صغيرة تدور بزيت البترول وتحوّل قوتها فيها الى كهربائية تنير ستين قنديلاً نور كلٍ منها مثل نور ١٦ شمعة . وقد رآها الجناب الخديوي فاعجب بها كثيراً كما سرّهُ ما شاهدهُ من الآلات الاخرى

ومما عُرض هذا العام ولم يعرض قبلاً من المصنوعات آلة الكتابة العربية التي استنبطها حضرة المصور الماهر سليم افندي حداد بمساعدة وعناية عطوفتلو ادريس بك راغب وقد سرَّ بها الجناب الخديوي كما سرّ كل الذين شاهدوا خطّها

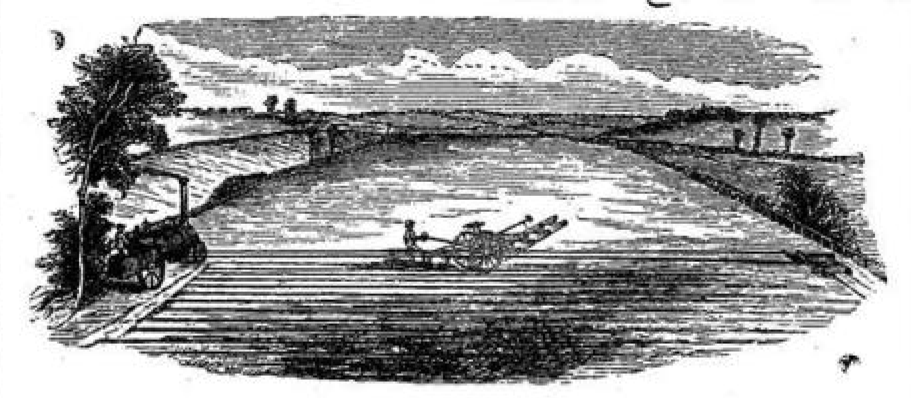
وعرض ايضاً مصنوعات مختلفة من الاخشاب المصرية عرضها حضرة محمد افندي صالح سليمان

ولم تكن معروضات القطن هذا العام اكثر من معروضات العام الماضي ولا كانت معروضات المواشي شيئاً يذكر بسبب طاعون المواشي . وقد اطيلت مدة المعرض بسبب ما عرض فيهِ من الآلات والادوات الزراعية لكي يراها المترددون عليهِ فان المحلات الشهيرة القديمة مثل محل الن والدرسن ومحل ستنمان وعزيز مباردي ومحل قلاده انطون ومحل توماس كوك ومحل حسبو بك محمد والشركة الايطالية السويسرية ومحل مارون كل هذه المحلات عرضت آلات زراعية كثيرة من طلمبات ومحاريث ودرّاسات وما اشبه واكثرها في غاية الجودة

تجربة المحاريث البخارية

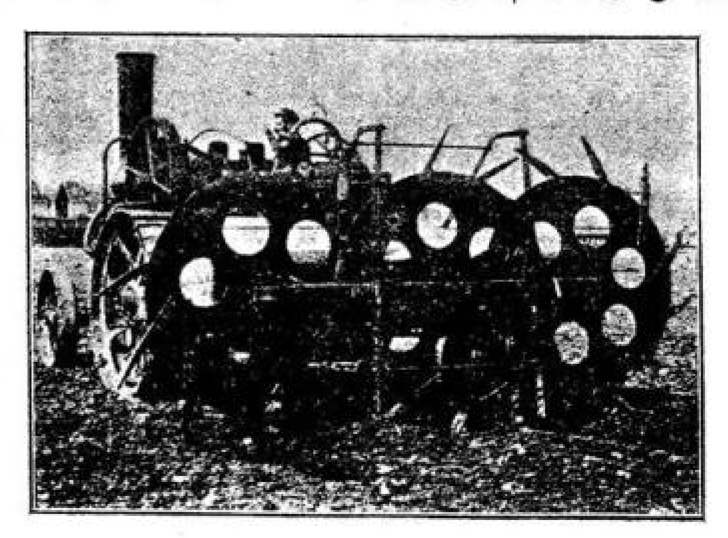
لم يكد طاعون المواشي يفتك بمواشي القطر المصري حتى اهتمَّ جالبو الآلات الزراعية بجلب المحاريث البخارية . وكان كثيرون من اصحاب الزراعات الكبيرة كالدائرة السنية والدومين قد جلبوا محراث فَوْلِر المؤلف من آلتين بخاريتين تجران السكك ذهاباً واياباً بحبل من الاسلاك المعدنية . لكن هذا المحراث غالي الثمن لا يمكن استعمالهُ الاَّ في الزراعات الواسعة جداً لان ثمنهُ

اكثر من ثلاثة آلاف جنيه وترى صورتهُ في الشكل الاول وهو في الشكل مؤلف من وابور واحد ومرساة متحركة توضع مقابل الوابور



الشكل الاول محراث فولر

ومنذ بضع سنوات صنع حضرة المهندس المتفنن صاحب السعادة بوغص باشا نوبار محراثًا بخاريًا على طرز جديد لم يسبق اليهِ وهو آلة بخارية عريضة العجل فيها تروس كبيرة

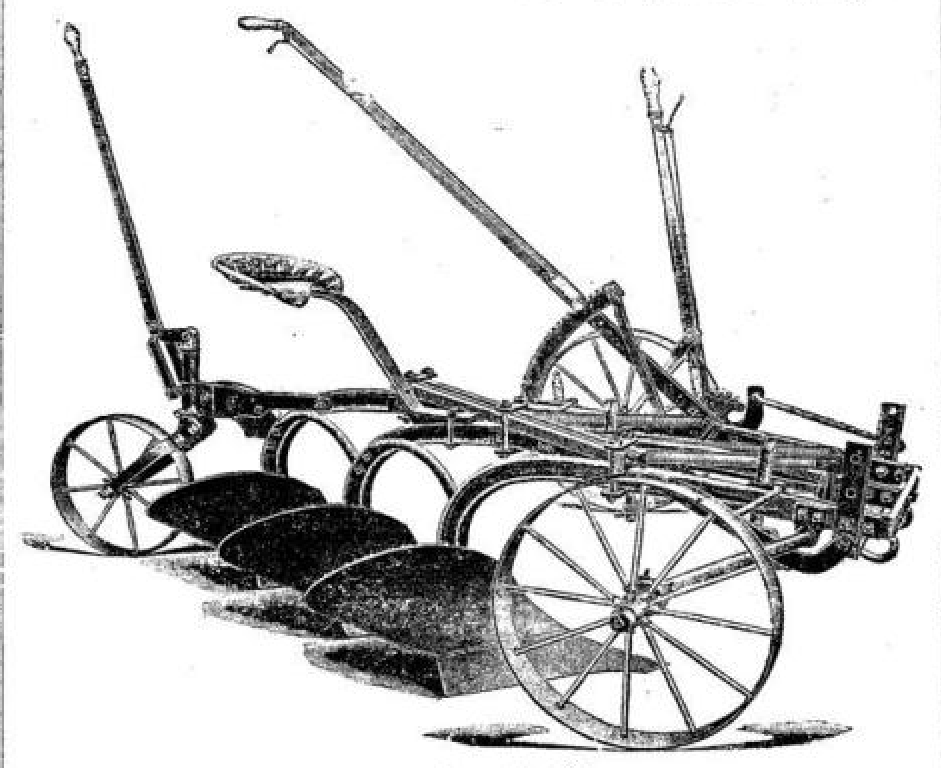


الشكل الثاني محراث بوغص باشا نوبار

ذات ريش محدَّد فاذا سارت الآلة البخارية دارت هذه التروس واثارت الارض فتجدها بعد مرور المحراث عليها محروثة ممهدة . وترى صورة هذا المحراث في الشكل الثاني

وصنع معمل انكليزي آلة بخارية في موَخرها مسامير او اوتاد تغرز في الارض وتدور فيها بحركة الآلة وهي سائرة فتنكتها وتنعم ترابها

وصنع معمل آخر آلة بخارية في موَخرها مثل الفوْوس (المعاول) فاذا مشت الآلة ركست هذه الفوْوس الارض وعزقتها عزقاً حقيقياً



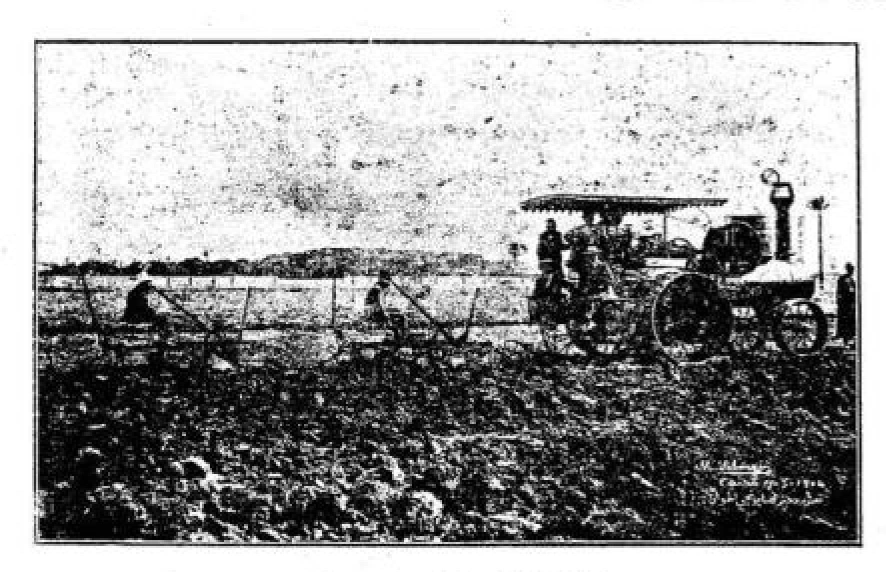
الشكل الثالث محاريث ديري

وصنع آخر آلة اخرى تجرُّ محراثاً اسلحتهُ مثل اسلحة محراث فولر المعروف بالعزّاق او مثل السكك العادية ولكنهُ يُعلق بها من الناحية الواحدة ثم من الناحية المقابلة ذهاباً واياباً

وقبل ان تعدَّدت هذه الانواع اهتدى ولدنا نجيب صروف الى تعليق محاريث ديري بآلة غارسكوت البخارية بعد ان اضاف الى الآلة البخارية اناءين كبيرين للماء. واسلحة هذه المحاريث مثل اسلحة المحاريث الاوربية العادية كما ترى في الشكل الثالث. والالة البخارية التي تجرها مثل آلات الجر العادية ولكن الآلة خفيفة وقوية ومتينة وكذلك اسلحة المحاريث مصنوعة

من الصلب اللدن فجاء هذا التركيب وافياً بالمراد وسمي محراث صروف البخاري وترى صورته في الشكل الرابع وهو يحرث

وقد جُرّبت هذه المحاريث كلها في الرابع والعشرين من شهر فبراير الماضي في اطيان بوغص باشا نوبار بشبرا وحضر تجربتها جم غفير من كبار المزارعين اجانب ووطنيين يتقدمهم جناب اللورد كرومر واصحاب العطوفة نخري باشا وبطرس باشا غالي وعبد القادر باشا وكان ذلك برأي الجمعية الزراعية الخديوية



الشكل الرابع محراث صروف البخاري

ولا بدَّ من ان يستمرَّ التحسين والتنقيح في هذه المحاريث ويشيع منها اقواها فعلاً واسهلها مراساً واقلها نفقة . وارباب الزراعة المهتمون بزراعة اطيانهم لا تخفى عليهم طُرُق اختيار المحراث الاصلح لهم بمراقبة هذه المحاريث عند الذين اقتنوها وحساب نفقاتها بالنسبة الى ما تحرثهُ في اليوم

تبقى مسألة يسألها كثيرون وهي ان المحراث البخاري الذي ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه مثلاً يحرث في النهار من عشرة افدنة الى عشرين فداناً أفلا يمكن ان يُصنع محراث بخاري يحرث فدانين فقط في النهار ويكون رخيص الثمن جداً حتى يستطيع الفلاح الصغير ان يشتريهُ . والجواب كلاَّ لان آلات المحراث الصغير مثل آلات المحراث الكبير تماماً في شكلها وعملها وقد تكون

الآلة الصغيرة الدقيقة اغلى من الآلة الكبيرة من حيث الصناعة وانما الفرق في ثمن الحديد ومقدار ما يوقد من الفحم فاذا كان ثمن الآلة التي تحرث عشرين فداناً في النهار الف جنيه فثمن الآلة التي تحرث فدانين فقط لا يكون مئة جنيه فقط بل قد يكون اربع مئة جنيه او اكثر وتقتضي مهندساً اجرتهُ مثل اجرة المهندس الذي يلزم للآلة الكبيرة . ولذلك فتصغير المحراث البخاري كثيرًا لا يقلل ثمنهُ على نسبة التصغير ولا على ما يقاربها

ومهما كان ثمن المحراث البخاري ومهما كانت نفقاتهُ يبقى الحرث بهِ ارخص كثيرًا من حرث المواشي . واطيان صغار المزارعين يمكن حرثها بالاجرة بمحراث يقتنيهِ مزارع كبير كما ان اطيان اصغر الفلاحين تروى الآن بالاجرة من آلة ري ثمنها مئات من الجنيهات

مالية الجمعية الزراعية الخديوية

بلغ ايراد الجمعية الزراعية الخديوية في العام الماضي ٧٩٢٧ جنيهاً وكان في العام الذي قبلهُ نحو ٦٨٥٠ جنيهاً فتكون الزيادة في العام الماضي ١٠٧٧ جنيهاً ويدخل في باب الايرادات الاعانة التي اعطتها الحكومة للجمعية وهي ٢٣٤٨ جنيهاً واشتراكات الاعضاء السنوية وهي ٩٢٠ جنيهاً وارباح السماد الكيماوي وبزرة القطن وهي ٨٣٨ جنيهاً . وثمن القطن الذي جنتهُ من حقول التجارب وهو ١٧٨٦ جنيهاً وثمن سائر الحاصلات الزراعية وهو ١٣٣٠ جنيهاً فيكون ثمن الحاصلات الزراعية كلها من حقول التجارب في الجيزة وميت الديبة ٣٠١٦ جنيهاً اما نفقات الزراعة في هذه الحقول فبلغت ٢١٩١ جنيهاً اي ان المصاريف اكثر من سبعين في المئة من الايراد ولعل جانباً كبيرًا من المصاريف انفق في سبيل اصلاح الاطيان

فوائد الجمعية الزراعية الخديوية

نشرت الجمعية الزراعية الخديوية تقريرها السنوي عن الاعمال التي عملتها في العام الماضي. وفي هذا التقرير ثلاثة امور حرية بالذكر

اولها اهتمام الجمعية بانتقاء بزرة القطن وبيعها للفلاحين

والثاني اهتمامها بجلب الاسمدة الكيماوية

والثالث اهتمامها بالمعمل الكيماوي لاجل تحليل الاتربة المختلفة ومعرفة عناصرها

❊ الاول انتقاء بزرة القطن ❊ وزعت الجمعية في السنة الماضية ٣٠٠٠٠ اردب على نحو ١٢٠٠٠ من صغار المزارعين بمساعدة البنك الزراعي وعينت عالماً نباتياً للاهتمام بانتقاء بزر القطن من اجود ما يكون وقد يستغرق عملهُ هذا ثلاث سنوات او اربع

وستوزع الجمعية البذار هذه السنة وهو غير خالٍ من البزر المندي ولكنها ستجتهد لكي تنقية من البزر المندي في السنين المقبلة

﴿ الثاني السماد الكيماوي ﴾ قالت الجمعية في تقريرها ان اهالي القطر عرفوا فائدة السماد الكيماوي فزاد استعماله رويداً رويداً كما يظهر من هذا الجدول

في سنة	١٩٠١	بلغ ثمن ما استعمل منهُ	٥٠٠٠ جنيه
" "	١٩٠٢	" " " "	١٠٠٠٠ "
" "	١٩٠٣	" " " "	١٩٠٠٠ "
" "	١٩٠٤	" " " "	٣٠٠٠٠ "

وان الذين استعملوا نيترات الصودا لزراعة القمح رأوا منهُ فائدة كبيرة فبلغت زيادة المحصول ضعف ثمن السماد واجرة استعماله . والسماد الذي استعمل لتسميد القطن افاد في الاراضي الضعيفة والمتوسطة وفي اكثر الاراضي القوية ولكنهُ لم يفد في بعض الاراضي القوية

وقد اعفت الحكومة الاسمدة الكيماوية من رسوم الجمارك بسعي الجمعية

﴿ المعمل الكيماوي ﴾ حلّل هذا المعمل في العام الماضي نحو ٢٧٠ عينة من الاتربة والاسمدة والمياه . وقد اظهر التحليل ان الاراضي المصرية غنية بالمواد الفصفاتية والبوتاسية التي يغتذي النبات بها ولكنها فقيرة بالمواد النيتروجينية واتربة السودان التي حللت وجدت مثل اتربة القطر المصري . وحلل ايضاً بعض الاسمدة الطبيعية الموجودة في هذا القطر ليُعلَم مقدار ما فيها من الفصفات والنيترات ويحسب مقدار نفعها وهل يفي باجرة نقلها الى الاماكن البعيدة عن موضعها في القطر المصري وسيهتم بمعرفة مقدار الملح الذي يمكن وجوده في ماء الري من غير ان يصير الماء ضارًّا بالزراعة لان بعض المزارعين يروون مزروعاتهم احيانًا بمياه مالحة من المصارف والآبار فيجب ان يعلم ما اذا كانت تلك المياه مضرّة ومن اي حد يبتدئ ضررها

تنقية دود القطن

صدر امر عالٍ بتنقية دود القطن منطوٍ على المواد التالية

المادة الاولى . اوراق شجيرات القطن التي توجد عليها بويضات دودة القطن يجب قطعها وحرقها حالاً فاذا وجدت هذه البويضات بأية ارض منزرعة قطناً وتراءى للسلطة الادارية ان كمية البويضات كافية لان تحدث خطرًا عامًّا فيجري قطع وحرق الاوراق المصابة تحت مراقبة السلطة المذكورة او بمعرفتها عند الاقتضاء

المادة الثانية . يجوز للسلطة الادارية ان تكلف كل شخص من الذكور عمرهُ اكثر من تسع سنوات واقل من سبع عشرة سنة اذا كان قادرًا ومعتادًا على العمل بالمساعدة في الاجراءات المذكورة وذلك في مقابل اجرة حسب الفئة الجاري دفعها في الجهة ويحدد مأمور المركز هذه الاجرة بعد اخذ رأي اعضاء لجنة الجمعية الزراعية الخديوية في الجهة التي لها بها لجنة

المادة الثالثة . يجب على السلطة الادارية قبل الشروع في الاجراءات المذكورة ان تتخابر مع ملاك الاراضي المقتضي اتخاذها فيها او النائبين عنهم او مستأجريها لمعرفة ما اذا كانوا يرغبون في القيام بهذه الاجراءات بمعرفتهم فاذا قبلوا ذلك على مسؤوليتهم تضع السلطة الادارية تحت تصرفهم عند الاقتضاء العدد الكافي من الاشخاص للعمل بحيث يدفعون لها اجرة هؤلاء يوميًّا ومقدمًا

المادة الرابعة . اذا لم يكن في قدرة الملاك او المستأجرين مباشرة الاجراءات المذكورة او امتنعوا عنها او اهملوها فعلى السلطة الادارية تحرير المحضر اللازم والشروع في العمل بمعرفتها وفي هذه الحالة تعتبر المصاريف التي يجب ان لا تزيد عن عشرين غرشًا صاغًا عن كل فدان كرسم اضافي على العقار يحصل بالطرق والكيفية المقررة لتحصيل الاموال الاميرية

المادة الخامسة . يجوز للسلطة الادارية ان تنتدب لتنفيذ احكام امرنا هذا عمد البلاد تحت مراقبة المديرين والمحافظين ومأموري المراكز وكافة الموظفين الذين يعينون لهذا الغرض ويساعد العمد في ذلك مشايخ البلاد وخفراؤها

المادة السادسة . يعاقب بالحبس لمدة لا تتجاوز شهرًا وبغرامة لا تزيد عن مئتي غرش

اولاً كل من حاول تخليص شخص مكلف بالمساعدة طبقًا للمادة الثانية

ثانيًا كل من كلف بقطع او نقل او حرق اوراق التشجيرات ثم وقع منهُ فعل او اهمال يودي الى عدم حرق الاوراق المذكورة

المادة السابعة . يعاقب بالحبس لمدة لا تتجاوز اسبوعًا او بغرامة لا تزيد عن مئة غرش

اولاً كل شخص امتنع عن المساعدة طبقًا للمادة الثانية او حاول التخلص من ذلك

ثانيًا كل شخص كلف قطع او نقل الاوراق ثم وقع منهُ فعل او اهمال يؤدي الى عدم حرق هذه الاوراق

ثالثًا كل شخص كلف المساعدة طبقًا للمادة الثانية ثم امتنع عن العمل

المادة الثامنة . يكون الحكم في المخالفات المنصوص عليها في المادتين السابقتين بمعرفة المحاكم الاعتيادية من اختصاص محاكم المراكز



الشرق والغرب

الشرق والغرب Orient and Occident اسم مجلة اسبوعية دينية ادبية صدرت منذ شهرين وقد نقلنا عنها فصلاً في الجزء الماضي للدلالة على كيفية بحثها في المواضيع الادبية والتاريخية من وجهة دينية . والمجلة كبيرة الحجم حسنة الطبع مزينة بالصور وهي بالعربية والانكليزية ولا تقتصر على المواضيع الدينية بل تشمل غيرها من المواضيع المفيدة لتربية الامة وتقويتها جسدًا وعقلاً فامامنا الآن جزء منها فيهِ مقالة مفيدة بالانكليزية عن مضار المسكرات فيها جدول عن مقدار الالكحول في المسكرات المستعملة في القطر المصري يقال فيهِ ان الالكحول في الخمر من ٧ في المئة الى عشرين في المئة وفي الكنياك من ٣٥ الى ٤٥ في المئة وكذلك في الموسكي واما البيرا ففيها من ٣ الى ٥ في المئة فقط

وفي هذا الجزء تعريب الابيات التي تليت وقت دفن لفنستون الرحالة الافريقي الشهير ومنها

حسبهُ فعلهُ الجميل ففيهِ خالدٌ ذكرهُ الجليل السامي
عاش في الارض محسناً غير فعل الـ ـخير للناس ما ابتغى من مرامِ
يا جماد الرخام طأطئْ امام الـ ـحجر الحي يا جماد الرخامِ

ورأينا في جزء آخر مقالة انكليزية عن العلم والدين ذكر فيها الكاتب اثني عشر عالماً من اشهر علماء الانكليز وقال ان احد عشر عالماً منهم من المتدينين والثاني عشر وهو داروين لم يكن مسيحياً ولكن ليس في كتبهِ ما يناقض الديانة المسيحية ولقد قال في كتابهِ اصل الانواع ما تعريبهُ " اذا نظرنا الى الحياة من هذا القبيل (اي من قبيل مذهب النشوء) رأينا فيها جلالاً فائقاً رأيناها بقواها العديدة روحاً من الخالق نفخها اصلاً في مخلوق واحد او في عدد قليل من المخلوقات فتولَّد منها على مرّ السنين والدهور انواع كثيرة اشكالها لا تحصى وغرائبها لا تستقصى "

نحو العربية بالانكليزية

A Grammar of the Arabic Language

يعجبنا اهتمام الاوربيين بدرس لغتنا العربية وتسهيل طلبها على ابنائهم فقد رأينا لها في الانكليزية كتباً مختلفة احدثها هذا الكتاب الذي عني بوضعهِ حضرة الفاضل القس سترلنج احد مرسلي جمعية مبشري الكنيسة في فلسطين وجرى فيهِ مجرى مؤلفي العرب في تنسيق كتب الصرف والنحو كأنك تقرأ فيهِ فصل الخطاب او مفتاح المصباح مع شيء من الزيادة التي يحتاج اليها غريب اللغة· وألحق بهِ جداول جمع فيها كثيراً من الافعال الثلاثية ومزيداتها رتبهُ على حروف المعجم (وحبذا لو اضاف اليها ما يدلُّ على كونها متعدية او لازمة و باي حرف تعدَّى)' واشهر المصادر الثلاثية واشهر الصفات وصيغ المبالغة واسماء الآلة وما جاء على وزن فعَّال مصاغاً لذي حرفة واوزان جموع الكثرة ومنتهى الجموع وما يختم منها بالتاء المربوطة وبعض الافعال الثلاثية ومصادرها. وقد ضبط كل ذلك بالشكل الكامل وفسره' بالانكليزية

وفي الكتاب قليل من الخطاء المطبعي او السهو كورود كلمة مفاتيح على الصفحة ٢٩ بكسر الميم وورود فعل ادَّعى على الصفحة ٣١ بالالف القائمة وذكر نواصب الفعل على الصفحة ١٨١ بدل الفعل المضارع المنصوب بحروف النصب وجرى على ذلك في غير هذا المكان ففسر نواصب الفعل بالفعل المنصوب وانما هي الحروف التي تنصبهُ· والكتاب مطبوع طبعاً واضحاً جدًّا على ورق متين فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل اعتناءهُ بهذه اللغة

كتاب تحرير المرأة

نفدت نسخ هذا الكتاب فأُعيد طبعهُ على نفقة سوري مسيحي حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية . وهو الكتاب الذي ألَّفهُ الغيور الفاضل قاسم بك امين احد مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية · واننا نراه' جديداً اليوم كما رأيناه' جديداً يوم نُشر اول مرة ونرى الحاجة اليهِ اليوم امسَّ مما كانت حينئذٍ لان الجلبة التي اثارها نشره' قد هدأت الآن ورأى المعترضون عليهِ في تقدم امة اليابان ما تحمرُّ له' وجوههم خجلاً من تقصيرهم فسيعودون الى تلاوتهِ بما يستحقهُ من الامعان . الاَّ اننا نظن بعد التفكير واعمال النظر ان النصح والارشاد لا يكفيان لانهما لا يغيران الاخلاق والعادات وانما يغيرها تغيير زعماء الامة لها فيقتدي بهم من دونهم كما اقتدى الناس ببني العباس في لبس قلانس الفرس . فلوان امير البلاد وخاصة

رجالهِ والمؤلف واخوانهُ جروا على ما يقول في كتابهِ لرأيت الاصلاح الذي يطلبهُ ولا ينتظر وقوعهُ الا بعد سنين كثيرة قد حصل كثير منهُ الآن. وفي الطبيعة ناموسان ناموس السير البطيء وناموس الطفرة او الحوادث الفجائية التي لا تدلُّ المقدمات على قرب حدوثها . وكثيراً ما يقع انقلاب عظيم في الامم على هذا النمط الثاني ولعلهُ اكثر حدوثاً من النمط الاول نمط السير البطيء المتوالي الذي عبّر عنهُ المؤلف بقولهِ " ويرى المطلع على ما اكتبهُ اني لست ممن يطمع في تحقيق آمالهِ في وقت قريب لان تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما لا يسهل تحقيقهُ وانما يظهر اثر العاملين فيهِ ببطء شديد اثناء حركتهِ الخفيفة . وكل تغيير يحدث في امة من الامم وتبدو ثمرتهُ في احوالها فهو ليس بالامر البسيط وانما هو مركَّب من ضروب من التغيير كثيرة تحصل بالتدريج في نفس كل واحد شيئاً فشيئاً ثم تسري من الافراد الى مجموع الامة فيظهر التغيير في حال ذلك المجموع نشأة اخرى للامة "

ولقد سمعنا بالامس رجلاً من سراة الامة المصرية ومن المتمسكين بالديانة المحمدية اشد التمسك يقول لجماعة من اخوانهِ " لا اعجب اذا اجتمعنا مع نسائنا بعد عشرين سنة في البالو الخديوي كما يجتمع اخواننا العيسويون والموسويون " . فان حدث ذلك فلهُ في الطبيعة ضروب تماثلهُ . تبرّد سائلاً حتى يكاد يجمد من شدَّة البرد وتزيد تبريدهُ ايضاً فلا يجمد بل يبقى سائلاً ثم تلمسهُ بقشة فيجمد كلهُ دفعةً واحدةً كأنَّ الاستعداد للجمود كان موجوداً فيهِ وانما كان ينقصهُ الشروع فيهِ فلما شرع فيهِ بواسطة من الوسائط جمد كلهُ . فمن لنا باناس من زعماء الامة المصرية يرون رأي المؤلف ويعملون بهِ فيقتدي بهم غيرهم ويحدث التغيير المطلوب باسرع ما يكون من الزمان

عظة القبور

قصيدة ثانية نظمها صديقنا المحامي الفاضل اخنوخ افندي فانوس حثاً للامة المصرية قال فيها مخاطباً اياها

بُدّلتِ من مجد الجدود برمسهِ ومن الحياة نعيمها بشقاء

ومن العلوم الساطعات نجومها بالجهل في ظلماتهِ البهماء

ومن الفنون الراسخات اصولها بعفائها وطلولها الدهماء

الى ان قال حاثاً رجال الامة على النهوض والتعاون

اني أرى فيكم خطيباً قائماً يدعوكمُ لتعاونٍ وإخاء

ويهيب بالتأليف بين ذوي النهى ويضمهم للبحث في الادواء
انطقتموني الشعر ما انا شاعرٌ ان التجني منطقُ الشعراء
وبليتُ بالوجد الذي من نارهِ خفقت بها نفسي عن الاهواء
فتصاعدت حتى التقت بنظيرها فتمازجت بالشعر في الزرقاء

ثم التفت الى الذين يظلمون المستضعفين فقال

عار على اهل الفضيلة والنهى ان يزدروا بالاخوة البسطاء
فعلى مَ حال جمعهم ما حرَّموا للفرد يا اهل النهى الوضاء
والمرء مفتون يجيش ويتقضي ليشنَّ غاراتٍ بلا احصاء
ويقول بالتمدين وهو اخو الخنى وابو الفجور ومصدر الإشقاء

التقرير المتيورولوجي عن سنة ١٩٠٢

تتأخر ادارة المساحة عن نشر تقاريرها السنوية لكن فوائد هذه التقارير لا تعتق ولو تأخر نشرها

ويظهر من هذا التقرير ان اوطأ ما بلغتهُ الحرارة في مرصد العباسية الدرجة الثالثة فوق الصفر بميزان سنتغراد وذلك في شهر يناير وفبراير ودسمبر واعلى ما بلغتهُ الدرجة ٤٢ وذلك في شهر مايو . واذا اعتبر المتوسط الشهري فشهر يوليو كان اشد الشهور حرارة فان متوسطهُ بلغ ٢٧ درجة و ١٦ في المئة من الدرجة وشهر يناير اقلها حرارة فان متوسطهُ بلغ ١٢ درجة وعشر الدرجة . واشد ما بلغهُ ضغط الهواء ٧٦٢,٥٨ وذلك في شهر دسمبر واقل ما بلغهُ ٧٥٥,١١ وذلك في شهر يوليو

ومن مقابلة الارصاد في عشر سنوات من سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ يظهر ان متوسط حرارة الاشهر قليل الاختلاف فاختلاف شهر اكتوبر مثلاً لا يزيد على درجتين ونصف واختلاف شهر فبراير بلغ خمس درجات وثلاثة اعشار وهو الاكثر ومتوسط حرارة الشهور في تلك السنوات العشر هكذا

يناير	٢٣,١	ابريل	٢٦,٢	يوليو	٢٤,٦	اكتوبر	٣٠,٥
فبراير	٢٣,٠	مايو	٣٠,٠	اغسطس	٣٥,٢	نوفمبر	٢٧,٣
مارس	٢٤,٣	يونيو	٣٣,٠	سبتمبر	٣٣,١	دسمبر	٢٤,٠

علم حياة الحيوان والانسان

شرع حضرة العالم المحقق الدكتور بشاره زازل في طبع كتابهِ علم حياة الحيوان والانسان

الذي اشرنا اليهِ في المقتطف منذ نيف وعشرين سنة · وقد اطلعنا على الجزء الاول من المجلد الاول منهُ فوجدنا ان المؤلف افرغ جهده في جمع حقائق هذا العلم ودقائقهِ ولا غرابة في ذلك لانهُ قضى السنين الطوال في البحث والتنقيب · واكثر هذا الجزء مقدمة الكتاب وقد بسط فيها اسلوبهُ في البحث والتعريب بعد ان ذكر تاريخ هذا العلم عند اليونان والرومان والعرب والافرنج فعسى ان يوفق الى اتمامهِ على ما يحب ويريد

رواية اشيل

نسج بردها ونظم عقدها الشاعر العصري المطبوع سعادة سليم بك عنحوري الدمشقي واهداها الى صاحب الدولة احمد عزت باشا العابد وقال في اهدائها اليهِ

حوت حِكَماً غرَّا يعدونها متى ... تلوها مرايا خلقك الطاهر الشيم

لقد مُثّلت في الناس للرشد والهدى ... وانت الهدى والرشد بل لهما علم

والرواية شعرها وسجعها من السهل الممتنع الذي امتاز بهِ الكاتب على اكثر المعاصرين كقولهِ

بالظرف واللطف والاغراء تبلغ ما ... تبغي وان كان قلب المرء جلمودا

كم من مهاة بغنج اللحظ قد اسرت ... في مرسح الحب قمقاماً وصنديدا

وقولهِ وهو موضوع الرواية

حسدت فتاةُ الذل بنتَ مليكها ... لؤماً وشاءت ان تقوم مقامها

كفرت بنعمتها وحسن جميلها ... لو انصفتها قبّلت اقدامها

نصبَتْ لها شَرَك المنون وحاولت ... زرع الفساد لكي تنال مرامها

قد اتهمت عند الاميرة صبها ... بالغدر ثم تعمّدت اتهامها

حتى تكون لدى الحبيب بديلةً ... وتبثَّ في قلب الخطيبِ غرامها

لم تدرِ ان الغدر يقتل اهلهُ ... والمكر يوردها الغداة حمامها

والبطل ظلمة حالكٍ مهما دجت ... فالحقُّ يمحقُ بالضياء ظلامها

فلتذهبنَّ روحي جزاء جحودها ... نحو الجحيم لكي تذوق ضرامها

وقولهِ في حب الوطن

قد طاب لي ورد الردى ... ذا اليوم في حب الوطن

ان دماً يسفكُ في ... حب الورى غالي الثمن

والشهم من يرضى بما ... يقضي بهِ حكم الزمن

يا أمُّ لا تنتحبي وانفي عن القلب الشجنْ
لا خير في العيش لمن يحيى ذليلاً ممتهنْ
فالموت في عزّ حيا ةٌ عند من نال الفطنْ
اي سرورٍ يرتجى من مثل خضراء الدمنْ
دنيا غرورٍ صفوها يمضي ويتلوهُ الحزَنْ
سقمٌ غمومٌ كربةٌ ويل همومٌ في محنْ
دعها ايا قلبي ومتْ ميتة ذي المبدا الحسنْ

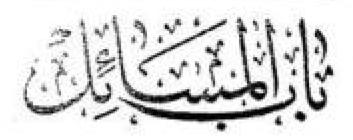


مرض النوم

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

قد قرأنا كثيرًا في الجرائد عن مرض النوم ببلاد السودان بافريقية وقول اهل اوربا بانهم اول من اكتشفهُ وانهُ ناشئ من ذبابة موجودة هناك . وحيث اني طالعت منذ مدة جملة تختص بهذا المرض في تاريخ اشهر مؤرخي الاسلام في عصرهِ العلامة ابن خلدون فاحببت ان اوافي حضرتكم بها وهي مذكورة في الجزء السادس والصفحة (٢٠٢) من اخبار ملوك السودان عن احدهم المدعو (جاطه) وهي بنصها (قال واصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيرًا ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يعتادهُ غشي النوم عامة ازمانهِ حتى يكاد لا يفيق ولا يستيقظ الاَّ في القليل من اوقاتهِ ويضر صاحبهُ ويتصل سقمهُ الى ان يهلك . قال ورأيت هذه العلة بجاطه مدة عامين اثنين وهلك سنة ٧٥) اي سبعمائة وخمس وسبعين من الهجرة فيعلم من ذلك امران الاول ان هذا المرض كان معلوماً للشرقيين منذ خمسمائة وخمسين سنة تقريباً والثاني ان لا خوف من انتشارهِ ببلادٍ أُخرى حيث لم نسمع بذلك من وقتها للآن كما وانهُ لا بدَّ ان يكون موجودًا من قبل زمن هذا المؤرخ بكثير. هذا ما عن لي ابداؤهُ والسلام

عباس حمدي
احد مشتركي المقتطف



فتحنا هذا الباب منذ أول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) فيروز جبل الطور

الاسكندرية . شفيق افندي سعد الله . ما الذي آل اليهِ فيروز جبل الطور بعد وفاة صاحب امتيازهِ وما كان سبب عجز الايراد هل كان سوء ادارة او قلة الفيروز في الجبل

ج ان صاحب الامتياز رجل انكليزي ولم يبلغنا انهُ مات ولكن بلغنا عن ثقة انهُ ترك الامتياز لانهُ وجدهُ خاسرًا والخسارة من سوء الادارة ومن كثرة سرقات العربان ومن ان فيروز جبل الطور غير جيد ولونهُ غير ثابت

(٢) التكحل بالصيني

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان الصيني الاصلي اذا دُقَّ دقًّا ناعمًا واكتحل بهِ يجلو البصر

ج كلاَّ

(٣) تزوّج الاقارب

ومنهُ . لماذا اجمعت الشرائع على تحريم الزواج بما يسمونهُ بذي رحم محرم كالام والاخت والبنت والخالة والعمة الخ وهل هناك داعٍ طبيعي لذلك

ج الجواب عن السبب الديني ليس من شأننا لان العلم لا يصل اليهِ. وليس لهذا المنع سبب طبيعي يوجبهُ لا في النبات ولا في الحيوان ولا في الانسان كما ظهر بعد البحث المدقق لانهُ قد يضرُّ بتقوية بعض الصفات الضارة وقد ينفع بتقوية بعض الصفات النافعة فاذا جرى على اسلوب علمي لتقوية الصفات النافعة واضعاف الصفات الضارة فلا ضرر منهُ بل هو نافع كما هو معلوم في تربية المواشي لكن تبقى مسائل ادبية واجتماعية لا يصحُّ الاغضاء عنها وهي تدعو الى الامتناع عن التزوج بين الاقارب فضلاً عن ان الاحكام الدينية توجب هذا الامتناع

(٤) قتل هابيل

مصر . الخواجه ابرهيم سرومي لماذا سأل الرب قايين عن قتل هابيل ولم يسأل آدم عن ذلك

ج ان كان مرادكم ان الله خالق الكون تكلم مع قايين بلغتهِ وباحثهُ في هذا الموضوع كما يباحث الرجل صاحبهُ فلا نعلم السبب الذي دعاهُ لان يطرح هذا السؤال على

قايين ولا يطرحهُ على آدم ولا نظن ان احداً من العقلاء المخلصين يدَّعي انهُ يعرف مقاصد الله وما يدور في ذهنهِ . وان كان مرادكم لماذا قال كاتب سفر التكوين ان الله سأل قايين ولم يقل انهُ سأل آدم فالجواب سهل وهو ان الجريمة نسبت الى قايين ولم تنسب الى آدم ففي سؤالهِ توبيخ لهُ واظهار لذنبهِ

(٥) علامة قايين

ومنهُ . ما هي العلامة التي جعلها الرب لقايين لكي لا يقتلهُ كل من وجدهُ

ج يظن جمهور كبير من المفسرين ان العلامة المشار اليها شراسة بدت على وجه قايين حتى صار يهابهُ كل من يراهُ

(٦) استهلاك الدين

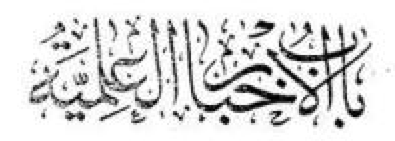
الاسكندرية . الخواجه وديع سمعان . نشرتم منذ سنوات في مقتطفكم حساب الفائظ والاستهلاك وذلك بان يؤخذ الفائظ عن سنة واحدة ويضرب في عدد السنوات بزيادة واحد ويؤخذ نصف الحاصل ويضاف على اصل الدين ويقسم المجموع على عدد السنوات فالخارج قيمة القسط السنوي . فاذا كان مبلغ الدين ٥٠٠٠ جنيه والسنوات عشراً والفائظ ٦ في المئة فيكون القسط السنوي ٦٦٥ ولدى ميزانيتها بالافراد نجدها في غاية الضبط على ان هذا الحساب لا ينطبق على حساب الفائظ والاستهلاك المعمول بهِ في البنوك بل يكون القسط في حساب البنوك اكثر منهُ فما اسباب ذلك وما هي الطريقة المعمول بها عندهم وايهما اصح

ج ان كانت القاعدة التي ذكرتموها منشورة في المقتطف فهي من غيرنا لا منا لانها غير صحيحة اما القاعدة الصحيحة فنشرت في الصفحة ٦١٧ من المجلد التاسع من المقتطف وهناك قاعدتان مؤداهما واحد وهو ان تجمع واحداً الى فائدة الغرش في السنة وتضرب المجموع في نفسهِ مراراً اقل من عدد السنين بواحد وتطرح واحداً من الحاصل وتقسم الباقي على فائدة الغرش وتحفظ الخارج لتقسم عليهِ . ثم تجد الفائدة المركبة للغرش في السنين المطلوبة وتضربها في المال نفسهِ وتقسم هذا الحاصل على الخارج الذي حفظتهُ اولاً فيخرج لك القسط المطلوب وتكون كيفية العمل في السؤال المفروض هكذا

$$\frac{5000 \times 1.06^{10}}{(1.06^{10} - 1) \div 0.06} = 679.3$$

وهو القسط السنوي المطلوب

وهذا ينطبق على الحساب المعمول بهِ في البنوك . والبنوك تعتمد على جداول مصنوعة لهذه الغاية واذا راجعتم هذه الجداول وجدتم ان العدد المذكور فيها للواحد اذا كانت الفائدة ٦ في المئة والمدة عشر سنوات هو ١٣٥٨٦٨٠ ,٠ . فاضربوا هذا العدد في ٥٠٠٠ يحصل ٦٧٩,٣٤



اوجه القمر في شهر مارس

	اليوم	الساعة	الدقيقة
الهلال	٠٦	٠٧	١٩ صباحاً
الربع الاول	١٤	١١	٠٠ "
البدر	٢١	٠٦	٥٦ "
الربع الاخير	٢٧	١١	٣٥ مساء

مواقع السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر ويكون نجم المساء في آخره

والزهرة نجم المساء ترى من ساعتين الى ثلاث بعد المغرب

والمريخ يشرق الساعة ١١ مساء في اول الشهر والساعة ٩ مساء في آخره

والمشتري نجم المساء الشهر كلهُ

وزحل لا يرى في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في الخامس عشر من الشهر

ويكون السرطان قرب سمت الرأس الساعة التاسعة مساء

عدد النجيمات

بلغ عدد النجيمات التي كشفت في العام الماضي ٢٧ وقد كان عددها في اول العام ٥٢١ فبلغ في آخره ٥٤٨

من لندن الى باريس في بالون

ركب المسيو جاك فور بالوناً في قصر البلور بمدينة لندن في الحادي عشر من شهر فبراير الساعة السادسة والدقيقة ٤٥ مساء وكان معهُ المسيو هوبر لاتام فارتفع بهما البالون حالاً خمس مئة متر وابقياه على هذا الارتفاع الى ان قاربا البحر فخفضاه هناك حتى وصل حبل كان معهما الى سطح الماء وتابعا السير بسرعة ١١٠ كيلومترات في الساعة الى الساعة العاشرة ورأيا حينئذٍ منارة تحتهما فرفعا البالون حتى صار على الفي متر فوق سطح البحر ومرّا حينئذٍ فوق مدينة ديَب ووصلا الى سن دنيس في ضواحي باريس الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٥ اي بعد قيامهما من مدينة لندن بست ساعات

الماسة الكبرى

وجد في منجم برمير اكبر ماسة بيضاء وجدت حتى الآن فان ثقلها ٣٠٣٢ قيراطاً اي ٦٧٦ غراماً وهي مستطيلة طولها احد عشر سنتمتراً وعرضها خمسة سنتمترات. ومنجم برمير هذا في بلاد الترانسفال على عشرين ميلاً من بريتوريا. واكبر ماسة وجدت قبلها

ماسة اكسلسيور وكان وزنها قبلما قطعت ٩٧١ قيراطاً وقدر ثمنها مليونًا من الجنيهات . اما الماسات الكبرى المعروفة قبلي الآن فاكبرها الماسة المعرفة بالمغول العظيم كان وزنها قبلما قطعت ٧٩٣ قيراطاً وصار بعده ٢٧٩ قيراطاً

آراءٌ جديدة في الراديوم

تليت مقالة في الجمعية الفلسفية الاميركية للاستاذ سنيدر قال فيها انهُ اكتشف الراديوم في غلاف الشمس فنسب نور الشمس وحرارتها الى وجود الراديوم فيها وقال انهُ علة الحرارة والنور في غير الشمس ايضاً من الاجرام السموية . ومن رأيهِ ان النجوم المتغيرة لا يحدث تغيرها من دوران نجم مظلم حول نجم منير واحتجاب المنير بالمظلم كما يُظن الآن بل من انبعاث نور الراديوم منها في ادوار مختلفة واستنتج ان الشمس نجم من النجوم المتغيرة ودور تغيرها احدى عشرة سنة وان ظهور الكلف على سطحها من نتائج افعال الراديوم

ومن رأي الاستاذ رذرفرد ان حرارة الارض مسبَّبة عن الراديوم فان الحرارة التي يمكن ان تحدث من تركُّب المواد كيماويًّا اقلُّ من الحرارة الموجودة الآن في الشمس والارض ولكن الراديوم والعناصر المشعَّة التي من نوعهِ تولّد من الحرارة اكثر مما تولده المواد الكيماوية مليون مرة والرطل من الراديوم يشعُّ في سنة واحدة من الحرارة مقدار ما يتولَّد من حرق مئة رطل من اجود انواع الفحم ويبقى الراديوم بعد مضيّ السنة كما كان في اولها من غير تغيُّر ظاهر فيهِ فيولّد من الحرارة في السنة التالية قدر ما ولّد في السنة الاولى وهكذا في الثالثة والرابعة وهلمَّ جرًّا مدة الف سنة من غير نقص ظاهر في مقدار الحرارة التي تتولد منهُ

وبيَّن الدكتور برنس ان اكثر من ثلاثة ارباع الحرارة التي تنبعث من الراديوم كانت مخزونة فيهِ وبيَّن السر وليم رمسي والمستر سودي ان جرم الاشعاع المجموع في غرام من الراديوم نحو مليمتر مكعب وهو اثقل من الهيدروجين مئة مرة وفي الرطل منهُ من القوة ما يساوي ثمانية آلاف حصان

والظاهر ان الحرارة المتولّدة من الراديوم حادثة من انحلال جواهرهِ وتولد مواد أُخرى منها وكل جواهرهِ معدَّة للانحلال فلا بدَّ من ان يتولَّد منها كل ما يمكن تولُّدهُ من الحرارة

وقد وجدت المواد المشعة التي من قبيل الراديوم منتشرة في كل مكان في قشرة الارض وكرة الهواء ومقاديرها قليلة جدًّا ولكن انتشارها عظيم جدًّا حتى ان كل نقطة من المطر وكل حبة من البَرَد وكل رقعة من الثلج تصل الى سطح الارض ومعها شيءٌ من المادَّة المشعَّة وكل ورقة من اوراق النبات مغطاة بقشرة رقيقة جدًّا من هذه المادة

والمواد المشعة التي في الهواء وصلت اليهِ

من الارض واذا كان الهواء محصوراً لا يتحرك كما في المغاير والكهوف فالمواد المشعة كثيرة فيهِ . وقد وجدت المواد المشعة من الراديوم في المياه الخارجة من اعماق الارض وفي مياه البحيرات وفي الزيت الخارج من الآبار والتراب نفسهُ لا يخلو من المواد المشعة ولاسيما اذا كان طفالاً

واذا كان الامر كذلك اي اذا كانت الارض تشعُّ المادة المعروفة بحرف ا من المواد التي تتولد من الراديوم فلا بدَّ من ان تشع منها الحرارة ايضاً فهل هذه الحرارة كافية لان يشعر بها والجواب نعم والحرارة التي تشع من الارض كلها تساوي الحرارة التي يمكن ان تتولد من مئتين وسبعين مليون طن من الراديوم . وهذا المقدار من الراديوم كبير جداً بالنسبة الى الدراهم القليلة التي امكن الحصول عليها حتى الآن ولكنهُ قليل جداً بالنسبة الى مقدار الفحم الحجري الذي يستخرج من الارض سنوياً . واذا وُزّع هذا المقدار من الراديوم على الارض كلها لم يبلغ سوى جزء من مئة مليون مليون جزء من الارض فهو قليل جداً بالنسبة الى الكرة الارضية . وقد ظهر بالبحث المدقق ان مقدار الراديوم الذي في تراب الارض لا يقل عن ذلك اي انهُ يوجد درهم منهُ في كل مئة مليون مليون درهم من التراب وقد يوجد اكثر من ذلك كثيراً في بعض الاماكن هذا فضلاً عن الاورانيوم والثوريوم وغيرهما من المواد المشعة وعليهِ ففي الارض من المواد المشعة ما تقوم حرارتهُ مقام الحرارة التي تنفقدها الارض بالاشعاع المتواصل

التلغراف الاثيري في الحرب

اراد كثيرون ان يسموا التلغراف الذي لاسلك لهُ بتلغراف مركوني نسبة الى المستنبط الاول ولكن شاع الآن تلغراف دفرست الاميركي كما شاع تلغراف مركوني او اكثر فصارت النسبة الى مركوني غير وافية بالمراد . ولقد سبقت جريدة التيمس غيرها الى استعمال تلغراف مركوني لنقل الاخبار من اميركا الى اوربا كما انبأنا في حينهِ ولكنها لم تستمر على ذلك لانهُ عرض لآلة مركوني ما منع ارسال الاخبار بها بين اميركا واوربا ثم ان جريدة التيمس عادت الى استعمال هذا التلغراف لنقل اخبار الحرب بين الروس واليابان واستعملت تلغراف دفرست لا تلغراف مركوني لانها وجدتهُ اسرع فان مستعملهُ يستطيع ان يرسل بهِ ٣٥ كلمة في الدقيقة واما تلغراف مركوني فلا يرسل بهِ اكثر من ١٠ كلمات او ١٢ كلمة في الدقيقة فوضعت آلتهُ في سفينة ترافق السفن اليابانية فارسلت اليها خبر اطلاق اول قنبلة على بورت آرثر ارسلتهُ اولاً الى واي هاي واي وارسل من هناك الى لندن بالتلغراف العادي فوصل اليها ونشر في جريدة التيمس

بعد اطلاق القنبلة بساعتين لا غير واذا أُعتبر حساب الوقت فيكون الخبر قد نشر في بلاد الانكليز قبل زمن حدوثهِ بست ساعات لان الفرق بين المكانين في الوقت ثماني ساعات . ولكن سهولة ارسال الاخبار بهذا التلغراف اوجبت على الروس واليابانيين ان يمنعوا جريدة التيمس من ارسال اخبارها بهِ

التطعيم ضد الكولرا الاسيوية

نشر الدكتور سترونغ مدير المعمل البيولوجي في منلاً نتيجة تجارب جربت للوقاية من الكولرا الاسيوية بالتطعيم وبحث في استعمال لقاح هفكن الذي جرب في الهند فاتى بفائدة كبيرة وانما اعترض على التلقيح بهِ بما يعقبهُ من رد الفعل الشديد فيبقى الملقح وهو يشعر بانزعاج مدة يومين او ثلاثة وقال انهُ استحضر لقاحاً اذا لقحت الحيوانات بهِ سلمت من الكولرا واذا لقح بهِ انسان لم يعقب التلقيح رد فعل شديد يصحبهُ انزعاج كما يصحب لقاح الدكتور هفكن

قدم العلم في سيلان

قال حاكم سيلان في اجتماع الجمعية الاسيوية الاخيران في سيلان كتباً قديمة من القرن السادس للميلاد وفيها وصف ٦٧ نوعاً من البعوض و ٤٢٤ نوعاً من الحميات الملارية المسببة عن البعوض. ولعلَّ المراد ٤٢٤ حادثة من حوادث الحمى الملارية ومهما يكن من ذلك فالامر واضح ان علماء الهند عرفوا علاقة البعوض بالحمى الملارية قبلما عرفها الاوربيون بالف وثلثمئة سنة كما ان كتَّاب العرب وصفوا مرض النوم قبلما وصفهُ الاوربيون بخمس مئة وخمسين سنة

ساعة تدور الفي سنة

استنبط ابن لورد ربلي ساعة تدور الفي سنة من غير تدوير والمحرك لها قطعة صغيرة من رق الذهب تكهربها قطعة صغيرة من الراديوم فتندفع عن الراديوم الى ان تلصق بجانب الاناء الذي هي فيهِ فتفقد كهربائيتها وتعود الى وضعها الاول ثم تتكهرب وتندفع فتخسر كهربائيتها وتعود الى وضعها الاول وهلمَّ جرًّا ومن رأي السر وليم رمسي ان هذه الساعة قد تكون من ادق الساعات وتدوم ما دام الراديوم فيها

لجنة الملوك

ستؤلف لجان يرئسها ملوك اوربا للنقب عن آثار هركولانيوم فيكون ملك الانكليز رئيس اللجنة الانكليزية وامبراطور المانيا رئيس اللجنة الالمانية وملك اسوج رئيس اللجنة الاسوجية والمسيو لوبه رئيس اللجنة الفرنسوية والمستر روزفلت رئيس اللجنة

الاميركية وملك ايطاليا رئيس اللجنة الايطالية ورئيس اللجنة الدولية التي تؤلف من هذه اللجان كلها وتجتمع في ايطاليا

منع الضرر من انقطاع اسلاك الترامواي

لا يخفى ان سلك الترامواي ينقطع احيانًا فيقع على فرس او انسان فيقتلهُ بالكهربائية . وقد قرأنا في السينتفك اميركان الآن ان بعضهم استنبط واسطة ينقطع بها المجرى الكهربائي عن السلك حالما ينقطع السلك وهي حلقة تتصل بكل قطعة من السلك ويبقى اتصالها مادام السلك مشدودًا فاذا انقطع ارتخى وزال الاتصال . فعسى ان تهتم الحكومة المصرية بذلك وتلزم شركة الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية باستعمال هذه الواسطة

كلفة الشمس

نبهنا المرصد الخديوي الى وجود كلفة كبيرة على قرص الشمس ترى بالعين المجرَّدة فنظرنا الشمس من وراء زجاجة مدخنة في الرابع من فبراير فرأينا عليها كلفة عظيمة جدًّا قرب مركزها ولا بدَّ من ان يكون لها علاقة بالاضطرابات الجوية التي حدثت في النصف الاول من شهر فبراير

معدن الكلسيوم

استخرج المسيو مواسان وشافان مقدارًا كبيرًا من معدن الكلسيوم الصرف فوجداهُ ابيض لماعًا يسحب اسلاكًا ثخن السلك منها نصف مليمتر وثقلهُ النوعي ١,٥٤٨ ويصهر عند الدرجة ٨١٠ بميزان سنتغراد . ولقد كان ثمن الاوقية من الكلسيوم المعدني تسعة جنيهات فصار ثمنها الآن نحو سبعة غروش

مدرسة علي غاره الجامعة

التأم زعماء المسلمين في مدينة لكنو ببلاد الهند وتذاكروا في تحويل مدرسة علي غاره الى مدرسة جامعة فاقرُّوا على ذلك واكتتبوا بسبعة الآف جنيه لهذا الغرض وافتتح رجا محمود اباد قائمة الاكتتاب بخمسة وثلاثين الف ربية اي بنحو الفين وخمس مئة جنيه

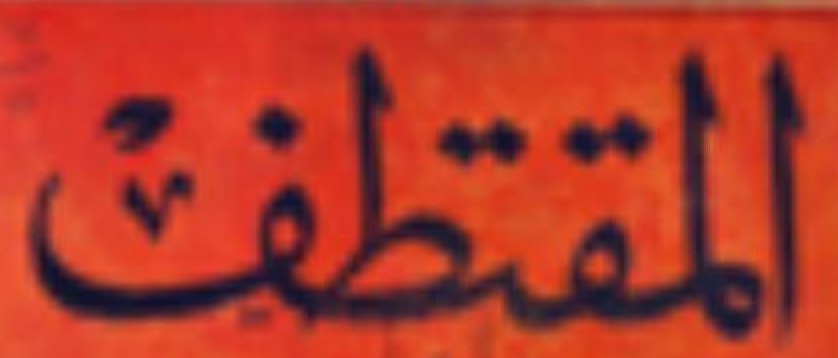
كرم ركفلر

بلغت نفقات مدرسة شيكاغو الجامعة في العام الماضي ٤٩ الف جنيه فدفعها المستر ركفلر ووعد بدفع مثلها هذا العام فوق اثني عشر الف جنيه دفعها لاصلاح اساليب التدفئة في تلك المدرسة

هبة كدمن

توفي رجل اسمهُ كدمن في مدينة بوستن باميركا ووجد في وصيتهِ انهُ اوصى لمدرسة هارفرد الجامعة ومستشفى مستشوستس بما يساوي مئتي الف جنيه

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثلاثين



December

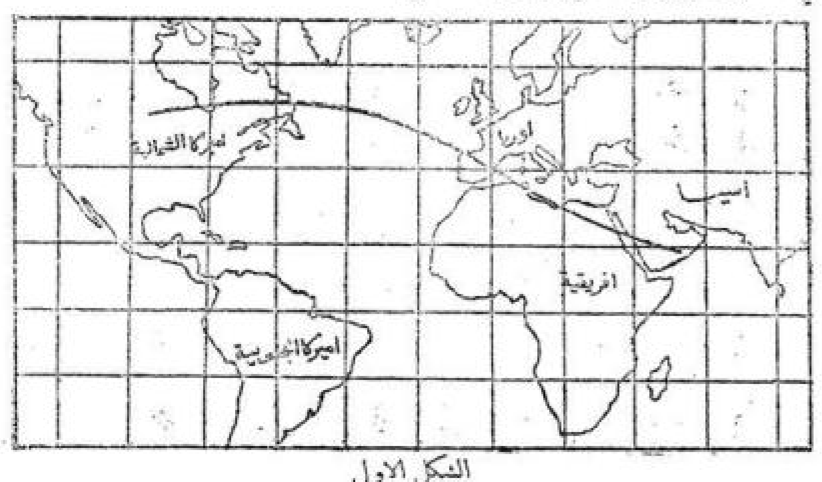


الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٦ محرم سنة ١٣٢٢

الكسوف المقبل

في الثلاثين من شهر اغسطس (آب) المقبل تكسف الشمس كسوفاً يرى تامًّا في كل البلدان التي يمرُّ فيها الخط الاسود المرسوم في الشكل التالي من اميركا الشمالية الى اسبانيا فبلاد الجزائر وتونس وطرابلس الغرب والقطر المصري قرب اصوان والبحر الاحمر وبلاد العرب وينتهي الكسوف في بلاد العرب بغياب الشمس هناك



الشكل الاول

وسيكون لهذا الكسوف شأن كبير جدًّا لانهُ يقع في اواسط الصيف حين يرجَّح ان تكون السماء صحواً غير محجوبة بالغيوم وحين يكون اكثر العلماء متفرغين من الاشتغال بالتدريس فلا يصعب عليهم السفر لرصدهِ. ولانهُ يرى في بلدان قريبة من مراكز العمران يسهل الوصول اليها والسفر فيها على رجال الرصد ويكون فيها قرب الظهر حين تكون الشمس مرتفعة لا تحول

الابخرة والاهوية الكثيفة بينها وبين آلات الرصد الأقرب اصوان فان الشمس تكون هناك على ٢٤ درجة فقط فوق الافق . ولان هذا الكسوف سيحدث والشمس في اشد درجات اضطرابها في الدور الذي تكون فيهِ النتوءات والكلف على اعظمها

ومدة الاختفاء التام طويلة تبلغ في بعض الاماكن ثلاث دقائق ونصف دقيقة او اكثر واقلها قرب اصوان دقيقتان وثلاث وثلاثون ثانية . ولا ينتظر ان يقع كسوف يماثلهُ في الاحدى عشرة سنة التالية كما ترى من هذا الجدول وقد ذُكرت فيهِ كل الكسوفات التي تقع فيها

التاريخ		دوام الكسوف التام	الاماكن التي يرى فيها تاماً
١٩٠٧	في ١٤ يناير	دقيقتان	جبال اورال واواسط اسيا و بلاد الصين
١٩٠٨	« ٣ «	٤ دقائق	الاوقيانوس الباسيفيكي
١٩٠٨	« ٢٣ دسمبر	لحظة	الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي
١٩٠٩	« ١٧ جون	دقيقة	غرينلندا والاصقاع القطبية شمالي سيبيريا
١٩١٠	« ٩ مايو	٤ دقائق	الاصقاع القطبية الجنوبية
١٩١١	« ٢٨ ابريل	٥ «	جزائر استراليا والاوقيانوس الباسيفيكي
١٩١٢	« ١٧ «	عشر دقيقة	اسبانيا ويكون حلقياً اكثر الوقت
١٩١٢	« ١٠ اكتوبر	دقيقة	فنزويلا و برازيل
١٩١٤	« ٢١ اغسطس	دقيقتان	غرينلندا واسوج ونروج وروسيا وايران
١٩١٦	« ٣ فبراير	«	الباسيفيكي و بناما و كولمبيا وفنزويلا وازورس

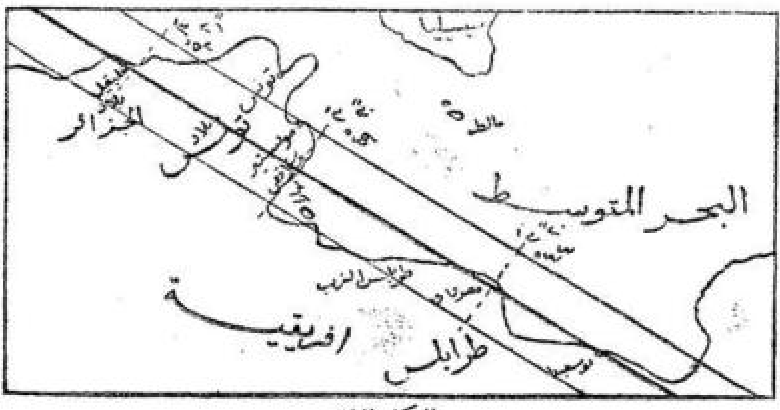
ويبتدئ الكسوف الكلي في اوفيدو باسبانيا بعيد الظهر ويدوم ثلاث دقائق واربعين ثانية ويدوم في بلنسية ثلاث دقائق وثلاثين ثانية وفي فيلبفيل بالجزائر ثلاث دقائق و ٣٦ ثانية وفي صفاقص بتونس ثلاث دقائق وثلاثين ثانية وفي مصرتا بطرابلس الغرب ثلاث دقائق وعشرين ثانية وفي شمالي اصوان دقيقتين و ٣٣ ثانية

وقد رسمنا في الشكل الثاني كل الاماكن التي يُرى فيها الكسوف تامًّا في بلاد الجزائر وتونس وطرابلس الغرب لكي يطلع عليها قراء المقتطف هناك اما في القطر المصري فحد الكسوف الكامل من شمالي اصوان الى ادفو وسنرسم لهُ رسماً مفصلاً في فرصة اخرى

وقد شرعت المراصد والجمعيات الكبيرة تستعدُّ لرصد هذا الكسوف في الاماكن التي يرى منها تامًّا وتتقاسم الاعمال حسب اهميتها فرصد لك الاميركي سيرسل وفدًا للرصد في لابرادور يفتش عن السيارات داخل فلك عطارد و يصوّر الاكليل الذي يرى حول قرص الشمس

وقت كسوفها صورًا فوتوغرافية كبيرة عسى ان تعلم حقيقتهُ وملابساتهُ

ويذهب المسترجون امرشد الى برغس في اسبانيا لتصوير الاكليل والكروموسفير بواسطة العاكس الموشوري · ويذهب الاستاذ كالندر والاستاذ فولر والمستر شكلتون الى اربوسا في اسبانيا ايضاً لرصد الاشعاع الاكليلي وتصوير الاماكن الحمراء والخضراء من طيف الكروموسفير والاكليل. ويذهب اليها وفد من مرصد لك الاميركي للبحث عن السيارات داخل فلك عطارد وتصوير الاكليل والكروموسفير صورًا فوتوغرافية كبيرة وتصوير طيفيهما. ويذهب السر نورمن لُكيَر والدكتور وليم لكير والمستر بطلر الى فيلبفيل في بلاد الجزائر لتصوير الكروموسفير والاكليل صورًا فوتوغرافية بآلة موشورية (فيها ثلاثة مواشير) وصورًا كبيرة



الشكل الثاني

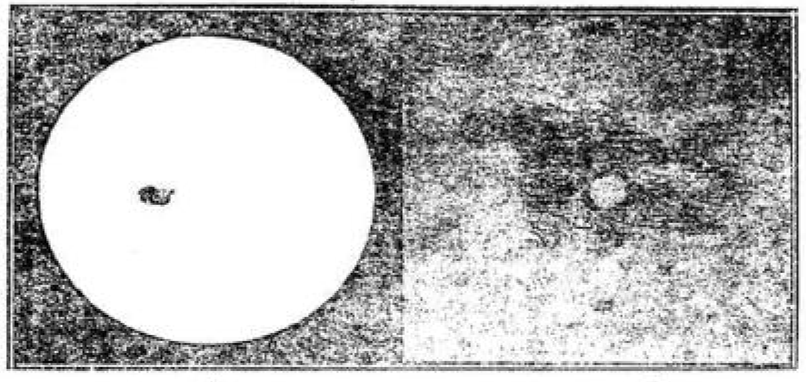
عن مواشير عاكسة ولتصوير الاكليل صورًا صغيرة . ويذهب المستر نيول الى بونا في الجزائر لاجل الارصاد الطيفيَّة والاستقطابية · ويذهب الراصد الملكي في بلاد الانكليز والمستر ديسن والمستر دافدسن الى صفاقص بتونس لتصوير الاكليل صورًا فوتوغرافية ولتصوير طيف الاكليل والفوتوسفير بسبكتروسكوب الماجور هل

ويأتي مصر الاستاذ ترنر والمستر بلي للارصاد الاستقطابية وتصوير الاكليل صورًا كبيرة · ويأتيها وفد من مرصد لك الاميركي للبحث عن السيارات داخل فلك عطارد وتصوير الاكليل صورًا كبيرة

ولا بدَّ من ان يذهب مدير المرصد الخديوي الى جهة قرب اصوان لرصد الكسوف منها وان ترسل فرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا وفودًا من اهل الرصد الى الاماكن التي يرى منها الكسوف تامًّا فتنجلي اكثر الغوامض المتعلقة بالشمس والقمر التي يمكن معرفتها بالرصد

كلف الشمس والخصب والجذب

ذكرنا في الجزء الماضي انهُ ظهرت كلفة كبيرة على وجه الشمس ترى بالعين المجردة لكبرها اذا وضع بين العين والشمس زجاجة ملونة او مدخَّنة لكي تضعف حرارة الشمس ما امكن. وقد نشرنا فصلاً مسهباً في آخر سنة ١٩٠٣ قيل فيهِ ان اضطراب الشمس سيبلغ اشدَّهُ بعد سنة من الزمان فتبلغ الكلف اعظمها . وقد صدق هذا القول تقريباً فظهرت كلفة على حد الشمس الشرقي في ٢٨ يناير الماضي. وفي الثلاثين من الشهر اتضح انها ستكون اعظم كلفة ظهرت على



الشكل الثاني الشكل الاول

الشمس في دور الكلف هذا وانها تماثل الكلفة التي ظهرت سنة ١٨٩٤ . وبلغت هذه الكلفة حد الشمس الغربي في العاشر من شهر فبراير ولما كانت على اكبرها بلغ اتساعها سبعين الف ميل فيكون قطرها اوسع من قطر الارض نحو تسع مرات وقد رسمت الارض في قلبها في الشكل الاول لترى نسبتها اليها كما رسمت وحدها في الشكل الثاني ليرى شكلها في الشمس

واول سوءال يخطر على البال هو ما هي هذه الكلف . والجواب ان الباحثين عنها ارتأوا بعد إعمال النظر انها ابخرة باردة تقع على وجه الشمس بعد صعودها عنها فانهُ يحدث اضطراب شديد في الشمس فتندفع الغازات والابخرة منها الى ابعاد شاسعة فوقها فتبرد هناك ثم تقع عليها ثانية فتظهر مظلمة وهي الكلف . واذا كان الامر كذلك فكثرة الكلف وكبرها دليل على شدَّة الاضطراب في الشمس وعلى ازدياد حرارتها

ويسبق ظهور الكلف ظهور نتوات على وجه الشمس يعلو بعضها مئة الف ميل او اكثر

وهي والكلف من قبيل واحد كما يتضح من مراجعة المقالة المشار اليها آنفاً

ومعلوم ان الشمس متسلطة على الارض لان كل مايصل الى الارض من الحرارة انما يأتيها من الشمس . والحرارة لازمة لحياة الحيوان والنبات ولولاها ما تحركت ريح ولا وقع مطر ولا نما نبات ولا عاش حيوان . فاذا كانت حرارة الشمس تتغير من وقت الى آخر فما يلزم عنها يجب ان يتغير ايضاً بتغيرها ولذلك قيل في المقالة المشار اليها آنفاً " ان كل ما يتعلق على حرارة الشمس يزيد بزيادة الكلف وينقص بنقصانها كالتغيرات المغنطيسية والكهربائية والشفق القطبي وحرارة الهواء وضغطهِ ورطوبتهِ وحركة الرياح ومقدار السحاب والمطر وفيضان الانهار وعدد ما ينكسر من السفن وما يفلس من البنوك وما يحل من المواسم وما يحدث من القحط والمجاعات والحروب بل عدد ما يطير من الحشرات وما يثور من البراكين وما يحدث من الزلازل . ويقال جملة ان الخصب والرخاء يتوقفان على كلف الشمس اكثر مما يتوقفان على غيرها "

فاذا كان للكلف هذا الشأن الكبير في مصالح الناس فهل لكثرتها وقلتها قانون تجري عليهِ حتى يسهل الانباء بكثرتها قبل حدوثها وهل التغيرات المشار اليها آنفاً تابعة لكثرة الكلف وقلتها لا لشيء آخر . والجواب عن السؤَال الاول اي عن القانون الذي تجري عليهِ كلف الشمس في ادوار كثرتها وقلتها ان هذا القانون موجود يكاد يكون معروفاً الآن وهو ان لزيادة الكلف دوراً يدور كل احدى عشرة سنة او اثنتي عشرة سنة ودوراً آخر يعود كل اربع وثلاثين سنة او خمس وثلاثين سنة اي انهُ مساوٍ لثلاثة ادوار من الادوار الاولى . ومن المحتمل ان يكون لها دور ثالث يقع مرة كل مئة وثلاث سنوات اي انهُ مركَّب من ثلاثة ادوار من الادوار السابقة وهذا الدور الاخير لم يشاهد حتى الآن لقرب الزمن الذي رُصدت فيهِ كلف الشمس

والجواب عن السؤَال الثاني ان التغيرات المشار اليها آنفاً تتعلّق بكلف الشمس وبغيرها مما ينتج عن اضطراب الشمس او ازدياد حرارتها . فاضطراب الشمس هو السبب الاصلي والكلف نتيجة عنهُ او علامة ظاهرة لهُ وكذلك النتوات التي تكثر وتقلّ على وجه الشمس كما تكثر الكلف وتقلّ وهي لم ترصد الاَّ منذ عهد قريب فلا تعلم ادوارها الكبيرة بالتحقيق كما تعلم ادوار الكلف ولكن تبين من رصدها ان لها دوراً آخر قصيراً وهو نحو اربع سنوات وعند التدقيق ثلاث سنوات وثمانية اعشار السنة . والظاهر ان للكلف دوراً قصيراً مثل هذا فيكون الدور الاول من ادوار الاضطراب ثلاث سنوات وثمانية اعشار السنة . والدور الثاني مركَّب من ثلاثة ادوار من الدور الاول اي احدى عشرة سنة واربعة اعشار السنة . والدور الثالث

مركب من ثلاثة ادوار من الدور الثاني اي اربع وثلاثون سنة وعشرا السنة

ثم ظهر من الارصاد الجوية ان تغير ضغط الهواء من سنة الى اخرى المدلول عليهِ بالبارومتر وما ينتج عنهُ من كثرة الامطار وقلتها يكون في ادوار مثل ادوار كلف الشمس وتنواتها وهذا هو المنتظر لان كل التغيرات الجوية متوقفة على حرارة الشمس ولو كان سطح الارض مغموراً كلهُ بالبحر او كان كلهُ براً مستوياً لوجدنا انتظاماً تاماً بين حرارة الشمس وما يحدث في الارض من التغيرات الجوية. ولكن تكوُّن وجه الارض من برٍ وبحرٍ وعدم الانتظام في حدودهما واختلاف البر في درجات ارتفاعهِ وفي ما يغطي سطحهُ كل ذلك يدعو الى منع الانتظام في سير التغيرات الجوية الناتجة من فعل حرارة الشمس بهواء الارض ومائها . ومع ذلك لا يخلو الامر من شيء من الانتظام فالمطر في الجهات الجنوبية الغربية من بلاد الهند موافق لضغط الهواء فالسنين التي يقل فيها ضغط الهواء كما يعلم بالبارومتر يكثر فيها وقوع المطر والسنين التي يزيد فيها ضغط الهواء يقل فيها وقوع المطر. ففي سنة ١٨٧٩ كان ضغط الهواء قليلاً وكان المطر كثيراً . وسنة ١٨٨٢ كان ضغط الهواء كثيراً وكان المطر قليلاً وسنة ١٨٩٢ كان ضغط الهواء قليلاً وكان المطر كثيراً

ويتضح من مراجعة الارصاد القديمة من اواسط القرن الماضي الى الآن ان هيجان الشمس كان على اشدهِ والامطار على اكثرها حوالي سنة ١٨٤٢ و١٨٧٧ فسيكونان كذلك حوالي سنة ١٩١١ وان الهيجان كان على اضعفهِ والمطر على اقلهِ سنة ١٨٦٦ وسنة ١٩٠٠ . فاذا كانت ارصاد الشمس والجو في السنين التالية تؤيد النتائج المتقدمة فتكون قد جاءت بفائدة لا تقدَّر

الاَّ ان ما يحدث في نصف الكرة الشرقي الذي يشمل غربي اسيا وجنوبيها وغربي اوربا وجنوبيها واستراليا كلها وافريقية كلها ما عدا طرفها الغربي يحدث ما يخالفهُ في الشمال الشرقي من اوربا واسيا وفي اميركا الجنوبية والشمالية ما عدا طرفها الشمالي وهذا امرٌ لا بدَّ منهُ لان مقدار الهواء المحيط بالارض واحد لا يزيد ولا ينقص فاذا تراكم في نصف الكرة الشرقي وجب ان يقلَّ في نصف الكرة الغربي . ولكن لماذا يتراكم في نصف الكرة الشرقي ويقلُّ في النصف الغربي اذا زاد اضطراب الشمس ؟ هذه مسألة لا نرى لها وجهاً وجيهاً غير كثرة البر في النصف الشرقي وقلتهِ في النصف الغربي فاذا زادت حرارة الشمس بزيادة الاضطراب فيها زاد ما يصل منها الى نصف الكرة الشرقي والغربي لكن الشرقي يشع من الحرارة اكثر مما يشع الغربي لكثرة البر فيهِ واتساع سطحهِ بما فيهِ من المرتفعات والمنخفضات فيتلطف هواؤُهُ ويقل ثقلهُ وضغطهُ فتكون قلة ضغط الهواء فيهِ تابعةً لزيادة الاضطراب في الشمس . وسواء

صحَّ هذا التعليل او لم يصحَّ فالامر المرجح الآن ان كثرة الامطار في افريقية وفي بلاد الهند وافغانستان وايران وبلاد العرب وبلاد الترك واكثر اسيا واوربا ما عدا شماليهما تابعة لكثرة الكلف على وجه الشمس . والذي يهمنا بنوع خاص في هذا القطر والقطر الشامي فيضان النيل هنا ووقوع المطر في الشام فاذا كانا تابعين لكلف الشمس فيكون الانباء بما سيكونان عليهِ في السنين المقبلة في حيز الامكان . وعليهِ فالامطار كانت غزيرة هذه السنة في بلاد الشام وستبقى غزيرة في السنوات الخمس او الست التالية وسيكون فيضان النيل غزيرًا هذا العام وفي الاعوام الخمسة او الستة التالية لاننا الآن في بداءة الدور الكبير الذي يتكرر كل اربع وثلاثين سنة او خمس وثلاثين سنة والمنتظر ان يدوم هذا الدور خمس سنوات او ستًّا

وقد راجعنا جدول فيضان النيل من زمن الفتح الى الآن لعلنا نجد فيهِ ما ينطبق على القواعد المتقدمة فوجدنا ان الفيضانات الكبيرة كانت سنة ٢٨ للهجرة و١٣٤ و ٢٤١ و٣٤٢ و٤٤٣ و٥٥٢ و٦٥٧ و ٧٦١ وذلك ينطبق على الدور الرابع الذي يعدل نحو مئة سنة وثلاث سنوات ولم يذكر قياس النيل من سنة ٨٥٥ للهجرة الى سنة ١٠٠١ الاَّ في سنين متفرقة وبلغت الزيادة مبلغاً عظيماً سنة ٤١ و٥١ و٦١ و٧٣ و٨٩ و١٠٠ و١١٢ و١٢٤ الخ وذلك ينطبق على الدور الثاني وكذلك في سنة ١٠٠ و١٣٤ و١٧٠ وهذا ينطبق على الدور الثالث ولكن هناك سنين كثيرة لا تنطبق على هذه القواعد . ولا يصح الاعتماد على نهاية ما بلغهُ الفيضان من غير ان تعرف المدة التي بقي فيها النيل مرتفعاً اي يجب ان يعرف مقدار ما جرى فيهِ من مياه الفيضان لكي يكون الحساب صحيحاً وهذا لا سبيل الى معرفتهِ من القياسات القديمة اما الآن فلم يعد قياس ما يجري في النيل من مياه الفيضان متعذرًا ولذلك ينتظر ان يُعتنى بهذا القياس اعتناء خاصاً توصلاً الى القاعدة التي يجري عليها النيل في فيضانهِ ولا سيما بعد ان اعتُني بالارصاد الجوية والفلكية

وجملة القول ان مراقبة كلف الشمس ونتوآتها واحوال الجو ستؤدي الى اكتشاف القواعد التي يتغير "الطقس" بموجبها في اكثر المعمورة فتزول عن علم الفلك تهمة طالما اتُّهم بها وهو انهُ كثير القواعد قليل الفوائد

تطهير الماء بالنحاس

افتتحنا مقتطف هذا العام بخبر اكتشاف لهُ الشأن الاكبر في تدبير صحة المدن . فان المدن الكبيرة التي ليس فيها نهر كبير كنهر النيل تذوق الامرين في جلب المياه وحفظها نقية لانها اذا ركدت قليلاً في الحياض تكوَّن فيها الطحلب واسنت فتصير كريهة الطعم خبيثة الرائحة تجلب الضرَّ على شاربها

والذي يفسد الماء الراكد نبات صغير جدًّا يخضرُّ بهِ لون الماء ويفرز مادَّة زيتية مرة خبيثة الرائحة. وقد وُجد ان القليل من الشب الازرق (كبريتات النحاس) يميت هذا النبات ويمنع تكونهُ ثانية ويطهر الماء منهُ . ووجدوا ان الدرهم من الشب الازرق يكفي لتطهير مئة متر مكعب من الماء في ثلاثة ايام او اربعة ويبقى الماء صالحاً للشرب وصالحاً لان تنمو فيهِ النباتات الكبيرة كالجرجير ونحوهِ . ولا يكون مقدار النحاس فيهِ اكثر مما يكون في اكثر الاطعمة. واذا زاد مقدار الشب الازرق حتى صار درهماً لكل ستة قناطير من الماء قتل ميكروبات الكوليرا والتيفويد في ثلاث ساعات او اربع . وقد وُضع اربعة آلاف ميكروب من ميكروب التيفويد في اناء من الماء وغطّس في الماء قدَّة صغيرة من النحاس فماتت ميكروبات التيفويد كلها في اربع ساعات

واول سؤَال يخطر على البال هو ان النحاس سامٌّ ولذلك يميت الميكروبات أفلا يضر الماء المطهر بهِ بالذين يشربونهُ . وقد عُرض هذا السؤَال على جمهور من كبار الاطباء فاجابوا ان المقادير القليلة التي تكون في الماء لا يحتمل انها تضرُّ شاربيهِ فان النحاس موجود عادةً في كثير من الاطعمة وهو كثير في البازلاَّ المحفوظة في العلب لان لونها الاخضر حاصل من النحاس الذي يضاف اليها وهو فيها اضعاف اضعاف ما يكون في الماء بل قد يكون في الرطل منها اكثر مما يكون في الف رطل من الماء المطهر بالشب الازرق ومع ذلك فالذين يأكلونها لا يتضرَّرون بها. والاطعمة التي تطبخ في آنية نحاسية يكون فيها من النحاس اكثر مما يكون في الماء المطهر بالنحاس ومع ذلك فاكثر الناس يطبخون طعامهم في الآنية النحاسية

وكان المظنون ان النحاس يبقى في الجسم من يوم الى يوم ويتراكم فيهِ ولكن التجارب لم تؤَيد ذلك فالقليل الذي يدخل الجسم منهُ اليوم لا يبقى فيهِ حتى يضاف الى القليل الذي يدخل الجسم غداً كما هي الحال في بعض السموم ولذلك فليس من استعمالهِ لتطهير ماء الشرب اقل ضرر . وعسى ان تنتبه ادارة الصحة المصرية الى ذلك وتستعمل املاح النحاس في تطهير المستنقعات ومياه الشرب

نبأ من اليابان

اخلاق امبراطورها

كل ما ننشره من اخبار اليابان الموثوق بها انما نقصد من نشره العظة والذكرى . وقد عثرنا الآن على مقالة في اخلاق امبراطور اليابان بقلم البارون سوماتسو احد وزرائه السابقين نشرها في مجلة لندن فاقتطفنا منها ما يأتي تذكرةً لملوكنا وامرائنا . قال الكاتب ما تعريبهُ

ان كلمة ميكادو لقب يطلقهُ الاجانب عادة على امبراطورنا وهي لفظة يابانية ولكن اليابانيين قلما يستعملونها والغالب انهم يستعملون كلمة تنو هيكا ومعنى تنو امبراطور ومعنى هيكا جلالة . ويلقَّب في الكتابات الرسمية بلقب كوتاي اي الامبراطور . واسمهُ الخاص مُتسوهيتو

وليس للعائلة المالكة في اليابان اسم خاص بها مثل بيت رومانوف في روسيا وبيت هبسبرج في النمسا وبيت هوهنزولرن في المانيا لان اسرتهُ قديمة جدًّا تسلطت على بلاد اليابان قبلما تسمت الاسر باسماء خاصةً بها

رقي عرش الملك منذ سبع وثلاثين سنة وذلك في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٧ وأُلغي حينئذٍ النظام الاقطاعي من بلاد اليابان وسمي العصر الجديد الذي يبتدئ من ذلك التاريخ بعصر الميجي اي عصر الاستنارة او عصر الحكم المستنير وتطلق كلمة ميجي على كل سنة من سني ملكهِ فيقال الميجي الثالثة او الرابعة يعني السنة الثالثة او الرابعة من ملكهِ

وقد كان عمرهُ ست عشرة سنة لما توفي ابوهُ وكانت البلاد في اشد الاضطراب تخاض النار قبلما جلس على عرش الملك فان واقعةً دموية شديدة وقعت في مدينة توكيو قبل جلوسهِ وخيَّم رصاص البنادق على قصرهِ قبلما استتبَّ لهُ الامر فيهِ . فلم يكن من الامراء الذين ربوا في النعيم ورقوا سدَّة الملك آمنين . وهو لا يمتاز على غيرهِ من امرائنا من هذا القبيل فانهم كلهم يربون تربية صارمة تعوّدهم تحمُّل المشاق والابتعاد عن الترفُّه والتراخي . وهو آية في الذكاء والاجتهاد فيكثر من المطالعة والدرس ولذلك تراه مطلعًا في كل الامور ولهُ المام بكل شيء

ولما رقي عرش الملك كان حولهُ كثيرون من كبار رجال السياسة ودهاتها ولا سيما اثنان كان ينظر الى كل منهما نظر الولد الى والدهِ والتلميذ الى معلمهِ وهما البرنس سنجيو والبرنس ايوا كورا والثاني منهما أُنفذ سفيرًا الى اوربا واميركا منذ ثلاث وثلاثين سنة والاول توفي منذ ١٦ سنة والثاني منذ ٨ سنوات . وبارشاد هذين الوزيرين وغيرهما من الرجال العظام

الذين ارتقوا في زمن الثورة الاهلية بعد ان درسوا في اوربا واميركا وعلموا الآراء الاوربية الحديثة تشرّب مناهج الحكم الدستوري واصوله التي يُبنى عليها فقلب ادارة البلاد من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيَّد

وليس من غرضي الآن ان اذكر كل ضروب الاصلاح التي شملت فروع الادارة المختلفة في عهده لان ذلك يقتضي مجلدات كبيرة وانما اقول ان امبراطورنا مثال الحاكم الدستوري فهو على ذكاء عقلهِ وسعة اطلاعهِ لا يستبدُّ برأيهِ ولا يحاول ان يغلّب رأيهُ على رأي رجال حكومتهِ بل شأنهُ التوفيق بينها وبين مصالح مملكتهِ واذا رأى جلَبة لا يحسن الاصغاء اليها ولا هي في مصلحة بلادهِ عرف كيف يتجنبها ويغلّب الحكمة والسداد على الطيش والتهوُّر

يقوم في الصباح كل يوم ويجلس في مكتبهِ الى ما بعد الظهر ينظر في شؤُون المملكة المختلفة . وهو على تمام الخبرة بها ولا سيما الحربية والبحرية . ولا يوقع امرًا قبلما يطالعهُ ويناقش وزراءه فيهِ وقد يبين لهم انهُ ناسخ او مناقض لامر آخر سابق له ولذلك يشعر وزراؤه انهُ اخبر منهم في شؤُون المملكة فيبذلون الجهد في البحث والتحري قبلما يعرضون عليهِ امرًا

ويطالع بنفسهِ كثيرًا من جرائد بلادهِ فلا يخفى عليهِ امر هامٌ مما يذكر فيها ولكنهُ لا يهتم بشيء يرجف بهِ المرجفون . فيميز الغث من السمين حالاً ولا يُخدَع باكاذيب الوشاة اذا اتهموا احدًا من رجالهِ وهو يعلم اخلاصهم لبلادهم . ويهتمُّ اهتمامًا شديدًا بما يجري في الممالك الاخرى لكي يستفيد منهُ ما يُصلح بهِ حال بلادهِ

وهو القائد العام للجنود البرية والبحرية ولقد كانت القيادة العامة لاسرتهِ قبلما غلبها الشوغن على امرها واستقلَّ بادارة الجيوش تاركًا لها السلطة الاسمية . وكثيرًا ما كان اسلافهُ يخرجون الى الحرب ويقودون الجيوش بانفسهم بل كثيرًا ما كانت الملكات انفسهنَّ يخرجن الى الحرب في قيادة الجيوش فلما ثُلَّ عرش الشوغن عادت قيادة الجيش الى الامبراطور . ولا يجري استعراض كبير في البلاد الاَّ وهو مشارك فيهِ فيركب جوادهُ يومًا بعد يوم او يقف على رابية يطلع منها على حركات الجيش ولو تحت المطر ولا يستظل بمظلة

وهو مغرم بالخيل وركوبها وتراه يبذل جهدهُ في حمل رجالهِ على الاهتمام بتربية الصوافن الجياد وعلى المنافسة بركوبها وفي ضواحي يوكاهاما ميدان لسباق الخيل يحضره بنفسهِ ترغيبًا للناس في اقتنائها

وهو من الشعراء المعدودين وقد ينظم اربع قصائد او خمسًا في اليوم لتوقد قريحتهِ . ونَظْم الشعر معدود في بلاد اليابان من كمالات الملوك والامراء . ولا ينشر من اشعارهِ الاَّ ما كان

منها في موضوع وطني عام كقولهِ ما ترجمتهُ

"كلما فتحت كتب الاوائل فكّرت في احوال الشعب الذي املكهُ"

وشعر من هذا القبيل لا بدَّ ان يزيد تعلّق رعيتهِ بهِ ولقد ظهر هذا التعلق على اشدهِ في الحرب الحاضرة . والملك والمملكة شيء واحد في عرف اليابانيين فكل من يحب بلادهُ يحب ملكها ايضاً وحب الوطن والولاء للملك شيء واحد عندنا

وهو مثل سائر الناس من حيث الاميال الشخصية ولكنهُ يتسلط على امياله ولا يدعها تقف في سبيل ما يجب عليهِ لبلادهِ حينما يختار وزراءهُ او يقيلهم . وخلاصة القول انهُ يعرف ما يجب على الملك الدستوري ويعمل بهِ وليس عندهُ باب للصنيعة يدخل منهُ احد وهذا امر معروف مشهور في البلاد كلها طولاً وعرضاً فلا يتجاسر احد ان يطلب منهُ شيئاً مهما كانت دالتهُ عليهِ ولكن اذا خدم احد وطنهُ خدمةً صادقة فهو اول من يعترف لهُ بهذه الخدمة . ومن امثلة ذلك انهُ عاد البرنس سنجيو والبرنس ايوا كورا في منزليهما قبلما توفيا وذلك تنازل عظيم جدًّا في بلاد اليابان وان لم يظهر كذلك في اوربا . ومنها ان سيغو الاكبر كان من اعاظم الرجال الذين خدموا بلادهم ثم انضمَّ الى الثائرين ونشر معهم راية العصيان ومات زعيماً لهم وعرف الامبراطور ان الرجل مخلص في عملهِ ولو كان مخطئاً وغرضهُ خدمة وطنهِ لا غير فعفا عنهُ وعن غيرهِ من المشاركين لهُ في العصيان حينما سنَّ الدستور ثم انعم على ابنهِ بلقب مركيز اعترافاً بخدم ابيهِ السابقة . ومنها انهُ منح لقب برنس لواحد من بيت الشوغن كان من جملة زعماء العصاة لانهُ بلغهُ انهُ لم يتطرَّف في مقاومتهِ بل كان ميَّالاً الى المسالمة . وذلك من الامثلة الدالة على رحب صدرهِ وحسن نظرهِ . وهذا البرنس يرأس الآن مجلس الاعيان وقد درس في انكلترا منذ اكثر من عشرين سنة ولا يزال مذكوراً فيها وهو الآن من اشد الناس ولاء للعرش الامبراطوري . ولذلك لم يبقَ في بلاد اليابان اثر للسلطة التي كانت مناظرة لسلطة الامبراطور

والامبراطور يدين بالديانة الشنيتية ديانة آبائهِ واجدادهِ ولكنهُ اطلق الحرية لكل رعاياهُ ليدينوا كما يشاؤون

وهو على حبهِ للحربية والبحرية لا يرغب في الحروب والفتوح وانما رغبتهُ متجهة الى تنشيط العلوم والفنون وتراهُ يرسل خواصهُ الى المعارض الفنية ليبتاعوا لهُ مما يعرض فيها تنشيطاً لاصحابها وقد يزورها بنفسهِ وهو والامبراطورة زوجتهُ والَّا فلا بدَّ من ان يزورها احد اعضاء العائلة الامبراطورية بالنيابة عنهما . وعندهُ اراض واسعة للصيد يدعو الخواص اليها ليصطادوا فيها . وانشأ عيدين وطنيين عيد زهر الكرز وعيد زهر الاقحوان احدها في الربيع والآخر

في الخريف وهو يدعو فيهما كثيرين من الاهالي والاجانب رجالاً ونساء الى الجنائن الملكية في هما واكاساكا ويحضر اليها بنفسهِ هو والامبراطورة واهل البلاط

ومما يعني بهِ ايضاً الاعمال الخيرية وما يخلّد بهِ مجد الوطن فقد جعل جمعية الصليب الاحمر تحت حمايتهِ الخاصة وحماية الامبراطورة وانشأ دارين تجمع فيهما غنائم الحروب كالآثار التي غنمها اليابانيون من بلاد الصين والاعلام التي مزقها الرصاص ولم يطرحها الجنود من ايديهم وصور القواد والضباط والجنود الذين استبسلوا في خدمة وطنهم وأُسمح لتلامذة المدارس ان يزوروا هذين المعرضين دواماً لكي يشبوا على حب المجد والفخار وكل ما يعلو بهِ شأن الوطن

حقيقة الدين

من عهد ايزيسٍ وايزيريسا قبل المسيح وقبل شرعةِ موسى
بل قبلَ ذاك الناسُ دانوا بالذي دانوا وقد كان المجوس مجوسا
دان الفراعنُ قبل موسى وارتدى بالدينِ بوذا قبل مظهر عيسى
مذ كان خلقُ الناس كان الدين في ارواحهم متأصلاً مغروسا
فضوا بهِ شتى المذاهب شُرَّداً يتخبطون دجنةً ديموسا
كثرت لهم وتجنست اربابهم فلو استوت جيشاً لكان خميسا
ما زال حبُّ الذاتِ يعمل فيهمِ حتى ادَّعوا لملوكهم تقديسا
فأبوا لهم الاَّ النبوة منزلاً وأبوا لهم الاَّ التألّهَ خيسا
واذا بلغتَ من الخبيء رأيتَ ما عبدوهُ شيئاً واحداً تأسيسا
رمزوا بهِ عن جوهرٍ مترفعٍ يحتاط ارواحاً لهم ونفوسا
فتصوروهُ لمبةً مشبوبةً وتخيلوهُ اشعةً وشموسا
ورأوا بهِ عظم العظائم كلها والحسن اجمع والحجى والبوسا
فالزهرة الحسنا وميليتا وعشتاروت والعزّى الى ايزيسا
هبلٌ وبعلٌ قبلهُ وامون مع ديسارس نينوس مع جاويسا
والشمس والقمر المنير وانجم سعطت ونيران تشبُّ قبوسا
هي رمزُ شيءٍ واحدٍ ولو انهم قد اكثروا التنويعَ والتجنيسا
معناهُ أَنَّ وراء علمك علةً ما زال فهمك دونها محبوسا

فاربأ بنفسك عن مقالٍ قالهُ ... اهل التحولِ خالف المحسوسا
اخذوا بطارقة الخوارق وانثنوا ... يتخرصون دوارساً ودروسا
وذرِ التكهن والتعرف والرقى ... والسحرَ والتنجيمَ والتمجيسا
والجن والاملاك طرًّا والذي ... يدعونهُ في عرفهم ابليسا
واعمد الى الوجدان لاتعدل بهِ ... شيئاً ولو مطر الغمام طقوسا
فالدين ما سنَّ الضمير محذرًا ... يومًا على المتعطلين عبوسا
جلَّ الذي خلق الوجود واوجد الانسان حرًّا مثلهُ قدوسا
ان شاء نال كما يشاء سعادةً ... او شاء كان كما يشاء تعيسا
واذا نظرتَ الى الوجود رأيتهُ ... بالحب يحيا سائساً ومسوسا
ورأيت حبَّ الذات فيهِ لم يزل ... من يوم ربك للبقا ناموسا
والناس لولا حبهم للذات ما ... شربوا على بعض الامور كؤوسا
وبغير صرح الدين عند اليأس لا ... تجد النفوس معاذها مأنوسا
قالوا المجرب خير من وصف الدوا ... اني لذاك تخذ بقولي تُوسا
فانا الذي اتخذ المصائب خلةً ... واليأس خدناً والعذاب جليسا
والدين آخر ما يزول اذا اغتدت ... هذه العوالم ظلمةً حنديسا

تامر ملاَّط

اخلاق الشعراء

الشعر ديوان الامة وعنوان ادبها وبرهان اخلاقها وجامع تاريخها لهُ بين كل قوم مظهر وعند كل قبيل منزع . فان امتاز شعر الالمان بانهُ مباءة الحكمة ومدرك العقل الفعّال واشتهر شعر الانكليز بجودة بحثهِ في الاخلاق والاجتماعات واختص شعر الفرنسيس بالنسيب والتشبيب ووصف الطبيعة فاحسن ما أُثر عن العرب في الجاهلية والاسلام شعر الحماسة والمديح والهجاء ضروب من الشعر يرى فيها الناظر اكبر دليل على الاخلاق في كل عصر وخصوصاً في القرون الاخيرة · وقد زاد الشعراء الى رداءة التعبير والتصوير فساد القلب واختلال الضمير فكان ذلك منهم حشفاً وسوء كيلة

ان صحَّ ان التلوُّن في المشرب مستحكم من فئة فالشعراء في مقدمة من تغلب عليهم المطامع

ويحاولون بالفضول دزك المأمول فيلبسون الباطل شعار الحق و يوغلون في المبالغة الغثة الباردة.
قال لي احد الافاضل يوماً لو كان لي من الامر شيء لسللت السن الشعراء الاَّ قليلاً لانهم سنوا سُنَّة الكذب فعظموا ممدوحيهم ورفعوا اقدارهم الى ما لم يكن لهم في حسبان بلغوا بالملوك منازل الربوبية واثبتوا لهم العظمة والكمال واوهموهم ان في حياتهم حياة الوف الالوف من البشر وانهُ لا يستقيم الوجود بدون وجودهم الى ما ضارع ذلك من الاباطيل والاضاليل وراح بعضهم يتعذر بان اللّها تفتح اللّهي وان الانسان عبيد الاحسان

لا ارحمُ الشعراء كلما رأيت العظماء يرهقونهم بما قدمتهُ ايديهم اذ قد اكسبوهم العزة والجبروت ومشوا كدوَّارة الهواء ذات اليمين وذات الشمال. ومَن اعان ظالماً سلطهُ الله عليهِ. ولطالما سيم زعماء القريض سوء العذاب وقلَّب لهم زعماء الحكم في حال غضبهم ظهر المجن. فكانوا من الاخسرين اعمالاً . رثى الفرزدق الحجاج ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك ولما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وامرهُ بقتل آل ابي عقيل فقتلهم فانشأ الفرزدق يقول :

لئن نفر الحجاج آل معتّبٍ	لقوا دولة كان العدو يرى لها
لقد اصبح الاحياء منهم اذلةً	وموتاهم في النار كلحاً سبالها [1]
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم	فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتقِ الله شمرت	بهِ عزةٌ لا يستطاع جدالها
أَلكني [2] الى من كان بالصين اذ رمت	بهِ الهند الواحاً عليها جلالها
هلمَّ الى الاسلام والعدل عندنا	فقد مات من ارض العراق جبالها
الا تشكرون الله اذا فك عنكم	اداهم [3] بالمهديّ صماً قفالها
وشيمت بهِ عنكم سيوف عليكم	صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ انتمُ من لم يقل هو كافر	تردى نهاراً عثرة لا يُقالها

قال ابن عباس فقلت للفرزدق ما ادري باي قوليك نأخذ أَبمدحك الحجاج في حياتهِ ام هجوك لهُ بعد موتهِ. قال انما نكون مع احدهم ما كان الله معهُ فاذا تخلى عنهُ تخلينا عنهُ [4] هذا

---

(١) كلح كمنع كلوحاً وكلاحاً تكشر في عبوس والسبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفهُ او مجتمع الشاربين او ما على الذقن الى طرف اللحية كلها او مقدمها خاصة جمع سبال
(٢) قال ابن الانباري الكني الى فلان يراد بهِ ارسلني من الألوكة وهي الرسالة (٣) الاداهم جمع ادهم وهو القيد
(٤) اعتمدت في اكثر هذه الاخبار على روايات الكامل لابن الاثير . والكامل للمبرّد والعقد الفريد لابن عبد ربه

والفرزدق كان ميمون النقيبة شهد له يزيد بن المهلّب بانهُ ما رأى اشرف نفساً منهُ هجاهُ ملكاً ومدحهُ سوقةً . اما الحجاج فهو الذي اجمعت الامة على انهُ من اظلم الامراء وفيهِ يقول احد واصفيهِ لو فاضلت كل امة بمنافقيها لفضلناهم بالحجاج . قيل ان مَن قتل الحجاج صبرًا مائة وعشرون الفاً وقيل عُرِضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين الفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . فهل يؤوّل ما صدر عن الفرزدق بغير الطمع الاشعبي الذي يولي الشعراء وجهتهم اليهِ انى تراءى لهم

قيل للخزيمي ما بال مدائحك لمحمد بن منصور احسن من مراثيك قال كنا حينئذٍ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد. والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس ان كُثيّر عزّة والكُمَيت بن زيد كانا شيعيين غاليين في التشيع وكانت مدائحهما في بني أُمية اشرف واجود منها في بني هاشم وما لذلك علة الاّ اسباب الطمع

ارأيت ابا الطيّب المتنبي يمدح كافور الاخشيدي ويذمهُ . مدحهُ لما كان يرجوهُ من نوالهِ وذمهُ لما يئس منهُ وكذلك فعل مع سيف الدولة بن حمدان مع ان هذا عاملهُ معاملة قلما عوملها شاعر . فاين الاخلاق ؟ وهل يلام ذانك الممدوحان المهجوان في آن واحد اذا هما اعرضا عن مدح شاعرهما وذمهِ وعدّاهُ هُراء مهوّس وهذيان مختلّ . ولكن من يهزّهُ الاطراء والثناء يؤذهِ الطعن والهجاء . وما اكبر المتنبي في مقدمات قصائدهِ من حكمهِ ونسيبهِ وما اصغرهُ في مدحهِ وقدحهِ فانهُ في الحال الثانية يشبه القرّاد المخرق الذي لا يرفع عقيرتهُ بالثناء الاّ على من يسبق فيرضخ لهُ بدريهمات . واين نفس المتنبي من نفس عقبة الازدي وقد قدم على معاوية ودفع اليهِ رقعة يقول فيها :

معاوي اننا بشرٌ فاسجح(١) فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ
اتطمع بالخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلودِ
فهبنا امةً هلكت ضياعاً يزيد اميرها وابو يزيدِ

قيل فدعا بهِ فقال ما جرّأك عليّ . قال نصحتك اذ غشوك وصدقتك اذ كذبوك . فقال ما اظنك الاّ صادقاً وقضى حوائجهُ

---

(١) الاسجاح حسن العفو ومنهُ المثل السائر في العفو عند المقدرة ملكت فاسجح وهو مرويّ عن عائشة قالتهُ لعليّ (رض) يوم الجمل حين ظهر الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فاجابتهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن وقدرت فسهل واحسن العفو (تاج العروس)

جاء في أُسد الغابة ان سعد بن ابي وقاص لما اعتزل فتنة عثمان ولم يكن مع احد من الطوائف المتحاربة طمع فيهِ معاوية وفي عبدالله بن عمر وفي محمد بن مسلمة فكتب اليهم يدعوهم الى ان يعينوهُ على الطلب بدم عثمان ويقول انكم لا تكفّرون ما اتيتم من خذلانهِ الاَّ بذلك فاجابهُ كل واحد منهم يرد عليهِ ما جاء بهِ وكتب اليهِ سعد :

معاوي داؤك الداء العياء وليس لما تجيءُ بهِ دواء
ايدعوني ابو حسن عليٌّ فلم اردد عليهِ ما يشاء
وقلتُ لهُ اعطني سيفاً بصيراً تميز بهِ العداوة والولاء
اتطمع في الذي اعيا علياً على ما قد طمعت بهِ العفاء
ليومٌ منهُ خيرٌ منك حياً وميتاً انت للمرء الفداء

ويروى عن ابي عمرو بن العلاء لما سأَلهُ سليمان بن عليّ عمّ السفاح عن شيء فصدقهُ فلم يعجبهُ فوجد (اي غضب) ابو عمرو في نفسهِ وخرج وهو يقول :

أنفت من الذل عند الملوك وان اكرموني وان قرّبوا
اذا ما صدقتهمُ خفتهم ويرضون مني ان يُكذَبوا

اسرف الحسين بن الضحاك في مراثي الامين وذمّ المأمون مع ان الفرق بين الاخوين ابعد من الخافقين فحجبهُ المأمون مدة ولم يسمع مديحهُ ثم احضرهُ يوماً وسأَلهُ عما كان من امرهِ فقال لهُ يا امير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأَتني ونعمة سلبتها بعد ان غمرتني واحسان شكرتهُ فانطقني وسيد فقدتهُ فاقلقني فان عاقبت فبحقك وان عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وامرت بادرار ارزاقك عليك وعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك ثم ان المأمون رضي عنهُ وسمع مديحهُ

ولقد جرى على عكس ذلك الوزير ابن وهب وزير المعتضد لما خاف من هجو ابن الرومي وفلتات لسانهِ بالفحش فدسّ عليهِ ابن فراش فاطعمهُ خشنكنانجة مسمومة وهو في مجلسهِ فلما اكلها احسّ بالسم فقام فقال لهُ الوزير الى اين تذهب فقال الى الموضع الذي بعثتني اليهِ فقال لهُ سلّم لي على والدي فقال ما طريقي على النار . والوزير كما ذكرهُ ابن خلكان كان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكاً للدماء وكان الكبير والصغير منهُ على وجل لا يعرف احداً من ارباب الاموال الاَّ نقمهُ

ولكن هي اخلاق المأمون ربت الضحاك ودمثت طباعهُ وضعف رأْي ابن وهب قضت على ابن الرومي واذاقتهُ حتفهُ . غير انهُ قلَّ في الملوك من اعطى الناس حرية كحرية المأمون

لبني عصرهِ وانطلاق حتى مع صنائعهِ وحاشيتهِ . الا ترى كيف دفن ابو جعفر المنصور سديفة بن ميمون حيًّا لانهُ كتب اليهِ ابياتاً مبهمة وهي

اسرفت في قتل الرعية ظالماً فاكفف يديك اضلها مهديُّها

فلتأتينك راية حسنية جرّارة يقتادها حسنيها

فانهُ كان للخليفة بعض العذر في وأد القائل وان لم يُعذَر سفاك في قصاص احد الشاعرين والكاتبين فقد عُرف من اخلاقهِ اعظم من هذا وكان هو هو خليقاً بان يسمّى السفاح فهو الذي اعطى الامان لابن هبيرة وكذلك فعل بعمهِ عبد الله بن علي وبابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية نخانهم كلهم حتى عابهُ التاريخ على فعلتهِ

*

عرَّف علماء البيان من الافرنج الهجاء بانهُ خطاب شعري يَحمِل فيهِ صاحبهُ على المعايب والنقائص ويقصد بهِ تقويم اود الناس والاهابة بهم الى مهيع السداد كما يَحمِل ايضاً على التآليف الرديئة والاحكام الكاذبة والاقيسة الفاسدة . واقبح ما في الهجاء ناتج من سوء استعمالهِ ومن تجوُّز الهجاء مما ليس من الهجاء في شيء فاذا حُصر الهجاء في دائرة ضيقة لايتعداها ينفع المجتمع المدني كما ينفع عالم الآداب والعالم. ومن حق الهجاء الحقيقي ان يَحمِل على الاخلاق الفاسدة في الجملة وعلى مفاسد المجتمع العامة لينتقم للاخلاق والفضيلة ويهزأ باسافل المؤلفين ارادة الانتقام للعقل الصحيح والذوق المليح دون ان يقصد الى اذلال الاشخاص وهتك استارهم والطعن في اعراضهم . وعلى الهجاء ان يقوم بوظيفتهِ بنغمة رصينة لاذعة او بصوت مداعب لطيف ويتحامى نشر فضائح الناس اذا اراد ان يكتب لهم دروس حكمة ينتفعون بضامينها وعليهِ ان يعنى بان لايثير هوى الاحقاد كل الاثارة على حين يحاول اخمادها وان لايغري خبث البشر على الانبعاث ويستثير المكرمن مكامنهِ بحجة انهُ يريد اصلاح المفاسد بالاستهزاء بها وان يبتعد في نقد التآليف من المساس بالشخصيات ويربأ بنفسهِ عن مزالق الغرض ويجعل كلامهُ على الاعمال لاعلى الرجال اه

قلت ولذا كان العرب يكرهون الهجاء ولا يرتاحون للتشبيب والغزل في صدر الاسلام ارتياحهم للمديح والفخر . قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخي انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعير الشريفة في قومها والعفيفة في نفسها والهجاء فانك لاتعدو ان تعادي كريماً وتستثير بهِ لئيماً ولكن افخر بمآثر قومك وقل من الامثال ما توقر بهِ نفسك وتؤدب بهِ غيرك . ولقد شكا يزيد لابيهِ معاوية تشبيب عبد الرحمن بن حسان بينتهِ رملة

في ابيات يقول فيها " وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص " فقال له هلاَّ تبعث اليهِ من يأتيك برأسهِ قال يابُنيّ لو فعلت ذلك لكان اشد عليك لانهُ يكون سبباً للخوض في ذكره فيكثر مكثر ويزيد اضرب عن هذا صفحاً واطوِ دونهُ كشحاً . ولما شبب عبيد الله بن قيس بعاتكة ابنة يزيد لم يعرض له للذي تقدم من وصاية ابيهِ معاوية في رملة . وكذلك فعل الحجاج واغضى عن محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكأنهُ ارتاح منهُ لما رآه لانهُ كان يشبب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج . هكذا كان اساطين اهل العزة والشدة مثل معاوية والحجاج يعاملون من يشبب بمحارمهم اغضاء واعراضاً لامراعاة لحرية الضمير والقول . وقد كانت الاخلاق على عهد عمر بن الخطاب على غير ذلك في هذا المعنى فقد هجا الحطيئة الشاعر النصراني الزبرقان بن بدر احد الصحابة بشعر قال فيهِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليهِ عمر وانشدهُ البيت فقال ما ارى بهِ بأساً قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت ببيت قط اشدّ عليّ منهُ . ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت ولكن كره ان يتعرض لشأنهِ فبعث الى شاعر مثلهُ وامر بالحطيئة الى الحبس وقال ياخبيث لاشغلنك عن اعراض المسلمين فكتب اليهِ من الحبس يقول :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ (١)   زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ
القيت كاسبهم في قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ   القت اليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها اذ قدموك لها   لكن لانفسهم قد كانت الاثرُ

فامر باطلاقهِ واخذ عليهِ ان لا يهجو مسلماً . ويروى ان عمر لما بعث اليهِ الحطيئة بشعره رقَّ لهُ فاخرجهُ وقيل ان عمر دعا بكرسي فجلس عليهِ ودعا بالحطيئة فاجلسهُ بين يديهِ ودعا باشفى وشفرة (٢) يوهمهُ انهُ عزم على قطع لسانهِ حتى ضجَّ من ذاك فكان فيما قال الحطيئة يا امير المؤمنين اني والله قد هجوت ابي وامي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر ثم قال لهُ فما الذي قلت قال قلت لامي :

تنحي فاجلسي مني بعيداً   اراح الله منك العالمينا
أغربالاً اذا استودعت سراً   وكانوناً على المتحدثينا

---

(١) ذو مرخ محركة واد بالحجاز (٢) الاشفى المثقب والمراد بخرزبه ويؤنث والشفرة السكين العظيم

وقلت لامرأتي

أُطوّف ما اطوّف ثم آوي الى بيت قعيدتهُ لكاعِ

فقال عمر فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحتهُ فقلت :

ابت شفتاي اليوم الاَّ تكلماً بسوء فما ادري لمن انا قائلهْ
ارى لي وجهاً قبح الله خلقهُ فقبّح من وجهٍ وقبح حاملهْ

ولما بلغ التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن ام الحكم ارسل يزيد بن معاوية الى كعب بن جعيل فقال لهُ ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن بن ام الحكم فاهجُ الانصار فقال ارادِّي انت الى الاشراك بعد الايمان لا اهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) ولكن ادلك على غلام مناضري فدلّهُ على الاخطل فارسل اليهِ فهجا الانصار وقال فيهم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصارِ

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصاري فلما بلغهُ الشعر اقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسهِ وقال يا معاوية هل ترى من لؤم قال ما ارى الاَّ كرماً قال فما الذي يقول فينا عبد الاراقم ذهبت قريش البيت قال قد حكّمتك فيهِ قال والله لارضيت الاَّ بقطع لسانهُ ثم قال :

معاويَ الاَّ تعطنا الحق نعترف لحى الاسد مشدوداً عليها العمائمُ
ايشتمنا عبد الاراقم ظلةً وماذا الذي تجري عليك الاراقمُ
فما ليَ ثار دون قطع لسانهِ فدونك من ترضيهِ عنك الدراهمُ

فقال معاوية قد وهبتك لسانهُ وبلغ الاخطل فلجأ الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان فاستوهبهُ اياهُ فوهبهُ لهُ . وقد هجا الانصار معاوية "باشدّ من وخز الاسل" كما قال وقرّعوهُ لما عاتبهم على ذلك باشد من طعن الابر

وما أبعد ان الامويين لم يجدوا شاعراً يمدحهم ويذم اعداءهم الاَّ الحطيئة وهو شاعر متوسط الشعر. وكان الكميت بن يزيد يمدح بني هاشم ويعرّض ببني أُمية فطلبهُ هشام فهرب منهُ عشرين سنة لا يستقر بهِ القرار من خوف هشام . وكان مسلمة بن عبد الملك لهُ على هشام حاجة في كل يوم يقضيها لهُ ولا يردهُ فيها فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوماً الى بعض صيودهِ اتى الناس يسلمون عليهِ واتاهُ الكميت بن زيد فانشدهُ شعراً يمدحهُ بهِ ويأمل الخير على يديهِ فادخلهُ الى هشام وخطب امامهُ خطبة دعت الى ان يرضى عنهُ ويجزل عطاءهُ . ومن العجب

ان الكميت يخاف هشاماً عشرين عاماً ودعبل الشاعر يقول اني لاحمل خشبتي منذ خمسين عاماً ولا اجد من يصلبني عليها

هذا وقد جرت العادة ان يختص كل شاعر بدولة او اميرٍ او عظيم يجعلهُ بيت قصيدهِ ومحك قريحتهِ ويعادي من يعادي ويوادّ من يواد · ولقد ركب الفقيه عمارة بن علي اليمني متن عماية في مدحهِ الدولة الفاطمية وتعريضهِ بدولة صلاح الدين يوسف لما دكَّ هذا معالمها في مصر فاغرى بعض رجال القطر في ذاك العصر ومنهم قاضي القضاة هبة الله بن الكامل وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاة ابن عبد القوي وبعض امراء صلاح الدين على القول بقولهِ وكاتبوا الافرنج ليقدموا ويشتغل بهم صلاح الدين ليعيدوا بذلك الحكومة العُبَيْدِيَّة فلما اكتشف الملك الناصر ما دبروهُ صلبهم كلهم · على انهُ لم يختلف نقدة التاريخ في ان دولة صلاح الدين كانت صلاحاً للدين والدولة · وقيل انهُ نسب اليهِ بيت من قصيدة ذكروا انهُ يقول فيها :

قد كان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوهُ سيد الاممِ

قال العماد ويجوز ان يكون هذا البيت معمولاً عليهِ فافتى فقهاء مصر بقتلهِ وحرضوا السلطان على المثلة بمثلهِ . وفي الحديث رواية عن الحسن البصري " لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفهِ ما لم يمارِ قراؤُها امراءها ولم يترك صلحاؤُها فجارها ولم يمار اخيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يدهُ ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً

هذا ما علق في صحيفة الذاكرة من احوال شعراء العرب قديماً ومنها يؤخذ شيء في اخلاقهم واخلاق امرائهم · والامة بعظمائها ورؤَسائها بل بعلمائها وشعرائها . بقي ان اقول هل ارتقت الحال في العصور المتأخرة عن ذي قبل وشرع شعراؤُنا يمدحون بعقل ويهجون بروية فالجواب ان الشعر نموذج من ارتقاء الامة واذ قد بلغت الامة في القرون الحديثة اقصى دركات الانحطاط فالشعر كان لهُ مثل هذا الحظ ولم تعد اليهِ بعض حياتهِ السالفة الاَّ منذ نحو خمسين عاماً وقد نبغ في مصر والشام شعراء قلما جاء مثلهم منذ ستة قرون وتجرد بعضهم عن الدنايا وانشأوا يدخلون الى العيش من ابوابهِ يمدحون ويهجون ويشببون ويصفون والصدق رائدهم في الغالب . خلِّ عنك من قلدوا الافرنج في منظوماتهم وموضوعاتهم بحيث انقلبت ديباجة الشعر العربي في بضع سنين وغدا الشاعر الذي يضرب على منوال شعراء القرون الوسطى مبتذلاً لا يؤبه لهُ . فعسى ان يظلَّ شعراؤُنا متوفرين على تربية نفوسهم توفرهم على ترقية مناهجهم الشعرية وحبذا يوم ينبغ فيهِ للامة شعراء يهدونها سبيل رشادها ويصفون لها ضعفها

وفسادها بلسان من جوامع الكلم يتغنى بهِ الطفل في ملعبهِ والرجل في حقلهِ ودكانهِ ومصنعهِ والمرأة وراء سرير ولدها وفي بيتها . ها قد نظم بعض الشعراء ممَّن سلف الالماع اليهم آنفاً ابياتاً مابرح الناس يتناقلونها جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن فهلاً اقتدى بعض شعرائنا بهم وخاطبوا الشعور والعواطف وسعوا الى ترقية الافكار والوجدانات وكفوا اذاننا مؤُونة استماع الاماديح والاهاجي والمراثي

متى نبغ بيننا شاعر مثل غوركي الروسي الذي اخذ على نفسهِ الطواف في بلاد روسيا ونظم القصائد الرنانة في الشكوى من ظلم الظالمين والضرب على ايدي المستبدين المسرفين بعلمها الفلاحين والمدنيين وحكومتهُ تقتص اثره منذ سنين وكلما زادت في تأثرهِ زاد تأثرًا وجرأة وضاعف حملاتهِ على من هم الخراب في اعمدة العمران والداء الدوي في جسم الانسان· متى نبغ بين اظهرنا شعراء كالشاعرين شيلر وكيتي الالمانيين اللذين بلغا بامتهما بما نظما مبلغاً رفيعاً من الحضارة ومتى قام بين ظهرانينا شعراء كفولتير وجان جاك روسو قلبا هيئة فرنسا ونظامها المدني والديني — متى نبغ امثال هؤُلاء فقل يومئذ بان اخلاق الشعراء ارتقت وانهُ يرجى لنا الخير في القريب العاجل

يا اسفاً كل الاسف للشعر الجيد يصرفهُ شاعرهُ في سوق الكساد بيبعهُ من اميرما اخلتهُ بقدرهِ قدرهُ تعلّق بهِ ونُسب اليهِ نسبة ابي نواس وابي العتاهية لهارون الرشيد وراح يعطيهِ في كل شارقة وبارقة من ضروب الاطراء ما لا يكاد يليق بالرشيد والمأمون وهو مع هذا لاينال من ممدوحهِ لقاء عنايتهِ ثمن الورقة ولا كفارة الكذب · وما كان الاجدر بديوانهِ لو قصر على الحكَم والامثال واصلاح الحال والمآل لو فعل هذا لاتخذ البدو والحضر شعرهُ اغاني يتغنون بها في افراحهم واتراحهم وعدوهُ صناجة العرب ونديم الطرب . والامة التي لا تطرب لجيد القول لا تعرف للشعور معنى ولا تقيم للاحساس وزناً

ولو ان اهل (الشعر) صانوهُ صانهم ولو عظموهُ في النفوس لعُظّما
ولكن اهانوهُ فهان ودنسوا محياهُ بالاطماع حتى تجهّما

دمشق محمد كرد علي

الكلب في الحرب

بينا نرى فريقاً من اهل النظر يقضي بقتل الكلاب وقرض نوعها استغناء عنها في حراسة البيوت وتخلصاً من اذاها اذا كلبت نرى فريقاً آخر يشير باستخدامها في اكبر مهام الناس في الحرب والجلاد والذود عن مصالح العباد لانها يقظة صبورة امينة دقيقة الشم سريعة الجري تفدي صاحبها بنفسها ولا تنسى شيئاً عُلّمته ولذلك فمن استخدامها في الحروب فائدة كبيرة ·

وقد استخدمها الاقدمون في حروبهم · ذكر فلوطرطس المؤرخ اليوناني وبلنيوس الكاتب الروماني انها كانت كثيرة الاستعمال في الحروب القديمة. فاستخدمها اجسيلاوس ملك اسبرطه في حصار منتينيا احدى مدن المورة التي حدثت عندها الواقعة الشهيرة سنة ٣٦٣ قبل المسيح. واستخدمها كمبيسس ملك الفرس لما غزا مصر · وقال فجتيوس الكاتب الروماني ان الكلاب كانت تقام في ابراج الحصون لكي تحذّر الحامية اذا اقترب العدو منها . ووُجد في خرائب هركولانيوم صورة كلب من كلاب الحرب وعلى بدنهِ درع وهو يحمي احد مواقف الرومانيين من البرابرة. وكان اهالي فرنسا القدماء يستخدمون الكلاب في حروبهم ويسبغون عليها الدروع المنيعة وقاية لها . وكان عند اتلا ملك الهن كثير من الكلاب الشرسة لحماية جيشهِ

واكثر الناس من استخدام كلاب الحرب في القرون الوسطى وكانوا يلبسونها الدروع ويربطون بها الحراب والخناجر او مدًى كنصال السهام العقفاء فتدخل بين فرسان العدو وتوقع فيها التشويش والاضطراب او كانوا يربطون بها المشاعل ويطلقونها في مخيَّم العدو لتحرقهُ كما فعل شمشون على ما جاء في التوراة . ولما نشبت الحرب بين سويسرا وبرغندي سنة ١٤٧٦ هاجمت كلاب سويسرا كلاب برغندي في واقعة غرنوسن ثم في واقعة مورتن فدارت الدائرة على كلاب برغندي وعلى دوق برغندي ورجالهِ

ولما كشفت اميركا جعل الاسبانيون يستخدمون الكلاب لاقتفاء آثار الهنود والايقاع بهم والكلاب التي استخدموها لهذا الغرض من النوع المسمَّى بالكلب الدموي وهو اضرى انواعها

وفي سنة ١٥١٨ ارسل ملك انكلترا ٤٠٠٠ كلب الى ملك اسبانيا كارلس الخامس ليستعين بها على محاربة فرنسيس الاول ملك فرنسا فوضعها في طليعة جيشهِ وناوشت كلاب الجنود الفرنسوية وفتكت بها

وكان الاتراك يستخدمون الكلاب للكشف والاستطلاع وقد استخدمها نبوليون لهذه الغاية في حروب ايطاليا واشتهر واحد منها اسمهُ مستاش في اكتشاف الجواسيس . ولما حاول ثوَّار

اليونان تسوّر اسوار اكربوليس سنة ١٨٢٢ احبطت كلاب الجنود التركية عملهم

وسنة ١٨٨٢ اخذ النمسويون يربون الكلاب الدلماطية ويستخدمونها في الاستدلال على اللصوص وقطاع الطرق واكتشاف مكامن الاعداء . ولما زحف الجنرال سكوبلف الرومي على حصن جيوك تبي كان التركمان يفاجئونهُ المرَّة بعد المرَّة فاستعان بالكلاب للاستدلال عليهم وكفي شرهم

وقد مضى على الالمانيين الآن عشرون سنة وهم يعلّمون كلاب الحرب ويمرنونها واقتدى بهم الايطاليون والروس والفرنسويون والاسبانيون والهولنديون ثم اقتدى بهم الاميركيون في جزائر فيلبين

وتعلَّم كلاب الحرب الآن للاستكشاف فتسير مع طليعة الجيش وساقتهِ وجناحيهِ وتنقل الاخبار والاستعلامات من جانب الى آخر هذا هو الغرض الاول الذي تستخدم لهُ. والغرض الثاني ان تحذير النقط الامامية اذا دنا منها العدو وحمل اخبارها الى الجيش . والغرض الثالث حمل الرصاص والبارود وارسالها الى الجنود وقت اطلاق البنادق . والرابع حراسة الابراج والحصون وقت الحصار فتغني عن عدد كبير من الحرَّاس والرقباء وتحمل الرسائل من الجنود المحصورة الى الجنود البعيدة عنها . والخامس التفتيش عن الجرحى والمفقودين بعد المعارك والارشاد اليهم وتقديم المساعدة لهم الى ان تصلهم المساعدة الطبية وهذا اهم الاغراض التي تربى لها كلاب الحرب الآن

والكلاب صنوف شتى وليس في انواع الحيوان نوع تختلف صنوفهُ كالكلب حتى قال بعض علماء الطبيعة انهُ غير متولد من اصل واحد بل من اصلين او اكثر . وقد اختلفت الدول في الاصناف التي اعتمدت عليها فالروس اعتمدوا على كلب القوقاس والنمسويون على كلب دلماطيا والترك على كلب الرعاة الاسيوي والالمان على كلب الرعاة وكلب الصيد . والفرنسويون على كلب المهربين . والظاهر ان كلب الرعاة اصلح الكلاب كلها للاغراض التي تقصد منها في الحرب ولا سيما اذا كان اسود اللون لكي لا يبين من بعيد وتفضل الاناث على الذكور لانها اسهل تعلّماً من الذكور واشد تعلقاً باصحابها

وقد دلَّت التجارب على ان فوائد كلاب الحرب تفوق الوصف فمهما كانت البلاد وعرة يتعذَّر على الكشافة السير فيها ومهما كان فيها من الانهار والغدران والحراج والادغال فالكلاب تقطعها وتكتشف كل كمين فيها . وقد ينجو جيش برمتهِ من الهلكة بواسطة كلب واحد . وزد على ذلك ان الكلب سريع العدو فاذا استروح العدو عاد الى اصحابهِ ودلهم عليهِ قبلما يتهيأ

للقائهم واذا اريد فحص المدن والقرى لاكتشاف الاعداء فيها فالكلاب تدخل البيوت والاهراء وتفتش الجنائن وكوم التبن والقش . ويزيد نفعها ليلاً اذا اشتدت الظلمة او وقع المطر فان الكشافة لا يفيدون حينئذٍ مثل الكلب لانهُ احدُّ منهم سمعاً وشماً · ولا يطمئن بال الجيش في الليلة الظلماء ولا يغمض لهُ جفن اذا خاف من تبييت الاعداء لهُ واما اذا كانت معهُ كلاب تستروحهم عن بعدٍ وتحذرهُ منهم نام مطمئن البال . واذا ضلَّ كلب الطريق سهل عليهِ الاهتداء واما الكشافة فاذا ضلَّت تعذَّر عليها الاهتداء الَّا بعد التعب الشاق · واذا كان الكشافة من المشاة فلا غنى لهم عن كلاب الحرب لانهم اذا وقعوا في كمين تعذَّر عليهم النجاة منهُ

هذا من حيث الاستكشاف اما نقل الاخبار بين اجزاء الجيش فالاعتماد فيها على التلغراف والهليوغراف اذا كانت المسافات بعيدة وعلى الفرسان اذا كانت قريبة لكن قد لا يستغني الجيش عن الفرسان ليستخدمهم لنقل الاخبار فيستخدم الكلاب لنقلها تكتب الرسالة وتعلق في طوق الكلب فيعدو بها ويوصلها الى الرجل الذي يراد ارسالها اليهِ فيقوم مقام حمام الزاجل ويفضلهُ لانهُ يعود بالجواب بين المتراسلين وحمام الزاجل لا يفعل ذلك

وللحراسة والتنبيه شأن كبير في الحروب الحديثة خوفاً من تبييت العدو لان الجيش المهاجِم اذا اتخذ الليل ستاراً وبيَّت المهاجَم تبييتاً اي هاجمهُ ليلاً سلم من نارهِ وقت الهجوم والَّا فاذا درى بهِ المهاجم وصب عليهِ ناراً حامية لم يستطع الدنو منهُ والحرَّاس قلما يُعتمد عليهم حينئذٍ لانهُ قد يغلبهم النعاس فيوقع بهم العدو قبلما يستيقظون وينبهون رجالهم . اما الكلب فيدري بمجيء العدو وهو على اربع مئة متر او خمس مئة متر ولذلك تُقام الكلاب مع الحرَّاس للحراسة على مئتي متر من المخيَّم فيأمن تبييت العدو لهُ

اما الاستدلال على الجرحى فلهُ الشأن الاكبر في الحروب الحديثة التي طال مدى بنادقها حتى صار الجنود يصابون بالرصاص وهم في اماكن بعيدة متفرقة وقد لا يهتدى اليهم او لا يصل اليهم احد الَّا بعد ان ينزف دمهم فلا فائدة من تقدم الوسائل الطبية والجراحية ما لم يسهل الاستدلال على الجرحى والوصول اليهم قبلما يقضى عليهم . ويكون مع الكلب شيءٌ من الربائط حتى اذا كان الجريح قادراً على استعمال يديهِ اخذها منهُ وربط جراحهُ بها الى ان يصل اليهِ الرجال وينقلوهُ الى حيث يعالج

والكلاب مستعملة الآن في الحرب بين الروس واليابان فالروس يستعملونها للحراسة ولارسال الرسائل واليابانيون يستعملونها للاستكشاف · ومع الالمان في بلاد الهريرو في افريقية مئتا كلب لهذه الغايات · انتهى ملخصاً من مقالة لماجور رتشردسن في مجلة القرن التاسع عشر

الاوبئة والامراض الغالبة في سورية

من رسالة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن · تليت في المجمع الملكي المخاص بعلم الصحة العمومية

المذهب الباشلي في اصل الاوبئة والامراض المعدية حديث العهد ومن المفيد ان ننظر الى ما ذهب اليهِ الاقدمون في سبب الامراض وكان المعوَّل عليهِ عند الاطباء الى هذه الايام الاخيرة. واقدم الاقوال في هذا الشأن ما ورد في كتب ابقراط ابي الطب وبقي شائعاً بلا تغيير يذكر الى زمن اكتشاف الاسباب المكروبية. وخلاصة ما كتبهُ ابقراط في ذلك هو على ما يأتي

١ في الهواء روح او اصل حيوي[1] منتشر فيهِ يدخل الجسد بواسطة النفس ويمتد الى جميع اجزائهِ بواسطة قوة القلب الدافعة لهُ في الشرايين الى اقاصي البدن فيكسبهُ الحياة وبقي هذا القول مرعيًّا الى زمن هرفي الذي اكتشف حقائق الدورة الدموية

٢ قسم ابقراط الحميات الى قسمين الحمَّى المتفرقة او المفردة التي تصيب الافراد والوافدة التي تصيب كثيرين في زمن واحد (كتابهُ في الاهوية)

٣ متى كانت الحمَّى مفردة فسببها الغالب كثرة الطعام الذي يكثر فيهِ الروح الحيوي فينتج عن ذلك البرد الذي يسبق الحمى ولاجل مقاومة هذا البرد يجري الدم الى الاحشاء والجلد فتشتدّ الحرارة فيها ويخرج ما زاد من الروح بواسطة التنفس غير انهُ حيث يتكاثر الدم في بعض الاحشاء يكون ذلك سبباً للاحتقان او الالتهاب او النزف

٤ سبب الامراض الوافدة هواء موبوء او أبخرة فاسدة فيكون الكل حينئذٍ عرضةً للوباء ولكن لا يصاب بهِ الاَّ من كان فيهِ استعداد لهُ. وعلى ذلك لا يتسبب المرض اثناء الوباء من نوع المعيشة بل من تنفس المادة المرضية فيكون من العبث تبديل المعيشة وانما يجب تجنب الهواء الموبوء ما امكن والافضل هجر الاماكن التي ينتشر فيها الوباء

٥ وفي كتابهِ الاول والثالث في الامراض الوافدة حكم بالتأثير العظيم فيها لما كان يسمّي باختلاف نظام الفصول فقال " انهُ من المهم في صناعتنا اعتبار الطبائع المختلفة للفصول والامراض وعلاقة الاولى بالثانية. والنظر في كيفية تأثير الفصل في زيادة المرض او خفتهِ وفي تطويلهِ او تعجيلهِ "

(١) وهو الروح الحيواني الذي عرّفهُ ابو البقاء في الكليات بقولهِ انه جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب (الشرايين) الى سائر اجزاء البدن

وابن سينا الذي نقل كثيرًا عن ابقراط وجالينوس يقول ان اسباب العلل الوبائية انما هي بعض تعفُّن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء المستنقع الآجن الحاوي مادَّةً غير نقية في حالة الانحلال وان الروائح الكريهة المنبعثة من الآجام والمسالخ وساحات القتال تحمل الى اماكن جيدة الهواء فتحدث وباء. وما عدا ذلك فالماء الذي يحملهُ الهواء كثيرًا او قليلاً قد يصير مقرّ الانحلال والفساد لاسباب جوية . فانحراف الفصول عن حالتها الطبيعية على قولهِ يحصل عند ما يكون الشتاء والربيع ناشفين والربيع باردًا والغيوم متلبدةً لا مطر معها . والنهار حارًّا والليل باردًا وتقلب الطقس غالبًا فجائيًا

وبقي هذا المذهب شائعًا الى القرن الثامن عشر فقد قال بهِ بورهاف وهو اشهر طبيب من اطباء ذلك القرن ناسبًا الى الفصول التغيرات التي تطرأُ على الصحة والعلل التي تعم الاقطار. وفي اواخر القرن المذكور كان كولن الشهير استاذًا في ادنبرج وكان يعتقد بان اسباب الاوبئة ذرَّات هائمة في الهواء منبعثة من جسم المريض. واما الآن فالرأي المعوَّل عليهِ في جميع الاقطار المتمدنة ان اصل الاوبئة والعلل السارية انما هو باشلي او مكروبي او طفيلي

الوافدات الاعتيادية كالدفتيريا والشهقة والتهاب الغدة النكفية وغيرها تكثر في سورية كما في غيرها فلا لزوم للبحث عنها بحثًا خاصًا . وكذلك يقال في الحميات الطفحية ما عدا القرمزية التي لا توجد هنا او قلَّما تشاهد . واما الحمى التيفوسية التي كانت تنتشر على هيئة وباءٍ في قديم الايام حيث كان الفقر مدقعًا والشقاء سائدًا والقذر مالئًا البيوت حتى في المدن فقد اصبحت الآن بفضل التحسين في الاحوال الصحية قريبة من الاضمحلال . على انها قد تحصل من وقت الى آخر في بعض الجهات وتنتقل منها الى غيرها كما جاءَت الى بيروت منذ بضع سنين مع المهاجرين المغاربة الذين وفدوا من شمالي افريقية وهم مصابون بها فانتشرت بواسطتهم بين الاهالي ومات من الفريقين عددٌ عديدٌ ثم اختفى اثرها تمامًا. واهم الاوبئة واكثرها انتشارًا واشدها بطشًا في هذه البلاد الكوليرا والحمى التيفويدية والجدري والطاعون كما سيجيء

(الكوليرا) فشت هذه الوافدة اول مرة ثم صارت تظهر مرةً كل بضع سنين آتية على الغالب من القطر المصري وفي بعض هجماتها كانت شديدة الوطأة اماتت عددًا عظيمًا من اهالي الشام وحلب وحماه وطرابلس وكان سكان قرى لبنان ينجون منها ما خلا بعض الذين هاجروا اليهِ من المدن الموبوءَة وسبب ذلك جودة المياه ونقاوتها فانها تتدفق من ينابيع صافية من قلب الجبل. ومما لاحظتهُ تكرارًا ان دوام كل وافدةٍ كان ١٢ اسبوعًا . فتزيد الوافدة في الثلاثة الاسابيع الاولى وتبلغ معظمها في الثلاثة التالية . ثم تأخذ بالتناقص حتى تتلاشى ومن الصعب معرفة

علة ذلك ولربما يكون له علاقة بحياة ميكروب الكوليرا. ومما يستحق الذكر ملاحظتان لاحظتهما في امر الكوليرا في بيروت. الاولى ان مياه الشرب فيها الآن من نهر الكلب فتأتي مصفاة مرشحة ضمن انابيب من الحديد . وبما ان هذه المدينة قد نجت مرارًا من الكوليرا التي اصابت جميع البلاد والمدن حولها فتقرر في الاذهان ان الهواء الاصفر ينتشر بواسطة الماء الملوث بجراثيمهِ وان نقاوة ماء الشرب في بيروت هي علة نجاة هذه المدينة الكبيرة من الوباء المذكور وعليهِ فقد صمم اهل البلاد المجاورة على اتباع خطة بيروت في جرّ الماء توقيًا من الاوبئة . والملاحظة الثانية دوام العلة طويلاً حيث الماء جارٍ يجرف المواد المرضية وينقلها من مكان الى آخر كما هو الحال في دمشق حيث استمر الوباء ١٨ شهرًا . واما بقاء العلة مدةً غير المعهودة فيها عادةً فيمكن التعليل عنهُ بان الفقراء من الاهالي يستعملون ماء الآبار التي يسهل تلوثها بالمادة المرضية او يستعملون ماء جاريًا تتصل اليهِ العدوى من اماكن اخرى فيتكرر عودها اليهم . ومن العوامل التي قد يسري بواسطتها الداء الخضر والاثمار والخبز وما من قبيلها مما يعرض للبيع في الاسواق فقد ينقل اليها الذبان جراثيم المرض من مفرزات المصابين فتدخل الى اجواف متناوليها و يصابون بالعلة . وفي زمن المرض تشتد الاوامر من المجالس البلدية بالكنس والتنظيف ورش الحامض الكربوليك ونزع الاقذار وابعادها وتحريض الاهالي على شرب الماء المغلي . وهذه الاحتياطات قد تنفع بتقليل جراثيم الوباء وتحسين حالة الصحة العمومية ولكنها لا تتقن ولا يعلم مقدار فعلها في مقاومة المرض . ومثل ذلك يقال في المحاجر على الشطوط البحرية والنطق الصحية التي يُقصد بها حفظ السواحل من الوباء وهو في داخلية البلاد . فالمحاجر قد تنفع في الوقاية واما النطق الصحية فلا نفع منها وخير من ذلك المراقبة الطبية على المراكب الآتية من البلدان الموبوءة وفصل المرضى عن الاصحاء وما يتبع ذلك من التدابير الاحتياطية الصحية وتنظيف المساكن وتطهيرها واتباع القواعد الصحية كما هو جارٍ في البلدان المتمدنة

(الحمى التيفويدية) هذه العلة تحسب مستوطنةً اكثر مما هي وافدةٌ . على انها تتخذ احيانًا طورًا شديدًا وتنتشر انتشارًا مخيفًا حتى تعدّ وافدة . ومتى كانت افرادية تجيء غالبًا خفيفةً واذا عولجت بالوسائط الصحية اكثر مما بالعقاقير الشديدة الفعل كانت سليمة غالبًا . وهي كالكوليرا تدخل جراثيمها الامعاء وتخرج منها فاذا صادفت ماء وشربهُ الناس انتقلت اليهم وانتشرت بينهم . وفدت الى مدينة بيروت سنة ١٨٩٥ وفودًا هائلاً فأصيب بها نحو الفي نفس في وقت واحد . ولا يعلل ذلك الاَّ بان جراثيم العلة وصلت الى مياه نهر الكلب قبل وصولهِ الى الضبية فشرب الناس منهُ واصيبوا بالحمى

(الجدري) مابرح الجدري من اشد العلل في الشرق والغرب حتى اكتشف جنر اللقاح البقري منذ قرن ونيف . وقد كانت وافدات الجدري الثقيلة شديدة الوطأة كثيرة البثور في البدن والجهاز التنفسي والهضمي قبيحة التشويه في الوجه والعينين مما قد يدوم اثرهُ وضررهُ طول العمر. اما التطعيم الذي عمَّ تقريباً الجميع حتى البدوَ في البادية فقد خفف جميع تلك الويلات حتى صار يؤمل زوال المرض تماماً في مستقبل الايام فلا يعود لزوم للتلقيح بالجدري ويصبح خبرًا من اخبار الزمن الغابر . وحوادث الجدري في هذه الايام محصورة في الاماكن التي يهمل التطعيم فيها او لايعمل على حقهِ او يذهب من جسم المطعمين فعل الطعم بطول الزمان. واني اعجب من عدم ذكر التطعيم بمادة الجدري في كتب العرب مع ان السيدة مونتاكو قد تعلمتهُ في القسطنطينية ونقلتهُ الى انكلترا واوربا قبل اكتشاف جنر بنصف قرن. ولا ريب ان طريقتهم القديمة اي تطعيم الاصحاء بمادة الجدري الحقيقي شديد الخطر اثناء انتشارهِ ولعلهم كانوا يستعملونها عند ما يصل الجدري الى طور تخف فيهِ قوة مادتهِ المرضية فيقل الضرر في التطعيم بهِ. ويزعم الناس هنا ان التطعيم اولاً او ثانياً اثناء الوافدة يمهد الطريق للاصابة بالجدري ولعل اصل هذا الزعم آتٍ منذ كانوا يطعمون بمادتهِ فيصابون بهِ او من تطعيم من كان في دور الحضانة بعد ان دخلت جرثومة المرض في بدنهِ ثم ظهر الجدري بعد التطعيم فيهِ فنسبوهُ الى الطعم. ومنذ سنوات قرأت ان الدكتور رنشي جرَّب التطعيم عند اول ظهور الجدري فكان سيرهُ اخف فعزمت على تجربة ذلك واختبارهِ بنفسي . وكان في جواري عائلة المانية مؤلفة من ابٍ وامٍ واربعة اولاد كلهم غير مطعمين فاصاب الجدري احد الاولاد ولما دعيت لرؤيتهم طعمت جميع اعضاء العائلة ولعلهم كانوا كلهم في دور الحضانة فظهرت بثور الطعوم وظهر فيهم كلهم نقاط الجدري مع اعراضهِ بعد التطعيم او مع ظهور الطعم ولكن الجدري جاءهم ضعيفاً لان سيرهُ كان خفيفاً ولم يمت منهم احد . واثناء ذلك ولدت الام طفلاً طعمتهُ في اليوم الخامس من عمرهِ فصح طعمهُ ولم يصب بالجدري . فمن المحتمل ان يترتب على مثل ذلك ما يؤدي الى النتائج الحسنة ويقلل الوفيات مثل ما ترتب على مثلهِ في حوادث الدفثيريا وغيرها من العلل الخميرية

(الطاعون) لقد كان هذا الوباء في الاعصر الغابرة من اشد الضربات. وكل من قرأ قصة ديفو عن الطاعون المخيف الذي اصاب لندن سنة ١٦٦٥ يمكنهُ تصوُّر عظم اهوال ذلك الوباء ومخاوفهِ . ففي مصر وسورية وبقية بلدان المشرق ولا سيما المزدحمة بالسكان كان يهلك خلقاً كثيرًا على ان ما حصل من التقدم في المدنية والمحافظة على قانون الصحة جاء سدًّا تجاه

شجاعتهِ حتى اصبح في ايامنا نادر الحدوث ولم يعد لهُ ذلك الفتك المهول · ولم تزل لهُ آثار في الهند ومصر وغيرها وقد زار بيروت آتياً من القطر المصري مرتين في هذه السنين الاخيرة فارتد خائباً في كلتيهما ولم تزد حوادثهُ على ١٢ حادثة انتهى اكثرها بالبرء التام

ان فعل الجرذان في نقل باشلوس الطاعون الى الانسان قد صار محققاً الآن على انهُ كان ايضاً معروفاً من قديم الزمان · ففي كتاب الهنود المقدس ذُكر " انهُ عند ما تشاهد الجرذان تتساقط من السقوف وتقفز ثم تموت يجب على الناس ان يهجروا البيوت ويتركوا الاصحاب والعلائق ويخرجوا الى البرية " · وقد اشار ابن سينا الى مثل ذلك بقولهِ " ان الجرذان تهجر اوكارها وتخرج حائرةً " عند ظهور الطاعون · ومن الغريب ان الشاعر العربي يشير عن غير قصد الى انتيتكسين هفكين ومصل غيره في قولهِ

لكل شيءٍ آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

وعند ما يدخل الطاعون بلدةً يخرج منها الاغنياء مجتنبين العدوى · وهذه هي نصيحة جميع الحكماء الذي شاهدوا عظم هول الوباء وكانوا في ما سبق يحفظون انفسهم في بيوتهم ويقطعون جميع علائقهم مع الناس ولا يمسون شيئاً من مأكول او مشروب حتى يمرُّوهُ في الماء والخل · وقد اجمع الاطباء القدماء على ان جودة التهوية وكثرة النور ووفرة التبخير بالعطريات واستنشاق الروائح القوية كالكافور والحلتيت مما يساعد على الوقاية من الوباء · واما الحجر الصحي اربعين يوماً المعروف بالكورنتينا فكان المعوَّل عليهِ سابقاً على انهم اصبحوا يعولون على المراقبة الطبية وعزل المرضى بعيداً عن الاصحاء اكثر مما يعوّلون عليهِ

(حمَّى الدنج) يظهر من مقالة محكمة العبارة كتبها السر و . ي سمارت (انظر مجموعات جمعية العلل الوافدة في لندن سنة ١٨٧٩) ان اول ما شوهدت هذه العلة ووصفت كان سنة ١٧٨٩ حين انتشرت في فيلدلفيا كوافدةٍ وقد كانت منتشرة نحو ذلك الزمن في باتافيا ومصر واسبانيا وغيرها من البلدان · ومن دقق النظر في انتشار هذه العلة الجغرافي منذ ذلك العهد يجدها تنحصر حسب الظاهر في الاقاليم الاستوائية وما والاها من الاصقاع · واول دخولها سورية كان منذ ٤٠ سنة ولما كان اهم اعراضها وجع مؤلم في الركب لذلك اطلق عليها قبلاً والآن اسم حمَّى الركب (ابو ركب) وهذا الاسم اشبه بالحمَّى التي كانت تسمَّى محطمة العظم في الولايات المتحدة · ومنذ ذلك العهد كانت تظهر في هذه البلاد غالباً متخذة هيئة وافدة شديدة العدوى وقد قال بعضهم انها صارت وافدة ولكني اظن انها تختلط بالنزلة الوافدة والحميات الحاصلة من البرد ومن عسر الهضم · واعراض الدنج المميزة هي القشعريرة التي يعقبها

حمى عالية وقرف شديد من الطعام وانحراف هضمي وصداع وألم في الظهر والركبتين ونحو اليوم الرابع يظهر نفاط اشبه بالوردية يكثر او يقل في جلد البدن وتهبج بعد ظهوره الحمى تاركة العليل في غاية الضعف. وهذه العلة غير قتالة ولكنها مزعجة مؤلمة طويلة النقاهة. ومما لاحظهُ الدكتور غراهم استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية السورية في بيروت واستنتجهُ بالمراقبة والاختبار ان سبب الدنج مكروب من نوع الهيماتوزون يصيب كريات الدم الحمراء والبيضاء وينتقل من المرضى الى الاصحاء بواسطة البعوض (culex fatigans) (المقتطف يونيو ١٩٠٣)

ومن العلل المستوطنة ما يأتي

(الجذام) اول ذكر جاء لهذه العلة على ما يظن كان في سفر اللاويين من التوراة على ان وصفها هنالك غامض لا ينطبق على الجذام الحقيقي

ثم ان ابن ميمون الطبيب اليهودي والفيلسوف الشهير الذي نشأ في القرون المتوسطة حسب الجذام من العلل الجلدية المذكورة في ذلك السفر. وقد شكا المؤرخان المصريان منيتو وليسماخوس من ان اليهود مصابون بالجذام وانهم أُخرجوا من مصر بسبب الشكوى المذكورة التي ذكرها يوسيفوس وكذَّبها (راجع كتابهُ ضد ابيون ك ١ : ٣٤) وكيفما كان الحال في الماضي فاليهود الآن خالون من هذه العلة وبين مئات من المجذومين الذين رأيتهم في سورية لم ارَ الاَّ يهودياً واحداً مجذوماً ولعل ذلك من عاداتهم التي اتبعوها قديماً وهي اجتناب المجذومين وابعادهم عن الشعب

والجذام من اشنع العلل التي تصيب الانسان اذ تجعلهُ مقصًى عن الجميع ورائحة بدنهِ شديدة الكراهة والتشويه والتقرح في وجههِ ويديهِ ورجليهِ قبيح المنظر. وهو من العلل التي تزمن وعدواهُ معتقدٌ بها دائماً. ولم يُسمع عن حادثة من الجذام برئت بالعلاج لذلك لم يكن سبيل للوقاية من شرهِ الاَّ بابعاد المصابين عن الاصحاء. وليس ذلك بالامر الهين فقد علمت عن رجلٍ كان مصاباً في الطور الاول من المرض انتحر لما رأى اولادهُ وامرأتهُ يجتنبون مخالطتهُ. وقد اتبع بعض الشعوب المتمدنة في نروج وجزائر هواي خطة الاقدمين بابعاد المجذومين على نسق ما يشاهد في دمشق والقدس وقبرص. وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ باتقان الوسائل الصحية كما استؤصل من بريطانيا العظمى واماكن اخرى في اوربا

اما سبب الجذام فصار معروفاً الآن وهو باشلوس قريب المشابهة شكلاً من باشلوس السل ويقبل الصباغ الذي يصبغ بهِ غير اني لاحظت انهُ اغلظ من باشلس السل واقصر قليلاً. وطريقة دخولهِ الى بدن السليم غير معروفة الى الآن وبعد درسي طويلاً وتدقيقي في تاريخهِ الكلينكي لم اجد طريقاً لوصولهِ الى جسم الصحيح الاَّ الجلد. وطالما كان الجذام معدوداً بين

العلل الجلدية وقد حسبهُ ابن سينا سرطاناً عاماً في الجسم. واول اعراضهِ ضعف الحس (تنميل) في الجلدوفقد لونهِ وتسمكهُ وتولد عُقد وقروح فيهِ وسقوط الشعر منهُ وعند بلوغ العلة بالامتداد الى التجويفين الانفيين يفقدان غضاريفهما . وذلك يدل على كون الجلد اول مقرّ للداء وانهُ اول جزء من البدن يصاب بباشلوس الجذام تلقيحاً على الارجح من خدش او كشط فيهِ او بواسطة الهوام والبعوض التي من شأنها لدغهُ والانتقال من شخص الى آخر. فلوكان الباشلوس المرضي يحملهُ الهواء لكان الانف اول ما يصاب بهِ وليس الحال كذلك وعلى فرض كون الجهاز الهضمي سبيلهُ للدخول الى البدن بواسطة طعام كالسمك حسب زعم تبعهُ الدكتور يوناثان هتشنصن فيبعد عن المعقول انهُ يدخل من هناك ثم يجتاز الى الجلد ليبتدئ ظهورهُ فيهِ. ومن جهة الزعم بدخولهِ بواسطة السمك فلم يسمع ان سمكاً حديثاً ولامقدَّداً وجد فيهِ باشلوس الجذام فضلاً عن ان هذه العلة محصورة هنا في المدن والقرى الداخلية حيث يندر اكل الاسماك

ولدى النظر في الاحصاءات الدقيقة يظهر ان للوراثة والتناسل تأثيراً عظيماً في انتشارهِ ولكن ذلك قد يُحمَل على شدَّة تعرض الاقارب للداء اذا كانوا من عائلة واحدة كثيرة الامتزاج والاختلاط بعضهم ببعض وهو الاقرب الى الصواب

(حبة حلب) هذه العلة نادرة الظهور في سورية ولكنها منتشرة ما بين حلب وبغداد وفي ما بين النهرين وكان المظنون انها محصورة في الاصقاع التي تشرب من الفرات ودجلة الامر الذي حمل على الزعم ان سبب العلة في مياه النهرين المذكورين على ان في الهند نوعاً من البثور اشبه بحبة حلب واظن انها تسمى هنالك حبة دهلي او بثرتها . ومقر حبة حلب الغالب من اجسام اهل البلاد هو الوجه واما في الاجانب فاليدان والرجلان . وتظهر اولاً على هيئة حليمة صلبة تتعدَّد غالباً وبعد بضع اسابيع تنفقئ وتصير بثوراً ثم تزداد حجماً فتبلغ نحو عقدة قطراً وبعد عدة شهور تبرأ تاركةً ندبة تظهر طول العمر ومتى كانت في الوجه شوهتهُ تشويهاً يختلف حسب مقرّها ودرجة امتدادها . ولما شاهد الدكتور فانديك كارتر ان البثرة تصيب الاجزاء المتعرضة للهواء كالوجه واليدين والرجلين اعتقد ان العلة تنتقل بواسطة المناشف التي تستعمل لتنشيف تلك الاجزاء . على اننا الآن بعد معرفة علاقة الهوام اللداغة بالعلل صرنا نميل الى الاعتقاد انها هي واسطة نقل العلة من المصاب الى السليم . وقد بلغني حديثاً ان احد المرسلين الانكليز في حلب وضع لامرأة اولادهِ ناموسيات محكمة الوضع فوقاهم بها من الاصابة بحبة حلب . ولا يبعد ان نعلم يوماً ما ان البعوض المعروف بالناموس او ما شابههُ هو السبب الحقيقي لنقل المكروب الخاص بحبة حلب كما هو واسطة لنقل غيرها من العلل

(التريخينا) ان الخنزير يعيش في الشرق عيشةً قذرةً ولا يأكل لحمهُ الاَّ بعض عامة النصارى ومع ذلك لا يرى في المدن ولا في القرى اثرٌ لمرض التريخينا الذي يختص به ومصدره من اكل لحمهِ . واما الذي نعلمهُ فهو ظهور هذه العلة مرة كل عشر سنوات او نحوها في القرى المحاذية للمستنقعات عند اجتماع ينابيع نهر الشريعة قبل دخوله بحيرة الحولة حيث يوجد الخنزير البري فيصطادهُ الاهالي ويأكلون لحمهُ غير مطبوخ جيداً . فقد فشا مرض التريخينا هنالك سنة ١٨٨١ فكتبت فيهِ حينئذٍ الى جريدة اللانست وذكرت ان الاصابات كانت ٢٥٧ والوفيات ستًّا وتلك هي الفرصة الوحيدة التي امكنني انتهازها لدرس هذا المرض ورؤية الدويدة المرضية عريانةً ومكسوةً بحفظتها في كلتا الحالتين

(الهياتور) لسوء الحظ لا يوجد حتى الآن اسم خاص لمرض خاص منتشر في مصر وجنوبي افريقية ومور يتيوس وغيرها من الاقاليم الحارة . والمكروب الذي يتوقف عليه هذا المرض كل التوقف اكتشفهُ الطبيب بلهارز في القاهرة فلذلك سمي باسمهِ بلهارزيا هياتوبيا . وقد شاهدت حادثة مشتبهة جاءت من يافا وسمعت عن حوادث اخرى في تلك المدينة . وتحت المكرسكوب الضعيف القوة تشاهد خثيرات من الدم مع البويضة المرضية قياس كل منها جزء من خمسمائة وخمسين جزءا من العقدة عرضاً ولها نتوء بارز في احد طرفيها وفي الشكل الدوسنتاري من العلة يكون النتوء جانبياً . فاذا غسلت الخثرة بالماء البارد او ضغطت الزجاجة التي تغطي النقطة يشاهد تحت المكرسكوب ان البويضة انكسرت وخرج الجنين من قشرتها وتمدّد متعرجاً مع هدبهِ الذي يحيط ببدنهِ المستطيل

اما الدودة الكاملة النمو فاكبر ولكنها لا تشاهد الاَّ في الدم بعد الوفاة ملتصقةً باحد جدران الوعاء المثاني او المساريقا او الوريد البابي . اما كيفية دخول هذا الحيوان الطفيلي الى البدن والطور الذي يكون عليهِ عند دخوله فغير معلوم حتى الآن . ومصدر الداء بلا ريب من الماء ولاجل ذلك قلما تصاب الطبقة العليا من سكان مصر الذين لا يشربون الماء حتى يصفّوهُ ويقطّروه واما الفلاحون الذين يشربون ماء النيل كما هو فقلما ينجون من الاصابة بالداء . فيظهر من ذلك ان جرثومة العلة تدخل من الفم ومن المحتمل ان تكون على هيئة جرثومة صغيرة لان البيضة اكبر من ان تدخل وتسير في الاوعية الشعرية . غير ان دخولها الى الاوردة مقرّها العام لم يزل من الالغاز التي لم تُحل الى الآن على ما ارى . ومن جهة علاجها فقد عثرت على بعض حوادثها وعالجت احداها بجرعات من زيت التربنتينا كل منها مؤلفة من درهم ثلاث مرات كل يوم مدة ثلاثة اسابيع . وعالجت الاخرى بجرعات من غرام من السرخس الذكر مرتين كل يوم

(الانكلوستوما) علة الانيميا وهي علة اخرى من علل الاقاليم الحارّة الملمية واظن ان اول ما اكتُشف سببها من عهد قريب كان في مصر وهي تدخل الجسم من الفم بواسطة الماء المشوب بجرثومتها و بواسطة الايدي القذرة والخضر غير المطبوخة . وفي حوادث الانيميا المستعصية التي سببها مجهول ولم تذعن للعلاج بالكينيا والزرنيخ والحديد قد جربت التيمول فكان كافياً لطرد الدودة المذكورة التي كانت السبب الحقيقي ولكن خبرتي في هذا الامر غير كافية

وفي سورية ايضاً امراض اعتيادية لا يمكننا اطالة الكلام عليها وانما نذكر اكثرها شيوعاً

(الحمّى الملارية) على انواعها وهي كثيرة الوجود في البلاد ويشاهد ايضاً فيها ما يقال له الحمى المتقطعة الخبيثة وهي قتالة في الدور الثاني او الثالث اذا لم تعالج سريعاً بجرعات كبيرة من الكينا شرباً او حقناً تحت الجلد والحقن افضل لان الامتصاص فيهِ اسرع . اما عمل البعوض في نقل الجرثومة المرَضية من المصابين الى الاصحاء فقد صار محققاً لدى الطبقة المتهذّبة في البلاد . وكذلك فوائد الناموسيات ونزح المياه الراكدة . واما سوء القينة وضخامة الطحال والكبد و لاستسقاء البريتوني فكثيرة الحدوث في الاماكن الملارية ولا سيما التي تهمل فيها الاسباب الصحية

و (السل) اقل انتشاراً في سورية ولاسيما في الشرق اجمع مما هو في اوربا . وهو نادرٌ في لبنان والاماكن العالية التي يعيش فيها الاهالي في نقي الهواء متمتعين بنور الشمس وهواء الجوّ الجاف . وفي هذه البلاد حيث لا يوجد مستشفيات للسل على النمط الحديث يمكننا ارسال المصابين من اهل اليسار الى الجبال فتحسن صحتهم وقد يشفون تماماً بعد ان يكون الداء قد تمكن منهم

و (السرطان) ايضاً نادر الحدوث في هذه البلاد . فان معيشة السكان في الفلا وقوة بنيتهم الطبيعية وبساطة ماكلهم التي اكثرها من النشويات والخضر مع قليل من اللحم يظهر انها تقاوم عوامل المرض مهما كانت حقيقتها وهذا هو موضوع البحث الدقيق والدرس الكثير عند علماء هذه الايام

ومذهب اطباء العرب وغيرهم من الكتّاب القدماء في الاورام ولا سيما السرطانية لا يستحق الاعتبار وهم يعدّون السرطان قتالاً يصيب الجلد والاعضاء الداخلية وقد قالوا بمنفعة العمل الجراحي في طوره الاول مع كونهم حكموا بافضلية ترك الداء للطبيعة زعماً ان ذلك اضمن لطول العمر وتخفيف الالم . وقد وجدت في حوادث السرطان الداخلي ان افضل علاج مسكّن قليل الضرر استعمال المورفين على جلد نزعت بشرتهُ بالحراقة التي لا يلزم ان تكون اكبر من نصف ريال . وكمية المورفين التي توضع على الحراقة او القرحة من ٣/١ قمحة الى قمحة واحدة كل يوم وبالمداومة على هذا العلاج لا يحصل اضطراب في الجهاز الهضمي ويخف الألم المزعج وتصير ليالي العليل اقل انزعاجاً وبالنتيجة يطول عمرهُ (نقلاً عن الطبيب بتصرّف قليل)

تعلم الانسان من الحيوان

يذهب فريق من الكتّاب الى ان الانسان اخذ عن الحيوان مبادئ العلوم والفنون والصناعات فتعلم خزن الحنطة من النمل وقطع الاشجار من البدستر وبناء البيوت من الطيور. ولا ندري لماذا لايقال ـــ ان الحاجة التي علّمت النمل خزن الحنطة والهدستر قطع الاشجار والطيور بناء البيوت علمت الانسان هذه الاعمال وغيرها ففاق فيها العجماوات لتفوّقهِ عليها جسداً وعقلاً . وهذا لاينفي ان يكون الانسان استفاد من رؤية الحيوانات تعمل اعمالاً تدلُّ على نظر وروية او على كرم في الاخلاق . وقد كتب البرنس كروبتكن الروسي مقالة مسهبة في هذا الموضوع نقتطف منها ما يأتي قال

ان الناس في حال البداوة رأوا طوائف الحيوان تكتنفهم من كل ناحية . رأوا آجال القرود وقطعان الغنم وعراجل السباع وعصابات الطيور وخشارم النحل كل فريق منها يعيش على تمام الوفاق والوئام يعضد بعضهُ بعضاً كأَنهُ اعضاء عائلة واحدة يسعى كلٌّ منها في نفع الجماعة فتعلموا من ذلك الالفة والوئام وتعلموا ايضاً انهم هم وطوائف الحيوان عيال على الارض يعيشون من خيراتها

ورأوا ان الحيوانات الضارية التي تعيش بافتراس غيرها لايفترس بعضها بعضاً بل يعيش افراد النوع الواحد على تمام الوفاق والوئام كما ترى في الضباع وبنات آوى . وما تفرَّق منها ولم يعد اسراباً كبيرة بل صار يعيش وحدهُ منفرداً كالنمر والنمس والهر البري انما لجأَ الى الانفراد بعد ان تعقبهُ الانسان وكاد يقرض نسلهُ . اما سائر انواع الحيوان التي تعيش من نبات الارض كالغزلان والايائل والحمر البرية فلم تزل تعيش بعضها مع بعض قطعاناً كبيرة وتقيم عليها الحراس من نوعها لحراستها من عدو مفاجيء . واذا فاجأَها العدو اجتمعت اناثها وصغارها معاً ووقف الذكور الكبار حولها كالسور للدفاع عنها وقد تهلك الذكور ذوداً عن حرمها . ولا بدَّ من ان يكون الناس قد رأوا ذلك من قديم الزمان وتداولوا اخبارهُ واكبروا امرهُ واعترفوا للحيوان الاعجم بالعقل والادراك وتعلموا منهُ كيفية الدفاع عن محارمهم

والحيوانات التي تقيم في مكان واحد تحفر فيهِ اوجارها او تبني قراها او تقيم سدودها كالكلاب البرية والبرابيع والنمل الابيض وكلاب الماء رآها الانسان من قديم عهدهِ فتعلم منها المعيشة الحضرية وبناء المساكن والقيام فيها . ولا يزال الرعاة في بلاد المغول يرون اوجار الوبار واهراءها مملوءة بالجذور التي جمعتها في الصيف لتقتات منها في الشتاء فيجدون انها احكم

منهم وابعد نظرًا . وعلى هذا النحو حضَّ الحكيم الكساني ليذهبوا الى النملة ويتعلمون منها الاجتهاد والحكمة . ولا يبعد ان يكون اسلافنا قد تعلموا منها خزن الحبوب في الاهراء

والطيور على انواعها علّمت الناس الالفة والحنين الى الاهل والوطن والتفاني في الدفاع عن الذراري حتى جوارح الطير يعيش ذكرها مع انثاه على تمام الحب والوئام ويسعى الاثنان لفراخهما كأن لا غرض لهما من الحياة الاَّ تربية النسل . والعصافير الصغيرة اذا هاجمها ثعبان او باشق اجتمعت عليهِ واوسعتهُ نقرًا بمناقيرها ودفعًا باجنحتها حتى تزجرهُ او تعمي بصرهُ بل انها قد تدفع الانسان عنها في الدفاع عن بيضها وصغارها وتصمّ اذنيهِ بصراخها

اما ما تبديهِ الطيور من البهجة والحبور ولاسيما صغارها بعد الخروج من اوكارها فمما يعجز الوصف عنهُ . ومن لم يرَ انواع البلبل والعندليب والحسُّون والسنونو والنعار والكنار والحمام واليمام تقضي ساعة او ساعتين في التفتيش عن طعامها ثم تمضي سائر النهار في التغريد والترجيع كأن حياتها كلها لهو ولعب . أوَ لا يحتمل ان اسلافنا الاولين ارادوا الاقتداء بها لما وضعوا المواسم والاعياد واجتمعوا فيها للهو والطرب

وهل فات الانسان رؤية الطيور القواطع كالسنونو واللقلق واجتماعها قبل سفرها في مكان واحد عامًا بعد عام وهي تصيح وتتداول كأنها في مجلس شورى ثم تطير عصابة كبيرة فتحجب وجه السماء . هل فاتهُ ذلك او هل رآهُ يتكرر عامًا بعد عام ولم يتعلم منهُ شيئًا

ومن ينظر التمساح في نهرهِ يفترس الفريسة فلا يأكل منها شيئًا حتى يدعو اهلهُ واقاربهُ ليشاركوهُ فيها . ويقتل احد اقاربهِ فلا ينفكُّ عن الطلب بثأرهِ الى ان يظفر بالقاتل . مَن ينظر ذلك ولا يحترم هذا الحيوان الاعجم ولا يلتمس للاقدمين عذرًا في اكرامهم لهُ اكرامًا دينيًا كما فعل سكان مصر الاقدمون وكما يفعل اهالي الهند الآن

واطال البرنس كرتكن على هذا النحو وقال ان الانسان لا يتعلم طبائع الحيوانات الاَّ اذا شاهدها في مسارحها وغياضها ورأى ما تبديهِ من الاعمال التي تحيّر الالباب بما فيها من الحكمة والدهاء وان سكان المدن قد حُرِموا ذلك لانهم لا يرونها مطلقًا او يرونها مسجونة في اقفاص ضيقة يتعذر عليها ان تسرح فيها وتمرح وتبدي ما يقتضيهِ طبعها . وقد اذكرنا قولهُ هذا قصائد كثيرة لشعراء العرب وهم في البادية قبلما تحضروا وصفوا بها الوحوش والطيور وصف العارف بطبائعها المراقب لها في روحاتها وغدواتها لكنهم شحنوها بالفاظ لم تعد مألوفة فيتعذر فهمها على الجمهور الاكبر من القراء وتفوت فائدتها كقول حميد الارقط في وصف الصقر

ضارٍ غدا ينفض صيبان المطر عن زف ملواح ابعيد المنكدر

اقنى تظلُّ طيرهُ على حذرٍ يلذن منهُ تحت افنان الشجرِ

اي ان هذا الصقر قد أُغري بالصيد فقام ينتفض مما اصاب ريشهُ من المطر وهو اقنى اي احدب المنقار تخافهُ الطيور فلا تستطيع ان تعشش في الشجر فتعشش تحتهُ · وكقول الشنفرى يصف الذئاب

(١) واغدو على القوت الزهيد كما غدا ازلُّ تهاداهُ التنائف اطحلُ

(٢) غدا طاوياً يعارض الريح هافياً يخوب باذناب الشعاب ويعسلُ

(٣) فلما لواهُ القوت من حيث امهُ دعا فاجابتهُ نظائر نحَّلُ

(٤) مهللة شيب الوجوه كأنها قداحٌ بكفَّي ياسرٍ تتقلقلُ

(٥) او الخشرم المبعوث حثحث دَبرهُ محابيض ارساهنَّ سامٍ معسِّلُ

(٦) مهرتةٌ فوهٌ كأنَّ شدوقها شقوق العصي كالحاتٌ وبُسَّلُ

(٧) فضجَّ وضجَّت بالبراح كأنها واياهُ نوح فوق علياء ثُكَّلُ

(٨) واغضى واغضت واتَّسى واتَّست بهِ مراميل عزَّاها وعزَّتهُ مرملُ

(٩) شكا واشتكت ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبرُ ان لم ينفعِ الشكوُ اجملُ

(١٠) وفاء وفاءت بادرات وكلها على نكظ مما تكاتم مجملُ

ومعنى هذه الابيات على ترتيبها (١) ان الشاعر يغدو على القوت الزهيد كما يغدو ذئب اغبر ترامتهُ القفار (٢) فوقف في الصباح جائعاً يستنشق الرياح ويجوب شعاب الجبال وهو يهز رأسهُ ويضطرب في مشيهِ (٣) فلما لم يجد القوت حيث طلبهُ عوى عواءً شديداً فاجابتهُ ذئاب اخرى وهي جائعة نحيلة مثلهُ (٤) ابدانها كالنسيج السخيف ووجوهها شائبة الشعر وهي نحيفة كانها عيدان في كف مقامرٍ يحركها فتتقلقل (٥) او كانها دَبْر نحل خرج من خليتهِ لان مشتار العسل حركها بالعيدان التي يدخلها في الخلايا لاخراج العسل بها (٦) وهي اي الذئاب واسعة الاشداق فاغرة افواهها كأنَّ اشداقها شقوق العصي وتبدو عليها دلائل الغيظ والبسالة (٧) فلما رآها الذئب الاول ضجَّ فضجت هي في تلك الفلاة كأنهُ واياها تنحن نوح الثكالى (٨) ثم صمت وصمتت صبراً على البلاء واخذ يعزيها وتعزيهِ تعزية الارامل بعضهنَّ بعضاً (٩) وشكا اليها بلواهُ وشكت اليهِ بلواها ورأى الفريقان ان لا فائدة من الشكوى وانهُ وان لم تنفع الشكوى فالصبر اجمل (١٠) فعاد مسرعاً من حيث اتى وعادت مسرعة من حيث اتت وهي متفقة كلها على كتمان ما بها

وقلَّ وصف الطبيعة بانتشار الحضارة لكنهُ خلا من الوحشي والغريب كقول الصفي الحلي في وصف الكراكي

اهلاً بها قوادماً رواحلا تطوي الفلا وتقطع المراحلا
اذكرها عرْف الربيع الفها فاقبلت لشوقها حواملا
تُقرق في الجو بصوت مطرب يشوق من كان اليها مائلا
لما رأت حرَّ المصيف مقبلاً وطيب برد القرّ ظلاً زائلا
اهملت التخبيط في مطارها وعسكرت اسيرها قوافلا
تنهض من صرح الجليل تحتها بارجل لبردهِ قوابلا
قد انفت ايام كانون لها من ان تُرَى من الحلي عواطلا
فصاغت الطلّ لها قلائداً والثلج في ارجلها خلاخلا

واحسن منهُ قول حميد بن ثور في الحمام

وما هاج هذا الشوق الاَّ حمامةٌ دعت ساق حرٍّ نزهة وترنما
مطوقة غراء تسجع كلما دنا الصيف وانجال الربيع فانجما
محلاَّة طوق لم تكن من تميمة ولا ضرب صوَّاغ بكفيهِ درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدعْ لنائحة من نوحها متألما
اذا حركتهُ الريح او مال ميلةً تغنت عليهِ مائلاً ومقوَّما
عجبتُ لها انى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما
فلم ارَ محزوناً لهُ مثل صوتها ولا عربياً شاقهُ صوت اعجما

وقال جهم بن صابي

وقد هاج شوقي اذ تغنّت حمامةٌ مطوَّقة ورقاء تصدحُ في الفجرِ
هتوف تبكّي ساق حرٍّ ولن ترى لها دمعةً يوماً على خدها تجري
تغنّت بلحن فاستجابت لصوتها نوائحُ بالاخياف في فنن السدرِ
اذا فترت كرَّت بلحن شجونها تهيّج للصبّ الحزين جوى الصدرِ
دعتهنَّ مطرابُ العشيّات والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكرِ
فاسعدنها بالنوح حتى كأنما شربنَ سلافاً من معتَّقة الخمرِ
تجاوبنَ لحناً في الغصون كأنها نوائح ميت يندبن على قبرِ

ولقد اكثر شعراء العرب من التمثل بسجع الحمام وفسروهُ بمعناهُ الحقيقي كأنهم من علماء الحيوان

قبل مغيب الشمس

قبلما الشمس بالحجاب توارتْ والى الغرب من سما الشرق سارتْ
والى الشرق بالوداع اشارت حركت ساكن الجوى واثارت
في فؤادي لواعج الاشجانِ

كنت اذ ذاك ظاعناً مستقلاً جاعلاً لي من ظهر طنجور[1] رحلاَ
مطلقاً ناظري لكي يتملَّى ما يراهُ على الضفاف تجلَّى
من مجالي الخراب والعمرانِ

ونسيم المساء هبَّ بليلا " فارصاً للخدود شيئاً قليلا "
وجرى النيل تحتنا سلسبيلا وعليهِ طنجور سارت ذميلا
ثغر حلفا تؤمُّ من اصوانِ

شغلتني براحٍ عند البراحِ عن شخوصي الى الرُّبى والبطاح
واليها من شدة والتياح وبملء الحنين والارتياح
فرَّ قلبي وطال معهُ جناني

ومن الافق زال باقي النورِ اذ محتهُ يدُ الفنا والدثورِ
وغدا الشرق مثل اهل القبور خابطاً في حنادس الديجورِ
لا يدانيهِ في الظلام مدانِ

⁂

عند هذا وقفت وقفة حائرْ ذاهلاً غائباً بصورة حاضر
غائصاً في هواجس وخواطر ارقب الافق ظاهراً غير شاعر
انني عنهُ قد ثنيتُ عناني

وبعين الفكر التفتُّ بعيدا باحثاً في امرٍ اراهُ مفيدا
لستُ اروي عنهُ حديثاً جديدا قط لم يروَ بل اتيت معيدا
بعد ما قيل من قديم الزمانِ

---

(١) اسم احدى بواخر حكومة السودان التي تسير بين حلفا وشلال اصوان

شقَّ فكري غلالة الظلماء والى الغرب سار فوق الماء
فرآه ممتعاً بضياء هو سرُّ النماء والاثراء
واساس التقدم الانساني

ابصر الشمس في سماه تلالت فنفت غيهب الدجى وازالت
وبها عزَّت البلاد ونالت ما ارادت حتى سمت وتعالت
فوق كل الامصار والبلدان

لم يشاهد في الغرب من آثارِ لظلام يغشي سما الابصارِ
فارقاً بين ليلهِ والنهارِ مثل فرقٍ نراه في الشرق جاري
كل يوم مشاهَدًا بالعيانِ

بل رأى فيهِ عندما الشمس غابت الف شمس عنها على الفور نابت
وبها قرَّت العيون وطابت كل نفس كما اشتهت وأصابت
ما تمنت من المنى والاماني

ما اكتفوا مثلنا بلمح سناء في دجى الليل من نجوم السماء
او بنور للزيت واهي الضياء بل أناروا بالغاز والكهرباء
ما ارادوا في ارضهم من مكانِ

فشجاني ذا الاختلاف العظيمُ واعتراني منهُ عذابٌ أليمُ
ليت شعري حتى مَ تبقى الغيومُ مطبقاتٍ وهل تطيرُ الغمومُ
خانقات الافكار والاذهانِ

فهنا الشرق في شقاء مؤبَّد بات والغرب في نعيم مخلَّد
ذاك يهوي وذا الى الاوج يصعد ذا صحيح يسعى وذلك مُقعَد
ذا نشيط نامٍ وذلك فانِ

ذا مثيرُ الادواء مذكي الشجونِ ومذيبُ الاحشاء مبكي العيونِ
ومذيق الزقوم والغسلينِ لنفوس ترى بشرب المنونِ
راحة من مذلة وهوانِ

وعليهِ الكلام تحصيل حاصلْ فاذا طال كان من غير طائلْ
والماري في ذي الحقيقة جاهلْ ليس يدري او غافل او خاملْ
قانع بالصغار للذل عانِ

وعلى الباحثين لم يبق خافي سبب الفرق علة الاختلاف
عرفوا السرَّ بعد بحث كاف وابانوا الاعراض لكن تلافي
شرها ما رأوهُ في الامكان

عرفوا الشرق انهُ لا يبالي بسوى الفخر بالرميم البالي
وبما نال في العصور الخوالي من نعيم وسؤدد وجلال
وسنى في غنى ورفعة شان

تشرق الشمس فيهِ كل نهار فيباهي من خفة واغترار
انهُ وحدهُ بلا إنكار مشرق الشمس مطلع الانوار
ومنارُ الارشاد والعرفان

فاذا ما عنهُ اختفت في المساء واتاهُ الظلام بعد الضياء
قال هذا عليَّ حكم القضاء وقضى الليل وهو كالعشواء
خابط او كمعشر العميان

فقضى عمرهُ كما شاء لهوا قانعاً بالكفاف يؤتاهُ عفوا
واجداً بالقضا عزاء وسلوى او معيداً للدهر ذماً وهجوا
جمعهُ لا يطاق في الآذان

وعصى العقل اذ نهاهُ وازرى بنهاهُ وعدَّ نجواهُ كفرا
وهواهُ اطاع سراً وجهرا وهو جار مع طبعهِ كل مجرى
بكمال الخضوع والاذعان

بالقديم العتيق مغرى مقيدْ نفسهُ دائماً لهُ متعبدْ
لم يغير ذا الحكم بل لم يولدْ من مفيد لكنهُ قد يقلدْ
في مضرّ النفوس والابدان

⁂

فالى كم يا شرقُ هذا التغابي والتعامي عن الهدى والصواب
أنظر الشمس فهي قبل احتجاب كل يوم نذيرة بغياب
ليس من بعدهِ شروق ثان

الخرطوم اسعد داغر

ترجمة مذكرة عن سد اصوان :

نقلاً عن الجريدة الرسمية

ان مسألة اعلاء سد اصوان بقصد زيادة مقدار المياه في الخزان كانت منذ حين موضوع نظر مصلحة الري . وفي كتابي الاخير عن موارد النيل الاعلى [1] بحثت في اقوال السير وليم ولككس في هذا الصدد ثم اتفقت معهُ رأياً على وجوب اعلاء ذلك السد حتى يتيسر حجز المياه على منسوب ١١٢ متراً اعني على درجة تجاوز الدرجة القصوى المصرح بها اليوم وعددت في الكتاب المذكور الاسباب التي حملتني على اتخاذ هذا الرأي فلا فائدة هنا من التكرار. وليعلم انني قبلما ابديت رأياً في ذلك وطدت نفسي بالحساب الذي باشرهُ المستر وب ومهندسوهُ ان السلامة (بحسب جميع النظريات المقررة فيما يختص بمباني السدود) مكفولة في إعلاء السد بقدر المراد ولا خوف في ذلك على البناء من خلل يحدث فيهِ . قلت " بحسب جميع النظريات المقررة فيما يختص بمباني السدود " لانني عندما خططت كتابي وباشر المستر وب حساباتهِ الهندسية لم يكن احد منا يعلم بنظرية جديدة وُجدت فيما يختص بمتانة السدود ولذلك اتخذنا القاعدة التي اتخذتها لجنة المهندسين المختلطة سنة ١٨٩٤ التي انتدبت للبحث في مشروعات الخزان اي القاعدة المعتاد اتخاذها في جميع الخزانات وهي انهُ اذا كان محصَّل القوات واقعاً في دائرة الثلث الاوسط من القاعدة حتى لا يقع ضغط جانبي على البناء وكان ثقل السد كافياً لمنع الانزلاق فيكون الامن مكفولاً

وبعد نشر كتابي المذكور باشهر وبعد عرض حسابات المستر وب على مستشارنا الهندسي السير بنيامين بيكر لمراجعتها علمنا ان الرياضيين وجدوا نظرية جديدة تتعلق بمقدار تحمُّل السدود وبذلك اتخذت المسألة شكلاً آخر غير شكلها الاول . ولما كان الامر بكمالهِ ذا اهمية كبرى لكل احد في الديار المصرية رأيت ان افضل السبل التي يقتضي اتباعها ان نكاشف اهل البلاد ونبين لهم جلية الحال فنقول

ان السير بنيامين بيكر ابدى اراءهُ مفصلاً في تقريرهِ الملحق بهذه المذكرة فيما يختص بالسد الحالي ومسألة اعلائهِ لكنني ارى من المستحسن ان ازيد الامر بياناً واذكر بالاختصار

---

(١) الكتاب الازرق الصادر من وزارة خارجية انكلترا عن مصر عدد ٢ سنة ١٩٠٤ بشان موارد النيل الاعلى

الاسباب التي دعتهُ الى ان يشير بالعدول عن اعلاء الخزان الآن وعلى ذلك اعود الى الامر من مبدإِهِ فاقول

اول ما اتصل بنا عن اكتشاف نظريات جديدة تتعلق بمتانة السدود كتاب خصوصي ورد علينا من السير بنيامين بيكر كتبهُ في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٤ لكنهُ لم يذكر فيهِ شيئًا سوى ان الرياضيين وجدوا نظرية جديدة وان المسألة تحت البحث. ثم تلا ذلك مكاتبات اخرى آلت الى ان الحكومة وافقتني على دعوة السير بنيامين بيكر الى مصر فدعوتهُ والغرض من ذلك ان يرى بنفسهِ تأثير حجز المياه على السد مدة سنتين متواليتين ثم يبلغنا اخباره في ذلك ويشير بما يجب اجراؤه. فكانت نتيجة ابحاثهِ ما تراه في التقرير المرسل مع هذه المذكرة ولكن قبل الخوض في هذا التقرير يحسن بي ان ابين بالايجاز ماهية هذه النظرية الجديدة المختصة بالسدود فاقول

وضع هذه النظرية المستر اتكرلي استاذ المكانيكا التطبيقية في كلية لوندرا والمستر كارل بيرسن استاذ الرياضة التطبيقية والمكانيكا في الكلية المذكورة(١) ولهذين الاستاذين الصيت الطائر والشهرة البعيدة في فن الرياضة وذلك مما يجعل ما يبديانهِ من النظريات جديرًا بمزيد الالتفات

وخلاصة نظريتهما ان القطاعات الرأسية لسد من السدود واقع تحت ضغط مائي يكون تأثير ذلك الضغط عليها اشد كثيرًا منهُ على القطاعات الافقية وان سدًّا مقامًا بحسب القواعد المتبعة الى الآن يكون في مأمن من التشقق افقيًا ولكنهُ قد يتشقق رأسيًا. والحسابات التي اثبت المستر اتكرلي والمستر بيرسن بها هذه النظرية عويصة كثيرة التعقيد يصعب تتبعها فمن اراد مطالعتها واستطلاع ما فيها فعليهِ ان يتصفح ما كتباه فيها

ثم ان هذه القضية يشتغل في درسها الآن لفيف الرياضيين والمهندسين وعلماء المائيات في انكلترا وفرنسا ولا شك في انها ستكون موضوعًا لمناقشات كثيرة ولا بدَّ من ان الرجال الاختصاصيين في تلك الفروع في البلدين المذكورين سيصلون الى نتيجة فيما يختص بهذه النظرية الشديدة الأهمية التي سيكون لها شأن في جميع السدود الموجودة ولا شك في انها ستحدث تغييرًا كبيرًا في تصميمات الاعمال التي من هذا القبيل واما الآن فما علينا الَّا ان نتوقع نتائج هذه المباحث

(١) طبع كتابهما في ذلك الموضوع الخواجات ديلو وشركاه في لوندرا ميدان سوهو عدد ٣٧ في كراسة عنوانها قسم الرياضة التطبيقية في المدرسة الكلية في لوندرا مذكرات ابحاث شركة دريبرس

(المطلب الثاني الفني)

بشأن بعض النقط المهملة المتعلقة بمتانة وثبات مباني السدود للاستاذين اتكرلي وكارل بيرسن

هذا ولدى النظر في تقرير السير بنيامين بيكر عن سد اصوان نراه يقول القول الفصل في ما يتعلق بثلاثة امور

الاول انهُ لا يصح اعلاء السد قبل الوقوف على نتيجة تجربة الاعمال التحفظية (التي تباشر الآن خلف السد) الى مدة عامين في الاقل

الثاني ان السد على ما هو فيه اليوم سليم مأمون. وقد قال هكذا "وعليهِ فاني اغادر هذا السد وانا على يقين من ثباتهِ حتى لا يتأتى لكم منهُ قلق لانهُ راسخ يقيم قروناً ولا يستدعي ترميمات مستصعبة او توجب نفقات طائلة"

الثالث انهُ يعتبر ارتجاج السد الناشئ عن اندفاع المياه من البوابات من الامور التي لا يعتد بها على الاطلاق ولا يخشى لهُ عاقبة

اقول ان العبارتين الاخيرتين وهما صادرتان عن رجل ثقة مثل السير بنيامين بيكر داعيتان لاطمئنان كل فرد من الافراد في الديار المصرية

اما نصحهُ في الفقرة الاولى اعني بان يؤجل اعلاء السد فلست اتردد هنيهة في الاشارة باتباعهِ وعلى الخصوص لأن رأينا ينطبق تمام الانطباق على رأي السير بنيامين بيكر

ثم ان في تقريرهِ أمراً آخر يوجب المسرة ايضاً وهو قولهُ ان الحسابات الهندسية التي عرضها عليهِ مهندسو الحكومة لاعلاء السد صحيحة مضبوطة من كل الوجوه وانهُ بحسب الطرق السابقة يكون في الامكان رفع المياه الى الدرجة المطلوبة بلا خوف ارتكاناً على درجة الامن المعتادة

وقبل الدخول في الكلام على ما يتأتى عن تأخير اعلاء السد من المسائل اذكر بوجه الاختصار ما هو مطلوب في مدى السنتين القابلتين فيما يختص بالتحفظ على الصخور الواقعة خلف السد ووقايتها من النخر الذي يحدثهُ اندفاع المياه من البوابات اندفاعاً هائلاً. ففي النية ازالة جميع الصخور السطحية الركيكة واقتلاعها من اماكنها في غور بعيد وتركيب غيرها من حجر الجرانيت بمونة الاسمنت فاذا اقيمت الضفرة على هذه الصورة تزاد متانتها ايضاً من الطرف الخلفي بشبكة قفصية من الحديد تملأ ببناء من الاسمنت. ومما يجب ذكرهُ هنا انهُ طالما شعرنا من زمن مديد بوجوب اجراء هذه الاعمال التحفظية وقد شرع المستر وب باجرائها في سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ واستمرَّ على هذا العمل خلال صيف العام الماضي. والبناء الذي اقامهُ المستر ماكدونلد مهندس الخزان قد قاوم فعل المياه بدون ضرر على الاطلاق وزد على ذلك فقد كنا صممنا على متابعة اقامة هذه الضفرة والتوسع في ذلك في خلال هذه السنة ايضاً. وقبل

مجيء السير بنيامين بيكر كان المستروب قد عرض عليَّ مقايسة بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه من اجل الاعمال التحفظية فقط وقد تقرر لها المبلغ اللازم. و يشير السير بنيامين بيكر اليوم بالتوسع في هذا العمل كثيرًا و بوجوب انجازه في اقصر ما يمكن من الزمن سنعمل نحن بهاتين النصيحتين. هذا وليس بالغريب ان تكون اعمال تحفظية كهذه ضرورية فمن يراقب مقدار ما يندفع من المياه من البوابات في اوان امتلاء الخزان تأخذهُ الدهشة من تحمل الصخور التي خلف السد ما تحملتهُ من صدمات المياه العنيفة المتوالية الى الآن اذًا لا بدَّ ان تصادف المياه يومًا ما شقوقًا او فلوعًا في ظواهر تلك الصخور فان لم تكن تلك الظواهر او السطوح سليمة في كل اجزائها يخترق الماء النقط الضعيفة منها و يزعزع مجموع ما يكون فوقها مسنودًا عليها

ومع ذلك فليس في الامر من داعٍ للقلق في مستقبل الايام لانهُ ستقام للسد ضفرة يكون بناؤُها على نمط يجعل السطح الذي تسقط عليهِ المياه مستويًا بقدر الاستطاعة فينبسط الماء على الضفرة طولاً وعرضًا و بواسطة ادارة البوَّابات يكون في الامكان مراقبة اجزاء تلك الضفرة جميعها في اشهر الصيف والشتاء التي تكون فيها قوة الاندفاع في معظمها

وقد اشار السير بنيامين بيكر باحداث تعديلات جزئية في بعض الابواب السفلية لسهولة تشغيلها وسيتم هذا العمل حسب مشورتهِ

هذا والمسألة الكبيرة الاهمية التي يجب تدبرها والتبصر فيها هي مسألة تأجيل المشروع المختص باعلاء السد او العدول عنهُ وما يكون لذلك من التأثير في شؤُون الري في الديار المصرية والسودانية وفي هذا الشأن اقول

نحن اليوم على يقين من ان السد الحاضر متين سليم من جميع الوجوه ولكن يؤْخذ من تقرير السير بنيامين بيكر على ما أرى انهُ مع وجود النظرية المتقدم ذكرها التي وجدت حديثًا بشأن ثبات السدود المبنية ومتانتها ليس من المؤكد انهُ سيشير باعلاء السد مطلقًا او انهُ لا ينصح باجراء هذا العمل الاَّ الى حدٍّ محدود وعلى كل حال لا بدَّ من مرور اربع سنوات على الاقل قبل زيادة مياه الري في مصر [(١)]

وعليهِ فاذا لم يعلَ السد اقتضت الحال اتخاذ وسيلة اخرى لازدياد المياه الصيفية

ثم اني في كتابي الذي وضعتهُ في العام الماضي عن موارد النيل الاعلى ذكرت مشروعات مختلفة يقتضي درسها وذلك للوصول الى هذه الغاية خصوصًا ما يتعلق منها بمنع ضياع المياه

(١) سنتان لانجاز الاعمال التحفظية وسنتان لاعلاء السد

في آجام ومستنقعات النيل الابيض . وفي السودان اليوم عمّال مخصوصون للبحث في هذه المشروعات ولا بدّ من اجراء احد هذه المشروعات في المستقبل على ان درس المشروع واجراءه عملان يقتضي لهما زمن طويل وحينئذٍ اذا لم يعلُ سدُّ اصوان فلا بدَّ لمصر من الانتظار عدة سنوات قبل الحصول على زيادة تذكر فيما يلزم لها من المياه الصيفية ولا يصح القول بان تأجيل اعلاء السد المذكور يحدث ضررًا جسيمًا للبلاد ولو اخَّر تقدمها الحالي العجيب في سرعتهِ .

ومع هذا توجد طرق عديدة خلاف مشروعات الري الكبرى يمكن صرف الاموال في سبيلها بفائدة تذكر ومن اهم هذه الطرق اكمال السكك الحديدية وتحسين حالها حتى يمكن اجتناء جميع الفوائد الناشئة عن زيادة محصولات البلاد التي لا بدَّ من نقلها على تلك السكك في المستقبل العاجل

ومع ذلك فاني اشير مشدداً بايقاف بيع الاراضي الاميرية بمقادير كبيرة في الوقت الحاضر لان اعمال الري التعديلية في مصر الوسطى تنتهي بعد ثلاث سنوات تقريباً وتكون نتيجتها زيادة كلية في مساحة الاراضي التي تزرع صيفياً وحينئذٍ لا تتيسر المياه لاصلاح الاراضي الموات ولا ضرر في تأخير بيع الاراضي لانها لا ينقص ثمنها بتأجيل بيعها بل يحتمل انهُ يزيد ولسنا في اضطرار للحصول على اموال بهذه الطريقة ولا ارى موجباً يوجب بيعها قبل وجود الماء لريها . واني اعلم جيدًا ان كثيرين ممن يرغبون في المشترى يقبلون في عقود البيع بالاشتراط على انفسهم بان لا يكون لهم حق في اخذ مياه صيفية وانهم ينتظرون ريثما يتيسر للحكومة ان تعطيهم اياها . والذي اراه ُ مع ذلك ان البيع بهذا الشرط غير لازم ولا يصح القول بانهُ لصالح الحكومة لان فيهِ شيئًا من المضاربة وتزداد بهِ صعوبات مصلحة الري كثيرًا

اما السودان ففيها من الصعوبات في سبيل الري كما في مصر والذي اراه ُ ان لا تعطى مياهاً صيفية غير المقدار المتفق عليهِ بين اولي الشأن اي ما يمكن ان تستغني عنهُ البلاد المصرية . ولا يدخل في هذا الحصر الاراضي الواقعة في منطقة الامطار التي تختلف مواقيت الزراعة فيها عنها في مصر والري فيها لا مساس لهُ بمقدار المياه الواردة الى القطر المصري

وحيث انهُ يجب النظر في المسألة من كل وجوهها فانا اعتقد ان من الصواب فحص شلالات النيل من وادي حلفا الى شبلوكه والبحث فيما اذا كانت في هذه المنطقة نقطة تصلح لاقامة سد وخزان ثانٍ وبهذه الواسطة يمكن اذخار زائد المياه التي يحتاج الامر اليها فيما اذا كان السد لا يعلى . والذي اراه ُ اذًا ان يرسل ركاب مخصوص لهذا الغرض في ابتداء الشتاء الآتي لاستخراج مناسيب الشلالات ومساحها بالتفصيل وهذا العمل يستغرق سنتين في الاقل

وربما اكثر من ذلك وينبغي الشروع فيهِ باسرع ما يمكن من الزمن

عند ما كان من المحتمل اعلاء سد اصوان لم يكن حينئذٍ من ضرورة للبحث في ذلك والان لما نشأ الشك والريب في اعلاء السد ارى ان الحاجة ماسة الى هذا الامر. ولاخفاء انهُ متى تيسر لنا جلب مقدار كبير من المياه من النيل الاعلى توجب علينا الخال حينئذٍ اتخاذ طريقة خزنها في اقرب مكان من الاراضي التي تحتاج الى هذه المياه

ثم اني في شهر فبراير سنة ١٨٩٧ بحثت بحثاً وجيزاً في امر الشلالات بين وادي حلفا وحنك ووضعت لبحثي تقريراً في شكل كتاب ازرق

وفي هذا التقرير بحثت بالايجاز عن الاماكن التي تصلح للغرض المقصود ووجدت انهُ يعترض على كل مكان منها ولكن ما يعترض بهِ عليها ليس مما لا يمكن التغلب عليهِ ومن المحقق تقريباً ان بين الشلال الثاني والسادس مواقع يستطاع خزن المياه فيها ولا مشاحة ان ما من بناء مثل هذا الأ استدعت اقامتهُ نفقات طائلة لبعد المكان اولصعوبة النقل وقلة الرجال

فلو عدلنا عن مشروع اعلاء الخزان لا نجد امامنا باباً آخر غير ما ذكر وعليهِ أرى من الواجب الشروع في هذه المباحث في زمن قريب

والخلاصة انهُ وان كان التأخير يضعف الآمال حقيقة وان كان عدم اعلاء السد يحرم مصر وسيلة عاجلة لزيادة المياه فيها فلا يصح مع ذلك ان يقال بان هذا الامر عائق خطير يعيق تقدم القطر لان هذا التقدم كان ولا يزال سائراً بسرعة غير اعتيادية وان السنين القليلة التي يكون فيها التقدم بطيئاً بالنسبة الى السرعة المذكورة لا يعتدّ بها

فمصر قد حصلت على نفع عظيم مقابل المبالغ التي انفقتها على سدّ اصوان ويمكنها بدون مشقة زائدة ان تنتظر الزمن الذي يتبين لنا فيهِ اي مشروع من المشروعات المختلفة هو المشروع الاصلح ويكون من شأنهِ زيادة الاراضي الزراعية عما هي عليهِ الآن[1]

(امضا) جارستن

مستشار نظارة الاشغال

العمومية

[المقتطف] اطلع السر وليم ولككس على هذه المذكرة فارتأى ان تخزن زيادة مياه الفيضان في برك كبيرة في الوجه البحري لتستعمل وقت التحاريق

---

(١) سيرد في تقرير اللورد كرومر لسنة ١٩٠٤ ارقام جمعها المستر وب وادرجها في مذكرة رفعها لجنابهِ وضمن هذه الارقام دلائل التحسين العظيم الذي نشأ عن اقامة خزان اصوان

دقيق الآلات

للتقدُّم الصناعي العظيم الذي تقدمهُ اوربا واميركا في القرن الماضي اسباب كثيرة اخصها دقَّة آلات الوزن والقياس . وقولنا ان الموازين والمقاييس دقيقة جدًّا لا يوصل الى ذهن القارىء والسامع معنًى يقارب الصورة التي نريدها لان هذه الدقة تفوق كل تصوُّر الفناء . انظر الى الموازين التي يزن بها الصاغة الذهب والفضة والحجارة الكريمة فان معاييرها القيراط والحبة وكسور الحبة الى سدسها واذا دقَّ الموزون اكثر من ذلك عجز الميزان عن الشعور بهِ ولكن اين هذه الموازين من الميزان الكيماوي الذي يوزن بهِ جزء من الف جزء من الحبَّة الواحدة. فاذا قطعت ورقتين متساويتين تماماً ووضعتهما في كفتي هذا الميزان حتى توازنتا تماماً ثم كتبت على احداها حرفاً بقلم الرصاص واعدتها الى كفة الميزان رجحت على اختها ولو لم يزد وزن ما لصق بها من قلم الرصاص على جزء من الف جزء من القمحة . وميزان مثل هذا يجب وضعهُ في صندوق محكم جوانبهُ من الزجاج لكي لا تؤَثر فيهِ مجاري الهواء . وان قيل كيف يمكن الوصول الى عيار ثقلهُ جزء من الف جزء من القمحة اجبنا انهُ تسحب قطعة من معدن الاليومنوم الخفيف حتى يكون منها سلك طولهُ متر ثم يقطع قطعاً طول كلٍ منها مليمتر فيكون وزن كل قطعة جزءا من الف جزء من القمحة

والمقاييس ادق من الموازين جدًّا فقد يقاس بها ما طولهُ او ثخنهُ جزء من الف جزء من المليمتر وطريقتها بسيطة جدًّا وهي ان اللولب الذي البعد بين الخطين من خطوطهِ خمس مليمتر يتقدم خُمس مليمتر كما دار دورة كاملة فاذا كان في طرفهِ قرص محيطهُ مئة مليمتر وعليهِ اسنان البعد بين كل سن واخرى منها نصف مليمتر وأُدير اللولب مقدار سن واحدة فيكون قد تقدم الى الامام جزءا من ١٠٠٠ جزء من المليمتر

ولا بدَّ من ان تكون خطوط اللولب وخطوط قرصهِ على تمام الانتظام وقد صنعوا ميكرسكوبًا يرى بهِ اقل خلل فيها وآلة تصلحهُ مهما كان مقدارهُ قليلاً

واذا تركبت اللوالب بعضها مع بعض حتى يدير احدها الآخر وهذا الذي يليهِ فقد يقاس بها ما طولهُ او ثخنهُ جزء من اربعين الف جزء من المليمتر اي جزء من مليون جزء من (العقدة) ومتى بلغت الخطوط هذا المبلغ من الدقة لم يعد تخطيطها ممكناً بالوسائل العادية فصنع الاستاذ هنري رولند الاميركي آلة تخطط ٤٣٠٠٠ خط متوازٍ على صفيحة من المعدن طولها بوصة واحدة اي تخطط ١٧٢٠ خطًّا في المليمتر الواحد. ومعلوم ان سمك ورقة السيكارة جزء

من الف جزء من البوصة فيرسم بهذه الآلة ٤٣ خطاً متوازياً على حرف ورقة السيكارة. وهذه الخطوط ادق جداً من ان ترى بالعين ولكنها ترى بالميكرسكوب والمعدن الذي تحفر فيهِ هذه الخطوط مزيج صلب جداً يجلي حتى يصير كالمرآة وترسم الخطوط عليهِ بقلم دقيق من الماس. والآلة التي تحرك قلم الماس تكون في غرفة لا تتغير حرارتها مطلقاً والاَّ تغير تمدُّد معدنها بالحرارة وفسد العمل

وعندهم حيلة قديمة مشهورة للاستدلال على المقاسات الدقيقة استنبطها بطرس ڤرنير البلجيكي منذ سنة ١٦٣١ فسميت باسمهِ وهي مقياس صغير يزلق ملاصقاً للمقياس الكبير طولهُ جزء وعشر جزء من اجزاء المقياس الكبير ولكنهُ مقسوم الى عشرة اقسام فقط فاذا كان طول الجزء من المقياس الكبير سنتمترًا واحداً وهو مقسوم الى عشرة مليمترات وطول الڤرنير ١١ مليمترًا ولكنهُ مقسوم الى عشرة اقسام متساوية فكل قسم منها مليمتر وعشر مليمتر فاذا كان حد المقيس بين خطين من خطوط المقياس الكبير كأن يكون بين المليمتر السادس والسابع يوضع صفر الڤرنير على هذا الحد وينظر اين تلتقي خطوط الڤرنير بخطوط المقياس الكبير فان التقت عند الخط الثالث من خطوط الڤرنير فطول المقيس ستة مليمترات وثلاثة اعشار المليمتر. والڤرنير متصل باكثر آلات المساحة والهندسة واذا كانت خطوطهُ دقيقة تقرأ بميكرسكوب صغير متصل بهِ

ومهما كانت الموازين التي تزن الاثقال والمقاييس التي تقيس الاطوال دقيقة لا تبلغ دقتها شيئاً مذكورًا بالنسبة الى دقة المقاييس الكهربائية اي التي يقاس بها مقدار المجرى الكهربائي فان مقياس دُلزلك مثلاً يدلُّ على تغيُّر المجرى الكهربائي ولو كان هذا التغير جزءا من ستة عشر مليون مليون جزء من الامبر اي لو فرضنا انهُ ينصبُّ مليون متر مكعب من النيل كل ساعة من الزمان وفرضنا ان هذا المقدار من الماء يعادل امبرًا واحداً من الكهربائية ثم زاد هذا المقدار من الماء نقطةً واحدة او نقص نقطة واحدة فان المقياس المشار اليهِ يدلُّ على الزيادة او النقصان

ومما يجري هذا المجرى مقياس الحرارة الدقيقة وهو مبني على تولد الكهربائية بواسطة الحرارة وانحراف ابرة مغنطيسية بها فتقاس حرارة اليد بهذه الآلة وهي على عشرة امتار منها وتقاس بها حرارة النجوم

ومن آلات الدقيقة آلة تقاس بها الحركة مهما كانت بطيئة فاذا كانت سرعة الريح بمعدل سنتمتر واحد كل ثلاثة ايام فالآلة تشعر بها وتدلُّ عليها

وكما تفننوا في المقاييس والموازين وبلغوا بها هذا المبلغ الفائق من الدقة تفننوا في آلات

القص والقطع فيقصون من البارافين (الشمع الابيض) صفيحة رقيقة لا يزيد سمكها على جزء من خمس مئة جزء من المليمتر اي لو جمع خمسة آلاف صفيحة منها معاً ما بلغ سمكها اكثر من سنتمتر واحد . وهذه الصفائح تستعمل في البحث المكرسكوبي . والآلة المشار اليها تقطع كرية الدم التي لا ترى الأ بالمكرسكوب الى ثلاث قطع متساوية كما يقطع قرص الجبن بالسكين

وجملة القول ان صانعي الآلات الدقيقة في اوربا واميركا بلغوا في دقتها حدًّا يفوق التصوُّر . ولكن المهارة التي بلغوها لم يستأثروا بها بل يستطيع كل احد ان يتعلمها منهم ويجاريهم فيها وفوائد العمران مباحة للجميع

الفلاَّح في الصباح

[المقتطف اقترحنا على حضرة مصطفى افندي الرافعي ان ينظم للمقتطف قصيدة موضوعها الفلاَّح المصري واعماله . وطلبنا منهُ ان يخليها من كل كلمة غريبة وتركيب غير مألوف حتى لا يتعذر فهمها على جمهور الفلاحين . فنظم الابيات التالية والظاهر انهُ لم يستطع ان يخليها من الغريب على الفلاحين كاللجج والاماني والمهج ولا من التراكيب التي لم يألفها جمهورهم كقولهِ "فهي ان تأبَ عليهِ قرُبا وهو ان تقربْ تولى وابى" لكن الشطر الاول والاخير من هذين الدورين يشفعان بما فيهما من الغريب . وحبذا لو توخى هو او غيرهُ نظم قصائد على هذا النحو مألوفة اللفظ والمعنى كاكثر ابيات هذه القصيدة يحفظها الفلاح وابنهُ وابنتهُ ويتغنون بها . فان اشعارًا مثل هذه معربةً خالية من التعقيد اللفظي والمعنوي تفيد في نشر اللغة المعربة وتعميمها اكثر من كل وسائل النشر . واذا وقعت فيها كلمة لغوية تدلُّ القرينة على معناها دلالة واضحة او وقع فيها تركيب غير مألوف ولكن يدلُّ سياق الكلام على المراد منهُ لم يجد الذهن مشقَّة كبيرة في ادراكهما . وبذلك تصلح لغة العامَّة وتتَّسع]

هاتِ يا محمودُ لي المحراثَ حالا وضع الآنَ على الثورِ الحبالا
يا عليُّ قم تخذ هذي الجمالا للسباخِ قاربَ الصبحُ الطلوعْ

***

أنتِ يا خضرة قومي فاحلبي يا سماحي قلْ لزينبَ اذهبي
وخذي خبزًا ومشًّا لابي ثم أرسلْ هائمًا ترعى القطيعْ

يا الهي كن بعوني واكفني شر أطماع الخواجا واهدني
للرضا وبالقنوع اغنني عزَّ من كان غنياً بالقنوع

***

ثم بارِك في بنيَّ أجمعين وكن اللهمَّ لي خير معين
واكفنا أدواء هذه السنين إنَّ مَن لم تكفهِ انتَ يضيع

***

قال بسم الله ربي وخرج والصباح لجَّ فوق لجج
والضياء كالاماني في المهج والدجى في مهبط النجم صريع

***

والنبات في غرام بالصبا فهي ان تأبَ عليهِ قربا
وهو ان تقرب تولّى وأبى والندى في اعين الزهر دموع

***

ذلك الفلاحُ سلطان النشاط في يديهِ صولجانٌ من سياط
ولهُ اين مشى الزرع بساط وهو في مملكة الخلق وضيع

***

ملك لا يعرف الهمَّ ولا يبتغي بكل عيش بدلا
لا يقولـــ ليتَ قلبي قد خلا من همومي أو خلت منهُ الضلوع

***

فتحت شمس النهار عينها فرأت في مسرح الارض ابنها
قائماً يسأل مَن كوَّنها ان يكون العام في خصب الربيع

***

فرمت في الارض مثل الذهب وأشارت للفتى إنْ تدأبِ
أُعطِكَ الخيرَ جزاء التعبِ فانحنى الظهرُ علامةَ الخضوع

***

كلُّ فلاح على ذلتهِ كتب الدهرُ على جبهتهِ
أنَّ هذا المرء من حرفتهِ عاش في الدنيا الوضيعُ والرفيع

مصطفى صادق الرافعي

عاقبة الاسراف

توفي بالامس رجل انكليزي تجشَّم اسلافهُ المشاق حتى جمعوا ثروةً طائلة فورث منهم ثلاثين الف فدان ودخلاً سنويًّا لا يقلُّ عن مئة وعشرة آلاف جنيه اي اكثر من المال المقطوع لخديوي مصر ورتبةَ شرف سامية ليس فوقها الاَّ رتبة دوق. ولم يُهمَل تعليمهُ وتهذيبهُ فدرس في مدرسة من اشهر المدارس الانكليزية وزُوّج فتاة من جلَّة القوم مشهورة بادبها وجمالها ولكنهُ لم يبلغ الثلاثين من عمرهِ حتى بدَّد ثروتهُ كلها واستدان فوقها اضعاف اضعافهما ومات لا يملك شيئاً

اسم الرجل هنري سسل باجت مركيز انجلسي من نسل البارون باجت الذي نشأ في اواسط القرن السادس عشر والمركيز هنري وليم باجت الذي كان قائداً للفرسان في واقعة ووترلو الشهيرة وصار مرشالاً ثم حاكماً لارلندا

وليس من غرضنا ان نكتب تاريخ هذا الرجل بل ان نشير الى طرق الاسراف التي اتَّبعها فصارت ملكة فيهِ بدَّد بها ثروتهُ واتلف صحتهُ وثلم صيتهُ ومات عليلاً سقيماً قبل ان يمرَّ عليهِ ثلاثون حولاً

كان غرامهُ بل جنونهُ في التمثيل واقتناء الجوهرات فبنى داراً للتمثيل في قصرهِ بانجلسي انفق عليها بدرات الاموال وجلب لها ثلاثين ممثلاً من اشهر الممثلين وقطع لهم الرواتب الطائلة وصنع لهم من الملابس الفاخرة ما يكل عن وصفهِ القلم وكان يمثّل معهم فظهر في رواية علاء الدين لابساً رداء تغطيهِ الجواهر وخوذة تتدلَّى منها سموط اللؤلوء النظيم. وظهر في رواية اخرى والحجارة الكريمة تغطيهِ كلهُ من رأسهِ الى قدميهِ

وكان يبتاع هذه الجواهر باثمان فاحشة ثم لا يعتني بحفظها حتى ان احد خدمهِ سرق منها مرَّةً ما ثمنهُ ثلاثون الف جنيه وكان فيهِ لؤلؤة واحدة موروثة في عائلتهِ ثمنها اثنا عشر الف جنيه وهي من الفرائد النادرة المثال

لكن عاقبة الاسراف الافلاس فافلس وقبض المداينون على ما في قصرهِ وباعوهُ بالمزاد فوجدوا فيهِ من النفائس ما لا يوجد في قصور الملوك ومن السخائف ما لا يجمعهُ الاَّ مختلو الشعور وجدوا فيهِ جواهر تساوي خمسة وعشرين الف جنيه في درج غير مقفل ووجدوا آنية الذهب مبعثرة في غرفهِ كانها قطع من الخشب فالاقلام والدويات من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة والكوَب والبرشات وعلب البودرا من الذهب ايضاً. ووجدوا عندهُ تسع مركبات من

مركبات الاتوموبيل ثمن واحدة منها ٢٥٠٠ جنيه لم يركب فيها الاَّ تسعة عشر ميلاً

اما موضع الاستغراب الاكبر فهو في ملابسهِ فانهم قسموا ثيابهُ رزماً كبيرة باعوا كل رزمة منها على حدة وكان من هذه الرزم ٦١ رزمة كلها احذية واجربة و ٢٦٠ رزمة كلها ثياب وقمصان واردية وبينها ٧٢١ ربطة من ربطات الرقبة واكثر من مئة رداء مما يلبس في الصباح وهي من الحرير وبعضها مطرَّز تطريزًا بديعاً او مبطن بالفراء والوانها مختلفة واشكالها غريبة . و٤٨ رزمة من الصداري فيها من كل الاشكال والالوان التي يمكن ان يتصورها العقل . اما القمصان ونحوها من الثياب التحتانية فباعوا منها ٣٧٤ قميصاً من قمصان الحرير و ٢١٦ زوجاً من جوارب الحرير و ٧٤٤ منديلاً . وبين القمصان قمصان سوداء كان يلبسها تحت ثياب بيضاء ليكون على ضد ما يجري عليهِ الناس . وقُدِّر ثمن رداء من اردبتهِ بالف جنيه لانهُ من جلد القاقم الاسود . والظاهر انهُ كان يشتري هذه الثياب بكميات كبيرة ثم ينساها ويشتري غيرها وهلمَّ جرًّا

واغرب من ثيابهِ العصي التي كان ينفق عليها اموالهُ فانها من كل شكل ونوع واكثرها مرصع بالحجارة الكريمة ومقابضها في صور حيوانات مختلفة عيونها من الجواهر ولم يترك حيواناً الاَّ وكان عندهُ عصاً مقبضها مثل رأسهِ

ودام المزاد في القصر اربعين يوماً واما التحف الغالية الثمن فنُقلت الى لندن وبيعت فيها ومع ذلك لم يستوفِ المداينون ثلاثين في المئة من ديونهم

ثروة طائلة يكفي ريعها مئة بيت لتعيش بالرخاء والرفاهة اضاعها رجل واحد في اعوام قليلة باسرافهِ وتبذيرهِ واضاع فوقها صيتهُ وصحتهُ . هذه عاقبة الاسراف

والظاهر ان اكثر ابناء الاغنياء في هذا القطر جارون هذا المجرى فيخربون البيوت التي عمرها آباؤهم ويبددون الاموال التي جمعها اسلافهم ويقضون السنين القليلة الباقية من عمرهم في الضعف والذل الى ان تدركهم الوفاة . ولعلَّ ناموس الكون يقتضي ذلك لكي تتوزع الاموال بعد تجمعها وينقطع نسل مَن لاخير منهُ . وهو ناموس صارم ولكنهُ عادل ونتيجتهُ افادة النوع بوجه عام والاَّ تجمعت الاموال عند افراد قليلين . لكن العاقل غير مكلَّف بتعريض نفسهِ وولدهِ لطائلة هذا الناموس

اما وارث مركيز انجلسي فلا يُترك فقيرًا لان في اراضيهِ الموقوفة معادن غنية ينتظر ان يكون منها ريع وافر



تسميد القطن

وضع المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية رسالة مختصرة في تسميد القطن رأينا ان نترجمها ونلخصها افادة لقراء المقتطف من اهل الزراعة قال

ان البحث في تسميد القطن يدعونا الى النظر في امرين مهمين الاول تكثير المحصول والثاني اجادة نوعهِ . لانهُ لايكفي ان يكون محصول القطن كثيرًا ولكنهُ من نوع واطيء رخيص الثمن . ويجب في الوقت نفسهِ ان لا تكون نفقات التسميد كثيرة اي يجب ان نحصل على اكثر ما يكون من المحصول واجود ما يكون منهُ باقل ما يكون من النفقات

ومسألة تسميد القطن اصعب من مسألة تسميد القمح والذرة فانهُ لابد من معرفة طبيعة الارض التي يضاف السماد اليها وذلك اهمُّ جدًّا في القطن ممَّا هو في غيرهِ من المزروعات لان استعمال نيترات الصودا يفيد زراعة القمح في كل الاراضي المصرية تقريبًا ولكن لايوجد سباخ يفيد القطن في كل الاراضي على حدٍّ سوى بل لا بدَّ من معرفة طبيعة الارض وما كان مزروعًا فيها ومعرفة الجهة ايضًا قبل الحكم على السباخ الذي يفيد القطن فيها

والقاعدة العامَّة ان سباخ القطن في القطر المصري يجب ان يكون حاويًا مواد آلية اي يجب ان يكون اساسهُ الزبل او السباخ البلدي ولكن قلة الوقود في القطر المصري تحمل الفلاحين على حرق الزبل ولولا زرع البرسيم الذي يردُّ الى الارض جانبًا من النيتروجين لامحلت اراضي القطر المصري لامحالة . ومن المحقق ان السباخ الكيماوي يقوم مقام السباخ البلدي في تسبيخ القطن ولكن اذا زُرعت الحبوب بعد القطن لاتستفيد من السباخ الكيماوي الذي سبخ بهِ كما تستفيد من السباخ البلدي اذا سبخ القطن بهِ

فلا بدَّ من السباخ البلدي او ما يقوم مقامهُ لحفظ خصب الارض ولكن هذا لاينفي فائدة الاسمدة الكيماوية

ولا يخفى ان مساحة الارض التي تزرع قطنًا قد زادت كثيرًا في السنين الاخيرة

وكثيرون من المزارعين لم يعودوا يكتفون بزرع ثلث اطيانهم قطناً بل صاروا يزرعون نصفها قطناً اي صارت الارض تستريح من زرع القطن سنة واحدة بعد ان كانت تستريح سنتين وهذا يزيد حاجتها الى التسميد و يزيد الصعوبة في وجود السباخ البلدي الكافي فيضطر كثيرون ان يتركوا قطنهم من غير تسميد او ان يلجأوا الى استعمال الاسمدة الكيماوية . والمسألة الآن ليست قائمة على تفضيل السباخ البلدي على السماد الكيماوي او السماد الكيماوي على السباخ البلدي بل على ان السباخ البلدي قليل جدًّا غير كافٍ فهل نستعمل السماد الكيماوي او نترك القطن من غير تسميد . وخير الطرق ان يستعمل القليل الموجود من السباخ البلدي و يضاف اليهِ ما يكفي من السماد الكيماوي فان ذلك افضل من ترك جانب كبير من القطن من غير تسميد . وقد توجد اراضٍ شديدة الخصب تستغني عن السماد لكنها قليلة نادرة

وقد ظهر من التجارب في السنين القليلة الماضية ان السماد الكيماوي يفيد جدًّا في الاراضي الضعيفة والمتوسطة واما في الاراضي الكثيرة الخصب فالسماد الكيماوي قد يزيد نمو النبات ولكنهُ لا يزيد لوزهُ . ولا يُعلَم حتى الآن ما هي المقادير التي يجب ان تستعمل من كل نوع من الاسمدة المختلفة اذا اريد مزجها معاً لان ذلك يقتضي امتحاناً كثيراً مدة سنوات كثيرة

والعناصر التي تضاف الى الارض بواسطة السماد اهمها ثلاثة النيتروجين والحامض الفصفوريك والبوتاسا . و يظهر من تحليل الاراضي المصرية انها تحتاج الى النيتروجين اكثر مما تحتاج الى غيرهِ وانها غنية بالحامض الفصفوريك بنوع عام واغنى من ذلك بالبوتاسا فهي محتاجة اذًا الى السماد النيتروجيني والى شيءٍ من السماد الفصفوري . والسماد الفصفوري يحسّن نوع القطن و يسرع تفتيحهُ ولذلك فالسماد المختلط من المواد النيتروجينية والفصفورية مفيد جدًّا لزراعة القطن

وتوجد مادتان فيهما نيتروجين صالح للزراعة الواحدة نيترات الصودا والثانية كبريتات الامونيا . والمادتان متشابهتان في فعلهما ولكن نيترات الصودا اسرع فعلاً . ولا بدَّ من الالتفات في زرع القطن المصري الى التبكير في بلوغ المحصول لانهُ اذا تأخر بقي جانب كبير من اللوز من غير تفتيح ولذلك فمن السماد الفصفوري فائدة كبيرة لاسيما وانهُ يجيد نوع القطن. اما السماد النيتروجيني فيفيد في زيادة نمو النبات وقوتهِ وفائدتهُ الكبرى في الاراضي الرقيقة التي يكون نبات القطن فيها صغيراً واما اذا كان النبات ينمو فيها ويكبر جدًّا فلا يحسن استعمال السماد النيتروجيني او يجب استعمالهُ بالحذر التام وكذلك اذا كانت الارض مزروعة برسيماً قبل القطن قلت حاجتها الى السماد النيتروجيني

والمتبع الآن في الارض الرقيقة ان يسمد الفدان بمئة كيلو من السماد النيتروجيني واما

الارض التي هي اجود منها فيكفيها ٦٠ او ٦٥ كيلو للفدان . ويدلُّ الامتحان على ان نيترات الصودا احسن غالباً من كبريتات الامونيا واحسن من ذلك مزيج من الاول والثاني ويكون مقدار الاول اكثر من مقدار الثاني . والاول اسرع فعلاً من الثاني فيفيد الزرع في بداءتهِ ويقويهِ على مقاومة الآفات التي تعرض لهُ في صغرهِ والثاني يفيدهُ بعد ما ينمو واذا كان كثيراً زاد في نموهِ فيتأخر ظهور اللوز فيهِ . فتتم الفائدة بمزج ٦٠ او ٧٠ كيلو من نيترات الصودا و٣٥ او ٣٠ كيلو من كبريتات الامونيا في الاراضي التي يبلغ محصول الفدان منها عادةً من ٣ قناطير الى ٥ واما الاراضي التي يبلغ محصول الفدان منها من ٥ الى ٦ فيكفي فيها ٥٠ كيلو من نيترات الصودا و١٥ الى ٢٠ كيلو من كبريتات الامونيا والاراضي التي يبلغ محصول الفدان فيها اكثر من ستة قناطير يكفي فيها ٤٠ الى ٥٠ كيلو من نيترات الصودا من غير ان يضاف اليها شيء من كبريتات الامونيا

واما الفصفات فمقدار ما يضاف منها الى الفدان ٢٠٠ كيلو وهي تفيد في كل حال . والاطيان المصرية لا تحتاج الى البوتاسا غالباً

لنفرض الآن ان الاطيان اعتيادية في خصبها ومحصول الفدان منها عادة من ٤ قناطير الى خمسة وعند المزارع قليل من السباخ البلدي فلا بدَّ من ان يضيفهُ الى الارض قبل الحرث الاخير على طريقة التسبيخ العادية ثم ينظر في كيفية تسميدها بالسماد الكيماوي اي بفصفات الصودا و بنترات الصودا وكبريتات الامونيا

اما الفصفات فتختلف طرق تسبيخ الارض بها فالبعض يفرشون هذا السباخ على الارض وقت الحرثة الاخيرة والبعض يبذرونهُ في الخطوط ثم يخططون الارض ثانية فيقع السباخ تحت جذور القطن حينما ينبت . ولكن ظهر من التجارب في ميت الديبة ان طريقة التكبيش افضل من غيرها . واكثر الفرق بين هذه الطرق قائم في سهولة العمل بها وصعوبتهِ . والامر المقرر ان الفدان يحتاج الى مئتي كيلو من الفصفات

هذا من حيث كيفية تسبيخ الارض بالفصفات اما تسبيخها بالنيترات فاصعب نوعاً والوقت المناسب للتسبيخ حينما يخفف نبات القطن اي بعد ما يزرع باربعين او خمسين يوماً وذلك بان يؤخذ ٦٠ او ٧٠ كيلو من نيترات الصودا لكل فدان وتدق جيداً حتى تنعم وتمزج بضعفيها او ثلاثة اضعافها من التراب الناعم ويسبخ بهِ نبات القطن تكبيشاً اي توضع كمشة منهُ عند اصل الشجرة وتطمر بالفاس ثم يروى القطن فيكون من ذلك غذاء كافٍ للقطن . فاذا كانت الارض جيدة او كانت قد سبخت بالسباخ البلدي او كان القطن مزروعاً تحت البرسيم

فالكمية المذكورة من نيترات الصودا تكفي والاَّ وجب ان يضاف اليها ٢٥ الى ٣٠ كيلو من كبريتات الامونيا انتهى

(وقد طُلب منا ان نزيد ذلك تفصيلاً ونذكر المقدار الذي يوضع من السباخ لكل شجرة من اشجار القطن وقت التكبيش فنقول لنفرض ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً عشرة افدنة والقطن فيها مزروع بعد البرسيم وهو الغالب فكل فدان منها يحتاج الى ٥٠ كيلو من نيترات الصودا تدق بمدق من الخشب حتى تنعم جيداً ويضاف اليها ٢٠٠ كيلو من اعلى فصفات الصودا و٢٥ مقطفاً من التراب الناعم وتمزج المواد الثلاث جيداً فيكون المزيج نحو الف كيلو للفدان. والعادة ان يزرع في الفدان نحو عشرة آلاف شجرة من شجر القطن فيصيب الشجرة من هذا السباخ نحو ١٠٠ غرام اي ما يملأ فنجاناً كبيراً من فناجين القهوة او قبضة باليد توضع عند جذور الشجرة وقت خف النبات وتعزق الارض حول الجذر ثم يروى القطن حالاً)

زراعة القطن

شجرة القطن هي التي تقوم لها البلاد وتقعد اذا حلت بها آفة وهي التي قضى مصلحو هذا القطر اعواماً في توفير سبل اروائها وتسهيلها وقدح كبار المهندسين زناد الفكر في تخزين الماء لسقيها وانفقت الحكومة المال عن رضى وطيب خاطر على انمائها وجعل الارض الفضاء مخصبة حبًّا بها. فلا غرو اذا قلنا ان اغصانها قضبان ذهب ترصعها الجواهر فتبهر النواظر وتبهج الخواطر سلّمت الى فلاح صغير فلم يحسن حتى اليوم ادارتها ولا ادرك قيمتها. على ان كبار المزارعين نظروا اليها بملء العيون ووجهوا اليها كلَّ عنايتهم ففاز بعضهم واصاب ثروة طائلة . غير ان هؤلاء لسوء الحظ قليل عددهم في البلاد. فازمّة الزراعة قابض عليها صغار الفلاحين وهم السواد الاعظم في القطر . فاليهم خصوصاً اوجه مقالي

ان من اعظم ما يرتكبه الفلاح من الخطإ حرثهُ ارضهُ وهي طرية بعد اروائها او بعد نزول المطر عليها فيتعذر عليهِ القيام بخدمتها . واضيف الى هذا ان جذور العشب لا تلبث ان تعود فتنمو وتسابق القطن في الاغتذاء من الارض فتؤخر انماء اشجاره ثم ان الرطوبة تحدث تعفناً ببعض بذور القطن فلا يعود صالحاً للنماء وما ينمو منهُ يكون شجرهُ ضعيفاً. فالواجب اذا حرث الارض وهي ناشفة اذ تكون جذور العشب قد جفت ويبست فتنمو البزور بسرعة ونشاط لا يقاومها عدوٌّ على النماء والانتفاع بالغذاء . ولا يخفى ان البزور تنمو قوية في الارض الناعمة الناشفة الدافئة

ومن تلك الاسباب تأخير الحرث فان كل فلاح يتأخر في حرث ارضهِ وخدمتها يخطئ اما سبب التأخير فكثيرًا ما يكون ناشئًا عن طمع الفلاح بحش البرسيم مرة او مرتين بعد ما يكون البدء بخدمة القطن قد قرب موعدهُ فيجلب بذلك الضرر لنفسهِ لان تأخير الزراعة يؤخر نموها فيسبب عجزًا في محصولها هو اضعاف ما يربحهُ ذلك الفلاح من الابقاء على برسيمهِ. على اننا لا ننكر ان البدء بخدمة القطن يختلف باختلاف الجهات ودرجة الحرارة فيها ففي الوجه القبلي مثلاً يبدأون بزراعة القطن حين يبدأ مزارعو الوجه البحري بالحرث. والوجه البحري نفسهُ تختلف جهتهُ القبلية عن جهتهِ البحرية كاختلافهِ هو عن الوجه القبلي

وقد اعتاد فلاحو القسم البحري من الوجه البحري ان يتأخروا في خدمة الزراعة تأخرًا عظيمًا يضرُّ بزراعتهم. على اننا لا ننكر ان حالة الجو تعاكسهم احيانًا فتضطرهم الى تأخير زراعتهم ولكنهم اذا تدبروا الامر وتبصروا وخلوا عنهم الطمع بحش البرسيم كما ذكرنا آنفًا استطاعوا شق الارض بالمحاريث وتعريضها للشمس والهواء فتنشف وتجف وتصير صالحة للحرث ثانية وثالثةً واتمام سائر خدمتها

ومن تلك الاسباب ايضًا انهم لا يعمقون الحرث مع ان تعميقهُ الركن الاهم في انماء الزراعة لان تنعيم الارض الى عمق يستلزمهُ نماء الشجرة امر واجب اذ تتمكن جذور الشجرة بذلك من التشعب والامتداد تحت الارض والتغذي تغذيًا كافيًا. وقد دلنا الاختبار على ان السبب في عجز الفلاح وتقصيرهِ في تعميق الحرث عدم اعتنائهِ بتربية مواشيهِ اعتناء يجعلها نشيطة قويةً وعدم اقتنائهِ مواشي قوية قادرة على الحرث المطلوب. ترى الفلاح يحرث على بقرة ضعيفة والى جانبها جاموسة اضعف منها فلا تمضي ساعتان وهما تفلحان حتى تتعبا كثيرًا فيضطرُّ الى رفع السلاح حتى لا يغوص في الارض الابعضهُ وهذا البعض غير كافٍ. فهو لا يخدم الاطيان والحالة هذه خدمة وافية بالمرام فلا تنمو شجرة القطن النمو الكافي ولا يجني الفلاح منها محصولاً يرجيهِ. ودواء هذا الداء تعميق الحرث تعميقًا وافيًا

ومن الاسباب الداعية الى ضعف الزراعة وبطء نموها وعجز محصولها طمع الفلاح بزرع معظم اطيانهِ قطنًا كل عام. فقد اثبتت التجارب انهُ لا يحسن ان يزرع اكثر من ثلث الارض قطنًا فان فدان الارض الذي يزرع قطنًا في هذا العام لا يجوز زرعهُ قطنًا في العام التالي لهُ لانهُ يكون قد فقد بعض المواد اللازمة لتغذية القطن فيجب اراحتهُ من زراعة القطن عامين وتسميدهُ ايضًا ليسترد ما فقدهُ من القوة

رأى الفلاح ارتفاع ثمن القطن في السنوات الاخيرة فاهتم بشراء الاطيان باغلى الاثمان

وقادهُ الطمع الى زرع معظمها قطناً سنة فسنة الاَّ انهُ كان يزرع برسيماً بعد جني القطن حاسباً ان ما يبقى في الارض من جذور البرسيم يكون سماداً كافياً فضعفت بذلك ارضهُ ولم يبقَ فيها غذاءٌ كافٍ لتجيء زراعتهُ القطنية مخصبة نامية . ومعلوم ان الارض الضعيفة لا يكون قطنها "طويل التيلة" خلافاً لما يرغب فيهِ التاجر عند شرائهِ القطن

ومن تلك الاسباب ايضاً تهامل الفلاح في اختيارهِ بزرة القطن الجيدة فانهُ ينفق بياض يومهِ متحملاً المشاق ويجهد مواشيهُ في الحرث ليعدَّ ارضهُ للزراعة فلا يجيء موعدها الاَّ وتراهُ في اقرب بلدة اليهِ يشتري بزرة قطن ليزرعها بغير بحث ولا استعلام عما اذا كانت جيدة او رديئة بل يكتفي بقول بائعها انها "عال العال" او من "اعلى طبقة" ولا يشعر بجهلهِ هذا الاَّ عند ما يجني قطنهُ ويراهُ اجناساً فيعرضهُ على التجار فلا يشترونهُ الاَّ اذا تساهل فباع بثمن اقل مما تساويهِ اقطان البزرة الجيدة فيندم ولات حين مندم

ولقد ادركت الجمعية الزراعية الخديوية هذا الامر الخطير فبذلت اقصى جهدها في تأصيل احسن جنس من البذرة وعرضهِ على المزارعين فكان ثناؤهم على حضرات اعضائها الكرام وسكرتيرها الهمام متواصلاً . ولقد جربتُ هذه البذرة فرأيتها احسن اجناس التقاوي التي تزرع في قطرنا

ومن اسباب ضعف الزراعة وعجز المحصول خطاه الفلاح في ترقيع زراعتهِ فقد يتلف مقدارٌ من البزور في الارض لرداءة البزور ولشدة الرطوبة فيسرع الفلاح الى ترقيع الزراعة وقد يتلف مقدار من هذا الترقيع فيضطر الى ترقيعهِ فلا يمرُّ عليها بضعة ايام حتى تكون خليطاً من الشجر مختلف العلو . بعضهُ يجب اروائهُ وبعضهُ غير محتاج الى الارواء فيحار الفلاح في امرهِ ويحلُّ الاشكال بارواء الزراعة كلها فيضعف بعض الشجر ويبطئ نموهُ . واحسن علاج في هذه الحال ولاسيما اذا كانت الزراعة محتاجة الى ترقيع كثير حرثُ الارض ثانية وزرعها لتكون جنساً واحداً يروى و"يعزق" في آن واحد

وهناك سبب آخر في ارواء الزراعة وهو ان الفلاح او ابنهُ او شريكهُ يرويها بغير اعتناء فبعضهم يغمر الزراعة بالماء وهي لا تزال في اولها ولا يعتني بصرف الماء عنها حالاً فلا يكاد الماء ينضب وينشف حتى تتلف الاشجار . وبعضهم يتأخر في الارواء وتكون زراعتهُ في حاجة شديدة الى الماء فيغمرها بهِ اكثر مما يجب فتضعف الاشجار بعد حين ويظهر ضعفها وهو لا يعلم لذلك سبباً . وزد على هذا ان بعضهم لا ينتبه الى حالة الجوّ فكثيراً ما تكون غير ملائمة للارواء لرطوبة فيها تؤَثر في الارض ولكنهُ لا يبالي بذلك بل يروي زراعتهُ فينجم عن ذلك

تعفن في الجذور ومرض في جذوع الشجر فتصفر الاوراق وتذبل الاغصان ولا تزال كذلك حتى يعتريها الضعف ولا يجنى منها الا قليل من القطن ومتى رأى الفلاح ماحلّ بزراعتهِ قال ان الطبيعة فعلتهُ فهو قضاء وقدرٌ ولو عقل لعلم ان فعلهُ سبّب خسارتهُ

ومما يجب الانتباه اليهِ بعد نمو الزراعة والبدء بخدمتها عزق القطن عزقاً مستوفياً بحيث يستأصل العشب من بين خطوطهِ لكيلا يزاحم القطن على غذائهِ فيعيق نموهُ وبالتالي يضعفهُ وان كانت الارض "رقيقة" وتكوَّم "رتم" على جذور القطن وجب على الفلاح ازالتهُ بكل وسيلة والتعويض عنهُ بتراب صالح جيد من اسفل الخطوط

ومما يخطئ فيهِ الفلاح فيهِ حين جني قطنهِ انهُ يخلط الجنيات الثلاث بعضها ببعض ولا ينظف القطن مما يعلق بهِ من الورق وغيرهِ ويرش الماء عليهِ طمعاً بزيادة وزنهِ فاذا لم يتيسر لهُ بيع قطنهِ حالاً عفن واحترقت تيلتهُ فيخسر بذلك اضعاف ما كان يؤملهُ من الربح

فالى هذه الامور التي ذكرناها اوجه انظار المزارعين وانا واثق ان الذين يعتنون بزراعتهم الاعتناء الواجب يُوفون تعبهم ما لم تعرض لها عوارض جويَّة ليس في طاقتهم التغلُّب عليها

ابرهيم الحوراني

مفتش زراعة بالحصَّة

محصول البطاطس

ان محصول الفدان الواحد من البطاطس يبلغ عادة ٣٠٠٠ اقة وقد يبلغ ٦٠٠٠ اقة او اكثر فاذا بيعت الاقة بنصف غرش فقط بلغ محصول الفدان الواحد ثلاثين جنيهاً . وقد ظهر من التجارب في بلاد كندا باميركا ان محصول الفدان قد يبلغ خمسة عشر الف اقة وان المتوسط عشرة آلاف اقة الى اثني عشر الف اقة فاذا بيعت الاقة بنصف غرش بلغ محصول الفدان خمسين او ستين جنيهاً

ومعلوم انهُ ان كان محصول الفدان الواحد عشرة آلاف اقة وزرع الفلاح عشرة افدنة لا يكون محصولها مئة الف اقة اي عشرة اضعاف محصول الفدان الواحد لان الفلاح لا يستطيع ان يعتني بخدمة العشرة الافدنة كما يعتني بخدمة الفدان الواحد . ولنفرض ان محصول الفدان بلغ حينئذٍ ستة آلاف اقة لا غير كان منهُ ربح وافٍ

بعض المحصولات الوافرة

اثبت بعضهم في جريدة السينتفك اميركان انهُ يجمع من فدان الفول الاخضر ومن

فدان الشليخ خمسين الف اقة ومن الذرة اربعين اردبًّا وغاية ما يفعلهُ انهُ يحرث الارض خمس مرات قبل زرعها وكلما حرثها مرة زحَّفها حتى ينعم ترابها جيدًا ويختار لها التقاوي مما ثبت بالامتحان ان محصولهُ وافر جدًّا وكلما علت المزروعات قليلاً وضع حول جذورها ترابًا ناعمًا . وقد وجد ان التراب الناعم يفيد أكثر من السباخ . وكان يرويها في اوقات معينة ولا بدَّ من ان يكون تحت المزروعات مواسير من الخزف لصرف المياه منها

معرض الازهار والبقول

فتح هذا المعرض في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر مارس في سراي الجمعية الزراعية بالجزيرة وقد امتاز على المعارض السابقة بكثرة ما عرض فيهِ من الازهار والسراخس والنباتات التي من فصيلة الصبر وهذه كانت اشكالها تعدُّ بالمئات ومنها نوع استحالت اشواكهُ الى شعر ابيض طويل يتدلى من رأسهِ كأنهُ شعر عجوز شمطاء

اما الخضر والبقول والفواكه والاثمار فيدلُّ ما عرض منها على ارتقاء واضح في انواعها فتجد البطاطس املس منتظماً لا عيون فيهِ ولا غضون وكذلك الطماطم والجزر والبنجر . وتجد المايون (كشك الماظ) ابيض غليظاً رخصاً كأنهُ المليون الذي يؤتى بهِ من اوربا . والسلق والبقدونس والكرفس والخس والنعنع ونحو ذلك من البقول استوفت النمو والجودة وكذلك الكرنب والخرشوف والبصل والثوم والكراث والفول واللوبياء والليمون على انواعهِ . غير ان ما يباع في السوق من هذه الاشياء ليس جيداً كالذي عُرِض في المعرض دلالةً على ان جمهور اصحاب الجنائن لا يعتني بالمزروعات حتى الآن اعتناء خاصتهم

القطن المصري

وقفت اسعار القطن المصري في الكنترانات على نحو ١٣ ريالاً وربع ريال فاذا بقيت كذلك في الموسم المقبل بيع قنطار القطن بنحو ٣٢٠ غرشاً وهذا الثمن معتدل ولكن اذا ثبت ما جاء من اميركا وهو ان الاميركيين عزموا ان يقللوا الزراعة عشرة في المئة فالمرجح ان السعر يرتفع ايضاً . ثم اذا لم توافقها تقلبات الهواء كما ينتظر في عام اشتدَّ فيهِ اضطراب الشمس كهذا العام قل المحصول كثيرًا وارتفعت الاسعار ايضاً . الاَّ ان نطاق الزراعة في اميركا وتقلبات الهواء فيها لا تخضع لارادة الفلاح المصري وانما يخضع لهُ انتقاء التقاوي والاعتناء بالزراعة حتى يأتي قطنهُ على اجودهِ فتقوم جودتهُ مقام هبوط السعر لو هبط

باب الصناعة

التصوير الحديث

الزجاج والتصوير الاوتوكرمتيك

اذا تأمل القارئ قليلاً في ما للتصوير الشمسي الآن من الشأن وجده فناً كبيراً واسعاً يتصل بكل الاعمال حتى لا يكاد يستغنى عنهُ . فالطبيب والمهندس والعالم والصانع وكل ارباب العلم والعمل يعوّلون عليهِ في كثير او قليل من اعمالهم حسب تفاوت درجات اهميتهِ فيها . وحسبك شاهداً ما لهُ من الشأن في الفلك والطب والهندسة والحفر والطباعة وغيرها ذلك فضلاً عن كونهِ حرفة شريفة لعدد عديد من الناس وتجارة عظيمة للمشتغلين بهِ وليس غرضي الآن الكلام عن علاقة التصوير الشمسي بالصناعة والتجارة والعلوم مع ان ذلك حريٌّ بالبحث بل ان آتي على ذكر فرع جديد منهُ سوف يكون لهُ شأن في المستقبل لانهُ الطريق المؤدي الى اخراج الصور الفوتوغرافية بالوانها الطبيعية مباشرةً . وهذا الاكتشاف وان لم يتم للآن من طبع سلبية واحدة على ايجابية واحدة فلا بد ان يتقن ويحسن كثيراً اذا دامت تجارب الباحثين فيهِ قائمة على ساق وقدم. ولما كانت علاقة التصوير الاورتوكرمتيك بالتصوير بالالوان الطبيعية شديدة وجب معرفة ما هو التصوير الاورتوكرمتيك قبل الشروع في الكلام على التصوير بالالوان

اعتاد الناس ان يستحسنوا الصور الفوتوغرافية اذا حاكت ما تماثلهُ شكلاً وهيئة وقد اغفل جميعهم امراً يظهر لاول وهلة بسيطاً ولكنهُ جدير بالالتفات وهو صحة تعبير ما في الصورة من الاقسام الفاتحة والغامقة في الشيء المصوَّر حتى ان كثيرين لا يستطيعون اظهار هذا الخطاء الفاضح ولو كان عظيماً في بعض الصور وما هذا الاَّ لانهم الفوها كذلك . ولا يخفى ان العين المجردة ترى الالوان من فاتحة الى غامقة حسب الترتيب الآتي . اصفر برتقالي احمر اخضر ازرق نيلي بنفسجي هذا اذا حسبناها خارجة من الطيف الشمسي بعد انحلالهِ في المنشور . اما الالواح الحساسة التي تستعمل في التصوير عادةً فانها لا تتأثر منها على التركيب المذكور (كما تفعل العين) لانها حساسة للنور لا للالوان . وهنا فرق بين النور واللون يجب

معرفتهُ فان النور هو الشعاع الخارج من الجسم المنير فينير الاجسام المحيطة بهِ واما اللون فهو انعكاس النور (الذي وقع على الجسم) الى العين · فاللون هو نتيجة النور ولا لون بلا نور · والنور الواحد كنور الشمس مثلاً يشتمل على الوف والوف من الالوان المتفاوتة الاشكال والانواع لكنها تدخل جميعها تحت سبعة اقسام رئيسية كما لا يخفى وتظهر عند انحلال النور في المنشور. ومتى وقع النور على جسم ما امتصَّ منهُ ذلك الجسم لوناً او اكثر من تلك الالوان وعكس الباقي الى العين فترى العين لون الجسم نتيجة اتحاد الالوان المنعكسة منهُ فالجسم الابيض مثلاً تراهُ ابيض لانهُ يعكس كل الالوان السبعة فيردها الى العين كما وقعت عليهِ والجسم الاسود تراهُ اسود لانهُ امتص كل الالوان السبعة فلم يعكس الى العين شيئاً. ومعلوم ان السواد ظلام وما الظلام الاَّ اختفاء النور

قلت ان الالواح الحساسة الاعتيادية لا تحفل بالالوان بل بالنور وهذا مما لا ريب فيهِ كما وجد بالمشاهدة والاختبار فان الالوان التي تراها العين قاتمة لا تظهر كذلك في الصورة المأخوذة عنها ولا الالوان الغامقة تظهر في الصورة كذلك. وهنا اصل الخطاء في الالواح الاعتيادية. فالالوان الصفراء والبرتقالية والحمراء (الزاهرة) تظهر في الصورة مغبرة بلونٍ غامقٍ وبعكس ذلك الالوان الزرقاء والبنفسجية (الغامقة) فانها تظهر فيها الصورة بلونٍ زاهرٍ. وهذا الخطأ يظهر في الاجسام التي تتعدد الالوان الزاهرة فيها اكثر مما يظهر في غيرها وتعليل ذلك بسيط فان الاملاح الفضية التي على اللوح لا تتأثر من اللون بل من النور ولما كان قسماً كبيراً من النور ازرق وبنفسجياً تأثرت منهُ وتحولت ماهيتها فلا تذوب بالهيبوسلفيت[1] بل تبقى قاتمة وتظهر في الصورة فاتحة بخلاف ذلك اذا كانت الالوان زاهرة فانها عندئذٍ لا تزيد الاَّ قليلاً في تحويل املاح الفضة فاذا اتاها الهيبوسلفيت اذابها وبقي الزجاج شفافاً فتظهر الصورة غامقة

وقد عُرِفَتْ هذه المسألة من زمان وكان اول مخطىء للتصوير من هذا الوجه العالم فوجيل منذ نحو ثلاثين سنة وقد تمكن الباحثون في التصوير من اكتشاف طريقة لازالة هذا الخطاء وحفظ نسبة الالوان في الصورة كما كانت في الاصل بجعلهم اللوح حساساً للالوان كما هو حساس للنور فيتأثر من اللون الزاهي والغامق كما تتأثر العين واطلق على هذه الالواح اسم "اورتوكرمتيك" او "ايزوكرمتيك" ومعنى الاول "اللون الحقيقي" والثاني "اللون المتناسب" ولكن لم يشع استعمال هذه الالواح الاَّ حديثاً حينما ابتدأت معامل الانكليز والفرنسويين

(1) يستعمل مذوب هيبوسلفيت الصوداء لتثبيت السلبية بعد كشفها بالمظهر فلا تعود تتأثر من النور بعد تثبيتها و يتم بذلك كشفها

بصنعها وبيعها فراجت سوقها وانتشر استعمالها وصار ممكناً لكل مصوّر ان يجربها ويختبر مزاياها المفيدة

اما كيفية عمل هذه الالواح فهو ان يضاف الى الالواح الاعتيادية مادتان ملونتان تعرفان بالايوسين والسيانين ولاضافتهما طريقتان الاولى ان يغطس اللوح في محلول مخفف باحدى هاتين المادتين مع الامونياك والثانية ان تمزج احدى هاتين المادتين او كلاهما في الجلاتين قبل ان يطلى اللوح بهِ . والطريقة الثانية افضل من الاولى لانها تضمن بقاء الالواح صالحة الى اجل طويل

اما افضلية التصوير بهذه الالواح على التصوير بالالواح الاعتيادية فواضحة مما تقدم ذكرهُ ومما يأتي . لنفرض اننا صورنا اولاً على الواح اعتيادية ثم على الواح اورتوكرمتيكية صحناً ازرق عليهِ اثمار وازهار بالوانٍ زاهية مختلفة فان الفرق يظهر في الصورتين هكذا

اسم الشيء ولونهُ	في اللوح الاعتيادي يظهر اللون	في اللوح الاورتوكرمتيكي يظهر اللون
الصحن الازرق	فاتحاً	مظلماً
التفاحة الحمراء	مظلماً	مظلماً قليلاً
موزة صفراء	مظلماً	فاتحاً قليلاً
الليمونة الحامضة الصفراء	مظلماً	فاتحاً
البرتقالة	مظلماً	فاتحاً قليلاً
الورق الاخضر	مظلماً	مظلماً
زهر البنفسج	فاتحاً	مظلماً

فالالواح الاورتوكرمتيكية تتأثر من الالوان حسب كونها زاهية او مظلمة كما تتأثر منها العين المجردة فتظهر الصورة متفاوتة الاقسام من زاهية الى مظلمة حسب تفاوت الالوان في الجسم المصوَّر من اصفر فاتح الى بنفسجي قاتم . وقد وجد بعد الاختبار ان نور النهار يحتوي على كثير من الاشعة البنفسجية والزرقاء التي تؤثر كثيراً في الالواح الاورتوكرمتيكية لاسيما عند ما يكون الجو رطباً فانهُ اذ ذاك يزيد فعل الالوان البنفسجية والزرقاء في الاملاح الحساسة عما هو مقرر لحفظ النسبة بين الالوان في الصورة فيلزم لتقليلهِ وضع حاجز يمنع وصولهُ بكثرة الى اللوح وقد توصلوا الى اتقان حجز هذين الشعاعين بحاجز من الزجاج او الرق الاصفر يقام

امام العدسة او وراءها. وهذا الحاجز يحجز كثيراً من الانوار الزائدة ويصفي النور ويعدله حتى اذا دخل الى اللوح الحساس حفظ للالوان النسبة في التأثير على الاملاح فتظهر الصور المصورة بهِ واضحة الاجزاء حسب اختلاف الالوان التي في الاصل

هذا والتصوير الاورتوكرمتيكي هو المعوَّل عليهِ الآن في تصوير الرسوم الزيتية والمائية الملونة وفي تصوير المناظر الطبيعية والميكروفوتوغرافيا (تصوير ما يرى تحت الميكرسكوب) وفي تصوير الاشخاص وفي التصوير على نور القنديل. وسأذكر مزاياه في الامور المذكورة اتماماً للفائدة

﴿ الصور الملوَّنة الزيتية والمائية ﴾ تتعدد الالوان الزاهية الجميلة في هذه الصور فاذا اريد تصويرها بالفوتوغرافيا بالالواح الاورتوكرمتيكية مع الحاجز حفظت نسبة الوانها فيها وظهرت في الصورة مختلفة حسب اختلاف الالوان في الاصل. ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة في نقل الصور الكبيرة بالفوتوغرافيا لاجل التخيس او الزنكوغرافيا في فن الطباعة

﴿ المناظر الطبيعية ﴾ يقوم جمال المناظر الطبيعية بتنوع الالوان الزاهية فيها التي تستميل عين الناظر فترتاح اليها وتهيج في نفسهِ حاسة الاستحسان والسرور. وكثير من المناظر الطبيعية يسرُّ الناظر ويبهج الخاطر ولو كان خالياً من الالوان ليس فيهِ الاَّ نورٌ وظلام مثال ذلك قمرٌ مشرق من خلال غيوم متراكمة يرسل اشعتهُ الفضية على مياه بحرٍ او نهر على شاطئهِ سفن راسية. وهذا لا يدخل تحت بحثي الآن ولو كان من المناظر الطبيعية فان ما أُريدهُ هو المناظر الواقع عليها نور الشمس من اشجار وجبال او سهول ومروج او مدن وقرى او غيوم سابحة في الفضاء باشكال جميلة تزيد ما يقع تحتها من المناظر رونقاً وبهاء. فاذا صوَّر مصور مثلاً بالالواح الاورتوكرمتيكية مرجاً من البرسيم والفول والقصب يتخللهُ ازهار صفراء وفي الفضاء الازرق غيوم بيضاء خرجت الصورة ناطقة باختلاف الوان ما في المرج وباختلاف درجات خضرتهِ وظهرت الازهار فيهِ نقطاً زاهرة والغيوم في الفضاء باشكالها الجميلة. ولكن اذا صوَّر مصور ذلك المنظر على الواحٍ اعتيادية لم يظهر في الصورة الاَّ قسمان قسم مظلم وهو المرج بلون واحد لا يفرق ما فيهِ من الفول والبرسيم ولا اثر للازهار الصفراء بينها وقسم ابيض وهو الجو ولكن لا اثر فيهِ للغيوم

ستأتي البقية — اسكندر مكاريوس



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الانتفاع بالمواد البرازية

قويسنا صليب افندي مريوس. لا يخفى ان في الارياف جوامع كثيرة تُجمع المواد البرازية في خزانات مراحيضها وتتصاعد منها روائح كريهة تضرُّ بالصحة العمومية. ويمكن ان يعمل من هذه المواد سماد للمزروعات ولكننا لا ندري كيفية العمل ولا ما المواد التي تلزم اضافتها اليها لمنع الروائح الخبيثة ومضارها. وقد ذكرتم في المجلد الخامس عشر من المقتطف صفحة ٨١٥ ان الخطيب لم يذكر طريقة لورنز الشهيرة وهي احماء المواد البرازية حتى يموت كل ما فيها من المواد الحية وتصير مسحوقاً ناعماً خالياً من كل فساد ورائحة خبيثة واستعمال هذا المسحوق سماداً. فما هي هذه الطريقة وهل يمكن اجراؤُها في الارياف وينتج عنها ربح بعد المصاريف نرجو التفصيل في ذلك

ج ان مسألة التخلص من المواد البرازية والانتفاع بها من اصعب المسائل. والطرق التي استخدمت لذلك كثيرة متنوعة كما ترون من المقالة التي اشرتم اليها. ولقد اخطأَت الحكومة المصرية في ما اوجبتهُ على رعاياها من جعل خزانات المراحيض صماء لكي لا تغور موادها في الارض لانها لو غارت في الارض في زمن التفاريق ما اضرَّت احداً والتراب اقوى مطهر للمواد البرازية. ولكنها اصابت من وجه آخر ولو لم تقصدهُ وهو ان المواد البرازية تحفظ في الخزانات لكي تنزع منها وتستعمل في الزراعة

وخير الطرق لاستعمالها في بلاد الارياف ان تعامل كما يعامل زبل المواشي اي السباخ البلدي وذلك بان تجعل المراحيض عالية ويلقى تحتها تراب كالردم الذي يوضع تحت المواشي وينزع هذا التراب وما يقع عليهِ من البراز يومياً. والتراب الكثير يمتص الروائح من البراز او يزيلها واذا بقي منها شيءٌ فهو غير ضار. ويحسن ان يكوَّم بعضهُ فوق بعض كما يكوَّم السباخ البلدي الى ان يختمر كلهُ مع ما يمزج بهِ من الردم. وهذه الطريقة بسيطة وربحها يزيد على نفقاتها. اما المدن الكبيرة فخير

الطرق فيها ان تنزع المواد البرازية من مراحيضها بعد ان تمزج بالماء الكثير وتبسط على اراضٍ رملية واسعة فتجف وتصير سماداً وتصلح بها الاراضي الرملية فتصير زراعية واذا لم يكن حول المدن اراضٍ رملية فالاراضي الزراعية يزيد خصبها ببسط المواد البرازية عليها . والاَّ فتجفَّف المواد البرازية في افران حامية وينزع البخار منها بآلات بخارية كبيرة حتى تجف وتسحق فتصير سماداً . ومعلوم ان هذه الطريقة الاخيرة لا يمكن استعمالها الاَّ في المدن الكبيرة لانها تقتضي نفقات كثيرة واسلوب لورنز من هذا القبيل

(٢) التين الشوكي والبق

مصر . جندي افندي امين يقال انهُ اذا وُضعت الواح التين الشوكي في غُرَف النوم منعت البق منها فهل ذلك صحيح وهل من ضرر من وضع هذه الالواح في غرف النوم

ج لا نرى اقل علاقة بين البق والواح التين الشوكي (الصبير) ونستبعد ان يكون ما قيل صحيحاً ونرجح عدم صحتهِ لانهُ ان كان البق يُطرَد او يموت من الغرف التي فيها هذه الالواح فالطارد لهُ او المميت لهُ رائحتها وقد شاهدنا غرفاً الواح التين الشوكي قريبة من كواها جداً حتى تشم رائحتهُ فيها ومع ذلك لم يمت البق منها ولا هجرها . ولكننا لا نجزم بعدم صحتهِ الاَّ بعد الامتحان . ولا ضرر من وجود الالواح في الغرف ولكن منظرها ورائحتها ليسا مما يُستحب

(٣) الدول الشرقية والغربية

ومنهُ . هل قيام دولة شرقية ترضى بهِ الدول الغربية ولا تأخذها الاثرة فتضرب على يد تلك الدولة حتى تعيدها الى سالف ذلها

ج ان ذلك يتوقف على مصلحة ذوي المصالح في المشرق من اهالي الدول الغربية فاذا كان لنفر من اغنياء الانكليز او الفرنسويين او الالمانيين مصالح مالية كبيرة في بلاد الدولة الشرقية او في بلاد قريبة منها وخيف على مصالحهم من الضياع بقيام تلك الدولة بذلوا جهدهم في حمل حكومتهم على مقاومتها واذلالها واذا كانت مصالحهم المالية تستفيد من قيام تلك الدولة ساعدوها على القيام بكل جهدهم. فلو اتفق ان كانت بلاد اليابان غنيةً جداً بمناجم الذهب حتى تسير في هذه الحرب من غير ان تستدين غرشاً من اغنياء اوربا واميركا وكانت سكة الحديد الروسية المارَّة في منشوريا لشركة اوربية او لشركةٍ روسية ولكن اسهمها بيد اغنياء انكلترا وفرنسا والمانيا وخيف عليها ان تخرب بهذه الحرب لاقام هؤلاء الاغنياء دولهم الى مقاومة اليابان ومساعدة روسيا . ولا تخرج دول اوربا الآن عن كونها مثل التجار واصحاب البنوك والمعامل الذين يفتشون عن اساليب الكسب و يتبعونها

(٤) عود العمران الى الشرق

ومنهُ . أليس من المحتمل ان يأفل نجم الغرب ويرجع الشرق فيحيي ما قد مات من ماضي مجده

ج ان ذلك محتمل اذا اصاب اوربا مصاب طبيعي لا تستطيع مقاومتهُ كأن يحل بها وباء يميت اكثر سكانها او يبرد اقليمها كما برد في الدور الجليدي الذي انتابها منذ الوف من السنين فلا يعود السكن فيها ممكناً . اما الشرق فيبعد ان تحذو بلدانهُ حذو اليابان لان في كل بلاد منها عوائق جنسية ودينية تمنع ذلك وقد قيَّدهُ الاوربيون بقيود مالية ومعاهدات سياسية تمنع اطلاق يديهِ . ولا يحتمل ان نرى تغييراً كبيراً في الربع الاول من هذا القرن

(٥) المجلات المصورة

المنتزه بدران افندي احمد . ما تصفحت مجلة من المجلات الافرنكية الأ وجدتها مشحونة بالصور حتى ان القصص التي تنشر فيها تكون مصورة بخلاف المجلات العربية فانها قلما تنشر في العدد الواحد غير صورة او صورتين فهل ذلك ناشيء من عدم مقدرة اصحابها على عمل الصور ونشرها

ج ان بعض المجلات الاوربية مصور كما قلتم وبعضها غير مصور مطلقاً كمجلة القرن التاسع عشر ومجلة الفورتنيتلي والمصوَّر بعضهُ كثير الصور كمجلة لندن ومجلة الستراندو بعضهُ قليل الصور جدًّا ومن هذا القبيل المجلات العلمية التي مثل المقتطف كمجلة العلم الاميركية ومجلة العلم العام ولا تنشر الصور فيهِ قصد التسلية والتفكهة كالمجلات المصورة بل تنشر لتوضيح المواضيع العلمية والادبية . ثم ان الصور صارت الآن ارخص من الكتابة عند الاوربيين والمجلة المصورة قد تدفع اجرة كتابة الصفحة الواحدة اكثر مما تدفع ثمن صورة تملأُها . ويسهل عليها الاثنان لان قرَّاءها يعدون بمئات الالوف فالربح منهم وافر جدًّا . اما مجلاتنا العربية فلا تستطيع ان تنفق على الصور الكثيرة لان اكثرها عائش من قلة الموت ونحن الآن كما كان اهالي اوربا منذ مئتي عام من حيث نسبة الذين يحسنون القراءة الى الذين لا يحسنونها. ويستحيل ان يزيد عدد القراء زيادة كبيرة في سنين قليلة لقلة المعلمين ولان الفريق الاكبر من السكان لا يسمحون لنسائهم ان يتعلمن ويعلمن

(٦) اوجه القمر

ومنهُ . نرى القمر يولد صغيراً ثم ينمو حتى يتكامل ثم يعود فيصغر فما تعليل ذلك

ج ان القمر لا يولد ولا يكبر ولا يصغر ولكنهُ يدور حول الارض وتشرق الشمس عليهِ فتنير نصفهُ فاذا كان النصف المنار بنور الشمس غير مواجه للارض لم نرَهُ بل نرى الوجه المظلم فنقول ان القمر في المحاق ويكون

القمر والشمس حينئذٍ في جهة واحدة منا ثم يتقدم القمر قليلاً الى جهة الشرق بدورانهِ حول الارض فيبين لنا جزء صغير من وجههِ المنار المواجه للشمس ويزيد هذا الجزء رويداً رويداً بدوران القمر حول الارض الى ان يصير نصف الشهر القمري اي نصف دورة القمر حول الارض وحينئذٍ يصير القمر في جهة من الارض والشمس في الجهة الاخرى المقابلة فترى كل وجه القمر المستنير بنور الشمس. ويمكن ايضاح ذلك بتجربة مثل هذه: قفوا ليلاً في غرفة ليس فيها الاَّ مصباح واحد وليكن المصباح مواجهاً لكم على خط افقي وامسكوا برتقالة في يدكم بين وجهكم والمصباح فانكم ترون منها النصف الذي لا يقع عليهِ نور المصباح وهو مثل القمر في المحاق او قبلما يولد. ثم ارفعوا البرتقالة قليلاً لكي تديروها فوق رأسكم صعُدًا فحالما ترتفع قليلاً يبين منها طرف النصف الواقع عليهِ نور المصباح ويكون كالهلال عند اول ظهورهِ وكلما زدتم رفع البرتقالة زاد الجزء الذي ترونهُ من الوجه المنير حتى اذا صارت البرتقالة على الجانب الآخر المقابل للمصباح صرتم ترون كل وجهها الذي عليهِ نور المصباح اذا ادرتم وجهكم اليها فهي كالقمر وهو بدر واذا اتفق ان كان المصباح ورأسكم والبرتقالة في خط واحد ووقع ظل رأسكم عليها وحجب عنها نور المصباح فتكون كالقمر حينما يخسف اي يقع عليهِ ظل الارض. ولا اشكال في ذلك كلهِ لمن يمعن نظرهُ فيهِ

(٧) الشيب الباكر

ومنهُ. اعرف شابًا تخلل شعر رأسهِ الشيب مع انهُ في العشرين من عمرهِ فما سبب ذلك وهل من دواءِ يبطئُ الشيب

ج ان الشيب الباكر وراثي في الغالب والوسائط الهيجينية التي تقوي الجسم عموماً تفيد غالباً في تأخيرهِ ولا تعرف واسطة دوائية تؤَخرهُ دائماً

(٨) عدد المدافع في الاحتفالات

الاسكندرية. اسكندر افندي اسرائيل لماذا تطلق المدافع في الاحتفالات الرسمية واحداً وعشرين مدفعاً او مئة مدفع ومدفع اي بزيادة واحد على العقد

ج كان القدماءُ يزيدون واحداً على المعدود للمبالغة او للتأكيد كجلدهم المذنب مئة جلدة وجلدة . ولم يزل ذلك مرعيًا عند الالمان حتى في شرائعهم والمظنون ان هذا هو سبب زيادة المدفع على العشرين وعلى المئة . ويقال ايضاً ان لذلك سبباً تاريخيًا وهو انهُ لما عاد الامبراطور مكسمليان الى المانيا ظافرًا استقبلتهُ مدينة اوغسبرج باحتفال عظيم وامرت مدير المدافع ان يطلق لهُ مئة مدفع فاطلقها ثم خاف ان يكون قد اخطأ واطلق ٩٩ مدفعاً فقط فاطلق واحداً فوق المئة ثم زار الامبراطور مدينة نورنبرج فارادت ان تمثل

باوغسبرج فاطلقت لهُ مئة مدفع ومدفع ومن ثم جرت العادة ان يطلق للملوك مئة مدفع ومدفع

(٩) طوابع البوسطة

صيدا . جميل افندي ايراني هل من جمع اوراق البول (طوابع البوسطة) فائدة ولماذا يجمعها البعض

ج لا فائدة من اهتمام اناس كثيرين بجمعها ولكن يحسن ان تجمع انواعها كلها في مكتبة عمومية او معرض عمومي للرجوع اليها في بعض الاحيان اذا اريد الاستدلال على امر تاريخي تدلُّ عليهِ . ولا يخلو الاهتمام بجمعها من الفكاهة والتسلية

(١٠) قدم الكلدانيين

ومنهُ . ايُّ اقدم المصريون ام الكلدانيون

ج يظهر من الآثار التي كشفت حديثاً في بلاد الكلدانيين انهم اقدم من المصريين ومن المحتمل ان يكون العمران قد وصل الى مصر من بلدان الكلدانيين

(١١) المد والجزر والكواكب

مصر . ناشد افندي فريد ما سبب تأثير الشمس والقمر في المد والجزر دون باقي الاجرام

ج ان هذا التأثير حاصل من الجذب وقوة الجذب تزيد كالجرم وتقل كمربَّع البعد . واكبر السيارات المشتري جرمهُ اقل من جزء من الف جزء من جرم الشمس فيكون جذبهُ للارض جزءا من الف جزء من جذب الشمس لها لو كان بعدهُ عن الارض مثل بعد الشمس عنها ولكن بعدهُ عن الارض اكثر من خمس مرات بعد الشمس عنها فتنحط قوة جذبهِ الى جزء من خمسة وعشرين الف جزء من جذب الشمس فيكون تأثيرهُ بالمد والجزر طفيفاً جدًّا لا يشعر بهِ . والنجوم الثوابت الكبيرة لا يؤثر جذبها بالارض لبعدها الشاسع عنها . اما القمر فنعل جذبهِ كثير لقربهِ من الارض ولو كان جرمهُ صغيراً

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٥	١	٢٣	صباحاً
الربع الاول	١٢	١١	٤١	مساء
البدر	١٩	٣	٣٨	"
الربع الاخير	٢٦	١	١٤	مساء

السيارات فيهِ

عطارد نجم المساء في اول الشهر ونجم الصباح في آخرهِ

الزهرة تكون نجم المساء في اولهِ ثم

لا تعود ترى في آخرهِ

المشتري يكون نجم المساء في اول الشهر ثم لا يعود يرى في آخرهِ

زحل نجم الصباح في الشهر كلهِ

ويكون برج الاسد على سمت الرأس الساعة التاسعة مساء

قمر المشتري السابع

لم يكد الاستاذ برين يعلن اكتشافهُ القمر السادس من اقمار المشتري حتى اكتشف قمرًا سابعًا لهُ وذلك في مرصد لك باميركا والقمران بعيدان عن المشتري من ستة ملايين ميل الى ثمانية ملايين ميل

آثار سينا

عاد الاستاذ بتري من شبه جزيرة سيناء حيث اكتشف عدة اشياء في هيكل صرابة الخادم وهو هيكل معروف منذ قرن او اكثر ولكن لم يبحث احد فيهِ بحث علماء الآثار حتى تولى الاستاذ بتري النقب فيهِ هذه الايام فوجدهُ مختلفًا عن كل الهياكل المصرية في رسمهِ وشكلهِ فيهِ ميضأتان وفيهِ ايضًا صف طويل من الغرف تحت الارض اضافها اليهِ ملوك متوالون من الدولة الثامنة عشرة الى العشرين وعليهِ كتابات بالقلم الهيروغليفي نقلها الاستاذ بتري كلها وكان اكثرها مجهولًا . وهي تتعلق بالرسالات التي كان المصريون يرسلونها للبحث عن المعادن . وفيهِ صورة الملكة تاي منقوشة على حجر اسود نقشًا بديعًا وهي التي اكتشف المستر دافس جثتي والديها بالامس في بيبان الملوك. وستعرض صورة هذه الملكة بلندن وتحفظ في الانتكخانة المصرية

وتاريخ هذا الهيكل من بدايتهِ الى نهايتهِ من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١١٠٠ قبل المسيح وهو يبعد عن السويس مسيرة خمسة ايام جنوبًا على ظهور الجمال

ومما يهمُّ ذكرهُ خصوصًا ان هذا الهيكل لم يعرف لهُ مثيل لهذا اليوم . فهو يشبه ان يكون المثال الذي نقلت عنهُ المعابد والمساجد السامية ووجود الميضأتين فيهِ من اوضح الادلة على ذلك

فائدة الاثمار في الغذاء

اجرى الاستاذ جافا من اساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة تجارب كثيرة بالاشتراك مع ديوان الزراعة الاميركية لمعرفة مقدار الغذاء في كل نوع من الاثمار. ونظر الى الغذاء من حيث بناؤهُ للجسم وتوليدهُ الحرارة فيهِ وقد قيس ذلك على ما في دقيق القمح فوجد ان ما يساوي مئة غرش من دقيق القمح فيهِ من المواد التي يبنى منها الجسم ما يكوّن ٢٣ رطلًا ومن المواد التي تتولد منها الحرارة

ما يولد ٣٣٠٠٠٠ درجة وفي سائر المواد التي امتحنت ما ترى في هذا الجدول على فرض ان ثمن كلٍّ منها مئة غرش

اسم الطعام	ما يكوّن الجسم	ما يولد الحرارة
الخبز	٢٣ رطلاً	٣٣٠٠٠٠
العنب		٠٤١٥٠٠
النقوع		٠٦٠٠٠٠
اللوز	٠٤ »	٠٥٥٠٠٠
البندق	١٤ »	٠٤٠٠٠٠
الجبن	٩ »	٠٦٥٠٠٠

ويتضح من ذلك ان الخبز ارخص انواع الطعام ولكن هذا حيث الخبز رخيص جداً والاثمار غالية فاذا كانت الاثمار رخيصة واكلها الانسان واكل معها بعض البزور ذات المادة اللحميَّة كاللوز والجوز والبندق غنتهُ عن اكل الخبز واللحم وما اشبه

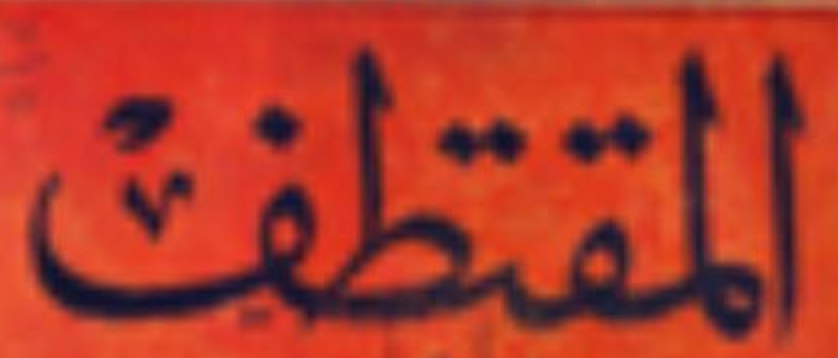
عدد الذكور والاناث

أُحصي سكان انكلترا وويلس منذ اربع سنوات فوجد في كل عشرة آلاف نفس منهم من الذكور والاناث ما تراهُ في هذا الجدول مقسماً على اختلاف اعمارهم

	الذكور	والاناث
من سن ٥ سنوات فاقل	٥٧٠	٥٧٢
من ٥ سنوات الى ١٠	٥٣٥	٥٣٧
من ١٠ » ١٥	٥١٤	٥١٤
من ١٥ سنة الى ٢٠	٤٩٤	٥٠٤
من ٢٠ » » ٢٥	٤٥٢	٥٠٧
من ٢٥ » » ٣٥	٧٦٤	٨٥٢
» ٣٥ » » ٤٥	٥٩٤	٦٣٥
» ٤٥ » » ٥٥	٤٢٩	٤٦٣
» ٥٥ » » ٦٥	٢٧٩	٣١٨
» ٦٥ » » ٧٥	١٤٧	١٨٤
» ٧٥ » » ٨٥	٠٥١	٠٧٠
» ٨٥ فصاعداً	٠٠٦	٠٠٩
والجملة	٤٨٣٥	٥١٦٥

ويتَّضح من ذلك ان مواليد الاناث اكثر من مواليد الذكور نحو ٤ في العشرة الآلاف لا غير وهذه الزيادة خاصة بالمدن الكبيرة . ويبقى هذا الفرق بين عدد الذكور والاناث الى السنة العاشرة ثم يتساوى الفريقان بين العاشرة والخامسة عشرة كأنهُ يعتنى بالذكور اكثر مما يعتنى بالاناث وبين الخامسة عشرة والعشرين يقلُّ عدد الذكور عن عدد الاناث بسبب المهاجرة والانتظام في الجيش ويزيد هذا الفرق في السنين التالية حتى يبلغ اشدَّهُ بين السنة العشرين والخامسة والثلاثين ولا سبب لهُ الاَّ ما تقدم من المهاجرة والانتظام في الجيش ثم يقل قليلاً بعد ذلك الى سن الشيخوخة وحينئذٍ يكون عدد الاناث اكثر من عدد الذكور بنسبة ٩ الى ٦ لان الاناث يعمرن اكثر مما يعمر الذكور

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثلاثين



December 1930 — ديسمبر ١٩٣٠

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

نشرنا منذ خمس عشرة سنة مقالة موضوعها اقزام الاوائل والاواخر على اثر مجيء الرحالة ستانلي الى هذا القطر وذكره الاقزام الذين لقيهم في قلب افريقية . وذكرنا في تلك المقالة اموراً لاباس باعادة نشرها الآن تمهيداً لما سنذكره من وصف هؤلاء الاقزام بعدما وصلت جماعة منهم الى القاهرة وهي

زعم المتقدمون ان في الناس جيلاً قصير القامة جدًّا وان الكُرْكيّ كانت تهاجمهُ وتثخن فيهِ والى ذلك اشار هوميروس الشاعر اليوناني في الكتاب الثالث من الالياذة حيث قال ما ترجمتهُ

اذا ما الثلج غطّى وجه ارضٍ وجاءت ديمة من بعد اخرى
مضى الكُرْكيّ المقيم الى بلادٍ يرى فيها بديل البرد حرًّا
وقاتل من اهاليها قزامى وعوَّضهم من الغبراء قبرا

واشار كثيرون من الكتَّاب القدماء الى حروب الاقزام والكُرْكيّ وصوَّروهم على الكؤوس وهم يحاربونها. اما ارسطو وهيرودوتس وبلينيوس وكتسياس وغيرهم فذكروا الاقزام ذكراً خالياً من المبالغات الشعرية وقال ارسطو انهم يسكنون افريقية قرب مصادر النيل وقال كتسياس انهم في قلب بلاد الهند واثبت هيرودوتس ما اشار اليهِ ارسطو وهذه ترجمة كلامهِ

„ لقد سمعتُ من بعض اهالي سيريني ما ساقصهُ الآن وهو انهُ حدث مرةً انهم اتوا لزيارة هيكل امون ودار الحديث مع اتيرخس الملك الاموني على النيل وكيف لم تزل مصادرهُ مجهولة فذكر اتيرخس ان نفراً من النسامونيين جاءوا بلاطهُ مرة ولما سئلوا عن غير المعمور من ليبية قالوا ان النسامونيين شعب ليبي يسكن السرتس وهي بلاد غير واسعة الى جهة المشرق

وانهُ ربي بينهم رجال وحشيون وهم اولاد بعض الروساء فلما بلغوا مبلغ الرجال افرطوا في امور كثيرة وفي جملة ما فعلوهُ انهم اقترعوا على خمسة منهم ليذهبوا ويرودوا قفار ليبية ويحاولوا الايغال فيها الى حيث لم يبلغ احد قبلهم فذهبوا لهذا الغرض ومعهم كثير من الماء والزاد وقطعوا المعمور اولاً ثم دخلوا القفار واوغلوا فيها من الشرق الى الغرب . وبعد ان ساروا في الصحراء اياماً كثيرة وصلوا الى سهل فيهِ اشجار يانعة فدنوا منها وجعلوا يقطفون من ثمرها واذا برجال اقزام قد وقعوا عليهم واخذوهم اسرى ولم يستطع النسامونيون ان يفهموا كلمة من لسانهم ولا هم من لسان النسامونيين . وبعد ان ساروا بهم في مروج فسيحة وصلوا الى مدينة سكانها كلهم من الاقزام وهم زنوج في الوانهم وبجانب المدينة نهر عظيم يجري من الغرب الى الشرق وفيهِ تماسيح "انتهى

وقد ارتاب العلماء اولاً في صحة رواية هيرودوتس وزعموا انهُ اراد بهؤلاء الاقزام طوائف القرود اما الآن وقد ثبت وجود الاقزام في قلب افريقية فلم يبقَ محل للريب في روايتهِ

وقد بحث ده كاترفاج العلامة الفرنسوي في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً ونظر في كل ما يروى عن اقزام افريقية واقزام الهند واستنتج من ذلك ان الكتَّاب الاقدمين اشاروا في ما ذكروهُ الى اقوام موجودين حقيقة ولم يزالوا موجودين الى يومنا هذا فعنوا باقزام افريقية الاقزام الذين اشرنا اليهم هنا و باقزام الهند جيلاً من الناس يسكن جزائر اندمان وهي في خليج بنغالا بين الدرجة العاشرة والرابعة عشرة من العرض الشمالي وفي طول ٩٣ درجة شرقي غرنج . ومع قرب هذه الجزائر من بلاد الهند ووقوعها في طريق السفن الذاهبة الى الهند الاقصى ومع ارتياد الاوربيين كل خضراء وغبراء وتطلبهم المكاسب من كل جزيرة من جزائر المحيط لم يهتموا بامر هذه الجزائر حتى سنة ١٨٥٨ وما ذلك الاَّ لما كانوا يجدونهُ من الشراسة في اخلاق اهاليها ولعل سبب شراسة الاهالي ونفورهم من الغرباء حادث عمَّا كانوا يلاقونهُ من الصينيين والملقيين الذين كانوا يصطادونهم صيد الوحوش ليستعبدوهم

ولما اخمد الانكليز ثورة الهنود سنة ١٨٥٨ وقبضوا على المذنبين لينفوهم الى بلاد اخرى استولوا على هذه الجزائر ونفوهم اليها وللحال اخذ احد العلماء وهو ادورد مان في البحث عن اخلاق الاهالي وطبائعهم وعوائدهم وصنائعهم وتقاليدهم ولغتهم وألف كتاباً مسهباً في ذلك اصلح فيهِ خطأ الذين سبقوهُ من مؤلفي العرب والافرنج

ويستفاد من كتابهِ ان اهالي هذه الجزائر تسع قبائل مختلفة يرجعون كلهم الى اصل واحد وقد قاس طول ٤٨ رجلاً و ٤١ امرأة منهم فوجد متوسط طول الرجل اربع اقدام وعشر

عقد وثلاثة ارباع العقدة ومتوسط طول المرأة اربع اقدام وتسع عقد وربع عقدة . وشعرهم كث مفلفل ولونهم اسود ورؤوسهم مستديرة واسنانهم كبيرة وبروز فكهم غير كثير وهيئة الزنوج الخاصة غير ظاهرة فيهم تمام الظهور ولكن تركيب ابدانهم مثل تركيب ابدان الزنوج في نسبة عظامهم بعضها الى بعض . وكانوا يسكنون خصاصاً مبنية من اغصان الاشجار واوراقها ولم يكونوا يعرفون شيئاً من امر الفلاحة ولا كان عندهم شيء من الماشية وآنيتهم كلها من الخزف يعملونها بايديهم بدون دولاب ويجففونها بالشمس او يشوونها قليلاً بالنار ولا يستعملون جلود الحيوانات وعندهم قوارب صغيرة يصنعونها من الاشجار المنقورة . وهم ماهرون في السباحة والغوص ويستعملون النار ولكنهم لا يعرفون كيفية ايرائها فيحافظون عليها لكي لا تنطفئ . ولا يعرفون شيئاً من امر المعادن فيستعيضون عنها بالاصداف والصوان ويصنعون من الياف الاشجار خيوطاً وسلالاً وشباكاً وسلاحهم القوس والسهم وليس عندهم تروس ولا دروع ولا شيء من ادوات الدفاع . والارض خصبة تكثر فيها البقول والاثمار والجذور ويكثر الخنزير وغيره من الحيوانات الصغيرة فيجدون فيها وفي البحار كفافهم من الطعام . ويطبخون طعامهم ويأكلونهُ سخناً . وقبل دخول الاوربيين بلادهم لم يكونوا يشربون الأ الماء القراح . اما الآن فتعلقوا على المسكرات والرجل منهم يتزوج بامرأة واحدة يعيش معها حتى الممات ويكرمها غاية الاكرام ولا يعرفون اكل البشر ولا قتل الاطفال

وقد ظهر للمسيو ده كاترفاج بعد البحث الطويل ان هذا الشعب كان منتشراً في الهند نفسها وعندهُ ان سكان الهند الاصليين هم من هذا الشعب وقد انقرضوا من امام الجنس الآري ولم يبقَ منهم الأ النزر القليل كما انقرضوا من بعض الجزائر او امتزجوا بالجنس الملقي والمغولي وذلك يوافق من اكثر الوجوه ما ذهب اليهِ ونشل العالم الاميركي وفي راي المسيو ده كاترفاج ان هؤلاء الاقوام هم اقزام اسيا الذين ذكرهم كتسياس وبلينيوس وغيرهما من الاقدمين

اما اقزام افريقية الذين ذكرهم هوميروس وهيرودوتس وارسطو فاول من اشار اليهم من المتأخرين اندرو بتل الذي اسرهُ البرتغاليون وارسلوهُ الى قلب افريقية فاقام فيها ثماني عشرة سنة من سنة ١٥٨٦ الى سنة ١٦٠٤ للميلاد . فقد قال انهُ رأى فيها جيلاً من الناس لا يزيد طول الواحد منهم عن طول ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة . ثم ذكر هذا الجيل كثيرون من الذين زادوا افريقية الى يومنا هذا وآخر من رآهُ ووصفهُ ولقولهِ وقع عظيم عند العلماء الدكتور شوينفرث وميافي وامين باشا . اما الدكتور شوينفرث فاونل في قلب افريقية سنة

١٨٧٠ وبلغ بلاد ملك منبتّو ورأَى هؤلاء الاقزام في بلاطهِ وبلادهم الى الجنوب الغربي من بلادهِ حيث العرض ٣° شمالاً والطول ٢٥° شرقاً وهم داخلون في حماهُ ومعيشتهم من الصيد واسلحتهم القسي والسهام فاخذ واحداً منهم عازماً ان يأتي بهِ الى اوربا فمات في بربر . وحرقت جميع اوراق شوينفرث فما كتبهُ عنهم بعد ذلك اعتمد فيهِ على ذاكرتهِ

اما مياني فاقتفى خطوات شوينفرث الى بلاد المنبتو واتى منها باثنين من هؤلاء الاقزام ومات في اثناء الطريق ووصل القزمان الى ايطاليا وعرضا على الملك والملكة ثم اعطيا للكونت منسكلشي فعاشا في بيتهِ ومات احدهما سنة ١٨٨٣

اما امين باشا فدخل بلاد المنبتو ورأى الاقزام فيها واخذ واحداً منهم ووصفهم وصفاً مدققاً وارسل هيكلين من عظامهم الى بلاد الانكليز وهما هيكل رجل وهيكل امرأة فتفحصهما الاستاذ فلور وقاسهما بالتدقيق فوجد طول هيكل المرأة اربع اقدام تماماً وطول هيكل الرجل اربع اقدام الا ربع عقدة فاذا اضيف اليهما ثخن جلد الرأس وجلد القدم كان طول الرجل اربع اقدام وربع عقدة وطول المرأة اربع اقدام ونصف عقدة ويظهر من عظامهما انها متناسبة تناسبها في بقية الناس الكاملين الخلق فهي ليست مثل عظام الاقزام الذين قزّمهم عن تشوّه خلقي او صناعي ولذلك فهؤلاء الناس قصار القامة صغار الجسم طبعاً

وخلاصة ما ذكرهُ الاستاذ دكاترفاج والاستاذ فلور والسياح الذين طافوا افريقية ان فيها قبائل على خط الاستواء منتشرين من غربيها الى شرقيها وهم صغار الجسم قصار القامة متوسط طولهم نحو اربع اقدام فقط وفي قياس امين باشا اقل من ذلك. ومن المظنون ان هؤلاء الاقوام سكنوا افريقية قبل غيرهم ثم جاء الزنوج اليها فنفروا من دجرهم الى ان انحصروا في قلب افريقية ولم تزل شرذمات منهم في جهات مختلفة ولا يبعد انهم هم الاقزام الذي اشار اليهم هيرودوتس وانهم هم واقزام المشرق من اصل واحد وان منهم اكثر الاقزام الذين كان الملوك والعظماء يباهون بهم . انتهى

ولما وصل ستانلي الى باريس بعد مجيئهِ الى مصر كما تقدم قابلهُ مكاتب جريدة الاندبندنس بلج ودار الحديث بينهما على الاقزام الذين لقيهم ستنلي في حرجة اوربي فقال " ان هؤلاء الاقزام هم الذين اشار اليهم هيرودتس المؤرخ الشهير واثبت وجودهم منذ ٢٤٠٠ سنة . وقد لقيناهم وتحببنا اليهم فانسوا بنا واحبونا كثيراً ورافقنا عدد منهم مدة اربعة اشهر ونصف وكانوا يذهبون معنا حيث ذهبنا ولا يمنعوننا من تفحص اجسامهم ودرس تركيبهم وقد ثبت لنا انهم كانوا يسكنون تلك الانحاء منذ خمسين قرناً واستدللنا على قدميتهم من عزة

نفوسهم وانفتهم وكرم اخلاقهم. وهم على رغم تفرقهم وانتشارهم في تلك الفلوات الشاسعة مرتبطون بنظام سياسي واجتماعي يشف عن وحدة اصلهم وتقاليدهم الشريفة ولهم ملكة جمعت بين اللطف والذكاء وهي التي كانت واسطة التقرب والائتلاف بين حملتنا وقومها في بدء اجتماعنا بهم

اما لون القزم فاشبه بلون الزيتون واما اجسامهم فمتناسبة الاعضاء ولقد كانوا يأنسون بنا وينفرون من الزنجباريين الذين كانوا معنا وكثيرًا ما كانوا يرشقونهم بنبالهم المسمومة حين كانوا يبتعدون عنا. وحدث مرة انني ارسلت طليعة من الزنجباريين ليستطلعوا طلع ساقة الجيش فقتلوا واحدًا وعشرين منهم. قال وقد حاولت ان اجلب معي بعضًا منهم ولكنني لم اتمكن من ذلك لان هواء السهول في البلاد الحارة لا يوافق مزاجهم فلم يخرجوا مرة من حرجاتهم الرطبة الا اصابتهم الحمى وماتوا على الاثر. وهكذا قضى كلّ الذين حاولت احضارهم معي على الطريق ولم يصل احد منهم الى الساحل. وارادت الملكة ان ترافقنا الى الولايات التي يسكنها البيض الذين كنا نحدثها عنهم فما وصلت الى خارج الغاب حتى اعياها المرض فاضطرت الى العدول عن عزمها. ثم اثنى على مهارتهم وصناعتهم الفائقة الوصف في عمل الحراب وقال انهم حاصلون على كلّ ما يحتاجون اليهِ من الادوات الحديدية. فسألهُ المكاتب ومن اين لهم الحديد فقال ان المعادن كثيرة في مجاري المياه الجارية في تلك الغابة ولا سيما النحاس. ثم استطرد الى مدح آدابهم وقال انهم يفوقون جميع اهالي تلك الانحاء المعتدلي القامة"

وفي الحادي عشر من هذا الشهر (ابريل) وصل رحالة انكليزي اسمهُ الكولونل هريسن الى الخرطوم ومعهُ ستة من هؤلاء الاقزام فقابلهُ مدير مطبعتنا فيها وكتب في جريدة السودان الصادرة في ١٣ ابريل ما نصهُ

"عاد الكولونل هريسن الى الخرطوم قادمًا من بلاد الكنغو حيث ذهب للبحث عن الاقزام في غابة الاقزام المعروفة بغابة ايتوري او غابة ستنلي وصيد الحيوان النادر المسمى "اوكابي" في تلك الغابة ايضًا وقد جلب الكولونل معهُ ستة من الاقزام اربعة رجال وامرأتين اعمارهم بين ١٨ سنة و٣٤ سنة

وقد قابلنا الكولونل هريسن فأخبرنا ان هؤلاء الاقزام يقطنون ضواحي الغابة المعروفة باسمهم وهم ذوو بأس ونجدة ويختلف طول البالغين منهم من ٣ اقدام و٨ بوصات الى اربع اقدام وكان الشائع قبلاً ان اجسام الاقزام مكسوة بالشعر استنادًا لما رواهُ السر هري جنستن ولكن الكولونل هريسن يقول ان معظمهم خالٍ من الشعر في ابدانهم ما خلا الصدر والساقين. ولا يدخل الاقزام الى قلب الغابة الا اذا ارتكبوا جريمة او اقترفوا ذنبًا

وهم في الغالب مسالمون وقد استقبلوا الكولونل هريسن بالترحيب بعد ان انسوا اليهِ وقبل عودتهِ باسبوع هجم بعضهم على نافلة من قوافل الحكومة فقتلوا ١٧ حمالاً وفروا الى داخل الغابة وقد ارسلت حكومة الكنغو بعض جنودها لمعاقبتهم

ويقطن الاقزام قرى تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ليست بطويلة ولكل قرية شيخ مستقل يتولى شؤُونها . وبيوتهم خيام غطاؤُها اوراق الشجر وهي في الغالب واطئة

وقد جاء الاقزام الستة مع الكولونل هريسن باختيارهم ووعدهم ان يعيدهم الى اوطانهم ولكنهُ يظن انهم يفضلون البقاء في انكلترا على العودة "

وما وصل بهم الى مصر حتى ارسلت الحكومة الانكليزية تسأل عن غرضهِ من جلبهم الى بلادها وكأنها تريد منعهُ من ذلك الاَّ اذا علمت انهم آتون برضاهم واختيارهم وان برد انكلترا لا يضرُّ بهم . فتركهم في القاهرة وسافر الى البلاد الانكليزية . وتجد في صدر هذه المقالة صورة الرجال منهم مع الكولونل هريسن . واصغرهم قدًّا فتى عمرهُ نحو ١٨ سنة وهو ترجمانهم لانهُ يعرف اللغة السواحلية فوق لغتهِ

العقارب المصرية

طالما ندَّد المنددون بان الانكليز لم يعضدوا البحث العلمي كما عضدهُ الفرنسويون وقتما احتلوا مصر . وقد ردَّ عليهم اللورد كرومر في تقريرهِ الاخير قائلاً ان الانكليز اهتموا بالحاجيات اولاً فاصلحوا مالية البلاد ثم التفتوا الآن الى هذه الكماليات وبيَّن الوجوه التي عضدوا بها البحث العلمي

وامامنا الآن تقرير مسهب من مدرسة الطب المصرية عما تمَّ فيها من البحث العلمي في غضون السنة الماضية . وسننصفهُ في باب تقريظ الكتب ونقتصر الآن على اقتطاف بعض الحقائق من مقالة فيهِ عن العقارب وضعها للدكتور ولسن استاذ الفسيولوجيا فيها

قال في مقدمة هذا الفصل ان العقارب الشائعة في القطر المصري يمكن ردها الى ثلاثة انواع النوع الاول الخماسي المفاصل وهو اصفر رملي يكثر في الصعيد وهو اسمُّ العقارب المصرية . والثاني الليموني ويكثر في القاهرة وفي جوار الاسكندرية . والثالث المراكشي وهو اسود ويكثر في مريوط الى الغرب من الاسكندرية

وبعد بحث طويل استغرق وصفهُ نحو اربعين صفحة كبيرة وصل المؤَلف الى النتائج التالية وهي

(١) ان السم الذي في حمة العقرب سائل صاف فيهِ قليل اللزوجة وقليل من الحموضة وهو اثقل من الماء قليلاً وفيهِ من ٢٠ الى ٣٨ في المئة من المواد الجامدة

(٢) الاصل الفعَّال في هذا السم مادة من نوع البروتيد

(٣) هذا الاصل يذوب في الغليسرين وفي الماء الذي اذيب فيهِ قليل من ملح الطعام

(٤) التجفيف لا يؤثر فيهِ واذا كان ذائباً لا يفسد من نفسهِ ولا تؤثر فيهِ الحرارة اذا بلغت درجة الغليان وكانت مدتها قصيرة ولكن اذا طالت ١٢ دقيقة زال فعلهُ

(٥) ان المقدار المميت لخنزير الهند من التكسين[1] هو عشر مليغرام لكل كيلوغرام من ثقل الحيوان فقوة هذا السم واحد الى عشرة ملايين اي ان القمحة منهُ تميت حيواناً ثقلهُ عشرة ملايين قمحة او ٤١٦ اقة

(٦) ان مقدار التكسين يختلف باختلاف انواع العقارب واكثره في العقرب الصفراء واقلهُ في الليمونية وهو في الصفراء نحو مليغرامين فيقتل ما وزنهُ عشرون كيلوغراماً من الحيوان

(٧) ان تأثير سم العقرب في الانسان مثل تأثيرهِ في الحيوان واظهر ظواهرهِ الالم والقيء والعرق وسيلان اللعاب ويندر ان يموت بهِ احد عمرهُ اكثر من ١٥ سنة

(٨) ان الحيوانات البرية التي تعيش حيث تكثر العقارب لا تسم بسمها فقد جُرّب فعلهُ في الجربوع فأدخل في جسم جربوع ثقلهُ ٧٠ غراماً سبعة اعشار المليغرام من التكسين فلم يتأثر منها مع انهُ لو كان يتأثر كما يتأثر خنزير الهند او الارنب لكفى لقتلهِ خمسة في المئة من المليغرام

وجرب فعل هذا السم بالجرذ البري وبالنمس والقنفذ فوجد انهُ لا يفعل بها والظاهر انهُ لا يفعل باكثر الحيوانات التي تعيش حيث تكثر العقارب او يفعل بها قليلاً فانهُ الحقنهُ في نمس ثقلهُ ٢٣٠٠ غرام لحقنهُ باربعة سنتمترات مكعبة فظهر فيهِ قليل من اعراض السم ولم يمت الاّ بعد ثماني عشرة ساعة وهذا المقدار من السم يكفي لقتل ما ثقلهُ ٨٠٠٠ غرام من خنازير الهند. وبلغهُ ان بعض الناس يقون انفسهم من سم العقرب بغرز الحمة في ابدانهم وقال ان صديقهُ الدكتور تالرت الطبيب المساعد في مستشفى قصر العيني جرب سم العقرب في المعزى فوقاها بهِ بتكرار ادخال السم في بدنها وزيادة مقدارهِ رويداً رويداً فصار مصل

---

(١) اراد بالتكسين الجزء الجامد من سم العقرب الذي يحتوي الاصل الفعال ويمكن ان يذوب في سائل ملحي

دمها يقي الحيوانات الاخرى من سم العقرب . وهو اكتشاف جزيل النفع اذا اثبتتهُ التجارب واَمكن استعمال المصل بعد ما تلدغ العقرب انساناً

ولم يرَ الاستاذ ولسن فعل سم العقرب بالانسان لانهُ لم يرَ احداً لسعتهُ عقرب لكن الدكتور محمد افندي شاهين شاهد اناساً لسعتهم العقارب في ادفو وجهاتها واخبره ُ ان الاولاد الذين تلسعهم العقارب وعمرهم اقل من خمس سنوات يموت ستون في المئة منهم من تأثير السم فيهم . ثم تقلُّ وفيات الملسوعين بتقدمهم في السن ولم يرَ احداً مات من لسع العقرب وعمرهُ اكثر من اثنتي عشرة سنة الّا واحداً عمرهُ اثنتان وعشرون سنة . اما الاعراض فكما يأتي

الم شديد حاد ينتشر من مكان اللسع وعرَق غزير وفيض اللعاب والقيء ورؤْية اشباح لا حقيقة لها والاضطراب العقلي . وتحدث تشنجات عضلية بعض الاحيان . ويضعف النبض ويصير خيطياً ويبلغ ١٥٠ نبضة في الدقيقة ويسرع التنفُّس . وتدوم هذه الاعراض ثلاث ساعات الى ثماني ساعات فاذا انتهت بعرق غزير فعاقبتها الشفاء وحينئذٍ تضعف الاعراض رويداً رويداً الى ان تزول ويعود الملسوع الى حالهِ الطبيعية في نحو ١٩ ساعة الى ٢٤ ساعة . واذا انتهت بالتهوُّر وبرد الاطراف فالعاقبة الموت

وعلم من مصادر اخرى انهُ يصحب الأَلم تنميل كالتنميل الذي يشعر بهِ مَن يصدم مرفقهُ شيئاً ويدوم هذا الأَلم عشرين ساعة الى ثلاثين . وتجيش النفس وتتهيأ للقيء او تتقيأ . وقد يحمرُّ مكان اللسع ويرم ولكن قد لا يظهر عليهِ شيءٌ اكثر مما يظهر من لسع البعوض

واخبرهُ الدكتور براي من اطباء الجيش المصري ان العقارب قتلت ٢١ نفساً في ام درمان سنة ١٩٠٢ خمسة منهم اطفال سنهم اقل من سنة وتسعة منهم بين سنة وخمس سنوات وسبعة سنهم من خمس سنوات الى ١٥ سنة

ووُجد بين اربعين نفساً قتلتهم العقارب واحد منهم عمرهُ ١٨ سنة . ولما كانت الجيوش الانكليزية والمصرية زاحفة على السودان سنة ١٨٩٨ لسعت عقرب احد الجنود الانكليزية في دارملي وعالجهُ الدكتور كومنس ولكنهُ توفي في اليوم الرابع بعد لسع العقرب . وواضح من ذلك ان العقارب المصرية قد تقتل الانسان بلسعها ولاسيما اذا كان طفلاً . وقد ألحق المؤلف بهذا الفصل صوراً كثيرة بيَّن فيها باطن الحمة وتأثير فعل السم باعضاء الحيوانات الملسوعة اي بالعضلات والقلب . والبحث في هذه المقالة علمي دقيق كادق ما يكون . وعسى ان يثبت بالدليل القاطع ان سم العقرب يضعف في بدن المعزى فيستخرج منها مصل يقي منهُ ويصير لهذا البحث فائدة عملية

الرواية والرُّواة

لا يخفى ان اللغة والشعر والاخبار والحديث لم تقع الينا الاَّ من طريق الرواية ولم ينضِ اليها الرواة الاَّ من طريق النقل وفي جميعها اقسام ولها شروط وطرق . وانا ذاكر من ذلك جملة مما وقفت عليهِ واستقريتهُ من خبر القوم واستخرجتهُ مما تقطعت على تحصيلهِ الاعناق وانطوت على حاصلهِ الاوراق

اما رواية اللغة والشعر فقد اتحفت من الاعصر كفنا واما الحديث فهي فيهِ على رمق وانما بقي منها نُفيَّات . ولما وضع ابو الطيب اللغوي في القرن الرابع من الهجرة كتابةً في مراتب النحويين انطوت لعينيهِ عشرة قرون من الزمن فانضمَّ عصرنا الى عصرهِ فقال يصفهما جميعاً "غلب الجهل وفشا حتى لا يدري المتصدر للعلم مَن روى ولا من روي عنهُ ولا من اين اخذ علمهُ وحتى ان كثيرًا من اهل دهرنا لا يفرقون بين ابي عبيدة وابي عبيد وبين الشيء المنسوب الى ابي سعيد الاصمعي وابي سعيد السكّري او ابي سعيد الضرير ويحكون المسألة عن الاحمر فلا يدرون أهو الاحمر البصري او الاحمر الكوفي ولا يصلون الى العلم بمزية ما بين ابي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني [1] وقد وصلنا الى كدر الكدر وانتهينا الى عكر العكر" . ونحن كما ترى لا فرق بين دهرنا ودهرهِ الاَّ ان كثيرًا من قومهِ كانوا لا يفرقون بين اسمين واكثر قومنا لا يعرفون واحدًا منهما واولئك كانوا يخلطون فيزعمون انهُ جرت مناظرة بين ابن الاعرابي والاصمعي وهما لم يجتمعا قط وهؤلاء اذا ذكرت لهم تلك المناظرة قالوا ان الفوز كان فيها لابن الاعرابي او نظروا الى موضع الاصمعي من الشهرة فقالوا ان الحجة كانت لهُ او وفقوا بينهما كما هو مذهب الكثيرين فقالوا الكلمة المشهورة "فيها قولان" وهم على كل حال يستنكفون ان يقولوا لا نعلم

أمَا لو أنَّ جهلك عاد علماً ... اذًا لنفذت في علم الغيوبِ

وما لك بالغريب يد ولكن ... تعاطيك الغريب من الغريبِ

وقبل أن يستجرَّ للقلم هذا البحث في الرواية وشروطها وما الى ذلك نأتي على طرف من اكرام الخلفاء للرواة ومعرفتهم موضع الحاجة اليهم وقصدهم في ذلك الى تثقيف اللسان وتوثيق الجامعة ثم ما كان من مطارحتهم الاخبار ومناقضتهم الكلام الى ما وضحت آثارهُ في دواوين ذلك

(١) للعلماء عناية بتحقيق اسماء الرواة واهل العلوم حتى انهم اختلفوا في اسم ابي عمرو بن العلاء على أحد وعشرين وجهاً

العهد ونطقت اخباره في سجلات تلك الايام حين كانوا يعدون النسب والخبر وجُمل الفقه من علم الملوك وكان الرواة يضعون الكتب الممتعة ويأرقون فيها الليالي الطويلة لابناء الخلفاء يرّوُونهم ما حملت من ذلك كالمختارات المنسوبة للمفضل الضبي [1]. قال ابن الانباري ان ابا جعفر المنصور تقدم اليهِ في اختيارها للمهدي كما وضع ابو عبيدة كتابهُ في فقه اللغة لتعليم الرشيد في خلافة ابي جعفر ايضاً. على انهُ لما ضعفت الدولة بعد ذلك كانت امثال هذه الكتب التي تفطر منها قلوب العلماء انما توضع برسم الخزانة الملوكية فقط . . .

روى ابو حاتم عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد ومجلسهُ حافل فقال يا أصمعي ما اغفلك عنا واجفاك لحضرتنا. قلت والله يا امير المؤمنين مالاقتني بلاد بعدك حتى اتيتك. فامرني بالجلوس فجلست وسكت عني فلما تفرق الناس الاَّ اقلهم نهضت للقيام فاشار اليَّ ان اجلس فجلست حتى خلا الموضع ولم يبقَ غيري ومن بين يديهِ من الغلمان فقال يا أبا سعيد ما معنى قولك مالاقتني بلاد بعدك. قلت ما امسكتني يا امير المؤمنين وانشدت قول الشاعر

كفاك كفٌ ما تليق درهماً جوداً واخرى تعطِ بالسيف الدما

اي ماتمسك فقال هذا احسن وهكذا فكن. وقّرنا في الملا وعلّمنا في الخلا

وقال الرشيد مرة للمفضل الضبي اذكر لي بيتاً يحتاج الى مقارعة الاذهان في اخراج خبئهِ ثم دعني واياه فقال اتعرف بيتاً اولهُ اعرابي في شملتهِ هابٌ من نومتهِ كانما ورد على ركب جرى في اجفانهم الوسن فظل يستنفرهم بعنجهية البدو وتعجرف الشدو وآخرهُ مدنيٌّ رقيق غذي بماء العقيق فقال لا اعرفهُ قال هو بيت جميل

الا ايها الركب النيام الا هبوا

ثم ادركتهُ رقة الشوق فقال : أُسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ

فقال افتعرف انت بيتاً اولهُ اكثم بن صيفي في اصالة الرأي ونبل العظة وآخرهُ بقراط لمعرفتهِ بالداء والدواء قلت قد هوَّلت عليَّ فليت شعري باي مهر تمهر عروس هذه الخدر قال بانصافك وانصاتك وهو بيت الحسن بن هاني

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

(1) المشهوران هذه المختارات للمفضل الضبي ولكن بعضهم يروي عن العباس بن بكار انهُ قال للمفضل ما احسن اختيارك للاشعار فلو زدتنا من اختيارك فقال والله ما هذا الاختيار لي ولكن ابرهيم بن عبد الله استتر عندي فكنت اطوف واعود اليه بالاخبار فيانس ويحدثني ثم عرض لي خروج الى ضيعتي اياماً فقال لي اجعل كتبك عندي لاستريح الى النظر فيها فتركت عندهُ قمطرين فيها اشعار واخبار فلما عدت وجدتهُ قد علم على هذه الاشعار وكان احفظ الناس للشعر فجمعتهُ واخرجتهُ فقال الناس اختيار المفضل . اه

ومثل ذلك يروى عن المأمون وغيرهِ . ولقد كان المأمون حريصاً على الاصمعي وهو بالبصرة ان يصير اليهِ فلم يفعل واحتج بضعفهِ وكبرهِ فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليهِ ليجيب عنها

وربما كانوا يرسلون في طلب الرواة للفظة اغلق عليهم صوابها او بيت من الشعر ذهب عنهم اسم قائلهِ كما فعل الواثق حينما غنَّت جارية بحضرتهِ في قول العرجي

أظلومُ ان مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلمُ

فاختلف من كان بالحضرة في اعراب رجلاً فمنهم من نصبهُ وجعلهُ اسم ان ومنهم من رفعهُ على انهُ خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازني لقنها اياهُ بالنصب فامر الواثق باشخاصهِ من البصرة . وكما بعث هشام في إشخاص حماد الراوية من بغداد لبيت خطر ببالهِ لا يعرف صاحبهُ وهو قول عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريقُ

ومثلهُ كثير بل كانت رواية الشعر عندهم وهو ديوان العرب في موضع من النفس يكون نقصها بمقدار ما يتسع من فراغهِ . ويروى ان معاوية كتب الى زياد اذا جاءك كتابي فأوفد الي ابنك عبيد الله فأوفدهُ عليهِ فما سألهُ عن شيء الاَّ انفذهُ لهُ حتى سألهُ عن الشعر فلم يعرف منهُ شيئًا فقال ما منعك من روايتهِ قال كرهت ان اجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري . قال اعزب والله لقد وضعتُ رجلي في الركاب يوم صفين مرارًا ما يمنعني من الانهزام الاَّ ابيات ابن الاطنابة حيث يقول :

ابت لي عفتي وابى بلائي واخذي الحمد بالثمن الربيحِ
واعطائي على الاعدام مالي واقدامي على البطل المشيحِ
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
لادفع عن مآثر صالحاتٍ واحمي بعدعن عرض صحيح

هذا الى غيرهِ مما لو استقصي لكان كتاباً برأسهِ . وحسبك من عناية الخلفاء برواية اللغة والشعر وغيرهما ان تتعرَّف ذلك في مواقع اقوالهم وتنسمهُ من نفحات الفاظهم فترى كيف يتحرون اصابة السر من الكلام والوقوع على اصح وجوه الاستعمال مما لا يتأتى الاَّ عن رواية ودراية . قال ابن خالويه دخلت على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديهِ قال لي اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقهُ بأهداب الادب واطلاعهُ على اسرار كلام العرب وانما يقال في المختار عند اهل الادب للقائم اقعد وللنائم والساجد اجلس ولذلك تعليل بديع ذكرهُ بعضهم وهو ان القعود الانتقال من العلو الى اسفل ولهذا قيل لمن اصيب برجليهِ مقعد والجلوس هو

الانتقال من السفل الى العلوسنة قيل لنجد جلساء لارتفاعها وقيل لمن اتاها جالس

والقوم وان لم يكونوا كلهم على هذه الصفة من اللسن وفي تلك المنزلة من البصر بالكلام وسعو الطبيعة ولكن جميعهم كانوا سواء في اكرام الرواة والعلماء والمتوسمين بالادب الا ما يكون من اختلاف في نتائج اكرامهم كتفاوت مقادير المنح والهبات والاقبال على واحد وبسطه باكثر مما يكون لسواهُ . والرواة مع ذلك يجدون الامر دون قدرهم ويقيسون حالة الزمن على مبلغ علمهم فيرون ان من لم يأخذ بحظهم من الرواية ويزاحمهم في موضعهم من الاشراف ليس شيئاً ولا على شيء وذلك من طغيان العلم حين يطغى

وما كان الناس يومئذٍ وهم على دين ملوكهم بأقل رغبة في مشاهير الرواة واقبالاً عليهم وتوقيراً لهم حتى قال ابو عمرو لو امكنت الناس من نفسي ما تركوا لي طوبة يعني لازدحموا عليهِ حتى ينزك حائط البيت مكانهُ من مضايقتهم

لا جرم ان الرواية هي العلم المستطيل [1] لا تمتد لهُ الا الصدور الواسعة وانَّا لنرى من اخبار الرواة والعلماء في الحفظ ما لا نصدق انهُ كان او يكون ولكن ذلك ليس بعجيب ممن انفق ايامهُ في تنمية الحافظة وفتق الذهن وكانت الحاجة دافعة الى ذلك فانصرفت كل قوى نفسه الى الاستحضار والاستظهار

وقد كان علماء السنة لا يعدون محدثاً الا من يروي عشرين الف حديث من حفظهِ وفيهم من بلغت روايتهُ اربعين الفاً او تزيد واكثرهم مع ذلك امام في الفقه واللغة والشعر. بل ليس براوٍ عندهم من لم يروِ من اللغة . وهم انما كانوا يقيمون آراءهم في غريب الاثر ومشتبه الحديث بما يحتجون بهِ من الشعر مروياً بسندهِ او مأخوذاً عمن يسندهُ . وهذا الشافعي اخذ عنهُ بعض الرواة شعر الهذليين وهو مع ذلك مستنبط المذهب المعروف من الكتاب والسنة ويروى عنهُ من قوة الحافظة ما لا يتعلق بهِ التصور حتى قيل انهُ تصفح كتاباً لابي حنيفة ذات ليلة فاصبح وقد اتى عليهِ حفظاً وبلغهُ وعياً

والرواية مُرادفة الحفظ بمعنى اخص فكل راوية حافظ وليس كل حافظ براوية لان الاخذ قد يكون من صحيفة منقطعة السند او لا سند لها ولا ثقة بهِ لانهم لا يقبلون من صحيفة ولا يأخذون عن صحفي وكانوا يقولون

ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ ما العلم الا ما حواهُ الصدرُ

وقد قال المعري في اصل التصحيف : هو ان يأخذ الرجل اللفظ من قراءتهِ في صحيفة ولم

(١) وقفت على هذه التسمية في تاريخ ابن خلكان ذكرها في ترجمة ثعلب

يكن سمعهُ من الرجال فيغيره عن الصواب وقد وقع فيهِ جماعة من اجلاء ائمة اللغة وافراد الرواة لان صدر الراوية ليس ارضاً بعالمها حتى يرد كل حرف الى منطق اهله

ويؤثر عن ابي عمرو بن العلاء وهو من شيوخ الاصمعي انهُ سئل عن بيت من الشعر فقال مات الذين يعرفون هذا . وفي اللغة والشعر شيءٌ كثير يتوقف على الرواية فاذا لم يسند الى اهلهِ تراوح بين الخطإِ والصواب لا تدري من ايهما لان موضع الفاصل بينهما خلاءٌ

واكثر ما يكون ذلك في الاسماء الجامدة كاسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه والاعلام فان الفطنة لا تنفذ فيهِ كما تنفذ في المشتق . وقد قرئ مرة على الاصمعي في شعر ابي ذؤيب قوله "باسفل وادي الدير أفرد جحشها" . فقال اعرابي حضر المجلس ضلَّ ضلالك ايها القارئ انما هي ذات الدير وهي ثنية عندنا . فأخذ الاصمعي بقولهِ فيما بعد

قدمنا ان الحفظ مفتاح الرواية وانها ترادفهُ بمعنى اخص وان القوم خاضوا من لجج المحفوظ ما يغرق الواحد منا في ساحلهِ من ذلك ان ابن دُريد كانت تُقرأ عليهِ دواوين العرب فيسابق الى اتمامها من حفظهِ وانهُ تصدَّر في العلم ستين سنة قائماً في وظائف الحفَّاظ [1] واملى كتاب الجمهرة في اللغة بفارس والبصرة من حفظهِ لم يستعن عليهِ بالنظر في شيءٍ من الكتب الا ما قالوا الا في الهمزة واللفيف . وما ابن دريد الا واحد من قوم

وعن ثعلب انهُ لازم ابن الاعرابي بضع عشرة سنة ما رأى في يدهِ كتاباً قط . وهذا حماد الراوية اول من جمع السبع الطوال من اشعار العرب والذي اخذ عنهُ كل ما روي من شعر امرئ القيس الا قليلاً اخذ عن ابي عمرو بن العلاء . قال لهُ الوليد بن يزيد الاموي يوماً وقد حضر مجلسهُ بما استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال بأني اروي لكل شاعر تعرفهُ يا امير المؤمنين او سمعت بهِ ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفهُ ولا سمعت بهِ ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث . فقال لهُ فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكني أُنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة

---

(١) وظائف الحافظ في اللغة اربعة عدها السيوطي في المزهر احدها وهي العليا الاملاء وطريقتهم فيهِ كطريقة المحدثين يكتب المستملي اول القائمة مجلس املاهُ شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ثم يورد المملي باسنادهِ كلاماً عن العرب والفصحاء فيهِ غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسرهُ ويورد من اشعار العرب وغيرها باسانيدهِ ومن الفوائد اللغوية باسناد وغير اسناد ما يختارهُ

وثانيها الافتاء ومن آداب المفتي في اللغة ان يقصد التحري والابانة والافادة والوقوف عند ما يعلم وقول لا ادري فيما لا يعلم وسؤال غيرهِ ان عرف ان عندهُ من ذلك علماً . والثالثة والرابعة الرواية والتعليم ومن آدابهما الاخلاص وان يقصد بذلك نشر العلم واحياءهُ والصدق في الرواية والتحري والنصح في التعليم ام تحصلا

كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية ومن شعر الاسلام قال سأمتحنك في هذا ثم امرهُ بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل بهِ من استحلفهُ ان يصدقهُ عنهُ و يستوفي عليهِ فانشدهُ الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية . وقد رأيت بعض الادباء ينكر ان يكون هذا الخبر صحيحاً لان حماداً كان يصنع الشعر ولانهُ يكاد يستحيل ان يعي في صدرهِ كل ذلك . ولعمري ان هذا من ايسر خطبهم . اما امر الوضع فسيجيء الكلام عنهُ . واما كثرة الشعر فقد اخبرني خاتمة الحفاظ المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير ان مما وقف عليهِ كتاباً للعسكري اختار فيهِ الفاً وخمسمائة قصيدة من شعر العرب وحدهم . هذا على ما نعرف من انطواء الزمن على كتب القوم وعبث الايام بآثار الحفاظ والرواة حتى ان ما وصل الينا منها ليس غير عنوان من كتاب

وانظر اين مبلغ ذلك مما رواهُ الاصمعي قال جاء فتيان الى ابي ضمضم بعد العشاء فقال لهم ما جاء بكم ياخبثاء قالوا جئناك نتحدث . قال كذبتم بل قلتم كبر الشيخ وبلغتهُ السن عسى ان نأخذ عليهِ سقطة فأنشدهم لمائة شاعر كلهم اسمهُ عمرو . قال الاصمعي فعددت وخلف الاحمر فلم نقدر على اكثر من ثلاثين . وخلف هذا هو الذي يقولون فيهِ ما ازدحم العلم والشعر في صدر احد ازدحامهما في صدر خلف

ولتفاضل الرواة في سعة المحفوظ بعد الاشراف اسباب كان يأخذ احدهم عمن هو اكثر رواية من غيرهِ او يتفق لبعضهم من السماع مالا يتفق للآخر ولكن معظمها راجع الى المبالغة في التحري والتثبت في النقل فلا يروي بعضهم مالم يصح وما شك فيهِ وما كان ضعيفاً او يهجر ما لا يتفق مع ادبهِ ولا يلائم ذمتهُ وبذلك ظهر الاصمعي على ابي عبيدة عند الفضل بن الربيع حين سمى اعضاء الفرس من ناصيتهِ الى ان فرغ منهُ وانشد ما قالهُ العرب في كل عضو بعد ان قال ابو عبيدة ان هذا من شأن البيطار مع ان كتبهُ في الخيل عشرون مجلدة وكتب الاصمعي فيها مجلدة واحدة. وهو كان لا يروي هجاء ولا فحشاً ولا ما يجهل مدلولهُ حتى قالوا انهُ يجيب في ثلث اللغة وابو عبيدة في الثلثين وابو مالك في الجميع

ولو شاء الاصمعي لغبَّر في وجه صاحبيهِ فانهُ كان من سرعة التناول وقوة الذاكرة بحيث ترى فيما رواهُ ابو بكر النحوي قال : لما قدم الحسن بن سهل العراق قال احب ان اجمع قوماً من اهل الادب فاحضروا ابا عبيدة والاصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديهِ للناس في حاجاتهم فوقَّع عليها فكانت خمسين رقعة ثم امر فدفعت الى الخازن واقبل علينا فقال قد فعلنا خيراً ونظرنا في بعض مانرجو نفعهُ من امور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج اليهِ . فافضنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة

ومررنا فالتفت ابو عبيدة فقال ما الغرض ايها الامير في ذكر من مضى وبالحضرة هاهنا من يقول ماقرأ كتاباً قط فاحتاجَ الى ان يعود فيهِ ولا دخل قلبهُ شيءٌ فخرج عنهُ فالتفت الاصمعي وقال انما يريدني بهذا القول ايها الامير والامر في ذلك على ماحكى وانا اقرب اليك قد نظر الامير فيما نظر فيهِ من الرقاع وانا اعيد مافيها وماوقَّع بهِ الامير على رقعة رقعة قال فامر فأُحضرت الرقاع فقال الاصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمهُ كذا فوُقع لهُ بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف واربعين رقعة. فالتفت اليهِ نصر فقال ايها الرجل أبقِ على نفسك من العين

ولو افضت في الايراد من مثل ذلك لعجب القراءُ وان ما يُروى عن النسَّابين كدغفل وعبيد والكلبي من اتساعهم في النسب وتقلبهم في اجيال الناس وانطواء صدورهم على ما خفي من اسماء الرجال وانساب القبائل وما ستر عليهِ من مغامزها لاعجب مما مرَّ بك وما هو الأَ غيض من فيض ولكني انما كتبت هذا المقال على شرط الايجاز والتحصيل

وقد كان من اولئك القوم من اذا ظفر بالشعر او الخبر كتبهُ على ذراعهِ ومنهم من كان يلتقط العظام فيكتب عليها وبعضهم كان ينسخ بالليل حتى ينقطع ظهرهُ كل ذلك نهماً الى العلم وحرصاً على الاستزادة وتعلقاً بالفائدة

واعلم ان من اللغة فصيحاً وهو ما لم يُنكر على العرب وضعيفاً وهو ما انحط عن درجتهِ ومنكراً وهو اضعف منهُ واقل استعمالاً والشرط فيهِ ان ينكرهُ ائمة اللغة الذين يعرفون وجوه الكلام ومتروكاً وهو ما كان قديماً من اللغات ثم ترك واستعمل غيرهُ كاسماء الايام والشهور(1) ومذموماً كبعض لغات نطقوا بها لأَن اكثر ما دوَّنوهُ انما هو لغة قريش وقد كان العرب يحجون البيت ويحضرون الموسم في كل سنة فكانت قريش تسمع منطق الحوشة والخاصة منهم وتنظر في مختلف لغاتهم فما استحسنوهُ نطقوا بهِ ولذلك اشتهرت لغتهم وبقيت على الايام لانها الفصحى

ثم ان في اللغة نوادر وحُوشيّاً وشواذ وغرائب والرواية قد تناولت كل ذلك وبهِ انقسمت الى اعتبارات مختلفة . وقد اتفق الرواة على ان اللغة والحديث يجريان من وادٍ واحد غير ان علماء الحديث اكثر توركاً في البحث وأضيق مساغاً للقبول واشد تمحيصاً للرواية وهم قد جعلوها علماً برأسهِ اطلقوا عليهِ اسم (مصطلح الحديث)

ستأتي البقية — مصطفى صادق الرافعي

(1) قال ابن دريد في الجمهرة اسماء الايام في الجاهلية السبت شيار والاحد اول والاثنين اهون واوهد والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مونس والجمعة عروبه . واسماء الشهور المؤتمر وهو المحرم وصفر وهو ناجر وشهر ربيع الاول وهو خوان وربيع الآخر وهو وبدان وجمادى الاولى الحنين وجمادي الآخرة ربى ورجب الاصم وشعبان عاذل ورمضان فائق وشوال وعل وذو القعدة ورنه وذو الحجة برك . وللعلماء اقوال مضطربة في تحقيقها وضبطها

فلسفة الحرب

والحرب المشورية

ما نشبت الحرب بين الروس واليابان وتصادمت في ساحات الوغى ابطالها حتى قامت حرب الافكار بين اشياعها على قدم وساق وعلت في ساحة النضال الادبي صيحاتهم . وقد بلغت حماسة بعضهم حدًّا كادت تنقلب حربهم القلمية عنده الى حرب دموية . وقلما رأينا في كتابات الاشياع ما اماط النقاب عن محيَّا الحقيقة . ولكن الحقيقة نور يابى الاَّ الاشهار واذا لم يتشرَّف بخدمتها ارباب المواهب السامية لاسباب معلومة عندهم فانها تستخدم من هم دونهم خبرة واقتدارًا وارى ان ذلك ادعى لمجدها واكرامها وذلك عزائي في اقدامي على الكتابة في هذا الموضوع الخطير

نحن طلبة في مدرسة الاختبار تتلو علينا الحوادث من آيات الحكمة ما يحسن بنا اقتباسهُ . فاذا سمت مبادئنا وخلصت عقولنا من الشوائب امكننا ان نفهم شيئًا عن حقيقة الوجود الذي نحن فيهِ والاَّ اضعنا العمر سدًى ولقد هممت مرارًا برفع الغواشي عن محيَّا الحقيقة فمنعني عدم ثقتي بأهليتي لذلك على ان خدمة الافكار من اقدس الواجب والتنكب عنها ذنب لا يُغتفر

الحرب ولا ازيد القارىء اللبيب بها علمًا من حوادث الطبيعة التي لا بد منها كنزول المطر وشروق الشمس ووميض البرق وانقضاض الصواعق وهبوب النسيم وثوران البراكين ودوران الارض ونحو ذلك لان من احكام الطبيعة سعي الافراد لانتجاع العيش واحراز الثروة وكذلك مناهضات الدول بعضها بعضًا للدفع عن كيانها ونموها بالسودد والفخار. والامم في تاريخها كالانهار في مجاريها تتوازى وتتقاطع . فما دامت الامة جارية في ميدان الحضارة والمدنية دون منازع لا يكون ثمَّ حرب . ولكن متى اعترضتها امة اخرى لصدها عن مجراها كانت غمار الحروب مما لا مندوحة عنهُ وبذلك تُعذر الامم على خوض غمارها

ولما كان الجنس البشري عديم السكون في تاريخهِ كثرت نقط الاحتكاك والتقاطع بين الامم في مجاريها الدولية فكانت الملاحم الدموية من اشهر ما يؤثر عنها . فانك اذا تصفحت تاريخ الممالك من فجر المدنية الى الساعة الحاضرة ترى ما قلنا . فاول حوادث العمران حرب واخرها قتال وما بينهما معارك واهوال هكذا وجدت الخليقة وهكذا تظل الى ان تدخل في ملك السلام

واذا وسعنا دائرة النظر تبيَّن لنا ان الحرب لا تنحصر في ابناء النوع الانساني بل تعم جميع

الكائنات على اختلاف انواعها وتعدد مراتبها كخلايا الخلايا وتطاحن المادة وما رتب الذرّي وجماعات الكواسر والعائلات النباتية والحيوينات الهيولية والدقائق الكهربائية والاجرام السماوية وما قبلها وبعدها تؤيد ذلك الاحافير والدفائن في طبقات الارض والنواميس الجوية وتاريخ الاجتماع الطبيعي. فما تمليه عليك الاحافير والدفائن من انباء الانواع البائدة تشرحه لك التواريخ الصادقة عن الانسان لان ناموس التنازع في جميعها واحد. فالحرب ملازمة لحقيقة الوجود تبدو في ابسط حالات المادة وفي ارقى مراتب العمران

واذا نظر العاقل في ما حوله نظر الحكيم رأى اعلام الحرب خافقة فوق كل نباتين في تلعة وفرق كل طائرين في كنّ وكل شاتين على مربض وكل جوادين على مقود وبين جميع الطبقات في الهيئة الاجتماعية علماء وجهلاء سوقة واحياناً ملوكاً وعبيداً اغنياء وفقراء متمدنين ومتوحشين رجالاً ونساء كباراً وصغاراً بل بين الاديان المختلفة والآراء الفلسفية والمذاهب العلمية وبين اللغات والعوائد والاصطلاحات بل بين العواطف والمدارك فالوجود كله حربٌ في حربٍ في حرب.

واذا اعدنا النظر في تاريخ الدول رأينا حلقات التنازع متوالية والدول في صعود وهبوط ففي فجر التاريخ كانت الدولة المصرية قابضة على زمام الاحكام في العالم المتمدن وكانت معابدها واسواقها ومدارسها كعبة القصّاد ونجعة الروّاد وظلت ربة الممالك والامصار حتى برزت الى عالم الوجود الدولة الاشورية التي نشأت في نينوى وامتدت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى احتكّت بالدولة المصرية فاومض بينهما شرر الحرب واشتعلت نيران المعارك حتى انجلت عن فوز الاشوريين على المصريين. فاجلوهم عن ربوع اسيا وطاردوهم الى ان نهض الماديين بقيادة كيكسارس فدحر الاشوريين وحلّ محلهم. وخلفه في سيادة المشرق خلفاؤه الى ظهور الاسكندر الكبير الذي اندفع من وراء الدردنيل اندفاع الشبل الى الفريسة. وهبط على اقاليم اسيا وافريقية هبوط الكواسر على صغار الطير فجندل ابطالها ودوّخ امصارها وقسم عروشها. واجهز على ممالك مصر وفارس وصور وغيرها وبسط ظله على الاقاليم الممتدة من الكنج الى النيل ومن نجد الى الدانوب. وبعد موته انقسمت مملكته الواسعة النطاق الى اربع ممالك منها سورية ومصر ساد الاولى الانطاكية والثانية البطالسة وحروبها تحاكي حروب الوردتين في تاريخ انكلترا ولا زالتا في كرّ وفرّ الى ان باد مجدهما الغابر في حجر الدولة الرومانية التي التهمت الممالك المجاورة لها التهام البحر المحيط للجداول الجارية اليه

ومعلوم عند متصفحي التاريخ نشاط الدولة الرومانية في منابذة كل امة سبقتها في مدنيتها

دم الاستقلال وشمرت في نفسها بالعزة والمنعة كالفرثيين في اسيا والقرطاجنيين في افريقية والغال في اوربا . وهذا شأن امم الغلب لا يهدأ بالها ما دام لها في باحة التاريخ مناجز . فلم تهدأ رومية حتى سحقت قرطاجنة سحقاً محيقاً ومحت من عالم الوجود رسومها البهية . وبعد ما ادركها الهرم قام عليها عدوَّان البرابرة من الشمال والعرب من الجنوب فاستلب الاولون منها اوربا ومنهم تسلسلت القوات الاوربية الحاضرة والآخرون اسيا وافريقية ومنهم تألفت الدول الاسلامية المعروفة

واذا استقرينا الحروب التاريخية نرى ان الحرب لا تضع اوزارها نهائيًا الاَّ بأحد امرين الاول سحق المدافع والتهامهُ كما حدث لقرطاجنة مع رومية والبوير مع الانكليز . والثاني كسر ذراع المهاجم وصدّهُ عما يروم كما جرى لليونان مع ارتزركسيس والاميركان مع الانكليز والاحباش مع الطليان وكلها من الحوادث المعلومة عند كل من لهُ المام بالتاريخ

واذا رمت الوقوف على حقيقة الاحوال فقف على كثبٍ تجاه البحر الخضم وارقب بعيني فيلسوف امواجهُ المتلاطمة كيف تتعالى وتتوالى وتتلاحم وتتصادم تلك هي رسوم التاريخ البشري — تاريخ السياسة والمدنية — بحر عجاج تتلاطم امواجهُ ولا تسكن الاَّ في شاطىء الابدية

حرب الروس واليابان في منشوريا

اذا ارسلنا النظر الى ساحة الحرب المنشورية انكشفت لنا بنور المقدمات الآتية الذكر حقيقة امرها وكنه سرها . وتبين لنا انها تصادُم طبيعي بين الامتين اعتاد التاريخ مشاهدة نظيره بين الامم . وما حدث للروس واليابان يحدث لكل الامم الناهضة في تصادمها فلا تلامان على ماحدث اكثر مما تلام غيرهما من الامم . وليس من اعمال الحكماء الاعجاب بمن ظفر والتشفي بمن عثر تلك اطوار لها اقوام وانما الحكماء يتخذون من صروف الدهر عبرة والحكيم من اعتبر ويقتبسون من الحادثات مواعظ واللبيب من اتعظ

ولكي تتجلى لنا حقيقة الحرب الناشبة بين الروس واليابان اكمل تجلية يقتضي ان ننظر في حال الدولتين ومحيطهما الجغرافي والسياسي مماً

فدولة الروس ولا ازيد القارىء بها علماً دولة غازية فهي تبغي ضم اهل الخافقين الى تابعيتها وتظليلهم بلواء النسر الطائر . وذلك من اوضاع الامم العظيمة لاتلوي عنانها عن شن الغارات ولو جرَّ الانكال عليها وعلى مجاوريها . وهو دليل الحياة والقوة فيها واشارة الى وسع آمالها

ويعد مراميها . ولا يعد الفشل عاراً عليها ولا تخشى معهُ شراً اذا كانت حية ناهضة . وربما علَّم الفشل ما لا يعلمهُ الفوز كايقاظ الامة من غفلتها وقيادتها الى تعديل آرائها واصلاح نظامها وادراك حقيقة نسبتها الى الامم المعاصرة ادراكاً حقيقياً واكتشاف مواقع الضعف فيها واستنباط الدواء لادوائها . فقد اخطأ من حسب الفشل موتاً فانهُ مرقاة الحياة الشريفة وحياة الحياة الارتقاء غب الفشل . وان مبتغى الروسية هو منتهى سير الفكر البشري سياسياً وادبياً . فالدول تروم الحصول عليهِ بسيوفها والفلاسفة باقلامها . وقد برز هذا الفكر في التاريخ بصور عديدة ومظاهر متنوعة كسعي الاسكندر وشارلمان وفي عصرنا الحديث نراهُ في افكار الروسية واشياعها فقد شرعت من عهد بطرس الاكبر في حركتها العامة فاصابت اعوج خطتها ثم مست بولاندا فقسمتها ثم وقعت بتركيا وكادت تبلغ منها اربًا لولا اوربا الواقفة لها بالمرصاد فعقد دولها المؤتمرات والمحالفات وقيدوا روسيا بالمعاهدات حذرًا من رجحانها في كفة الميزانية الدولية . فأُرغمت على تحويل مجراها ولكن الارغام لا يغير الاميال الداخلية والخلال الفطرية . فتوقفت عن حل المسألة الشرقية ولكنها لم تتوقف عن مبدإِ الفتوح والاكتساح . فحوَّلت نظرها نحو اسيا حيث ليس من يعترض سبيلها فوسعت نطاق فتوحاتها وراء جبال اورال وعلى شطوط الباسيفيك ثم عكفت خط مسيرها جنوبًا فبلغت بورت ارثر كانها تجري حركة التفاف على اسيا . فاقامت في ذلك المرفإِ انصابها ورفعت عليهِ اعلامها وعززتهُ بالمعاقل والحامية والمدافع وذخرت فيهِ الذخائر والمؤن استعدادًا ليوم قراع الكتائب وارسلت اليهِ الفيالق تلو الفيالق والبوارج تلو البوارج فهال الشرق الاقصى ما رأى من مظاهر القوة الروسية وايقن العالم اجمع ان الشرق بات مهددًا بدليل نصوص المعاهدة التي ابرمتها مع الصين وهي تتضمن ثمانية امور

١ ان لا تفتح الموانئ او المدن المنشورية بعد

٢ ان لا يدخل منشوريا قنصل اجنبي

٣ ان لا يستخدم من الاجانب في خدم منشوريا العامة غير الروسيين

٤ ان تبقى الاحوال المنشورية على ماهي عليهِ

٥ ان المكوس التي تؤخذ في مرفإِ نيوشوانغ تعطى البنك الروسي الصيني

٦ ان توكل الادارة الصحية الى الروسيين

٧ ان لروسيا ان تمد اسلاك الانباء من منشوريا الى اي مكان شاءتهُ في الصين

٨ انهُ يحظر نقل شيء من الولايات او القطائع الصينية الى دولة اجنبية

فهبت الدولة الانكليزية ونسيبتها الولايات المتحدة الاميركية لمعارضة الروسية في ذلك

نظرًا لمصالحهما المالية في الشرق الاقصى . وبعد التيا والتي فتحت موافي دالني ونيوشوانغ للتجارة وهي تبدي لها حسن نياتها وشريف مقاصدها في تلك الاصقاع . فرضيتا بما قسم لهما مرقنتين ان دون اخراج الروس من منشوريا خرط القتاد . وكان الانكليز المتحمسون قد اقترحوا على الوزارة ضرب الاسطول الروسي يوم حلّ بورت ارثر سنة ١٨٩٨ فاجابهم اللورد سالسبوري بقوله "هب أنّا دمرنا الاسطول الروسي فليس لدينا جيوش مهيأة للحلول في منشوريا لاخراج الروس منها" . ولذلك اصدرت وزارة البحرية اوامرها لاميرالها باخلاء بورت ارثر للروس . وعللت نفسها باستئجار واي هاي واي من الصين لتظل هناك تراقب حركات الروس حذرًا من يوم قمطرير

والآن نحول النظر الى اليابان لنرى تتمة سبب الحرب المنشورية فنقول

اليابانيون هم الامة الوحيدة الناهضة في الشرق وتاريخها في المدنية الغربية حديث . فقد هبت من غفلتها الشرقية من نحو اربعين سنة ونشطت من عقال الجهل والغباوة وطرحت تقاليدها التي كانت تعيقها عن السير في معارج الفلاح ادبيًا ومدنيًا . واذ تحررت من قيود التقليد سارت في مضمار النجاح سيرًا حثيثًا . فساوت ممالك اوربا واميركا بل فاقت بعضها في العلوم والصنائع والفنون الحربية كما هو واضح لنا بشهادة الحس التي لا يقوى القلم على انكارها فهذه الدولة الفتية دفعها الى مناوأة الروس على ما أرى دافعان الاول عمراني والثاني سياسي

الدافع العمراني . ان بلاد اليابان جزر ضيقة النطاق وقد ربا عدد سكانها حتى قاربوا الخمسين مليونًا عدًّا فضاقت البلاد بهم فبالطبع يعمدون الى المهاجرة . واقرب البلدان اليهم كوريا ومنشوريا . وهذان البلادان قد امتد فيهما النفوذ الروسي كما تقدم . وهذا اول بيان لسبب الحرب

ثم ان اليابانيين رقوا صناعيًا وضارعوا ممالك الغرب في المعامل والمصنوعات فصاروا في احتياج الى اسواق لتصدير بضائعهم اليها . ومعلوم ان تلك الاسواق لا يمكن ان تكون في لندن ولا في باريس ولا في نيويورك . فاوجب الحال ان تكون موافي منشوريا حرة وابواب الصين مفتوحة في وجهها لتكون الصين ميدانًا تسعى فيه الامة اليابانية لنيل امانيها وتحقيق رغائبها . واذا عارضها معارض كانت في خطر دفع القوة بالقوة وهذا بيان ثانٍ لسبب الحرب

الدافع السياسي . كانت اليابان قد حاربت الصين سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٥ بسبب كوريا وغلبتها . واحتلت بعض منشوريا وشبه جزيرة لياوتنغ وعلى الخصوص "بورت آرثر" جبل طارق الشرق ولكن الروسية التي لم يرق لها ذلك والت فرنسا والمانيا على اخراج اليابان

من منشوريا و بورت آرثر . فارسلت هذه الدول الثلاث لائحة اليابان تبين لها فيها ان احتلال دولة " غير الصين " في بورت آرثر لا يوافق مصلحة السلم في الشرق الاقصى ولذلك طلبت الدول الثلاث في لائحتها من اليابان ان تخلي منشوريا وبورت آرثر للصين . وقد ارسلت مع اللائحة اساطيلها الى تلك النواحي . واليابان ممن يفهم ما وراء تلك اللائحة اللطيفة كما انها ليست ممن يجهل من هو صاحب الغرض الاول في ذلك . على انها ايقنت انها اذا لم تخرج مختارة تخرج مضطرة . فاذعنت لرأي الدول الثلاث واخلت منشوريا وبورت آرثر وفي الصدر حزازات . وكان ذلك غير كافٍ لاضرام جذوة البغضاء في صدور اليابان حتى احتلت الدولة الروسية منشوريا وبورت آرثر وخفقت على تلك المعالم اعلامها . وليس ذلك فقط بل مدت يدها الى يالو وشمولبو لاجتياح كوريا وقد شادت مستودعات للذخائر في ينغامبو من اعمال كوريا ولم يبق بينها وبين اليابان الا فرجة ضيقة .

فرأت اليابان ان حياتها الشعبية والدولية اضحت مهددة وان رسوخ قدم الروس في منشوريا يهدد كيانها ويقوض دعائم عمرانها . فبيت وهي ترى ان قد بلغ السيل الزبى لتلافي شؤونها وخدمة مصلحتها . فحشدت جيوشها ومرَّنتهم على استعمال السلاح والحركات الحربية واعدتهم ليوم لا ترى لها مندحة عن خوض غمراته . كل ذلك اتقته تحت طي الكتمان . ولكي تكون هذه المرة في مأمن من تعاضد دول اوربا عليها كما حدث لها سنة ١٨٩٥ عقدت محالفة مع دولة الانكليز توجب على هذه عضدها اذا علقت في حرب مع اكثر من دولة واحدة . والخلاصة ان جيوش اليابان كانت مهيأة لاحتلال منشوريا قبلما فاجأت الاسطول الروسي في بورت آرثر وفي شمولبو . وبعبارة اخرى تسنى لليابان ما اعوز الانكليز في مناوأة الروس

فترى مما تقدم ان حرب منشوريا ليست حرباً صبيانية رائدها الوهم وقائدها الخيال كما صورتها بعض الاقلام بل هي عمل قانوني منطبق على نواميس الاجتماع كل الانطباق . واري ان الصفة الفلسفية ظاهرة فيها كل الظهور فهي موقف التعقل لا التحيز وموقف الاعتبار لا الذم والتقريع

انَّا لناسف على ما جرَّت الحرب من الانكال على الجانبين ولاسيما الروسية . ولكن غرضنا هنا علمي فلسفي

لا ريب في ان دولة اليابان اسرعت في اخذ الحيطة شأن الضعيف في مناجزة القوي والروس ابطأوا قليلاً وفاتهم ما فاتهم شأن القوي في نضال الضعيف . ولكن على كل حال ان هذه الحرب مما لا مندحة عنه للفريقين ما دامت كل دولة منهما سائرة الى الامام . والتنازع

ليس على كوريا ومنشوريا بل على اطراد كل خطة التقدم سياسيًّا واقتصاديًّا . وذلك غير خاضع لافكار الساسة الدهاة بل هم له خاضعون وباحكامه عاملون . لان افكار الساسة تجري مع الحال ولا يجري هو معها وحسبك في ذلك شاهدًا فشل هنبال ونابليون وكارلس الثاني عشر وغيرهم . اما التحامل على اليابان والانكليز ولذعهم بقوارص الكلام فليس من شأننا الخوض فيه فنتركه لرجاله . بقي علينا تفنيد رايين

اولهما ان هذه الحرب دينية . ويزعم اصحابها ان القيصر زعيم المسيحية والميكادو نصير الوثنية وان الروس جيش عمانوئيل واليابان جوج وماجوج . ولما بلغ اليابان ذلك النبأ هبوا لدحضه بالادلة الراهنة فعقدوا مؤتمرًا لتلك الغاية في مدينة طوكيو عاصمتهم حضره كثيرون من رؤساء المذاهب وقادة الافكار واستمرَّت جلساته من ١٥ الى ٢٢ مايو الماضي على ما اظن فاه فيه الخطباء من بوذيين وشنتيين ومسيحيين بنفي القول بان للحرب صفة دينية . ومن ادلتهم على ذلك انهم لم يقاوموا المسيحية في بلادهم لا قبل الحرب ولا بعد نشوبها . وان الحرية الدينية في بلادهم اوسع منها في روسيا . وان الدين لم يدخل تحت البحث بينهم وبين الروس وان للمتنصرين عندهم تمام المساواة بغيرهم من اليابانيين بدليل دخولهم في كل دوائر الحكومة ملكية وعسكرية فان رئيس مجلس العموم عندهم مسيحي و ١٣ من اعضاء المجلس مسيحيون . والقائد يوريو الذي ضرب الفارياق والكوريتز في شمولبو مسيحي ايضًا فضلاً عن ١٥٢ من الضباط والقواد . وان اليابان اشتركت مع الدول المسيحية في كبح جماح البوكسر سنة ١٩٠٠ لتصديهم للنصرانية ولو كان لليابان رضى بذلك لما شهرت الحسام ضدهم

وقد اجمع نواب اليابان في المؤتمر المذكور بناء على تصريح الحكومة على اصدار قرار يعلنون فيه ان غرض الحرب الدفع عن كيان اليابان والحرص على دوام السلم في الشرق الاقصى وانهُ منذ ابتداء الحرب اصدر الميكادو ثلاثة اوامر في صون المسيحية في بلادهم ولم يسمع قط حادث واحد اعتدائي من هذا القبيل . وانهُ لو كان للحرب صبغة دينيَّة لما اشترك فيها الارثوذكس من اليابان ضد اخوتهم الروس . هذه ادلة اليابان على ان الحرب ليست دينية وللعاقل الخيار في قبولها او رفضها . ومما قالهُ موراكامي الخطيب البوذي الياباني العصري "ان الديانة لا تحمل حربًا على الاطلاق واذا اثارت الحرب لم تبقَ ديانة لان كل ديانة تستحق ان تدعى ديانة وجدت في العالم لاجل السلام ولكن الامم تثير الحروب (لا الديانات) وحين تشوب الحرب فعلى الديانات ان توجه نظرها الى السلام الراسخ الذي ينشأ عنها"

والصحيح ان عصر الحروب الدينية قد ختم بختم معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ . واليوم

المال والتجارة محور الحرب لا الدين . وارى مع موراكامي ان الدين ينافي الحرب لان خلاصة الدين ولبابهُ المحبة " "والمحبة لا تصنع شرًّا بالقريب" . والى هذا استند الفيلسوف الروسي في طعنهِ بالقيصر وانكارهِ على امتهِ الدخول في الحرب لمنافاتها مبادئ المسيحية وروح رب المسيحية

الثاني رأي الخطر الاصفر . وخلاصتهُ ان الجنس الاصفر المغولي قد دبَّ بقيادة اليابان لمناهضة الجنس الابيض وان ذلك يتهدَّد السلم العام . قيل ان اول من غنَّى هذا النغم الجديد امبراطور المانيا واقتفاه كثير من الصحف الروسية والفرنسيَّة وقلدهم اخواننا الصحافيون في العربية . وقد هزأ بهذا الرأي وفنَّده كثيرون من اكابر الانكليز . ومن الغريب ان يفتر اليابان بمناجزة الجنس الابيض وهم لولا بعض اهليهِ لتعذر عليهم التخلص من حبائل البعض الآخر . فكيف يهبون لمناوأة الجنس الابيض واكثر من تسعة اعشار البحرية بيدهم ومدار الغلب على البحرية . قال اوخي سيرون الفيلسوف الياباني في دفع هذا الوهم " انهُ يستحيل اعتبار هذه الحرب ضد البيض من قبل الصفر . وان الخطر المغولي القديم لم يضر اوربا على الخصوص بل اسيا . وان الصفر الذين اتوا ذلك هم الآن قسم من مملكة الروس لا اليابان (يعني التتر) وعليهِ يكون الخطر الحقيقي الآن من روسيا لا من اليابان . وان الروس مع انهم بيض الوجوه هم صفر القلوب وبعكس ذلك اليابان وانا لنرغب ان يعرف الجميع اننا اخوان الحريَّة في كل العالم " . هذا دفع اليابان في مؤتمرهم الذي اشرت اليهِ

والخطر الاصفر على الراجح حديث خرافة . ولا اريد بذلك انهُ ليس من خطر اصفر ذلك لا يعنيني ولكني لا ارى ان الخطر الاصفر اساس هذه الحرب

وفي الختام اقول لو لم تكن الحرب من الحوادث الطبيعية لتعذَّر بقاؤها في العالم الى اليوم مع ما يفيض عليها انصار السلم من جداول المقالات . وان حرب الروس واليابان ليست الاَّ تصادماً طبيعيًّا بين الامتين في مجراها المدني . ولا نرى من الصواب التحيز لاحداهما بل نسألهُ تعالى اخماد اوارها ووضع اوزارها حقناً للدماء ورفقاً بالاولاد والنساء

حنا خباز

تنصيب رئيس الولايات المتحدة

لقد نوَّه المقتطف في صدر الجزء الثاني عشر من السنة الماضية بانتخاب المستر ثيودور روزفلت رئيساً على الولايات المتحدة . ومع ان الانتخاب يقع في الثامن من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) فالتنصيب لا يكون الأ في الرابع من شهر اذار (مارس) . ذلك لان الذين وضعوا هذا النظام لم يخطر في بالهم انهُ سوف يجيءُ الزمان الذي فيهِ تخرق سكك الحديد البلاد طولاً وعرضاً فتقرب المسافات وتسهل السفر فلا يعود النواب يحتاجون الى مدة هذا طولها لينتقلوا من الولايات المختلفة الى العاصمة استعداداً لحفلة التنصيب

ولقد كنت ممن اتيح لهم ان يشهدوا هذه الحفلة فرأَيت ان اوافي قراء المقتطف بشيءٍ مما رايتهُ وسمعتهُ وقرأْتهُ فلعل في ذلك تفكهة وفائدة

ركبت الاكسبرس من نيويورك بعد ظهر الجمعة في ٣ اذار (مارس) حاسباً اني اصل واشنطون العاصمة بست ساعات حسب لائحة اوقات القطارات فلم اصلها الأ بعشر ساعات نظراً لكثرة توارد القطارات اليها من كل انحاء البلاد حتى ان منازل المدينة ضاقت عن استيعاب الزوار فاضطر كثيرون ان يقصدوا بلتيمور ويكتروا منازل فيها وهي على بعد ساعة في القطار من واشنطون

ووافى نهار السبت بشمس منيرة وجو صاف على غير المعتاد في واشنطون فبشر مئات الالوف بحلول يوم بهيج الطقس ابلغ ما قالتهُ الجرائد عنهُ انهُ طقس " روزفلت " . وما ازفت الساعة العاشرة صباحاً حتى كانت الجموع قد اصطفت على جانبي شارع بنسلفانيا وغصت المواقف الخشبية وشرفات البيوت والشبابيك ولم يبق محل يطل على ساحة الاستعراض الأ واستخدمهُ الناس وكثيرون دفعوا اجرة فاحشة ليضمنوا موقفاً يتفرجون منهُ

وعند الساعة العاشرة خرج الرئيس بحاشيتهِ من البيت الابيض قاصداً الكبيتُل (سراي الحكومة) فسارت عربتهُ رهواً والجماهير ترفع اصوات التهليل وتستقبلهُ حيث سار بصياح الفرح وتلويح البيارق والبرانيط وما زال كذلك الى ان بلغ الكبيتُل فدخل الى مكتبهِ في مجلس الشيوخ حيث صادق على بعض اعمال الجلسة الاخيرة ثم انتقل الى قاعة كبيرة اجتمع فيها اعضاء المجلسين مجلس النواب ومجلس الشيوخ ورؤساء الحربية والبحرية وسفراء الدول ومعتمدو الاجانب وغيرهم من الوجوه والاعيان ليشهدوا تنصيب نائب الرئيس المستر فاربنكس وبعد ما اقسم هذا يمين النيابة وفاه بخطاب وجيز تلاهُ كلٌّ من النواب المستجدين وحلف يمين

الوظيفة ثم خرجت هذه الجماعة الى مراكزها المعينة على موقف خشبي شرقي الكبيتل ولما تم انتظامها ظهر المستر روزفلت من باب الكبيتل ومشى الى منصة التحليف وفي لحظة ساد السكوت وشخصت الابصار وادرك الجموع ان الرئيس سيقسم يمين الرئاسة لانهم رأوا الكتاب المقدس ورئيس العدلية المستر فلر واقفاً امام الرئيس ليحلفهُ اليمين المعتادة . عندئذ رفع المستر روزفلت يدهُ اليمنى نحو السماء واضعاً اليسرى على الكتاب المقدس واقسم انهُ يحافظ على شرائع البلاد ونظاماتها خاتماً بقولهِ هكذا انوي فاعني يارب . وعلى اثر ذلك القى خطبة هذا تعريبها بقليل من التصرف :

اخوتي سكان البلاد

لا امة على هذه الارض من حقها ان تكون شكورة اكثر منا – اقول هذا بمزيد التواضع لا بروح الافتخار بقوتنا بل بروح الشكر لمانح الجود الذي انعم علينا باحوال قدرتنا ان نجري شوطاً هذا بعدهُ في ميدان الفلاح والسعادة . نحن الذين قد أُعطينا ان نضع اساسات حياتنا الشعبية في قارة جديدة – نحن الذين قد ورثنا العصور الغابرة ولم نتحمل من التبعات التي جرتها المدنيات السالفة على اهل تلك العصور . على ان النجاح الذي خبرناهُ في الماضي والترقي الذي يطويهِ لنا المستقبل لا ينبغي ان يولدا فينا الميل الى التباهي الباطل بل ينبغي ان يشعرانا بالنعم التي اوتيناها وبالمسأولية التي نتحملها حتى نُظهر للملا اجمع ان الشعب النشيط في ظلال الحكومة الحرة يزيد ترقياً في الماديات والادبيات

كثيراً قد أُعطينا وبكثير نطالَب وعلينا واجبات للآخرين وواجبات لنفوسنا ولا نستطيع ان نتملَّص من اي منها . ولقد اصبحنا امة عظيمة وصار لنا علاقات مع بقية الامم فينبغي اذ ذاك ان نسلك كما يحق لامة لها هذه العلاقات . وسلوكنا يجب ان يكون في خطة التودد والاخلاص نحو اية امة كانت ضعيفة او قوية — لا بالكلام فقط بل بالاعمال لنظهر اننا راغبون في المحافظة على رضى الشعوب بسلوكنا معهم بروح العدالة والاعتراف بحقوقهم . وعدالة الامة كعدالة الشخص تظهر قيمتها اذا صدرت عن قوة لا عن ضعف . ونحن مع شدة تمنعنا عن اضرار الآخرين ينبغي ان نمنع ما يضرنا ايضاً — نرغب في السلم فليكن سلم العدالة والاستقامة لان ذلك حق لا لاننا خائفون اذ ما من امة ضعيفة تخافنا اذا كانت سالكة في الحق وما من امة قوية تستطيع ان تجعلنا موضوعاً لتطاولها

علاقاتنا مع دول الارض هامة ولكن علاقاتنا بعضنا مع بعض اهم منها . وازدياد بلادنا في الثروة والسكان والقوة بصحبهُ ازدياد في المشاكل التي تعترض في سبيل كل امة تسير الى

العظمة . ومشاكلنا هذه غير مشاكل اسلافنا — اولئك قاوموا مخاطر قد فاتتنا واما نحن نقاوم مخاطر ما خطرت على بالهم قط — مخاطر ولدتها الحياة الحديثة على مهد المناظرة في الحركة التجارية التي نشعر بها في كل جزء من كياننا الاجتماعي والسياسي فاي تجربة لدينا لانهُ ما من قوم قبلنا حاولوا ان يسوسوا شؤُون قارة تحت نظامات جمهورية شعبية .وعلى نجاح تجربتنا هذه تتعلق مصالح كثيرة منها وللعالم فان سقطنا فشأن الحكومة الحرة في العالم اجمع يتداعى من اساساته فما اعظم مسؤُوليتنا لدى الحاضر والآتي

على انهُ ما من سبب يجعلنا نخاف المستقبل فنحن لا نخفي عن ذواتنا خطارة مشاكله ولا نخشى ان ندنو منها بالعزم الثابت لنحلها حلاً مرضياً · والهمة التي قوَّت اسلافنا على انشاء هذه الجمهورية هي الهمة التي تقوينا على مقابلة هذه المشاكل وحلها

نعلم ان حكم الذات صعب وان لا امة تحتاج الى الصفات العليا اكثر من الامة التي تحكم ذاتها · على اننا واثقون ان لا نوجد مقصرين لدى اسلافنا — اولئك تمموا عملهم واورثونا المجد الذي نتمتع بهِ اليوم فعلينا نحن ان لا نضيع من هذا الارث بل نزيد عليهِ ونورثهُ لاولادنا ولاولاد اولادنا . ولكي نفعل ذلك ينبغي ان نعتمد على الفطنة والشجاعة والجد والثبات لا في الملمات العظيمة فقط بل في اعمالنا العادية ايضاً من يوم الى يوم وفوق ذلك كلهِ ينبغي ان نتمسك بالمبدإِ السامي الذي سبب عظمة الذين انشأوا هذه الجمهورية في ايام جورج وشنطون وعظمة الذين حموها في ايام ابرهيم لنكلن · اه

وبعد انتهاء خطبة الرئيس عزفت الموسيقى ثم اخذ موكب الاستعراض يسير نحو البيت الابيض يتقدمهُ الرئيس وحاشيتهُ وتتلوهما فرق الجنود بين مشاة وفرسان ومدفعية وكل فرقة تتقدمها موسيقاها والراية التي تدل على اسمها واسم الولاية التي تنوب عنها . وكان الرئيس في كل مسيرهِ لا تقع عينهُ الاعلى وجوه متهللة وايدٍ ملوّحة وبيارق خافقة فكان ينهض مرة بعد اخرى رافعاً برنيطتهُ محيياً على الجانبين

ولما بلغ المنصة المعدَّة لهُ قبالة البيت الابيض رقي اليها مع حاشيتهِ ووقف يشاهد الاستعراض مدة ثلاث ساعات مرَّ امامهُ في اثنائها حوالا الاربعين الفاً ما بين المشاة والفرسان وحكام الولايات وحواشيهم رؤَساء الجمعيات الجمهورية وغيرها في البلاد ولم يسبق لهذا الاستعراض مثيل في تاريخ الولايات المتحدة وتنصيب رؤَسائها

ولحسن الحظ كان موقفي مدة الاستعراض مقابل الكبيتل على منعطف الشارع فكانت عيني تقع على خط ليس بقصير من المتفرجين والمستعرضين وما شهدتهُ من مظاهر الحماسة في

الوطنية الاميركية اثر فيَّ تأثيراً لم اعرفهُ من قبل واهاج فيَّ عاطفة الحنين الى ما يعزز وطنيتنا ويجعلنا نباهي بها ولو كنا تحت سماء اميركا مهبط الحرية والمساواة. فقلت في نفسي لو كان لنا وطنية تغار علينا ونغار عليها لكنا بالف خير وما كان هذا الاميركي او ذاك الانكليزي يشمخ علينا وينظر الينا كاننا من غير جبلته . ثم ذكرني الاستعراض بفخامة سلطنتنا العثمانية وبضخامة ابهتها ولا سيما في حفلة السلاملك ولكن ما اعظم الفرق بين المظهرين — هنا يظهر الرئيس بين دواعي البشر وعلائم البهجة ومظاهر الوطنية وخفق البنود وعزف الموسيقى وتهليل الناس وتصفيقهم وتلويح الرايات والمناديل والبرانيط واما هنالك فيظهر ولي الامر ودلائل الخوف والمهابة ودواعي المسكنة والصغار سائدة على الناس فما اعظم الفرق بين الغرب والشرق

وفي المساء جرت العاب نارية باهرة ثم أُقيمت حفلة رقص للرئيس وضيوفهِ وهكذا انقضى يوم السبت وتم فيهِ تنصيب المستر روزفلت رئيساً على تسعين مليوناً من البشر. هذا الذي قال في احدى خطبهِ "انا نعطي لكل ذي حق حقهُ لا ناقصاً ولا زائداً" فذهب قولهُ عند كتّاب الجرائد مذهب المثل حتى انهم كما ارادوا التنويه بعدالة الرئيس اردفوا اسمهُ بهذه الجملة تيمناً واستحساناً — هذا الذي كان من فرقة الفرسان الخشنين (رف ريدرس) في الحرب الاخيرة بين اسبانيا واميركا قد اصبح بفضل المبادىء التي شبَّ عليها والحكومة التي نشأ في ظلالها رجل اميركا واوحدها واعظم رئيس في العالم قاطبة . وماذا عساي ان اذكر عنهُ وقد سبق المقتطف الاغر فاثبت ملخص حياتهِ واعمالهِ

بقي ان اذكر كلمة عما شاهدتهُ في واشنطون في يومي الاحد والاثنين فقد زرت المكتبة العظيمة (مكتبة الكنجرس) وهي بسعة مساحتها وبديع هندستها ودقة رسومها ونقوشها وتماثيلها وكثرة كتبها من اعظم مكاتب العالم فان المبلغ الذي أُنفق عليها ٦,٠٣٢,١٢٤ ريالاً اميركياً من غير ثمن الارض وعدد كتبها فوق المليون . ثم صعدت في مسلة واشنطون (وشنطون منيمنت) وهي عمود مربع الشكل مبني من الرخام الابيض مساحة قاعدتهِ ٥٥ قدماً مربعاً وعلوهُ ٥٥٥ قدماً يُصعد فيهِ على سلالم عريضة او برافعة تحمل ثلاثين شخصاً وتستلزم نصف ساعة بين طلوعها ونزولها وهو اعلى بناء حجري في العالم ولا يعلو عليهِ الاَّ برج ايفل الحديدي اذ علوهُ ٩٨٤ قدماً. ثم زرت بنايات الخزينة ورأيت كيف يطبعون ريالات الورق ويضبطون عددها ورزمها وكيف يعدمون الاوراق البالية بمعدل نصف مليون ريال يومياً ولم ينزل بنا الدليل الى الاقبية تحت الارض حيث تخزن اكياس الذهب والفضة والنقود

المصكوكة احترازاً من كثرة الحشد لكنهُ وزع علينا لوائح قرأنا فيها بيان الاموال المخزونة من ريالات الذهب والفضة العين واوراق البنوك والضمانات والمعاملات وما جرى مجراها فكانت قيمة كل ذلك ١١٧٦٤١٤٦٥٣ ريالاً (اكثر من ٢٣٥ جنيهاً مصريا) وثقل النقود وحدها خمسة الآف طن فليعجب العاجبون

وبعد ظهر الاثنين تركت وشنطون وفي نفسي اشياء منها ومن اميركا وعظمتها وعدت الى نيويورك مقر الحركة الدائمة فتمنيت لو اكون في بلد اهدأ وهواء انقى استسلاماً للعاطفة القائلة

فنفسي حيثما امضي اراها بسوريا العزيزة مستهامه

بولس الخولي

نجاح مصر ومستقبلها

لم نقابل احداً من الذين زاروا هذا القطر في السنتين الاخيرتين الاَّ رأيناهُ معجباً بالتقدُّم السريع الذي تقدَّمهُ والنجاح الباهر الذي نجحهُ . وقد اتفقت الالسنة والاقلام على ذلك لان دلائل التقدُّم بادية كالصبح لذي عينين . لكنَّ الباحث في احوال الامم لا يغترُّ بالظواهر ولا يروقهُ نجاح مهما كان عظيماً ما لم يرهُ مبنياً على اسس ثابتة فهل نجاح القطر المصري ثابت الاركان او هو طلاء ظاهر كالنجاح الذي ظهر فيهِ في عهد اسمعيل باشا حين انهال النضار عليهِ انهيال السيل وكان المرء يصبح فقيراً فيمسي غنياً . اي هل موارد الثروة الظاهرة تأصَّلت فيهِ وصارت راسخة لا يخشى زوالها باقل عاصف اوهي وقتية مفتعلة تزول متى زال سببها . وهذه مسألة تستحقُّ النظر والبحث وعليها مدار كلامنا الآن

الرجل اما ان ينفق في سنتهِ كلَّ ما يكتسبهُ ولا يزيد عليهِ ولا ينقص منهُ شيئاً يذكر . واما ان ينفق جانباً مما يكتسبهُ ويبقي جانباً منهُ . واما ان ينفق اكثر مما يكتسبهُ . فالاول يبقى على حال واحدة لكنهُ يكون معرَّضاً للخسارة لان نفقاتهِ تبقى على حالها غالباً او تزيد واما دخلهُ فعرضة للنقص بالمرض وتوقف الاعمال وما اشبه من الطوارىء . والثاني يغتني بما يزيد من دخلهِ على نفقاتهِ . والثالث يفتقر بما يزيد من نفقاتهِ على دخلهِ والحكم ليس على سنة واحدة بل على بضع سنوات

وما يقال عن الرجل الواحد يقال عن البلاد كلها فاذا كانت تنفق كلَّ دخلها ولا تزيد عليهِ فهي ثابتة على حال واحدة او معرَّضة للفقر بما قد يصيبها من نوائب الدهر . واذا كانت

تنفق اقلّ من دخلها فهي سائرة في سبيل التقدُّم والغنى . واذا كانت تنفق اكثر من دخلها فهي سائرة في سبيل التأخر والفقر

وكما يعلم دخل الرجل ونفقاته من دفاتره وحسابه السنوي يعلم دخل الامة او البلاد من صادراتها ووارداتها اذا كان لها حساب مدقق

وقد يعرض للرجل والامة ما يوهم غير الواقع فيستدين الرجل مالاً يضيفهُ الى دخله فيزيد به الدخل على النفقات ويوهم غيره انهُ سائر في سبيل الغنى والمجد وهو ليس كذلك . وقد ينفق جانباً كبيرًا من دخله على اشياء تزيد قيمتها اكثر مما ينفق عليها كما اذا انفق على مشترى اطيان واصلاحها الف جنيه فصارت تساوي الفين فلا يكون سائرًا في سبيل الفقر بل في سبيل الغنى . وهذا شأن البلاد فانها قد تظهر في يسر وهي في عسر كما ظهر القطر المصري في عهد اسمعيل باشا لما استدان الاموال الطائلة من اوربا وبذَّر جانباً كبيرًا منها في البلاد. وقد تظهر في شدة وهي في رخاء كما اذا انفقت اموالها وفوق اموالها على اعمال نافعة يزيد دخلها منها

اذا تمهَّد ذلك ننظر في دفاتر هذا القطر لنرى حقيقة حاله هل هو ثابت على حالة واحدة او سائر في سبيل الغنى والتقدم او في سبيل الفقر والتأخر. والدفاتر المشار اليها تقارير الجمارك المصرية التي تذكر فيها قيمة الصادرات والواردات فانها تدلُّ على الاموال التي يأخذها هذا القطر من البلدان الاخرى ثمن البضائع التي تشتريها منهُ والاموال التي يرسلها اليها ثمن البضائع التي يشتريها منها . ولا عبرة بما تنتجهُ البلاد وينفق فيها لانهُ من الموالك ولا عبرة ايضاً بالنقود التي تصدر من القطر لانها لا تكون الأ من ثمن البضائع الواردة اليهِ او من ربا ديون الحكومة فان اهالي هذا القطر لا يستثمرون اموالهم في البلدان الاخرى الأ نادرًا . ولا عبرة ايضاً بالنقود التي ترد اليهِ لانها اما من ثمن البضائع الصادرة منهُ او من الاموال الواردة الى البنوك لتستثمر في البلاد بالدين او بمشترى الاطيان فلا يبقى الأ قيمة البضاعة الصادرة من القطر وقيمة البضاعة الواردة اليهِ وعليهما وحدهما المعوَّل في حساب الدخل والخرج

فاذا كان تقدير الجمارك صحيحاً والمرجح انهُ قريب من الصحة قربًا يصح ان يبنى عليهِ حكم فقيمة الصادرات كلها كانت في العام الماضي نحو ٢١ مليوناً من الجنيهات وقيمة الواردات كلها كانت نحو عشرين مليوناً ونصف مليون والفرق اقل من نصف مليون من الجنيهات زاد بهِ الصادر على الوارد . هذا ما كانت عليهِ تجارة مصر الخارجية في العام الماضي فاذا كان القطر قد اصدر في العام الماضي من حاصلاتهِ ومصنوعاتهِ ما قيمتهُ ٢١ مليوناً من الجنيهات فقط واشترى من البضائع ما قيمتهُ ٢٠ مليوناً ونصف مليون فلم يزد معهُ سوى نصف مليون جنيه ولا يخفى ان

حكومتهُ مضطرَّة ان تدفع ربا دينها نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه عدا ما يضطر الاهالي ان يدفعوهُ للبنوك ربا ديونهم ولا تقل هذه الديون الآن عن ٣٠ مليونًا من الجنيهات يذهب رباها الى اوربا ولعلهُ لا يقل عن مليون ونصف فيكون القطر المصري قد دفع في العام الماضي ما يأتي بملايين الجنيهات

٢٠½	ثمن البضائع التي وردت اليهِ من كل الانواع
و ٣½	ربا دين الحكومة
و ١½	ربا ديون الاهالي
والجملة ٢٥½	مليون من الجنيهات.

واسترد بدلاً منها نحو ٢١ مليونًا ثمن الحاصلات والمصنوعات التي صدرت منهُ فانكسر عليهِ اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات دفعها من اموال كانت متوفرة لديهِ او استدانها من اوربا او بقيت دينًا عليهِ. ولا مفرَّ من هذه النتيجة الا اذا فرضنا ان بعض البضائع التي وردت الى هذا القطر في العام الماضي كان من قبيل ما لا يرد الا مرة كل بضعة اعوام وان الحاصلات والمصنوعات التي صدرت منهُ قدرت اثمانها باقل مما يعت بهِ حقيقة ولم يصدر منها في السنة الماضية كل ما كان يجب ان يصدر

اما الامر الاول فما ينطبق عليهِ قليل لا تبلغ الزيادة فيهِ مليونًا من الجنيهات وهو المواشي فقد زاد ثمن ماورد منها في العام الماضي نحو ٣٠٠ الف جنيه بسبب موت مواشي القطر. والسكر زاد ماجلب منهُ نحو ١٥٠ الف جنيه لكي يكرَّر في القطر والآلات الحديدية لسكة الحديد والري والزراعة زادت نحو ٢٤٠ الف جنيه. ولكن الزيادة الكبرى كانت في اثمان المغزولات والمنسوجات من كل الانواع التي دعا اليها غلاء ثمن القطن فقد بلغت مليونًا و٣٠٠ الف جنيه وهذه الزيادة لا بدَّ منها لانها لو زالت للزم عن ذلك رخص ثمن القطن فتنقص قيمة الصادر اكثر مما تنقص قيمة الوارد فلا يمكننا ان نحذف من قيمة الوارد الا نحو نصف مليون جنيه

اما الامر الثاني وهو تقدير الصادر باقل من ثمنهِ فمحتمل جدًّا واذا فرضنا النقص عشرة في المئة اي نحو مليوني جنيه فكل ما يمكن ان يزاد على ثمن الصادر مليونا جنيه وكل ما يمكن ان يطرح من ثمن الوارد نصف مليون جنيه فيصير الصادر ٢٣ مليونًا والوارد ٢٠ مليونًا ويصير الفرق بينهما ٣ ملايين جنيه اي اقل مما يلزم لايفاء فائدة دين الحكومة ودين الاهالي بنحو مليوني جنيه

ومن المؤكد ان الناس استرخصوا ثمن القطن في اواخر العام الماضي فلم يبيعوا منهُ كما باعوا في الاعوام السابقة ولو باعوا نصف مليون قنطار فوق ما باعوهُ لزاد الصادر مليونًا ونصف

مليون من الجنيهات على الاقل فلا يبقى مكسورًا على البلاد غير نصف مليون جنيه

ويظهر لنا ان هذه النتيجة قريبة جدًا من الواقع واذا كان الامر كذلك اي اذا كانت سنة ١٩٠٤ التي ابتدأت وثمن قنطار القطن فيها اكثر من اربع مئة غرش وانتهت وثمن القنطار ثلثمئة غرش قد بان من حساب دخلها وخرجها ان الخرج زاد على الدخل نصف مليون جنيه فكيف يكون حال سنتنا الحاضرة وقد ابتدأت وثمن قنطار القطن ثلثمئة غرش فقط وربما تنتهي وثمنهُ اقل من ذلك او كيف يكون حال القطر لو هبط ثمن القنطار الى مئتين وخمسين غرشًا كما يحتمل ان يحدث

وقد خصصنا الكلام بالقطن ولم نلتفت الى غيرهِ لانهُ تسعة اعشار صادرات القطر كلها كما ترى من الجدول التالي

سنة	القطن بالقنطار	ثمنهُ بالجنيهات	كمية البزرة بالاردب	ثمنها بالجنيهات	ثمن القطن والبزرة معًا	ثمن الصادرات كلها
١٩٠١	٦١٢٣٣٥٠	١١٨٣٣٢٧١	٣٣٢٥٥٤٧	١٩٤٠٢٤٠	١٣٧٧٤٥١١	١٦١٥٣٩٦٤
١٩٠٢	٦٦٥٢٠٥٧	١٣٨٨٦٤٢٢	٣٢٢٠٧٤٨	١٩٠٩٤٠٩	١٥٧٩٥٨٣١	١٨٠٤٦٩٣٩
١٩٠٣	٥٥٨٨٥٠٧	١٥٦٧٦٨١٤	٢٧٤٧٥٨١	١٥٠١٤١٦	١٧١٧٨٢٣٠	١٩٥٣٩٥٢٩
١٩٠٤	٥٩١٢٩٥٣	١٦٧٠٢٧٢٢	٢٩٢٦٥٨١	١٥٢٠١٤٥	١٨٢٢٢٨٦٧	٢٠٨١١٠٤٠

وثمن القطن معرَّض لان يزيد او ينقص عشرين في المئة فتبلغ زيادتهُ او نقصانهُ اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات فان كان الثمن الذي بلغهُ في العام الماضي دعا الى الاهتمام بزرع القطن في كل بلاد يمكن زرعهُ فيها لغلائهِ فيبعد عن الظن ان يبقى غلاؤهُ زمانًا طويلًا . والواقع يؤيد ذلك فان ثمن القنطار هبط الى ثلاثة جنيهات او اقل وعليهِ فلا ينتظر ان تكون سنة ١٩٠٥ افضل من سنة ١٩٠٤ . واذا نقص ما يقبضهُ القطر المصري مليون جنيه عما يدفعهُ وتوالت السنون على ذلك فهو سائر في طريق الخراب لا محالة . فهل من علاج لذلك . وقبل النظر في هذا الامر نرى ما كان عليهِ حال القطر في السنوات السابقة

ففي سنة ١٩٠٣ كانت قيمة الصادرات	١٩٥٣٩٥٢٩
واذا اضفنا اليها ١٠ في المئة كما تقدم	٠١٩٥٣٩٥٣
صارت	٢١٤٩٣٤٨١
وكانت قيمة الواردات	١٦٧٥٣١٩٠
	٠٤٧٤٠٢٩١

فالباقي وهو اربعة ملايين و ٧٤٠ الف جنيه يكفي لايفاء ربا دين الحكومة ودين الاهالي لاوربا

وفي سنة ١٩٠٢ كانت قيمة الصادرات	١٨ ٠٤٦ ٩٣٩
ويضاف اليها ١٠ في المئة اي	٠١ ٨٠٤ ٦٩٣
فتصير	١٩ ٨٥١ ٦٣٢
وقيمة الواردات	١٤ ٨١٤ ٦٨٤
	٠٥ ٠٣٦ ٩٤٨

فالفرق اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات وهي تزيد على ربا دين الحكومة ودين الاهالي لاوربا

وعليهِ فقد كانت سنتا ١٩٠٣ و ١٩٠٢ سنتي خير زاد فيهما دخل البلاد على نفقاتها واما سنة ١٩٠٤ فنقص فيها دخل البلاد عن نفقاتها لا لقلة الدخل بل لزيادة النفقات لان الدخل اي ثمن الصادرات بلغ فيها مبلغاً لم يبلغهُ في سنة من السنين السابقة واما النفقات فزادت اكثر مما زاد الدخل كثيراً فظهر كأن الدخل قلَّ عن النفقات

واذا قلَّ دخل الانسان او زادت نفقاتهُ وخاف من الافلاس فلا دواء لهُ انجع من ان يسعى في زيادة دخلهِ وتقليل نفقاتهِ وهذا شأن البلاد ايضاً اذا ارادت ان تفلح . ويظهر لنا ان الامرين ميسوران لها فننظر في كل امر منهما على حدتهِ

(١) زيادة الدخل — سألنا البعض عما اذا كان يمكن ان يزرع شيء آخر في القطر المصري بدل القطن او بدل جانب منهُ . ويظهر لنا من النظر في جدول الحاصلات الزراعية التي تصدر من القطر الآن ان لا شيء منها يقوم مقام القطن او يدانيهِ مطلقاً فالارز مثلاً يصدر منهُ ما ثمنهُ ١٥٠ الف جنيه والفول ٢٥٠ الف جنيه وكسب بزر القطن ٢٢٠ الف جنيه والبصل ٢٦٠ الف جنيه والسكر ٢٣٠ الف جنيه . وهذه اكثر الحاصلات الزراعية صدوراً بعد القطن ولكن يرد من الرز ما ثمنهُ ٣٥٠ الف جنيه والسكر ٢٣٠ الف جنيه . ولا ينتظران يزيد منها شيء الاَّ الارز فيمكن ان تزيد زراعتهُ حتى لا يعود يرد منهُ شيء من الخارج وقيمة ما يرد منهُ الآن ٣٥٠ الف جنيه ويمكن ان يزاد البصل والفول السوداني والخضر حتى يبلغ ما يصدر منها ٦٠٠ الف جنيه فيزيد دخل القطر بزيادة الصادر وقلة الوارد من هذه الاشياء ما يساوي مليون جنيه . وقد جُرِّبت تربية دود الحرير فثبت بالامتحان ان اقليم الوجه البحري مناسب لزرع التوت وتربية الدود وان حرير القطر المصري من اجود انواع الحرير كلها . فاذا ساعدت الحكومة

شركة وطنية على زرع عشرة آلاف فدان من اراضي البور نوتاً بلغ ثمن حريرها في السنة نحو مليونين من الجنيهات ولاخوف من هبوط ثمن الحرير كثيراً لان نسبتهُ الى ثمن القطن قلما تتغير

ولكن هذه الموارد ضيقة لا تروي غليلاً والمورد الكبير الذي يروي ويغني هو تعميم الري الصيفي واحياء الارض الموات حتى يصير القطن يزرع في مليوني فدان على الاقل بدلاً من مليون ونصف او اقل . والاعتناء بخدمة القطن وتسميدهِ حتى يصير متوسط محصول الفدان خمسة قناطير او ستة لا ثلاثة اواربعة كما هو الآن فيصير محصول القطر ١٠ ملايين قنطار او ١٢ مليوناً تباع باكثر من ثلاثين مليون جنيه وهذا هو المورد الحقيقي الذي يجب ان يعوَّل عليهِ لزيادة ثروة القطر المصري

(٢) تقليل النفقات — لا نرى سبيلاً لتقليل نفقات المأكل والمشرب والملبس لأن اهالي القطر لا ينفقون حتى الآن الأعلى الحاجيات ما عدا فريقاً من اغنيائهم . ولكن يمكن الاقتصاد الكبير في عدد المواشي وعلفها باستخدام الآلات البخارية للحراثة والدراسة كما تستعمل الآن للري . وقد ثبت بالامتحان ان المحاريث البخارية والدراسات البخارية تقوم مقام الجانب الاكبر من المواشي فاذا استغني بها عن نصف المواشي فقط فمن ذلك اقتصاد لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه في السنة

هذه حقيقة حال البلاد من حيث دخلها وخرجها وهذا هو السبيل الذي نراهُ لاستمرار ترقيها واذا لم تسلكهُ لم تأمن العثار

بلاد النيام نيام

النيام نيام اسم قبائل من قبائل زنوج افريقية القاطنة مديرية بحر الغزال بين النيل والكنغو وهي من رعايا الحكومة السودانية وقد اوفدت الحكومة حملة اليها بطلب سلطانها فخانها وقتل بعض رجالها ولم يسلم منها الأكلٌ طويل العمر ثم عادت الحكومة فارسلت حملة لتأديبهِ ففازت بامنيتها . وحكاية ما جرى للحملة الاولى تحاكي في غرابتها وكثرة وقائعها حكايات السندباد البحري . وقد بعث بها الضابط بوردمن من رجال الحملة الى احدى المجلات الانكليزية قال

لما احتلت الحكومة الانكليزية المصرية فشودة (وقد غيّر اسمها الآن الى كودوك) رأت ان لا غنى لها عن امتلاك بلاد بحر الغزال وهي بلاد واسعة الاطراف تغمرها المستنقعات في

بعض جهاتها وتكسوها الآجام والغابات والحراج الكثيفة في الجهات الاخرى. ففازت بامنيتها بغير مشقة كثيرة و بقتال قليل وامتلكت تلك الجهة الأ بلاداً واسعة بين اعالي النيل والكنغو تسمّى بلاد النيام نيام وهم قبائل متعددة تميل الى الحروب وشن الغارات وتأكل لحم البشر

فدارت المراسلات بين الحكومة المصرية والسلطان يمبيو سلطان قبائل النيام نيام فأعرب عن رغبتهِ في ان تزور كشَّافة من الجنود بلادهُ واعداً ان ينزلها على الرحب والسعة ويكرم وفادتها . فأجابتهُ الحكومة الى رغبتهِ والَّفت كشَّافة بقيادة المرحوم ارمسترنغ بك . وكنت انا من رجالها ومعنا ٢٠ جندياً سودانياً و٣٢ حمالاً . فغادرنا واو مركز الحكومة في مديرية بحر الغزال في راس السنة (الماضية)

ولما بلغنا رمبك استبدلنا الحمالين بغيرهم واستأجرنا دليلاً يهدينا الى بلاد النيام نيام . ولم يحدث شيء يستحق الذكر حتى شهر فبراير حين جعل الحمالون يقلقوننا باحجامهم عن المسير خيفة انهم اذا دخلوا بلاد النيام نيام لم يرجعوا منها فنرَّ معظمهم خلسة. فدعا قائد الحملة مشايخ القرى المجاورة اليهِ وامر كلاً منهم ان يأتيهُ بنفر من الحمالين يحملون الهدايا التي جئنا بها الى السلطان يمبيو . فلبُّوا طلبهُ حتى اذا اجتمع عندنا عدد كافٍ منهم استأنفنا المسير في بلاد كثيرة الصيد

وفي ٢٢ فبراير نزلنا في بقعة عند نهر مريدي وما كدنا نفعل حتى جاءنا حمَّال يقول ان على مقربة منَّا سرباً من الفيلة فخرجت انا وارمسترنغ بك نطلبها لعلنا نصيب صيداً منها . فمشينا نحو ربع ساعة واذا بنا نراها ترعى بين الانجم والاعشاب الطويلة فاسترقنا الخطى اليها وجعلنا ندنو منها متئدين الى اقرب ما يمكن قصد انتقاء فيل طويل النابين من بينها . فلما صرنا على نحو ٦٠ قدماً منها دارت كلها نحونا ونفرت الى الجهة التي كنا مختبئين فيها وهي لا ترانا . فالظاهر انها تنسمت ريحنا فخافت واضطربت ومرَّ بعضها قربنا حتى كان على قيد ذراع منَّا

وفي اليوم التالي تحملنا وعبرنا النهر ونزلنا بقعة تبعد نحو ٦٠٠ ذراع عن ضفتهِ فتمشيت حتى أبعدت عن المعسكر قليلاً واذا بي اسمع صوت طلقين ناريين من طرفهِ الاقصى فظننت لاول وهلة ان ارمسترنغ بك خرج لصيد الافيال ثانية فأسرعت الى المعسكر وتناولت بندقيتي املاً بان اقطع الطريق عليها واقتل احدها . ثم عدت فسمعت نحو عشر طلقات اخرى متتابعة . وكنا حينئذ على مسيرة يوم من حدود بلاد النيام نيام فقلت في نفسي وما يمنع ان يكون النيام نيام قد فاجأوا قائد الحملة وهو خارج للصيد فناديت الجنود وامرتهم ان يتقلدوا

بنادقهم ويتبعوني وهببت الى حيث سمعت صوت اطلاق النار . وكأني ذهلت عنهم لما عراني من الحماسة وشدة الانفعال فسبقتهم حتى رأيت عن بعد جنديين كانا قد خرجا مع ارمسترنغ بك وهما يجدان السير نحوي فناديتهما قائلاً "ما الخبر"

فاجابا "الافيال"

قلت "اين هي"

فقالا "هنا يا افندي"

قلت "هل قتل" وانما استعملت ضمير المذكر لان قوانين الصيد لا تجيز قتل اناث الافيال

قالا "نعم يا افندي"

قلت "أرياني اين هو"

ثم ركضنا وسط العشب الطويل والاشجار ونحن لا ننبس ببنت شفة وكنت اؤمل ان ارى فيلاً ملقى على الارض . ولم يمض الّا القليل حتى بلغ الجنديان بقعة مكشوفة وقفا فيها فلما وصلت الى حيث وقفا رايت منظرًا فظيعًا اصطكت له ركبتاي وكاد الدم يجمد في عروقي — رايت جثة قائدي ملقاة على ظهرها ومضرجة بالدماء وهو ميت فكدت افقد صوابي. ثم جمعت رجالي وصنعنا شبه نعش من الاغصان وحملناه الى المعسكر

وشرعت في التحقيق فعلمت من احد الجنديين ما يأتي : لما رأى فقيدنا اني ذهبت اتمشى مع النهر خرج للصيد فلقي جماعة من الفيلة واطلق النار على فيل كبير منها فجرحهُ فولى الفيل هاربًا هو وثلاثة افيال اخرى فجدَّ في اثرها حتى صار الى يسارها فتنسمت ريحهُ فدار الفيل المجروح نحوهُ وهجم عليهِ فاطلق طلقين اصابا صدرهُ فهاج الفيل هياجًا شديدًا وضربهُ بنابهِ في صدرهِ فخرقهُ ورفعهُ فوق رأسهِ ثم جلد بهِ الى الارض فكسر كل عظم من عظامهِ تقريبًا . ووجدنا ساعتهُ سليمة ولكن بندقيتهُ كانت مثنية . واطلق الجنديان اللذان كانا معهُ عدة طلقات على الفيل ولكنهما لم يستطيعا ردهُ عنهُ

وفي المساء دفنت قائدي واطلقنا النار ثلاثًا على قبرهِ . وعلمت فيما بعد ان النيام نيام سمعوا صوت هذه الطلقات فعرفوا بوجودنا هناك منها

ثم عدت الى المعسكر وقلبي يكاد ينفطر على فقد قائد كان لي صديقًا صدوقًا وكان الرفيق الابيض الوحيد في تلك المجاهل النائية . وترددت حينًا بين استئناف السفر او العودة الى رمبك ولكني عقدت العزم اخيرًا على الامر الاول وارسلت حمالين الى رمبك ينعيان

ارمستر نغ بك لقائد موقع رمبك وبلغانه عزمي على اتمام المهمة التي وُكلت اليهِ

ولزمني النحس من ذلك الحين الى آخر الحملة . فاني سرت برجالي في اليوم التالي وعدتهم ٥٣ رجلاً ٢٠ منهم مسلحون بالبنادق ومع كل منهم ٤٠ خرطوشاً . وفي عصر ذلك النهار هاجت علينا خشارم النحل بلا انذار سابق فنفرت مواشينا وبغالنا الى الغابات مذعورة . وكانت الحمير تحمل الاحمال فسقطت تحتها . ولسعت النحل معظم رجالنا وجنَّ جاويش الحملة وهو وطنيٌّ من فرط ما نالهُ من اللسع في رأسهِ

وقضينا المساء في نزع الحمات من رؤوس الملسوعين ووجوههم وفرك مواضعها بروح النشادر . وفي الصباح التالي دخلنا بلاد النيام نيام وسرنا حتى بلغنا قرية شيخ اسمهُ سنجو فنزلنا قرب بيتهِ فكنا نرى الاهالي ينفرون منا اينما سرنا وحيثما حللنا . وخرجت انا والترجمان محاولاً ان اجد من يبلغ الشيخ رسالة مني فعدت بخفي حنين . ولكن في اليوم التالي جاءتنا امرأة فاعطيتها بعض الملابس وارسلتها الى الشيخ لتقول لهُ اننا قادمون لزيارة السلطان زيارة حب ووداد فليأتِ بقومهِ الينا ولا يخشَ باساً . واتفق في ذلك الليل ان جنديين من جنودنا ابعدا عن المعسكر فاسرهما الاهالي ونزعوا عنهما ملابسهما وسلبوهما بندقيتيهما وسائر ما كان معهما ووضعوا نيرين في عنقيهما وربطوا ايديهما الى الوراء وساقوهما مكتوفين

وجاءني في صباح اليوم التالي رجل طاعن في السن واخبرني انهُ يسمح لي باخذ ما اريد من الزاد والمؤونة من القرية وانهُ يجب ان ابقى فيها الى ان يأتيني اذن السلطان بالسفر منها فشكرتهُ على السماح لي باخذ الزاد من القرية وقلت اني ادفع ثمن كل ما آخذهُ وطلبت منهُ ان يخبر الشيخ انني قادم بمهمة حبية . وانهُ اذا لم يعد الرجلان اللذان أُسرا سليمين تلك الليلة فاني ازحف على زعيم المقاطعة في الصباح التالي . واوصيت رجالي ان لا يأخذوا شيئاً من اكواخ الاهالي لئلا يظنوا اننا جئنا لنسلبهم . وفي تلك الليلة عاد الينا احد الرجلين عارياً واخبرنا ان جماعة من الاهالي اسروهُ هو ورفيقهُ واخذوهما الى قرية شيخ المشايخ وهي تبعد ١٢ ميلاً . ثم شدوا وثاقهما والقوهما عاريين على الارض خارج الاكواخ وكان بعض الرجال يخفرونهما ويضحكون استهزاءً بهما كلما رأوهما يتململان من لذع البعوض . وكان الشيخ قد امر الحرس بان يقتلوهما اذا سمعوا صوت اطلاق النار من جهة معسكرنا . واخيراً تمكن هو من حلّ وثاقهِ والفرار من غير ان يدري احدٌ بهِ

وسرت في اليوم التالي نحو قرية شيخ المشايخ فلقيني في الطريق نحو مئتي رجل من الاهالي وهم يرغون ويزبدون وتوعدوني باصلاء نار العداء ان لم اقف في مكاني . ودارت المفاوضات

بيننا ثلاث ساعات فاقنعتهم اني صديق لهم وان يأخذوني الى قرية شيخهم فلما احسَّ الشيخ بقدومي ولَّى هارباً فانقذت الاسير الآخر . وكانوا قد ارسلوا البندقيتين والخرطوش الى منجي ابن السلطان يبيو . ثم اخبرني ابن الشيخ بعدئذٍ ان اباهُ لم يعلم باسر رجليَّ وان الذين قبضوا عليهما جماعة من اللصوص

فالقيت عصا الترحال في القرية وانتظرت وصول رسول من عند منجي . وبعد يومين وصل ثلاثة من الرسل ليأخذوني الى قريتهِ . فسرنا جنوباً في غابات كثيفة ورسل منجي يتقدموننا ادلاَّء لنا

وكنا ذات يوم نسير محاذاة خور جفَّ ماؤهُ فتخلفت عن رجالي وصدت غزالاً . ولم أكد افعل حتى هجم عليَّ نحو مئتي رجل من اولئك المتوحشين وهم يتميزون حنقاً ظناً منهم اني اطلقت النار على احدهم . فافهمتهم قصدي من اطلاق النار فلم يقتنعوا حتى رأوا الغزال ميتاً فاقبلوا عليهِ ينهشونهُ نيئاً ويشربون ما بقي من الدم في جثتهِ . وهم مسلحون بالاقواس والسهام وكلٌّ منهم يحمل سكيناً في يدهِ ويطوون شعورهم ويعقصونها بدبابيس مصنوعة من قِصاص[1] الآدميين

وقد ظهر لي انهم يتبعونني عن كثب لمراقبتي وفي تلك الليلة فقد رجلان من رجالي . وما زلنا نسير وسط غابة كثيفة حتى انتهينا الى بركة ماء كبيرة فوقفنا عندها نستقي وغلا قربنا ولم يمضِ علينا عشر دقائق حتى رأينا جمعاً من الاهالي مقبلاً علينا من الوراء وهو يبلغ نحو ٣٠٠ رجل . وكانوا يتتبعون اثرنا والظاهر انهم دُهشوا لوقوفنا هناك . ولاح لي ان رسل منجي كانوا يودون ان نداوم السير ولا نقف للاستقاء من ذلك المكان

فسألت قائد العصابة ماذا يريد من تتبع اثرنا . فأجاب انهُ يخفر بعض النساء الى الى قرية منجي . وقد كذب في ذلك فامرتهُ ان يتقدمني في السير فاضطرب لذلك اشد اضطراب

واخيراً بلغنا قرية منجي فرأيناها تصفر من السكان لانهم هجروها واخبرني رجال منجي الذين معي ان مولاهم مقعد يحمل من مكان الى مكان فلذلك لم يشأ ان اراهُ على تلك الحال وانهُ سيرسل اليَّ طعام ودليل

فأمرت رسولين من رسل منجي ان يعودا اليهِ ويطلبا منهُ ارسال البندقيتين والخرطوش وسائر ما اخذ من رجالي وان يسألا عن سبب هجومهم علينا . وابقيت الرسول الآخر معي ودرت حول القرية فرأيت آثاراً فظيعة تثبت ما يعزى الى النيام نيام من أكل

(١) جمع قصّ وهو عظمة الصدر

لحم الآدميين . وسألت الرسول الذي معي فقال ان قومهُ لا يأكلون سوى صغار الاولاد الذين يأسرونهم في غزو القبائل الاخرى . وكانت المناظر التي رأيتها مما يشيب لها راس الصبي فما صدَّقت ان عدت الى معسكري

وفي المساء جاءني ابن منجي بخمسين من اتباعهِ وهم مدججون بالسلاح فأمرت رجالي ان لا يسمحوا لاحد منهم بدخول الزريبة ما لم ينزع سلاحهُ عنهُ ويتركهُ خارجها فأبوا ذلك في بادىء الامر ثم عادوا فسلموا بهِ . واخبرني ابن منجي ان اباهُ يريد اخذ ما معي من المواشي ومتى اخذها يردُّ ما سلبهُ رجالهُ منا . فعلمت ان كلامهُ هذا بمثابة تهديد ووعيد لنا وعليهِ امرت جاويشي بالعربية ان يجمع رجالنا ويأمرهم بان يتقلدوا سلاحهم ويكتنفوا ضيوفنا بحيث لا يشعرون ففعلوا ذلك بسرعة وعندئذٍ قلت للرئيس انهُ يبقى هو ورجالهُ رهائن عندي حتى تعاد اسلابنا وان يبعث باحدهم الى منجي يخبرهُ انهُ اذا لم يرسل الاسلاب ذلك اليوم عدت من حيث اتيت ورجالهُ اسرى معي

فأرسل رسولاً يبلغ منجي ما جرى ولم تمضِ ساعة حتى أُعيدت البندقيتان اليَّ وحينئذ أُخبرت ابن منجي انهُ مطلق السراح هو وجماعتهُ وعادت المياه الى مجاريها بيننا ولما ودعني كان يضحك ويمزح مندهشاً مما ابداهُ رجالي من الخفة والسكينة في اكتنافهم لهُ

ومن تلك الساعة اخذ القوم يضايقوننا ويقلقوننا . فاني رأيت في منتصف الليل انواراً في الغابة تتحرك وسمعت لغطاً كثيراً فعلمت ان هناك جماعة من النيام نيام تريد ازعاجنا طول الليل . وجعلوا يصرخون ويقولون اننا الآن في بلاد منجي وسنبقى حيث نحن وان مولاهم لا يأذن لنا في التقدم ولا التأخر وانهُ سيرسل في اليوم التالي من يأخذ المواشي منا . فضاعفت الحرس ولما اصبح الصباح لم يبقَ لتلك الجماعة اثر

فاستعرضت بعض الحمالين واعطيتهم البنادق التي كانت معي هدية للسلطان يمبيو ومرنتهم على الرماية لاني رأيت ان الحال ستضطرني الى استخدام جميع الرجال الذين معي . وبقيت في ذلك المكان اربعة ايام ولكني لم أرَ احداً من النيام نيام واختفى بعض رجالي ولا شك ان اولئك المتوحشين خطفوهم واكلوهم . وكنت احذرهم دائماً من الابتعاد عن الزريبة علماً مني ان اولئك الاشرار كانوا يراقبون حركاتنا وسكناتنا ويحاولون خطف كلِّ من يستطيعون خطفهُ منا ولكن الحمالين لم يكفوا عن التوغل في الغابة لاشتيار العسل

ولما كان غرضي الاهم الوصول الى السلطان يمبيو عزمت على المسير غرباً لاني رايت من الخرائط التي كانت معي ان ذلك يوصلني الى بلادهِ فعدت على اعقابي ثلاثة اميال ثم توجهت

غرباً فبلغنا نهر سواي بعد مسيرة ١٨ ميلاً فعبرناهُ ودخلنا املاك يبيو . فتلبثنا للغداء وانزلنا الاحمال عن ظهور حميرنا . وما كدنا نبدأ الاكل حتى سمعت صياحاً شديداً من ضفة النهر الشرقية فالتفت واذا جماعة من النيام نيام عددهم نحو ٣٠٠ رجل جدوا السير في اثرنا وهم شاكو السلاح ولكنهم لم يعبروا النهر بل طلبوا مني ان اعود الى بلادي والاّ هجموا عليّ

فعلمت اني اذا عدت على اعقابي نصبوا لي كميناً اخذوني بهِ فعزمت ان اسير حذاء النهر حتى ابلغ بقعة مكشوفة انزل فيها انا ورجالي لان الاماكن القريبة من الغابات والادغال تلائم اولئك المتوحشين في هجومهم علينا . فاوقفت الجنود الذين معي حذاء النهر منعاً للاعداء من عبوره وتحملت بعد الظهر بنحو ساعتين فعبر النيام النيام النهر حالاً بعد مسيرنا وتبعونا حتى وقفوا من على يسارنا ومن ورائنا فغيرت مكان جنودي ولم اكد افعل حتى هجموا علينا وهم يصرخون صراخاً يشق عنان الفضاء فامرت جنودي ان يصوّبوا بنادقهم اليهم ولا يسرفوا في طلاق النار فلما رأوا ذلك منا ولوا الادبار ولسوء حظنا خطفوا دليلنا وسط ما حدث من الاختلاط والارتباك

فاستطردنا المسير حذاء النهر وعبرنا خوراً ليس فيهِ ماء فحاول النيام نيام مهاجمتنا مرة اخرى ولكننا هزمناهم ثانية ففروا يحملون قتلاهم وجرحاهم . وفي اثناء هجومهم جاءوا بدليلي المسكين وجروهُ على الارض وهم يصيحون استجلاباً لنظري ثم طعنوهُ بحرابهم حتى مات فقطعوهُ ارباً . فصعد الدم الى رأسي لما رايت ما فعلوهُ وصوبت بندقيتي الى زعيمهم واطلقت عليهِ رصاصة نفذت في صدرهِ بينما كان يطفر فرحاً فوق جثة دليلي

وهاجمونا ثالثة فاخفقوا اخفاقهم في المرتين الاولى والثانية فتركونا . فنزلت برجالي بقعة هناك ووضعنا الصناديق التي معنا في دائرة حولنا . وكنت قد فقدت بضعة من رجالي وقسماً كبيراً من ذخيرتنا . ولما اكملنا استعدادنا اذا بالمتوحشين قد عادوا الينا وكان عددهم هذه المرة نحو ٧٠٠ ولكنهم خافوا ان يقتربوا منا

ولما خيم الظلام تقهقروا حتى صاروا على نحو نصف كيلومتر عنا فجلسوا يضرمون النيران ويضربون على طبولهم والنجدات تأتيهم زرافات من كل جهة . فلم تحن الساعة العاشرة مساء حتى احدقوا بنا من كل جانب وبعد البحث وجدت ان كل ما بقي معنا من الخرطوش ٣٠ خرطوشة فقط وكان عدد الرجال الذين خرجوا معنا في هذه الرحلة المشومة ٥٤ فباتوا الآن ٢٣ فكدت أيأس من النجاة ولكنني عزمت على المقاومة الى النهاية فاخذت ترجماني معي

وخرجنا لتعهد مركزنا واستطلاع ما حواليهِ دبيباً خشية ان يرانا احد. وما زلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى اهتدينا الى الموضع الذي اضرم الزعماء النار فيهِ وعقدوا مجلساً للمشاورة في امرنا برئاسة حفيد السلطان ببيو. فاضطجعنا حيث نرى ما يجري ونسمع ما يقال ولا نُرى. فقرَّ رأيهم ان يطبقوا علينا من كل جانب صبيحة اليوم التالي ويقتلونا جميعاً الاّ ي ومستخدماً مصريًّا كبير السن اسمهُ بخيت. اما بخيت فانهم يشدونهُ وثاقهُ ويضعون قدميهِ في النار وقد اطالوا في لومهِ وتعنيفهِ لانهُ جاء بي الى بلادهم التي لم تطأها قدم رجل ابيض من قبلُ واما انا فانهم يستحيونني للتفرُّج عليَّ بعد ان يشوِّهوني قليلاً. ولما انتهينا من سماع ما قيل في ذلك المجلس عدنا من حيث اتينا ونحن ندبُّ الهوينا بين الاعشاب الطويلة. وجعلت افكر في ما عسى ان افعل للخلاص من تلك الورطة. فلم أرَ من الصواب ان نفتح لنا طريقاً وسطهم برؤوس الحراب لاسيما بعد ان كثرت جموعهم حتى بلغوا اربعة آلاف مقاتل على القليل واوشكت ذخيرتنا ان تنفد. فتركت الترجمان وحدهُ ودرت حول معسكرنا وانا ادبُّ على يديَّ ورجليَّ لعلي اجد موضعاً نستطيع منهُ خرق النطاق الذي ضربوهُ حولنا ليلاً. فوجدت موضعاً قرب النهر يمكننا النجاة منهُ

فعدت الى المعسكر وكان الوقت نحو نصف الليل فامرت عدة من رجالي ان يتلفوا كل ما معنا ثم مشينا نحو النهر وكان الظلام حالكاً فارسلت الرجال اثنين اثنين وقلت للاثنين الاولين منهم اذا فزتما بالنجاة فانتظرانا على بعد عشر دقائق من النهر. فذهب الاثنان الاولان ولبثنا نحن في مكاننا ننتظر ما يكون من امرهما. وبينما كانا يخوضان الماء سباحة خُيِّل لي ان اورطة بكاملها تعبر النهر من شدة الصوت وكنت اتوقع من دقيقة الى اخرى ان يشعر المتوحشون بنا فترتعد فرائصي ولكن رجالي عبروا زوجين زوجين ولم اسمع صوتاً من جانب الاعداء فدلني ذلك على انهم كانوا مستغرقين في النوم. وعبرت انا في الآخر بعد ان تركت نارنا مضطرمة وصناديقنا في اماكنها لتضليل اعدائنا

على اننا لم نبعد كثيراً حتى رأيت انهم دروا بفرارنا ولكنهم لم يجسروا على الدنو منا لان الوقائع الماضية علمتهم ما في ذلك من الخطر عليهم. فسرنا نخوض المستنقعات الغامرة ونجتاز الغابات والحراج الكثيفة ولفيف من المتوحشين يسير في آثارنا ويتحين الفرص للفتك بنا. وفرغ طعامنا فبقينا بعدهُ ثلاثة ايام لم نذق طعاماً ولا شراباً. واول ما اكلناهُ جرذان كبيران طول الواحد منهما نحو ٣ اقدام

وقبل خروجنا من بلاد النيام نيام اتينا قرية من قرام بغتة فحملنا عليها برؤوس الحراب

واحرقناها اخذاً ببعض الثار منهم لما لقينا من غدرهم وخيانتهم وما زلنا نواصل السير بالسرى حتى بلغنا رمبك اول محطة لنا ومعي ١٧ رجلاً وهي البقية الباقية من الاربعة والخمسين

البنات والعلوم العالية

كتب احد الاطباء الاميركيين مقالة تحت هذا العنوان اخترنا تلخيصها لا لأن تعليم البنات العلوم العالية له شأن عظيم عندنا الآن فينطبق كلُّ ما جاء في هذه المقالة على بناتنا بل لانهُ اذا سار تعليم البنات في الشرق سيراً طبيعياً وارتقى ارتقاءهُ في الغرب فلا بدَّ ان ننتهي الى مثل هذه العقدة ونتساءل فيما بيننا مثلما يتساءل الغربيون من جهة تعليم البنات العلوم العالية وحينئذٍ تكون هذه المقالة وما ينسج على منوالها مرشداً لنا في حلِّ ما ابهم علينا من المعضلات وما التبس من المشكلات. قال الكاتب

بلغ التعليم في قارة اميركا وخصوصاً الولايات المتحدة مبلغاً من الكمال ما بعدهُ غاية . ويظهر لاول وهلة ان هذه الحالة لما نغتبط عليهِ. والناظرون الى الامور نظراً سطحياً يتمنون لو نطرّد السير على هذه الخطة ونرقى الى ما هو اعلى في امر تعليم البنات قائلين زيادة في الخير خير وان ابلاغ البنات اسمى مراقي التعليم ليس كثيراً عليهنَّ ولا هو فوق طوقهنَّ . ولكن الذين لا يقتصر نظرهم على الحاضر بل يمتدُّ الى المستقبل ايضاً يرون بعين بصيرتهم خطراً ينشأ رويداً ويزيد حتى يفضي الى ثورة اخذت طلائعها تبدو في كلِّ جهة . وسأقصر كلامي على البحث في الضرر الناشيء عن تعليم البنات العلوم العالية

يعلم كثيرون من الراسخين في العلم ان بين انواع الخلائق الحية تنازعاً على بقاء الفرد وخصوصاً بقاء نسلهِ وهذا امرٌ من بقاء الفرد نفسهِ لانهُ اذا زال الفرد من الوجود زال بزوالهِ شخص واحد فقط ولكن اذا زال نسلهُ زال بزوالهِ الوف لا تحصى من الاحياء التي منعت من الظهور . وتدل الادلة على ان تعليم المرأة العلوم العليا يأول الى انقراض النوع الانساني اما مباشرة وذلك بما يؤثرهُ في بنيتها واما بواسطة وذلك بأن يجعل الزواج الباكر متعذراً على الرجال عموماً

واول سؤال اسألهُ هنا هل العلوم العالية التي تعلمها المرأة الآن مما يضر بنيتها وصحتها. وهو سؤال لا تخفى اهميتهُ على احد لان واجبات الام لا تستلزم عقلاً ثاقباً بل بنية قوية .

وليس ذلك فقط بل ان زيادة العناية بترقية قوى المرأة العقلية تحول دون قيامها بواجباتها مثلما يطلب منها

سل اي طبيب اردت يخبرك بحوادث كثيرة جاء الزواج فيها صفقة خاسرة لأن شدة الاهتمام بتثقيف عقول البنات قبل زواجهن افضت الى ان صرن يأنفن ترفعاً وكبراً من عمل الاعمال التي تعملها الزوجات غير المتعلمات بسرور ورغبة . ثم ان واجبات الأم من جهة والاشغال العقلية من الجهة الاخرى اعداءٌ لا تصطلح لأن كلا الفريقين يتطلب لاتمامهِ كثيراً من المركبات الفصفورية . وهذه يستخرجها الجسم من الطعام ولكنها قلما تكفي لتغذية زوجة تطالع العلوم العالية ولتغذية جنينها . فان الجنين يستمد من دم امهِ الاملاح الكيماوية اللازمة لتكوين هيكلهِ ولبعض الانسجة الاخرى . وكثيراً ما يفضي هذا النزاع بين الجنين وقوى امهِ العقلية الى خسارة الفريق الثاني اي ان قوى الام العقلية تضعف وتختل الى حد الجنون احياناً . وكثيراً ما تستعيد قواها بعد تناول المواد الفصفورية زماناً طويلاً لتستعيض ما خسرتهُ على نموّ جنينها . وقد يتفق بعض الاحيان ان يكون الجنين الفريق الخاسر فيولد سقيماً او كسيحاً ولما كان لبن امهِ قليل التغذية يعطى بدلاً منهُ اطعمة صناعية وبئس البديل هي مهما حسن نوعها

والظاهر ان المرأة التي تعلّم العلوم العالية تشعر انها لا تصلح ان تكون امّاً بدليل انها قلما تتزوّج واذا تزوجت فانما تتزوج متأخرة ويجيء نسلها قليلاً . وكثيراً ما تسمع الناس يقولون انهُ خير للزوجين ان يلدا ولداً واحداً ويبالغا في العناية بتربيتهِ من ان يكون لهما ستة اولاد يربون تربية اعتيادية اذ في الحالة الثانية يتوزّع اهتمام الابوين على ستة اولاد بدلاً من ان ينحصر في واحد . وهذا القول باطل . فما من احد الأ ويعلم ان الولد الوحيد الذي يولد لابوين تربيا تربية سامية هو في الغالب تليفة ليس فيهِ رجيَّة وصحتهُ سقيمة . واما الستة الاولاد الذين تلدهم ام تعلمت بعض التعلم فنشيطون اقوياء ولو فرض ان المرأة السامية التربية تستطيع ولادة الاولاد وتربيتهم مثل غيرها ولا تأنف من ذلك فان ثمة مانعاً يمنع ان يكون لها عائلة كبيرة وهو تزوجها متأخرة اي بين سن السادسة والعشرين والثلاثين. هذا ولما كانت البنت التي في ذلك السن تتزوج عادة رجلاً يكبرها بعشر سنوات الى خمس عشرة سنة — لان بنت السابعة والعشرين مثل ابن الاربعين بالنظر الى الزواج — فان كليهما في عمر لا ينتظر بعدهُ ان يكون لهما عائلة كبيرة . ويؤخذ من سجلات الطلاق في المحاكم الله لاشقاق

بين الزوجين اذا كانت الزوجة تتمّ وظائف الامومة بل ان الشقاق يبدأ حين تأخذ في اهمال تلك الوظائف

وهناك سؤال آخر اسألهُ وهو هل صحة المرأة في هذه الايام اضعف مما كانت عليهِ في ايام اجدادنا وواجبات الامومة والزوجية اصعب مما كانت منذ مئة سنة . والجواب نعم . فان غريزة الميل الجنسي وغريزة الميل الى ولادة الاولاد تضعفان سنة فسنة في المرأة اجمالاً . واكبر دليل على ذلك تأخر النساء عن الزواج وقلة ولادتهنَّ للاولاد . ثم ان اكثر النساء في الطبقتين العليا والوسطى يصبن بالعلل والاسقام قبل الزواج ووظائفهنَّ الفسيولوجية لا تسير سيراً طبيعياً . فقد عقدت حديثاً جمعية من كبار الاطباء المختصين بعلم الولادة وعلم امراض النساء في اميركا فقال اعظمهم خبرة بصناعتهِ ان اكثر اللواتي عالجهنَّ لا يستطعن عمل عملٍ طبيعي لان قوة شعورهنَّ بالالم شديدة وقوتهنَّ العضلية ضعيفة . فوافقهُ سائر الاطباء على هذا القول ولكنهم اختلفوا على السبب . فقال بعض مشاهيرهم ان السبب في ذلك انغماس البنات في الملاهي مدة العشر السنوات التي تمرُّ عليهنَّ منذ خروجهنَّ من المدرسة الى زواجهنَّ . وهذا يتضمن احياء الليالي في السهر وعدم النوم الكافي وسوء الطعام واللباس وقلة الرياضة . اما انا فأرى ان معظم السبب فيهِ الافراط في الدرس فانهُ اولاً يمنعهنَّ من التعرُّض لنور الشمس ومن استنشاق الهواء النقي في اكثر اوقاتهنَّ . وثانياً يحوّل دمهنَّ من اعضائهنَّ التي يجب ان تنمو وقت البلوغ الى الدماغ . وثالثاً يقوّي جهازهنَّ العصبي باضعاف الاجهزة العضلية والهضمية الخ . ورابعاً يحملهنَّ على مخالفة الطبيعة بالتزام العزوبة حتى يبلغن سنَّ السادسة والعشرين او السابعة والعشرين بدلاً من ان يتزوجن في سنّ الثامنة عشرة وهو آخر حدّ عينتهُ الطبيعة للعزوبة فيهنَّ . وخامساً يزيد مطالبهنَّ وحاجاتهنَّ الى حدّ انهنَّ يأبين الاقتران بشابٍ صحيح الجسم قوي البنية اذا لم يكن من الموسرين

وللمسألة وجه آخر قلما يلتفت اليهِ للبحث فيهِ ولكن لهُ علاقة مهمة بها . فان ترقية قوى الفرد العقلية الى حدّها الاقصى تستلزم زيادة مطالبهِ والقناعة ركن السعادة . ولنسأل هل تجعل التربية العالية المرء قنوعاً بالحاضر او طموحاً يدأب العمر في الحصول على ما هو أعلى واسمى . وهل تقنع المرأة التي درست العلوم والفنون بمنزل بسيط او لا بدَّ لها من اقتناء ما يختص بالعلوم والفنون من الكتب والتحف الثمينة وهل ترضى زوجاً لها رجلاً يستطيع ان يكفيها جميع حاجيات المعيشة ولا يستطيع ان يكفيها الكماليات التي تعدُّها المرأة العادية عديمة الجدوى ولكنها تعدُّها هي ضرورية لها . وهل تستطيع امرأة مثل هذه ان تعنى العناية الواجبة

باولادها وتربيتهم وعندها ما يستنفد عنايتها واهتمامها

كلنا يريد ان يكون سعيدًا حسن السمعة ويريد ان يكون اولادهُ وخصوصًا الصبيان منهم كذلك . ولكن الذين يعلمون ولو بعض الشيء عن العفاف في الذكور يعلمون ايضًا ان تزوج الفتى الذي عمرهُ دون الخامسة والعشرين لفتاة دون الثامنة عشرة هو الطريقة الوحيدة لحفظ العفة في الجيل الناشىء . ولكن الناس يحدثونك غير مبالين بتزوج بناتهم وهنَّ في سن السادسة والعشرين او السابعة والعشرين بشبان عاشوا عيشة تتبرأ العفة منها كأن ذلك الامر ليس بالشيء الذي يستحق الاهتمام . ولكن الذي يزرعهُ الانسان فاياهُ يحصد . فهل يدركون هول ما يجرهُ ذلك على صحة الفتيات المسكينات اللواتي يتزوجنهم

وقد كان من اعظم الاعتراضات على تعليم النساء العلوم العالية منعهُ لهنَّ من الرياضة الكافية . ولكنَّ هذا الاعتراض بات مردودًا هذه الايام بما ادخلتهُ الكليات والمدارس الداخلية من طرق الرياضة المختلفة . غير ان هناك اعتراضًا آخر عليها لا استطيع ردَّهُ وهو تربية الانفة العقلية في صدورهنَّ وهذه الانفة تزيد نموًّا كما زادت المدرسة نجاحًا . فلا ريب ان النساء يستطعن فعل كل ما يستطيعهُ الرجال واكثر منهم . ولكنَّ معرفتهنَّ لذلك تزيد شعورهنَّ بالاستقلال وميلهنَّ الى الاعتداد بانفسهنَّ بحيث يستحيل ان يكون في صدورهن عاطفة حب واكرام وطاعة للشبان الذين يبدأُون اعمال هذه الحياة وهم صغار في محل تجاري او معمل ليجمعوا من المال ما يكفون بهِ حاجات اللواتي يريدون الاقتران بهنَّ من المتعلمات . فيتعذر عليهم والحالة هذه ان يساووهنَّ في درجة علمهنَّ . ولكنَّ الفتاة التي تنال شهادة المدرسة العالية تأبى الاقتران بفتى من اولئك الشبان كبرًا واستكبارًا فتكون النتيجة اما ان ذلك الفتى يذهب ضياعًا مدى العمر ببقائهِ عزبًا واما انهُ ينقذ من ذلك المصير بتزوجهِ فتاة دونهُ في الهيئة الاجتماعية ولكنها لما كانت اكثر رضى وقناعة تصبح اعظم عونًا لهُ من الفتاة السامية التربية التي همها التفتيش عن معايب الناس والتزوج برجل ربما كان اندر من الكبريت الاحمر

وقد يتفق احيانًا ان البنت التي تتعلم العلوم العالية تخرج من المدرسة وجسمها صحيح واميالها الطبيعية سليمة ولكن هذا شاذ لا يبنى عليهِ حكم فان البنت المتعلمة علومًا عالية تنفر من هموم الزوجية والامومة عادة فتقول انها لن تتزوج مالم تجد زوجًا يستطيع الانفاق عليها لتعيش في نعمة وبسطة ويكفي مطالبها العقلية مثل حضور مراسح الغناء والتمثيل واقتناء الصور الثمينة والكتب النادرة ونتيجة ذلك فقد صحتها وراحة زوجها

السلّ والطعام

من مقالة للدكتور بل الاميركي

يستفاد من الاحصاءات التي جرت في الخمس والسبعين سنة الماضية ان متوسط عمر الانسان المتمدن زاد من ٤٢٫٢ سنة الى ٤٨٫٥ سنة وان الزيادة الكبرى كانت في القسم الاخير من تلك المدة وكان معظم السبب فيها نقص الوفيات الناشئة عن الامراض الخميرية وعن التدرن الرئوي او السلّ بنوع خاص فان الوفيات به نقصت ٥٠ في المئة

ويستفاد ايضاً من البحث في الوسائط التي اتُخذت لانقاص الوفيات بالامراض المذكورة آنفاً انها وسائط صحية مثل ازالة كلّ ما هو غير صحي وتجفيف الارض وتنقية ماء الشرب وحصر الامراض المعدية ومراقبة المدارس مراقبة صحية واتلاف بصاق المسلولين وهو مصدر جيوش الميكروبات التي تستمد منهُ نجداتها ومنع السكن في الاقبية التي تحت الارض وتقليل الازدحام. والاعتناء بالنظافة واستعمال مضادات الفساد وتهوية المساكن واصلاحها وتوسيع الشوارع وانشاء الحدائق العمومية والمصحّات وما جرى مجرى ذلك مما لم يذكر

ومهما يقل الباحثون عن شدة عدوى السلّ في بعض الحالات وعدم عدواهُ في الاخرى فانهم يختلفون رأياً في ما اذا كان من يمرّض المسلولين او يساكنهم يُعدَى منهم وبنيتهُ صحيحة وغذاؤهُ حسن والوسط الذي هو فيهِ ملائم للصحة

وبالضد من ذلك مهما كان الوسط صحياً فان ذوي الاجسام الضعيفة والذين غذاؤهم قليل غير كافٍ لهم معرضون للاصابة بالسل كلّ ساعة . لان كلّ من يعلم شدة انتشار المكروب وخصوصاً مكروب السل يعلم ايضاً انهُ مهما اتخذنا من التحوطات الخارجية للوقاية منهُ فان كلاًّ منا عرضة لان يصاب بهِ ما لم تكن بنيتهُ سليمة تقوى على صدّ جيوش المكروبات. وعليهِ فان ربع وفيات الاوربيين بعد سنّ البلوغ ناشىءٌ عن التدرّن ونحو نصفهم يصابون بهِ في بعض مراحل العمر

ولا يخفى ان قدرة الانسان على مقاومة اسباب المرض العادية مثل تغير درجة الحرارة فجأة والتعرض للرطوبة والنوم في غرف مقفلة النوافذ تتوقف على حالة صحتهِ وهكذا يقال في مقاومتهِ لمكروب السل. واعظم ما يسهّل السبيل على هذا المكروب ليدخل الجسم ضعف الصحة ولاسيما اذا كان مصحوباً بالغذاء غير الكافي كما هي الحال غالباً . ولكن الانسان قد يفرط في الاكل ومع ذلك يمتنع عن اكل طعام لازم لحفظ صحتهِ. والتغذية الكافية وقوام

الجسم يتوقفان على وجود انواع الغذاء التي يحتاج الجسم اليها وكميتها الكافية فان للطعام غرضين احدهما تقديم المواد اللازمة لتكوين انسجة الجسم وتجديدها والثاني تقديم الوقود اللازم لاحداث الحرارة والقوة

اما العناصر التي يحتاج الجسم اليها في تغذيتهِ وتوجد في المركبات الآلية وغير الآلية التي يتألف الطعام منها فهي الكربون والهيدروجين والاكسجين والنيتروجين والكبريت والفوصفور والكلور واليود والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنيسيوم والصوديوم والحديد . وليس من الضروري ان كل طعام يحتوي على هذه العناصر والواقع انهُ ليس بين انواع الطعام ما يحويها كلها الاَّ اللبن . فلذلك تقتصر صغار ذوات الثدي عليهِ في طور الرضاع . على انهُ يتفق احياناً كثيرة ان يستبدل طعام الطفل بعد الفطام بطعام ليس فيهِ جميع العناصر اللازمة لنموّهِ وتقويتهِ فتكون النتيجة شحوبهُ وهزالهُ وزيادة قابليتهِ للامراض

والطعام يقسم عادة الى اربعة اقسام الاول المواد النتروجينية او الزلالية . والثاني المواد الدهنية (هيدروكربون) . والثالث المواد النشوية والسكرية خصوصاً (كربوهيدرات) . والرابع المواد الجمادية وهي الماء والاملاح المختلفة . ومتوسط ما يحتاج الفرد اليهِ يومياً من هذه المواد يختلف كثيراً باختلاف السنّ والحجم والرياضة والدورة الدموية وقوة اعضاء الافراز وهلمَّ جرًّا . فان ما يحتاج الرجل اليهِ بين ٣٤ اوقية و٤٦ اوقية من الطعام الجامد وبين ٧٠ اوقية و٩٠ اوقية من الماء على ايّ الصور والاشكال . وما تحتاج المرأة اليهِ يقل من ٣ الى ٥ اواقي عمَّا تقدم . واما الاولاد والشبان فيحتاجون الى مقادير من الطعام على نسبة اجسامهم وكلما كبر الولد سنًّا قلّت حاجتهُ الى الطعام بالنسبة الى من هو اصغر منهُ . ومتوسط كمية الدهن التي يحتاج الرجل اليها كلّ يوم اوقيتان . والولد يحتاج الى اكثر من ذلك بالنسبة الى ثقلهِ وخصوصاً مدة النموّ بعد الفطام

قال الاستاذ اتووتر في كلامهِ على الاطعمة المختلفة وقدرتها على توليد الحرارة والقوة الميكانيكية ان رطلاً من بروتيين اللحم الاحمر او زلال البيض يساوي رطلاً من السكر او النشا ورطلاً من الدهن او الزبدة يساوي رطلين او اكثر من كل من الصنفين

ومن الاوهام الشائعة ان الدهن يجب ان يؤكل في الاقاليم الباردة فقط او بنوع خاص وهو مثل توهمهم ان البرد يمنع السل . اما كون الدهن هو الطعام الوحيد في الاقاليم المتجمدة فلعدم وجود غيرهِ فيها لا لشدة بردها . لانهُ طعام ضروري في جميع الامكنة والازمنة ولا غنى عنهُ لتوليد القوة التي يحتاج الجسم اليها في بناء انسجتهِ وحفظ قوامهِ . ووظيفة المواد

النشوية والسكرية مثل وظيفة الدهن ولكنها لا تكفي لحفظ قوام الجسم حفظاً تاماً بلا مساعدة الدهن

والذي يريد معرفة شيء عن علاقة الاطعمة الدهنية بالسل الرئوي فليراجع تاريخ قبائل هنود اميركا . فقد كان طعامهم قبل ان اوصل البيض الحبوب اليهم ما يصطادون من الحيوانات السمينة وكانوا يقتلونها بحيث يبقى دمها فيها فكانوا اشداء البنية لهم صبر غريب على احتمال المتاعب . واول ما سمع عن اصابتهم بالسل وقتما شرع البيض في تمدينهم واغرائهم بالانتقال من المضارب الى البيوت ومنعهم من صيد كل ما ارادوا وتعويضهم ما ينقصهم من الصيد بالاطعمة النشوية ففقدوا شدتهم الاولى وبات السل شائعاً بينهم . ويقول المؤرخون في وصف مسلمي الهند الذين يكثرون من اكل اللحوم انهم اشد طوائف البشر بأساً واذكاهم عقلاً واكثرهم صبراً على المشاق . والبون شاسع بينهم وبين الهنود الضعفاء آكلي الارز الذين قلما يبلغ الواحد منهم سنّ الاربعين

ومن اعظم الشواهد على نتيجة الانتقال من اكل طعام كلهُ او جلهُ دهنيٌّ الى اكل طعام معظمهُ نشويٌّ من حيث السل الرئوي اهالي زيلندا الجديد . فانهم كانوا منذ خمسين سنة يأكلون لحوم الرجال الذين يأسرونهم في الحرب ويأكلون كثيراً من دهن الخنزير وقليلاً من لحم الكلاب والسمك . وكانوا مشهورين بجودة ابدانهم وشدة بأسهم وعدم وجود السل بينهم فلما أُدخلت البطاطس اليهم وجعلوا يكثرون من اكلها ظهر السل فيهم على انواع مختلفة وانتشر بينهم اشدّ من انتشاره بين الطبقة السفلى في ارلندا حيث معظم اعتماد الاهالي على البطاطس

وقد رأيت فرقاً عظيماً في الاقاليم الحارة والمعتدلة بين منظر الذين لا يأكلون شيئاً غير الاطعمة النشوية وبين الذين يأكلون معها سمناً وزيتاً فان الاولين نحفاء الابدان لمفاويون مصابون بالخنازيري والآخرين على ضد ذلك

ولحم الحيوانات التي تقتل بحيث يبقى دمها فيها الذُّ من لحم الحيوانات التي يسفك دمها واسهل منهُ هضماً واكثر غذاء

ومن الشواهد التي اذكرها على ان السل يزيد بقلة اكل المواد الدهنية ويقل بزيادة اكلها ما اختبرتهُ بين زنوج اميركا فاني بدأْت صناعتي بينهم حين كانوا لا يزالون ارقاء وكانوا يكثرون من اكل اللحم والدهن فكان السلّ نادراً بينهم . اما الآن فانهُ اخذ يزيد وينتشر فيهم بعد ما اخذوا يقللون اكل المواد الدهنية ويستبدلونها بالمواد النشوية . وما من

احد الا ويعلم فائدة زيت السمك للمسلولين ولكن قليلين يعلمون ان الطعام الذي يتألف مما يتألف زيت السمك منهُ واقٍ من السل

هذا واقول في الختام اني لا اعرف احداً من جميع الذين عالجتهم مدة اشتغالي الطويل بصناعتي — اي ٦٠ سنة فاكثر — اصيب بالتدرن وكان من الذين يكثرون من اكل الزبدة والدهن. فان السل يزيد بالامتناع عن المآكل الدهنية ويقلُّ بالاكثار منها

اشعار الخلفاء الراشدين

للشعر علاقة كبيرة باخلاق الامم وقد اخذت منذ اعوام انقب عن اشعار الخلفاء لاستطلع طلع احوالهم من اقوالهم فعثرت على اشعار كثيرة متفرقة في كتب التاريخ وغيرها فجمعتها في كتاب وانتخبتُ منها ما يروق نشرهُ لدى قراء المقتطف

❖ ابو بكر ❖ قال ابن عباس كثيراً ما كان ابو بكر ينشد :

اذا اردت شريف القوم كلهمِ   فانظر الى ملكٍ في زيِّ مسكينِ
ذاك الذي حسنت في الناس قالتهُ   وذاك يصلح للدنيا وللدينِ

❖ عمر بن الخطاب ❖ قال في التعليم والحث عليهِ

تعلَّمْ فليس المرء يولدُ عالماً   وليس اخو علمٍ كمن هو جاهلُ
فان كبير القوم لا علمَ عندهُ   صغيرٌ اذا التفت عليهِ المحافلُ

وقال يرثي ابا بكر :

ذهب الذين احبُّهم   فعليكِ يا دنيا السلامُ
لا تذكرين العيش لي   فالعيش بعدهمُ حرامُ
اني رضيع وصالهم   والطفل يؤلمهُ الفطامُ

وقال حين حضرتهُ الوفاة :

الم ترَ ان ربك ليس تحصى   اياديهِ الحديثة والقديمهْ
تسلَّ عن الهموم فليس شيءٌ   يقوم ولا همومك بالمقيمهْ
لعلَّ الله ينظرُ بعد هذا   اليك بنظرةٍ منهُ رحيمهْ

❖ علي بن ابي طالب ❖ : قال في الحض على العلم

الناس من جهة التمثال اكفاء   ابوهمُ آدمٌ والامُّ حواءُ

فان يكن لهم في اصلهم شرفٌ يفاخرون بهِ فالطين والماء
ما الفضل الاَّ لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنهُ والجاهلون لاهل العلم اعداء
وان اتيت بجود من ذوي نسبٍ فان نسبتنا جود وعلياء
فقم بعلم ولا تبغ بهِ بدلاً فالناس موتى واهل العلم احياء

ولهُ في وصف الاخوان

تغيرت المودةُ والإخاء وقلَّ الصدق وانقطع الرجاء
واسلمني الزمان الى صديقٍ كثير الغدر ليس لهُ رعاء
ورب اخ وفيت لهُ وفائي ولكن لا يدوم لهُ وفاء
اخلاَّء اذا استغنيت عنهم واعداء اذا نزل البلاء
يديمون المودة ما رأوني ويبقى الودُّ ما بقيَ اللقاء
فان غيبت عن احدٍ قلاني وعاقبني بما فيهِ اكتفاء
سيغنيني الذي اغناهُ عني فلا فقرٌ يدومُ ولا ثراء
وكل مودة لله تصفو ولا يصفو عن الفسق الاخاء
وكل جراحةٍ فلها دواء وخلق السوء ليس لهُ دواء
وليس بدائم ابداً نعيمٌ كذاك البؤس ليس لهُ بقاء
اذا انكرت عهداً من حميمٍ ففي نفسي التكرُّم والحياء
اذا ما رأس اهل البيت ولَّى بدا لهمُ من الناس الجفاء

وقال في وصف الدنيا وحالها

هي حالان شدة ورخاء وسجالان نعمة وبلاء
والفتى الحاذق الاريب اذا ما خانهُ الدهر لم يخنهُ عزاء
ان الَمَّتْ ملمةٌ بي فاني في الملمات صخرة صماء
عالم بالبلاء علماً بان لي س يدوم النعيم واللأواء

وقال في اجتناب مصاحبة الجهال :

فلا تصحب اخا الجهل واياك واياهُ
فكم من جاهل اردى حكيماً حين آخاهُ
يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاهُ

وللشيء من الشيء مقاييس واشباهُ
وللقلب من القلب دليلٌ حين يلقاهُ

ومن شعرهِ في الحض على الجود :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرًّا انها تتقلبُ
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي تذهبُ

ومن اقوالهِ في شرف العلم والادب

ليس الجمال باثواب تزينها ان الجمال جمال العلم والادبِ
ليس اليتيم الذي قد مات والدهُ بل اليتيم يتيم العلم والحسبِ

ولهُ في وصف الدنيا

وما الدهر والايام الاَّ كما ترى رزية مال او فراق حبيبِ
وان امرءًا قد جرب الدهر لم يخف تقلُّب حاليهِ لغير لبيبِ

ولهُ في الزيارات

اذا شئت ان تقلى فزر متواترًا وان شئت ان تزداد حبًّا فزر غبًّا
منادمة الانسان تحسن مرةً وان اكثروا ادمانها افسد الحبَّا

وقال في قلة الكلام

ان القليل من الكلام باهلهِ حسنٌ وان كثيرهُ ممقوتُ
ما زل ذو صمت وما من مكثرٍ الاَّ يزلُّ وما يعاب صموتُ
ان كان ينطق ناطق من فضةٍ فالصمت درٌّ زانهُ ياقوتُ

ولهُ في وصف الدنيا

انما الدنيا فناءٌ ليس للدنيا ثبوتْ انما الدنيا كبيتٍ نسجتهُ العنكبوتْ
ولقد يكفيك منها ايها العاقل قوتْ ولعمري عن قريب كل من فيها يموتْ

وقال في حفظ الاسرار

ولا تفشِ سرك الاَّ اليكَ فان لكل نصيحٍ نصيحا
فاني رأيت غواة الرجالِ لا يتركون اديمًا صحيحا

وقال في تعليم الصغار

حرض بنيك على الآداب في الصغرِ كيما تقر بهم عيناك في الكبرِ
وانما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجرِ

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغيرِ
ان الاريب اذا زلت بهِ قدم يهوي على فرش الديباج والسررِ
الناس صنفان ذو علم ومستمع واعٍ وسائرهم كاللغو والعكرِ

ولهُ في عدم طول الامل في الدنيا

تؤمل في الدنيا طويلاً ولا تدري اذا جنَّ ليلٌ هل تعيش الى الفجرِ
فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ وكم من مريض عاش دهرًا الى دهرِ
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً وقد نسجت اكفانهُ وهو لايدري

ولهُ في ذم الجهل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهلهِ واجسادهم قبل القبور قبورُ
وان امرءًا لم يحيَ بالعلم ميتٌ وليس لهُ حتى النشور نشورُ

وقال في الزهد وتذكر اهل القبور

سلامٌ على اهل القبور الدوارسِ كأنهم لم يجلسوا في المجالسِ
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ولم يأكلوا من كل رطب ويابسِ

ومن شعرهِ في الاخ الصادق

ان اخاك الصدق من كان معكْ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعكْ
ومن اذا ريب الزمان صدعكْ شتت فيهِ شملهُ ليجمعكْ

وقال في تحصيل العلم

لو كان هذا العلم يحصل بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهلُ
اجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً فندامة العقبى لمن يتكاسلُ

وكذلك قولهُ

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علمٌ وللجهال مالُ
فان المال يفنى عن قريبٍ وان العلم ليس لهُ زوالُ

واوصى باجتناب الظلم فقال

لا تظلمنَّ اذا ما كنتَ مقتدرًا فالظلم مرتعهُ يفضي الى الندمِ
تنام عينك والمظلوم منتصرٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

ولهُ في الدهر والموت

ما الدهر الاَّ يقظة ونوم وليلة بينهما ويوم

يعيش قوم ويموت قوم ُ والدهر قاضٍ ما عليهِ لوم ُ

وقال في اجتناب المعاصي

اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم
فاين القرون ومن حولهم تفانوا جميعاً وربي الحكم
وكن موسرًا شئت او معسرًا مما تقطع العيش الاَّ بهم
حلاوة دنياك مسمومة فلا تأكل الشهد الاَّ بسم
محامد دنياك مذمومة فلا تكسب الحمد الاَّ بذم
اذا تمَّ امرٌ دنا نقصهُ توقع زوالاً اذا قيل تم
وكم قدرٍ دبَّ في غفلةٍ فلم يشعر الناس حتى هجم

ومما قالهُ في حفظ الاسرار

لاتودعِ السرَّ الاَّ عند ذي كرمٍ والسر عند كرام الناس مكتومُ
والسر عنديَ في بيت لهُ غلقٌ قد ضاع مفتاحهُ والبيت مختومُ

ومما قالهُ في انتهاز الفرص

اذا هبتْ رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقةٍ سكونُ
ولا تغفل عن الاحسان فيها فلا تدري السكون متى يكونُ

ومما وصف بهِ مكارم الاخلاق معددًا

ان المكارم اخلاق مطهرة فالدين اولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم اني لا اصادقها ولست ارشد الاَّ حين اعصيها

وقال في حالتي الزمان

عجباً للزمان في حالتيهِ وبلاءٍ دفعت منهُ اليهِ
رب يوم بكيت منهُ فلما صرت في غيرهِ بكيتُ عليهِ

وقال في الاستغفار

الهي انت ذو فضل ومنٍّ واني ذو خطايا فاعف عني
وظني فيك يا ربي جميل فحقق يا الهي حسن ظني

طرابلس الشام حكمت شريف

الحرب والربيع

ومواكبٍ كالسيل او كالليل قد حشدت بسهل حوله هضبات
وكتائبٍ كبوارجٍ أعلامها شُمُّ السواري والقنا المرساة
سالت بكثرتها الاباطحُ مثلما سالت برهط حجيجها عرفات
اصواتها رعدٌ ولمعُ نصالها برقٌ وقسطلُ جوّها ظلمات
فالبرُّ بحرٌ والسرابُ عبابهُ والركب سفنٌ والربى موجات
أمستْ تغيّبها الظلامُ بجوفهِ وبدا سكونٌ ضمنهُ حركات
ألقى اللغوبُ على الصعيد هياكلاً قد كهربتها بالكرى نسمات

* * *

حتى اذا نصب الصباح عمودهُ والليل شقّت جيبهُ السمرات
والنجم أغمض للرقاد جفونهُ والشمس لاح لصرحها شرفات
صبًّا يسيل على المروج لعابها لهبًا وتلذع وجهها جمرات
والطير تهزج في ذرى ادواحها زهوًا وترقص حولها بانات
تأوي فراشًا من حرير اخضرٍ فترى شقيقًا كلهُ حدقات
سودٌ وحمرٌ مثل مسكٍ فوق يا قوت يلوح كأنهُ رايات
والريح ترشق للغدير أزاهرًا هي جوهر ومياههُ جامات
ومباسم الازهار يرشف ثغرها قطر الغمام كأنهُ درّات

* * *

هوّت الرجال على الرجال كأنهم قلل الجبال متونها الصهوات
وتعانقت فوق السواعد بيضهم تحت الغبار كأنها غادات
وترنحت سمر القنا نشوانةً بدم الطلى فتزحزحت هامات
وتطايرت نحو الفضاء كأنها شهب وضوضاء الوغى صعقات
وتبعثرت فوق الوهاد فرائسٌ علقت عليها أنسر وبزاة

* * *

فالاسد تولم والجوارح تغتذي والارض تحيي والورى اموات
والجوّ يسعر والصواب مهيمنٌ والجند تسهر والملوك غفاة

والعقل يبكي والطبيعة ثاكلٌ والدهر يضحك والردى شمَّاتُ
سبحان من تخذ العوالم مصحفاً فيهِ لكلّ غريبة آياتُ

دمشق في ١ ابريل سنة ١٩٠٥ "سليم عنحوري"

فرسان مار يوحنا

من مقالة للدكتور يوحنا ورتبات نشرت في مجلة "الكلام الصالح" الانكليزية

ذات يوم من ايام سنة ١٨٧٧ قدم المستشفى البروسياني في بيروت الذي انشأهُ فرسان مار يوحنا رجل يبلغ الستين من العمر حسن الطلعة رث اللباس مصاب بالكتركتا في عينيهِ فطلب ان يقبل في المستشفى صدقةً لوجه الله فقبل فيهِ . ولما سئل عن اسمهِ قال انهُ الامير زكريا الايوبي . فعرتني الدهشة لما سمعت اسمهُ وعلمت انهُ امير من العائلة الايوبية وسليل السلطان صلاح الدين الايوبي المشهور وقد حملهُ مرض عينيهِ على الالتجاء الى اقوام بينهم وبين اسلافهِ وقائع مشهورة . وعاد بي الخيال الى زمن زعموا فيهِ ان صلاح الدين جاء القدس متنكراً بزي شحاذٍ ليرى بالخُبر ما سمعهُ بالخَبَر عن مبرات فرسان مار يوحنا واحسانهم

اما تاريخ اولئك الفرسان فيبتدئ سنة ١٠٢٣ مسيحية اي قبل الحرب الصليبية الاولى بنحو ٧٠ سنة وذلك ان جماعة من التجار المسيحيين من مملكة نابلي استأذنوا صاحب مصر في اقامة ملجإٍ للحجاج الفقراء والمرضى في القدس فأذن لهم في ذلك فبنوا ملجأين قريبين من بيت المقدس احدهما للرجال والآخر للنساء وسمّوا الاول باسم مار يوحنا والثاني باسم مريم المجدلية وانتشر ذكرهما في جميع اوربا فتطوَّع للخدمة فيهما كثير من الاشراف رجالاً ونساءً ووقفوا العمر عليهما . وبنيت لهما فروع في بعض الثغور الاوربية

وسنة ١٠٩٩ وقعت القدس في ايدي الصليبيين . وكان اول ما فعلهُ جودفري دي بويلون قائد جنودهم بعد ذلك الانتصار انهُ عاد الجرحى الذين أُخذوا الى ملجإ مار يوحنا فأثَّر في نفسهِ ما رآهُ من حسن معاملتهم وإنكار الممرضين لانفسهم فوقف على الملجإ اراضي واسعة وحذا حذوهُ كثيرون من اتباعهِ الاشراف والاعيان

وكان رئيس الملجإ رجل اسمهُ جيرار فلما توفي خلفهُ رايمون ديبوي فغير في قانون اصحابهِ وزاد على واجباتهم الاصلية فسمَّاهم جنود الصليب ثم سموا فرسان مار يوحنا الاورشليمي وثبتوا بمنشورات بابوية . ونذروا على انفسهم الفقر والعفة والطاعة واتخذوا شعاراً لهم رداء اسود على

الكتف اليسرى منهُ صليب ابيض . وقسموا ثلاثة اقسام وهي الفرسان والقسس والاخوة المرضون وعليهم رئيس اعظم ثم عينت درجات متفاوتة للضباط والموظفين . وكان الفرسان ينتخبون دائماً من الاعيان ووظيفتهم الخصوصية حربية وكان اعظم جرم يرتكبهُ الفارس اظهار الجبانة في لقاء الاعداء وعقابهُ نزع الحلة عنهُ وطردهُ من مصاف الفرسان

وحاصر التركمان مدينة انطاكية فاشترك هؤلاء الفرسان في الدفاع عنها وكانت لهم اليد الطولى في صدّ المحاصرين عن اسوارها . وما زالوا منذ ذلك الحين في مقدمة الجيوش الصليبية عند نشوب الحروب بينها وبين العرب فطبق صيتهم الآفاق ونظمت القصائد والاغاني في مدحهم واطراء اعمالهم وكانت تتلى في قصور اشراف اوربا على مسمع من ابناء الاشراف والاعيان فتدبُّ الحمية في صدورهم ويدخلون في مصاف الفرسان افواجاً . وانهالت الاموال على خزائنهم وأُنشئت طريقة اخرى على مثالهم سنة ١١٢٨ سميت طريقة الفرسان الهيكليين وكان شعارهم رداء ابيض عليهِ صليب احمر . فتناظرت الطريقتان في بادىء الامر تناظراً حبيًّا . ثم تبدّل ذلك التناظر الحبي حسداً يتلهب في صدور الرجال ويحول دون فوزهم في ميادين النزال . واتُّهم الهيكليون بالهرطقة فاضطهدهم رجال الدين والغوا طريقتهم سنة ١٣١٤ فورث فرسان مار يوحنا كثيراً من املاكهم

وكانت نتيجة الحرب الصليبية الاولى ان امتلك الافرنج جميع البلاد بين انطاكية شمالاً وغزة جنوباً وفي جملتها طرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكاء ويافا وعسقلان اي فينيقية القديمة والارض المقدسة وبعض القلاع والحصون شرقيّ الاردن. وكان يحيط بتلك المملكة المسيحية اعداء الداء اقربهم اليها واشدّهم عداء لها صاحب مصر والملك نور الدين السلجوقي صاحب دمشق الشام . وتعددت الوقائع بينهما وبينها حتى كاد اهلها يفنون فاستنصرت ممالك اوربا فأرسلت لنصرتها حملة جديدة يقال ان عدد رجالها بلغ ٧٠ الف فارس ونحو نصف مليون راجل ولكن لم يبلغ الارض المقدسة منهم سوى جيش قليل لان معظمهم مات بين القسطنطينية وسورية تعباً وجوعاً وقتلاً بايدي الاتراك الذين كانوا ينزلون عليهم من جبال اسيا الصغرى ويقاتلونهم . وبلغ الباقون القدس سنة ١١٤٩ فأعانوا المسيحيين الذين فيها على صدّ غارات اعدائهم

وفي تلك الاثناء ظهر صلاح الدين وهو من اصل كرديّ وابوهُ واسمهُ ايوب من بلاد فارس نخرج منها الى بغداد فرأى فيهِ مجاهد الدين بن عبد الله الغياثي عقلاً ورأياً فجعلهُ حافظاً لقلعة تكريت على دجلة سنة ١١٣٧ ثم جعل حافظاً لقلعة بعلبك وولد صلاح الدين

ليلة خروج ابيهِ من تكريت . وربي عند عمهِ شيركوه وتعلم منهُ فنون الحرب . ولما بلغ التاسعة والعشرين من سنهِ حاصر الافرنج الاسكندرية فردَّهم عنها خائبين وطردهم من مصر كلها . ثم مات عمهُ فتولى قيادة الجيش مكانهُ وسمي اميرًا . ولم يكن الاَّ القليل حتى مات الخليفة في مصر وابنهُ فخلفهُ صلاح الدين وسمى نفسهُ سلطانًا . فاستتبَّ لهُ الامر فيها ولكن دمشق وحلب والموصل وما يتبعها كانت لا تزال تحت حكم اعقاب الامير الذي انشأ صلاح الدين في جيشهِ . وكان الصليبيون لا يزالون في البلاد التي حكمها المسلمون نحو اربعة قرون . فخطر لصلاح الدين ان السبيل الوحيد الى قهرهم واسترجاع بيت المقدس منهم ان يستولي على العراق وسورية كليهما ويصبح وليَّ الامر والنهي فيهما . فأخذ دمشق فحمص فحماة فالموصل ودانت لهُ البلاد كلها من بغداد الى مصر

وزحف للقاء الافرنج فجرت بينهُ وبينهم المعركة الاولى سنة ١١٧٨ بين عسقلان والرملة فكُسر شرَّ كسرة وكتب الى اخيهِ يقول " لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما انجانا الله سبحانهُ منهُ الاَّ لامر يريدهُ " وبعد تسع سنوات جرت معركة حطين المشهورة قرب طبرية فدارت الدائرة فيها على الافرنج . ولم ينجُ منهم سوى الف نفس وامر صلاح الدين بمجيء اليهِ بالفرسان الذين لم يقتلوا في المعركة فعرض عليهم الاسلام فأبوا فقتلهم كلهم . قال احد مؤرخي العرب في وصف الواقعة " فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحدًا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احدًا "

وتلا ذلك تسليم القدس بعد ما بقيت في ايدي الافرنج ٨٨ سنة فصادر صلاح الدين املاك الفرسان وجعلها وقفًا للمسلمين

واما الحرب الصليبية الثالثة فكانت بقيادة ثلاثة ملوك — الامبراطور فردريك بربروسا الالماني والملك فيليب الفرنسوي والملك رتشرد الاول الانكليزي الملقب بقلب الاسد . اما الامبراطور فردريك فسار في الطريق التي سار رجال الحملة الاولى والثانية فيها فكاد جيشهُ يبيد عن آخرهِ وغرق هو في نهر من انهار اسيا الصغرى . واما فيليب ورتشرد فركبا البحر وسار فيليب توًّا الى فلسطين ولكن رتشرد عرَّج على قبرس لان بعض سفنهِ جنح على سواحلها . فعامل ملك قبرس نوتيتهُ اسوأ معاملة فلما بلغ رتشرد مدينة ليماسول ارادت الجنود القبرسية منعهُ من النزول الى البرّ فوثب من قاربهِ هو وبعض رجالهِ وفتح لنفسهِ طريقًا ففرَّ الجنود هاربين واستولى رتشرد ورجالهُ على المدينة وخلع الملك وعين لها حكامًا من رجالهِ بدلاً منهُ ثم أقلع ليلتحق بالجيوش الصليبية عند عكاء وكان فيها حامية

قوية من المسلمين . وكان الافرنج قد حاصروها نحو سنتين بقيادة ملك القدس والملك فيليب وكرنارد دي مونسرّا واستولوا على سهل عكاء وكان صلاح الدين نازلاً في التلال المجاورة لها بجيش كثيف . فجرت بين الفريقين تسع معارك شديدة لم تنجلِ عن فوز فريق منهما . فلما وصل رتشرد دبت الحمية في صدور الافرنج فهاجموا المدينة واستولوا عليها وكان رتشرد يقود جنوده وهو مريض

وأقام رتشرد سنة وثلاثة اشهر في فلسطين فذاع صيتهُ فيها وملأت رهبتهُ قلوب اهلها كما ذاع صيت صلاح الدين في اوربا وارتعدت فرائص سكانها من ذكره . ويؤخذ مما رواهُ مؤرخو تلك الايام ان تنافس الملكين وعداءهما انقلبا صداقة واعجاباً فقد زعموا انهُ لما مرض قلب الاسد امام اسوار عكاء أرسل صلاح الدين اليهِ هدية من الثلج والاثمار وغيرهما وارسل اليهِ مرة اخرى جوادين من كرائم الخيل . وانهُ كان في النية تزويج اخت رتشرد لاخي صلاح الدين ولكنهم عادوا فعدلوا عن ذلك لان رتشرد اشترط عليهِ ان يتنصر

وفي سنة ١١٩٢ سافر رتشرد من فلسطين ومات صلاح الدين في السنة التالية لها في دمشق الشام وعمره ٥٥ سنة

اما ما جرى لفرسان مار يوحنا فانهم تحملوا من فلسطين الى قبرس واقاموا في مدينة لماسول فعظمت سلطتهم البحرية وامنوا الحجاج على ارواحهم والتجار على بضائعهم ثم استولوا على رودس فبقيت في ايديهم نحو قرنين ولما اخذ الاتراك القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ارسل السلطان دبارة تقل ٧٠ الفاً من الجنود لمحاصرة رودس فثبت الفرسان على الحصر شهرين ثم غلبوا الاتراك وردوهم على الاعقاب . واعاد السلطان سليمان الكرة عليهم سنة ١٥٢٢ فجهز اسطولاً يقل مئتي الف جندي وارسلهُ لقتالهم فأقام عليهم خمسة اشهر أبدى الفرسان فيها من الاستبسال والاستقتال ما يفوق الوصف ثم سلموا على ان يسمح لهم بمغادرة الجزيرة في سفنهم ويأخذوا معهم كل من يريد مرافقتهم من اهلها . فأقلعوا منها ومعهم اربعة آلاف نفس ونزلوا في مالطة وكان الملك شارل الخامس قد وهبهم اياها اعجاباً ببسالتهم وتعويضاً عما فقدوهُ في حربهم ولانهُ كان يخشى الاتراك فأراد ان تكون الجزيرة حاجزاً حصيناً بينهم وبينهُ فيما لو شنوا الغارة عليهِ . فجعل الفرسان يحصنونها ويرممون اسطولهم حتى اذا كانت سنة ١٥٦٥ جهز الاتراك حملة عليها من ٤٠ الف مقاتل بقيادة مصطفى باشا . وكان عدد الفرسان ٤٧٤ فارساً معهم ٩٠٠٠ مقاتل . وبعد حصار ثلاثة اشهر لم يبقَ فيها من المقاتلة سوى ٦٠٠ نفس لكن جاءتهم نجدة عشرة آلاف مقاتل بقيادة ٣٠٠ فارس فهزموا الاتراك وردوهم الى سفنهم

وبقي الفرسان في مالطة نحو قرنين ونصف الى حين استيلاء الجمهورية الفرنسوية عليها سنة ١٧٩٨ فطردوا منها ومن ثمَّ ضاع استقلالهم وانحلت عرى طريقتهم وصارت القابهم اسمية . ولهم الآن ضابط شرف بمدينة البابا لهم

وكان الفرسان يقسمون الى سبعة فروع منهم الفرع الالماني واسمهُ براندنبرج . فلما جاء الاصلاح بات اسماً بلا مسمَّى . الاَّ ان الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا اعادهُ وعين اخاهُ البرنس تشارلس استاذاً اعظم لهُ . والاستاذ الحالي البرنس البرخت ابن اخي الامبراطور وليم الاول . والفرسان ينتخبون من ابناء الاعيان وكلٌّ منهم يتبرع بنحو ٤ جنيهاً كلَّ سنة وينفقون المال الذي يجتمع على اقامة المستشفيات حتى صار منها الآن ٤٠ مستشفى في المانيا تسع ١٧٨٧ مريضاً . ومستشفاهم في بيروت فيه ٦٣ سريراً أُنشئ سنة ١٨٦٠ بعد مذابح دمشق ولبنان المشهورة ولهم مضيف في القدس يأوي اليهِ السياح ويدفعون اجرة معتدلة ويقيم فيهِ الفقراء مجاناً مدة اسبوعين

وبعد موت صلاح الدين قسمت البلاد التي استولى عليها بسيفهِ بين ابنائهِ وغيرهم من ورثائهِ ولكنهم ورثوا بلادهُ ولم يرثوا عقلهُ ورأيهُ فلما طغى سيل المغول سنة ١٢٦٠ غمرهم فامحى اثرهم

اما ضيفنا الامير زكريا فانهُ اقام في المستشفى ريثما عاد اليهِ بعض بصرهِ فقفل راجعاً الى موطنهِ . فارسلت الى اعضاء الطريقة في برلين اخبرهم بامرهِ فطلبوا مني ان استقصي عنهُ وعن تاريخ سلالة صلاح الدين ففعلت واتضح لي بالبحث والاستعلام من قائم مقام المقاطعة التي يقطنها الامير زكريا قرب طرابلس الشام انهُ ايوبي وان قسماً من عائلتهِ كان يمتلك اقطاعات قرب طرابلس في سالف الزمن فلا بدَّ ان يكون الامير زكريا احد اعضائها . ثم ان رجال الحكومة العثمانية والاهالي يعترفون لهم بلقب الامير ويخاطبونهم بهِ وعدتهم الآن نحو ٣٠٠ نفس يسكنون ثلاث قرى وكلهم فقراء يعيشون من كدِّ ذراعهم وعرق جبينهم مثل سائر الفلاحين ما عدا ثلاثة رجال منهم احدهم مدير مديرية وقد لقيتهُ وحدثتهُ بما كان لجدهم صلاح الدين من الحول والطول والعزة الشامخة فلم يحفل بذلك. فسألتهُ ما اذا كانوا يتزوجون من غير عائلتهم فاجاب انهم صاروا يزاوجون العائلات الاخرى منذ عهد قريب . واخبرني سرًّا انهُ تزوج امرأة مسيحية

هذا ولا يزال فرسان مار يوحنا زهرة اوربا ونخبة اشرافها وسلالة السلطان صلاح الدين فقراء مدقعون . وقد علمت عن ثقة ان بعضهم من اللصوص وقطاع الطرق

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اصلح الطعام

اشرنا في الجزء الثالث الى الجداول التي وضعها الدكتور بويد لينرد في ما سماهُ بخريطة الحياة وضمنها خلاصة بحثهِ وبحث غيرهِ عن الاطعمة المختلفة ومقدار ما فيها من الغذاء وفائدتها للذين يأكلونها على اختلاف امزجتهم . وقد كتبنا اليهِ نستأذنهُ في نشر بعض ما جاء في هذه الجداول فاذن لنا في ذلك . وها نحن موردون الآن الاطعمة التي وجد انها اصلح من غيرها لكل فريق من الناس

طعام الانسان الاعتيادي الصحيح الجسم

لحم الضان — لحم الضان اجود اللحوم ويصلح لكل الناس تقريباً وهو اسهل هضماً من لحم البقر ولكنهُ لا يقوي الجسم مثلهُ . ويجب الاعتماد عليهِ اكثر من الاعتماد على غيرهِ من اللحوم . وفي كل رطل من لحم الضان الجيد نحو خمس اواقي من الغذاء . والدهن لازم كالهبر ولا سيما في فصل الشتاء لانهُ يعطي الجسم ما يلزمهُ من الحرارة والقوة ويعين على هضم الاطعمة الاخرى

لحم البقر — لحم البقر يقوي الجسم اكثر من لحم الضأن ولو لم يكن اكثر غذاء ولكن لا يحسن الاكثار منهُ يوماً بعد يوم فاذا اكل الانسان من لحم الضأن ثلاث مرات وجب ان لا يأكل من لحم البقر الا مرة واحدة . وفي الرطل من لحم البقر نحو اربع اواقي من الغذاء . ولحم العجل اقل غذاء من لحم الثور في الرطل منهُ ثلاث اواقي من الغذاء ولحم الثور اسهل هضماً من لحم العجل خلافاً لما هو شائع فلا وجه لجعل ثمن لحم العجل اغلى من ثمن لحم الثور ولاسيما اذا كان الثور سميناً والرطل المذكور هنا ١٦ اوقية

لحم الدجاج — سهل الهضم ولكنهُ لا يقوي الجسم وهو اجود من لحم الحمام

لحم الديك الرومي — يقوي الجسم اكثر من لحم الدجاج ولحم الحمام واسهل هضماً من لحم الوز والبط ولو كان اقل منهما غذاء

اللبن — اللبن غذاء تام لان فيهِ كل عناصر الغذاء اللازمة للجسم ولاسيما للصغار . والاكثار منهُ يلين الطبع ويسهل الخلق

البيض — البيض كثير الغذاء جدًّا والغذاء في ما ثقلهُ اوقية من البيض قدر ما في اوقية من اللحم

الزبدة — اسهل المواد الدهنية هضمًا وهي تولد الحرارة والقوة في الجسم . ويفضل الاكثار منها في الشتاء . وفي كل ١٦ اوقية من الزبدة ١٣ اوقية وعشرة دراهم من الغذاء

الجبن — الجبن عسر الهضم ولكن القليل منهُ يساعد على هضم غيره من الاطعمة . ولا يحسن الاكثار من اكل الجبن مطلقًا . واذا شوي حتى يلين زاد عسر هضمهِ

المحار — كثير الغذاء سهل الهضم ويجب ان يؤكل نيئًا لانهُ اذا شوي عسر هضمهُ

السمك — المدهن منهُ كثير الغذاء ولكنهُ عسر الهضم وغير المدهن سهل الهضم ولكنهُ قليل الغذاء

السرطان — عسر الهضم وقد يكون مضرًّا والاولى تجنبهُ

الانكليس — كثير الدهن جدًّا فلا يناسب الذين معدهم ضعيفة

الخردل — ينبه المعدة ويساعد الهضم ولكن لا بدَّ من استعمالهِ بالاعتدال التام

الفلفل — من احسن التوابل ولكن لا يحسن ان يضاف الاَّ الى الاطعمة العسرة الهضم

المخللات — يجب الاعتدال فيها والاَّ افسدت الدم واتلفت الاسنان . والبصل المخلل انفع المخللات كلها

الخل — القليل منهُ ينبه المعدة ويقوي الهضم ولكن الاكثار منهُ يسبب فقر الدم

الزيت في السلطة — زيت الزيتون اسهل المواد الزيتية والدهنية هضمًا بعد الزبدة واذا أُضيف الى السلطة منع الاختمار وتولُّد الغازات

المليون — مدرٌّ للبول جدًّا فيجب الاعتدال في اكلهِ وهو سهل الهضم ولكن مقدار الغذاء فيهِ قليل جدًّا في الرطل منهُ اوقية واحدة من الغذاء

الفول — كثير الغذاء ولكن عسر الهضم نوعًا فيجب الاعتدال في اكلهِ

البنجر — فيهِ كثير من السكر وهو اخضر قبلما يطبخ فاذا طبخ فقد كثيرًا من سكرهِ ولا يفيد الاَّ اذا اكل مع غيرهِ من الخضر

الرضاعة

لا بدَّ للام التي تريد ارضاع طفلها من ان تكرس معظم وقتها لهُ حتى يبلغ عمرهُ تسعة اشهر الى سنة والامُّ التي تستطيع ارضاع طفلها ولا تفعل انما يعوزها روح الامومة فكما ان

الطبيعة جهزت للجنين غذاءهُ بواسطة امهِ كذلك جهزت لهُ غذاءهُ فيها بعد ولادتهِ حتى يبدأ طور التسنين . والارضاع يحسن صحة المرضع اذا لم تثقلها مهام اخرى بيتية . ولكن اشغالها وقت الرضاع مما يروّض جسمها ولا ينهكهُ فان الرياضة لازمة لها في مدة الرضاع كما انها لازمة لها ولجنينها مدة الحمل

هذا وان حاجة الطفل الى الطعام اشدّ منها الى غيرهِ من الحاجيات ماعدا الهواء النقي فلذلك ينقاد بالغريزة الى طلب الطعام دائماً ولكن معدتهُ لا تسع الاّ القليل منهُ . فاذا كانت امهُ تستطيع ان تقدم لهُ ما يلزمهُ من اللبن فمن الجهل ادخال شيء آخر الى معدتهِ قبل ان يكمل نموها

واوقات ارضاع الطفل تتوقف على كمية اللبن الذي يتناولهُ ونوعهِ . ففي الثلاثة الاشهر الاولى من ولادتهِ يجب ان لا يرضع اكثر من مرة واحدة في كل ساعة ونصف مدة النهار اذا كان اللبن كثير السيولة وفي كل ساعتين اذا كان اللبن قليل السيولة . اما في الليل فان ارضاعهُ ثلاث مرات او اربعاً كافٍ لهُ . ومتى بلغ عمرهُ خمسة اسابيع او ستة يجب ان تطال الفترة بين المرة والاخرى ليلاً لكي لا تزعج المرضع في نومها

ومتى صار عمرهُ ٣ اشهر فليرضع مرة كل ثلاث ساعات لان معدتهُ تكون قد كبرت حتى تسع من اللبن ما يكفيهِ تلك المدة . ولا شيء يزعج هضم الطفل مثل عدم الانتظام في الرضاعة والافراط فيها . وبعض الامهات يرضعن اطفالهنَّ عند كل حادث يطرأ عليهم وهذا خطأٌ اذ يجب ان يكون ارضاع الطفل منتظماً فاذا بكى فأُرضع كفايتهُ ولم ينكفَّ عن البكاء دلَّ ذلك على ان بكاءهُ ليس ناشئاً عن الجوع بل عن سبب آخر مثل تحميل المعدة فوق طاقتها فاذا أُرضع وهو على تلك الحال زاد انزعاجهُ وزاد بكاؤُهُ وكثيراً ما يزول ذلك بتقيوءهِ فينام مستريحاً

واذا كانت صحة الطفل جيدة ولبن امهِ طبق المرام نام بعد الرضاع نوماً هادئاً . فاذا لم ينم بل اشتدَّ بهِ القلق او البكاء دلَّ ذلك غالباً على ان الام اكلت ما اثر في لبنها فاثر في طفلها . واكلها للاثمار الخضراء غير الناضجة قد يحدث مغصاً في طفلها فلتنتبه

ولمنع الطفل من تحميل معدتهِ فوق طاقتها يجب اخراج بعض ما في الثدي من اللبن قبل ارضاعهِ . وان يتناول ثدياً واحداً كلَّ مرة ولكنهُ اذا كان ضعيفاً فليرضع قليلاً من الثدي الواحد ثم من الثدي الآخر لان اللبن الذي يرضع اولاً من الثدي اكثر غذاء مما يرضع آخراً

وكلما تقدم الطفل في السن يصبح اكثر احتياجاً الى الطعام حتى يصير لبن الثديين معاً ليس كثيراً عليهِ في كل رضاع ولكن يجب اطالة الفترة بين رضاع ورضاع

والحامل والمرضع اكثر النساء حاجة الى الرياضة . ولكن خروج المرضع للنزهة وقت نوم طفلها ولكن لتحذر ان تتركهُ وحدهُ خشية ان يطرأ عليهِ طارئ . يحكى ان امرأة ارضعت طفلها حتى نام فالقتهُ على ظهرهِ وخرجت وغابت طويلاً فلما عادت وجدتهُ ميتاً فانهُ تقيأ بعض اللبن الذي رضعهُ ولم يستطع قذفهُ من فيهِ ولا بلعهُ فاختنق . وعليهِ يجب اضجاع الطفل على جنبهِ عند نومهِ وقلبهِ من جنب الى جنب فان ذلك يطيل نومهُ اذا ظهرت عليهِ دلائل الاستيقاظ

تأثير الطعام والشراب في اللبن

قال احد الاطباء "كل فسيولوجي يعلم ان نوع طعام المرأة وكميتهُ يؤثران في لبنها . فان الافراط في الطعام او التفريط فيهِ واكل الاطعمة المتبهة والعسرة الهضم وشرب المشروبات الروحية كلها تؤثر في افراز اللبن وتجعل اللبن غير صالح لتغذية الطفل الذي يشربهُ لانهُ يهيج معدتهُ فتظهر عليهِ جميع اعراض سوء الهضم"

ويظن البعض انهُ مهما يكن نوع الطعام الذي تأكلهُ المرضع وكميتهُ فلا ضرر منهُ . ولكن لما كان اللبن مستخرجاً من الدم والدم من الطعام والشراب فان انواع الطعام وكمياتهِ المختلفة تؤثر تأثيراً مختلفاً في الدم وبالتالي في اللبن . مثال ذلك ان لبن البقر لذيذ طيب الطعم اذا اقتصرت البقر على اكل العشب والحبوب والتبن وشرب الماء العذب ولكنهُ يصير كريه الطعم اذا اكلت بصلاً ولفتاً وما اشبه من المواد

وكثيراً ما تشرب المرضع بعض الخمور ليغزر لبنها فيغزر ولكنهُ يكون ادنى نوعاً من اللبن الطبيعي ويضر الطفل. قال الدكتور تراسي في كلامهِ على الامراض الجلدية في الاطفال "من شر الحوادث التي رأيتها وعالجتها ان اماً كانت تكثر من شرب بعض انواع الخمور وهي ترضع طفلها فنما سريعاً وسمن جداً ولكن لا اراني الله مرة أخرى ما رأيتهُ فيهِ بعد ذلك"

ولتجتنب الادوية ما امكن مدة طور الرضاع . فقد يتفق احياناً كثيرة ان الام تأخذ مسهلاً فلا يؤثر بها بل يؤثر في طفلها . قال الدكتور بنكوست "انهم وجدوا آثار الادوية وانواع الطعام المختلفة في اللبن بعد دخولها الى المعدة بدقائق قليلة مثل المواد الملونة والأيتنينا والثوم ونترات البوتاس وغيرها من الاملاح . وقد حدث مراراً كثيرة ان الأم تناولت جرعة كبيرة من الادوية فأثرت في الطفل وامانتهُ"

وخير ما تتناوله المرضع ضدّ القبض أكل الخبز الاسمر بدلاً من الابيض والتين والاجاص والراوند

تأثير الانفعالات العقلية في المرضع

قال السر اشلي كوبر " ان حالة المرضع العقلية تؤثر في رضيعها . فاذا كانت رضية الخلق كان لبنها غزيراً ملائماً لطفلها والاّ فاذا كانت نزقة الطبع شكسة الخلق قلت كية اللبن وزادت سيولتهُ وسبب الحميات المعوية والمغص للرضيع . فاذا غضبت صار لبنها مهيجاً لامعاء طفلها ونشأ عن ذلك المغص واخضرّ البراز . واذا حزنت قلّ افراز لبنها حتى تضطر الى استعمال الرضاعة الصناعية . واذا قلق بالها وكثرت همومها قلت كية لبنها وتغيرت صفتهُ . واذا خافت قل افرازهُ ايضاً . ومن الامور المعروفة عند الاطباء ان خوف المرأة التي لها زوج سكير من مجيئهِ الى البيت سكران ومعاملتهِ اياها معاملة سيئة يوقف افراز لبنها مدة . يحكى ان رجلاً استأجر مرضعاً لارضاع طفلهِ وكان بيتها بعيداً عن بيتهِ فركبت المركبة صباحاً واللبن في ثدييها غزير وفي اثناء الطريق جمحت الخيل واشرفت المركبة على السقوط ثم زال الخطر ووصلت سالمة فاذا ثديا المرضع ولا لبن فيهما . فاستعملوا لها جميع الوسائط الممكنة فلم يجدِ ذلك نفعاً

ويحكى عن اخرى غزيرة اللبن جيدة الصحة كانت راكبة مركبة فانقلبت بها فجفّ ثدياها حتى اضطرت ان تفطم طفلها "

وروى الدكتور كوان " ان امرأة تخاصمت هي وجارة لها ثم ارضعت طفلها على الاثر فانتابتهُ نوب شديدة كادت تودي بهِ . ولو مات ما كان ثمة داعٍ يدعو الى العجب فان الرجال قد تموت من شدة الغضب "

وروى الدكتور سيجوين ان امرأة خرجت من المرقص وارضعت طفلها وكان سليماً معافى فاصيب بعد ذلك بساعتين بنوب عصبية شديدة ونشأ أبله تنتابهُ نوب الصرع

وقال احد مشاهير الاطباء " نصيحتي للامهات كانت دائماً ألاّ يرضعن اطفالهنّ وهنّ منفعلات ولاسيما اذا كنّ قد فقدن اطفالاً في الرضاعة . فقد اثبت لي الاختبار ان من اعظم الاسباب في زيادة موت الاطفال دون السنتين من العمر شدة انفعال امهاتهم "

واذا كانت المرضع تعمل عملاً شاقاً فلتسترح قبل ميعاد ارضاع طفلها . والعمل الشاق مثل الغسل والعجن والكنس وكثرة المشي وركوب الخيل

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

العربية وطريقة جديدة لتعلمها

حضرة استاذيَّ محرري المقتطف الاغر

قرأت في مقتطف نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤ مقالة "العربية وتسهيل قواعدها" لحضرة جرجس افندي الخوري فجدَّدت فيَّ ما دار في خاطري قبل سنين من ايجاد طريقة للتعليم تسهل بها قراءة العربية على ما يأتي

اهم ما يلزم لتعلم العربية معرفة الاعراب الذي أُلّف من اجلهِ حتى الآن الوف من الكتب حذا الواحد منها حذو الآخر ولم يضف مؤلفوها الاَّ ما زاد وعورة الطريق فاقتضى عبورها اضاعة الزمان الذي يمكن ان يكتسب فيهِ جملة من العلوم الحديثة مما لا بدَّ منهُ لارتقاء الامة

الكلام العربي قسمان كبيران احدهما مالا يتغير آخرهُ وأُسميهِ الثابت والثاني ما يتغير آخرهُ وأُسميهِ المتغير. والثابت اما ثابت بنفسهِ او ثابت بغيرهِ الاول كالحروف واكثر الافعال والاسماء المبنية والاسماء التي اعرابها تقديري. والثاني كالاسماء الواقعة بعد حروف الجر ظاهرة او مقدرة كما في انواع الاضافة فانها تلزم حالة واحدة هي الجر ما اتصل بها حرف الجر وكالاسماء الواقعة بعد انَّ واخواتها فانها تلزم حالة النصب وكالافعال الواقعة بعد الجوازم فانها تلزم حالة السكون ان كانت صحيحة الآخر والحذف ان كانت معتلَّة وكالافعال الواقعة بعد النواصب فانها تلزم حالة النصب

والثابت بذاتهِ اما ثابت في جميع الاحوال كالحروف واكثر الافعال وبعض الاسماء او ثابت في حالتين فقط النصب والجر كالمثنى والجمع المذكر السالم فانهما يلزمان الياء فيهما وكالجمع المؤنث السالم فانهُ يلزم الكسر في الحالتين وكغير المنصرف فانهُ يلزم فيهما الفتح

واما المتغير فهو اما عمدة في الكلام لا يتمُّ الاَّ بهِ وكلهُ مرفوع او فضلة يتم دونهُ الكلام وكلهُ منصوب ولا يستثنى من ذلك خبر الافعال الناقصة فانهُ في حكم الفضلة لانهُ بمثابة المفعول كما ان اسمها بمثابة الفاعل ومثلهُ خبر ما ولا المشبهتين بليس فانهما في حكم ليس وخبرهما في حكم المفعول. وكذلك المنادى النكرة او المضاف والمشبه بهِ فانهُ في حكم المفعول فهو فضلة ينصبُ

نعم يجد المتعلم صعوبة في تطبيق ما مضى على حالة المستثنى بالاَّ والمشتغل عنهُ ولكن ذلك يمكن تسهيلهُ بارجاعهِ الى القواعد السالفة

فالمستثنى بالاَّ اذا ذكر المستثنى منهُ وكان الكلام موجباً كان فضلةً فيحتم نصبهُ واذا ذكر وكان الكلام غير موجب ترجح اعراب المستثنى اعراب المستثنى منهُ نحو ما جاء احد الاَّ اخوك وهو بمعنى جاء اخوك وحدهُ فهو عمدة وان لم يذكر المستثنى منهُ اعرب المستثنى بما يستحقهُ من الاعراب نحو ما جاء الاَّ زيد فزيد عمدة يرفع

والمشتغل عنهُ ان كان واقعاً في مظان الرفع كان عمدة يرفع كما اذا وقع بعد اذا الفجائية او وقع قبل ما لهُ صدر الكلام والاَّ ينصب كغيرهِ لكونهِ فضلة

ولا يخفى ان الرفع والنصب والجر اما ان تكون بحركات قصيرة هي الضم والفتح والكسر العادي او بحركات طويلة هي الواو والالف والياء كما في الاسماء الستة اذا اضيفت الى غير ياء المتكلم وكما في المثنى والجمع المذكر السالم . اما المثنى فبدلت ضمتهُ المطولة في حالة الرفع بالف لئلا يلتبس بالجمع وفتحتهُ المطولة بياء وكان من حقها ان تكون الفاً لئلا يلتبس بحالة الرفع وكسرتهُ المطولة بقيت على حالها ياء ولكن سبقتها فتحة لئلا يلتبس بالجمع . اما الجمع المذكر السالم فرفعهُ بضمة مطولة هي الواو وجرهُ بكسرة مطولة هي الياء ولكن نصبهُ لم يكن بالالف كما هو حقهُ لئلا يلتبس بالمثنى . ومهما يكن السبب فانا عددنا المثنى والجمع المذكر السالم من قسم الثابت في حالتي النصب والجر رعايةً لظاهرهما وتسهيلاً للمتعلم

لو الفت رسالة مبنية على هذه الاصول البسيطة وأُتي بامثلة سهلة لكلِّ اصل ومرن المتعلم تمام التمرين كأَن يعطى كل يوم صحيفة عربية يقرأها وكلما اخطأَ في لفظ كلمة ينبهُ اليهِ ويذكر بالقاعدة التي تطبق حالة الكلمة عليها ويكرر عليهِ ذلك اسابيع وشهوراً لكانت اغلاط هذا النحوي الجديد تقل شيئاً فشيئاً حتى يصل الى ان يقرأ العبارات كما يقرأها النحوي القديم مع قلة ما يلزمهُ من الزمان فيوفر بذلك وقتاً يقضيهِ في ما هو اهم لهُ من هذا لمعاشهِ

بغداد احد قراء المقتطف

ج . . .

ثبوت الارض

حضرات الافاضل منشئي المقتطف المحترمين

لا شك لا بل المثبت ان علماء عصرنا الفلكيين قد اجمعوا على ان الكرة الارضية كدولاب تدور برحاها اي غير ثابتة وان الشمس والقمر هما الثابتان وقد رسخ هذا الاعتقاد في نفوس اهل العصر الاَّ افراداً قليلين يضادون هذا الزعم حسب ما توحي اليهم الكتب الدينية نظير التوراة المنزلة على انبيائنا الاولين اي ان الارض ثابتة والشمس والقمر غير ثابتين ومن حيث انني انا الضعيف من جملة هؤلاء الافراد المضادين لاعتقاد علماء الفلك الحديثين وان كنت لست عالماً ولا اعرف بعلم الفلك ولكن ارجو ممن يدعي ثبوت الشمس والقمر ودوران الارض ان يجاوبني على هذين السؤالين وهما

قد جاء في التوراة بالمجلد الاول من العهد القديم وهو لما كان يشوع بن نون يحارب سكان مدينة اريحا بارض الميعاد اي بعد سيدنا موسى بايام قليلة لما قرب ان يداهمهُ الليل قبل ان يتغلب على اعدائهِ تمام الغلبة أمر اذ ذاك الشمس بالوقوف هي والقمر قائلاً قفي يا شمس على جبعون و يا قمر اثبت على وادي أيالون . فاذا كانت الارض تدور فلماذا لم يأمرها بالوقوف دون ان يأمر الشمس والقمر الثابتين على زعمكم . ثم ايضاً قد جاء في اقوال سيدنا سليمان الحكيم في سفر الجامعة بالفصل الاول هذه الآية وهي الشمس تشرق والشمس تغرب ثم ترجع مسرعة من حيث اشرقت ... فاذا قلتم لي ان الاجيال الغابرة كانت بسيطة لا تفهم هذه العلوم قلت ان فلاسفة عصرنا وعلماءهُ قد اجمعوا على ان اختراعات هذه الاجيال الحاضرة والتي تحدث هي كلها من صنع الاولين وفضلاً عن ذلك ان هاتين الآيتين هما من اقوال الانبياء . وقد قال الله لسيدنا سليمان الحكيم ان الحكمة التي وهبتك اياها يا سليمان لم تعطَ لا لمن قبلك ولا لمن بعدك فلا احد يقدر يشكُّ باقوالهِ او يكذبها فأرجو من علماء الفلك بهذا العصر وفطاحلهِ ان يجاوبوني على سؤالي هذا ويبرهنوا لي فاما ان يقنعوني باعتقادهم واما لا وقد رجوت ذلك بمجلة المقتطف الغراء حيث اعلم ان اقوالها هي عين الفلسفة والحكمة ولحضرات منشئيها مزيد الشكر

المحلة الكبرى في ٨ مارس ١٩٠٥ منصور عواد عواد اللبناني

[المقتطف] ان ما يعتقدهُ حضرة الكاتب من ثبوت الارض وما يستدل بهِ عليهِ من كلام التوراة كان معتقد اكثر الناس في العصور الغابرة ولم يزل معتقد كثيرين منهم

حتى الآن . وان كانت الادلة التي ذكرناها مراراً على استدارة الارض ودورانها لا تقنعهُ فلا سبيل لاقناعهِ . وهذا الاقناع ليس من الضروريات لان الاعمال الضرورية للمعيشة لا يتوقف عمل منها عليهِ . وقد كان الناس يفلحون ويزرعون ويأكلون ويشربون وبلغوا درجات عليا في العلم والفلسفة والسياسة والرئاسة قبلما ثبت دوران الارض . وحبذا لو أعاد الكاتب نظرهُ على ما كتبناهُ في السنين الماضية عن دوران الارض لعلهُ يجد فيهِ مقنعاً . اما ما يراهُ بادئ بدء من التناقض بين القول بدوران الارض ونصوص التوراة فحسبنا دليلاً على نقضهِ ان اشهر علماء المسيحية الآن يعتقدون دوران الارض كما يعتقدهُ غيرهم

تقسيط الدين

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الزاهر

قرأْنا في الصحيفة ٢٥٠ من المقتطف الصادر في شهر مارس عبارة حساب الفائظ والاستهلاك التي يسأل عنها جناب الخواجا وديع سمعان وقد وجدنا كم خطأْتم الطريقة التي ذكرها وقال انها نشرت في الصحيفة ٦١٧ من المجلد التاسع ثم عقبتم على ذلك بذكر القاعدة الصحيحة لحساب الفائظ والاستهلاك وحيث اننا مع تكرار مراجعتها لم نفهم الكيفية التي يعمل بها هذا الحساب فجئناكم بهذا السوال راجين زيادة الايضاح في هذا الباب لان الوضع

$\frac{٥٠٠٠ \times ١{,}٠٦^{١٠}}{١٠} = ٦٧٩{,}٣$ لم نفهم منهُ كيف نتج العدد ٦٧٩،٣ ثم لم نعلم لماذا حكمتم $(١{,}٠٦ - ١) \div ٠{,}٠٦$

بخطإِ الطريقة التي يقول عنها جناب الخواجا المشار اليهِ مع كونهِ يقول انهُ لدى ميزانيتها بالافراد يجدها صحيحة فما وجه خطإِها اذاً

ثم نرجوكم ان تفيدونا من اين اتوا بالجداول التي تقولون عنها وما هي طريقتها واذا تفضلتم بنشر جداول الارباح المذكورة في مقتطفكم الاغر لتكون دليلاً للمسترشدين لاننا لم نعثر على هذه الجداول اصلاً شكرناكم واذا وجدتموها مطولة وصفحات المقتطف لا تسعها تفضلوا علينا بها ولو بالثمن لانها لازمة لنا جداً ولكم مزيد الفضل احمد فهمي الخوجه

بجماجون

[المقتطف] (١) ان الطريقة المذكورة في الصحفة ٦١٧ من المجلد التاسع صحيحة ولم نقل انها غير صحيحة بل قلنا انها هي القاعدة الصحيحة كما يظهر لكم من مراجعة ما كتبناهُ حيث قلنا " اما القاعدة الصحيحة فنشرت في الصفحة ٦١٧ من المجلد التاسع "

(٢) العبارة الجبرية التي ذكرناها مفادها ان تضرب ٥٠٠٠ في الواحد مع فائدتهِ في السنة اي واحد وستة في المئة بعد ان يرقّى الى القوة العاشرة اي يضرب في نفسهِ تسع مرات. وتقسم الحاصل على الخارج من قسمة هذا المرقّى الّا واحداً على فائدة الغرش في السنة. وبعبارة اخرى اضف الواحد الى معدل فائدتهِ في السنة فيصير واحداً وستة في المئة واضرب هذا المجموع في نفسهِ تسع مرات واطرح واحداً من الحاصل واقسم الباقي على ستة في المئة واحفظ الخارج لتجعلهُ مقسوماً عليهِ . ثم اضرب رأس في الواحد مع فائدتهِ بعد ضربهِ في نفسهِ تسع مرات واقسم الحاصل على الخارج الذي حفظتهُ فيكون الخارج من هذه القسمة الاخيرة القسط السنوي المطلوب. وان لم يتضح لكم معنى كلامنا هذا فيكون لانكم لا تعرفون علم الحساب معرفة كافية وعلم الحساب لا يتعلمهُ المرء من سؤال يسألهُ في المقتطف بل يقتضي ان يدرسهُ مدة من الزمان درس جد واجتهاد

(٣) انما حكمنا بخطإ الطريقة التي اشار اليها السائل لان نتيجتها مناقضة لنتيجة الطريقة التي ذكرناها نحن وكل ما ناقض الصحيح فهو غلط

(٤) اما الجداول التي اشرنا اليها فاستخرجوها بالحساب المدقق وهي مطبوعة في كتاب فرنسوي يباع في مكاتب مصر وثمنهُ خمسة فرنكات فاطلبوهُ منها

(٥) يتعذَّر علينا نشرها في المقتطف لانها طويلة والذين تهمهم من قراء المقتطف قلال جداً فلا يحسن املاء جزء كامل بجداول لا يستفيد منها الّا عدد قليل من القراء

درء شبهة

سيديَّ الفاضلين منشئَي المقتطف الانخمين

من الناس من اذا أحسوا بداء ينخر عظم الدين هبوا في الحال لاجهاد العزيمة في سبيل التوصل الى دواء ناجع لهُ حتى اذا عثروا عليهِ عالجوا الداء بهِ ولا يلبثون ان يروا دواءهم اصبح بلسماً شافياً

او اذا لحظوا قنبلة مصوبة من مدفع الكفر عمدوا الى توطيد اركان الدين حتى اذا استهدفت ظلت راسخة الأسس ثابتة الدعائم تسخر بوهن الصدمة وترجعها القهقرى

ومنهم من ألبسهم العلم مطارف الغطرسة والاعجاب فرفلوا بها وطافوا برهُ وبحرهُ حتى اذا ألفوا حقيقةً ما من حقائقهِ خالوها خصماً للدين وصدمة لحصونهِ فقبضوا على ازمتها واودعوها صفائح الصحائف وهتفوا بنصرتهم في بوق الفوز والظفر . مع انها عن حدسهم في اقصى شقة وأبعد مرمى

ومنهم من ارتشفوا من بحار العلم قطرة وشاموا من اطوادهِ مدرة بل ذرة . فادعوا احرازهُ بكلياتهِ وجزئياتهِ حتى حملهم الادعاء على تلطيخ ثوب الدين القشيب ولو خفية بشوائب خالوها من مؤيدات ادعائهم العلم ومعززات اركانهِ

ولنكد الطالع لم يزل البعض ينكرون الوحي والمعجزات التي لم تطع للطبيعة ناموساً . ويذهبون بزعمهم ان ليس ناقلو الوحي سوى مدَّعين او منتحلين . وان لا عجائب سوى ما خيِّل للسذَّج من نتائج الفطنة والشعوذة

عثر علماء الآثار حديثاً على اعمدة ازلها الملك حمورابي اي امرافل الوارد ذكرهُ في سفر التكوين ص : ١٤ منزلة كتاب شريعة سنَّ فيهِ لرعاياهُ الشرائع القديمة وامرهم بالرضوخ لها والسير في سننها . ثم بان ان المشابهة كلية بين شريعتهِ وشريعة موسى الكليم فلم يعتم ارباب الظنون واُولو التأويل ان اعلنوا للناس آراءهم بان موسى انتحل هذه الشريعة لنفسهِ وادعاها وحياً . وانتصر لهم احد علماء الالمانيين وايَّد صحة هذا المدَّعى بخطاب فاه بهِ في احد الاندية على مسمع الامبراطور نفسهِ . ولم يكد يفرغ من القائهِ حتى قام الامبراطور لهذا الرأْي وقعد وغب ان اظهر للخطيب خطأهُ اعلن لهُ عدم رضاهُ وارتياحهِ لنشر هذا الادعاء الواهن . هذا ولما كانت احدى صحفنا السيارة مولعة بالتقاط ونشر آراء كهذه لم تلبث ان لقفتها وزفتها لقرائها حتى اذا وقف عليها بعضهم ممن عندهم للدين اسمى مكان اوجسوا خيفة واشفاقاً عليهِ فنشروا فذلكات راموا معها ان يدرأوا عن الدين الشوائب ويبعدوا عن كتاب الله الشكوك

ولقد دار في خلدي ان ازفَّ لقراء المقتطف الكرام ما ربما يفصل الخطاب ويزيح عن محيا الحقيقة طرف النقاب . فأقول

ذكرت احدي الجرائد ان حمورابي كان ملكاً باراً مريداً عادلاً سنَّ لرعاياهُ الشرائع القويمة وان هذه الشرائع اكتشفت حديثاً على اعمدة لم تزل اعلاناً لمن يقرأُ . الى ان قالت ان المشابهة كلية بين شريعتهِ وشريعة موسى مما دلَّ على انهُ قام في القديم أُناس كان فوق هاماتهم رايات تخفق للتمدن والعدل والشرائع النافعة

ليت شعري هل في ذاك عجب او ينكر ان للهِ في كل انسان نائباً اميناً وصوتاً حياً جهوراً من شأْنهِ ردع الانسان عن ارتكاب المآثم ودفعهُ لعمل الصلاح والمبرَّات . او يجهل هذا الصوت وهو الضمير الحي

أوَ لا يدري العالم ما لشريعة الله الطاهرة والسير على سننها من الاهمية في اصلاح

حال الهيئة واسعاد حظ الامة

فهل من العجب اذًا ان نرى ملكاً امياً اشترع الشرائع القويمة الصحيحة عملاً بوحي الضمير وطمعاً في ترقية امتهِ في معارج التقدم والاصلاح ورفع لواء السلم والعدل بين ظهرانيها وحباً بتشييد دعائم ملكهِ واكتساب المديح والشهرة لنفسهِ . وهب ان شريعة امرافل المشترع اشبهت شريعة موسى كل المشابهة حتى ظنَّ ان جزءًا كبيرًا من شريعة الاخير أُخذ عن الاول فهل هذا الادعاء الواهن ينفي كونها موحى بها من الله

وهب انَّا وجدنا في شرائع الامم الوثنية بنودًا تشبهُ بعضاً مما في شريعة الدين المسيحي (كما هو المرجح) فهل ذلك مما يشينهُ . اذًا فليتبصر العقلاء وليعتبر الفضلاء وليعلموا ان دين الله مشيد الاركان رغماً عن الملحدين

طرابلس الشام (عيسى الحلو)

باب الزراعة

عيد الاشجار

(من مقالة للمستر تل نشرت في مجلة بيرسون وعربت بقلم متري افندي نجار)

من الحكم المأثورة عن الاقدمين ان كل انسان مديون لخلفائهِ باربع واجبات عليهِ ان يقوم بها اظهارًا لشكرهِ لسلفائهِ على الفوائد التي وصلت اليهِ منهم . وهذه الواجبات هي اولاً ان يبني بيتاً . ثانياً ان يحفر بئرًا . ثالثاً ان يلد ابناً . رابعاً ان يزرع شجرة

وقد كانت زراعة الاشجار شائعة في بلدان كثيرة في الزمان الماضي . فالشرائع البروسيانية القديمة كانت تقضي على كل زوج وزوجة ان يزرعا يوم زواجهما ست شجيرات مثمرة وست سنديانات . والمثل الايطالي القديم يقول اذا اردت ان تترك لبني بنيك كفافهم فازرع شجرة زيتون . اما الاميركيون فانهم لجاري عادتهم في سائر الامور تقدموا خطوةً عمن سبقهم فأخذوا هذا المبدأ وجعلوا لهُ عيدًا تحتفل بهِ الامة احتفالاً رسمياً فكان اعظم عامل لحفظ البلاد خضراء وحفظ جمالها ورونقها بحفظ اشجارها . "فيوم الاشجار" عيد تعيدهُ الولايات

المتحدة سنويًا وتكرسهُ لزراعة الاشجار . واول ما نشأ في ولاية نبرسكا سنة ١٨٧٢ وكان وسيلة لزرع ما ينيف على ستماية مليون شجرة في تلك الولاية وحدها

ولقد ادركت الولايات المتحدة سرًا من اعظم اسرار الارتقاء وهو ان الاساس الحقيقي لثروة الامة انما هو الخشب لا الذهب . فالاشجار تحفظ المياه وتقي التربة من جرف السيول لها وتجيد الهواء وتكون مأوى للعصافير والطيور ويجني منها الانسان اثمارًا شهية و يأخذ منها خشبًا وحطبًا . وزد على ذلك ان على وجود الاشجار يتوقف جمال البلاد و رونقها

وكانت اميركا لما اكتشفها كولمبوس مملوءة بالحراج . الاَّ ان حراجها كانت عائقًا في سبيل الزراعة فلما جاء المهاجرون من اوربا لم ينظروا الى غدهم ولا تبصروا في عواقب الامور بل حسبوا الحراج مصدرًا لا ينفد فاعملوا فيها الفؤوس ولكن لم تطل هذه الحال حتى اتى وقت ادركوا فيهِ حالتهم الحرجة ورأوا انهُ من المستحيل اصلاح الامور بعد ان وصلت الى هذا الحد فتربطت ايديهم عن العمل وكادوا يستسلمون لليأس والقنوط

على ان الحال لم تدم طويلاً حتى قام في ولاية نبرسكا رجل مقدام يدعى جوليوس سترلين مورتون آلى على نفسهِ ان يسعى في اصلاح الحال لاعادة المياه الى مجاريها .ولد هذا الرجل في الثاني والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٣٢ وسكن مع زوجتهِ في قطعة من اراضي الحكومة في ولاية نبرسكا وكانت تلك الارض قاحلةً فبذل جهدهُ في زرع الاشجار فيها فاصبحت حديقة غناء في وقت قصير

ولقد ادرك ان اساس ثروة الامة استثمار الارض وان الضرر العظيم الذي الحقهُ المستعمرون الاولون بالبلاد باتلاف اشجارها لا يمكن تلافيهِ الاَّ اذا تعاضدت الامة كلها وعملت يدًا واحدةً .وتوصلاً الى هذه الغاية جعل ينهض همم ابناء بلادهِ رجالاً ونساء للعمل في هذا المشروع الوطني والاقبال على زرع الاشجار حتى انتشر ذلك في كل الولايات المتحدة

ولقد كان من نجاح هذا الرجل ان اقنع حكومة نبراسكا بان تحتفل الولاية كلها مرة في السنة احتفالاً رسميًا بيوم يُسمى "يوم الاشجار" وتخصصهُ لزرع الاشجار و يكون ذلك اليوم عيدًا اهليًا عموميًا

وعملت الولاية باشارة المستر نورتون فعينت جائزةً قدرها بعض مئات من الريالات تعطى للمقاطعة التي تزرع العدد الاكبر من الاشجار في السنة وعينت ايضًا جوائز اخرى اصغر منها لتنشيط هذا المشروع وقررت ان يكون اول عيد الاشجار في العاشر من شهر ابريل ثم بدلت هذا اليوم باليوم الثاني والعشرين من ابريل وهو يوم ميلاد المستر مورتون . ورأت سائر

الولايات منفعة هذا المشروع فحذت حذو نبرسكا واقبلت عليهِ كلها فكانت نتيجة ذلك ان قارة اميركا تزدهي الآن بملايين من الاشجار النافعة التي لم تكن لتوجد لولا عيد الاشجار

وكلٌّ من هذه الولايات تحفظ هذا العيد في اليوم الذي يناسبها اختياراً لافضل الفصول وانسبها لزرع الاشجار . ففي ولاية تكسس يقع هذا العيد في الثاني والعشرين من شهر فبراير ذلك يوم ولادة جورج واشنطون . وفي ولاية نيويورك يقع في يوم جمعة من شهر فبراير . وفي ولاية تنسي يقع في احد ايام نوفمبر . وفي بعض الولايات تعين الحكومة يوم وقوع هذا العيد كل سنة . وفي بعضها يعينهُ الحاكم . وفي البعض يعينهُ ناظر المعارف

وما تأصل هذا العمل الجليل في الولايات المتحدة حتى عمَّ وانتشر بسرعة غريبة . فقد انتشر من اميركا الى كندا ومن كندا الى استراليا ومن استراليا الى جزائر زيلندا الجديدة ويعمل بهِ ايضاً في مكان او مكانين في افريقية الجنوبية . وقد ثبتت قدمهُ الآن في اوربا فهو منتشر في اسبانيا وايطاليا . الَّا ان ولاية نبرسكا قد اوصلتهُ الى درجة الكمال اذ لم يمضِ على تأسيسهِ ثلاث وثلاثون سنة حتى بلغ عدد الاشجار التي زُرعت في تلك الولاية وحدها ما ينيف على ستماية مليون شجرة . والحكومة هناك تبذل كل ما في وسعها لتنشيطهِ . فمن القوانين التي سنتها حديثاً سعياً وراء هذه الغاية انهُ اذا استولى انسان على قطعة من الارض المقفرة القاحلة وسيجها بالسياجات النامية وزرعها اشجاراً بستانية وغير بستانية وانفق عليها ما يزيد في قيمتها فلا تزيد الحكومة في ضريبتها درهماً واحداً بل تؤخذ الضريبة عليها كما لو بقيت قفراً بلقعاً

اما ذلك الرجل الذي ابتكر هذا المشروع فقد ضُمَّ الى ابائهِ في السابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٢ وكان لمنعاهُ رنة حزن دوى صداها في كل الولايات المتحدة

وتظهر اهمية الاشجار للبلاد من مراجعة ما يستعمل منها في الولايات المتحدة فان قيمة الاخشاب التي تستعمل في تلك البلاد وتصدر منها الى الخارج تعادل قيمة مواسم الحبوب هناك . ويرد الى بريطانيا سنوياً من الاخشاب ما يزيد ثمنهُ على خمسة وعشرين مليون جنيه

وقد دخل هذا المشروع انكلترا ولكنهُ لم يزل محصوراً في قرية اينسفورد في مقاطعة كنت . بدأ العمل بهِ هناك سنة ١٨٩٧ احتفالاً بعيد يوبيل الملكة فكتوريا الذهبي . وذلك ان تلامذة المدرسة في تلك القرية اجتمعوا على الارض الخاصة بالمدرسة وزرعوا اشجاراً متنوعة الاجناس في خط واحد بحيث اذا جمعت الحرف الاول من اسم كل شجيرة كان الحاصل مثلاً من امثال سليمان وهو "يا ابني كن حكيماً" . وكانت الغاية الاولى من هذا

العمل تنشيط التلامذة على زرع الاشجار وغرس هذا الميل اليه في قلوبهم حتى اذا شبوا يشب معهم ويقوى فيهم. وفي سنة ١٩٠٠ اتفق سكان تلك المدينة على زرع بعض الاشجار المثمرة تذكاراً لدفاع الانكليز عن لادسمث وكمبرلي ومفكين حينما حاصرتها جنود البوير اثناء حرب الترنسفال . ثم لما توفيت الملكة فكتوريا اراد اهل تلك المدينة ان يقيموا تذكاراً لها فزرعوا على جانبي احدى الطرق ثلاثين شجرة من انواع مختلفة بحيث اذا جمعت الحرف الاول من اسم كل شجرة كان المجموع شطر بيت من قصائد تنيسون الشاعر الانكليزي

"She wrought her people lasting good."

ومعناه انها نفعت شعبها نفعاً دائماً

واول ما أُدخل هذا المشروع الى اينسفورد قابلهُ الكثيرون بالهزء والسخرية وكذلك كانت الحال في ولاية نبرسكا الاَّ ان الرأي العام قد تغير في البلادين فالناس اليوم يستقبلون هذا العيد ببهجة وسرور

ويجدر بكل بلاد ان تسعى لادخال هذا المشروع او ما يماثلهُ بين سكانها فان زرع الاشجار لا يقتضي نفقة كبيرة وهي متى زُرعت واعتني بها قليلاً في بادىء الامر تصبح رأس مال كبير يزيد يوماً بعد يوم زيادة مركبة فيعود على الزارع وعلى البلاد اضعافاً كثيرة

ولا يخفى ان الاشجار للمدينة كالحلي للمرأة ولذلك يجب تنشيط هذا المشروع في المدن على الاخص

اما اهم العوائق التي تحول دون الاقبال على زرع الاشجار اقبالاً كبيراً فهو ان الفائدة الناتجة عن زرعها آجلة بعيدة ولذلك يجب على الحكومة المحلية ان تعضد هذا المشروع مادياً كما تعضدهُ ادبياً

الميكروب في الزراعة

لا يخفى على اهل الزراعة ان زرع البرسيم والفول لا يضعف الارض بل يقويها غالباً وسبب ذلك انهُ ينمو في جذور هذه المزروعات انواع من الميكروبات تأخذ النيتروجين من الهواء وتحولهُ الى مادة مغذية تجتمع في جذور المزروعات وحولها فيكون زرع البرسيم والفول بمثابة سماد للارض اذا بقيت جذورها فيها. الاَّ ان ذلك غير مطرد ولهذا قلنا ان زرعهما يقوي الارض غالباً لان هذه الميكروبات قد لا تكون موجودة في الارض فلا تنمو في جذور الفول والبرسيم ولا تستفيد الارض من زرعهما فيها بل تضعف كما تضعف من زرع

غيرهما من المزروعات · ولذلك تجد الارض التي تصلح حديثاً تزرع برسيماً فينمو فيها ويظن اصحابها انها صارت حلوة فيزرعونها قطناً بعد البرسيم فيظهر الملح فيها او يظهر انها لا تزال ضعيفة وما ذلك الاّ لان الميكروبات المشار اليها آنفاً ليست موجودة فيها مطلقاً او ليست كثيرة فيها فلم تستفد من زرع البرسيم

وتسهل معرفة ذلك من النظر الى جذور البرسيم فاذا كان فيها كثير من العقد والانتفاخات فهناك الميكروبات المشار اليها والاّ فلا وذلك بوجه التغليب

فاذا كانت الارض خالية من الميكروبات المشار اليها فاسهل طريقة لتولدها فيها ان يضاف اليها تراب من ارض اخرى كثيرة الميكروبات ويكفي ان يذرّ فيها قليل من هذا التراب او يمزج بالماء الذي تروى به فان الميكروبات تنتشر فيها حينئذٍ كما تنتشر الخميرة في العجين وتخمره

الاّ ان هذه الطريقة لا تنجح دائماً مع سهولتها لان وجود الميكروبات في التراب الآخر لا يكون موكداً ولا يسهل توزيعها في الارض حتى تنتشر فيها كلها . وقد استنبط بعضهم طريقة لتربية هذه الميكروبات بالصناعة ووضعها في حناجر صغيرة واضافتها الى الارض وسميت بالنيتراجين

وكان استحضار النيتراجين محفوظاً لصاحبهِ بامتياز من الحكومة الاميركية فتنازل عنهُ الآن ولذلك ينتظر ان يكثر استعمالهُ وتنتشر فوائدهُ وعسى ان تهتم بهِ الجمعية الخديوية الزراعية لعلها تفيد القطر بهِ



التصوير الحديث

التصوير الاورتوكرمتيكي (تابع ما قبله)

﴿ الميكروفوتوغرافيا ﴾ هو تصوير ما يرى تحت الميكروسكوب من الاجسام الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة وقد اصبح لهذا الفرع من التصوير اهمية تستحق الذكر لاسيما في النصف الاخير من القرن الماضي · واكثر العلماء والاطباء لا يزالون مثابرين على تصوير ما

يهمهم امرهُ من الاجسام الميكروسكوبية قصد درسها وفحصها . ولا يخفى ان اول ما يتحراهُ العالم في الميكروفوتوغرافيا هو اخراج صورة حقيقية لما شاهدهُ تحت الميكروسكوب فهو يفضل الطريقة التي تصدق في التعبير وتطابق حقيقة الجسم المصور فاذا صور مثلاً بالالواح الاعتيادية ميكروباً ازرق اللون عائماً في سائل شفاف لم يظهر للميكروب ادنى اثر في الصورة لان اللوح كما سبق لا يتأثر من الالوان الزرقاء او لو صور سائلاً عائماً فيهِ ميكروبات مختلفة الالوان من اصفر وازرق وكان السائل احمر اللون فلا يظهر في الصورة سوى بقع بيضاء على سطح اسود هي الميكروبات الزرقاء في السائل الاحمر واما الميكروبات الصفراء والسوداء فلا تظهر لان اللوح لا يتأثر منها ولا من السائل الاحمر . اما لو صور هذه الاجسام باللوح الاورتوكرمتيكي فانهُ يظهر في الصورة كل الميكروبات ويمكنهُ التمييز بين الاصفر والازرق منها بالسهولة التامة

تصوير الاشخاص — كثر عدد المصورين فكثرت صور الناس حتى الفناها كما تخرج من ايدي صانعيها وفي الكثير منها تلاعب وتفنن قلما يتنبه لهُ العامة حتى انها بذلك لم تعد صوراً فوتواغرافية بل صور ميكانيكية وذلك لعظم ما طرأ عليها من النقص والزيادة من قلم الرتوشيه (المصوِّر المصلِّح) . والرتوش وهو تصليح السلبية يكاد يكون ضرورياً في اغلب صور الاشخاص في الالواح الاعتيادية لكنهُ ليس بضروري في تصويرهم بالالواح الاورتوكرمتيكية والحاجز فالتصوير الاورتوكرمتيكي يزيل مصاعب الرتوش وسيئاتهِ ويقرب الصورة للحقيقة كما سترى

لنفرض ان سيدة زرقاء العينين ذهبية الشعر في وجهها نمش تصورت بالالواح الاعتيادية فان عينيها تخرجان فاتحتين كانها عمياء فيحتاج المصور ان يصلحهما عند الطبع ويخرج الشعر بلون غامق كانهُ اسود حالك فلا يهتم المصور باصلاحهِ لعدم معرفتهِ الامر او لتجاهلهِ اياهُ واما النمش الاصفر فانهُ يخرج في الصورة بقعاً سوداء تشوّه الوجه فيضطر المصور ان يزيلها ايضاً بقلمهِ وفي ذلك من الصعوبة والتعب ما فيهِ بخلاف ذلك اذا استعمل في تصوير السيدة المذكورة لوحاً اورتوكرمتيكياً وحاجزاً فان الصورة تخرج صادقة التعبير من حيث النسبة اللونية فالشعر يخرج فاتحاً والعينان غامقتين قليلاً والنمش في الوجه لا يظهر لانهُ اصفر . فلا يحتاج المصور ان يعمل رتوش لاصلاحها بل يطبع منها مباشرة فيوفر وقتاً وتعباً ويضمن صدق الصورة لصاحبها

التصوير على نور القنديل — لما كانت الالواح الاورتوكرمتيكية حساسة للنور

الاصفر امكن التصوير بها على نور القنديل العادي اذا كان قريباً من الجسم المصور ونوره ساطعاً جداً ويطول تعريض اللوح من دقيقة الى خمس دقائق حسب قربهِ او بعدهِ او حسب شدتهِ او قلتهِ

اتممت مقالتي الموجزة عن هذا التصوير الجديد وانا ارجو من القارئ (ولا اريده الاَّ مصوراً) ان يحلهُ محل البحث والنظر فيتضح مقالي باجلى بيان . ولا بد قبل الختام من ذكر بعض امور تحول دون رواج هذه الالواح كالالواح الاعتيادية وهي

اولاً ان ثمنها غالٍ فهو مرة ونصف ثمن الالواح الاعتيادية

ثانياً انها تتأثر من النور الاحمر الذي لا تتأثر منهُ الالواح الاعتيادية فيلزم عند كشفها في الغرفة المظلمة الابتعاد عن النور الاحمر بقدر الامكان

ثالثاً يطول التعريض عند التصوير بها من خمسة اضعاف الى عشرين ضعف ما يلزم للتعريض في الالواح الاعتيادية

هذا والالواح الاورتوكرمتيكية لا تظهر لها مزية اذا استعملت بدون الحاجز الاصفر اللون كما سبق الكلام غير انهُ يمكن الاستغناء عنهُ عند اصفرار نور النهار وذلك وقت مغيب الشمس او قبلهُ بوقت وجيز

اسكندر مكاريوس



ديوان ابن نباتة

كان ابن نباتة المصري امام عصرهِ في اللغة وحجة في علم الادب ذاع فضلهُ وطار ذكرهُ بخطبهِ البليغة لرقة مبانيها ورشاقة معانيها وما روي عن جزالتهِ في المنطق . وكان شاعراً مجيداً لا يتدانى في قريضهِ الى لفظ عويص ينفر السمع منهُ ولا الى حشو يمجهُ الذوق وفي ديوانهِ قصائد خرائد ومقاطيع قلائد لا يقف الخاطر عن فهمها ولا يغوص الفكر على استخراج درها من صدفها وقد يستظهر القارئ كثيراً منها لاول قراءتها

ومن مقاطيعهِ الغزلية قولهُ

يا قلب انت ومقلتي متقاربان كما أرى

هاتيك تمنعك الهدوّ م وانت تمنعها الكرى
وانا الذي قاسيتُ م بينكما العذاب الاكبرا

ومن قوله في رثاء ابنه

يا لهفَ قلبي على عبد الرحيم ويا شوقي اليهِ ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاهُ الحمام لقد احرقت بالنار يا كانون احشائي

وقال وقد ابدع

ياسراة الشآم اشكو اليكم ارض قلبٍ فلاحها للرجاء
واذا قلّت الفلاحة في الار ض فعتب الفتى على الروساء

وقولهُ وهو مما يتمثل بهِ البديعيون

ياغائبين تعللنا لغيبتهم بطيب لهو ولا والله لم يطبِ
ذكرت والكاس في كفي لياليكم فالكاس في راحة والقلب في تعبِ

وقال في ناعورة

اعجب لها ناعورة قلبها للماء منشا العيش والعشبِ
تعبانة الجسم ولكنها كما ترى طيبة القلبِ

وقد جمع اشتات هذا الديوان وما تفرق منهُ في كتب الادب في الكتبخانة الخديوية حضرة الفاضل الشيخ محمد القلقيلي وما زال بين اقدام واحجام في طبعهِ حتى حقق رجاءهُ حضرة الكاتب الفاضل ابرهيم بك رمزي فطبعهُ على نفقتهِ في مطبعتهِ "التمدن" على ورق صقيل وبحرف جميل فاستحقا الشكر والثناء من جمهور الشعراء والادباء . وانما عندنا عليهما الابقاء على بعض الابيات والمقاطيع التي يمجها ذوق الاديب ولا يجوز نشرها في كتاب عمومي مثل هذا

اما ابن نباته فولد في مصر القاهرة سنة ٦٨٦ هجرية وتوفي في المنصورة سنة ٧٦٨ ويظهر من ديوانهِ ان اهالي مصر كانوا مثل اهل الشام في ما يختلف فيهِ اهل مصر والشام الآن من اسماء المسميات فيقولون شهر كانون بدل دسمبر وناعورة بدل ساقية وهلمّ جرًّا . وفي الديوان ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير وثمنهُ ريال مصري فقط ويطلب من مطبعة التمدن في مصر

التلخيص

كتب في البيان جماعة من فطاحل الكتاب مثل الجاحظ وقدامة الكاتب وابن دريد ولكن اول من عني بهِ العناية الواجبة ووضع لهُ القواعد والقوانين الشيخ عبد القاهر الجرجاني

فوضع كتابيهِ اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وقام بعدهُ ابو يعقوب يوسف السكاكي ففاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب وتقريب الاحكام وألف كتاب مفتاح العلوم ولكنهُ لم يدرك شأوهُ في لطف الحس وصفاء الديباجة وبراعة الكلام . وتلا السكاكي جلال الدين بن عبد الرحمن المعروف بالقزويني الخطيب فهذَّب ما وضعهُ السكاكي وضمَّ اليهِ نتفاً مما وضعهُ الجرجاني فخرج الكتاب الذي نحن بصددهِ فسماهُ تلخيص المفتاح

وقد شرحهُ كثيرون من الكتاب وفي جملتهم حضرة الكاتب الفاضل الشيخ عبد الرحمن البرقوقي وقرظ الشرح فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فقال فيهِ اني "وجدتهُ كافياً في تبيين معنى ما في الكتاب ولا حاجة بالسائر الى الغاية من الفن الى ماهو اكثر مما جاء فيهِ وانما الواجب عليهِ تحصيل الملكة بالعمل ومزاولة كلام البلغاء وكسب اساليب الفصحاء"

قال الشارح في مقدمتهِ عن الفصاحة والبلاغة "وزبدة القول ان الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبَّر بهِ عن فضل بعض القائلين عن بعض من حيث راموا ان يُعلِموا السامعين ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم انما هي الفاظ مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها ثم تبرجها في صورة هي ابهى وازين . ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير ان يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصحُّ لتأديتهِ ويختار لهُ اللفظ الذي هو اخصُّ بهِ واتمُّ لهُ واحرى بان يكسوهُ فضلاً ويكسبهُ نبلاً واذن فرجعها النظم والكلام دون الالفاظ المجردة والكلمات المفردة"

هذا والشرح مطوَّلٌ بسط اكثر ما اشكل في متن التلخيص ويجلو ما اغمض على طلاب الادب فيهِ . وقد طبع المتن مشكولاً . وفي الكتاب ما يزيد على اربع مئة صفحة وثمنهُ اربعة غروش لا غير وهذا قليل في جنب نفقتهِ وما تجشمهُ صاحبهُ من التعب في سبيلهِ ويباع في جميع المكاتب

تقرير مدرسة الطب المصرية

انبأنا في صدر هذا الجزء ان اساتذة مدرسة الطب المصرية يشتغلون الآن في البحث العلمي المجرَّد الذي يشتغل بهِ كثيرون من علماء اوربا واميركا وهو الذي رقَّى العلم واوصلهُ الى هذه الدرجة . ولدينا الآن المجلد الثاني المطبوع في العام الماضي وفيهِ عشر مقالات او مباحث علمية الاولى في سم العقارب للاستاذ ولسن وقد لخصناها في اول هذا الجزء . والثانية في فعل الحميات

الملارية بتوليد الاستسقاء للدكتور فيلبس. والثالثة في استئصال المبيض في عملية استئصال السرطان وقد انتهت الحوادث المذكورة فيها بالموت ولاندري ما الحكمة في اطالة حياة كلها وجع وألم والمقالة للدكتور مدن استاذ الجراحة. والرابعة في بعض صور غير عادية للبلهرسيا لهُ ايضاً. والخامسة تقرير عن البحث الرمي في القصر العيني للدكتور سمسن استاذ الباثولوجيا. والسادسة في سركوما الرئة اليمنى وورم في الدماغ تابع لها وهي لهُ ايضاً. والسابعة عن منزلة السل في مصر للدكتور ترب. والثامنة عن عادات المصريين واوهامهم في الحبل والولادة للدكتور جرجي صبحي. والتاسعة ملاحظات على مرض البلهرسيا للدكتور فرنك ملتن استاذ الجراحة الكلينيكية. والعاشرة في بناء دماغ الانسان للدكتور اليوت سمث استاذ التشريح وهي اهم المقالات واوسعها وادقها بحثاً

والمقالات كلها غاية في الفائدة. وقد حررها جناب الدكتور كيتنج مدير المدرسة وأُوضحت بصور ورسوم غاية في الدقة والاتقان. والصفحات كبيرة لتسع بعض هذه الصور ولكن لاداعي لان تكون السطور طويلة على عرض الصفحة كلها فيشق على العين الانتقال من سطر الى آخر. والاولى ان تقسم الصفحات الى حقلين تسهيلاً للمطالعة. وحبذا لو انفقت الحكومة على ترجمة هذه المقالات الى العربية افادة للذين لا يعرفون الانكليزية من اطباء البلاد

ديوان قانون الرسائل

الف هذا الكتاب ابو القاسم علي بن سليمان المكني بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب في عهد الدولة الفاطمية وعني بنشرهِ والتعليق عليهِ حضرة الاديب علي افندي بهجت وكيل دار الآثار العربية في القاهرة. وقدم لهُ مقدمة مسهبة جمع فيها كثيراً مما وقف عليهِ من آثار المؤلف ورسائلهِ وما يتصل بذلك من المواضيع المختلفة كمعنى كلمة السجل والفرق بين النيروز القبطي والنيروز الفارسي وتشيع الفواطم للامام علي ووصف تاج الخليفة وشكلهِ وكيفية شدهِ والكلام في بعض ذلك مسهب وفي البعض موجز لايشفي غليلاً كالكلام عن التاج فانهُ لايعلم منهُ كيف كان تاج الخلفاء

والكتاب منقول عن نسخة خطية في مكتبة كمبردج بانكلترا وكان حضرة ناقلهِ وناشرهِ قد سافر الى اوربا سنة ١٨٩٩ لحضور مؤتمر اللغات الشرقية الذي عقد في رومية مع آخرين بالنيابة عن الحكومة المصرية. وقبل انعقاد المؤتمر قصد مدينة كمبردج في انكلترا فعثر على هذا

الكتاب في مكتبتها قراءة موضوعهُ ونقلهُ بحروفهِ قصد طبعهِ ونشرهِ فلما سمحت له الفرصة طبعهُ . وقد قسم المؤلف الكتاب الى فصول فعقد فصلاً منها لما يختص بمتولي ديوان الرسائل وفصلاً لمن ينبغي ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة اي لتلخيصها وفصلاً في صفة من يستخدم برسم الانشاءات وهلمَّ جرًّا

كتاب الاملاء

أَلف حضرة الفاضل الشيخ حسين افندي والي ابن العلامة الشيخ حسين والي احد علماء الجامع الازهر ومدرسة الخصوصي في علم الاملاء كتاباً في الاملاء اتى في مقدمتهِ على تاريخ موجز مفيد للخط عموماً والخط العربي خصوصاً وذكر السبب في ترتيب الحروف الهجائية على النسق المعروف الى غير ذلك من الفوائد . واتبع المقدمة باربعة ابواب . الباب الاول في الحروف التي تبدل كالهمزة فتكلم فيهِ على سقوطها وكيفية رسمها في آخر الكلمة ووسطها ورسم الأَلف اللينة وسطاً وطرفاً

والثاني في الحروف التي تزاد كالأَلف طرفاً وهاء السكت والواو وسطاً وطرفاً والياء وسطاً

والثالث في الحروف التي تنقص كالأَلف اولاً ووسطاً وآخراً وال بالادغام واللام والياء والأَلف وهلم جرًّا

والرابع في الكلمات الواجب فصلها والواجب وصلها . وفي هذا الباب كلام على نقط الحروف وايّ يجب نقطهُ وايٌّ يجب اهمالهُ والحروف التي يجوز فيها الامران . وكلام على الشكل وكيفيتهِ الى غير ذلك ما لا يستغني عنهُ كاتب في صناعتهِ . وفضَّل نقط الياء المتطرفة وجمع بين آراء المحققين وآراء المتقدمين في كثير من المواضيع وحبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح

تاريخ بعلبك

هو كتيبٌ في وصف قضاء بعلبك ومدينة بعلبك وذكر تاريخها الماضي ووصف قلعتها وصفاً دقيقاً مبيناً بالرسوم وطريقة بنائها وجرّ الحجارة الكبيرة اليها وما وجد فيها من الكتابات القديمة . الفهُ حضرة الكاتب الاديب ميخائيل افندي موسى الوف البعلبكي وذكر فيهِ كل ما كشف من آثار بعلبك الى الآن وهو حسن الانشاء والطبع وقد طبع مرتين بالعربية وست مرات بالانكليزية والفرنسوية وذلك اقطع دليل على شدة الرغبة فيهِ والحاجة اليهِ

هدية الالياذة

كرَّاس يتضمن مجموع ما كتبهُ ارباب المقامات السامية واصحاب الصحف والمجلات

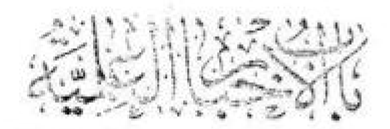
والادباء والشعراء عند ظهور الالياذة مترجمة الى العربية بقلم العالم الفاضل سليمان افندي البستاني. وفيهِ تفصيل الحفلة التي اقيمت اكراماً لهُ. وقد جمعهُ حضرة الاديب نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها واهداهُ الى حضرة المترجم وصدرهُ برسمهِ و بقصيدة في مدحهِ

تذكار المهاجر

ديوان شعر نظمهُ حضرة الاديب قيصر افندي ابرهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ومحررها سابقاً افتتحهُ بمقدمة في الشعر وبيان منزلتهِ من تاريخ الامم وآدابها واخلاقها. واول قصائدهِ قصيدة رفعها الى جلالة السلطان عبد الحميد في يوبيلهِ الفضي. وثانيها قصيدة في مدح جلالة قيصر روسيا ويلي ذلك قصائد مدح ورثاء وتهنئة وما شاكل مما في سائر دواوين الشعر. وكثير منهُ رشيق المبنى لطيف المعنى يشهد بطول باع الناظم في صناعة النظم

الآيات البينات في تفسير النبوات

كتاب ديني لحضرة اسحق افندي خليل احد معلمي المدرسة الاكليريكية القبطية الارثوذكسية جمعهُ من اقوال الآباء القديسين في تفسير نبوة دانيال وهو الجزء الثاني. وكان الجزء الاول في تفسير نبوة حزقيال وسيليهِ الثالث في تفسير نبوة اشعيا



اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٤	٥	٥٠	مساء
الربع الاول	١٢	٨	٤٦	صباحاً
البدر	١٨	١١	٣٦	مساء
الربع الاخير	٢٦	٤	٥٠	صباحاً

السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر وقد يرى في اواخرهِ ويكون نجم الصباح

الزهرة نجم الصباح

المريخ في الاستقبال وقد يرى الليل كلهُ

المشتري يرى في اوائل الشهر ثم يصير نجم الصباح في اواخرهِ

الكسوف المقبل

بعث الينا المسيو بسكاليوني الفلكي بحساب الكسوف المقبل حسبهُ لبرج الانكشارية في القلعة حيث العرض ٤ َ ٢ ً ٣٠ وهو

	ساعة	دقيقة	ثانية	
بدء الكسوف	٣	٨	٥٢,١	بعد الظهر
اكملهُ	٤	١٨	٥,٣	"
نهايتهُ	٥	٢٠	٧,٩	"

رئيس المدرسة الكلية السورية

انسنا بلقاء الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية في بيروت نجل رئيسها الاول استاذنا الدكتور دانيال بلس. قدم القطر المصري لمشاهدة متخرجي المدرسة السابقين وللاهتمام ببعض الشؤون المتعلقة بها. وقد رأينا منهُ رجلاً كبير الهمة عارفاً بما يفيد الشبان ويهذب اخلاقهم و يثقف عقولهم ويجعلهم رجالاً نافعين لوطنهم وامتهم وقد قابل كثيرين من ذوي المقامات العليا ولقي منهم كل حفاوة واكرام

ترياق للتعب

اذا صح ما روتهُ احدى جرائد المانيا الطبية فقد طرأ على علم الفسيولوجيا طارئ من ورائهِ انقلاب عظيم في شؤون الناس وحركاتهم وسكناتهم. فقد روت ان الدكتور فيخارت من اطباء برلين اهتدى الى استحضار ترياق مضاد للتعب والاعياء اذا شربهُ النعسان زال عنهُ نعاسهُ او شربهُ الكاتب والواعظ والعامل بعد الاعياء من طول الكتابة والوعظ والعمل زال التعب عنهم وتجددت قواهم او الجندي في ساحة القتال وقد اثقلت الهيجاء حركتهُ واضعف طول الجلاد همتهُ عادت اليهِ خفتهُ وصال في حومة النزال لا يعروهُ كلال

اما طريقتهُ فهي انهُ جاء بخنزير من خنازير الهند وربطهُ بحبل وجعل يجرهُ من مكان الى مكان حتى كلَّ وعاد لا يبدي اقل حراك من فرط التعب ثم قتلهُ ودق عضلاتهِ وجففها ثم لقح بها خنازير اخرى فماتت من التعب بعد ٢٤ ساعة من تلقيحها. وجرَّب استخراج مثل هذا اللقاح من خنازير لم يلحقها التعب قبل قتلها فلم يفلح

هذا من جهة اللقاح المسبب للتعب والاعياء واما من جهة الترياق المضاد لهُ فان الدكتور المشار اليهِ استحضرهُ كما يستحضر اللقاح المضاد للدفثيريا وذلك بتلقيح الخيل بلقاح التعب ثم استخراج الترياق المضاد لهُ من دمها. وجرَّب لقاح التعب وترياقهُ في الحيوانات الصغيرة فكانت الحيوانات التي يلقحها بلقاح التعب فقط تموت والتي يلحقها بهِ ثم يسقيها الترياق لا يعتريها عارض من العوارض بل تبقى على حالها الطبيعية

وسقى فتاة ربع جرام من الترياق في اربع جرعات فحملت ثقلاً وزنهُ كيلوجرامان مسافة ٢٤٧٨ متراً بالاصبع الوسطى من يدها اليمنى. فلما زال فعل الترياق عنها لم تستطع حملهُ سوى مسافة ١٥٣٣ متراً. ولم تشعر بعد شرب الترياق باقل انزعاج بل شعرت بزيادة نشاط وقوة وليس العبرة باللقاح الذي يحدث التعب بل بالترياق الذي يزيلهُ كما لا يخفى

حالة مصر هذا العام

ابنّا في مقالة مسهبة في هذا الجزء ان السنة الماضية لم تكن على ما يرام لان نفقات القطر المصري زادت على دخله وقد وقفنا الآن على تقرير الجمارك للاشهر الثلاثة الاولى من سنتنا الحاضرة فاذا هي دون ما كانت عليهِ في السنة الماضية لان صادرات القطر فيها بلغت هذه السنة ٥٠٠٤١٢٧ جنيهاً وكانت في السنة الماضية ٧٢٦٦٤٧٦ جنيهاً فنقصت هذه السنة ١٧٦٢٣٤٩ جنيهاً عما كانت في السنة الماضية . والواردات زادت هذه السنة ٩٨٥٥٥٢ لانها بلغت ٤٨٣٨٥٠٠ جنيه وكانت في السنة الماضية ٤٢٨٥٥١٥ . وسبب هذا النقص الفاحش في قيمة الصادرات ليس من قلة كميتها بل من هبوط سعرها . والنقص المشار اليهِ في ثمن القطن فقد كان وزن القطن الذي صدر في الاشهر الثلاثة الماضية من هذا العام ١٩٣٤٦٨٥ قنطاراً وكان ثمنهُ ٤١٩٣٢٢٥ جنيهاً وكان في الاشهر الثلاثة الاولى من العام الماضي ١٩٦٢٠٢٨ قنطاراً وكان ثمنهُ ٦١٥٦٥٨٦ . اي ان وزن القطن الصادر كان واحداً تقريباً في العامين ولكن ثمنهُ نقص هذا العام عما كان في العام الماضي ١٩٦٣٣٦١ جنيهاً او نحو مليوني جنيه ولولا الزيادة في ثمن بعض الصادرات الاخرى كالسكر والبصل والبيض لبقي النقص في الثلاثة الاشهر الاولى من هذا العام مليوني جنيه

ومما يستحق الالتفات وتخشى عواقبهُ ان النقود التي وردت الى القطر المصري في الاشهر الثلاثة الاولى من هذا العام نقصت عن النقود التي وردت في الاشهر الثلاثة الاولى من العام الماضي ٦٣٥٩٦٧ جنيهاً فقد كانت ١٤٦٢٥٢ جنيهاً في العام الماضي ولم تبلغ سوى ٨٢٤٢٨٥ هذا العام . والنقود التي صدرت من القطر زادت هذا العام عما كانت في العام الماضي ١٦٧٦١٥٧ جنيهاً فانها كانت ٦١٨٩٣٦ فصارت ٢٢٩٥٠٩٣ اي انهُ دخل القطر المصري هذا العام ٨٢٤٢٨٥ جنيهاً فقط وصدر منهُ ٢٢٩٥٠٩٣ جنيهاً واما في العام الماضي فدخلهُ في هذه الاشهر الثلاثة ١٤٦٠٢٥٢ جنيهاً وصدر منهُ ٦١٨٩٣٦ جنيهاً فقط . فكأَنَّ القطر المصري خسر في الثلاثة الاشهر الاولى من هذا العام مليونين وثلث من الجنيهات واذا جرت الحال على هذا المنوال الى آخر السنة زاد الضيق المالي جدًّا ما لم تجلب البنوك نقوداً كثيرة تدينها للاهالي وترتهن اطيانهم

هذه عاقبة الاسراف ونتيجة الخسائر من الاشتغال في البورصة ويخطئ من يستدل على نجاح البلاد بزيادة وارداتها ان لم تكن صادراتها اكثر منها

دون غراسيا

في بلاد الانكليز رجل اسباني مشهور في فن الغناء وعلم الاصوات اسمهُ غراسيا وهو مخترع اللارنجوسكوب بلغ مئة سنة من العمر في السابع عشر من شهر مارس فاحتفل بذلك احتفال عظيم رأسهُ السر فلكس سمون الطبيب المشهور بمرض الحنجرة وهو الذي عالج الجناب الخديوي لما كان في بلاد الانكليز وحضر الاحتفال لورد سفيلد من قبل ملك الانكليز والسر ارشيبلد غيكي والمستر فرنسيس داروِن والاستاذ هليبرتن من قبل الجمعية الملكية التي قرأ فيها السنيور غراسيا مقالة علمية طبية في الصوت منذ خمسين سنة . ونواب الجمعيات العلمية ومدارس الغناء والطب في اوربا . وقبل الاجتماع دعا ملك الانكليز السنيور غراسيا الى قصر بكنهام والبسهُ بيدهِ نيشان رويال فكتوريان وفي الاحتفال قام مركيز فلالوبار وتلا رسالة تهنئة من ملك اسبانيا والبسهُ نيشان الفنسو الثاني عشر واعطاهُ لقب دون ثم قام الاستاذ فرنكل واهدى اليهِ نيشان العلم الذهبي من امبراطور المانيا

الجندي الياباني

يقال ان الجنود اليابانية اكثر جنود الارض نظافة واقلهم شرباً للمسكرات ولكنهم يكثرون تدخين السجاير الرفيعة . ومعظم طعامهم الارز والسمك المقدد واللحم المحفوظ في العلب والمخلّل . وقد حاولت الحكومة ترغيبهم في اكل اللحوم فلم تفلح . وضباطهم يكرهون التأنق في المأكل والملبس وخصوصاً في ساحة الحرب . يحكى ان بعضهم اهدى الى الجنرال نوجي في حرب الصين رداء ثميناً فباعهُ ووهب ثمنهُ لمساعدة المرضى قائلاً ان عندهُ رداء وكثيرين من الجنود لا اردية لهم . ويحتقر الضباط اليابانيون المعتمدين العسكريين الاجانب الذين يرافقون الجيش الياباني في الحرب الحاضرة لما يرونهُ من تأنقهم. قال احد المعتمدين "لن أنسى احتقار احد الضباط اليابانيين لي وانا آكل طعامي فان خادمي خبز لي رغيفاً وفتحت علبة لحم وعلبة زبدة واعددت بعض الشاي بلا لبن ولا سكر . وبينما كنت آكل اذا بضابط ياباني صديق لي قد دخل عليَّ فدعوتهُ ليأكل معي . فنظر اليَّ نظرة الساخر المستغرب وقال "كيف تستطيع كل هذا الانهماك في الاكل . هلمَّ وانظر طعامي" فتبعتهُ الى غرفة قريبة فاشار الى قصعة من الارز وبعض الاعشاب البحرية وابريق للشاي كانت موضوعة في جانب من الغرفة وقال هذا كلُّ طعامي

نفقات الدول وديونها

ترى في الجداول الآتية النفقات السنوية

لبعض الدول العظمى والصغرى وديونها

النفقات السنوية

	جنيه
روسيا	٢٩١٠٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	١٧٩٧٥٠٠٠٠
فرنسا	١٤٢٦٠٩٠٠٠
الولايات المتحدة	١٢٩٥٠٠٠٠٠
المانيا	١١٥١٣٢٠٠٠
النمسا والمجر	١١١٢٠٣٠٠٠
ايطاليا	٦٩٨٦١٠٠٠

الديون الاهلية

	جنيه
فرنسا	١١٧٢٣٦٠٠٠٠
روسيا	٦٥٦٥٧٤٠٠٠
بريطانيا العظمى	٦٣٨٩١٩٠٠٠
النمسا والمجر	٥٩٠٩٤٤٠٠٠
ايطاليا	٥١٠٥٠١٠٠٠
اسبانيا	٣٨٧٠٠٠٠٠٠
جمهورية الارجنتين	١٨٣٥٧٥٠٠٠
البرتوغال	١٧٧١٩٢٠٠٠
تركيا	١٧٠٠٠٠٠٠٠
المانيا	١٤٣٧٩٩٠٠٠
مصر	١٠٠٠٠٠٠٠٠

كبر السن والعمل

نبغ كثيرون من العلماء والكتاب بعد ان جاوزوا سنَّ الاربعين وهو السنُّ الذي يزعم الناس عموماً ان الحياة بعده يجب ان تكون حياة سكون وراحة بالنسبة الى عناء الشباب وهمومهِ . فان الشاعر اليوناني صفوقليس نظم ديوانهُ وهو شيخ هرم . وتنسون الشاعر الانكليزي نظم قصيدة مشهورة وهو في سن الثمانين . وملتون نظم "الفردوس المفقود" وهو كبير السن

هذا بين الشعراء واما بين الكتاب والعلماء فان السر ولتر سكوت بدأ كتابة الروايات بعدان جاز الاربعين وداروِن كتب كتاب "اصل الانواع" بعد ذلك السن . واشتهر هكسلي واللورد كلفن بعد ذلك السن ايضاً . وكتب كارليل كتابهُ المشهور عن "فردريك الكبير" وهو شيخ

الذكر والانثى

يذهب العلماء عموماً الى ان الذكر من الحيوانات ارق من الانثى في بنيتهِ وتركيبهِ ولكن قام الدكتور مونتغومري من العلماء الاميركيين يناقض هذا المذهب فكتب يقول ان الذكر في الحيوانات التي ليست من ذوات الفقرات اصغر من الانثى حجماً وادنى تركيباً واما في ذوات الفقرات فانهُ وان يكن الذكر غالباً اكبر حجماً من الانثى وارق في بعض الصفات الثانوية الآن للانثى مزية عليهِ في كثير من الاعضاء الرئيسة من حيث الاختصاص والارتقاء

ربح المؤلفين

ربح السر ولترسكوت ٨٠ الف جنيه من قلمهِ وربحت مس ايفانس المعروفة بين الكتاب باسم جورج اليوت ٧٠٠٠ جنيه من رواية "روملا" التي وضعتها . وكتب اللورد روبرتس كتابهُ "٤١ سنة من حياة جندي" فنقد ١٠ آلاف جنيه عليهِ . والف المستر جون مورلي المشهور كتاب "حياة غلاستون" فأخذ ١٠ آلاف جنيه عليهِ . واخذ ستنلي مثل ذلك على رحلاتهِ الافريقية واخذت ماري كورلي الف جنيه على رواية "زسكا" ويقال ان المستر هول كاين ربح مئة الف جنيه من كتابهِ المسمى "المسيحي"

زلزلة الهند

اصيب الجانب الشمالي الغربي من بلاد الهند بزلزلة عنيفة في الرابع من شهر ابريل خرَّبت كثيرًا من المباني وقتلت نحو عشرين الف نفس . واشد زلزلة حدثت قبل هذه كانت سنة ١٨٩٧ ولكن لم يقتل بها كثيرون لانها حدثت في اواخر النهار والناس خارج بيوتهم ولم يكن في المنطقة التي حدثت فيها مدن كثيرة السكان . اما هذه الزلزلة فحدثت عند شروق الشمس واكثر الناس في بيوتهم وكان اشد فعلها حيث بعض المدن الكبيرة

وقد شعرت بها الآت رصد الزلازل في كوتنجن وادنبرج بين الساعة ١ و٣/١١ بعد نصف الليل والفرق في الوقت بين المكانين نحو خمس ساعات فكأَنَّ الآلات شعرت بها في الوقت الذي حدثت فيهِ تقريبًا لسرعة انتقال الامواج في الارض

دين فرنسا عند روسيا

اختلفت الاقوال في مقدار الاموال التي للفرنسويين عند الروس فقيل انها بلغت ١١ مليارًا من الفرنكات سنة ١٨٩٧ ثم زادت حتى بلغت ١٢ مليارًا سنة ١٩٠٤ وقيل انها بلغت ١٥ مليارًا . وهي لا تنقص عن ١٠ مليارات على اقل تقدير او ٤٠٠ مليون جنيه انكليزي وذلك ضعف الغرامة الحربية التي ادتها فرنسا الى المانيا بعد الحرب السبعينية

الاستاذ تشيني

فقدت ايطاليا عالمًا كبيرًا بوفاة الاستاذ تشيني الفلكي الطبيعي توفي في الرابع والعشرين من شهر مارس الماضي في السابعة والستين من عمرهِ وكان مديرًا لمرصد رومية ثم لدار الارصاد الجوية وكان اكثر اشتغالهِ برصد كلف الشمس ونتوآتها وما اشبه مما يتعلَّق بالشمس

الانفاق على المعادن

بلغت ميزانية المعارف في بلاد الانكليز لهذا العام (من اول ابريل هذا الى آخر مارس سنة ١٩٠٦) ١٦٣٢٨٩٤٧ جنيهًا

ولو انفق القطر المصري على المعارف بنسبة عدد سكانهِ الى عدد سكانها لوجب ان تكون ميزانية المعارف عندنا اربعة ملايين من الجنيهات ولكن شتان بين غنانا وغناهم و بين ما يمكن انفاقهُ على المعارف عندنا وما يمكن انفاقهُ عندهم . والعائق الاكبر في سبيل المعارف عندنا عدم وجود العدد الكافي من المعلمين والظاهر ان هذا العائق لا يزول الاَّ باستعمال وسائط غير عادية

رحلة جديدة الى القطب الشمالي

عزم دوق اورليان على الذهاب الى القطب الشمالي ومعهُ جماعة من العلماء الفرنسويين وسيقلع من بلاد نروج في اول هذا الشهر (مايو)

الهرم الثاني والصاعقة

حدث نوء كهربائي شديد في القاهرة في الحادي والثلاثين من شهر مارس الماضي ووقعت صاعقة على الهرم الثاني قرب رأسهِ فاقتلعت بعض حجارتهِ ورمتها الى الارض

علاج السرطان بالراديوم

لم يكد الراديوم يكتشف حتى شرع بعض الاطباء يعالجون السرطان باشعتهِ وقد ثبت الآن ان حادثة لا شبهة فيها من حوادث السرطان شفيت بهِ تماماً ولكن لا يعلم هل شفاؤُها دائم او وقتي لانهُ لم يمرَّ الزمن الكافي حتى الآن لاثبات احد الامرين فاذا مضت بضع سنوات ولم يعد السرطان ترجح او ثبت ان الشفاء دائم

مؤتمر العاديات

عقد مؤتمر العاديات في مدينة اثينا في السابع من شهر ابريل برئاسة ولي العهد وحضرهُ الملك والملكة وتوالت اجتماعاتهُ الى الثالث عشر من الشهر وتقرَّر اجتماعهُ الثاني في القاهرة بعد سنتين

بركان كيلويا

عاد بركان كيلويا الى الهيجان بعد ان هجع ثلاث عشرة سنة وهو البركان الذي فيهِ بحيرة من المعادن المصهورة

معادن استراليا

بلغت قيمة الذهب المستخرج من مناجم استراليا منذ اكتشافها الى آخر سنة ١٩٠٣ ٤٦٤٤١٠٠٠ جنيه اي اقل من ثمن القطن الذي يستغل من القطر المصري في ثلاث سنوات

جول فرن

توفي العالم الروائي جول فرن في الرابع والعشرين من شهر مارس الماضي وهو في السابعة والسبعين من عمرهِ وهو اشهر كتَّاب الروايات في افراغ الحقائق العلمية في قالب الروايات الفكاهية ورواياتهُ كلها تلذ وتفيد من غير ان يكون فيها اقل شائبة ادبية

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثلاثين



December 1930 — ديسمبر ١٩٣٠



الجزء السادس من المجلد الثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٣

عين العلماء وكواكب السماء

نشرنا منذ خمس عشرة سنة مضت مقالة في هذا الموضوع لم تزل جديدة عند فريق كبير من القراء فنعيد بعض ما قلناه فيها ونزيد عليهِ ما زاد في هذا الموضوع من ذلك الحين الى الآن اتماماً للفائدة : قلنا

" العين ابدع الاعضاء واعجبها بناء واكملها اتقاناً وهي مرآة النفس وصورة العقل ودليل العواطف . ولا يقاربها في إحكام الوضع واتقان الصنعة الاَّ عين العلماء نريد بها التلسكوب الفوتوغرافية ولكنَّ عين العلماء اكبر جسماً وابعد مدًى فان قطر بلورتها قد يكون اكثر من ثلاث اقدام وطول محورها نحو خمسين قدماً وشبكيتها لوح فوتوغرافي حسَّاس تنطبع الصور عليهِ باسرع من لمح البصر. ولو وضعت هذه العين في رأس انسان للزم ان يكون ارتفاعهُ الف متر . فهي احدُّ بصراً من عين الانسان واطول منها مدًى واسرع فعلاً على نسبة تكاد تفوق التصديق ففي الجزء من المليون من الثانية تصوّر الشمس وكلفها وما يظهر على وجهها من الزوابع والمشاعيل وجبال النار وترسم الصورة رسماً ثابتاً لا يتغيَّر مدى الادهار . واذا وجهتها الى ايَّة نقطة في السماء في الليلة الظلماء ارتكَ عوالم واكواناً لا يمكن عين بشر ان تراها ولو استعانت على رؤْيتها باقوى النظارات الفلكية. والانسان اذا نظر الى شيء بضع ثوانٍ ولم يرَهُ لصغرهِ او لبعدهِ استحالت رؤْيتهُ عليهِ ولو حدَّق اليهِ بضع ساعات واما التلسكوب الفوتوغرافية فترى في دقيقةٍ ما لا تراهُ في ثانيةٍ وفي ساعة ما لا تراهُ في دقيقة ومهما حدَّقت الى القبة الزرقاء لا يكلُّ بصرها بل يزيد حدةً ومضاء وتحفظ صور مرئياتها على شبكيتها أبد الدهر بخلاف عين الانسان التي لا تحفظ الصور على شبكيتها الاَّ لحظةً من الزمان

لقد ابنّا غير مرة انهُ اذا مات انسان وهو ناظر الى شيء ما بقيت صورة ذلك الشيء مطبوعة على شبكية عينهِ مدة وجيزة لان شبكية العين بمثابة اللوح الحسَّاس في الآلة الفوتوغرافية فترتسم الصور عليها كما ترتسم عليهِ فما دام الانسان حيًّا تُمحى الصورة حالاً بعد ارتسامها لكي ترتسم مكانها صورة اخرى واما اذا مات ونُزعت عينهُ حالاً وغطّست في مذوّب الشب الابيض ثبتت الصورة عليها مدةً طويلة. واما العين الفلكية فصورها ثابتة لا تتغير وقد شاع استعمالها الآن فلما اجتمع مؤتمر علماء الفلك في باريس في العام الماضي عرضوا ما صنعوهُ من الصور الفلكية بواسطة هذه العين وبينها صور الشمس والقمر والسيارات والثوابت والسدام وبعض جبال القمر كما نراها لو كنا على مئة وعشرين ميلاً منها . ويقدرون انهُ سيكون لهذه العين شأن عظيم في كشف الغوامض

اذا نظرت الى السماء بواسطة تلسكوب قطر بلورتهِ ثلاثون سنتيمترًا وطولهُ ثلاثة امتار ونصف رأيت فيها النجوم التي من القدر الاول والثاني والثالث الى الرابع عشر وعدتها اربعة واربعون مليونًا من العوالم الكبيرة . واذا استعملت العين الفلكية بدل عينك فالنجوم التي من القدر الاول ترسم على لوحها الحسَّاس في جزء من مئتي جزء من الثانية والتي من القدر الثاني في جزء من مئة جزء من الثانية والتي من القدر الثالث في جزء من ثلاثين جزءًا من الثانية والتي من القدر الرابع في عشر الثانية والتي من الخامس في خمس الثانية والتي من السادس في نصف الثانية . وفي اقل من ثانية ترى العين الفوتوغرافية كل ما تراهُ عين الانسان الطبيعية من نجوم السماء ولكن ذلك ليس شيئًا مذكورًا في جنب كل ما يرى بهذه العين اذ تنطبع فيها صور النجوم التي من القدر السابع في ثانية وثلث والتي من القدر الثامن في ثلاث ثوان والتي من التاسع في ثماني ثوانٍ والتي من العاشر في عشرين ثانية والتي من الحادي عشر في خمسين ثانية والتي من الثاني عشر في دقيقتين والتي من الثالث عشر في خمس دقائق والتي من الرابع عشر في ثلاث عشرة دقيقة . وهذه النجوم كلها يمكن رؤيتها بالتلسكوب الفلكية القويَّة وعددها نحو اربعة واربعين مليونًا كما تقدم والتلسكوب الفوتوغرافية ترى ما وراءها ايضًا فاذا بقيت ناظرة الى السماء ٣٣ دقيقة ارتسمت فيها صور النجوم من القدر الخامس عشر وبلغ بها عدد النجوم المرئية ١٣٤ مليونًا. واذا بقيت شاخصة ساعةً وثلث ساعة ارتسمت فيها ايضًا النجوم التي من القدر السادس عشر فبلغ عدد ما يمكن ان يرى على هذ الصورة اربع مئة مليون من النجوم بل من العوالم الكبيرة التي يكبر كلٌّ منها ارضنا وشمسنا

ومهما كانت ابعاد هذه الكواكب ولو بلغت ملايين الملايين من الوف الوف الاميال

فان صورها ترتسم على اللوح الفوتوغرافي رسماً ثابتاً حتى اذا نظر اليها فلكيو العصور التالية رأوا وضعها في السماء وعلموا ما اذا كانت لم تزل في مكانها او ابتعدت عنهُ" انتهى

ولقد توالت المكتشفات التي اكتشفتها عين العلماء في هذه السنين وآخرها ثلاثة اقمار كُشفت في النظام الشمسي لم تكن معروفة من قبلُ . ولو بُعث هرشل واراغو و بوند وعادوا الى مراصدهم لوجدوا فيها بدل الراصدين الشائبي النواصي جماعات من النساء جالسات حول موائد عليها الواح من الزجاج وهنَّ ينظرن اليها بالميكرسكوب ويقسن ابعاد ما عليها من النقط لان علماء الفلك لم يعودوا يرصدون النجوم في الليالي الظلماء و يتعرضون لصبارة البرد في فصل الشتاء بل صاروا يعرضون لها الالواح الفوتوغرافية في آلة كآلة التصوير الشمسي فترتسم صورها عليها ثم يأتون بها الى غرفهم و يدرسونها هم ومعاونوهم في رائعة النهار بالمنظار والبركار

واللوح الفوتوغرافي اصلح من العين البشرية لرؤية الكواكب لاسباب ثلاثة اولها انهُ يصدر من الاجرام السموية اشعة كثيرة لا تؤَثر في العين لانها ليست من الاشعة التي نحسبها نوراً لكنها تؤَثر في المواد الكيماوية التي تطلى بها الالواح الفوتوغرافية ولذلك نرى في هذه الالواح صور اجرام كثيرة ما كنا لنراها لولا هذه الالواح ولو استعنا باقوى النظارات على رؤيتها

وثانيها ان تأثير النور في العين البشرية مدتهُ لحظة ثم يزول. فاذا نظرت الى نجم وبقيت محدقاً اليهِ دقيقة من الزمان لا تزيد رؤيتك لهُ وضوحاً بل قد تتعب عيناك وتكلاَّن فلا تعود تراهُ واما عين العلماء هذه فتأثير النور يتراكم عليها لحظة بعد لحظة ودقيقة بعد اخرى فيزيد رويداً رويداً كما يزيد المال في صندوق البخيل

وثالثها ان هذا التأثير ينطبع على اللوح ويبقى ثابتاً فيهِ يراهُ كل احد واما التأثير الذي يقع في العين البشرية فلا يشعر بهِ الاَّ صاحبها واذا اراد ان يريهُ لغيرهِ اضطرَّ ان يصوّرهُ بالقلم . وقد تكون الصورة مطابقة للحقيقة وقد لا تكون ولاسيما اذا كان المرئي كثير التفاصيل كوجه القمر او غير واضح الحدود كالسديم. اما العين الفلكية فترسم كل شيء على اصلهِ وقد ترسم ما لا تراهُ العين ولو استعانت باقوى النظارات

والصورة التي ترسم في المرصد الواحد قد ترسل الى مرصد آخر حيث يتم البحث فيها او تترك الى ان ترسم صورة اخرى للبقعة التي رُسمت لها الصورة الاولى ثم يقابل بين الصورتين حتى اذا ظهر فيهما اختلاف عُرِف منهُ ان النجم الذي اختلف موقعهُ مثلاً متحرك بالنسبة الى غيرهِ . وقد اتفق علماء الفلك منذ عشرين سنة على تصوير قبة السماء كلها بعد ان قسموها بينهم حتى يصوّر كل فريق منهم جانباً منها وتجمع هذه الصور اخيراً فيكون منها خريطة عامة

للسماء ترى فيها النجوم القريبة التي ترى بالعين والبعيدة التي لا ترى الاّ بالتلسكوب او لا ترى الاّ بالعين الفلكية اي بألواح الفوتوغراف بعد تعريضها لها ساعات كثيرة

وبهذه الواسطة كشفت ثلاثة اقمار كما تقدم اولها من اقمار زُحل وهو القمر التاسع اكتشفهُ الاستاذ بكرنج في الواح فوتوغرافية صُنعت في مرصد اركويبا في بلاد بيرو فان مدرسة هارفرد الجامعة الاميركية انشأت هذا المرصد على جبل في بلاد بيرو حيث الارتفاع ٨٠٤٣ قدماً عن سطح البحر والهواء لطيف خالٍ من البخار والغبار وكل ما يضعف رصد الافلاك وتُصوَّر هناك الصور الفوتوغرافية وترسل الى مدرسة هارفرد في اميركا لتفحص فيها. واعلن الاستاذ بكرنج اكتشافهُ لهذا القمر سنة ١٨٩٩. وقد استدلَّ على وجودهِ قبلما كشف فأمر ان يصوّروا لهُ زحل وما حولهُ وجعل يبحث في النقط الدقيقة التي ارتسمت حول السيار فوجد منها نقطة يختلف موقعها ثم وجد بالحساب انها تدور حول زحل وانها هي القمر الذي استدلَّ عليهِ قبلما رآهُ. ولم تظهر صورة هذا القمر جلياً الاّ في الصيف الماضي وثبت حينئذٍ انهُ يدور حول زُحل على خلاف مع بقية اقمارهِ فان بقية الاقمار تدور من الغرب الى الشرق تابعة لدوران زُحل على محورهِ واما هذا القمر فيدور من الشرق الى الغرب. وهو بعيد عن زُحل بعداً شاسعاً نحو ثمانين مليون ميل. ولذلك ظُنَّ انهُ كان من ذوات الاذناب فجذبهُ زُحل اليهِ لما دنا منهُ. ثم كشف قمر سادس للمشتري في شهر يناير الماضي اكتشفهُ الاستاذ برين في مرصد لك واكتشف بعدهُ قمراً سابعاً ولم يعلن اكتشافهُ لهُ الاّ في السابع والعشرين من شهر فبراير مع ان صورتهُ ظهرت على لوح الزجاج في ٢ يناير

وبين السيارات اجرام صغيرة فلكها بين فلك المريخ وفلك المشتري وقد كشف كثير منها قبلما استعان علماء الفلك بالفوتوغرافيا ثم لما استعانوا بها كشفوا بعض ما لم يستطيعوا اكتشافهُ قبلاً لصغرهِ ومن ذلك السيارة اروس التي يزيد نورها وينقص وتدلُّ الدلائل على ان شكلها مثل كرتين متصلتين بعمود بينهما وهو شكل غريب لا مثيل لهُ بين اجرام السماء

ومما يصح ان يطلق عليهِ اسم عين العلماء الآلة المسماة بالسبكتروهليوغراف التي استخدمها الاستاذ هال لرصد الشمس وتصوير اي نور شاء من انوارها. فيصورها مرةً كما لو لم يكن فيها غير النور الصادر من بخار الكلسيوم المنتشر في جوها ويصورها مرةً اخرى كما لو لم يكن فيها غير النور الصادر من اشتعال الهيدروجين وهلمَّ جرّاً لان الآلة تصور نوراً واحداً كل مرة وتحجب بقية الانوار. وستستعمل هذه الآلة في اصوان في رصد الشمس وقت كسوفها المقبل ولابدَّ من ان تكشف بها حقيقة الشمس مع الزمان ويعلم بها بناء مادتها

وقد استخدمت الفوتوغرافيا لتصوير القمر والسدام صوراً دقيقة جداً انجلت بها بعض الغوامض فاستدلّ الاستاذ بكرنج من صور القمر على ان بعضه لا يزال عاملاً وانهُ غير خالٍ من النبات ورئي بها كثير من السدام التي لم تكن تُرى بغيرها لضعف نورها. مثال ذلك ان الثريا التي شبهها الشاعر العربي "بعنقود ملاحية حين نورا" اثبتت عين العلماء ان نجومها الكبيرة غير واضحة الحدود بل محوطة بها السدام كما يحيط النور بحبوب العنب عند اول ظهورها فكأن الشاعر العربي رأى بعين الخيال ما لم يرهُ علماء الفلك الاَّ بالتلسكوب والفوتوغراف. واغرب من ذلك الصور التي رسمت للمجرة فقد ابانت عن سحب واسعة من النجوم فيها بقع سوداء لا نجم فيها ولا نور

واول من رأى السدام وانتبه لها الفلكي هجنس منذ ٢٥٠ سنة وقد قال في هذا الصدد ما ترجمته

"ان بين الثوابت شيئاً يستحق الذكر لم ينتبه لهُ احد حتى الآن على ما اعلم ولا يُرى جليًا الاَّ بتلسكوب كبير فان في سيف الجبار ثلاثة نجوم قريبة بعضها من بعض وبينما كنت اراقب اوسطها سنة ١٦٥٦ رأيته مؤلفاً من اثني عشر نجماً ثلاثة منها تكاد تتصل معاً واربعة تنير من خلال سديم (او ضباب منير) فيظهر ما بينها انور مما حولهُ من قبة السماء وكانت السماء حينئذٍ صافية حالكة السواد فظهر لي في النظر الى فرجة فيها وراءها مكان منير"

ومرَّ مئة عام وعلماء الفلك لا يلتفتون الى السدام الى ان قام السر وليم هرشل فبحث عنها بحث الراصد المدقق ولكن نظارتهُ لم تكن دقيقة فلم يستطع ان يفرق بين السدام والقنوان اي بين ما يظهر كلطخ السحاب المنير وبين النجوم المجتمعة بعضها مع بعض كأنها قنو النخل (عنقود البلح). واقتصر بحث العلماء حينئذٍ على اكتشاف هذه السدام وتبويبها الى ان كشف السبكترسكوب ووجهت اليها عين العلماء وسنعود الى البحث فيها في فرصة اخرى

وعلم الفلك ومباحثهُ من الامور النظرية التي تلذ العقل ولكنهُ غير خالٍ من الفوائد العمليَّة فاذا ثبت ان لكلف الشمس وتقلباتها علاقة بالامطار والزوابع والحر والبرد كما يُرجَّح الآن وعرفت هذه العلاقة حتى امكن الاستدلال بها على سني الخصب وسني الجدب فمن ذلك فائدة تربو على كل النفقات التي أُنفقت على ترقية هذا العلم. ولا يخلو علم من فائدة عاجلة او آجلة ولو تأخر ظهورها الفي سنة كما تأخر ظهور النفع من علم القطوع المخروطية

الدكتور يوحنا ورتبات

لمن من العلماء الفضل الاكبر في النهضة العلمية التي ابتدأت في بلاد الشام منذ خمسين سنة فعمتها وعمّت القطر المصري معها ؟ هذه مسألة يتعذر بتّ الحكم فيها ولكن لا خلاف في ان الدكتور ورتبات صاحب الترجمة من اركان هذه النهضة الذين لهم اليد الطولى فيها

رأيناهُ اول مرة منذ نحو اربعين سنة جاء زائرًا مدرسة عبيه في لبنان وكان الشيب قد وخطهُ . ووقف في منبر الوعظ فوعظ بالعربية ونحن نظنهُ انكليزيًا ثم وعظ بالانكليزية في ذلك اليوم عينهِ بعد ان علمنا انهُ شرقي وسمعنا اساتذتنا حينئذٍ يعجبون ببلاغتهِ وحسن اسلوبهِ في الوعظ والانذار ويقولون انهُ من نوابغ رجال المشرق الذين تلقَّوا العلوم على المرسلين الاميركيين

وبعد سنتين صرنا من تلامذتهِ في المدرسة الكلية الاميركية نتعلَّم منهُ مبادئ علم الفسيولوجيا فرأَينا منهُ عالمًا عاملاً يقرن العلم بالعمل والقول بالامتحان يرينا كرَيات الدم وتلافيف الدماغ وصمامات القلب وفصوص الكبد وحبيبات الطحال واقسام الامعاء ويغرينا بتشريح الحيوانات ودرس وظائف اعضائها. ومضت السنون وهو مثال لنا في الهمة والاجتهاد والدعة وكرم الاخلاق . مرشد حكيم نتّبع قدوتهُ وصديق مخلص تفيد مودتهُ وهذا رأي تلامذتهِ كلهم الذين تعلَّموا منهُ كما هو رأي معارفهِ الذين عاشروهُ وعاملوهُ

وهو ارمني الاصل كما تدل كنيتهُ وُلد في بداءة سنة ١٨٢٧ فبعد بضعة اشهر يدخل في السنة الثانين من عمرهِ . وشرع وهو في الخامسة يتعلَّم مبادئ القراءة . ولما انشئت المدرسة الاميركية الاولى في بيروت سنة ١٨٣٦ انتظم في عداد تلامذتها وبقي فيها ست سنوات وكان التعليم فيها باللغة الانكليزية فاتقن هذه اللغة حتى لا يفرق عن فصحاء اهلها لفظًا وانشاء. وبعد خروجهِ منها قرأ النحو والبيان على الشيخ ناصيف اليازجي من علماء الشام والعروض والمنطق على الشيخ عقل الزويتيني من علماء حلب ولازم افاضل المرسلين الاميركيين ثماني سنوات وقرأ عليهم العبرانية واللاتينية واليونانية والعلوم اللاهوتية. وعلى ثلاثة من اطبائهم اكثر فروع الطب ثم اكمل دروسهُ الطبية في ادنبرج ونيويورك ونال الشهادة الطبية بعد الامتحان

ولما فُتح الفرع الطبي من المدرسة الكلية في بيروت سنة ١٨٦٧ جُعل فيهِ استاذًا للتشريح والفسيولوجيا على ما تقدم فدرَّس هذين العلمين ست عشرة سنة متوالية وألَّف فيهما كتابين جليلين بالعربية لا يزالان اوسع وادق ما وضع في هذين العلمين بها حتى الآن. ثم

انتُدب لتدريس الطب الباطني بعد استعفاء الدكتور فان ديك فدرَّسهُ اربع سنوات. وكان طبيباً للمستشفى البروسياني في بيروت المعروف بمستشفى فرسان مار يوحنا فاهدى اليهِ اصحابهُ وسام الاستحقاق الذهبي وساعة ثمينة نقشوا عليها اسمهُ وذكروا خدمتهُ في ذلك المستشفى خمس عشرة سنة . ومنحتهُ الدولة العثمانية الوسام المجيدي الرابع اعترافاً بخدمتهِ مدة الكوليرا سنة ١٨٧٥ والعثماني الرابع جزاء ما الَّفهُ ونشرهُ من الكتب العلمية فقابل الوسامين بالشكر لانهُ ينظر الى الدلالة المقصودة منهما

ويمتاز في تأليفهِ وتدريسهِ وتطبيبهِ ومعاشرتهِ ولهُ في كل امر من ذلك خطَّة معلومة ترى باقل نظر . ففي التأليف يتوخى الفائدة والسهولة كما يبين من الكتب التي الَّفها او ترجمها ومن المقالات التي كتبها بالعربية او بالانكليزية

ولهُ من الكتب العلمية كتاب التشريح. وكتاب الفسيولوجيا. وكتاب صغير في التشريح والفسيولوجيا مع اطلس كبير. وكتاب في حفظ الصحة . واكثر من ثلاثين مقالة اكثرها باللغة الانكليزية بعضها في المواضيع الطبية كالجذام والطاعون والكوليرا والحمى التيفويدية والتريخينا ونحوها . وبعضها في مواضيع ادبية كوصايا الشيوخ للشبان والتربية المدرسية والمصريين القدماء ونحو ذلك من المقالات التي تراها منشورة في المقتطف . وترجم كثيراً من الكتب الدينية والتفاسير واسلوبهُ في الكتابة خالٍ من التعقيد ومقصور على ايراد المعنى المراد من غير التفات الى تمنيق الالفاظ والتراكيب. وقد عرف الاوربيون والاميركيون قدرهُ العلمي لما رأوهُ من تآليفهِ فانتخب عضواً في المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع لندن في علم الامراض الوافدة والاكادمية الطبية في نيويورك . ومنحتهُ مدرسة يل الجامعة الدكتورية الاكرامية

واسلوبهُ في التدريس مثل اسلوبهِ في التأليف فلا يترك امرًا جوهريًّا الَّا بعد ان يفهمهُ تلامذتهُ حق الفهم نظرًا وعملاً. والتشريح من اصعب العلوم في تدقيقاتهِ وكثرة ما يجب حفظهُ منهُ ومع ذلك كان تلامذتهُ لا يتركون شيئاً منهُ جوهريًّا الَّا ويستظهرونهُ اقتداء بهِ. والفسيولوجيا من العلوم الدقيقة النامية فكان يصل في تدريسها الى آخر حدّ وصلت اليهِ حينئذٍ في ايدي علماء اوربا ويرسّخ قواعد العلمين في ذهن التلميذ بالتشريح العملي والبحث الفسيولوجي. وهو مثال في المواظبة والمحافظة على الوقت فلا يضيع دقيقة من اوقات التدريس بل يضيف اليها كل ما يلزم لقرن العلم بالعمل وجعلهِ بحيث يرى التلميذ فيهِ لذةً ولو لم يكن مما يُرغب فيهِ عادة كعلم التشريح

ومدار اسلوبهِ في التطبيب الاعتماد على الوقاية والتدابير الصحية ومساعدة الطبيعة للتغلب على المرض والاقلال من العلاجات الدوائية على قدر الامكان وبث الثقة في نفس المريض

بتخفيف الامر عليهِ . وهذا الاسلوب قد لا يفيد الطبيب مالاً ولكن المال ليس الغرض الذي يرمي اليهِ وهو من ازهد الناس في الدنيا

روى لنا ثقة منذ نحو خمس وعشرين سنة حادثة يصحُّ نشرها في هذا المقام . قال "مرضتْ زوجتي فاستدعيتهُ لها فجعل يعالجها و يعودها كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة حسب العادة . وذات يوم ابنت لهُ اني افضّل ان لا يعودها كل يوم فلحظ انني استثقلت دفع اجرة العيادة فوقف وسأَلني عن عملي وراتبي فاخبرتهُ فمضى ثم عاد ومعهُ كل الدراهم التي اخذها مني فردها اليَّ واضطرّني الى اخذها وواظب على عيادة زوجتي من غير اجرة". هذا ما وعتهُ الذاكرة من هذه القصة وقد نكون مخطئين في بعض تفاصيلها لبعد المدة ولكن مجملها كذلك . ولا يبعد ان يكون لها امثال كثيرة . وليس الغرض من ذكرها التنويه بفضلهِ واحسانهِ بل الاشارة الى انهُ يعدُّ الكسب من صناعة الطب امرًا ثانويًّا

الى هنا كان النظر اليهِ من حيث كونهُ رجل علم منقطعًا لافادة ابناء نوعهِ والآن ننظر اليهِ من حيث مقامهُ بين معاشريهِ

اذا نظر اليهِ المرء ولو مرةً واحدةً لا ينسى ما يراهُ في وجههِ من امارات الهيبة والوقار وقد يظنهُ لاول وهلة عبوسًا غير انيس المحضر ولكنهُ اذا عاشرهُ ولو قليلاً رآهُ على جلالة قدرهِ من اكثر الناس بشاشة وافكههم حديثًا . ويغلب الوقار عليهِ في مقام التعليم والارشاد كما اذا وقف واعظًا او خطيبًا . والمواضيع التي يبني كلامهُ عليها حينئذٍ مدارها في الغالب الحث على الفضائل واقامة الادلة العلمية والتاريخية على فائدتها فكم من مرة اتخذ موضوعًا لعظاتهِ قول الكتاب ان التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة وما يماثل ذلك من الآيات الكتابيَّة . وخطبتهُ المعنونة وصايا الشيوخ للشبان اوضح مثال لذلك وهي منشورة في المجلد التاسع عشر من المقتطف . ولكن الحياة ليست كلها تعليمًا وتدريبًا بل جانب كبير منها معاشرة ومعاملة فاذا رأيتهُ في حديقة بيتهِ يعتني بازهارها ورياحينها او رأيتهُ يلعب الالعاب الرياضية فيها مع الشبان والصبايا او رأيتهُ مع عشرائهِ يطربهم بفكاهة حديثهِ ويقص عليهم النوادر الغريبة او رأيتهُ يضحك لنكتة كما رأيناهُ مرةً اغرب في الضحك لكلمة قالها احد التلامذة فجاءت تورية مضحكة — مَن رآهُ كذلك قال ان الوقار والبشاشة اجتمعا فيهِ احسن اجتماع من غير افراط ولا تفريط

وهو الآن في التاسعة والسبعين وقد ناهز الثمانين ولا يزال ممتعًا بصحة العقل والجسد . حياة كلها نفع لا شائبة فيها وعمر قضي في رفع شأن الفضيلة والتدريب على ما يزيد الراحة ويزيل الالم . فسح الله في اجلهِ وزاد نفعنا بهِ

الرواية والرُّواة

(تابع ما قبله)

ويشترط في ناقل اللغة العدالة والامانة والصدق وقد أُرهفت الاقلام لجرح الرواة وتعديلهم وتمحيص ما ينقل عنهم اما في الحديث فحسبك من ان البخاري صاحب الجامع الصحيح قد خرَّج كتابهُ من نحو ستمائة الف حديث وجملة ما فيهِ ٧٢٧٥ حديثاً وبذلك ارتفع اسمهُ بين الناس حتى قالوا ان الذين سمعوهُ من مؤلفهِ تسعون الف رجل . واما في اللغة فالمعضلة اشد لرجوعها الى اقيسة واوزان غير الشاذ وما اخرجوهُ من سنن العرب ولمضي الكثيرين من الكلام بمضي اهلهِ فاذا وضع احدهم شعرًا او ارتجل لفظاً عسر عليهم ان يردوا ما كان من ذلك الى سند ينفيهِ او يثبتهُ وهم كانوا ينقلون عن النساء والاماء والعبيد ويقبلون من بعض اهل الاهواء الآ ان يكونوا مبتدعين يتدينون بالكذب ويذهبون الى اباحة الاختلاق بما تحملهم عليهِ البدعة كبعض فرق الرافضة . وكان الاصمعي يكتب احياناً ما يرتجز بهِ الصبية في الحمى ومع ذلك يروى عن ابي زيد " لست اقول قالت العرب الآ اذا سمعتهُ من هؤلاء بكر بن هوازن وبني كلاب وبني هلال او من عالية السافلة او سافلة العالية والآ لم اقل قالت العرب " . ومثل هذا الغل الذي وضعهُ ابو زيد في عنق اللغة هو الذي جعلنا اليوم نخبط في صدرها لا الى الجنب ولا الى الصميم فانها لعهدهِ كانت مشايعة باوضاعها كل مشتق ولم أضق عن المستحدثات التي اندفع الى مسابقها الكتّاب والعلماء بما كان من استعمال التمدن الاسلامي على ما هو معلوم وانما حرص الرواة على الامانة والصدق في الاداء والتحري في الاسناد حتى انهم كانوا يطلقون على مثل تلك المستحدثات (الالفاظ الاسلامية)

والامر في الشعر على تلك السنَّة وكان ابو عمرو بن العلاء يقول في شعر الفرزدق وجرير والاخطل واضرابهم لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايتهِ (١)

ومع ذلك فقد تناول اهل اللغة طرق الرواية والاثبات ونفضوها بحثاً فمن اقسامها المسند وهو ما أُرجع الى الراوية واسند اليه والمرسل وهو ما انقطع سندهُ كما رواهُ ابن دريد في اماليهِ عن التوَّزي عن ابي عبيدة انهُ اجتمع عند يزيد بن معاوية ابو زبيد الطائي وجميل بن

(١) روى ابن رشيق هذه الجملة هكذا : لقد حسن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايتهِ . واقسام الشعر جاهلي وهو ما لم يدرك اهلهُ الاسلام ومخضرم وهو الذي ادرك الجاهلية والاسلام واسلامي وهو ما كان في العهد الاول ولم يدرك الجاهلية ثم محدث وهو ما كان بعدهُ ثم مولد وهو الى اليوم وما بعدهُ

معمر العذري والاخطل التغلبي فقال ايكم يصف لي الاسد صفة في غير شعر . فألقى كل واحد منهم في ذلك كلاماً يجمع الفاظاً من الغريب .. قال العلماء ان هذا الخبر منقطع لان ابا عبيدة لم يدرك يزيد وهو عندهم غير مقبول لما قرروهُ من ان العدالة شرط في قبول النقل وانقطاع سند النقل يوجب الجهل بالعدالة

ومنها الافراد وهو ما انفرد بروايتهِ واحد من اهل اللغة ولم ينقلهُ احد غيرهُ وحكمهُ القبول ان كان المنفرد بهِ من اهل الضبط والاتقان كالخليل وامثالهِ . ولاكثر الرواة افراد وقد تجد الواحد منهم يذكر الكلمة عن غيرهِ ثم يقول لا اعرفها من كلام العرب وفلان (يعني راويها) عندي ثقة . وقد ذكر الجوهري في اول الصحاح انهُ ينقل عن العرب الذين سمع منهم وهذه الكلمة كانت السبب في ان يردَّ عليهِ بعض العلماء ما تفرد بهِ كما روى انهم يقولون كان ذلك عام كذا وهلمَّ جرًّا الى اليوم [1] قالوا ان هذه الكلمة لم تعرف قبلهُ عن ائمة اللغة وتوقف ابن هشام في كون هذا التركيب عربيًّا محضاً

ومنها الموضوع وهذا النوع مزلة الافهام والعقدة التي اضطربت في حلها الاقلام وانما حكم كل مروي الثبوت او الانتفاء ولا وجه لنفيهِ في ذاتهِ الاَّ ان يكون موضوعاً فهذا هو القسم الجائر ولولا ان حدود الرواية قائمة في وجههِ لرأيتهُ وقد تناول اكثر ما جاء عن العرب . ولا يمكن الجزم بان من الاختلاف في بعض اللغات ما يكون من اسباب الوضع فيها فقد مرَّ بك ان بعضهم كان يتناول اللفظة من لغة احدى القبائل فيجريها في استعمالهِ على ما تريدهُ منها تلك القبيلة ولها بعد ذلك معنى آخر في لغتهِ . ولا من كثرة الروايات في بعض الابيات فقد ذكر ابن هشام في شرح الشواهد ان بعضهم كان ينشد شعر بعض وكل يتكلم على مقتضى سجيتهِ التي فطر عليها قال ومن هاهنا كثرت الروايات في بعض الابيات . ومثل هذا ما عدوهُ من تداخل اللغات وهو ان يجتمع في الفصيح لغتان فاكثر كما يروى عن الاصمعي ان رجلين اختلفا في الصقر فقال احدهما بالصاد وقال الآخر بالسين فتراضيا باول وارد عليهما فحكياهُ ما هما فيهِ فقال لا اقول كما قلتما انما هو الزقر ... وهي لغات في العرب

ولكن اكثر ما يكون من الموضوع في اللغة والشعر راجع الى التعنيت وتكلُّف الاثرة او المكابرة في اقامة الحجة وانهاض الدليل . وليس الشرط في صحة كل كلمة ان تكون شائعة في

(١) خص بعض العلماء هذه الكلمة بالتصنيف بين مثبت ومتعقب كابن هشام وابي عبد الله الراعي وابن الانباري والسيوطي وشيخ الزبيدي شارح القاموس وقد ذكر هذا انها وردت في الحديث في غير موضع ولا تجد نحويًّا الاَّ وقد بسط الكلام عليها

العرب فقد قالوا ان العربي اذا قويت فصاحتهُ وسمت طبيعتهُ تصرَّف وارتجل ما لم يسبق اليهِ ومدافعة ما يجيء من ذلك تبطل اللغة من اصلها. وذكروا ان رجلاً قال لابي عمرو بن العلاء أخبرني عما وضعت مما سميتَ عربية أيدخل فيهِ كلام العرب كلهُ فقال لا قال فكيف تصنع فيما خالفتك فيهِ العرب وهم حجة قال احمل على الاكثر واسمي ما خالفني لغات

وانما آفة الرواية رقة الامانة وللعلم طغيان على الذمة والاخلاق . وقد أفرد ابن جني باباً في الخصائص لكلمات من الغريب لا يعلم احد أتى بها الاَّ ابن احمر الباهلي . واكثر انواع اللغة اتساعاً للوضع والاختلاق انما هو الغريب كهيدشون اسم دويبة وصيخدون للصلابة ونحوها

وعن الاصمعي عن بعض الرواة قال قلت للشرقي — وهو شرقي بن القطامي — ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها قال لا ادري قلت فاكذب لهُ .. قال كانوا يقولون

ما كنت وكواكا ولا ترونك رويدك حتى يبعث الخلق باعثه[1]

فاذا أنا بهِ يوم الجمعة يحدث بهِ في المقصورة

اما ما وضع من الشعر لاستهيان الودم وارسال النفس الى غايتها من الاثرة وموضع هواها من التكلف فكثير . وكان حماداً وطَّأ لذلك بما رواهُ من أن النعمان بن المنذر أمر فنسخت لهُ اشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض فلما كان المختار بن ابي عبيد الثقفي قيل لهُ ان تحت القصر كنزاً فاحتفرهُ فأخرج تلك الاشعار . قال فمن ثمَّ اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .. اقول ومن ثم ايضاً كثرت الاشعار التي قيل ان الكوفيين وضعوها شواهد على ما يخالفهم فيهِ علماء البصرة والله اعلم

وفي المزهر عن محمد بن سلام أن حماداً هذا كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها وانهُ كان غير موثوق بهِ وكان ينحل شعر الرجل غيرهِ ويزيد في الاشعار

وترى مما ينقل عنهُ انهُ كان كثير البرّ بطرفة . فان كل ما صح عند محققي الرواة من الشعر لهُ . ولعبيد قصائد بقدر عشر فأملى حماد الابيات التي مطلعها (ان الخليط أجد منتقلهُ) ونسبها لهُ وهي لأعشى همدان[2] وكان بعضهم عندهُ حتى جاء اعرابي فانشدهُ قصيدة لم

---

(١) هكذا وقع البيت في كتاب المعارف لابن قتيبة محرفاً وسقط صدرهُ من رواية السيوطي في المزهر . وقد انشدهُ الجوهري في الصحاح لامرأة ترثي زوجها

ولست بهِ كواك ولا بزونكِ مكانك حتى يبعث الخلق باعثه

ورواهُ في موضع آخر ولا بزونزك . والوكواك الجبان . والزونك في الصحاح القصير الدميم وربما قالوا الزونزك وزاد غيرهُ انه الحياك في مشيهِ (٢) جمع العلماء اسماء كل طائفة تشترك في لقب واحد من الشعراء الذين يستشهد بكلامهم فعدوا من الاعشى تسعة عشر شاعراً ومن امرئ القيس ستة عشر ومن النوابغ اربعة الى غير ذلك مما لا محل لبسطهِ هنا

تعرف ولم يدرِ لمن هي فقال حماد اكتبوها فلما كتبوها وقام الاعرابي قال لمن ترون ان نجعلها فقالوا اقوالاً فقال حماد اجعلوها لطرفة

وهذا لا يضع منزلة الرجل في الحفظ ولكنهُ ينزل من قدرهِ في الثقة بما يروي . وفي العرب قوم ضاع شعرهم ورجزهم فربما وقع لبعض الرواة من ذلك شيءٌ فانحله شاعراً معروفاً اذ لا يستطيع ان يرويهُ لغير قائل حتى لا ينقطع سندهُ فيردّ عليهِ ومن ذلك ما نقلهُ ابن قتيبة عن الاصمعي قال كان ثلاث اخوة من بني سعد لم يأتوا الامصار ذهب رجزهم يقال لهم نذير ومنذر ومنذِر وبعضهم يقول ان قصيدة رؤبة التي اولها (وقاتم الاعماق) لنذير

واشهر الرواة بالوضع في الشعر خلف وكان نحلاً لا ينزل شعرهُ عن الطبقة التي يقاربهُ منها ويقال ان لامية العرب المشهورة التي مطلعها

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لأميلُ

مما ادخلهُ خلف في دواوين الشعراء . ويروى انهُ نسك في آخر عمرهِ فخرج الى اهل الكوفة فعرَّفهم الاشعار التي ادخلها ولكنهم لم يثقوا بصدقهِ ثقتهم بكذبهِ فبقيت القصائد على حالها

ومن الذين كانوا يضعون الشعر قطرب بن المستنير واللاحقي وابو عمرو بن العلاء ولكن جميعهم لم يحملوا من الغثاء ولم يعقدوا القوافي على الهواء كمحمد بن اسحاق مولى آل مخرمة بن المطلّب فقد كان من علماء السيَر والمغازي قالوا وكتب في السيرة من اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط واشعار النساء ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم اشعاراً كثيرة وكان يعتذر من مخفف ما يضع فيقول لا علم لي بالشعر انما أُوتى بهِ فاحملهُ ... ولكن اذا كان هذا الرجل يصنع الشعر لما يلفقهُ من اساطير الاولين حتى يلائم بين رقعتي الكلام وليجدرها من ذلك الطريق الى أذهان العوام وكان بعض العرب يزيدون في اشعار قومهم تكثيراً لوقائعهم واشعارهم بعد ان ذهب باكثر اهلها السيف والحيف فما الذي حمل مثل خلف وحماد على ما وضعا وهما لو ادعياهُ لم يخشيا ردًّا ولم يجيئا شيئاً ادًّا ؟

لست اظن ان مثلهما يبيت الليلة يدفع الخاطر بالخاطر ويجمع بين الاقلام والمحابر ويفرق نور عينيهِ في صفحات الدفاتر ثم يكون الصباح فيسند لسانهُ الى فم شاعر قد طواهُ الزمان ويدعي أن ذلك لفلان وفلان . وما انكرهُ اذا كان في البيت والبيتين مما يحمل عليهِ فضل القوة او دافع من الحاجة وانما ارجح ان تلك القصائد الموضوعة لشعراء قد أُخملوا او ذهب شعرهم عن الناس بما يكون بعد ذلك من الزيادة فيها والنقص منها فليس خاثرهُ بنسر

وهذه مرثية كعب الغنوي المشهورة التي يقول في اولها

تقول ابنة العبسي قد شبتَ بعدنا   وكل امرىءٍ بعد الشباب يشيبُ

ومنها شاهد النحاة المشهور (لعل ابي المغوار منك قريب). يرويها بعضهم لكعب وبعضهم يذكرها باسرها لسهم الغنوي من قوم كعب وفريق يروي شيئاً منها لسهم والباقي لكعب وآخرون يقولون انها لمحمد بن كعب وطائفة يزيدون في اولها بيتين لم يعرفا منها وكل اولئك مختلفون في تقديم بعض الابيات وتأخير بعضها . ومن هذا النوع اشعار يقال ان القصيدة الواحدة منها تروى لسبعين شاعراً

اما ما يوضع من الشعر لاقامة حجة وتوجيه كلمة فهو شائع وقد قال الاندلسي في شرح المفصل والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيهِ جواز شيء مخالف الاصول جعلوهُ اصلاً وبوبوا عليهِ بخلاف البصريين ثم قال ومما افتخر بهِ البصريون على الكوفيين انهم قالوا نحن نأخذ اللغة عن حرَشة الضباب واكلة اليرابيع وانتم تأخذونها عن اكلة الشواء وباعة الكوامخ [1] ولذلك كانوا لايقبلون الاستشهاد ببيت مجهول اصلهُ كقول القائل

اكثرت في العذل ملحًّا دائما   لاتكثرن اني عسيت صائما

وكاليت المشهور عندهم في (يااللهمَّ) ويقال ان في كتاب سيبويه خمسين بيتاً لايعرف قائلوها

وقد ذكر العلامة اللغوي المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي في حماستهِ انهُ علم واحداً من هذه الخمسين وهو قول القائل (أَبعد كندة تمدحنَّ قبيلا) . قال وهو لامرىء القيس من قصيدة اوردها هناك في ثمانية عشر بيتاً وذكر انهُ نقلها مع شرح ديوان امرىءِ القيس رواية ابي سهل خرَّابنداذ عن ابي جعفر الكوفي .. ولكون الديوان برواية الكوفيين خفي على البصريين وغيرهم معرفة قائل الشاهد المذكور مع شهرتهِ ومسابقة الناس الى حفظ اشعارهِ

وكان الشيخ رحمهُ الله قد ذهب عنهُ مانقلهُ صاحب المزهر عن بعضهم : ان الذي اتت بهِ الرواية عن يونس بن حبيب الضبي ان علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس وان اهل الكوفة كانوا يقدمون الاعشى . ولست ارى تلك الابيات الاَّ موضوعة لنزولها عن طبقة الرجل وظهور الصنعة والتوليد فيها . وهم قد ذكروا ان الذي صح من شعر امرىءِ القيس نيف وعشرون شعراً بين طويل ومقطوعة مع ان الديوان المطبوع بشرح الوزير ابي بكر بن عاصم فيهِ من ذلك ثلاثون

(١) حرش الضب صادهُ واليربوع دويبة والكامخ المخلل يشهي به الطعام

ويروى عن اللاحقي ان سيبويه سألهُ هل تحفظ للعرب شاهداً على إعمال فَعِل (يعني الصفة) قال فوضعت لهُ هذا البيت

حذرٌ اموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيهُ من الاقدار

وهو من الشواهد المشهورة عندهم ولعلهُ احد الخمسين

هذا الى كثير مما يقصر عمر القلم في تخليصهِ والذي ابتليت بهِ اللغة كان طامةً في الحديث فهناك الزنادقة والمتعصبون لبعض الصحابة والقصاصون وجهلة المفسرين والباعثون بالترغيب والزاجرون بالترهيب والمسندون من كلام الصحابة والحكماء ومن غلبت عليهم الغفلة ومن ضاعت كتبهم فحدثوا تخميناً ومن اخذوا عن كتب لا سماع فيها ولا مقابلة ومن خلطوا بعد تناهي السن وعلماء السوء الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وغيرهم كثيرون . وللموضوعات عندهم كتب مفردة بالتأليف قد انتثرت فيها السنة الكذابين قطعاً ونفر بتلك الاحاديث طائر الكذب فزعاً

ومن نوع الموضوع اكثر هذه الاخبار التي تجول في الناس ولكن منها ما قصد فيهِ الى مغزى تبادرك بهِ حال الخبر كما ذكروا ان المنصور لما همَّ بقتل ابي مسلم سقط بين الاستبداد برأيهِ والمشاورة فيهِ فأرق في ذلك ليلة فلما اصبح دعا باسحاق بن مسلم العقيلي فقال لهُ حدثني حديث الملك الذي اخبرتني عنهُ بحران فقال اخبرني ابي عن الحصين بن المنذر ان ملكاً من ملوك فارس يقال لهُ سابور الاكبر كان لهُ وزير ناصح قد اقتبس ادباً من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فوجههُ سابور داعية الى اهل خراسان وكانوا قوماً عجماً يعظمون الدنيا جهالةً بالدين ويخلون بالدين استكانة لفوت الدنيا وذلاً لجبابرتها فجمعهم على دعوى من الهوى يكيد بهِ مطالب الدنيا واغترَّ بقتل ملوكهم وتخولهم اياهُ وكان يقال لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة فلما تلاحمت اعضاء الامور التي لقح استحالت حربا عوانا شالت اسافلها بأعاليها فانتقل العز الى ارذلهم والنباهة الى اخملهم فأشربوا لهُ جامع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين فلما استوثقت لهُ البلاد بلغ سابور امرهم وما احال عليهِ من طاعتهم ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال في قطع رجائهِ عن قلوبهم وكان يقال

وما قطع الرجاء بمثل يأس تبادههُ القلوب على اغترارِ

فصمم على قتلهِ عند ورودهِ عليهِ برؤساء اهل خراسان وفرسانهم فقتلهُ فبغتهم بحدث فلم يرعهم الاَّ ورأسهُ بين ايديهم فوقف بهم بين الغربة ونأي الرجعة وتخطف الاعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم فرأوا ان يستنقوا الدعوة بطاعة سابور ويتعوَّضوه من الفرقة فأذعنوا لهُ

بالملك والطاعة وتبادروهُ بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف انفهِ فكان في ذلك هلاك ابي مسلم وكان اسحاق اذا رأى المنصور بعدها قال

وما ضربوا لك الامثال الاَّ لتحذو ان حذوت على مثالِ

وكان المنصور اذا رآهُ قال

وخلَّفها سابور للناس يُقتدى بامثالها في المعضلات العظائمِ

والخبر بجملتهِ موضوع كما ترى وانما فصّلت اجزاؤهُ على حالة ابي مسلم وبلدهِ وقومهِ وما عظم من خطرهِ وارتفع من امرهِ . وقد فطن الراوي الى موضع هوى المنصور من ذلك فاحكم له عقدة الرأي ومهد طريق التدبير وابدع في تصوير العاقبة بما البسها من لون اليقين الى آخر ما رأيت من كلامهِ

والرواة كانوا يعرفون ان الملوك لا تستقصي فيضعون لهم الاخبار في موضع الهوى توطئة لاغراض النفوس وكذلك فعلوا بالشعر فوضعوا منهُ استعانة على السمر وتكثيرًا للاحاديث

ومن الاخبار ما يراد بهِ الاغراب والتنبيه كما ذكر عن المرزباني عن ابن دريد انهُ قال سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلاً طويلاً اصفر الوجه كوسجا — لا شعر بعارضيهِ — دخل عليَّ واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر . فقلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئًا فقال انا اشعر منهُ . قلت ومن انت قال انا ابو ناجية من اهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعدهُ اتت بين ثوبي نرجس وشقائقِ

حكت وجنة المعشوق صرفًا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشقِ

فقلت لهُ أسأت قال ولِمَ قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض ؟ وانظر الرواية الاخرى في هذا الخبر عن ابي علي الفارسي قال انشدني ابن دريد هذين البيتين لنفسهِ وقال جاءني ابليس في المنام وقال أغرت على ابي نواس فقلت نعم فقال اجدت الا انك اسأت في شيء ثم ذكر بقية الكلام الى آخرهِ . وابن دريد هذا اول من وضع المقامات على النمط المعروف صنع منها خمسين وعارضهُ البديع بخمسمائة ثم جاء الحريري فملأت شهرة مقاماتهِ الدنيا

وقد فاتنا ان نذكر ما وضع من الشعر منسوبًا الى الجن كالابيات المرثي بها عمر بن الخطاب (رضه) وما ساقهُ القصاصون في بعض استدلالهم وانما هو من هذا القبيل واكثرهُ معروف قائلهُ . ولا يزال عامة الناس في كل زمان ينسبون ما يعظم في انفسهم الى الجن

اما طرق الاخذ والتحمل في الرواية فهي ستة ذكرها السيوطي احدها السماع من لفظ الشيخ والعربي فاذا ادَّى عن سماع قال املى عليَّ فلان وحدثني ونحوها . وثانيها القراءة على الشيخ . وثالثها السماع عليهِ بقراءة غيره . ورابعها الاجازة في رواية الكتب والاشعار المدونة . وخامسها المكاتبة كان يبعث اليهِ احدهم بابيات رواها فيأخذها عن خطهِ ثم يسندها اليهِ في الرواية . وسادسها الوجادة وذلك ان يجد ما يرويهِ في كتاب يثق بمؤلفهِ ويكون على بصيرة من نسبتهِ اليهِ وفي الصحاح الفاظ يذكر منها الحرف ثم يقول وجدتهُ في كتاب ولم اسمعهُ او كذا وجدتهُ ولم اسمعهُ . وفي الاجازة والسماع عند المحدثين اقسام يجرون الكلام فيها على سنتهم من النقد والتدقيق

هذا مجمل من امر الرواية والرواة ولولا اني حبست من نفس المقال وعدلت بالقلم عن انتجاع الغيث الى البلال لامضيت البحث لطيتهِ وتركت الخاطر على سجيتهِ ولكنها قصبة من جناح قد طار واثارة من علم صار من الاهمال الى ما صار وما هو الأ بساط كان منشوراً فطوي وحديث قيل ثم رُوي مصطفى صادق الرافعي

الآلات الانتقال

من ضروريات التمدن الحديث قطع الشقق المترامية والابعاد المتراخية في اقصر الاوقات . ويؤخذ من تتبع تاريخ الاكتشافات والاختراعات التي اهتدى الناس اليها لتقريب المسافات البعيدة ان الامة الانجلو سكسونية اول من اكتشف واخترع في هذا الباب . فان وط استنبط الآلة البخارية وستيفنسون صنع اول قاطرة لسكة الحديد وفلتون اول باخرة تمخر في البحر . ولا يخفى ان سرعة الانتقال من مكان الى مكان ورخص اجرتهِ سواء كان ذلك في البرّ او في البحر هما الامران اللذان صيرا انكلترا من اعظم الممالك التجارية والصناعية . ولولا كثرة سكك الحديد في الولايات المتحدة ما نما سكانها هذا النموَّ الغريب حتى بلغوا ثمانين مليونًا او اكثر في نحو مئتي عام

ولنبحث الآن في ارتقاء الاختراعات التي سهلت على البشر سرعة الانتقال فنقول ان الانسان كان في بدء خلقهِ يسكن الاشجار فلما ترقَّى واشتدَّ ساعدهُ حتى صار يستطيع مغالبة الحيوانات البرية وغلبتها ترك الاشجار واتخذ الارض مأوى لهُ ومسرحاً . وفي اثناء عراكهِ مع الحيوانات المختلفة رأى الفرس فسرهُ منهُ منظرهُ ولكن ساءهُ نفورهُ وجموحهُ فعقد النية على

اصطيادهِ وتذليلهِ واتخاذهِ دابة لركوبهِ فمرَّت بهِ ادهار وازمان لا تحصى قبلما تمكن من نيل بغيتهِ واستخدام حيوان من اسرع الحيوانات جرياً لقضاء حاجاتهِ . فكان ذلك الخطوة الاولى في سبيل ازدياد سرعة الانتقال وارتقائها

وكان الفرس الاول او الحيوان الذي ارتقى الفرس منهُ صغير الجسم في حجم الثعلب ولكنهُ تفرَّع الى فروع مختلفة قبلما ظهر الانسان على وجه الارض منها حمار الوحش والحمار المخطط والحمار العادي على تعدُّد اصنافهِ وفرس النهر والفرس المعروف

واما الخطوة الثانية فهي اول انشاء المركبات او ما هو شبيه بها فكان الانسان يربط جسرين طويلين من الخشب مثل "عريش" المركبات في هذه الايام ويضع عليهما الاثقال التي يريد نقلها فيجرها الفرس باسهل مما لو حملها . ولا يزال بعض الهنود الاميركيين يعوّلون على طريقة النقل هذه ولكن جرَّ الاثقال على هذه الصورة يسير اذا كانت الارض سهلاً يغطيهِ الرمل او الكلأ وصعب جدًّا اذا كانت غير منبسطة او كانت كثيرة الحجارة والحزون

والخطوة الثالثة ادخال العجل في المركبات وكان العجل الاول قطعاً مستديرة من الخشب والحجر توضع تحت الاثقال ثم صارت عجلاً حقيقيًّا مصمتاً يوصل بالمركبات وكانت المركبات الاولى عديمة الاتقان مثل كلّ اختراع في اوائلهِ تصنع بعجلها وسائر ما فيها من الخشب دون غيرهِ ولا تزال مستعملة في بعض بلاد اوربا وكانت المركبة الرومانية مثل المركبة المصرية مؤلفة من صندوق خشب مفتوح من الاعلى والوراء وموضوع على محور العجل

ولتقوية العجل صاروا يسمرون على دائرهِ قطعاً من الحديد ثم استبدلت بالاطار الحديدي المعروف ويحمونهُ قبل ذلك حتى يتسع ثم يتقلص متى برد ويمسك اجزاء العجل واهل شرق اوربا يضعون التبن في قعر مركبات الركاب لتخفيف الحركة التي تنشأ عن مرور المركبات في طرق غير ممهدة كما نضع ليَّ الصلب (الفولاذ) في مركباتنا . وتاريخ هذا اللي يبتدئ منذ نحو ٣٠٠ سنة . وكثيرًا ما كان يستبدل بقدد من الجلد توضع الواحدة منها فوق الاخرى لتقليل الارتجاج . وكانت المركبات في اوائل القرن الماضي تقطع ١٠ اميال في الساعة وكان الناس يظنون حينئذٍ ان هذه السرعة هي اقصى ما يمكن الانسان ان يبلغهُ حتى قام جورج ستيفنسون واخترع اول قاطرة فكان اختراعهُ هذا فاتحة عصر جديد وانقلاب عظيم في اساليب الانتقال

ولا يظن ان القاطرة الاولى مثل قاطرة هذه الايام ثقلها من ٧٠ الى ٧٥ طنًّا وقوتها تبلغ الفي حصان وتجرُّ قطارًا كبيرًا بسرعة ٦٠ ميلاً او اكثر في الساعة . قال الاستاذ ثرستون في كتاب تاريخ الآلة البخارية يصف القاطرة الاولى التي اخترعها ستيفنسون " انها كانت

تجرُّ ٣٠ طناً صعداً على ارض ميلها من ١٠ اقدام الى ١٢ قدماً في الميل بسرعة ٤ اميال في الساعة ونفقتها تقرب من نفقة الخيل "

ولكن ستيفنسون لم يكتفِ بنتيجة قاطرتهِ الاولى بل جعل يدرس ويجرّب التجارب المختلفة حتى اذا كانت سنة ١٨١٧ صنع قاطرة ثانية لدوق بورتلند لنقل الفحم من مكان الى مكان فبلغت نفقة عملها ٧٥٠ جنيهاً وبقيت تنقل الفحم من مناجمهِ حتى انكسرت سنة ١٨٤٨ وصنع قاطرات اخرى ايضاً منها قاطرة صنعها سنة ١٨٢٣ فكانت تجرُّ قطراً فيهِ ١٧ مركبة من مركبات الفحم ثقلها ٦٤ طناً بسرعة ٤ اميال في الساعة

ثم ارتقى صنع القاطرات . قال بعضهم يصف اول قاطرة صُنعت لتجرَّ قطارات الركاب ان ثقلها ٨ اطنان وسرعتها ١٦ ميلاً في الساعة . ولما احتفل بها قصد الناس مكان الاحتفال من كل فجّ وصوب فجرَّت ٩٠ طناً بسرعة ١٢ ميلاً الى ١٥ في الساعة ولم يكن مدُّ سكك الحديد في انكلترا تلك الايام امراً مستحباً . قال الاستاذ ثرستون انهم لما شرعوا في مسح الارض لمدّ سكة الحديد بين منشستر وليفربول كان اصحاب الاملاك والمركبات التي تسير بين المدينتين يغرون اعوانهم وعمالهم فيهاجمون المساحين بالعصي والحجارة وهم في اعمالهم ولما عرض مشروع مدّ السكة على مجلس الامة عارض اصحاب الاملاك والمركبات فيهِ اشدَّ معارضة

وكان ستيفنسون يحضُّ الحكومة على العمل برأْيهِ واستبدال الخيل بالقطرات قائلاً انهُ يستطيع صنع قاطرة تسير ٢٠ ميلاً في الساعة . فعين مجلس النواب لجنة لفحص مطالبهِ فسألوهُ " لو فرض ان قاطراتك تسير بسرعة ٩ او ١٠ اميال في الساعة وان ثوراً شرد من مرعاهُ ووقف في طريق احدى القاطرات وهي سائرة ألا تكون العاقبة وخيمة " فقال " نعم ولكن على الثور " . وسألوهُ " ألا يرتعب الناس والبهائم عند ما يرون مدخنة القاطرة حمراء من شدة النار " فقال " وكيف يعلمون ان المدخنة ليست مدهونة بدهان احمر " واخيراً قرَّ القرار على مدّ الخط بعد مقاومة شديدة

وما زال ستيفنسون يصلح في قاطراتهِ حتى صنع قاطرة متوسط سرعتها ١٥ ميلاً في الساعة ومعظمها ٢٩ ميلاً . وكان الاميركيون يراقبون اعمالهُ بعين الاهتمام وقام منهم مخترعون اخترعوا عدة قواطر منذ سنة ١٨٢٥ وما بعدها حتى صارت الولايات المتحدة الآن تعدُّ بلاد سكك الحديد لان طول خطوطها يعادل طول خطوط السكك الحديدية في العالم كلهِ

واكبر معامل القاطرات فيها معمل بولدوين في فلادلفيا فانهُ صنع اكثر من الف قاطرة في سنة واحدة فهو يعادل عشرة معامل من اكبر المعامل الاوربية

اما سرعة سكك الحديد فتكاد تكون واحدة في الولايات المتحدة وانكلترا وبعض طرق فرنسا ومعظم سرعة القطارات العادية ٦٠ ميلاً في الساعة ولكنهم جرَّبوا عدة تجارب في الولايات المتحدة فصنعوا قاطرة كبيرة جدًّا تجرّ قطرًا خفيفًا فبلغت سرعتها ٩٠ ميلاً في الساعة وجربوا تجارب اخرى في المانيا ليعلموا كم هي السرعة التي يمكن بلوغها بالكهربائية فزادت على مئة وثلاثين ميلاً في الساعة وشاع منذ عهد قريب استعمال قطرات تسير على خط واحد يعلق عجلها بهِ وسرعتها شديدة جدًّا ولكن نفقات الخط كبيرة تمنع استعماله في كل مكان

واعظم العوائق في سبيل قطر يسير مئة ميل في الساعة مقاومة الهواء . ولتقليلها يجب ان يكون القطر بقاطرتهِ محدد الطرفين املس من الخارج ما امكن وان لا تترك فسحات وخلايا بين المركبات

وفي كثير من مدن اميركا سكك حديد لا تحرق درهمًا من الفحم بل ان مصدر القوة فيها شلال يبعد اميالاً كثيرة عنها

ومن آلات النقل التي شاعت شيوعًا عظيمًا البيسكل او الدرَّاجة وكانت في اول عهدها مؤَلفة من عجلتين الواحدة امام الاخرى وفوقهما جسر صغير من الخشب للركوب وكانت قدما الراكب تصلان الارض فيحرك العجلة بهما . ثم اصلحوها حتى صارت تدار باليدين وتحرَّك بالقدمين ولكنهم اخذوا يكبرون العجل الامامي حتى صار قطرهُ ست اقدام فكان الراكب يركب وهو على علوست اقدام عن الارض . وما زالوا يصلحون فيها حتى صارت على مثل ما نراها الآن

ومنها الاوتوموبيل وهو خاتمة آلات النقل واكثرها اتقانًا والبديل الوحيد الذي يقوم مقام الفرس في المدن الكبيرة ويغني عنهُ في جرّ الاثقال ونقل الركاب ولا تحفر حوافرهُ الطرق ولا تفسد اقذارهُ الهواء . ولا يحتاج الى خطوط من الحديد في الارض والسماء ولا ينقصهُ حتى الآن الَّا ان يكثر استعمالهُ فيرخص ثمنهُ وتصير الكهربائية المحرِّك الوحيد لهُ اذ يملأ الانسان بطريتهُ بها ويضعها في اوتوموبيلهِ ويسير بهِ حيث شاء او يستخدمهُ لنقل الركاب وحمل الاثقال وارتقى صنعهُ على ايدي الفرنسويين والالمانيين فكان ضعيف القوة قليل السرعة في بادىء الامر فكانت قوة الواحد لا تزيد على قوة ١٠ احصنة ولكن تعيين الجوائز على زيادة السرعة وقطع المسافات الطويلة جعل المخترعين يهتمون بهِ حتى صارت قوة بعضهِ تعادل مئة حصان وسرعتهُ ٧٠ ميلاً في الساعة . ويقال ان في فلوريدا باميركا مركبات سرعتها تزيد على مئة ميل في الساعة

سرُّ الحياة

واكتشاف مهمٌّ فيهِ

من القضايا التي تحار الافهام في حلها قضية الحياة واصلها . وفيها قولان فاما ان تكون قد ظهرت في الوجود بخلق خالق كما هو رأي اكثر المتقدمين واما ان تكون نتيجة فعل القوات الكيماوية والطبيعية في المادة غير الآلية كما يذهب اليهِ علماء هذه الايام

على ان من الامور المشهورة عند العلماء ايضاً ان الجسم الحي لايتولد من غير الحي . وقد حاول كثيرون من الكيماويين توليد الحياة من المركبات الكيماوية فاخفقوا سعياً . وادعى احد العلماء الاميركيين حديثاً انهُ فاز بتوليد الحياة من الجماد ولكن تجاربهُ لم تعرض للنقد والامتحان بعد

وليس ثمة سبب عليٌّ يمنع توليد الحي من غير الحي فان القاعدة المشهورة عند العلماء وهي ان الحي لايتولد الا من الحي مبنية على انهُ لم يشاهد تولد الحي من غير الحي . ولكن معظمنا يوافق هكسلي على قولهِ انهُ لو امكننا الرجوع الى الزمن الذي كانت الارض فيهِ طفلة تتقلب عليها الاحوال الطبيعية والكيماوية لرأينا تولد البروتوبلازم اساس الحياة الطبيعي من المادة الجامدة وهذه خطوة طبيعية في ناموس النشوء والارتقاء ولكنها اصعب الخطى والاعتقاد بها انما هو مجرَّد اعتقاد فلسفي

وآخر من ازاح بعض الستار عن سرّ الحياة الدكتور بستيان فانهُ قرأ مقالة مهمة على الجمعية الملكية الانكليزية حديثاً في هذا الموضوع . والدكتور بستيان هذا احد الذين يقولون بالتكوين المختلف . و يراد بالتكوين المختلف نشوء احدى صور الاحياء من صورة اخرى مختلفة عنها وقد ورد في خرافات القرون الوسطى ان الوز يتولد من بعض ذوات الاصداف والحملان من بعض النباتات . واعتقد كثيرون بعد ذلك ان الحشرات التي تكوّن العفص على الشجر تتولد من الشجر نفسهِ وان الدود الذي يوجد في جسم الانسان كالدودة الوحيدة وغيرها يتكون من الجسم نفسهِ . ولكن هذه الاوهام كلها زالت بعد ان ثبت ان كل حلمة من الحلم تتكون من بيضة باضتها حلمة من نوعها سابقة

ولكن معظم علماء الحياة ينكرون مذهب التكوين المختلف فلا يسلّم بهِ الا نفر قليل منهم وكان علماء الحيوان يسلمون بمذهب التكوين المتماثل كما يسلم العلماء الطبيعيون بمذهب دلتون

في الجوهر الفرد . ويراد بالتكوين المتماثل نشوء الحي من حيٍ مثله . وكما ان اكتشاف الراديوم ابطل مذهب دلتون او ابعده درجات كثيرة وأحلّ الايون محل الجوهر الفرد لا يستبعد ان مذهب التكوين المختلف يحلّ محلّ مذهب التكوين المتماثل بما أبانهُ الدكتور بستيان . فقد أبان بالتجربة ان الحي يتولّد احيانًا من حيٍ آخر يختلف كلّ الاختلاف عنهُ في احوال طبيعية محضة . وتجربتهُ هي انهُ اخذ بيوض حيوان مكرسكوبي اسمهُ هيداتينا يوجد عادة في المياه الراكدة ووضعها في مكان حجب عنهُ النور وبعض الاشعة غير المنظورة فوجد ان بعضها يخرج دائمًا حييوينات تختلف عن الحييوين الاصلي وخصوصاً في ان كلا منها يتألف من خلية واحدة ثمّ جميع الوظائف الحيوية كما في سائر الحييوينات الدنيا على حين ان الحييوين الاصلي الذي تولّدت منهُ تلك البيضة يتألف من عدة خلايا . ونتيجة هذه التجربة في اعين علماء الحياة لا تقلّ في اهميتها وغرابتها عن تولّد العصفور من الهرة او الضفدع من بيضة الدجاجة

واهمية هذا الاكتشاف من وجهين احدهما انهُ يوضح لنا كيف نشأت صور الاحياء المتعددة التي على الارض الآن من الجراثيم الاصلية في المدة القصيرة التي يعينها العلماء الطبيعيون لذلك . وقد كان اكبر العقبات في وجه علماء النشوء والارتقاء ان يبينوا ما اذا كانت المدة التي وجدت الارض فيها من حين صارت صالحة لسكن الاحياء كافية لنشوء الانسان وارتقائهِ من نطفة بروتو بلازم لا ترى لصغرها وتدرّجهِ في درجات الارتقاء الى ان صار انسانًا . فاذا امكن تولد حيٍ من حيٍ اخر يختلف عنهُ تولدًا ذاتيًا زالت تلك العقبة

والوجه الثاني انهُ اذا تقرّر تحوّل الحي من صورة الى صورة اخرى مختلفة عنها عُرف بعض الشيء عن اصل الحياة . فان ثبوت تحوّل العناصر في السنوات الاخيرة أماط اللثام عن اصلها وهو مادة تشبه ما نسميهِ بالكهربائية فاذا كان انحجاب النور والاشعة غير المنظورة يؤثر هذا التأثير في الخلايا الحيوية فلا يستبعد ان الاحوال التي وجدت الارض فيها عند تكونها افضت الى نشوء المادة الحية من غير الحية

الجرائد الانكليزية

للجرائد الانكليزية المقام الاول في عالم الصحافة والشأن الاعظم في سياسة الممالك . وقد تفوقها الجرائد الاميركية في اثارة الخواطر والجرائد الفرنسوية في عدد القراء ولكن لا تفوقها جريدة في مالها من السطوة على الشؤُون العامة . وكلامنا الآن محصور في الجرائد اليومية التي تصدر في الصباح كالتيمس والدايلي نيوز والدايلي ميل ففي ادارة كل جريدة منها جماعة من عارفي اللغات الاوربية كلها واشهر اللغات الشرقية كالعربية والهندية والصينية واليابانية وبعض اللغات غير المشهورة . تأتي الرسائل البرقية كل يوم من جميع اطراف الكون بلغات متعددة فيترجمونها الى الانكليزية وكثيرًا ما تنشر من اخبار الدول ما يمنع رجال السياسة ارسالهُ ونشرهُ لكن مراسليها في العواصم الاوربية يرسلون رسائلهم البرقية بلغات غريبة او يرسلون الرسالة الواحدة بعدة لغات او يرسلونها بلغة مفهومة ولكن معناها الباطن غير منطوقها الظاهر

وكتَّاب الجريدة قسمان قسم شغلهُ جمع الاخبار وقسم انتقاؤُها ووزنها واعدادها للطبع والنشر والاول يشتغل نهارًا والثاني ليلاً . وما يجمعهُ الواحد في النهار يصححهُ الآخر وينقحهُ في الليل . والجريدة في يد اثنين رئيس المحررين ورئيس مساعدي المحررين وتحت الاول محرر للادارة ومحرر للاخبار الداخلية ومحرر للاخبار الخارجية ومحرر لاخبار المشاهد والملاعب ونحوها وتحتهم المراسلون الخصوصيون والحربيون والمخبرون . وتحت الثاني محررو المقالات الافتتاحية من خارجية وداخلية

اما رئيس المحررين فهو المصدر الذي يستمد المحررون الآخرون آراءهم منهُ وهو قوام الجريدة . وثانيهِ في الاهمية المحرر الاداري وهو المسؤُول عن موظفي الادارة وعن المكاتبين الحربيين والخصوصيين ومنشئي المقالات الافتتاحية بوجه خاص . وقد يكون احيانًا رئيس المحررين وشأنهُ في الجريدة عظيم

ويبلغ منشئو الجريدة اليومية من جرائد لندن الكبيرة ٥٠ نفسًا الى ٧٥ وربما بلغوا ٨٠ ومكاتبو الجريدة في جميع الاقطار عدة مئين . ويلي المنشئين مساعدوهم الذين يقومون مقامهم اذا مرضوا او غابوا

وجمع الاخبار فنٌّ قائم بنفسهِ . ولا يراد بها الاخبار الاعتيادية التي يحصل عليها بالجميع

مثل اخبار دوائر البوليس والمحاكم وسباق الخيل وما اشبه بل الحوادث التي تحدث فجأة تضطر محرري الجريدة الى تغيير مجرى الاشغال والاعمال . ومن اوضح الشواهد على ذلك فتنة السرب التي قتل فيها الملك اسكندر وزوجتهُ منذ نحو سنتين فان الجرائد كانت مشغولة حينئذٍ بالوزارة الانكليزية متوقعة حدوث ازمة فيها لوقوع الخلاف بين المستر تشمبرلن ناظر المستعمرات حينئذٍ وبين ناظر المالية وبينما كان المحررون ينشئون المقالات الطوال العراض في ذلك اذا بالبرق قد طير خبر فتنة السرب وقتل الملك والملكة فتوقفت حركة الاعمال في الجرائد بغتة ثم عادت المياه الى مجاريها باسرع من لمح البصر واخذ المحررون والمخبرون والعمال يشتغلون بها . فأرسل المخبرون الى كل جهة لمقابلة المطلعين على احوال السرب خصوصاً والبلقان عموماً واستطلاع آرائهم في هذا الشأن وأُرسلت الرسائل البرقية الى غيرهم من الكتاب ذوي الكلمة الراجحة لكي يقولوا كلمتهم ويبدوا حكمهم . وأُنفذ المكاتبون على عجل الى بلغراد عاصمة السرب ليوافوا الجرائد بالاخبار المهمة . وأُبلغ المكاتبون الخصوصيون المقيمون في العواصم الاوربية ان يراقب كل واحد منهم عمل الحكومة التي يقيم في عاصمة بلادها . وانتدب الرسل للتفتيش عن ورثاء ملك السرب ومعرفة محل اقامتهم ومقابلتهم . فظهرت جريدة الدايلي اكسبرس صباح اليوم التالي لمقتل الملكين وفيها ١٦ عموداً عن فتنة السرب وهو ثلث ما جمعهُ مخبرو الجريدة ومكاتبوها في عشر ساعات من وقوع الحادثة ولكن لم يمكن نشرهُ كلهِ في وقت واحد . وارسلت هذه الجريدة مئات من الرسائل البرقية في مدة ساعة بعد مقتل الملكين

وكثيراً ما يسأل رئيس مساعدي المحررين "ألا تجد صعوبة في اعداد الاخبار الكافية لجريدتك كل يوم" فيجيب وجوابهُ الحق انهُ يجد كل الصعوبة في اعداد المكان الكافي لما عندهُ من الاخبار لا في اعداد الاخبار الكافية لما عندهُ من المكان . وفي يدهِ زمام كل ما يرد من الرسائل فينشر ما يشاء ويهمل ما يشاء فان رئيس المحررين يرسم الخطة التي يشاؤُها والمحررين يأمرون بما يشاؤُون والمخبرين يتفننون ما شاؤُوا في وصف الحوادث التي يشاهدونها والمراسلين يسهبون ويفيضون في الشرح والتعليق ولكن رئيس مساعدي المحررين لا يبالي بذلك كلهِ فيمزق من الرسائل التي تعرض عليهِ ما شاء ويحذف من البقية ما لا يرضيهِ

يبدأ عملهُ هو ومساعدوهُ الساعة السادسة مساء . فيعطى جميع الكتب والرسائل التي ترد على الادرة نهاراً ولا يترك الادارة حتى الساعة الثانية او الثالثة بعد نصف الليل اي حتى الشروع في طبع الجريدة فيحذف ما يشاء ويثبت ما يشاء عالماً ان الحكم بمقدرتهِ يبنى على ما ينشرهُ لا على ما يهملهُ

وكثيرون من المحررين لا يخطون حرفاً من انشائهم بل شغلهم تنقيح ما يكتبهُ غيرهم . ولرئيس التحرير وحده ان يحكم في اي الاخبار ينشر مطولاً وايها ينشر موجزاً في سطرين او ثلاثة . فتارة ينشر الرسائل التي ترسل الى الجريدة على علاتها وطوراً يبالغ في اختصارها تبعاً لاهميتها والثقة في مصدرها ومن الرسائل ما يهملهُ ثم يعود اليهِ بعد ساعة لانهُ يرى بين الاخبار ما يؤيدهُ

ومتى أُعدت المواد اللازمة للجريدة ترسل الى العمال ليجمعوها ثم تؤخذ المسودات الى المحررين الاصليين ثم الى المحرر الاداري فيغيرون ويضيفون او يحذفون على ما يرومون . والمحرر الاداري يقرأ جميع المسودات ليتحقق انهُ لم ينشر في الجريدة طعن او شيء آخر لا يصلح نشرهُ وهو مسؤول عن ذلك امام رئيس المحررين وهذا مسؤول عن كل ما ينشر في الجريدة

وقد يعرض احياناً ما يمنع نشر عمود او اكثر من الاخبار والجريدة مهيأة للطبع فيعمد رئيس تحرير الليل الى مقالات أُعدت لمثل ذلك فينشر احداها

واصعب ساعات الجريدة الساعة التي تتقدم صدورها اذ ينبغي حينئذٍ عمل كل شيء على عجل وبلا اقل تباطوءٍ خيفة انهُ اذا تأخرت الجريدة فاتتها القطرات فتأخر توزيعها على المشتركين

وابواب الجريدة اليومية لا تقفل البتة لا نهاراً ولا ليلاً فان آخر محرر يترك الادارة نحو الساعة الخامسة صباحاً واول مخبر يدخل الادارة نحو الساعة التاسعة صباحاً . ويقام بين الساعتين رجل على التلفون لتلقي ما عسى ان يرسلهُ المخبرون من الاخبار

هذا وما تستطيعهُ الجرائد الكبيرة في اوربا واميركا لا تستطيعهُ غيرها لان قوة الجريدة مستمدة من المال الذي تستطيع انفاقهُ على استخدام كبار الكتاب والمحررين وجمع الاخبار من البلدان ولا يأتيها المال الا اذا كثر قراؤها والمعلنون فيها ولا يكثر هؤلاء الا اذا كانت في لغة يتكلمها عدد كبير من الناس وجانب كبير منهم من المتعلمين وكانت معامل البلاد كثيرة وتجارتها واسعة حتى ينفق اهاليها على نشر الاعلانات . وهذه المزايا متوفرة للامة الانكليزية اكثر مما هي متوفرة لغيرها . أضف الى ذلك كون الامتين اللتين تتكلمان الانكليزية في انكلترا واميركا حكومتاهما دستوريتان وللشعب فيهما صوت مسموع تردده الجرائد فيضطر رجال الحكومة ان يصغوا اليهِ ولا يستطيعون ان يسكتوهُ او يصموا آذانهم عنهُ

اكبر حجارة الماس

قال التيفاشي في كتاب الاحجار ذكر يعقوب بن اسحق الكندي ان قدر ما عاين من هذا الحجر ما بين الخردلة والجوزة وانهُ لم يرَ منهُ اعظم من ذلك . وذكر ان عدة ما شاهد منهُ ببغداد المثقال بثمانين دينارًا وان ارخص ما شاهد منهُ بها المثقال بخمسة عشر دينارًا . وكان الكندي في زمن المتوكل والمستعين اي في نحو سنة ٢٥٠ للهجرة والتيفاشي الف كتابهُ هذا سنة ٦٤٠ ففي كل تلك المدة كان ثمن الماس نحو عشر ثمنهِ الآن تقريبًا القيراط منهُ بستين غرشًا الى ٣٣٠ غرشًا

وقد اثبت العلماء من عهد لافوازيه ان حجارة الماس بلورات فحم نقيّ . والمظنون انها تبلورت تحت ضغط شديد وحرارة عظيمة . ومناجم جنوب افريقية تؤيد هذا الرأي اذ يظهر ان موقعها في بقع هي فوهات براكين خامدة . وحجارة الماس توجد في قلب اجسام مدورة او بيضوية وهذه الاجسام مغلفة بمادة طفالية مصفرة من الخارج حيث تتعرض للهواء

اما كيفية تكون الماس فقد بسطناها مفصلاً في المجلد الثاني والعشرين حيث قلنا في مقالة عنوانها كنوز الدنيا ما ملخصهُ

قال الاستاذ كروكس ان التربة في كمبرلي (جنوب افريقية) حيث مناجم الماس حديدية واذا كثر الحديد في بقعة منها استدلوا على وجود منجم ماس فيها . وعندي حجارة من مناجم كمبرلي يستدل من منظرها كأنها تبلورت وهي عائمة في جسم سائل وهذا يؤيد القول انها تبلورت في الحديد المصهور ولما بردت الارض فوق هذا الحديد تشققت فغار الماء الذي على سطحها في شقوقها فلما بلغ الحديد تبخر حالاً وعاد الى وجه الارض بخارًا ووسَّع الشقوق وهو صاعد منها وجعلها آبارًا كبيرة وانحلَّ بعضهُ الى اكسجين وهيدروجين من شدة الحرارة فاتحد الاكسجين بالحديد المحمي وافلت الهيدروجين وصعد الى وجه الارض لخفتهِ وساعد البخار في حفر تلك الآبار . والماس جنوبي افريقية يستخرج منها الآن وهي عميقة توجد مملوءة بمادة زرقاء متماسكة كالصخر فاذا طرحت هذه المادة على وجه الارض تشققت ووجدت وتفتتت حجارة الماس فيها

ومما ثبت ايضاً ان من الماس ما يكون في الرجم وقد وجدوهُ فيها مرارًا . ولكن وقوع بعضهِ من السماء لا يثبت ان اكثرهُ بلغ الارض منها لاسيما وان بناء الارض مثل بناء الاجرام السموية فما يمكن ان يتكون هناك يمكن ان يتكون هنا

والحجر الكبير الذي وجد حديثاً في مناجم افريقية الجنوبية (شكل ١) وجد مكسوراً من اماكن مختلفة ولو بقي على حجمهِ الاول لفاق كلَّ ما وجد من حجارة الماس اضعافاً كثيرة . ولكنهُ لا يزال اكبرها فانهُ ثلاثة اضعاف اكبر حجر وجد الى الآن وقد سمَّوهُ "الرئيس الكبير" فان ثقلهُ ٣٠٣٢ قيراطاً وفيهِ بعض شقوق ولكنها سطحية يمكن نزعها من غير ان يصغر حجم الحجر كثيراً . وهو تام الشفافية يخيل للناظر اليهِ انهُ قطعة من الجليد النقي . وقد أُرسل الى لندن بعد ان أُمِن بمبلغ ٢٥٠ الف جنيه

اما ثمنهُ فمختلف فيهِ فقد كانت حجارة الماس تُثمن من سنة ١٧٥٠ الى ١٨٧٠ بالحاصل من ضرب مربع ثقلها في ثمن القيراط . فاذا بيع القيراط بعشرين جنيهاً بيع القيراطان بثمانين جنيهاً والثلاثة القراريط بمئة وثمانين جنيهاً والاربعة بثلاث مئة وعشرين جنيهاً وهلمَّ جرا . فيكون ثمن هذا الحجر على هذه القاعدة الحاصل من ضرب مربع ثقلهِ وهو ٣٠٣٢ قيراطاً في ٢٠ اي ٣٠٣٢ × ٣٠٣٢ × ٢٠ = ١٨٣٨٦٠٤٨٠ جنيهاً . ولكن هذه القاعدة بطلت بعد الذي وجد من الحجارة الكبيرة في افريقية . فلا يبعد ان يباع "الرئيس الكبير" بنصف مليون جنيه الى مليون جنيه ولكن ثمنهُ يتوقف حقيقة على رغبة المشتري . وربما اصابهُ ما اصاب ثانيهُ في الكبر وهو الحجر المعروف باسم "السنديك الكبير" او "تفاني" (شكل ٢) فان ثقلهُ ٩٦٩ قيراطاً ولما لم يجدوا لهُ مشترياً قطعوهُ عشرة احجار ليسهل بيعهُ

وحجارة الماس تخسر كثيراً من حجمها بصقلها خذ مثالاً لذلك الماسة المعروفة باسم "كوهي نور" او جبل النور (شكل ٣) فقد كان ثقلها اولاً ٧٩٣ ⅝ القيراط فأُعطيت لجوهري من البندقية غير ماهر في صناعتهِ فقطعها وصقلها فنقص ثقلها حتى صار ٢٧٩ قيراطاً ثم عادت فقطعت وصقلت فصار ثقلها ١٠٦ قراريط

وحكايات هذه الماسة كثيرة منها ان كارنا احد الابطال المذكورين في اساطير الهنود لبسها منذ خمسة آلاف سنة . ويقول البعض انها هي والحجر المسمى اورلوف (شكل ٣) قسم من "المغول الكبير" (شكل ٣) ولكن هذا القول ليس وجيهاً

اما الحجر المسمَّى اورلوف فقد سمي بهذا الاسم نسبة الى البرنس اورلوف الذي اهداهُ الى القيصرة كاترين الثانية وهو الآن يرصع راس الصولجان الروسي . وشكلهُ كشكل زهرة الورد اي انهُ مقطوع بحيث ان احد وجوههِ مسطَّح خلافاً لما تقطع بهِ حجارة الماس عادة (شكل ٣) وثقلهُ ١٩٤ قيراطاً

ومن الحجارة المشهورة الحجر المسمَّى "ردجنت" او "بِت" (شكل ٣) فانهُ جميل جداً

وثقلهُ ١٣٦ قيراطاً وكسور وهو ابيض نقيّ تامّ الشكل . وقد كان يعدُّ اجمل حجارة الماس قبل الحجارة التي وُجدت في مناجم الترنسفال وكان ثقلهُ قبلما قطع وصُقل ٤١٠ قراريط

والحجر المسمّى فلورنتين او غراندوق تسكانا يخصّ امبراطور النمسا وهو اصفر اللون ثقلهُ ١٣٩ قيراطاً وكسور وشكلهُ مثلث

وحجر "كوكب الجنوب" وهو جميل المنظر جداً وجدتهُ زنجيَّة على ضفة نهر بوجاجنتو في البرازيل سنة ١٨٥٣ وقد كان ثقلهُ ٢٥٤ ½ قيراط قبل قطعهِ وصقلهِ فصار الآن ١٢٤ قيراطاً وشكلهُ مستطيل

وفي تاج ملك البرتوغال حجر اسمهُ "برازيل" كان يظن انهُ حجر ماس وكان ثقلهُ ٩٠٠ قيراط قبل قطعهِ وقدر ثمنهُ بمبلغ ٤٠٠ الف جنيه فثبت الآن انهُ ياقوت ابيض لا ماس حقيقي

والحجر "تفاني الاصفر" مشهور بلونهِ الاصفر وثقلهُ ١٢٥ قيراطاً

وحجر "هوب" فيهِ زرقة نادرة زاد بها ثمنهُ حتى بلغ ٥٠ الف جنيه مع ان ثقلهُ ٤٤ قيراطاً

والحجر "سانسي" لهُ تاريخ مشهور واول ما ذكر سنة ١٤٧٧ وكان مع الملك شارل الملقب بالجسور ففقدهُ في معركة نسي ثم اتصل برجل من الاعيان اسمهُ سانسي فعيّن سفيراً لدولتهِ في بعض البلاد فبعث بالحجر رهناً الى الملك هنري الثالث بيد رسول وبينما كان الرسول في الطريق اعترضهُ جماعة وطلبوا الجوهرة منهُ فابتلعها خلسة خشية ان يأخذوها منهُ ولما لم يجدوا معهُ شيئاً قتلوهُ . ولما اتصل الخبر بسيدهِ شق معدتهُ واستخرج الجوهرة منها . وما زالت الايدي تتداولها حتى وقعت في يد جيمس الثاني ملك انكلترا سنة ١٦٨٨ ثم لبسها الملك لويس الخامس عشر في عيد تتويجهِ . وفي سنة ١٨٣٥ اشتراها قيصر روسيا بنصف مليون روبل . ثم عادت فعرضت للبيع سنة ١٨٨٩ فاشتراها احد الغواة بمبلغ ١٤ الف جنيه وهي بيضية الشكل

وشاه فارس وهو مستطيل متوازي الاضلاع ثقلهُ ٩٥ قيراطاً

والبيجوت وهو اهليلجي الشكل ثقلهُ ٨٢ قيراطاً

وباشا مصر وهو مستدير مثمن وثقلهُ ٤٩ قيراطاً والظاهر انهُ كان في القطر المصري ولا يذكر اين هو الآن

ونجم القطب وهو مستطيل كنجم الجنوب وثقلهُ ٤٠ قيراطاً

هذه اكبر حجارة الماس المشهورة ولا وجه لمغالاة الناس بها الَّا ندرة وجودها

القديم والجديد

في ضواحي مدينة براغ ببوهيميا قصر قديم بني منذ نحو خمس مئة سنة وهو يخصُّ عائلة تشن من اقدم عائلات بوهيميا واعرقها نسباً . كان لهذه العائلة ثروة طائلة ثم اخذت تفتقر على مرّ الايام حتى لم يبقَ لها سوى هذا القصر . وكان يسكنهُ الكونت تشن الوارث الوحيد لهذه العائلة ويعيش مما يتقاضاهُ من السياح الذين يقصدون القصر لمشاهدة ما فيهِ من الآثار القديمة . فيبلغ متوسط دخلهِ نحو جنيه يومياً ينفقهُ على نفسهِ وحاشيتهِ المؤلفة من رجل وزوجتهِ وابنتهِ . فالرجل بواب وخادم وبستاني وامرأتهُ دليلة للسياح وطاهية تشتري الطعام وتطبخهُ وابنتهُ جارية وغسالة وتساعد امها على مقابلة السياح

ومنذ سنتين وقف تاجر اميركي اسمهُ ادورد تشستر بباب القصر يسأل عن الكونت فقيل لهُ انهُ في غرفتهِ فدخل عليهِ فاستقبلهُ الكونت على الرحب والسعة واكثر من ملاطفتهِ والتجمل اليهِ . فجلس تشستر عند نافذة تطلُّ على دار القصر فلم يسمع سوى صوت خرير الماء وحفيف الورقاء . وكان الزائر ضخم الجسم تدلُّ ملامحهُ على حزم وعزم والمزور فتى ممشوق القدّ تدلُّ هيئتهُ على رائع ادب وسامي تربية ونحو ذلك مما يتحلى بهِ ابناء الامراء

ولما جلس الزائر قدم الكونت اليهِ سيجارة فتناولها شاكرًا وقال "جئتك يا حضرة الكونت لاكلمك في امر ذي بال"

فانحنى الكونت احتراماً . فقال الزائر "قدمت مدينتكم بغتة هذا الصباح فأخبرتني ابنتي انكم خاطبتموها في امر الزواج"

فانحني الكونت ثانية فقال الزائر "انني لا اعلم عاداتكم في هذا الشأن اما في الولايات المتحدة فان معظم البنات يقررن امر زواجهن من تلقاء انفسهن ولكن بيني وبين ابنتي رابطة توادّ ربما كانت شاذة . فان مشيئتها ومشيئتي واحدة"

فقال الكونت "اذًا هل أُعلل نفسي بتزوج ابنتك"

فأشار الاميركي بيدهِ وقال "ان ابنتي تميل ان تتزوج شاباً من شعبها ومع ذلك كلهِ فانها تفضلكم على سائر من تعرفت بهِ من الشبان وستقترن بكم على شرط —"

فقال الكونت بلهفة "وما هو هذا الشرط"

قال الاميركي "على شرط ان تبيع هذا القصر بما حولهُ وتبتني منزلاً في الجبال وتقضي ستة اشهر كل سنة في الولايات المتحدة"

فشخص الكونت بصره الى الفضاء ولم يُحرِ جواباً واعاد الاميركي قوله السابق واخيراً اجاب الكونت بصوت خافت قائلاً " لا اقدر "

فقال الاميركي " لعل في صدرك حزازة من بلادنا هلمَّ الينا نشفها لك . وقد لاترى فيها ماترى في هذه الغرفة من الآثار القديمة ولكن عندنا اموراً اخرى تقرّ الناظر وتسرّ الخاطر . وترى كثيرين من اهالي الشارع الخامس (١) يرحبون بك . فان عندنا فئة من الكبراء والاعيان يساوون ملوك اوربا فيما سوى قدم العهد وهم يسرّون بالتعرّف بك . وعليهِ فلم اكن انتظر ان الشرط الذي اشترطناهُ عليك يسوءك . فتروَّ في المسألة ولا تعجل وردَّ الجواب عليَّ غداً "

فقال الكونت " ان الغد لا يغير شيئاً في عزمي . ولم يكن يخطر ببالي ان هناك شيئاً يمنعني من الاقتران بابنتك ولكن هذا الامر لا استطيعهُ . ولا ريب عندي اني اسرّ ببلادكم وقومكم ولكن اسرتي سكنت هذا القصر خمس مئة سنة . وما دام في الارض رجل من سلالة تنشن فانهُ يسكن هذا المكان "

فاجابهُ الاميركي " ما هذا الأمر من نتائج الغرض والهوى . وقد وقع لي مثل ذلك فيما مضى ولكن الامور كلها صائرة الى التبدل والتغير فما صح امس قد لا يصح اليوم وما يصح اليوم قد لا يصح غداً . وهذه الانفة التي تحكُّ في صدرك الآن كانت تعود عليك بالشرف والكرامة في سالف الازمان اما الآن فلا "

قال الكونت " ولِمَ ذلك "

فاجاب الاميركي " لانها قديمة ولا محل للتقاليد القديمة في هذه الايام . واذا شئت ان اصدقك المقال قلت لك ان هذه الخلة عقبة في سبيل التقدم والنجاح "

ولما فرغ من الكلام قال الكونت لهُ " هلمَّ اتبعني فأُريك ما يمنعني من ترك قصري " قال هذا ومشى في طريقهِ والاميركي يتبعهُ حتى انتهيا الى غرفة مقفلة ففتحها ودخلا واذا بها غرفة مظلمة وفي وسطها مائدة عليها ثلاث سفن صغيرة مصنوعة من العاج بنوتيتها وشراعها ومدافعها وسائر ما فيها احداها تامة صحيحة والاثنتان الاخريان سواريهما مكسورة ونوتيتهما مطروحون على الظهر قتلى . وهناك ورقة كتب عليها " ان السفينة " براها " التي يقودها الكونت لويس تنشن قهرت سفينتين عثمانيتين في ٧ اكتوبر سنة ١٥٧١ " فقال الكونت " وكان ذلك ختام معركة لبنتو . والكونت تنشن المذكور احد اجدادي وقد ولد في هذه الغرفة " ثم مشى قليلاً

(١) اسم الشارع الذي يقطنهُ اكابر نيويورك واغنى اغنيائها

وقال مشيرًا بيده الى صندوق له واجهة زجاج "وهذا هو الكونت لويس تتشن"

فأجفل الاميركي عند ما رأى جثة الكونت محنطة وعليها الملابس التي كان يلبسها لما وقع قتيلاً على ظهر السفينة . وكان قد مضى عليها ما يزيد على ٣٠٠ سنة ولم تتغير البتة

فوقفا امام الجثة دقيقتين ثم انحنى الكونت دلالة الاحترام والاكرام ومشى وتبعهُ الاميركي على الاثر . ولما خرجا من الغرفة قال الكونت "عسى ان تكون قد ادركت السبب الذي يمنعني من ترك القصر فضلاً عن بيعهِ"

فاجاب الاميركي "كلاَّ لم ادركهُ"

فنظر الكونت اليهِ نظرة المدهوش وقال "انهُ وديعة اودعتها والكونت لويس تتشن أثر حيٌّ يذكرني بها"

قال الاميركي "اذًا فادفنهُ"

فاجاب الكونت "ظننت انك ادركت مغزى مقالي . فان السلف الصالح يكرَّم ويبجل حتى في بلادكم الجديدة"

قال الاميركي "انت مخطئٌ يا سيدي اننا نهتمُّ بالخلف اكثر من اهتمامنا بالسلف . ولعل السبب في ذلك ان قليلين منَّا يعرفون الشيء الكثير عن اسلافهم وليس في الولايات المتحدة كثيرون اذا شرعوا في تعداد اسلافهم يتجاوزون اجدادهم . ومن العبث وضياع الوقت ان تقضي عمرك مفكرًا في المعركة التي فاز فيها احد اسلافك . تعال الى نيويورك وان كنت تميل الى رؤية المعارك واماكنها وسائر ما يتعلق بها أريناك المكان الذي كسرنا الانكليز فيهِ في لكستون منذ نحو مئتي سنة فان في ذلك ما يثير دم القلوب اكثر مما يثيرهُ منظر السفن التي عندك . وجدير بقصرك ان يصوَّر وتنظم القصائد فيهِ ولكن ابنتي لا تستطيع ان تسكنهُ هذا ما اقولهُ لك اليوم وكفى ففكر فيهِ وسأزورك غدًا لاعلم جوابك"

فابتسم الكونت ابتسامة الاسف وقال "ان يوم الغد لا يغير شيئًا في عزمي"

فقال الاميركي "تمهَّل ولا تتسرع" ولم يكد يفرغ من هذه العبارة حتى رأى الباب قد فتح ودخل احد الكرادلة . فهبَّ الكونت لاستقبالهِ قائلاً "اهلاً وسهلاً بنيافتكم" فمدَّ الكردينال اليهِ يدهُ فانحنى الكونت وقبلها ثمَّ قال "أتسمحون لي ان اقدم لكم رجلاً من اهالي نيويورك" والتفت الى المستر تشستر فقال "لي الشرف ان اقدّمكم الى نيافة الكردينال رئيس اساقفة براغ" فانحنى الاميركي وقال الكردينال بالانكليزية "انك قدمت من بلاد بعيدة فعسى ان تكون قد سررت برؤية مدينتنا القديمة" فقال الاميركي "نعم سررت بها

وكأنها من تصاوير الشعر والخيال . وقد حضرت الصلاة في كنيستكم هذا الصباح فلما رأيتكم وانتم يحفُّ بكم جوق اساقفتكم وشممت رائحة البخور وسمعت نغمات الارغن والقيثار وترانيم المرنمين اثر ذلك فيَّ تأثيرًا لا يعبَّر عنهُ بالكلام ولم يبرح من ذهني الى الآن . ولو كانت عقيدتي عقيدتكم لكنت شديد التمسك بها "

فتبسَّم الكردينال وقال " اظنك تسمح لي ان انفرد بالكونت خمس دقائق فاني اريد ان اكلمهُ في امر ذي بال "

فقال الاميركي " كنت اتحفز للذهاب عند قدوم نيافتكم . فسأراك غدًا يا سعادة الكونت " ثم ودع وخرج

وبقي الكردينال يكلم الكونت مدة طويلة فلما خرج من عندهِ كانت ملامحهُ تدلُّ على الاسف والغيظ وملامح الكونت على الرفض والاباءة . ولما قدِّم لهُ العشاء لم يكد يمسهُ بل كان يدخن السيجارة اثر الاخرى . وقال في نفسهِ " ان نيافة الكردينال يكلفني ما لا أُطيق وانا لست ممن يُكرَه على ما لا يريد . فاذا لم اتزوَّج مود فلا اتزوج الكونتة ماريا مهما تكن عليهِ من الثروة . لا لا اتزوج الاَّ مود . ولكن قصري كيف تسألينني أن أُضحيهُ يا مود . ألا ترين فيهِ غير الحجر ألا تعلمين انهُ جزء لا ينفصل عني ومع ذلك فانت تحبينني حبًّا ليس مثل الحب الذي يدبُّ في صدورنا نحن البوهيميين . والآن فاما الحبُّ واما الواجب . من يشير عليَّ بما افعل سأشاور جدّي الكبير لعلهُ يهدي قومهُ الى سنن الرشاد "

وكان الليل قد انتصف وخدم الكونت قد ناموا فاخذ مصباحهُ من غرفتهِ وسار بهِ الى غرفة جدهِ المحنط ولما دخلها وضعهُ بجانب سفن العاج وفتح الكوى والنوافذ لتهوية الغرفة ثم وقف بجانب جثة جدهِ خاشعًا ينتظر الجواب ولكن لا مجيب . وحانت منهُ التفاتة في جوانب الغرفة فرأى خزانة ففتحها وتناول منها رزمة اوراق قديمة للعائلة وبينها ورقة من الامبراطور ينعم بها على العائلة بلقب شرف وكتب من الامبراطورة واوراق سياسية تدل على عظمة شأن عائلة لتشن في زمانها . فألقى الاوراق من يديهِ غاضبًا وادار وجههُ الى جدهِ قائلاً

" لقد اخنى علينا الزمان وقضي على سلالتنا . وانت اسنى كواكبها وانا آخرها واحقر رجل فيها . ولكن غيرتي عليها اعظم من غيرتي على نفسي . فانا اترك حبيبتي يا لويس واترك معها كل امل بالسرور اكرامًا لك . فقد صدق نيافتهُ . ان عليَّ واجباتٍ نحو بلادي وعائلتي وكنيستي لابدَّ من قضائها . . . . . "

ثم توقف عن الكلام بغتة اذ سمع صوتًا غريبًا خلفهُ فالتفت واذا بالنار تشتعل وقد اكلت

الاوراق والمائدة وما عليها من صفن العاج . فهبَّ لاطفائها ولكنهُ لم يستطع لان الريح كانت تهب شديدة من النوافذ فتزيدها ضراماً

وبينما هو على تلك الحال طرق بالهُ خاطر فابتهج لهُ وقال لقد نطقت باجداه اخيرًا وظل واقفاً ينظر النار تلتهم ما حولها حتى احاطت بالصندوق الذي فيهِ جثة جدهِ فودعهُ وخرج

وهكذا احترق قسم من القصر ولم يرمم بعد ذلك بل اشترتهُ بلدية براغ منهُ فبنى قصرًا في الجبال . وفي خريف تلك السنة تزوج مود ابنة ادورد تشستر فاستقبلهُ كبار نيويورك وعظماؤُها بصدور رحبة واصبح منزلهُ في الشارع الخامس محط رحال كل عظيم وكبير من سكان الولايات المتحدة

وهو يقضي قسماً من السنة في النمسا حيث يحضر جلسات مجلس الامة لانهُ عضو فيهِ وقسماً في بوهيميا وقسماً في الولايات المتحدة

وقد جرى كثيرون من امراء اوربا مجراهُ فتزوجوا من بنات الاميركيين الاغنياء وذووهم يحسبون انهم ارتكبوا امرًا ادًّا لانهم امتزجوا بحديثي النعمة

يتقرَّب زيد من ابواب الملوك ويفلح في السياسة والمداراة فينعمون عليهِ بالقاب الشرف ويزوجونهُ احدى بناتهم او اخواتهم فيصير من العظماء وينظر اليهِ الناس معجبين بهِ من غير شكوى ولا اعتراض وينظر هو الى العظماء كانهُ ولد بينهم والثوب الذي يلبسونهُ مفصَّل لهُ .

ويذهب عمرو الى ميدان القتال فيفوز ويرتقي في درجات الجندية ويمنح اعلى رتب الشرف ويحسب بين عظماء الامة ولا منتقد ولا معترض ولا هو يرى نفسهُ دون ما صار اليهِ بل لا يستعظم ان يجعل ابن اكبر امير في البلاد بين ياورانهِ

واما التاجر الذي يسهر الليالي في الجد والكدح ويخترق الآفاق ويتجشم المشاق حتى يجمع ثروةً وافرةً ويصير قادرًا على ان يبني القصور الفاخرة ويتنعم فيها مثل اعظم الملوك فلا ينظر اليهِ امراء الامة كانهُ واحد منهم ولا هو يعدُّ نفسهُ في عدادهم

هذا ما كانت عليهِ الحال في كل مكان وزمان لكنهُ اخذ يتغير الآن بعد ان ضعفت دولة السيف وعزَّت دولة الدينار اي بعد ان صار متاع الدنيا كلهُ عرضاً يشترى بالمال . وقد شبت الحرب بين القديم والحديث وتدل الدلائل على ان الفوز لارباب الاموال وسينتظم الملوك والامراء في سلك التجار واصحاب الاعمال

الامطار وفيضان النيل

من رسالة انكليزية للكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة العام

لا شيءَ يهمُّ مصر والسودان مثل حالة الامطار التي تقع كلَّ سنة في اعالي النيل بين ابريل وسبتمبر . فان الامطار الاولى تقع جنوبيَّ بلاد الحبشة في اوائل ابريل او النصف الثاني من مارس فتزيد مياه النيل زيادة قليلة جدًّا بعد ان يكون قد انخفض في مصر الى اوطإ نقطة وتبيت البلاد في اشدّ حاجة الى مياه الري . وكلما دنت اشهر الصيف ترد التقارير كلَّ اسبوع او اسبوعين او شهر من أبعد النقط عن مقدار المطر الذي وقع . ولكن هذا قلما يفيد ما دام متوسط وقوع الامطار وتوزيعها غير معروف عموماً . وعليهِ فقد حاولت جمع كلّ ما تمكن معرفتهُ عن متوسط وقوع الامطار ومقابلتهُ بنتائج الارصاد التي تمت سنة ١٩٠٤ بياناً لزيادة الامطار او نقصها في تلك البلاد فاقول

بلغ عدد الاماكن التي كان وقوع الامطار يقاس فيها منذ خمس سنوات ستة او ثمانية اما الآن فقد بلغ عددها اربعين او اكثر منها ٣٢ جنوبيَّ بربر حيث العرض الشمالي ١٨ درجة . وقيس ايضاً مقدار الماء الذي تصبهُ فروع النيل فيهِ فصرنا نستطيع معرفة مقدار الماء الذي يستمدهُ النيل من الامطار ونتتبع تأثير زيادة الامطار او نقصها في اي مكان كان

والخطوة الثانية في هذا السبيل ان نعرف ما بين الامطار التي تقع في اماكن مختلفة من اعالي النيل من العلاقة بعضها ببعض وليس ذلك بالامر السهل . فاننا لا نعرف مثلاً لماذا كانت الامطار غزيرة شمالي اوغندة سنة ١٩٠٣ على حين ان فيضان النيل الناشىء عن امطار الحبشة كان دون المتوسط ١١ في المئة . ولماذا كان المطر غزيرًا سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٤ في الاقاليم الجنوبية وامطار الحبشة دون المتوسط بكثير اي ان الفيضان سنة ١٩٠٢ كان ٦٣ في المئة من الفيضان المتوسط وكان ٧٥ في المئة سنة ١٩٠٤

هذا وقد جمعت معلوماتي من مصادر مختلفة فان نقط مصر والسودان ترسل ارصادها الى مصلحة المساحة لترتيبها ونشرها والدكتور وايكمان الموظف في الوكالة البريطانية باديس ابابا (عاصمة الحبشة) يرسل ارصادهُ من هناك . اما ارصاد البلاد التابعة لايطاليا فتنشر في التقرير الزراعي والتجاري الذي يصدر شهريًّا فيها . ثم ان ارصاد اوغندة ومستعمرة شرق افريقية يرسلها مديرو القسم العلمي في نظارة المستعمرات بانكلترا بعد استئذان تلك النظارة

ولا بدَّ لفهم ما يطرأُ على وقوع الامطار من التغيير ان نعلم شيئًا عن قلة ضغط الهواء على خط الاستواء وشدَّة ضغطهِ في الاماكن التي الى شمالهِ وجنوبهِ في الفصول المختلفة ونسبة مواقع تلك الاماكن بعضها الى بعض . ففي الاقاليم الاستوائية حيث الضغط قليل لان الحرارة الشديدة تلطف الهواء وتخففهُ يرتفع الهواء صعدًا فيتكاثف بخارهُ ويتحوَّل الى غيوم وامطار . ومتى ارتفع الى فوق حلَّ محلهُ هواء من الاقاليم التي الى الشمال والجنوب حيث الضغط شديد فتتكون من هذه الحركة الرياح التجارية وهي شمالية شرقية في الشمال وجنوبية شرقية في الجنوب . وهذه الحركة العلوية تكون على اعظمها حيث حرارة الشمس على اشدّها اي حيث تكون الشمس في سمت الراس عند الظهر

ففي يناير يكون اشدُّ الحرارة جنوبي خط الاستواء وتكون الشمس في السمت عند الظهر بين ٢٢° و ٥٨ َ جنوبًا و ١٧° و ١٤ َ جنوبًا . واما خط الضغط الاقل فيكون الى شمال ذلك . واغزر الامطار الآن في جوار بحيرة نياسا . وتسقط امطار اخفُّ منها بينها وبين بحيرة فكتوريا فاذا اعترض الرياح التجارية التي تهب من الجنوب الشرقي تلال عالية ارتفعت على جوانب التلال الى فوق فتبرد وتقع الامطار منها . ولا يقع مطر في مصر والسودان هذا الشهر الاَّ في شمال الدلتا حيث تمطر السماء مطرًا معتدلاً بفعل العوصف التي تحدث في البحر المتوسط . وفي ساحل البحر الاحمر الغربي حيث تقع امطار في الشتاء ولكن هذه الامطار لا علاقة لها بالنيل

وفي فبراير تكون الشمس عمودية عند الظهر بين الدرجة ١٦ والدقيقة ٥٧ من العرض الجنوبي والدرجة ٧ والدقيقة ٤٦ من العرض نفسهِ وتنتقل منطقة اقل الضغط شمالاً فيسقط اغزر المطر في شمالي بحيرة نياسا وجنوب بحيرة تنجانيكا

وفي مارس تكون شمس الهاجرة عمودية بين ٧° و٢٣ َ من العرض الجنوبي و ٤° و ٢١ َ من العرض الشمالي وتقع امطار غزيرة غربي بحيرة فكتوريا ويزيد المطر زيادة ظاهرة حول تلك البحيرة وفي شمال اوغندة . ويقع اول المطر في جنوب الحبشة

وفي ابريل تكون الشمس عمودية ظهرًا بين ٤° و٤٤ َ من العرض الشمالي و١٠° و٥٦ َ من العرض نفسهِ وتكون منطقة اقل الضغط في جنوب السودان فيقع مطر غزير في صعيد البحيرة واول المطر في بحر الجبل والسبت وجنوب الحبشة

وفي مايو تكون شمس الظهر عمودية بين ١٥° و١٤ َ من العرض الشمالي و٢٢° منهُ وتنتقل منطقة اقل الضغط جنوبًا فيغزر المطر في صعيد البحيرة والسودان الجنوبي وجنوب الحبشة ويبدأُ وقوعهُ في شماليها

وفي يونيو تبلغ الشمس معظم انحرافها شمالاً وتأخذ في التقهقر جنوباً وتكون منطقة اقل الضغط في سهول السودان حيث يغزر المطر . اما في صعيد البحيرة فيقل واما في صعيد الحبشة فيزداد سريعاً

وفي يوليو تكون اشعة الشمس عمودية عند الظهر في ٢٣° و٥´ من العرض الشمالي في اول الشهر وفي ١٨° و١٠´ منهُ في آخر الشهر . وتكون منطقة اقل الضغط في السودان واقلهُ قرب خط ممتد من سواكن الى بربر فالخرطوم ويقل المطر كثيراً في صعيد البحيرة ويبدأ فصل الجفاف والتبخر السريع . ويعتدل المطر في بحر الجبل ولكنهُ يغزر في صعيد الحبشة وشمال السودان

وفي اغسطس تكون الحال مثلها في يوليو ولكن انحراف الشمس الشمالي يكون قد قل كثيراً حتى تصير في اواخر الشهر عمودية عند الظهر في ٨° و٢٩´ من العرض الشمالي وتنتقل منطقة الامطار الاستوائية جنوباً وتكون الامطار على اشدها في السودان وصعيد الحبشة

وفي سبتمبر تتغير الاحوال سريعاً فتكون شمس الظهر عمودية بين ٨° و٧´ من العرض الشمالي و٣° من العرض الجنوبي . ويزيد الضغط سريعاً في السودان والحبشة وتقل الامطار حتى يعد فصل الامطار منتهياً في اواسط الشهر الا جنوب الحبشة واعالي بحر الجبل وشمال صعيد البحيرة فان المطر يبقى غزيراً فيها . ويزيد وقوع المطر قرب البحيرات بانتقال منطقة المطر جنوباً

وفي اكتوبر يبدأ فصل الحر والجفاف في معظم السودان ولكن المطر يبقى يهطل في بحر الجبل ويكون غزيراً في جهاته الجنوبية . وتعبر الشمس خط الاستواء وتكون عمودية عند الظهر بين ٣° و٢٣´ و١٤° و١٧´ من العرض الجنوبي ويزيد المطر في صعيد البحيرة ويكون على اغزره في تلال اوغنده الشمالية وحول بحيرة ألبرت

وفي نوفمبر تكون الشمس في السمت ظهراً بين ١٤° و٣٦´ و٢١° و٤٥´ من العرض الجنوبي فيكون اغزر المطر في صعيد البحيرة حيث فصل الامطار الخريفية ويغزر المطر ايضاً بين اعالي البلاد الواقعة شمالي اوغنده وبين ٣° من العرض الشمالي ولكنهُ ينقطع حينئذٍ في جنوب الحبشة وفي سهول السودان

وفي ديسمبر تكون الحال مثلها في يناير فيما سوى ان المطر يكون اغزر في صعيد البحيرة وتبلغ الشمس معظم انحرافها الجنوبي وينقطع المطر من الاقاليم الواقعة شمالي ١° من العرض الشمالي . ويكون على اغزره جنوباً في بحيرتي تنجانيكا ونياسا وطابورة التي تبعد ١٥٠ كيلو متراً من بحيرة فكتوريا جنوباً . وتبدأ الامطار الشتوية ايضاً على ساحل البحر الاحمر الغربي وساحل البحر المتوسط في شمال الدلتا

ويؤخذ من ارصاد سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ في الوجه البحري ان المطر في الاسكندرية كان اغزر منهُ في سائر الاماكن التي قيس المطر فيها فبلغ مجموع ما سقط منهُ فيها بين شهري نوفمبر ومارس ٣و١٠٩ المليمتر . وبلغ ما سقط في ينابر وحده ٧و٦٢ المليمتر ويلي الاسكندرية المكس فكفر الدوار فالعطف . واقلهُ في الخطاطبة (٥و٢٧) وبلغ سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ في الاسكندرية ٩و١٩٣ المليمتر وكان معظمهُ في نوفمبر (٩و٦٤ المليمتر) و١و١٧٦ المليمتر في العطف و٩و٢٤٥ في كفر الدوار و٢٤٦ في المكس . واقلهُ في الخطاطبة ايضاً (٦و٢١)

اما في السودان فقد بلغ مجموع ما وقع سنة ١٩٠٤ من المطر ٢٣١٦ مليمترًا (نحو مترين وثلث) في مبارارا (بحيرة فكتوريا) ومعظمهُ في نوفمبر فبلغ ٣٤٥ مليمترًا . وكان على اقلهِ في الخرطوم حيث وقع ١٣٠ مليمترًا منها ٧٦ في شهر اغسطس

محمد علي باشا

تمهيد

احتفل سكَّان القطر المصري في الثالث عشر من شهر مايو الماضي بمئة سنة مضت على ولاية محمد علي باشا جد العائلة الخديوية ولقد اصابوا في ما فعلوا لأن لمحمد علي فضلاً لا ينكر على هذا القطر . فان الديار المصرية مُنيت بالخطوب على اثر خروج الفرنسوية منها في اوائل القرن الماضي حتى ان مَن يطَّلع على تاريخها في تلك الايام يعجب من صبر الانسان على تحمل المحن ويستغرب عدم انقراض السكان منها وبقاء شيء مما يقال لهُ زراعة وعمارة فيها . وتاريخها حينئذٍ مبسوط احسن بسط بقلم رجل بُعث الى هذه الديار ليكون شاهدًا على جور الانسان وصبرهِ وعاقبة الظلم على اهلهِ وهو المؤرخ المدقق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي . ولا يُعلَم فضل محمد علي الاَّ بوصف ما كانت عليهِ البلاد قبلما تولاَّها وما صارت اليهِ مدة ولايتهِ . وسنتوخَّى بسط ذلك في الصفحات التالية معتمدين على ما ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ وعلي باشا مبارك في خططهِ وبعض الكتَّاب الاوربيين في تواريخهم ورحلاتهم

فتح نبوليون القطر المصري في اواخر القرن الثامن عشر وفي نيتهِ ان يصل الى الهند ويخرج الانكليز منها وينشئ مملكة شرقية تفوق الممالك الغربية لكنهُ لم يفلح الاَّ في كسر شوكة

المماليك . وتعقبهُ الانكليز الى هذا القطر وساعدتهم الجنود العثمانية والاهالي فاخرجوا الفرنسويين منهُ في اواخر سنة ١٨٠١ بعد ان قتل الالوف من رجالهم وانفقوا البدرات من اموالهم وغرّقوا البلاد المحيطة بالاسكندرية

قلنا ان الفرنسويين كسروا شوكة المماليك لكنهم لم يستطيعوا استئصالهم او لم يتوخوا ذلك فلما جاء الانكليز ساعدهم المماليك على الفرنسويين انتقاماً منهم فذكر لهم الانكليز هذا الصنع وارادوا ان يكافئوهم خيراً و يعيدوا اليهم ولاية الديار المصرية لكن الدولة العلية كانت ناقمة عليهم عالمة ان سلطتها لا تثبت في البلاد ما داموا فيها فلم تترك سبيلاً للتنكيل بهم ولم يتركوا هم واسطة للانتقام من رجالها وتخريب البلاد في سبيل ذلك

والمماليك عبيد او اسرى بيض اشتراهم الملك الصالح نجم الدين الايوبي وعتقهم وجعلهم في حرسهِ وبطانتهِ ومن امراء دولتهِ لانهم كانوا معهُ لما سجن في قلعة الكرك وثبتوا على ولائهِ حين تركهُ خواصهُ من الاكراد فلما توفي سنة ٦٤٧ للهجرة (١٢٤٩ للميلاد) تزوجت زوجتهُ شجرة الدر واحداً منهم وجعلتهُ ملكاً على الديار المصرية وهو الملك المعز عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني وهو اول المماليك البحرية الذين امتدت دولتهم من سنة ١٢٥٠ ميلادية الى سنة ١٣٨٢ ومن اشهرهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري والملك المنصور قلاوون والملك الناصر بن قلاوون وكانت دولتهم دولة جاه عريض ومجد باذخ لان كثيرين منهم كانوا متعلمين متفقهين. نقل علي باشا مبارك في خططهِ انهُ لما جلس السلطان صلاح الدين الايوبي اخذ يغير عوائد الفاطميين فكان اول شيء اجراهُ من ذلك ابطال مذاهب الشيعة وعزل قضاتهم واستحوذ على املاك الفاطميين وفرّق املاك امرائهم على امراء الاكراد واستبدل العسكر فبعد ان كان من العرب والارمن والترك صار جميعهُ من الجركس والروم والاكراد ثم تغير بعد الايوبية فصار من مماليك الشراء . ولما كثرت الوقائع في المشرق بين التتر ومن جاورهم وبيع الكثير من الاسرى اشترى الملك الصالح نجم الدين جماعة منهم وسماهم بالبحرية فترقى كثيرون منهم الى المراتب الرفيعة حتى تملك منهم ناس اولهم المعز ايبك . وكان لملوك مصر وقتئذ عناية بالمماليك من جميع الاجناس واحتفال زائد بتربيتهم وكانوا يسكنونهم في القلعة ويعلمونهم القراءة والكتابة وكان لكل طائفة منهم فقيه يعلمهم امور الدين والآداب والقرآن فاذا شب احدهم وقوي سُلّم لمعلم يعلمهُ انواع الحرب من رمي النشاب ولعب السيف والرمح وكانوا اذا ركبوا للرمي لا يجسر جندي ان يدنو منهم وكانوا ينقلونهم في الخدم على حسب الاستعداد حتى يكون منهم الامير والوزير ولم يزالوا كذلك الى ان كان زمن الناصر فرج الثاني من دولة المماليك

الثانية فأُهمل شأنهم واصبحوا من ارذل الناس وافسدهم واجهلهم بامر الدنيا واكثرهم اعراضاً عن الدين فكان ذلك داعياً لفساد حال المملكة وخرابها "

والذين كتبوا عنهم من الافرنج المعاصرين لهم وصفوهم بالبسالة وقالوا انهم كانوا امهر فرسان العصر وافتكهم

اما دولة المماليك الثانية المدعوين بالمماليك الشراكسة فابتدأَت بالملك الظاهر برقوق وكان عادلاً محباً للعلم والعلماء وامتدت الى ايام الملك الاشرف طومان باي الذي قبض عليهِ السلطان سليم العثماني وقتلهُ في ١٩ ربيع الاول سنة ٩٢٣ هجرية (١٥١٧ مسيحية) وبها انتهت دولة المماليك الشراكسة او البرجية ودخلت مصر من ذلك الحين في حوزة العثمانيين يولون عليها الولاة فيأتونها لارهاق الرعية وتجريد لحمها عن عظمها يناظرهم في ذلك من بقي في البلاد من المماليك الى ان دخلتها الجنود الفرنسوية ثم اجلت عنها وأُعيدت الى آل عثمان وكان محمد علي بين الجنود العثمانية التي جاءَت لمعاونة الانكليز على اخراج الفرنسوية من مصر

وهو من اهالي قوله فرضة من اعمال الروملي ولد سنة ١٧٦٩ وتوفي ابوهُ وهو فتىً فكفلهُ عمهُ ثم قتل فكفلهُ رجل من اصدقاءِ والدهِ فربي امياً لامرشد لهُ الا ذكاؤهُ الفطري وعلو همتهِ وكان يجاهر بذلك ويفاخر بهِ. قال لقنصل الانكليز المستر باركر في اول مقابلة قابلهُ فيها " اني ولدت في قرية من بلاد الاناوُوط وكان لابي عشرة اولاد غيري ماتوا كلهم الآن (سنة ١٨٢٦) ولكنهم لما كانوا احياءً لم يكن احد منهم يخالفني في شيءٍ وقد تركت بلدي قبلما بلغت سن الرشد ولكن كان اهل بلدي يستشيرونني في كل امرٍ واتيت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً . ولما كنت في رتبة بكباشي جاءَ مورّد الخيام ليعطي كلاً من البكباشية خيمة وكانوا كلهم اقدم مني ويحق لهم التقدم عليَّ لكن مورّد الخيام قال لهم تنحّوا كلكم لان هذا الشاب محمد علي مقدَّم عليكم فاعطاني خيمتي اولاً . وارتقيت رويداً رويداً بمعونة الله الى ان بلغت هذا الحد وليس لي معلم " . وشهد غيرهُ من المؤَرخين المعاصرين لمحمد علي من الافرنج انهُ فعل لمصر ما فعلهُ نبوليون لفرنسا وكان مثل نبوليون في الهمة والاقدام ولو لا اشتغال اوربا بامورها الداخلية وقت وفاتهِ لاهتمت لهُ كما تهتم لوفاة ملك عظيم الشان. وسنبين في الجزء التالي كيف كان القطر المصري لما وُلّي محمد علي عليهِ وما اجراهُ فيهِ مدة ولايتهِ

آية العصر

هو النبذة الخامسة من ديوان الشاعر العصري المشهور صاحب السعادة سليم افندي عنحوري الدمشقي نظمهُ في العام الماضي وقد قال في ديباجتهِ " ان الطبيعة اوجدتني نظاماً مكثراً مطبوعاً في عالم الخيال تيّاهاً وفي اودية الفكر هيّاماً ولوعاً امرح منذ كنت يافعاً في حدائق التصوُّر هنيهة فانسج القصيدة عفو الساعة وفيض القريحة لا مقتدياً بافرنجي لانني اجهل لسانهُ ولا مهتدياً بتركي لان بياني لا يشاكل بيانهُ . وانا مقسَّم الخواطر موزَّع البال بين اشغال شموم وهموم اشغال . ثم ابعث بها الى عالمَ النشر او اذيعها بين القراء بنت يومها رافلة في بهاء حللها وحلاها . مختالة بقشيب شبابها ونضير صباها لا يحوم عليها طائر التأمل للتصحيح او التحسين ولا يلمُّ بها رائع البراعة للاصلاح والتزيين . تلك نقيصة عُرفت بها منذ صباي بين مريديَّ واوليائي فان كنت لا احسن واجيد فالذنب ذنبي وما الله بظلاَّم للعبيد "

وقد عرفنا الناظم فاذا هو كما قال يودّعنا في المساء وقد ذُكر لهُ موضوع ويأتينا في الصباح وقد نظم فيهِ الخمسين والستين بيتاً .

وفي هذا الديوان مئة صفحة حافلة بالشعر الصحيح اي بالالفاظ المنظومة التي تعبّر عن المعاني الخيالية على اسلوب ترتاح لهُ نفس من يفهم تلك الالفاظ ويدرك هاتيك المعاني المتجلية من خلالها . وهذا الشعر عصريٌّ ايضاً بمعنى انهُ قليل الالفاظ الغريبة والمعاني القديمة التي لم تعد مألوفة وجامع لكثير من المعاني الجديدة التي ولَّدتها الحضارة في هذا العصر فيجد فيهِ المتعلمون فكاهة قلما يجدونها في غيرهِ لانهُ ينبه فيهم بائتلاف الافكار مدركات اكتسبوها حديثاً وفاقوا بها من تقدَّمهم من ابناء العصور السالفة ولذلك قد لا يستحسنهُ الذين لا يعلمونها ولو كانوا من ابناء العصر كقولهِ في مدح شوقي بك الشاعر العصري

لهُ في ارض طيبةَ معجزاتٌ	يبيد لهولها الهرم العظيمُ
ففي نفثاتهِ بالسحر شعرٌ	ينمُّ عليهِ مطلعهُ الوسيمُ
وقد طبعت على عشق المعاني	قلوب الغيد مذ وجد السديمُ
فلو سيزُستريس افاق يوماً	لحار ونالهُ الحسد الذميمُ

وفي مدح خليل افندي مطران

نشأتَ على السجود بارض مَنفٍ	فتاب الى الهدى الغاوي الاثيمُ
فكم اسمعت آيس المفدَّى	تراتيلاً تتيه بها الحلومُ

فما اصوات ممنونٍ يغني   شروق الشمس اذ رتع الظليمُ
باعجب من رقىً سحرت عقولاً   هذذت بها فادركنا الوجومُ
وآمونُ القريض يراك اهلاً   وانت الكاهن الحبر العليمُ

وقوله في مصر

يا بلاداً فيها جرى النيل عذبا   فسقاها واوسع الارض خصبا
ماؤها كالنضار لوناً لهذا   نال منهُ الزرّاع وفراً وكسبا
بصعيد قد كان يحسب عبداً   منذ قرن والآن يحسب ربّاً
زمن الجود بيع ابخس بيع   عاد تبراً قد ضلَّ من قال تربا
رفع الحقُّ راية العدل تزهو   في رباهُ فصار للخلد تربا
ارض فرعون للحضارة امٌّ   قبل عهد التاريخ تختال عجبا
مرَّ الفان ثم الفٌ والفٌ   حججاً والبلاد تسبي وتسبي
دولٌ قد تأصلت ثم زالت   قرضتها الايام شعباً فشعباً
كم اراقت باريس فيك دماءً   من بنيها تماثل النيل صبّاً
يالعهد فيهِ كليبر اولى   قرب بولاق منهُ للارض جنبا
في ابي قير مشهد مرَّ قدماً   فيهِ اضحت عمارة البحر شهبا

ثم استطرد الى مدح الانكليز وخاطبهم قائلاً

يا هداة العقول بل يا دهاةً   اصبحوا اليوم للعوالم قطبا

لكنهُ ختم القصيدة بما يعدُّ في العربية ذمًّا في معرض المدح فقال

كان آبيس عند طيبة ربّاً   ليس بدعاً ان صرتم اليوم ربّاً

وآبيس الثور الذي كان يعبد في مصر فكأنهُ قال كان المصريون يعبدون الثور فلا عجب اذا عبدوكم . ولهُ تجوزات قليلة مثل هذه لو تأنّى قليلاً ما فاتهُ اصلاحها

وفي الديوان غزل يزري بالنسيم رقةً ويفعل بالنهى فعل الراح وزهريات عارضت زهريات الحلي ولا عجب فهي من انفاس ابن الفيحاء ومن ذلك قولهُ وقد سماها ربيع الحب

تساقط دمعُ الطلِّ فابتسم الزهرُ   فمن مدمعٍ درٌّ ومن مبسمٍ درُّ
وغنّى هزار الدوح في الروض بكرةً   فناح حمام الايكِ وانتحب النهرُ
وماست غصون البان تيهاً كانما   سقاها الصبا خمراً فرنحها السكرُ
وبان من الاكمام وردٌ مؤرَّجٌ   يحدثنا عن سرهِ الخمرُ والجمرُ

اذا منحتهُ الشمسُ نورَ شعاعها | اراكَ يواقيتاً يظللها تبرُ
كأنَّ الاقاحي حول نهر تنسّقت | ثنايا العذارى والصباحُ لها نحرُ
كأنَّ التواءَ الماءِ يسقي نباتها | أفاعٍ من البلّور روّعها امرُ
كأنَّ النبات الغض يغشى صعيدها | حقول من الفيروز منبتهُ الشذرُ
كأنَّ حنايا الآس بالحمل هودجٌ | اقلَّ بنات النور يلثمها القطرُ
فهيّوا بنا ضحي نباكر روضةً | ينمُّ على انفاسها الطيبُ والعطرُ
كستها يدُ الابداع بالوشي حلّةً | فتاهت وما من طبعها التيهُ والكبرُ
يسيل على الحصباء ماءُ عقيقها | كما سال منبثًا على الانجم الفجرُ
يمرُّ على الاشجار عرف نسيمها | فتطفو على الانهار من زهرها زهرُ
يغرّدُ فيها العندليبُ مردداً | اساجيعَ لحنٍ دونها النظمُ والنثرُ
تلذُّ لاسماع الزمانِ كأنما | تردّد فيها من معذّبتي ذكرُ
يمازجُ هذا القلب حال هي المنى | يخالط هذا العقلَ شيءٌ هو السحرُ
الى مثل ذا تُحدى الأماني مجدّةً | وفي مثل ذا يحلو التأمل والفكرُ

وقد اهداهُ الى رصفائهِ في تأييد دولة الشعر العصري وهم الشعراء الافاضل احمد شوقي ومحمد حافظ ابرهيم وخليل المطران . وحبذا لو اتحف ابناء العربية باشعار تاريخية (ايك) حقيقيةً كانت او خيالية مثل الياذة هوميروس وانياد ڤرجيل والشاه نامه ُحتى يبطل زعم الاوربين الذين يقولون ان الجنس السامي عاجز عن نظم هذا الشعر .

حكمٌ وامثال

اذا دخل غريبٌ مدينة نبحتهُ كلابها

للحيوان حياة وللانسان حياتان . فانظر ايُّ الاثنين انت

الحبُّ فخر والمذلة في المهر

العمر قصير ترتيب الاوقات يطيلهُ

الناس مُبصرون . ولكن عن قيمة الوقت عميان

سألوا عن الهناء في مقاصير الكبراء . ما بال هولاء الوتوف لا ينشدونهُ في الكهوف

الاهل الحمق اعداء في صورة احباء

آفة الحب كثرة العتاب ومفتاح البغض الغيرة

الماضي لا يعود فإلامَ تأسف عليهِ والآتي غير مضمون فعلامَ تتكل عليهِ. والحاضر كنزك فحتامَ تقفل عليهِ

القلنسوة مرزوقة ولو على رأس عصا

فتش ديوجين عن الناس بفانوس . لو فتش عن التيوس لاطفأهُ ووفر الزيت

بينك وبين السعادة حجاب ما دام على النساء حجاب

بين الفرنسيس والالمان صارت مراكش "كان ما كان"

الليالي في الشرق حبالى لا تلد الا عفاريت

قال: رأيت صحافياً في "بار" وآخر في مجالس العار قلت اسكت هذان يتسوَّقان الاخبار

قال: رأيت صاحب مجلة يلعب بالقمار . تحت ابطهِ كتاب وفي يدهِ شراب . قلتُ هذا كيماويٌّ يحوّل الذهب الى تراب

عجبت لمن لا يقوّم مسلكهُ ويجلس على منصة المصلحين ولا يستحي

مهما سعوا بتحسين المدارس فالزمان احسن منها وان لم يقم مقامها

ان لم تقتلِ الغمّ فالغمُّ يقتلك . فاما انتَ واما هو

تجالس المرأة الحمقاء زوجها اقلّ مما تجالس المرآة

العقل والقلب فرسا رهان . يتباريان في مضمار الزمان . فان سبق الاول عاش الثاني وان سبق الثاني مات الاول

صديقانِ متلازمان . احدهما طمّاع والآخر خدّاع . كلٌّ منهما يسخر بالآخر . والصواب يبكي على الاثنين

العروس عند الخيّاطة والعريس عند الصائغ . ما بال الناس في ضجة

سليم عنحوري

الى لبنان

فديتُكَ لي وطناً طيّبا — يهيجَ الرّبيعِ بهيّ الرُّبى
مقرّ الهناءِ محطّ الصفاء — محلّ الشفاءِ لمن اوصبا
حباك المهيمن ابهى المزايا — وما نال غيرك ما قد حبا
نسيماً بليلاً يسرّي الهمومَ — فيا ما أرقّ وما أطيبا
وتربا شذيًا كتُرب الجنان — منهُ يفوحُ اريج الكبا

***

سطت دولة الحرّ في الخافقين — فضاقت صدورٌ وحُلّت حُبى
وشقّ المقامُ بارض الشآمِ — وفي ارضِ مصرَ غدا أصعبا
وسلّ البعوض سيوفاً صقالاً — تودّ الجسومَ لها مضربا
تخفّ اليك بعيدُ الديارِ — يحاول من شرها مهربا
وجاءتك من كل صوبٍ وحدبٍ — الوفُ الضيوفِ ثباتٍ ثُبا
فكنتَ الملاذَ وكنتَ المعاذَ — وقلتَ لراجي الصفا مرحبا

***

فأضحت هضابك مثوى البدورِ — وأضحت رُباكَ مقرّ الظبا
وضمّت مسارحُك الواسعاتُ — أرامَ الفلا وأرام الخبا
فتلك يطاردُها القانصونَ — ضحىً وأصيلاً ولم تُذنبا
وهذه تشقّ فؤاد المحبّ — بسيف اللواحظِ ماضي الشبا

***

اذا تاقَ قومٌ لارض السويس — ففي غير لبنان لن اطربا
وان يمّ الألب قاصٍ ودانٍ — فقلبي الى غيره ما صبا
أحبُّ وان يحتقرْ مشرقاً — وأبي ولم أزرِهِ مغربا
وأهوى ولو ساءني موطناً — قضيتُ بهِ زمني الأطيبا
تمرّ شهورك فيهِ سراعاً — كأنّ حياتك عهدُ الصبى

جرجي عطيه

دفاع الكلاب

هذه قصة تؤيد ما طالما قيل عن ذكاء الكلب وفطنتهِ بعثة بها كاتبة انكليزية الى مجلة انكليزية جديدة اسمها "جراند مجزين" وقالت انها صحيحة كما روتها تماماً واردفتها بحاشية عن لسان الكلب المذكور فيها يدافع بها عن نفسهِ واخوانهِ الكلاب

القصة

كنت منذ سنوات قلائل مقيمة في مدينة سان جان دي لوز على ساحل بحر بيسكي في اسبانيا وكان منزلي على رصيف قرية سيبور وهي قرية صغيرة لصيادي السمك يعيش المرء فيها عيشة البساطة والاقتصاد آمناً عيون الراصدين وانتقاد المنتقدين . وجرت عادتي ان اخرج للنزهة كل يوم بعد طعام الصباح وآخذ معي غدائي وكتاباً اتسلى بهِ في ساعات خلوتي وانفرادي . وكان لجيراني كلب طالما تمنيت ان يصحبني في غدواتي وروحاتي وكنت كلما مررت على باب منزل اصحابهِ أراهُ مضطجعاً امام الباب يراقب الصيادين وهو يقظان نائم . وادنو منهُ احياناً وأمر يدي عليهِ تودداً فينظر اليَّ غير مكترث لي بل ربما ادهشهُ ما كان يراهُ من جرأتي عليهِ وتحرشي بهِ لغير معرفة سابقة فيرمقني من طرف خفي كأنهُ يقول في نفسهِ "كرم الخلق يقضي عليَّ بالسكوت . ما هي الاَّ امرأة"

وخرجت ذات يوم على جاري عادتي فلما رآني نهض من مضجعهِ وهو يتثاءب ومشى خلفي حذاء الرصيف فسرَّني مجاملتهُ لي ولكني لم اشأ ان أغريهُ بترك بيت صاحبهِ ومرافقتي الى حيث اقصد فرقفت واشرت اليهِ ان يعود من حيث اتى ولكنهُ لم يعبأ باشارتي بل وقف ينظر اليَّ ولما رآني أطلت وقوفي أقعى وجعل يتثاءب فاستأنفت مسيري وكنت اتوقع عودتهُ من آن الى آن لكنهُ ظلَّ سائراً ورائي

وما زلت اسير وهو يتبعني قريباً مني حتى بلغنا غابة كثيفة فجلست استريح قليلاً فدنا مني واخذ يلحس يديَّ ويقف منتصباً على رجليهِ وينظر في وجهي نظرة ملؤُها انعطاف اليَّ وتحذير من خطر يتهددني لو كنت افقه . ولما رآني لا أُبالي بحركاتهِ ولا ادرك لها معنى عمد الى آخر حيلة لديهِ وهي انهُ تقدمني في طريقي لعلهُ يرشد خطواتي حتى بلغت عين ماء وسط الغابة وهي المكان الذي كنت اقصدهُ لقضاء نهاري فيهِ . فاضطجعت في بقعة ظليلة طلباً للقيلولة ولم اكد أُغمض اجفاني حتى طفق يهرُّ هريراً متقطعاً ويدوس ثوبي ويدني فاهُ من وجهي ويدور حولي مسرعاً وهو لا يستقرُّ على حال ولا يلوي على شيء ولا يحوّل وجههُ عن

داخل الغابة حتى لم يسعني النوم . فنهضت مغتاظة وقلت له "هلمَّ بنا نرجع الى البيت اذاً" ثم مشيت وتبعني وكان يدور حولي حيناً بعد حين وهو يهرّ . فلما خرجنا من الغابة وتقدمنا نحو البحر تغير سلوكهُ بغتة وتأخر عني كأن لم يكن شيء . تحيرت في ما ابداهُ من الحركات الغريبة لاسيما وانهُ لم يكن في ذلك المكان خطر من حيوان مفترس ولا لص قاطع طريق . ثم انهُ لم يصحبني لتعلقهِ بي ولا لميل خصوصي اليَّ فاننا لم نكن قد تصاحبنا قبل هذه المرة . فما الذي حملهُ اذاً على فعل ما فعل

وبينما كنت افكر في الامر سمعت وقع حوافر خلفي فتطلعت واذا بي أرى نفراً من الصيادين ممتطين خيولهم يستحثونها نحوي مسلحين بالبنادق والخناجر . فرفع المقدَّم فيهم قبعتهُ وقال "أتسمحين لي يا حضرة المداموازيل ان اسألك اين كنتِ الآن" فاخبرتهُ فصاح الرجال حينئذٍ بصوت واحد وقال الاول "ولكنكِ لم تمرّي في الغابة على كلّ حال" فقلت "بل مررت فيها وجلست هنيهة قرب عين الماء" فنظر اليَّ نظرة الوجل المضطرب وقال "اذاً كان وجود الكلب معك رحمة من الله والأَّ لوقعت فريسة بين مخالب ذئب كاسر ساقهُ الجوع من الجبال الى مزرعة قريبة من هذا المكان وحاول اختطاف ولد منها فطاردناهُ الليلة الماضية الى هذه الغابة ولا يزال فيها . كان الواجب ان نعلن ذلك ولكن من كان يخطر على بالهِ ان فتاة تقصد هذا المكان وحدها . ومهما يكن فان وجود الكلب معك عناية ربانية بك". ثم ودعني وسار في سبيلهِ

اما انا فعدت الى منزلي بقلب خافق وقد حرت كيف عرف الكلب بوجود الذئب في تلك الغابة وعرف بعزمي على المرور فيها وهو في منزل صاحبهِ فتبعني ليكون حارساً لي

واغرب من ذلك كلهِ انهُ لما بلغنا القرية اختفى عني . وفي صباح اليوم التالي اخذت لهُ بيدي قطعة لحم وعظم اعترافاً بفضلهِ وجزاء لهُ على صنيعهِ فلم يحفل بي بل كانت نظرتهُ اليَّ هذه المرة مثل المرّات السابقة . ولم يصحبني بعد ذلك ولا أبدى اقلَّ حركة تدلُّ على انهُ يعرفني

وبعد ثلاث ساعات من التقائي بالصيادين اهتدوا الى مكان الذئب وقتلوهُ عند العين التي جلست قربها والكلب يحرسني وينبهني الى الخطر وانا لا انتبه ولم يكن تركي لتلك البقعة النضرة الأَّ رغماً مني وتخلصاً من شدة تحرشهِ بي

الحاشية بلسان الكلب

"اذا نظرنا نحن الكلاب من ذرى ادراكنا الى ضيق مدارك الانسان لم يسعنا الأَّ الغيرة منهُ على ما لهُ من الوسائل التي ليست لنا . فلو ان كلباً منا نال نصف المزايا التي ينالها

احط الناس من التربية والاسفار وما شاكل لبات الانسان صاحب المحل الثاني في المملكة الحيوانية ولارتق الكلب الى المحل الاول فتلق اليهِ مقاليد امور الكون ويسخّر الانسان لتنفيذ اوامرهِ العالية التي يقدحها زناد فكرتهِ السامية

ومن هؤلاء الآدميين رجل اسمهُ الاستاذ رومانس ابان بالرسوم نشوء العقل وارتقاءه منذ اول ابتدائهِ في البروتوبلازم حتى بلغ منتهاهُ في دماغ الانسان المتمدّن. وكنت ذات يوم في مكتب سيدي فرأيت كتاب "ارتقاء الحيوانات العقلي" موضوعاً على مائدة القراءة وفيهِ الرسوم المشار اليها. فنظرت فيها فسرَّني ان أرى ان الكلب يساوي في درجة ارتقائهِ العقلي طفلاً بشريّاً عمرهُ ١٥ شهراً . اما انا فاقول — وقولي مبنيٌّ على الملاحظة والمراقبة — انهُ حالما يصير طفل الانسان ينظر الى ما حولهُ يشرع ابوهُ وامهُ واخوتهُ واخواتهُ وعماتهُ وخالاتهُ وابناؤُهم وجماعة الاصدقاء والزائرين في ترقية قواهُ العقلية ولا يتركونهُ وشأنهُ الاَّ اذا كان نائماً . فتراهم يعرضون كلَّ يوم اشياء جديدة امام عينيهِ ويكلمونهُ بلا انقطاع ويغذون دماغهُ كما يغذون جسمهُ . واذا أبدى اقلَّ اشارة تدلُّ على الفهم صاحوا فرحاً ورقصوا طرباً واستعادوهُ تجرئة لهُ . وحالما يقوى على المشي والكلام يرسلونهُ الى المدرسة ليتعلّم

هذه حال طفل الانسان فما حال جرو الكلب . فانهُ ما من احد ينتبه لما يبديهِ من دلائل الفهم واذا عوى لم يصغِ احد الى عوائهِ . ولا سبيل لهُ الى سماع احاديث الناس . وطعامهُ ينقصهُ الفصفور وغيرهُ من مغذيات الدماغ . ولا يعلَّم الاَّ الالعاب المسلّية . ومع ذلك كلّهِ من الامور التي تثبّط الهمم والعزائم نرى جرو الكلب يبلغ مبلغ الانسان في الفهم بلا اقلّ مساعدة لترقية قواهُ العقلية . وعندي انهُ لو أُتيح لنا ان نُعامل منذ ولادتنا كما لو كان اولادنا مساوين لاولاد الانسان في مداركهم وأُرسلنا الى مدارس خاصة بنا ونحن صغار لسبقنا متخرجي كليات العلم والفلسفة من الآدميين بمراحل كثيرة

اما قصتي السالفة الذكر فلاسرَّ فيها البتة فاني علمت بنزول ذئب من الجبال من تردُّدي على النادي الخاص بنا . فانهُ ما من كلب يعرف قدر نفسهِ يترك يوماً يمرُّ ولا يجتمع بصحبهِ واخوانهِ للتحدث باخبار البلدة وامورها . فقد شهدتُ اجتماعاً حضرهُ كلاب الصيادين وثلاثة كلاب من المزارع المجاورة لنا . وكان بعضهم يعرف الغابة التي اختبأ الذئب فيها ولو ان الصيادين شاوروهم لدلُّوهم على مكمنهِ قبل اهتدائهم اليهِ بعدة ساعات . وقد اخبرنا احدهم ان الفتاة الانكليزية كانت تتردد على عين الماء وتجلس هنيهة وكتابها في يدها وانهُ مرت عدة ايام ولم تزر ذلك المكان وتمنى ان لا تقصدهُ بعد حتى يقتل الذئب . وفي اليوم التالي راقبتها

فلما رأيتها والكتاب في يدها قلت انها تقصد الذهاب الى تلك الناحية وانما قلت ذلك قياساً لها بني جنسها الذين تقودهم غرائزهم العمياء الى دق رؤُوسهم بالجدران بلا سبب ولا داع

وهناك امرٌ آخر يجب الانتباه لهُ وهو شدة عناد المرأَة . فلو ان رجلاً من بني جنسها اقسم لها ان في الغابة ذئباً لبقيت على عزمها ولم تحِد عن رأيها مهما كان شأنهُ خطيراً في عينيها ولما كنت اعلم ذلك منها لم احاول تحويلها عن عزمها حتى بلغنا الغابة ففعلت ما فعلت ولكنها لم تفهم مرادي وذلك من الغرابة بمكان لاني موقن ان عينيَّ كادتا تنطقان وان ابلد اصدقائي الكلاب فهماً كان يدرك مرادي لو كان مكانها ولكن هذه الآدمية "السامية الادراك" كانت بكماء عمياء

هذا وقد قصت عليكم باقي القصة والنتيجة التي بانت لها غريبة هي ايسر الامور فهماً فايُّ الامور يحبّب اليَّ معاشرة شخص على هذه الدرجة من البلادة والبله . ألم يكفني اني مشيت معها ساعاتٍ وتركت نومي المنيَّ صباحاً فما الداعي الى تضحية نفسي مرة اخرى بلا سبب . أُفٍّ للبشر لا طاقة لي على الصبر عليهم . آه لو كنت اتكلم"

انتهت القصة وما عقبتهُ الكاتبة عليها من دفاع الكلب واحتجاجهِ . ويرجح لنا ان راوية القصة واهمة حلمت حلماً او هجست هاجساً ثم اعتقدت ان ما حلمت بهِ او هجست امر وقع لها حقيقة فسطرتهُ بنية سليمة وعقبت عليهِ والتعقيب حسن ولو لم يحتمل البحث العلمي

النمل وحقائق جديدة في طباعهِ

النمل اقدم طوائف الحيوان حضارة فان نمل جنوبي افريقية كان قبل ان ظهر الانسان على الارض بعصور كثيرة يبني قصوراً باذخات من الطفال ويأسر العبيد ويسترقُّ الاسرى ويستدرّ اللبن من الانعام ويشنُّ الغارات ويشهر الحروب على الطوائف المعادية . كان الاول في ذلك ولعلهُ يبقى الاخير فانهُ يربي صغارهُ ويقيم مبانيهُ على مدافن امم كثيرة مضت واضمحلت وهو لا يزال يجدُّ ويدأب في عملهِ كما لو كان هذا الكون جديداً في خلقهِ

وليس بين المخلوقات الحية ما يشابه النمل فانهُ بعيد كل البعد عن بقية الحشرات كأَنهُ هبط الى الارض من سيار آخر فهو لا يعبأُ بالشمس ولا بالنهار ولا بالصوت ولا بالكلام . اعمى اصم ابكم لا ينام ولا يلعب بل يعمل على الدوام في عالم السكوت والظلمة المدلهمة

في نيويورك سيدة اسمها مس ادال فيلد قضت ست سنوات كأَنها عائشة بين النمل فانها

بنت لهنَّ قرى صناعية وجعلت تراقب حركاتهنَّ واعمالهنَّ وتدرس اخلاقهنَّ واطوارهنَّ حتى اكتشفت اموراً غريبة كانت تطلع عليها مجمع العلوم الطبيعية في فلادلفيا وبعض العلماء الطبيعيين في ولاية مستشوستس دون غيرهم الى ان سمحت اخيراً بنشرها في الجرائد السيارة وكانت هذه المقالة اول ما نشر منها

تبتل الاناث

اناث النمل متبتلات على العموم . ففي كل قرية ملكة هي ام جميع رعيتها . وملك لا شأن لهُ في ادارة زمام الاحكام . وطغمة من الراهبات تعمل كل الاعمال . ويمتاز الملك والملكة على سائر الرعية بان بدنيهما اكبر من ابدانها وبان لهما اجنحة . والملكات لا تتزوجن لمثل الاسباب الغالبة في الممالك فاذا لم تستحسن ملكة نمل منظر طالبها او حركاتهِ فان قوانين البلاط تسمح لها بعضهِ وارسالهِ فارغاً . واذا مالت اليهِ قبلتهُ في رأسهِ وباحت لهُ بغرامها وتزوجتهُ . وهي امينة في حبهِ غيورة عليهِ فاذا رآها شاب لبق وافتتن بمحاسنها جزتهُ بالقتل عفة

واما ملوك النمل فليست سوى معدٍ فارغة وبطون طاوية ورؤُوس لا عقول فيها فلا تطعم الصغار ولا تأكل وحدها الاَّ اذا كان العمال في انهماك عظيم وشغل شاغل عنها . ولكنهما مع ذلك عزيزة مكرَّمة في كل قرية فان العمال تطعمها وتقبل جباهها وتلحس ابدانها وتصقل اجنحتها

الابصار بلا اعين

واول ما اهتمت السيدة المذكورة بحلهِ هو كيف يبصر النمل بلا أعين ولا نور فاهتدت الى الجواب بعد بحث دام اربع سنوات . وهو ان لكلّ نوع من انواع النمل رائحة خاصة بهِ تفوح من كلّ فرد من افرادهِ وتعلق بكلّ ما تلمسهُ فهي لهُ بدل اللون . وفي رأس كل نملة قرنان صغيران كالشعرة يموجان في الهواء الى كل جهة وفي طرف كلّ قرن اربعة مفاصل الى ثلاثة عشر مفصلاً كلٌّ منها بمنزلة انف لها . ولكلّ من الاربعة المفاصل الاولى وظيفة خاصة بهِ فالاول الذي في راس القرن لشمّ رائحة البيت الذي تسكنهُ النملة. اقطعهُ فلا تعود تهتدي الى بيتها . والثاني الذي يليهِ لمعرفة الاهل. اقطعهُ فلا تعود تميز بين القريب والغريب والصديق والعدوّ . والثالث لمعرفة الطريق اذا فقدتهُ ضلت سبيلها وتاهت عن طريق قومها ولو كانت معقد الازار من قريتها. والرابع والخامس لمعرفة بيض القرية وصغار الناشئة . اما المفاصل الباقية فلم تهتدِ تلك السيدة بعدُ الى وظائفها

السمع بلا آذان

رأت تلك السيدة بعد التجارب الكثيرة ان النمل لا آذان لهُ وذلك انها وضعت قرية من قراهُ قرب بيانو ونقرت عليهِ فلم يتأثر منهُ وأدنت من النمل كمنجة وجعلت تعزف عليها فلم يظهر عليهِ اقل تغير او انفعال ثم وضعت القرية على البيانو ونقرت عليهِ فجعل النمل ينفر ويطفر كأنهُ أجفل ونقلتهُ من على البيانو الى مائدة واخذت دبوساً وامرَّتهُ على المائدة في مكان يبعد عشر اقدام عن القرية فأبدى من الحركات والانفعالات ما ابدى وهو على البيانو . فاستدلت من ذلك ان النمل يسمع بارجلهِ اي ان ارجلهُ تنقل الى ابدانهِ نفس التأثير الذي تنقلهُ اذن الانسان الى دماغهِ

قوة النمل وصبرهُ

من المعروف عند علماء الحيوان ان النملة اقوى الحيوانات بالنسبة الى جسمها . والاعجب في النملة قدرتها على احتمال التعب مدة طويلة وقد جربت السيدة المشار اليها ذلك فوضعت عدة منها في مكان مسدود لا طعام فيهِ فالضعيفة ماتت في سبعة ايام وبعضها عاش خمسين يوماً وبقيت نملة مئة يوم او اكثر تمشي في جوانب سجنها وهي لم تذق طعاماً الى ان ماتت . ولم يكن يظهر على النملات قبل موتها ان قوتها خارت بل كانت اذا حان اجلها تسقط بغتةً ميتةً لا حراك بها

وفي النمل نوع يأكل افرادهُ القليل ويصوم الواحد منها اربعين يوماً وكأنهُ لم يأتِ امرًا عظيماً فلذلك ترى انواع النمل الاخرى تستعبد هذا النوع وتستخدمهُ في اشق الاعمال لانهُ يرتضي بالقليل طعاماً

ومما اكتشفتهُ انهُ اذا قلَّ الطعام في قرية ما أُكره صغار النمل على العمل وهن لا يزلن اطفالاً . ومدة طفولية النمل من ٢٠ يوماً الى مئة يوم ونتيجة العمل الباكر فيهنَّ انهُ يؤخر نموَّ ابدانهنَّ فينشأْن عجافاً ضئالاً ويبقين اقزاماً مدى العمر

على ان الماءَ اشدُّ لزوماً للنمل من الطعام فلا يعيش بلا شرب طويلاً . وقد وجدت مس فيلد ان تغريق النمل يكاد يكون مستحيلاً فانها كانت تضع البعض في قعر اناءٍ فيهِ ماءٌ مدة ثمانية ايام فيبقى تحت الماء تلك المدة كلها لا يبدي حراكاً كأنهُ ميت . فاذا اخرجتهُ وجففتهُ انتفض ومشى على جاري عادتهِ

وقد تفقد النملة رجلاً من ارجلها فلا يضر ذلك بها البتة . واذا قطعت رجلان منها بقيت حيةً تسعى على الاربع الارجل الباقية شهرًا او نحو ذلك . وفقدت ملكة من ملكات

النمل بطنها فبقيت حيةً تأكل بقابلية مدة ١٤ يوماً . واعجب من ذلك كلهِ واغرب ان نملة فقدت رأسها فعاشت بعده ُ ٤١ يوماً . وبقي بدنها يهيم بلا رأس تلك المدة حتى اقتنع ان الموت افضل من حياة بلا رأس

عواطف النمل

للنملة عواطف وتصورات . فهي تحب وتبغض وتفرح وتحزن . وتعرب عن حبها لنملة اخرى بلحسها اياها والوقوف الى جنبها واطعامها وربتها على رأسها . وتعرب عن بغضها لها بجرّها اياها حول قريتها وعضها ونهشها ثم التنكيل بها وتمزيقها ارباً ارباً وطرحها على دمنة القرية عبرة لمن اعتبر

وارادت مس فيلد ان ترى ما اذا كانت النملة تتذكر الحوادث الماضية فجاءت بقريتين وعاملت اهل الواحدة باللين والتودّد فكانت تطعم افرادها بيدها وتسمح لهنَّ بالطواف حول اصابعها وفي راحة كفها وتبالغ في اكرامهنَّ ومجاملتهنَّ فانسنَ بها ولم يعدن يخفنها و يعضضنها وعاملت اهل القرية الاخرى بالخشونة والجفاء فكانت تذيقهنَّ من العذاب الواناً كأن ترفعهنَّ من ارجلهنَّ وتغطسهنَّ في الماء البارد وتخرب طرقهنَّ وتعيث فساداً في دورهنَّ وتلقي الرعب في قلوبهن وتتركهنَّ فوضى . فصارت اذا دنت من قريتهنَّ فيما بعد ينفرن منها نفور الظليم واذا امسكتهنَّ يدها اشبعنها عضاً و بذلن المجهود في الافلات منها

ونقلت ملكة النمل من قريتها الى مكان آخر قبل فقس البيض ثم أعادتها اليها بعد ٥٢ يوماً اي بعد ان فقس البيض وصارت صغار النمل تجول من مكان الى مكان فعرفت ملكتها حالاً واحلتها على الرحب والسعة . وأُبعدت ملكة اخرى عن قريتها ٧٣ يوماً ثم أُعيدت اليها فتردد الصغار هنيهة في معرفتها واستولى الهياج عليهنَّ في بادىء الامر ولكنهنَّ لم يلبثن ان عرفنها فاجتمعن حولها واخذ اربعة منهنَّ يلحسنها ووثبت أُخرى على منكبيها فرحاً وضجت القرية بالافراح ذلك اليوم

ومن اغرب التجارب التي جربتها انها اخذت بعض النمل من قرية منذ ثلاث سنوات ووضعتهُ في مكان اعدتهُ لهُ . و بعد مضي تلك المدة اخذت نملتين اخريين من القرية نفسها ووضعتهما بين النملات الاولى فاشتبهن فيهما وخامرتهنَّ الريبة في امرهما ولكنهنَّ لم يلبثن طويلاً حتى عرفنهما فصنعن لهما مأدبة فاخرة من طعامهنَّ

هذه ادلة تدل على ان النملة تتذكر الحوادث الماضية . وابلغ من ذلك ان لها قوة الاستنتاج والاستدلال كما يؤخذ من التجربة الآتية . وهي ان قطعة زجاج وضعت على باب

القرية تخرج النمل منها واخذ يجمع التراب عليها حتى صيرها مظلمة بعد ما كانت شفافة وذلك انهُ لما كان النمل يكره النور فانهُ منع دخولهُ الى قريتهِ بما جمعهُ من التراب على الزجاج وهذا العمل لا يمكن بلا قياس واستدلال . وتركت قرية سهواً في احد جوانب الغرفة ذات مساء قرب عرمة من التراب المبلل فشرع النمل في البناء حتى اذا اصبح الصباح كان قد بنى بيتاً لهُ باب ونافذة ولكنهُ تداعى الى السقوط حالما جف التراب . وهذا دليل على ان النمل يستطيع ان يجري على مقتضى احوال الزمان والمكان ويبني منازل لم يرَ لها مثالاً من قبل

وتظن مس فيلد ان للنمل محاكم للقضاء ولكنها ليست على يقين من ذلك . فقد شاهدت النمل مرتين يصطف في دائرة ويقف ساعاتٍ بلا حراك ثم يهجم على نملة ويقبض عليها ويقتلها

حروب النمل

مما عرف عن النمل انهُ يكره المهاجرة كرهاً عظيماً وان انواعهُ المختلفة وقبائل النوع الواحد في حرب دائمة بعضها مع بعض وانواعهُ كثيرة تزيد على ٣٥٠٠ نوع لا تعرف للصلح اسماً ولا للسلام رسماً

ورب سائل يسأل لمَ يشنُّ النمل الغارات ويشهر الحروب . فقد أجابت مس فيلد على هذا السؤال بما يشير الى وجود اسرار وأُخرى خفي حلها على علماء الطبيعة وهو ان النملة تعلم صغارها في الثلاثة الايام الاولى من حياتها فتدور الصغار في جوانب القرية وهي تجيل انوفها اينما كان وتمس بها كل ما يعرض في طريقها . ومتى انتهت الثلاثة الايام ينتهي دور تعلمها فهي تتعلم قليلاً وتنسى قليلاً . وكل ما تتعرف بهِ في تلك المدة تسالمهُ وتصادقهُ وكل جديد يعرض لها تعاديهِ وتحذرهُ . فما تعرفهُ فهو الحسن الجيد وما لا تعرفهُ فهو القبيح المستنكر

فاذا أُردت مصادقة نملة فتعرَّف بها في الايام الثلاثة الاولى من ولادتها لان ايامها المدرسية تنتهي بعد ذلك فتعد كل علم بعدها فضلة يستغنى عنها بل هرطقة يجب نبذها . وقد جرب ذلك فجي ببعض نملات من انواع مختلفة قبل بلوغها اليوم الثالث من عمرها ووضعت في مكان واحد فعاشت بسلام وامان كانها اعضاء عائلة واحدة . ولكنها حالما بلغت اليوم الثالث من عمرها جعلت تفتك بكل غريب لم تتعرفهُ ولا شمت رائحتهُ قبلاً

وقد يتردد النمل احياناً في تمييز العدو من الصديق . فقد وُضعت مرة بيضة نملة صفراء في قرية من النمل الاسود ففقست واخذت تقضي حاجات مربيتها وهي آمنة غوائل الايام حتى اذا كان ذات يوم وقد راب اهل القرية امرها وفطنوا لاصلها وفصلها هجموا عليها بغتة ومزقوها اربًا

ووضعت نملتان كبيرتان في قرية يسكنها اخوتهما واخواتهما من امهما فعرفنهما ولكن الصغار لم يعرفنهما فهجمنَ عليهما واوسعنهما ضربًا وقرصًا وحاولنَ جرَّهما الى دمنة القرية لقتلها . وكانتا اقوى منهنَّ بكثير ولو شاءتا لنكلتا بهنَّ ولكنهما اظهرتا من الصبر وسعة الصدر ما لا مزيد عليهِ وقدمتا الى اخوتهما واخواتهما هدايا من طعامهما استجلابًا لهنَّ كأَنهما تقولان نحن من اخوتكنَّ ومن امٍ واحدة فماذا تفعلن بنا . ففقه الصغار مرادهما وخلينهما وشأْنهما

تدبير منزلها

النملة اكثر الحشرات تدبيرًا لمنزلها كما انها اشدُّهنَّ ميلاً الى الحروب . وهي حريصة على النظافة تكره القذارة وتحمل الماء بفيها لقضاء حاجاتها المنزلية وتفرز غرفة خصوصية تذخرفيها موُونتها وتحمل اقذار القرية الى مزبلة في اقصى اطرافها . ولاغنى لها عن الماء ساعة ولو عن شيء مبلول بهِ واذا رأَت صغارها وسخة غسلتها بالماء

واشهى طعامها الذباب . فاذا لم تصب منهُ صيدًا تعللت بما حضر من الخنافس والعناكب والخبز والدهن والاثمار والحلوى ولا تأْكل اللحم المبزر . وهي متأَنقة في اختيار طعامها لا تأْكل الاَّ الطعام الشهيَّ وتنبذ كل تافه وضارّ كما ثبت لمس فيلد فانها صنعت فطيرة من ذباب مفروم ودبس ودسَّت في المزيج سمًّا ذا لون احمر وسمًّا آخر ذا لون ازرق وقدمتهُ الى النمل فاقبل يأْكل منهُ ومس فيلد تظنُّ انهُ سيموت كلهُ ولكنها دهشت جدًّا لمَّا لم ترَ نملة منهُ ماتت وحارت في ذلك واخيرًا فحصت القرية فرأَت في بعض زواياها عرمتين من السم الذي دستهُ لهُ في طعامهِ فانهُ فرزتهُ عن مركبات المزيج الاخرى فأَكل ما يؤْكل ونبذ ما لا يؤْكل

والنمل يؤْثر الموت جوعًا على أَكل بعضهِ بعضًا او أَكل بيض قريتهِ . الاَّ ان في بلاد المكسيك نوعًا يسمي نمل العسل شذَّ عن هذه القاعدة . فقد جرت عادتهُ ان يختار كلَّ صيف عددًا من ذكورهِ فيعلفها عسلاً حتى تسمن فاذا جاء الشتاء وقلَّ الطعام اقبل على مسمَّناتهِ ينهشها ويقتات بها فيسلم من الجوع

بعض عادات النمل

يظهر للناظر الى سرب من النمل ان كلَّ نملة مثل الاخرى في منظرها وحركاتها حتى كأَنها أُفرغت في قالب واحد . وحقيقة الامر ان بين افراد النمل من الفرق ما بين افراد الناس فمنها ما يتأَنق في زينتهِ فيقضي ساعة في ذلك احيانًا . وفي رجل كلّ نملة ما يشبه ان يكون مشطًا تمشط بهِ شعرها وتنظف بدنها . والصديقات تساعد بعضها بعضًا في النظافة والزينة .

واذا أُمسكت نملة بعد ما تنتهي من التزين ثم أُفلتت عادت تنظم ما اختلَّ من زينتها وتصلح ما افسدتهُ يد الانسان منها

ومن النمل ما هو صخَّاب محب للمشاجرة والخصام . وكثيرًا ما يعمد الى المنازعة والقتال بلا سبب ظاهر فترى نملتين تختصمان في قارعة الطريق والنملات الاخرى سائرة في سبيلها مكبَّة على عملها لا تلتفت اليهما . ومتى تغلبت القوية على الضعيفة جرَّتها الى مزبلة القرية حيث نقتلها . ومن السهل تمييز النملة الخائفة من غيرها فان الخائفة تخرُّ الى الارض خاشعة كأَنها هرٌّ يقفز للوثوب على فريستهِ فاذا تحوَّل خوفها ذعرًا تجمعت مثل الكرة ولم تبدِ اقل مقاومة

وترى بينها كثيرًا من الكسالى والبهل التي لا عمل لها وانما هي عالة على اهل القرية

ومنها ما تغلبهُ العواطف النفسانية كالحزن حتى لتراهُ ينفطر قلبهُ منهُ فان ملكة تزوجت وكانت محبة لزوجها الى حدّ الشغف تبالغ في الدلّ عليهِ وبالغ في التودد اليها . ولما انقضى على زواجهما مئة يوم توفي الملك فاستولى الجزع على الملكة ودارت حول جثتهِ مخفوضة الرأس مكسورة الجناح ثم اسرعت واتت بعشرين بيضة من بيوضها وجمعتها على جثتهِ كأَنها تكفنهُ بها . ولما ساروا بهِ لدفنهِ فارقها الرشد والصواب فعينوا لها سبعاً من الحشم يرافقنها ويعزينها فمزقتهنَّ اربًا كأَنها اشتبهت فيهنَّ وحسبت انهنَّ كدن لزوجها وقتلنهُ اغتيالاً

ومن اغرب ما شاهدتهُ مس فيلد انها جاءت بنملة صفراء كبيرة وأَلقتها بين خمس نملات غريبة عنها فوقفن مدهوشات لا حراك بهنَّ وجعلت النملة الصفراء تخطر بينهنَّ ذهابًا وايابًا وهي لا تحسب لهنَّ حسابًا ثم رُفعت عنهنَّ فرفع عنهنَّ السحر وعدن اجسامًا تتحرك وتسعى بعد ما كنَّ كالخشب المسندة . فما اشبه فعل النملة هذه بتنويم المنوّم او بسحر الساحر

وقد نصح سليمان الحكيم الكسالى ان يذهبوا الى النملة ويتعلموا منها الاجتهاد ولو دقق البحث لوجد في النمل المجتهد والكسلان . الذي يكدح دوامًا والذي يعيش من تعب غيره كما في نوع الانسان

ودرس طبائع النمل سهل على من يصنع لهنَّ قرية شفافة كأَن يأتي بلوحين من الزجاج الملون بلون برتقالي طول كل منهما عشرة سنتمترات وعرضهُ ثمانية ويضع الواحد فوق الآخر ويصل بينهما بقدة من منشفة حتى يصير من ذلك صندوق جوانبهُ الاربعة من المنشفة واعلاهُ واسفلهُ من الزجاج ويقسمهُ بحاجز في وسطهِ الى غرفتين ويكون في الحاجز باب ويضع في احدى الغرفتين طعامًا وفي الاخرى اسفنجة مبلولة ويضع النمل فيها فيرى اعمالهُ المختلفة من غير ان يزعجهُ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الشرقية في القرن العشرين [1]

ارى نفسي السعيدة في وقوفي	لديكم نخبة القوم الاماثل
لأُلقي كلمةً في الشرق يصبو	لمعناها النهى من كل عاقل
وحسبي ان أُصيب بها واني	انال رضى الفواضل والافاضل
وارجو ان يكون الكلُّ منكم	على خطإِي ستور العفو سادل

الشرق وهو مهبط اسرار الحكمة ومطلع شموس الفلسفة ومنبثق انوار العلم قضى عليهِ الدهر بسنتهِ القاهرة ان تفارقهُ الاهة الحكمة وتغيب عنهُ شمس المعارف وتخبو مصابيح العلم فيهِ فغزاهُ شيطان الجهل بجيوشهِ الجرارة فثلَّ عرش سطوتهِ المكين وقوض صرح مجدهِ المتين ولم يبقِ منهُ حجرًا على حجرٍ كما لا يخفى على المطلعين

ولقد اتى على الشرق حين من الدهر طويل وظلمات الجهل مخيمة عليهِ وجرثومة الذكاء الشرقي الذي خص بهِ الخالق اهل الشرق مدفونة تحت انقاض صرح مجدهِ القديم وقد عدمتها كل اسباب النماء ثم اراد الله ان يبعثهُ من رقدتهِ و يعيد اليهِ سابق سطوتهِ فاشرق عليهِ شمس المعارف التي طال امد احتجابها عنهُ تبدد ظلمات الجهل التي سادت عليهِ وتمزق لفائفهُ السوداء عنهُ فاحست بحرارتها جرثومة الذكاء المدفونة فهبت من سباتها وقد توفرت لها كل وسائل النمو فافرخت ونمت وبسقت وكان من نتائج ذلك النهضة العلمية والادبية التي نشأت في النصف الاخير من القرن الماضي ولا تزال في نموٍ وازدياد

اجل ايها السادة ان المعارف في شرقنا قد راجت سوقها وكثرت فيهِ المدارس ومغاني العلم وتفجرت ينابيع الثروة في انحائهِ فوفد عليهِ كثيرون من اهل الغرب وكلٌّ يحمل جرثمةً

(١) خطاب للسيدة جوليا ابرهيم حنا احدى المنتهيات هذه السنة في المدرسة الانجيلية بطنطا القتهُ في حفلة توزيع الشهادات على تلميذات الصف المنتهي في المدرسة المذكورة مساء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر مايو سنة ١٩٠٥

الفارغة ليستقي من هذه الينابيع مع جمهور من المستقين

دخلنا في القرن العشرين وهذه ثروتنا وتلك معارفنا ولكنهم يتساءلون عما سيكون شأن المرأة الشرقية فيهِ وما اكثر هؤلاء السائلين

ارتقت حالتنا الادبية والعلمية وفاضت ثروتنا المادية ولا يعلم غير علام الغيوب الى اي حد سنصل في ميدان هذا الارتقاء الفسيح في هذا القرن الذي نفتخر اننا من ابنائهِ المتمدنين

على انهُ مهما تعاظمت معارف الشرق وكثرت موارد اليسار فيهِ فهو يبقى الاقليم المنحط والبقعة المغضوب عليها ويدوم ضعيفاً مطأطئ الرأس لنير ثقيل قصم ظهرهُ وانزل البلاء بالشرقيين

ذلك يا سادتي لان داء الشرق انما هو داء اجتماعي لا يشفيهِ الشفاء التام عقاقير هذه المدارس وادوية الثروة — انهُ داء دفين يجري سمهُ القتال في جسم الهيئة الاجتماعية الشرقية وبسمهُ — وهذه هي المسئلة الشرقية الحقيقية لا تلك السياسية والتي يجب ان تنضى ركاب الجد للوصول الى حلها. واذا اراد الله لنا خيرًا — وهو لا يريد سواهُ — فشفاء علة الشرق سيكون على يد امرأة القرن العشرين

نعم سيداتي وسادتي ان الشرق باسرهِ يرنو بعين المتوسل المسترحم الى امرأة القرن العشرين يسألها الاسراع في انقاذهِ . فانهضي إذن ايتها السيدة التي اوحى اليها عقلها وفضيلتها ان تنبذ التبرج والزينة الخارجية الباطلة وحملها على قبول هذه المسؤولية العظمى بارتياح . شمري عن ساعد الجد واشرعي في عملك الذي سوف تطوبك عليهِ الاجيال الى آخر السنين

ادخلي يدك اللطيفة الى اعماق نفوس الصغار وازرعي في تربتها بزور الفضائل الصحيحة والمبادىء الحقيقية الجميلة · ادبيهم على العوائد الحسنة والاخلاق الحميدة حتى تنشأ طباعهم عليها ويتهيأوا لقبول مثلها ونبذ ما يخالفها وثابري عليهم في ذلك حتى يبلغوا الحد الذي تستوي فيهِ غرائزهم وتتكامل فطرهم وترسخ اخلاقهم بحيث لا يعود يخشى عليهم الانفكاك عما صاروا اليهِ من الهيئة الادبية . نشئيهم على محبة الخير والحق واحتقار الكذب والتمسك بعروة الدين الوثقى ونبذ ما زادهُ عليهِ ذوو الاغراض مما يتبرأ منهُ كل دين

نقيهم من رذيلة التعصب الذميم الذي اكل علينا وشرب ورمانا بكارثات النوب فنفر الاخ من اخيهِ واثار الاب على ابنهِ والابن على ابيهِ وجعل الشرقيين متنافرين متشاكسين يصرفون ما منحهم الله من القوى والمواهب في الشقاق والانقسام فتفرقت كلمتهم وتمزقت جامعتهم وحرموا قوة الاتحاد فسهل على الغرب بمساعدة هذا العدو الداخلي ان يبهظ الشرق باثقل

نيره ويزهق ابناءه اسرى التعصب بقيوده الثقيلة وهكذا لا يظلم الله الناس ولكن كانوا انفسهم يظلمون

ارأيت ايتها السيدة كيف انهم يربون الاولاد على الصغار والذل والهوان حتى ان التلميذ اذا وقف امام معلمهِ فكأنهُ الريشة في مهاب الرياح من القلق والخوف . ومتى شب صار ينظر الى حاكمهِ نظر العابد الى معبوده . ولهذه التربية نتائج سيئة لا تخفى على العارفين

قال حكيم الشرق "نحن الفنا الادب مع الكبير ولو داس رقابنا الفنا الثبات ثبات الاوتاد تحت المطارق الفنا الانقياد ولو الى المهالك الفنا ان نعتبر التصاغر ادباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة واللكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعاً والرضى بالظلم طاعة ودعوى الاستحقاق غروراً والبحث عن العموميات فضولاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والحماسة شراسة وحرية القول وقاحة وحرية الفكر كفراً وحب الوطن جنوناً " اه . فياسيدة القرن العشرين الشرقية التي يرن في اذنيها هذا الصوت نشئي الاولاد رجال المستقبل على غير هذه المبادىء الشائنة التي صغرت بهم ابناء الشرق واماتت نفوسهم فصيرتهم نحافاً عجافاً وضربت عليهم الذلة والمسكنة وما عيشة الاذلاء المستعبدين

قدمي للشرق رجالاً يفقهون معنى قول الامام علي بن ابي طالب

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم آدم والام حواء

ويهيمون بغادة الحرية وحسناء المساواة وهيفاء الاخاء لا يعترفون لغير قرة الحق بالسيطرة عليهم وينكرون هذا التفوق الكاذب الذي يدعيهِ البعض على الآخر وينفرون من وجود الفواصل والسدود التي أُقيمت بين افراد البشر فيهبون الى معاول الحق واخال المساواة ويدكون تلك الفواصل دكاً والله خير معين

هذه يا سادتي اصغر صورة يسمح لي الوقت بتصويرها امامكم الآن لبيان شأن المرأة الشرقية وواجباتها المهمة في القرن العشرين ومنها تعلمون داء الشرق الخفي وعلته المزمنة وتعرفون دواءه الشافي اذا أُجيد تحضيره واستعماله . فاسألوا اذن ايها الشرقيون عوناً للمرأة الشرقية في عملها العظيم في تربية الصغار ليشبوا رجالاً اصحاب فكرٍ متسعي الصدور ومحبين للاستقلال لا يعرفون معنى لهذا الخضوع المعيب الذي يعيرنا بهِ كل العاقلين

ولنعلم في الختام انهُ اذا تمت لنا أُمنيتنا بتربية هؤلاء الرجال فما اقرب شرقنا الادنى الى الاستقلال الصحيح وسلوك سبيل الخير والجد اما اذا قاومتنا الاقدار فما اقرب اخاه البعيد الى الاستئثار بكل المجد ولله الامر من قبل ومن بعد

الرضاعة الصناعية

اذا كانت المرضع لا تستطيع ارضاع طفلها أُرضع بالصناعة من اللبن او الامزجة اللبنيَّة المستحضرة لذلك اذا لاءمت مزاجهُ والقشدة المخففة المحلاة تصلح طعاماً لهُ وذلك ان يؤْخذ لبن جديد ويترك وشانهُ نحو ست ساعات ثم تكشط القشدة ويضاف اليها مثلها من الماء الحارّ ويضاف الى الرطل من ذلك معلقة من السكر وقمحة من فصفات الكلس

ولا يجوز اطعام الطفل طعاماً جامداً حتى تنبت اسنانهُ ويصير قادراً على المضغ بها خشية ان يضرَّ ذلك بجهازهِ الهضمي · فان اللعاب لازم لهضم الطعام الجامد وهو لا يمتزج بهِ الاَّ وقت المضغ ولما كان الطفل الذي لم تنبت اسنانهُ بعد لا يمضغ طعاماً فان الطعام يدخل معدتهُ وهو لم يمتزج باللعاب اللازم لهضمهِ · واطعام الطفل اللبن بالملعقة خير من ارضاعهِ اياهُ بالرضاعة الصناعية مهما كان نوعها · وزد على ذلك ان صعوبة ابقائها نظيفة مع ما يتبعها من الادوات تجعل الملعقة افضل منها

ويجب ان تكون الاطعمة التي تصنع للطفل مشابهة للبن امهِ ما امكن · واذا وجد انها ملائمة لهُ وجب ان لا يطعم شيئاً آخر غيرها بل ان يسقى قليلاً من الماء احياناً ويجب قبل مناولة الطفل الطعام ان يسخن الى درجة حرارة الجسم الطبيعية (٩٨٫٦ ف) وتعرف هذه الدرجة بان يذاق الطعام قبل اطعام الطفل منهُ فما كان احرَّ من الفاتر قليلاً فهو ملائم لهُ

ومما يجب الانتباه لهُ ان تكون البقرة التي يؤْخذ منها اللبن سليمة الجسم وان لا يغير من بقرة الى اخرى حتى يصير الطفل قادراً على اكل الطعام الجامد

الفطام

قيل ان زمن الرضاعة يجب ان لا يزيد عن زمن الحمل اي تسعة اشهر وان احسن الاولاد صحة الذين يفطمون ولهم من العمر تسعة اشهر · لان اطالة زمن الفطام تضرُّ الطفل وامهُ معاً فتعرّض الطفل لمرض الدماغ بسبب عدم انتظام الهضم والتغذية والامَّ للطرش والعمى

على ان لصحة الام والطفل علاقة عظيمة بتعيين مدة الفطام · فاذا كانت الامُّ قوية الجسم وطفلها صحيحاً يمكن اطالة الرضاع الى ان يبلغ الطفل السنة من عمرهِ لا اكثر والاَّ لحق بهِ الضرر · ولكن اذا كانت صحة الامّ معتلة فان لبنها قد يضرُّ بطفلها قبل ذلك الوقت

وليكن الفطام تدريجياً منتظماً وليبدأ بهِ في اول الشهر التاسع من اشهر الرضاع حتى اذا

انتهى الشهر التاسع انقطع الطفل عن الرضاعة تماماً . اما الفطام الفجائي فليس مستحباً الاَّ اذا طرأ على صحة المرضع ما يستوجبهُ

الطعام بعد الفطام

لا يخفى ان الطفل يتغذَّى بما يهضمهُ من الطعام لا بكل ما يأكلهُ منهُ . فاحسن طعام ما سهل هضمهُ وامتصاصهُ . اما الطعام الذي يمرُّ في القناة الهضمية وهو لم يهضم جيداً فانهُ يضعف الجسم . وليطعم خمس مرات الاولى الساعة ٧ صباحاً . والثانية الساعة ١٠ . والثالثة الساعة ١ بعد الظهر . والرابعة الساعة ٤ . والخامسة الساعة ٧ . وليقتصر الطعام على اللبن وما يطبخ بهِ حتى يبلغ عمر الطفل ١٤ شهراً فيطعم مع اللبن محَّ البيض وقد سلق معهُ فتات الخبز او مرق اللحم . وهكذا على التوالي حتى يصير يأكل كلَّ شيء سهل الهضم جيد التغذية

وما دام اللبن يلائم مزاج الطفل فلا يجوز قطعهُ عنهُ لانهُ خير طعام لهُ . وكما تقدم في السن كثرطلبهُ للماء فليسقَ قدر ما يشاء بشرط ان يكون الماء نقياً . ولا يجوز اطعام الطفل الواناً مختلفة من الطعام حتى تكمل اسنانهُ . وليكن الطعام بسيطاً على كل حال . ولا يطعم لحماً حتى يبلغ الثامنة من العمر وليأكل منهُ حينئذٍ مقلّلاً حتى يبلغ الرابعة عشرة

صراخ الطفل

الصراخ لغة الطفل تفهمهُ الامُّ بسهولة اذا انتبهت لهُ فانهُ يصرخ عند الغضب والحزن ويبكي عند الانزعاج والألم والجوع على السواء . والصراخ لا يضرُّ بهِ الاَّ اذا نشأ عنهُ تمزق في البطن بل انهُ يمدّد الرئتين ويسكّن ثائر العواطف . ولكن كثرتهُ تدلُّ على وجود خلل يجب اصلاحهُ . فاذا كان وقت الطعام فاطعم الطفل يسكت او كان قد طرأ عليهِ بردٌ فأدفئهُ فلعلَّ المغص سبب البكاء

واذا كان بكاء الطفل شديداً غير منقطع فالغالب ان يكون سببهُ الماً في اذنهِ او الجوع او وخز دبوس في سريرهِ . او صحب صراخهُ سعال دلَّ ذلك على وجود ألم في صدرهِ . او جعل يبكي قبل البراز او بعدهُ دلَّ ذلك على وجود ألم في بطنهِ . او كان للصراخ خنة من الانف كان ذلك دليلاً على ان الانف مسدود اما من ورم في غشائهِ او من سبب آخر . او كان الصوت ثخيناً غير واضح ففي الحلق ورم . او كان عالياً فالطفل مصاب بالذبحة الفجائية او واطئاً كأنهُ الهمس فبالذبحة الصحيحة او الغشائية . والبحة دليل مرض في الحلق اما من الزكام او من غيرهِ . واذا أُصيب بذات الرئة او داء الجنب لم يستطع البكاء

لباس الطفل

يجب ان يكون لباس الطفل خفيفاً ولكن الى حدٍ لا يتعرض عنده للبرد فان الاطفال لا يقوون على صدّ غارات البرد فيجب الاعتناء بهم اعتناء خصوصياً من هذا القبيل . ويجب ان تكون ملابسهم كلها واسعة لا تعوقهم عن الحركة ولا تعوق عمل الاعضاء الداخلية

واهمّ ما ينتبه لهُ في هذا الباب ان تكون ملابس الطفل واسعة تغطي اجزاء البدن كلها على السواء ولا تضغط عضواً من الاعضاء فتعوقهُ عن النمو . وان لا تكون زائدة الطول كما ترى عادة لانها تضايقهُ وتتعبهُ بل ان تزيد ٨ بوصات عن جسمهِ على الاكثر وان تقصر بين الشهر الثالث والسادس من سنهِ . وان تكون الجوارب طويلة بحيث تغطي الركبتين

ويجب تغيير ملابسهِ التحتانية يوماً بعد يوم وملابسهِ الفوقانية مرة كلّ يوم ومتى صار يستطيع المشي واللعب مع اترابهِ فقد تضطر الحال الى تغيير ملابسهِ غير مرة في النهار لسرعة توسخها

ويجب ان تغير ملابس النهار كلها عند النوم وان يلبس قميصاً من الصوف خفيفاً او ثقيلاً تبعاً للفصول وفسطاناً من الفلانلا فوقهُ

طعام الانسان الاعتيادي

تابع ما قبلهُ

ذكرنا في الجزء الماضي بعض مواد الطعام التي يأكل الانسان منها عادةً ولا يلتفت فيها الى كونهِ كثير الاشغال العقلية او الاعمال البدنية ولا الى كونهِ قوياً او ضعيفاً مريضاً او سليماً حدثاً او شيخاً لان لكل حالة من هذه الحالات طعاماً صالحاً لها . وسنذكر هنا بقية مواد الطعام التي تصلح للانسان الاعتيادي معتمدين في ما نذكرهُ عنها على الاستاذ بويد لينرد

الكرنب — (الملفوف) قليل الغذاء لكنهُ ينقي الدم ويلين الامعاء ويجب الاعتدال في اكلهِ والاَّ اتعب الامعاء

الجزر — اكثر غذاء من اللفت ولكنهُ ليس سهل الهضم فيجب ان يؤكل بالاعتدال

القنبيط — اقل غذاء من الكرنب وهو مثلهُ في منع داء الاسكربوط

الخيار — عسر الهضم ولا غذاء فيهِ

الخس — ينقي الدم وينوّم قليلاً

النعناع — ينقي الدم ويزيل المغص فيخلط بالاطعمة التي تولّد المغص

الفطر — (عيش الغراب) عسر الهضم قليل الغذاء لا كما كان يظن ليس فيهِ من الغذاء اكثر مما في الخضر

البصل — كثير الغذاء جدًّا وينقي الدم ويفيد الصحة عمومًا

البقدونس — القليل منهُ مفيد للصحة وهو مدر للبول والاكثار منهُ قد يضعف البصر

البازلا الخضراء — يجب الاعتدال في اكلها والاَّ سببت التطبل وسوء الهضم

البطاطس — مغذٍ ولكنهُ قليل المواد التي يتكوّن منها اللحم واذا كان مبرغلاً فهو سهل الهضم واذا كان لدنًا كالشمع فهو عسر الهضم

الفجل — عسر الهضم نوعًا قليل الغذاء يسبب الرياح في الامعاء

حشيشة البحر — قليلة الغذاء لكنها مفيدة سهلة الهضم

السبانخ — ينقي الدم وينبه الاعصاب ولكنهُ صعب الهضم فلا يحسن الاكثار منهُ

اللفت — قليل الغذاء مسهل قليلاً ولا يناسب ضعيف الهضم

الكوسى — سهل الهضم مسهل قليلاً قليل الغذاء

الجرجير — يسهل الهضم ويصلح المعدة وينقي الدم ويفيد الرئتين

الاروروط — سهل الهضم ولكنهُ قليل الغذاء

المكروني — مغذية واذا سلقت جيدًا فهي سهلة الهضم

الارز — مغذٍ سهل الهضم اذا سلق جيدًا

التبيوكا — مغذية ولكنها ليست سهلة الهضم مثل غيرها من الاطعمة النشوية

التفاح — ينقي الدم ويفيد الكبد ويقوي الاعصاب

المشمش — سهل الهضم مسهل انفع من الكرز والخوخ

الموز — اكثر غذاء من سائر الاثمار سهل الهضم الاَّ على المصابين بسوء الهضم

كبوش العليق — سهل الهضم اذا كانت ناضجة تمامًا ولكنها تضر المعرّضين للقبض لانها قابضة

الكرز — اكثر غذاء من الشليك ويجب الاعتدال في اكلهِ لانهُ مسهل

العنب — مغذٍ ومطهر للدم ومنعش للقوى

الليمون — يطهر الدم وينهض القوى ويفيد في داء النقرس والروماتزم

البطيخ — قليل الغذاء لان اكثرهُ ماء

كبوش التوت — تنقي الدم ولكنها عسرة الهضم نوعاً واذا اكثر منها فهي مسهلة

البرتقال — مغذٍ ومطهر للدم ومفيد للصحة

الخوخ — (الدراقن) قليل الغذاء ومسهل قليلاً

الكمثرى — قليل الغذاء ولا يسهل هضمهُ الاَّ اذا كان ناضجاً ولكن اذا زاد نضجهُ اتعب الامعاء

الاناناس — يجب الاقلال منهُ ولا سيما اذا كان المواد غير جيد

البرقوق — يتعب الامعاء فيجب الاعتدال في اكلهِ

الرمان — ينقي الدم وهو قابض قليلاً

الشليخ — (الفرولا) يصلح اكلهُ مع اللبن

الطماطم — مفيد ولاسيما في ضعف الكبد ولكن مقدار الغذاء فيهِ قليل

التمر — مغذٍ واكثر من نصفهِ سكر ويجب الاعتدال في اكلهِ

التين — مغذٍ جدًّا ومسهل

الزبيب — مغذٍ ومنبه ولكنهُ غير سهل الهضم

اللوز — كثير الزيت فيصعب هضمهُ اذا اكثر من اكلهِ ولذلك يجب ان يؤكل بالاعتدال

الكستنا — (ابو فروة) اكثر غذاء من اكثر الاطعمة الحيوانية واذا سلق او شوي سهل هضمهُ ولكن يجب ان لا يكثر منهُ

جوز الهند — مغذٍ ولكنهُ عسر الهضم فيجب ان يكتفى بالقليل منهُ

البندق — كثير الزيت فلا يحسن الاكثار منهُ

الجوز — كثير الغذاء لكن قشر لبهِ عسر الهضم

الفاصوليا — مغذية جدًّا ولكنها عسرة الهضم نوعاً

العدس — اكثر الحبوب غذاء ولكنهُ عسر الهضم نوعاً فيتعب الامعاء اذا اكثر منهُ

الخبز — الخبز الاسمر اكثر غذاء من الابيض وقد يكون اعسر هضماً

البسكت — اسهل هضماً من الخبز

الكعك — لا يحسن ابدال الخبز بالكعك لانهُ كثير الدسم عسر الهضم

الخبز المحمَّص — اسهل هضماً من غير المحمَّص

الجلاته والمثلوجات على انواعها — تتعب الهضم فيجب اجتنابها

العسل — يغذي جدًّا وينبه القوى ويسهل قليلاً

المرملابد — اي مربى قشر النارنج احسن المربيات وانفعها

السكر — مغذٍ ومسمّن يغذي العضلات ولكن لا يحسن بالشيوخ ان يكثروا منهُ

القهوة — منبهة ومقوية . وهي مفيدة اذا شُربت بالاعتدال

الليموناضة — مفيدة ومنعشة وتنفع في مقاومة داء الاسكربوط

صودا ووتر — تقاوم حموضة المعدة وتقوي الهضم ولكن الاكثار منها يضعف القوى

الشاي — مسكن ومنعش ولكن الاكثار منهُ يسبب اضطرابًا في المعدة والاعصاب

الماء — الماء النقي ينقي الجسم ويقويهِ . ويجب ان يكون خاليًا من الرائحة والطعم

الخمور — الانسان الصحيح لا يحتاج الى شرب الخمور وانما يشربها السقيم بامر الطبيب

الاشربة الروحية — تسبب التهاب الامعاء واضطراب الدماغ . والصحيح لا يحتاج اليها واذا كان لا بدَّ من شربها فالوسكي اقلها اذًى

باب الزراعة

تلقيح الاثمار

في قرية سوبرد جورث بانكلترا رجل يعمل في زراعة الاثمار وتربيتها وتلقيحها بعضها من بعض حتى خرجت اثمارهُ فائقة في منظرها وطعمها واشتهرت في جميع الاقطار . اسم هذا الرجل رفرس ولهُ مئتا فدان مزروعة اشجارًا من كل ذي ثمر مثل الخوخ (الدراقن) والنكتارين (نوع من الخوخ ناعم الوجه) والبرقوق (الخوخ) والبرتقال والعنب حولها بيوت من الزجاج تصد البرد والرياح عنها وتاذن لنور الشمس في الدخول اليها

وقد ورث هذه الحرفة عن ابيهِ وابوهُ عن جدهِ وكثرة التجارب التي عملها في تلقيح الاثمار بعضها من بعض صيَّرت اثمارهم غريبة في شكلها وطعمها فالخوخ الذي يخرج من تلك البساتين لهُ نكهة ليست في غيرهِ ومحيط ثمرتهِ زاد من ٦ بوصات الى ٩ فزاد الثمن على هذه النسبة والكرز اكبر حجمًا من الكرز المعروف واشجارهُ اصغر من اشجارهِ وبرتقالهُ يرسل الى جزائر الهند الغربية ومستعمرة الراس حيث زراعة البرتقال على اعظمها

واساس النجاح في تربية الاثمار الصدفة فان البزرة التي تزرع قد تأتي بشجر ثمرهُ اجود من

الثمرة الاصلية او ادنى منها . وقد يلقح نوع من الثمر الجيد بنوع آخر فاما ان ينتج ثمرًا جديدًا او لا ينتج شيئًا . وقد يزرع الوف من البزور فتخرج اثمارها ادنى من الثمر الاصلي الا واحدة تأتي بثمر افضل من الثمر الاصلي فتكسب زارعها مالاً وافرًا يعوّض ما خسره من الوقت والمال

ومما يعود على زارع الاثمار بالربح الكثير ان تنضج اثماره قبل اوان الثمر العادي او بعده فيبيعها باثمان غالية كما هو معروف ويكفي ان تنضج قبل اوان الثمر او بعده بايام قليلة فيربح منها ربحًا كثيرًا

قلنا ان اساس النجاح في اجادة نوع الاثمار الصدفة . ومن الشواهد على ذلك ما جرى لصاحب البساتين المشار اليها فانهُ لحظ منذ شرع في زرع الاثمار ان احسنها ما قطف من الاشجار الصغيرة التي كان المشترون يرفضون شراءها لصغرها فكان يزرعها في مكان يسميهِ المستشفى تشبيهاً لهُ بمستشفى الآدميين . ولم يكن يعلم في بدء الامر السبب في صغر تلك الاشجار وكثرة حملها واخيرًا عرف ان السبب في ذلك كثرة نقلها من مكان الى مكان والحفر حول جذوعها وعليهِ اخذ ينقل الاشجار من مكان الى آخر كل سنتين ويقلها ويحفر حولها لتبقى جذورها قريبة من سطح الارض فكانت تتوقف عن النمو عند حدٍّ معلوم و يزيد حملها

وغاية ما يرمي اليهِ زارع الاشجار تحسين النوع بالتلقيح فاذا حملت الاشجار بعد تلقيحها ثمرًا ادنى من ثمرها الاصلي اهملوهُ وقد كثرت انواع الاثمار المختلفة بهذه الطريقة حتى بلغت اصناف التفاح الذي يباع في انكلترا ٥٠٠ صنف والكمثرى ٨٠٠ او اكثر

واعظم نجاح بلغوهُ في تحسين اصناف الخوخ والنكتارين فان من الاول ٥٠ صنفًا يباع في الاسواق منها ٣٠ صنفًا خرج من بساتين رفرس هذا ومن الثاني ٢٤ صنفًا منها ٢٠ من البساتين المذكورة . ولما كان الخوخ والنكتارين من نوع واحد فان تلقيح الواحد بالآخر يتمُّ على احسن ما يرام فالنكتارين يستمد كبر الحجم من الخوخ والخوخ يستمد طيب النكهة من النكتارين

وطريقة التلقيح بسيطة جدًّا وهي انهم يأخذون اللقاح او الغبار من زهرة احد الاصناف ويضعونهُ على زهرة صنف آخر فيتم بذلك التلقيح ويكون النتاج خيرًا من الصنفين الاصليين او شرًّا منهما . وقد تمكنوا بالانتخاب الصناعي والتلقيح من تكبير حجم بعض الاثمار وتحسين طعمها كما تقدم وازالة النواة عن البعض الآخر كالبرقوق مثلاً فانهم تمكنوا من استبدال النواة الاصلية بنواة لينة لذيذة الطعم واستخرجوا فاكهة جديدة من تلقيح المشمش الاعتيادي بالبرقوق الياباني "وكبوشا" مختلفة الحجم واللون والطعم من تلقيح اصناف مختلفة بعضها ببعض ولا يخفى ان التلقيح يتمُّ بين الاصناف التي من نوع واحد كالخوخ والنكتارين والخوخ والمشمش

واصناف الكبوش المختلفة ولا يتمّ بين البرتقال والعنب ولا بين التين والبطيخ ولكن زارعاً اميركيًّا مشهورًا اسمهُ بربنك لقح صنفاً من الكبوش البرية بلقاح التفاح والسفرجل والكمثرى والكرز والزعرور والفريز وغيرها فجمع ٥٠٠٠ صنف من اصناف بزر الكبوش وزرعها فخرج نباتها غريباً في هيئتهِ فمنهُ ما كان لهُ اوراق الفريز ومنهُ ما كان لهُ اوراق الكمثرى ومعظمهُ كان ناعم العسالج كالتفاح وقليل منها ازهر . وصنفان فقط من الخمسة الآلاف اثمرا وكان ثمر بعضهِ مثل الكبوش الصفراء والآخر مثل كبوش التوت السوداء ولكن اكبر منها . فسرَّ الزارع بظفرهِ ولكن خاب املهُ لما رأى ان هذه الكبوش بلا بزور فيتعذر عليهِ اخذ البذار منها

واهمّ ما ظفر بهِ استخراج برقوق بلا نواة ويقول انهُ يستطيع ازالة النواة من جميع الاثمار ذات النواة بالتجربة وانهُ يستخرج جوزًا بلا قشرة اذا جرَّب مدة عشر سنوات وما نجح فيهِ استخراج ثمر جديد من تلقيح البرقوق بالمشمش

ومن اعمالهِ الغريبة توصلهُ الى زرع الصحاري الرملية وتحويلها الى جنة خضراء من غير ماء . وذلك انهُ ما زال يسعى ويجرب التجارب المختلفة منذ عشر سنوات حتى خرج من عندهِ نوع من الصبّير (التين الشوكي) بلا شوك يعيش بلا ماء وفي كلّ اقليم ومكان ويثمر ثمرًا لذيذًا مغذّيًا يأكل منهُ الانسان وسائر الحيوان . واذا زُرعت صحارى الارض بهِ اخرجت من الطعام ما يكفي ضعف بني البشر الآن

وقد تمكن ايضاً بتجاربهِ العديدة من جعل الخوخ والنكتارين والبرقوق تقوى على احتمال البرد ولو بلغ درجة الجليد فاذا اشتدَّ الزمهرير وهي تفتح ازهارها يبست الازهار كأنها ماتت ولكن متى اشرقت الشمس عليها انتعشت واتضح ان الصقيع لم يهرأها

وحوَّل لون بعض الازهار الى لون آخر لم يعهد قبلاً

ونظارة الزراعة في اميركا مهتمة بهذا الموضوع وقد شرعت في استنبات نوع من البرتقال لا يضرُّ بهِ البرد ولا الصقيع وذلك لان الصقيع يفتك كلَّ سنة فتكاً ذريعاً بالبرتقال فيتلف محصولهُ والمظنون انها تتوصل الى مرادها بتلقيح الليمون الحلو بالبرتقال الياباني لان البرتقال الياباني يقوى على احتمال البرد

دودة القطن

اهتمت الحكومة المصرية هذا العام اهتماماً شديدًا بامر دودة القطن مخافة ان تظهر فتفتك بهِ كما فتكت في العام الماضي واصدرت امرًا خديويًّا يقضي باجبار الناس على تنقية

الورق الذي عليهِ بيض الدود . وقد نشر المستر فودن رسالة في دودة القطن وطبائعها رأينا ان نلخصها هنا تعميماً لفائدتها قال

ان دودة القطن تسمَّى علميًّا برودينيا لتورالس Prodenia littoralis ولا يُعلم انها ظهرت في القطر المصري قبل سنة ١٨٧٨ وزاد شرها سنة ١٨٨٣ حتى عجز الناس عنها فعينت الحكومة لجنة للبحث عن اساليب استئصالها ثم عينت لجنة ثانية سنة ١٨٨٤ لارشاد الناس الى كيفية استئصالها (١) وانتشرت سنة ١٨٨٦ و ١٨٩١ و ١٨٩٥ واضرَّت ضررًا كبيرًا واخيرًا ظهرت في العام الماضي وكان ضررها بالغًا

ولا يخفى ان دود القطن يتولد من بيضهِ فانهُ يمرُّ على الاطوار الاربعة التي يمرُّ عليها اكثر الدود فيكون بيضاً ثم دودًا ثم زيزًا ثم فراشاً . والفراشة تبيض على اسفل ورق القطن غالبًا ويخرج الدود من بيضها ويأكل الورق وغيره من اجزاء النبات ثم ينزل الى الارض ويتغير هناك الى زيز ثم يصير الزيز فراشاً وانثى الفراش تبيض على الورق وهلمَّ جرًّا

(١) [المقتطف] لما انتقلنا بالمقتطف الى هذا القطر في اوائل سنة ١٨٨٥ اقترحت علينا جريدة الاهرام ان نذكر علاجاً لدود القطن فنشرنا رسالة فيها في العدد الصادر في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٥ وصفنا فيها الدود وذكرنا الطرق التي يمكن استعمالها لمقاومتهِ ومنها قطع الورق الذي عليهِ بزر الدود ورش الدود بزيت البترول ممزوجاً بالماء الكثير. ثم ارسلت جمعية الحاصلات المصرية الى ديوان الزراعة باميركا تستشيره في امر دودة القطن المصرية وكيفية علاجها فبعث اليها بكتاب كبير يحتوي على تقارير مطولة في وصف الدودة وطرق علاجها وبعثت الينا الجمعية بذلك الكتاب حينئذٍ فاطلعنا عليهِ ولخصنا منهُ خلاصة نشرناها في اواخر سنة ١٨٨٦ في المجلد الحادي عشر من المقتطف — ومما جاء فيها

" (١) ان الدود الاميركي من عائلة الدود المصري ولكنهُ ليس من نوعهِ

(٢) ان انجع العلاجات التي استعملت للدود الاميركي هي مركبات الزرنيخ السامة ومسحوق نبات البيرثرم وزيت البترول المتحلب او الممزوج بالرماد

(٣) ان حماية الطيور التي تأكل الدود والحشرات التي تأكلهُ او تبيض في بدنهِ لازمة

(٤) انهُ لم يعتمد في الكتاب المذكور على قطف الاوراق التي عليها بيض الدود لان بيض الدود الاميركي يكون متفرقاً على اوراق كثيرة وقد لا يكون منهُ الأَ بيضة واحدة على كل ورقة بخلاف بيض الدود المصري فانهُ يكون مجتمعاً على الاوراق فيمكن جمع كل الاوراق التي عليها البيض باقل صعوبة "

والآن نبحث عن كل طور من هذه الاطوار الاربعة بالتفصيل

البيض — تبيض الفراشة ليلاً وتضع بيضها بعضهُ مع بعض على اسفل ورقة القطن ويبلغ عدد البيض على الورقة الواحدة من ٢٠٠ الى ٣٠٠ وقد يكون اقل من ذلك والغالب ان يكون اكثر. وتلصق البيض بعضهُ ببعض بمادة لزجة وتغطيهِ بزغب رمادي مصفر والبيض مستدير مسطح قليلاً حيث يلصق بالورقة ويرى بالعين جليًّا لان قطرهُ نحو مليمتر ولونهُ رمادي مصفرّ حينما تبيضهُ الفراشة ثم يميل الى السواد ويصير بنيّ اللون ويظهر فيهِ نقطة سوداء في مركزهِ حيث يكون الجنين

ومما تهمّ معرفتهُ ان الفراشة تضع بيضها على ورقة واحدة او على ورقتين من اوراق شجرة القطن وهذا من الفروق الكبيرة بين دود القطن المصري ودود القطن الاميركاني لان دود القطن الاميركاني يبيض على كل ورقة تقريباً من اوراق الشجرة وقلما يبيض على الورقة الواحدة اكثر من ثلاث بيضات او اربع ولذلك فالعلاج البسيط المستعمل في مصر وهو تنقية الاوراق لايصلح في اميركا فيضطر اهل الزراعة ان يستعملوا طرقاً اخرى عسرة . والظاهر ان هذا لايعلمهُ اهالي القطر المصري فاذا قرأوا عن العلاجات المختلفة المستعملة في اميركا حسبوا انهُ يمكن استخدامها في القطر المصري واضاعوا الوقت في امتحانها مع ان تنقية الورق الذي عليهِ البيض اسهل وانجع ولا تستعمل في اميركا لان البيض يكون فيها منتشرًا على كل الاوراق . والعلاجات المستعملة في اميركا لا يسهل استعمالها في هذا القطر او يتعذر استعمالها فيهِ لقلة وجود العمال الحاذقين في ادارة الاعمال

ومما يجب الالتفات اليهِ ان الورق الذي يكون البيض عليهِ هو الورق الكبير القريب من الارض وذلك دليل ان الدود يطلب الظل والرطوبة فيجدهما في الورقات السفلى قرب الارض ويستدل من ذلك على ان الحر والجفاف يضران الدود ويميتانهِ وانهُ يجب ان لانسهل لهُ الظل والرطوبة بزرع القطن قريباً بعضهُ من بعض والاكثار من ريهِ لان الحر الشديد والجفاف عدوان لهُ

ومدة التفقيس (الحضانة) من ثلاثة ايام الى اربعة وتكون اقل من ذلك زمن الحر الشديد واكثر في زمن البرد ثم يظهر الدود ويكون طول الدودة حالما تظهر مليمترًا وثلث المليمتر ولونها اخضر ورأسها اسمر ولها شعر قصير وتشرع حالاً تغتذي باكل المادة الرخصة من الورقة التي بين اضلاعها المتشعبة فيظهر مكانها كالبقع على الورقة . ويكبر الدود بسرعة ولا تمضي ايام كثيرة حتى يصير ياكل الورقة كلها ويكون ضررهُ عظيماً ويتغير لونهُ فيكون ترابيًّا او اسود مخضرًا او رماديًّا ويكون على بدنهِ خطوط عريضة قاتمة ولهُ ثمانية ازواج من القوائم

ولا تقتصر الدودة على اكل الورق بل تصعد الى اعالي الشجرة وتأكل اغصانها الطرية وبراعمها وازهارها وتفضلها على الورق الذي قرب الارض

وحينما يكون القطن صغيرًا جدًا تسطو عليهِ دودة اخرى وتقرضهُ من تحت الارض فيذوي او ييبس وتدعو الحال الى اعادة الزرع ويحدث ذلك في اوائل الزراعة في شهر ابريل ولكن هذه الدودة ليست دودة القطن المعهودة

وحينما تبلغ دودة القطن اشدها يصير طولها اربعة سنتيمترات وحينئذٍ تنزل الى الارض [1] وتغور فيها الى عمق ٨ سنتيمترات وتصنع لنفسها بيتًا تطليهِ من الداخل بلعابها حتى يصير مالسًا ثم تصير زيزًا اسمر سنجابيًا

والدود الاميركاني لا يغور في الارض ليصير زيزًا فيها كالدود المصري بل يصنع لنفسهِ نوعًا من الشرنقة بين اوراق النبات واذا طمر زيزهُ في الارض لم تعد الفراشة تتولد منهُ. وهذا الاختلاف في طبائع الدود المصري يسهّل علينا مقاومتهُ كما سيجيء

والفراشة تتولّد من الزيز ولون جناحيها المقدَّمين رمادي او مائل الى السمرة والجناحين الاخرين اقل سمرةً منهما وعلى طرفيهما حاشية بيضاء. والفراش ليلي فيطير في الليل غالبًا واذا أُطير في النهار طار قليلاً وطلب مخبأً يختبيء فيهِ وطولهُ من طرف رأسهِ الى طرف ذنبهِ ١٦ مليمترًا وعرضهُ من طرف الجناح الواحد الى طرف الجناح الاخر ٢٨ مليمترًا وتشرع الفراشة تبيض بيضها بعد ما تخرج من الزيز بيوم او يومين

والآن نلتفت الى اطوار هذه الدودة بالتفصيل الذي يهم اهل الزراعة لكي نرى ما هي الوسائط التي نقي منها قبل الاصابة بها وما هي الوسائط التي تنجي منها بعد الاصابة فنقول

يزرع القطن في ارض كانت بورًا او كانت مزروعة برسيمًا ولا بدَّ من خدمة الارض البور قبل زرع القطن فيها بمدة والمرجح انهُ لا يكون فيها شيء من الحشرات لان لاغذاء لها فيها والحرث يعرضها للشمس فيميتها وللطيور فتأكلها . ولا بدَّ من حرث الارض ثلاث مرات او اربعًا استعدادًا لزرع القطن وقبل زرعهِ بابعد ما يكون من الوقت . ولو فعل كل اهل الزراعة كذلك لقلَّ الدود جدًا وجادت الزراعة ايضًا . ولا يقع الدود في القطن الا في اواخر شهر مايو او اوائل يونيو ماعدا الدود الذي يقرض النبات من تحت وجه الارض عند اول ظهورهِ

---

(١) اهمل المستر فودن امرًا مهمًا في حياة دود القطن وهو انهُ ينزل كل يوم عند اشتداد الحر ويختبيء في الارض ثم يعود الى شجر القطن بعد العصر وهذه الحقيقة مهمة لانها قد تساعد على اهلاك الدود حينئذٍ بري الارض فان اكثرهُ يجري مع الماء ويمكن جمعهُ وقتلهُ بكثرة

كما تقدم وهذا لاعلاج لهُ الاَّ عزق الارض جيداً عند اعادة الزرع وقتل الديدان التي توجد فيها ولكن اعداد الارض جيداً على ما تقدم يقلل الخطر من وقوع هذا الدود فيها . اما دود القطن الحقيقي فيظهر اولاً في اوائل شهر يونيو ولو كان بيضهُ يوضع في اواخر شهر مايو

وقد يصاب البرسيم بدود القطن فيجب ان تطلق المواشي فيهِ لترعاهُ حالاً وتروى ارضهُ حتى تغرق ويمنع سير الدود منهُ الى القطن

والغالب ان دود القطن يظهر ثلاث مرات المرة الاولى في اوائل شهر يونيو ويجب مراقبة القطن جيداً لانهُ اذا أُتلف الكثير من بزر الدود حينئذٍ قلَّ ظهورهُ في المرتين التاليتين فحالما يظهر البزر على الورق يقطع الورق الذي عليهِ البزر ويحرق وهذا امر لابدَّ منهُ اي لابدَّ من حرق الورق ولا بدَّ من نزع الورق حالما يرى البيض عليهِ والاَّ ظهر الدود منهُ بعد يوم او يومين وتعذرت مقاومتهُ . ولا يبيض الفراش كلهُ في يوم واحد ولذلك يجب التفتيش عن الورق الذي عليهِ البيض مرة كل يومين او ثلاثة وتبلغ نفقات نزع الورق الذي عليهِ البيض نحو ٣٠ غرشاً على الاكثر لكل فدان

وهذه الطريقة اي تنقية الورق وحرقهُ انفع الطرق المعروفة واذا أُهملت كبر الدود واتلف الغيط الذي يظهر فيهِ وقد ينتقل منهُ الى غيط آخر ويتلفهُ ويتولد منهُ فراش بعد نحو ثلاثين يوماً فيعيد الكرة على القطن واذا رويت الارض جيداً حينما يغور الدود فيها ويصير زيزاً مات كثير منهُ

واذا كان البرسيم مزروعاً قريباً من القطن وظهرت الدودة فيهِ وجب ان يقطع وتروى ارضهُ جيداً قبلما تحرث حتى يموت ما فيها من الدود . ولا شبهة في ان كثيراً من الدود ينتقل من البرسيم الى القطن . فاذا كان الدود موجوداً في ارض البرسيم فلا بدَّ من غمرها بالماء ليموت الدود منها

ويظهر الفوج الثاني من دود القطن في شهر يوليو وضررهُ اعظم من ضرر الفوج الاول لانهُ لا يوجد برسيم ليأْكل منهُ فيأْكل القطن . وحينما يغور دود هذا الفوج في الارض لا يحسن غمرها بالماء لان الرطوبة الكثيرة تضرُّ لوز القطن الذي يظهر حينئذٍ فيظهر الدود ثالثةً في اغسطس ويتلف ما بقي من القطن

واذا كان الدود في البرسيم وامكن احاطة ارض البرسيم براوي عرضها نصف متر تملأُ ماء الى عمق ٣٠ الى ٤٠ سنتيمتراً لم يعد الدود قادراً على العبور منها الى القطن

ولا بدَّ من ان ينزع كل ما ينبت في الجسور من الاعشاب في فصل الشتاء لئلاَّ تقيم فيها الحشرات المختلفة وتكر على الزراعة عند اول ظهورها



ديوان ابي تمام الطائي

اهدى الينا حضرة الاديب محمد افندي جمال البيروتي ديوان ابي تمام الطائي مطبوعاً طبعاً متقناً . وقد فسَّر الفاظهُ اللغوية ووقف على طبعهِ حضرة الفاضل الشاعر محيي الدين افندي الخياط من علماء بيروت

وابو تمام احد الشعراء الثلاثة المشهورين الذين اختلف علماء الادب في تفضيل شعر الواحد منهم على الآخر والاثنان الآخران المتنبي والبحتري . قيل سئل البحتري انت اشعر ام ابو تمام فقال جيدهُ خير من جيدي ورديئي خير من رديئهِ . وسئل ابو العلاء من اشعر الثلاثة فقال المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري . وقد كان ابو تمام والبحتري متعاصرين الاول شيخاً والثاني غلاماً التقيا لاول مرة في حمص ولهما حديث طويل . واما المتنبي فكان متأخراً عنهما فانهُ ولد بعد وفاة البحتري بعشرين سنة

ومهما يكن من اختلاف العلماء في شعر ابي تمام فلا ريب انهُ من كبار شعراء الاسلام وفحولهم فما من احد لهُ اقل المام بالشعر العربي الاَّ قرأ مرثيتهُ المشهورة التي مطلعها

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامرُ فليس لعين لم يفض ماؤُها عذرُ

وهي القصيدة التي رثى بها محمداً بن حميد الطوسي. قيل انهُ لما مدح ابا دلف العجلي بقصيدتهِ المشهورة التي مطلعها

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها واعطاهُ خمسين الف درهم وقال لهُ انها لدون شعرك . ثم قال ما مثل هذا القول في الحسن الاَّ المرثية التي رثيت بها محمداً بن حميد الطوسي وقد وددت انها لك فيَّ فانهُ لم يمت من رُثي بهذا الشعر

ومن عيون قصائدهِ القصيدة البائية التي اولها

السيفُ اصدق انباءً من الكتبِ في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

وهي من القصائد التي تتمثل بابياتها

وورد في الديوان ان لأبي تمام مئة وخمسين بيتاً تجري على ألسنة العامة وكثيرين من الخاصة وان من أحصى هذه الابيات قال " اني لا اعرف شاعرًا جاهليًّا ولا اسلاميًّا يتمثل لهُ بهذا المقدار " لكن الابيات التي يتمثل بها من شعر ابي الطيب المتنبي ليست اقلّ من هذا العدد وهي أجرى على السنة الخواص والعوام

واحسن ما يقال في هذا الديوان انهُ لا تكمل مكتبة اديب ولا شاعر من ابناء العربية ان لم يكن في مقدمة الدواوين الشعرية التي تحويها . وثمن النسخة منهُ ٢/١ ٣ فرنك خالصة اجرة البريد وهو يطلب من محمد افندي جمال ملتزم طبعهِ في بيروت فنثني على حضرة مصححهِ وطابعهِ اطيب الثناء

دليل السودان

اهدت الينا ادارة جريدة السودان التي تصدر من الخرطوم دليل السودان عن سنة ١٩٠٥ . وهو يتضمن اسماء موظفي الحكومة السودانية وضباط الجيش الانكليزي والجيش المصري وكبار التجار وغيرهم بالعربية والانكليزية وما تهم معرفتهُ موظف الحكومة والضابط والتاجر والعمدة والسائح والزائر وكلّ من لهُ صلة بالسودان وهو اول دليل وضع للسودان فلا غنى عنهُ لكلّ من يروم الاطلاع على احوالهِ وقد وضعهُ حضرة صديقنا الفاضل خليل افندي ثابت مدير مطبعتنا وجريدتنا في السودان

اسكندر ودراجا

اسم رواية لحضرة موُلفها الاديب عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وقد قال فيها انها " رواية واقعية تبين بالادلة الحسية والوقائع المدهشة حقوق الام بازاء الملوك وهناء الحياة وشقاءها في حالات الغنى والفقر والفضيلة والرذيلة وكلّ ظروف الحياة " وهي مزينة بالرسوم وثمنها ٥ غروش لمشتركي مجلتهِ و ٨ لغيرهم

الدروس الابتدائية

ألّف حضرة الاديب سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية في السيدة زينب كتاباً في الجغرافية سماهُ " الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية " يشتمل على " مقرر السنة الاولى الابتدائية حسب آخر بروجرام لنظارة المعارف العمومية " اجابة لطلب بعض افاضل الاساتذة وحلاَّهُ بالصور ليسهل فهمهُ على الطالب

نظرة في المبارزة

كراس صغير في المبارزة (الدويلو) بقلم حضرة الاديب سليم افندي عواد في الاسكندرية استخلص نصوصهُ العقابية من موضوعات دالوز وهي اشهر الموضوعات الفرنسوية في الفقه والشرائع . وهو يهم طلاب الحقوق بنوع خاص" وثمنهُ غرش واحد ويطلب من مكاتب الاسكندرية



(١) الولادة من غير تزوج

المنتزه . مصطفى افندي رشدي . اطلعت على اعلان عن كتاب انكليزي الاصل للدكتور كوفينون ترجمهُ الى الفرنسوية ابرهام جنسن يقال فيهِ انهُ يمكن ان تلد المرأة من غير ان تتزوج فهل ذلك صحيح

ج لا اسم للدكتور كوفينون هذا بين رجال العلم ودعواهُ غير صحيحة . نعم ان دارون قال في كتابهِ " عن تغيرات النبات والحيوان الاهليين " ان الولادة من غير تلقيح (كما يحدث في المن) تميل اليها البيوض في بعض الحيوانات العليا وكان الواجب ان تكون البيضة وحدها كافية لتولد الحي لانها كاملة التركيب واستنتج من ذلك ان التلقيح يكسبها قوة جديدة فاتخذ دين ربون هذا القول حجة على امكان تولد الجنين من نفسهِ اذا اشتاقت امهُ اشتياقاً شديداً الى ولادتهِ لكي يعلل بذلك ولادة السيد المسيح على ما جاء في الانجيل بغير اعجوبة . لكن العلماء الطبيعيين خطأوا دين ربون في استنتاجهِ . وهذا آخر ما وقفنا عليهِ في هذا الموضوع

(٢) اصل كعبة ومكة

صيدا . جميل افندي ايراني . قرأت في بعض التواريخ الشرقية في لفظتي كعبة ومكة انهما فارسيتان قال صاحب التاريخ انهُ قبلما تكلمت العرب بالعربية بالوف من السنين في الدور الاول في عصر المحابادين (اول ملوك الفرس) ارسل احد ملوك هذه الطبقة لبناء بيت في ارض الحجاز مخصص لعبادة الكواكب السبعة فبني البيت وكان اجمل ابنية تلك الناحية ولذا سمي كه به (اي كعبة) وكان سكان تلك النواحي يعظمون القمر على سائر الكواكب فجعلوا تمثال القمر اكبر من سواهُ وسموهُ باسم القمر مه كه او مه كده اي معبد القمر . فهل

في اللغة العربية ما يؤيد ذلك او ينفيهِ وما قولكم فيهِ وهل في العربية معنى لهذين الاسمين

ج ان ما رواهُ المؤرخ الذي تشيرون اليهِ لا يحتمل البحث العلمي لانهُ حدث قبل زمن التاريخ . وليس في العربية ما يستدل بهِ على معنى هاتين الكلمتين ولكننا نظن ان كلمتي كعبة وقبلة محرفتان من كلمة كابلاً بمعنى كنيسة او معبد لان المسيحيين ورهبانهم كانوا منتشرين في بلاد العرب قبل الاسلام وكان لهم فيها الكنائس والاديرة وامتزجت كلماتهم الدينية بالعربية حتى ان ما لهُ اصل عبراني قريب من اللفظ العربي اشتهر في العربية بلفظهِ اليوناني او اللاتيني كعيسى ويونس وبارقليط . اما كلمة مكة فلم نعثر بما يدل على اشتقاقها

(٣) قوة ايران

ومنهُ . كم قوة دولة ايران وهل تستطيع الدفاع لدى دولة من الدول العظيمة

ج ان جندها مؤلف من ٥٤٧٠٠ من المشاة و ٢٥٢٠٠ من الفرسان و ٥٠٠٠ من المدفعية و ٧٢٠٠ من المستحفظ لكن الجيش العامل من هؤلاء يقتصر على ٢٤٥٠٠ نفس واذا مست الحاجة امكنها ان تزيد جيشها ٥٣٥٢٠ بين مشاة وفرسان منظمين او غير منظمين . وعندها الآن سفينتان حربيتان صغيرتان الواحدة محمولها ٦٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ٤٥٠ حصاناً وفيها اربعة مدافع فوهة كل مدفع منها ٣ بوصات والثانية تمخر في نهر قارون وقوة آلتها البخارية ٣٠ حصاناً وكلاهما لمنع التهريب من الجمرك ولذلك لا نرى كيف تستطيع تلك البلاد ان ترد غارات دولة عظيمة الا اذا كانت الدول العظيمة يرد بعضها بعضها لكي لا تستأثر واحدة منها بالغنائم والمتاجر دون غيرها

(٤) تصبير الطيور

ومنهُ . نرجو ان تخبرونا عن طريقة سهلة لتصبير الطيور

ج لذلك طريقة واحدة وهي ان يسلخ الجلد ويدهن بالزرنيخ حتى لا يقع فيهِ الدود ولا الفساد ثم يحشى بالكتان وتوضع فيهِ اسلاك معدنية تقوم مقام العظام في حفظ قوامهِ وشكلهِ . ولكن توقيف الطائر وتهذيب شكلهِ حتى يماثل الشكل الطبيعي لا يستطيعهما الانسان الا بعد المزاولة الطويلة ويجب ان يكون لهُ ذوق في التصوير

(٥) اسم زركسيس

ومنهُ . لم نجد في التواريخ الفارسية اسماً للملك المعروف باسم زركسيس فما هو اسمهُ بالفارسية والعربية

ج قال رولنصن ان اسمهُ بالفارسية القديمة خشيرشا من "خشيا" اي ملك ومنها كلمة شاه ومن "ارشا" اي محترم اما التواريخ العربية فلا اسم منها ولا اصعب من معرفة حقيقة الاعلام فيها لكن جاء في

ابن خلدون انهُ ملك بعد كستاسف حافده كي بهمن ويقال ازدشير بهمن قال الصبري ويعرف بالطويل الباع . فان كان ما قالهُ الطبري صحيحاً فازدشير بهمن هذا هو ارتكزركسيس الاول الذي يلقبهُ اليونان مكروسيبار اي الطويل الباع وزركسيس ابوهُ هو كستاسف . ويعترض على ذلك ان زركسيس هو ابن داريوس من زوجتهِ اتوسا بنت قورش ولذلك فهو المذكور في تواريخ العرب باسم ارتشخار بن دارا الثاني . وقد عربت دائرة المعارف زركسيس بكلمة زارا . ولا نعلم على من اعتمدت في ذلك

(٦) تماثل الاصوات

شبراخيت . علي افندي جابر عمدة شبراخيت . ضمنا مجلس من الادباء وكان البحث في الاصوات وهل يمكن ان يكون صوتا شخصين متشابهين تشابهاً تاماً حتى لا يمكن التمييز بينهما . فجئت بهذا راجياً افادتنا عن ذلك

ج قد تتشابه الاصوات حتى يتعذَّر التمييز بينها على مَن لم يألفها جيداً ولكن يبقى التمييز بينها سهلاً على مَن ألفها لانها لا تتماثل تماماً ولو تشابهت فاذا سمعت اثنين من الاوربيين يتكلمان بلغة اوربية لا تعلمها او اثنين من البرابرة يتكلمان برطانتهما فقد تظن صوتي الاولين متشابهين وكذلك صوتي الآخرين ولكنك اذا كنت تعلم لغة المتكلمين وقد عاشرتهم زماناً طويلاً حتى صارت اصواتهم مألوفة عندك فلا يتعذر عليك التمييز بينها لانها مختلفة لذاتها وسبب اختلافها الاختلاف في الاوتار الصوتية وسائر آلات الصوت من حيث طولها وثخنها وشكلها واقل اختلاف فيها يجعل اختلافاً في الصوت . اما اصوات الاوتار والصفائح المعدنية فلا يتعذَّر ان تكون متشابهة تماماً لان كل جزء من المعدن الواحد يشابه غيرهُ من ذلك المعدن فاذا تماثل وتران من معدن واحد طولاً وثخناً فصوتاهما متماثلان

(٧) مهاجرة السوريين

موبيل الاباما (باميركا) سليم كحلا . ان الذين يهاجرون الى هذه البلاد من البلدان الاوربية وغيرها لا يمضي عليهم سنوات كثيرة حتى يغيروا عاداتهم ويمتزجوا بالاميركيين ويصيروا مثلهم تماماً ويصير يتعذر تمييزهم عنهم الَّا السوريين فانهم يبقون محافظين على عاداتهم ولو قضوا العمر كلهُ هنا فعلى ماذا يدل ذلك وما هي الواسطة لجعلهم يتمثلون بالاميركيين في كل شيء

ج ان عدم تغيير العادات يدلُّ على رسوخها في النفس بالوراثة مدة قرون كثيرة وعلى ان اصحابها يفضلونها على غيرها او يحسبون انهم دون غيرهم فلا يطمعون بالتمثل بهم فالانكليزي الذي يقيم في مصر مثلاً لا يغير عاداته ويتمثل بالمصريين لانهُ يحسب

نفسهُ ارقى منهم والبربري الذي يقيم بينهم لا يقتدي بهم لانهُ يعدهم ارقى منهُ فلا يتطاول الى التمثل بهم . وعسى ان لا يكون احجام السوريين عن التمثل بالاميركيين من قبيل الامر الثاني . وبقيننا انهُ لو تعلم السوريون اللغة الانكليزية جيداً وعلموها اولادهم في مدارس الاميركيين حتى صاروا يتكلمونها لسهل عليهم التشبه بالاميركيين في كل شيء

وقولنا هذا مبني على بحث الدكتور الن مكلوغلين الاميركي الذي عملهُ البحث في احوال المهاجرين الى اميركا فقد ظهر من بحثهِ اولاً ان السوريين المهاجرين الى اميركا احذق في ادارة الاعمال من كل الامم الاخرى المهاجرة الى اميركا ما عدا اليهود فانهُ وجد ان غير الحاذقين من الايطاليين المهاجرين ٥٩ في المئة ومن البولنديين ٦٣ في المئة ومن اليونان ٦٨ في المئة ومن السوريين ٣٤ في المئة ومن اليهود ٩ في المئة . وثانياً ان اولاد المهاجرين من السوريين وغيرهم يتعلمون في المدارس اكثر من اولاد الاميركيين انفسهم . وثالثاً ان السوريين اقرب من اليابانيين للامتزاج بالاميركيين . ورابعاً ان اقامة السوريين في المدن الكبيرة وبقاءهم بعضهم مع بعض يضرَّان بهم جداً ويمنعان تقدمهم فان هواء المدن فاسد والاخلاق منحطة فيها وكذلك اقامتهم بعضهم مع بعض تمنع امتزاجهم بالاميركيين وهذا الامتزاج لازم لهم

وقد قال هذا الدكتور عن المهاجرين من اليابانيين والصينيين ما ترجمتهُ ان الياباني يقتبس ملابسنا وعوائدنا ولكن اميركانيتهُ سطحية مقصورة على الظواهر لان الشعوب الصفراء لا تمتزج بالشعوب البيضاء كما لا يمتزج الزيت بالماء ومهما تعلَّم الياباني والصيني وتهذبا يبقيان يابانياً وصينياً ولا يمكن ان يمتزجا بنا وهما لا يريدان هذا الامتزاج وغاية ما يطلبان في بلادنا ان يجمعا جانباً من المال ويعودا بهِ الى بلاديهما ليقضيا بقية عمرهما بالراحة الرفاهية ولذلك تراهما احرص الناس على جمع المال بكل ما يمكن من الوسائل . ولا يهمهما امر حكومتنا وشعبنا الاَّ بمقدار ما يستفيدان من ذلك مالياً وزد على ذلك انهما يأتيان ومعهما من الامراض المعدية الخبيثة اكثر مما مع غيرهما من سائر المهاجرين ومنهما ضرر على الهيئة الاجتماعية وخطر على الصحة العمومية

وعندنا ان الطريق الاكيد لنجاح السوريين في اميركا هو تعليم اولادهم في مدارس الاميركيين وتفرقهم في البلاد واعتماد فريق كبير منهم على الزراعة واستيطان البلاد

(٨) ري العراق

بغداد . الخوجا يوسف مسيح . نشرت جريدة التيمس الهندية فصلاً ضافياً في امكان اعادة الري الى العراق نبذاً مقتطفة من مطالعات للسر وليم ولككس . ولما كنا من

اهل العراق ويهمنا الاطلاع على عمرانهِ نرجو ان تطرفونا بما ظفرتم بهِ من تلك المطالعات

ج لقد سبقنا تيمس الهند فنشرنا فصلاً ملخصاً من خطبة للسر وليم ولككس في هذا الموضوع كما ترون في الصفحة ٤١٥ من المجلد الثامن والعشرين من المقتطف اي في الجزء الصادر في غرة مايو سنة ١٩٠٣ وهو وافٍ بالمراد لان المسألة لم تزل نظرية حتى الآن والعمل بها صعب جدًّا في احوال الدولة الحاضرة

(٩) توحيد اللغات

ومنهُ . لمَ لم يوجه ارباب العلم عنايتهم الى توحيد لغات الناس كلهم وجعلها لغة واحدة مع ما يترتب على ذلك من المنافع العامة لكل طبقات الناس

ج لقد سعى البعض في هذا السبيل وعادوا بالفشل لان العمل اوسع من ان يحيط بهِ انسان او جماعة من الناس . والفريق الاكبر من نوع الانسان مهتم بامر معاشهِ فلا يتسير لهُ ان يتفرَّغ لتعلُّم لغة غير لغتهِ . وان الواحد منا يعنى سنة بعد سنة بتعلم لغة اجنبية ويستأجر الاساتذة ويعاني المشاق ومع ذلك يتعذر عليهِ ان ينال بغيتهُ

(١٠) فلسفة العرب

دمشق . الشماس اثناسيوس كليله . هل عرفت العرب علم الفلسفة العقلية (السيخولوجيا)

ج نعم عرفوا كل ما كان معروفاً منهُ عند اليونان لانهم نقلوا فلسفة ارسطو من اليونانية او من السريانية الى العربية وشرحوها وبنوا فلسفتهم عليها

(١١) فلاسفة العرب والافرنج

ومنهُ . من هم اشهر المؤلفين فيهِ من العرب خصوصاً والافرنج عموماً

ج اشهر فلاسفة العرب في المشرق الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وفي المغرب ابن باجه وابن طفيل وابن رشد اما الافرنج ففلاسفتهم اكثر من ان يحصوا ومن اشهرهم ده كارت وليبنتز وهبس ولوك وهيوم ومل وهملتون وسبنسر وهربرت ولتزر وفنت وابنهوس ومستربرج وربيو وجانه وجمس وسلي

(١٢) الثلج الكاوي

بيروت . الخواجه نجيب سمعان . في اي مكان يسقط الثلج بلورات نجمية الشكل اذا اصابت الجلد كوتهُ كما تكويهِ النار

ج ان رقع الثلج تكون دائماً مؤلفة من بلورات نجمية صغيرة واذا كان الاقليم بارداً جدًّا كما يكون عند القطبين فلا يبعد ان يكون برد الثلج شديداً حتى يحرق الجلد وقد رأينا البرد وقع في بيروت بارداً جدًّا حتى حرق اوراق الشجر والواح الصبير

الفيوم . ر . ي . ارجوان تكتبوا لنا اسماء العناصر البسيطة كلها بالعربية والافرنجية مع سني اكتشافها . الجواب

الاريبوم	Erbium	١٨٤٣
الارغون	Argon	١٨٩٤
الاريديوم	Dridium	١٨٠٤
الاسميوم	Osmium	١٨٠٣
الاكسجين	Oxygen	١٧٧٤
الالومنيوم	Aluminium	١٨٢٨
الانتيمون	Stibium	١٤٥٠
الانديوم	Indium	١٨٦٣
الاورانيوم	Uranium	١٧٨٠
الباريوم	Barium	١٨٠٨
البراسكوديميوم	Prascodymium	١٨٨٥
البروم	Bromine	١٨٢٦
البريليوم	Biryllium	١٨٢٧
البزموت	Bismuth	١٤٥٠
البلاتين	Platinum	
البلاديوم	Palladium	١٨٠٣
البوتاسيوم	Potassium	١٨٠٧
البور	Boron	١٨٠٨
التربيوم	Terbium	١٨٤٣
التلوريوم	Tellurium	١٧٨٢
التنتالوم	Tantalum	١٨٠١
التنجستن	Tungesten	١٧٨١
التوتيا	Zinc	١٥٢٠
التيتانيوم	Titanium	١٧٩٥
الثاليوم	Thallium	١٨٦٢
الثوريوم	Thorium	١٨٢٨
الثوليوم	Thulium	١٨٧٩
الجرمانيوم	Germanium	١٨٨٦
الحديد	Ferrum	.
الذهب	Aurum	
الراديوم	Radium	١٨٩٨
الروبديوم	Rubidium	١٨٦٨
الروثيوم	Ruthenium	١٨٤٤
الروديوم	Rhodium	١٨٠٤
الرصاص	Plumbum	
الزركونيوم	Zerconium	١٨٢٤
الزرنيخ	Arsenic	١٦٩٤
الزنون	Xenon	١٨٩٨
الزيبق	Hydrargyrum	
السترنتيوم	Strontium	١٨٠٨
السريوم	Cerium	١٨٠٣
السكنديوم	Scandium	١٨٧٩
السليكون	Silicon	١٨٢٣
السلينيوم	Selenium	١٨١٧
الساماريوم	Samarium	١٨٧٩
الصوديوم	Sodium	١٨٠٧
الغادولينيوم	Gadolinium	١٨٨٦
الغاليوم	Gallium	١٨٧٥
الغلوسنوم	Glucinum	١٨٢٨
الفصفور	Phosphorus	١٧٣٨
الفضة	Argentium	

الفلور	Fluorine	١٨١٠
الفناديوم	Vanadium	١٨٠١
القصدير	Stannum	
الكاسيوم	Caesium	١٨٦٠
الكبريت	Sulphur	
الكدميوم	Cadmium	١٨١٧
الكربتون	Krypton	١٨٩٧
الكربون	Carbon	
الكروم	Chromium	١٧٩٧
الكلسيوم	Calcium	١٨٠٨
الكلور	Chlorine	١٨١٠
الكوبلت	Cobalt	١٧٣٣
الكولمبيوم	Columbium	١٨٤٦
اللثيوم	Lithium	١٨١٧
اللنثانوم	Lanthanum	١٨٤١
المغنيسيوم	Magnesium	١٨٠٨
المنغنيس	Manganese	١٧٧٤
المولبيدنوم	Molybdinum	١٧٨٢
النحاس	Cuprus	
النكل	Nikel	١٧٥١
النيتروجين	Nitrogen	١٧٧٢
النيوديميوم	Neodynium	١٨٨٥
النيون	Neon	١٨٩٨
الهاليوم	Helium	١٨٦٨
الهيدروجين	Hydrogen	١٧٦٦
اليتريوم	Yttrium	١٨٢٨
اليتربيوم	Yttrbinm	١٨٧٨
اليود	Iodine	١٨١١



اوجه القمر في شهر يونيو

	اليوم	الساعة	الدقيقة
الهلال	٣	٧	٥٧ صباحاً
الربع الاول	١٠	٣	٠٥ مساء
البدر	١٧	٧	٥٢ صباحاً
الربع الاخير	٢٤	٩	١٦ مساء

السيارات

لا يرى عطارد في اوائل الشهر ثم يصير نجم المساء في آخره

والزهرة تكون نجم الصباح الشهر كله

والمريخ يرى حتى الساعة ٢/١ ٣ صباحاً في اوائل الشهر وحتى الساعة ١ صباحاً في آخره

والمشتري يطلع نحو الساعة ٤ صباحاً في اول الشهر ونحو الساعة ٢ في آخره

وزحل يطلع نحو نصف الليل في اول الشهر وقبل ذلك بساعتين في آخره

عيد البستاني

كتب الينا من بيروت " ان العلامة عبدالله افندي البستاني قضى الشطر الكبير من حياته مجاهداً في تدريس آداب اللغة فنبغ عليه ادباء كثيرون من شعراء ومؤلفين وكتبة جرائد واصحاب اعمال خطيرة . . . فاهتز لهذا الامر فريق من الادباء والَّفوا لجنة من بعض المتخرجين عليه وغيرهم من ارباب الفضل وقرروا ان يقام له في آخر هذا الصيف عيد فضي يحتفل فيه بتقدمة تذكار له يرمز الى الاقرار بالفضل وعرفان الجميل وقد دعت اللجنة جميع الادباء والفضلاء الى الاشتراك في هذا العمل الجليل وتبرعت جريدتا "لسان الحال" "والاحوال" بقبول ما يكتتب به ونشر اسماء المكتتبين وطلبت اللجنة ان ما يكتتب به اليها في هذا الشأن يرسل الى كاتب سرها في مدرسة الحكمة او الى مكتبة رفعتلو سليم بك نصر في بيروت ". ولا يسع منصفاً الاَّ الاعجاب بهذه الاريحية التي يبديها السوريون من وقت آخر وبأنهم ابتدأوا باظهار اكرامهم للاجانب قبل الوطنيين . وعبدالله افندي البستاني من آحاد الاسرة البستانية الذين نوهنا بذكرهم في ما قلناهُ وقت الاحتفال بمترجم الالياذة وهو حقيق بهذا الاكرام . فعسى ان يُقبل كل تلامذته ومريديه ونصراء المعارف على الاشتراك في هذه المأثرة اشهاراً للفضل وترغيباً في خدمة العلم

الصابون والميكروب

ادَّعى بعضهم ان الصابون الذي يكون في دكاكين الحلاقين ومنازل المسافرين والسفن ونحوها لايخلو من الميكروبات فهو يضرُّ الذين يستعملونهُ . فكتب الدكتور مرل الى جريدة السينتفك اميركان يقول انهُ بحث في هذا الموضوع بالتدقيق وامتحن ٧٥ لوحاً من الصابون اتى بها من اللوكندات ومحطات سكك الحديد والمطابخ والمسالخ والحمامات العمومية فلم يجد عليها اقل شيء من الميكروبات . ثم اراد ان يعرف كم يعيش الميكروب على لوح الصابون لو وُضع عليهِ فاتى بالواح كثيرة ووضع عليها الميكروبات المختلفة ووضعها في مكان يسهل نمو الميكروبات فيهِ وكرر امتحان ذلك في انواع مختلفة من الصابون وفي اثني عشر نوعاً من اقوى انواع الميكروبات واشدها سمَّاً فكانت الميكروبات تموت كلها ولم يعش منها الاَّ نوع واحد عاش مرة واحدة اكثر من اربع ساعات اما بقية الميكروبات فكانت تموت في اقل من نصف ساعة . وامتحن عشرين لوحاً جديداً من الصابون فلم يجد الميكروب الاَّ على لوح واحد منها وهو من نوع فطري غير سام . وهذا الصابون من النوع الذي يقال انهُ مضاد للفساد . وقد

استنتج من التجارب الكثيرة التي اجراها بناء على طلب ديوان الصحة ان الصابون العادي الذي يستعمل في بيوت جمهور الناس لا تعيش عليهِ الميكروبات بل يقتلها بما فيهِ من المادة القلوية واما الصابون المطيَّب الذي يغسل بهِ المترفهون وجوههم فقد تعيش عليهِ الميكروبات ولو مدة قصيرة

اكتشاف في الكركند

للحيوان البحري المعروف بالكركند ثقبان صغيران في رأسهِ يحيط بهما الشعر ويوجد فيهما دائماً ذرات من الحجر او حبَّات من الرمل وكان يظن انهما أذناهُ وان الاصوات العالية تحرك الذرات التي فيهما فتوصل الحركة الى الغشاءين المحيطين بها والغشاءان ينقلان التأثير الى الدماغ . ولكن احد علماء الالمان خالف هذا الرأي حديثاً وذهب الى ان وظيفة الثقبين المذكورين بما فيهما من ذرات الحجارة والرمل تمكين الحيوان من حفظ موازنتهِ عند تسلقهِ الصخور التي تحت الماء

وبيان ذلك انهُ اذا كان مركز الحيوان افقياً اجتمعت الذرات في قعر الثقبين ولكنهُ اذا مال قليلاً مالت الذرات ايضاً فضغطت موضعاً آخر من الغشاءين اللذين يحويانها ونقل التأثير الى الدماغ فشعر الحيوان بانحرافهِ عن الوضع الافقي . وقد لحظ العالم المذكور انهُ متى انسلخ الكركند من قشرهِ خرجت بطانة الغشاءين وفيها ذرات الرمل فيشرع حالاً في جمع ذرات اخرى مكانها ووضعها في الثقبين . فاخذ كركنداً خرج من قشرهِ حديثاً ووضعهُ في اناء فيهِ ماء ووضع في قعر الاناء برادة حديد ليأخذ حاجتهُ منها بدلاً من الرمل ففعل ولما اتمَّ ذلك وضع العالم المشار اليهِ مغنطيساً كهربائياً قرب رأس الكركند ووصل المجرى فتجمعت ذرات البرادة في نقطة الغشاء الاقرب الى المغنطيس وكان تأثير ذلك في الكركند انهُ انحرف عن المغنطيس وظهرت عليهِ جميع الدلائل التي تدل على انهُ يشعر ان قعر الاناء لم يعد افقياً وانهُ على شفا السقوط . واذا خفف المجرى جعل الكركند يبدي حركات كأنهُ يرقص ويغرز مخالبهُ فيظهر كأنهُ آمن ثابت في مكانهِ . واذا كان المجرى سريعاً ارتجت مفاصلهُ وظهر عليهِ انهُ يئس من الثبات في مكانهِ كأنما الارض زلزلت

الوان ملابس الجنود

سيكون لشكل الملابس التي تلبسها الجنود ولونها شأن عظيم في الحروب المستقبلة فقد ظهر من التجارب العديدة التي اجرتها حربية الدنمرك ان شكل بعض الملابس افضل من شكل البعض الآخر للبس الجنود فان الملابس الواسعة مثلاً احسن من الضيقة

للوقاية من حر الصيف و برد الشتاء

اما من جهة لون الملابس فقد ظهر ان جميع الالوان تبين عن بعد على السواء اذا كان الافق وراءها . ولكن اذا لبس الجنود ملابس رمادية اللون مخضرة وكانت الارض خضراء والشمس مشرقة عليها فانهم لا يظهرون جليًّا ولو كانوا على بعد ٤٠٠ ذراع . فاذا اداروا ظهورهم نحو الاعداء وعليها الاكياس التي يحملون فيها طعامهم بالوانها السوداء او الصفراء بان كل منهم جليًّا . وعليهِ فاللون الرمادي المخضر اصلح الالوان لستر الجنود في ساحة القتال. ويليهِ الازرق الفاتح ثم الازرق الغامق فالاخضر الغامق . اما الاحمر فاقلها صلاحية لذلك

الارض والقمر

قال الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي ان القمر انفصل عن الارض حيث الاوقيانوس الباسيفيكي فلما طار الى الفضاء أطبق الماء من كل جانب ليملأ الفراغ الذي احدثهُ انفصال القمر فكان الاوقيانوس المذكور . وكان القمر في بدء امرهِ اهليلجيًّا بسبب شدة جذب الارض لهُ وعلى خطر التجزوء اجزاءٍ صغيرة ولكنهُ عاد فجمع اطرافهُ وصار كما يرى الآن وهو اكبر تابع من التوابع المعروفة بالنسبة الى متبوعاتها

ومن رأيهِ انهُ لما انقذف القمر من الارض والملت الى الفضاء نشأ عن ذلك انفصال اميركا عن اوربا فكان الاوقيانوس الاتلنتيكي وان ذلك جرى ايام كانت الارض مائعة او شبه مائعة . فان فعل المد حينئذٍ — ومادّهُ الصخور المصهورة — ودوران الارض على محورها جعلا شكل الارض كشكل الكمثراة وما زالت عنقها تدق وتضمر حتى انفصل رأسها فكان القمر

وليس ذلك ختام الامر بل ان القمر لا يزال يتقهقر ودورة الارض على محورها تبطئ والنتيجة اطالة اليوم الارضي حتى يعادل الوقت الذي يدور القمر فيهِ حول الارض وحينئذٍ يرينا القمر وجهاً واحداً ونريهِ وجهاً واحداً من ارضنا و يظهر ساكناً لا يتحرك في كبد السماء

حرارة الحشرات

من المشهور انهُ ليس للحشرات حرارة ذاتية تتولد فيها بل ان حرارتها مستمدة من الوسط الذي يكتنفها سواءٌ كان هواءٌ او ماءٌ مثل سائر الحيوانات ذات الدم البارد ولكن احد العلماء أبان حديثاً ان ذلك ليس صحيحاً على وجه التعميم وان هناك ما يدلُّ على ان بعض الحشرات يولّد حرارة . فقد وضع بعضهم ثرمومترًا في قرية نمل فارتفع سبع درجات ووجد آخر ان حرارة قفير النحل اعلى من حرارة الهواء الخارجي في الشتاء وانها

تكاد تكون ثابتة ودرجتها ٨٨ بميزان فارنهيت وانهُ اذا اضطرب النحل وهاج وهو في قفيرهِ زادت حركة اجنحتهِ فارتفعت الحرارة الداخلية الى حدٍ ان تسخن جدران القفير ويذوب الشمع احياناً

ومهما يكن من ذلك فان الحرارة التي تولدها الحشرة الواحدة قليلة جدًّا . ولكنها قادرة على احتمال البرد فان الناموس العام هو ان قدرة المخلوقات الحية على احتمال البرد ومقاومتهِ تزيد كلما قلَّ توليدها للحرارة فلذلك ترى بعضها يعيش في الثلج والجليد وفي الاقاليم القطبية حيث درجة الحرارة واطئة جدًّا . ومن الحشرات ما يحتمل حمارة الحرّ احتمالهُ لصبارة البرد حتى ان منها ما يوضع في الماء المغلي ولا يموت

اكتشاف قمر عاشر لزحل

اكتشف الاستاذ بكرنج مدير مرصد هارفرد قمرًا عاشرًا لزحل وكان قد اشتبه في وجودهِ منذ عدة سنوات وما زال منذ ذلك الحين يرصد النجوم ويرعاها حتى تحققت شبهتهُ . ويتمّ القمر الجديد دورتهُ حول زحل في ٢١ يومًا وقطرهُ نحو ٢٠٠ ميل فقط وهو لا يرى باعظم المكبرات وانما ظهرت صورتهُ على اللوح الفوتغرافي الحساس وحركتهُ من الغرب الى الشرق

ومما يذكر في هذا الصدد ان مكتشف القمر التاسع من اقمار زحل هو الاستاذ بكرنج نفسهُ اكتشفهُ سنة ١٨٩٩ ومكتشف القمر الثامن فلكيٌّ اميركي اسمهُ بوند اكتشفهُ سنة ١٨٤٨ اما الاقمار السبعة الاولى فاكتشف الاول منها الفلكي هجنس سنة ١٦٥٥ ثم اكتشف كاسيني خمسة منها بين سنة ١٦٧١ وسنة ١٦٨٤ واكتشف السر وليم هرشل القمر السابع سنة ١٧٨٩

الاسد في بلاد اليونان

كتب الاستاذ ماير مدير معرض الحيوانات في درسدن بالمانيا مقالة في دعوى وجود الاسد قديمًا في بلاد اليونان ومما قالهُ فيها ان ذكر الاسد في قصائد هوميروس لا يثبت انهُ كان موجودًا في بلاد اليونان قديمًا بل يدلُّ فقط على ان هوميروس رآهُ ويستدلُّ مما كتبهُ هيرودتس وارسطو ان الأُسود وجدت في بعض الجهات من شرق اوربا قبل التاريخ المسيحي بنحو ٥٠٠ سنة . هذا ولما كان اسم الاسد في اليونانية قديمًا جدًّا فقد يستنتج من ذلك ان الاسد كان معروفًا في البلاد منذ عهد بعيد جدًّا ولكن لا يمكن الجزم بهذا الاستنتاج بتاتًا . ولعلَّ المرجح ان الاسود وجدت في بلاد اليونان في عهد هيرودتس . اما قبل زمن التاريخ فقد وجدت في معظم بلدان اوربا ثم انقرضت منها

الانسان والقرود

كتب الاستاذ برنارد ارن مقالة اوضح فيها ما اثبتهُ العلم عن علاقة الانسان بالقرود فقال انهُ مهما افتخر الانسان بتفوقهِ على سائر الحيوان فان بناءهُ الطبيعي مقارب لبناء الحيوانات التي هي ادنى منهُ كالشمبانزي والغورلا والأران اوتان والجيبون من القرود. والشبه بين الانسان والشمبانزي اعظم منهُ بين الشمبانزي وبعض انواع القرود . على ان من الخطإ الفاضح ان يقال ان الانسان متسلسل من القرد فانهُ لا دارون ولا احد من اتباعهِ قال بذلك . وانما قالوا ان الانسان والقرد متسلسلان من اصل واحد في سلسلتين مختلفتين وان القرابة بينهما بعيدة ووجه الشبه يقل كلما تقدما في السن فان الانسان يرتقي والقرد ينحط اي ان القرد يكون في صباهُ اليفاً لين الطبع فمتى تقدَّم في السن بات وحشياً شكس الخلق وبدلاً من ان يزيد معرفة واختباراً ينسى ما تعلمهُ قبلاً . وعكس ذلك الانسان

ويظهر على بعض القرود كالشمبانزي ما يظهر على الانسان من العواطف مثل الخوف والكره والغضب والضحك ولاسيما اذا دغدغ

على ان بين اسمى القرود والانسان هوَّة عقلية لا يسبر غورها . وهذه الهوَّة هي التي تجعل الانسان سيد المخلوقات

انتشار الجنون

الجنون من العوارض التي يجهل الناس اسبابها اكثر مما يجهلون اسباب غيرها ويذهبون فيها كل مذهب . قالت احدى الكاتبات الانكليزيات بعد ان اطالت البحث في سبب الجنون ان معظمهُ ناشئ عن الانهماك في الملذات وعدم كبح النفس عن اهوائها او عن توجيه الافكار والعواطف شيئاً فشيئاً الى النفس دون غيرها . ومعظمها مما يمكن منعهُ في اول امرهِ

والشائع ان الجنون آفة تصيب العقل دون الجسم وهذا وهم فان الجنون مرض في الدماغ وعليهِ فهو داء من ادواء الجسم مثل السل والجدري . واصدق دليل على ذلك ان لحالات الجسم المضعفة مثل قلة التغذية وقلة النوم علاقة شديدة بهِ

ومن الناس من يعتقد انهُ قصاص للخطايا وهم مصيبون بمعنى انهُ نتيجة خرق النواميس الطبيعية التي هي ميزان البر والاستقامة في الناس

واذا كانت زيادة الانهماك بالنفس او اللذات هي السبب الاعظم في الجنون فان احسن علاج لهُ نسيان النفس وكبح جماحها وضبط اهوائها . ولما كان الميل الى الجنون وراثياً وجب الانتباهُ لهذا الامر تداركاً للشر وذلك بمنع التزوج بين الاقارب

الاقربين كاولاد العم . وبين اولاد المجانين او الذين يصابون بنوب جنون

اقزام افريقية

أُرسل الاقزام الذين ذكرناهم في الجزء الماضي الى بلاد الانكليز وهم اربعة رجال وامرأتان . وقد خطب الدكتور اليوت سمث خطبة مسهبة عنهم في الجمعية العلمية بمدرسة قصر العيني الطبيّة في ٢٥ مايو الماضي ذكر فيها خلاصة ما قيل عن الاقزام في تواريخ المتقدمين وكتب المتأخرين وآثار المصريين وعرض صورهم بالفانوس السحري وابان ما يمتازون به عن سائر زنوج افريقية . وعرض ايضاً صوراً صُنعت بواسطة اشعة رنتجن يظهر منها ان اثنين من الذكور لم يبلغا اشدهما حتى الآن لان غضاريفهما لم تتعظّم بعد والثالث لا يزال شابًا واما الرابع فكهل واحدى المرأتين لا تزال فتاةً ولعلها متولدة بين الاقزام وغيرهم من زنوج افريقية لان عجيزتها بارزة كأنها من نساء البشمن وانفها غير شديد الفطس وشفتيها غير شديد في البروز ويظهر كأنها من غير جنس الاقزام لانها لا تماثلهم في شيء من مميزاتهم الظاهرة

ورؤُوس هؤُلاء الاقزام كلهم اشبه برؤُوس الاوربيين منها برؤُوس امم المشرق وبرؤُوس الزنوج اي ان قطرها من الامام الى الوراء اطول من قطرها من اليمين الى اليسار

وكان الدكتور اليوت سمث قد شرّح جثتي قزمتين توفيتا في مصر ولم يكن يحسب انهما من اقزام افريقية لانهُ راى في وجهيهما ما يخالف سحنة اقزام افريقية التي يمتازون بها فلما رأى احدى هاتين المرأتين وجد ان سحنتها تماثل سحنة تينك القزمتين وقد حفظ دماغيهما وعظامهما فارانا اياها واذا الدماغ صغير شبيه بادمغة القرود العليا وعظم اللوح متوسط في شكلهِ بين لوح القرد ولوح الانسان . فان لوح الكلب مثلاً زاويتهُ السفلى وزاويتهُ العليا متساويتان مثل زاويتي مثلث متساوي الساقين وكلما تدرَّجت الحيوانات في الارتقاء زادت الزاوية السفلى ضيقاً والعليا انفراجاً حتى تصير العليا قائمة في الانسان وتصير احدى الساقين اطول من الساق الاخرى كثيراً . ولوح تينك القزمتين متوسط بين لوح الانسان ولوح القرد من هذا القبيل . وسنأتي على خطبة الدكتور سمث في جزء آخر لما فيها من الفوائد العلمية والتاريخية

شلالات نياغرا

طلب بعض الماليين الاميركيين من حكومتهم ان تسمح لهم بجرّ قسم كبير من ماء النهر الذي تتكوَّن شلالات نياغرا منهُ لاستخدامهِ لادارة آلات المعامل المختلفة . والقسم الذي يطلبونهُ يساوي قوة نصف مليون حصان . وقد قال بعض الخبيرين

انهُ اذا جرّ من ماء النهر فوق الشلالات ٨٠ الف قدم مكعبة في الثانية لم يعد للشلالات اثر

وقد ساء طلب الماليين هذا جمهور العلماء وارباب الفنون الجميلة لما في العمل بهِ من الضرر بمنظر الشلالات الطبيعي كما ساء بناء خزان اصوان علماء الآثار لما فيهِ من الضرر بهيكل انس الوجود فقاموا يصخبون و يصيحون طالبين من الحكومة ان لا تحفل بطلب الماليين بل ان تحافظ على الشلالات لانها فخر اميركا وعجيبة العالم وقرة عين ملايين من الناس . ولكن المرجح ان اعتراضهم يذهب صيحة في وادٍ كما ذهب اعتراض الاثريين على بناء خزان اصوان ما دام المال غاية جميع الاشغال والاعمال

اكتشاف مهم في الجهاز العصبي

تمنح الجمعية الطبية الجراحية في لندن جائزة كل خمس سنوات لمن يتوصل الى اهم اكتشاف في الجهاز العصبي . وقد عرض الدكتور هد من مشاهير الجراحين اكتشافاً مهماً في ذلك فقال في خطبة القاها على الجمعية انهُ جرح زندهُ وقطع عصب الحس الذي فيها ففقد الحس ثم وصل العصب فعاد الحس الى سابق حالهِ وظهر لهُ في اثناء ذلك ان اعصاب الحس على نوعين مختلفين الواحد لنقل الشعور بالالم والبرد والحرارة وما اشبه ذلك والآخر لنقل الشعور باللمس وتعيين موضع الجسم الملموس وان شفاء المجروح يتوقف على النوع الاول

فكان لكلامهِ وقع حسن وعدَّ اكتشافهُ من اعظم الاكتشافات في علم الاعصاب ومُنح الجائزة

الماسة الكبرى

صورنا هذه الماسة ووصفناها في مقالة خاصة في هذا الجزء ثم اطلعنا على وصفها في مجلة العلم الاميركية ويظهر منهُ انها في حالتها الحاضرة طولها اربع بوصات وعرضها بوصتان ونصف وسمكها بوصتان ووزنها ٣٠٢٤ قيراطاً واربعة من وجوهها اصلية واربعة غير اصلية لانها كانت مضاعف ما هي الآن فانكسر نصفها من جهات مختلفة وبقي في اماكن الكسر اربعة وجوه صقيلة . وهي صافية اللون جدًّا بالنسبة الى كبر جرمها كثيرة المائية لونها ابيض ضارب الى الزرقة وقد سميت بماسة كولينان نسبة الى المستر كولينان رئيس شركة بريمير التي وجدت في مناجمها

التقاء الاسطولين

التقى الاسطولان الياباني والروسي في بوغاز كوريا ودار القتال بينهما ودام من صباح السبت في ٢٧ مايو الماضي الى صباح الاثنين في ٢٩ منهُ فانتصر اليابانيون انتصارًا

باهرًا ولم يخسروا سوى ثلاث نسافات في المعركة كلها على ما نقل البرق اما الروس فخسروا ٢٣ سفينة حربية بين مدرعة وطراد ونسافة غرقًا واسرًا وحمولة تلك السفن ١٥٣٤١١ طنًا وأُسر اثنان من اميراليتهم وهما روجستفنسكي قائد القسم الاكبر من الاسطول ونبوجاتوف قائد القسم الاصغر وقتل اميرال ثالث اسمهُ فلكرسام . وبات الامل شديدًا بعقد الصلح بعد هذا الانتصار الذي لم يروِ التاريخ لهُ مثيلاً

بارود قديم

بينما كان بعض العمال يحفرون في ساحة من ساحات مدينة سان مارتن دي ره بفرنسا عثروا على خنادق فيها هياكل بشرية يظن انها هياكل الجنود الفرنسوية التي قتلت في اثناء حصر الانكليز لتلك المدينة سنة ١٦٢٧ . ووجدوا بينها قنبلة حديد كروية في داخلها بارود اسود مبلَّل والظاهر ان الحاصرين اطلقوها فلم تنفجر . وقد جفف بعض البارود الذي فيها وأُدنيت النار منهُ فالتهب سريعًا . وحلّل بعضهُ فوجد انهُ يحتوي على ثلث من ملح البارود وثلث من الفحم وخُمس من الكبريت والباقي صدأ (اكسيد الحديد) تكوَّن من اتحاد الاكسجين بكرة الحديد. وهذا التركيب يماثل تركيب البارود الانكليزي القديم

صابون ضد السمّ

من المعلوم ان الصباغين والدهانين كثيرًا ما يتسمَّمون بالرصاص لوجوده في المركبات التي يستعملونها فان ايديهم تتلوث بهِ ومهما بالغوا في غسلها يبقى للرصاص اثر فيها وينتقل من ابدانهم الى افواههم عند الاكل والشرب والتدخين . والغسل بالصابون العادي قد يزيد الرصاص الذي يعلق بالايدي بدلاً من ان يزيلهُ . ولكن كيماويًا المانيًا اخترع نوعًا من الصابون اذا غسل الدهانون ايديهم بهِ بطل فعل الرصاص الذي يعلق بها وزال ضررهُ بتحويلهِ الى كبريتيد الرصاص وهذا غير سامٍ . ويمكن ابطال فعل النحاس والزئبق والزرنيخ ايضًا بهذا الصابون لسهولة تحولها الى كبريتيد الرصاص

هبة كارنجي للاساتذة

اذا نسبت الهبة الى كارنجي وجب ان تكون مناسبة لغناهُ وكرمهِ فقد وهب الآن مليوني جنيه دفعةً واحدة وجعل ريعها وقفًا لاساتذة المدارس الذين يمنعهم كبر سنهم او غيرهُ من العوارض الطبيعية عن مداومة اعمالهم وخصَّ بها اساتذة مدارس الولايات المتحدة الاميركية وكندا ونيوفوندلند التي ليست على نفقة الحكومة ولا هي تابعة لملة مخصوصة نصار اساتذة العلوم يشتغلون

مطمئنين من حيث المعيشة ماداموا في قيد الحياة

هدية من البيض

اهدى احد علماء الانكليز المشتغلين بعلم الحيوانات منذ مدة عشرة آلاف بيضة من بيض الحيوانات البيوضة المختلفة الى معرض الحيوانات في كنستن بانكلترا ثم عاد فاهدى اليهِ حديثاً عشرة آلاف بيضة اخرى فيها كثير من البيض النادر ومن ضمنها بيض جميع الزحافات و٣٠٠ بيضة من انواع طائر الكوكو المختلفة . ومما يزيد في قيمتها انهُ جمعها وجمع معها الحيوانات التي باضتها لتفقسها حين الحاجة

الڤياغراف

الڤياغراف آلة يعلم بها مقدار ما تلف من السكك . فانهُ وقع اختلاف منذ مدة بين المجلس البلدي في مدينة لندن وبين شركة رصف السكك فادّعت الشركة ان السكك التي رصفتها لم تتلف بالسرعة التي تلف بها غيرها واتت على اثبات ذلك بهذه الآلة وهي مثل مزلقة صغيرة تجر على الارض فتكتب من نفسها مقدار ما تجدهُ في طريقها من المرتفعات والمنخفضات في الميل مهما كانت تلك المرتفعات والمنخفضات طفيفة

جمود القمر

قرأ الفلكيان الفرنسويان لوي وبويزه مقالة على اكادمية العلوم الفرنسوية ذهبا فيها الى ان جمود القمر بدأ من سطحهِ نحو مركزهِ خلافاً لما يذهب اليهِ العلماء الانكليز . فاذا صح قولهما افضى الى انقلاب عظيم في كثير من المذاهب السائدة الآن وقد استدلا على ذلك من فحص الصور الفوتغرافية التي صنعاها في مرصد باريس لتنشر في اطلس القمر الجديد

جثة الاميرال بول جونس

بول جونس اميرال انكليزي ولد في اواسط القرن الثامن عشر وهاجر الى اميركا ومات في باريس سنة ١٧٩٢ ودفن فيها وارادت الولايات المتحدة نقل رفاتهِ اليها الآن فوجدت جثتهُ سليمة لم يتطرق الفساد اليها ولحمها طريٌّ ويظن ان السبب في ذلك غمسها في الكحول قبل دفنها وقد شرحت فوجدت آثار التدرن الذي مات بهِ

ميكروب السفلس

قال الدكتوران متشنيكوف ورو انهما استفردا ميكروب السفلس وهو طويل دقيق لولبي طولهُ من ٤ الى ١٤ جزءا من الف جزء من المليمتر وقطرهُ جزء من الف جزء ولذلك تعسر رؤيتهُ جدًّا . وقد شاهدهُ

الدكتوران بورده وجنجو في مستشفى باستور منذ ثلاث سنوات

تبييض الدقيق بالكهربائية

اكتُشفت طريقة جديدة لزيادة تبييض الدقيق بالكهربائية وعرضت انموذجات منهُ قبل تبييضهِ وبعدهُ على احد كبار الكيماويين لتحليلها فوجد ان الدقيق يفقد كثيرًا من نكهتهِ ورائحتهِ بعد تبييضهِ وسبب ذلك ان زيت القمح الذي يستمد الدقيق نكهتهُ منهُ ينحلُّ فتزيد حموضة الدقيق بذلك

سمُّ الكوبرا

كان الاعتقاد قبلاً ان سبب الموت في من تلدغهُ الافعى المعروفة بالكوبرا شلل مراكز التنفس ولكن ظهر من ابحاث الجرّاح اليوت من موظفي حكومة الهند ان السبب الاهم في الموت اشتداد ضغط الدم وهذا ناشئٌ عن تقلص الشرايين الدقيقة واعاقة الدورة الدموية عن سيرها

العجلة الخامسة للاوتوموبيل

صنعت عجلة خامسة للاوتوموبيل توضع بين العجلات الاربع وتديرها. اطارها مفضض حتى تمسك بالارض وتسير عليها ولو تعذَّر على الاوتوموبيل السير بغيرها وهي تفيد بنوع خاص حيث الطرق غير مستوية او حيث يستعمل الاوتوموبيل لنقل الاثقال

مخدّر جديد

اكتشف مخدّر جديد يستخرج من نبات ياباني وسمي "سكوبولامين" . فاذا حقن بهِ تحت الجلد عقبهُ سبات عميق يدوم تسع ساعات . ويقال انهُ افضل المخدرات للاعمال الجراحية ولا يعقب الحقن بهِ ردُّ فعل مضرّ

الراديوم وسم الافعى

ابان الاستاذ شفو في اكادمية العلوم بباريس انهُ اذا عرض سم الافعى لاشعة الراديوم خمسين ساعة او ستين زال فعلهُ السام منهُ

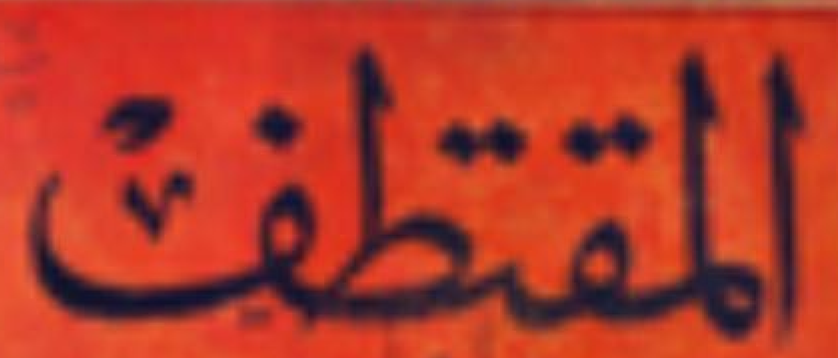
محسن مجهول

جاء في جريدة العلم الاميركية ان محسنًا اخفى اسمهُ بعث الى مدرسة كولمبيا الجامعة مئة الف جنيه لتبني بها دارًا جديدة للعلم . هكذا ليكن الكرم

الراديوب

الراديوب اسم جديد لجسم يتولّد في السائل الجلاتيني اذا فعل بهِ الراديوم وهذا الجسم نامٍ وهو ارقى من البلورات واحط من الميكروبات على ما يظهر ولعلهُ مبدأ الحياة

فهرس الجزء السادس من المجلد الثلاثين



December 1930

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٨ ربيع آخر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

خطبة الدكتور اليوت سمث في مدرسة القصر العيني الطبية في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٥

ان مرور الكولونل هريسن بستة من الاقزام الذين اتى بهم من ولاية الكنجو ارى كثيرين منا لاول مرة اناساً من شعب قرأنا عنهُ في القصص وفي ما كان يحسب اخباراً موضوعة من عهد المصريين الاقدمين . ولقد اهتمَّ كثيرون بامر هؤلاء الاقزام حتى خطر لي ان اتلو على مسامعكم بعض ما وقفت عليهِ من امرهم بعد البحث في كتب الذين ذكروهم و بعد ما رأيتهُ بنفسي فيهم

هؤلاء الاقزام ستة اربعة رجال وامرأتان والبالغون منهم ثلاثة فقط رجلان وامرأة اي انهم بلغوا السن الذي تبلغ فيهِ العظام اشدها ولا تعود تطول . ومتوسط طولهم كلهم اقل من متوسط طول الاقزام عادةً على ما عُرف حتى الآن ولعلَّ سبب ذلك عدم بلوغ الفريق الاكبر منهم . ويعرف العمر من الاسنان ومن تعظُّم العظام والدليل الاخير اي تعظُّم العظام اصحُّ من الدليل الاول وقد صار الاستدلال بهِ ممكناً الآن بعد اكتشاف تصوير العظام باشعة رنتجن . وتمكنت بفضل الدكتور ملتن من تصوير عظام ايادي هؤلاء الاقزام واذرعهم صورها لي الدكتور خياط في مستشفى فكتوريا . ويظهر من هذه الصور ان النمو لم يتم تماماً الّا في اثنين فقط واصغر الباقين ولد لا يزيد عمرهُ على اثنتي عشرة سنة او احدى عشرة سنة قياساً على اولاد الاوربيين وطولهُ ١,١٥٨ متر وثقلهُ ٤٩ رطلاً فقط ويليهِ شاب عمرهُ نحو سبع عشرة سنة وقد يكون اقل من ذلك سنة او سنتين ثم شاب آخر ليس اكبر منهُ كثيراً ولا يزيد عمرهُ على ثماني عشرة سنة واحدى المرأتين فتاة يُرجح لي ان عمرها اقل من عشرين سنة . ثم ان هذا التقدير مبني على القياس المعروف في اوربا بالنسبة الى عمر الاوربيين فاذا حسبناهُ بالنسبة الى عمر الاقزام وجب ان يكون عمرهم اقل من ذلك وعليهِ فلا غرابة اذا كان متوسط

طولهم وهو ١٫٣٠٥ متر اقل من متوسط طول الاقزام الذين قاسهم السر هري جنستن في بيتي وهو ١٫٤٥٢ متر

لكن الرجل البالغ والمرأة البالغة من هؤلاء الاقزام الستة اقصر من اقصر الرجال والنساء الذين قاسهم السر هري جنستن فان طول هذا الرجل ١٫٣٦٧ متر وطول المرأة ١٫٢٨٦ متر فهما قصيران جدًّا حتى بالنسبة الى الاقزام . ويؤيد ذلك ان احد رفاق الرجل اطول منهُ وهو لم يبلغ اشدهُ والمرأة الفتيَّة التي لم تبلغ عظامها حدها من النمو اطول من المرأة البالغة فان طولها ١٫٣٣٤ متر . غير ان السر وليم فلوَر قاس بعض الاقزام فوجد انهم اقصر من هؤلاء . ثم ان من يختار نفرًا من الاقزام ليأتي بهم الى اوربا لا يختار اطولهم بل اقصرهم كما لا يخفى . وقد ذكرت هذه الامور لكي نعلم كيف نبني حكمنا على شعب برمتهِ من النظر الى اشخاص قلائل اختاروا او اختيروا ليتغربوا عن اوطانهم

ولقد ظن البعض ان هذه اول مرة زار فيها الاقزام مصر او اوربا ولكن هذا الظن خطأ لان بعض ابناء جنسهم تقدموهم منذ عهد غير بعيد والمرجح ان كثيرين منهم وصلوا الى هذه البلدان في الازمان السالفة

فقد اكتشف الاستاذ شوينفرث اقزام اكًّا في بلاد منبتّو سنة ١٨٧٠ واخذ من ملكهم موزى ولدًا بدل كلب لكن هذا الولد مات في بربر وهو آتٍ بهِ الى مصر من اكلة معكرو في افرط فيها على ما اخبرني الاستاذ شوينفرث . ومما يجب ذكرهُ هنا ان الاستاذ شوينفرث لم يكن اول اوربي اكتشف اولئك الاقزام بل كشفهم اوربي آخر قبلهُ بقرنين فاعاد هو اكتشافهم

واول من ارسل الاقزام الى اوربا في ما اعلم هو مياني السائح الايطالي ولو قيل ان كثيرين اتوا بالاقزام قبلهُ فانهُ اقتفى خطوات شوينفرث الى بلاد منبتّو سنة ١٨٧٢ واتى منها بولدين لكي يجلبهما الى اوربا لكنهُ مات في اثناء الطريق وترك ما معهُ للجمعية الجغرافية الايطالية وفي جملتها القزمان فاتي بهما الى اوربا ولقيا فيها من المعاملة ما لقيهُ وسيلقاهُ هؤلاء الاقزام فقد كتب السر وليم فلوَر "انهُ لم يهتم العلماء باثنين من الشعوب المتوحشة قدر ما اهتموا بهما فقاسوهما وصوَّروهما في القاهرة اولاً ثم في اوربا وكتبوا عنهما ما يملأُ مكتبة وكان بين العلماء الكاتبين السر رتشرد أوِن في انكلترا وكورناليا ومنتغزا وجغليوني وزانتي في ايطاليا وبروكا وهامي وده كاترفاج في فرنسا" وقُدما الى الملك والملكة في ايطاليا وأُدخلا الى بيوت اعظم العظماء ثم جُعلا بين الغلمان في بيت الكونت منسكلشي في فِرونا بعد ان عُلّما ومات احدهما بالسل في فِرونا سنة ١٨٨٣ ودفن هناك ولم تفحص رمتهُ فحصًا علميًّا ولا اعلم ماذا جرى لاخيهِ

واتى روملوجسي من رجال غوردون باشا بابنة من اقزام اكَّا الى اوربا وكانت لا تزال في خدمة مدام جسي حتى سنة ١٨٨٨ وهذا آخر ما امكنني ان اعرفهُ عنها

ولا يخفى ان بعض الاقزام يسكنون الآن على مقربة من منابع النيل. ومن رأي اكثر علماء الانثروبولوجيا الذين بحثوا في هذا الموضوع بالتدقيق ان الاقزام كانوا اكثر انتشارًا في الازمنة الغابرة منهم الآن ولذلك يُرجَّح ان سكان وادي النيل القدماء سمعوا عن الاقزام او رأوهم في سفرهم الى الجهات الجنوبية . ولكن اذا ثبت ذلك ثبوتًا ينفي كل ريب لا يلزم عنهُ ان يكون كل ما ذُكر في تاريخ مصر عن القصار القامة يراد بهِ جنس الاقزام هذا لانهُ يولد اناس قصار القامة بين كل الشعوب وهم من النوادر ولذلك يعتني بهم اعتناء خاصًّا ويؤْتى بهم الى قصور الملوك والعظماء . فقد يعرض للولد احيانًا ما يعوق نمو جسمهِ كلهِ او بعضهِ في اوائل عمرهِ فيبلغ اشدهُ بحترًا صغير الجسم او مشوَّه الخلقة بعض جسمهِ كبير وبعضهُ صغير. والاقزام الذين من هذا النوع هم المصوَّرون في الصور والتماثيل المصرية القديمة كالقزم خنمهتبو في دار التحف المصرية . ولقد اخبرني الاستاذ مسبرو انهُ يظهر لهُ من البحث المدقق في كل الكتابات المصرية التي قيل انها تشير الى الاقزام ان ليس منها ما يشير الى جنس الاقزام هذا بل هي تشير الى المسوخ الذين قزَمهم توقُّف في النمو او تشوُّه في الخلقة

ولعلَّ اقدم اشارة الى الاقزام وردت في رسالة للاستاذ شياباريلي وصف بها قبرًا من قبور المصريين سنة ١٨٩٣ ومفاد ذلك " ان الى الجنوب من القطر المصري بلاد فنط وكان المصريون الاقدمون يعتقدون ان كل ما وراءها بلاد لا تعرف الَّا من القصص الخيالية وهي متوسطة بين العالم الذي يسكنهُ الناس والعالم الذي تسكنهُ الآلهة او النفوس والاخيلة وهذه البلاد يسكنها الدنجا وهم اقزام متوحشون في وجوههم من الغرابة وفي حركاتهم من مخالفة المألوف ما ذكَّر المصريين بالاله بس " . وكان يؤْتى ببعضهم الى بلاد فنط او الى الامامبو (قرب وادي حلفا) إِما اسرى حرب او بضاعة تجارة وكان جالبهم يغتني من جلبهم لان الفراعنة كانوا يغالون بالدنجا ويودون ان يكون عندهم منهم مهما بلغ ثمنهم لانهُ ليس امهر منهم في رقص الآلهة الرقص الذي كان الاله بس يرقصهُ في اويقات سرورهِ [1] فان رجلًا اسمهُ بيورديدي اتى الملك اسي من ملوك الدولة الخامسة بقزم من هؤلاء الاقزام اشتراهُ من بلاد فنط ولا يُعلم هل كان اول قزم دخل بلاط الفراعنة او تقدمهُ كثيرون قبلهُ. وقد ابدى

(١) ليقابل ذلك بما ذكرهُ السرهري جنستن عن بلاد اوغندا حيث وصف رقص اقزام الجبوت بما يشابه رقص الكهنة الذين يرقصون للاله بس

من الخفة والمهارة في الحركات والاشارات ما اذهل الناظرين وبقي ذكره في البلاد الى نحو مئة سنة بعد ذلك ". هذا ما قالهُ مسبرو في كتابهِ فجر العمران نقلاً عن شيابارلي وقال الاستاذ كين نقلاً عن شيابارلي ان رجلاً اسمهُ هروخف ارسلهُ الملك بيي من الدولة السادسة بعد ايام الملك امي بنحو سبعين سنة لكي يأتيهُ بقزم من الاقزام حيًّا من بلاد الاشجار الكبيرة في اقصى الجنوب . ويعلم من كتابة احدث من ذلك وجدت في الكرنك ان الدنجا كانوا يردون من الجنوب ومعنى هذا الكلمة الاقزام كما يظهر من التفصيل التالي لا الرجال الجاتر المشوهون الذين قصرت قامتهم لتوقُّف نموهم (انظر كتاب ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ صفحة ١١٨)

قال الاستاذ مسبرو ان الكلمة المصرية تعني الرُّجيل اي الرجل المشوه الخلقة الذي تبقى قامتهُ قصيرة لتوقف نموهِ . ولكن الرجال المشوهين لا يكونون شعباً ولا يعتنى بامرهم حتى يبقى ذكر الواحد منهم محفوظاً في البلاد نحو مئة سنة . والمشوهون يوجدون في كل بلاد وبين كل الشعوب ولم يخلُ منهم القطر المصري ومن المحتمل ان الكلمة المصرية التي يراد بها الرجيل المشوه أُطلقت على الاقزام لقصر قامتهم والاَّ فلا تفسر الاشارة الى شعب من الاقزام . ولكن الاستاذ مسبرو ذكر اعتراضاً آخر وهو ان الزمن الذي كان يقضيهِ المصريون القدماء في الذهاب الى بلاد هؤلاء الاقزام لا يكفي للوصول الى البلاد التي هم فيها الآن ولا يكفي الاَّ للوصول الى سواكن او ما يجاورها . فان كان الامر كذلك فبلاد الاقزام كانت تمتد شمالاً الى ابعد مما تمتد الآن والاَّ فلا معنى للخبر الذي قرأهُ شيابارلي

وذكر هيرودوتس المؤرخ بلاد الاقزام في خبر اوردهُ مفصلاً وقال انها على ضفتي نهر يجري من الغرب الى الشرق . وقد اخبرني المستر كريج رئيس جمعيتنا ان وصف هيرودوتس لا يصدق الاَّ على نهر السُّبَت [1] فاذا كانت بلاد الاقزام ايام هيرودوتس ممتدة الى نهر السبت فلا يبعد ان تكون في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ممتدة الى اكثر من ذلك شمالاً حتى تصل اليها الحملة التي اشرت اليها سابقاً

ولم تنجلِ المسألة حتى الآن انجلاء تامًّا ولكن الادلة تدل كلها على ان الاقزام الحقيقيين وصلوا الى مصر في اول فجر التاريخ

وفي هيكل الملكة هتسو (حتشبست) في الدير البحري صورة تمثل هذه الحملة الى بلاد

---

(١) [المقتطف] لعلَّ مرادهُ نهر النيل قبلما يصب فيهِ نهر السبت وهو المعروف ببحر العرب اما السبت نفسهُ فيجري من الشرق الى الغرب كما لا يخفى

الجنوب وفيها صورة ملكة فنط وهي قصيرة القامة عجزاء ربلاء رجراجة وقد بالغ النقاش في تصوير ضخامتها ولكن بقي في صورتها ما يدل على انها ليست من الجآذر المشوهي الخلقة وعلى ان الاقزام الضخام العجز بلغوا بلاد مصر في تلك العصور السحيقة من الجهات الجنوبية

ومن رأي الاستاذ كولمن ان اقزام افريقية بلغوا سواحل بحر الروم في العصور الخالية وقطعوا الى اوربا ايضاً ولا تزال عظامهم في المدافن الباقية من العصر الظرري الحديث في سويسرا وجنوبي اوربا . ولكنني كثيرًا ما وجدت في مدافن المصريين من كل العصور عظام اناس قصار القامة وهم من المصريين انفسهم كما تدل بقية الدلائل التشريحية وكثيرون منهم ليسوا اكبر جسماً من الاقزام الحقيقيين . واناس مثل هؤلاء يوجدون بين كل الشعوب ووجودهم لا يدل على وجود الاقزام الحقيقيين في العصور الغابرة لا في اوربا ولا في مصر لان اوصافهم الطبيعية لا تنطبق على اوصاف اقزام افريقية

ولقد قرأ كل احد عن الاقزام الذين ذكرهم هوميروس وارسطوطاليس وهيرودوتس وكتسياس وابلينيوس وبمبونيوس ملو وغيرهم من الكتّاب اليونان والرومان . فان كنا في ريب من ان الكتّاب المصريين الاقدمين كانوا يعرفون الاقزام الحقيقيين فلا محل للريب في ما قالهُ اولئك الكتاب الاوربيون واذا كانت القصة التي رواها هوميروس عن البجع والاقزام خرافة فما اوردهُ اراستثنيس الفيلسوف الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح لا يحتمل الريب . قالت لادي امهرست في كتابها "ملخص تاريخ مصر" ان البجع يقطع حتى يصل الى البحيرات التي بعد القطر المصري حيث منابع النيل وهناك يسكن الاقزام وليس في ذلك شيء من الخرافة بل هو الحق الصراح

واشار الكتّاب الاقدمون الى الحرب بين الاقزام والبجع وصوَّر ذلك المصورون على الكؤوس اليونانية . وقد وصف السر وليم فلور صورة من هذه الصور على كاس في مجموعة هوب ترى صور الاقزام فيها قصار القامة كبار الرؤوس وجوههم كوجوه الزنوج وشعرهم مفلفل

وقال ارسطوطاليس ان الاقزام يسكنون افريقية عند منابع النيل . وقال السر وليم فلور ان الخبر الذي ذكرهُ هيرودوتس في تاريخهِ مفصَّل مدقق ويظهر انهُ صحيح تماماً حتى يستحق ان يذكر برمتهِ (وهنا ذكر الخطيب الخبر الذي نقلناهُ عن هيرودوتس في الجزء الخامس الصادر في غرة مايو الماضي فلا حاجة الى اعادتهِ . واعاد ما قالهُ اولاً وهو ان وصف النهر الذي ذكرهُ هيرودوتس ينطبق على وصف السبت ولا شبهة في انهُ اراد النيل حيث يصب نهر السبت لان نهر السبت يجري من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق ثم قال)

واول من ذكر الاقزام في العصور الحديثة رجل انكليزي اسمهُ اندروبتل اقام قرب خط الاستواء ثماني عشرة سنة من ١٥٨٩ الى سنة ١٦٠٧ وقال في كتابهِ المطبوع سنة ١٦٢٥ " انهُ الى الشمال الشرقي من ماني كسوك شعب قصير القامة يسمى ماتمبا لا يزيد طول الواحد منهم على طول ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة ولكنهم ضخام على قصرهم ويعيشون على لحم الحيوانات التي يصطادونها من الحراج بالقوس والنشاب"

والَّف دبر كتاباً على بلاد الحبشة السفلى سنة ١٦٨٦ ذكر فيهِ شعباً من الاقزام سماهُ بكّا بكّا ولعلهُ شعب الاكّا الذي اعاد شوينفورث اكتشافهُ بعد قرنين

ولم يُلتفت الى تلك الاخبار حينئذٍ ولا في القرن التالي بل عدَّت من خرافات القصاصين وعُدَّ الاقزام المذكورون فيها من انواع القرود المشابهة للانسان ولكن من سنة ١٨٦١ فصاعداً صار السياح الضاربون في قلب افريقية يذكرون ما يتصل بهم من اخبار الاقزام . فذكر الدكتور توشار سنة ١٨٦١ والاميرال فلوريوده لانجل سنة ١٨٦٨ ما اتصل بهما من ان شعباً من الاقزام آخذ في الانقراض ووصف ده شليوسنة ١٨٦٧ اقزاماً رآهم في بلاد اشنجو بين نهر الجابون ونهر الكنجو . ولكن الذي وجه الانظار اكثر من غيرهِ الى الاقزام هو ستانلي في ما كتبهُ عن سياحتهِ الى قرب منعطف الكنجو حيث سمع عن الاقزام في وطوى . ووصف الدكتور ولف اقزام وطوى فقال انهم اقل سواداً من الزنوج ولا يزيد طول الواحد منهم على ١٫٤٠ متر ومتوسطهُ ١٫٣٠ متر

ثم كتب السر وليم فلور رسالة مسهبة عن عظام قزمين ارسلها امين باشا الى دار التحف البريطانية سنة ١٨٨٧ ووصف السر هري جنستن الاقزام في ما كتبهُ عن بلاد اوغندا

وقد لخصت اكثر ما ذكرتهُ في هذه الخلاصة عما كتبهُ الاستاذ شوينفورث والسر وليم فلوَر وفيهِ اهم الامور التاريخية عن الاقزام ولو اردت ان اذكر اسماء كل المقالات التي كُتبت عنهم لما وسعني الوقت المعين لهذه الخطبة

ولا حاجة بي الى وصف البلدان التي يقطنها الاقزام وانما اقول انهم غير محصورين في اواسط افريقية بل توجد شعوب منهم في شبه جزيرة ملقَّا وجزائر فيلبين وجاوى وغينيا الجديدة نسبتهم الى زنوج اسيا نسبة اقزام افريقية الى زنوجها . ويوجد ايضاً شعب من الاقزام في جزائر اندمان متوسط بين اقزام اسيا واقزام افريقية . وفدَّا سيلان واقزام الهند من فريق واحد وليس فيهم المميزات التي تجعل سائر الاقزام من فريق آخر

وفي افريقية شعبان او ثلاثة من الاقزام الاول البشمن في الجنوب الغربي من افريقية

والثاني الهوتنتوت وهم مزيج من البشمن والزنوج الذين يتكلمون لغة البنتو . والثالث الاقزام الذين في افريقية الاستوائية وبلادهم تمتد من اوغندا الى الاوقيانيوس الاتلنتيكي في منطقة عرضها ثلاث درجات عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً وفيها الاقزام الذين منهم هؤلاء الستة ولعلهم اصغر الشعوب قداً

ولا حاجة بي الى التطويل في وصف هيآتهم لان صورهم الفوتوغرافية والمظهرة امامكم بالفانوس السحري تغني عن ذلك وانما اوجه التفاتكم الى بروز الفكين وشدة فطس الانف حتى صارت ارنبتاهُ مثلهُ حجماً في بعضهم وارتفاع الجبهة وبروزها وفلفلة الشعر وتفرقهُ حزماً حزماً. وهذه الاوصاف كلها موجودة في الزنوج ولكنها موجودة على اشدها في الاقزام فهم متطرفون في الزنجية وسوادهم ضارب الى السمرة فلونهم بنيّ على نوع ما ولذلك فهم اقل سواداً من كثيرين من الزنوج . ولكن يظهر من هؤلاء الستة ان لونهم يختلف. وارى ان الكتّاب بالغوا في الفرق بين لون الاقزام ولون سائر الزنوج لان لون كثيرين من الزنوج مثل لون هؤلاء الاقزام ولو كان دم الزنوج غير ممتزج بدم الحاميين او الساميين . ولولا قصر قامة الاقزام لعدوا من الزنوج . وقد تسرّع البعض في تشبيه البشمن الصفر الالوان بالاقزام . نعم ان الشعبين يتشابهان في امور كثيرة وبينهما وبين الزنوج قرابة وفيهما كليهما القامة قصيرة والانف افطس والجبهة بارزة والشعر مفلفل . ويتشابهان ايضاً بنيةً ولكنهما يختلفان على ما قالهُ بعض الكتّاب في ان نساء الهوتنتوت كبار الكفل وليس كذلك نساء الاقزام . وقد اختلف الكتّاب في هذا الموضوع فقال اكثرهم ان نساء الاقزام لا يكنَّ كبار الكفل وقال غيرهم انهنَّ قد يكنَّ كباره . والفتاة من هاتين المرأتين كبيرة الكفل نوعاً كما ترون في الصورة . وبين البشمن والاقزام اختلاف واضح في اللون ولكن لون الاقزام ليس على درجة واحدة كما يظهر مما قالهُ السياح المختلفون . واذا صدَّقنا ما قالهُ ده شليه عن لون اقزام اشيرا انهُ اسمر فاتح فلون الاقزام متدرّج من الاسمر الغامق وهو لون اكثر الاقزام الى الاصفر وهو لون البشمن . واذا تركنا اللون والقد والتفتنا الى شكل العينين والانف وجدنا فرقاً بيّناً بين البشمن والاقزام . ولا يسعني الوقت للاسهاب في هذا الموضوع الصعب ولكن يظهر مما لدينا من الحقائق ان البشمن والاقزام كليهما بقية شعب من الزنوج كان يقطن الجانب الاكبر من افريقية ثم طردهم الزنوج الكبار القامة فالتجأ البشمن منهم الى قفار الجنوب الغربي من افريقية والاقزام الى حراج الانحاء الاستوائية ويرجح ان العنصر الزنجي تقوَّى في الاقزام بامتزاجهم بالقبائل التي حولهم فان واحداً من هؤلاء الرجال الاربعة وهو اكبرهم قداً اشبههم بالزنوج

واحدي المرأتين يختلف وجهها عن وجوه البقية و يشبه وجوه الاحباش حيث يكثر العنصر الحامي . ولذلك يرجّح ان هؤلاء الاقزام ليسوا من جنس صريح النسب بل من جنس امتزج بغيره من الشعور المحيطة بهِ

والرأي الشائع ان الاقزام اشبه بالقرود من اكثر الناس ولكن الادلة التي تؤيد ذلك قليلة جدًّا . فان شفاههم تشبه شفاه القرود المشابهة للبشر ولا سيما حينما يشربون لان شفاههم تبرز حينئذٍ كما تبرز شفتا الشمبانزي وهو يشرب. وهي ليست ضخمة مقلوبة كشفاه الزنوج بل طويلة رقيقة

وآذان الاقزام صغيرة في الغالب وتشبه آذان الاوربيين شكلاً وشحمتها صغيرة في هؤلاء الاقزام الستة ولا وجود لها في آذان القرود

وقد كتب كثيرون ان اجسام الاقزام مغطاة بالشعر ولكن ابدان هؤلاء الاقزام الستة ليس عليها من الشعر اكثر مما يكون على ابدان الاوربيين عادة ولا يستثنى من ذلك الاَّ الولد فلعلَّ الشعر الذي على بدنهِ اكثر مما على ابدان الاوربيين عادة

وابهام اقدامهم ليس مفصولاً عن سائر الاصابع اكثر مما هو مفصول في الزنوج ولا هم اقدر على الامساك باصابع اقدامهم اكثر من الفلاحين او غيرهم من الذين يمشون حفاة .ورؤوسهم اقصر من رؤوس الزنوج وصغيرة بالنسبة الى ابدانهم

ولم ينشر حتى الآن شيء عن تشريح ابدان الاقزام ولكن حدث منذ سنتين ان أُتي الى دار التشريح في مدرسة الطب هنا بجثتي زنجيتين صغيرتي القد جدًّا طول احداهما ٤٣٦,١ متر والاخرى اقصر منها ببضع مليمترات ولا يعلم اين وطنهما الاصلي وليس في جسميهما شيء من التشويه الذي يكون عادة في اجسام السودانيات وحجم اعضائهما وعظامهما وشكل رأسيهما ووجهيهما كل ذلك شبيه بما في الاقزام وفي بناء جسميهما ادلة كثيرة على انهما من جنس مختلط مما يقل وجودهُ في اجسام الناس عادة فدماغاهما صغيران جدًّا الكبرى منهما وعمرها نحو ٤٠ سنة وزن دماغها ٨٥٠ جراماً والصغرى وعمرها ٢٢ سنة بلغ وزن دماغها ٩٢٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة المصرية ١١٨٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة الاوربية نحو ١٢٨٠ جراماً على ما اظن. ودماغ الغورلاَّ قد يزيد على ٥٠٠ جرام ودماغ الرجل المزعوم وجودهُ بين الانسان والحيوان يبلغ ثقلهُ ثقل دماغ الكبرى من هاتين المرأتين . ولا شبهة ان لثقل الدماغ شأناً كبيرًا ولكن لا يخفى انهُ اذا صغر الجسم صغر الدماغ معهُ ايضاً واذا استثنينا الثقل فلا شيء في دماغيهما يقربهما من ادمغة القرود

وخلاصة القول ان زنوج افريقية شعب متطرف في الزنجية ولكنهُ ليس اشبه من الزنوج بالقرود

طول العمر

هل يعمّر الناس في هذا العصر اكثر مما كانوا يعمرون في العصور الغابرة . هذه مسألة يتعذر بت الحكم فيها وانما نعلم ان متوسط عمر الانسان زاد بزيادة اسباب العمران ولا يزال آخذاً في الزيادة الى الآن

وقد ظهر بالاستقراء ان الحد الطبيعي لعمر الحيوان يساوي خمسة اضعاف المدة اللازمة لتمام نمو هيكلهِ او تعظيمهِ وهي في الانسان ٢١ سنة وعليهِ فان الحد الطبيعي لعمر الانسان ١٠٥ سنين فكل انسان يمكنهُ ان يعيش مئة سنة لو عرف كيف يعيش. قال الاستاذ متشنيكوف ان الانسان يجب ان يعيش ١٢٠ سنة . وحسب السر رتشرد اون حد عمر الانسان ١٠٣ سنين وعدة اشهر ولذلك فقد صدق من قال ان كل الذين يموتون دون الثمانين وكثيرين من الذين يموتون دون التسعين وبعض الذين يموتون دون المئة والمئة والخامسة انما يموتون قبل اوانهم حتى ان احد الكتاب الفرنسويين قال " ان الناس لا يموتون حتف انوفهم بل ينتحرون "

ولقد كانت مسألة اطالة العمر شغل الانسان الشاغل فسعى سعياً متواصلاً ودأب ليل نهار في الاهتداء الى اكسير الحياة — شراب اذا بلَّ بهِ ريقهُ عاش مخلداً فكان تنقيبهُ عنهُ اعقم من تفتيشهِ عن حجر الفلاسفة وهو ذلك الحجر الموهوم الذي اذا مسَّ التراب بهِ تحول تبرًا او الحديد والرصاص غادرهما سبائك ذهب براقة . فقد ذُكر ان بونس دي ليون قضى عمرهُ يفتش عن " ينبوع الشبيبة " فوجد حتفهُ قبل ان يجدهُ . وان روجر باكون استحضر اكسيرًا مركبًا من الذهب والمرجان ولحم الافاعي والصبر وحصى اللبني وغيرها من المواد والعقاقير المختلفة الانواع اذا شربهُ الانسان عاش مدى الزمان. وقد قال بعضهم في وصف هذا المركب الغريب انهُ اذا شربهُ الانسان فأولى بهِ ان يوردهُ الموت الزؤَام لا ان يطيل عمرهُ الى آخر الايام

وكان اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور يعتقد فائدة الافيون وملح البارود . وقال اشمول الانكليزي مؤسس المتحف الاشمولي في اكسفورد " انني كنت اشرب جرعة من الاكسير واعلق ثلاث عناكب حول عنقي " فعل ذلك لاطالة عمرهِ فلم يزد عمرهُ على ٧٥ سنة ولكنهُ كان يعتقد ان الوصفة المذكورة كانت تخفف اوصابهُ وتزيل آلامهُ . وعاش كونت مونتلوزيية عمرًا طويلاً وكان يسكن قصرًا جعل جناحيهِ زريبتين للبقر تسع الواحدة ٣٠

بقرة فكان نفس هذه البهائم يملأ القصر على سعتهِ وفخامتهِ" ويطيبهُ بروائحهِ العطرية ويحسن صحة ساكنيهِ" على ما كان الكونت يقول

ومن الاوهام القديمة ان مساكنة الصغار سنًا تفعل بالكبار فعل السحر ولا سيما اذا استنشق الكبار على الدوام نفس الصغار فان ذلك ينعش قواهم ويبعث النشاط في عزائمهم الخائرة واعظم منهُ عائدة ادخال دم الصغار الى عروق الشيوخ

ويحكى ان القديس انطونيوس بلغ المئة والخامسة من العمر وكان يسكن كهفًا في الجبال ويقتات بالخبز المبلول بالماء ولم يبدل لباسهُ ليلاً ولا نهارًا ولم يغتسل الاَّ مكرهًا ولم يتزوج . ويحكى عن رجل فرنسوي اسمهُ شفرول انهُ عاش اكثر من قرن في باريس فتمرس باسمى ضروب الحضارة والرفاه فيها وكان شديد التأنق في أكلهِ يتألف طعامهُ صباحًا من بيضتين وقطعة من لحم الدجاج ورطل من اللبن والقهوة . وغداؤهُ من شوربة التبيوكا والجبن والكستلاته والعنب . وكان يشرب على الغداء ثلاث زجاجات ماء ولم يأكل قط سمكاً ولا شرب خمرًا . الاَّ ان رجلاً انكليزيًا عاش ١١٦ سنة وكان شديد الولع بالعرق يكثر شربهُ ولم يشرب الماء

والذي ينظر في اوصاف المعمرين وعاداتهم المختلفة التي لا ضابط لها يحار في ذلك ولا يهتدي الى حقيقة . فمنهم من قضى السنين الطوال يشرب اللبن دون غيرهِ . ومنهم من افرط في شرب المشروبات الكحولية . وعاشت امرأة ١١٦ سنة وكان معظم طعامها الزبدة والخضر . واخرى عاشت ١١٠ سنين قضت ٣٠ سنة منها لا تكاد تأكل فيها سوى البطاطس وبلغ رجل سن المئة والخمسين وكان مولعًا بأكل بيض الدجاج الجديد

هذا من حيث الطعام واما من حيث الزواج وعلاقتهُ بطول العمر فقد ثبت ان معظم المعمرين كانوا متزوجين . وكثيرين منهم تزوجوا مرارًا ومنهم من تزوج بعد المئة مرتين وثلاثاً

وغالب المعمرين قصار القامة وممن شذَّ عن هذه القاعدة السر موسي مونتفيوري فانهُ جاز المئة وكان طولهُ ست اقدام وثلاث عقد

ومهما يكن من التناقض في اوصاف المعمرين وعاداتهم فالثابت ان الاعتدال في الاكل والشرب والاقلال من المشروبات الكحولية ما امكن خير قاعدة يعوَّل عليها في هذا الباب . قال تشارلس دكنس مؤلف الروايات الشهير عند الانكليز " ان الزمان لا ينتظر احدًا ولا يتشدد لمخلوق في مسيرهِ الاَّ الذين أحسنوا مقابلتهُ ومعاملتهُ " . ومن راي الاستاذ متشنيكوف ان شرب اللبن المختمر (الرائب) يوميًا خير الوسائل لاطالة العمر . ورايهُ هذا

مبنيٌّ على المذهب القائل بوجود مكروبات نافعة لا ضارة فقط فاذا عُززت المكروبات النافعة التي في الدم صدّت جيوش المكروبات الضارة التي تشنّ الغارات على الجسم وتفتك بهِ

ومثل وصفة متشنيكوف وصفة الدكتور برون سيكارد الذي عاش ٧٦ سنة وجرّب في نفسهِ تجارب كثيرة بعد ان كان خائر القوى واهن الجسم وكان يعتقد انهُ يمكن اطالة العمر بحقن الجسم من مركب مخصوص ولكن العلم لا يعوّل على رايهِ

على ان احكم الحكماء الذين غالبوا الموت فغلبوهُ بعض الغلبة لويجي كورنارو الايطالي وقاعدتهُ هي ان كلَّ انسان يجب ان يكون طبيب نفسهِ وقد جرى كثيرون على هذه القاعدة فنجحوا منهم رجل من كبار الاميركيين عمّر وشهد بفضلها فقال "لقد استفدت من وصفة كورنارو كثيرًا واني مقتنع ان كل من يجري عليها يعيش طويلاً ويقضي العمر سعيدًا. نعم ان الكتب ملأى بما اكتشفهُ رجال العلم من الاكتشافات المختلفة لاطالة العمر وهناء المعيشة ولكن السرَّ الذي باح لنا كورنارو بهِ ابسط الاسرار واسهلها"

ومما يزيد قاعدة كورنارو قيمة انهُ عمل بما علَّم بهِ فعاش ١٠٣ سنين وكان قد قضى ايام الشباب باللهو والقصف والخلاعة والافراط في الأكل والشرب حتى اذا بلغ الخامسة والثلاثين بات جلدًا منشورًا على عظام بينهُ وبين الموت خطوة ولكنهُ جمع جيش عزيمتهِ وجعل يداوي نفسهُ بنفسهِ ففاز وكان فوزهُ مبينًا بدليل انهُ كتب آخر مقالة عن حسن المعيشة وهو ابن خمس وتسعين سنة

واهمُّ ما شدَّد الوصية بهِ الاعتدال فقد وجد بعد تجارب كثيرة انهُ يكفيهِ كلَّ يوم اكل ١٢ اوقية من الطعام الجامد وشرب ١٤ اوقية من السائل فلم يكن يأكل درهمًا واحدًا يزيد عليها ووضع القاعدة الآتية بهذا الصدد وهي "من اراد ان يأكل كثيرًا فليأكل قليلاً"

ولم يقصر وصيتهُ على الاكل بل اوصى بالمحافظة على المبادىء الصحية الاخرى فقال "اني اجتنبت الامور المضرة كالبرد والحرّ الشديدين والتعب الكثير والسهر الطويل والهواء الفاسد. فانهُ وان تكن قوة الصحة تتوقف في الاكثر على نسبة الطعام والشراب الَّا ان الامور المذكورة تؤثر تأثيرها. وكنت أنبذ الحقد والسوداء وغيرها من العواطف النفسانية التي تقلق العقل وتتسلط على الجسم. ولكني لم استطع تجنبها على الدوام بل كانت تنتابني من آن الى آن فأفادتني وتعلمت منها الحكمة الآتية وهي ان العواطف النفسانية قلما تؤثر في الجسم الذي انتظمت وظائفهُ بالطعام المعتدل. وعليهِ اقول ان الذين يتناولون كميات متناسبة من الطعام والشراب قلما يضرُّهم الافراط في الملذات الاخرى".

هذا وان قواعد العلم الحديث كلّها تؤيد ما قالهُ كورنارو من وجوب الاعتدال ونبذ الهموم والغموم . فان الذي يروم ان يعيش مئة عام يجب ان لا يبالغ في الاهتمام بمستقبلهِ وبمشاغل هذه الحياة وشؤُونها لان الافراط في الاهتمام مثل التفريط فيهِ — كلاهما قاتل لصاحبهِ وخير الامور الوسط

ومن اشهر اتباع كورنارو هوراس فلتشر الاميركي فانهُ قام ينادي بوجوب انبساط النفس وانشراح الصدر لاطالة الحياة . وكان لم يبلغ الخامسة والاربعين من عمرهِ حتى وجد نفسهُ مصاباً بثلاثة ادواء عضالة ولم تقبل شركة من شركات التأمين على الحياة ان تنظمهُ في سلك مشتركيها . فعمد الى المداواة بالاكل والشرب وجعل يأكل و يشرب اقل مما يظنهُ الانسان كافياً لقوامهِ عادة حتى شفي وصار يستطيع ركوب الدراجة مسافة مئتي ميل في اليوم بعد ان شرع في معالجة نفسهِ بخمس سنوات . واضاف قانوناً آخر مهمّاً الى قوانين اطالة العمر وهو " امضغ طعامك سواء كان جامداً او سائلاً كاللبن والشاي والقهوة والخمر والشوربة وسائر ما لهُ طعم " ويريد بالمضغ هنا اللوك وادارة ما في الفم باللسان حتى يزول طعمهُ و يبلع في آنٍ معاً . وفلسفة ذلك ان اللعاب يمتزج بالطعام في الفم و يساعد على هضمهِ . وفلتشر هذا لا يزال حيّاً يرزق ولا يزال امامهُ مراحل كثيرة قبل مرحلة المئة ولكنهُ شديد الأمل ببلوغها سالماً معافى

وخلاصة القول ليجتنب الانسان الافراط في كلّ شيء وليراعِ العادات القديمة وليقتبس عادات جديدة حسنة وليتنفس الهواء النقي وليكن طعامهُ ومزاجهُ متلائمين وليجتنب الادوية ما امكن اجتنابها وليكن قانعاً مسروراً مطمئن البال — يعش مئة عام وهو لا يملّ من الثواء اذا لم تفاجئهُ طارئة تصرم حبل اجلهِ قبل الاوان

ومما يذكر في هذا الصدد ان " المجلة الكبرى " الانكليزية بعثت تسأل جماعة من مشاهير المعمرين عن سرّ طول اعمارهم فجاءتها اجوبة من البعض ومعظمهم من غير المدخنين وقد نشرناها في عدد ماضٍ . ثم جاءتها مقالة بقلم كاتب قضى زماناً طويلاً يجمع الاحصاءات في هذا الموضوع وهاك ملخصها قال

مماَّ يحسن الانتباه لهُ ان قسماً كبيراً من المعمّرين الذين أُحصوا الى الآن انما هم من النساء ومعظمهنّ من اللواتي تشبثن بعادة التدخين كلّ التشبث . واغرب من ذلك انهُ يتبين من الاحصاء الذي عندي ان مئة رجل ورجلاً من المعمرين الذين ماتوا وذكروا فيهِ كانوا من الذين تشبثوا بعادة التدخين ولم يطلقها منهم الاَّ منيتهم

اما النساء فمنهنَّ امرأة اسمها سارة ثوماس لقيها الملك ادورد ذات يوم وكان وليَّ العهد حينئذٍ وكانت هي في المئة والسابعة من عمرها فأُعجب بها واعطاها شلينًا عن كل عام . وقد اعترفت انها كانت مولعة بشرب الدخان . ومنهنَّ امرأة من المكسيك اعتادت التدخين منذ كانت بنت عشر سنين فجاوزت المئة وكانت تقول انها اذا لم تدخن هاجت اعصابها وكثر قلقها . واخرى كانت تدخن مرة كل ساعتين وهي في المئة والسادسة من عمرها

ومعظم المعمرين والمعمرات من الفقراء الذين يعملون في الخلاء ويعيشون عيشة الزهد والبساطة وخصوصًا في طعامهم وشرابهم . ومن العلماء من يقول انهُ اذا عُني المرء باختيار طعامهِ امكنهُ ان يعيش ثلاث مئة سنة . وحجتهم في ذلك ان الشيخوخة نتيجة جفاف العظام وكلٌّ من يروم التعمير يجب عليهِ ان يمتنع عن اكل الاطعمة التي تجفف العظام . قال احد اطباء الانكليز ان سبب الشيخوخة رسوب موادّ ترابية في الجسم اخصّها كربونات الجير وفصفاتهُ وامتزاجها بالمواد الاخرى . ففي زمن الشباب تخرج هذه المواد من المعدة وتدخل الدم ثم يفرزها الجسم الى الخارج واما في الشيخوخة فيمتصها الجسم وتصير جزءًا منهُ . وأثبت دشامبر الفرنسوي احد مشاهير علماء التشريح ان الموت نتيجة جفاف العظام فان جمجمة الطفل لينة وعظام الشيخ سريعة الانقصاف ولا تلتحم اذا انقصفت . وقدّر ان تصلُّب العظام في الاحوال الطبيعية لا يبلغ الحدّ الذي يحدث الموت عندهُ حتى بين التسعين والمئة . ووصف الطبيب الانكليزي المشار اليهِ آنفًا امورًا شتّى لمقاومة جفاف العظام او تصلبها فأشار بأكل الاثمار لقلة ما فيها من النتروجين واكل السمك ولحم الضان والعجل والدجاج دون غيرها لكثرة الحامض الفصفوريك فيها وشرب ثلاث زجاجات كلّ يوم من الماء المقطر وفي كل زجاجة عشر نقط الى خمس عشرة نقطة من الحامض الفصفوريك وان يقطّر الماء الذي يشربهُ الشيوخ لان في الماء موادّ تعجل تصلّب العظام

وقد أبان بعضهم ان متوسط عمر الانسان زاد عمّا كان عليهِ فيما مضى ولا يزال على ازدياد . ففي القرن السابع عشر كان متوسط العمر ١٣ سنة فزاد في القرن الثامن عشر حتى صار ٢٠ سنة وكان الناس يعدون ابن ٥٠ سنة فيهِ شيخًا همًّا . اما في ايامنا فان متوسط العمر يبلغ في البلاد الانكليزية ٣٦ سنة . وقد ظهر من بعض الاحصاءات فيها ان ١٠٠ نفس من كلّ الف نفس يبلغون سنّ الخامسة والسبعين و ٣٨ سنّ الخامسة والثمانين و ٢ سنة الخامسة والتسعين . وان رجلًا واحدًا من كلّ ٤٠٠٠ يبلغ المئة وان قلة وفيات الاطفال هي السبب الاعظم في زيادة متوسط الاعمار

هذا وقد ظهر طبيب الماني حديثاً والقى خطبة على كلية الطب الامبراطورية في برلين قال فيها انهُ اذا فحصت اعضاء الجسم فحصاً دقيقاً باشعة اكس (اشعة رنتجن) أمكن تعيين العمر على وجه التقريب وبعبارة اخرى ان بين طول العمر وحجم الاعضاء المختلفة علاقة كبيرة فكلما كان القلب والرئتان والجهاز الهضمي والدماغ كاملة في تركيبها كان عمر صاحبها اطول وبالقياس الدقيق يعرف متى يحين اجلهُ . الا ان هناك شواذ كثيرة لهذه القاعدة منها ان رجلاً عاش ١١٥ سنة وكان محيط صدرهِ ٥٧ سنتمترًا على حين ان محيط صدر الرجل العادي ١٠٠ سنتمتر او نحو ذلك . وكانت احدى رئتيهِ مريضة وتزوج خمس مرات ورزق ٤٩ ولداً ونبتت اسنانهُ ثانيةً وهو ابن مئة واخذ شعرهُ يسودُّ وهو ابن ١١٠ . فمن من الاطباء والحالة هذه كان يقدّر لهُ هذا العمر الطويل

القطران وما يستخرج منهُ

من نواميس الكون العامة عدم التلاشي اي ان الاجسام المادية لا تتلاشى ولا تضمحلّ بل تتحول من صورة الى اخرى فنقطة الماء التي يمطرها السحاب على اديم الصحراء تغور في الارض ويزول اثرها وتتلاشى ظاهرًا ولكنها في الحقيقة تتحوَّل بخارًا يتصاعد الى الجوّ حيث يتكاثف سحاباً والسحاب ينعقد نقط ماء بينها النقطة التي نحن بصددها . وجرزة العشب التي يلتقمها الثور في مرعاهُ يمضغها وتهضمها معدتهُ وتمتصها امعاؤُهُ ويتمثل جسمهُ بعضها ويقذف بالبعض الآخر الى الخارج فتتلاشى ظاهرًا وتتحول في الحقيقة من حال الى حال وما يفرزهُ الثور منها في مرعاهُ تتغذى بهِ جرزة اخرى فكأن الجرزة الاولى انتجت جرزة ثانية من نوعها فلم تتلاشَ ولم تضمحل . وما بقي في جسمهِ منها يصير بعضهُ لحماً وبعضهُ غازات تخرج من جسمهِ وتعود كلها اخيرًا الى الارض التي أُخذت منها . والسيجارة التي تدخنها تأكلها النار فلا يبقى منها غير الرماد والرماد يتطاير كالهباء المنثور فلا يثبت لهُ اثر حتى تظنها اضمحلت ولكنّ علماء الكيمياء يقولون لك انها لم تتلاشَ بالاحتراق بل انحلّت الى عناصرها المختلفة وبقيت في هذه الارض ولم يتلاشَ منها شيءٌ ويؤيدون قولهم هذا بوزن عناصرها التي انحلت اليها باحتراقها فيروك انها مثل السيجارة قبل تدخينها ثقلاً بل زادت بما امتزج بها من عناصر الهواء

فكأن عناصر هذا الكون وموادهُ المتنوعة في دوران مستمرّ تنتقل فيهِ من طور الى طور وتتبدَّل من شكل الى شكل — تحيا فتموت ثم تبعث حية وهلمَّ جرًّا ويسخّر الانسان بعضها في

ادوارها المختلفة لقضاء حاجاتهِ المختلفة ولا يبعد ان يجيء يوم يتمكن فيهِ من استخدامها جميعها في تلك الادوار لقضاء هذه الحاجة او تلك فلا يتلف شيء ولا يضيع شيء سدًى . فقد اهتدى على مرّ الزمن الى فائدة الزبل والرماد والخرق البالية وما اشبه من المواد التي كانت تحسب في بدء امرها نفايات مضى زمن نفعها وباتت لانفع منها فاستخدم الزبل لتسميد ارضهِ والرماد لاستخراج الصودا والبوتاس وللزراعة ايضاً والخرق لعمل الورق

وكلَّ يوم نسمع خبر اكتشافٍ جديد من هذا القبيل ومن اهم هذه الاكتشافات استخدام قطران الفحم الحجري وهو ما يتبقى من الفحم الحجري بعد ما يستخرج الغاز منهُ . فقد كانت شركات الغاز تحار في امرهِ ولا تهتدي الى فائدتهِ فتستأجر العمال لنقلهِ من ارضهِ وطرحهِ خارجاً . اما الآن فانهم يستخرجون منهُ كثيرًا من العقاقير الطبية والاصباغ والحوامض والزيوت والعطور وغيرها مما لا يستغني الناس عنهُ في شؤونهم اليومية ومعايشهم

والسبب في كثرة هذه المستخرجات كثرة المواد التي يتألف القطران منها فانها تزيد على المئة عدًّا . ومعظمها مركبات كربونية واكثر مواد هذا الكون الآلية مركبات كربونية اي نتيجة اتحاد الكربون بالهيدروجين او الاكسجين او النتروجين على نسب مختلفة وتراتيب متنوعة . فاجسامنا مركبات كربونية وكذلك طعامنا وشرابنا ولباسنا وكلُّ ما فيهِ حياة او قابلٌ للحياة مركَّبٌ من مركبات الكربون

اما ما يستخرج من الفحم الحجري عند تقطيرهِ الاول فاربع موادّ مختلفة وهي غاز وسائلٌ وقطران ونفاية تستعمل وقودًا وهي الكوك المعروف . ويستخرج من السائل الامونيا ومركبات الامونيا من كبريتات وكلوريد وكربونات . واهم هذه النفايات القطران وهو اذا ترك على حالهِ يستعمل طلاء للورق واللباد لسقف المنازل وتبطينها بهما . واذا مزج بمثل ثقلهِ من الجير الراوي او سمنت بورتلند فمن ذلك طلاءٌ (فرنيش) يطلى بهِ الخشب فلا ينفذهُ الحامض ولا الماء . اغلِ الحجر فيهِ فلا يعود الازميل يخدشهُ ويمكن عمل حبر الطباعة منهُ ولهُ دخل عظيم في صناعة احذية الكاوتشوك

واذا قطّر القطران على نار خفيفة خرجت منهُ الزيوت التي هي اخفُّ من الماء مثل التولوين والبنزين واشباههما والزيوت التي هي اثقل من الماء مثل النفتالين والانتراسين . والبنزين المذكور هنا غير البنزين المعروف الذي تنظف الملابس بهِ فان هذا يقطّر من زيت البترول

وتصنع من النفتالين كرات صغيرة توضع بين الملابس لطرد العثّ منها . والحامض

كربوليك يستخرج من الزيوت الثقيلة التي تقطر من القطران ولا يخفى انهُ من احسن مبادات الفساد واشهرها .

واذا أضفت الى البنزين الذي نحن بصددهِ شيئاً من الحامض النتريك خرج منهُ زيت الصناعي وهو زيت رائحتهُ كرائحة زيت اللوز المر يطيَّب الصابون بهِ ويضاف الى دهان الاحذية والى اشياء اخرى كثيرة اخفاء لماهيتها برائحتهِ

واستخرج بعض علماء الالمان من زيت المر منذ نحو سبعين سنة مادة تشبه النيل في جوهرها سميت انيلين من أنيل وهو محرَّف اسم النيل بالعربية . ولكن هذا الاستنباط لم يفد شيئاً حتى قام رجل انكليزي اسمهُ بركن سنة ١٨٥٦ وحاول عمل الكينا الصناعية من الانيلين علماً منهُ ان بين الكينا والانيلين قرابة ليست ببعيدة فلم يُفلح في ذلك ولكنهُ اكتشف مادة اخرى غير التي كان يفتش عنها . والقصة التي يروونها في هذا الصدد لطيفة وهي ان بركن قضى ذات يوم يقلّب ويجرّب ويعدّ ويحسب فلم يهتدِ الى شيءٍ فتناول نفاية تجاربهِ وصبَّها كلّها في اناء واسع ووضعهُ في شباك غرفتهِ ثم ألقى بنفسهِ على كرسيهِ كاسف البال لاخفاق تجاربهِ . وحانت منهُ التفاتة الى الاناء بعد ذلك فرأى مادة ارجوانية اللون تبصّ كأنها جوهرة وكان هذا بدء اختراع الانيلين. ولكن القصة غير صحيحة من حيث ظهور المادة الارجوانية والحقيقة انهُ اخذ الراسب واستخرج المادة المطلوبة بعد عناء كثير

ووُجد فيما بعد ان جوهر الانيلين الذي يستخرج من قطران الفحم الحجري يمكن ان يصير احمر اللون او بنفسجياً او ارجوانياً . وفي سنة ١٨٦٨ شرع بعض كيماويي الالمان يجربون التجارب لاستخراج جوهر الصبغ الذي في نبات الفوة ففازوا بمرادهم وكان نبات الفوة يزرع بكثرة في بلدان اوربا الجنوبية حتى بلغ ثمن ما بيع منهُ في السنة السابقة للاكتشاف المذكور نحو مليون وربع من الجنيهات فهبط سنة ١٨٩٣ الى ٦ آلاف جنيه وانقرضت بذلك زراعة الفوة

هذا ولما كان انيلين النيل وانيلين قطران الفحم الحجري واحداً في جوهرهما وكان الثاني ارخص من الاول اخذ يحلّ محلَّهُ ولولا عناية الحكومة الانكليزية بنبات النيل وخوفها ان تخرب بيوت ملايين من فلاحي الهنود اذا بارت سوقهُ وأُبطل زرعهُ لأصابهُ ما اصاب الفوة قبلهُ

ومن المواد النافعة المستخرجة من القطران الانتيبارين والفناسيتين اللذان يوصفان للصداع والسلفونال او التريونال او الهيبنون وغيرها من العقاقير المتنوعة التي تتناول لعلاج الارق والحامض السليسيليك الذي يوصف للروماتزم وغيرهِ

ومن الزيوت الخفيفة المستقطرة من القطران التولوين يستخرج منهُ مسحوق حلاوتهُ ثلاث مئة ضعف السكر يسمى السكارين وهو يفضل السكر العادي من وجوه كثيرة فان السكر العادي كثيرًا ما يحدث مغصاً في الاطفال الذين يرضعون من الرضاعة وغيرهم ممن يشرب القهوة المحلاة بالسكر لاختماره في معدهم فاذا حلي اللبن والقهوة وغيرهما بالسكارين لم يحدث شيء من ذلك لان السكارين لا يحمض ولا يختمر كالسكر. والمعرضون لمرض البول السكري يعتمدون عليهِ في تحلية طعامهم

ويستخرج من القطران انواع كثيرة من العطور كالمسك الصناعي وثمن الرطل منهُ نحو ٥٠ جنيهًا وعطر الخزام والفانلا وما اشبه

وخلاصة القول ان هذه المادة السوداء اللزجة اكثر مواد الكون اختلاطاً في تركيبها وتعددًا في عناصرها واجسامنا وجميع ما يتعلق بها من مأكل وملبس مشابهة للقطران ومشتقاتهِ

تاريخ محمد علي باشا

حال القطر قبل توليتهِ

وعدنا في الجزء الماضي ان نبسط الكلام على حال القطر المصري قبلما تولاهُ محمد علي باشا وفي مدة ولايتهِ وبعدها اظهارًا لما لهُ فيهِ من المآثر وانجازًا لذلك نقول

انتهى احتلال الفرنسويين للقطر المصري بعد ان اقاموا فيهِ نحو ثلاث سنوات فقد وصلت طلائع جيشهم الى الاسكندرية في اول يوليو سنة ١٧٩٨ واقلعوا منها في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ وكانت تلك السنوات الثلاث سنوات حروب وثورات ومع ذلك استتبَّ لعلمائهم ان يبحثوا في جغرافية البلاد وآثارها وزراعتها وصناعتها ويؤلفوا في ذلك من الكتب ما لم يؤلَّف مثلهُ لا قبلهُ ولا بعدهُ واستتبَّ لجنودهم ان يضعفوا شوكة المماليك حتى صار اذلالهم امرًا ميسورًا ولرجال الادارة منهم ان ينظموا حال البلاد ويجروا فيها من العدل ما كان اجراؤهُ ممكناً مع شدة التحريض عليهم من كل جهة

قال الجبرتي عند ذكرهِ محاكمة الذي قتل الجنرال كلابر انهُ ذكرها على ركاكة لغتها لانها " تتضمَّن خبر المرافعة وكيفية المحاكمة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكِّمون العقل ولا يدينون بدين وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل افاقي اهوج وغدرهُ وقبضوا عليهِ وقرروهُ ولم يعجلوا بقتلهِ وقتل مَن اخبر عنهم بمجرَّد الاقرار

بعد ان عثروا عليهِ ووجدوا معهُ آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم واميرهم بل رتّبوا محكمة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليهِ السؤَال والاستفهام مرةً بالقول ومرة بالعقوبة ثم احضروا مَن اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفّذوا الحكم فيهم بما اقتضاهُ التحكيم واطلقوا مصطفى افندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمهُ حكم ولم يتوجه عليهِ قصاص كما يفهم جميع ذلك من المسطور بخلاف ما رأيناهُ بعد ذلك من افعال اوباش العساكر الذين يدَّعون الاسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الانفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرَّد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضهُ بعدُ "

وقال بعيد ذلك واصفاً الديوان الذي رتبهُ الجنرال منو لادارة الاحكام "وفيهِ (اي في جمادى الثانية سنة ١٢١٥) شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الاول من تسعة معممين لا غير وليس فيهم قبطي ولا وجاقلي ولا شامي وليس فيهِ خصوصي ولا عمومي بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤَساء وهم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتب السر والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبهُ والشيخ موسى السرسي والشيخ خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسيب ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم افندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس نخر الشامي والوكيل فوريه ويقال لهُ مدير سياسة الاحكام الشرعية . وعينوا عشر جلسات في كل شهر واعدوا للمترجمين والكتبة الفرنسوية مكاناً خاصاً يجلسون فيهِ في غير وقت الديوان لترجمة اوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا ايضاً بجانبها داراً نفذوها اليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر واخذوا يرتبون انفاراً من تجار المسلمين والنصارى يجلسون فيها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كلهِ فوريه ... ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة اربعة عشر الف فضة في كل شهر وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء "

وكان الساري عسكر وهو الجنرال منو قد اعتنق الاسلام ويظهر مما كان يخاطب بهِ اهل مصر انهُ كان يبذل اقصى الجهد لجعلهم يحبون النظام وينظمون احوال البلاد من كل وجه وقد احصى المواليد والوافيات والزيجات وضبط الاملاك "حتى يتسَّر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف وينقطع الخلف والخصام بين الورثة " . وهذه الفقرة منقولة عن كتاب طويل كتب بهِ الى مشايخ الديوان رداً على تهنئتهم لهُ بمولود رُزق بهِ من زوجتهِ ابنة الرشيدي

وقد استهله بالبسملة والشهادة فقال "بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله من عبد الله جاك منو ساري عسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنسوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى حضرة المشايخ والعلماء اهالي الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ادام الله فضائلهم" وختمه بقوله "اننا نشكر فضلكم على ما اظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدي السيد سليمان مراد جاك منو فنطلب من الله سبحانه وتعالى واسأله كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ان يجود علي به زماناً مديداً وان يكون للعدل محباً وللاستقامة والحق مكرماً وفي وعده صادقاً وان لا يكون من اهل الطمع"

وسواء كان الجنرال منو مخلصاً في اسلامه او غير مخلص وسواء عبر هذا الكتاب عما يخالج ضميره حقيقة او عما يخالج ضمير كاتبه له فلا شبهة في ان تكرير النصح والارشاد على الصورة التي فيه يؤثر في النفوس الا اذا كانت خالية من جراثيم الفضائل . ولم يكن الجبرتي متشيعاً للفرنسويين ولا مغضياً عن زلاتهم بل ذكرها واسهب فيها نخطأ هدمهم لكثير من المنازل لكي يبنوا من انقاضها الاسوار والاستحكامات ويتسع معهم مجال الهجوم والدفاع . وتغريمهم الناس بالاموال الباهظة لدفع النفقات الكثيرة التي كانت لازمة لهم واغراءهم النساء المصريات بالجري على عادات نسائهم قال "انه لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشمير والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسقنها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة فمالت اليهم نفوس اهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهن وكان ذلك التداخل اولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في اخفائه فلما وقعت الفتنة الاخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في اهلها واخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزيوهن بزي نسائهم واجروهن على طريقتهن في كامل الاحوال نخلع اكثرهن نقاب الحياء بالكلية ... وخطب الكثير منهم بنات الاعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم فيظهر حال العقد الاسلام وينطق بالشهادتين . وصار مع حكام الاخطاط منهم النساء المسلمات متزيات بزيهم ومشين معهم في الاخطاط للنظر في امور الرعية والاحكام العادية والامر والنهي وتمشي المرأة بنفسها او معها بعض اترابها واضيافها وامامها القواسة والخدم وبايديهم العصي يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن في الاحكام

"ولما اوفى النيل اذرعه ودخل الماء في الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من

تبرُّج النساء واختلاطهنَّ بالفرنسيس ومصاحبتهم لهنَّ في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل وعليهنَّ الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب "

وخلاصة القول ان الجبرتي لم يترك للفرنسويين شائبة الاَّ ذكرها مصوراً اياها بالصورة التي رآها فيها لكنهُ كان نقاداً منصفاً على حسب ما كان يتراءى لهُ فشهد لهم بعدل الاحكام كما شهد على غيرهم بالجور والعسف وعلى كثيرين من اهالي مصر بانهم لم ينفكوا عن مكاتبة اعداء الفرنسويين وتحيُّن الفرص للايقاع بهم او اخذهم الامور بالهزل والسخافة

ويظهر لنا انهُ لولا انكلترا لكانت مصر الآن بلداً فرنسوياً كسائر الولايات الفرنسوية لكن انكلترا عاونت الباب العالي على استرجاع الديار المصرية ثم تركتها لهُ لا لانها كانت تعجز عن البقاء فيها كما بقيت في الهند ولا لانها كانت تعلم ان العثمانيين اصلح لادارتها من الفرنسويين بل لانها كانت تظن ان مصلحتها تقتضي بقاء هذه الديار جزءا من السلطنة العثمانية. وقد انفقت على استرجاعها اموالاً طائلة فان ما انفقتهُ الهند وحدها في هذا السبيل بلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات وجاءت الجنود العثمانية بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم لمعاونة الانكليز على ذلك وكانت مؤلفة من الانكشارية والارنؤود ومحمد علي في قيادة فرقة من الارنؤود

ولما رأى الفرنسويون ان لا قبل لهم بمناوأة الانكليز والعثمانيين بعد ان قطع الانكليز سد ابي قير وحصروا الجنرال منو في الاسكندرية ومنعوهُ من نجدة جنود القاهرة صالحوهم على الخروج من القاهرة بكل ما لهم من مال ومتاع وتعهد الانكليز ان يقدموا لهم الركائب براً والمراكب بحراً لايصالهم الى فرنسا. ولما خرجت الجنود الفرنسوية من القاهرة عجب الانكليز من كثرة عددهم وعددهم واستعظموا الفوز الذين فازوا بهِ بأخذ المدينة من غير قتال. وتم عقد الصلح في القاهرة في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ واشترط فيهِ ان يخرج الفرنسويون منها في مدة خمسين يوماً ويمضوا الى رشيد ويقلعوا من هناك الى بلادهم بسفن يعدها لهم الانكليز ويجوز لكل احد من اهل مصر ومن سكانها ان يذهب معهم ويقدم لهم الانكليز كل ما يحتاجون اليهِ من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب. ويبقى جرحاهم في مصر ليعالجوا فيها الى ان يشفوا وينفق عليهم العثمانيون

ولم يكد الفرنسويون يخرجون من القاهرة حتى حلت فيها الفوضى وفعل العثمانيون المنكرات. ذكر الجبرتي " ان شخصاً من العسكر شرب شربة من عرق السوس ولم يدفع ثمنها فكلم صاحبها القلق الانكشاري فاحضرهُ وامرهُ بدفع ثمنها ونهرهُ واراد ضربهُ فاخرج العسكري الطبنجة وضرب القلق فقتلهُ وهرب الى حارة الجوانية ودخل الدار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص

على كل من قصده فقتل خمسة ومرّ شخصان من الارنؤود بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم ارنؤوديًّا من جنسهما فلما اعياهم امره حرقوا عليه الدار فخرج هاربًا فقبضوا عليه وقتلوه وقُتل تسعة اشخاص في شربة عرق سوس. ووقع في ذلك اليوم ايضًا ان شخصين من القليونجية دخلا دار رجل نصراني فاخذا منها بقجتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخرّاهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا امره الى القلق فامر بالقبض على العسكريين فتخلصا وهربا بعد ان جُرح احدهما فاخذوا الشخصين المسخرين وقطعوا رأسيهما ظلمًا وعدوانًا وذلك من مبادىء قبائحهم... وكثر اشتغال العسكر بالبيع والشراء وتسلطوا على الناس بطلب الكلَف ورتبوا على السوّاقة وارباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوي ويحتكرون مايريدون من الاصناف ويبيعونها باغلى الاثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالاذية لادنى سبب وتعرّضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون اهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لاطفهم الساكن واعطاهم داره تركوه وان عاندهم سبوه وضربوه ولو عظيمًا وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال له ألا تستحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وانقذوكم من الكفار. والقلقات والانكشارية الذين دخلوا حارات النصارى كلفوهم اضعاف ما كلفوا به المسلمين. ويأتي الشخص من العسكر ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعي ضياع كيسه او سقوط شيء منه ويبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهرًا وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم انهم حضروا اليهم بأوامر اما لرفع الظلم عنهم او ما يبتدعونه من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغًا عظيمًا ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلَف الفاحشة ويخطفون الاغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط به العلم. او يركب العسكري حمار المكاري قهرًا ويخرج به الى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعه في ساحة الحمير وتسلطوا على الناس بالسب والشتم وجعلوهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك وتمنى اكثر الناس وخصوصًا الفلاحين احكام الفرنسوية " انتهى باختصار

واكثر الجبرتي من مثل هذا الكلام والظاهر ان طابع كتابه حذف منه اشياء كثيرة من هذا القبيل. ومع ذلك رأى هؤلاء الجنود المؤمنون واهالي مصر عمومًا ان الفرنسويين الكفار قد نجسوا ارض مصر فارادوا ان يطهروها من آثارهم " فاحضروا ابنة الشيخ البكري وكانت

ممن تبرَّج مع الفرنسيس وسألوها عما كانت تفعلهُ فقالت اني تبت عن ذلك فقالوا لوالدها ما تقول انت فقال اقول اني بريء منها فكسروا رقبتها " واحضروا امرأة تسمَّى هوى كانت تزوجت رجلاً اسمهُ نقولا القبطان ثم هربت وعادت الى زوجها الاول فاستأذن الوزير في قتلها فاذن لهُ نخنقها في ذلك اليوم ومعها جاريتها البيضاء ام ولدهِ وقتلوا ايضاً امرأتين من اشباههن". ومن هذا القبيل ان الوزير كان يذهب الى الجامع ويحضر الجمعة وهذان الفعلان اي قتل بعض النساء والذهاب الى الجامع كفيا لتطهير البلاد من الكفار. اما اعمال الانكشارية وغيرهم من الجنود العثمانية واطلاق العنان للماليك في الصعيد وسلب اموال العباد بما لا يحصى من الاساليب كل ذلك مما يُغتفَر لان الجنود مؤمنون جاؤوا لانقاذ اخوانهم من الكفار

ثم ارسلت الجنود العثمانية الى الصعيد للايقاع بالماليك واستئصال شأفتهم لكن اهالي البلاد نفروا منهم على ما قالهُ الجبرتي " لما رأوهُ فيهم من الظلم والفجور والعنف باهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعي لنفور اهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية " اي الماليك

ولما ضاق الامر بالماليك كتبوا الى والي مصر ما ملخصهُ نقلاً عن الجبرتي " ان الارض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وانهم في طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وابلوا بالفرنسوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت فاما ان تعطونا جهة نتعيَّش فيها او ترسلوا لنا اهلنا وعيالنا وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز او تعينوا لنا جهة نقيم فيها نحو خمسة اشهر مسافة ما نخاطب الدولة في امرنا ويرجع الينا الجواب ونعمل بمقتضى ذلك فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق في رقابكم لا رقابنا "

فاجيبوا باعطاء الامان لجميع الامراء المصرلية وانهم يحضرون الى مصر ويقيمون فيها ولهم ما يرضيهم ما عدا ابرهيم بك الالفي وعثمان بك البرديسي وابا دياب فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان ليتوجهوا اليهِ فيعطيهم مناصب وولايات كما يحبون وان لم يرضوا فليأخذوا اقطاع اسنا ويقيموا فيهِ. ولما وصلهم هذا الجواب وقرأوهُ في ديوانهم وعساكرهم مصطفة حولهم ينادقها تكلم الالفي وقال للرسل " اما قولكم نذهب الى اسلامبول وتقابل السلطان ينعم علينا فهذا مما لا يمكن وان كان مرادهُ ان ينعم علينا فاننا في بلادهِ وانعامهُ لا يتقيَّد بحضورنا بين يديهِ واما بقية اخواننا فهم بالخيار ان شاءوا اقاموا معنا والاَّ ذهبوا وكل انسان امير نفسهِ واما كون

حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا فلا يكفينا هذا وانما يكفينا من اسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجه فان لم يرضوا بذلك فان الارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله ما يكفينا ومن اتى الينا حاربناه حتى يكون من امرنا ما يكون"

وكانت المصيبة بالمماليك مزدوجة على اهل القطر فهم يظلمون الناس حيث حلوا ويسلبون ما عندهم والجنود التي ترسل لمحاربتهم تفعل فعلهم او تزيد حتى بلغ انين الاهالي عنان السماء وحاول الانكليز انقاذهم من الجور مراراً ولكن ليس جملة

هذا ولنعد الى ذكر الحوادث التاريخية المهمة مع ما يتصل بها من الامور الاجتماعية فنقول: ان الجنرال منو حاصر في الاسكندرية ولم يسلم وقتما سلمت القاهرة ولكنه اضطر اخيراً الى التسليم فسلّم في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٠١ واقلعت الجنود الفرنسوية من الاسكندرية في ١٨ سبتمبر بكل ما لهم من اتباع ومتاع وبلغ عددهم احد عشر الفاً عدا الذين اقلعوا من رشيد من حامية القاهرة وقد انفق الانكليز النفقات الطائلة في هذه الحملة على غير جدوى لان السرهنري سمث كان قد عقد معاهدة مع الفرنسويين في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على ان يخرجوا من القطر المصري كما خرجوا منه الآن وهي المعروفة بمعاهدة العريش ولكن الحكومة الانكليزية ابت التصديق عليها ثم عادت الى التصديق على مثلها تماماً بعد ما مر عشرون شهراً وخسرت الملايين الكثيرة من اموالها والالوف من رجالها وقائد الحملة كلها وهو الجنرال ابركرمبي الذي قتل امام الاسكندرية

وخرج الفرنسويون من الديار المصرية كما تقدم ثم تبعهم الانكليز وبقيت البلاد في يد العثمانيين وكانت الدولة قد ولّت عليها والياً اسمه محمد باشا خسرو فوصلها في اوائل سنة ١٨٠٢ ودخل القاهرة في ١٧ رمضان سنة ١٢١٦ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٠٢ ولم يفعل من الافعال التي ترضي الاهالي الا حضوره الجمعة وزيارته الاضرحة واكثاره من الباس الفراء للذين يريد اصطناعهم او تملقهم اما سيره في سياسة البلاد فيدل على جهل مطبق وميل الى ارهاق الناس بكل واسطة ممكنة ولو كان نفعه منها قليلاً مثال ذلك اغراؤه اهالي العاصمة برفع التراب والانقاض من امام منزله قال الجبرتي "واحضروا قوائم ارباب الحرف التي كتبت ايام الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور فاول ما بدأوا بالنصارى الاقباط فحضروا يتقدمهم رؤساؤهم جرجس الجوهري وواصف وفلتوس فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم طائفة كذلك ولما انقضت طوائف الاقباط حضر النصارى الشوام والاروام ثم طلبوا ارباب الحرف من المسلمين وبعد ان يفرغوا من العمل ويؤذن لهم في الذهاب يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار

باشا برسم البقشيش للطبالين والزمارين واذا حضرت طائفة ولم تقدم بين يديها هدية اوجعالة طوَّلوا عليها المدة واتعبوها واستحثوها . فاجتمع على الناس عشرة اشياء من الرذالة وهي السخرة والعونة واجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء وتعطيل المعاش واجرة الحمام" (للتنظيف من الوسخ)

وكان يحاول احياناً التكفير عن ذنوبهِ بزيارة جامع او ضريح وتفريق شيء من المال او الحنطة على طلبة العلم الاَّ ان الجبرتي لم يغترَّ بذلك بل قال فيهِ

وانها خطراتٌ من وساوسهِ يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

واخيرًا قام الارنؤُود عليهِ باغراء محمد علي وحصروهُ في دارهِ وحرقوها عليهِ وكانت اكبر دور مصر كما سيجيء فخرج منها وهرب بحاشيتهِ وعزوتهِ من الجند بعد ان اقام في الولاية سنة وثلاثة اشهر وواحدًا وعشرين يومًا وكان على ما قال الجبرتي "سيء التدبير لا يحسن التصرُّف يحب سفك الدماء ولا يتروَّى في ذلك ولا يضع شيئًا في محلهِ يتكرَّم على مَن لا يستحق ويبخل على من يستحق وفي آخر مدتهِ داخلهُ الغرور وطاوع قرناء السوء المحدقين بهِ والتفت الى المظالم والفرد على الناس فانقذ الله منهُ عبادهُ وسلَّط عليهِ جندهُ فخرج مرغوماً مقهورًا على هذه الصورة ولم يزل في سيرهِ الى ان نزل بقليوب بعد الغروب فعشَّاهُ الشواربي شيخ قليوب ثم سار ليلاً الى دجوة فانزل الحريم والاثقال في ثلاث مراكب وسار هو الى جهة بنها ومنها الى دمياط وغالب جماعتهِ تخلفوا عنهُ بمصر وكذلك الكتخدا وديوان افندي والخازندار والسلحدار"

وفي ١٤ محرم سنة ١٢١٨ اجتمع المشايخ والقاضي ورؤَساء الجند بايعاز محمد علي وولَّوا عليهم رجلاً من الارنؤُود اسمهُ طاهر باشا او جعلوهُ قائمقاماً الى ان تأْتيهُ الولاية من الاستانة لكن الانكشارية نقموا عليهِ لانهُ مال الى الارنؤُود وهجموا عليهِ وقتلوهُ بعد ان قام في الولاية ستة وعشرين يومًا. قال الجبرتي "ولو طال عمرهُ اكثر من ذلك لاهلك الحرث والنسل وكان بهِ هوس وانسلاب وميل للمسلوبين والمجاذيب والدراويش وعمل لهُ خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيرًا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معهُ"

وكان احمد باشا والي المدينة المنورة في مصر فرغب الناس في توليتهِ عليهم فعارضهم محمد علي في ذلك فجمع احمد باشا المشايخ وطلب منهم ان يجمعوا الرعية ويأْمروهم بالخروج على الارنؤُود وقتلهم وكان محمد علي والارنؤُود رجالهُ في القلعة فجعلوا يطلقون المدافع على بيت احمد باشا فاخذ امرهُ في الانحلال وكان المماليك قد حضروا الى امام مصر والظاهر انهم ما لأُوا الارنؤُود على الفتك بالانكشارية وبكل مَن ناوأَهم فارسلوا الى احمد باشا ليخرج من

المدينة فتركهُ من كان معهُ من اعيان العثمانية وذهبوا الى محمد علي والتجأوا اليهِ وخرج احمد باشا في حالة شنيعة واتباعهُ مشاة بين يديهِ وعند ما خرج من البيت دخلهُ الارنؤود ونهبوا جميع ما فيهِ وكانت مدة ولايتهِ يوماً وليلةً . والتجأ الدفتر دار وكتخدابك الى محمد علي فاذن لهما في الذهاب الى بيتيهما ثم هجم الارنؤود عليهما وقتلوهما

وولت الدولة وزيراً اسمهُ علي باشا الطرابلسي فاتى الى الاسكندرية وكتب الى امراء المماليك يعلمهم بوصولهِ ويخبرهم انهُ وُلّي على الاقطار المصرية من الاسكندرية الى اصوان وقال لهم في آخر كتابهِ كان الواجب ان لا تدخلوا المدينة (القاهرة) الاّ باذن من الدولة فان سيف السلطنة طويل وربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم . فكتبوا اليهِ جواباً قالوا فيهِ . " انهُ لما كان محمد باشا متولياً بذلنا الجهد في استرحامهِ وهو لا يزيد معنا الاّ قسوةً ولا يسمح لنا بالاقامة في القطر المصري جملة وجرَّد علينا التجاريد من كل جهة وكان الله ينصرنا عليهِ في كل مرة الى ان حصل بينهُ وبين عساكرهِ وحشة بسبب علوفاتهم فقاموا عليهِ وحاربوهُ واخرجوهُ من مصر بمعونة طاهر باشا ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلتهُ ظلماً وقامت العساكر بعضها على بعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا فلما قُتل بقيت المدينة رعيةً من غير راعٍ وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم فحضر الينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فارسلنا من عندنا من ضبط العساكر وامَّن المدينة والرعية . واما محمد باشا فانهُ نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرَّد عليهم الفرد الشاقة فتوجه عثمان بك البرديسي لتأمين اهالي القرى الى ان وصل الى ظاهر دمياط فاقام بمن معهُ خارج المدينة فما شعر الاّ ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوهُ ونصرهم الله عليهِ فانهزمت عساكرهُ وقبض عليهِ . وهو الآن عندنا في الاعزاز والاكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو . واما قولكم اننا نخرج من مصر فهذا لا يكون ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من اوطانهم واما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فاننا لا نستعين الاّ بالله وقد ارسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجَّى الرضا ونحن منتظرون الجواب "

وتلكأ علي باشا عن الحضور الى مصر وارسل الى المماليك يخبرهم برضا الدولة عنهم بشفاعة الصدر الاعظم يوسف باشا وشفاعتهِ هو وان يقيموا بارض مصر اين شاؤوا وقطع لكل امير منهم خمسة عشر كيساً فسروا بذلك ولكنهم عرفوا بعد حين انهُ عازم على الغدر بهم فخادعوهُ هم والانؤود حتى جاء مصر واخبروهُ بما اطلعوا عليهِ من امرهِ وطردوهُ وقتلوهُ في اثناء الطريق

هو وحاشيتهُ وكان يحمل كفنهُ معهُ فنادى واحداً قبل ان اسلم الروح وقال لهُ بعرضك يا فلان ان معي كفناً داخل الخرج فكفني بهِ وادفني ولا تتركني مرمياً · قال الجبرتي وكان ذلك نتيجة "سوء سريرتهِ وخبث ضميرهِ فلقد بلغنا انهُ قال لعسكرهِ ان بلغت مرادي من الامراء المصريين (المماليك) وظفرت بالارنؤود ابحت لكم المدينة والرعية ثلاثة ايام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعلهُ بالاسكندرية مدة اقامتهِ بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في اموالهم وبضائعهم وتسلط عساكرهِ عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيلهُ لاهل العلم واهانتهُ لهم حتى انهُ كان يسمي الشيخ محمد المسيري الذي هو اجل مذكور في الثغر بالمزوّر اذا دخل عليهِ مع امثالهِ"

ولا ندري هل ما رواهُ الجبرتي عنهُ كان صحيحاً او مختلقاً عليهِ فقد قال بُعَيْد ذلك "ان محمد علي حرَّش العساكر على محمد باشا خسرو وازال دولتهُ واوقع بهِ بمعونة طاهر باشا والارنؤود ثم استعان بالاتراك على طاهر باشا حتى اوقع بهِ ايضاً وظهر امر احمد باشا وعرف (اي محمد علي) انهُ اذا تمَّ لهُ الامر ونما امر الاتراك لا يبقون عليهِ فعاجلهُ وازالهُ بمعونة الامراء المصرية (المماليك) واستقرَّ معهم حتى اوقع بالاشتراك معهم بالدفتردار والكتخدا ثم حاربوا محمد باشا بدمياط واخذوهُ اسيراً واحتالوا على علي باشا الطرابلسي واوقعوهُ في فخهم وقتلوهُ كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً للبرديسي (من امراء المماليك) فانهُ تآخى معهُ وجرح كلٌّ منهما نفسهُ ولحس من دم الآخر واغترَّ بهِ البرديسي وصدقهُ واصطفاهُ وفعل بمعونتهِ ما فعل بالالفي الكبير واتباعهِ وشرَّدهم وقص جناحيهِ بيدهِ"

فان محمد بك الالفي الكبير وهو اعظم امراء المماليك ذهب الى البلاد الانكليزية فاكرمهُ الانكليز وردوهُ بالهدايا والتحف الكثيرة فحسدهُ سائر المماليك واضمروا لهُ السوء فاضطر ان يهرب من وجههم في البلاد ويختبئ في نجوع العرب وسلبوا كل ماجاء بهِ من البلاد الانكليزية والظاهر من كلام الجبرتي ان المماليك فعلوا ذلك باغراء محمد علي

ثم ان محمد علي انقلب على المماليك واطلق محمد باشا خسرو الوالي الاسبق وانضمَّ اليهِ وطرد المماليك من القاهرة وضواحيها بعد ان نكل بهم ونهب عسكرهُ اموالهم وبيوتهم وامتعتهم وسبوا حريهم وسراريهم وجواريهم واتصل اذاهم بالاهالي فخربوا بيوتاً كثيرة ونهبوا ما كان فيها ولم يطل الامر على محمد باشا خسرو حتى خُذل وجاء احمد باشا خورشيد من الاسكندرية وقوبل بالترحاب وجاءتهُ بشارة في ١٧ محرم سنة ١٢١٩ بتقليدهِ ولاية الديار المصرية ونصرهُ محمد علي في اول الامر ثم مضى الى الوجه القبلي لمنازلة المماليك فاستدعى احمد باشا جنوداً من

الدلاة لكي يعيدوهُ على محمد علي وجنوده الارنؤد وكأنهُ اوجس منهُ ومنهم شرًّا فلما وصل الدلاة الى مصر عاد محمد علي اليها حالاً فامرهُ احمد باشا بالعودة الى الصعيد لقتال المماليك فقال انهُ انما اتى في طلب العلائف

وجاء حينئذٍ قاصد من اسلامبول وعلى يدهِ تقليد لمحمد علي بولاية جدة فابى محمد علي الصعود الى القلعة ووقع الاتفاق على ان احمد باشا ينزل الى بيت سعيد آغا ويخلع عليهِ هناك خلعة ولاية جدة فلما حضر وحضر محمد علي وتقلد ولاية جدة وخرج يريد الركوب ثار عليهِ الجنود وطلبوا علائفهم فقال لهم هوذا الباشا عندكم وركب وذهب الى دارهِ بالازبكية وصار ينثر الذهب في طول الطريق فمضى الجنود الى احمد باشا ومنعوهُ من الركوب فوعدهم خيرًا وطلب الاموال الطائلة من الاهالي وارسل الدلاة الى قليوب لينهبوها فركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع معهم كثيرون من الرؤساء والعظماء وذهبوا الى محمد علي وقالوا لهُ اننا لا نريد احمد باشا حاكمًا علينا ولا بد من عزلهِ من الولاية فقال ومن تريدون واليًا قالوا لا نرضى الأ بك فتكون واليًا علينا بشروطنا لما توسمناهُ فيك من العدالة والخير فامتنع اولاً ثم رضي واحضروا لهُ كركًا وعليهِ قفطان وقام اليهِ السيد عمر والشيخ الشرقاوي فالبساهُ ونادوا بهِ واليًا على الديار المصرية وكان ذلك عصر الاثنين في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ للهجرة الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

ولم يستتب الامر لمحمد علي حالاً لان انصار احمد باشا كانوا كثارًا وكانت القلعة في يدهِ ووقع الجدال بين بعض انصارهِ وبين الذين ولوا محمد علي فقالوا لهم كيف تعزلون مَن ولاّهُ السلطان عليكم وقد قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. فقالوا لهم "ان اولي الامر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونهُ ويخلعونهُ"

والظاهر ان الباب العالي رضي بما فعلهُ المصريون فبعث بفرمان التولية الى محمد علي من ٢٠ ربيع الاول ولُقب فيهِ بمحمد علي باشا والي جدة سابقًا ووالي مصر حالاً وأُمر احمد باشا بالنزول الى الاسكندرية حتى يأتيهُ امر بالتوجه الى بعض الولايات

ولا تكاد تجد في الجبرتي ولا في غيرهِ من التواريخ العربية سوى ذكر الحروب والمظالم والمغارم لكن يؤخذ مما بين ذلك ما يدلُّ على ان الناس لم يتركوا زرعهم وعلى ان التجارة كانت رائجة بعض الرواج ولا سيما مع الشرق الاقصى ولولا الحروب والثورات لنال القطر المصري من ذلك ثروة وافرة جدًا فقد نهب العرب مرة قافلة التجار الواصلة من السويس

وكان فيها اربعة آلاف جمل حاملة من البن والبهار والقماش . وتغدَّى احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عندهُ نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفهُ هدية فيها بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول لهُ ولكبار اتباعهِ

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن البضائع المنهوبة والمسلوبة ان التجارة كانت متصلة مع اليمن والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات

وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولاسيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالفي الذي حرق لما كان فيهِ خسرو باشا فقد قيل انهُ كان في كواهُ الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كلهُ بالبسط الرومية والفرش الفاخر وفيهِ الستائر والموائد المزركشة وطاولات المراتب كلها مقصبات

هذا وسيأتي الكلام على ما اجراهُ محمد علي في هذا القطر مدة ولايتهِ

هل يسود السلام

لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الاَّ سمعنا لهُ بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعود منهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنةٌ طبيعية لايمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام . وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كلّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم . فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّى بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلَّح استهزاءً . وكأنهُ قُدّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فيما بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبي مكرهاً او مختاراً وحكَّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان

وليس يخافى انهُ ان كان ابطال الحروب ميسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لها تتعلَّم العظات والعبَر من حربهما . ولكن "وفي الساعة الظلماء يُفتقد البدرُ" فان البحث دائر الآن على عقد

الصلح بينهما وكفّ اذى الحرب عنهما بعد ان غالتهما اغوالها . هذا بوجه خاص . وبوجه عام قام الكتّاب من كلّ حدب وصوب يعيدون الكرّة ويبحثون في ما اذا كان تأييد السلام امرًا ممكنًا وفي مقدمتهم مجلة انكليزية اسمها "مجلة لندن" فانها ارسلت السؤال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعوَّل على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليهِ وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حلم في المنام لا يمكن تحقيقهُ" ثم اوردت الاجوبة التي جاءتها او استنتجتها من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهل احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا يفوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية. ولكنهُ لم يكد يتسنَّم العرش حتى اشتهر بين القاصي والداني ميلهُ الى السلام وسعيهُ في اثره فلقب بملك السلام . وانهُ وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التمدن الحديث مهما جرَّت من الويل والدمار الَّا انهُ يعلم ايضًا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقريب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليهِ سياستهُ الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضًا . وقد باح برأيهِ منذ عدة اشهر في رسالتهِ التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتمدنة ايضًا تقريب اليوم الذي يسود فيهِ العالم كلهُ سلام العدل على ان من السلام ضروبًا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها . فقد قام في العالم نفر من الظلَّام الغاشمين حولوا جنائن الناضرة مفاوز قاحلة وسمّوا عملهم سلامًا ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطرهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابهُ احجموا احجام الانذال عن القيام بما يجب عليهم لما فيهِ من انكار النفس وحاولوا ستر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسموا ذلك حب السلام . فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبهُ ظلم الظالم وضعف الضعيف كما نجتنب الحرب الجائرة

اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأمن كل امة في ظلهِ على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل بهِ . والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنافرا او اختصما فان الولاء يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجتنبهما"

اللورد افبري (السرجون لُبك) العالم الانكليزي الشهير

كتب يقول " ان املي بسيادة السلام العام ضعيف جدًّا . فاننا نحن انفسنا شر قدوة للغير بزيادة نفقاتنا البحرية والبرية زيادة بالغة "

السر هنري فولر

وهو احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة . وقد كتب يقول :

" ان تقرير السلام العام بحل اسباب النزاع والخصام بين الامم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المنال جدًّا . واعتقد انهُ لابدَّ ان يجيء يوم تفض الامم فيهِ ما بينها من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد . على ان الخطى التي خطتها امتنا وغيرها من الامم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام "

السر فردريك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقاً . وقد كتب جواباً اشار فيهِ الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قالهُ فيها يقولهُ الآن ايضاً . وهاك بعض ما جاء فيها :—

" يظن الناس عموماً ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعاوى الافراد وبالتالي انهُ يمكن فض ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك . فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فتحل بتعيين حَكَم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكمهُ كما جرى في كثير من مسائل الحدود ممَّا لو وقع النزاع عليهِ في العصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيهِ الى السيف

ولكن هناك اسباباً اخرى للنزاع والخلاف تنشأ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادَّعت دولة محاربة على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد . فدعوى مثل هذه لا تحل في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية

ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور . والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معاً بحيث يتألف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة . فهذا الاتفاق او الخوف منهُ منع كثيراً من الحروب الصغيرة ولكنهُ قلما نجح في حرب مع دولة قوية تستفز بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظاً لتوازن القوات

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالبة بحل المسائل المتعلقة بكرامة اممها ومصالحها الجوهرية . والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدرُّج بالفطنة في حل المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة . فالمادية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأثيرها محسوس . اما معاهدات التحكيم فاذا بذلت العناية في ابرامها حتى تقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تستحق كل مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجعاً في كل حال "

السر غلبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابهِ " لا يسعني التعلُّل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامة ومصيبة طامة . وما دام في الارض امم همجية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدُّن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تام على حل المنازعات التي تقع بينها . " فلنتكل على الله ولكن ليبقَ بارودنا جافاً " (اي لنبقَ على حذر)

مستر مكنمارا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب ايضاً . قال

" لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف . فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى السلاح في حل الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المبارزة باتت تظاهراً لا ضرر منهُ فيعمد المبارز اليها واحدى عينيهِ على جلدهِ والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوَّى الآن بالوسائط السلمية . والى مثلهِ سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام . وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كلهِ يعجّل مجيء ذلك اليوم "

السر توماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا . وقد كتب يقول

" لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد وانتجاعهم بلاداً اخرى . ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم . ومنها الحروب المدنية وهي افضل مما يدعو اليها مهما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها . على انهُ لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

أقرب الى العقل وأبعد عن الجهل واقلّ اندفاعاً مع تيار العواطف واكثر اختباراً في الموازنة بين خطر الحرب وفائدتها وبين الشرور والمصائب التي تُشهر الحرب لمعالجتها وازالتها

هذا وان اميال الناس الذين يتولون شؤون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كلّ ما من شأنهِ ان يجرّهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب. وتراهم ينظرون بعين النفور والاشمئزاز الى كلّ من يشير بتحكيم السيف ولو تلميحاً. واقول في الختام ان كلّ انكليزي او فرنسوي او اميركيّ او الماني يذكر الحرب مستخفّاً بها مستهيناً بامرها لا يعدُّ رجلاً يركن اليهِ ويعتمد عليهِ في شؤون الدولة الخطيرة"

مستر روفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال : —

"غاية ما نتمناهُ ان تتوصل الامم الى حلّ المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فتُجتنب الحرب بذلك. ولكننا بعيدون عن هذه الامنية الآن. ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصبحون اقلّ ميلاً الى الحرب واكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع. فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلّها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحلُّ بهِ. ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى بهِ المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أُلّف فبأية الطرق ينفّذ حكمهُ. فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك. ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذهِ"

السر وليم رمسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز. قال

"ايّ شيء اقول ولم يُقل الف مرة. كلنا نتمنى ان تبطل الحرب وذلك يتأتى لنا من احدى طريقين. فإما ان امة من الامم تخرق معاهدة جنيفا وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيانيك (غازسام جدًّا) او مادة اخرى تميت الجيوش خنقاً. وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استقتالها فتدعو الحال حينئذٍ الى محاربتها بمثل ما تحارب بهِ. واما ان انتشار اسباب الحضارة والتمدن يؤدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسماع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما اشبه ذلك. ولا ريب ان كلاً منا يتمنى ذلك ولكني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً"

السر ادورد رسل

صاحب جريدة " لفربول دايلي بوست " قال

" من الامور المبشرة بالخير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوربية تدريجاً عن محاربة بعضها بعضاً . ولكن الميل الى الحرب خلق مستحكم في النفوس والاغراء يخوض غمارها كثير في اطراف الارض النائية . ومع ان اهوالها تزيد كل يوم رغماً عما أُدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً . ولكنني أُومل — وان يكن تحقيق املي بعيداً — ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيهِ باجماع الامم المتمدنة على ابطالها لانهُ يثبت لهم انها ضرب من الحمق والجنون "

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسوي وزعيم حزب الاشتراكيين فيهِ . خطب ذات يوم فقال

" بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتتخذ شكلاً محدوداً وقد اصبح السلام الحقيقي ممكناً في اوربا " الى ان قال

" وفي اوربا محالفتان كبيرتان ترميان الى السلام . وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسوية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها "

التهذيب [1]

ايها الشبان الكرام

لما دعوتموني الى خطاب يُلقى اليكم في محفل من محافلكم تردَّدتُ في اول الامر لكبر سنّي ومللي وعجزي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رأيت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولو سامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد . ثم اخذت ابحث في موضوع يوافق غرضكم ويُرجى منهُ بعض الفائدة لكم ولامثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ارَ شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقبتم جمعيتكم بهِ وهو تهذيب الشبيبة السورية . غير انكم قد اضفتم الى ما تطلبونهُ لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الثناء والعون والدعاء بالفلاح . وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

(١) خطبة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن والاكادميا الطبية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥

في نفسهِ مدحهُ الناس او لم يمدحوهُ عرفوهُ او لم يعرفوهُ

للحياة من المهد الى اللحد ادوارٌ ولكلٍّ منها صفات خاصة بهِ وقد اختلف العلماء في تقسيم هذه الادوار بحسب ما نظروا اليهِ من ظواهر الجسد او العقل او الاخلاق او صروف الدهر التي يتقلَّب الانسان فيها. ولعل الاصح من الوجه العلمي انها ثلاثة ادوار وهي زمن النموّ والنشوء وزمن البلوغ وزمن الهبوط . اما الدور الاول فيتميز بانّ من العملين القائمين ابداً في الجسد وهما التحليل والتركيب اي دثور انسجتهِ وتجديد بنائها — الغلبة لقوة التركيب فيحصل من ذلك اكتساب دائم في الحجم والقوة وفي ارتقاء الجسد والعقل . ويكون الطفل عند ولادتهِ في غاية العجز لا يُدرِكُ ولا يعقِلُ شيئاً ولكنهُ يأخذ سريعاً في الشعور بما حولهُ وفي استعمال حواسهِ الظاهرة وفي التأمل بما يراهُ . غير ان اعظم ما يتعلمهُ في هذا السنّ هو الكلام الذي يميّز الانسان بهِ على سائر الحيوان والذي تتأسس الصور العقلية والاشتراك بينها والذاكرة والمخيلة والعاقلة . وتكون اعمال العقل اولاً في الطفل ذاتية ثم تصير خاضعة للارادة وهذا الخضوع من اهمّ ما يطرأ على العقل البشري وبقدر ما يستطيع الانسان ان يتولَّى العمل العقلي يستطيع ادراك ما يريد البحث فيهِ ادراكاً جلياً والتعبير عنهُ بكلام صريح. ولما كان لهذا السن شأن عظيم في التربية والتهذيب وجب احاطة الولد بكل ما يكسبهُ قوة الجسد والعقل وحسن الخُلق والادب ووجب ايضاً الانتباه الشديد لمن يعاشرهم ويتعلم منهم الصفات والعادات الحسنة او القبيحة . والنمو في هذا السن سريع الى السنة الخامسة عشرة ثم يبطئ تدريجاً الى ما بعد ذلك ببضع سنين قبل ان يصل الى زمن البلوغ الكامل

والدور الثاني وهو دور البلوغ يمتد في اكثر الناس من السنة الثلاثين الى الخامسة والاربعين ويتساوى فيهِ عمل التحليل والتركيب فيبقى كل هذا السن في ما يكون عليهِ من قوة الجسد والعقل وهو غاية ما يبلغهُ ولذلك يعدّونهُ افضل ادوار الحياة واقدرها على ما يستطيع الانسان ان يأتي بهِ من اعمال الدنيا. غير ان في هذا الامر كغيرهِ شذوذاً كثيرة فقد يسرع او يبطئ سير كلٍّ من هذه الادوار بحسب البنية الموروثة او نوع المعيشة فيعجز الانسان باكرًا او تدوم قوتهُ في زمن الشيخوخة

وفي الدور الاخير وهو دور الشيخوخة والهرم تضعف قوة الجسد والعقل وتعجز عن القيام بما يطلب منها بحيث انهُ قلما يستطيع الرجل شيئاً من الاعمال العظيمة بعد السبعين . وتأخذ قوة التركيب في التناقص فيقل البصر ويثقل السمع ويبلد العقل وتضعف الذاكرة ويأبى الشيخ العمل ويختار ملازمة بيتهِ متوكئاً على عصاهُ . غير انهُ اذا كانت الرياضة الجسدية والعقلية

كافية بلا اجهاد مفرط وكان الطعام جيدًا معتدلاً والنوم حسناً والمواء المحيط نقيًا والقلب خاليًا من الهموم الثقيلة دام نشاط العقل والجسد سنين كثيرة وعاش الانسان في شيخوخة صالحة خالية من اشد العلل التي تعتريها غالبًا . وفي كل ذلك موعظة للشبان والكهول ان يعيشوا عيشة راضية قنوعة طاهرة صحية حتى اذا بلغوا الشيخوخة كان لهم فيها شيء من الراحة واللذة

وقد رسم احد المصورين حياة الانسان في خمس صور وهو يحمل في كل واحدة منها حملاً . فالاولى صورة ولد حامل طاقة من الزهر وهو يمرح ويلعب في بستان جميل لا غم لهُ في ما مضى ولا هم في ما يأتي . والثاني صورة الولد شابًا رافعاً حملهُ بيدهِ اليمنى وهو يطلع جبلاً ويفتخر بقوة الشباب لا يعبأ بما في الحياة من الكد والجد ولسان حالهِ يقول

اذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بما دون النجومِ

وفي الثالثة صورتهُ كهلاً ولوائح الفكرة على وجههِ في ما يلقاهُ من صروف الدهر وعسر الحياة وهو يحمل حملهُ بلا افتخارٍ ولا ضعفٍ وقد علم بالخبرة صدق فيلسوف الشعراء القائل

تصفو الحياة لجاهلٍ او غافلٍ عما مضى فيها وما يتوقعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ ويسومها طلب المحال فتطمعُ

وفي الرابعة صورتهُ شيخاً ضعيفاً يحمل حملهُ ويسير فيهِ خطوات ثم يضعهُ على الارض ويجلس ليستريح هنيهة ثم ينهض للسير وهو يقول

فياليت الشباب يعود يوماً فأُخبرهُ بما فعل المشيبُ

والخامسة صورة محزنة صار فيها الشيخ هرماً منطرحاً على الارض وحملهُ يجذبهُ الى قبر مفتوح ينظر اليهِ ويردد قول الشاعر الروماني الذي قال في هرمهِ : لقد بلغت المرفأ فاودعكما يا أملي ويا دهري كفى ما لعبتما بي فاذهبا الآن والعبا بغيري . وهو كلام لا يبعد عن المعنى الذي ارادهُ ابو العلاء بقولهِ

فياموت زُرْ انَّ الحياة ذميمة ويانفس جدّي ان دهرك هازلُ

وقد بلغتم الآن ايها الشبان عنفوان العمر وجزتم الدروس الاولى البسيطة ودخلتم هذه المدرسة الكلية لتتلقوا فيها العلوم العالية ثم الخاصة التي تؤهلكم لمباشرة المهنة التي تختارونها في الحياة . فاذكروا انهُ زمن الزرع وان ما تزرعونهُ في الحاضر تحصدونهُ في المستقبل كثيرًا كان او قليلاً خيرًا او شرًا . ولا يقتصر هذا الكلام على ما تدرسونهُ من العلم ولكنهُ يشمل عوائد الكد والجهد والاخلاق والصفات التي تكتسبونها الآن وستميزون بها في جل عمركم والتي ستجعل لكم مقاماً سامياً بين الناس او شأناً حقيرًا فهو الزمن الذي يتكون فيهِ الخلق

بحيث يكون الانسان بعد ذلك شهماً رفيعاً مكرماً او لئيماً دنيئاً مخذولاً . وهو الزمن الذي تفعل فيهِ فراعل المعاشرة الصالحة والقبيحة التي اشار اليها شكسبير الشائع الصيت بقوله يجب على الشريف ان لا يصاحب الاَّ الشرفاء اذ لا يقوى على المصاحبة المفسدة مهما كان شديد العزم . وما اوصى بشأنهِ سليمان الحكيم حيث قال يا ابني ان تملقك الخطاة فلا ترضَ لا تسلك في الطريق معهم امنع رجلك عن مسالكهم . وما قالهُ الشاعر العربي

واحذَرْ مؤاخاةَ الدنيِّ فانهُ يعدي كما يعدي السليمَ الأجربُ

معنى التهذيب في اللغة التنقية والاصلاح فاذا ابتغيتموهُ وجب عليكم ان تنبذوا كل ما فيهِ شرٌّ من السجايا والصفات والاميال وان تربوا في انفسكم كل ما فيهِ خير لكم . ولما كان كلامي لكم الآن في هذا الصدد رأيت اننا ننال الفائدة المطلوبة اذا نظرنا الى المسئلة من ثلاثة وجوه وهي تهذيب الجسد وتهذيب العقل وتهذيب النفس . ولكنني ارى ايضاً انها جميعها مسائل كبيرة لا اقدر ان اوفيها حقها في كل ما يدخل تحتها من الجزئيات وان المقال فيها لا يكون هنا الاَّ عاماً وجيزاً

١ تهذيب الجسد . تقدَّم الكلام في هذا الوجه من التهذيب كما قدَّم العلماء علم الابدان على علم الاديان والسبب في ذلك ظاهر وهو ما ذكرهُ بعض افاضل العلماء الرومانيين من ان العقل الصحيح في الجسد الصحيح وقد صار هذا القول مثلاً سائراً من ذلك الزمن القديم الى الآن ولو كان لهُ شذوذ احياناً . وقد اثبتهُ علم الفيسيولوجيا الحديث بان الدماغ آلة العقل الذي يعمل بها ومن الواضح ان اعمالهُ لا تكون مُحكمةً الاَّ اذا كان الدماغ صحيحاً يغتذي بدمٍ صحيح وهذا لا يكون الاَّ اذا كان الجسد صحيحاً . فاذا فسد تركيبهُ ادَّى ذلك الى الجنون واختلال القوة العاقلة واذا فسد غذاؤهُ بواسطة السكر او الحمَّى او غير ذلك اضطربت اعمال العقل وشوهدت فيها ظواهر المذيان . وفي هذه العلاقة الشديدة بينهما دليلٌ كافٍ على ان الانسان لا يتمتع بصحة العقل الاَّ اذا كان متمتعاً بصحة الجسد . فانظروا اذن الى صحة ابدانكم اذا شئتم ان تكونوا اصحاء العقول

ثم كما ان صحة الجسد تؤدي الى صحة العقل فهي ايضاً من اعظم الموجبات لسرور الحياة لان العافية اللذيذة قائمة بحسن قيام وظائف الجسد . ولما كانت هذه الحالة مألوفة عندنا فاننا نغفل عن قيمتها العظيمة وننساها ولا نعبأ بما يضرُّها من الاسباب التي في يدنا منعها ولا نذكرها الاَّ متى سُلِبت منا وصدق فينا قول القائل " العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى " وقول الشاعر

لا يعرفُ الصحيحُ قيمةً لما كان من الصحة حتى يُبتلَى

ولا ينال الانسان العافية الاّ اذا اطاع قواعد الصحة التي كثير منها معلوم لديكم فلا اذكر بعضها الاّ على سبيل الاشارة فقط وسأُطيل الكلام في البعض الاخر. اما الطعام الذي تجدد منهُ الخلايا المتنوعة التي تبنى منها انسجة الجسد والتي تشارك غيرها من كل حيّ في الولادة والعمل والموت فيجب ان تراعوا فيهِ هذه الشروط وهي ان يكون نوعهُ جيداً يؤْكل باشتهاء في اوقات معينة وكميات معتدلة وان يمضغ على مهل حتى لا تحمل المعدة من العمل ما يجب عملهُ في الفم . واكثروا من تطهير افواهكم وانظروا ابداً الى نظافة اسنانكم وصحتها . وفي النوم راحة للجسد والعقل تسترد الطبيعة فيهِ ما تخسرهُ من القوة مدة اليقظة والعمل . وشروطهُ الصحية ان لا يكون اقل من ثماني ساعات للذين هم في سنكم . ولا يكون العشاء متخماً ولا يكون غطاء الفراش ثقيلاً وان يتجدد هواء الغرفة بواسطة شباك او اكثر صيفاً وشتاء خلافاً لمذهب العامة الذين يسدون النوافذ ويكثرون من الغطاء مدة النوم فيجد النائم ولا يجد هواء نقياً لتطهير دمهِ وتشتد عليهِ الاحلام المزعجة . وقالوا خيرُ النوم نوم مَن كان خاليَ البال سليم الضمير . والنظافة فقد سمعتم انها من الايمان وعرفتم ان بعض الاديان لا يجوز الصلاة الاّ لمن اغتسل وطهر . فاغسلوا ارجلكم كل صباح كما تغسلون وجوهكم وايديكم واستحموا بالماء بقدر الحاجة والامكان . واعتنوا باظافيركم ولتكن اثوابكم ابداً نظيفة . الم تروا بعد غسل جميع الجسد ولبس الثياب النظيفة لذةً خاصةً تملأُ النفس بهجةً وتؤهلكم لمعاشرة العظام في الهيئة الاجتماعية خلافاً لما اذا كان فيكم شيء من القذر الذي يخجلكم ويحقركم بين الناس . وقد نظم جلال الدين الرومي العجمي ابياتاً في هذا الصدد على غاية ما يكون من الحسن اشار بها الى قلب طاهر في جسد طاهر فقال ما معناهُ احفظ نفسك طاهراً في ثوبك وفمك ويدك وفي ما تأْكلهُ وتشربهُ . واعلم يا ابني ان في طهارة الظاهر وسماً لطهارة الباطن

بقي لي ان اذكر لكم في هذا الباب شيئين لهما علاقة شديدة بحفظ الصحة. احدهما التعرض للهواء المطلق ونور الشمس . وقد ثبت الآن عند الاطباء بالاجماع انهُ اذا كان الهواء نقياً فهو المطهر العظيم للدم والدم يقضي وظيفتين هما دعامة الحياة . الاولى انهُ يحمل في الشرايين مادخلهُ من الطعام بعد هضمهِ حتى اذا بلغ الاوعية الشعرية اختارت خلايا الانسجة قوتها منهُ بحسب نوعها . والثانية انهُ يحمل في الاوردة ما يتحلل ويفسد من تلك الخلايا فاذا عاد الى القلب اندفع منهُ الى الرئتين ليلاقي الهواء الداخل اليهما بواسطة التنفس فيعطي الهواء ما حملهُ

من المواد الفاسدة ويأخذ منهُ جوهرًا مطهرًا سماه قدماء الاطباء بالروح الحيواني وهو الاكسجين عند الحديثين . وبناء على ذلك فكلما كان الهواء نقيًّا كان اصلح وافعل في تنقية الدم وقد اهتدى اطباء هذا العصر في مداواة المصابين بالحميات والسل والامراض المزمنة الى تعريضهم للنور والهواء المطلق في المستشفيات او في مساكن مبنية على اسلوب خاص لمقابلة الهواء والنور بعيدة عن هواء المدن الفاسدة وسموها مساكن الصحة او مصاح (Sanatoria) وهم يفضلون هذه الطريقة على غيرها ويعولون عليها وبعضهم يرتاب في فائدة العلاج بالعقاقير . وقد شاهدت بعض الذين برئوا بواسطتها من امراض لم يكن يرجى لها الشفاء . اما النور وحدهُ فلا بد انكم قد سمعتم انهم الآن يعالجون ببعض اشعتهِ امراض الجلد المستعصية ففازوا بذلك فوزًا لم يعهد مثلهُ في ما مضى . فادخلوها الى غرفكم واخرجوا اليهما وطالعوا كتبكم ما امكن بين الاشجار وفي الفلاة الواسعة

والامر الثاني الذي لهُ شأن عظيم في ما نحن فيهِ الرياضة . قال الشيخ الرئيس ابن سينا فيها انها حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر وتدفع فضلات الجسد وتنعش الحرارة الغريزية وتصلّب المفاصل والاوتار وتعدّ الاعضاء لقبول الغذاء واذا كانت معتدلة كان بها غِنًى عن كل علاج في بعض الامراض الى ان قال وكثيرًا ما يقع تارك الرياضة في الدق لان الاعضاء تضعف قواها لتركها الحركة الجالبة اليها الروح الغريزية (أكسجين الهواء) التي هي آلة حياة كل عضو . وقسمها الى ما هو عنيف ولطيف ومعتدل وشرح ما كان في زمانهِ (سنة ٣٨٠ هجرية) من انواعها وهي المنازعة والمباطشة والملاكزة والاحضار وسرعة المشي والرمي من القوس والزفن والقفز والحجل والمثاقفة بالسيف والرمح وركوب الخيل والاراجيح واللعب بالكرة والصولجان والطبطاب والمصارعة الى غير ذلك من انواع اخر وما لها من الفوائد لكل عضو من اعضاء الجسد كالتبصر الدقيق للعين واجهاد الصوت للحلق والنهي عن بعضها في بعض العلل . وقد أُهمل كثير منها في هذه الايام وبُدلت بغيرها من الالعاب الحديثة التي انتم اعلمُ مني بها . غير انهُ مهما حدث من التغيير في نوع الرياضة وكيفما انفردت الامم في ما اصطلحوا عليهِ فلا خلاف في وجوبها بل هي قد صارت قسمًا لازمًا في التربية المدرسية من زمن الصبوة الى زمن الشباب ومن اصغر المدارس الى اعلاها . واقتبسوا من اللغة اليونانية كلمتين للتمييز بين المعتدل منها والعنيف الاولى الجمنستيك ومعناها التعرّي لانهم كانوا يتصارعون وهم عراة الابدان وتسمّى بها المدارس المتوسطة عند الجرمانيين (Gymnasia) اشارةً لما في درس العلوم من التمرين والتهذيب . والثانية الأثليتك ومعناها المصارعة والمجاهدة ويريدون

بها انواع الرياضة التي يباشرها الشبان لبلوغ منتهى القوة العضلية منها . واضاف بعضهم كلمة ثالثة مأخوذة عن اليونانية ايضاً هي الكلستنيك ومعناها الظرف والجمال لسبب ما تؤدّي اليهِ من ذلك واكثر استعمالها في مدارس البنات

ولا تُباشَر الرياضة عادةً الاَّ في الخارج فيكون فيها اذًا فائدتان الترويض والتعرُّض للهواء المُطلق ولنور الشمس . واذا شئتم ان تروا ما لذلك من النفع للقوى الجسدية فانظروا الى شدّة ابدان الفلاحين والمكارين وغيرهم من الذين يقضون اكثر زمانهم في الحقول والفلوات ويعيشون في ما بقي عيشةً حقيرة في المسكن والطعام والنظافة الى غير ذلك من شروط الصحة . ثم قابلوا ما ترونهُ فيهم من القوة وصحة اللون بما ترونهُ من الضعف وصفرة الوجه في اهل المدن الذين يعيشون عيشة الرفاهة في الازقة المزدحمة والمنازل المزخرفة التي كثيرًا ما لا يدخلها كفاية من نور الشمس والهواء النقي . او انظروا الى عرب البادية وهم غير العرب الذين يجاورون المدن فقد قال فيهم احد كبار العلماء انهم اصحّ اهل الارض بنية وهم في الخلاء ابدًا ليلاً نهارًا مطبوعون على محبة الشجاعة والمروءة وعزّة النفس وركوب الخيل وكأن قد اجتمع في ابي الطيّب وهو واحد منهم اكثر من ذلك فانشد يقول

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وكان للرياضة والقوة العضلية عند قدماء اليونانيين والرومانيين شان عظيم فبلغوا فيها منتهى الامكان وانشأوا منذ سنة ١٤٥٣ ق.م جهادًا يعقد عند جبل اولمبس مرة كل خمس سنين ويدوم خمسة ايام في مشهد عظيم ولم تبح المسابقة فيهِ الاَّ لمن قضى عشرة اشهر في مدرسة ايليس التي اشتهرت في ذلك الزمان بفن التمرين الجسدي . وكان اخص مباراتهم في الركض والوثب والمصارعة والملاكمة ورمي الكرة ترون بعضها مصورًا على طوابع البريد التي اصدرتها الحكومة اليونانية سنة ١٨٩٦ ذكرًا لاعادتها الى بلادهم في تلك السنة . فكان الجزاء للغالب عند اليونانيين اكليلاً من ورق الزيتون فقط اكتفاء بما في الغلبة من الفخر ثم اذا رجع الى بلده لاقاهُ الشعراء والمنشدون رجالاً ونساء وادخلوهُ بالتهليل من ثغر فتحوهُ في السور تكريمًا لما نالهُ من مجد الظفر . ولكنهم غالوا وجاوزوا الحد لما اقاموا في مراسحهم الكفاح بالسيف حتى اذا سقط المغلوب على الارض كان للغالب ان يقتلهُ اولا بحسب ما اراد جمهور المشهد فان كانوا قد رأوا فيهِ علامات القوة والشجاعة رفعوا اباهمهم اشارة الى تركهِ وشأنهِ وان رأوا فيهِ الضعف والجبن خفضوها فكانت القاضية عليهِ بالقتل ثم يجرونهُ من المرسح كالكلب الميت والناس يصفقون طربًا . ودامت هذه العادة الوحشية الى القرن السادس

للتاريخ المسيحي في يوم من تلك الايام المشهودة والجريح مطروح على الارض والغالب شاخص ببصره الى الناس ليرى هل يريدون قتلهُ او تخلية سبيلهِ وثب راهب من خدمة الدين الى حفرة المتصارعين ورفع يده نحو السماء ناشداً القوم بالله ان لا يرتكبوا جريمة القتل . وكانوا حينئذٍ في حالة الهياج الشديد فرجموهُ بالحجارة الى ان مات شهيداً . ولما وصل الخبر الى ثيودرك امبراطور الرومانيين في ذلك الحين تحركت فيهِ عواطف الرأفة وامر بابطال تلك العادة القبيحة فكان موت الراهب الشهم الجسور موتاً لها . ومن ذلك الزمان الى الآن لم يبق لها اثر الاَّ مقاتلة الرجال للثيران في اسبانيا وهي مكروهة مذمومة عند غيرهم من الامم الاوربية لما فيها من القساوة والعذاب للحيوان والانسان فلا بد من زوالها في عهد قريب

وقد تبيَّن لكم ايها الشبان مما تقدَّم ما يمكنكم اجتناؤهُ من الفائدة العظيمة مدة الشباب من ترويض الجسد وتصليب اعضائهِ من حيث القوة في العمل واللذة في العافية ونشاط العقل في مهامّ الحياة . وقد كان الكلام في ما سبق من الوجه الايجابي واطلت البحث فيهِ وبقي الآن ان اقول شيئاً وجيزاً من الوجه السلبي . وحاصلهُ ان ابعدوا عن كل ما يوجب الضعف وعن كل عادة من العادات السرّية او الظاهرة التي تنهك قواكم وتذهب بمروءتكم وألقوا عن انفسكم كل نوع من الكسل والتواني في دروسكم واعمالكم . واجتنبوا التدخين فان الافراط فيهِ يضعف القابلية للطعام وهضمهُ ويفسد رائحة الفم ويفعل فعلاً ذريعاً في المجموع العصبي ويعارض النموّ الذي انتم لا تزالون في دورهِ فهو محرَّم عليكم في هذا السن . واحذروا كل نوع من المشروبات الروحية فانها كيفما كانت لغيركم فهي سمٌّ لكم . ولا تقربوا شيئاً من المقامرة التي تتلف الزمان وتفسد الاخلاق وتهيج المطامع وتذهب بخلوّ البال وراحة النوم ولذة العافية وتؤدي الى خسارة المال وخراب البيوت آجلاً او عاجلاً . وقد درس بعضكم وسمع البعض الآخر بالجراثيم المرضية المنتشرة في الهواء والماء والطعام او التي يحملها البعوض والذباب فاعلموا ان الطبيعة قد هيأَت في الدم خلايا خاصة لمقاتلة المكروب على انواعهِ واهلاكهِ بحيث اذا دخل الدم لاقتهُ تلك الخلايا وابتلعتهُ فان كانت اقوى منهُ قتلتهُ ولاشتهُ ولكن اذا كان هذا الجيش المدافع ضعيفاً مما تعملون من الاسباب المضعفة لهُ قوي عليهِ المكروب الغازي وقتلهُ واهلكهُ واستفحل في الجسد وفتك بالصحة او الحياة . وعلى ذلك فكل ما يأول الى حسن الصحة فهو ناصرٌ لما في الجسم من قوة الدفاع وكل ما يوهن تلك القوة فهو حليف العدوّ والعاضد لهُ في البطش ولا يحلُّ للانسان ان يُلقي بيدهِ الى التهلكة

ستأتي البقية

الخطر الابيض والخطر الاصفر

يرى بعض كتّاب الافرنج ان روسيا جنت على الجنس الابيض ما لم يجنهِ رجل ابيض على اخيهِ من قبل . فانها اقدمت على محاربة اليابان ولم تستعد لذلك كبيرًا واستهانة حاسبة انها في اضعفها تفوق اليابان في اشدها وانها ستعقد الصلح مع اليابانيين في طوكيو عاصمتهم بعد اذلالهم ولا يلزم لذلك من الزمان اكثر مما قدر الانكليز لشرب الشاي في عاصمة الترنسفال ولكن الرياح جرت بما لا تشتهيهِ سفنها وعادت من المعمعان وقد فقدت كل شيء سوى شرف جنديتها واظهرت للصفر ضعف البيض في نزالهم واشعرتهم بقوتهم المستكنة فيهم . وبناء على ذلك سيهبون من سباتهم العميق ويأخذون بالثار من البيض لقاء استخفافهم بهم واعتدائهم على املاكهم هذا الزمان الطويل . وهنا مصدر الخطر الاصفر

ولكن فئة اخرى من الكتاب ترى غير ذلك . ترى ان نتيجة الحرب الحاضرة كفُّ يد الابيض عن الاصفر ليس الأ اعتقادًا بان الميل الى السكون والمسالمة خلق من اخلاق الرجل الاصفر الجوهرية وطبع فيهِ يغلب كل تطبع . ومنهم المستر لنتش الرحالة كاتب هذه المقالة فانهُ نشرها في مجلة القرن التاسع عشر بعنوان " الخطر الابيض " وابان فيها انهُ ان وجد هناك خطر فهو الخطر الابيض اي خطر ابتلاع الرجل الابيض للاصفر وقد زال بالحرب الحاضرة . اما الخطر الاصفر فوهم من الاوهام او حلم في المنام . قال

تعدُّ حرب روسيا واليابان فاتحة عصر جديد في تاريخ علاقتنا بالشرق ويرجح ان تكون نقطة انقلاب في مجرى الحوادث المستقبلة . هل خطر على بالنا نحن الغربيين الذين كثر تحدثنا بالخطر الاصفر ان نقابل بعين الشرقي بين الماضي والحاضر لنرى ماذا يقولهُ المشارقة عنا . فلا بد ان يكون قد رأى الخطر الابيض على ازدياد سنة فسنة منذ ابتداء علاقتنا بالشرق حتى الآن حين اشتد ساعد اليابان ونهضت تروم ايقافنا عند حدنا . وكل من خبر الشرق ولو قليلاً لا يعسر عليهِ تصور ما يظنهُ الصيني والياباني فينا وما يشعران بهِ من نحونا . واذا تذكرنا تاريخ الماضي ونظرنا اليهِ بعين خالية من الغرض لم يدهشنا سلوكهما لانهُ نتيجة لازمة لابد منها

قال المسيو اناطول فرانس " ان ما يؤديهِ الروس الآن في بحار اليابان وسهول منشوريا انما هو ثمر سياسة الشره والقسوة التي اتبعوها في الشرق وثمر السياسة الاستعمارية التي جرت

اوربا كلها عليها ايضاً . وما يكفرون بذلك عن ذنوبهم وحدهم بل عن ذنوب العالم المسيحي كلهِ في خطتهِ الحربية والتجارية "

اما الخطر الاصفر الذي بات اشهر من ان يذكر بعد ما قال الكتَّاب فيهِ ما قالوا وبعد الصورة التي صوَّرها بهِ امبراطور الالمان — فانما هو رجم بالغيب او وهم من الاوهام . غير ان الخطر الابيض ليس في شيء من ذلك بل هو حقيقة قُدَّت من جسم قارة اسيا وصبغت بدم الرجل الاصفر . فانهُ لما دخل الروَّاد والتجار الاولون بلاد الصين واليابان استقبلهم اهلوهما على الرحب والسعة ورغبوا في معاملتهم بشرط ان يخضعوا لقوانين البلاد ولا يتعرضوا للشؤون الاجتماعية والسياسية . وبعد سقوط دولة منغ الصينية في القرن الخامس عشر أُقفلت ابواب الشرق الاقصى في وجه كل اجنبي حتى القرن السادس عشر حين جعل السياح من اسبانيا والبرتوغال يرتادون الصين قصد الاكتشاف فكان الاهالي يرحبون بهم وسمح امبراطور الصين حينئذٍ لبعضهم بالاقامة في ثغر كنتون للاتجار ولكنهم طغوا وتجبروا وساء سلوكهم حتى اضطرَّت الحكومة ان تبعد احدهم من كنتون واسمهُ سيمون اندرادا قصاصاً على ما ارتكب من الذنوب فسافر شمالاً ونزل في اموي ونتبو وتبعهُ غيرهُ اليها فعاثوا في البلاد سلباً ونهباً واغتصاباً فثار الصينيون عليهم وذبحوا مئات منهم واحرقوا عدداً كبيراً من سفنهم واصدر الامبراطور امراً بقطع كلِّ علاقة معهم

وبعد ذلك أنفذت الامبراطورة كاترينا الاولى الروسية الكونت فلادسلافتش في مهمة الى بكين فاكرم امبراطور الصين وفادتهُ وعقد معهُ معاهدة تجارية ولكن الاهالي لم يشاؤوا معاملة الاجانب فابلغوا الروس انهم يكرهون التجارة الاجنبية لان بلادهم تخرج لهم كلَّ ما يحتاجون اليهِ من حاجي وكمالي وانهم قانعون بما هم عليهِ لا يطلبون المزيد ولكن الروس ظنوا ان لهم حقاً في المتاجرة بينهم رضوا بذلك او لم يرضوا وحذا سائر الاوربيين حذوهم فيما بعد

ولتجلي للقارىء الحقيقة في هذا الشأن نسمع ما قالهُ صينيٌّ عن سبب قطع العلائق بين بلادهِ والغرب لاول مرة مخاطباً بهِ الاوربيين . قال

" لما جاء قومكم الاولون الى الصين لم يكن مجيئهم بدعوة منا فسمحنا لهم بالاقامة بيننا ولو لم نحتفِ بهم . وكنا نعاملهم ونتاجر معهم ما داموا خاضعين لقوانيننا . واول خلاف بيننا وبينهم وقع على مسألة لم تجرأوا انتم انفسكم على المدافعة عنها اعني بها سلوككم فان قسماً كبيراً من تجارتكم كان بالافيون وكنا قد رأينا ان شرب هذا العقار متلف لاجسام الاهالي مفسد لآدابهم فحظرنا الاتجار به . ولكنَّ تجاركم خرقوا القانون وجعلوا يهرّبون الافيون حتى

اضطررنا ان نداوي العلّة بانفسنا فضبطنا كلَّ ما وجدنا منهُ واتلفناهُ . فعدَّت حكومتكم عملنا هذا ذنبًا وتمحلت منهُ لها عذرًا لان تشهر الحرب علينا . فغزوتم ارضنا وفرضتم علينا غرامة واخذتم منا جزيرة هنغ كنغ فرضخنا مكرهين لاننا لم نكن دولة حربية . ولكن هل تظنون اننا لم نتألم ونستفظع الامر أَو هل تظنون لما قامت كلُّ دولة من دول اوربا ووضعت يدها على قطعة من ارضنا اننا لا نشعر لاننا لم نقاوم . ايراكم الصينيُّ الذي يراجع تاريخ اتصالكم بنا في الستين سنة الماضية خيرًا من زمرة لصوص او جماعة قرصان . ومَنْ مِنَّا نحن الفريقين تراهُ الفريق المعتدي أنحن الذين كنا عاقدين النية على الاحتفاظ بهيئتنا الاجتماعية وعاداتنا وشرائعنا ونظام حكومتنا وصونها من شوائب التمدن الاجنبي ام انتم الذين حملكم حبُّ الكسب التجاري على دخول بلادنا وادخال خميرة تمدنكم وآرائكم اليها مع بضاعتكم . واذا كنا قد اسأنا اليكم في نزاعنا معكم بعد ذلك فانَّ لنا عذرًا وهو محافظتنا على انفسنا . واغلاطنا — إن صحَّ أن تسمَّى اغلاطًا — انما هي حوادث مبنية على حقّ ثابت الدعائم ولكنَّ اغلاطكم هي اعمالكم نفسها

تأملوا القيود التي قيدتم بها مملكة عريقة المجد اعتقدت قرونًا طوالاً انها في مقدمة الممالك حضارة ومدنية . فلقد اكرهتمونا على فتح موانينا وثغورنا في وجه تجارتكم والسماح بادخال عقار مهلك لشعبنا واخرجتم رعاياكم المقيمين بيننا من تحت سلطة قوانيننا وتملكتم تجارة سواحلنا والآن تدعون تجارة انهرنا . وكلما حاولنا مقاومة مطالبكم اضفتم اليها مطالب جديدة وزدتم اعتداء وخيلاء . ومع ذلك كلهِ تدعون انكم امم متمدنة ساقها النكد وسوء الطالع الى معاملة امم همجية"

اما الحوادث التي جرت في الصين في خلال الخمسين سنة الماضية فتشبه معاقبة الصينيين لقاتل ابيهِ بقطع قطعٍ من بدنهِ . فاننا بدأنا تنفيذ الحكم بقطع هنغ كنغ وتلتنا فرنسا فاقتطعت الهند الصينية بلا اقل عذر . ثم روسيا فاقتطعت بورت ارثر ومنشوريا ثم المانيا فاقتطعت كياوشاو . وفي اوربا كثيرون يرون ان ذلك خير ما ينال الصين وانهُ لابد من تصيير اهلها غربيين في تمدنهم ونوع اجتماعهم رضوا بذلك او لم يرضوا . على ان الذي يجوب الصين ويقابل بين معيشة الاهالي الذين عاشروا الاوربيين وخالطوهم ومعيشة الاهالي الذين في داخلية البلاد يشك في ما اذا كان الاولون احسن حالاً من الآخرين . نعم ان وسائل الرفاه المادية زادت زيادة قليلة ولكن بعد ان دفع ثمن غالٍ بها . فان بعض نتائج مدنيتنا النزاع والمزاحمة والتعب وبعض نتائج المدنية الشرقية السلام والقناعة والراحة وليست هذه الراحة في شيء من كسل الهمج والمتوحشين بل هي جزاء كدّ وكدح لا مثيل لهما . ولا غنى

للذي يروم الوقوف على حقيقة ما هي البلاد وما هم اهلها عليهِ من السياحة فيها

وقياس المدنية الغربية عند الصيني ما يراهُ منها في شنغاي وتيان تسن وهنغ كنغ وغيرها من الثغور المفتوحة لتجارة الاوربيين فهناك يرى الابنية الباذخة والشوارع الواسعة والجواري المنشآت كالاعلام والنظافة الخارجية التي اساسها الماء والصابون . هذا كلهُ ما يراهُ من الحسنات ثم ينتقل منها الى حانات المسكر واماكن الفسق والخلاعة فتحجب مساوئها وشرورها محاسن الاولى في اعين قوم لولا الافيون الذي اكرهناهم على اعتيادهِ لكانوا من اهل الصحو والاعتدال . فان شوارع المدن المذكورة وغيرها ملأى من حانات يجرع قاصدوها المسكر على نغمات بيانو تلعب عليهِ عاهرة من العواهر حتى يخيل للصيني الذي يشاهد ذلك ان السكر والدعارة اعظم ما يتسلى بهِ الاوربي . ولا يسع شعباً هو ارق شعوب الارض جانباً واوفرها ادباً واكثرها تجملاً ولطفاً الاَّ ان يقابل اخلاقهُ هذه بصلف الاوربيين الذين يعاشرهم وخشونة طباعهم وشدة خيلائهم . ثم انهُ لا يدرك معنى سعيهم في اخراجهِ عن مذهب كنفوشيوس وبوذا ونقائصهم ورذائلهم اكثر جلاء من الصبح لذي عينين . وهو يعد طغمات المرسلين والمبشرين خطراً عليهِ وعلى بلادهِ وحقهُ ان يعدهم كذلك لان المبشرين بانجيل السلام لم يكونوا في غالب الاحيان سوى ممهدين للقلاقل واغتصاب البلاد من اهلها

اما اليابان فلم يكن اهلوها اقل من الصينيين اكراماً لضيوفهم من رواد وتجار فانهم اكرموا وفادة المبشرين بينهم من عهد القديس فرنسيس زفير في اواسط القرن السادس عشر ولم يغيروا معاملتهم لهم حتى جعل المرسلون يتعرضون للسياسة او حتى اشتبه الاهالي في تعرضهم لها

وفي سنة ١٨٥٣ نزل الكومودور بري الاميركي الى يوكوهاما قصد الاتفاق مع اليابانيين على فتح بعض ثغورهم للتجارة الاجنبية . فانقسم ولاة الامر منهم الى قسمين قسم برئاسة البرنس ميتو وكان من رأيهِ رفض مطالبة الكومودور بري قائلاً انهُ لما كانت التجارة غرضهُ وغرض قومهِ فسوف يخربون البلاد تدريجاً ويعاملوننا كيف شاؤوا وربما انتهت الحال بابتلاعهم اليابان . فاذا لم نطردهم الآن فلن تسنح لنا فرصة اخرى لطردهم في مستقبل الزمان . واما القسم الآخر فكان زعيمهُ الشوغن فقالوا ان اليابان لا تقوى على مقاومة الغريب وان افضل خطة تجري عليها عقد المعاهدات باحسن ما يمكنها من الشروط حتى يأتي يوم تقتني فيهِ سلاح الغربيين وتحسن استعمالهُ . وعلموا ان الحق لا ينفع ما لم تظاهرهُ القوة . فرجح قولهم وعقدت معاهدة بين الشوغن والكومودور بري سنة ١٨٥٤ واخرى سنة ١٨٥٧ . وفي السنة التالية عقدت معاهدة بين انكلترا واليابان اشترطت اليابان فيها على انكلترا ان لا تدخل افيوناً الى

بلادها . وتلت انكلترا غيرها من الدول الاوربية

واول قتال بين اليابانيين والغربيين جرى سنة ١٨٦٣ حين أُسكتت مدافع اليابانيين وأُغرقت ثلاث من سفنهم وكانت نتيجة تلك المعركة اقناع اليابانيين باقتباس سلاح خصومهم واقتباس التمدن الذي يقتني ذلك السلاح . وهنا كل الفرق بين هذين الشعبين الصيني والياباني فان الاول اتخذ السياسة سلاحاً لهُ على ضعفها واما الثاني فانهُ ادرك السبيل الوحيد الى حفظ استقلالهِ وهو السلاح الماضي ورأى في اخضاع انكلترا للهند واستيلائها عليها عظة وعبرةً لاتبرحان عن بالهِ . ولم يفعل اليابانيون ما فعلوا اعجاباً بمدنيتنا او علومنا او فنوننا او عاداتنا او مذاهبنا او آدابنا بل دفاعاً عن انفسهم من الخطر الابيض . وليس في تاريخ العالم ما يماثل شدة اندفاعهم وقوة ثباتهم في قضاء مأربهم وتنفيذ الخطة التي رسموها لانفسهم . ومن دلائل فطنتهم وامتلاكهم لاهوائهم انهم احجموا عن مقابلة قوة الغرب بالقوة حتى اتموا استعدادهم لذلك . فانهم لما شهروا الحرب على الصين علموا ان في طوقهم اذلالها على اهون سبيل ولما أُمروا باخلاء بورت آرثر خيف ان يتمرد الجيش ولا يصدع بالامر ولكن المارشال اوياما بذل كل مالهُ من النفوذ الشخصي حتى تمكن من حمل الجيش على اطاعة الامر واخلاء القلعة

وفي سنة ١٨٧٣ كانت الحرب بين روسيا واليابان على قاب قوسين او ادنى بسبب كوريا فان الوفد الياباني عاد من اوربا مدهوشاً بما كانت الدول وخصوصاً روسيا تبذلهُ من الاستعداد الحربي فكتب تشيمتشي تقريراً قال فيهِ ان روسيا بتوسيع املاكها جنوباً باتت الخطر الاعظم على اليابان وعليهِ فان الغاية الاولى التي يجب ان ترمي سياسة اليابان اليها انما هي صدّ روسيا عن التقدُّم في كوريا . ورأى كثيرون من رجال الحكومة اليابانية حينئذٍ ان خير السبل الى بلوغ ذلك المرمى ان تشهر الحرب على روسيا حالاً ووضعت الخطط لغزو كوريا واحتلالها ولكنَّ الاكثرية رأت انهُ لم يئن الاوان لذلك وفازت برأْيها قائلة انهُ اذا تأَنت اليابان نالت ما تتمنى من روسيا . ومن ذلك العهد وضع كلُّ يابانيٍّ نصب عينيهِ محاربة الروس عاجلاً او آجلاً . وكانت حرب الصين تجربة أُسفرت عن نتيجة مرضية لليابانيين وهي معرفتهم انهم اصبحوا اهلاً لتقلُّد سلاح الغربيين واستعمالهِ ولكن ختامها وقع وقع الصاعقة في قلب الامة كلها لاتخذالها في ميدان السياسة وحرمانها من بورت آرثر ثمرة انتصارها ظلماً وعدواناً بمكيدة دبرها بعض الدول الاوربية فزادت خوفاً على خوف من الخطر الابيض وباتت تحسب لهُ الف حساب

هذا وقد كان اشتراك اليابانيين في الحملة الاوربية المختلطة التي وجّهت على الصينيين

سنة ١٩٠٠ كافياً ليرينا ما بلغتهُ الجيوش اليابانية من الدربة في ضروب القتال. وقد كنت في اليابان قبل اعلان الحرب الحاضرة بسنة فرأيت هناك دلائل كثيرة على ان الامة كانت تستعدُّ لهذه الحرب الهائلة وانها تتوقع اعلانها في القريب العاجل . ثم غادرت البلاد وانا موقن ان الحرب واقعة لا محالة وانهُ لا تمضي شهور كثيرة حتى يستطير شرارها ويثور غبارها . ولكني عدت فغيَّرت رأيي وانا عائد الى بلادي بطريق سيبيريا وروسيا لما رأيت الروس على تعدد طبقاتهم مجمعين على القول ان لا حرب وان اللعبة التي يلعبونها في الشرق الاقصى مجرَّد تهويل او ما يسميهِ لاعبو البوكر "بلَف" فلعبوا لعبتهم ولكنهم تمادوا في تهويلهم الى حدٍ ان لم تجز حيلتهم على خصومهم فسقط في ايديهم وعادوا من لعبتهم بخفي حنين

ولما اطلق اليابانيون مدافعهم الاولى في هذه الحرب على السفينتين فارياق وكورتز الروسيتين في ميناء شمِلبو كان لاطلاقها معنى غير اعلان الحرب على روسيا وهو ان الشرقيين قاموا يناهضون الغربيين بعد طول الاستعداد لمنع اعتدائهم عليهم وانهم كالوا للكومودور بري الاميركي بالكيل الذي كال لهم وعقدوا النية على صدِّ الخطر الابيض بالقوَّة . وقد دلَّت حوادث السنة الماضية على ان اليابانيين لم يقدروا قوتهم فوق قدرها . ومهما يكن هناك من الريب في نتيجة المعركة البحرية عند كتابة هذه السطور لاسيما بعد ما ابداهُ الاميرال روجستفنسكي الروسي من المهارة في ايصال اساطيلهِ الى مياه الشرق الاقصى فلا يكاد احد يرتاب في نتيجة الحرب الاخيرة . فاذا اصرَّ الروس على مداومة الحرب فلا بدَّ ان يصيب ڤلادڤستوك ما أصاب بورت آرثر وينالهم في خربين ما نالهم في مكدن

ومما لا يكاد يشكُّ فيهِ ايضاً ان من شروط الصلح اخلاء روسيا لمنشوريا وردَّ جزيرة سغالين الى اليابان . وقد اخذت نتائج هذه الحرب تبدو على الصين من كلِّ جانب وزادت الحركة الآئلة الى سير الصين في خطة اليابان . وقصد اليابان في السنة الماضية عدد عظيم من التلامذة الصينيين لم يسبق لهُ مثيل ففي توكيو وحدها اربعة آلاف تلميذ على حين ان عدد التلامذة الصينيين في انكلترا لا يزيد على ٨٠ تلميذاً مع عظم التجارة التي بين انكلترا والصين . وفي الصين عدد كبير من الضباط اليابانيين يعلمون الجيش الصيني ويدربونهُ ويديرون ترسانات الحكومة . فتأثير هؤلاء والتلامذة الصينيين عند رجوعهم الى بلادهم في جمهور الامة الصينية لا بدَّ ان يكون عظيماً . ومع ان نار الحرب مستعرة بين روسيا واليابان فقد زادت حركة التجارة ما بين الصين واليابان زيادة تذكر مما ينبئ بعظم اتساعها بعد الحرب . ويؤمل اليابانيون ان ينالوا امتيازات من الصين بالتعدين ومدّ سكك الحديد في بلاد فوكيان

قياضاً يردّ منشوريا اليها . وبلاد فوكيان هذه هي البلاد المواجهة لجزيرة فرموزه على ساحل الصين الشرقي وهي ضمن دائرة نفوذهم

على ان من نتائج الحرب التي لا بدَّ منها تمكين ربط الوداد بين تينك السلطنتين الاسيويتين وتقريب الواحدة منهما الى الاخرى . وحالما يشتدُّ ساعد الصين وتصبح من الدول التي يعتدُّ بمحالفتها لا يبعد ان نرى بينها وبين اليابان محالفة هجومية دفاعية . وظاهر للعيان انهُ قد آن الاوان لان تردَّ الدول يدها عن الشرق الاقصى ولا تمدها فيما بعد لامتلاك بقاع منهُ . ولا يبعد ان تفضي الحال الى اكثر من ذلك عاجلاً او آجلاً فيصلنا انذار بان نخلي واي هاي واي بعد طرد الروس من بورت آرثر وتنذر المانيا باخلاء كياوشاو ولعمري ماذا يفعل الالمانيون لو جاءهم هذا الانذار وما هي القوة التي يقاومون اليابان بها . وقس علينا وعلى المانيا فرنسا

فيظهر من ذلك ان الخطر الابيض في شرق اسيا صائر الى الزوال ان لم يكن قد زال وان قاعدة منرو [1] التي يجري الاميركيون عليها من جهة اميركا مطبوعة في صدور مئات الالوف من الاسيويين من جهة اسيا ونافذة فعلاً ولو لم يصرح بها قولاً . وسيرى كثيرون في ذلك تحقيقاً لاعظم مخاوفهم من الخطر الاصفر . قال المسيو اناطول فرانس "وسنرى عن قريب خطراً يتهددنا . فاذا وُجد فمن أوجدهُ . فليس اليابانيون هم الذين جاءوا يفتشون عن الروس ولا الصفر هم الذين يفتشون عن البيض . وان كنا قد درينا بالخطر الاصفر الآن فان الاسيويين دروا بالخطر الابيض منذ زمن طويل . ألم يكن ذلك القصر الصيفي الى الارض ومذابح بكين وتقطيع اوصال الصين اسباب قلق واضطراب للصينيين . ام كان اليابانيون آمنين على انفسهم ومدافع بورت آرثر مصوبة اليهم . فقد ولدنا نحن الخطر الابيض وهو ولد الخطر الاصفر"

وكما ان الخطر الابيض ولد الخطر الاصفر فكذلك موت الاول يجلب موت الثاني . فان من يلم بتاريخ الصينيين و يعلم حق العلم ما طبعوا عليهِ من المسالمة وكره المخاصمة يضحك استهزاء بمن يقول انهم يغيرون ذلك الخلق فيهم و ينقلبون من تلك السجية الى ضدها فيصيرون محاربين بعد ان كانوا مسالمين لان ذلك يستلزم تغييراً جوهرياً في طبع الامة كلها والصينيون لا يقبلون تغييراً . انتهى

(١) احد رؤساء الولايات المتحدة الاميركية وقاعدتهُ اميركا للاميركيين

التحوُّل الفجائي

MUTATION

لا يخفى ان انواع الحيوان والنبات كثيرة مختلفة بعضها عن بعض يسهل تمييزها لما بينها من الفوارق او المميزات فالانسان غير الفرس والفارة غير الهرة والتفاح غير البرتقال والفول غير القطن . وكذلك اصناف النوع الواحد مختلفة اختلافاً كبيرًا فتجد بين اصناف الكلاب فروقاً تكاد تجعلها انواعاً مختلفة منها ما هو كالحمار في جرمهِ ومنها ما تضعهُ في جيبك لصغرهِ . منها ما هو صغير البدن كبير الراس مستديره' ومنها ما هو كبير البدن صغير الراس مستطيله' . ومنها ما شعره' طويل اجعد متدلٍ كأنهُ شعر النساء المرجَّلُ ومنها ما لا شعر له' بل هو بادي البشرة كأن جسمهُ جسم الانسان. وتكثر هذه الاصناف في الفاكهة والخضر والبقول والازهار كالليمون والعنب والتفاح والطماطم والفلفل (القليفلة) والورد . فاصناف الليمون كثيرة مختلفة شكلاً ولوناً وطعماً حتى يتعذر حسبانها كلها من نوع واحد وكذلك اصناف العنب والتفاح والطماطم والفلفل والورد وكل عام تتولَّد اصناف جديدة منها

لكن هذه الاصناف والانواع مهما اختلفت وتباينت تبقى متشابهة في امور كثيرة فلكلٍ من الانسان والفرس رأس ودماغ وفم وعينان واذنان ومنخران وفكَّان واسنان ولسان وقصبة ورئتان وكبد وقلب ومعدة وامعاء وكليتان ويدان ورجلان وعظام ولحم وجلد وشعر الى آخر ما هنالك مما يشترك فيهِ الانسان والحيوان وهو كل عضو جوهري ظاهرًا وباطناً بل هما يشتركان في اصل هذه الاعضاء وما تتركب منهُ من الشرايين والاوردة والالياف والحويصلات الاصلية التي تتركب اجسامهما منها. واذا شرَّحت فارة وشرَّحت انساناً فقلما تجد بينهما فرقاً في شيءٍ جوهري . ولا تجد في جسم الانسان شيئاً لا تجده' في جسم الفارة فتجد اصابع اليدين والرجلين متشابهة تشابهاً تاماً واغشية العين وبلوراتها ورطوباتها تجدها متماثلة كأنها افرغت في قالب واحد . ويزيد هذا التشابه في اجنَّة الحيوانات فتجد اجنَّة الانسان والفرس والكلب والطائر متشابهة تماماً في ادوارها الاولى حتى لا تكاد تفرق بينها . وشجرة التفاح وشجرة البرتقال تتشابهان في الاغصان والجذور والورق والزهر والثمر والنمو والتفرُّع وكذلك نبات القطن ونبات الفول وهلمَّ جرًّا . والتشابه بين الاجزاء الاصلية المؤَلفة منها اوفى واتم ومع ذلك كلهِ لم يسمع في تاريخ البشر من اول عهدهم الى الآن ان فرساً صار انساناً او كلباً صار ثورًا ولا ان برتقالة صارت تفاحة او تينة صارت رمانةً بل هذه الانواع مستقلَّة بعضها عن بعض وقد كانت

مستقلة كذلك منذ الوف والوف الوف من السنين. ولكن البحث في المتحجرات الارضية يدلّ على ان هذه الانواع لم تكن كذلك منذ اول عهدها بل كان لكثير منها اصل واحد يجمعها ومنهُ اشتقّت كما اشتقّت الاصناف المختلفة من النوع الواحد والانواع المختلفة من الجنس الذي يجمعها وهذا هو النشوء الذي قال بهِ دارون وغيرهُ من علماء الطبيعة واستدلوا على انهُ عمل بطيء جدًّا اقتضى الوفًا وملايين من السنين حتى بلغت بهِ انواع الحيوان والنبات ما بلغت من التعدُّد والتباين وعلّلهُ دارون وغيرهُ بالانتخاب الطبيعي والجنسي والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح مما بيّناهُ غير مرة في شرح مذهب دارون

لكن هذا المذهب لم يسلم من اعتراضين كبيرين الاول ان بعض انواع الحيوان والنبات لم تتغير قط منذ العصور الجيولوجية الاولى الى الآن مع انها تعرَّضت لما تعرَّض لهُ غيرها من موجبات هذا التغيُّر. والثاني ان التغير المشاهد في الانواع بطيءٌ جدًّا حتى ان الزمن الذي قدروا اولاً انهُ مرَّ على الارض من حين صارت صالحة لمعيشة الحيوان فيها الى الآن لا يكفي لتولُّد الانواع وتباينها فاضطرَّ العلماء الطبيعيون والجيولوجيون ان يعيدوا النظر في تاريخ الارض لعلها تكون اقدم مما قدَّروا اولاً فاوصلوا قدمها الى مئة مليون سنة

وقد كان يخطر لنا خاطر نراهُ معقولاً ولو لم نرهُ مثبتًا بالامتحان العلمي وهو ان حياة النوع مثل حياة الافراد التي يتألف منها ذلك النوع كما ان حياة الفرد مثل حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فكما يولد الفرد وينمو وتمرُّ عليهِ ايام او سنون قبلما يبلغ اشدَّهُ ثم يلد افرادًا آخرين في احوال مخصوصة كذلك النوع يولد وينمو وتمرُّ عليهِ قرون كثيرة ثم يلد انواعًا أُخرى في احوال مخصوصة. فالنوع فصل قائم برأسهِ كالفرد ولهُ حياة طويلة نسبتها الى حياة الفرد كنسبة حياة الفرد الى حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فان جسم الحيوان مؤلف من حويصلات صغيرة وكل حويصلة منها تولد وتلد حويصلة مثلها ثم تموت وتندثر في ساعات او ايام والحيوان يولد ويلد ثم يموت ويندثر في سنة او سنوات واذا مشينا على هذا القياس فلا يبعد ان يجري النوع والجنس هذا المجرى فيكون للكون كلهِ نظام واحد من اعلاهُ الى اسفلهِ

ولا بدَّ من ان يكون هذا الخاطر قد خطر لكثيرين قبلنا ولكن الذين بحثوا عما يؤيدهُ فلا اولهم الاستاذ ده فريس الذي قال ان الانواع تتولَّد فجأةً وسمَّى ذلك بالتحوُّل الفجائي Mutation كما سيجيء

وقد اطَّلعنا الآن على تفصيل حادثتين شاهدهما الدكتور تشارلس هوبت من علماء اميركا تدلان على حدوث التحوُّل الفجائي في الطماطم فرأينا ان نلخص ما ذكرهُ عنهما ثم نشفعهُ

بخلاصة التجارب التي جربها الاستاذ ده فريس النباتي الهولندي صاحب هذا الرأي

قال الدكتور هويت اشتريت سنة ١٨٩٨ نحو ٢٤ نبتةً من نبات الطماطم من الصنف المعروف "بالاكم" ونقلتها قبلما تزهر الى حديقة صغيرة حول بيتي فعاشت وازهرت واثمرت وكان ثمرها من ثمر الصنف الذي هي منهُ تماماً . كان النبات كلهُ كبيراً دقيق السوق بلغ طولهُ اكثر من مترين فاستلقى على الارض ولون ورقهِ اخضر باهت وفصوصهُ ضيقة بعيد بعضها عن بعض ذات زُنَيْدات طويلة وسطحها قليل التغضن وثمرهُ معتدل الحجم كروي مسطح او مستطيل عرضاً ينضج في وقت واحد وهو مشحم طيب الطعم يستحيل من اللون الاخضر الى الاحمر القرمزي مع قليل من الصفرة

واخترت البزر من اجود هذه الاثمار وسررت عليهِ وزرعتهُ في حديقتي في السنة التالية وا نتظرت ان يكون النبات من صنف الاكم لان هذا الصنف صار ثابتاً ولانني اعتنيت اعتناء خاصاً حتى يبقى خالصاً لا يمتزج بغيرهِ ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها شيء من نبات الطماطم مطلقاً . فنبتت البزور وكبر النبات واذا هو مخالف للنبات الاصلي الذي اخذت البزر منهُ في شكلهِ وشكل ثمرهِ وفي كل الصفات المميزة لهُ وبان هذا الاختلاف من حين ظهر النبات من الارض اي في الاوراق الاولى منهُ وكانت الاوراق الاولى ثلاثاً وهذا شيء لم ارهُ في نبات الطماطم قبل ذلك . ونما النبات وبلغ اشدهُ وكان منتصباً مجموعاً ولا يبلغ ارتفاعهُ الاَّ نحو متروثلث وكانت فروعهُ قليلة متينة ولون ورقهِ اخضر قاتماً وزنيدات الاوراق قصيرة قوية والوريقات عريضة غير بعيدة بعضها عن بعض وسطحها كثير الغضون والثمر مثل ثمر النبات الاصلي شكلاً ولكنهُ يختلف عنهُ لوناً وطعماً فهو اشد حمرةً منهُ واطيب طعماً ولا شيء من الصفرة فيهِ . ولم احفظ بزوراً منهُ بل اهملتهُ وظننت انهُ صنف جديد ضاع باهمالي لهُ

وسنة ١٩٠٠ اشتريت من شركة البزور في فلادلفيا بزوراً من بزور الطماطم المعروف بالاكم وكان مزروعاً في بنسلفانيا على نحو مئة ميل من الارض التي اشتريت منها نبات الطماطم اول مرة وزرعت البزر وربيت منهُ ثلاثين نبتةً وكانت كلها من صنف الاكم من غير خلاف مثل الذي وصفتهُ اولاً ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها نبات آخر من نوع الطماطم وبلغ النبات اشدهُ واثمر واحتفظت ببزورهِ جيداً مثلما فعلت اولاً وزرعتها في العام التالي حاسباً انها تنبت طماطماً من صنف الاكم الذي هي منهُ ولكن جاء الامر الآن كما جاء سنة ١٨٩٩ فانَّ كل نبات من هذه الانبتة وكل ورقة من اوراقها وكل ثمرة من اثمارها جاءت مثل النوع الذي تولَّد عندي سنة ١٨٩٩ تماماً ولا خطأ في ذلك لانهُ لم يهتم احد غيري بجمع البزر

وزرعهِ وخدمة النبات من اول ظهورهِ الى ان اثمر وقد اعتنيت بذلك اعتناء علمياً كما اعتني بغيرهِ من التجارب العملية . وسميت هذا الصنف الجديد بطماطم وشنطون وهو مخالف للصنف الذي تولَّد منهُ في الحالين شكلاً ولوناً وطعماً ثمراً وورقاً وقد حصل ذلك في هاتين النوبتين دفعةً واحدةً وكان التغيير شاملاً لكل البزور التي زرعتها لم تشذَّ عنهُ بزرة واحدة . انتهى باختصار كثير

ويظهر من ذلك انهُ كان في الطماطم الذي زرعهُ ميل للتحوُّل ووجد في الارض التي زُرع فيها فواعل غير عادية ساعدت هذا الميل على الظهور . ولعلَّ الاصناف كلها تولدت على هذه الصورة وكذلك تولدت الانواع بعضها من بعض كأن في ميكروبات الارض وعناصرها ما يفعل بحويصلات النبات فعل اللقاح بالبيوض فتتولد منها اصناف وانواع جديدة كما يتولد حيوان من حيوان ونبات من نبات ويكون ذلك دفعة واحدة لا بالتدريج الذي قال بهِ دارون . والذي انتبه الى هذا الامر اولاً واثبتهُ بالتجارب هو الاستاذ ده ڤريس كما تقدم فانهُ زرع مئة نوع من النبات وكان يراقبها حتى اذا رأى اقلَّ اختلاف في نبات منها عن النبات الاصلي المأخوذ البزر منهُ وَضع حولهُ غشاء شفافاً ومنع اتصال اللقاح من غيرهِ بهِ وبعد تجارب كثيرة رأى نوعاً واحداً من هذهِ النباتات قد تغيَّر تغيُّراً كافياً لان يسمَّى نوعاً جديداً وهو النبات المسمَّى بنبات الحمار لان ورقهُ يشبه اذني الحمار واصلهُ من اميركا أُتي بهِ الى اوربا سنة ١٦١٣ وزرع في هولندا واعتاد اقليمها وهو ينبت فيها الآن برياً ويزرع بستانياً . وقد لوحظ منذ سنة ١٨٧٥ ان هذا النبات اينع حول مدينة هلفرسم وكثرت اصنافهُ هناك وتنوَّعت كأنهُ كان في الدور الذي تظهر فيهِ التغيرات الجنسية فزرعهُ ده ڤريس بين ما زرع من النبات في بستان النبات بامستردام وظل يزرعهُ سنة بعد سنة ويراقبهُ مدة اربع عشرة سنة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٠ فتولَّد منهُ شكل جديد سنة ١٨٨٧ وتولَّد منهُ نوعان جديدان سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٩٠٠ صار عندهُ ٨٠٠ شجرة تردُّ الى سبعة انواع جديدة لم تكن معروفةً من قبل . وقد انتقى هذه الثمانمئة شجرة من خمسين الف شجرة اي ان التحوُّل الفجائي حدث في ١½ في المئة وتجارب ده ڤريس دقيقة جداً لا تحتمل الخطأ

وقد ابان المسيو داستر في مجلة العالمين الفرنسوية ان هذا التحوُّل الفجائي اصاب انواع الحيوان في العصر الجيولوجي الاول الذي تدل عليهِ الطبقة الاولى من طبقات الارض الحاوية الاحافير فقد ابان اغاسز انهُ يظهر من تلك الاحافير كأنَّ انواع الحيوان ظهرت كلها حينئذٍ في برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتضِ تكوّنها زمناً طويلاً وكذلك ابان

الدكتور تشارلس هويت ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة في العصر الكربوني

ولما ظهرت الزحافات في الدور الثاني ظهر فيها اختلاف كبير فكان بعضها كبيرًا جدًّا يساوي الواحد منهُ اربعة افيال حجماً وبعضها صغيرًا جدًّا اصغر من الهر وكان بعضها من أكلة اللحم وبعضها من أكلة النبات بعضها مما يعيش في الماء وبعضها مما يعيش على اليابسة بعضها يمشي على اربع وبعضها يمشي على اثنتين كالطيور وكان ظهور هذه الحيوانات كلها على اختلاف انواعها فجائيًا بالنسبة الى الازمنة اللازمة لتحوُّل الانواع حسب رأي دارون ولا يعقل انهُ وجدت على ذلك الاسلوب ثم انقرضت لانها لا تصلح للبقاء ولكن الاقرب الى العقل انها وجدت بغتةً ثم تغيرت انواعها الى انواع اخرى اي انها ولَّدت انواعاً اخرى قبلما ماتت

ويؤخذ من كلام المسيو دافراز ان التغير الفجائي يبتدئ في النبات عند اول ظهوره من البزرة كأنهُ امر عارض يطرأ عليهِ. ولكن يظهر لنا ان هذا التغير يبتدئ في النبات الاصلي الذي تتولد منهُ تلك البزرة حين تولدها فيهِ اي كما ان الحيوان ينمو ويتجدد جسمهُ كل سنة ولكن ذاتيتهُ تبقى هي هي ثم يأتي وقت يلد فيهِ حيوانًا آخر غيره لهُ ذاتية مستقلة عن ذاتيتهِ كذلك النوع يلد افرادًا مثلهُ فيبقى متصلاً بها الى ان يأتي وقت يلد فيهِ نوعاً آخر جديدًا مستقلاً عنهُ فيكون النوع الجديد مخالفاً للاصل من حين ولادتهِ وبذلك تكون للانواع ذاتيات مستقلة مثل ذاتيات الافراد كما قدمنا في صدر هذه المقالة . وهذا التحوُّل الفجائي يفسر كل ما يرى من انواع الحيوان والنبات على اسهل سبيل ويدل على وحدة النظام في المخلوقات

حِيَل النبات

اذا صحَّ ما يقولهُ بعض العلماء من ان النبات يشارك الحيوان في الحس كما يشاركهُ في الحياة فليس بدعاً ان يفتق الحيل مثلهُ ويخلق الوسائل المتعددة لصيانة حياتهِ والدفاع عن كيانهِ ويعمد الى امور يشتمُّ منها رائحة الفهم والاستدلال وهي افعال طبيعية محضة لحفظ نوعهِ . فان من الحيوان ما يتغير لون جلدهِ بتغير لون الارض التي يتخذها سكناً لهُ كبعض انواع السمُّور في روسيا فان جلدهُ يبيضُّ في الشتاء متى كسا الثلج الارض اخفاء لهُ من الاعداء ثم يعود الى لونهِ الاول بعد ذوبان الثلج . والضفادع التي تتسلق الاشجار يتلون جلدها بلون الاشجار وكذلك الضفادع التي تعيش بين الاعشاب ترى لونها مخضرًا حتى يعسر الاهتداء اليها فيها . وما يقال في السمُّور والضفدع يقال في غيرهما فنكتفي بهما شاهدين على الحيل التي تستنبطها الطبيعة في الحيوان لحفظ نوعهِ

واذا استُغرب استنباط الحيل في الحيوان للمحافظة على نفسهِ وهو معروف بانهُ ذو شعور واحساس ومنهُ ما هو ذو فهم وادراك فما قولك بالنبات ونسبة الحسّ اليهِ لا تزال مذهباً ضعيفاً . لا ريب ان ما يبدو على النبات من دلائل حبّ الحياة والرغبة في البقاء والدفاع عن نفسهِ من مكايد الاعداء اعجب مما يبدو على الحيوان واغرب بقدر ما بينهما من التفاوت في المنزلة والرتبة

والطرق التي يعمد النبات اليها للمحافظة على نفسهِ كثيرة منها ان بعضهُ ينبت بين العواسج والاشواك لكي لا تمدّ اليهِ يد انسان مختال ولا فم حيوان جائع

ومنها ان بعض انواعهِ ينزع عنهُ اوراقهُ متى انتهى زمن نموّهِ ويتخذ شكلاً مخصوصاً ويبقى مدفوناً تحت الارض لاسيما حيث يشتدّ القيظ صيفاً والبرد شتاء

ومن النبات ما ينبت تحت الماء فلا تصل اليهِ يد معتدٍ من الحيوانات التي تعيش في الهواء . نعم ان كثيراً من الحيوانات المائية يأكل النبات ولكنّ ضررهُ قليل في جنب الضرر الذي تحدثهُ الحيوانات الاخرى . ثم ان وجود النباتات المائية تحت الماء يقيها قرّ الشتاء في الاقاليم الباردة فان الماء مهما اشتدّ بردهُ لا يتجاوز درجة الصفر بخلاف الهواء كما هو معلوم

ومنهُ ما يتسلق الاشجار و يعرّش عليها فتبيت اوراقهُ بمأمن من الحيوان الآكل النبات كبعض انواع الدوالي واللبلاب

لكنّ من النبات ما لا يقتصر على خطة الدفاع عن نفسهِ بل يتخطاها الى الهجوم على الحيوان الذي يدنو منهُ او يعترض في سبيلهِ اخذاً بالثار من الحيوان الذي يسطو على غيرهِ من اخوانهِ . واشهرهُ نوع ينبت تحت الماء ويرسل خراعيبهُ في كل جهة وفي الخراعيب اكياس صغيرة في طرف كلّ منها اهداب على شكل قمع يؤدي الى ما هو بمنزلة الفم فاذا ضغط من الخارج فتح حالاً ثم انضمّ وانصرم حتى يتعذر على ما دخلهُ من الحشرات والديدان الصغيرة ان يخرج منهُ فهو لها مثل المصيدة للذباب والفئران . ومتى ماتت اغتذى النبات بلحمها

ومن النبات نوع اذا اكتمل نضج بزورهِ انفلق الغلاف الذي يحويها بقوة فانتثرت البزور في كل جانب فعسر على الحشرات الاهتداء اليها لصغرها . ومنهُ البنفسج واللوبياء والخروع وغيرها

ومن اغرب انواع النبات وابهجها نوع من السوسن يقلد الحية ذات الاجراس حيث يكثر وجودها في هيئتها والصوت الذي يحدث منها . فاذا مستهُ بهيمة ترعى عند تمام بلوغهِ ونضج بزورهِ صاتت البزور في غلفها صوتاً يشبه صوت الحية المذكورة فتنفر البهيمة منهُ مذعورة مخافة ان يكون حية فيسلم بذلك الى السنة التالية

ومن البزور ما يقلد الحصى في شكلهِ الخارجي ولونهِ حتى اذا سقطت بزرة على الارض بين الحصى عسر الاهتداء اليها او على التربة ظن انها حصاة فلم يتعرض لها · من ذلك بزور الخروع وبعض انواع اللوبياء · ومن التين الشوكي (الصبير) ما يشبه ورقهُ حجارة الارض التي ينبت فيها من حيث شكلها ولونها فلا يهتدى اليهِ · والمخلوقات كلها في جهاد مستمر يميت بعضها بعضاً ويحيي بعضها بعضاً ويقهر بعضها بعضاً وينصر بعضها بعضاً نظام تحار الافهام فيهِ ولا يسهل الاهتداء الى اسرارهِ وخوافيهِ

جزيرة سخالين [1]

هذه الجزيرة السحيقة الارجاء الشاسعة الاطراف تشغل قسماً كبيرًا من بحر اوخنسك وهي منفى للذين يرتكبون الجرائم الكبيرة من الروس · وقد زادت اهميتها بسبب الحرب الحاضرة فجعل ساسة الدولتين المتحاربتين يبحثون في امرها وفي ما يأول اليهِ بعد الحرب . ويذكر القراء ان الطراد الروسي نوفيك غرق امامها في مياه ثغر كورسا كوفسك واليابانيون يجدون في اثرهِ ويطلقون قنابلهم عليهِ حتى اصاب الثغر المذكور نصيب منها . ومن ذلك الحين طرأ انقلاب عظيم على داخلية الجزيرة نشأ عنهُ تخفيف بعض الكرب عن المنفيين وتاليف فصائل متطوعة منهم لحراسة الجزيرة والمدافعة عنها جهد المستطاع · وقد بان واشتهر ان افكار اليابانيين موجهة اليها يتمنون فتحها والاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك

اما تاريخها فمجملهُ ان الاوربيين لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها قبل اوائل القرن الثامن عشر عند ماظهر اطلس الجغرافي الشهير انفيل وهو المسمى " اطلس الصين الجديد" · وظنوا بعد ذلك انها شبه جزيرة ولكن احد السياح الروس طاف شطوطها الغربية سنة ١٨٤٩ فرأى انها جزيرة لاشبه جزيرة . اما اليابانيون فعرفوا انها جزيرة منذ زمن طويل فان احد مهندسيهم وضع خريطة دقيقة لها سنة ١٨٠٨ فلم يعلم الاوربيون بها الاَّ حديثاً

وفي سنة ١٨٦٧ عدت هذه الجزيرة ملكاً مشاعاً يحق للجميع الانتفاع بهِ ولكن وقع نزاع عليها بين الروس واليابانيين وعدها كل منهم ملكاً لهُ حتى اضطر الامر الى عقد مجلس من مندوبي الفريقين فقرر انهُ يجوز لمن اراد من الطرفين الانتفاع باراضي الجزيرة والجولان فيها بلا معارضة وان يعد القسم الجنوبي منها من المستعمرات اليابانية · ثم ابرم الفريقان اتفاقاً سنة

(١) معربة عن الروسية بقلم عساف افندي جرجس وهبه

١٨٧٥ ما لهُ انتقال الجزيرة الى ايدي الروس ووضع اليابانيين يدهم على جزائر كوربل بدلاً منها

وتحرت باخرة من بواخر الاسطول الروسي المتطوع في مياهها سنة ١٨٧٩ وهي تقل عدداً كبيراً من المنفيين . وفي كل سنة يرسل اليها عدد منهم . وقد تألفت لجنة للاهتمام بسكناهم ومعيشتهم وتدبير شؤونهم

والجزيرة غنية بالمعادن وخصوصاً الفحم الحجري والبترول والحديد ولكن تربتها لا تصلح للزراعة . واعظم ما يرغب اليابان فيها كثرة صيدها من انواع السمك المختلفة ويكثر على شطوطها نوع من السمك يصطاده اليابانيون و يسمدون بهِ حقولهم . وغاباتها كثيفة لم تمسها يد انسان . وقد انتدبت شركة البترول في باكو احد مشاهير الجيولوجيين من الروس لفحص مناجم البترول التي فيها فقرر ان كل ما رآهُ في اميركا وباكو منهُ لا يعادل ما رآهُ فيها . ويقال بالاختصار ان فيها من الخيرات الطبيعية ما لا تكاد بقعة اخرى من بقاع المعمور تحوي مثلهُ

وللروس فيها الآن ١٦٣٤ جندياً نيطت بهم حراسة المنفيين . وقد الفت الحكومة المحلية جنداً منظماً من المنفيين انفسهم دربتهُ على احكام الدفاع عن الجزيرة . ومما يذكر عنها ان اسباب المعيشة فيها صعبة لكثرة الامطار والجليد وشدة البرد وقلة اسباب اتصالها بروسيا في فصلي الشتاء والربيع خصوصاً وهي فرضة أضواحي نهر عامور فمن يستولِ عليها فقد استولى على بلاد غنية كثيرة الخيرات اذا عرف كيف يستثمر خيراتها



كتاب الاملاء

الى حضرتي الفاضلين الجليلين منشئي المقتطف الاغر

اني احييكما تحية مباركة طيبة واستجديكما قبولها ممن يدري مكانتكما في العلم والعالم واجلكما بقدر ما اثرتما بالفكر والقلم في وادي النيل بل في الدنيا وبقدر ما احييتما من انفس ماتت من الجهالة واشكر لكما ما تفضلتما بهِ من تقريظ كتابنا "كتاب الاملاء" واعتقد أن لكما عذراً في عدم استقصاء مواضيعهِ مطالعةً فان زمنكما نفيس وصرفهُ فيما يعنيكما ويعني الامة من جهات اخرى اولى ولو اتيح لكما من الوقت ما يسع المطالعة التامة في الكتاب

لوجدتماهُ وفاق غرضكما تماماً مميّزاً فيهِ بين الراجح والمرجوح لا كما ذكر عفواً في صفحة ٤٠٨ من المقتطف الصادر في مايو الماضي فقد جاء فيها ما نصهُ وجمع بين آراء المحققين وآراء المتقدمين في كثير من المواضيع وحبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح

واني لا يمكنني أن اكلفكما مطالعة الكتاب ولا احب الاطالة في الاستدلال حرصاً على وقتكما النفيس ولكن لا بأس ان ذكرت مسألة واحدة هي نموذج لتمييز بين الراجح والمرجوح في الكتاب كلهِ والكتاب موجود عند عدم كفاية ذلك ولا اخالكما الاَّ مكتفيين

جاء في صفحة ٤٠٨ من المقتطف المذكور ما نصهُ وفضَّل نقط الياء المتطرفة

والحقيقة ان بعض العلماء كما ذكرت في صفحة ٣١ من مقدمة الكتاب يقول بنقطها اذا نطق بها ياء لا الفاً لينة ولما كان ذلك خلاف الراجح قلت ردّاً عليهِ في تلك الصفحة بعينها اثناء كلام هذا نصهُ لكن الذي عليهِ المعول ان النون والفاء والقاف اذا تطرفت او انفردت جاز فيها النقط وعدمهُ وان الياء اذا تطرفت او انفردت لا يجوز نقطها اه

ثم قلت في صفحة ٢٢٥ عند الكلام على نقط الياء ما نصهُ : الثاني الياء الواجب اهمالها وهي قسمان الاول الياء المتطرفة الى ان قلت في صفحة ٢٢٦ ما نصهُ : وذكرنا في المقدمة عن بعضهم ان المتطرفة تنقط ان لم تكن الفاً بصورة الياء فرقاً بين الياءين . فعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو (المعطِي) اسم فاعل و (المعطَى) اسم مفعول بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط . ولا يخفى ان النقط اشد اتصالاً بجوهر الكلمة من الشكل بدليل انهم يستغنون عن الشكل ولا يستغنون عن النقط فلو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني اه

وقد فتحت جميع مسائل الكتاب بالراجح ومن هنا يعلم اني ما فضلت نقط الياء المتطرفة بل الذي جريت عليهِ انها لا تنقط غاية الامر من حيث اني اذكر الخلاف ذكرت ان بعضهم خالف فقال بنقطها في حالة دون حالة كما ذكرنا وان دليلهُ قوي ولكنهُ خلاف المشهور . واني في هذا المقام التمس منكما امرين الاول قبول معذرتي في هذا الخطاب كما قبلت معذرتكما فيما ذكر . والثاني التفضل بنشر الحقيقة في المقتطف اتماماً للجميل الذي بدأتما بهِ لاسيما وان التمييز بين ما ذكر من مقاصد الكتاب التي نبهنا عليها فيهِ . وفي الختام ارجو قبول اخلاصي القلبي واحترامي والسلام

حسين والى

[المقتطف] اننا نشكر حضرة الكاتب الفاضل على تنويههِ بذكر المقتطف ولا ننكر اننا لم نطالع كتابهُ كلهُ ولكننا طالعنا ما بهِ الكفاية . والذي ذكرناهُ من حيث الراجح والمرجوح

خاص بمقدمة الكتاب لان فيها المواضيع التي تضاربت فيها آراء المتقدمين من كتاب العربية والمحققين من علماء هذا العصر اما سائر الكتاب فلا وجه لاختلاف المتقدمين والمحققين فيهِ لانهُ من المعارف الوضعية او النقلية. وكأنهُ يطلب منا البسط والايضاح فلا نبخل بهما لاننا نرى منهما فائدة عامة. هب انك رأيت رجلاً من الصاغة جمع بين عشرين درة من الدر ثمن الواحدة منها مئة جنيه او اكثر وبين عشرين قطعة من الخزف ثمنها كلها خمسة مليمات وصاغ من ذلك عقدًا واحدًا وقد نظرت الى ذلك وانت تعرف ما هو الدر وكم ثمنهُ وما هو الخزف وكم ثمنهُ فاقلُ ما تقولهُ عن ذلك الصائغ حبذا لو ميز بين الدر والخزف. او هب ان حضرة مهندس ديوان الاوقاف وضع كتابًا شرح فيهِ كيفية رسمهِ لبناء ديوان الاوقاف الجديد وبناء غرفهِ ودورهِ وزخرفتهِ من الداخل والخارج ووضع فيهِ الرسوم المختلفة والاشكال التي اختارها من المباني العربية القديمة والتي نوّعها واصلحها والزمن الذي اقتضاهُ بناء ذلك الديوان والنفقات التي انفقت عليهِ وبيَّن كل ذلك بالتفصيل التام. وان انسانًا من المشايخ اسمهُ الشيخ القليوبي مثلاً علق في حاشية كتاب من كتبهِ ان الخضر عليهِ السلام جاءهُ ذات ليلة وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ اني ارى بناء ديوان الاوقاف في شارع عابدين ضيقًا فابنِ لهُ دارًا آخرى. ثم نهض في الصباح فرأى دار ديوان الاوقاف الجديد قائمة تامة كما هي الآن

ثم هب ان رجلاً كتب تاريخ القاهرة بعد مئة سنة من الآن وذكر دار ديوان الاوقاف هذه فقال ان في اصل بنائها روايتين الواحدة ان مهندسًا اسمهُ صابر بك صبري وضع رسمها وتولى بناءها وبلغت نفقاتها كذا كذا من الجنيهات من مال الاوقاف. والرواية الثانية ان الخضر عليهِ السلام بناها في ليلة واحدة بطلب الشيخ القليوبي. ذكر الروايتين ولم يفرق بينهما بقولهِ ان الاولى صحيحة والثانية خرافية. ولماذا نفرض هذا الفرض وعندنا ما هو مثلهُ فان مدينة تدمر كانت من اعظم مدن المشرق وكانت عاصمة مملكة كبيرة في بلاد الشام ولم تزل آثارها من اعظم آثار المدائن الشرقية. وقد ذكرت التواريخ القديمة شيئًا عن عظمتها وكيفية بنائها ولا يزال علماء الآثار يذهبون اليها ويبحثون في آثارها حتى لو جُمع كل ما كتب عنها في كتب المتقدمين والمتأخرين لملأ مجلدات كثيرة. هذه هي الرواية الواحدة عن اصل هذه المدينة وكيفية انشائها. ولاحد شعراء البادية رواية اخرى يقول فيها ان الله قال لسليمان الحكيم

وجيّش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ

فبنوها له'. وهب ان كاتباً من الكتاب ذكر الروايتين ولم يشر الى ان الرواية الثانية خرافية بل ذكرها كأنها تحتمل الصحة كالرواية الاولى فهل نخطئ اذا قلنا حبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح • وقد يظن حضرة المؤلف اننا ابعدنا في التمثيل ولكن الامر ليس كذلك بل ان الفرق بين الاقوال الاولى التي قالها عن اصل الكتابة في الصفحة ٣و٤و٥ وبين كثير مما قاله' بعد ذلك في الصفحة ٦ وما يليها كالفرق بين الدر والخزف او بين رواية صابر بك صبري عن بناء ديوان الاوقاف ورواية الشيخ القليوبي او بين رواية المؤرخين وعلماء الآثار عن بناء تدمر ورواية النابغة الذبياني

فقوله'' ان القدماء كانوا يصورون الليث رامزين بذلك الى ذاته ثم انتقلوا فرمزوا بالصورة الى اول الحروف في اسم صاحب الصورة " قضية علمية لم يصل العلماء الى تحقيقها الاَّ بعد الدرس والبحث وهي كالدر الثمين. وقوله'' ان الكتابة بلغت غايتها من الاتقان والجودة في دولة التبابعة وان اول من خط بالعربي اسمعيل الاَّ ان كل حروفهِ كانت متصلة حتى الالف والراء'' من الاقوال التي لا دليل ولا شبه دليل على صحتها . ونسبتها من حيث قيمتها التاريخية الى الاقوال الاولى كنسبة الخزف الى الدر لكن المؤلف ذكر هذه الاقوال وتلك كأنها من قبيل واحد في القيمة التاريخية وهذا الذي اردناه' حينما قلنا انهُ جمع بين آراء المحققين والمتقدمين ولم يميز بين الراجح والمرجوح اي لم يفصل او لم يفرق بينها بفارق يدل على صحة قول المحققين وبطلان قول غيرهم

ولا بأس بذكر الاقوال المرجوحة اذا قامت قرينة تدل على ضعفها او بطلانها في ما كتبناه' عن تدمر مثلاً في المجلد الخامس من المقتطف الصادر في غرة يوليو سنة ١٨٨٠ اي منذ ٢٥ سنة مضت ذكرنا اقوال المؤرخين عن بنائها واقوال غيرهم فقلنا " ان الامبراطور اورليانوس دوخها وقتل الثائرين من اهلها فافل نجم سعدها ولم تنهض من تلك السقطة بل دكت ابراجها الحصينة ونقوضت مبانيها الفخيمة وتهدمت صروحها الباذخة ولكن لم يعفُ آثارها كرور الايام ولا افنت عظمتها ايادي الدهر فقد ادهشت انقاضها واطلالها كل من رآها حتى زعم القدماء انها من بناء الجن كشأنهم في نسبة كل ما زعموه' فوق طور البشر الى الآلهة والجان قال النابغة الذبياني

الاَّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قم في البرية فاحددها عن الفندِ
وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمدِ

وقد ذكر تدمر ابو الطيب المتنبي حين تحصَّن بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة بن

حمدان العدوي سنة ٣٤٤ هجرية بقوله

وليس بغير تدمر مستغاث   وتدمر كاسمها لهم دمارُ

فترى في ما نقلناهُ هنا حقيقتين تاريخيتين الاولى ان الامبراطور اورليانوس خربها في اواخر القرن الثالث المسيحي والثانية انها كانت خراباً في عهد المتنبي سنة ٣٤٤ للهجرة اي بعد ان خربها اورليانوس بنحو سبع مئة وعشرين سنة وذكرنا بين هاتين الحقيقتين خرافة مشهورة وهي نسبة بنائها الى الجن بنتها لسليمان وابنا ان هذا القول خرافة وبيّنا سببها وعلى هذا السبيل كان يحسن بالمؤلف ان يميز بين الاقوال الراجحة والمرجوحة

اما قولنا انهُ فضّل نقط الياء المتطرفة فبنيٌّ على ما جاء في الصفحة ٢٢٦ حيث قال وعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو المعطي والمعطى بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط ... الى ان قال

"ولو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني" اي لاختاروا الفرق بين الياء والالف بالنقط لا بالشكل فاذا كان المؤلف يقول ان الانصاف يقضي باختيار النقط فلا نلام اذا فهمنا من ذلك انهُ يفضل النقط والأَ نسبناهُ الى عدم الانصاف

هذا وما يصدق عليهِ حكم الراجح والمرجوح قليل جداً وما بقي من الكتاب قواعدوشروح تشهد لحضرة جامعها وشارحها بالاعتناء والتدقيق وحب الافادة فنكرر شكرنا لهُ

تشيع المقتطف للانكليز

الى حضرة منشئي المقتطف الفاضلين المحترمين

(وذكّران نفعت الذكرى) ان كثيرين ممن نعرفهم من قراء المقتطف الاغر مع اعترافهم بفضلهِ ونفعهِ يرمونهُ بالتشيع للانكليز يقولون انهُ لا ينوّه الّا بالانكليز ولا يعترف بالفضل الّا للانكليز ولا يستحسن الّا ما هو انكليزي ولا ولا وربما حملهُ هذا الغلوّ في حب الانكليز على استحسان ما يستقبح من غيرهم و يستهجن و يستشهدون على الأول باغضائهِ عن ترجمة جول سيمون الفيلسوف الافرنسي الطائر الصيت والسيد جمال الدين الافغاني ثم اغضائهِ هذه المرة عن ترجمة المحسن الشهير احمد باشا المنشاوي وذكر خبر وفاتهِ بالاختصار في باب الاخبار ورؤيتهِ بعد خروجهِ من السجن في حين ان لهُ الحق ان يترجم وتنشر صورتهُ في صور المقتطف أُسوة بغيرهِ من المحسنين الانكليز وابنائهم الاميركيين ولهُ الحق ايضاً من جهة كونهِ من رجال المال والاعمال أُسوةً بالفحام والسكاف وبائع البيرة الذين ترجمهم

المقتطف وبسليمان افندي الخوري الحمصي الطبيب الذي خدم المرضى بطبهِ وبحلمهِ. ويستشهدون على الثاني بذكر المقتطف في معرض الاستحسان قفز الرئيس روزفلت ووثبةً من فوق الكرسي امام احد الوزراء لقاء بريطة جديدة طلباً للراحة كأنَّ الراحة لا تحصل الاَّ بهذا العمل الذي لو صدر من غيرهِ لعُدَّ خفةً ودناءةً معاً وقولهِ لاحد النواب اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًّا ولا وقت لي لمشاهدة احد مما يعد خشونة وفظاظة لو صدر من غيرهِ مع ان لهُ مندوحة عن ذلك بصرفهِ بالتي هي احسن فعسى ان يعتدل المقتطف ويقلل من هذا التشيع ويساوي بين الناس فذلك اقرب الى الصواب وابعد عن التهمة وبالله التوفيق بيروت منتقد

[المقتطف] لا نسرُّ بشيءٍ مطلقاً كما نسرُّ بالانتقاد لانهُ اما ان يُبيّن خطأً ارتكبناهُ نحن فنصلحهُ او خطأً ارتكبهُ المنتقد في ادراك غرضنا فنصلحهُ لهُ

ومدار هذا الانتقاد على اننا لا ننوه الاَّ بالانكليز ولا نستحسن الاَّ ما هو انكليزي

وجوابنا عن ذلك ان ليس الغرض من ذكر من نترجمهم في المقتطف من الانكليز التزلُّف اليهم او الى قومهم لان الذين نترجمهم يكونون قد ماتوا في الغالب ولان قومهم لا يعرفون العربية ولا يرون المقتطف. ولا نذكر اننا ترجمنا واحداً من الانكليز وعرف هو او ذووهُ ذلك. وانما غرضنا الفائدة العلمية التي تنتج لقراء المقتطف من مطالعة الترجمة او الفائدة التاريخية من ذكر اعمال المترجم العلمية. ومعلوم ان الذين يستحقون ان تذكر ترجماتهم في المقتطف كثار جدًّا لا يسع المقتطف ترجماتهم كلهم ولو كان اضعاف ما هو فيبقى علينا ان نختار ما نريد ولما لم يكن لنا غرض في التزلف الى المترجم او قومهِ وان قصدنا التزلُّف فلا سبيل لنا اليهِ لاننا قلما نترجم غير الموتى ولا احد من ذويهم يقرأُ المقتطف كما تقدم ترتب علينا ان نجري على سنة الطبيعة في اختيار ما هو انفع واقرب تناولاً من غيرهِ. واكثر مطالعاتنا في اللغة الانكليزية فنرى الترجمات المطلوبة فيها وهي في الغالب عن رجالها. ولكن اذا مات عالم مشهور من غير الانكليز فقلَّما نتأخر عن ترجمتهِ كما ترون في ترجمة باستور الفرنسوي ووركو الالماني والمعلم بطرس البستاني السوري والشيخ محمد بيرم التونسي وعبد الله باشا فكري المصري. ونحن اميل الى ذكر ترجمات العلماء منا الى ذكر ترجمات الفلاسفة او الكتَّاب عموماً ومع ذلك اذا عثرنا على ترجمة احدهم ورأَينا فيها فوائد تستحق الذكر للانتفاع بها لا نتأخر عن نشرها. فذكرنا لترجمات الانكليز ليس للتنويه بهم ولا للتزلف اليهم بل للفائدة التي تحصل لقراء المقتطف من ترجمات اناس اشتهروا بالعلم او بالعمل

ولقد جرينا على هذه الخطة منذ ثلاثين سنة حينما كان اكثر قراء العربية يستخفون بعلم الانكليز وقوتهم ومهارتهم وكان كثيرون من اصدقائنا يخطئوننا الاَّ اننا كنا نعلم انهم هم المخطئون لاننا لم نختر ما اخترناهُ عن هوًى او قلة اطلاع وقد رأوا الآن اصابة راينا وحسن اختيارنا . والفرنسويون انفسهم صاروا يحثون ابناء وطنهم على الاقتداء بالانكليز والجري على خطتهم في التعليم والتهذيب كما ترون في كتاب ديمولان الذي ترجمهُ من الفرنسوية الى العربية حضرة احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية

اما السيد جمال الدين الافغاني واحمد باشا المنشاوي فعذرنا عن اغفال ترجمة الاول منهما بسطناهُ قبل الآن وهو اننا لانعرف الرجل ولم نرَ لهُ الا كتيباً في الرد على دارون لا يستحق لاجلهِ مدحاً وقد وعدنا اخص اصدقائهِ مفتي الديار المصرية حالاً ان يكتب لنا ترجمتهُ واعددنا الصورة الفوتوغرافية لذلك ثم حالت اشغالهُ دون اتمام الوعد. واما احمد باشا المنشاوي فلم يكد يتوفى حتى نشرت الجرائد المصرية اقوالاً عن كيف جمع ثروتهُ لا تجعل حياتهُ مما يصح ان يذكر مثالاً للاقتداء بهِ . ولا يعلم حتى الآن كم يبقى من ثروتهِ متى اوفيت ديونهُ كلها ولا متى تصل الاملاك التي وقفها الى الجهات الخيرية التي وقفها عليها . وكل ذلك جعلنا نتردَّد في نشر ترجمتهِ ثم اكتفينا بما ذكرناهُ عنهُ بعد إعمال النظر واختيار الاصلح

واما استقباحكم لقفز الرئيس روزفلت امام احد الوزراء فنحن نخالفكم فيهِ ونعدُّ قفزهُ من ادل الامور على الرجل كما هو—على البساطة الطبيعية الخالية من التصنُّع. والظاهر انهُ لايعجبكم الاَّ ان يجلس المالك جلوس المتغطرس المتعظم ويقف الوزراء امامهُ خاشعين او يجلسون التركيَّة على طرف المقعد . وكذلك اعرابهُ عمَّا خالج ضميرهُ وتكلمهُ بالصدق حينما قال لاحد النواب اني لم اسرَّ بمشاهدتك . ولا ندري كيف يستهجن ذلك احد يحب الصدق ويكره الكذب. اما هذا الرئيس الذي تحتقرون فعلهُ وتستخفون بهِ فملوك اوربا واسيا يقفون عند رأيهِ ويعدونهُ من احكم ملوك الارض . والذي ذكر ما تستهجنونهُ كاتب مشهور كان مناظراً لهُ ولولا قليل لكان هو الرئيس الآن للولايات المتحدة ولا يبعد ان يكون الرئيس بعدهُ

والشيء الذي تستهجنونهُ تستحسنهُ الامة الاميركية التي هي ارقى امم الارض ويستحسنهُ كل من ربي تربية العمل والاجتهاد والاخلاص وعدم التصنع . وياسعد بلاد يجدُّ ملوكها وقت الجد ويهزلون وقت الهزل ويتكلمون الصدق ولو عليهم ويظهرون امام رعيتهم انهم بشر مثلهم لا آلهة ولا اصنام

حالة مصر المالية

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعتُ على مقالتيكم في العدد الخامس تحت عنوان "نجاح مصر ومستقبلها" "وحالة مصر في هذا العام". واني وان لم اكن من فرسان هذا الميدان الآَّ ان ما اعتادهُ قراؤُكم من تساهلكم معهم ورغبتكم في البحث ونشر الحقائق جرَّاَني على تقديم هذه العجالة قصد الاستفادة لا الانتقاد فاقول

يظهر من مقالتيكم انكم تعتقدون انهُ اذا كان الوارد الى مملكة اكثر من الصادر منها فذلك دليل تأخرها وخسارتها ولكن ها كم جدولاً منقولاً عن غرفة تجار انكلترا فيهِ قيمة الوارد والصادر عن عشرين مملكة في مدة عشر سنوات لغاية ١٨٩٩

الصادر بملايين الجنيهات	الوارد بملايين الجنيهات	
٢٣٧٠	٣٧٤٨	بريطانيا العظمى
١٦٩٨	٢١٩٥	المانيا
١٩٨٧	١٠٤١	الولايات المتحدة
١٤٠٥	١٦٦٢	فرنسا
١٠٥٤	١٢٦٢	هولندا
٦٠٨	٧١٢	بلجيكا
٦٥٩	٥٨٥	النمسا والمجر
٦٧٢	٥٢٨	روسيا
٤٢٢	٤٩٥	ايطاليا
٣٤٨	٣٥٢	اسبانيا
٢٣٥	٣١٣	الصين
٢٩٣	٢٥٥	الارجنتين
١٨٣	٢١٣	اسوج
١٤٠	١٧٤	اليابان
١٢٣	١٧٥	الدنمارك
١٤٠	١٧٥	شيلي

رومانيا	١٥٠	١١٠
مصر	٩٨	١٣٢
نروج	١٣٦	٧٥
البرتغال	٧٢	٥٧
المجموع	١٤٨٠٢	١٢٧١٠

وترون من هذا الجدول ان ١٤ مملكة واكثرها من الدرجة الاولى غنى وتجارة كانت وارداتها اكثر من صادراتها فاذا كان المبدأ المذكور آنفاً صحيحاً فيلزم ان نعتقد ان انكلترا مثلاً خسرت في مدة السنوات العشر المذكورة مبلغ ١٣٢٢ مليون جنيه وهكذا المانيا وفرنسا وبقية الاربع عشرة مملكة التي زادت قيمة وارداتها على قيمة صادراتها فهل يمكن ان يكون ذلك صحيحاً . نعم ان بين الممالك الست الباقية التي صادراتها اعظم من وارداتها يوجد اميركا وبر مصر ولا شبهة في نجاحهما ولكن ألا يوجد لذلك اسباب اخرى

والاكثرون في انكلترا يعتقدون ضد مبدإكم والجدول المتقدم يقوي حجتهم فما قولكم في ذلك

ثم ان ما يصح على الافراد يصح على المملكة فما قولكم في التاجر الذي يخرج من محله اكثر مما يدخل اليهِ فبلا شك لا يبقى عنده شيء وبالعكس التاجر الذي يدخل محله اكثر مما يخرج منهُ فهو دليل التقدم والنجاح . هذا ما جال في خاطري وارجو بسط رأيكم في ذلك ولكم الفضل

خليل ابرهيم

جباره

مانشستر

[المقتطف] نشكر فضلكم لانكم نبهتمونا الى ايضاح هذا الامر فقد بلغنا انهُ اشكل على غيركم ايضاً . واننا نوضح اولاً مسألة التاجر التي ذكرتموها اخيرًا فنقول ان تشبيه المملكة بالتاجر لايصح على الصورة التي ذكرتموها وانما يصح اذا كان التاجر يقابل بين ثمن البضائع التي يشتريها وبين ثمن البضائع التي يبيعها في سنتهِ فيجد انهُ دفع ثمن البضائع التي اشتراها اكثر مما قبض ثمن البضائع التي باعها . فان كان يفعل ذلك وينجح فالمملكة تنجح اذا دفعت ثمن ما يدخلها اكثر مما قبضت ثمن ما يخرج منها . وقيسوا على التاجر الصانع والزارع ومستخرج المعادن وكل رب بيت فانهُ اذا كان الواحد من هؤلاء يدفع ثمن ما يوردهُ الى معملهِ او الى ارضهِ او منجمهِ او بيتهِ اكثر من النقود التي ترد اليهِ ثمن بضائعهِ او غلات ارضهِ او معادن منجمهِ او اجرة عملهِ فانهُ سائر في طريق الخسارة والخراب لامحالة وهذا امر بديهي لايختلف فيهِ اثنان.

والتاجر الذي تشيرون اليهِ لا يربح من زيادة ما يدخل محلهُ على ما يخرج منهُ الآ اذا وهبوهُ البضائع هبةً او اكل ثمنها على اصحابها واما اذا اضطرَّ ان يدفع ثمنها في مواعيدها فانهُ يتأخر لا محالة واما اذا اردتم بالداخل والخارج النقود التي تدخل وتخرج فلا تعود الحال مماثلة لحال المملكة

هذا ولنعد الآن الى الممالك التي تزيد قيمة وارداتها على قيمة صادراتها ونخص الكلام بالبلاد الانكليزية اولاً

البلاد الانكليزية قيمة وارداتها اكثر من قيمة صادراتها كما قلتم ولكن لها موارد اخرى كثيرة تكسب منها الملايين الكثيرة وهي غير محسوبة مع قيمة صادراتها فاولاً لرجالها الذين خدموا الهند والذين يخدمونها الآن في البلاد الانكليزية معاشات ومرتبات تبلغ ٢٧ مليون جنيه كل سنة وهذه لا تحسب بين النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

وثانياً للانكليز اموال يستثمرونها في كل الدنيا في المعامل والمصانع والديون الدولية لانظن ان ايرادها السنوي يقل عن ٢٨٠ مليون جنيه او هو اكثر من ذلك فقد بلغ ايراد الحكومة المعروف بايراد الدخل income tax في العام الماضي نحو ٢٦ مليون جنيه وبموجبهِ يكون دخل الاهالي نحو ٨٨٠ مليون جنيه ومعلومكم ان قيمة الصادرات كلها لم تبلغ سوى ٤٠٠ مليون جنيه فالباقي وهو ٤٨٠ مليون جنيه اكثرهُ ايراد للانكليز من اموالهم المستثمرة في الدنيا

ثالثاً السفن التجارية الانكليزية تحمل نحو نصف تجارة الدنيا ويعسر علينا ان نقدر ربحها من ذلك تماماً ولكنهُ كثير جدًّا لانظن انهُ اقل من ١٣ مليون جنيه وهذا غير محسوب مع النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

فيصير حساب البلاد الانكليزية هكذا اي حساب ما تدفعهُ ثمن البضائع التي تستوردها من الخارج وما تقبضهُ ثمن البضائع التي تصدرها الى الخارج مضافاً الى ذلك الاموال التي تقبضها من الهند معاشات ورواتب والاموال التي تكتسبها فوائد وارباحاً لاموالها الكثيرة المشتغلة في الدنيا والاجور التي تأخذها سفنها التجارية

الاموال التي دفعتها في العام الماضي قيمة وارداتها	٥٩٧	مليون جنيه
الاموال التي قبضتها ثمن صادراتها	٤١٧	مليون جنيه
" " قبضتها من الهند	٢٧	" "
" " " ريع الديون والشركات	٢٨٠	" "
" " " اجرة سفنها	١٣	" "
والجملة	٧٣٧	

فتزيد الاموال التي تقبضها البلاد الانكليزية في سنة واحدة على الاموال التي تدفعها نحو ١٤٠ مليون جنيه على اقل التقادير

وقيسوا على ذلك المانيا فان قيمة صادراتها تبلغ الآن نحو ٢٩٠ مليون جنيه وقيمة وارداتها نحو ٣١٦ مليون جنيه اي انها تقبض في السنة ٢٩٠ مليون جنيه ثمن صادراتها وتدفع ٣١٦ مليون جنيه ثمن وارداتها فينكسر عليها من هذا الباب ٢٦ مليون جنيه ولكن لها اموال وافرة في الديون الروسية والايطالية واموال اخرى في الشركات الاجنبية الصناعية والتجارية ولها سفن تجارية تأخذ اجرتها من اموال الاجانب فيزيد ما تكتسبهُ المانيا من هذه السبُل كلها خمسين او ستين مليون جنيه

وقيسوا على ذلك سائر الدول التي تزيد قيمة وارداتها على صادراتها وهي مع ذلك ناجحة

اما القطر المصري فليس لرجالهِ معاشات من الممالك الاجنبية ولا لهم اموال يستثمرونها في الهند والصين وروسيا وفرنسا وما اشبه ولا لهم سفن تجارية تكتسب من نقل بضائع الامم الاخرى وليس فيهِ معادن ذهب يخرج الذهب منها ويضاف الى ايرادهِ الداخلي . وهو لا يفرق عن زارع مديون عندهُ اطيان يزرعها و يستغلها فيأكل بعض محصولاتها هو واولادهُ ومواشيهِ ويبيع البعض الآخر ويشتري بثمنهِ ثياباً لهُ ولاولادهِ من منشستر وليون وفحماً من نيوكسل وكارديف وزيتاً من روسيا واميركا ولحماً من غنم تجيء من بر الاناضول وفاكهة يؤتى بها من سورية وبلاد اليونان ويدفع فوق ذلك فائدة ديونهِ لاصحاب هذه الديون من الفرنسويين والانكليز والالمانيين والروسيين وفوق الكل مال الويركو للدولة العلية او لمدانيها وليس لهُ مصدر آخر للايراد الاَّ مصدر واحد وهو السياح الذين يأتون الى هذا القطر كل سنة ويصرفون فيهِ نحو نصف مليون جنيه تضاف الى ثمن البضائع الصادرة منهُ . فاذا لم يزد المال الذي يحق لهُ قبضهُ كل سنة ثمن صادراتهِ على المال الذي يجب عليهِ دفعهُ كل سنة ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ فهو غير سائر في طريق الغنى

وخلاصة الكلام ان البلاد تغتني اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يُدفع لها من الخارج ربحاً لاعمالها واموالها تزيد على قيمة وارداتها وعلى كل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . وتفتقر اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يدفع اليها من الخارج ربحاً لاعمالها واموالها اقل من قيمة وارداتها وكل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . واذا كان الذين اطلعتم على بحثهم من الانكليز لا يعتبرون هذه الامور كلها التي اعتبرناها فهم مخطئون

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

واجبات المرأة

قال السر جون مورلي من كبار فلاسفة الانكليز ووزرائهم في خطبة القاها دفاعاً عن المرأة وتأييداً للائحة التي عرضت على مجلس النواب حديثاً وطلب فيها حلُّ بعض القيود التي تربطها " ان قليلين يعتقدون الآن ان عمل النساء الرئيسي ادارة شؤُون المطبخ وتربية الاولاد . فان الواقع يناقض هذا الاعتقاد الدنيء " وقد كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر استشهدت فيها بهذا القول ثم اردفتهُ بما يفهم منهُ ان الاعتقاد المذكور لا يستلزم الحطّ من قدر المرأة . وقالت ان امبراطور المانيا حصر واجبات المرأة في ثلاث كلمات وهي " الاولاد والطبخ والكنيسة " فانكر البعض عليهِ ذلك اما انا فلست ارى فيهِ نكراً بل اوافق عليهِ كلَّ الموافقة علماً مني بانهُ ليس في السماء ولا في الارض ولا تحت الارض موضوع لا ينطوي تحت كلمة من هذه الكلمات الثلاث ولايضاح ذلك ابحث في كلٍّ منها على حدة فاقول

(١) الاولاد . اين تبتدئ دائرة اختصاصهم واين تنتهي . واذا عرف احد كلَّ ما يتعلق بالولد مثل ولادتهِ ونموّهِ وصحتهِ وارتقائهِ العقلي والادبي والروحاني والجثماني وعملهِ ولعبهِ وما اشبه فما هو الذي يجهلهُ ذلك الانسان واي منصب في الارض لا يصلح لهُ سواء كان ذكراً او انثى

(٢) الطبخ . هل دائرة الطبخ محدودة . ان العقل ليقصر دون حصر العلوم التي تتعلق بطعام الانسان مثل علم المواد الطبية والنبات والحيوان والمعادن والرياضيات والطبيعيات والمواضيع المتعددة مثل التجارة والصادرات والواردات والضرائب وغيرها . وآخر ما يذكر منها وان لم يكن اقلها اهمية طبع الرجال(١)

---

(١) اشارة الى ما هو معروف من انهُ اذا كان الطعام انيقاً لذيذاً ظهرت على الرجال علائم الرضى والسرور والاَّ تبدَّل رضاهم سخطاً وسرورهم غماً

(٣) الكنيسة . يدخل تحت هذا الباب السعي في المحافظة على المعتقد ومعرفة علاقة الكنيسة بالحكومة وما شاكل ذلك

فهذه الامور المذكورة ليست مما يستهان بهِ ويترك للنساء لانهنَّ يعجزن عما هو اسمى منهُ . كلاَّ بل انهُ لو قبل النساء تحمُّل المسأُولية في الدين وتربية الاولاد واعداد الطعام ووقفن انفسهنَّ على انجاز اعمالهنَّ هذه طبقاً لاساس اقتصاديّ صحيح لانقلب العالم عما هو عليهِ واصبح جنة الله في ارضهِ

تربية الاولاد

الانسان مجموع اخلاق تغرسها يد الفطرة وتسقيها يد التربية . قال امرسون ان الفضائل كلها طبيعية في الطفل الحسن الجسم والعقل لامكتسبة يعسر عليهِ اكتسابها . واذا كانت اخلاق الوالدين صحيحة وكانوا يعلمون شرف مركزهم ويشعرون بمسأُوليتهم سهل تعليم اولادهم وتهذيبهم المدرسي فيما بعد لان الولد متعلق بوالديهِ كل التعلق لايستطيع اختيار الوسط الذي يجب ان يعيش فيهِ . فاذا اهملاهُ فلا لوم عليهِ اذا نشأ عنيدًا لايكرمهما ولا يطيع لهما امرًا بل كل اللوم عليهما

هذا وان نمو الولد سريع من كل جهة فاذا بلغ السابعة من سنهِ بلغ طول قامتهِ نصف ما تصير اليهِ بعد البلوغ وثقل بدنهِ ثلث ما يصير اليهِ بعد البلوغ . ولا بد لتثقيف اخلاقهِ وتكميل رجوليتهِ من احاطتهِ صغيرًا بكل ما يسمو بالنفس الى مراتب الكمال . واحسن وسط ينشأ فيهِ بيت اساسهُ المحبة ونورهُ الحكمة واعضاؤُهُ الطهارة والوفاق وسمو التهذيب . وذلك يتأَتى متى عرف الوالدون واجباتهم وطبيعة ولدهم ليتمكنوا من القيام بحاجاتهِ البدنية والعقلية والادبية . وليس الوسط الصحيح منزلاً خيم الفقر المدقع على ساكنيهِ فقضى على ما في نفوسهم من المواهب السامية ولا هو منزلاً بسط اليسار عليهِ ظلهُ فحول قلوب ساكنيهِ عن واجبات الحياة الحقيقية الى الزهو واللهو والغرور الباطل ولا هو منزلاً يعدُّ قضاة الملذات وشهوات النفس فيهِ غاية الغايات

قال الفيلسوف سبنسر في الكلام على جهل الوالدين لواجباتهم نحو اولادهم ما يأتي وقولهُ حجة

" لو ان الايام كرَّت بنا ودالت وعفت رياح الدهر كل اثرلنا ولم تبقِ منا الأ عرمة من الكتب التي يدرسها اولادنا في المدارس الآن لحار فيها الاثريون اللاحقون اذ لايرون هناك دليلاً يدل على ان الاولاد الذين درسوا تلك الكتب كان ينتظر ان يصيروا رجالاً ذوي

اولاد فيما بعد . ولقال اولئك الاثريون في انفسهم " لعل هذه الكتب خصت بالذين كانوا عازمين على البقاء عزباً . فاننا نرى فيها ما يدل على ما كان لهم من الاهتمام بمطالعة كتب الاولين كأن لم يكن عندهم مواضيع يهتمون بها . ولا نرى فيها اشارة الى تهذيب الاولاد وتربيتهم وذلك هو الحمق بعينهِ الاَّ ان تكون هذه الكتب مما يدرسها رهبانهم في اديرتهم"

" أليس من العجب العجاب ان لا يعلَّم الاولاد شيئاً عن التربية وهم سيصيرون رجالاً ذوي اولاد وعلى التربية يتوقف موتهم او حياتهم شقاؤُهم الادبي او سعادتهم . أوليس من الفظاعة ان يترك حظُّ الجيل الجديد للأقدار تتقاذفهُ التقاليد السقيمة والتصورات الصبيانية والخرافات العجائزية كيف شاءت . فاذا شرع رجل في التجارة وهو لا يعرف شيئاً من الحساب ومسك الدفاتر قلنا يا لهُ من جاهل يخرب بيتهُ بيدهِ ويسعى الى حتفهِ بظلفهِ . واذا شرع تلميذ ممن لا يزالون يدرسون التشريح في عمل العمليات الجراحية ادهشنا تهوُّرهُ ورحمنا على مرضاهُ سلفاً . اما الوالدون فانهم يشرعون في تربية اولادهم وهم لا يعلمون حرفاً من اصول تربيتهم الطبيعية والادبية والعقلية ومع ذلك لا يدهشنا عملهم هذا ولا نشفق على اولادهم

" اضف الى عشرات الالوف الذين يقتلون مئات الالوف الذين يعيشون عجافاً ضعافاً وملايين الذين ينشأُون وبنيتهم دون ما يجب ان تكون ترَ بعض ما يجرُّهُ الوالدون على اولادهم من الشقاء والبلاء لجهلهم قواعد الحياة . وفكّر ولو قليلاً في القواعد التي تسنُّ للاولاد ليجروا عليها سواء كان ذلك في امر طعامهم او غيرهِ وانها كلها سائرة بهم اما في طريق السلامة او في طريق الندامة وان هناك عشرين طريقاً للشرّ مقابل طريق واحد للخير تُدرِك بعض ما تجرُّهُ النظامات الجارية من الضرر العظيم في كلّ مكان

" وقد اعتاد الوالدون الذين يولد لهم اولاد نحاف البنية ان ينسبوا ذلك الى الاقدار ويدَّعوا ان مصائبهم هذه بلا سبب او ان سببها في علم الله . وليس ذلك بصحيح . ففي بعض الحالات تكون الاسباب وراثية ولكن الغالب ان يكون السبب من سوء تصرُّف الوالدين والوالدون هم المسأُولون غالباً عما ينال اولادهم من الأَلم والضعف والنكد والبلوى . فقد تكفلوا بالقيام عليهم ولكنهم اهملوا تعلم شيء عنهم وعن ابسط القواعد الصحية التي يجب ان ينشئوهم عليها فقوَّضوا بنيان ابدانهم واورثوا اعقابهم المرض والموت العاجل"

اسراف الاميركيات

كتب المستر كليفلند موفات مقالة في احدى الجرائد الانكليزية عنوانها " انفاق المال في غير موضعهِ عار " وأطال في بيان ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك من النفقات الباهظة على

ملابسهنَّ . فقامت قيامتهنَّ عليهِ مدعيات انهُ بالغ في تقديرهِ ونسبة الاسراف اليهنَّ . فكتب مقالة اخرى قال فيها انهُ ان كان قد اخطأ في تقديرهِ فخطاؤهُ في جانب القلة لا الكثرة . فقد قال مثلاً ان بعض نساء نيويورك يشترين جبة فرو السمور بمبلغ ١٢٠٠ جنيه وكان يظنُّ انهُ مبلغ فاحش ولكنهُ علم فيما بعد انهُ معتدل بالنسبة الى ما تباع جبة الفرو بهِ في بعض المخازن الكبيرة فان الجبة المتوسطة تباع بالفي جنيه . وسأل عن ثمن الفرو العال فقيل لهُ ان ثمنهُ قبل خياطتهِ ١١٠ جنيهات عادة اي ان ثمن البوصة المربعة جنيهان وثمن الجبة المبطنة بهِ التي لا يزيد طولها على متر ٦٦٠٠ جنيه والطويلة التي تصل الى القدمين ٨٨٠٠ جنيه

وكان قد قدّر في مقالتهِ الاولى ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك على ملابسهنَّ وزينتهنَّ بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه في السنة فرأى فيما بعد ان ليس في ذلك شيءٌ من المبالغة لاسيما وقد علم ان الواحدة منهنَّ تدفع عشرة آلاف جنيه ثمن فرو يلبس حول العنق وآخر لليدين

وقال ان الواحدة تنفق مئتي جنيه على مشتري ثوب خاصٍ بالرقص ولكنهُ علم فيما بعد ان دنتلا ثوب للعرس اشتري بثلاث مئة جنيه وان "قماش" ثوب آخر اشتري بمبلغ ١٦٠٠ جنيه قبل خياطتهِ . وان ثمن "البياضات" بلغ ٦٦٠٠ جنيه

ثم اورد قائمة بالنفقات التي ينفقها كثير من النساء الاميركيات على ملابسهنَّ وزينتهنَّ في السنة فظهر منها ان متوسط ما تنفقهُ الواحدة ٧٧٠٠ جنيه

ويقال بالاختصار ان ٦٠٠٠ امرأة من نساء نيويورك الغنيات ينفقن كلَّ سنة ثمانية ملايين جنيه على ملابسهنَّ وزينتهنَّ . وفي الولايات المتحدة عشرة آلاف امرأة من الغنيات يستطعن اقتصاد ٦ ملايين جنيه على القليل كل سنة لتنفق على الفقراء والمساكين لو خفضت كلٌّ منهنَّ نفقات ملابسها الى ٦٠٠ جنيه

ومن رأي الكاتب ان النساء لا يتأنقن في الملابس ارضاء للرجال واستجلاباً لهم بل ارضاء لانفسهنَّ . والاَّ فلو كنَّ يفعلن ذلك استجلاباً الازواج لما كانت المتزوجات منهنَّ اكثرهنَّ اسرافاً على الملابس كما هي الحال . قال واتفق اني نزلت مرة في احد فنادق نيويورك البسيطة . فكنا اذا جلسنا لتناول الطعام جلس قربي رجل وامرأتهُ فلحظت انها كانت تبدّل كلَّ يوم حلَّةً وان الحلَّة الجديدة افخر من التي قبلها حتى مضى اسبوع فقلت في نفسي لا بدَّ ان تكون جعبة ملابسها قد فرغت فتعود الى الاولى فالثانية وهلمَّ جرًّا . ولكنها بقيت تلبس كلَّ مساء ثوباً جديداً مدة وجودي في الفندق واظنها لبست في تلك المدة ثلاثين ثوباً من الملابس الفاخرة . انتهى

هذا وإسراف الاغنياء على هذه الصورة امر لا بدَّ منهُ والاَّ تجمعت الاموال عندهم ووقفت حركة التجارة · ومنشأُ الضرر ليس في هذا الاسراف بل في النظام المالي المتَّبع في الدنيا اي في تقويم اعمال الناس العقلية والبدنية بالمال فيحتال سمسار حيلة لا تكلفهُ الاَّ تشغيل فكرهِ ساعة من الزمان فيكتسب بها مئة الف جنيه ويشتغل عالم عشرين سنة في تحقيق قضية علمية مفيدة فلا يكسب منها عشرة جنيهات فتكون المئة الف جنيه ثمن الساعة من شغل السمسار والعشرة الجنيهات ثمن العشرين سنة من شغل العالم· ولكن لا سبيل لابدال هذا النظام بغيرهِ



السماد الكيماوي

شاع الآن استعمال السماد الكيماوي وقد استعملهُ كثيرون من ارباب الزراعة في العامين الماضيين وزاد استعمالهُ هذا العام . ولم نرَ لغير الجمعية الزراعية الخديوية كلاماً عن نتيجة استعمالهِ لكن الذين استعملوهُ في السنة الماضية ثم استعملوهُ هذه السنة يدلُّ استعمالهم لهُ سنة بعد سنة على انهم رأوا منهُ فائدة تزيد على ثمنهِ ونفقات استعمالهِ والاَّ فلا يعقل انهم يدفعون مئات الجنيهات لكي يقال انهم استعملوا سماداً كيماوياً

والاسمدة الكيماوية التي شاع استعمالها الآن لتسميد الحنطة والقطن ثلاثة وهي اعلى فصفات الجير وكبريتات الامونيا ونيترات الصودا . ومرادنا ان نشرح كلاًّ منهما بالتفصيل

اعلى فصفات الجير

عُرف من قديم الزمان ان العظام تفيد الزراعة ولا سيما اذا طحنت ومزج التراب بها والمادة المهمة في العظام هي فصفات الجير لكن الفصفات عسر الذوبان جدًّا فصاروا يعالجون العظام بالوسائط الكيماوية لجعلهِ سهل الذوبان ثم اكتشفوا تراباً في الارض مؤلفاً من الفصفات القابل الذوبان فاستعملوهُ بدل العظام ونجح منهُ نفع كبير للزراعة · وهو في الاصل حجارة بنية اللون او رمادية فيسحق حتى يصير مسحوقاً ناعماً ويرد الى هذا القطر كذلك او يسحق فيهِ من حجارة فصفاتية وجدت في هذا القطر

وانواع الفصفات الطبيعي كثيرة مختلفة في مقدار النفع الناتج منها للزراعة فقد حلّل بعضهم ثلاثة انواع من اعلى فصفات الجير فوجد ان في الطن من النوع الاول ما يساوي ٤ جنيهات ومن النوع الثاني ما يساوي اربعة جنيهات ونصف جنيه ومن النوع الثالث ما يساوي تسعة جنيهات وربع جنيه مع ان الطن من النوع الاول كان يباع بسبعة جنيهات ونصف ومن النوع الثاني بسبعة جنيهات وربع ومن النوع الثالث بثمانية جنيهات ولذلك لا يحسن باحد ان يشتري سماداً كيماوياً ما لم يتأكد ان احد الكيماويين الموثوق بعلمهم وذمتهم حللهُ وعرف مقدار ما فيهِ من النفع للمزروعات

والفصفات الاعلى يفيد زراعة النباتات ذوات الجذور خاصةً كالجزر واللفت وبعض الحبوب كالشعير ولاسيما اذا تأخرت زراعتهُ . ولا يفيد الفصفات ولا غيرهُ من الاسمدة ما لم تكن الارض محتاجة اليهِ فاذا كانت غنية بهِ او بالعناصر المهمة التي فيهِ فلا فائدة لها منهُ بل تكون اضافتهُ اليها من قبيل العبث

والمقدار اللازم للفدان الواحد نحو تسعين كيلو اي ان الطن من الفصفات يكفي لتسميد عشرة افدنة او احد عشر فداناً

كبريتات الامونيا

يستخرج من السوائل الباقية بعد استخراج غاز الضوء من الفحم الحجري وهو سهل الذوبان في الماء تسمد الارض بهِ فيضاف اربعون كيلو منهُ الى الفدان وكان المستخرج منهُ من البلاد الانكليزية سنة ١٨٩٠ نحو ١٤٠٠٠٠ طن ومن المانيا ١٠٠٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٢٥٠٠ طن ومن هولندا وبلجكا ٣٠٠٠٠ طن ومن الولايات المتحدة ١١٠٠٠ طن

نيترات الصودا

ملح يؤْتى بهِ من بلاد بيرو وثمن الطن منهُ من ١٣ جنيهاً الى ١٦ جنيهاً وهو سريع الذوبان في الماء ويفيد الحبوب جداً كالقمح ونحوهِ والقنطار المصري منهُ يكفي الفدان وتظهر فائدتهُ حالاً بشدة اخضرار ورق النبات بعد استعمالهِ بايام قليلة والغالب ان تزيد بهِ غلة الفدان اردبين او اكثر

تربية العجول

مدة حمل البقر ٢٨٥ يوماً فان ولدت قبل ذلك فالمولود عجلة وان ولدت بعد ذلك فالمولود عجل هذا هو الغالب . واصلح الاوقات لولادة العجول بداءة فصل الربيع . ويترك العجل بعد

ولادتهِ ليرضع من امهِ او يفصل عنها ويسقى اللبن فاذا ترك مع امهِ فلبنها يزيد عليهِ كثيرًا اذا كانت كثيرة الدر يكفي خمسة عجول في السنة الواحدة فترضع اولاً عجلين ومتى فطما بعد ثلاثة اشهر ترضع عجلين آخرين ثم يفطمان بعد ثلاثة اشهر ويكون لبنها قد قلَّ حينئذٍ فترضع عجلاً واحدًا . او يقتصر على ارضاع عجلها فقط ويحلب بقية لبنها وهو الشائع

واذا فصل العجل عن امهِ حالاً بعد ولادتهِ يوضع على التبن الجاف ويمسح بدنهُ جيدًا حتى يجف ويسقى رطلاً من اللبن او اللبن الذي يحلب من البقرة حال ولادتها وهو كثيف نوعًا ومسهل لتفرز بهِ المواد التي تكون مجتمعة في اسفل امعاء العجل . ولا بد من ان يسقى اللبن في اليوم الاول كل اربع ساعات او خمس وفي الايام التالية يسقى ثلاث مرات كل يوم الى آخر الاسبوع الاول وبعد ذلك يصير يسقى مرتين كل يوم ويكون مقدار طعامهِ هكذا

	في الصباح	الظهر	المساء
اليوم الثاني	رطلان	رطلان	ثلاثة ارطال
« الثالث	٣ ارطال	٣ ارطال	٤ «
« الرابع	٤ «	رطلان	٤ «
« الخامس	٤ «	«	٤ «
« السادس	٥ «	«	٥ «
« السابع	٥ «	«	٥ «
« الثامن	٦ «	.	٦ «
« التاسع	٦ «	.	٦ «

ومن اليوم العاشر فصاعدًا الى آخر الشهر الاول ثمانية ارطال في الصباح وثمانية في المساء وفي الشهر الثاني ثمانية ارطال من اللبن البائت في الصباح وثمانية في المساء وكذا في الشهر الثالث ثم يفطم

زراعة الكمأَة

الكمأَة نبات فطري لا ورق لهُ ولا ساق ولكن لهُ اصل مستدير كالقلقاس يؤْكل نيئًا ومطبوخًا يتولد في الارض من نفسهِ اي من بزور تكون في الارض ويمكن ان يزرع زرعًا وقد اكتشف عالمان ايطاليان طريقة لمزج الارض بجراثيمهِ بحيث يتولد فيها من نفسهِ عامًا بعد عام من غير ان يزرع جديدًا اي انهما ماثلا الطبيعة في ذلك . والارض التي يتولد فيها كذلك

تكون حراجاً من شجر السنديان فيتولد بين جذور كل شجرة منها نحو عشرة كيلوغرامات من الكمأة في السنة تباع بنحو عشرين ريالاً

وفي طرابلس الغرب نوع من الكمأة يزرع فيها كالبطاطس ويكبر حتى يصير كالبرتقال حجماً فيقلع ويجفف ويستعمله الناس زاداً وهم يقطعون القفار ويمكن سلقهُ بالماء او طبخهُ بلبن النوق وهو طعام جيد



كتاب نجدة اليراع

للاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني فضل كبير على طلاب العربية بمؤلفاتهِ الكثيرة من قاموسهِ اقرب الموارد الى المقالات التي ينشرها في المقتطف وغيرهِ من المجلات . وقد اتحفنا الآن بكتاب سماه "نجدة اليراع" قال في مقدمتهِ انهُ رأى الالوف من ناشئة العصر يتوردون موارد الفصاحة ويتشوق كلٌّ منهم ان يكون لهُ في حلبة الكتابة سبق الرجاحة وان يلبي اليراع خاطرهُ تلبية السماحة . وقام في نفوسٍ نزاع الى ركض قرائحهم في هذا المضمار وتلفّت في افئدةٍ لواعج وجد لنيل هذه الاوطار فهالهم قصاه الطريق ووعورتهُ على ما هنالك من جذب المناجع وكدورة المصانع . فانبرت بهِ النخوة الادبية الى نشر كتاب يردّ المعدَم من الادباء غنياً والمتاح مستوفياً رياً . ويفتح لمن يشتهي نشر المقالات في الجرائد ابواب البلاغه ويهيئ للقلم في كل باب مساغه وقسمهُ الى ثلاثة اجزاء الاول يحتوي فقراً للبلغاء في اكثر ابواب الكتابة ومعظمها مما جمعهُ القيرواني والثاني في المتضادات والثالث في القيود والامثال . وقد نشر الجزء الاول منهُ فاذا بهِ روضة غناء ادواحها فصول مختلفة المواضيع حافلة بعبارات منتقاة من اقوال البلغاء كانها الدر النظيم كقولهِ في التقى والزهد فلان عذب المشرب عفُّ المطلب نقيُّ الساحة من المآثم بريءُ الذمة من الجرائم اذا رضي لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق يرجع الى نفسٍ امارة بالخير بعيدة عن الشر مدلولة على سبيل البر . وقولهِ في طلوع الشمس بدا حاجب الشمس كشفت قناعها نشرت شعاعها ارتفع سرادقها اضاءت مشارقها . القت الغزالة لعابها وضربت الضحى اطنابها الخ

والكتاب كلهُ على هذا النمط وقد الحقهُ بمعجم يفسر ما فيهِ من الغريب وجعل ثمنهُ زهيدًا جدًّا تسهيلاً لاقتنائهِ على الطلاب

مدينة مصر

حاضرها ومستقبلها

كتب حضرة المسيو توسان كانيري من موظفي نظارة الاشغال سابقًا مقالة بالفرنسوية في مدينة مصر وحاضرها ومستقبلها وانشاء بلدية لها . وقد ترجمت الى العربية ونشرت هي وترجمتها في كراس واحد بالعنوان المتقدم فتصفحناهُ فاذا الكاتب يرى وجوب انشاء بلدية لمصر لما في انشاء البلدية من المنافع التي لاتنال الاَّ بها

قال " ولقد كانت المدة التي قضيتها في خدمة الحكومة بقسم المباني في ديوان نظارة الاشغال وهي اثنتان وعشرون سنة سببًا في التأكد من ان الاعمال التي تفتقر اليها مدينة كبيرة مثل مصر لا بدَّ لها من نظام يهمهُ مباشرة الصالح العام فان الحالة الجاري السير عليها الآن لاتفي بالاحتياجات العديدة الواسعة في مدينة مصر ولم تكن رومية في عهد الرومانيين الاَّ قائمة بنظام البلدية . قال جيزو ان البلدية اساس الهيئة الاجتماعية فهي الواسطة الوحيدة لافادة السكان"

ثم ابان الفوائد التي تنشأ عن البلدية مثل زيادة الاهتمام بانشاء المصارف العمومية وتنظيف الشوارع وفتح الشوارع الواسعة وما اشبه ذلك من المسائل التي تتعلق بالبلديات الى ان قال " ان كل جهة متمدنة من المعمورة يقيم فيها اهلها تراهم يتولون ادارة شؤُون انفسهم بحسب احتياجات مصالحهم . فليس من داع لترك العاصمة في حالتها الحاضرة التي لاترضي"

شرح ديوان الحماسة

ديوان الحماسة كتاب مشهور جمعهُ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفَّى سنة ٢٣١ للهجرة . قال في كشف الظنون " ان ابا تمام قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحهُ فاجازهُ وعاد يريد العراق فلما دخل همذان اغتنمهُ ابو الوفاء ابن سلمة فانزلهُ واكرمهُ واصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغمَّ ابا تمام ذلك وسرَّ ابا الوفاء فاحضر لهُ خزانة كتبهِ فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقي الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون بهِ حتى تغيرت احوالهم وورد ابو العواذل همذان من دنيور فظفر بهِ

وحملهُ الى اصبهان فاقبل ادباؤُها عليهِ ورفضوا ما عداهُ من الكتب في معناهُ . ثم شاع واشتهر وقد فسرهُ جماعة فمنهم من عني بذكر اعرابهِ ومنهم من عني بالمعاني فمن شرحهُ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ وابو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢" وهكذا الى ثمانية عشر شرحاً وفي جملتها الشرح الوافي لابي زكريا الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ وقد طبع هذا الشرح في مدينة بُن بالمانيا سنة ١٨٢٨ طبعةُ العلامة فريتغ والحق بهِ اربعة فهارس جمع في الاول منها اسماء الشعراء وغيرهم الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم واماكن ورودها في الكتاب . وفي الثاني اسماء المواضع والبقاع الواردة فيهِ وفي الثالث الالفاظ اللغوية والاعلام المفسرة في الشرح وفي الرابع قوافي الاشعار ذلك كلهُ لكي يتيسر الاهتداء الى اي شيء اريد في الشرح

وقد اختصر هذا الشرح الآن حضرة الفاضل الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي مقابلاً اياهُ بشرح آخر من الشروح الكبيرة المطبوعة في بلاد الهند واضاف اليهِ مئة بيت اسقطها التبريزي من شرحهِ فردَّت الى نصابها وطبعهُ طبعاً متقناً جدًّا بالشكل الكامل فجعل الابيات متناً في اعلى الصفحة وعليها الشرح بحرف دقيق في اسفلها وقد اوجز حيث يجوز الايجاز واسهب حيث يحسن الاسهاب وايضاحاً لذلك نذكر شرح بيت للتبريزي وشرحهُ في هذا الكتاب

قال التبريزي في شرح

انَّا بني نهشلٍ لاندَّعي لابٍ عنهُ ولا هو بالابناء يشرينا

ان كان الشعر للقيسي فالرواية انَّا بني مالكٍ . وانتصاب بني على اضمار فعل كأنهُ قال اذكر بني نهشل وهذا على الاختصاص والمدح. وخبر ان لا ندعي ولو رفع فقال انَّا بنو نهشل على ان يكون خبرًا لكان لاندعي في موضع الحال . والفصل بين ان يكون اختصاصاً وبين ان يكون خبرًا صراحاً هو انهُ لو جعلهُ خبرًا لكان قصدهُ الى تعريف نفسهِ عند المخاطب وكان لايخلو فعلهُ لذلك من خمول فيهم او جهل من عند المخاطب بشأنهم فاذا جعل اختصاصاً فقد امن من الامرين جميعاً وانما قلت خبرًا صراحاً لان لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص لكنهُ يستدل على المراد منهُ بقرائنهِ وعلى هذا قولهُ انا ابو النجمي وشعري شعري . وقولهُ "لاندعي لاب عنهُ" ندَّعي نفتعل وعنهُ تعلق بهِ ويقال ادعى فلانٌ في بني فلان اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبهِ عنهم وهذا كقولهِ رغبتُ في كذا ورغبتُ عنهُ . وقولهُ لاب اي من اجل اب ومعناهُ انَّا لا نرغب عن ابينا فننتسب الى غيرهِ وهو لا يرغب عنا قد رضي

كلٌّ منا بصاحبهِ . ويقال شريت الشيء بمعنى بعتهُ واشتريتهُ جميعاً ومنهُ الشروى وهو المثل

اما الشرح الذي اكتفى بهِ حضرة الشيخ صاحب هذا الكتاب فهو

"بني نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعهُ لقال انَّا بنو نهشل . ومعنى لاندعي لاب لانتسب لاب غير ابينا . وقولهُ ولا هو بالابناء يشرينا معناهُ انهُ راضٍ بنا كما نحن راضون بهِ" وقد اسهب احياناً اكثر من ذلك ولكنهُ اقتصر على ما قلَّ ودلَّ . وحبذا لو الحق هذا الشرح بشرح لاسماء الاعلام الواردة فيهِ اتماماً للفائدة

الاجوبة المسكتة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي صابر بديوان عموم الاوقاف كتاباً الفهُ وسماهُ "الاجوبة المسكتة" الواردة عن العرب والفلاسفة وغيرهم . قال في تعريف الاجوبة المسكتة نقلاً عن بعضهم "انها اصعب الكلام مركباً واعزهُ مطلباً لان صاحبها يعجل مناجاة الفكرة واشعال القريحة حيث يروم في بديهتهِ نقض ما أُبرم القائل في رويتهِ" الخ . ونقل عن الامام عليّ قولهُ "نعم الناصر الجواب الحاضر"

ومما ذكرهُ من الاجوبة المسكتة اللطيفة "ان بعض الاعراب دخل على المأمون فقال يا امير المؤمنين انا رجل من الاعراب الاغراب . قال لا عجب . فقال اني اريد الحج . قال الطريق واسعة . فقال ليس معي نفقة . قال قد سقط عنك الحج . فقال ايها الامير جئتك مستجدياً لا مستفتياً"

وقد ذيَّل الكتاب بتراجم اشهر فلاسفة اليونان القدماء الذين نقل بعض الاجوبة المسكتة عنهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو فنشكرهُ على هديتهِ ونثني على اجتهادهِ

الهدية العصرية الى الجامعة الوطنية

وقفنا على هذا الكتيّب لحضرة موُلفهِ الاديب سليمان افندي مصوبع المحامي وهو مجموع مقالات نشرها في بعض الجرائد ثم ضمها معاً فيهِ فمن مواضيع هذه المقالات العمران والمحاماة ومسأُولية الانسان وادوار الحياة ومدنية البشر وما اشبه من المواضيع الادبية الاجتماعية



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) واضع حروف الهجاء

عطا افندي فهمي بدائرة والدة خديوي
مَن الذي وضع الحروف العربيّة وكيف حصل ذلك

ج لا يُعلم مَن وضع الحروف العربيّة . وقد كان اهل حمير يكتبون لغتهم المشابهة للعربية بحروف منفصلة صورناها في الجزء الاول من المقتطف الصادر منذ ثلاثين سنة وكان عرب غسان يكتبون بحروف شبيهة بالكتابة العربية المستعملة الآن وذلك قبل التاريخ الهجري . ويظهر من بعض الروايات ان العرب ترجموا الانجيل والزبور الى العربية قبل الهجرة بسنين كثيرة فلا بدَّ من انهم كانوا يكتبون العربية . ولا يعقل ان يكون العرب اتصلوا بالسريان واليهود والروم والقبط من عهد المسيح وهؤُلاء كلهم يكتبون لغاتهم بحروف هجائية والعرب اهل تجارة لا يتعلمون منهم كتابة لغتهم بحروف هجائية . ومتى فتحت بلاد العرب لعلماء العاديات فلا يبعد ان يكتشفوا فيها كتابات قديمة تدلُّ على منشإِ الكتابة العربية فيها

(٢) زيادة حروف الهجاء

ومنهُ . لماذا نرى الحروف العربيّة لا تقبل الزيادة ولا النقصان

ج انها تقبل الزيادة وقد زيدت فيها حروف الپا والڤاء والگاف والچيم للتلفظ ببعض الكلمات الاعجمية . ولو جارت الزمان واقتصر اصحابها على ما يلفظ منها الآن لاهملوا منها الذال والثاء

(٣) واضع الحروف في باقي اللغات

ومنهُ . مَن وضع الحروف في باقي اللغات

ج يتعذر علينا ان نجيب عن هذا السؤال اما اللغات التي كتبت منذ عهد قديم فلا يُعلم مَن وضع حروفها لتوغلها في القدم ولان التاريخ لم يحفظ اسماء واضعي الحروف واما اللغات التي كُتبت حديثاً فالاوربيون والاميركيون الذين دخلوا بلاد اهلها للتبشير وضعوا لها حروفاً لتكتب بها وحروفهم رومانية

(٤) بوارج الدول

مصر . احمد افندي سليم . كم عدد البوارج والطرادات عند كل دولة من الدول

ج كان عددها قبل الحرب الحاضرة كما ترون في الجدول التالي

	البوارج من الطبقة الاولى	الطرادات المدرعة
بريطانيا	٥٣	٢٤
فرنسا	٢٠	١٧
روسيا	١٤	٦
المانيا	١٦	٤
ايطاليا	١٤	٦
اميركا	١٢	٦
اليابان	٥	٨

اما بعد الحرب فسفن روسيا غرقت او تعطلت او غنمها اليابانيون وما سلم منها قليل جدًّا . وهذه الدول تبني الآن عددًا كبيرًا من البوارج والطرادات كما ترون في الجدول التالي

	البوارج التي تبنى الآن	الطرادات المدرعة التي تبنى
بريطانيا	٨	٤
فرنسا	٦	٢
روسيا	٥	٤
المانيا	٦	١
ايطاليا	٤	٣
اميركا	١٢	٢
اليابان	٢	

(٥) لغة العيون

بغداد . الخواجه يوسف مسيح . وقفنا على اشتغال بعضهم بابتكار لغة تكون الفاظها حركات العيون بناء على ان حركة العين تدلُّ على مقصد النفس كما هو معلوم فهل توصَّلوا الى طائل من ذلك

ج لم نقف على شيء من ذلك ولا نظن انهُ يسهل التعبير عن كلمات اللغة بحركات العينين ولكن لا يتعذر تعليم الاصم ان يفهم كلام المتكلم من رؤْيتهِ حركات شفتيهِ وهو يتكلم من غير ان يسمع شيئًا وذلك جارٍ الآن فعلاً ثم يعلَّم الاصم ان ينطق فيصير يتكلم كما يتكلم سائر الناس ويفهم الكلام مثلهم ولو لم يسمع شيئًا

(٦) القطف الباكر

مصر . الخواجه ابرهيم مروسي . زرعنا عشر عقد من الكرم في شهر فبراير الماضي . وفي شهر مارس ظهر الورق في بعضها وظهر في احدى العقد قطف من العنب ثم جفَّ في شهر مايو وسقط من غير ان يمسهُ احد ولكن العقدة ما زالت تخضرُّ الى الآن فترجو ان تخبرونا عن سبب ذلك

ج ان جرثومة الورق والقطف كانت في العقدة ولو بقيت العقد في امها ولم نقطع منها لنما القطف وصار عنقودًا من العنب لان الكرمة التي قُطعت العقدة منها تقدم لهُ ما يكفيهِ من الغذاء اللازم لهُ لانها كبيرة

وجذورها ضاربة في الارض في مساحة واسعة فتمتص الغذاء منها وترسلهُ الى الاوراق والعناقيد . والغذاء اللازم للعناقيد كثير وفيهِ مواد نيتروجية لازمة للزهر والثمر . اما العقدة التي زرعتموها فالغذاء فيها قليل جدًّا والجذور الصغيرة التي نبتت منها لا تستطيع ان تمتص ما يلزم من الغذاء لنمو العنقود فيجف ويبس ووقع . وربما يظهر فيها عناقيد في السنة التالية فيجب قطفها منها ورميها قبلما تكبر لان قوة الكرمة غير كافية لنموها وانماء العناقيد ايضًا فاذا تركت العناقيد عليها اضعفتها وقد تيبسها . ولا تتركوا العناقيد عليها الَّا بعد السنة الرابعة اذا اردتم ان تنمو وتقوى جيدًا

(٧) النور المنعكس

قنا . احد المشتركين . كانت احدى السيدات في ليلة ١٧ ابريل الماضي واقفة في بلكون منزلها المطل على الخلاء فرأت على بعد شيئًا يلمع كلمعان الماس ان لم اقل اشد لمعانًا منهُ وظهر لها حجم المنظر في اولهِ اكبر من نور نجم كبير ثم اخذ نورهُ يتراوح بين ظهور وانكماش مرات متوالية الى حد انهُ صار في الصغر كراس الدبوس ثم تلاشى . ولما كان هذا المنظر غريبًا نادت سيدة اخرى كانت معها في المنزل فرأت الثانية ما رأتهُ الاولى وكانت الثانية ترى والاولى لا تنظر شيئًا . ثم اتت سيدة ثالثة فرأت المنظر والسيدتان الاوليان لا تريانهِ وكانت الساعة ١١ مساء . وغاية ما عللناه انهُ ضرب من ذبابات الارض لهُ صدفة براقة كان نور القمر ينعكس عنها فهل هذا التعليل صحيح ولماذا كانت الواحدة تراهُ والثانية لا تعود تراهُ

ج ان تعليكم قريب من الصحة فان اليوم كان حينئذٍ ١٢ صفر والقمر يقرب ان يكون بدرًا والظاهر ان نورهُ كان ينعكس عن قطعة زجاج او خزف مدهون فراتهُ الاولى وكان يتغير بتحرك رأسها ثم لم تعد تراهُ من موقفها فاتت الثانية ووقفت الى جانبها فراتهُ ولو وقفت مكان الاولى تمامًا لتعذرت عليها رؤيتهُ حينئذٍ ثم لم تعد تراهُ لان القمر يسير الى الغرب حسب الظاهر فلا يرى نورهُ المنعكس من مكان واحد الَّا برهة وجيزة ويتضح لكم ذلك من وضعكم مرآة صغيرة على الارض بحيث يقع نور الشمس عليها ووقوفكم في مكان ترون منهُ النور المنعكس عنها فاذا بقيتم في مكانكم دقيقة او دقيقتين لا تعودون ترون النور المنعكس ولكنكم ترونهُ اذا انحرفتم عن مكانكم الى الجهة التي ينحرف اليها النور واذا كانت المرآة صغيرة كانت رؤيتكم لنورها اقصر مدة

(٨) الزراعة السورية

صيدا ١٠ . ع . ز . نراكم تكتبون في باب الزراعة عما يختص بالقطر المصري على انكم تعلمون ان القطر السوري في اشد الحاجة

الى ذلك . ولماذا لا تترجمون كتاباً مفيداً في علم الزراعة وتنشرونهُ تباعاً في مقتطفكم المفيد لتعمَّ الفائدة

ج ان اكثر ما ننشرهُ الآن في باب الزراعة خاص بالقطر المصري لان مشتركي المقتطف فيهِ اضعاف مشتركيهِ في القطر السوري فمصلحتهم مقدمة طبعاً . ولما كان المقتطف ينشر من بيروت وكان مشتركو سورية اكثر من مشتركي مصر كان اكثر ما ننشرهُ في باب الزراعة خاصاً بالقطر السوري وترجمنا حينئذٍ رسائل كثيرة في علم الزراعة وتربية المواشي حتى لا نظن اننا تركنا باباً لم نكتب فيهِ كتابة مسهبة كما يظهر لكم بالمراجعة ولقد كان في نيتنا ان نجمع مما كتبناهُ هناك كتاباً وننقحهُ وننشرهُ ولكننا لم نجد الوقت اللازم لذلك حتى الآن

(٩) الماسونية

ومنهُ . تباينت الاقوال في اسرار الجمعية الماسونية فمن قائل انها لامر يختص بالدين ومن قائل بالسياسة ومن قائل ان المراد بها هدم كل سلطة فما هو غرضها الحقيقي ولماذا تبقى على امور سرية فيها

ج غرضها الحقيقي ان يساعد اعضاؤُها بعضهم بعضاً ولو لم يفعلوا ذلك دائماً . ولما كان جمهور كبير منهم من المتعلمين الذين خلعوا نير التقليد في كل شيء ديناً وسياسة فالباقون يحذون حذوهم في الغالب من معاشرتهم ولكن الماسونية نفسها لا تطلب ذلك ولا تنفيهِ كما ان الجمعيات التجارية والزراعية لا تطلب من اعضائها مطالب دينية ولا سياسية . اما ابقاؤُها على بعض الاسرار فلكي يعرف اعضاؤُها بعضهم بعضاً في الغربة ويستطيعوا ان يساعد بعضهم بعضاً

(١٠) سبب ارتقاء الغرب

ومنهُ . هل ارتقاء الغرب من الحكومة او من الشعب

ج من الشعب ولكن اتفق ان الحكومة لم تَحُل دون ارتقائهِ فلما ارتقى ارتقت معهُ ولو اتفق ان كان رجال الحكومة معارضين لارتقاء الشعب كما حدث في اسبانيا مثلاً لتأخر ارتقاؤُهُ الى ان يتولاهُ حكام لا يمنعون ارتقاءهُ . فالحكومة قد تفيد وقد تضر وقد لا تفيد ولا تضر فان كان الثاني فالغالب ان الشعب يعجز عن مغالبتها والسير في سبيل الارتقاء وان كان الاول اعتضد بها على الارتقاء كما حدث في بلاد اليابان وان كان الثالث فالارتقاء يجري مجراهُ ولو كان بطيئاً ثم يتغلب على الحكومة فتجري معهُ

(١١) الانكليزية والفرنسوية

ومنهُ . اي اللغتين اسهل الانكليزية او الفرنسوية وكم يقتضي لتعلم كل لغة منهما واتقانها وايهما انفع في القطر المصري وهل لمن يعرفهما او يعرف احداها فائدة مادية

ج لعلَّ اللغتين متساويتان في السهولة

والصعوبة على ابناء العربية ويختلف الزمن اللازم لتعلم لغة منهما حسب ميل المتعلم الى تعلم اللغات ومقدار اجتهاده واسلوب المعلم الذي يعلمهُ . فقد تكفي لذلك سنتان وقد لاتكفي السنون الطوال والغالب ان اربع سنوات تكفي لاتقان لغة تكلماً وقراءةً وكتابةً اذا درست الدرس الواجب . والانكليزية انفع الآن من الفرنسوية في القطر المصري وقد زاد الاقبال عليها كثيراً في هذه الايام ولا بدّ من فائدة مادية من معرفة كل لغة عند من يعرف كيف يجني الفائدة

(١٢) ماء الآبار الارتوازية

ومنهُ . هل ماء الآبار الارتوازية يحتاج الى ترشيح في الزير

ج كلاَّ لانها تكون قد ترشحت في الارض

(١٣) فائدة البيض

ومنهُ . رأيت بعض الاطباء يصف مح البيض دون آحه فهل المح اشد نفعاً . وقرأت في بعض كتب الطب ان عدم مزجهما معاً مضرٌّ بالكبد فهل لذلك صحة

ج ان في بياض البيض ١٢ في المئة البيومن (زلال) و ٨٦ في المئة ماء وقليل من الاملاح القابلة الذوبان والالبيومن مادة مغذية . وفي صفاره نوع من الالبيومن اسمهُ فيتلين وزيت اصفر اللون وقليل من الحامض الفصفوريك . والفيتلين فيهِ ١٦ في المئة والمادة الدهنية ٣٠ في المئة فالمادة المغذية فيهِ ٤٦ في المئة وهي في البياض ١٢ في المئة ولكن الصفار الثلث والبياض الثلثان فاذا حسبنا وزن المادة المغذية في البيض كلهِ بياضهِ وصفارهِ ٧٠ قمحة فاربعة وعشرون منها في البياض و ٤٦ في الصفار وفي الصفار عدا ذلك حامض فصفوريك وهو لازم لبناء الدماغ . والبيض مغذٍ كلهُ ومن اكثر الاطعمة غذاء ولا نرى وجهاً لما رأيتموهُ في كتب الطب من ان عدم مزجهما مضرٌّ بالكبد

(١٤) الاغتسال بالماء البارد

ومنهُ . هل يصلح الاغتسال بالماء البارد لكل صحيح الجسم قوي البنية وهل يحسن استعمالهُ في كل الفصول وكم هي الكمية التي يلزم استعمالها وفي اي وقت يكون اصلح وهل السباحة في البحر والنهر مضرة

ج نعم يصلح وفي كل الفصول بشرط ان لا يشعر المغتسل ببرد شديد فاذا شعر ببرد شديد فالماء البارد يضرهُ ولا ينفعهُ وكلما كان الماء كثيراً كان اصلح وافضل الاوقات الصباح وعلى كل حال لا يحسن الاغتسال بعد الاكل مباشرة والسباحة لا تضرُّ بل تنفع بشرط ان لا يتعب السابح كثيراً

(١٥) لبس الجوارب

ومنهُ . هل يلزم لبس الجوارب دائماً لمن اعتادها وهل لنزعها تأثير يضر بالعيون حتى لمن نزل من سريرهِ بدونها على سجادة

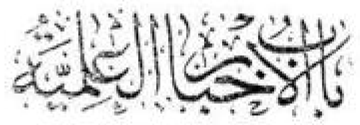
من صوف

ج كلا لا يلزم لبسها دائماً ولكن لبسها اقرب الى النظافة فاذا اقام الانسان في بيتهِ ورأى ان العادات لا تقضي عليهِ بلبسها فعدم لبسها اصلح لهُ ولا يضرُّ ذلك بعينيهِ سواء نزل على سجادة من صوف او على الحصير او على الارض . واذا كان الفصل شتاء فبرد القدمين يتعب و يؤلم وقد يضرُّ ايضاً فيلزم اتقاؤُهُ بلبس الجوارب او اعتيادهُ تدريجاً

(١٦) البراغيث

ومنهُ . عما تحدث البراغيث وما طرق استئصالها

ج تبقى بيوضها من سنة الى سنة فتتولد منها وتبيض وتخلف وهلمَّ جرًّا . والنظافة التامة في البيت وما جاورهُ تقللها او تزيلها ولكن اذا نظف الانسان بيتهُ جيدًا ولم ينظف جيرانهُ وزوَّارهُ بيوتهم وثيابهم وابدانهم اتصلت البراغيث منها اليهِ



اوجه القمر في شهر يوليو

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الهلال	٢	٧	٥٠	مساء
الربع الاول	٩	٧	٤٦	«
البدر	١٦	٥	٢٢	«
الربع الاخير	٢٤	٣	٩	«

السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر و يكون نجم المساء في آخرهِ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يرى من الساعة ٢ ١/٢ صباحاً في اول الشهر وبعيد نصف الليل في آخرهِ

المشتري يطلع بعيد الساعة ٢ صباحاً في اول الشهر ونصف الليل في آخرهِ

زحل يرى بعد الساعة ١٠ مساء في اول الشهر والساعة ٨ في آخرهِ

الكسوف المقبل

قررت حكومة الولايات المتحدة ان تعفي من الرسوم النظارات والمرايا والمنشورات والعدسيات وغيرها من الادوات الفلكية التي يأخذها الفلكيون معهم لرصد الكسوف المقبل عند ارجاعها معهم بعد مشاهدة الكسوف . فان القانون يقضي باخذ الرسوم عليها ولكن مدير مرصد لك كتب الى الحكومة يطلب منها اعفاءها من الرسوم لاسيما وان اكثرها صنع خارج الولايات المتحدة

فاخذت الرسوم عليهِ عند ادخالهِ اليها . فاجابتهُ الحكومة انهُ وان كان القانون يقضي باخذ الرسم عليها ثانية الّا ان مفعولهُ لا يسري عليها هذه المرة لان الغرض خدمة العلم

وقد حذت حكومة اسبانيا حذوها فقررت اعفاء الآلات التي يحضرها الفلكيون معهم الى اسبانيا لرصد الكسوف فيها

قطن صناعي

جُرّب عمل القطن الصناعي في بافاريا من خشب الصنوبر ويقال ان التجارب جاءت على ما يرام . وطريقة ذلك انهم ينزعون عن الخشب قشرهُ ويقطعونهُ قدداً رقيقة جدًّا ثخن القدة منها ١٦/١ من البوصة او اقل ثم توضع في اسطوانة كبيرة من النحاس موضوعة افقيًّا ومبطنة بالرصاص ويدخل البخار اليها . وبعد ما يتمّ تحليل القدد بالبخار يضاف اليها محلول كبريتيد الصودا وتحمى الاسطوانة تحت ضغط شديد مدة ٣٦ ساعة فيبيض الخشب ثم يغسل ويضغط ويضاف اليهِ كلوريد الكلس لزيادة تبييضهِ ويعالج ايضاً بمزيج من الحامض النتريك والهيدروكلوريك وكلوريد التوتيا ومواد اخرى فتخرج الخيوط منهُ دقيقة متينة يمكن صبغها بجميع الالوان

بحيرة قارون

ظهر من الاكتشافات التي اكتشفها ستون كار في صحراء الفيوم ان بحيرة قارون القديمة كانت تتألف في زمان من الازمان السالفة من سلسلة واحات تمتد الى الشمال الغربي من البحيرة الحالية وعلى بعد نحو ١٥ ميلاً من حدّها واكتشف عددًا كبيرًا من حجارة الرحى والادوات الصوانية في تلك الناحية وارسل بعضها الى متحف القاهرة

خسارة الحروب

كتب الدكتور لويس الكند مقالة في "مجلة اميركا الشمالية" عن الحروب القديمة والحديثة اوضح فيها انهُ كلما زاد السلاح مضاء قلَّ فتكهُ وقال ان حرب منشوريا بما يجري فيها من الفظائع والمجازر الآن ليست شيئًا مذكورًا بالنسبة الى الحروب القديمة التي كان سلاحها السيوف والحراب . فان البندقية الحديثة تقتل على بعد نحو ميلين ولكنها اقل فتكاً من بندقية الزناد التي لم تكد تقتل على بعد ٣٠٠ ذراع . وفي المعارك الكبيرة التي جرت بين سنة ١٧٤١ وسنة ١٨٧٨ (ومن ضمنها حرب الدولة العثمانية وروسيا) كان يقع ٢٥ قتيلاً من كلّ مئة رجل يصابون ولكن يؤخذ من احصاءات الحروب الحديثة ان متوسط القتلى في ميادين القتال لم يزد على ١٨ في المئة من المصابين وكان بين ٧ و ١٥ على الغالب

والسبب في ذلك ان الرصاصة الحديثة صغيرة جدًّا حتى ان ٧٩ في المئة من الذين

يصابون بها في ابدانهم ورؤُوسهم لا يموتون وان لم تستخرج منهم كأن لم يصبهم مكروه . وكان معظم سبب الوفيات في الحروب القديمة قذر الجروح وتأَخُّر فنّ الجراحة . بخلاف ما هي الحال عليهِ هذه الايام فان عناية الجراحين بالنظافة مشهورة وفن الجراحة بلغ شأْواً بعيداً فالجنود اليابانية تغير قمصانها قبل المعركة منعاً لفساد الجروح مما يعلق بالاقمصة من الغبار وما يلوثها من العرق . فكان هذا بعض السبب في قلة الوفيات بين جرحاهم

وتظهر غباوة جرّاحي الايام السالفة من الاعمال التي كانوا يعملونها لمنع فساد الجراح قال احد كبارهم ان البارود يفسد الجروح التي يحدثها لانهُ سمٌّ وان خير الطرق لمعالجة جرح مثل هذا كيُّهُ وصبُّ الزيت المغلي عليهِ. يحكي ان بعض الجراحين كانوا يعملون عمليات الكيّ فوجدوا اذ لم يبقَ عندهم زيت فذعروا من ذلك وتوقعوا الموت العاجل لجرحاهم ولكنهم رأَوا بعد ذلك ان الذين لم يعالجوهم البتة التأمت جروحهم واصبحوا احسن حالاً من الذين اوقعهم سوء الطالع تحت ايديهم

قال واطلقت الدول المتحدة (التي اتحدت على بونابرت) ١٢ مليون خرطوشة و ١٧٩ الف قنبلة في معركة لبسك فقتل وجرح من الفرنسويين ٤٨ الف رجل اي ان طلقاً واحداً من كلّ ٢٥٠ اصاب رجلاً . والمشاة يفقدون اكثر كثيرًا من الفرسان ولو تعرَّض الفرسان لنار حامية. وظهر من تاريخ حروب الروس انهم لم يكونوا ينكسرون حتى يفقدوا ٣٠ الى ٤٥ في المئة من مجموعهم بين قتيل وجريح وذلك دليل على استبسالهم واستقتالهم في القتال. اما في حرب الترنسفال فان الانكليز انهزموا في بعض المعارك ولم يفقدوا سوى ٢ الى ٥ في المئة من مجموعهم . ومتوسط ما يفقدهُ الروس من الضباط بالنسبة الى الجنود في المعارك ٢٨ في المئة وما يفقدهُ الانكليز ١٣ في المئة

الكلاب مكان البوليس

تستخدم ادارة بوليس فلادلفيا الكلاب للتفتيش عن السكارى كما تستخدم كلاب سان برنار للتفتيش عن الذين يهرأهم البرد في جبال الالب . فاذا اقبل الليل خرجت الكلاب الى الازقة والمنعطفات حتى اذا عثرت بسكير مطروح على الارض عادت الى اقرب بوليس وجرّتهُ الى حيث السكير ملقًى ولا تزال ملازمة لهُ حتى ينقلهُ البوليس من مكانهِ

ومن مزايا هذه الكلاب انها تعلم بشبوب النار بقوة شمها الغريبة فتنذر البوليس بالخطر قبل امتداد اللهب . وبينها كلب اهتدى الى خمس نيران قبل تصاعد الدخان منها واهتداء الخفراء اليها بهِ فسلمت بذلك الارواح والاموال من النار

وتستخدم كلاب سان برنار لرد الاولاد الضائعين الى اهلهم . فقد علّموها انهُ اذا وجد ولد يصرخ بين جمع مزدحم فالغالب ان يكون ضائعاً فتأخذهُ الى نقطة البوليس حيث يرد الى اهله

ثوران يزوف وبيله

ثار بركان يزوف في اواخر الشهر الماضي وقذف مقداراً كبيراً من الحمم والمواد المصهورة في ٢٧ منهُ فسالت مسافة كيلومتر في ساعة واحدة

وثار جبل بيله في المارتينيك في اوائل الشهر فاضاءت قنتهُ بغتة مساء السبت في ١٠ منهُ ثم انشقت صباح الاحد فسال منها مقدار من الوحل الى الوادي وارتفع عمود دخان الى علو ١٥٠٠ ذراع

اقزام هريسن

اتفق المجمع الانثروبولوجي في انكلترا مع الكولونل هريسن على نشر تقرير عليّ مستوفٍ عن الاقزام الذين جاء بهم الى انكلترا من افريقية واوصافهم البدنية والعقلية وعين مجلس المجمع لجنة من علماء الانثروبولوجيا والاطباء لهذه الغاية وهم السر جونستن رئيساً والاستاذ ارثر طمسن والدكاترة كيث ورفرس ومري لسلي والاستاذ جولند والمستر جراي والمستر جويس اعضاء

جائزتان

عين الدكتور هنري دي رتشيلد جائزتين الواحدة وهي ٢٠٠ جنيه تعطى السنة القادمة لمن يؤلف احسن كتاب في افضل طعام يطعمهُ الطفل منذ ولادتهِ حتى يبلغ السنتين من عمره . والثانية ١٢٠ جنيهاً تعطي لمن يؤلف احسن كتاب في تقديم اللبن الى اهالي مدينة كبيرة . وتباح الكتابة في هذين الموضوعين لكلّ من شاء بلا استثناء وتقفل المناظرة في غرة يونيو سنة ١٩٠٦

الملوك والرعية امام القانون

لا يجيز القانون الانكليزي للملك اقامة دعوى مدنيَّة على احد من رعيتهِ بل يجيز لهُ اقامة الدعاوى الجنائية . فاذا اقام دعوى جنائية اخذت شهادتهُ كتابة وقرئت في المحكمة لان الملك لا يحضر المحاكم . اما الرعية فيجوز لمن شاء منها ان يقيم دعوى مدنيَّة على الملك وذلك بان يعرض على مجلس الامة ما يسمونهُ " عريضة الحقوق " فتحال العريضة على الاعيان المنوط بهم النظر في الامور القضائية في مجلس الاعيان فيقررون ما اذا كانت الدعوى تسمع او تحفظ . ولم يرفع احد من الانكليز دعوى على احد من ملوكهم منذ مئة سنة

اما امبراطور الالمان فلا يجيز لهُ القانون ان يقيم دعوى على احد من رعيتهِ

مدنية كانت او قضائية وكذلك لا يجيز القانون لاحد من الرعية ان يقيم دعوى على الملك غير دعاوي الدَّين وحينئذٍ ترفع العرائض الى ناظر الجيب الخاص

واما ملك ايطاليا فيرافع رعيتهُ وترافعهُ في محكمة خصوصية يدعى الملك نفسهُ اليها لسماع شهادتهِ ولكن يحق لهُ ان يرفض الجواب على اي سؤَال يسأَلهُ وكيل المدَّعي

وكذلك قيصر روسيا فانهُ يجوز لايّ شاء من رعيتهِ ان يرافعهُ الى المحاكم ولكن لم يجسر احدٌ من الروس ان يقيم دعوى على احد القياصرة منذ زمان طويل

فصول المريخ

كان المستر لويل يرصد المريخ في ٩ ابريل الماضي في مرصد فلاجستاف بالولايات المتحدة فرأى ما يدلُّ على تغير الفصول فيهِ واهمُّ ما رآهُ تغير لون المساحات المعروفة من اخضر مزرقّ الى اسمر محمر. وطقس المريخ وقت الرصد يقابل طقسنا في شهر فبراير

تجارب جديدة في عمل الماس

جرَّب الاستاذ مواسان تجارب جديدة ليرى تأثير الكبريت والسلكا والفوصفور في تبلور الكربون فوضع بعض الحديد والسكّر معاً في بوتقة وصهرها في اتون كهربائي. فلما أُشبع الحديد المصهور كربوناً من السكّر وضع معهُ قليلاً من كبريتيد الحديد ثم بردت البوتقة فجأة بتغطيسها في الماء البارد فظهر ان الكربون تبلور ماساً من الداخل وان كبريتيد الحديد زاد تكوُّن البلورات. وكان لابدَّ من تغطيس المذوَّب في الماء البارد فجأة والَّا لم يحدث تبلور. وظهر ان السلكا ساعد على التبلور ايضاً واما الفوصفور فلم يؤَثر اقلَّ تأْثير

سباق القوارب

جرى سباق القوارب في ١٧ مايو الماضي بين احد عشر قارباً منها ستة اميركية واربعة انكليزية وواحد الماني بني في انكلترا وميدان السباق من مكان اسمهُ "سندي هوك" في ساحل اميركا الشرقي الى مكان اسمهُ راس "لزرد" في ساحل انكلترا الغربي والمسافة بين المكانين ٣٠٠٠ ميل. وقد تمَّ السباق في اواخر الشهر فكان السبق للقارب المسمى "اتلنتك" لرجل اميركي فانهُ قطع تلك المسافة في ١٢ يوماً و ٤ ساعات ودقيقة فبلغ راس "لزرد" في ٢٩ مايو الساعة ٩ والدقيقة ١٦ ليلاً. فنال الجائزة وهي كأْس من الفضة عينها امبراطور المانيا لهذه الغاية

وتلاهُ القارب همبرج لشركة المانية فانهُ بلغ آخر السباق في ٣٠ مايو الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ مساء ثم القارب "فلهلا" وصاحبهُ ارل كروفورد الانكليزي فانهُ بلغ غايتهُ في ٣١ مايو الساعة ٨ والدقيقة ٨ مساء

ثم تلت القوارب الاخرى بين متقدم ومتأخر

ويظهر من كلام الجرائد الاميركية عن الاستعداد للسباق ان النتيجة كانت طبق المنتظر فان الاكثرين كانوا يقدرون السبق للقارب " اتلنتك " الاميركي ويحلون القارب " همبرج " محلاً ثانياً فجاء تقديرهم مطابقاً للواقع

معروضات عثمانية صناعية زراعية

جاءنا منشور بالعنوان المتقدم من الشوير في لبنان مؤرخ في ٢٥ ايار (مايو) سنة ١٩٠٥ وممضى بامضاء حضرة الوجيهين فارس افندي مشرق الرحباني رئيس شركة المعروضات وداود افندي سليمان مجاعص الكاتب . وقد وجها الخطاب فيه " الى ابناء الوطن الكرام " وأبانا ما ألمّ بجبل لبنان من الخسارة الاجتماعية اثر مهاجرة شبانه الى البلدان الاجنبية قصد الاتجار ثم قالا " ولذا فقد رأت شركة عثمانية وطنية ان تبدأ في مشروع يوقف تيار المهاجرة الهائل وذلك بان تسعى الى تحسين مصالحنا الثلث (الصناعة والزراعة والتجارة) عن طريق " محل للمعروضات العثمانية الوطنية " يجري فيه التنافس بالمصنوعات والمزروعات وتلقى النصائح والخطب اللازمة في الصناعة والزراعة حتى اذا تمّ ما نريد وصار في امكان صنائعنا منافسة الصنائع الاجنبية تألفت شركة تجارية لتصديرها الى الخارج فتكون الحياة الاقتصادية عن هذا الطريق اعز واوفق ولنا في همم اخواننا المهاجرين اكبر شفيع بالرواج في البلاد القاصية "

وذكرا ان صاحب الدولة مظفر باشا متصرف جبل لبنان اظهر ارتياحهُ الى هذا المشروع وحثّ مأموري الجبل على تعضيده بتشويق الاهالي الى الاقبال عليهِ وعرض معروضاتهم الصناعية والزراعية في المعرض الذي يقام في محلّة " مرحاتا " بظهور الشوير في غرة شهر آب (اغسطس) المقبل . وقد خُصّص هذا المعرض لعرض المصنوعات الوطنية من جميع الاجناس والفواكه والخضر والبقول . وفي المنشور ان الشركة عينت جوائز نقدية للعارضين وان مدة المعرض لاتتجاوز ٣٠ يوماً

ولا ريب ان الفكرة حميدة يدعو لها كلُّ محبٍ لوطنهِ بالنجاح فعسى ان نرى من همة اصحابها ما يحقق هذه الامنية فلا يذهب سعيهم فيها سدًى

اصلاح غلط

في الصورة الاولى من صدر الجزء السادس " ترى بعض العلماء " صوابها " ترى بعين العلماء " . " وكوكبة الجبار " صوابها " كوكبة الجاثي "

وصفحة ٧٧ من الرواية السطر ١٨ بهية صوابها حليمة

فهرس الجزء السابع من المجلد الثلاثين



December

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٩ جماد اول سنة ١٣٢٣

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

تمهيد

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها ترةً او تهتدي بدليلِ

شهدنا قبيل كتابة هذه السطور مشهداً قلما يُرَى مثلهُ في هذه العاصمة تتقدمهُ كتيبة من فرسان البوليس وشرذمة من مشاته تسيران في صفين على جانبي الطريق ووراءهما نعش مجلل بشيلان الكشمير يحملهُ طلبة العلم في الجامع الازهر ووراءهُ قاضي مصر وشيخ الجامع الازهر والعلماء وقضاة المحاكم الشرعية ووراءهم خلق كثير من المشايخ والمجاورين ثم مستشارو محكمة الاستئناف الاهلية وقضاة المحاكم الابتدائية ورجال النيابة وكلهم بالاوشحة الرسمية ورجال المحاماة بطيالسهم السوداء ثم ناظر الحقانية وقائد جيش الاحتلال ومستشار الداخلية ووكيل الحقانية ووكيل حكومة السودان ومدير مصلحة الصحة واكابر ضباط الجيش المصري من الانكليز والمصريين وكبار موظفي دواوين الحكومة ووكيل محافظة مصر وحكمدارها ورئيس مجلس شورى القوانين واعضاؤهُ وفضلاء العاصمة وادباؤُها واعيانها على اختلاف طبقاتهم وكثيرون من وجهاء الارياف . وشهد اهالي الاسكندرية مشهداً مثلهُ في الصباح سار فيهِ نائب قائمقام الخديوي وسكرتير الوكالة البريطانية ووكلاء الداخلية والمالية والخارجية والمعارف العمومية وجمهور العلماء والوجهاء وهم يمثلون الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية في مصر والاسكندرية والقطر المصري كلهُ . فان مفتي الديار المصرية العلاَّمة المحقق الشيخ محمد عبده قضى وهو في الاسكندرية بداء اعيا الاطباء فحمل

منها الى العاصمة واحتفلت الحكومة المصرية بتشييع جنازتهِ احتفالاً رسميًّا قلّما صار لاحد من اعاظم امرائها ووزرائها . ولقد عمَّ الاسى عليهِ الديار المصرية وفقدهُ اهل الاسلام في مشارق الارض ومغاربها واسف عليهِ غيرهم من الذين يودُّون الخير لهذه البلاد ونزع الضغائن المتولدة من اختلاف الاديان لما لهُ من الايادي البيضاء والمساعي المشكورة في انارة الاذهان ودفع الوساوس فحق ان يقال فيهِ

عمَّت فواضلهُ فعمَّ مصابهُ فالناس فيهِ كلهم مأجورُ
والناس مأتمهم عليهِ واحد في كل دارٍ رنَّة وزفيرُ

وهو عصامي رقي الى هذه المنزلة بجدهِ وتوقُّد ذهنهِ وحسن نظرهِ في العواقب واقدامهِ على عظائم الامور . فانهُ جدَّ حتى اكتسب العلوم اللغوية والدينية وامتلك ناصية الانشاء ونبغ حتى صار من اكتب كتَّاب العصر ومن اعلم العلماء في العلوم اللغوية والدينية وما جرى مجراها . ثم تعلَّم اللغة الفرنسوية لكي يطَّلع على العلوم العصرية والافكار الحديثة ولاسيما ما تعلق منها بالفلسفة الاجتماعية . وترجم كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر في التعليم لكي يستعين بآرائهِ الفلسفية على اصلاح المدارس المصرية . وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتهيَّب الكبراء والعظماء لمجرَّد ما هم فيهِ او ما ادركوهُ من رفعة المقام فاستطاع ان يكون علمًا يهتدي بنور علمهِ المحافظون الذين لا يروقهم الاَّ ما جرى عليهِ المتقدمون كاكثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومَن جرى مجراهم لانهُ كان ثقة فيهم . وعضدًا قويًّا لابناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة . ومرشدًا صادقًا للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها . وسيفًا صقيلاً على اهل البدع الذين قيَّدوا ابناء المشرق بقيود تظلم العقل عن التبصر وتغلُّ الايادي عن العمل . وملجأً امينًا للذين يودُّون نزع اسباب الشقاق التي اودت بطوائف المشرق وليس لها اصل راسخ بين اصول الدين ولا هي مما تقتضيهِ مطالب العمران

ثم انهُ كان عالي الهمَّة شديد الغيرة يستسهل الصعاب ويذلل المشاق سعيًا الى خير امتهِ وارتقائها فكنت تراهُ تارةً مدرّسًا يعلّم شبانها وتارةً مؤلفًا يؤلف الكتب او يشرحها وينشرها لتنوير اذهانها . وتارةً مفسرًا قواعد الدين تفسيرًا يقبلهُ العقل المستنير وتصلح بهِ شؤُون الامم وينطبق على مطالب الزمان . وتارةً منظمًا للمدارس المصرية القديمة حتى تجاري الحديثة في انتظامها وفي ما يُعلَّم فيها من العلوم القديمة والحديثة . وتارةً رئيسًا للجمعيات الخيرية الساعية

في اعانة الفقراء واصلاح شؤونهم وتعليم ابنائهم . وتارة مقداماً للذين يشيرون على الحكومة في مجلس شوراها بفعل ما يصلح القطر وينفع اهاليهِ . وتارةً مباحثاً ومناقشاً لاقناع رفاقهِ في ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد واهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد ازرها على الذين يعارضونها في مقاصدها إما لغرض في نفوسهم او لأن وجه النفع الذي نتوخاه لم يجلِ لهم . وتارةً مجادلاً يدافع عن الدين بادلة مأخوذة من علوم المتأخرين التي جدت بعد عهد المتقدمين . وتارةً مبيناً بالحجج القاطعة ان الدين لا يمنع الارتقاء والاخذ باسباب العمران بل يحث عليهما ومظهرًا الشوائب والبدع التي دخلت فيهِ فاضرت اهلهُ وهي ليست منهُ في شيءٍ بل يتبرأ منها وينهى عنها . وتارة صانع خير وفاعل بر وجامع اموال لاغاثة المنكوبين بالنيران والاوبئة وغيرها من الرزايا يقصد المصابين بنفسهِ ويوزع عليهم الاموال بيدهِ . وتارةً متصدرًا في الاندية العلمية والحفلات الادبية يبين مزايا العلم وفوائد التربية ويشرح الاسباب التي رقت اهالي اوربا واوصلتهم الى ما وصلوا اليهِ من العزة والمنعة وينعش الافئدة بذكر ما كان عليهِ اسلاف الشرقيين وما يمكن ان يصيروا هم اليهِ اذا تعاونوا وتناصروا واخذوا باسباب الارتقاء . وتارةً جالساً في مجالس الانس والصفاء يزيل الوحشة والجفاء من بين الوطنيين والاجانب ويؤآلف بين الجماعات والمعاشر المختلفة في المبادىء والآراء والعادات . وتارةً قارعاً باب ولاة الامور لاعانة طلبة العلم وبذل المال لاصلاح الجامع الازهر وما اشبه من الغايات الحميدة . وتارةً جالساً في بيتهِ وحولهُ جماعة كبيرة من تلامذتهِ ومريديهِ وهو يطرفهم بالاحاديث المفيدة ويشرح لهم بعض ما عثر عليهِ حديثاً في كتب المتقدمين او المتاخرين — كل ذلك بعد قيامهِ بحقوق وظيفة الافتاء وادارتهِ لشؤونها وقضائهِ لمهامها على ما بها من المصاعب والمتاعب

وكتبهُ الى اصدقائهِ والذين يدعونهُ الى الحفلات العمومية ويمنعهُ انحراف صحتهِ او كثرة اشغالهِ عن اجابة طلبهم آيةٌ في البلاغة وحسن السبك حتى لقد يحار من يدعوهُ بين ان يتمتع بمشاهدتهِ او ينال منهُ كتاباً بخطهِ يحفظهُ تذكارًا لهُ ويتلوهُ على الحضور فتسكرهم طلاوتهُ . وكذلك تقاريظهُ للكتب فانها كانت تدعو الى ترويجها لثقة الناس بعلمهِ وبانهُ لا يكيل الكلام جزافاً

ولم تكن مشاغلهُ الكثيرة لتقعدهُ عن السعي في مصالح الناس فيقصدهُ ذوو الحاجات وهو لا يدخر وسعاً في اغاثتهم بما في الامكان اذا تبيَّن انهم محقون في طلبهم . وكان مسموع الكلمة مقبول الشفاعة فكثر مريدوهُ على شدة المقاومة لهُ من الذين كانوا يغارون منهُ

ولقد لقي كثيرين من اعاظم الرجال في ممالك اوربا وفي بلاد الشام وتونس والجزائر وحادث اكبر فلاسفة العصر ووقف على آرائهم واوقفهم على ما يجهلونهُ من احوال الامم الشرقية فزاد اختبارًا وحنكةً . واستفاد من ملازمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وقرأ عليهِ دروس الحكمة الشرقية والاصول والمنطق وجاراهُ في المجاهرة بما يعتقدهُ صوابًا ولو خالف فيهِ الجمهور

وكان في قلب بلاد المشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد جريء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيهِ ويثبت عليهِ ولا يخشى بأس متسلط ولا يهاب صولة كبير . وقد جرَّ عليهِ ثباتهُ على رأيهِ وجرأتهُ في نصرة الحق وقلة خوفهِ ورهبتهِ اهوالاً كثيرة ومحنًا عديدة ولكن لما أُبدل الاستبداد بالدستور في هذا القطر اوصلتهُ هذه المزايا الى ما وصل اليهِ من المقام والسطوة وصيرتهُ في اعتبار الجمهور الخصم العنيد للاقوياء والناصر الشديد للضعفاء والركن الوطيد للاحرار والعضد القوي للساعين في تنوير العقول والافكار

هذه بعض مزاياهُ واذا اضفنا اليها سعيهُ في سبيل الاصلاح وميلهُ الى فريق المحافظين حتى يجاري فريق المتقدمين حكمنا ان البلاد الاسلامية فقدت بفقدهِ عالمًا من اكبر علمائها ومصلحًا من اعظم رجال الاصلاح بين اهليها حرًّا همامًا مقدامًا قوَّالاً فعَّالاً فمصابها بهِ اعظم مصاب وخسارتها اكبر خسارة فارقها الى رحمة ربهِ ولسانهُ يلهج بما في نفسهِ فنظم هذه الابيات قبيل ان تدركهُ الوفاة قال

ولست أُبالي ان يقال محمد	ابلَّ ام اكتظت عليهِ المآتمُ
ولكن ديناً قد اردت صلاحهُ	احاذرُ أنْ تقضي عليهِ العمائمُ
وللناس آمالٌ يرجون نيلها	وان متُّ ماتت واضمحلت عزائمُ
فيا ربِّ ان قدرت رجعى قريبةً	الى عالم الارواح وانفضَّ خاتمُ
فبارك على الاسلام وارزقهُ مرشدًا	رشيدًا يضيءُ النهج والليل قاتمُ

ولسان عارفيهِ ومريديهِ وكل الذين انتفعوا بنصحهِ وارشادهِ او تمتعوا بالنفع الذي نالتهُ البلاد على يدهِ ينشدهُ قائلاً

فاذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنة	اثنى عليها السهل والاوعارُ
سلكتْ بك العرب السبيل الى المدى	حتى اذا سبق الردى بك حاروا

وسنعود الى ذكر ترجمتهِ بالتفصيل بعد ان نتمكن من جمع المواد اللازمة لها

توليد الحي من الجماد

يهتم فريق من اساتذة المدرسة الجامعة في كليفورنيا بتوليد الحي من الجماد ورئيسهم في ذلك الاستاذ جاك لوب ودليلهم التجربة والامتحان فلا يلجأون الى قضية نظرية او حقيقة فلسفيَّة الَّا لمساعدة التجارب العلميَّة



الدكتور لوب استاذ الفسيولوجيا في مدرسة شيكاغو الجامعة

والدكتور لوب كان استاذاً للفسيولوجيا في مدرسة شيكاغو الجامعة وقد تلقى الدروس في مدارس برلين وموِنخ وستراسبرج ودعي الى مدرسة كليفورنيا سنة ١٩٠٢ لتدريس فنّ الفسيولوجيا وقد نشر الآن نتيجة تجاربهِ وقال فيها انهُ يمكن التحكم بظواهر الحياة وان هذا التحكُّم هو الغرض الاهم من علم البيولوجيا . والامر الذي نجح في اثباتهِ وهو من الغرابة بمكان عظيم انهُ كان يأخذ بيضاً من بيوض بعض الحيوانات البحرية ويجعلهُ يلد صغارهُ بعض

الوسائل الصناعية من غير تلقيح ثم وجد ان ماء البحر وحدهُ يكفي لجعل تلك البيوض تنمو وتتولد الحيوانات منها ولو كان الماء خالياً من آثار اللقاح . واوصل لقاح بعض الحيوانات البحرية الى بيوض حيوانات أُخرى فأثّر فيها تأثير لقاحها . ويراد الآن ان يعلم كم يرث الحيوان من امهِ وكم يرث من ابيهِ ولاسيما اذا كان ابوهُ مخالفاً لامهِ في الصنف او في النوع ثم البحث في تولّد الاجسام الحيّة من غير الحيّة . والمرجح انهُ يتعذر تحقيق هذه الامنية الاخيرة ولكن لا بدَّ من اكتشاف حقائق كثيرة مفيدة في غضون البحث عنها

شلالات فكتوريا

يذهب بعض العلماء الى ان العمران ابتدأ في قارّة افريقة وسينتهي فيها حينما تبرد الارض وتفرغ القوى الطبيعية من كل البلدان الشمالية وتصير افريقية المنطقة المعتدلة فتستثمر خيراتها ويستخرج الفحم الحجري منها ويحكم بما فيها من القوى المائية . وقد بدأت تباشير ذلك من الآن فان فيها ثلاثة انهر من اكبر انهر الدنيا تخرج من اواسطها وتصب في البحار المحيطة بها فالنيل يجري شمالاً ويصب في البحر المتوسط والزمبيسي يجري شرقاً ويصب في الاوقيانوس الهندي والكنغو يجري غرباً ويصب في الاوقيانوس الاتلنتيكي . وفيها ايضاً نهر رابع من اكبر الانهر وهو نهر النيجر لا يخرج من اواسطها بل من غربيها ويجري شرقاً ثم ينحرف جنوباً ويصب في الاوقيانوس الاتلنتيكي ولا بدَّ من التحكّم في هذه الانهر للري والملاحة وتوليد الكهربائية

ويمتاز نهر زمبيسي بانهُ اصغر هذه الانهر لكن فيهِ ما يُعدُّ من اعجب عجائب الدنيا وهو شلالات عظيمة لامثيل لها في العظمة الاَّ شلالات نياغرا باميركا . فان عرض شلالات نياغرا نحو ١٧٠٠ قدم وعلوها نحو ١٦٠ قدماً واما هذه الشلالات فعرضها اكثر من خمسة آلاف قدم وارتفاعها نحو ٤٥٠ قدماً والماء الغزير ينصب منها في هوَّة عميقة شقَّت في الصخر الاصم بفعل بركاني في العصور الغابرة فيصل الى القاع من هذا العلو الشاهق وهو يغلي ويزبد كأنهُ في مرجل عظيم قائم فوق اتون متقد ولا منفذ لهُ بعد ذلك الأَمر ضيق في الصخر الاصم عرضهُ نحو مئة وخمسين قدماً فيجري فيهِ مسرعاً مزبداً في خط متعرج متمعج مسافة ٤٥ ميلاً وارتفاع جانبيهِ اربع مئة قدم ومجراهُ هذا اعجوبة من اعاجيب الدهر مثل انحدارهِ

ومن غريب امر هذه الشلالات العظيمة ان اهالي اوربا جهلوا وجودها حتى اواسط القرن الماضي حين اكتشفها الدكتور لفنستون المرسل الشهير سنة ١٨٥٤ وسماها باسم الملكة

فكتوريا . وكان سكان البلاد يرونها من بعيد ويرون الرشاش المتصاعد عنها بقوة انحدار الماء ولا يجسرون على الدنو منها فلم يعلموا سبب ذلك الرشاش . وكانوا يسألون الدكتور لفنستون قائلين " أللدخان صوت عندكم " واسم الشلالات في لغتهم " موسيواتونيا " اي " الدخان العجاج " اشارة الى رشاشها المتناثر في الفضاء والى صوتها الذي يصم الآذان



شلالات فكتوريا كما ترى من بعد وقلما يكون ماؤها على اقله

فعزم لفنستون على رؤيتها وركب قارباً وسار بهِ اليها ولما صار على بعد خمسة اميال منها رأى الرشاش فوقها كأنهُ اعمدة دخان متصاعدة عن النار او سحب متلبدة في الفضاء . واخيراً وصل الى جزيرة عند راس الشلالات سميت باسمهِ فيما بعد لحفر الحرفين الاولين من اسمهِ في جذع شجرة هناك ولا يزالان الى اليوم . وشاهد من تلك الجزيرة انحدار الماء الى تلك الهوّة العميقة الضيقة ثم جريانهُ منها في الشق الضيق المشار اليهِ آنفاً

وقد شرعت الحكومة الانكليزية في مدّ جسر فوق نهر الزمبيسي امام الشلالات تمرّ عليهِ

سكة الحديد التي يرام مدُّها بين القاهرة ومدينة الرأس . وسيكون طول الجسر ٥٠٠ قدم وعلوُّه ٤٠٠ قدم وهو اعلى جسر في العالم ووكلت هندستهُ الى اثنين من كبار مهندسيها . ولما كان عبور النهر من هناك مستحيلاً بسبب علو ضفتيهِ وانتصابهما وسرعة الماء كان لا بدَّ للمهندسين من ان يدورا دورة طولها ١٠ اميال حتى يصلا من الضفة الواحدة الى الاخرى وفي ذلك ما فيهِ من اضاعة الوقت سدًى . فعمدا الى الطريقة الآتية وهي انهما علقا حبلاً او سلكًا ثخينًا بسهم ناريّ واطلقاهُ من ضفة الى الضفة المقابلة ثم ثبَّت العمال الذين يعملون على جانبي النهر السلك في الارض وربط المهندسان بالحبل كرسيًّا يعلّق بالسلك ويركب احدهما فيهِ فيجرُّ الى الجهة المقابلة وكان يربط بالكرسي ربطًا خشية ان تغيب عنهُ حواسهُ فيسقط في الماء

وقوة هذه الشلالات ٣٠ مليون حصان وفي النية استخدامها لاستخراج المعادن من البلاد المجاورة لها فانها تعدُّ اغنى بلدان العالم في معادنها كما فعل الاميركيون بشلالات نياغرا فانهم يحولون قوتها الى كهربائية ويستعملونها لادارة كثير من المعامل فيتعيش من ذلك ما يقرب من مليون نفس ولانارة مدينة بفلو بالانوار الكهربائية وهي على بعد ٢٥ ميلاً عنها ولادارة جميع الآلات التي فيها . وشركة نياغرا تفكر الآن في ارسال قوة الشلالات الى نيويورك وبوستن وفلادلفيا وشيكاغو وهي على بعد ٥٠٠ ميل عنها . فاذا أُرسلت قوة شلالات فكتوريا الى ٣٠٠ ميل حولها وقع ضمن تلك الدائرة مدينة بولاوايو ومناجم النحاس في باروتسيلاند وهي اعظم مناجم النحاس في الدنيا وبعض مناجم الفحم الكبيرة وستة مناجم ذهب وقد اكتشفت حديثًا مناجم حديد قرب الشلالات

ثم ان المياه المتدفقة منها تستخدم لارواء الاراضي الزراعية التي حولها . وقد تألفت شركة لاستخدام مياه الشلالات واتفقت مع شركة جنوب افريقية الانكليزية على مسح الاراضي المحيطة بها وربما انفقتا مليون جنيه للوصول الى غايتهما وقد تكفَّلتا الَّا تشوّها منظر الشلالات الطبيعي

اما تكوُّن هذه الشلالات فمختلف فيهِ فانهُ لما اكتشفها لفنستون قال انها تكونت بفعل البراكين فانشق الصخر من ضفة النهر اليمنى الى ضفتهِ اليسرى وامتدَّ الشق الى مسافة ٣٠ او ٤٠ ميلاً في التلال المجاورة . ووافقهُ جميع السياح الذين قصدوا تلك البلاد بعدهُ ولكن المستر مولينه نشر مقالة في المجلة الجغرافية قال فيها ان الهوة وما يتبعها من الشقوق تكونت من أكل الماء للصخر على مرّ الحقب كما هي الحال في شلالات نياغرا . وهذا لا ينفي ان يكون الشق الاول حدث بفعل بركاني ثم غار واتسع بفعل الماء

ايضاحات لُغوية

غير خافٍ ان في عبارة اللغويين غموضاً على من يمارس كتبهم من طلبة الأدب والادباء لعهدنا . ولم أرَ من تصدَّى لانشاء رسالة تتكفل بكشف ما في المعاجم (القواميس) من الغوامض كما اني لا أعلم مدرسةً يلقى فيها درس لغويٌّ على كثرة المدارس في هذا العصر . وكأنما المراد بعلم اللغة عندهم حفظ شيء من الغريب الذي يعثرون عليهِ إما في دواوين الشعر واما في المقامات وما اشبه مما يُكلَّف الطلبة استظهاره فرأيت الحاجة ماسةً الى نشر ايضاحات تزيل ما يقع لهم من الاشكال وتسهّل عليهم طريق الوصول الى فهم المقصود ابتغاء ان تكون لمن شاء الخوض في اللغة مصباحاً منيراً ولساناً عن وجه الصواب مبيناً فتبني على اساس البلاغة عبارتهُ . وترتوي من القاموس المحيط يراعتهُ

الايضاح الاوَّل

اعلم ان للغويين في تفسير الفعل المتعدّي بنفسهِ او بالحرف وفي تفسير مصدرهِ ومشتقاتهِ طريقتين . الاولى انهم يذكرون الفعل وما يتعلق بهِ من فاعل ومفعول ومجرور بالحرف ثم يفسرونهُ بفعل متعدٍ على حدّ قول القاموس في مادّة (ن ض ض) نضَّ الطائر جناحيهِ : حركهما . والثانية انهم يقتصرون على ذكر الفعل والفاعل ثم يفسرونهُ بفعل آخر ويذكرون مفعولهُ وعلى هذه الطريقة مشى صاحب اللسان في مادّة (ن ض ض) قال نضَّ الطائر حرَّك جناحيهِ ليطير . والامثلة على ذلك تكاد لا تحصى واليك منها خمسة واربعين مثالاً تنجلي بها المسئلة اتم الانجلاء

(١) قال في القاموس انتقشَ : اخرج الشوكة من رجلهِ . وفي اللسان وانتقشَ الشوكةَ : اخرجها من رجلهِ ومثلها عبارة الصحاح و (٢) دلَّس البائع : كتم عيب السلعة : هذه عبارة القاموس . وعبارة اللسان دلَّس عيبها كتمهُ و (٣) كمَّ الرجلَ : ردَّهُ عن حاجتهِ اشدّ الردّ . وفي اللسان كمَّهُ عن حاجتهِ ردَّهُ عنها اشدّ الردّ و (٤) في القاموس رزَّت الجرادة : غرزت ذنبها في الارض . وفي اللسان رزَّت الجرادةُ ذنبها في الارض : اثبتتهُ و (٥) في القاموس المحارفة المقايسة بالمحراف وفي الاساس حارفَ الجرحَ بالمحراف : قاسهُ بالمسبار حتى يعرف حدَّ غورهِ و (٦) تمشَّرَ لاهلهِ : تكسَّب شيئاً هذه عبارة القاموس وعبارة الصحاح تمشَّر لاهلهِ شيئاً : تكسبهُ و (٧) في التاج احتسى : حفر حِسياً وفي اللسان احتسى حِسياً : احتفرهُ و (٨)

تيامروا : تقاسموا بينهم لحم الميسر . وفي الاساس تيامروا الجزورَ : تقاسموها و (٩) زَبَرَهُ : رماهُ بالحجارة وفي اللسان زَبَرَهُ بالحجارة : رماهُ بها و (١٠) لغم البعير لغامهُ لغماً : رمى بهِ هذه عبارة اللسان وفي القاموس ولغم الجمل كمنع : رمى بلغامهِ و (١١) وحسرَ الماء : نضب عن موضعهِ وفي اللسان وحسر البحر عن العراق والساحل نضب و (١٢) مرخ جسده : دهنهُ بالمروخ وفي الصحاح مرخْتُ جسدي بالدهن مرْخاً ومرَّخته تمريخاً وفي اللسان مرخ جسده بالدهن و (١٣) أوحدَ الكلبَ بالصيد : أغراهُ بهِ هذه عبارة اللسان وعبارة القاموس اوحد الكلبَ وغيرهُ : اغراهُ و (١٤) خندقَ : حفر الخندقَ وقال ابن منظور في مادَّة (ن ج د) خندقَ الخندق : حفرهُ و (١٥) في القاموس وطمحت المرأة : جمحت وفي اللسان وطمحت المرأة على زوجها : جمحت و (١٦) في القاموس أبدَّ يدهُ : مدَّها الى الارض وفي اللسان ابدَّ يدهُ الى الارض مدَّها اليها و (١٧) مكرَ بهِ وامتكرَ : صبغ وفي القاموس مكر الثوبَ : صبغهُ بالمكر و (١٨) استفع ثيابهُ : لبسها واستفع الرجل : لبس ثوبهُ وكلتاهما مما رواه صاحب اللسان و (١٩) تسحَّرَ : اكل السحور وتسحَّر السحورَ : اكلهُ وكلا التعبيرين وارد في اللسان و (٢٠) استطرَ : كتب . هذه عبارة الجوهري ونصها سطر يسطر سطرًا : كتب واستطرَ مثلهُ وفي القاموس واستطرهُ : كتبهُ و (٢١) قال ابن منظور أزْفَ : نقل الشيء من مكان الى آخر وقال المجد أزفاهُ : نقلهُ من مكان الى آخر و (٢٢) ازدهبَ الرجلُ : احتمل الزهبة كذا عبر المجد وقال ابن منظور إزدهبهُ احتملهُ و (٢٣) الرصين الحفيُّ بحاجة صاحبهِ وفلان رصين بحاجتك : حفيٌّ بها و (٢٤) وفي اللسان ترشحت الام : لحست ما على طفلها . وفي القاموس الترشح والترشيح : لحس الام ما على طفلها و (٢٥) رفعَ القومُ : اصعدوا في البلاد هذه عبارة المجد وعبارة الاساس ورفعوا في البلاد : اصعدوا و (٢٦) في الصحاح خشف يخشف بالضم خشوفاً : ذهب في الارض وفي اللسان خشفَ في الارض يخشف خشوفاً وخشفاناً : ذهب فيها و (٢٧) في القاموس أهربت الريحُ : سفت التراب وفي اللسان اهربت الريحُ ما على وجه الارض من التراب والقميم وغيرهِ : اذا سفت بهِ و (٢٨) في اللسان مشنَ ما في ضرع الناقة حلبهُ وفي القاموس مشنَ الناقة : حلب ما في ضرعها (٢٩) انتشف : شربَ النشافة وفي التاج وانتشف النشافة : شربها و (٣٠) في القاموس اقدحرَّ : تهيأ للشر . وفي اللسان اقدحرَّ للشر : تهيأ و (٣١) حقد في الامر : اسرع فيهِ وخفَّ في القيام بهِ . وحقد : خف في العمل وأسرع و (٣٢) في القاموس . أنوى : ألقى النواة . وفي اللسان أنوى النواة : القاها و (٣٣) تقبى : لبس قباءهُ وتقبى قباءهُ : لبسهُ وكلتا العبارتين عن اللسان و (٣٤) شكرهُ : نخسهُ باصبعهِ وفي

اللسان شكزَهُ بإصبعهِ : نخسهُ و (٣٥) جرمَ الشاةَ : جزَّ صوفها وعبارة الاساس جرمَ صوف الغنم: جزَّهُ و (٣٦) تهاكلَ القومُ : تنازعوا في الامر · وتهاكلوا في الامر : تنازعوا فيهِ . و (٣٧) قال الجوهري إعرَوْرَنَ الرجل : اي تهيأ للشر وفي الاساس إعرَوْرَنَ فلانَ للشر : اشرأب لهُ . وعبارة اللسان إعرَوْرَنَ فلانٌ للشر كقولك إجثألَ وتشذَّرَ اي تهيأ و (٣٨) التشحط الاضطراب في الدم وعبارة الجوهري تشحطَ المقتولُ بدمهِ : اضطرب فيهِ و (٣٩) قال المجد كاصَ : كعَّ عن الشيء وعجز وفي اللسان كاصَ عن الشيء : كعَّ عنهُ وعجز . و (٤٠) قال في اللسان عملتُ القومَ عمالتهم : أعطيتهم اياها وفي القاموس وعملَ فلاناً اعطاهُ العالة . و (٤١) في اللسان قنا لحيتهُ بالخضاب : سوَّدها · وقنا لحيتهُ : سوَّدها بالخضاب . و (٤٢) مانَ شق الارض للزرع . ومانَ الارض : شقها للزرع . و (٤٣) في اللسان قردتُ السمنَ في السقاء : جمعتهُ وقردَ في السقاء : جمع السمنَ فيهِ . و (٤٤) في القاموس ماث الخبزَ في الماء : دافهُ وفي الاساس ماثَ الخبزَ : داثهُ في الماء . و (٤٥) اقتنَ اتخذ قناً (اي عبداً) وفي اللسان اقتنّنا قناً : اتخذناه . وكفى بهذه الامثلة تاييداً لما قلته

فاعلم اولاً ان الفرقَ بين الصورتين ان الصورة التي يذكر فيها متعلق الفعل او المصدر المفسر قبل التفسير كما في قولك أنوى النواةَ : القاها وحقدَ في الامر : اسرع فيهِ هي اوضح من الصورة التي يقتصر فيها على ذكر الفعل او المصدر المفسر ويحذف المتعلق لان في العبارة دلالةً عليهِ نحو أنوى : القى النواةَ وحقدَ : خفَّ في العمل وأسرع

وثانياً ان هذا التعبير اي ذكر الفعل او المصدر مجرداً عن متعلقهِ ليس مما انفرد بهِ صاحب القاموس خلافاً لما تشير اليهِ عبارة بعض منتقديهِ على ان هذا التعبير وان جارياً على سنن البلاغة يستحسن العدل سنة مراعاةً لافهام اهل الزمان كيف لا وقد انتقدهُ جماعة ممن عاصرناهم وممن لو باحثناهم لسلّموا قطعاً ان ذلك جارٍ على حدّ قولهم أمرَ بهِ فطُرِد اي امر بطردهِ فطُرِد فحذف المضاف استدلالاً بما بعدهُ عليهِ . وهو من التراكيب المستفصحة

ومما يندرج في باب ما يتعلق باختلاف التعبير مع الاتفاق في المراد مثل قولهم عَذَبة الشجر : غصنهُ . والعذَبة من الشجر : الغصن والعَذَبة : غصن الشجر و بالصورة الأولى عبَّر الجوهري وبالثانية عبَّر شارح القاموس وبالثالثة عبَّر صاحب الاساس . ومثل قولهم ايضاً السغواء : البغلة الخفيفة السريعة وبَغلَة سغواء : خفيفةٌ سريعةٌ . ولقد رأيت من ينتقد على من يعبّر بالصورة الثالثة فدققت النظر في انتقادهِ فلم أرهُ الاَّ شاهداً على قصور فهمهِ وضيق ذرعهِ ولكني اشكر ذلك المنتقد اذ لولا انتقادهُ ما انتبهت الى حلّ ما اشكل عليهِ ومنهم من

ينتقد على من يقول مثلاً المسهم : البرد المخطط ويقول وجه التعبير ان يقول المسهم من البرود : المخطط . وهو كالانتقاد الاول في الدلالة على قلة بضاعة المنتقد

الايضاح الثاني

ان اللغويين يضيفون الفعل الى ما ليس هو بمختصٍ بهِ فيتوهم من يراجع كتبهم ان ذلك دليل على اختصاص الفعل بالمضاف اليهِ مع ان الغرض من اضافة الفعل الى مثلهِ انما هو ان يكون مثالاً لا قيداً . وازالةً لهذا الاشكال ودفعاً لهذا الايهام أُورد لك ما شاء الله من الامثلة التي تدل على ان ما اضيف اليهِ الفعل مثالٌ لا قيدٌ (١) قال المجد تقاربت ابلهُ : قلَّت وأُدبرت وفي اللسان يقال للشيء اذا ولَّى وأُدبر تقارب و (٢) قال ابن منظور أَدا السبع للغزال اذوًا : ختلهُ ليأكلهُ . وأَدَوْتُ لهُ وأَدَوْتهُ كذلك و (٣) في القاموس حدا الليل النهارَ : تبعهُ وزاد في التاج وكذا كلُّ شيء فالليل هنا مثالٌ لا قيد و (٤) قال في اللسان نَعج البعيرُ : سمن ونعجتَ يا فلان بعد ما رأيتك كالسعف اليابس . اراد سمنت وصلحت و(٥) قال ابن منظور أَعاف القوم إعافةً : عافت إبلهم الماء فلم تشربهُ . وقال المجد عافت دوابهم الماء فلم تشربهُ و (٦) في اللسان عيَّل دابتهُ : اهملها في المفازة وسيَّبها وفي القاموس عيَّل فرسهُ : سيَّبهُ في المفازة و (٧) نجا الشيء : فتحهُ . وقال شمر نجا بابهُ بنجوه : فتحهُ بلغة طي و (٨) في اللسان أَمخت الشاة : سمنت . وامخت الدابة والشاة والإبل : سمنت و (٩) في المصباح إنكثبَ الشيءُ : اجتمع وفي القاموس إنكثبَ الرملُ و (١٠) في القاموس كثَّ الشعر : كثف وفي اللسان كثَّ الشيءُ : اي كثف وكثَّت اللحية الخ و (١١) في اللسان تكارس الشيءُ : تراكم وتلازب وفي القاموس تكارس البناء و (١٢) في اللسان نتا الشيء نَتوًا ونتوًا : ورم وفي القاموس نتا العضو . و (١٣) قال المجد ضرجَ الثوبَ : صبغهُ بالحمرة وفي اللسان ضرجَ الثوبَ وغيرهُ : لطخهُ بالدم ونحوهِ وقد يكون بالصفرة و (١٤) قال المجد شردَ البعيرُ وقال ابن منظور شرد البعير والدابةُ . وقال الزمخشري جشرَ الدوابَّ وقال صاحب القاموس جشرَ الخيلَ : اخرجها للرعي و (١٥) في القاموس حسرَ البعيرَ : ساقهُ حتى اعياهُ وفي اللسان حسرتُ الدابة اذا سيَّرتها حتى ينقطع سيرها و (١٦) في التاج صفا القدرَ : اخذ صفوهُ و (١٧) في اللسان أَذلقَ السيفَ : اخرجهُ وفي الحديث أَدلقني المطر اي اخرجني (عن التاج) و(١٨) في الاساس تراغبَ الوادي : اتَّسع وفي اللسان تراغبَ المكانُ : اتَّسع و (١٩) في الاساس راعت الحنطة وراعت : زكَتْ وفي المصباح راعت الحنطة وغيرُها : زكتْ و(٢٠) في الصحاح زكتَ القربة وزكَّتها تزكيتاً : ملأَها وفي اللسان زكتَ الاناء زكتاً

وزكتهُ تزكيتاً كلاهما ملأهُ و (٢١) في اللسان تنشَّط الارضَ: قطعها وفي الاساس تنشَّط الطريق و (٢٢) نهمَ الابلَ: زجرها ونهمني فلانٌ: زجرني و (٢٣) في اللسان طفسَ الرجلُ: مات وطفسَ البرذون: مات و (٢٤) إنتَّى البازي وتنَّى: ارتفع من موضعهِ الى موضع آخر وفي الاساس نمَى الشيء ونمَّي: ارتفع و (٢٥) في القاموس ناضَ الحبلُ: تذبذب وفي اللسان ناضَ الشيء و (٢٦) نامَ الرجلُ: مات وفي القاموس نامت الشاةُ: ماتت و (٢٧) في القاموس هرِعَ الدمُ: سال وفي اللسان هرعَ الشيء و (٢٨) في اللسان قَنْقَثَ الشيء: اراد انتزاعهُ وفي القاموس قنقثَ الوتدَ حرَّكهُ لينزعهُ و (٢٩) في الاساس هفَّت الابلُ هفيفاً: اسرعت وفي القاموس هفٌّ: اسرع و (٣٠) هكمت البقرةُ تحت السدرة وهكمت البقرة تحت الشجر و (٣١) إهتورَ الرجلُ: هلك وفي اللسان إهتورَ الشيء: هلك و (٣٢) فضَّ الدموعَ: صبَّها وفي اللسان فضَّ الماء و (٣٣) في الصحاح الفرس نَقِص الاكامَ: اي تدقها وفي الاساس وقصت الدوابُّ الاكامَ. كسرت رؤوسها

و (٣٤) في القاموس واشكَ الرجلُ: اسرع السير وفي الاساس ناقة مواشكة وقد واشكت في سيرها مواشكةً ووشاكاً و (٣٥) حبَّر الشعرَ والكلام: حسَّنهُ وفي اللسان وتحبير الخطَّ والشعر وغيرها: تحسينهُ و (٣٦) في القاموس وَثَرَ الفراشَ: وطَّأهُ. وفي اللسان وَثَرَ الشيء وطَّأهُ و (٣٧) في اللسان وصمَ العودَ وفي الاساس وفي العود والعظم وَصم اي صدع و (٣٨) في الاساس وغلَ في الشجر وغولاً: توارى فيهِ وفي اللسان الوغول: الدخول في الشيء و (٣٩) في اللسان أوذمَ الشيء: اوجبهُ وفي القاموس أوذم الحجَّ و (٤٠) وأجذمَ البعيرُ في سيرهِ: اسرع وفي اللسان أجذمَ الفرسُ وغيرهُ ممَّا يعدو: اشتدَّ عدوهُ و (٤١) في اللسان وقعَ الرجلُ والفرس يوقع وَقَعاً فهو وَقِع: حفي من الحجارة او الشوك واشتكى لحم قدَميهِ. وفيهِ ايضاً وقعت الدابة: اذا اصابها داء ووجع في حافرها من وطء على غِلظ. والغلظ هو الذي يبري حدَّ نسورها

قلت لما كان المثال يوهم انهُ قيد كان الأولى بل كان الواجب مراعاةً لأفهام اهل هذا الزمان العدول عنهُ فمكان أوذمَ الحجَّ تقول اوذمَ الشيء ومكان وقصت الفرسُ الاكامَ اذا دقتها تقول وقصت الدوابُّ وتقول حذلمَ الاناء بدل حذلمَ السقاء وطائر اودع مكان حمام أودع وهلمَّ جرًّا واذا اردت الاتساع تأتي بجملة تكون بمنزلة مثال يتبين منهُ وجه الاستعمال كما تتبين القاعدة بالمثال في كتب العربية مثلاً فتدبَّر

سعيد الخوري الشرتوني

التهذيب

تابع ما قبلهُ

فرغنا من الكلام في ما يتعلق بتهذيب الجسد فنشرع الآن في القسم الثاني من التهذيب وهو تهذيب العقل . يراد بالعقل قوة في الانسان تُدرِك بالحواس الظاهرة ما هو خارج وتعلم وتؤلف الصور العقلية وتذكر وتفعل وتشعر بوجدانها . وكل هذه الصفات خاصَّة بالحيوان وفاصلة لهُ عن النبات الذي ليس فيهِ شيءٌ من ذلك . ويمتاز الانسان عن غيرهِ من الحيوان بقوة النُّطق فهو الحيوان الناطق وهي الحيوانات البكم. وهذه القوة الناطقة هي ما رقَّى الانسان في العلم والمعرفة مما اكتسبهُ من جنسهِ وجعلهُ في رتبة عالية منفردة حتى صحَّ فيهِ قول هملتون الفيلسوف لا شيءَ عظيم في الدنيا الاَّ الانسان ولا شيءَ عظيم في الانسان الاَّ العقل ولما كان استاذاً لعلم ما وراء الطبيعة في كلية ادنبرج كتبها بحروف كبيرة فوق منبر خطابتهِ ليراها الطلبة ابداً ويذكروا ما للعقل من المكانة في الدنيا وفيهم وما لتهذيبهِ من عظيم الفائدة

قلنا ان قوة النطق الخاصة بالانسان هي المصدر الذي ينشأ منهُ كثير من المعارف التي يكتسبها من الحديث مع اهلهِ ورفقائهِ فهو يتعلَّم منهم في اول الامر اسماء الاشياء ثم صفاتها ثم علاقة العلَّة بالمعلول الى غير ذلك مما يجعلهُ كفوءًا للتفكُّر في الامور والحكم فيها والعمل بمقتضاها فيستقلُّ برأيهِ ويصير حرًّا في سبيل الحياة . وعلى ذلك كان كثير مما يتوصَّل اليهِ من هذا القبيل عائداً الى صفة الذين يألفهم مدة الصَّبْوة والشباب فترى الملوك والعظماء يحيطون اولادهم بمن يأخذون عنهم العلم والظرف في الكلام . وهو ما نراهُ ايضاً في الاقوام الذين لم يجاوزوا هذا الحد في اكتساب المعارف فيجلس شبان البادية وهنود اميركا بمحضر كبارهم صامتين يسمعون كلام الحكمة التي بلغها اولئك الشيوخ من الخبرة بالناس وحوادث الايام ويتعلمون منهم شيئاً كثيرًا ينفعهم في ما امامهم من الحياة

وكان قوة النطق اساس لكل ما رقَّى الانسان الى منزلة عظيمة في العالم فاستنباط فنّ الكتابة لم يكن اقلَّ منها شأناً في رفعهِ الى رتبة اسمى في مدار العقل . لان الكتب عبارة عن تسجيل ما حصَّلهُ الجيل الواحد من المعرفة لمنفعة الجيل التابع حتى انهُ مع توالي الاجيال اجتمعت لنا كنوز من الحكمة لا نعرف لها عدداً او ثمناً فهي لدينا الان ولكل من يطلبها تركةٌ ورثناها من سلفٍ لم يورث شيئاً يضاهيها . وكان فنّ الكتابة في اول الامر عند المصريين القدماء على غاية ما يكون من البساطة لانهُ لم يتجاوز صورة الشيء لا اسمهِ كصورة

الرجل لاسم الرجل وصورة الاسد لكلمة الاسد ثم انتقلوا خطوة نحو الابجدية بان جعلوا صورة الماء عبارة عن حرف الميم لانهُ اول حرف يُلفظ فيهِ . واول عهد لهذه الكتابة المعروفة بالهيروغلفية غامض ربما استقصي الى اكثر من خمسة آلاف سنة قبل التاريخ المسيحي . وبعد ذلك اخذوا عنها ما يسهل كتابتها فاقتضبوها حتى صارت حروفاً على نوعين احدهما للكهنة والاخر للعامة وبقي الامر كذلك الى ما بعد المسيح . واما الاشوريون المعاصرون للمصريين في القدم والتاريخ فكانت كتابتهم في اول الامر بتصوير الاشياء التي ارادوا ذكرها كما كان عند المصريين ثم نقلوها الى الحروف المعروفة بالاسفينية او المسمارية التي اقدمها منقوش على ختم للملك سرغون قيل انهُ كان منذ ٣٧٥٤ سنة ق . م . وكان المصريون ينقشون على الصخور ما ارادوهُ او يكتبون على قراطيس مصنوعة من ساق البَرْدِي - وهو البابيروس الذي اخذ عنهُ الافرنج كلمة القرطاس بلغتهم وكانت كتابة الاشوريين غالباً على اللبن او الآجر الذي بقي منهُ الى الآن عدد لا يحصى مجموع في دور العاديات اي الآثار القديمة

ولما بلغت اللغة منزلة الكتابة قامت المدارس لتعليمها وتدريس مبادىء العلم البسيطة . ثم لما ارتقى شأن العمران والفنون ارتقى شأن المدارس ايضاً حتى صار عدد الكليات منها في مصر اربع تربّى فيها اولاد الملوك والامراء والاغنياء وقيل موسى الذي تبنّتهُ ابنة فرعون وقصدها علماء اليونانيين كافلاطون الفيلسوف وزنفون المؤرخ لينتفعوا بما كان يلقيهِ الكهنة من الدروس على الطلبة . فقامت الصنائع وشادوا الاهرام الراسخة الى الان كما كانت منذ الوف السنين والمبا كل الفخيمة كهيكل رامون را في الاقصر الذي قال فيهِ احد كبار علماء هذا الزمان انهُ لم يُشد مثلهُ ابداً شيء عظيم لعبادة الله والمدافن العجيبة التي تخترق بطون التلال الى مسافة مئات من الاقدام وفيها من زخرفة التصوير والنقش ما يحيّر الالباب . وقد وقفتُ عندها مندهشاً كغيري من السياح الذين اتوها من اباعد الارض ليروا ما فيها من قدم الزمان ومتانة البناء وجمال الصناعة وما اقتضتهُ من ارتقاء العلوم الدقيقة كالحساب والهندسة والطبيعيات . وكان اكثر العلم والتعليم في تلك الاجيال القديمة الخالية محصوراً في الكهنة على طبقاتهم كما انحصر في القرون المتوسطة في مشايخ الاسلام وخدمة الدين المسيحي . واما حروف الكتابة المصطلح عليها الان فذهب بعض المحققين الى ان اكثرها مأخوذ عن الفينيقيين فحملوها في اسفارهم البحرية الى اماكن بعيدة . فاذا صحّ ذلك حقّ لكثيرين منكم الافتخار فانكم من نسل قوم سادوا البحر والتجارة زمناً طويلاً قبل التاريخ المسيحي ومملكتهم الصغيرة لا تتجاوز الشطوط الواقعة بين طرطوس وارواد شمالاً وصور جنوباً فكانت بيروت من

مدنهم القليلة العدد العظيمة الشأن في فنّ الابحار وفي الصنائع والتجارة والغنى الذي لم يكن لهُ مثيل في ذلك الزمان

وكما نشأ من قوة النطق في الانسان فن الكتابة الذي سجل علوم الاولين والآخرين واذخرها وصانها من البلاء المشار اليهِ في المثل السائر كل علم ليس في القرطاس ضاع هكذا كانت هذه الصناعة مرقاةً لما يمكن الانسان ان يرتقي اليهِ من العلم والتهذيب . وهما شيئان الاول اكساب العقل المعارف والثاني تمرينهُ وتقويتهُ ليصير قادراً على حصر القوة الفاكرة في ما توجههُ الارادة اليهِ لتنبصّر بهِ من جهاتهِ المختلفة وتدركهُ حق الادراك وتحكم فيهِ حكماً صائباً . فترون مما تقدم انهُ لا يختلف عن تهذيب الجسد الاَّ في الغرض فانهُ ينظر في الواحد الى اعمال جسدية غرضها الصحة او شيء آخر من متعلقات الحياة وينظر في الثاني الى علم يكتسبهُ الانسان ويستطيع بهِ اتقان العمل في ما يختارهُ من المهنة مهما كانت

وينال التمرين العقلي عادةً في المدارس ولكنهُ لا ينحصر فيها لان بعض الاولاد والشبان يتلقون العلم في بيوتهم من معلمين يتفرغون لهم وبعضهم لا يتيسر لهُ المدرسة فيقرأ لنفسهِ او على معلم خاص وبعضهم لا يكتفي بما حصلهُ في المدارس فيطلب زيادة العلم باستمرارهِ على مطالعة الكتب الحديثة او التجول في البلاد البعيدة وتعهد مدارسها الشهيرة وحضور خطب كبار علمائها . ولكن الغالب والافضل في طلب العلم هو التربية المدرسية التي سير الدروس والعلوم فيها على شكل منتظم متتابع بادارة معلمين ينتخبون لما فيهم من الاهلية والخبرة في صناعة التعليم . وهناك فائدة اخرى كبيرة للمدرسة وهي ما يتولد في الشاب من الحماسة والغيرة والجد في المنافسة الجارية ابداً بين الطلبة في دروسهم والعابهم

وللمدارس انواع يتدرَّج الطالب فيها من الادنى الى الاعلى ويصح ان تقسم الى ثلاث رتب كبرى . الاولى الابتدائية ويقال لها البسيطة ايضاً وهي ما يتعلم الولد فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ . ويجبر الاولاد في بعض البلدان على ملازمتها في السنة السابعة من العمر الى السنة الثانية عشرة حتى صار فيها عدد الذين لا يحسنون القراءة قليلاً جداً وهو مما ترتقي بهِ الامة في العمران والثروة وراحة المعيشة حتى للفقراء . ومن المعلوم ان الذي لا يتعلم القراءة في صغر السن يندر ان يتعلمها بعد ذلك وان الذي يستطيع مطالعة الكتب والجرائد اقدر غالباً في حرفتهِ من رفيقهِ الجاهل واذا جدَّ فربما بلغ من العلم ما يمكنهُ من مجالسة العلماء والانتفاع بهم او ان يعد منهم

والرتبة الثانية من المدارس تسمى بالعالية وهي المعروفة عند الالمانيين بالجمناسيا التي يشب

فيها الولد الى السنة الثامنة عشرة او العشرين من العمر . وافضلها مقسوم الى شطرين احدهما لطلبة العلوم الحديثة في ما ينفعهُ من المعارف والتهذيب للمقام المعتبر بين الناس او للتجارة وغيرها من ابواب كسب الرزق . واخص دروس هذا الشطر اتقان ما بدأ بهِ الطالب في المدرسة البسيطة من الجغرافية والحساب والتاريخ والشروع في الجبر والهندسة والمساحة وغيرها من الرياضيات والفلسفة الطبيعية والانشاء وبعض اللغات الحديثة ويضاف اليها في جميع المدارس الاوربية والامركانية اللغة اللاتينية لانها قاعدة للغاتهم والمنشأ الاصلي للكثير من كلماتهم ولا سيما الحديثة العلمية منها . ولما كان درس بعض اللغات الافرنجية مفروضاً الآن في المدارس العربية فربما كان تدريس هذه اللغة فيها من الواجب ايضاً . واما الشطر الثاني من هذه الرتبة فهو لطلبة الرياضيات العالية والفلسفة الطبيعية واللاتينية واليونانية من الذين يستعدون لدخول الكلية ومنهم من يتهيأ لامتحان المناظرة في خدمة الدولة ومنهم لما يليق بمقامهِ في الهيئة الاجتماعية وبين كبار قومهِ

والرتبة الثالثة هي المعروفة بالجامعة او الكلية . ويتبيَّن لكم من اسمها ان القصد منها هو اعلى ما يطلبهُ الشاب في الفلسفة الخاصَّة بما وراء الطبيعة وفي ما وصل الينا من افضل كتب القدماء من اليونانيين والرومانيين في الفلسفة والشعر والرواية والتاريخ والمهن العلمية كعلم الطب للاطباء وعلم اللاهوت لخدمة الدين وعلم الحقوق لاهل الشرع . غير ان كثيرين من طلبتها يقصدون فيها غاية ما يمكن تحصيلهُ في المدارس من العلم والتهذيب العقلي حبًّا بهما او لخدمة الوطن في مجالس الامة وتولي السياسة والاحكام في بلادهم ومستعمراتها وقد سمعنا او رأينا بعضهم فالفيناهم افاضل عظاماً في جودة العقل وكثرة المعارف وحسن التدبير ولم يكونوا على شيء من ذلك لولا دروسهم الطويلة في احسن معاهد العلم . ولهذه الرتبة وحدها الحق في منح الالقاب المدرسية التي لها شأن عظيم عند الاقوام المتمدنين لانها تميّز من ينالها بالشهادة لما قضاهُ من جدّ الايام والليالي في طلب العلم . وهذه الالقاب هي البكلوريوس والمعلم والدكتور في كل من اقسام العلوم والفلسفة والطب واللاهوت تُعطى مكتوبةً للطلبة بعد درس سنين معلومة وامتحان خاص . وهي تمنح في حفلات مشهودة وربما لم يكن للشاب ولاهلهِ ساعة ابهج من تلك الساعة التي فيها يدخل المحفل لابساً الثوب الخاص بلقبهِ ومدرستهِ[1] وحاملاً شهادتهُ بيدهِ . ولهذه المدارس ايضاً ان تمنح لقباً اكرامياً لمن لم يكن من طلبتها

(١) الاثواب المدرسية قديمة العهد في التاريخ منها للطلبة ومنها لذوي الالقاب وكان الطيلسان لعلماء الاسلام من هذا القبيل

اذا اشتهر في بحث علم عظيم او في تأليف كتب لها المقام الاول في الفضل او في فن او عمل كبير مذكور . وقلما نبغ احد في شيء من ذلك وشاع صيتهُ الاَّ اكرمتهُ المدارس كما اكرمهُ الجمهور ولكن العظيمة منها ضنينة بالقابها الاكرامية الأعلى نوادر الرجال

هذا شأن المدارس في ايامنا وهو ما وصل الينا من زمن النهضة العلمية التي بدأت في اوائل القرن السادس عشر وارتقت الى حالتها الحاضرة بعد الخبرة الطويلة . واما القول انها السبيل الوحيد الى اكتساب العلم وتهذيب العقل ففيهِ نظر لان كبار العلماء والمصنفين من اليونانيين والرومانيين والعرب لم تكن لهم هذه الوسائل الحديثة . فمنهم هوميروس الذي لا يزال نشيدهُ التاريخي في حرب طروادة قدوة لشعراء اوربا الى الآن وقد مرَّ ثلاثة آلاف سنة لعهدهِ . ومنهم افلاطون الذي نبغ في القرن الرابع قبل التاريخ المسيحي ويقرأ الطلبة الآن كتبهُ في كل المدارس العالية بلغتها الاصلية لما فيها من المسائل العويصة التي اذا خوَّض العقل فيها تمرَّن واشتدَّ . ومنهم اقليدس الذي وضع كتبهُ في الهندسة في القرن الثالث ق . م وهم يعلمونها الآن بنفس عبارتها بلا تغيير او تبديل . وكثيرون غيرهم كتبوا التاريخ والروايات والشعر . ولما قامت حديثاً في كلية اكسفورد مسئلة الغاء اللغة اليونانية من وجه كونها جبرية على كل الطلبة احتجوا بوجوب ابقائها لما في بنائها وكتبها من الفضل الذي لا يستغنى عنهُ في اجهاد العقل وتقويتهِ فهي ثابتة الى الان لم يحكم بابطالها . واما العرب فهم الذين وضعوا علم الجبر ورقَّوا ما سلف من الحساب والهيئة على انهم لم يقرأوا الاَّ بعض الكتب القديمة المعوَّل عليها في الفلسفة والهندسة والطب التي ترجمها علماء النساطرة في زمن الدولة العباسية فاخذوا عنها كثيراً من العلم وشادوا المدارس في كل اقطار المملكة وتقاطر الى ما كان منها في الاندلس شبان اوربا ليدرسوا فيها العلوم ولاسيما الطب . وقام منهم علماء كبار كالشيخ الرئيس ابن سينا في الطب الذي طُبع كتابهُ المعروف بالقانون في رومية سنة ١٥٩٣ وتُرجم الى اللاتينية التي كانت حينئذٍ لغة المدارس والطلبة وبقي زماناً طويلاً المعوَّل عليهِ في هذا الفن . ومنهم ابن رشد في الفلسفة وابن خلدون في التاريخ والحريري في اللغة والانشاء والمتنبي والمعرّي في الشعر وكثيرون غيرهم من الرتبة الاولى في القوة العاقلة . وربما لم يكن التعمُّق في درس ألفيَّة ابن مالك وشرحها لابن عقيل او الفقه الاسلامي وغيرهما من العلوم العربية اقلَّ عملاً في تهذيب العقل مما يُحصَّل من درس هندسة اقليدس او فلسفة افلاطون او اللغات القديمة وآدابها

ولكن الزمان قد تغيَّر وتغيَّرنا نحن معهُ ولم يبقَ ريب في ان العلوم الحديثة ومدارسها

قد رفعت شان الامم الحاضرة في العمران. وقد كان لنا في هذه الايام شاهد على ذلك لا يُفحَم في الامة اليابانية التي بلغ خبرها الآن اقاصي المسكونة. فانها استفاقت فجأةً منذ خمس وثلاثين سنة فقط من غفلة قرون لا تحصى واخذت تبحث في ما يكون بهِ اصلاح امرها فارسلت وفوداً من خيار رجالها الى الممالك المشهورة في العلم والتمدن وفرّقت نخبة شبانها ليطلبوا العلم في افضل مدارس المانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى واميركا وفي هذه السنة نالت سيدة يابانية اسمها تادا يوراتا الدكتورية في الطب من مدرسة ماربرج الالمانية وهي اول امرأة نالتها من تلك المدرسة الكلية على ما هي عليهِ من التشديد في امر الدروس والامتحانات . وما لبثوا ان اخذوا عنهم غاية ما بلغوهُ من استقامة الاحكام وحرية الافراد وارتقاء التربية المدرسية وانتشارها بين العامة والخاصة وجودة الصنائع والفنون ثم لم يُعلم من امرهم اكثر من ذلك الى ان حاربوا اهل الصين ثم الحرب الهائلة القائمة الآن بينهم وبين دولة عظيمة هي روسيا فادهشوا العالم اجمع بما اظهروهُ من حسن السياسة والتدبير والبسالة والاقدام وفن الحروب برّاً وبحراً ومراعاة جانب الانسانية في معاملة الاسرى والجرحى واحترام الحقوق وصاروا في الرتبة الاولى من رتب الدول العظيمة . وكان في كل ذلك صوت صارخ لاهل الارض جميعاً ان يستيقظوا ويعلموا قدر المدارس والعلم في ما مضى وحضر وسيأتي من تاريخ الجنس البشري

وهو صوت هاتف اليكم ايضاً ايها الشبان لتنتبهوا الى ما انتم عليهِ اليوم والى ما تكونون عليهِ غداً . فان انتهزتم الفرصة التي أُنعِم عليكم بها وجددتم في دروسكم واحرزتم كل خطوة ومثالة ومطلب حتى يتسهّل لكم التدرّج الى ما بعدها وانكببتم على القراءة والكلام والإنشاء والتخبتم مهنة تُتقنونها وتزيدون انفسكم علماً فيها مدى الحياة واقلعتم عن الكسل والتواني وعن كل عادة تنهك قواكم وتشتت افكاركم الى ما لا نفع منهُ — كان نجاحكم الحاضر والمستقبل في تحصيل العلم من الامور التي لا ريب فيها وان لم تفعلوا صحَّ فيكم قول الشاعر

ومن رامَ العلومَ بغيرِ درسٍ سيُدرِكُها اذا شابَ الغُرابُ

لما فرغنا من الكلام في تهذيب الجسد وتهذيب العقل وصلنا الى القسم الثالث الاخير من هذا البحث وهو تهذيب النفس اي طبعها على كل خلق كريم . فهو جل الغرض المقصود في مدارس هذا العصر اذ ما الفائدة من كثرة العلم وذكاء العقل اذا خرج الشاب منها قبيح الصفات شرساً معجباً بنفسهِ مؤذياً للناس . ويراد بالنفس الشيء الذي يشير اليهِ كل احد بقوله انا . قال ابو البقاء في كلياتهِ للانسان نفسان حيوانية تموت عند موت الجسد وروحانية لا تموت وهي ما يفهم ويعقل ويميز . وتعريفها عند جمهور الحدثاء انها الجوهر الروحاني في

الانسان العاقل الخالد المسؤول في حكم الله الادبي . وهي التي يتميز الانسان بها عن الحيوان الابكم لا من حيث قوة النطق فقط وارتقاء الصفات والقوى ارتقاء عظيماً يجعله في منزلة معتزلة عنهُ ولكن على الخصوص في موهبة التمييز بين الحلال والحرام فهو الحد الحاد الفاصل بينهما . وقد اشار اليها الرئيس ابن سينا في ارجوزتهِ المعروفة التي مطلعها

هبطتْ اليك من المحل الارفعِ ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنعِ

هذا ولما كانت على كل ما ذكر من المقام الرفيع في الانسان وفي العالم رأينا حالاً ما لتهذيب اخلاقها الادبية من القدر العظيم وهو في الجملة الابتعاد عن الاخلاق الذميمة والاتصاف بالاخلاق الممدوحة الكريمة ويقال لهُ عند بعضهم علم السلوك . وساذكر لكم الآن اخصها

(١) الاقدام على الامور والشجاعة فيها والملازمة لها والتعويل على النفس . وليس بدونها فلاح في الحياة فان الكسلان والجبان والمتقلب المتردد ومن يتوكأ ابداً على غيرهِ لا نصيب لهُ في هذه الدنيا الاَّ ما كان يسيراً حقيراً . فانتصبوا واقتحموا صعاب المطالب ولا تهابوا شيئاً الاَّ الكذب والحرام . وانتهزوا الفرصة متى جاءت فانها كما قال فيها شكسبير مدٌّ اذا انتهز حمل الى السعد واذا اهمل كان كل سفر الحياة محولاً وشقاء . ومن اقوالهِ ايضاً ما الافكار الاَّ احلام لا تصح الاَّ اذا برزت في العمل . واذا اتتكم مصيبةٌ فتحملوها بالصمت فان الشكوى لغير الله مذلة . وهو ما اوصى بهِ الامبراطور فردريك وهو في مرضهِ الاخير الطويل المؤلم ابنهُ ولعل الثاني امبراطور المانيا الحالي يا ابني تعلم احتمال الشدة ولا تضجر منها . وقال شاعر عربي في التعويل على النفس

وانما رجلُ الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجلِ

وقال آخر في وجوب غاية السعي

على المرء ان يسعى الى الخير جهدهُ وليس عليهِ ان تتمَّ المطالبُ

(٢) تكريم النفس وهو الشهامة اي عزة النفس وترفعها عن كل ما هو خسيس ذميم حقير في سيرة الانسان الظاهرة والباطنة . فلتكن انفسكم ابية ابداً وابعدوا عن كل ما يعيبكم من الحقد والحسد والغيبة والظلم والاستهزاء بالناس والتهكم عليهم وهم ربما كانوا ارفع منكم علماً ومقاماً . وكونوا كرماء اسخياء واجتنبوا البخل القبيح الذي قيل فيهِ ان البخيل يعيش في هذه الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء . ولا تتذللوا لاحد بغية الخير منهُ ولا سيما اذا كان لئيماً بل اعرضوا عنهُ

وكن ابيًّا عن الاذلال ممتنعاً فالذل لا ترتضيهِ همة الرجلِ

واذكروا ما قالهُ شكسبير اذا خسرت كرامتي فقد خسرت نفسي وما قالهُ زهير في بعض هذه المعاني

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يكرم نفسهُ لا يكرمِ

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ يفرهُ ومن لا يتق الشتم يشتمِ

(٣) الصدق · وهو اعظم الفضائل كما ان الكذب اقبح العوائد. فهو الدعامة الحاملة للهيئة الاجتماعية باجمعها بحيث انهُ اذا بطل لا نعلم ماذا نصير اليهِ من الخراب . وهو اخصُّ ما يتميز بهِ الكريم عن اللئيم بل نقول ان الصادق رفيع المقام ابدًا يوثق بهِ في الكلام والعمل ويعهد اليهِ بما يكسبهُ كثيرًا من الخير واما الكذَّاب فحبلهُ قصير لا يلبث ان يسقط في اعين الناس فيصير حقيرًا مكروهًا مجتنبًا وربما ادَّى ذلك بهِ الى قلة اسباب الرزق وفقر المعيشة · ومن اقوال الحكماء في هذا المعنى تكلم بما تعلم صدقهُ وليكن كلامك مطابقًا لما في باطن نفسك · اثمن كنوز الدنيا الصيت الطاهر فاذا زال لم يكن الانسان الأَّ طينًا مصبوغًا. لو صوّر الصدق لكان اسدًا يروع ولو صوّر الكذب لكان ثعلبًا يروغ . يبلغ المرء بالصدق منازل الكبار . الصدق صدقان اعظمهما في ما يضرُّك . الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروَّة ولا تتمُّ هذه الثلاثة الأَّ بهِ. الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب

ومن اخصّ انواع الصدق وافضلها الوفاء بالعهد اي القيام بما يعهدهُ الانسان على نفسهِ من الوعد لغيرهِ . وربما لم يكن لي ان اوضح المعنى المراد باحسن من ذكر شاهد لهُ جرى في التاريخ . وهو انهُ لما كان ولهلم الثاني امبراطور المانيا في دمشق منذ سنين قليلة ذهب بجحفل عظيم الى ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي ووضع عليهِ اكليلاً من الازهار فعجب الناس من ذلك. وانما فعل الامبراطور ما فعل لان هذا الرجل العظيم اظهر في حروبهِ مع الصليبيين من الشهامة والمروَّة والوفاء بالعهد ما صيَّر لهُ شهرةً ذاع خبرها من ذلك الزمان الى الآن حتى ان كل اولاد مدارس العالم المتمدن يقرأونها ويرون فيها قدوةً لهم في عزَّة النفس وشرفها. فمن ذلك انهُ لما حاصر صلاح الدين القدس وضيق على حاميتها وجبرهم على التسليم صالحهم على الخروج منها بعيالهم واموالهم الى المدن التي كانت حينئذٍ بيد الصليبيين بفدية عشرة دنانير عن كل رجل . ولما اخذوا يخرجون ويدفعون ما ترتب عليهم من الفداء كان بينهم بطريقهم الكبير ومعهُ بغال حاملة خزائن عظيمة من المال فاشار الى السلطان بعض أمرائهِ بما كانوا يرونهُ وقالوا لم يُعقد الفداء والصلح على هذا المال قال بلى قد عاهدتهم على عشرة دنانير لكل رجلٍ فيدفعها ويذهب في سبيلهِ وهكذا كان فصدق فيهِ المثل السائر الذي ذكرناهُ آنفًا الصدق

صدقان اعظمهما في ما يضرُّك. ولكنهُ كما كان صارماً على نفسهِ في غاية الوفاء كان ايضاً شديد العقاب للذين ينكثون العهد. فمن ذلك ان امير الكرك الصليبي نقض الهدنة وغزا قافلةً من المسلمين فقتل الرجال ونهب المال ولما بلغ الخبر السلطان غضب غضباً شديداً ونذر على نفسهِ ان يقتل ذلك الخائن بيدهِ اذا مكَّنهُ الزمان . وكان الامر كما اراد لان من جملة الاسرى الذين سلموا للسلطان بعد واقعة حطين كان ملك القدس والامير المذكور آنفاً ولما وصلوا جميعاً الى طبريا ونزلوا في مِضرب طلب الملك ماء ليشرب بعد يوم قاسى فيهِ الصليبيون من العطش ما لا يوصف فامر لهُ صلاح الدين بذلك ثم بعد ان ارتوى ناول الكاس الى رفيقهِ الامير فشرب والسلطان ينظر اليهِ ولا يقول شيئاً . ولما فرغ قال لهُ صلاح الدين اني امرت بالماء للملك لا لك لاني لو فعلت ذلك لكنتَ آمناً مراعاةً لحقوق الضيافة وقد عهدت على نفسي ان اقتلك بيدي لنكثك الهدنة التي اتفقنا عليها وايقاعك بقوم سائرين آمنين واني فاعل ذلك الان ثم قام وضرب عنقهُ بالسيف . فكان شهماً عظيماً يفي بوعدهِ ابداً ويتطلب الوفاء من الذين يعاهدونهُ وصار رُعباً للمراوغين في زمانهِ وعبرةً في كل جيل لكل من يروم العلاء في المكارم . ومما ذكر في تواريخ تلك الحروب انهُ كانت مودَّة شديدة بين صلاح الدين وريكاردوس ملك الانكليز الملقَّب بقلب الاسد لما كان في كليهما من الصفات الرفيعة فكانا يتقاتلان ويتحابان حتى انهُ لما مرض ريكاردوس في عكا بالحمَّى ارسل لهُ صلاح الدين الفواكه والثلج ولما قُتل جوادهُ في حرب يافا التي انهزم فيها جيش المسلمين بامارة السلطان ارسل لهُ جوادين من خيار الخيل العربية . وقرأتُ في التواريخ العربية والافرنجية انهُ جرت مراسلة بينهما لزواج اخي صلاح الدين بابنة عمّ ريكادوس ولكنهُ لم يتمّ . فلما وضع الامبراطور وِلهلم ذلك الاكليل من الازهار على قبر مكرم لم يكن في ذلك شيء يوجب الدهشة والعجب بل هو ما لاق بمقامهِ العالي ان يشهد لدى العالم بما احرزهُ صلاح الدين الايوبي من الاحترام في كل نفس شريفة

وقد استقصى ماركوس اوريليوس الامبراطور الروماني البحث في الاخلاق الحميدة التي يجب على الشاب ان يسعى اليها جهدهُ ويربيها في نفسهِ ويتميَّز بها في حياتهِ وجمعهُ في كتاب الفهُ معروف باسم الافكار ومشهور بين الناس ولعلكم جميعكم تقرأونهُ اما في ترجمة او في لغتهِ الاصلية . فمن جملة كلامهِ في ذلك الكتاب ما قالهُ في الفيلسوف مكسيموس وهو تعلَّمتُ منهُ الحكم على نفسي وعدم الانقياد الى شيء من الشرّ والبشاشة في كل حال ولو في المرض والجمع بين لِين الجانب وكرامة النفس والعمل في ما أُكلفهُ بلا ضجر . ورأيت

الجميع على يقين من انهُ كان يعتقد بما يقولهُ وانهُ لم يكن في كل ما عملهُ شيء من سوء النية ولم يدهش ابدًا او يبغت ولم يعجل في امرٍ او يؤخره في العمل [1] ولم تأخذه حيرة او كرب ولم يضحك ليكتم كدرهُ ولم يكن غضوبًا او ظنانًا . وكان يعمل الخير سهل الصفح بريئًا من كل ما فيهِ كذب وعليهِ سمة الرجل الذي لا يمكن تحويلهُ عن الصلاح لا الرجل الذي قد أصلح . ومن اقوال مركوس اوريليوس ايضًا وتعلمت الحياء والمروَّة والشهامة والاحسان والنزاهة لا عن اعمال السوء فقط بل عن افكار السوء ايضًا وتحمُّل التعب والكدّ باليد والبساطة في المعيشة وعدم التحرُّش بامور غيري وان لا أشغل نفسي بالاشياء البخسة . وتعلمت ايضًا ان اعاشر العلماء وان اخلاقي محتاجة الى الاصلاح والتهذيب وان ابعد عن المباحث التي لا شيء فيها الَّا الحيرة وعن التظاهر بالعلم والصلاح وان لا اكتب بالتكلُّف وان اصالح من اضرَّني بالكلام او العمل اذا اراد وان اقرأ بالتمعن ولا ارضى بفهم كتاب فهمًا قليلاً وان لا أسرع الى تصديق من يكثرون الكلام وان لا انظر ابدًا الَّا الى المعقول . وتعلمت ان اقبل من الاصدقاء معروفًا لا أُذَلُّ بهِ ولا اغفل عن شكرانهِ ووفقت المعيشة على ما يوافق شرائع الطبيعة والرصانة بلا مصانعة وان أُراعي مصالح اصدقائي وان اتحمل جهالة الجهَّال والذين يذهبون مذاهب وهم لا يتبصرون فيها انتهى . فهذه الاقوال وامثالها التي تشغل نحو مائتي صفحة من كتاب صغير حكم ثمينة اذا اصغيتم اليها وعملتم بما ترشدكم اليهِ كان لكم منها نفع عظيم في صفاتكم الذاتية ومنزلتكم عند الناس وعون كبير لما تجدُّون فيهِ من مساعي الحياة

وعند الامة الانكليزية كلمة شاملة لبعض الفضائل في الانسان لا تستوفي معناها كلمة واحدة في غيرها من اللغات ولذلك اخذوها كما هي الى لغات كثيرة . وهي كلمة جنتلمان (gentleman) للرجل ومعناها الحرفي الرجل اللطيف على انهُ يراد بها اكثر من ذلك وهو كل ما يميزهُ باللطف والصدق والوفاء وحسن الخلق والسلوك والادب والنظافة وعزة النفس والشكر على المعروف عن الجلف الفظ الخسيس الدنيء الساقط . وهو عندهم حد حاد فاصل بين رتبة شرفاء القوم ورعاعهم — بين اكابر الهيئة الاجتماعية والاجلاف الذين يرفض قبولهم فيها . وهي كثيرًا ما تكون موروثة في سلالة الاكارم او مكتسبة من معاشرتهم او غريزية في بعض الناس . وقد رأيت في كثيرين من اهل المشرق كأنها طبيعية فيهم مولودة معهم لا تختلف عما يشاهد في غيرهم

(١) ولا أُؤخرُ شغلَ اليومِ عن كسلٍ الى غدٍ انَّ يومَ العاجزين غدُ

ومن ذلك انهُ لما كنت طبيب مستشفى فرسان مار يوحنا في بيروت دخلتهُ اختان مصابتان بمرض في العيون من قربة بيوتها لا تختلف عن المزابل . وكانت الكبيرة منهما في نحو السنة السادسة عشرة من العمر والصغيرة في السادسة او السابعة وبقيت في المستشفى بضعة شهور اراهما كل يوم والكبيرة تسألني دائماً عن اختها ولم تسألني مرة واحدة عن نفسها . فعجبت كل العجب كيف ان هذه الفتاة في اول صبوتها وشدة مرض بصرها تنسى حالها وتهتمّ لاختها الصغيرة وسألت رئيسة المستشفى التي كانت ترافقني في عيادتي اليومية وهي من حاذقات نساء الالمان هل انا مخطىء في ما اخذني من العجب قالت لا لان هذه الابنة على غاية اللطف في كل تصرفاتها واخلاقها من اكرم الاخلاق وامرها من النوادر التي تذكر في اجتماع التربية الحقيرة والمنزلة الوضيعة مع علوّ النفس الغريزي . وقال احد كبار العلماء في هذا العصر ان صفة الكريم كصفة الشاعر فطرة طبيعية لا مكتسبة على ان السعي اليها والجدّ فيها وتربية النفس عليها من الامور الواجبة الممكنة . فانتبهوا ايها الشبان الى هذه الكلمة ذات الشأن العظيم والى معناها والى ماتؤدي اليهِ من الكرامة

فما للمرءِ خير في حياةٍ اذا ما عدَّ من سقط المتاعِ

لقد طال هذا الخطاب وربما مللتم منهُ وحسبتم ان المقياس الذي نصبتهُ امامكم عالٍ لا يصل اليهِ احد من البشر واني نسيت انكم خلقتم ضعفاء وان التجارب التي في باطنكم والتي تحيط بكم شديدة البأس هيهات ان يسلم احد من غيها او لا يقع فيها ويسقط ويتهشم . فاقول اني لم انسَ شيئاً من ذلك واني اعرفهُ حقّ المعرفة لاني قد جزت العقاب التي انتم سائرون فيها الآن وتعلمت بالخبرة ما انتم تعلمونهُ وما لا تعلمونهُ ولذلك كان لما اوصيكم بهِ في ختام الكلام شأن عائد لا الى فضلٍ فيَّ بل الى حياة طويلة ودرس طويل ومراقبة طويلة في انهماك الشباب في الجهل وضلال الدنيا للجميع حتى الشيخ الذي يئنُّ منها ويقول

فإنَّ امارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرمِ

فوصيتي الاولى ان تدأبوا دائماً في تهذيب اجسادكم وعقولكم وانفسكم على ما تقدم من الكلام. واذا كان القياس الذي تشخصون ببصركم اليهِ رفيعاً او وهمياً عقباتهُ كثيرة عسرة فلا تيأسوا لانكم اذا لم ترتفعوا الى اعلاهُ ارتفعتم ولا محالة الى بعضهِ وهو شيءٌ يذكر . قال احد الافاضل وصدق هل سمعتم ابداً ان احداً جاهد كل حياتهِ جهاداً اميناً صادقاً في نيل غرض ولم ينل شيئاً منهُ ألا ترتفع النفس اذا تاقت دائماً الى الخير . هل سعى احد للرجولة وعزّة النفس والصدق والاخلاص وكان جهدهُ عبثاً

ووصيتي الثانية صلُّوا ابدًا صلاة داود النبي القائل قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدد في داخلي . فهي افضل ما يصعد القلب فيهِ الى الله من الصلاة لانكم اذا نلتم منهُ تعالى القلب الطاهر الذي ينفر من الدنس ويجتنبهُ ويحاربهُ واذا كان فيكم الروح المستقيم روح الصدق والاخلاص والعدل والكرم والبر والاحسان واغاثة المسكين فقد نلتم امرًا كبيرًا . واذا وجدتم ابواب السماء مغلقة لايجتازها صراخكم - وهو عسر التصديق - فليس في ذلك عبث اذ ينعكس عملهُ في باطنكم ويحملكم على الجد في كل ما منهُ خير لكم . واذا عثرتم وسقطتم فلا تقنطوا بل انهضوا في الحال وجددوا القتال ما دمتم احياء ولا تكفوا حتى تغلبوا

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ عفافٌ واقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

الاغلاط الاستقرائية

في الانسان كما في غيرهِ من الموجودات قوة وضعف وكمالٌ ونقصٌ يرى الناظر اليهِ خالقًا في احسن تقويم يديرهُ عقلٌ لا يُسبر غورهُ ولا تعرف حقيقتهُ يحلُّ المبرمَ ويكشفُ المُلَفَّفَ ويدفع الامر الجلل على انهُ ربما سقط في ما لا تسقط فيهِ العجماوات ومَلَخ في الباطل ملخًا يُزري على باطل المعتوهين وهذيان المتخبطين . ويتفاوت نصيب الامم من هذا الانحراف العقلي ويختلف باختلاف تربيتها ودرجة قواها العقلية . فالامم الجاهلة الخاملة لما استسلمت لتيار جهلها وانقادت لصوت طيشها كان نصيبها من امراض العقل اوفرَ من نصيب جاراتها من الامم الحية التي نشأت في زوايا الكليات الجامعات وقعدت على منصةِ العلم وتربعت في نوادي الادب

قال جفنس "قد يقضي قوم حياتهم ناظرين سامعين شاعرين وهم لا يفقهون معنى لما رأَوا" ونعرف من الشعوب من اذا انهكتهُ المظالم واهلكتهُ القوارص وضعضعت مناكبهُ صفقات الشرطة وويلات المستبدين ذهب الى أن ذلك مثال كامل في العدل ونموذج حسنٌ في حسن السياسة

بمثل هذا انحرف العقل عن جادتهِ وعلى هذا النمط اختلفت الامم في شعورها حتى بلغ الذهول ببعضها درجة المسلوبين المخدَّرين

وقد ذكرت في ما يأتي اغلاطًا استقرائية كثيرة الحدوث خصوصًا بين ظهرانينا وأرجعتها الى انحراف في الحسِّ والحكم والتسليم والخيال والادراك ونقص في الاستقراء . ولم

اتعرض لأغلاط الاستنتاج لأن اهمها مذكور في كتب المنطقيين المتقدمين

اغلاط الحسّ

قال ابن سينا في الشفا "من فقد حساً فقد يجب ان يفقد علماً ما" "ومن لم يَرُضْ بصره ويهذبْ سمعهُ ويدربْ لمسهُ ويستعن بالمبصرات المسمعات اصابتهُ عاهات في مراقبتهِ ربما ادَّت بهِ الى تيه من الاغاليط يتعذَّر الخروج منهُ او يستحيل

ظهر المرض الوافد (الهواء الاصفر) منذ عامين في بعض البلاد الشرقية فهزأ طغمة الجهل من الاهالي بما اتخذ من الاحتياط لمقاومتهِ وسخروا بالجراثيم وبمن يعتقد بوجودها لانهم لا يرونها . ومن يمرّ في الشوارع في هذه البلاد ايام وطيس الحر وينظر الغبار المتصاعد كقتام الجحافل لا تمرُّ عربةٌ او خيل الاَّ وثور وراءها عواصف من صعيد رجسٍ تتيممهُ الصدور النقية والاعين المتلألئة يعلم ان هذا الاعتقاد الخرافيَّ لم يَنحصر في عوام تلك البلاد بل ربما تعدَّاها الى طبقة الخواص التي يتوقف عليها نجاح الامة

وقد يمكن المرء رؤية المحسوسات لكنهُ يعميهِ عنها خُلُق او عادة او انفعالٌ او دينٌ شبَّ عليهِ وربما لم يلتقط من مقدمات الحس الاَّ ما تتطلبهُ نفسهُ كمن يناضل عن بعض العوائد السالفة الفاسدة التي لا تخلو من نفع قليل فانهُ لا يرى منها غير هذا النفع ضارباً صفحاً عن سوآتها. وكذلك ينشأ في العالم دين او مذهب فتتفرق اتباعهُ شيعاً كل شيعة بما لديها فرحة تدعي انها على صراط ذاك الدين القويم — لانها لم ترَ في كتبهِ الاَّ ما سوَّلتهُ لها نفسها مغمضة عن حجج الخصم ومدعاهُ . هذا في الحسيَّات المعنوية اما في الحسيَّات المادية فاذكر انني كنت مع رفاقي في احد صفوفنا المدرسية فاعطانا الاستاذ قطعة قصت من ورم وطلب من كلّ منا ان ينظر اليها بالمكرسكوب ونصف لهُ ما نرى فكان احدنا اذا توهم انها ورمٌ دهنيٌّ لم يرَ غير خلايا الدهن واذا توهم انها ورم غشائي لم يرَ غير الالياف الموصلة الى غير ذلك من الاختلاف البين حتى ذكر لنا انها كيت وكيت فصرنا نراها كما وصف لم يفتنا منها ذرَّة واحدة

ولا شكَّ ان الناس يختلفون من حيث كمية ما يحسون بهِ في وقت واحد كمن يزورون المعاهد القديمة مثلاً فان منهم من لا يرى غير الابواب والعمد وبعض النواتىء الظاهرة. ومنهم من يرى الكتابات والنقوش وتقاطيع التماثيل ايضاً ومنهم من يفوق ذلك فيرى دقة تنضيد البناء واجادة النقش والاحكام وربما صور لنفسهِ مصوَّراً يرى بهِ حدود البناء واقسامهُ

ويقابل ما تقدم ضعف في بعض الناس عن ان يجمعوا حواسهم ويصوبوا تنبههم الى

المحسوسات اللازمة فقط حتى لا تشوشهم الزوائد الحسية التي لا دخل لها في حقيقة موضوعاتهم . فهؤلاء اكثر مؤرخينا المتقدمين قلما يذكرون موضوع التاريخ على ان كتبهم طافحة بذكر النوادر والمحاضرات واسماء الجواري والمغنين وغير ذلك وربما كانت اشبه بديوان شعري منها بكتاب يسجل اخبار الدولة وعمران الامة . واشبه بهذا ما جرى لي منذ مدة حين كنت في بعض قرى الشام فوجدت متحجرات مرجانية اخذتها معي الى دمشق فكان بعض من اطلع عليها تتعذر عليه رؤية الاشكال المرجانية وحدها من غير ان يشوشهُ قطع الحجر ولونهُ ومادتهُ . ويظهر مما تقدم ان التعمق والاحاطة بالمقدمات الحسية اللازمة كالتوسع في دوائر الحس ضروري لصحة النتيجة

ويلحق بهذه الاغلاط خلط الاستنتاج بالحس كما يظهر القمر لاكثر الناس عند شروقهِ او غروبهِ اكبر منهُ وهو في كبد السماء لانهُ على الحالة الاولى يتوسط بيننا وبينهُ اجسام نقدر بعدهُ عنا بها . فلو ظهر لنا بقدر شجرة او صخرة على حدود الافق المرئي نستنتج انهُ اكبر منها لانهُ ابعد منها فنرى هذا الاستنتاج محسوساً على ان قياس القمر الدائري يصغر كلما قارب القمر الافق

ومن نوع هذا الخلط الحسي الخلط المعنوي كنظر الشرقي للمرأة اليوم فانهُ بعد ما مرَّ عليهِ حين من الدهر كانت النساء فيهِ عنوان الحقارة ومثال الخساسة استنتج انهنَّ يبقين كذلك ما دام في البحر بلة فاذا رآهنَّ اليوم اختلط استنتاجهُ بحسهِ وظهرت لهُ المرأة وضيعة القدر خاملة الذكر فكأن لسان حالهِ يقول مع شاعر اليونانيين : " للمرأة يوما سرور عند الرجل — يوم زفافها ويوم وفاتها " . وهذا الخطأ الناشيء من ضعف الحواس وتغلب الاستنتاج عليها هو من اقوى العوامل على ضعفنا وقد تحكم فينا حتى انهك قوانا وغل ايدينا امام حاجاتنا العمرانية

وربما استحال على المرء التنبه له لان الحس كما يقول جون ستورت مل " لا يكاد يدب حتى ينوء بحمل من تنبهات اكتسابية " يعرف ذلك المصححون في المطابع فهم مهما اجهدوا انفسهم في تنقيح المسودات قلما يفلحون تماماً لانهم في مراجعتهم الكلمات لا يقرأون حروفها كلها بل ربما قرأوا اوائلها واواخرها واكملوا من استنتاجهم اواسطها وهم يظنون انهم رأوا كل حرف منها

الاغلاط الحكمية

تحدث هذه الاغلاط من تفسير المحسوسات وارجاعها الى غير محالها من النظام العقلي لان هذا النظام اشبه بالمراكز التلغرافية العمومية التي لو ارجعت ما يأتيها من الانباء الى غير محلهِ ومنبعثهِ لاختل نظامها وانفرط عقدها . مثالهُ زعم علاقة سببية وارتباط لازم بين حوادث

مختلفة اقترنت بزمان او مكان واحد اتفاقاً كالبسطاء الذين يذهبون الى ان نجاح المسلمين في عصورهم الاولى نشأ من اقامتهم الصلوات في اوقاتها او من افراطهم في التقشف الى غير ذلك من الاقترانات الاتفاقية التي لا دخل لها في تفسير هذا التقدم العمراني . وكثيراً ما يرى المطالع في الكتب والجرائد الغربية اخبار ما يحدث من النجاح بعد سن الشريعة الفلانية او القانون الفلاني ولكن لا يلبث ان يرى ان هذا النجاح حدث اتفاقاً وان تلك الشريعة او ذاك القانون فاسد يجب تغييره او محوه

ومن هذه الاغلاط الحكمية الشبه الكاذب بين الاشياء كمن يدعي ان الحكومة الاستبدادية خير للبلاد في كل الاحوال وانفع لانها مثل الحكومة البيتية (العائلية) وهذه كما يعلمها القراء على متانتها استبدادية محضة ولكن فاتهُ ان الرابطة في الحكومة الاولى قد تكون نفعية مادية بين رجلين مستأجر واجير وفي الثانية ابوية اهلية بين قاصر ووصي حنون. ولا نقصد بكلامنا هذا الحط من قدر البراهين التمثيلية فان منها ما لهُ وقع جميل وحجة منتخبة كالتشبيهين اللذين اشار اليهما جون ستورت مل من ان العقل الصغير لا يسع العقل الكبير كما ان الكيل الصغير لا يسع الكبير او قول دالمبرت " ان بعض الحكومات لا يبلغ الاوج فيها الاَّ النسر او الثعبان "

وتختلف هذه المفوات الحكمية باختلاف الام والمحيط والتربية الشخصية وبضعف الانسان الفطري من حيث هو فهذه كتب " العلم الالهي " مملوءة بالسفسطات والمغالط لان العقل البشري يحوم هنا حول الاحاطة بمن " ليس كمثلهِ شيء " سبحانهُ عما يصفهُ الواصفون

ونذكر في هذا الباب فعل التعصب والانفعال والخرافات في الحكم على المشاهدات وقد اجاد من شبه العقل الراسخ بالبحر الهادىء الرائق الذي يعكس صور ما يعوم عليهِ تماماً فاذا حركتهُ العواصف هاج وماج وتكدر صفوهُ وربما حطم ما يحملهُ من سفن الحقائق. هذا ديّن المغرب يعتقد بصحة دعوى من يقدسهُ لما يعضدها من المعجزات فان رأى مثل هذه منسوباً الى بوذا عدّهُ مستحيلاً وذهب الى انهُ افك افّاكٍ وتخرّص مجنون

قال الامام الغزالي في هذا المعنى(١) : —

واكثر اغاليط النظار من التصديقات بالمألوفات والمسموعات في الصبي من الاب والاستاذ واهل البلد والمشهورين ..... واعلم ان من الاذهان ما فطر فطرة تسارع الى قبول كل مسموع ثم ينصبغ بهِ انصباغاً لا يمكن البتة انجلاؤهُ عنهُ ويكون مثالهُ كالكاغد الرخو

(١) محك النظر في صحيفة ٧٤

الذي يغوص الحبر في عمقهِ فان اردت محوهُ لزمك افساد الكاغد وخرقهُ وما دام الكاغد موجودًا كان السواد فيهِ موجودًا فهؤُلاء ايضًا ما دامت ادمغتهم موجودة كانت هذه الضلالات فيها موجودة لا يقدر البشر على ازالتها ..... ومهما قصد رسوخ مثل هذا الاعتقاد في النفوس ينبغي ان يكرر ذلك على السمع في الصبي ويجتم الوجه عند ذكر منكرهِ ويستعاذ بالله تعالى ويطلق اللسان في ذمهِ ويقال ان ذلك قول بعض الكفرة .... فلا يزال يترسخ في نفس الصبي ذلك على التدريج من حيث لا يشعر كما يرسخ النقش في الحجر ويتعذر على كل العلماء دواؤُهُ بعد الكبر مثل العلة المستحكمة التي تجاوز معالجتها قدرة الطبيب ولا فرق بين مرض القلوب ومرض الابدان"

الاغلاط التسليمية

اتفق اكثر العلماء على أن في الانسان مراجع تسليمية صادقة متى رُدَّت النتائج اليها كانت صحيحة وقد سماها البعض بالبديهيات لكنهم لم يعينوها وقد نشأ من بعض ما يشبهها ويظن انهُ تسليميٌّ بديهيٌّ سقطات فادحة اضرّت بالعمران كالقول بأن ما لا يمكن تشخيصهُ في الفكر لا يمكن وجودهُ. وقد سقط في ذلك منتقدو كولبس لما ردّوا عليهِ اكتشافهُ كروية الارض والبلاد الاميركية لان ذلك يوجب وجود من يقف على وجه الارض معكوسًا وهذا لا يمكن تشخيصهُ اذن فوجودهُ مستحيل . وعدَّ جون ستورت مِل من هذا القبيل ذهاب الطبيعيين المعاصرين الى وجوب الاثير في الخلاء لانهم لم يقدروا على تشخيص فعل مادةٍ على اخرى بلا التصاق او واسطة فالقاعدة عندهم " انَّ الشيءَ ليس لهُ فعل في محلٍّ لا يوجد فيهِ .... وبعد ما تقدَّم يجب علينا ان لا نعتمد على كثير من البديهيات كالقول ان المادة لا يمكنها التفكر وان الفضاء ليس لهُ نهاية وان الخلق من العدم مستحيل"

ويشبه هذا الخطأ الاغلاطُ اللغوية كالاعتقاد بأن ما نفرقهُ بين الاسماء في اللغة يجب ان يكون كذلك في الحس وقد نشأ منهُ خلط كثير في كتب المتقدمين خصوصًا . قال ارسطو " لا يوجد في الخلاء فوق او تحت لان الخلاء لا شيءَ واللاشيءُ لا يوجد فيهِ شيءٌ فكيف يوجد في الخلاء مثل هذه الاشياء" . وكان العلماء المتقدمون يذهبون الى وجوب الاختلاف بين المظاهر الارضية والمظاهر السماوية (لاننا نفرق في اللغة بين الارض والسماء) واذكر ان صديقًا لي اعطاني في السنة الماضية بقية شهاب سماوي لاحللهُ لهُ فكان جلَّ من رآهُ تأخذهُ الدهشة اذا ذكرت لهُ انهُ مؤَلف من عناصر موجودة في الارض كالحديد والنحاس والنكل الى غير ذلك . واعظم الموانع في سبيل الهيئة الحاضرة الى الافكار العمومية استهزاء

الجهلاء بما هو معلوم اليوم من امر الارض وانها اخت شقيقة لبقية الاجرام السماوية

اغلاط الخيال

لا نريد ان نذكر هنا ما يحدث للخيال في بعض الامراض كالحميات وغيرها مثلاً وانما نذكر فعل الخيال الطبيعي وما يمكن ان ينشأ عنهُ من المغالط . واظهر انواع هذا الخطإ هو في بناء النظريات وتعليل الحوادث الكونية وكثيرًا ما نجسم الخيالي الخالص ونذهب الى انهُ امر واقعي مجزوم بصحتهِ . وكل نظرية تنشأ في العالم سواءٌ كانت دينية او علمية لا بدَّ لها من الاعتماد على الخيال فان احسنت استعمالهُ قبضت على زمام افعل الوسائط في البحث والتنقيب وان اساءت فلها منهُ اخصب مصادر الخطاء . وهؤلاء اكثر المتصوفة لمَّا ذهبوا الى صحَّة كل ما يطرأ على خيالهم ووهمهم — الى صحة ركوب الماء (من غير سفينة) والى ركوب الهواء (من غير منطاد) والى الصعود الى الملإ الاعلى والتسلط على البشر او على الكون جميعهِ — اخرجوا للناس فلسفة لو لم يزينوها بالمبهم والمعمَّى لبرئ منها اكثر مريديهم وعدُّها ضربًا من فعل المخدرات . ويذكرني فعل المبهم اللفظي هنا بالمبهم الحسي المادي كالذي جرى في شمال ايطاليا منذ امدٍ ليس ببعيد حيث هطل من السماء رجيع بعض الهوام فزعم السكان انهُ منٌّ منَّ الله بهِ عليهم وصاروا يبتلعونهُ حتى لم يبقَ منهُ الا النزر القليل للتحليل الكيماوي وما فعلوا ذلك الَّا لانهُ ابهم عليهم امرهُ . والمشهور عند العلماء اليوم ان ما كان يدعى خارقًا للعادة في ازمن البساطة الماضية هو من هذا القبيل — تجسيم الخيال وضعف وسائط الحس والتجربة

وربما ساعد حب الانسان للفلسفة وميلهُ للاختراع على انتشار هذا الخطإ ففي الربع الاخير من القرن الماضي أُعلن اكتشاف نحو من اربعين عنصرًا بين العلماء لكن هذه العناصر لم تلبث ان عُدَّت من بنات الخيال واستهداف الآمال . ويتبرم طلاب الحقائق اليوم من فعل هذا الخيال في كثير من العلوم العصرية كذكر سكان الاجرام السماوية مثلاً وعقولهم واقتدارهم وعلومهم ومعارفهم الى غير ذلك مما يأباهُ العلم الصراح . وفي كتب الحياة والاخلاق والنفس والعمران وفلسفة الامراض كثير من هذه الامكانات الخيالية على ان القاعدة في وضع النظريات ان توافق النظريةُ الحقائق المقدمة وفضلاً عن ذلك ان ترتبط بها ارتباط اللازم والملزوم

الاغلاط الادراكية واغلاط الاستقراء الناقص

تحدث الاغلاط الادراكية من توحيد المدركات وتعميمها وذكرها على صورة النواميس الكونية الكلية كالقول المشهور "التاريخ يعيد نفسهُ" "ولا جديد تحت الشمس" وما

لا يوجد في الغابر لا يوجد في القابل " — جمل على كثرة صحتها لا تخلو من مواضع النقد . فيا هل ترى اذا كانت المرأة في الماضي (والحاضر في بعض البلاد) العوبة للرجل ليس لها من الامر في الاسرة الاّ ما رسمهُ الجهل لها اتبقى كذلك الى الابد ؟ يعلم تخرُّص هذا القول المعاصرون الذين رأوا ثورةً وانقلاباً في تاريخ المرأة في البلاد المتمدنة وهم يتوقعون مثلهُ (وعساهُ يكون اخف وطأة واقرب للمروَّة) في بلاد ارخى ظلام الجهل فيها استارهُ وشمس العلم في رائعة النهار

ولما فطر الانسان على حب التعميم ولم يشعث المحسوسات كان هذا النوع من الخطإ كثير الانتشار خصوصاً بين علماء الحيوان والنبات فانهم في ترتيبهم الموجودات الحية ربما ادخلوا في الاجناس والفصائل ما ليس منها مغمضين عن الاختلاف المميز ومنشأ ذلك ضعف في الاستقراء والبحث

ويدخل في هذا الباب الغلط الناشئ من اغفال بعض الناس امكان تعدُّد الاسباب مثالهُ ما ذكر المستر هبن " من ان حركات صغار الحيوان كثيراً ما تنسب للغريزة والخلق على اننا نعلم ان للتقليد دخلاً عظيماً في عملها فلو ابعدنا الحيوان المقلّد لبطل اكثرها " . واقرب من هذا المثال ما يذكرهُ بعض المصلحين في الشرق من التعاليل المفردة لتأخر بلادهم كالاستبداد او فساد الاسرة او التباغض او التعصب مثلاً والصحيح ان مجموع هذه المصائب وما شاكلها هو العامل على تربع البوم في عمران اهل المدنية القديمة

ومن ذلك ايضاً ارسال النواميس التي قامت على الاختبار والتجربة الى ما وراءهما وجعلها مضطردة سواء في المعلومات او المجهولات قال احد الكتاب " ان توسيع دائرة امتحانية محدودة توسيعاً استنتاجياً يدعو دائماً الى نتيجة فاسدة وثمرات مضلة "

وقد يؤدي الافراط في تطلب حكمة الكون والقصد من الموجودات الى الاكتفاء بالاسباب السطحية دون التعمق في الارتباطات السببية ونتائجها والاحاطة بالمعلومات وقد استشهد عليهِ المستر هبن بذهاب المتقدمين الى أن وظيفة اوراق الشجر هي حماية الثمر من الشمس والهواء ليس الاّ وقد اكتفوا بهذه الحكمة دون النظر الى فعل الورق في تنفس الشجر وهذه الوظيفة هي اهمّ من تلك كما لا يخفى . ومن هذا الخطإ ما نرى في كتب بعض الناشئة من ان وظيفة النساء هي امور البيت فقط وفاتهم ما تفعلهُ المرأة اليوم في البلاد المتمدنة من الوظائف التي كان لها الحظ الاوفر في اعلاء كلمة الانسان الحاضر

وذكر المستر مل ان النواميس الكلية المذكورة في بعض كتب العلم كما كانت اختبارية

فقط من غير ارتباطٍ سببي بين الاسباب والمسببات كانت نتائجها اقرب للاستقراء الناقص. زعم بعض العلماء ان العمران البشري لا يستتب الاَّ بالجمعيات الفلانية كجمعية القسس مثلاً او بالتفرقة في الدرجة بين افراد الامة او بالاستبداد وكزعمهم ايضاً ان التهذيب يمنع من الارتزاق وان الحكيم لا ينجح في الاعمال المعاشية الكسبية — قواعد كلها من نوع الاستقراء الناقص لا تثبت امام التعمق في البحث او استقصاء الشواهد

هذه بعض امثلة من نزغات العقل وفلتاتهِ نرى اشباهها حيثما وجد الانسان وهي كالامراض السارية تحتاج الى وسط صالح ولا تنمو الاَّ حيثما عشش الجهل وضرب الذهول اطنابهُ وانقادت الناس بسوط الاستبداد كالانعام وحرم على العقل النظر والتأمل. وربما وجدنا امةً تتألف من ملايين من البشر تجري على قواعد تضحك منها الصبيان وهي تلوم القضاء والقدر على ما دهيت بهِ على انها لو فكت ادمغتها من عقالها واستنارت بنور العقل لرأَت منهُ شمساً يخرق نورها كبد الظلمات وتحرق حرارتها حواجز الترقي فينعم البال ويستريح الخاطر ولكن الامور مرهونة باوقاتها عبد الرحمن شهبندر

الانباء بالطقس

نريد بالطقس المعنى المتعارف وهو كل ما يحدث من تقلب الهواء وانتشار السحب ووقوع المطر وهبوب الرياح او الصحو واعتدال الهواء. ولم يتوصل العلماء حتى الآن الى طريقة يمكن بواسطتها الانباء بالطقس قبل ايام كثيرة. فان الطرق المستعملة لذلك حتى في المراصد الفلكية ليس لها اساس علمي بل هي مبنية على مراقبة الجو والتقلبات التي تطرأُ عليهِ فاساسها اختباري استقرائي والاستدلال بهِ لا يلزم ان يصدق دائماً . وطرق الانباء بالطقس متعددة ومن اقدمها مراقبة حركات الحيوانات وسكناتها كالقطعان والطيور والعناكب والصراصير والنمل وغيرها من الحشرات

ومن الناس من يستدلُّ على الطقس بملاحظة المواد الآلية مثل الشعر واوتار الآلات الموسيقية وجذور النباتات فينذر بهِ من تقلصها او تمددها. ومنهم من ينذر بهِ من مراقبة الحجارة وجدران المنازل وما يطرأُ عليها من رطوبة او جفاف

ومنهم قوم لا يكتفون بالطرق المذكورة بل يعولون على اجسامهم وما يطرأُ على هذا

العضو او ذاك من الشعور . مثال ذلك ان الذي يصاب بالروماتزم يشعر بالم في العضو الذي ينتابهُ الداء كلما كان الهواء مشبعاً بالرطوبة

ومنهم من ينبئ بالطقس من مشاهدة احوال الهواء. ففي كل مدينة او قرية او مزرعة نفر يرجع اليهم في الانباء بالطقس ينظرون الى الجو وما تلبد فيهِ من الغيوم ويراقبون حركتها ثم ينبئونك بما يكون الطقس عليهِ غداً وكثيراً ما يصيبون . فهم يعولون على ظواهر ومشاهدات لها علاقة بالهواء واحوالهِ خلافاً للذين ذكروا قبلاً . ومن تلك الظواهر ما يكاد يعد قواعد مقررة في كل مكان وزمان . فاذا كانت السحب تتلبد في الجو دلّ ذلك على قرب الامطار واشتدادها في البلدان التي يكثر وقوع المطر فيها . واهل كل بلاد ينبئون بالطقس من سير الغيوم في جوهم لان سير الغيوم دليل على جهة الريح والريح التي تجلب الامطار في بلاد قد تبعدها عنها في بلاد اخرى . مثال ذلك ريح الشمال فانها هي التي تدرّ اخلاف المياه على القطر المصري او سواحلهِ الشمالية خصوصاً على حين ان ريح الشمال تبعد المطر عن بلاد الشام

ومن علامات الطقس في بعض البلاد الجبلية انهُ اذا كللت هامة الجبال با كليل من السحاب استدلّ الاهالي على قرب وقوع الامطار . واذا احاطت الهالة بالقمر كان ذلك نذيراً بالمطر في بلاد اخرى وكذلك اذا انقشعت الغيوم وبان من ورائها غشاء رقيق من السحاب . واذا تبددت الغيوم رويداً كان ذلك دليلاً على عدم وقوع المطر في بعض البلاد . ومن الناس من يعرف حال الطقس من لون الغيوم وشكلها

وهذه القواعد كلها بنيت على طول الاختبار والاستقراء وهي وان لم تكن ذات اساس علمي يركن اليهِ في كل حال الاّ انها مفيدة للناس في اعمالهم بوجه الاجمال . وقد مهدت السبيل الى اكتشاف قواعد اشمل منها وادق مثل الانباء باحوال الطقس مدة طويلة في مكان ما بمراقبتها في فصل معين من فصول السنة او الانباء بحالة الطقس في فصل آتٍ من مراقبة حالتهِ في الفصل الذي قبلهُ

وقد ذهب كثيرون الى ابعد من ذلك فلحظوا ان الطقس في سنة من السنين كان مشابهاً للطقس في سنة قبلها فاستنتجوا ان هناك قاعدة يجري الطقس عليها وقالوا ان السنين تتشابه في طقسها كل ١١ سنة او ١٨ او ١٩ وان طقس السنة القادمة مثلاً يكون مشابهاً لطقس سنة معلومة قبلها ولكن الواقع لا يؤيد ذلك

على ان قوماً لم يعتدوا بهذا كلهِ لانهُ مبني على المشاهدة والاستقراء ولا مجال فيهِ للسبب والمسبب فجعلوا يبحثون عن السبب الذي يخضع الطقس والتقلبات الجوية لهُ حتى اذا وجدوهُ

اخذوا يبنون نتائجهم عليهِ . ومن هؤلاء الاستاذ زنجر الالماني فانهُ رأى ما للشمس من العلاقة الشديدة بالارض فقال انها العامل الاكبر في تقلبات الهواء وان هذه التقلبات ناشئة عن دوران الشمس على محورها . ولما كانت دورة الشمس على محورها تتمُّ في نحو ٢٦ يوماً اتخذ نصف هذه المدة لقياس تقلبات الطقس ووضع روزنامة (نتيجة) مدارها على تغيرهِ مرة كل ١٢ او ١٣ يوماً

ومنهم الاستاذ سرفوس فانهُ نظر الى جاذبية الارض للهواء المحيط بها وقال ان كلَّ التقلبات العظيمة التي تخلُّ بموازنة الهواء سببها انقلاب يطرأ على داخل الارض . ولكن هذا الرأي ضعيف حتى ان صاحبهُ نفسهُ اضطر ان ينسب الانقلاب الذي يطرأ على باطن الارض الى فعل الشمس والقمر وعليهِ فان رأيهُ هذا لا يكاد يختلف عن رأي الاستاذ زنجر

وقام الاستاذ لمبرخت بعدهما فبالغ في الاعتماد على السبب والمسبب في تعليل تقلبات الجو من غيران يلتفت الى المشاهدة والاختبار فشط بهِ المزار . وادعى ان الارض محاطة بخمس حلقات تشبه حلقات زحل وان ازمنة دورانها وعلاقتها الواحدة بالاخرى هي اسباب تقلبات الجو وسماها باسماء بعض ملوك المانيا ووزرائها وكبار قوادها

ومن اقدم طرق الانباء بالطقس واكثرها انتشاراً طريقة مبنية على ان للاجرام السموية علاقة بكل ما يجري على الارض وخصوصاً تقلبات الهواء. فقالوا ان لكلٍّ من السيارات تأثيراً خاصاً وقسموا السنة الى مداتٍ تبعاً لتغلب هذا السيار او ذاك . ولكنهم غالوا في تقديم القمر على غيرهِ من حيث علاقتهُ بالارض وفي نسبة معظم التقلبات الجوية الى تغيراوجههِ من هلال الى بدر حتى ان من اكثر القواعد الجوية انتشاراً الآن ان الطقس يتغير كما هل الهلال او اكتمل البدر . ومهما يكن من ذلك فان كثيرين يعلقون الشأن الاعظم على ربعي القمر الاول والاخير على ان هذا كلهُ نتيجة اعتقاد العامة بالقمر وتأثيرهِ في الارض وليس لهُ اساس علمي

ولا يعلم ما اذا كان هذا الاعتقاد تابعاً لمراقبة تقلبات الطقس فيعد نتيجة عنها او سابقاً لها اي ان الناس اعتقدوا اولاً بتأثير الاجرام السموية وخصوصاً القمر في الارض ثم جعلوا يرصدون و يراقبون ليروا ما يؤيد هذا الاعتقاد ولعل الامر الثاني هو المرجح بدليل انتشار المذهب الحديث القائل بتأثير القمر في الارض. واصحاب هذا المذهب لم يجمعوا نتائج الارصاد والمشاهدات اولاً و يستدلوا منها على تأثير القمر في الطقس ثانياً بل بدأوا باقتباس الاعتقاد القديم بفعل القمر ثم جعلوا يبحثون عن اساس علمي لهُ بفرض الفروض ووضع الشروح وعرضوا نتيجة ابحاثهم على الجمهور طالبين تمحيصها بالمراقبة والمشاهدة . فهم يجرون في ذلك على ضد ما

يجري عليهِ اصحاب المذهب الآخر الذين يرصدون و يراقبون طويلاً ثم يلخصون اعمالهم في قضايا او قواعد يرسمونها للجري عليها

وليس ثمة ما يعترض بهِ على طريقة اصحاب المذهب الحديث ولكنها تستلزم نظراً اصائباً دقيقاً وبحثاً خالياً من الهوى اذا كان لا بدَّ من الوصول الى الحقيقة فيما يختص بتأثير القمر في الارض وجوّها

وكان الناس لاول عهدهم بالبارومتر يعوّلون كلَّ التعويل عليهِ حتى ليعصمونهُ عن الغلط وينزهونهُ عن الشطط فكان اذا اقتنى احدهم بارومترًا يحسب انهُ بات مطلعاً على اسرار الغيب من حيث الطقس وتقلباتهُ فلا تخفى عليهِ خافية منهُ . فاذا وقع المطر والبارومتر يدلُّ على الصحو هاج ذلك مخططهُ او كان صحو والبارومتر يدلُّ على المطر اشتد عجبهُ وزادت حيرتهُ . ولما كان البارومتر كثير الخطاء في دلالتهِ على الطقس فقد قلَّت الثقة بهِ

ولما قلَّت ثقة الناس بالبارومتر اعتمدوا على الهيغرومتر وهو آلة تدل على مقدار الرطوبة في الهواء كما يدل البارومتر على مقدار ضغط الهواء . ولما كان لضغط الهواء ومقدار الرطوبة فيهِ علاقة بالطقس امكن استخدام الهيغرومتر مكان البارومتر ولو لم يكن هذا هو الغرض الاصلي الذي وُضع لهُ . فاذا ارتفعت درجة الرطوبة فيهِ دلَّ ذلك على ان الهواء مشبعٌ بخارًا . ولكن قد يتفق ان تزيد الرطوبة في الهواء ويبقى الطقس حسناً فيدلُّ الهيغرومتر على قرب تغير الطقس . ويتفق ايضاً ان الطقس يكون رديئاً والرطوبة تنقص فيدل الهيغرومتر على تحسن الطقس وجفاف الهواء قريباً

واحسن انواع الهيغرومتر ما يصنع من شعر الانسان فان الشعر يتمدد بالرطوبة ويتقلص بالجفاف وكثير من المواد الآلية حيوانية كانت او نباتية لهُ هذه الخاصة . ثم نال الهيغرومتر ما نال البارومتر من ضياع الثقة بهِ لما ظهر انهُ ليس اصدق إنباءً من اخيهِ البارومتر . فصار يرجع اليهِ لمعرفة كمية الرطوبة التي في الهواء لا غير وهذه المعرفة لا تفيد في الانباء بالطقس في مكان اكثر مما تفيد معرفة مقدار الضغط فيهِ . وعليهِ فالبارومتر والهيغرومتر سيَّان في ذلك

اما المراصد المتيورولوجية الكبيرة فتعوّل على طريقة حديثة للانباء بالطقس نتجت من البحث الدقيق في المتيورولوجيا العلمية والعملية اي من مراقبة الاحداث الجوية نفسها واستقرائها وعليهِ فان اساسها صحيح يركن اليهِ . واهمُّ ما في ذلك الاساس ان لحالة الطقس علاقة شديدة بتوزع ضغط الهواء وان الطقس في مكان لا يعرف من معرفة ضغط الهواء فيهِ وحدهُ كما يدلُّ البارومتر عليهِ بل من معرفة الضغط في بقعة واسعة جدًّا في وقت واحد وساعة

واحدة فلابدَّ من المراصد المتيورولوجية التي يرصد بها ضغط الهواء دواماً

هذا وقد ظهر بالبحث ان توزع ضغط الهواء يختلف على صور شتى يمكن ضمها تحت ابوابٍ معلومة وثبتت القضايا الآتية وهي

(١) ان الطقس يتوقف على توزُّع ضغط الهواء فالطقس الذي نراهُ الآن في مكان ما يعود في وقت آخر اذا اتفق ان كان توزع ضغط الهواء كما كان اولاً

(٢) ان طقس مكان ما يعرف من نسبة ذلك المكان الى ما حولهُ من الامكنة التي يعرف توزع ضغط الهواء فيها

(٣) اذا عرفنا ما يكون عليهِ توزع الضغط في يوم مستقبل او في وقت مستقبل استطعنا الانباء بطقس ذلك اليوم او الوقت قبل مجيئهما

(٤) ان التغيير الذي يطرأُ على طقس مكان ما بالنسبة الى موقعهِ الجغرافي هو واحد دائماً

فهذه القضايا استنتجت من الارصاد المدققة واتخذت اساساً للانباء بالطقس. ثم انهُ لا بدَّ للانباء بالطقس من معرفة احوالهِ في كلّ مكان ومعرفة ما يتعلق عليهِ توزع ضغط الهواء. وهناك امر آخر تجب معرفتهُ للانباء بطقس فصل مقبل وهو اي نوع من انواع توزع الضغط يكون في ذلك الفصل. وهذه المعرفة هي النقطة الاولى التي يتوقف الانباء بالطقس عليها. فاذا استحالت استحال علينا الانباء بالطقس ايضاً. واذا عرفناها على وجه التقريب امكننا الانباء بهِ على وجه التقريب. واذا عرفناها معرفة باتّة قطعية امكننا الانباء بهِ على وجه باتّ قطعي. وهي الغاية القصوى لعلم المتيورولوجيا وكثيرون من العلماء يشكون في ما اذا كان بلوغها ممكناً ويؤيدون شكوكهم بحجج قويَّة

ومما تجب الاشارة اليهِ ان علماء المتيورولوجيا لا يعترفون ان لجرم من الاجرام السموية علاقة بالارض الاّ الشمس ويقولون ان حرارتها الواصلة الى الارض والهواء هي السبب الوحيد في تقلبات الطقس. فان الشمس هي التي تسبب الصيف والشتاء وما يتبعهما من حرّ وبرد وتبخُّر ومطر وثلج وبرَدٍ وريح وعاصفة. وقد ثبت لهم انها السبب الاعظم في ما يسمى بطقس الارض ان لم تكن السبب الوحيد فيهِ فانهم لم يهتدوا بعد الى سبب آخر صحيح مع شدة بحثهم وتنقيبهم. اما القائلون ان للقمر وسائر الاجرام السموية علاقة بطقس الارض فلم يؤيد احد منهم قولهُ بدليل صادق بل يعتمدون على ما يحدث احياناً صدفةً واتفاقاً. ولو فرض ان الصدفة صحت في ٥٠ مرة من كلّ مئة فذلك لا يصيِّرها قاعدة يركن اليها بل لا يزال بينها وبين الحقائق العلمية شقق مترامية وهوة لا يسبر غورها

واعظم بلدان الارض اهتماماً برصد القطس ومراقبة ما يطرأُ عليهِ الولايات المتحدة الاميركية فانها سبقت سائر الممالك المتمدنة في ذلك كما سبقتها في الزراعة والصناعة والتجارة وحكومتها تنفق مليوناً ونصفاً من الريالات على المراصد المتيورولوجية فيها وهو اكثر مما تنفقهُ سائر الامم المتمدنة كلها معاً على مراصدها ولكنَّ الاميركيين يربحون من ذلك ربحاً جزيلاً فقد قُدّر متوسط المال الذي يجنونهُ كلَّ سنة بسبب المراصد المذكورة بثلاثين مليون ريال اي ان كل ريال ينفقونهُ على هذه المراصد يربح ٢٠ ريالاً

اما ما تفعلهُ المراصد فانها ترقب انهار البلاد المعروفة بفيضانها فتنبئ الاهالي بدنوّ الفيضان لئلاَّ يؤخذوا على غرة . فقد تعلَّم رجالها بالاختبار والحساب المدقق ان يعرفوا العلامات المنذرة بارتفاع الماء في الانهر او هبوطهِ واقاموا مقاييس الامطار في كلّ جهة من جهات البلاد حتى صاروا يعلمون مقدار الماء الذي ينصبُّ الى كلّ نهر ومقدار ما يسعهُ النهر منهُ ومواطن القوة والضعف من سدود كل نهر وضفافهِ فاذا اشتدَّ وقوع الامطار وبلغ السيل الزُّبى عرفوا اين يخشى على النهر ان ينصدع فانذروا الاهالي بالخطر

ومن اصدق الشواهد على ذلك انباؤُهم بالفيضان الهائل الذي طما سنة ١٩٠٣ . فان رجال مرصد وشنطون انذروا اهالي نيو اورليانس بهِ قبل وصولهِ اليهم بثمانية وعشرين يوماً وقالوا ان معظم ارتفاعهِ يبلغ ٢١ قدماً . فطغى في الساعة التي عينوها تماماً وارتفع حتى بلغ ٢٠ قدماً و ٧ بوصات اي اقلَّ مما انبأُوا بهِ بخمس بوصات لا غير وكان منشأُ هذا الفيضان في بلاد مساحتها نحو ٣٠٠ الف ميل مربع وتبعد عن مدينة نيو اورليانس الف ميل ولكن الراصدين عرفوا سرعة جريانهِ كما يعرف سائق القطار سرعة قطارهِ . وانباوا اهالي مدينة ممفيس انهُ يرتفع الى علوّ ٤٠ قدماً عندهم ويفيض على الجوانب وانذروهم بذلك قبل حدوثهِ بسبعة ايام . فهبَّ الناس الوفاً يعززون جوانب النهر فلا يغمرهم السيل وينقلون النساء والاولاد والماشية الى حيث يؤمن الخطر فلما أقدم الاَتيُّ الجارف وجدهم مستعدين للقائهِ فلم يجرف منهم سوى القليلين ومع ان خسارة الاملاك كانت عظيمة الاَّ انها كانت اقلَّ بملايين الملايين من الخسارة التي كانت تلمُّ بهم لولم يتحوطوا للشرّ قبل وقوعهِ

ومن فوائد تلك المراصد الانباء بالصقيع الذي كثيراً ما ينتاب البلاد في اوائل الربيع والخريف فيهرأُ المزروعات ويترك الارض جرداء ربداء وقد يفسد في ليلة مواسم السنة ويذهب بآمال الفلاح ويغادرهُ خاوي الوفاض . فاذا درى الفلاح بهِ قبل وفودهِ تداركهُ بما لديهِ من الوسائل لتقليل ضررهِ كتغطيتهِ مزروعاتهِ واشجارهُ باغطية تقيها منهُ . والمراصد تنذر

الاهالي بالخطر قبل وقوعهِ بيوم كامل على الاقل فاذا آنستهُ في الهواء بعثت بالرسائل البرقية والتلفونية الى حيث يتوقع حتى لقد يزيد عدد تلك الرسائل على مئة الف في ساعات قليلة . وبهذه الواسطة سلم من الصقيع الذي انتاب البلاد سنة ١٨٩٨ ما قيمتهُ نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال من الاثمار

ومن اعظم فوائدها الانباء بالزوابع . فان الرياح الشديدة تثور على سواحل اميركا بين شهري اكتوبر وابريل والعواصف تهبُّ من الهند الغربية في شهري اوغسطس وسبتمبر فتجتاح ما في البرّ طولاً وعرضاً وما في البحر من السفن الماخرة ذهاباً واياباً بين موانئ الساحل . فالمراصد تعلم بالزوبعة لاول ثورانها فتنذر الاهالي بها وترفع الاشارات في كلّ مكان تحذيراً لهم منها . وكان ٧٥ في المئة من الخسارة ألّتي تلحق بالملاحة الاميركية في البحيرات الكبيرة سابقاً مصدرهُ هذه الزوابع فنقصت حتى صارت الآن ٢٥ في المئة

ومن اغرب ما يحكى عن فوائد السجلات التي تحفظها المراصد فيها ان رجلاً في ولاية ايلنويس اتُّهم بقتل امرأة وكان اعظم دليل على جنايتهِ شهادة عامل قال في شهادتهِ انهُ كان يحفر في الارض فعطش وكانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر فصعد من الحفرة ليشرب من اناء كان هناك فالتفت الى كوة بيت فرأى المتهم يقتل المرأة فيهِ ثم فرَّ هارباً قبل ان يدركهُ . وكانت الشهادة صريحة وظهر انها قاطعة . ولكن المحامي عن المتهم قلَّب سجلات المرصد المتيورولوجي فرأى ان اليوم الذي ادعي على المتهم بارتكاب القتل فيهِ كان يوماً شديد البرد الى حد انهُ لو بقي الاناء الذي شرب الشاهدمنهُ في الخلاء من الصبح الى الساعة الحادية عشرة كما قال لجمد كلهُ فلم يستطع الشرب منهُ . وكانت هذه البينة سبيلاً الى تبرئة المتهم ثم قامت الادلة التي ثبتت منها الجريمة على الشاهد نفسهِ

ومما تفعلهُ المراصد ان المكتب الرئيسي يصدر نشرات شهرية عن الحاصلات يقتطفها من تقارير الوف من الباحثين ويذكر فيها تأثير المطر او القيظ او البرد في القمح وغيرهِ من الحاصلات . ويصدر ايضاً نشرات عن سقوط الثلج في الولايات الغربية يذكر فيها مقدار ما سقط منهُ على الجبال ومقدار الماء الذي ينتظر في الصيف التالي لاعمال الري ونشرات خصوصية في كليفورنيا حيث يصنع الزبيب تنذر الفلاحين بالمطر فيستعدون لاتقائهِ لئلا يتلف موسمهم

وسعى اخيراً في اكتشاف طبقات الجوّ العليا بالبلون وذلك انهُ يصنع بلونات من السلك يعلق بها آلات صغيرة تعرف بها احوال الهواء ثم يطلقها فتسير صعداً وتكبر كما صعدت

وخفَّ ضغط الهواء الخارجي عنها حتى تبلغ علوَّ اربعة اميال او خمسة فينشق اللستك وتأخذ البلونات في الهبوط رويداً رويداً بجهاز فيها يقيها من السقوط الفجائي حتى تصل الى الارض فيلتقطها الذين يرونها ويأخذونها الى المراصد . وقد عينت المراصد جوائز لهم . والغرض من هذه البلونات معرفة مجري الرياح في طبقات الجوّ العليا وهو ما لا يعرف الراصدون عنهُ الاَّ القليل مع شدة اهميتهِ

وهو يسعى ايضاً في نشر تقارير عن تقلبات الهواء في عرض البحار مستعيناً على ذلك بالتلغراف الاثيري وينشر على الجمهور تقارير عن الجوّ وتقلباتهِ وخرائط يومية رسمت فيها البلاد كلّها ودُلَّ على الاماكن المتشابهة في طقسها بخطوط تمرُّ فيها . فالمقيم في نيويورك يعرف كلَّ يوم اين تصطكُّ الركب برداً واين يتصبب الجبين عرقاً . وقس على ساكن نيويورك غيرهُ من اهالي الولايات . وهذه الخرائط تنشر ايضاً في ٢٥٠٠ جريدة يومية وترسل بالتلغراف او التلفون او تذاكر البوستة الى الوف من البورصات ومكاتب البوستة ومكاتب المطالعة وغيرها من الاماكن العمومية ليطلع الجمهور عليها

هذا ولم تهبَّ على الولايات المتحدة زوبعة منذ بضع سنين الاَّ كانت المراصد قد انبأت الاهالي بها فاحتاطوا لها . ولا نزل بها صقيع ولا طما فيها سيل الاَّ كانوا عالمين بهما متهيئين للقائهما . ولما كانت الشمس السبب الاعظم في كل ما يطرأُ على جوّ الارض من الانقلاب ومصدر كلِّ قوة وحركة في الارض (ما عدا المدّ) فان معرفة طبيعتها وماهيتها وعلاقتها بنا وتأثيرها في كرتنا ترشدنا الى الانباء بالطقس تماماً او تقريباً . وعليهِ قرر مجلس الامة في الولايات المتحدة منح المكتب المتيورولوجي مالاً لبناء مرصد يُدرَس وجه الشمس منهُ ويجهز بجميع الآلات والادوات التي اخترعها الانسان لتلك الغاية . وهي خطوة تعدُّ اعظم ما خطاهُ الانسان لترقية علم المتيورولوجيا لانها ستكون مفتاح الانباء بالزوابع والعواصف وما يطرأُ على الارض من حرّ وبرد وقيظ وفيضان

هذا وعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بالحكومة الاميركية فتزيد سخاءها على الارصاد الجوية ولا سيما عند منابع النيل وما حولها عسى ان تكشف احوالهُ بالتدقيق او يكشف القانون الذي يجري فيضانهُ عليهِ فتحوط البلاد للشرَق والغرق قبل حدوثهما

شذرات في الانشاء

[المقتطف. ذكرنا في جزء يونيو ان حضرة الفاضل محيي الدين افندي الخياط طبع ديوان ابي تمام بعد ان فسَّر الفاظهُ اللغوية. وقد اطلعنا في صدرهِ على فصل كبير الفائدة يتناول كثيراً من المواضيع التي يبحث فيها الآن ادباء اللغة كحقيقة الشعر ونبوغ غير العرب فيهِ والشعر العصري والتعريب والتوسُّع في الاستعمال فرأينا ان نثبتهُ هنا برمتهِ تعميماً لنفعهِ مكررين الشكر لحضرة منشئهِ محيي الدين افندي الخياط راجين ان آراءهُ الصائبة تشجع كثيرين من كتَّاب العصر على كسر قيود التقليد]

الشعر

الشعر شعور لطيف احست بهِ الارواح قبل الاشباح ووجدان وجد مع الغرائز والفطر قبل الهيولى والصور يجري على الخواطر مجرى الكهرباء في مساري الهواء ويسيل في الضمائر مسيل الماء في ثنايا الادماء. فهو اشبه بسلك اثيري بين القلب والدماغ يسري على اهواء الضلوع وهذه تدفعهُ بقوتها المكهربة (تكهرباً معنوياً او حسياً على الرأي الحديث) الى مركز الدماغ ومنها الى القوة الخيالية التصويرية ومن هناك تجذبهُ اسلة اللسان المغناطيسية فتحملهُ على جناح تموجاتها الهوائية (المجازية) الى عالم الآذان فيدخلها باستئذان او بلا استئذان

ما لنا وللخيالات والتصورات فالشعر روح غنائية دبت في كل امة وسرت منها الى كل طبقة « ان صح ان يطلق الشعر على كل ما يستفز الالباب ويستخف الارواح ويختلب الافئدة ويستهوي العواطف وان كان عامياً محضاً كالمواليا والزجل والقوما وكان وكان والمطاول والمعنّي وما يلحق بها من هذا القبيل مما يفوق البعض منهُ على اكثر الشعر الموزون » وانت خبير ان هذا هو الاصل في اشتقاق هذه اللفظة (الشعر) ولذا كانت جاهلية العرب في صدر الاسلام تذهب الى ان بلاغة القرآن الباهرة وفصاحتهُ المدهشة هما من الشعر وان القرآن الكريم كلام شعري لان رشاقة الاسلوب ومتانة الديباجة وابداع المفردات وحسن التصوير مما يهيج الفطرة الشعرية سواءٌ كان الكلام موزوناً ام غير موزون

شيوع البلاغة في الشعر

ثم انهُ من الظلم الفادح والتحيز الفاضح ان تحصر البلاغة والفصاحة وحسن التصوير في امة دون امة او طبقة دون طبقة فانها حق شائع بين جميع الامم وما يحتكرها احتكار السلع الا قليل الاطلاع قصير النظر في شؤون البشر لكن المتربع فوق قمة الادراك على بعد الفكر

والمشرف من سامق نظره على سهوب هذه الشعوب والامم يعتقد ان الناس اكفاء وامثال في جميع المواهب الانسانية وانَّ بني الانسان في كل لسان هم من طينة واحدة وعنصر واحد او كما يقول النباتيون من فصيلة واحدة وانما تتفاوت المنازع والمشاعر واللغات نفسها بعض التفاوت اندفاعاً الى ما يطرأ عليها وعلى بنيها من الادوار والاطوار والبيئات في محيط هذه الكرة المحاطة بهذا الفضاء اللانهائي

نعم ان النابغين من الشعراء الذين يستحقون ان يطلق على كل واحد منهم لقب شاعر هم افراد قلائل في كل امة وفي كل جيل وهم الذين خُلقوا ليكونوا شعراء اي ان كيانهم الفطري حكم عليهم بان يكونوا شعراء مثل زهير في الجاهلية و ابي العلاء في الاسلام وعمر الخيام في الفرس وقد قيل عنهُ انهُ اخذ معاني ابي العلاء ونظمها بالفارسية وهي دعوى لاينهض بها دليل لان الفضل لم يختص بامة ولا بلسان وتوارد الافكار من الامور المسلمة. ومثل هوميروس صاحب الالياذة في اليونان وهو الذي ذكرهُ ارسطو في كتاب المنطق واثنى عليهِ ومثل شكسبير في الانكليز وفيكتور هيغو في الفرنسيس وكمال في الاتراك وسواهم في سوى ما ذكرنا من الامم والشعوب

ويلحق بكل من هؤلاء شعراء كثيرون معاصرون وغير معاصرين لهم وربما وجد من هو اقدر منهم على سبك الالفاظ ومتانة الديباجة وسلامة الاسلوب ممن هو اقوى عارضة وافصح لهجة غير ان روح الشعر التي وجدت في هؤلاء مع صفاء الذهن وسمو المدارك ودقة الشعور وبُعد التصور والفلسفة العالية والحكمة الباهرة والترفع عن السفاسف جعلتهم يشرفون على شعراء الامم من مكان شاهق ومنزل سحيق

الشعر والعصر

الشعراء في كل امة وفي كل جيل طرأ على اكثرهم عصور وازمان كانوا فيها اصحاب السيطرة الحقيقية على الرأي العام لا سيما في الجاهلية والاسلام ولنا على هذه الجملة دلائل لا محل لسردها وعلى كلٍ فهم بلا شك عنوان الامة وممثلو تاريخها واحوالها الاجتماعية الا ما شذ في بعض العصور التي اصبح بها الشعر تقليداً بحتاً لا يؤخذ منهُ شيء من الاحوال الاجتماعية بل ولا يصور اخلاق قائليهِ اذ اصبح عبارة عن قوالب لفظية بمعان تكاد تكون محصورة يفرغ عليها المشتغلون بالشعر جميع الصور والتماثيل التي انشأها قبلهم الشعراء الفطريون عن شعور حقيقي واحوال اجتماعية وجدوا فيها وتركوها لبني الاعصر التالية صورة لفظية معنوية باقية تمثل اخلاقهم وعاداتهم كما تمثل الآثار القديمة الخالدة اخلاق واحوال الامم البائدة

ويا ليت المقلدين وقفوا عند ذاك التقليد الصِّرف الذي هو اشبه بترجيع الصدى او ترديد الببغاء او تمثيل الحاكي «الفونوغراف» لصور الالفاظ فانهُ كان على الاقل يحفظ لنا تلك الصور المجيدة او يحيي لنا بالاحتذاء ما درس من تاريخ الاباء بل هم تنزلوا عن تلك الذروة السامقة الى وهاد وشعاب حصروا فيها الشعر ضمن دائرة لا تكاد تجتاز ما درج عليهِ بعض الشعراء حتى هذا العصر من الغزل والمديح والتهنئة والرثاء فضلاً عن تنزلهم في الاسلوب والديباجة والمفردات الى درجة الرثاثة والابتذال

ان الجاهليين الذين نتمنى ان نحذو حذوهم كما يريدهُ الراغبون في بقاء القديم على قدمهِ والنافرون من كل جديد قد ضربوا من الشعر في كل مذهب وولجوا بهِ في كل مشعب فترى شعرهم يضم بين اعاريضهِ وضروبهِ الوصف والترسُّل والتغني والتغزل والمدح والهجاء والعتب والرثاء وتدوين الاخبار وضرب الامثال ووضع الحكم والتنافر والتفاخر والحض والتهييج . كل ذلك بسائق الوجدان ودافع الشعور بلا تكلف ولا تقليد الى ما يقع تحت الحس وتكاد تلمسهُ النفس . وهذا كل ما يريدهُ العصريون فهم لا يريدون ان يأتوا ببدع جديد بل يريدون الرجوع بالشعر الى ما خطهُ شعراء الفطرة البدويون الذين تفننوا بوصف الناقة والجمل والسهل والجبل والفرس والغزال والهودج والظعن والاسد والنمر والسيف والرمح والقوس والسهم والفلك والنجم الى سائر ما وقع تحت اعينهم من الجمادات والحيوانات والطيور وما وطئتهُ اقدامهم من سباسب وقفار ومنازل وديار واطلال وآثار ورياض واشجار وجداول وانهار واضعين لكل مسمًّى اسماء تكاد تجتاز حد الحصر ويعجز او تعجز عن الزيادة عليها شعراء الدهر. نعم ان تلك الاسماء صفات لكن اكثرها غلبت عليهِ الاسمية وهي على كل حال تدل على مبلغ تفننهم وتلاعبهم في المفردات والمواضيع كما يريد العصريون الذين يرون امام حسهم البخار يحملهم على جناح البحار ويقلهم في الصحارى والقفار على ما لا يكاد يوجد لهُ اسم غير القطار (وهو قديم) بدلاً من تلك النوق او السفن البرية التي كانت تخر في عباب القفر وتعلو اسماؤُها واوصافها عن الحصر

فلا بدع بعد هذا اذا نزع الشاعر العصري الى التفنن بالقطار ووصفهُ كما تفنن اسلافهُ البدويون بوصف تلك النجائب ترتك على الربى والسباسب وان شغلتهُ الحضارة عن اختراع الاسماء فقد يتيمم بالتراب مَن فقد الماء

ثم هم يرون الآن امام اعينهم الاسلاك البرقية والاثيرية وما ظهر او سيظهر من غرائب الكهرباء في هذه الدكناء وما بين تلك الزرقاء فلا غرو حينئذٍ اذا مالوا الى التلاعب

باوصافهم كما كان اسلافهم روّاد الكلإ وورّاد الماء يتلاعبون بوصف الودق والبرق والسماء والماء والمنزل والدار والاطلال والآثار

ثم هم يرون الآن ما يسمونهُ بالفونوغراف والسنغراف والفوطوغراف والاتوميبل والبالون واذنابها مما لا تكاد تجد لهُ اسمًا واحدًا فضلاً عن اسماء متعددة فلا عجب بعدها اذا ذهبوا في اوصافها كل مذهب كما كان آباؤهم الجاهليون يتشعبون بوصف الطيور والاصوات وتدوين الاخبار والوقائع وضرب الامثال كل مشعب

ثم هم يرون جيرانهم من الامم يجدّون وراء العلم ومرافق الحياة وغضارة العيش او ما يسمون مجموعهُ بالتمدن فلا غرابة بعد هذا وذاك اذا قاموا الى حض بني قومهم وقبيلهم واستنفارهم لمجاراة جيرانهم في كل عمل نافع لهم ولشعبهم غير مباين لعاداتهم وتقاليدهم مذكرين لهم بمجد آبائهم على لسان الشعر كما كان اسلافهم سكان بيوت الشعر يتفاخرون ويعددون احساب قبائلهم ويتناشدون اشعار الحماسة والفخار والحض والاستنفار في مواسمهم ومجامعهم في تلك القفار

وخلاصة القول اننا اذا دققنا النظر وعرفنا الغاية من الشعر حكمنا بان شعراء البادية الفطريين هم الشعراء العصريون الحقيقيون ولو نفخ الله في ارواحهم ورأوا ما رأى العصريون لما عدمنا للقطار وامثالهِ من المخترعات العصرية والمكتشفات الوفًا من الاسماء والصفات ولكانت لنا من الشعر صورة مجسمة لتاريخ هذا العصر تبقى ما بقي الدهر ولنا الآن من رجال النهضة الشعرية الحديثة ما يسد هذه الثلمة ويضمن لنا سير اللغة والشعر عن النقطة التي قضت بعض ظروف العصور بالوقوف عليها

اللغة والتوسع في الاستعمال

ثم لا بد لنا هنا من التنبيه على امر ذي بال وهو ان اللغة العربية لا تحيا الحياة الطيبة ولا تنتشر انتشارًا واسعًا في هذا العصر الّا باستعمالها دون اعنات ولا تضييق على الوجه الذي اتصل بنا من ابنائها الاولين تقبل الدخيل فتعرّبهُ وتعدهُ منها وتتصرف بهِ وتتوسع في المجاز والاستعمال كما توسع ابناؤها الاصليون بشرط ان تكون خالصة من شين اللحن ورثاثة الاسلوب وان تتجافى عن التقعر في انتقاء الالفاظ الحوشية القلقة المهجورة وان تبتعد عن الاغراب او "المعاظلة" على رأي البيانيين في التركيب وان لا يسرع المشتغلون بها الى اعتقاد الخطإ في ما يتراءى لهم انهُ مخالف لما تعلموهُ من الرسوم او القواعد التي وضعها الواضعون على حسب ما اتصل بهم من كلام ابناء اللغة الاولين اذ الناقد البصير يعلم ان تلك الرسوم او القواعد غير ضابطة وغير مستقصية لانهُ لم يتصل بواضعيها الّا القليل من كلام ابناء اللغة الاولين

كما حققهُ المحققون. وما اتصل اليهم مما خالف تلك الرسوم سموهُ شاذاً ثم لم يجيزوا ان يقاس عليهِ

الدخيل

ترى بعض الكتبة او الشعراء يأبى او يأنف من استعمال الدخيل الذي لهُ مرادف في العربية ولم يعلم ان القرآن الكريم نفسهُ استعمل الدخيل مع وجود المرادف لهُ وقد نسج على منوالهِ جميع كتّاب العربية وشعرائها بلا استثناء ولعل اكثرهم يخفى عليهِ ما استعملهُ والا فاي لفظ دخيل يتعذر وضع مرادف لهُ لكن النزوع الى المرادف قد يفضي بعض الاحيان الى الاعنات فضلاً عن ان الدخيل مما يزيد في ثروة اللغة ولا يجعلها ضمن دائرة مفرغة الحلقات وان كانت هي من اغنى اللغات . وذلك الآن هو شأن اللغات الحية التي تقبل كل دخيل على انها ان لم تقبلهُ اختياراً فقد قبلتهُ وستقبلهُ اضطراراً جرياً على الناموس الطبيعي العام . ولو بعث الله روح الشهاب الخفاجي (صاحب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل وصاحب الانتقاد على درة الغواص) الى عالم الاحياء ورأى الالفاظ العصرية التي اوجدها العلم العصري الحاضر واطلع على تطور اساليب الكتابة وتوسع الكتبة في الاستعمال لضم الى كتابهِ الشفاء عدة كتب مؤلفة من الفاظ الفوطوغراف والفونوغراف والسنغراف والتلغراف والتلفون والغاز والاتوموبيل والبالون والوابور والوف من اسماء الآلات الميكانيكية وسائر ما اخترع في هذا العصر وعد من ابكار افكار ابنائهِ ولزاد على انتقادهِ تلك الدرة درة الغواص درراً ناصعة بالمجاز لامعة بالقياس والتوسع في الاستعمال . انتهى

[المقتطف] لا بدَّ من ان القارئ الكريم الذي قرأ نبذ الفصل المتقدم نبذةً نبذةً رأى فيها كلها ما ينطبق على ما تقرَّر في ذهنهِ بمطالعة المقتطف السنين الطوال وما يؤيدهُ كل عقل لم يقيدهُ الغرض ولاسيما النبذة المعنونة "باللغة والتوسُّع في الاستعمال" فان الكاتب اشار فيها الى ما تحيا بهِ اللغات وهو قبول الدخيل والتجافي عن الالفاظ المهجورة والابتعاد عن الاغراب . والنبذة المعنونة "بالدخيل" حيث قال ان القرآن الكريم نفسهُ استعمل الدخيل مع وجود المرادف لهُ وقد نسج على منوالهِ جميع كتّاب العربيَّة وشعرائها بلا استثناء . والدخيل يزيد في ثروة اللغة وهذا شأن اللغات الحيَّة التي تقبل كل دخيل على انها ان لم تقبلهُ اختياراً فستقبلهُ اضطراراً جرياً على الناموس الطبيعي العام

هذا والكتّاب الآن بين من تراهُ واقفاً لهم بالمرصاد يعنفهم على كل ما يعدهُ خارجاً عن قيود اللغة وبين الناموس الطبيعي الذي يوجب التغيير والتبديل والنمو والاندثار والزيادة والنقصان مع حفظ النوع جملة . وسيكون الفوز للاصلح على كل حال

تاريخ محمد علي باشا

تولّى محمد علي باشا والفوضى ضاربة اطنابها في البلاد والجهل مخيّم عليها وفيها من الامراء والعظماء والجنود الوف لاهمّ لهم الاّ اشباع بطونهم باية واسطة كانت يستحلّون كل محرّم ولا يرعون لاحد حرمةً وان شذّ منهم احد واهتدى الى طرق المكارم وحاول الارعواء عن المحارم سفّه قومهُ رأيهُ واقصوهُ وامتهنوهُ . ولشدّة ما عانى الناس من الجور والهوان الفوهما وصار همّهم الاكبر ان يكيلوا للذين دونهم كما يكيل لهم الذين فوقهم لا يُستثنى من ذلك احد ممّن لهم ذكر حتى العلماء وحملة الشريعة الاّ واحداً او اثنين

ولم يكن محمد علي من طينة غير طينة ابناء نوعهِ ولكنهُ كان اعلى منهم همّةً واوسع حيلةً مذهبهُ قول ابي تمام السيف اصدق انباء من الكتب وسياستهُ في البلاد سياسة الاميركيين في الارض التي يريدون احياءها يقطعون اشجارها ثم يقلبونها ويحرثونها قبل زرعها واستثمارها . خدمهُ السعد بموت خصومهِ او بنفوذ حيلهِ فيهم وبامتداد اجلهِ فلين الدهر طباعهُ وعلّمهُ الاختبار كيف يصطنع الناس ويستفيد منهم ثم يصلح البلاد ويدخل اليها اسباب العمران ليكثر خيرها لهُ ولولدهِ

وليس من غرضنا ان نذكر حوادث ولايتهِ بالتفصيل لانها كانت كثيرة تضيق عن استيفائها المجلدات بل ان نشير الى بعض الامور الكلية التي يُستدلّ منها على احوال ولايتهِ بنوع عام وعلى مجمل ما فعلهُ في هذه البلاد من حين تولاها الى ان تولاهُ الفناء

وبديهي انهُ لم يرسم لولايتهِ خطة معلومةً جرى عليها بل سار منقاداً بمقتضى طبعهِ واحوال زمانهِ . ولا بدَّ من انهُ عرف سيرة نبوليون وكان يسمع عن افعالهِ وتدويخهِ ممالك اوربا فسوّلت لهُ نفسهُ ان يقتدي بهِ . وكان غرضهُ في اول الامر ارضاء الدولة العلية ولإرضائها سبيلان لا بدَّ منهما الاول تعمير خزينتها ولو سلب في هذا السبيل كل ما يملكهُ اهالي مصر من نقود وحلي وامتعة ولو باع اطيانهم ومواشيهم وباعهم هم عبيداً . وكانت لا تكتفي بل تطلب المزيد فاذا جاء من يدفع اليها ازيد من ذلك اعطتهُ الولاية . والثاني تأمين طريق الحج وارسال المرتبات الى الحرمين الشريفين حتى تبقى للدولة السيادة الدينية على رعاياها لانها هي الرابط الوحيد بينها وبينهم . فما دام الوالي يجمع الاموال الوافرة ويؤمن طريق الحج ويرسل النفقة الى الحرمين فهو قائم بكل ما يُطلب منهُ ولا يُسأل كيف جمع المال ولا كيف أمن الطريق . اما اقامة العدل ونشر لواء الأمن وتعضيد الزراعة وتأمين التجارة

والاعتناء بصحة الاهلين ونحو ذلك مما يهتمُّ بهِ ارباب الممالك الآن بل مما كان الفرنسويون يهتمون بهِ وهم في هذه الديار فلم يكن لها ذكر او اشارة حينئذٍ لا فعلاً ولا اسماً ولذلك اعجب الجبرتي بذكر محاكمة الرجل الذي قتل الجنرال كلابر فذكرها بالتفصيل ونوَّه بها واتخذها وسيلة للتوبيخ والتعزير كما تقدم

ورأى محمد علي ان بقاءهُ في الولاية لا يدوم ما لم يكن مورد اموال البلاد في يدهِ فاذا كان لهُ منازع او مزاحم فيهِ فلا هو يستطيع ان يجمع القدر الكافي ولا المزاحمون يمتنعون عن المزايدة واخذ الولاية منهُ . وكان المماليك اكبر مناظريهِ في ابتزاز الاموال فلا يتركون لهُ نصفها ولا اقل من نصفها وكاد واحد منهم وهو محمد بك الالفي يفوز عليهِ في مرضاة الدولة واخذ الولاية منهُ فانهُ لم يكد يمر عليهِ سنة فيها حتى عزلتهُ الدولة بسعي محمد بك هذا وارسلت اليها والياً اسمهُ موسى باشا وامرتهُ ان يقيم في القلعة فتكون الولاية لهُ بالاسم ويعود المماليك الى سالف عهدهم وتكون ولاية البلاد في يدهم فعلاً وذلك كلهُ لقاء الف وخمسمائة كيس تعهَّد الالفي بدفعها نقداً ثم اذا كانت الولاية في يدهِ ويد رفاقهِ توالت المزايدة بينهم عليها لا كما اذا كانت لوالٍ واحد . فرأى محمد علي انهُ لا يفوز على الالفي الَّا بان يزيد عليهِ فيدفع الى الدولة اكثر مما وعدها الالفي بهِ وهذا لا يستطيعهُ ما لم يوافقهُ كبراء البلاد عليهِ فتودَّد اليهم وتلطَّف وزار المشهد الحسيني في عيدهِ وتغدَّى عند السيد السادات واكثر من الركوب والطواف في شوارع المدينة وحسَّن للعلماء حتى كتبوا عريضةً الى السلطان افرغوا فيها جعبة فصاحتهم وبيانهم وظنوا ان البلاغة تفعل فعل الدينار وهي بنصها نقلاً عن الجبرتي

"بسم الله الرحمن الرحيم الرؤُف الحليم الحمد لله ذي الجلال على جميع الشؤُون والاحوال نرفع اليك اكفّاً من بحر جودك مغترفة ونتوجه الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ان تديم بهجة الزمان ورونق عنوان اليمن والامان بدوام وزير تخضع لمهابتهِ الرقاب وتدنو لهمة سطوتهِ المهمات الصعاب منتهى آمال المقاصد والوسائل ومحط رحال المطالب من كل سائل حضرة صدر الصدور ومدبر مهمات الامور الصدر الاعظم محمد علي باشا ادام الله دعائم العز بقيامهِ وفسح للانام في ايامهِ محفوفاً بعناية الرب الكريم محفوظاً بآيات القرآن العظيم آمين . اما بعد رفع القصد والرجاء ومد سواعد الخضوع والالتجاء فاننا ننهي لمسامعكم العلية وشيم اخلاقكم المرضية بانهُ قد قدم حضرة الدستور المكرم والمشير المفخم مدبر مهمات الاسكلات البحيرية وخادم الدولة العلية الوزير قبودان باشا الى ثغر سكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد اغا وصحبتهُ الامر الشريف الواجب القبول والتشريف المعنون بالاسم الهمايوني العالي

دامت مسراتهُ على ممر الدهور والاعوام والليالي . فاوضح مكنونهُ وافصح مضمونهُ بانهُ قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد علي باشا وبين الامراء المصريين فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات وتنظيم امر الحج على حكم سوابق العادات والحال انهُ ينبغي تقديم ذلك على سائر المطلوبات وان هذا التأخير سببهُ كثرة العساكر والعلوفات وترتب على ذلك لكامل الرعية بالاقاليم المصرية الدمار والاضمحلال وانهت الامراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية وانهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات واخراج امير الحج على حكم اسلوب المتقدمين مع الامتثال لكامل ما يرد من الاوامر الشريفة الى ولاة الامور بالديار المصرية وانهم يقومون في كل سنة بدفع الاموال الميرية الى خزينة الدولة العلية ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم وبلوغهم مأمولهم فاصدرتم لهم الامر الهمايوني الشريف المطاع المنيف بعزل الوزير المشار اليهِ لتقرير العداوة معهُ ووجهتم لهُ ولاية سلانيك ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى باشا وقبلتم توبتهم وان العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار ببلوغ المأمولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية حكم التماسهم من اعتاب حضرة الدولة العلية . فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط الكفيل قدرتهُ على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الافعال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التي منها خيانة المرحوم السيد علي باشا والي مصر سابقاً بعد واقعة مير ميران طاهر باشا وقتل الحجاج القادمين من البلاد الروسية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلومنا وبمشاهدتنا خصوصاً ما وقع في العام الماضي من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم عليها في وقت الفجرية بجلاهم عنها حضرة المشار اليهِ وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شيء لا ينكر فحينئذٍ لا يمكننا التكفل والتعهد لاننا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة في الامور التي لا قدرة لنا عليها لاننا لا نقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقتهِ وامناؤهُ على بريتهِ ونحن ممتثلون لولاة اموركم في جميع ما هو موافق للشريعة المحمدية على حكم الامر من رب البرية في قولهِ سبحانهُ وتعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسولهُ

فان حصل منهم خلاف ذلك فكل الامر فيهم الى مالك المالك لان اهل مصر قوم ضعاف وقال عليهِ الصلاة والسلام اهل مصر الجند الضعيف فما كادهم احد الأ كفاهم الله مؤنتهُ وقال ايضاً وكل راعٍ مسؤُول عن رعيتهِ يوم القيامة. ونفيد ايضاً حضرة المسامع العلية من خصوص الفرض والسلف التي حصل منها الثقلة للاهالي من حضرة محسوبكم الوزير محمد علي باشا فانهُ اضطرَّ اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالاً لاوامر الدولة العلية في دفعهم والخروج من حقهم واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد رغبة في حلول انظار الدولة العلية. فالامر مفوَّض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم نسأل الله الكريم المنان ان يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع رفعة تترشح بها في النفوس عظمتهُ وسطوة تسري بها في القلوب مهابتهُ وان يبقي دولتهُ على الانام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآلهِ وصحبهِ ذوي المناقب الوفية" انتهى

ولم يكتفِ محمد علي بذلك بل وعد كبراء العلماء بالتزام الاقاليم فيملأُوا جيوبهم من اموال اخوانهم المساكين وهذا هو الطلسم الذي كان يفتح بهِ الكنوز

وكان محمد بك الالفي قرماً عنيداً حسن النظر في العواقب لاتجوز عليهِ الحيل ولا يصطلي لهُ بنار ولو لم يعاجلهُ القدر لتغيَّر حال هذا القطر حتماً. قال الجبرتي ذهبت اليهِ (بعيد خروج الفرنسوية من مصر) فوجدتهُ جالساً على السجادة فجلست معهُ ساعة فدخل عليهِ بعض امرائهِ يستأذنهُ في زواج احدى زوجات مَن مات من اخوانهِ فنترفيهِ وشتمهُ وطردهُ وقال لي " انظر الى عقول هؤُلاء المغفلين يظنون انهم استقروا بمصر ليتزوجوا ويتأهلوا مع ان جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها اهون من الورطة التي نحن فيها الآن". ولما اطلق الوزير (يوسف باشا) لابرهيم بك الكبير التصرف والبسهُ خلعة وجعلهُ شيخ البلد كعادتهِ وان اوراق التصرفات في الاقطاعات والاطيان تكون بختمهِ وعلامتهِ اغترَّ هو وباقي الامراء بذلك وازدحم الديوان ببيت ابرهيم بك المرادي وعثمان بك حسن والبرديسي وتناقلوا الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبتهُ لهم واقامتهُ لناموسهم. فقال لهم محمد بك الالفي " لا تغتروا بذلك فانما هي حيل ومكايد فانظروا في امركم وتفطنوا لما عساهُ يحصل فان سوء الظن من الحزم. فقالوا لهُ وما الذي يكون فقال ان هؤُلاء العثمانيين لهم السنون العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ احكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وامراء مصر ليس لهم معهم الأ مجرَّد الطاعة الظاهرة وخصوصاً دولتنا الاخيرة وما كنا نفعلهُ من منع الخزينة وعدم الامتثال. وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة فلا يهون عليهم ان يتركوها لنا كما كانت

ويرجعوا الى بلادهم فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم"

فلما سمعوا منهُ ذلك صادق عليهِ بعضهم وقال آخرون هذا من وساوسك وقال غيرهم هذا لا يكون بعد ما قاتلنا معهم ثلاث سنوات واشهراً بانفسنا واموالنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غني لهم عنَّا. ثم قالوا لهُ وما رأيك الذي تراه قال الراي عندي ان نعدّي الى بر الجيزة وننصب خيامنا هناك ونجعل الانكليز واسطةً بيننا وبين الوزير والقبطان ونتم الشروط التي نرتاح نحن وهم اليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقي ولا ندخل مصر حتى يخرج العثمانيون منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يقلدونهُ الولاية والدفترداريَّة ونحو ذلك. فوافق على هذا الراي بعضهم ولم يوافق البعض الآخر وقالوا له "كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم اعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بنا شرًّا قمنا باجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك يتوسط الانكليز بيننا وبينهم فتكون لنا المندوحة والعذر". فقال "اما الاستنكاف من الالتجاء الى الانكليز فان القوم (اي العثمانيين) لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم ما قدروا على اخراج الفرنسوية من البلاد. وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي لما حضروا بدون الانكليز. على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب واما هذه فهي وساطة مصلحة لا غير. واما انتظار حصول المنابذة فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع والرأي لكم".

فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم

ولما رأى انهم لم يوافقوا على ما اشار بهِ انضمَّ الى رئيس الكتّاب لقربهِ من الوزير واوهمهُ انهُ يستطيع ان يجمع اموالاً وافرة من الصعيد ان قلدهُ الوزير امارتهُ فانهُ يجمع تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وليس لهم ورثة ويجمع ايضاً الغلال والاموال الاميرية. فلما بلغ الوزير ذلك اسرع الى اجابتهِ لوجهين الاول الطمع في تحصيل المال والثاني تفريق شمل المماليك ونجح بعد ذلك في قتل كثيرين من رؤسائهم غيلةً. ثم ذهب الالفي الى بلاد الانكليز وعاد منها بالهدايا والتحف الكثيرة كما تقدم. قال الجبرتي ان مدة غيابهِ سنة وشهور وعاد وقد تهذبت اخلاقهُ بما اطلع عليهِ من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجدٍ وصارت مسامرتهُ لاخوانهِ بعد ذلك في ذكر العدل الموجب لعمارة البلاد وكان يقول لسليمان بك في التمثيل ان الانسان الذي لهُ ماشية يقتات هو وعيالهُ من لبنها وسمنها وجبنها يلزمهُ ان يرفق بها في العلف حتى تدرَّ وتسمن وتنتج لهُ بخلاف ما اذا اجاعها واجحفها واتعبها واشقاها

واضعفها حتى اذا ذبحها لا يجد فيها لحماً ولا دهناً هذا الذي اعتدناه وربينا عليهِ فان اعطاني الله سيادة مصر والامارة في هذا القطر لامنعنَّ هذه الوقائع واجري فيهِ العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده ويستريح اهله ويكون احسن بلاد الله

وصادره محمد علي بعد عودتهِ من بلاد الانكليز واستعان عليهِ بالمماليك انفسهم كما تقدَّم في الجزء الماضي حتى كاد يفتك بهِ فراسل الباب العالي واستعان بالانكليز وكان الوزير حينئذٍ محمد باشا السلحدار واصله مملوك من مماليك السلطان مصطفى فسأل كم عدد من بقي من المماليك في مصر فقيل له انهم يزيدون على الفين فقال ارى تمليكهم على شروط نشترطها عليهم اولى من تمادي العداء بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر . فقرَّ الرأي على عزل محمد علي باشا من ولاية مصر وتولية موسى باشا على ان يدفع الالفي للخزينة الفاً وخمس مئة كيس معجلاً وجاء قبودان باشي الى الاسكندرية ومعهُ الوالي الجديد . وارسل محمد بك الالفي الى ابرهيم بك المرادي وعثمان بك البرديسي لكي يساعداه في دفع هذا المال ووعدهما بان تكون السيادة لهما

وبلغ محمد علي ذلك فراسل امراء المماليك وارسل اليهم الهدايا فوقعوا بين من يطلب منهم المال وبين من يدفعهُ اليهم فاختاروا العاجل على الآجل وخذلوا الالفي فظلَّ يمطل القبودان ويحارب رجال محمد علي منتظراً وصول الانكليز لمساعدتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة بالهواء الاصفر فقال قضي الامر وخلصت مصر لمحمد علي لا مَن ينازعه ولا مَن يغالبهُ وقضي على المماليك فلا تقوم لهم راية بعد اليوم ثم اوصى ان يدفن في وادي البهنسا واسلم الروح ليلة الاربعاء تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٢٢١ (٢٨ يناير سنة ١٨٠٧)

وكان القبودان قد رأى الانشقاق بين المماليك وانهم لا يستطيعون ان يقدموا له المال الذي طلبهُ فعاد الى محمد علي ووعده محمد علي باضعاف ما وعده بهِ الالفي معجلاً ومؤجلاً فارسل الى محمد علي يأمره بارسال عريضة يكتبها له كبراء مصر من المشايخ وغيرهم فكتب العريضة وارسلها مع ابنهِ ابرهيم بك وارسل معهُ هدية حافلةً خيولاً واقمشة هندية ومفاد العريضة على ما في الجبرتي " ان محمد علي باشا كافل الاقليم وحافظ ثغوره ومؤمن سبله وقامع المعتدين وان الخاصة والعامة راضون بولايتهِ واحكامهِ وعدلهِ والشريعة مقامة في ايامهِ ولا يرتضون سواه لما رأوا فيهِ من عدم الظلم ومن الرفق بالضعفاء واهل القرى والارياف . . . و يرجون من مراحم الدولة العلية ان تبقيهُ والياً عليهم لان جميع اهل البلاد صاروا في غاية من الراحة والامن براً وبحراً بحسن سياستهِ وعدلهِ وامتثالهِ للاحكام الشرعية ومحبتهِ للعلماء واهل الفضائل والاذعان لقولهم ونصحهم " الخ . قال الجبرتي ولما كتبوا ذلك لم يطَّلع عليهِ الاَّ

بعض الافراد المتصدرين ولم يمكّنوا غيرهم من قراءته بل كانوا يطلبون اختامهم فيختمونهُ بها واذا ابى احد ان يسلّم ختمهُ كتبوا اسمهُ وختموا تحتهُ بختم مشابه لاسمهِ . قال وهذا هو السبب في عدم نقلي صورتها تماماً

" ثم شرع في تقرير فريضة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الاروام والاقباط والشوام وسائر الناس ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف كيس لكي يهديها الى القبودان وقال انها سلفة لمدة ستة ايام ثم ترد الى اربابها فاتاه مرسوم من القبودان ببقائهِ والياً على مصر لان الخاصة والعامة راضية باحكامهِ وعدلهِ بشهادة العلماء واشراف الناس ولكن لايكون لهُ تعلق بثغر رشيد ولا دمياط والاسكندرية فان ايرادها من الجمارك يضبط للترسخانة السلطانية في اسلامبول . ويجب عليهِ ان يرضي الامراء المصريين (المماليك) ويمتنع عن محاربتهم ويعطيهم جهات يتعيشون بها " . وسيتلى عليك كيف ارضى المماليك وكيف ساس البلاد

وفي اوائل سنة ١٨٠٧ وصلت بعض السفن الحربية الانكليزية الى الاسكندرية لكي تمنع رجوع الفرنسويين اليها وتعين المماليك على استرجاع الولاية ولكنها وصلت بعد موت الالفي باربعين يوماً ولم يكن فيها سوى خمسة آلاف جندي بقيادة الجنرال فريزر فدخلوا الاسكندرية ونظموا امورها احسن تنظيم على ما قال الجبرتي وذهبت فرقة منهم الى رشيد بقيادة الجنرال وكوب فدخلت المدينة وهي تظنها مستسلمة لها وانتشرت في شوارعها الضيقة فصوّب عليها الاهالي رصاص البنادق من كوى بيوتهم وسطوحها وقتلوا منها ١٦٥ نفساً واخذوا ٢٦٢ اسيراً ارسلوهم الى القاهرة وكان الجنرال وكوب بين القتلى فاضطر الذين بقوا من الحملة ان يفتدوا الاسرى بالخروج من الاسكندرية . وابدى محمد علي باشا في هذه النوبة من الحزم وحسن النظر في العواقب ما اشتهر بهِ بعدئذٍ . ثم لما عقد الصلح بينهُ وبينهم قدَّم لهم الهدايا من الخيول والاقمشة الهندية وخلع عليهم خلعاً وشيلاناً كشميرية وركب معهم الى الاسكندرية واستلم المدينة منهم ولم تكن من خطتهِ كما تقدم فصارت منها

وحاول الانكليز وهم في الاسكندرية ان يستعينوا بالمماليك فلم يفلحوا وقال واحد من امراء المماليك وكان اكثرهم جنداً اني مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت الفرنسوية فلا اختم عملي بالالتجاء الى الكفار . وبذل محمد علي جهدهُ حينئذٍ في استرضاء المماليك قال الجبرتي انهُ ارسل اليهم المشايخ فقالوا لهم ان الانكليز تخاصموا مع سلطان المسلمين واغاروا على ممالكهِ وطرقوا ثغر الاسكندرية وقصدهم اخذ الاقليم المصري واذا تملكوا البلاد لا يبقون على احد من المسلمين

وحالهم ليس كحال الفرنسوية لان الفرنسوية لا يدينون بدين واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الاديان ولا يصح منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم . وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية . فاجابهم المماليك ان ما قلتموه وابديتموه نعلمهُ ولو تحققنا الامن والصدق من مرسلكم لحاربنا وقاتلنا بين يديهِ ولكنهُ لا يفي بعهد ولا بوعد وطالما غدر بنا وما مرادهُ بمصالحتنا الآن الاَّ تأخيرنا عن الذهاب الى الانكليز . وبعد جدال طويل ذكرهُ الجبرتي مفصلاً قال ان المماليك انخدعوا وعقدوا الصلح مع محمد علي . وكان مشايخ مصر وعلماؤُها ينعتون الانكليز بالكفار ويحضُّون الاهالي على محاربتهم وهم يرون بعيونهم ما تفعلهُ جنود واليهم بين ظهرانيهم قال الجبرتي انهُ لم يكد الانكليز يخرجون من رشيد حتى نزل الاتراك على الجماد وما جاورها واستباحوا اهلها ونساءها واموالها ومواشيها زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها . . . ثم احاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منهم الاموال والكلف الشاقة واخذوا ما وجدوا بها من الارزاق وقال . بُعَيد ذلك " انهم افحشوا في التعدي على الناس في الاسكندرية بعد خروج الانكليز منها وغصب البيوت من اصحابها واخذ امتعتها بدعوى انهم انفقوا ما كان معهم في الجهاد ودفع الكفار "

اما المماليك فالظاهر مما كتبهُ الجبرتي مع تشيعهِ لهم ومما كتبهُ غيرهُ من كتاب العصر ان ارضاءهم لم يكن ميسوراً وتأمين البلاد شرهم . ولكن ألم يكن في الامكان ارهابهم واخضاعهم ونفي بعضهم واستخدام البعض الآخر في بعض المصالح التي كانوا قادرين على القيام بها . هذه مسألة يعسر بت الحكم فيها الآن لان لها وجهين وكيفما كانت الحال لم يكن اغتيالهم على الاسلوب الذي اغتيلوا بهِ من الضروريات لاسيما وان سوء الادارة بقي متسلطاً على البلاد سنين كثيرة بعد اغتيالهم كما لو كانوا فيها . ولم تسكن القلاقل الاَّ رويداً رويداً بعد ان ذهبت بالوف من النفوس كأَن وباء دخل البلاد وعاث فيها ثم انقرض منها بعد ان فتك بكل المعرَّضين لهُ من اهاليها ولم يسرع زوالهُ بإحراق بعض القرى والكفور

نكبة المماليك

اما نكبتهم فكانت على هذه الصورة . لما كان شهر صفر من شهور سنة ١٢٢٦ قلَّد محمد علي باشا ابنهُ طوسون باشا قيادة الركب الموجَّه الى الحجاز لقتال الوهابية وقال انهُ عازم على ارسال جنود الى الشام بقيادة شاهين بك الالفي لمساعدة يوسف باشا والي دمشق على استرداد الولاية من الجزار وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتاً صالحاً لالباس ابنهِ خلعة السفر

فاختاروا لهُ الساعة الرابعة من يوم الجمعة (٦ صفر) فلما كان يوم الخميس ارسل المنادي ينادي في الاسواق ويدعو كبار العسكر والامراء المصرية الالفية وغيرهم ليحضروا الى القلعة ويركبوا امام الموكب وهم بافخر حللهم فلما اصبح يوم الجمعة ركب الجميع وصعدوا الى القلعة وصعد المماليك كلهم باتباعهم وجنودهم ودخل امراؤهم على محمد علي باشا وحيوهُ وجلسوا معهُ حصة وشربوا القهوة فباسطهم في الكلام ثم سار الموكب على الوضع الذي رتبوهُ وكان الباشا قد اسرَّ الى بعض خواصهِ ما يريدهُ من الغدر بهم وقتلهم كلهم حتى اذا صار المماليك في المضيق المنحدر بين الباب الاعلى والباب الاسفل (باب العزب) أُغلق باب العزب في وجههم وكانت الجنود قد وقفت على جانبي الطريق على نقر الحجر والحيطان فصوبت عليهم رصاص البنادق فدهشوا واستلوا سيوفهم ولكن لم يمكنهم التقدم ولا التأخر ولا نفعتهم خيولهم وفراستهم فتيلاً فسلموا للقضاء وبقي الرصاص ينصبُّ عليهم الى ان قتل كثيرون منهم وتمكن الباقون من الرجوع والوصول الى الساحة الوسطى فادركهم الحمام هناك فقتلوا كلهم وكل من تزيا بزيهم ولو لم يكن منهم. وفتشوا عمن تخلف منهم في القلعة ولم يخرج مع الموكب فاحتزوا رأسهُ وظلَّ القتل مستمرًا فيهم من الضحى الى ان مضت حصةٌ من الليل ومثلوا بكبارهم تمثيلاً شنيعاً . وانتشر الجنود في المدينة كالجراد يفتشون عنهم ويقتلونهم وينهبون البيوت ويهتكون الحرائر ويسلبون ما على النساء من الحلى حتى انهم ليقطعون زند المرأة اذا عسر عليهم نزع السوار منهُ . واصبح يوم السبت والنهب والقبض والقتل مستمرة وركب الباشا في الضحى وحولهُ امراؤهُ الكبار مشاة وامامهُ الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواهُ والفرح والسرور بقتل المماليك طافح على وجوههم فكان كلما مرَّ على ارباب الدرك ووقف ونجهم على النهب . وخرج اليهِ شخص من تجار المغاربة وصرخ في وجههِ وهو يقول " ايش هذا الحال وايش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن اناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا اجناد " . فوقف اليهِ وارسل معهُ نفرًا الى دارهِ فوجدوا فيها شخصين احدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من الناهبين فامر بقتلهما فاخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رأسيهما . ونزل ابنهُ طوسون واجتاز في المدينة وقتل واحدًا من الناهبين فانكفَّ العسكر عن النهب ولكن استمرَّ القبض على المماليك وكل من تزيا بزيهم فقتلوا كلَّ من وجدوهُ منهم ولو شيخًا هرمًا وارسلوا الى كشاف النواحي والاقاليم ليقتلوا كل من وجدوهُ فيها فجعلت رؤوس القتلى ترد الى القاهرة من اليوم التالي وكانت توضع عند باب زويلة وباب القلعة . وقدَّر الجبرتي عدد من قتل من المماليك واجنادهم باكثر من الف نفس ولم ينجُ من الالفية الاَّ احمد

بك زوج عديلة هانم بنت ابرهيم بك الكبير فانهُ كان غائباً في ناحية بوش وامين بك فانهُ تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام . وبقي من المماليك نفر عاودهم التنكيل وذهبت بقيتهم الاخيرة الى بلاد السودان فاستوطنتها وعاد البعض منها الى مصر في حالة يرثى لها من الفقر والذل . وانقرضت دولة عظيمة ابقت في القاهرة من آثار مجدها مالم تبقهِ دولة اخرى

قال الدكتور مندريشي وكان طبيباً لمحمد علي انهُ دخل عليهِ حينئذٍ وهو في القلعة بعيد المذبحة وهنأهُ بفوزهِ على المماليك فلم يجبهُ بل التفت يمنةً ويسرةً لئلا يقوم احد من تلك الجثث المطروحة امامهُ وينتقم منهُ ثم طلب كأس ماء يبرد بهِ ظمأهُ لانهُ كان في اشد الاضطراب والقلق لئلا يفسد عليهِ عملهُ فتكون فيهِ آخرتهُ

ولما انقضى امر المماليك وجه محمد علي عنايتهُ الى اصلاح القطر المصري وقمع ثورة الحجاز وفتح بلاد السودان والاقتصاص من عبد الله باشا والي عكاء . وسنبسط الكلام على ما يتعلق بموضوعنا من ذلك في الجزء التالي

الة الطيران

جاء في السينتفك اميركان ان الدكتور مونتغومري من اساتذة كلية "سانتا كلارا" شرع منذ نحو عشرين سنة في الدرس والتنقيب حتى اكتشف اموراً جديدة عن الانتقال في الهواء تختلف عما هو معروف عند العلماء فصنع بمساعدة استاذ الطبيعيات في الكلية المذكورة آلة تربط بالبلون اذا ركبها الانسان وطار البلون بهِ ثم فصلت عنهُ هبطت براكبها الى الارض رويداً رويداً واستطاع ان يديرها كيف شاء وينزل بها حيث شاء على مقربة من المكان الذي هي فوقهُ

وفي اواخر ابريل الماضي اراد تجربتها للمرة الخامسة في مشهد عمومي وكان قد جربها اربع مرات قبلاً ولم يسمح بمشاهدتها الاَّ لنفر قليل . وكان النسيم عليلاً والشمس مشرقة فملئ البلون غازاً وركب الرجل الذي نيطت بهِ تجربة الآلة مثل السرج منها ورجلاهُ متدليتان كما تتدلى رجلا راكب الدابة ثم اطلق البلون فسار يشق العنان صعداً وما زال يرتفع حتى غاب عن الابصار وبات الناس لا يرون منهُ غير نقطة سوداء في قبة السماء . ولما صار على علو اربعة آلاف قدم قطع الراكب الحبل الذي يصل البلون بالآلة فهبطت الآلة فجأة نحو مئة قدم ثم استعادت موازنتها واخذت تهبط رويداً رويداً وكانت حركتها اشبه بحركة ورقة ترمى الى اسفل والهواء ساكن هادئ

اما الراكب فليبيِّن ان الآلة طوع بنانهِ يديرها كيف شاء جعل يدور بها في شكل دائرة ثم يرتفع وينخفض ويتقدم ويتأخر ويأتي حركات اخرى اقنعت جمهور المشاهدين انهُ يستطيع ادارة الآلة كما تدار السفينة بالدفة او اسهل . وما زال كذلك حتى نزل في مكان يبعد ثلاثة ارباع الميل عن مكان الصعود وهو المكان الذي عيَّنهُ الاستاذ مونتغومري لينزل فيهِ وكانت المدة التي مرت بين صعودهِ ونزولهِ عشرين دقيقة ووصل الى الارض سليماً صحيحاً لم يمسهُ اقل اذى

اما الآلة فمؤلفة من نسيج رقيق منشور على قدد دقيقة من خشب مرن على هيئة جناحين طولها ٢٤ قدماً ومساحتهما ١٨٥ قدماً مربعة. ويتصل بهما من خلف شبه دفة يرتفع الراكب بها او ينخفض وثقل الآلة كلها ٤٢ رطلاً مصريًّا والراكب ١٥٦ رطلاً

وقد دلَّت هذه التجربة على ان قضية الطيران خطت خطوة جديدة في سبيل الحلّ اي انهُ امكن اختراع آلة تعوم في الهواء وتهبط الى الارض رويداً ويديرها الراكب على هواهُ وهي تهبط بهِ . ولكن لا يزال هناك عقبتان كؤودتان لا بدَّ من تمهيدهما قبلما يصير الطيران ممكناً الاولى الاستمرار على الطيران مدة طويلة والثانية ارتفاع الآلة عن الارض من نفسها بلا مساعدة البلون . اما العقبة الثانية وهي صعود الآلة في الهواء من غير بالون فيدعي رجل برازيلي اسمهُ القارس انهُ يكاد يذللها فانهُ صنع طيارة لها جناحان كجناحي الطائر وهي خفيفة جدًّا ومتينة جدًّا حتى يضع فيها اقوى ما يكون من القوة ويبقى ثقلها على اخفهِ ومساحة جناحيها لا تزيد على ٤٠٠ قدم مربعة وفيها آلة بخارية تدير مروحتين قطر كلٍّ منهما خمس اقدام ٢٤٠ دورة في الدقيقة وقوة الآلة البخارية مثل قوة حصانين وهي تدور ١٦٠٠ دورة في الدقيقة وقوة حركتها كافية لحمل ١٥٠ رطلاً مصريًّا لا غير . وقدجربت بالامس فوضعت فيها اجسام ثقلها ١٥٠ رطلاً وربطت ببالون عادي وطار البالون بها الى ان صار ٣٠٠٠ قدم فوق سطح الارض حينئذٍ اديرت آلة الطيارة وقطع اتصالها بالبالون وبقي الذين في البالون يرقبون حركاتها وهي نازلة وكذلك الجمع المجتمع تحتها على الارض فهبطت اولاً بغتةً في خط عمودي ثم سارت في خط افقي مائل مسافة ميل الى ان وصلت الى الارض. وفي عزم مستنبطها ان يصنع طيارة اكبر منها كثيراً ويضع فيها آلة قوية تكفي لرفعها عن الارض وهي حاملة رجلاً او اثنين. فاذا تمكن من ذلك انحلَّت مسألة الطيران من حيث الصعود والنزول وتبقى مسألة البقاء في الهواء مدة طويلة ومسألة مقاومة العواصف والمسألتان بعيدتا الحل جدًّا او تكشف قوة اخرى غير معروفة

فلسفة التعب

يظن الناس عموماً ان قلَّة الطعام وكثرة العمل هما اعظم الاسباب المؤدية الى التعب على حين انهم يشاهدون باعينهم كثيرين من الذين يتولاهم التعب حالاً وينهك قواهم وهم يأكلون ويشربون كثيراً ويعملون قليلاً سواءٌ كان عملهم عقلياً او بدنياً . اذًا لا بدَّ للتعب من اسباب أُخرى

اذا أُطلق المجرى الكهربائي على ساق ضفدع ففعلت الكهربائية بها فعل الحركة الاختيارية تحركت الساق ذهاباً واياباً مدة ثم اخذت حركتها تقلُّ حتى تنقطع اخيراً . وقد يظنُّ ان قوة الساق نفدت بسبب قلة الغذاء ولكن اغسل عضلاتها بمذوّب خفيف من الملح العادي فتتجدد قواها وتعود الى الحركة كالاوَّل . وهذا يدلُّ على ان سبب فقد الحركة ليس قلة الغذاء ويعلم بوسائل اخرى ان سببهُ تجمُّع مادة سامَّة شديد الحموضة في العضلات . وعليهِ فالتعب انما هو تجمُّع بعض السموم في الجسم

واذا حقنت ساق الضفدع بخلاصة لحم البقر او بدم حيوان متعب ظهرت عليها آثار التعب كما لو كانت قد تحركت مراراً كثيراً فكلَّت من العمل الشاق . وعليهِ فلا يستبعد ان ينشأ التعب احياناً عن تناول مواد شديدة الحموضة جامدة كانت او سائلة

كتب احد الاطباء في هذا المعنى يقول " أُصبت بالاعتقال لسبب اجهلهُ ثم شفيت منهُ ومضت ثماني سنوات لم يعاودني في خلالها سوى مرتين او ثلاث وكان ذلك عند اكلي شيئاً من خلاصة اللحم فاستدللت على ان خلاصة اللحم سمٌّ لي ولكنها قد لا تكون سمَّاً لغيري . وهناك اسباب اخرى منها تناولي من الطعام اكثر مما يستطيع جسمي تمثيلهُ او افرازهُ بسهولة ولكن هذا السبب كان ثانوياً في امري . وقد وجدت ان الافراط في الاكل اقلُّ ضرراً من أكل مواد لا يصلح اكلها ولو كانت كمياتها قليلة

ومنها خلوُّ العمل الذي نعملهُ من اللذة . فقد كنت معلماً في احدى المدارس وكان معظم عملي جارياً على خطَّة واحدة لا مجال فيهِ للابتكار فكان يتعبني خلوّهُ من لذة التنوُّع والتفنن ويدهشني والحق يقال ما اراهُ من ان اعمال معظم الناس واحدة كلَّ يوم فما يعملهُ الواحد منهم اليوم يعملهُ غداً وهكذا الى آخر العمر فلا بدع اذا لم يجدوا فيها لذة بل وجدوها متعبة منهكة

وزد على ذلك كلهِ اني كنت أُسرف في قوتي البدنية عند مباشرتي لعملي المشار اليهِ بفرك يديَّ الواحدة بالاخرى وتقطيب جبيني وكثرة الاهتمام والحركة بلا بركة . وقد

وجدت الآن ان التفكر اسهل عليَّ وانا مستلقٍ لا أكاد احرك عضلاتي ولعلَّ السبب في ذلك ان هذه الحالة ادعى الى جمع القوى وعدم تشتيتها

ومن اسباب التعب ما هو ضدُّ السبب المتقدم فان التنوع في العمل قد يتعب اذا تكرَّر مثل عدمهِ ثم ان العادة والتكرار المنتظم قد يجعلان العمل الذي لا تنوُّع فيهِ غير متعب للذهن كحركة السابح وحركة الجندي السائر على نغمات الموسيقى

وللعادة تأثير عظيم في اعمال الناس واشغالهم وما يلحق بها من التعب فهي اما ان تجعل الانسان يتعب كثيرًا من عملهِ لاسيما اذا كان ميَّالاً الى التفنن والتغيير واما ان تجعل العمل الصعب في وقت سهلاً في وقت آخر . فقد كنت اتناول مع طعام الصباح كثيرًا من المواد الجامدة فاجد من نفسي نشاطاً ورغبة في الشغل بعد الطعام . ثم غيرت عادتي فاقتصرت على تناول بعض المواد السائلة فصرت اتعب حالاً من العمل البدني او العقليّ . ولو سُئل احد في ذلك لقال طبعاً ان السبب قلة الطعام وليس الامر كذلك لانني لا اشعر الآن بتعب من العمل بعد الطعام السائل او ما اشعر بهِ من التعب اقلُّ مما كنت اشعر بهِ بعد تناولي الطعام الجامد صباحاً

ولقد كثرت اعمال الناس واشغالهم في هذه الايام فزادت على اثرها اتعابهم فيحسن بنا ان نبحث في اسباب التعب الحقيقية اذا كنا نروم النجاة منها ومن غوائلها . ولست اريد بالتعب التعب المرغوب فيهِ الذي يعقبهُ النوم المهنأ في اوانهِ بل التعب الذي يدركنا قبل الاوان ولم يكمل عملنا بعد ولا يكفي في بيان سبب هذا التعب ان نقول ان فلانًا عمل كثيرًا او اكل قليلاً فتعب بل يجب ان نبحث ايضاً في ما اذا كان عملهُ ملائمًا لهُ اوكان قد اتمَّهُ على الطريقة الملائمة وفي ما اذا كان الطعام الذي اكلهُ صالحاً وقد اكلهُ على الطريقة الواجبة

اما انا فقد وجدت بالاختبار اني اكون اقل تعباً بعد شغل شاق لذيذ دام اثنتي عشرة ساعة مني بعد شغل ساعة لم يكن الشغل فيها لذيذًا وبعد طعام غير ملائم . واني اعرف رجلين ينشئان مجلة فيعكفان على كتابتها وتحريرها ولا يهتمان بطعام ولا رياضة لما يجدان في ذلك الشغل من اللذة العقلية ومع ذلك ترى آثار العافية والنشاط بادية عليهما . واعرف آخرين يجدون لذة في العمل ولا يتعبون منهُ مهما كان شاقًّا على شرط ان يراعوا الاعتدال في طعامهم ورياضتهم

ومغزى ما تقدم اما ان يعنى الانسان بانتقاء عملهِ وشغلهِ او بانتقاء طعامهِ وطريقة معيشتهِ . فان الذين يستطيعون عمل كل شيء ويعيشون اية عيشة كانت من غير ان يشعروا

بتعب يذكر قلال جداً . ولا يمكن تعريف العمل الممل وسن قانون له ولا سن قوانين وقواعد شاملة للطعام الملائم وغير الملائم . فما يعده الواحد من الاعمال لهواً وتسلية يؤثر في الآخر تأثير السم الناقع . وما يلائم من الطعام مزاج زيد قد لا يلائم مزاج عمرو



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

القمر لم ينفصل عن الارض

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

وصلنا مقتطف هذا الشهر وفيهِ بين الاخبار ان الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي قال ان القمر انفصل عن الارض حيث الاوقيانوس الباسيفيكي الخ . فرأيت ان الطبيعة لا تصادق على هذا القول وشككت في صدق الذي اخذتم عنهُ الخبر بنسبة ذلك الى استاذ فلكي وها انا متطفل باعتراضي رغبةً في اشهار الحقيقة وقد اكون مخطئاً فانوقع اصلاح خطائي:

من الاسباب التي تنفي كون القمر منفصلاً عن الارض بعد انجماعها وصيرورتها كتلة سائلة

١ . اختلاف القمر والارض في الثقل النوعي فان ثقل القمر النوعي ثلثا ثقل الارض النوعي فلو كان انفصل عنها كان اقتضى ان يكون ثقلهما النوعي واحداً لان كليهما من كتلة واحدة متماثلة

٢ . عوامل المد والجزر اثنان الشمس والقمر لكن القمر اشد فعلاً بسبب قربهِ فان كان العامل الاضعف وحدهُ وهو الشمس قدران يفصل جزءا من الارض فبالاحرى بعد انفصال القمر واتحاد فعلهِ بفعل الشمس كان يقتضي ان المد يمزق الارض شذر مذر

٣ . لو كان المد مع قوة التباعد عن المركز كافياً لفصل قمر عن الارض فلماذا لم ينفصل في ذات الوقت قمر ثانٍ من الجانب المقابل لمنفصل الاول ويكون حول الارض قمران متقابلان

لان المد يكون ابداً على جانبين متقابلين من الارض بدرجة واحدة من القوة

٤ . ان قلنا ان القمر انفصل عن الارض بقوة التباعد عن المركز مع قوة المد فبالضرورة يجب ان نحكم بان الانفصال حدث على خط الاستواء حيث قوة التباعد على اشدها ولكن هذا ينفيهِ ميل فلك القمر على دائرة خط الاستواء

٥ . لا ينفصل جزء من الارض الاَّ اذا زادت قوة التباعد عن المركز على قوة الثقل ولا يتوازن الثقل وقوة التباعد عن المركز عند خط الاستواء الاَّ اذا كانت سرعة دوران الارض على محورها ١٧ ضعف سرعتها الحالية وذلك يزيد عن ١٧ الف ميل في الساعة فلو انفصل القمر عنها وهي تدور بهذه السرعة كان يجب ان يدور الآن بهذه السرعة حولها لانهُ جزء من مادة محيطها الاستوائي ثم ان الارض تدور الآن بسرعة نحو الف وثلاثين ميلاً في الساعة عند خطها الاستوائي فاين ذهبت تلك السرعة

٦ . المد يدور على سطح الارض من الشرق الى الغرب والقمر بالعكس يدور من الغرب الى الشرق فلو كان انفصل من موقع المد فحالاً يصل الى موقع الجزر قبل ابتعادهِ عن الارض فينجزر و يعود اليها قهراً

٧ . لو كانت قوة التباعد عن المركز مع المد كافية لتجزئة الارض بعد انجماعها كانت بالاحرى منعت انجماعها وهي شتات

الدكتور ابرهيم الصليبي

السلط

[المقتطف] اننا لا نثبت خبراً مثل هذا الاَّ ونحن نعلم صحة نسبتهِ وهذه ليست اول مرة كتبنا فيها عن انفصال القمر عن الارض ولا الاستاذ بكرنج اول من قال ذلك ولكنهُ خالف الاستاذ جورج داروِن في المكان الذي ظن ان القمر انفصل منهُ . واكثر ما قيل عن القمر هنا مشروح في مقالة الاستاذ جورج داروِن ابن داروِن الشهير وقد نشرت خلاصتها في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف وها كم ايضاح وجوه الصواب في ما اعترضتم عليهِ والخطإِ في ما حسبتموهُ منافياً لانفصال القمر عن الارض

الاول ان ثقل القمر النوعي نحو ثلاثة بالنسبة الى الماء او نحو ستة اعشار ثقل الارض النوعي ولكن ثقل ظاهر الارض اقل من نصف متوسط ثقل الارض كلها فثقل باطن الارض النوعي اكثر من ضعفي ثقل ظاهرها النوعي و يدل ذلك على ان باطن الارض اكثرهُ معادن ثقيلة او مواد مضغوطة جداً لشدة الضغط عليها وهذا يؤيد انفصال القمر عن الارض ولا ينقضهُ لان ثقل القمر النوعي مثل ثقل الجانب الاكبر من سطح الارض الى عمق الف ميل او الفي ميل

الثاني ان الذي فصل القمر عن الارض ليس قوة المد وحدها بل ساعدتها قوة التباعد عن المركز ولا يبعد ان هاتين القوتين بقيتا تفعلان الوفاً من السنين حتى تمكنتا من فصل القمر عن الارض . ويظهر بالحساب ان هذا الانفصال يمكن ان يتم حالما تصير الارض تتم دورتها اليومية في اقل من ساعتين وعشرين دقيقة ولو بلحظة واحدة . ولم تعودا تتمكنان بعد ذلك من فصل قمر آخر ولو اضيفت اليها قوة القمر لان ميوعة الارض قلت بعد ذلك باشعاع الحرارة منها بمرور الزمن وقلَّ محيطها بتقلصها فضعف فعل التباعد عن المركز وربما قلت سرعتها ايضاً . والقمر يساعد الشمس مرةً ويقاومها مرةً كما لا يخفى فيتلف اليوم ما فعلهُ امس اي لو اجتمعت قوتهُ وقوة الشمس اليوم فرفعتا جانباً من قارة اسيا ففي الغد يخالف فعلهُ فعلها فترفع هي جانباً من قارة اسيا ويرفع هو جانباً من قارة افريقية فيضعف كلٌّ منهما فعل الآخر

الثالث ان المد يحدث الآن في الجهة الاخرى من الارض كما يحدث في الجهة المقابلة للقمر لانهُ في الماء فان الارض الجامدة التي تحت الماء الأبعد تنجذب الى جهة القمر اكثر مما ينجذب الماء الذي عليها فكأنها تسبق الماء ساقطةً الى نحو القمر فيرتفع الماء في ذلك الجانب ايضاً (راجعوا كتاب الفلك للدكتور فان ديك صفحة ١٥٦) ولم يكن الحال كذلك حينما انفصل القمر عن الارض بل كانت الارض مائعة كلها

الرابع ان ميل فلك القمر على خط الاستواء قليل جدًّا نحو خمس درجات وهذا يمكن تعليلهُ بانحراف فلك الارض وبالفواعل الكثيرة التي تفعل بالارض من الخارج كجذب السيارات لها

الخامس ان السرعة اللازمة الآن لم تكن لازمة حينئذٍ بل كان يكفي ان تبلغ السرعة نحو عشرة اضعاف ما هي الآن وقد كان يوم القمر مثل يوم الارض وسيعود يومهُ مثل يوم الارض اخيرًا

السادس ان الجسم الذي يفصل عن الارض بقوة التباعد عن المركز وبقوة الجذب الخارجي لا يبقى مماسًّا للارض بل يبعد عنها اولاً في خط بين المماس والعمودي فلا يصل الى مكان الجزر

السابع ان قوتي الجذب والتباعد عن المركز تكفيان لذلك متى بلغت الارض حدًّا معلوماً من الميوعة والتقلص والسرعة في دورانها على محورها ولا يبعد ان تكون قد انفصلت منها اجزاء اخرى قبل القمر فابعدت عنها جدًّا وجذبتها اجرام اخرى او تمزقت وعادت الى مادة الكون او يكون القمر انفصل عن الارض اجزاء كثيرة انضمت معاً فصار منها القمر

ولا يخفى عليكم ان الذين قالوا بانفصال القمر عن الارض واخبروا عن ماضيهِ وانبأُوا بمستقبلهِ مثل الاستاذ جورج داروِن والاستاذ بكرنج من اكبر علماء الفلك الرياضي ويستحيل ان يقولوا قولاً الاَّ بعد ان ينفوا كل الاعتراضات التي تعترض دون صحتهِ . ونسبة معارفهم في علم الفلك الرياضي الى معارفنا كنسبة غنى روشيلد الى غنى رجل لا يملك مئة دينار. وليس في العلوم كلها ما يقتضي بحثاً ودقةً وحسابات عويصة مثل علم الفلك حتى ان نتيجةً تذكر في نصف سطر وتكتب بعشرة ارقام قد يشتغل في الوصول اليها عشرة حسَّاب مدة شهر من الزمان فليس من العدل ان يجلس الانسان في كرسيهِ ويعترض على ابحاث ونتائج اذاب العلماء ادمغتهم في الوصول اليها . ثم ان اكثر ما يقال عن القمر لم يثبت كلهُ بالبرهان الرياضي حتى الآن ولا ادَّعى العلماء انهُ مثبت ثبوتاً ينفي كل ريب ولكن لا يقوم اعتراض عليهم الاَّ ممن يعرف كل ما يعرفونهُ

طلب الدليل

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

قال حضرة رفيق بك العظم في مقدمة كتابهِ "اشهر مشاهير الاسلام" بعد ما قال ما قال عن هينبال ومع هذا فاين هو من موسى بن نصير ومولاهُ طارق اللذين جاءا من اقصى العربية الى المغرب فدوَّخا ممالك هينبال القديمة في افريقيا الشمالية الى اخر ما هنالك .... بل اين هو من عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي اقتحم ما وراء البرين .... ثم تطرق الى نبوليون فقال اين نبوليون الذي طبقت شهرتهُ التاريخية الآفاق .... من قتيبة بن مسلم فاتح السند وتركستان . وعبد الملك بن مروان الذي تولَّى منصب الخلافة

وقد تتبعت هذا الكلام الى آخرهِ فلم اجد فيهِ حجة تقنعني على صدقهِ ولا ازال في ريب من هذا القبيل فالتمس منكما ان تقابلا بين هؤُلاء الرجال وتظهرا من ادلة التاريخ التي بين ايدينا من هو اعظم حقيقة ولكما الفضل والشكر سلفاً

بيروت خليل يعقوب الخوري

[المقتطف] لا اصعب من المقابلة بين الناس والموازنة بينهم لا سيما وانهُ يلزم مَن يقابل بينهم ان يصف الاحوال التي نشأُوا فيها وصفاً دقيقاً خالياً من الغرض ويردها الى شكل واحد . وان كان حضرة المؤَلف يجد الى اجابتكم سبيلاً فقد نشرنا سؤَالكم ليطَّلع عليهِ والاَّ فلا شبهة في ان ما فعلهُ قوَّاد العرب من اعجب ما فعلهُ اعاظم القواد في كل زمان

باب الزراعة

موسم القطن هذا العام

اوضحنا في ما كتبناهُ عن نجاح القطر المصري ان نجاحهُ لا يستمرّ اذا هبط ثمن القطن حتى عاد ثمن القنطار جنيهين او جنيهين ونصف جنيه لان ليس في القطر الآن مورد آخر لكسب المال من الخارج بدل ما يدفعهُ ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ وديون حكومتهِ الّا ثمن القطن فاذا نقص عن ثمن البضائع الواردة وفوائد الديون وقع القطر في الافلاس

وتدلُّ الدلائل الحاضرة على ان الموسم الواصل سينقذ القطر من الخسارة التي وقع فيها بسبب عجز الموسم الماضي وهبوط ثمنهِ . فان زمام الزراعة واسع ونمو القطن جيد حتى اذا سلم من الآفات الجوية فلا يبعد ان يبلغ ثمانية ملايين قنطار واذا اعترتهُ الآفات العادية بلغ سبعة ملايين او سبعة ونصفاً

ثم ان السعر آخذ في الارتفاع فقد بلغ سعر نوفمبر في الكنترنات عند كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً واذا بقي على هذا الحد ولم يزد عنهُ بيع القنطار بثلثمئة وستين غرشاً الى ٣٨٠ غرشاً

اما الموسم الاميركاني (وعليهِ يتوقف سعر القطن بنوع عام) فحالتهُ تدعو الى ارتفاع السعر من وجهين الاول ان مساحة الارض المزروعة هذا العام تبلغ نحو ٢٨ مليون فدان وقد كانت في العام الماضي ٣٠ مليون فدان فالنقص في مساحة الارض نحو ستة في المئة وهو وحدهُ كافٍ لجعل موسم هذا العام اقلّ من موسم العام الماضي بنحو مليون بالة اذا جرى موسم هذا العام في نموّهِ وخصبهِ كما جرى موسم العام الماضي

والوجه الثاني ان حالة نمو الموسم هذا العام دون ما كانت عليهِ في العام الماضي فقد كانت حالة النمو في شهر مايو ٧٧٫٢ في المئة وكانت في العام الماضي ٨٣ في المئة . وفي شهر يونيو ٧٧ في المئة فقط وكانت في العام الماضي ٨٨ في المئة اي ان حالة الموسم كانت تزيد تحسناً في العام الماضي وتزيد سوءا هذا العام وهي دون حالة الموسم سنة ١٩٠٣ فانها كانت حينئذٍ ٧٤٫١ في المئة في اول يونيو و ٧٧٫١ في المئة في اول يوليو وكانت مساحة الارض المزروعة حينئذٍ ٢٨٩٠٧٠٠٠ اي نحو ٢٩ مليون فدان وبلغ المحصول حينئذٍ ١٠٠١١٠٠٠ اي نحو

عشرة ملايين بالة . فاذا جرى موسم هذا العام كما جرى موسم سنة ١٩٠٣ فلا يبلغ عشرة ملايين بالة بل يكون اقل منها

وقد نشرنا الجدول التالي وفيهِ حالة الموسم الاميركي في كل سنة من السنين الماضية حتى سنة ١٨٨٧ كما وجدها مكتب الزراعة في بداءة كل شهر عن الشهر الذي قبلهُ ومقدار المحصول ومساحة الارض المزروعة ومنهُ تتبين الامور المذكورة آنفاً اجلى بيان

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠					٢٨١١٣٤٢٨
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨		٣٠٠٥٣٧٠٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ومعلوم انهُ لا يمكن بت الحكم من الآن في ما يكون عليهِ الطقس في هذا الشهر والشهرين

التالين ولو جرى مجرى العام الماضي (وقد كان الطقس في العام الماضي من اصلح ما يكون لزراعة القطن في اميركا) فلا يحتمل ان يزيد المحصول هذا العام على ١١ مليون بالة لان ضيق المساحة يقلل المحصول نحو مليون بالة والضرر الذي اصاب الزراعة في مايو ويونيو يقلله مليوناً آخر . واذا جرى الموسم هذا العام كما جرى سنة ١٩٠٠ فمن المحتمل ان يبلغ المحصول احد عشر مليوناً ونصف مليون بالة . وهب انهُ بلغ هذا المبلغ فالسعر الحالي غير غالٍ لان المقطوعية العمومية تزيد اربع مئة الف بالة كل سنة بزيادة السكان . ومعامل انكلترا عندها من الطلبات ما يشغلها هذه السنة كلها وبعض السنة التالية ومعامل اميركا عندها ما يشغلها هذه السنة واكثر السنة التالية . واكثر هذه الطلبيات للصين

القطن وندوة العسل

صورة مذكرة نشرتها نظارة الداخلية تصف بها الضرر الذي يصيب القطن من ندوة العسل والطرق التي يلزم اتخاذها لوقايتهِ وهي

أُصيب القطن بضرر عظيم في السنين الماضية في شهري اغسطس وسبتمبر وخصوصاً في مديرية البحيرة بسبب ما يسمونهُ ندوة العسل

فقد شوهد في مساحات واسعة من الاراضي المزروعة قطناً في مركز كفر الدوار وغيره من المراكز التي كانت تنجو من الدودة وكانت تبشر بمحصول وافر ان الاوراق تصبح سوداء على حين فجأة وتضعف الشجيرات و يتلف جانب عظيم من المحصول ويسمَّى هذا الضرر بندوة العسل وتعليل ذلك هو ما يأتي :—

في مثل هذا الأوان يشاهد في بعض الحالات على النبات آلاف من البعوض الصغير الاخضر (Hémiptera) بعضهُ باجنحة وبعضهُ بدون اجنحة . وهذا البعوض المعروف باسم (Aphis) يتغذى من الاوراق بطريق المص وذلك ولو انهُ لا يكفي لقتل النبات ولكنهُ بالطبع يضعفهُ . وحين تغذّي البعوض كما ذكر يضع على الاوراق مادة لزجة من نوع الندى العسلي . ووقت الفيضان حينما يكون الجو رطباً يجلب هذا الندى العسلي اليهِ جرثومة نوع من الفطر الاسود التي يحملها الريح فتستقر في الاماكن التي توجد فيها هذه المادة اللزجة . وتأثير ذلك يظهر سريعاً فان مسام الاوراق تختنق حالاً ويسودُّ النبات كما ذكر آنفاً . ولحد الآن يظهر انهُ ليس في الامكان مقاومة الفطر المذكور والامر الوحيد الذي يمكن اجراؤُهُ هو مقاومة البعوض بمجال ظهوره . وعليهِ يلزم في البلاد المعروفة فيها ندوة العسل ان يراقب ظهور البعوض (Aphis) لاول مرة مراقبة شديدة

وقد صار تجربة الطريقة الآتية لقتل هذا البعوض ونجحت نجاحاً عظيماً وهي يرش النبات بآلة رشاشة رفيعة جدًا بمركب ممزوج من المواد الآتية : —

نصف رطل صابون وجالون واحد من الماء (الجالون يساوي اربعة ليترات ونصف لتر) وجالونان من الكروسين Kerosene (ويضاف الى ذلك وقت الاستعمال ماء بمقدار ٢٥ ضعفاً من مجموع كمية المزيج المذكور)

ويصير تقطيع نصف الرطل الصابون قطعاً وتغلى بجالون الماء حتى تذوب تماماً فترفع عن النار ويضاف اليها الجالون من الكروسين ويحرك الممزوج تحريكاً قوياً — ومتى برد هذا المركب يخزن في قزايز لاستعماله وقت اللزوم

ويمزج هذا المركب بخمسة وعشرين ضعفاً من مقداره من الماء الاعتيادي ثم يوضع في الرشاشة ويرش به النبات الموجود فيه البعوض (Aphis) وحيث ان هذا البعوض يلجأ عادة الى السطح الاسفل من الاوراق فيلزم رشها من الاسفل بكل دقة وفي الانتهاء ترش من الاعلى

ومن المحتمل ان يخبو بعض هذا البعوض ولذلك يلزم التفتيش في الزراعة بعد الرش بيومين او ثلاثة واذا وجد اثر منهُ حياً فتعاد عملية الرش مرة ثانية

واهم شيء هو الوقوف على الجهات التي ظهرت فيها ندوة العسل سابقاً

وهذا البعوض يشاهد عادة على اطراف غيطان القطن بقرب المصارف ومجاري المياه فيجب التفتيش في هذه الاماكن لمعرفة ظهور هذه الآفة ومتى ظهرت يلزم حالاً الشروع في الرش ثم التفتيش في باقي انحاء الغيط . ومن المهم ان يكون الرش في الصباح او في المساء . والفائدة من قتل البعوض هي منع وجود الندى العسلي وحينئذٍ لا تجد جراثيم الفطر ما تتغذى به فتموت

وقد طلب بالتلغراف من فرنسا خمسون طلمبة رشاشة مصنوعة بنوع خاص للرش رشاً رفيعاً جدًا من كل ناحية وحين ورودها تصرف للجهات حسب اللزوم

وبقطع النظر عن ذلك فالزراع الذين يخشون من ندوة العسل يحسنون صنعاً لو طلبوا بمعرفتهم رأساً الآلات اللازمة بالتلغراف من فرنسا من محل

M.M. Vermorel à Villefranche (Rhône)

ويرسل لهُ الثمن بواقع ٣٥ فرنكاً ثمن الرشاشة في فرنسا واسمها Pulverisateur Eclair No. 1

وموجود الآن في دائرة درانت باشا التي أصيبت بضرر عظيم في الماضي نحو عشرين من هذه

الآلة وجار تشغيل عدد من الانفار لابادة البعوض قبل ظهور القطر المنتظر في اغسطس
اما الكروسين الذي يفضل على البترول فيمكن الحصول عليهِ من المحل الآتي باسكندرية

Messrs Worms & Co.
Shell Transport Line

وسعر الطن يساوي جنيهين اثنين في الاسكندرية ونفاية الصابون الاخضر المناسب لهذا المزيج يمكن الحصول عليها من شركة الملح والصودا في معملها بكفر الزيات

[المقتطف] واذا ظهر المن المسمَّى هنا بعوضاً على قليل من ورق القطن فيسهل قطف ذلك الورق وحرقهُ

تصدير الفاكهة والخضر

يقول المعتنون بزرع الشليك (الفروله او الستروبري) في ضواحي العاصمة ان محصول الفدان الواحد يبلغ مئة جنيه الى مئتي جنيه في السنة. والظاهر من اقوالهم واقوال غيرهم من زارعي الفاكهة والخضر على انواعها ان محصولها يفي باتعاب الفلاح وايجار الارض ويكون منهُ ربح وافر وقد قرب الوقت الذي يستغني فيهِ القطر عن كل انواع الفاكهة والخضر التي ترد اليهِ الآن من الخارج فيتوفَّر لهُ نحو مليون جنيه كل سنة من هذا السبيل لان الفاكهة والخضر الطرية والمقددة التي ترد اليهِ في السنة يبلغ ثمنها حسب تقدير الجمارك بنحو سبع مئة الف جنيه والباعة يشترونها بمليون جنيه على الاقل ومن ذلك اثمار مقددة باكثر من مئتي الف جنيه واثمار وخضر محفوظة باكثر من ٣٣ الف جنيه وبرتقال وليمون وغير ذلك من الفاكهة الطريَّة باكثر من ١٢٠ الف جنيه وزبيب باربعة وخمسين الف جنيه وهلمَّ جرّاً وهذه كلها من الفواكه والاثمار التي يمكن ان تزرع في القطر المصري وتجود فيهِ

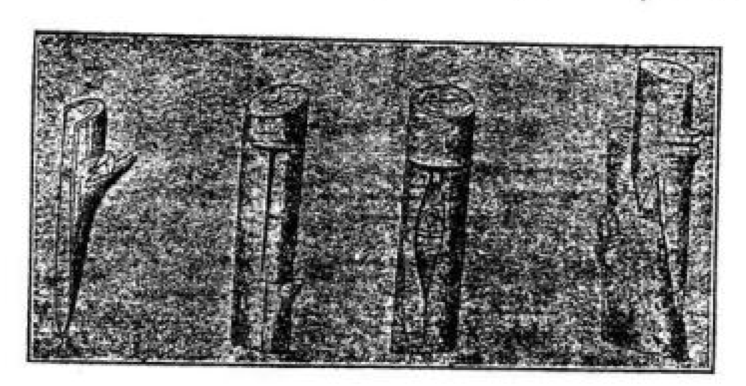
ثم انهُ لايصعب على اهل الزراعة في هذا القطر ان يكثروا من زرع بعض الخضر والفاكهة ما يزيد عن حاجة البلاد ويصدر منهُ مقدار كبير الى الخارج فقد صدر منهُ في العام الماضي من البصل ما ثمنهُ ٣٦٥ الف جنيه ومن الطماطم ما ثمنهُ ١٩ الف جنيه وليس ما يمنع زيادة الصادر من هذين الصنفين زيادة بالغة ولا ما يمنع وضع الفاكهة والاثمار في علب وتصديرها الى الخارج فان الفاكهة الموضوعة في علب ترد الينا من كاليفورنيا في غربي اميركا على غلاء اجور العمال هناك واجرة النقل برّاً وبحراً فيجب ان تكون الفاكهة الصادرة من القطر

المصري ارخص منها جدًّا · وقد رأينا انواعاً من الفاكهة المحفوظة في علب صنعت في ابعدية الكونت زغيب على مقربة من مصر وهي تضاهي ما يماثلها من فاكهة اوربا واميركا في اتقان عليها · واذا تيسر للقطر المصري ان يستغني عما يرد اليهِ من الفاكهة والخضر ويصدر ما يماثلها توفر لهُ مليونا جنيه في السنة

تطعيم الاشجار

اينا في الجزء الماضي في باب التحوُّل الفجائي انهُ يطرأ على النباتات احياناً تغير فجائي يغير نوعها · ولا يخفى ان هذا التغير يكون احياناً مقصوراً على اصلاح النوع نفسهِ ومن ذلك تولدت الاصناف البستانية من الاصناف البرية . وتسهل الاستفادة من الصنف الجديد باخذ التقاوي منهُ كما حدث لما أُخذت تقاوي القطن العفيفي مثلاً واليانوفتش من صنفين تولدا جديدًا او بقطع جزء صغير من الصنف الجديد وتطعيمهِ في الصنف القديم كما في تطعيم الورد بورد آخر وتطعيم المشمش بمشمش آخر وتطعيم التوت بتوت آخر وتطعيم الليمون بليمون آخر وهلمَّ جرًّا

وانواع التطعيم مختلفة اشهرها الخمسة التالية



الشكل الاول

الاول ان يقطع غصن طري من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها و ينزع منهُ جانب فيهِ ورقة وتحتها برعم كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الاول. واذا قطع معهُ شيء من الخشب وجب نزعهُ منهُ بالتأني حتى لا يبقى فيهِ الاَّ القشر السليم واسفل الورقة والبرعم الذي تحتهُ . ثم يبرى طرف قضيب من قضبان الشجرة التي يراد تطعيمها و يشق قشرهُ شقًّا كحرف التاء الافرنجية كما

ترى فوق الرقم ٢ في الشكل الاول ويجب ان يصل الشق الى الخشب ولا يجرحهُ ثم ترفع طرفي القشر برأس السكين وتدخل الجزء الذي نزعتهُ اولاً في هذا الشق وتسوي طرفيهِ عليهِ كما ترى فوق الرقم ٣ وتربطهُ ربطاً محكماً بقشر شجر او بخرقة ولكن لا تشد الرباط كثيراً فينمو البرعم ويغتذي مما تحتهُ ويتولد منهُ غصن مثل الشجرة التي أُخذ منها . وعلى هذا الاسلوب يطعم التوت البري بتوت جوي فتقطع قضبان التوتة البرية كلها ويطعم منها ثلاثة او اربعة واذا ظهرت فيها فروخ اخرى غير فروخ المطاعيم نزعت منها حال ظهورها فتصير قضبانها كلها من نوع الشجرة التي طعمت بها

الثانية ان يقطع غصن صغير من الشجرة التي يراد التطعيم بها ويكون فيهِ برعم او اكثر كما تقدم ويبرى حتى تكون فيهِ زاوية داخلية كما ترى في الجزء الاعلى الذي فوق الرقم ٤ في الشكل الاول ثم تبري غصناً من الشجرة التي تريد تطعيمها حتى يستقر المطعوم عليهِ ويلتحم بهِ كما ترى فوق الرقم ٤ ويطلى الغصن والطعم بالطين او نحوهِ لكي لا يجف المطعوم سريعاً بتبخُّر الرطوبة منهُ . ويفضل ان يكون في الطعم برعمان او ثلاثة لا برعم واحد ويجب ان يتصل قشر الطعم بقشر المطعم كما ترى فوق الرقم ٤ ستأْتي البقية

زراعة القطن في جزائر الهند الغربية

اهتمَّ الانكليز بزرع القطن في جزائر الهند الغربية فابتدأُوا في سنتا لوشيا سنة ١٩٠٠ وبلغت مساحة الارض المزروعة في تلك الجزائر ٥٠٠ فدان سنة ١٩٠٢ و ٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٣ و ١١٦٨١ فداناً سنة ١٩٠٤ ومن ذلك ٧٢٤٣ فداناً مزروعة بالقطن المعروف بالسي ايلند وينتظر ان يبلغ محصول السي ايلند هذا العام ١٨٠٠٠ قنطار اي يكون متوسط محصول الفدان قنطارين ونصف قنطار وان يبلغ ثمنها مئة الف جنيه . واذا استمرت الزيادة على هذه النسبة فلا يبعد ان تبلغ مساحة الارض المزروعة عشرات الالوف من الفدادين ولكن ان كان متوسط محصول الفدان لا يزيد على قنطارين ونصف فلا نظن انهُ يكون هناك ما يرغّب اهل الزراعة في زيادة الاهتمام بزرع القطن ولاسيما اذا هبط ثمنهُ . ثم ان الذين يزرعون القطن في الولايات المتحدة لا يجهلون ان ثمنهُ يهبط كثيراً اذا زاد المحصول عن المقطوعية زيادة كبيرة . فاذا اتفق انهُ زاد في سنة من السنين كما حدث في العام الماضي ضيقوا نطاق زراعتهِ في العام التالي لكي يبقى سعرهُ مرتفعاً



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تعليم الاطفال

ما يجب ان يعلّموهُ وما يجب ان لا يعلّموهُ

اول ما يلاحظ في الاطفال كثرة السؤالات التي يسألونها حالما يتعلمون الكلام ورغبتهم في ان يلمسوا بايديهم ما يرون باعينهم ويغيروا شكل كلّ ما يقع في ايديهم اذا استطاعوا ذلك ويقلدوا كل ما يرون اما بالرسم على الورق او بجبل الطين وعمل التماثيل على صور واشكال شتى

والطفل يكثر من السؤال اعتقادًا منهُ ان ابويهِ وكلَّ كبير غيرهما يحيطون علماً بكلّ شيءٍ وقد جرت عادة اكثر الوالدين ان ينتهروا اطفالهم عند الاكثار من المسائل ظنًّا منهم انهُ من قبيل الفضول في الكلام وهذا وهم اذ لكل معلول علةٌ وعلةُ اكثار الاطفال من السؤال تنبه قواهم العقلية ونموّها فاذا لم يجبهم والدوهم اجوبة ترضيهم لم يسكتوا بل تحوّلوا الى غيرهم واذا لم يرتضوا باجوبة هؤلاء عادوا وقد تولاهم الخذلان وخيبة الامل

ومن اعظم اغلاط الوالدين اشتغالهم بشؤون الحياة اليومية عن النظر في مصالح اطفالهم فيهملوا امر المستقبل التهاءً بالحاضر ويتركوا تربية اولادهم للصدفة او يسلموهم الى المربيات والخادمات وهنّ لا يعلمن مطالب الطفولة وواجباتها فيقلن في انفسهنَّ ان كان الوالدون لا يهتمون باطفالهم افنكون نحن اكثر اهتمامًا منهم بهم فيشرعن في العناية بمنظرهم الخارجي سترًا لحاجاتهم الحقيقية

ومن عادة الاطفال عند ولادة اخ او اخت لهم ان يسألوا والديهم من اين اتى هذا المولود فيحار بعض الوالدين في الجواب عن هذا السؤال لاسيما وهم لا يريدون ان يضلّوا صغارهم ويجيب آخرون عليهِ بقولهم ان الله بعثهُ وآخرون انهم اشتروهُ او ان القابلة جاءت بهِ . والغالب ان الاولاد يسكتون على امثال هذه الاجوبة ولكنها اجوبة لا تفيدهم شيئًا ولا تبيّن لهم

حقيقة . والذين يجيبون بها وباشباهها يعتمدون على قول من قال ان الجهل فضيلة وان اساس العفاف والطهارة قلة المعرفة وحجتهم في ذلك ان نواميس ولادة الاولاد قد حُطت عن مقامها السامي الى الدرك الاسفل فلا يحسن بالصغار ان يطّلعوا على حقيقتها

والحقُّ ان لا ظلام الاَّ ظلام الجهل ومعظم الذين ساروا في ذلك الظلام عثروا وسقطوا سقوطاً لم ينهضوا منهُ وقليل منهم وصلوا الى سنّ البلوغ وقواهم سليمة من الضرّ والاذى . فهل يجب على الوالدين ان يخبروا اولادهم بسرّ وجودهم وهم صغار ويربوهم على المبادىء والتصورات السامية في خلال ذلك . هذا سؤَال تصعب علينا الاجابة عنهُ لاننا لا نعلم ماذا تكون نتيجة ذلك . قالت كاتبة انكليزية مشهورة ما يأتي :—

" اذا سأل الولد الصغير امهُ حائرًا من صنعني ومن اين اتيت فالغالب ان تجيبهُ على ذلك جوابًا اولى بها ان لا تنطق بهِ وان يكن صحيحاً وهو ان الله صنعك اذ هذا الجواب من حيث الصحة هو مثل قولها لابنها اذا افرط في الاكل وأُصيب بسوءِ الهضم ان الله ابتلاك بهِ . أَليس خيرًا لها ولهُ ان تقول انك اتيت من ابيك وامك يا ولدي فقد صنعت من جسمينا فانت جزءٌ منا . وقد نموت فينا كما تنمو البزرة في الثمرة وحملتك شهورًا طوالاً تحت قلبي حيث صوّرت ولبثت الى ان ولدتك بالتعب والالم . ألا يتعلّق قلب الولد بها متى اطلع على نسبتهِ اليها بهذا القول اكثر مما يتعلق بها بالقول الاخر الذي لا يروي لهُ غليلاً فيتطلب الحقيقة حتى اذا وجدها حفظها سرًا لا يبوح بهِ خشية ان تعدّ معرفتهُ لهُ جرماً عليهِ "

هذا ما قالتهُ تلك السيدة ولكن ليس في تاريخ العمران ما يدلُّ على ان افشاء سر الحمل والولادة للاولاد اسلم عاقبة من اخفائهِ عنهما الى ان يبلغا اشدهما . ويظهر لنا ان الاخفاء اسلم عاقبةً وان صرف الاذهان عن هذا الموضوع افاد الامم التي تصرف الاذهان عنهُ كما ان تنبيه الاذهان اليهِ منذ الصغر اضرَّ غيرهم من الامم . اما الاطفال فليس من الضروري اخبارهم بكل شيء ولا هم يصرون على معرفة كل شيء . واي شيء نعلمهُ حق العلم حتى نخبرهم بحقيقتهِ فاذا قلنا لهم ان اخاكم الصغير هدية من الله لا نكون ابعد عن الصواب من قولنا لهم انهُ من الديك ولا هو اسهل عليهم ادراكاً من قولنا لهم ان سوء الهضم من كثرة الطعام

وكما يجب على الوالدين ان يطلعوا اولادهم على ما تفيدهم معرفتهُ يجب عليهم ان يخفوا عنهم ما تضرهم معرفتهُ

تأديب الاولاد

تأديب الاولاد ومقاصتهم بالضرب من بقايا عصور الجهل الماضية . قال الاستاذ فولر اتبع مذهب سليمان الحكيم في ضرب الاولاد ان شئت واما انا فاتبع مذهب سيد سليمان القائل اغلب الشرّ بالخير . فان استعمال القوة الحيوانية التي يمتلكها الرجل لمقاصة الاولاد ذوي الابدان اللينة الغضة حطة لهم ومفسدة

ولا يمكن تعيين قصاص واحد لكلّ من أذنب من الاولاد لاختلاف امزجتهم فما يوافق نزق الطبع لا يوافق ليّن العريكة وما يلائم عصبيّ المزاج لا يلائم الدموي او اللمفاوي . فليترك الامر لفطنة الوالدين في ذلك

ومما يحسن الالتفات اليهِ في هذا الباب ترغيب الاولاد في قراءة الكتب والروايات التي تهذب النفس وترفعها عن الدنايا . قالت مس جلدر وهي من النساء الانكليزيات اللواتي اشتهرن بالكتابة في الجرائد والمجلات انها قرأت تاريخ حياة بنيامين فرنكلين الكاتب والفيلسوف الاميركي الشهير فوطدت النفس وهي صغيرة على الاشتغال بالتحرير فنشأت كاتبة نحريرة

قراءة الروايات

الناس صنفان من حيث التربية والتهذيب . صنف يرى انهُ يجب الاقتصار في تربية الاحداث والحدثات على ما يقوّم الاخلاق والطباع ويدرّب العقول على الحسن وينبه الاميال الى الخير وان تسهل امامهم السبل المؤدية الى ترقية الآداب واعلاء شأنها ويسدّ كلّ سبيل الى الجهة الاخرى اي ان يعرف الاولاد كلّ ما في هذه الدنيا من الخير وهم صغار فينشأُوا عليهِ وان يجهلوا ما فيها من الشرّ على الاطلاق حتى اذا كبروا وشبوا كانوا ملائكة في زي بشر

والصنف الآخر يرى ان التربية الصحيحة لا تقوم بفتح ابواب الخير وسدّ ابواب الشر امام الصغار بل بفتحها كلها على السواء امامهم واظهار ما في دخول الاولى من النتائج الجليلة وما في دخول الثانية من العواقب الوخيمة بالشواهد والامثال فينشأُوا ميالين الى الخير راغبين عن الشر . والذين يرون هذا الرأي يقولون ان المرء مفطور على الخير والشر منذ تصوره وان كل ما يبذل من المساعي في تبيين الخير وتكبيرهِ وتزيينهِ في العيون وستر الشر وتصغيرهِ وتقبيحهِ حتى يقتصر الصغار على الاول منهما دون الآخر انما يذهب ادراج الرياح ما دامت بذرة الميل الى الشر مغروسة فيهم منذ خلقتهم. وان الغرض من التربية ليس اقتلاع تلك البذرة

ولا محو آثار الشر من الطبع بل تعويد الصغار اتباع الحسن وتغليب الخير على الشر في نفوسهم وتقوية ضمائرهم وتنبيهها حتى لا يرتكبوا القبيح واذا ارتكبوهُ وتنبهت ضمائرهم بكتتهم على سوء افعالهم فنكصوا عن ارتكابها ثانية تائبين نادمين

هذا ما يقال في التربية عموماً ولما كانت قراءة الروايات على اختلاف مواضيعها مما يقبل الصغار عليهِ لما فيها من اللذة والتفكهة وكانت جزءا من التربية فقد انقسم الناس فيها الى قسمين قسم يقبح قراءتها وينهى عنها وخصوصاً قراءة الروايات الغرامية لما فيها من اضاعة الوقت على غير طائل ومن الاضرار بالاخلاق والآداب وقسم لا يمنع قراءتها بل يرغب فيها لانها تدل على الخير والشر معاً فتحض على الاول وتحذر من الثاني

وقد تناول كثيرون من كتاب الغربيين هذا الموضوع وبحثوا فيهِ البحث الدقيق والانكليز منهم لا يذمون قراءة الروايات من الوجهة الادبية قدر ما يذمونها من الوجهة المادية اي انهم لا يذمونها من حيث اضرارها بالآداب قدر ما يذمونها من حيث اضرارها بالجسم لأن الامة الانكليزيَّة امة عرفت بميلها الى الالعاب الرياضية مثل لعب الكرة وسباق الخيل والقوارب وما شاكل. وفي ادخال الالعاب الرياضية الى مدارس الحكومة عندنا والاهتمام بها اهتماماً عظيماً دليل على شغف الانكليز بها حتى في غير بلادهم واعتمادهم عليها في التربية والتهذيب.

قال احد كتاب الانكليز ان الوفاً من الانكليز رجالاً ونساء شباناً وشابات يقضون ساعات الفراغ في قراءة الروايات فيسمُّون ابدانهم بدلاً من أن ينعشوها ويقووها بالرياضة في الخلاء. وبالامس لقيت غلاماً قويَّ البنية يقرأ رواية مشهورة وهو لا يلوي على شيء بدلاً من ان يلعب مع رفاقهِ ابناء سنهِ ويتعلَّم كيف يصير رجلاً

وقال آخر تحت عنوان "الرجال العظام لا يكتبون روايات" ان خفة الحركة والنشاط في العمل اول الاسباب الى عظمة الامة وكتابة الروايات وقراءتها تستلزمان الجلوس والقعود عن الحركة فتفضيان الى سوء الهضم وقصر البصر

وقال كاتب من كتاب الروايات ان للعب الكرة فضلاً عليَّ لا انكرهُ ما دمت حيًّا فان كتابة الروايات اورثتني ضعفاً عصبياً لم اشفَ منهُ الاَّ بمداومة لعب الكرة. ومن رأي غيرهِ ان الاقبال على قراءة الروايات الى درجة تشبه الجنون افضى الى اضعاف البنية العمومية

على ان بينهم قوماً يرون غير ذلك، منهم كاتب استحسن ميل الناس الى قراءة الروايات دون كتب الفلسفة وما فيها من الآراء الوهمية والخيالية وقال ان الروايات تمثل لنا حقيقة الحياة. والسبب في ميل الناس الى قراءتها هو ان معيشة الصانع والعامل والتاجر تضيق الصدر

وتجبس النفس . ومشاغل التمدن الحديث وهمومهُ الكثيرة تميل بالناس الى طلب الخلاص من تلك الحال اما بالرياضة البدنية كاللعب او بالرياضة العقلية كقراءة الروايات . وقال غيره ُ ان قراءة الروايات تعلّم الانسان ما لا بدَّ ان يعلمهُ من امور هذه الحياة خيراً كان او شرًّا وان السعي في ابطالها عبث لانهُ مخالف لسير الطبيعة وان التربية الصحيحة لا تقوم بالاقتصار على معرفة الخير بل بمعرفة الخير والشر على السواء وتدريب الاميال على الحسن والحض عليهِ والتحذير من ضدهِ وترك الانسان حرًّا مختاراً مسؤُولاً فكم من قبيح انتج حسناً وكم من خير اعقب شرًّا

والذي نراه ُ بالاختبار ان الاعتدال في قراءة الروايات وفي ايضاحها اسباب الشر هو خير الامور فالذي يقرأُ قليلاً ويقتصر على الروايات الفاضلة المفيدة يستفيد منها ولا يضيع وقتهُ ولا ينهك صحتهُ . والروايات التي يعتدل كاتبوها فيها فلا يقتصرون على وصف المناقب الفاضلة ولا يكثرون من وصف المعايب يفيدون برواياتهم اكثر من غيرهم وهي الروايات التي يجب ان تفضَّل على غيرها . وعلى كل حال لا يحسن بوالد ولا بوالدة ان يسمحا لابنهما او لابنتهما بقراءة رواية لم يقرأها احدهما او احد معارفهما ويجدها خالية مما يضرُّ ويشين



مرور في ارض الهناء ونبأٌ من عالم البقاء

اسم كتيّب الَّفهُ حضرة الاديب شكري افندي الخوري احد السوريين المقيمين في سان باولو بالبرازيل . وهو على صورة رواية انتقد المؤَلف فيها الفساد الذي يعتور الهيئة الاجتماعية الحاضرة ولا سيما في البلاد الشرقية وجعل كلامهُ رسالة من صديق ميت الى صديق حيّ ووصف بلسان المكاتب مشهدين عظيمين عالماً ارقى من هذا العالم ودينونة على مدخل عالم البقاء . وقد كان في جملة الذين دينوا احد ملوك الشرق وراهب ومتصرف من متصرفي لبنان وصحافيٌّ وطبيب ومحامٍ وكان قصاص الصحافي "٣٠ جلدة بقضبان الرصاص حتى غاب عن الصواب من الاوجاع لان الضرب كان بالاكثر على اصابع يدهِ اليمنى التي كان يقبض بها

القلم" ومن ذنوبهِ التدليس والتجبير والتظاهر بالغيرة على الدين وعلى الوطنية

وهذه الرواية على طراز الرواية التي الَّفها دانتي الايطالي وسمّاها "ديفين كومدي" وقسمها اقساماً منها "انفرنو" اي الجحيم وصف فيهِ سفرهُ اليهِ ومن لقيهُ فيهِ من الرجال وما صادفهُ من الاهوال. او هي على مثال رواية "دون كيشوت" التي الفها سرفنتس الاسباني واراد بها انتقاد نظام الفروسية الذي كان سائداً في زمانهِ

وتمتاز هذه الرواية على اكثر الروايات العربيَّة الموضوعة باتساع صور الخيال فيها وتعدُّد اشكالها وامتزاجها بعضها ببعض امتزاجاً سهل المأخذ . وكثير من عباراتها باللغة العامية السورية التي تقرّبها من افهام الجمهور فنثني على اجتهاد المؤلف ونؤمل ان انتقادهُ يصيب المحجة ولا يضيع سدًى . وحبذا لو ترجمت هذه الرواية الى اللغة التركية لكي تم فائدتها الذين عناهم بالذات

رواية ٣٠ سبتمبر او غوائل المدنية

رواية ادبية اجتماعية عرّبها حضرة الاديبين ابرهيم افندي صادق وعثمان افندي صدقي وطبعاها على نفقتهما وثمنها ٣ غروش صاغ وحبذا لو ذكرا الاصل الذي عُرّبت عنهُ

الخلاصة الحكمية في المملكة النباتية

رسالة في الحبوب والخضر والاثمار والاشجار وخواصها وفوائدها بقلم متياس افندي ابرهيم سعد وهي كبيرة الفوائد على صغر حجمها . ومن الفوائد المذكورة فيها ان قطران الخشب يطرد السوس من اهراء الحنطة اذا دهنت بهِ بعض الالواح الخشبية ووضعت في الاهراء بين الحنطة

الدر النظيم في فن التنويم

في هذه الرسالة كلام موجز على فنّ التنويم واشهر طرقهِ المستعملة في اوربا واميركا من قلم حضرة الاديب لطيف افندي يعقوب شكيب وقد طبعت بادارة المكتبة الشرقية لحضرة صاحبها الاديب ابرهيم افندي فارس والكلام فيها قريب المأخذ على ما فيهِ من التدقيق ولكننا لا نودُّ ان يشيع هذا الفن لان ضررهُ اكثر من نفعهِ

———

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اللغة والغناء

مصر. عطا افندي فهمي. هل للغة تأثير في اصوات الغناء

ج يقال ان لها شيئاً من التأثير وان الغناء شائع في ايطاليا لان لغتها تسهّل الغناء على اهلها

(٢) عدم تشابه التوأمين

ومنهُ. تلد المرأة احياناً ولدين توأمين ولا يكونان متشابهين تشابهاً تامًّا فما سبب ذلك

ج ان البيضة التي يتولد الجنين منها تكون كاملة في الام وهي مستديرة مثل بيوض اكثر الحيوانات وشاملة لدقائق كثيرة ماخوذة من كل عضو من اعضاء الام ثم يصل اليها اللقاح من الاب وهو جسم صغير جدًّا طويل دقيق شكلهُ مثل شكل الافعى ولكن رأسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وفيهِ دقائق صغيرة من كل عضو من اعضاء الاب فيخرق البيضة ويدخلها وللحال يخرج جانب مما كان فيها لانها كانت ملأى فلا تسع ما فيها مع اللقاح الذي يأتيها. والظاهر ان هذا الجسم يدخل كلهُ او بعضهُ حسب قوتهِ وضعفهِ او حسب درجة نموهِ وان ما في البيضة يخرج كثير منهُ او قليل حسب ما يدخلها من اللقاح. وهذه الحالات كثيرة مختلفة لا ضابط لها وانما يجمعها قولنا ان البيضة الملقحة يكون فيها دقائق كثيرة من اعضاء الاب ودقائق كثيرة من اعضاء الام ولكن ذلك ليس على درجة واحدة فقد يكون فيها من مميزات الام اكثر مما فيها من مميزات الاب وقد يكون فيها من مميزات الاب اكثر مما فيها من مميزات الام

ثم ان في جسم الاب دقائق متصلة اليهِ من ابويهِ واسلافهما وفي جسم الام دقائق متصلة اليها من ابويها واسلافهما على درجات مختلفة فلا يبعد ان يدخل احدى البيضتين كثير من الجسم الآتي من الاب ويدخل الاخرى قليل من آخر آتٍ منهُ فيكون جنين البيضة الاولى اشبه بابيهِ او اسلافهِ من جنين البيضة الثانية فيختلفان

(٣) قوة السلاح

ميت بشار. قرياقص ميخائيل لماذا يرسل

السلاح الجيد مقذوفاته الى ابعد مما يرسلها السلاح الرديء مع ان المقذوفات واحدة

ج اذا كانت انابيب البنادق او المدافع مختلفة في طولها وتجويفها وشكله والمقذوفات واحدة فلا بدَّ من اختلاف الابعاد التي تصل اليها باختلاف انابيب البنادق والمدافع وهذا هو الواقع. ثم ان انابيب المدافع والبنادق الجديدة امتن حديداً من الانابيب القديمة فتحتمل مقذوفات اقوى باروداً فتنقذف الى مسافات اطول

(٤) الشيب والعمر

ومنهُ . هل الشيب دليل على قصر العمر او على ضعف الصحة

ج لا هو دليل على قصر العمر ولا على ضعف الصحة ولكنهُ فعل طبيعي يبتدئ غالباً في سن الكهولة ويزيد رويداً رويداً الى الشيخوخة كما ان الاسنان لا تنبت غالباً الاَّ بعد وصول الطفل الى الشهر السابع او الثامن ولا تتكامل الاَّ حينما يبلغ السنة الثالثة

(٥) اللحم المحرم

ومنهُ . لماذا يأكل الناس بعض الطيور ويحرّمون اكل البعض الآخر ولماذا يأكلون في فرنسا لحم الخيل ولا يأكلونهُ هنا ولماذا لا تحث الجرائد الناس على اكل لحم الخيل في هذا القطر بعد ما غلا فيهِ لحم الضان

ج ان لحم الطيور التي تأكل الحبوب والاثمار اطيب من لحم الطيور التي تفترس الحشرات او تفترس غيرها من الطيور والغالب ان الناس يأكلون الاولى ويمتنعون عن اكل الثانية وفي ذلك شيء من الفائدة العمومية عدا ما فيهِ من مراعاة الذوق وذلك ان الطيور التي تأكل الحبوب والاثمار تضرُّ باهل الزراعة فيكون من صيدها واكلها فائدة لهم والطيور التي تأكل الحشرات تفيد اهل الزراعة فيكون في صيدها واكلها ضرر لهم . اما لحم الخيل فلم يكن يؤكل لغلائها ولذلك لم يألف الناس اكلهُ وحسبوا انهُ غير جائز او غير مفيد لكن اهالي فرنسا كسروا قيود التقليد شأنهم في كل شيء واكلوا لحم الخيل والخيل رخيصة عندهم فيسهل على الفقراء ابتياع لحمها اما هنا فالخيل غالية الثمن اذا كانت فتية صالحة للركب او للعمل واذا شاخت ولم تبقَ تصلح للعمل لا يكون لحمها طيب الطعم . وبلاد مثل بلاد المشرق يعسر فيها نسخ العادات القديمة لاسيما وان اكثر اهاليها يحرمون لحم الخيل فاليهود يحرمونهُ لان الفرس لا يجتر ولا يشق الظلف والنصارى يجارون اليهود في اكثر ما حُرِّم في التوراة وائمة المسلمين مختلفون في تحليل لحمها وبعضهم يحرمهُ او يكرهُ اكلهُ ولذلك كلهِ قلَّ اكل لحم الخيل في البلاد الشرقية حتى لم يبقَ مألوفاً مع ان العرب كانوا يأكلونهُ . اما الجرائد فلا فائدة من حثها الآن على ما تتبين فائدتهُ ويكون مما يسهل العمل بهِ



اوجه القمر في شهر اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	١	٦	٣	صباحاً
الربع الاول	٨	٠	١٦	"
البدر	١٥	٥	٣١	"
الربع الاخير	٢٣	٨	١٠	"
الهلال	٣٠	٣	١٣	مساءً

وفي اليوم الثلاثين من اغسطس يكسف القمرُ الشمس كسوفاً يرى تامًا في اعالي الصعيد ويظهر في القاهرة ايضاً ويبلغ اكثر من تسعة اعشار قرص الشمس اما اوقاتهُ فقد ذكرناها في الجزء الخامس من اجزاء هذه السنة

السيارات

عطارد نجم المساء في اول الشهر ولا يرى في اخرهِ

الزهرة نجمة الصبح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نصف الليل في اول الشهر وقبل الساعة ١١ في آخرهِ

المشتري يشرق قبل نصف الليل قليلاً في اول الشهر

زحل يطلع في اول الشهر الساعة ٨ مساءً

متحف الاستانة

كتب الاستاذ سايس العالم بالآثار المصرية والاشورية والحثية يقول انهُ زار متحف الاستانة العلية في الربيع الماضي فوجدهُ من اجمل متاحف الدنيا في اتساعهِ وبنائهِ ومحتوياتهِ وترتيبها العلمي والفضل في انشائهِ وتنظيمهِ لمديرهِ حمدي بك. وقد اثنى عليهِ ثناء جميلاً بفتخر كل شرقي بسماعهِ من ذلك العلاَّمة . ثم قال انهُ رأى الآثار الحثيَّة التي في ذلك المتحف وامعن نظرهُ فيها ونقل كثيرًا من نقوشها وكتاباتها ورأى ايضاً آنية الخزف السوري المستخرجة من آثار قادش عاصمة الحثيين وبينها كاس قبرصية . وحث طلبة العلوم الاثرية في اثينا على زيارة هذا المتحف ودرس ما فيهِ من الآثار. ونحن نضيف شكرنا على شكرهِ لحضرة حمدي بك لانهُ اوجد في عاصمة السلطنة ما تفتخر بهِ وحفظ آثار اسلافنا من الضياع والتلف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم مجمع ترقية العلوم البريطاني في جنوبي افريقية في شهر اغسطس المقبل وقد عزم ٣٨٥ من اعضائهِ على الذهاب الى جنوبي

افريقية لحضوره فتتلى خطبة الرئاسة في ١٥ اغسطس في مدينة الراس وتتلى خطبة عن جيولوجية شلالات فكتوريا في مدينة يوهنسبرج في ٣٠ اغسطس وتتلى بقية الخطب بينهما ويزور اكثر الاعضاء شلالات فكتوريا (وهي الموصوفة في اول هذا الجزء) ومن الخطب التي تتلى فيه خطبة عن مرض النوم وخطبة عن الملاريا وخطبة عن الماس وخطبة عن الطيران وخطب كثيرة تتعلق بافريقية من حيث جيولوجيتها وجغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها واخلاق اهلها وما اشبه

مراصد اليابان في كوريا

لم تكد جنود اليابان تحتل كوريا حتى شرعت حكومة اليابان في انشاء المراصد المتيورولوجية فيها لرصد الظواهر الجوية ومنها مرصد في شمولبو مبني على ارفع اكمة هناك فجاء مرتفعاً عن سطح البحر سبعين متراً وشرعوا في الرصد فيه من اول يناير الماضي. وقد دعي اليه كثيرون من سكان سيول وشمولبو في شهر مارس الماضي وشاهدوا ما فيه من آلات رصد الجو والزلازل وهي مما صنعهُ او اصلحهُ الاستاذ اوموري الياباني وكان بين الزائرين سفراء اليابان وفرنسا وبريطانيا العظمى وكثيرون من وجهاء كوريا

احتفال المدرسة الكلية السنوي

احتفلت المدرسة الكلية السورية احتفالها السنوي السادس والثلاثين يوم الاربعاء في ٢٨ يونيو الماضي وقد قدمت الاحتفال عما هو معتاد بسبب حضور اللجنة الطبية من الاستانة قبل الاوان لامتحان المنتهين في القسمين الطبي والصيدلي. واعضاء هذه اللجنة الفريق محمود حقي باشا والاميرالاي احمد فهمي بك والبكباشي اسكريت روشن بك

وقد منحت الدبلوما الطبية لستة وعشرين طبيباً وهذا اكبر صف خرج من المدرسة الطبية ولتسعة من الصيادلة ومنحت البكلوريا لصف المنتهين من القسم العلمي وعددهُ ستة ثم حلَّف سعادة حقي باشا رئيس مجلس الامتحان تلامذة الطب والصيدلة اليمين المعتادة وختمت الحفلة بترنيم اغنية الكلية وكانت الموسيقى تصدح في خلال وقائع الاحتفال

تعب العين

كتب الدكتور دكسن احد مشاهير الاطباء الاميركيين مقالة في تعب العين خطأ فيها قول من يقول ان الانسان الذي تكلُّ عيناهُ من شدة التحديق في الاشياء التي امامهُ تصطلح بترك الشغل والعمل وقال انهُ ما من عضو من اعضاء الجسم يقصر عن اتمام وظيفتهِ الاَّ اذا كان مختلاً معتلاً وعليهِ فان تعب العين لا يزول باراحتها بل بمعرفة العلة ومداواتها. قال ومن الثابت ان اجهاد العين هو السبب الاعظم غالباً في انحطاط

الجسم انحطاطاً عصبياً وفي المستيرياوالسوداء والقيء والقلق والدسبيسيا العصبية وخفقان القلب والاغماء والصداع والقبض وغيرها

ومن رأيهِ ان دقة البصر وجلاءهُ ليسا دليلاً على صحة العين كما يظن الناس عموماً ويفاخرون بذلك لان كثيرين من ذوي البصر الدقيق البعيد لا يستطيعون اجهاد عيونهم طويلاً . بل ان قياس صحة العين سهولة البصر وعدم الشعور بالتعب بعد استعمالها

ذبابة التستس

ذكرنا غير مرة ان هذه الذبابة تلسع الناس فتسبب المرض المعروف بداء النوم وقد كُشف الميكروب الذي يخرج منها حينئذٍ ويسبب هذا الداء وانها تلسع المواشي فتميتها . وقد كتب الاستاذ كوخ الآن من شرقي افريقية انهُ اكتشف فيها الميكروب او الجسم الحلمي الذي يميت المواشي حينما تلسعها

اكرام العلماء

منحت مدرسة كولمبيا الجامعة باميركا الاستاذ بكرل الكيماوي الفرنسوي المشهور نشان برنارد لاجل اكتشافاتهِ المهمة في الاورانيوم التي كانت اساساً للبحث عن اشعة الراديوم ونحوها . وقد منحت مثل هذا النشان قبلاً للورد ريلي والسر وليم رمسي والاستاذ رنتجن

حجر بعلبك

كتب احد الاميركيين الذين زاروا سورية في موسم السيَّاح الماضي وشاهدوا قلعة بعلبك رسالة الى السينتفك اميركان قال فيها حبذا لو كان السلطان يعطينا الحجر الكبير الملقى امام قلعة بعلبك تذكاراً لهمة قوم يستطيعون حفر ترعة بناما . فلو فعل لنقلنا الحجر الى البحر ولم نهدم بيتاً ولم نقطع شجرة ثم جئنا بهِ الى اميركا محمولاً على ظهر الامواج . وقد قدَّر ثقل الحجر بالف وخمس مئة طن

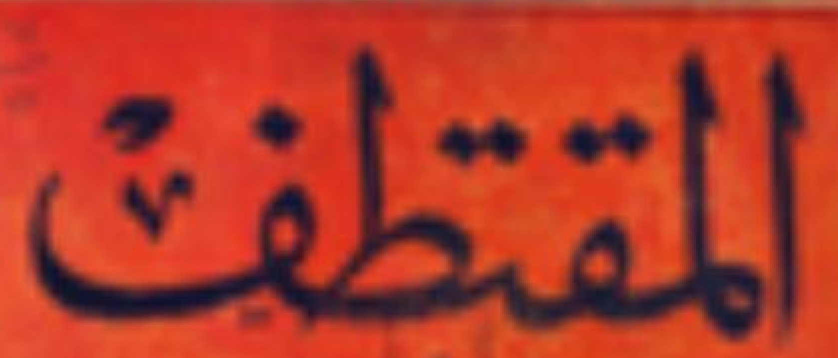
هبة ركفلر الجديدة

ركفلر من اغنياء اميركا الذين اغنوا العلم والعلماء بهباتهم . وقد انبأتنا الجرائد العلمية الآن انهُ وهب مليوني جنيه لديوان التعليم العمومي الذي انشأتهُ حكومة الولايات المتحدة لاجل الاهتمام بنشر التعليم فيها . واشترط انفاق الريع الناتج من هذه الهبة على نشر التعليم العالي في الولايات المتحدة . ووهب ايضاً مدرسة يال الجامعة مئتي الف جنيه

اكبر الموانئ

اكبر موانئ العالم من حيث مقدار البضاعة التي تدخلها كل سنة ميناء لندن وهنغ كنغ ونيويورك . ويليها انتورب في البلجيك فان ثقل ما دخلها من البضاعة سنة ١٩٠٣ بلغ تسعة ملايين طن

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثلاثين


المقتطف

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ رجب سنة ١٣٢٣

اسكار الثاني ملك اسوج

وانفصال نروج

ذكرنا في الجزء السابق والذي قبلهُ طرَفًا من سيرة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الذي ارتقى ببسالتهِ وهمتهِ من مصاف الجند الى ان صار واليًا على القطر المصري بل كاد يكون ملكًا مستقلاً فيهِ . ونحن ذاكرون الآن سيرة رجل آخر ارتقى جدهُ من مصاف الجند الى ان صار قائدًا عظيمًا ثم ملكًا مستقلاً في الوقت الذي نشأ فيهِ محمد علي باشا وهو يوحنا برنادوت الذي صار ملكًا لاسوج

ولد هذا الرجل في جنوبي فرنسا سنة ١٧٦٤ قبلما ولد محمد علي بنحو خمس سنوات وانتظم في الجيش الفرنسوي جنديًا بسيطًا سنة ١٧٨٠ وانضمَّ الى رجال الثورة الفرنسوية وارتقى في المناصب العسكرية الى ان صار قومندان فرقة سنة ١٧٩٤ وما زال يتدرَّج في الارتقاء الى ان صار مرشالاً سنة ١٨٠٤ وهو اعلى منصب في الجندية ولا بدَّ من انهُ بلغ ذلك المنصب بجدهِ وبسالتهِ لان نبوليون لم يكن ينعم بالمناصب العسكرية جزافًا ولم يكن شديد الميل اليهِ بل كان يغار منهُ لكنهُ كان منصفًا فلم يمسك عنهُ منصبًا استحقهُ

ولم يكن لملك اسوج وليُّ عهد فاختارهُ مجلس النواب الاسوجي وليًّا لعهدهِ وذلك سنة ١٨١٠ وقبض على ازمة الملك في السنة التالية لان الملك مرض حينئذٍ وهي السنة التي فتك فيها محمد علي بالمماليك واستتبَّ لهُ الملك في القطر المصري . وطلب اليهِ نبوليون ان يعاونهُ بمقاطعة الانكليز تجاريًا فابى لان ذلك مجحف بمصلحة اسوج المالية ثم اضطرَّ ان ينضمَّ الى خصوم نبوليون ويحاربهُ معهم لكنهُ ابى ان يشن الغارة معهم على فرنسا . ويقال انهُ كان

يطمع في ان يصير عرش فرنسا اليهِ . وتوفي ملك اسوج سنة ١٨١٨ فخلفهُ باسم كارلس الرابع عشر ولقبهُ قومهُ بالملك الصالح الحكيم وهو خير لقب يلقب بهِ الملوك . واستعزَّت مملكة اسوج في عهدهِ فانهُ رقَّاها علماً وزراعة وصناعة وتجارة وتوفي في ٨ مارس سنة ١٨٤٤ . فولد قبل محمد علي بخمس سنوات وتوفي قبلهُ بخمس سنوات فضلاً عن المشابهات المتقدمة وذلك من غرائب الاتفاق

ولما توفي خلفهُ ابنهُ باسم اسكار الاول وتوفي سنة ١٨٥٩ فخلفهُ بكرهُ باسم كارلس الخامس عشر وتوفي من غير عقب فخلفهُ اخوهُ الملك الحالي سنة ١٨٧٢ باسم اسكار الثاني وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول ولم يكن يُظَن ان عرش الملك يصل اليهِ لانهُ لما ولد كان جدهُ لم يزل متربعاً فيهِ فلم يربَّ التربية التي تعدهُ للقبض على ازمة الملك بل تُرِك الى ميلهِ الطبيعي فاختار البحرية وارتقى فيها رويداً رويداً الى ان صار ملازماً ودرس كل فروعها درساً مدققاً . واستفاد من الاسفار الكثيرة التي سافرها . وهو شاعر مطبوع فقويت مخيلتهُ بما مرَّ امام عينيهِ من الصور الكثيرة وعاد من الاسفار وعمرهُ عشرون سنة فدخل مدرسة ابسالا الجامعة تلميذاً وامتاز في العلوم الرياضية ولكنهُ لم يترك البحرية فارتقى في مناصبها الى ان صار اميرالاً وهو على ذكاء عقلهِ وقوة عارضتهِ انيس المحاضرة طلق المحيا فاحبهُ البحارة كلهم من اعلاهم الى ادناهم وكان حبهُ لم لايقل عن حبهم لهُ كما يظهر من القصيدة التي نظمها وموضوعها "ذكرى الاسطول الاسوجي" . وكانت اكادمية العلوم الاسوجيَّة قد عينت جائزة لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم هذه القصيدة وبعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت لها واعطتها الجائزة وهي لا تعلم من نظمها

ولما اتمَّ دروسهُ في المدرسة عاد الى البحر وزار مدناً كثيرة وتوفي اخوهُ الثاني حينئذٍ ولم يولد لاخيهِ الاكبر ولد فترجح ان ينتقل الملك اليهِ وطلب منهُ ابوهُ ان يفتش عن اميرة يقترن بها فاختار الاميرة صوفيا ناسو ونظم فيها القصائد الحسان وهي من فضليات النساء وجواهر الملوك . ومرَّت السنون وهو عاكف على دروسهِ العلميَّة والادبيَّة والاهتمام بترقية الحربية والبحرية وهي عاكفة على تربية اولادها وتهذيب اخلاقهم

وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر البليغ ولم يكتفِ ببنات افكارهِ ومولدات قريحتهِ بل ترجم الى لغة اسوج كثيراً من الاشعار النفيسة فزادت بها غنيٌّ على غناها

وتوفي ابوهُ سنة ١٨٥٩ كما تقدم وآل الملك الى اخيهِ الاكبر وكان لايزال من غير ولد

فصار وليًّا لعهدهِ وتوفي اخوهُ بغتةً سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلتهُ مهامهُ في اول الامر عن النظم والانشاء لكنهُ عاد اليهما سريعاً ولا يزال يعود اليهما كلما سمحت لهُ الفرصة لان القريحة لا تكلّ ولو بمهام الملك

ومن امثلة نثرهِ المرسل قولهُ في رسالة الى صديق نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر فبراير سنة ١٨٨٩ ما يأتي

"الفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهّاج. وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجارًا اصفرّ ورقها وقارب الانتثار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج قضتهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها تجلّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يمسنَ بجمالهنَّ عجباً ويتهن دلالاً ويتعانقن عناق العشّاق ويبسطنَ ظلهنَّ الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها باباديها اسفاً وشجناً وكأن لسان حالها يدعو من يمرّ بها ليقف ويعتبر

أخيَّ — للانسان ايضاً ربيع وصيف وخريف. الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيّر الصباح مساء والربيع خريفاً. وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاَّ بعد كرور الايام وقد لا تستردها ما لم يمرّ بها سامري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تضربهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع. انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء بزمهريرهِ تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور يدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دواماً سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

ونحن. نحن الذين تعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما نريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر ألا نرى في ضمائرنا ما يدلّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة وموت

الشتاء. أَوَليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة. ألا نرى شيئًا من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أَوَليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا. فعلى مَ نقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابديٌّ دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراه في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

والصداقة التي تمكَّنت ربطها في هذه الدنيا ألا تتبعنا الى الاخرى. على مَ لا تزيد عراها وثوقًا واحكامًا

الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور ربطت قلوب الذين يرمون الى غرض واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم. هذه الصداقة لابد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياة دنيا قضيناها في خريف هذا العمر"

والف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الفها لهُ فولتر في بلاغة عبارتها وفاقها في البحث وصدق الرواية

ولما توّج ملكاً على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قالهُ اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعارًا لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يأل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكاً ولذلك ساجعل شعاري Brödrafolkens Väl! فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصدهُ لهما بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ الآن ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما تمناهُ وسعى اليهِ جهدهُ لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيء فتفاقم الخلاف رويدًا رويدًا الى ان انفصمت عرى الاتفاق حديثًا. وقد قال في هذا الشان ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الآخر

وكتب هو ومشيروهُ الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ السلام والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغمًا عن ارادتها

وقد نشر الدكتور نتسن الرحالة النروجي الشهير رسالة ضافية الذيول بحث فيها عن

اسباب الخلاف الذي وقع بين اسوج ونروج وافضى الى التفريق بينهما بعد ان قضتا احدى وتسعين سنة متحدتين اتحادًا وثيق العرى ثابت الاركان . فأيد رأي قومهِ اهل نروج واستصوب الخطة التي جروا عليها في حل الخلاف ووافق على سعيهم الى انشاء دولة جديدة مستقلة عن الدولة الاسوجية استقلالاً تامًّا ما دامت سبل الاتفاق وعرة يتعذر الوصول الى غاية حميدة معها . وقال ان الاتحاد بين الدولتين لا يكون ثابتًا وطيد الاركان ولا يأول الى المصلحة العمومية الاَّ اذا روعي فيهِ استقلال كلٍّ من الفريقين وضمنت لهُ الحريَّة المطلقة في ادارة مصالحهِ والتصرف في شؤُونهِ طبقًا للحقوق المخولة لكل دولة حرة مستقلة . وفي ما خلا ذلك فالاتحاد يجحف بحق فريق لمصلحة فريق آخر فيولد القلق والحذر ويثير الحقد والسخط لان الحر الكريم لا يرضى بالحيف ولا يحمل الضيم فيبدو النفور ويقع ولا تؤمن العواقب اذا تصدَّع صرح الاتحاد وتداعى الى السقوط . وعليهِ فاما ان تتحد المملكتان اتحادًا ثابتًا وطيدًا على القواعد التي اشرنا اليها واما ان تنفصل الواحدة عن الاخرى على وفاق ووئام وتسير كل منهما في الخطة التي ترى الصلاح فيها

وصدَّر الرسالة بفذلكة تاريخية ذكر فيها مآثر قومهِ سابقًا ولاحقًا فقال ليست نروج من البلدان التي لم تعرف الحضارة الاَّ حديثًا ولا وصلت اشعة العلم اليها الاَّ اخيرًا . فان النهضة النروجية قديمة العهد والتاريخ يدلنا على ان بلادنا توحدت وتنظمت الاحكام فيها منذ نيف والف سنة وانها كانت في مقدمة البلاد الاوربية حضارة ومكانة منذ سنة ٨٧٢ بدليل الآثار التي دوَّنت لنا في التاريخ حين كانت ظلمات الجهل والغباوة لا تزال مخيمة على قسم كبير من البلاد الاوربية ولاسيا الشمالية منها واثار اسوج في تلك الفترة مقصورة على سلسلة ملوك لم يؤْثر عنهم شيء يخلد لهم ذكرًا في اخبار الدول وسير الرجال. على انهُ لما انقرض بيت الملك في نروج سنة ١٣٨٧ اتحدت اسوج مع نروج والدنمارك برئاسة ملك واحد . ثم انفصلت اسوج عنا سنة ١٥٢١ وبقي الاتحاد بيننا وبين الدنمارك حتى سنة ١٨١٤ . على ان كلاًّ من الفريقين كان مستقلاً استقلالاً تامًّا مستأْثرًا بادارة جيشهِ وماليتهِ طبقًا لدستورهِ الخصوصي ولم تظهر نروج في مظهر دولة تابعة للدنمارك مطلقًا

وافاض في هذا المعنى مستشهدًا بالحوادث التاريخية ونص المعاهدات والاتفاقات الدولية الى ان قال على ان ملوك اسوج كانوا يطمعون بنروج ويسعون في ضمها الى املاكهم ولكن لم يتأَتَّ ذلك الاَّ في فاتحة القرن الماضي . فان ملك اسوج عاهد القيصر اسكندر الاول على الانضمام اليهِ لمقاتلة نابليون وشن الغارة على فرنسا على شرط ان تفصل نروج عن

الدنمارك وتضم الى اسوج . فاجابهُ القيصر الى ذلك ووضعت معاهدة كيال التي منحت ملك اسوج — لا اسوج نفسها — ولاية نروج ولم يرد فيها شيء يدل على انهم جعلوا نروج قسماً من اسوج او مقاطعة تابعة لها بل كل موادها تدل على ان نروج تبقى حرة مستقلة وتسير طبقاً لشرائعها وحقوقها وامتيازاتها . ومع ذلك فالنروجيون ابوا ان يوافقوا على ما قضت بهِ تلك المعاهدة لانها أُبرمت بلا مشورتهم فحشد المرشال برنادوت جيشاً قوياً واغار على نروج فهب النروجيون لردهِ والذود عن الديار فرأى بعد اجتيازهِ الحدود النروجية باربعة عشر يوماً انهُ يتعذر عليهِ الاستيلاء على البلاد بالرغم عن اهاليها فنبذ طرق الاكراه وعوَّل على اللين والمجاملة ففاوضهم في الاتحاد مع اسوج على شروط معلومة فاجابوهُ الى ذلك وعقدت معاهدة موس في ١٤ اغسطس سنة ١٨١٤ وهي التي اتخذتها الامتان قاعدة لاتحادهما في خلال الاحدى والتسعين سنة الماضية . ومن انعم النظر في تلك المعاهدة يتضح لهُ انها ليست معاهدة بين غالب ومغلوب بل اتفاق بين دولتين متساويتين في الحقوق والامتيازات فان اسوج اعترفت فيها بان نروج دولة مستقلة وانهُ لا بدَّ من رضاها لعقد شروط الاتحاد بين الدولتين والوصول الى الغاية المقصودة منهُ وهي اتحادهما في الحرب والسلم . على ان تلك الغاية اصبحت مضمونة باجتماعهما تحت سلطة ملك واحدٍ ومن يقوم مقامهُ اذا حدثت فترة في الملك ونعني بذلك مجلس الامة الاسوجية . وعليهِ بقي لكل من الفريقين حق التصرف المطلق في شؤُونهِ ومصالحهِ الخصوصية التي لا تدخل في الاتحاد المشار اليهِ . على انهُ يظهر ان ذلك الاتحاد لم يأْتِ بالفوائد المنتظرة فان جو السياسية لم يصفُ تماماً بين البلادين منذ ١٨١٤ الى يومنا هذا

والسبب الاول في ذلك اختلاف البلادين على طريقة ادارة الشؤُون الخارجية فانها نيطت بناظر الخارجية الاسوجية ولم يكن لذلك الناظر علاقة بمجلس النواب النروجي فكانت النتيجة ان زمام شؤُوننا الخارجية سلم الى رجل ليس في وسعنا ان نطلب منهُ حساباً عن اعمالهِ عند الاقتضاء . ومما زاد النروجيين استياء من تلك الحال ان نروج اكثر تمسكاً بالهيئة الدستوريَّة من اسوج فالاسوجيون لا يزالون يتبعون تقاليدهم القديمة المبنية على مراعاة الطبقات بالنظر الى الاصل والفصل بينما النروجيون يسيرون على المبادىء الديمقراطية الحديثة فما يرضي اسوج لا يرضي نروج على ان الساعين الى التوفيق بين البلادين هوَّنوا الامر علينا اذ جعلوا ناظر الخارجية تابعاً للملك رأْساً ولكن الامر لم يلبث على تلك الحال طويلاً فان الدستور الجديد الذي وضع في اسوج سنة ١٨٨٥ حرم الملك ذلك الحق وباتت مصالحنا الخارجية في يد رجل اجنبي لا رابطة لنا بهِ فاستاء النروجيون لذلك استياء شديداً وعدوهُ

اجحافاً باستقلالهم وحقوقهم الدولية لانهُ من المقرر انهُ يجوز لهم عقد معاهدات واتفاقات دولية طبقاً لما تقتضيهِ مصالحهم الاقتصاديَّة بدليل انهم عقدوا معاهدات مختلفة بعضها بالاتفاق مع اسوج حيث اتفقت مصالح الامتين وبعضها بالانفراد عنها حيث تتفق تلك المصالح

اما مسألة القناصل فخلاصتها ان نروج طلبت ان يكون لها قناصل غير قناصل اسوج لرعاية مصالحها التجارية فوافقت اسوج على ذلك مبدئيًّا ولكن نقطة الخلاف كانت في تعيين الرئيس الذي يرجع اولئك القناصل اليهِ ويستمدون سلطتهم منهُ فاصرَّت اسوج على ان يكون مرجعهم الى ناظر الخارجية وابت نروج ذلك قائلة ان ذلك الناظر موظف اسوجي لا علاقة لهُ بالشؤُون النروجية فاما ان تعود علاقة ناظر الخارجية بالملك الى ما كانت عليهِ سابقاً واما ان يعين ناظر خارجية ثانٍ لنروج فتعاظم الخلاف واشتدت الازمة الى ان بات الانفصال خير وسيلة لاصلاح الحال وتلافي الشر (انتهت خلاصة الرسالة نقلاً عن المقطم)

والامر واضح ان نروج ودت ان تنفصل عن اسوج برضى الملك لانها طلبت ان يكون احد اولادهِ ملكاً عليها وهو دليل قاطع على حبها لهُ واعترافها بفضلهِ ولما ابى ذلك نقل البرق في حينهِ ان النروجيين يتحدثون باختيار البرنس كارل الدنماركي ملكاً عليهم وهو ثاني اولاد ولي العهد في بلاد الدنمرك ولد سنة ١٨٧٢ واقترن بالبرنسس مود ابنة ملك الانكليز في ٢٢ يوليو فاذا تم ذلك جلست ابنة ملك الانكليز على سرير نروج وجلست ابنة عمها التي اقترنت بالبرنس جوستاف ادولف على سرير اسوج

وقد امتاز حكم هذا الملك العادل بالسعي المتواصل في مصلحة المملكتين فارتقتا زراعة وصناعة وتجارة وعلماً وادباً ولم يدخر وسعاً في البحث عما تحتاج اليهِ رعيتهُ فيطوف في الولايات ويحادث الناس ويتطلب الوقوف على الحقائق . وقد يقف فجأَة في اماكن البوليس يسمع محاكمة الذين أُخذوا في المخالفات . ومن رأْيهِ ان الملك مضطرٌّ الى تضحية امياله الشخصية لاجل مصلحة شعبهِ اذا اقتضت ذلك . وهو من اهل التقى والصلاح فلا يصعب عليهِ ان يحرم نفسهُ نفعاً لكي تنالهُ رعيتهُ . وقد وجد في زوجتهِ اكبر معين لهُ ولهما اربعة اولاد الاول البرنس غستاف ولي العهد وبكرهُ البرنس غستاف ادولف الذي اقترن حديثاً بابنة اخ ملك الانكليز . والثاني البرنس اسكار برنادوت وقد تنازل عن حقهِ في الملك لكي يقترن بفتاة ليست من الاسرة المالكة . والثالث البرنس كارل . والرابع البرنس اوجين

والملك مثال الفضيلة وطهارة السيرة والمحبة العائلية فوق ما هو ممتاز بهِ من الشهرة العلميَّة والادبيَّة

الفقر في بلاد الغنى

مهما يقل عن فقر العامل والفلاح في هذا القطر فانهُ لا يبلغ فقرهما في بعض الممالك التي يعدُّ اهلها في طليعة الامم غنى وجاهاً . ولا تشتد بهما الحاجة ولا يعضهما الجوع بنابهِ فيحيتهما تضورًا او يحملهما على فعل ما فعل العمال في لندن عاصمة العواصم واعظم مدن الارض غنى واكثرها سكانًا . فقد ضاق باب الرزق في وجه الوف من العمال هناك هذه الايام فخرجوا الى الشوارع يحملون ادواتهم بايديهم و يسوقون نساءهم واولادهم امامهم سوق الانعام لعلَّ اولي الامر ينظرون ما صاروا اليهِ من الذل والفاقة فتأخذهم الشفقة عليهم و يرثوا لبلواهم ويخففوا الضيم عنهم

فاهتمت الحكومة بامرهم ووضعت مشروع قانون سمتهُ قانون الذين لا عمل لهم وعرضتهُ على مجلس النواب ليصادق عليهِ وينفذهُ . ولكن حدث ما أخر المصادقة عليهِ فاجتمع سبع مئة امراة انكليزية زوجات سبع مئة عامل وقصدن مجلس النواب ليقابلن رئيس الوزارة ويطلبن التعجيل في تنفيذ القانون المشار اليهِ . وكان كثيرات منهنَّ لابسات ملابس رثة وحاملات اطفالهنَّ على ايديهنَّ فلما بلغن المجلس استقبلهنَّ عضوان من اعضائهِ وابلغا المستر بلفور رئيس الوزارة امرهنَّ فطلب ادخالهنَّ اليهِ فدخلن وكنَّ قد عيَّنَّ امراة لمخاطبتهِ بالاصالة عن نفسها والنيابة عنهنَّ فقرأت امامهُ عريضة طلبت فيها ان يصادق على القانون برمتهِ . ثم قالت وقد أُخبرنا ان المجلس ينصرف بالاجازة في ١٢ اغسطس وليس قصدنا الآن لوم اعضائهِ ولكننا نقول بكل احترام ان حالتنا نحن واولادنا والوف مثلنا في طول البلاد وعرضها لا تقلُّ في اهميتها عن اهمية الاجازة لهم

فاجابهنَّ جوابًا قصيرًا مآلهُ ان الحكومة تبذل اقصى المجهود لحمل المجلس على المصادقة على القانون . لانهُ يعلم مقدار ما هناك من الضيم والشقاء

فقالت مسز تيلر (اسم المرأة التي انتدبت للكلام عن اخواتها) لست اظنك عالمًا بكل ما حلَّ بنا . فاجاب ان كنت لا اعلمهُ كلهُ فاني اعلم بعضهُ . ثم أبلغ النساء ان مدة المقابلة انتهت . وقابل الوفد السرهنري كمبل بنرمن زعيم الاحرار والمستر ردمند زعيم الارلنديين فطيبا خواطرهنَّ ووعداهنَّ انهما هما وحزبهما لا يعارضون في تنفيذ القانون

اما القانون المشار اليهِ فغايتهُ تكفُّل الحكومة بتدبير اعمال للعمال حينما يضطرون الى العطلة

نلسن ووقعة طرف الغار

اخبار الحرب في الشرق الاقصى اليوم وخصوصاً ما يأتيهِ اليابانيون فيها من الشدة والبأس مع الدهاء والتجربة المنجزة تجيل في الخيال صور الماضين من العظام حتى يتراءى للمرء ان ارواحهم تناسخت فظهروا اليوم باسم كروكي وطوغو وغيرهما . وقد اذكرني هذا البحري الياباني زميلهُ نلسن الانكليزي ووقعة طرف الغار فاحببت ان اذكرها لقراء المقتطف الاغر والشيء بالشيء يذكر

ولد نلسن في نور فوك من البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٥٨ وكان يميل الى اقتحام الامور العظيمة منذ نعومة اظفاره فطلب العيشة البحرية ودخل الاسطول سنة ١٧٧٠ فخدم الخدم الطيبة وامتاز بالابداع والهمة خصوصاً جرأة الصدر ساعة المخاوف والمعاطب حتى قال عنهُ الملك وليم الرابع انهُ " ربان صبي مع حماسة تدل على انهُ فوق المعتاد من الرجال " . ولما نشبت الحرب بين الانكليز والافرنسيس سنة ١٧٩٣ رأس نلسن اسطولاً صغيرًا وأُرسل الى البحر المتوسط ومع ان سفينتهُ كانت من احط سفن الاسطول اظهر من الجرأة والكمال في الصناعة البحرية ما جذب الانظار نحوهُ وجعلهُ محط الآمال . وقد كان لهُ الفضل الاعظم في حصار (باستيا) وتسليمها . ثم ان الدولة الاسبانية بعد اتحادها بالدولة الافرنسية شهرت الحرب على البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٩٦ فالتقى اسطولاهما الواحد بالآخر اتفاقاً قرب رأس سنت ڤنسنت وكان الاسطول الاسباني مؤلفاً من سبع وعشرين سفينة والاسطول الانكليزي من خمس عشرة فخرق امير البحر الانكليزي السر جون جرڤس خط العدو وقطع منهُ تسع سفن فحاول امير البحر الاسباني رتق الفتق بدورانهِ حول مقدمة اسطولهِ ليتصل بما انفك عنهُ الأ أن نلسن ساق سفينتهُ من مركزهِ في مؤخر الاسطول على رغم من رئيسهِ امير البحر وقطع على العدو سبيلهُ فاحبط مسعاهُ وكسرهُ شر كسرة ولولا ذلك لما فاز الانكليز بامنيتهم سبق الغالب وسُمع ينادي عسكرهُ في وطيس هذه الوقعة الهائلة " اما مقبرة وستمنستر واما الظفر " وكوفئ بعدها برتبة امارة البحر ولم يؤاخذ بخلع طاعة رئيسهِ السر جون جرڤس

وقاد بونابرت قرب ذلك الزمن اسطولاً الى مصر ليهدد الانكليز بالتعرض لشؤون الهند فهاجمهُ نلسن عند ابي قير في ايار (مايو) سنة ١٧٩٨ وكانت النتيجة ان الاسطول الافرنسي

وهو مؤَلف من ثلث عشرة سفينة لم ينجُ منهُ الاَّ سفينتان فقط على ان سفنهُ كانت اعظم من السفن الانكليزية

وقد اقرت الدول العظمى لانكلترا بالسيادة البحرية منذ وقعة ابي قير هذه وكان الفضل الاعظم فيها لبراعة نلسن واقتدارهِ

ثم انهُ رأَى ان نابليون يعد اسطولاً جديداً سنة ١٨٠١ لمهاجمة السواحل الانكليزية فهاجمهُ قبل ان يتم مشروعهُ وعقد معهُ معاهدة اميان التي بلغ بها من المكانة في قلوب الانكليز انهم صاروا يقرون لهُ بالرئاسة في البحرية الانكليزية .

ومما ينتقد عليهِ في هذه الاثناء صحبتهُ امرأَة السير وليم هاملتن التي اشتهرت بجمالها فلم يقدر على اخفاء ما يكنُّهُ لها لان الجنس اللطيف — وخصوصاً من كان مثل محبوبتهِ — كان يفعل بهِ ولا فعل الطلسمات المسطرة في كتب الاوائل فعانى منها التعب وجرت عليهِ صحبتها بعض القلاقل حتى اضطر ان يطلق امرأَتهُ

لكن ذلك لم ينقص من قدرهِ شيئاً عند تجدد الحرب سنة ١٨٠٣ فانهُ رأَس العمارة في البحر المتوسط فرسا قرب طولون وحصر الاسطول الافرنسي داخل المرفإِ سنتين على ان اضطراب الجو وسعي العدو في الهرب وطول زمن الحصار مما لا يثبت عليهِ الاَّ امثال نلسن . وكان نابليون في هذه الاثناء يجيش الجيوش ويجمع الاساطيل قرب بولونيا لشن الغارة على البلاد الانكليزيَّة فأَفلت الاسطول الافرنسي من حصارهِ في اواخر آذار (مارس) سنة ١٨٠٥ وقصد اميرهُ المسيو ڤيلنوف جمع اسطول اسباني وقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي الى جزر الأَنتيل ثم الرجوع الى الشطوط الاوربية لانتياش ما بقي من الاساطيل الافرنسية تحت الحصار ثم الوصول الى بولونيا للاتحاد بنابليون . اما نلسن فانهُ تعقبهُ لكن عاقهُ عن اللحاق بهِ تفتيشهُ عنهُ في اميركا الجنوبية وغيرها وقيام الاعاصير في سبيلهِ فارسل بعض السفن الخفيفة لتخبر امارة البحر الانكليزية بتقدم اسطول العدو نحو شطوط اوربا فبعثت هذه من اضطرهُ ان يلتجيء الى فرول . اما نلسن فانهُ لما خفي عنهُ موقع ڤيلنوف وقارب الشطوط الاوربية ذهب الى بلاد الانكليز فانتهز ڤيلنوف الفرصة وفر من فرول الى قادش في الجنوب مخالفاً مقاصد رئيسهِ نابليون فلما أُشعرت البحرية الانكليزية بالامر جعلت نلسن رئيساً على اسطول كبير وارسلت معهُ امير البحر كولنغود ليهاجما العدو في ملجإِهِ فجرت هنالك وقعة طرف الغار الشهيرة شطر موضوعنا وهاك خلاصتها مأْخوذة عن سوثي واوكنور مورس وغيرهما

وقعة طرف الغار

في الرابع عشر من ايلول باكرًا رجع نلسن الى پورتسموث وبعد ما قضى بعض الشؤون على الشاطىء سعى في الوصول الى البحر بطريق معزولة لعلهُ يتخلص من زحمة جمهور المودعين غير انهُ وقفت في طريقهِ عصابة منهم كانت تتقدم الى الامام لتلمح وجههُ وكثير منها كان يغسل خديهِ بماء عيونهِ ويضرع الى الله طالبًا لهُ البركة

كان لانكلترا عدد من الابطال كبير لكنها لم يكن لها احد بلغ بهِ حب بني ملتهِ ما بلغ حب نلسن لهم وكلهم كانوا يعلمون ان قلبهُ مفعم بالرأفة والانسانية كما هو خالٍ من شوائب الخوف وانهُ لم يكن في فطرتهِ اقل صبغة انانية او طمع بل انهُ خدم بلادهُ بكل ما في وسعهِ بقلبهِ وروحهِ وقوتهِ مع الغيرة الخالصة والجنان الثابت لذلك كانوا يحبونهُ بصدق واخلاص كما كان يحب بلاد الانكليز

وبعد ما قطع نلسن في البحر شوطًا بعيدًا وقارب قادش وعلم ان ڤيلنوف لا يخرج الى عرض البحر ما دامت قوة الانكليز تقارب قوتهُ امر ثمانيًا من سفنهِ ان تختفي عن العيان ليستدرج عدوهُ ويستفزهُ الى الحرب فجازت عليهِ الحيلة وعند طلوع الفجر شوهد الاسطول الافرنسي مع حليفهِ الاسطول الاسباني من ظهر سفينة "فكتري" سفينة نلسن على شكل خطين متوازيين وكان الاسطول الانكليزي مؤلفًا من سبع وعشرين سفينة واربع بوارج واسطول العدو من ثلاث وثلاثين سفينة وسبع بوارج كبيرة وافضليتهُ من جهة الكبر والضخامة اكثر مما هي من جهة العدد وقد حملت سفنهم من العساكر نحو اربعة آلاف شرذمة نخبة من رماة بالبنادق

اما نلسن فانهُ صعد الى ظهر سفينتهِ بعد الشروق تمامًا وكان هذا اليوم (اليوم الحادي والعشرون من اكتوبر) يوم عيدٍ في اسرتهِ لان عمهُ قهر في مثلهِ اسطولًا افرنسيًا اكبر من اسطولهِ . وكان نلسن يتفاءل بهِ ويظن انهُ يكون يوم مجالهِ ايضًا وامثال هذه الخرافات قلما يخلو منها احد تمامًا

وكان الهواء حينئذٍ نسيمًا خفيفًا مع هباتٍ شديدة تهب من الغرب . وقد اشير الى الاسطول بالحملة على العدو بخطين فرفعت الاشرعة وكان كولنغود على امرة خط الوقاية (المقابل لجانب مهب الريح) ومعهُ اربع عشرة سفينة ونلسن على خط الريح ومعهُ خمس عشرة سفينة ولما راى هذا ان الامور طبق مرغوبهِ ذهب الى مقصورتهِ وكتب الدعاء الآتي: —

"يا الهًا عظيمًا اعبدهُ تعطف بالنصر على بلادي وعلى مصلحة اوربا عمومًا وليكن هذا

النصر المنتظر خالياً من اقل سوء تصرف يشوبهُ ولكن الانسانية بعدهُ سائدة في الاسطول البريطاني اما انا فانني اسلم نفسي للذي خلقني ولتهبط بركاتهُ على اجتهادي في خدمة بلادي ولهُ افوض امري والامر العادل الذي خولتهُ لاحميهُ . آمين"

ثم صعد بلاكوود الى سفينة " فكتري " نحو الساعة السادسة فسألهُ نلسن بعد ما شام مخايل الخير وتوسم حسن المنقلب ووطد نفسهُ على اسر عشرين سفينة على الاقل وان كان العدو منيعاً "هل يوجد في الاسطول البريطاني نقص في الاشارات الحربية " فقال بلاكوود انهُ يظهر لهُ ان الاسطول يفهم موقعهُ فهماً واضحاً وما كاد يتم جملتهُ هذه حتى اشار نلسن الى الاسطول باشارة نهائية ستخلدها الايام ما خلدت لغة الانكليز او ذكرهم وتلك الاشارة عبارتهُ المأثورة "ان بلاد الانكليز تتوقع من كل رجل قيامهُ بواجبهِ"فاجاب الاسطول هذه الاشارة بهتاف شديد . ذكر المؤرخون ان فيلنوف قال لما سمع هذه الجلبة الانكليزية " هلكنا وقضي الامر " قال نلسن " الآن لا اقدر ان اقوم باكثر مما فعلت . يجب علينا ان نفوض امورنا وحجتنا العادلة لمجري الامور جلَّ وعلا واني اشكرهُ على هذه الفرصة العظيمة فرصة القيام بالواجب "

ولبس في ذلك اليوم لباسهُ الرسمي كالمعتاد وعلى صدره عن اليسار اربعة اوسمة احرزها وقد تطيَّر ضباطهُ منها لانها تجعلهُ شخصة الآكل وغرض الرامي خصوصاً لما كانوا يعلمون من وجود احسن الرماة بالبنادق في الاسطول الافرنسي . فبث بعضهم لبعض خوفهُ وودوا لو يقنعهُ احد بتغيير لباسهِ لكنهم علموا ان مثل هذا الكلام يثير غضبهُ . ففي احد مواقعهِ الغابرة لما اشير عليهِ بمثلهِ قال " بالشرف احرزتها وبالشرف اموت معها "

وكانت خطة نلسن ان يقطع خط العدو من نقطتين لان ذلك يكون احسن مغبة واشد تأثيراً مما لو قطعهُ من نقطة واحدة ما دام عدد الاساطيل المحاربة كبيراً وقدَّم مراكبهُ الى الشمال ليقطع على العدو خط الانفلات الى قادش ومن ثم كان كولنغود مفتاح الحرب وقد اعجب بهِ نلسن وغبطهُ على انهُ السابق في معمعان هذه الموقعة

ثم صوَّب العدو مدفعاً مفردًا على سفينة فكتري وبقي يطلقهُ حتى راى انهُ خرق شراعها الاوسط ثم صوَّب عليها مدافعهُ الجانبية مخصصاً منها حبال صواريها لعلهُ يعطلها قبل ان تلتحم بهِ وقد رفع نلسن اعلاماً عديدة كالعادة حتى اذا اتلف واحد منها يقوم مقامهُ غيرهُ اما العدو فانهُ اخفى اعلامهُ

وفي الاثناء اتجهت سفينة فكتري نحو احدى السفن الافرنسية الكبيرة فكانت النيران

الجارفة تنزل عليها متوالية وكان كاتب الاميرال من اول فريساتها اصابتهُ قنبلة وهو يتحادث مع هاردي الربان فاختطفتهُ من بين اصحابهِ وصيرتهُ الى اعمالهِ . ثم اصابت قنبلة أُخرى جماعة من البحارة قتلت منهم ثمانية فطلب نلسن من الربان ان يفرق رجالهُ في السفينة

وبعد بضع دقائق اصابت رمية نارية العمودين اللذين تربط بهما اطراف عوارض الصاري في مؤخر السفينة ومرت بين نلسن وهاردي واصابت شظية من العمودين الثاني فرضت رجلهُ فوقف كلٌّ منهما يتأمل صاحبهُ وقد ظنَّ انهُ جرح فتبسم نلسن وقال " بلغت الشدة بهذا العمل يا هاردي انهُ لا يدوم طويلاً "

اما سفينة فكتري فانها ما ردت على عدوها حتى ذاك الحين شرارة من شراراتهِ على ان خمسين من بحارتها اضحوا بين قتيل وجريح وصاريها المقدم انقضَّ مع اشرعتهِ واقطابهِ وقد صرَّح نلسن انهُ ما رأى في كل ما مرَّ عليهِ من العظائم شيئاً يفوق هذه الشجاعة الهادئة شجاعة بحارتهِ في هذا الحادث المدلهم . وبعد الظهر بهنيهة اطلقت فكتري نيرانها على العدو من جانبها

وكان يستحيل على نلسن خرق خط العدو ما لم يستولِ على سفينة من سفنهِ فامر مدير سفينتهِ ان يديرها نحو سفينة للاعداء كبيرة تدعى ردوتابل (هائلة) فاصلتها هذه ناراً حامية صبتها عليها صبة واحدة ثم اغلقت كوات مدافعها فجأة خشية ان يدخل منها الانكليز ومنذ ذلك الحين لم يسمع لها طلق واحد من العيارات الفخمة

ويذكر القارئ ان قسماً من دعاء نلسن كان ان يمتاز الاسطول البريطاني بالانسانية في النصر المنتظر ولكي يعطي لذلك مثالاً بنفسهِ ويعلم مكارم الاخلاق اعطى الاوامر مرتين باماطة الاذى والكفّ عن الردوتابل لانهُ ظنها سلمت ولم يكن لديهِ شيءٌ آخر غير سكوتها يثبت لهُ امر التسليم لانها لم يكن لها راية وقد جاءهُ القضاء وعاجلهُ حمامهُ منها بعد ما حماها مرتين . فان قنبلة اطلقت من قلعة صاريها المؤخر اصابتهُ في كتفهِ اليسرى فوق رباطهِ العسكري على بعد خمسة عشر يرداً فانكب على وجههِ في البقعة التي تلطخت بدم كاتبهِ

وكان هاردي على بعد بضع خطوات منهُ ولما التفت اليهِ وجد ثلاثة رجال يحملونهُ فقال نلسن " قد وقعت انا ايضاً يا هاردي " فقال " ارجو ان لا يكون ذلك " فاجابهُ " نعم ان سلسلتي الفقرية اخترقت " ولم يغب وعيهُ حتى ذلك الحين لحظة واحدة ولاحظ وهم ينزلونهُ على السلم ان حبل الدفة الذي كان اتلف لم يغير فامر بتجديدهِ . ثم غطى وجههُ واوسمتهُ بمنديلهِ كيلا تراهُ البحارة

وكان مستشفى السفينة طافياً بالجرحى والمحتضرين فلما نقلوا نلسن اليهِ لاقوا منهم بعض

الصعوبة . ثم انهم وضعوهُ في محل المنامة الاوسط وقد تبين بعد ذلك ان الضربة قاضية فأُخفي هذا عن الكل الا هاردي وقسيس السفينة والمطبيين . وقد تحقق هو من الشعور الذي حدث في ظهرهِ ومن اندفاق الدم في صدرهِ ان لا اعتناء ولا تطبب يجديانهِ نفعاً فامر الجراح ان يفارقهُ الى من يرجى لهُ النفع منهُ وكان كل ما يمكنهم عملهُ ان يروحوهُ بقطع الورق و يسقوهُ كوبات من شراب الليمون ليطفئ ظماءهُ الشديد

وكان وجعهُ شديداً جداً وقد اظهر اهتمامهُ بماجريات الحرب التي ابتدأت تتكشف وكانت بحارة فكتوري تهتف كلما سلمت سفينة من سفن الاعداء وكان لكل هتاف اثر استبشار في وجه البطل المحتضر يومض في عينيهِ

وبعد ساعة وعشر دقائق من جرح نلسن عاد اليهِ هاردي فتصافحا ساكتين وحاول هذا ان يتغلب على شعورهِ في مثل هذه الساعة المؤلمة لكنهُ عبثاً يحاول . قال لهُ نلسن "كيف حال الاقدار معنا اليوم" فاجابهُ جيدة جداً . قد سلمت عشر سفن وغيرت طريقها خمس من مقدمة الاسطول تريد الحملة على سفينتك وقد دعوت اثنتين او ثلاثاً من سفننا لردها ولا اشك انني اسحقها" فقال نلسن "ارجو لك ذلك". وسألهُ هل سلمت سفينة من السفن الانكليزية فاجابهُ "لا خوف من هذا الامر"

ثم تكلم نلسن في نفسهِ وقال "اصبحت ميتاً يا هاردي وسينتهي بي الامر قريباً". فاظهر هاردي املهُ ان يكون عند الجراح امل بالبقاء فاجاب نلسن "كلا هذا يستحيل لان ظهري خرق وسيخبرك الجراح بهِ" ثم صافحهُ هاردي مرة ثانية وفارقهُ الى ظهر السفينة بقلب يكاد يمزقهُ الاسى

وفي اثناء ذلك فقد نلسن كل شعور مما دون صدرهِ من جسمهِ وبعد ما اخبر الجراح بهِ قال لهُ "انت تعلم انني مضيت الى سبيلي وانا اعلمهُ واني اشعر بشيء يصعد في صدري (واضعاً يدهُ على يسارهِ) يدلني" ولما سألهُ الجراح عن المهِ اجابهُ "بلغ بي الالم انني افضل لو كنت ميتاً لكن الرجل في موقفنا (بصوت اخفض) يود لو يمتد اجلهُ هنيهة اطول"

وبعد ان غاب الربان هاردي عن المستشفى خمسين دقيقة عاد اليهِ وصافحهُ مرة ثانية وهنأهُ بالنصر التام على الاعداء واخبرهُ انهُ يجهل عدد السفن التي سلمت لكنها على الاقل اربع عشرة او خمس عشرة فقال نلسن "حسن ولكني سمتُ العشرين". ثم قال بصوت اشد "القِ المراسي يا هاردي القها" فاشار اليهِ ان الاميرال كولنغود يأخذ ادارة الامور على نفسهِ فقال "لا يكن ذلك وانا حيٌّ القِ المراسي القها"

ثم دعا اليهِ هاردي وقال لهُ بصوت منخفض " لا تقذف بي من السفينة " واظهر رغبتهُ في ان يقبر قرب والديهِ ما لم يرَ الملك خلاف ذلك. ثم عاد الى الخصوصيات فقال " قبلني يا هاردي " فانحنى عليهِ وقبلهُ من خدهِ فقال نلسن " الآن قد اكتفيت اني اشكر الله على قيامي بواجبي " فوقف هاردي فوقهُ دقيقة او دقيقتين لا ينبس ببنت شفة ثم انحنى عليهِ وقبلهُ مرة ثانية وفارقهُ فراقاً لا لقاء بعدهُ

وأحب نلسن الآن ان يقلب ذات اليمين وقال " ليتني لم اترك ظهر السفينة لأن الامر سينتهي بي قريباً " وكان الموت يقترب منهُ مسرعاً واصبح لفظهُ ثقيلاً لكنهُ سُمع يقول بوضوح " اشكر الله قد قمت بواجبي " وبقي يردد هذه الجملة حتى كانت اخر كلامهِ وفارق دنياهُ في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين اي بعد ثلاث ساعات وربع من اصابتهِ

وكان قد سقط بعد جرح نلسن بنحو ربع ساعة ما ينيف على الخمسين من عسكر فكتري ببنادق العدو ولم يمضِ طويل حتى لم يبقَ على صاري الردوتابل المؤخر غير اثنين فقط احدهما قاتل نلسن لكنهُ لم تطل حياتهُ ليفتخر بفعلتهِ فان ضابطاً انكليزيًا مسنًا عرفهُ من قبعتهِ فدلّ عليهِ من قتلهُ وهو يطلق النار والثاني قتل وهو يحاول النزول الى السفينة . ولما سلمت الردوتابل وُجد قاتل نلسن ملقى على قلعة الصاري وقد اصابتهُ رصاصة في صدرهِ واخرى في رأسهِ . اما خسائر الانكليز في وقعة طرف الغار فقد بلغت الفاً وخمس مائة وسبعة وثمانين رجلاً وسلم العدو فيها عشرين سفينة لكنهُ كان يستحيل على الاسطول القاءه المراسي كما اشار اليهِ نلسن فإن عاصفة هبت من الجنوب الغربي غرق بسببها بعض المسلوبات والبعض الآخر ذهب الى الشاطىء والبعض اتلف وواحدة افلتت الى قادش ولم يسلم للانكليز الا اربع سفن بعد الجهد

وكانت وفاة نلسن اشد تأثيرًا على الامة الانكليزية من فاجعة عمومية فان الناس ارتاعت عند سماعها واصفرت وجوهها كأنها فقدت صديقاً حميماً وبلغ ما عملهُ نلسن من الاتقان ان الحرب البحرية بعد طرف الغار عدت منتهية وان بحر المانش الذي كان يسميهِ نبوليون " خندقاً رطباً " بات سدًا منيعاً يزري بسد الاسكندر الكبير

دمشق عبد الرحمن شهبندر

ايضاحات لُغوية

الايضاح الثالث

في ان اللغويين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد

من تصفح كتب اللغة رأى ان اللغويين الاولين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد . وهنذا اسوق اليك ادلةً من كلامهم مما رواهُ صاحب اللسان والجوهري والزبيدي والفيروزابادي تثبت لك صحة ما اقول (١) جاء في اللسان (الملاَّح) حمضة مثل القلام فيهِ حمرة يؤكل مع اللبن و (٢) قال ابن بري (النيتون) شجرة خبيثة منتنة وقال ابو عبيدة (النيتون) شجر منتن و (٣) قال ابن شميل (الاراك) شجرة طويلة خضراء ناعمة الورق وفي اللسان (الاراك) شجر معروف و (٤) في اللسان (الهيثم) شجرة من شجر الحمض جعدة و (٥) (الهفَّة) السحاب لا ماء فيهِ وفي القاموس (سحابة هفيَّة) لا ماء فيها و (٦) قال في الصحاح (النُعَرة) مثال هُمَزة . ذباب ضخم ازرق العين اخضر وقال ابن منظور (النعر) ذباب ازرق يدخل في انوف الحمير والخيل . وقال الاحمر (النعرة) ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها و (٧) (الخورَم) صخور لها فروق الواحدة خورمة و (٨) (الدمث) السهول من الارض و (٩) (الزارّة) الذبابة الشعراء وفي بعض النسخ الذباب ومثلهُ في التكملة و (١٠) في التكملة ايضاً (الشرَجبان) شجرة مشعانة وقال ابن الاعرابي (الشرَجبانة) بالضم وقد تفتح شجرة مشعانّة و (١١) في اللسان والتاج (الرَشأ) شجرة تسمو فوق القامة . وعشبة الواحدة رَشأة و (١٢) في الصحاح (الحنتم) الجرّة الخضراء . وفي اللسان (الحنتم) جرار خضر تضرب الى الحمرة الواحدة حنتمة و (١٣) في التهذيب للازهري (عناقيُّ الحلي) ثمرتهُ اذا ايبضَّت ويبست و (١٤) (الحبن) شجرة الدفلى و (١٥) (الطلح) شجرة الخ عن ابن شميل . قلت الاولى ان يُفسَّر اسم الجنس بمثلهِ مراعاةً للمطابقة على ان اللغويين الاولين ما كانوا ليستعملوا الوجهين الأَوهم على بينةٍ من صحة كلّ منهما فتفسير اسم الجنس بالواحد وبعبارة اخرى تفسير الجمع بالمفرد انما هو باعتبار ان اسم الجنس يطلق على الواحد اتساعاً فيكون من ثمَّ من باب تفسير المفرد بمفرد مثلهِ . وعلى هذا خرجهُ ابن جني وقال هذا كما في خرجت فاذا السبع

غير ان الذين انتقدوا القاموس لم يحفلوا بهذا التخريج أو لم يخطر لهم على بالٍ وعندي انهُ

كما استطعنا اقامة دليل على جواز صورةٍ من صور التعبير نكون كمن وهب الكاتب هبةً تخرجهُ من الشدة وتنقلهُ من الضيق الى السعة

الايضاح الرابع

في اختلاف اللغويين في الإطلاق والتقييد

اكثر ما ينشأ هذا الاختلاف عن التدقيق والتسامح فمن دقَّق النظر قيَّد ومن تسامح أطلق ثم جاء المتأخرون فمن اطلَّع منهم على كلام اهل التدقيق رواهُ كما رآهُ ومَن لم يظفر الَّا بكلام المتسامحين نقلهُ كما وجدهُ . واما من ظفر بكتب الفريقين فلا مراء انهُ يختار تفسير المدقّقين

واعلم ان هذا التقييد قد يكون راجعاً الى معنى الحرف . وقد يكون راجعاً الى انهُ لغة قبيلة . او الى انهُ غير ثبت كما ترى فيما أروي لك من الامثلة المنقولة عن كتبهم

قال المجد والفيومي في مادة (ش ح ن) الشحناء : العداوة وقال الراغب في مفرداتهِ الشحناء : عداوة تملأُ النفس

وقال المجد في مادة (ا ر ز) الأَريز : اليوم البارد وقال ابن منظور . يوم أريزٌ : شديد البرد . وقال المجد في مادة (ع ص م) العصام : الكحل وقال بعضهم العصام : الكحل في بعض اللغات

وفي مادة (ك د م) من القاموس الكَدَمة : الحركة : وفي اللسان الكَدَمة : الحركة عن كراع . وليست بصحيحة

وفي مادة (ع ض ب ل) من القاموس العضبل : الصلب وزاد الشارح " حكاهُ ابن دريد عن اللحياني وقال ليس بثبتٍ "

وفي مادة (ق ف ع) من القاموس . القُفَّاعة . بالضم : شيء يتخذ من جريد النخل ثم يُقذَف بهِ على الطائر فيصاد

وزاد الشارح قال ابن دريد هي كلمة عراقيَّة ولا احسبها عربية

وفي مادة (ف ر ع) من القاموس أُفرع بسيد بني فلان بالضم : اخذوهُ وفي اللسان افرع بسيد بني فلان : أُخذ فقتِلَ . وفي الاساس في مادة (ف ر ق فرَق لي الطريقُ فروقاً وانفرَق انفراقاً : اتَّجه لك طريقان واستبان ما يجب سلوكهُ منهما . وفي اللسان والصحاح والقاموس فرَق لهُ الطريقُ : اتَّجه لهُ طريقان

وفي مادة (ب خ ت) من القاموس البخيت المحظوظ . وزاد في اللسان قال ابن دريد ولا احسبها فصيحة

وفي مادة (و ب ر) قال الصاغاني الوبار : شجرة حامضة تكون بتبالة . وفي القاموس شجرة حامضة شاكة تكون بتبالة . قال في التاريخ " نقله الصاغاني ولم يقل شاكة وكأن المصنف زاده لبيان التسمية كأنَّ شوكها الصغير مثل الوبر . وتبالة ارض معروفة "

الايضاح الخامس

في التوجيهات اللغويَّة

اعلم ان مدار التوجيهات اللغويَّة على الاشتقاق او المجاز او القلب او الابدال . فمن التوجيهات المبنية على الاشتقاق (١) ما جاء في مادَّة (ان س) من اللسان قيل للانس إنس لأنهم يبصَرون كما قيل للجن جنٌّ لانهم لا يؤنسون اي لا يبصَرون

و (٢) ما جاء في مادَّة (اوب) من التاج الأوْب النحل قال ابو حنيفة سميت أوبًا لا يابها الى المباءة

و (٣) ما جاء في مادة (ش ب ك) الشبك محركةً اسنان المشط لتقاربها و (٤) ما ورد في مادَّة (ان ي) من اللسان الإناء الذي يرتفق بهِ وهو مشتقٌ من ذلك (اي من الإنى بمعنى النضج والادراك) لانهُ قد بلغ أن يعتمل بما يعاني بهِ من طبخ او خرز او نجارة

و (٥) ما ورد في مادَّة (ه ل ل) الهلال سمي هلالاً لأن الناس يرفعون اصواتهم بالاخبار عنهُ

و (٦) ما ورد في مادَّة (ه و س) الهوْس المشي الذي يعتمد فيهِ صاحبهُ على الارض اعتمادًا شديدًا ومنهُ سمي الأسد الهوَّاس

و (٧) ما ذكرهُ الراغب في مادَّة (س ر ر) في مفرداتهِ وهو قولهُ السرير ما يجلس عليهِ من السرور اذ كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيهًا لهُ في الصورة

و (٨) ما قالهُ ابن منظور في مادَّة (وزر) في اللسان الوزير في اللغة اشتقاقهُ من الوَزَر . والوزر الجبل الذي يعتصم بهِ لينجي من الهلاك وكذلك وزير الخليفة الذي يعتمد على رأيهِ في اموره ويلتجئ اليهِ . وقيل قيل لوزير السلطان وزير لانهُ يزرعن السلطان اثقال ما اسند اليهِ من تدبير المملكة اي يحمل ذلك وفي الصحاح الوزير الموازر كالأكيل المواكل لانهُ يحمل عنهُ وزرهُ اي ثقلهُ

و (٩) ما جاء في مادة (س رد) من اللسان ونصهُ السرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق . سمي سرداً لانهُ يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار

و (١٠) ما ورد في مادة (و زع) الاوزاع بطون من حمير . سموا بهذا لأنهم تفرّقوا

و (١١) ما جاء في اللسان في مادة (ع ف ر) العفرناة اما ان يكون من العفر الذي هو التراب . واما يكون من العفر الذي هو الاحتفار . واما ان يكون من القوة والجلد

و (١٢) قول صاحب اللسان في مادة (ا م م) الموام بتشديد الميم المقارب . أخذ من الأم وهو القرب يقال هذا امر موام

و (١٣) قول صاحب اللسان ايضاً في مادة (ص د ي) فلان يتصدى لفلان مأخوذ من اتباعهِ صداه اي صوتهُ

و (١٤) قول صاحب التاج في مادة (ح و ل) الحول السنة اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها

و (١٥) قول صاحب اللسان في مادة (ث غ ر) ومنهُ قيل للموضع الذي تخاف ان يأتيك العدو منهُ في جبل او حصن ثغر لانثلامهِ وامكان دخول العدو منهُ

و (١٦) ما ورد في مادة (ح ط م) سميت النار الحطمة لانها تحطم كل شيء

سعيد الخوري الشرتوني

بين روسيا واليابان

عقد الصلح والغرامة

كتب احد كبار الكتاب مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة قال فيها ما خلاصتهُ

لا تمضي بضعة اسابيع من كتابة هذه السطور حتى تبيت روسيا ولا قِبَل لها بالاستمرار على الحرب وماذا تفعل حينئذٍ أتعقد الصلح ام تخلي منشوريا وشرقيّ سيبيريا وتسترجع بقية جيشها الى اركتسك كما تهددت وتوعدت ان تفعل واذا عقد مؤتمر الصلح فماذا يكون سلوك روسيا فيهِ وماذا تكون مطالب اليابان . ومتى يسوَّى بين الخصمين وكيف تكون التسوية وما تكون نتائجها . هل يعقب الحرب الحاضرة سلسلة حروب طويلة بين روسيا واليابان

لا تنقطع لها حلقة وتبقى منشوريا عظمة الخلاف بينهما قروناً طوالاً وارضها ساحة للقتال والجلاد وتطاعن الاقران

هذه اهمّ المسائل التي تسأل في الاندية السياسية الآن بل ربما كانت اهمّ مسائل القرن الحاضر

اما اليابان فلم تعلن مطالبها بعدُ . فهي تحذر اعلانها قبلما تعترف روسيا بضرورة عقد الصلح وتعزم حقَّ العزم على عقدهِ حالاً وتقرُّ انها مغلوبة . ثم ان الشروح التي تعلقها الجرائد الموالية لروسيا في كلِّ بلاد على شروط الصلح قد تجرّئُ روسيا على مقاومة مطالب اليابان جهد الامكان والمطاولة في مفاوضات الصلح الى ما لا حدَّ لهُ . فلذلك رأت اليابان ان الاعتصام بالفطنة والتأني خير ما يليق بها في الاحوال الحاضرة

وان تكن اليابان قد أبت ان تبوح بمطالبها الى الآن حتى لخلّص اصدقائها ومعتمديها خارج بلادها الّا انهُ لا يعسر علينا كثيرًا ان نعرف اقلَّ تلك المطالب فان اليابان لم تحارب حرب فتحٍ واعتداء بل حرب دفاع عن وجودها واستقلالها وحقوقها . وقد غلبت روسيا اتمّ الغلبة برًا وبحرًا ولكنها لا تريد ارهاقها ولا هو من مصلحتها ان تضعفها وتذلّها . بل بالضد من ذلك لانهُ اذا قويت روسيا وصادقت اليابان عاد ذلك على اليابان باعظم الفوائد . وليس للانتقام والاخذ بالثار محلٌّ في السياسة الصحيحة الرشيدة حيث العقل الاول والعواطف المحل الثاني لان السياسة الرشيدة مبنية على مبادئ تجارية وقواعد اخذ وعطاء دقيقة

هذا ولما كانت اليابان تحارب حرب دفاع حُقَّ لها اولاً ان تطلب عوضاً ماليًّا عن النفقات والخسارة التي جرَّها اعتداء روسيا عليها وهو حقٌّ لا ينازعها فيهِ احد . وحقَّ لها ثانيًا ان تطلب ضمانًا كافيًا يجعل هجوم روسيا عليها في الاستقبال ومحاربتها لها اخذًا بالثار امرًا مستبعدًا ان لم يكن مستحيلاً

وليس تقدير الغرامة المالية التي تطلبها اليابان بالامر السهل اذ لا يعلم احد متى يعقد الصلح وكلُّ يوم يمرُّ قبل عقدهِ يزيد مقدار الغرامة طبعاً . ولعلَّ من العدل والصواب ان يقال ان نفقات اليابان في الحرب الحاضرة تقارب مجموع الديون التي استدانتها والقروض التي عقدتها مدة الحرب ولها . ويضاف اليها مقدار من المال عوض ما المَّ بها من الخسارة بسبب الحرب والنفقات الحربية التي لا بدَّ لها من انفاقها بعد عقد الصلح . وهذا بيان الاموال التي استدانتها اليابان للحرب داخلاً وخارجاً

قروض داخلية

زيادة الدخل . والوفر	٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ين
زيادة الضرائب . واحتكار الدخان	٦٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «
اموال اقترضت من مصالح الحكومة المختلفة ومن الحسابات الخصوصية	٥٥ ٠٠٠ ٠٠٠ «
قرض عقد في ١٣ فبراير ١٩٠٤	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٣ مايو «	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ١٢ اكتوبر «	٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٧ فبراير ١٩٠٥	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٠ ابريل «	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المجموع	٦٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ «

او ٦٤ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه انكليزي (الين نصف ريال مصري)

قروض خارجية في لندن ونيو يورك

قرض عقد في ٩ مايو ١٩٠٤	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
« « ١٠ نوفمبر «	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« « ٢٦ مارس ١٩٠٥	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المجموع	٥٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «

ومجموع المجموع ١١٦ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه . اي ان هذه الحرب كلفت اليابان من اولها الى الآن اكثر من ١١٦ مليونًا من الجنيهات وذلك ما عدا الخسارة التي نالتها في الحرب كما تقدم. منها خسارة الرجال بين من افقدتهُ الحرب احد اعضائهِ فبات عالة على اهلهِ ومن راح قتيلاً فترك ارامل ويتامى لا بدَّ لاهلهم ان يعولوهم وان لم يكن لهم اهل فالحكومة . وعليهِ فلا غنى للحكومة اليابانية ان تنظر في هذا الامر وتحسب حسابهُ عند اقتضاء الغرامة من روسيا

ولا يعلم بالتحقيق عدد الرجال الذين افقدتهم الحرب بعض اعضائهم فباتوا لا يستطيعون عملاً ولا عدد الارامل واليتامى الذين باتوا عالة على البلاد بسبب الحرب ولذلك لا يمكن تقدير الدية التي تفرض على روسيا الأعلى وجه التقريب . ولنأخذ حرب فرنسا والمانيا مثالاً نقيس عليهِ . فان الالمانيين فقدوا في تلك الحرب ٢٠٥٨ ضابطًا و ٤٧٣٢٠ من صف الضباط

والجنود . اما اليابانيون فخسارتهم اعظم كثيرًا . وبعد الحرب السبعينية عينت المانيا ٢٨٠٥٠٠٠٠ جنيه ينفق ريعها على مصابي الحرب و ١٥١٣٤٦٦ جنيهًا معاشات و ٨٩٧٠٠٠ جنيه اخرى . ولكن هذا المال كلهُ كان اقلَّ من القليل حتى ان بعض المعاشات لم يزد على نصف شلين في اليوم فاضطرت الحكومة الالمانية الى زيادة المال لزيادة المعاشات

على انهُ وان يكن عدد الرجال الذين فقدتهم اليابان في هذه الحرب اعظم كثيرًا من الذين فقدتهم المانيا في الحرب السبعينية الَّا ان ما ينفقهُ الياباني اليوم اقلُّ كثيرًا مما كان الالماني ينفقهُ سنة ١٨٧١ . وعليهِ يقدَّر المال اللازم لعيالة منكوبي هذه الحرب من اليابانيين بثلاثين مليون جنيه

والحرب الحاضرة تشبه حرب فرنسا والمانيا في هذا الامر وهو انهُ لا روسيا ولا فرنسا تمكنتا من دخول ارض العدو اذًا فالخسارة التي لحقت الاهالي الالمانيين والخسارة التي لحقت الاهالي اليابانيين متشابهتان . وقد دفعت الحكومة الالمانية الى شعبها بعد حرب فرنسا ٥٦٥٥٠٠٠ جنيه عطلاً وضررًا و ٨٤٠٠٠٠ جنيه الى اصحاب البواخر والسفن وذلك مع شدَّة تدقيقها واقتصادها . ولكن التجارة البحرية الالمانية لم تكن حينئذٍ شيئًا يذكر في جنب تجارة اليابان الآن . وزد على ذلك ان التجارة الالمانية لم تتعطل سوى اشهر قليلة اما تجارة اليابان فقد مضى عليها نحو سنة ونصف وهي معرقلة بسبب الحرب واليابان جزيرة تجارتها وصناعتها متوقفتان على الحرب . وقد خسرت خسارة عظيمة بسبب ارتفاع اجرة الشحن والتأمين وارتفاع اثمان الحاجيات كمواد الطعام والقطن والصوف والحديد والسماد وما اشبه . ومما زاد الطين بلة حسبان روسيا جميع واردات اليابان تقريبًا مواد مهربة ومعاملتها كذلك وعليهِ شرعت تغرق السفن المحملة ارزًا وقطنًا وخشبًا وسمادًا وغيرها حتى ارتفت اثمانها ارتفاعًا فاحشًا . فمما تقدم يتبين جليًا ان خسارة اهالي اليابان في هذه الحرب اعظم جدًا من خسارة الالمانيين في الحرب السبعينية وتقدر بنحو ١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه على القليل

بقي المال اللازم لتجديد الادوات والآلات التي أفنتها الحرب وللانفاق على حكومة منشوريا الملكية ولتعويض ما انفقتهُ الحكومة اليابانية من النفقات الاضافية على سكك الحديد والبوستة والتلغراف مدة الحرب ولسدّ النفقات العظيمة التي يستلزمها ارجاع الجيش الياباني الى بلادهِ وحلّ الفيالق التي اقتضتها الحرب وارجاعها الى اماكنها . ويقدر المال اللازم لذلك بمبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

فاذا جمعنا النفقات المتقدم ذكرها كان لنا اقل ما انفقتهُ اليابان على الحرب وهو مبلغ ١٨١٥٠٠٠٠٠ جنيه . هذا اذا انتهت الحرب عاجلاً

ثم انهُ يحق لليابان ان تطلب اكثر مما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب ناهجة في ذلك منهاج المانيا . فقد قدر بعضهم ان المانيا خسرت في حربها ٥١٠٠٠٠٠٠ جنيه فقط وآخر انها خسرت ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ومع ذلك فقد اخذت من فرنسا نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه غرامة و١٢٫٠٤٧٫٦٧٨ جنيهاً فائدة الغرامة و٨٠٠٠٠٠٠ جزية فرضتها على باريس و٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه جزية اقتضتها من المقاطعات التي احتلتها . اي ان ما اخذتهُ من فرنسا يعادل اربعة اضعاف ما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب او اكثر فلا بدع اذا طلبت اليابان من روسيا ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لتسدّ بها نفقات الحرب وخسارتها وتنفق ما بقي على ترقية شؤُون بلادها وخصوصاً كوريا حيث الحاجة ماسة الى انشاء سكك الحديد والموانئ والطرق والتلغراف والمدارس والمعامل وما شاكل

***

اما من جهة روسيا فقد قال بعض ارباب الامر والنهي فيها انها تخلي منشوريا ولا تؤَدي غرامة الى اليابان . واكد لي بعض كبار الماليين والسياسيين في فرنسا حديثاً ان روسيا لا تؤَدي غرامة مالية الى اليابان بل لا تستطيع تأْديتها. نعم انها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه من اهلها وربما لقيت اشدّ الصعاب في تدبيرها من الخارج ولكن لا مفرّ لها من تأْدية عوض الخسارة التي سببتها وهي تستطيع تدبير الغرامة ولكن ربما اضطرت ان تؤَدي ضماناً الى مداينيها مثل ايراد جماركها او ايراد احتكار المشروبات الروحية او سكك الحديد كما فعلت تركيا ومصر واليابان والارجنتين وغيرها

ولو فرض ان روسيا أَبت دفع ما تطلبهُ اليابان منها واختارت الاستمرار على الحرب الى النهاية لكانت العاقبة عليها وخيمة لان مطالب اليابان تزيد وقد لا يعود رهن ما عندها كافياً لسدّ تلك المطالب فتضطر ان تبيع غاباتها ومناجمها لشركات من الماليين الاجانب. واذا طال على الحرب المطال فقد لا يكفي الرهن والبيع فتضطر ان تتوقف عن دفع الفوائد التي تستحق على دينها الخارجي البالغ نحو ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وتعين فائدتهُ البالغة ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لايفاء فائدة دين جديد تعقدهُ لتأْدية الغرامة

وربما اعترضت روسيا بانها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه بعد حرب ضاقت فيها مذاهبها وفنيت حيلها وفرغت جيوبها فتردّ اليابان اعتراضها بقولها ان الذنب ليس ذنبها

وربما ذكرتها بفرنسا وبالازمة المالية التي مرَّت عليها منذ ٣٤ سنة وقالت لها ان ما فعلتهُ فرنسا حينئذٍ يجب ان تفعليهِ انتِ الآن . فان حرب فرنسا والمانيا كلفت فرنسا ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه نصفها نقداً وقد تجشمت فرنسا المشاق في تدبير ذلك المال وكانت حالتها المالية اشد ضنكاً من حالة روسيا المالية الآن . فان دينها العمومي كان ٤٤٧ ١٢٠ ٩٠١ جنيه سنة ١٨٦٩ اي قبل الحرب بسنة فبلغ ٢٨٠ ٥٨٤ ٩٣٧ جنيهاً سنة ١٨٧٥ وكانت فائدتهُ ١٣٩١٧٣١٩ جنيهاً سنة ١٨٦٩ فبلغت ٢٩٤٩٣١٤٩ جنيهاً سنة ١٨٧٢ اما روسيا فان ميزانيتها السنويَّة تزيد على مئتي مليون جنيه فلا يعسر عليها تدبير عشرة ملايين جنيه بضرب الضرائب على اعيانها المترَّفين المسرفين وقد لا ترى نفسها مضطرة الى ذلك بل كلُّ ما تحتاج اليهِ ان تنقح حساباتها وتحوّل عشرة ملايين من الاموال الباهظة التي تنفقها على جيوشها البرية والبحرية وسكك الحديد الحربية الى حساب الدين الخارجي

ويقول بعض الروس انهُ لا يعسر على روسيا تدبير مئتي مليون جنيه لو عنيت بذلك ولكنها لا تنوي البتة ان تحيد عن خطة التوسع في الفتوحات وانها لا تؤَدي الغرامة الى اليابان الَّا مكرهة واليابان لا تستطيع اكراهها . ويستشهدون بالمانيا فيقولون انها انما استطاعت ان تفرض غرامة فادحة على فرنسا وتتقاضاها منها لانها استطاعت ان تضع يدها على بعض املاك فرنسا ضماناً حتى اخذت آخر سنتيم منها . اما اليابان فانَّى تستطيع مثل ذلك

وجواباً على ذلك اقول ان ساسة الروس الذين يظنون ان روسيا تستطيع اطالة الحرب الى ما شاء الله من غير ان ينالها شرٌّ او ضرٌّ وانها تأبى تأدية الغرامة الى اليابان لان اليابان لا تستطيع وضع يدها على بعض الاملاك الروسية ضماناً لهم على خطاءٍ مبين . فان شرقي سيبيريا يساوي اكثر من مئتي مليون جنيه في عين اليابان او في عيون الذين تتنازل اليابان لهم عن تلك البلاد او تنيلهم بعض الامتيازات فيها اذا شاءت ذلك . ولو كان شرقي سيبيريا مخلص الولاء للروس كثير السكان وخيراتهُ مستثمرة لما كانت قيمتهُ لليابان تساوي التعب عليهِ . ولكنهُ ليس كذلك لان خيراتهِ لا تزال مكنونة في ارضهِ مدفونة في صدورهِ فلا بدع اذا طمحت اليابان ببصرها اليهِ . وسكانهُ قلال وكثيرون منهم سلالة المجرمين والمنفيين السياسيين فليسوا شديدي الولاء لدولتهم . فاذا كانت روسيا تظنُّ انهُ لا يساوي مئتي مليون جنيه فان اليابان تعدُّهُ رخيصاً بتلك القيمة ولا تمرُّ على امتلاكها لهُ الَّا سنوات قليلة حتى تجمع منهُ اكثر من مئتي مليون جنيه

هذا وقد تأبى روسيا تأدية الغرامة الى اليابان وتأبى الاستمرار على الحرب ايضاً فتسترجع

جنودها وادارتها الملكية نحو بحيرة بيكال وتتلبث هناك . ولكن هذه الخطة تعود بالوبال عليها فتبيت على كره منها دولة محصورة في اواسط اسيا لا منفذ لها الى البحر كما سأبينهُ قريباً

فيظهر مما تقدم ان روسيا لا تستطيع التخلص من تأدية الغرامة ما لم تجلِ عن منشوريا وشرق سيبيريا . وليس في نية اليابان وضع يدها على قسم من املاك روسيا ولكنها قد تضطرُّ الى ذلك فيما لو رفضت روسيا ان تؤدي اليها غرامة ترضيها . ثم انهُ لا ينتظر ان اليابان تسمح لروسيا بوضع يدها على بورت آرثر وبقاء فلادفستوك فيها فتخرج منهما متى شاءت وتهاجم السواحل اليابانية وتكون سيفاً معلقاً فوق راس اليابان فلا غنى لليابان عن ان يبقى بحر اليابان ملكاً لها . وهي تريد ان يعقب هذه الحرب سلام دائمٌ ثابت الاركان فلا يسعها والحالة هذه ان تترك بورت آرثر وفلادفستوك يفلتان من يدها ليكونا خطرًا عليها . اما من جهة بورت ارثر فلا ينتظر من اليابان ان تتنازل عنها مرة أُخرى . واما من جهة فلادفستوك فيؤكدون ان اليابان تصرُّ على اخذها من روسيا او على دك حصونها او ان تتكفل روسيا بألاَّ تستقدم اليها بوارج لتقيم فيها الى اجل طويل . والمرجح انها لا ترتضي بالحبر على الورق ضماناً بل تطلب ضماناً اقوى من ذلك للاحتفاظ بسلامتها

ولا يعلم ما اذا كان اليابانيون يستولون على فلادفستوك او يجردونها من السلاح او يتركونها وشأنها كما هي الآن قلعة حصينة فان ذلك كلهُ يتوقف على كيفية مقابلة الروس للمطالب اليابانية . ولكن اذا طلب اليابانيون الاستيلاء على جزيرة سخالين (ولست اخالهم الأ طالبيها ونائليها) بات المضيق الذي يفصل بينها وبين فلادفستوك في قبضة ايديهم وباتت فلادفستوك تحت رحمتهم فاتخذوها رهناً في مفاوضات الصلح

ولنعد الى مفاوضات الصلح فاقول انهُ اذا عقد الصلح حالاً فقد تقنع اليابان باخلاء الروس لمنشوريا وتنازلهم عن جزيرة سخالين لها وغرامة قدرها مئتا مليون جنيه . اما مسألة فلادفستوك وسكة حديد منشوريا فمسألة ثانوية لا اولية . ولكن اذا اختارت روسيا الاستمرار على الحرب كما توعدت وتهددت زادت مطالب اليابان ثقلاً يوماً على يوم واسبوعاً على اسبوع ولا بدع في ذلك ولا غرابة

وخير ما تفعلهُ روسيا الآن ان تتذكر الماضي وتعتبر بحرب فرنسا والمانيا . ففي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٠ اي بعد موقعة سيدان بسبعة عشر يوماً اجتمع جول فافر ناظر خارجية فرنسا حينئذٍ بالبرنس بسمرك ليعلم منهُ ما تشترطهُ المانيا لعقد الصلح . فطلب بسمرك الاستيلاء على الالزاس وغرامة قدرها ٨٠ مليون جنيه ولكن جول فافر أبى ان يتنازل عن قيراط من اراضي

فرنسا وحجر من قلاعها فبقيت الحرب جارية مجراها . ولم يمضِ على ذلك ستة اسابيع حتى اجتمع تيبرس بسمرك طالباً عقد الصلح فعاد خائباً لان بسمرك أصرَّ على طلبْ الالزاس وغرامة قدرها ١٢٠ مليوناً . وفي دسمبر من تلك السنة طلب بسمرك ١٨٠ مليوناً . واخيرًا عقد الصلح في فبراير من السنة التالية بعد ان طلبت المانيا اللورين فوق الالزاس فنالتهما وغرامة قدرها ٢٠٠ مليون فنالتها

فاذا كانت روسيا تروم الصلح عن حسن نية فلتعجّل في عقدهِ لأن كلَّ يوم يمرُّ بلا صلح يزيد غرامة الحرب نصف مليون جنيه تستقطر من دم الصانع والعامل

هذا واذا اعتمدت روسيا على مداخلة صديقاتها من الدول وأمّلت ان اطالة الحرب تحمل احداهنَّ على مساعدتها في النهاية فاعتمادها انما هو على ما لا يركن اليهِ واملها في غير محلهِ. نعم ان من مصالح فرنسا الجوهرية تقوية روسيا على المانيا ولكن ليس من مصلحة المانيا ان تتخلى مرة اخرى عن سيادتها في اوربا ارضاء لروسيا. وزد على ذلك ان توسط المانيا وفرنسا لا يغني فتيلاً الّا اذا تمكنتا من استجلاب بريطانيا العظمى او الولايات المتحدة اليهما وكلا الامرين بعيد الاحتمال . ثم ان بريطانيا العظمى لا تستطيع مساعدة روسيا بشيء مهما حاولت فرنسا والمانيا اقناعها بذلك ومهما كانت رغبتها شديدة في تقوية روسيا اذ من الخيانة ان تتخلى الآن عن حليفتها اكراماً لروسيا. فاذا كان ساسة روسيا يطمعون باستجلابها اليهم ويؤملون استرضاءها بمنحها امتيازًا ما في اسيا او بعقد محالفة انكليزيَّة فرنسوية روسية فما يخادعون الّا انفسهم . نعم انهُ يسرُّ بريطانيا العظمى ان تقوي روسيا وتساعدها وهي تسعى في تعزيز مصلحتها ولكنها لن تفعل ذلك قبلما يعقد الصلح بين روسيا واليابان وتسوّى جميع اوجه الخلاف التي بينهما . انتهى

ولقد كان لهذه المقالة المحكمة الحجة القوية الدليل صدى في الاندية السياسية والظاهر ان القيصر اطّلع عليها وعلى ما ماثلها من المقالات الكثيرة فاسرع الى المذاكرة في عقد الصلح. ونال الماليون غايتهم من الروس واليابان ولم يستفد من الحرب احد سواهم ولكن لا يبعد ان يعود من ذلك نفع على الامة الروسية والامة اليابانية. وكم من نفع جرَّهُ ضرٌّ

تاريخ الوهابية

في ترجمة محمد علي باشا كلام كثير عن الوهابيَّة وحربهِ لهم . وكان احد علماء الاسلام الافاضل قد اطلع على تاريخ حسين بن غنام الاحسائي احد مؤرخي الوهابيَّة فتصفحهُ وبعث الينا بخلاصة منهُ فرأَينا ان ننشرها الآن اتماماً للفائدة ليُعلم اصل الذين حاربهم محمد علي وولداهُ واوقعوا بهم قال الكاتب

اسم الكتاب "روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام" وهو في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد حوى تاريخ " الفتوحات الاسلامية التي مبدأُها العقد السادس من القرن الثاني عشر" وهو خمسة فصول الاول في ما جرى في تلك الازمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والاحساء وغيرها من البلدان . الثاني في نسب الشيخ ومبدإِ امرهِ وما جرى لهُ من اهل مصرهِ وعلماء عصرهِ . الثالث في رسائل ارسلها الى بعض خواص الاخوان . الرابع في شيء من المسائل التي سئل عنها . الخامس في بعض كلامهِ على القرآن . ورتبهُ على السنين وبدأَهُ من اول نشأة ابن عبد الوهاب وختمهُ سنة ١٢١٣

افاض في المقدمة في ذكر ما الفهُ الناس في بلاد نجد وما والاها من الشرك الخفي والظاهر ووصف المقامات التي نذروا اليها والشيوخ الذين اعتقدوا فيهم وانتقل الى " بلدان مصر وصعيدها وما فيها من الامور التي ينزه اللسان عن ذكرها وتعديدها خصوصاً عند قبور الصلحاء والعباد ومن ساداتها وعبيدها "

ثم ذكر ما يفعل من هذا القبيل في بلدان اليمن وقال ان حلب ودمشق واقصى الشام والموصل وبلاد الاكراد والعراق وبغداد والبصرة وقرى السلط والمجرّة والقطيف والبحرين وغيرها من بلاد العرب كلها واقعة في هذا . واستشهد بقصيدة للامير ابن اسماعيل الصنعاني وكان مشهوراً بالعلم والفهم قال فيها واصفاً ما سرى من البِدَع :

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى فلم ينجُ منهُ مركبٌ وركابُ
وطوفان نوح كان في الفلك اهلهُ فنجاهم والغارقون تبابُ
فانَّى لنا فُلْكٌ ينجي وليتهُ يطير بنا عما تراهُ غرابُ
واين الى اين المطار وكلما على ظهرها يأتيك منهُ عجابُ
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له ذئاب وما عنهُ لهنَّ ذهابُ

لقد مزقتهُ بعد كل ممزّق فلم يبقَ منهُ جثة وإهابُ
وليس اغتراب الدين الأكما ترى فهل بعد هذا الاغتراب ايابُ
فيا غربة هل يرتجى منك اوبةٌ فيجبر من هذا البعاد مصابُ
فلم يبق للراجي سلامة دينهِ سوى عزلة فيها الجليس كتابُ

وقال في مبدإِ امر الشيخ ما ملخصهُ : هو محمد بن عبد الوهاب ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والالف في بلد العينية فانبتهُ الله نباتاً حسناً وبقي بعد سنّ الطفولية يتعلم زمناً حتى استظهر القرآن قبل العاشرة واشتغل على ابيهِ وكان توسم فيهِ النجح ورآهُ اهلاً للصلاة بالجماعة قبل ان يبلغ الثانية عشرة فقدّمهُ وزوّجهُ وحججهُ واخذ في قراءة الفقه على مذهب الامام احمد ورُزق مع الحفظ سرعة الكتابة بحيث انهُ يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراساً . ثم رحل في طلب العلم الى ما يليهِ من الامصار فزاحم كبار العلماء فوطئ الحجاز والبصرة مراراً واتى الاحساء واخذ العلم عن جماعة وسمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو واتقن تحريرهُ وكتب الكثير من اللغة والحديث وهو يحث على طريق الهدى والاستقامة وكان اكثر لبثهِ لاخذ العلم بالبصرة واخذ في بث الدعوة ثم سكن حريملا مع والدهِ مثابراً على دعوتهِ تاركاً ما سلكهُ علماء السوء فانتظم في سلكهِ عصابة فاتخذوهُ جليساً واتبعوا طريقتهُ فقرأوا عليهِ كتب الحديث والفقه واشتهر في بلدان العارض من حريملا والعينية والدرعية والرياض ومنفوحة فانحاز لدعوتهِ جم غفير واقام في حريملا سنين وصنف كتاب التوحيد واهتدى بهِ أحد الامراء عثمان بن معمر في العينية فاقام بها وساعدهُ الامير على الارشاد فبدأ يعظم امرهُ ففشا الدين في بلدان العارض فأمر الشيخ الامير بهدم القباب والمساجد المبنية على قبور الصحابة وقطع الاشجار التي كان ينتابها الناس وعدّلت على السنن المشروع فأنكر عليهِ ذلك وحكموا بكفرهِ واستحلال دمهِ ومالهِ وتقوّل بعضهم عليهِ ووشوا بهِ الى علماء الاحساء والبصرة والحرمين وافتوا للحكام بانهُ اقبح الضلاّل والفسّاق واشرُّ الخوارج وحسبوا انهم اذا حرّشوا عليهِ الحكام يجدّون في قتلهِ فصنفوا المصنفات في تبديعهِ وتضليلهِ وقالوا انهُ مغيّر السنة والاحكام يقصد تنفير الخواص والعوام ليشاقّوا الولاة فيعصوهم . ولما تظاهر الشيخ بالدعوة والناس قد أُشربت محبة المعاصي قلوبهم لم يكفّر اولئك العربان وتوقف تورعاً حتى تألبوا عليهِ وكفروهُ وجماعتهُ ولم يأمر بسفك دم اكثر اهل الاهواء حتى حكموا عليهِ واصحابهِ بالقتل والتكفير . ومع ما كان يُنقل اليهِ من الاذى لم يكترث لهم وكان يتضرع الى مولاهُ ان يشرح للحق صدورهم ولم يعامل احداً بالاساءة بعد القدرة عليهِ . ولما

وفدوا عليهِ ومثلوا بين يديهِ لم يوبخ احداً منهم واسدى اليهم معروفهُ وتجاوز عما فعلوهُ. فعل بهِ اعداؤهُ ذلك واكثرهم معترف ان ما اتى بهِ هو الحق والصواب ولكن خشوا ان تسلب رئاستهم ودنياهم

ثم اغرق المصنف في الدعوة الى الاجتهاد وبيان آراء الصحابة والعلماء فيهِ وخصوصاً الائمة الاربعة ونسب انقطاع الاجتهاد الى العلماء والامراء ونقل قولهم "صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس قيل من هم قال العلماء والملوك" قال ابن المبارك

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل افسد الدين الأ الملوك واحبار سوء ورهبانها

وختم هذا البحث بقصيدة لمحمد بن اسماعيل المشار اليهِ قال فيها :

أ ويُعمِر اركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشدِ
أعادوا بها معنى سواع ومثلهُ يغوث وودّ بئس ذلك من ودِ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ
وكم عقدوا في سوحها من عقيرة أُهلّت لغير الله جهراً على عمدِ

الى ان يقول

علامَ جعلتم ايها الناس ديننا لاربعة لا شك في فضلهم عندي
همو علماء الدين شرقاً ومغرباً ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلاً ولا تقليدهم في غد يجدي
ولا زعموا حاشاهمو ان قولهم دليل فيستهدي بهِ كل مستهدي
بلى صرّحوا انا نقابل قولهم اذا خالف المنصوص بالقدح والردِ

توفي صاحب الدعوة ولهُ من العمر قريب من اثنتين وتسعين سنة كان في خلالها مستمرًا في تحصيل نافع الزاد وصنف مصنفات كثيرة منها رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جواباً لكثير من شبههم التي ادلوا بها وهي في كرّاس فيها خلاصة دعوتهِ ولباب علمهِ . وقد شرحها المؤلف وقال ان العلماء من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الامة من تعظيم القبور وبناء المشاهد والمساجد عليها ودعائها وسؤال اهلها الحاجات وتفريج الكربات ويبينون للناس ان هذا خلاف دين الاسلام الذي بعث الله بهِ رسولهُ (ص) ودخول في عبادة الاوثان فليس هذا الذي ينهُ الشيخ للناس من النهي عن دعوة اهل القبور والاشراك

بهم والتبرك بالاشجار والاحجار فهمهُ من تلقاء نفسهِ دون ان يفهمهُ احد من علماء هذه الامة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنهُ والانكار والتغليظ على من فعلهُ من الجهال وازالة ما قدروا عليهِ من ذلك. ومرادي بالعلماء هم الذين يُعتدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند اهل الاسلام الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم بل يجاهدون في سبيل الله اهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم

ونقل ابن غنام طرفاً صالحاً مما ورد في كتاب ابن شامة في انكار المنكرات وضروب الشرك الاكبر الذي فشا على عهدهِ في مصر والشام وقال ان هذه هي مثل الدعوة التي صرح بها ابن عبد الوهاب وذكر جانباً من اراء علماء المذاهب مثل ابن القيم وابن بكر الطرسوسي وغيرهم في هذه المنكرات واخذ يسرد من رسائل الشيخ التي دعا فيها الى تجريد التوحيد

ويحتوي الجزء الثاني على رسائل عديدة كتبها الشيخ في حث مجاوريهِ على الاخذ بما ارتآهُ والرد على خصومهِ . قال من جملة جواب لهُ ان تعليق التمائم من الشرك وكتب الطلاسم في الحجب وهي من السحر والسحر يكفر صاحبهُ وان من دعا نبيًّا او صحابيًّا او وليًّا مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني واغثني كافر بالاجماع . واورد في إنكار التذكير وقال انهُ من البدع وذكر السيوطي في الاوائل ان اول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون

وجلُّ رسائل الشيخ دائرة على الدعوة الى التوحيد . وذكر ابن غنام مسائل كثيرة في الاصول والفروع سئل عنها فاجاب . وقد استغرق ما نقلهُ ابن غنام من تفسيرهِ وبعض الاجوبة التي اجاب بها سائليهِ نحو تسعة كراريس وكلها دلت على ان الرجل عظيم في ايمانهِ عظيم في بيانهِ وتبيانهِ

ثم ذكر المؤرخ غزوات ابن عبد الوهاب واورد السبب الذي اخرجهُ من بلدهِ العينية بعد ان كان يأمر بالعرف وينهى عن المنكر ذلك ان امرأة من اهل تلك البلدة عرفت بسوء فاقرت على نفسها وتكرر ذلك منها فاعرض الشيخ عنها ثم اقرت حتى عادت الى الاقرار مراراً فسئل عن عقلها فاخبر بتمامهِ وصحتهِ فامهلها اياماً رجاء ان ترجع عن الاقرار الى الانكار . فاقرت اربع مرات فأمر برجمها فشدت عليها ثيابها لترجم بالحجارة على الوجه المشروع فخرج الامير عثمان وجماعة فرجموها حتى ماتت فلما طار هذا الخبر كثر لغط اهل البدع وطارت قلوبهم شعاعاً فلما اعياهم رد ما قالهُ من تلك المسائل عدلوا الى ردها بالمكر والحيلة فشكوهُ الى شيخهم فاغروهُ بهِ فطلب الى الامير عثمان يأمرهُ بقتلهِ او اجلائهِ عن وطنهِ فأمر هذا الامير الشيخ

بالخروج نجاه الدرعية فلما سمع الامير محمد بن مسعود بقدومهِ اسرع اليهِ مسلمًا عليهِ فلطف منهُ محلهُ واخبرهُ بان يمنعهُ بما يمنع بهِ نساءهُ واولادهُ من جميع من عاداهُ وطلب الى الشيخ ان لا يرحل عن بلدهِ وكان هذا الامير معروفًا في جاهليتهِ بحسن السيرة فعاهدهُ الشيخ على عدم الخروج وقام يدعو الناس الى التوحيد وآزرهُ وزراء الامير واعوانهُ واخوانهُ من اهل الدرعية وذلك في حدود سنة ١١٥٧ ﻫ وبقي الشيخ سنتين يناصح الناس وهاجر الى الدرعية خلق كثير بينهم زمرة من اهل البيوتات . وسنة ١٢٠٦ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحالهُ من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة يتلو القرآن ابدًا ويحيي غالب الليل بالقيام والتأني في تنفيذ الاحكام من كتب الائمة الاربعة المقلدة وكان يجيي اليهِ بيت المال من جميع بلدان المسلمين فيفرقهُ عليهم في طريقة من الزهد مرضية وكان متكففًا من ذلك المال لا يأكل منهُ الَّا بالمعروف وكان سمحًا كريمًا لا يردُّ سائلاً ومات ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا وكان عليهِ دين كثير وفي عنهُ

وهنا انشأ المؤلف يذكر غزوات الوهابية مع من جاورهم من القبائل والبلدان وكلها دائرة على بث دعوة واحتياز مغنم ومقابلة شر بمثلهِ . اخبار متشابهة يجري كل سنة مثلها الى اليوم في تلك الاصقاع . ويظهر للمتأمل ان معظم تلك الحروب التي جرت على عهد ابن عبدالوهاب كانت للدين فلما مات عادت المطامع الى مجراها السابق . والغالب ان الاميرا لنجدي وابنهُ اللذين عملا بمشورة الشيخ طول حياتهِ قاما يبث دعوتهِ بين الامراء المجاورين بعد ان اشتدت شكيمتهما

ومن طالع التاريخ الذي نحن بصددهِ حق مطالعتهِ وعرف حال جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يلبث ان يقع في ذهنهِ ان كل تاريخ هذه الطائفة قتل وقتال وقيل وقال . نعم ان الامر على ما يقول فقد ذكر لي احد عقلاء النجديين يومًا ما معناهُ : يُعاب على قومنا شيئان مهمان احدهما الفتن التي ما فتئت يثور ثائرها بين اظهرنا والدماء التي تهراق من رفيعنا ووضيعنا — وان تكن غارات اليوم بين ابن سعود وابن الرشيد مثلاً ليست كغارات امس المذكورة في تاريخ ابن غنام فان تلك كانت لنشر كلمة التوحيد بين اولئك الاعراب الجفاة الاجلاف وهذه تدعو اليها المطامع والشهوات الدنيويَّة — وثانيهما انقسام الناس في نجد الى جنسين جنس يقال لهُ الخضيرية وجنس يقال لهُ قبيلية او شيوخ فالاول في حلّ من تعاطي الصناعات كلها والثاني لا يجوز لهُ تعاطيها لان ذلك يعدُّ شينًا عليهم وعرَّة في وجوه انسابهم فيقتصرون على التجارة والفلاحة . واذا تعاطى احد الشيوخ وبعبارة ثانية الاشراف صناعة ما

وكان في الاصل شريفاً يسقط عندهم شرفهُ ويمسي معدوداً من الطبقة النازلة طبقة الصناع والاجراء في بلادهِ طبقة الخضيرية. واذا تزوج احد الشيوخ من بني خضير اي صاحب الشرف من فاقدهِ وكان للشريف عصبة يستحلون قتلهُ مدعين انهُ اسقط شرفهم. قلت لهُ وانما اعيب عليكم امراً ثالثاً وطالما ذاكرتكم بهِ وهو جمودكم على حالة واحدة في العلم وتحريمكم لمطالعة كتب لا تخلو مطالعتها من انارة عقولكم ووقوفكم عند حد البحث في الدين دون الالتفات الى ما لا بد منهُ من علوم الدنيا. وما يخيل لي الآ ان رجالكم الذين يأتون الامصار عارفون ما تمسُّ اليهِ حاجة بني نجلتهم من العلوم والصنائع وما ينقصهم من المتممات التي لا اثر لها في باديتكم. اما انقسام الناس في نجد الى فئتين فليس بالامر الجديد فان الرومان كانوا كذلك بل كان اشراف اسلافكم العرب الخُلَّص يرون الصنائع مضيعة لشرفهم و يعتدون في الغزو والغارة شرفهم الوحيد

هذا ما سمحت بهِ المكنة من الكلام على تاريخ الوهابيين ويسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد وهم في الحقيقة حنابلة على مذهب احمد بن حنبل احد الائمة الاربعة المشهورين عند اهل السنة والجماعة. ومن راجع طبقات الحنابلة ودرس سيرة رجالهم يدرك ان اهل هذا المذهب من القديم هم من اشد الناس انكاراً للمنكرات وقد يؤدي ذلك ببعضهم احياناً الى القسوة والغلظة وتضييع الفائدة المطلوبة من الامر والنهي المشروعين حتى ان الغزالي وصفهم بالجمود مع اعتبارهِ لهم وحماستهم المأثورة في بث الدعوة. واخبرني فاضل نجدي ان للوهابية تاريخاً آخر وصل بهِ مؤلفهُ كلام ابن غنام بما حدث في زمنهِ من وقائعهم خصوصاً مع الدولة العلية وهو سياسي اكثر مما هو علمي. وهذا الكتاب المحكيّ عنهُ على كثرة سجعهِ وقلة تنسيقهِ لو ظفر بهِ احد المستشرقين لطبعهُ على علاتهِ لان صاحب الدار ادرى بالذي فيها. والله يعلم السرَّ والخفي. انتهى

ويظهر مما ذكرهُ الجبرتي عن الوهابية وكان معاصراً لهم ورأى الجنود المصرية تخرج لقتالهم وحادث الذين رأوهم وكالموهم بل حادث بعض اسراهم انهم لم يكونوا على شيء من الغلو او من الضلال وانهُ لو لم يرشِ محمد علي قبائل العرب بالمال ويستعين بهم على الوهابية لما استطاع التنكيل بهم

مسائل العلم في القرن العشرين

كان العلماء قبل القرن التاسع عشر يقولون انهُ لا علاقة لازمة بين ظواهر الكون المختلفة اي ان علم الفلك والجيولوجيا والطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا وسائر فروع العلوم انما هي علوم مستقلة بعضها عن بعض وان كلاً منها يجري مجراهُ من غير ان يعتمد على غيره . ولكنَّ علماء القرن التاسع عشر نقضوا هذا الرأي واثبتوا ان العلوم والمعارف المختلفة اعضاء عائلة واحدة ونقضوا كثيرًا من الامور التي كانت مسلَّمة ديناً او فلسفة فقام ائمة الدين وانصار الفلسفة القديمة وقعدوا واضطرمت نار الجدال بين الفريقين

وقد دخل القرن العشرون والعلم يتجلّى بابهى حلله في جميع فروعه بعد ان بلغ أبعد غاياته ظاهرًا حتى بات الناس يتساءلون أما بعد تلك الغايات غاية . وهل بلغ العلم حدَّ الكمال والتمام فبات سعي العلماء وبحثهم وتنقيبهم بعد الآن مما لا طائل تحتهُ . او ليس هناك مسائل لم تحلَّ بعد

وجواباً عن ذلك نقول ان بعض العلماء يذهب الى ان العلم بلغ من الكبر عتيًّا بحيث لم يعد يؤمل منهُ شيء ويخالفهم البعض الآخر فيقول انهُ لم يزل في طور النمو والبلوغ وان امامهُ مراحل كثيرة لا بدَّ ان يقطعها وادوارًا لا بدَّ ان يمرَّ بها قبلما يبلغ الغاية القصوى . ولنأخذ كلاً من فروع العلم المختلفة على حدة لنرى ما تمَّ فيها وما عسى ان يتمَّ معتمدين على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ دولبر نشرت في مجلة العلم العام الاميركية ولنبدأ بالفلك

الفلك

مما عرف حتى الآن ان الارض جزء من النظام الشمسي وانها عريقة في القدمية وهي وسائر اعضاء النظام المذكور بلغت حالتها الحاضرة بعد نموّ دام ملايين من السنين وان الفواعل التي كانت في الماضي لا تزال هي نفسها الى الآن تحدث التغييرات في اقدار تلك الاعضاء والمسافات التي تفصل بينها . وان القمر كان جزءا من الارض فانفصل منها بفعل المدّ مبتعدًا عنها وسيبقى في نفور وابتعاد نحو ٥٠ مليون سنة ثم ينقلب راجعاً . اما الشمس فجسم من غاز حام وسبب حرارتها تقلّصها بفعل الجاذبية وهي تشعّ الحرارة على مقدار معلوم محدود ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدّروا ان حرارتها تنفد بعد ١٠ ملايين سنة فتظلم حينئذٍ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نارًا آكلة ما لم يطرأ عليها طارىء يجدّد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضي ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الاوّل . ومثل ما

يحدث في الشمس يشاهد الآن في الوف من الاجرام السموية فان منها ما هو في كل الاطوار التي مرَّت عليها الشمس او تمرُّ في المستقبل — من اجسام غازية منيرة الى اجسام جامدة لا نور فيها ولا حرارة

ومما نعلمهُ ايضاً ان اقرب نجم من الثوابت الينا أبعد من الشمس عنّا مئتي الف ضعف او اكثر وان النظام الشمسي برمتهِ يسير في الفضاء بسرعة نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة نحو النجم المسمّى بالنسر الواقع

على اننا نجهل ما اذا كان سير هذا النظام في الفضاء سير آبدٍ شاردٍ او انهُ سيرٌ منتظم في حلقة لا نعلم شكلها . فقد علمنا جهة سير بعض الكواكب وقسنا سرعتها ولكنَّ ما نعلمهُ من هذا القبيل لا يكفي لمعرفة ما اذا كانت حركتها منتظمة او هي مثل حركة دقائق الغازات يكثر فيها الاصطدام والالتحام . فان ظهور النجم الجديد في كوكبة فرساوس ثم انطفاءهُ بغتة لا يمكن تفسيرهُ الاَّ بحدوث الاصطدام بين الكواكب . وكبرها وعظم سرعتها كافيان لان يحولاَّها عند تصادمها غازاً منيراً . ولا يبعد ان ينال النظام الشمسي مثل ذلك ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انهُ لو قدّر اصطدامنا باقرب جارٍ لنظامنا وبقيت سرعتنا على ما هي عليهِ الآن اي ١٢ ميلاً في الثانية لاقتضى لنا خمسون الف سنة قبل الوصول اليهِ

هذا وان عدد الكواكب المنظورة نحو مئة مليون كوكب والفلكيون يعجبون لماذا لا نرى من الكواكب البعيدة اكثر مما نراهُ الآن . ثم ان عدد الكواكب في كوننا اقلُّ مما كان الفلكيون يخمنون والظواهر تدلُّ على ان للفلك المنظور حدًّا محدوداً لا كما كان يظنُّ من ان عدد الكواكب غير محدود وهي في فضاء غير محدود . وهذه القضية لم تحلَّ بعد بل هي شغل بعض المراصد الشاغل . وكلُّ احد يروم ان يعلم ماهية الكون الذي نحن فيهِ وماجرياتهِ فقد كان الاقدمون يزعمون ان النظام الشمسي مؤلف من سبعة سيارات فاكتشف في القرن التاسع عشر اكثر من خمس مئة . ولم يمرَّ على اكتشاف السيار اروس الاخير سوى ثماني سنوات واكتشفت اقمار جديدة من اقمار المشتري وزحل والمرجح ان السيارات لم تكتشف كلها بعدُ وعليهِ ترى العلماء ينقرون وينقبون عما لم يكتشف منها لعلهم يكتشفونهُ

وكوننا محدود كما تقدم ولكنهُ طويل عريض واسع ممتدٌ تضلُّ فيهِ الابصار والبصائر ولا تحيط بهِ الافهام . فان بعض كواكبهِ بعيد عنا الى حدّ انهُ يقتضي لنورهِ مليون سنة حتى يصل الينا . واذا علمت ان النور يقطع ١٨٦ الف ميل في الثانية من الزمان تبين لك انهُ يقتضي لنظامنا الشمسي الوف الملايين من السنين حتى يصل الى احد تلك الكواكب البعيدة

لان سرعتهُ نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة كما سبق القول

ومما لا يزال عملهُ خافياً علينا ماهية السيارات وطبيعتها وهل هي مسكونة او خالية من السكان . وليس المراد بقولنا مسكونة ان فيها سكاناً يشبهوننا في جميع صفاتهم ومزاياهم المادية بل ان فيها احياء سواء اشبهونا اولا . فان منها ما هو شديد الحرارة كالمشتري وما هو شديد البرد لا هواء فيهِ ولا ماء كالقمر فان كان مسكوناً فلا ينتظر ان يكون سكانهُ مثلنا لاختلاف اقليمهِ عن اقليم ارضنا . وجهد ما يمكننا استنتاجهُ بالتمثيل من هذا القبيل انهُ اذا اتخذنا نشوء الحياة على الارض قياساً لنا حكمنا انهُ لا يكاد يحتمل ان الارض هي وحدها مسكونة من بين ملايين العوالم والاجرام التي تتركب مما تتركب الارض منهُ وتخضع للنواميس التي تخضع هي لها . على ان هذا قياس تمثيليٌّ لا حقيقة مثبتة . ولعلَّ القرن العشرين يميط لنا النقاب عن هذه الاسرار كلها

الجيولوجيا

علم الجيولوجيا كلهُ مما وَلَدَ القرن التاسع عشر . ومع عظم تقدمهِ فيهِ لا يزال اكثر من نصف اليابسة غير ممسوح بعد وكثير من القضايا المتعلقة بالقسم الممسوح لم يحلَّ بعد مثل الظواهر البركانية وتركيب باطن الارض وحرارتهِ وما اشبه من المسائل التي اذا حلَّت عرفنا اموراً كثيرة نتوصل بها الى معرفة عمر الارض وخصوصاً طول الزمن الذي مرَّ منذ اصبحت صالحة لسكن الاحياء . اما الآن فالاقوال عن عمر الارض كثيرة ففي بعضها ان عمرها عشرة ملايين سنة وفي البعض انهُ الف مليون سنة وفي البعض ما بين ذلك . وقد مضت مدة طويلة والجيولوجيون يحاولون اكتشاف مقياس يقيسون بهِ الادوار الجيولوجية مثل الدور الجليدي ليعلموا متى ابتدأ ومتى انتهى ولكنهم لم يهتدوا الى ذلك بعد بل كلُّ ما يقولونهُ مجرَّد ظنٍّ وتخمين فمنهم من يقول انهُ انتهى منذ عشرة آلاف سنة ومنهم منذ خمسين الفاً ومنهم ما بين ذلك . ولعلَّ القرن العشرين يكشف لنا هذه المكنونات ايضاً

الكيمياء

علم الكيمياء من العلوم التي ولدت ونشأت في القرن التاسع عشر مثل الجيولوجيا وما عرف منها قبل ذلك العهد كان رجماً وافتراضاً لم يبنيا على ناموس عموميٍّ معروف فلم تكن علماً . فلما جاء القرن الماضي عرف الكيماويون ما لم يكونوا يحلمون بهِ قبلاً مثل قياس حجم الدقائق والجواهر وسرعة حركتها وغيرها من المباحث الدقيقة

ومن القضايا التي لا بدَّ من حلها ما اذا كانت المادة تتلاشى او لا . ففي الفلسفة الطبيعيَّة

ان عدم التلاشي من خصائص المادة العمومية وكثير من القضايا الفلسفية مبنيٌّ عليها . ولكن ظهر من ابحاث بعض العلماء وتجاربهم ان المادة تفقد بعض ثقلها في احوال معلومة بتغيرات طبيعية تطرأ عليها لا بإزالة بعض دقائقها منها . وهذا اذا صحَّ يفضي الى انقلاب عظيم في العلوم يعدُّ اعظم ما طرأ عليها منذ مئة سنة ويصبح المذهب السديمي ومذهب النشوء والارتقاء ومذهب قدمية الانسان من المذاهب الحقيرة القدر والشأن في جنبهِ وذلك لأن ثبوت الجواهر اي عدم تغيرها في مقدارها ونوعها اساس التصورات والآراء الصحيحة في كل فنٍ ومطلب . فاذا انتقض هذا المذهب بقينا حيث نحن الآن وحيث كنا من قديم الزمان

ثم ان بعض الكيماويين شرعوا في صنع مركبات تحلُّ محلَّ المركبات الطبيعية ففازوا بعمل الكينا والسكر والالبومن للطعام والنترات لتسميد الارض وغيرها فمتى صاروا يصنعون مقادير عظيمة منها بحيث يسهل الاتجار بها عاد ذلك بالفائدة على الناس عموماً . وزد على ذلك سعيهم في اكتشاف مواد لتلقيح المصابين بالكوليرا والطاعون والحمى الصفراء والحمى التيفوبدية وشفائهم على مثال لقاح الدفتيريا والمرجح انهم يفوزون بمطلوبهم فيطول متوسط عمر الانسان

الطبيعيات

من اهم ما اكتشف في القرن التاسع عشر تحت هذا الباب ماهية الحرارة — اي انها حركة في دقائق المادة وجواهرها لا مادة كما كانوا يزعمون قبلاً . وكذلك الاثير وكثير من ظواهرهِ . فترتب على هذه الاكتشافات تقدم كثيرٍ من الاعمال والصنائع ونشوء صنائع جديدة اساسها الكهربائية ونشوء السبكترسكوب لدرس طبيعة الاجرام السموية وارتقاء التلسكوب فبلغ قطر بلورتهِ ٤ اقدام بعد ما كان ٤ بوصات

على انهُ وان كنا نعلم الآن ان الحرارة حركة في دقائق المادة وان سرعة تلك الحركة قياس الحرارة الَّا اننا نجهل ماهيتها قبلما تحولت حرارة ونجهل الصورة التي تكون عليها القوة في جواهر المادة فاننا نقول "القوة الكيماوية" مثلاً ولا ندري ماهيتها ولا ماهية الفرق بينها وبين قوة الحرارة وقوة الجاذبية . فاذا عرفنا هذا السرَّ لم يبعد ان نستخرج من الاثير ما نحتاج اليهِ من القوة لانهُ مشبع بها وفي كلِّ سنتيمتر مكعب من الفضاء من القوة ما تقضى بهِ حاجات رجل واحد اياماً كثيرة

ثم ان معرفة ماهية الاثير تمكننا من معرفة امور كثيرة منها لماذا تتخذ البلورات اشكالاً هندسية ولمَ القوة التي نسميها بالحياة من خصائص النسيج الخلوي في الحيوان والنبات دون غيرها

وليس الناس أكثر علماً بماهية الجاذبية منهم بماهية الحياة . فاننا نعلم كيفية فعلها وان هذا الفعل اسرع من فعل النور بملايين المرّات . هذا كلّ ما نعلمهُ عنها فاذا استطاع احد ان يعلم أكثر من ذلك عُدَّ من اعاظم المكتشفين

البيولوجيا

وعند علماء البيولوجيا مسائل كثيرة حاولوا حلّها فلم يهتدوا اليهِ . فقد ظهر من مباحث علماء القرن التاسع عشر ان جميع صور النبات والحيوان الموجودة الآن انما هي نتيجة تغيرات بطيئة طرأت على صور الاحياء الاولى ووظائفها منذ ملايين من السنين وهذا ما يسمونهُ بناموس النشوء والارتقاء . ولكن كيف حدثت تلك التغييرات وما الذي اوجبها هاتان مسألتان لم يتيسر لاحد الجواب عليهما بعد . فان دارون تكلّم عن الانتخاب الطبيعي والوراثة او الاختلافات المتعددة التي تطرأ على النسل وبقاء الاصلح منهُ ولكنهُ لم يذكر سبباً لوجود تلك الاختلافات وهذه هي المسألة العظيمة التي تنتظر الحلّ . فقد ثبت ان التغييرات الاكتسابية لا تورث وان الطبيعة لا تحتفظ بسوى التغييرات التي تحدثها هي لاسباب لا تزال مجهولة فانها تخلق الجبابرة والنوابغ جدداً بالفطرة لا بالاكتساب من الوسط والمحيط . فاحوال الوراثة وشروطها شغل كبار البيولوجيين الشاغل

ومما حيَّر العلماء عموماً والبيولوجيين خصوصاً ما ظهر من سنة او سنتين وهو فقس البيض غير الملقح فقساً طبيعياً بمعالجتهِ ببعض المواد الكيماوية غير الآلية مثل كلوريد المغنيسيوم . وقد جرّبت هذه الطريقة مراراً فصحّت بحيث لم يبقَ ريب في صحتها . ومؤدّاها ان الحياة عمل كيماوي ولا يتوقف ظهورها في الجسم على تولّدهِ من جسم حيّ آخر سابق لهُ كما ان المواد الكيماوية في الجسم الحيّ لا يتوقف وجودها فيهِ على مواد كيماوية سابقة لها وانهُ اذا أُعدت تلك المواد باية طريقة كانت نشأت الحياة عنها . وزاد بيولوجيٌّ فرنسويٌّ على ذلك انهُ اذا قطعت البيضة ست عشرة قطعة مثلاً نشأ عن كلِّ قطعة حيٌّ لا يختلف عن البيضة الاصلية في شيء سوى الحجم فانهُ يكون اصغر من الحيّ الاصلي طبعاً . وهذا اذا صحَّ فتح باباً جديداً للبحث تفوق اهميتهُ الفلسفية اهميتهُ البيولوجية كما لا يخفى

ومنذ بضع سنوات اكتشف عالمان المانيان ان نقطة صغيرة من مزيج مؤلف من الزيت وأحد املاح البوتاس تشبه الاحياء المكرسكوبية من عدة اوجه فانها تتحرك من نفسها وتغير شكلها ولها دورة مختصة بها وتضيف الى نفسها دقائق من المواد التي حولها وتتأثر بالمؤثرات الخارجية . اي انها تفعل فعل الاحياء في كلّ شيء سوى شيء واحد وهو التوليد . وقد

سميت هذه النقطة البرتوبلازم الصناعية ولا ينقصها حتى تصير حيًّا صناعيًّا حقيقيًّا غير ان يضاف اليها بعض المركبات الكيماوية . بقي ان تعرف تلك المركبات لتضاف اليها

على ان كثيرين يشكّون في ما اذا كان يمكن عمل احياء صناعية ويقولون ان ذلك فوق طوق العلم البشري وان ظواهر الحياة والعقل خارجة عن نطاق العلم الطبيعي بخلاف الفلك والجيولوجيا والكيمياء وما شاكلها من فروع العلوم المختلفة . ولكن ما يقوله هؤلاء في الحياة الآن كان السابقون يقولونهُ في الفلك والجيولوجيا والكيمياء منذ عهد ليس ببعيد . ألم يكفَّر نيوتن لاعلانهِ اكتشاف ناموس الجاذبية بعلة ان ذلك مدعاة لنفي وجود الخالق . أو لم تشهر حرب الاقلام على الذين حملتهم الجرأة على القول ان عمر الانسان اكثر من ٦٠٠٠ سنة

وخلاصة القول ان القرن التاسع عشر خلّف للقرن العشرين قضايا صعبة المراس عسرة الحل مثل ماهية الكهربائية والحياة وعلاقة العقل بالجسد وغيرها من المسائل التي تعدُّ الآن مما وراء الطبيعة وان تكن ظواهرها بادية للعيان وآثارها معروفة في كل مكان . واذا قسنا الحاضر بالماضي وقابلنا بين ما هو معروف الآن وما لم يكن معروفاً في قديم الزمان حكمنا ان هذه القضايا كلّها مما لا يتعذر حلّهُ . وليس حلُّها على همة العلماء بعزيز

منتخبات من ديوان الحماسة

قال مسكين الدارمي

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

لِكُلِّ امْرِىءٍ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ ... وَمَوْضِعُ نَجْوَى لَا يُرَامُ اطِّلَاعُهَا

يَظَلُّونَ شَتَّى فِي ٱلْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ ... إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا

وقال يحيى بن زياد

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بَيَاضُهُ ... بِمَفْرَقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا

وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي ... تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ ان يَتَنَكَّبَا

وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْهٌ فَسَامَحَتْ ... بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

وقال المرار بن سعيد

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ
وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقال عصام بن عبيد الزماني

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ
أَدْخَلْتَ قَبْلِيَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

وقال معن بن اوس

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمْ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ
إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

وقال عمرو بن قميئة

لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَى فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا
إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

وقال اياس بن القائف

نُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا

فأكرم أخاكَ الدهرَ ما دمتما معاً كفى بالمماتِ فُرقةً وتنائيا
إذا زُرتُ أرضاً بعدَ طولِ اجتنابِها فقدتُ صديقي والبلادُ كما هيا

وقال آخر

وأنتَ امرؤٌ إمّا ائتمنتُكَ خالياً فخنتَ وإمّا قلتَ قولاً بلا علمِ
فأنتَ منَ الأمرِ الذي كانَ بيننا بمنزلةٍ بينَ الخيانةِ والإثمِ

وقال سالم بن وابصة الاسدي

أُحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُهُ كأنَّ بهِ عنْ كلِّ فاحشةٍ وقرا
سليمُ دواعي الصدرِ لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هجرا
إذا شئتَ أنْ تُدعى كريماً مكرّماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرّا
إذا ما أتتْ منْ صاحبٍ لكَ زلّةٌ فكنْ أنتَ محتالاً لزلّتهِ عذرا
غنى النفسِ ما يكفيكَ منْ سدِّ خلّةٍ فإنْ زادَ شيئاً عادَ ذاكَ الغنى فقرا

وقال المؤمل بن اميل المحاربي

وكمْ منْ لئيمٍ ودَّ أني شتمتُهُ وإنْ كانَ شتمي فيهِ صابٌ وعلقمُ
وللكفُّ عنْ شتمِ اللئيمِ تكرّماً أضرُّ لهُ منْ شتمهِ حينَ يُشتمُ

وقال بعض الفزاريين

أُكنيهِ حينَ أُناديهِ لأُكرمَهُ ولا أُلقّبُهُ والسوأةَ اللقبا
كذاكَ أُدّبتُ حتى صارَ منْ خُلُقي أنّي وجدتُ مِلاكَ الشيمةِ الأدبا

وقال رجل من بني قريع

اذا المرءُ أعيتهُ المروءةُ ناشئاً فمطلبُها كهلاً عليهِ شديدُ

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ ... وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهوَ حَمِيدُ

وَإِنَّ امْرَءًا يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقال آخر

وَإِنكَ لاَ تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ ... أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هوَ أَسْعَدُ

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ ... مِنَ اليَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ

وَفِي كَثْرَةِ الأَيْدِي لِذِي الجَهْلِ زَاجِرٌ ... وَلَلْحِلْمُ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

وقال آخر

وَإِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وقال العباس بن مرداس

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ

ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا ... وَلَمْ تَطُلِ البُزَاةُ وَلاَ الصُّقُورُ

لَقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البَعِيرُ

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى الخَسْفِ الجَرِيرُ

وَتَضْرِبُهُ الوَلِيدَةُ بِالهَرَاوَى ... فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ

فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمُ قَلِيلاً ... فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمُ كَثِيرُ

وقال منظور بن سحيم

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقِرَى أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي الْبَوَاكِيَا
فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا
وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِئَامٌ فَادَّكَرْتُ حَيَائِيَا
وَعِرْضِيَ أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

وقال سالم بن وابصة

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لَحْمِي وَلَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُهُ حِقْدًا مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمِ
بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوَتَّرَةً يَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ
إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال آخر

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

وقال نافع بن سعد الطائي

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكَرَّمَا
وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وقال حاتم الطائي

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا ... لِتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ
وَمَا أَنَا بِالطَّاوِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا ... لأَبْعَثَهَا خِفًّا وَأَتْرُكَ صَاحِبِي
إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقَلُوصِ فَلاَ تَدَعْ ... رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ
أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا ... فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبِ

وقال عروة بن الورد

دَعِينِي أُطَوِّفْ فِي الْبِلاَدِ لَعَلَّنِي ... أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الْحَقِّ مَحْمِلُ
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلُ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ ... تُلِمُّ بِهِ الأَيَّامُ فَالْمَوْتُ أَجْمَلُ

وقال آخر

تَثَاقَلْتُ إِلاَّ عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا ... وَخُلَّةِ ذِي وُدٍّ أَشُدُّ بِهِ ازْرِي

وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

لاَ أَحْسَبُ الشَّرَّ جَارًا لاَ يُفَارِقُنِي ... وَلاَ أَحُزُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً ... إِلاَّ وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا

وقال مالك بن حريم الهمداني

وَأُنْبِئْتُ وَالأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ ... وَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
بِأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ ... وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ
وَإِنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ ... يَحُزُّ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ
يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لاَ يَسْتَطِيعُهَا ... وَيَقْعُدُ وَسْطَ الْقَوْمِ لاَ يَتَكَلَّمُ

وقال محمد بن بشير

لأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بِالخَلَقِ وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالعُلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي وَكَانَ مَالِيَ لاَ يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي ٱلْمَنْهَلِ ٱلرَّنِقِ

وقال ايضاً والوزن كالاول

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجَا أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا
كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنَّ ٱلأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا
لاَ تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلاَ زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلِجَا
وَلاَ يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

وقال رجل من الفزاريين

وَلاَ خَيْرَ فِي حُسْنِ الجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي القَوْمِ الطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

تاريخ محمد علي باشا

تابع ما قبله

لما استتبَّ الامر لمحمد علي باشا في الديار المصرية ولم يبقَ لهُ منازع قوي يخشى شرهُ بعد نكبة المماليك وجه عنايتهُ الى استرضاء الدولة فاخمد لها ثورة الوهابية في الحجاز وساعدها على اخماد ثورة اليونان . وكان يعلم ان ذلك كلهُ لا يكفيها بل قد تعزلهُ في اية ساعة ارادت وتولي مصر مَن يدفع لها اكثر منهُ وانهُ لا بدَّ لهُ من ان يعدَّ المعدَّات الحربيَّة لمناوأتها اذا تصدَّت لهُ وهذه المعدات من جنود واسلحة وسفن حربية لا تقوم الاَّ بالمال الوافر فتصرَّف في جمعهِ على طرق شتَّى حتى لم يعد في الامكان ان تزاد الضرائب عما صارت اليهِ فحوَّل عنايتهُ الى اصلاح الزراعة والصناعة والتجارة لكي يزيد ريع البلاد ودخلهُ منها لانها اصبحت ملكاً لهُ والى افتتاح السودان لاستخراج الذهب من مناجمهِ وتجنيد الجنود من اهاليهِ والتخلص من الارنؤود الذين صار يخشى شرهم والى تنظيم الجنود المصرية على حسب الطرق الجديدة لكي يسهل عليهم مصادمة جنود الدولة اذا دعت الحال الى ذلك . حتى اذا قوي ساعدهُ خرج على الدولة فغزا سورية وفتح مدنها عنوة ونكَّل بالجيوش العثمانية في معارك كثيرة كما سيجيء وكاد يصل الى عاصمة السلطنة . ولولا الدول الاوربية ولا سيما انكلترا لكانت السلطنة العثمانية على غير ما هي عليهِ الآن وسنشرح هذه الامور باوجز عبارة

اخماد ثورة الوهابية

نشرنا في هذا الجزء فصلاً آخر يبين فيهِ اصل الوهابية وتحوُّلهم من الدعوة الدينية المحضة الى الغرض السياسي . وقد همَّ الدولة العلية امرهم لئلا تقوم في بلاد العرب خلافة عربية تنازعها الملك ولأن اشراف مكة رأوا ان امرهم صائر الى العدم اذا استفحل امر الوهابية فلم ينفكوا عن الاستنصار بالدولة عليهم مع ما كان فيها من الاضطراب الداخلي بقيام الانكشارية على السلاطين وقتلهم . فاستعانت بمحمد علي على الوهابية فكفاها شرهم ولكن بعد ان افنى في حروبهم بدرات الاموال وسفك دماء الوف من الرجال . وقد سيَّر عليهم ثلاث حملات الحملة الاولى بقيادة ابنهِ طوسون اوفدها سنة ١٨١١ وكان الشريف غالب امير مكة يكاتب محمد علي ويظهر لهُ النصح والصداقة ويعدهُ بنصرة عساكرهِ متى وصلت الى الحجاز . قال الجبرتي انهُ كان "ينافق للعثماني والوهابي في وقت واحد لانهُ كان يخاف الوهابي فيقول لهُ انهُ معهُ على العهود التي عاهدهُ عليها من ترك الظلم واجتناب البدع وكان يميل الى العثمانيين لكونهِ

على طريقتهم. ووصل جنود هذه الحملة الى قلعة ينبع وامتلكوها عنوةً ونهبوا كل ما كان فيها من الودائع والاموال والاقمشة والبن وقتلوا الرجال وسبوا النساء والبنات وباعوهنَّ ووصل المبشرون بذلك الى القاهرة فضربت المدافع من القلعة وطاف المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وارسلوا بتلك البشارة شخصاً الى اسلامبول يبشرون اهل الدولة وسلطان الاسلام باول فتح حصل"

وسارت الجنود المصرية من ينبع الى ان وصلت الى الصفراء والجديدة والارض هناك جبليَّة وكان العرب قد كمنوا لها فيها فهزموها شر هزيمة فهربت من وجوههم لايلوي اولها على آخرها ولجأ بعضها الى البريك وبعضها الى ينبع وبعضها الى المويلح وهي تظن العرب جادين في اثرها ولا احد يتبعها وعاد كثيرون منها ومن زعمائها الى مصر. قال الجبرتي "ولقيتُ بعض اكابرهم من الذين يدَّعون الصلاح والتورع فقال لي انّى لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام فيهِ فريضة . والقوم (الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذن فينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذَّن المؤذن وصلُّوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وينادون في معسكرهم هلمَّ الى حرب المشركين المستبيحين الزنا الشاربين الخمر التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات"

وبلغ شريف مكة ما حلَّ بالجنود المصرية عند الصفراء والجديدة فكاتب محمد علي وبيَّن لهُ من اين تؤكل الكتف وذلك ان الذين هزموا الجنود المصرية هم عرب حرب والصفراء وهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلتم لهم الاموال واغدقتم عليهم الانعام صاروا معكم وملكوكم البلاد . فجدَّ محمد علي في جمع الاموال باي وجه كان وارسلها صناديق محملة وجعل يرسل تجريدة بعد تجريدة الى ينبع وقصد اعوانهُ شيخ قبيلة حرب ولم يزالوا بهِ حتى وافقهم على غرضهم فاعطوهُ مئة الف فرانسه عدا الخلع والفراء وشالات الكشمير واعطوا كذلك بقية شيوخ العرب فسهلوا عليهم الاستيلاء على المدينة المنورة ثم على مكة وجدة . وبلغ الخبر محمد علي فافرج عنهُ ثم سار بنفسهِ الى الحجاز لكي يقوى جنودهُ على قهر الوهابية ولعلهُ اراد ايضاً ان يجد سبيلاً لامتلاك تلك البلاد حاسباً انهُ اذا لقب بصاحب الحرمين الشريفين رسخت في الولاية قدمهُ وانتشرت في الاقطار مهابتهُ واحجمت الدولة العلية عن مصادرتهِ . واخذ معهُ جماعة من الضباط الاوربيين ليدير بهم جنودهُ .

وكان زوج اخت شريف مكة قد خرج الى الوهابية وانتصر لهم فأُخذ اسيرًا ووضع الشريف الاغلال في عنقهِ وارسلهُ الى الاستانة فاسقط في يد الامير سعود امير الوهابية وأرسل يفتديهِ بالمال وطلب الصلح من محمد علي وشريف مكة فاجيب ان الصلح لا يتم ما لم يدفع كل ما أُنفق على الجنود من ابتداء الحرب الى ذلك الحين ويرد كل ما غنمهُ من الحجرة الشريفة ويدفع قيمة كل ما تخرّب بسببهِ

ثم ان محمد علي قبض على شريف مكة غيلةً وعلى اولادهِ وارسلهم الى جدَّة ومنها الى مصر واستولى على اموالهم وكنوزهم وهي وافرة جدًّا وفيها سبحات من الجوهر النفيس وأمّر الشريف يحيى بن الشريف سرور بدلاً من عمهِ لكن عملهُ لم يقع موقع الرضى عند رجال الدولة العلية لانهم اوجسوا منهُ شرًّا فارسلوا اليهِ ليرد الشريف الى مكة ويرد اليهِ ما اخذهُ منهُ من الاموال والذخائر . وعاد محمد علي الى مصر بغتة لانهُ بلغهُ ان خزندارهُ لطيف باشا عاد من الاستانة ومعهُ فرمان الولاية لنفسهِ وكان قد ارسلهُ اليها بخبر فوزهِ على الوهابية

وتوفي الامير سعود امير الوهابية وخلفهُ ابنهُ عبد الله وكان ضعيف الراي لين العريكة يكره الحرب وسفك الدماء فارسل الى طوسون باشا يعرض عليهِ الطاعة وتمَّ الصلح على ان يحتل طوسون باشا مدينة الدرعية عاصمة بلاد نجد وهي عاصمة الوهابيين ويرد الوهابيون ما اخذوهُ من الحلي والجواهر من الحجرة الشريفة ولا سيما الماسة المعروفة بالكوكب الدري التي زنتها مئة وثلاثون قيراطًا. وجاء نفر من الوهابيَّة الى القطر المصري حينئذٍ والتقى الجبرتي باثنين منهم وقال انهُ وجد منهما انسًا وطلاقة لسان واطّلاعًا وتضلّعًا ومعرفة بالاخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الاخلاق وحسن الادب في الخطاب والتفقّه في الدين واستحضار الفروع الفقهيَّة واختلاف المذاهب . وانهما دخلا الجامع الازهر وسألا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل وعن الكتب الفقهيَّة المصنفة في مذهبهِ فقيل لهما ان اهل هذا المذهب انقرضوا من ارض مصر . واشتريا نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشّاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها

ولم يرضَ محمد علي بهذا الصلح لانهُ لم ينلهُ ما كان يبتغيهِ من بلاد العرب فارسل ابنهُ الاكبر ابرهيم باشا لتأديب الوهابيَّة وعاد طوسون باشا الى مصر واصيب بالطاعون وتوفي بهِ . اما ابرهيم باشا فانهُ ابلى بالوهابيَّة وفتح مدنهم ومعاقلهم فسلموا لهُ واتى باميرهم عبد الله الى مصر ليسير منها الى الاستانة فقابلهُ محمد علي بالبشاشة وقام لهُ اكرامًا واجلسهُ الى جانبهِ وحادثهُ وقال لهُ ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال فقال محمد علي وكيف رأيت ابرهيم باشا

قال بذل الهمة وما قصَّر حتى كان ما قدَّرهُ المولى · وكان معهُ صندوق صغير سألهُ محمد علي عمَّا فيهِ فقال هذا ما اخذهُ ابي من الحجرة اتيت بهِ لآخذهُ الى السلطان وفتحهُ فاذا فيهِ ثلاثة مصاحف ونحو ثلثمئة حبةً من اللؤلؤ الكبير وحبةُ زمرُّد كبيرة · فقال لهُ محمد علي ان اباك اخذ من الحجرة اشياء كثيرة غير هذه فقال هذا الذي وجدتهُ عند ابي فانهُ لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسهِ بل اخذ منهُ كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة· فقال محمد علي هذا صحيح وقد وجدنا عند الشريف اشياء من ذلك

ووصل الامير عبد الله الى الاستانة فطافوا بهِ في شوارعها ثلاثة ايام ثم قطعوا رأسهُ وزالت بهِ شوكة الوهابيَّة

فتح السودان

كان محمد علي يسمع عن حروب نبوليون وعن مهارة الجنود المنظمة وتتوق نفسهُ الى تنظيم جنودهِ وحاول ذلك غير مرة فلم يستطع لان الجنود التي عندهُ من الارنؤود والدالاة والمغاربة كانت تثور عليهِ وتضطرهُ الى العدول عن رأيهِ فلما عاد من الحجاز وكان قد استخدم بعض الضباط الفرنسويين صمم على تنظيم جنودهِ بواسطتهم فثار رؤساء الجنود عليهِ وتآمروا على الفتك بهِ وافشى واحد منهم سرَّهم فاحتاط محمد علي لذلك ولما رأوا ان مكيدتهم عرفت لم يسعهم الرجوع عن عزمهم لانهُ لا بدَّ لهُ من الانتقام منهم على كل حال فاجمعوا على ان يتفرقوا في شوارع القاهرة و يعيثوا فيها فساداً حتى يتألب حولهم الرعاع وتشتد الفتنة ففعلوا ولكن دارت الدائرة عليهم · ورأى محمد علي حينئذٍ ان لا بدَّ لهُ من ارسال فريق كبير من الجنود غير المنظمة من البلاد حتى يتيسَّر لهُ تنظيم البقية وكان قد سمع عن غنى السودان ورأى التبر يؤْتى بهِ من سنار وزيَّن لهُ بعضهم سهولة الاستيلاء عليها وتجنيد الجنود منها فبعث اليها حملة عقد لواءها لابنهِ الاصغر اسمعيل باشا وكان قد علَّم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سڤ Sèves الفرنسوي ياور الجنرال ناي وهو الذي سمي بعدئذٍ سليمان باشا الفرنسوي فسهل عليها الفوز على السودانيين · وارسل حملة أُخرى عقد لواءها لصهرهِ محمد بك الدفتردار بعث بها لفتح كردوفان · وفتح اسمعيل باشا بلاد النوبة بعضها سلماً و بعضها حرباً وظلَّ سائراً الى ان وصل الخرطوم في نحو عشرة اشهر وسار منها قاصداً سنار وكان يلاقي بعض الصعاب في طريقهِ لان المماليك الذين فرُّوا من القطر المصري الى بلاد السودان اخذوا معهم بعض البنادق والمدافع وعلموا السودانيين كيفية الحرب والصدام. ودخل اسمعيل باشا سنار من غير حرب لان ملكها بلغهُ ما حلَّ بغيرهِ فلاقاهُ طائعاً فاقرَّهُ عليها ولكن وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسمعيل

باشا فمات اكثره ُ وبلغ محمد علي ذلك فبعث بابنهِ ابرهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسمعيل وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل في فرعيهِ الابيض والازرق . واصيب ابرهيم باشا بالدوسنطاريا فعاد ادراجه ُ الى مصر وتولى ياوره ُ طوسن بك قيادة جيشهِ

واما محمد بك الدفتردار فالتقى بجنود كردوفان في باره وهزمهم واثخن فيهم قتلاً واسراً لانهم كانوا مسلحين بالسيوف والحراب واما جنوده ُ فكانوا مسلحين بالبنادق والمدافع . ثم بلغهُ ان الملك نمراً ملك شندي اغتال اسمعيل باشا فعاد الى المتمة واثخن في اهلها وذلك ان اسمعيل باشا عاد الى شندي لانهُ بلغهُ ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استحضره ُ اليهِ وعنفهُ وفرض عليهِ جزية فاحشة فاضمرها له ُ ودعاه ُ الى وليمة هو ورجاله ُ وسقاهم كثيراً من المسكر وكان قد جمع قشاً وهشيماً حول مكان الوليمة فاضرم فيهِ النار ووقف هو ورجاله ُ بسيوفهم حول النار يقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسمعيل باشا خنقاً ومات كل الذين معهُ وانتشر الخبر في السودان فجاهر امراؤه ُ بالعصيان وعاد الدفتردار الى شندي كما تقدَّم فقتل اهل المتمة ووجد ان الملك نمراً هرب من وجههِ فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصله ُ الامر من محمد علي بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوَّخ بلاد السودان ومهَّدها للولاة الذين جاءوها بعده ُ ولم يجد فيها محمد علي ذهباً كثيراً ولا تجارة كريمة لكنهُ استفاد من تجارتها ومن الرقيق الذي كان يرد منها . ولم يحسن ولاتهُ ادارتها فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفاً للظلم والقسوة حتى الآن

اخماد ثورة اليونان

وثارت بلاد اليونان تطلب الاستقلال فاستعان الباب العالي عليها بمحمد علي ليشغله ُ عن طلب الاستقلال فخرج عليها ابرهيم باشا بنحو ثمانية آلاف من المشاة وثمانمئة من الفرسان والمدفعية وكان قد استخدم كثيرين من الضباط الفرنسويين والايطاليين لتنظيمهم وكان معهُ اسطول كبير فيهِ ثلاثون بارجة واربع حراريق و ١٦ من مراكب النقل التركية و ٢٨ من مراكب النقل الاوربيين فعقد الفوز له ُ في كل المعارك تقريباً حتى خيف من انهُ يستأثر بامتلاك بلاد اليونان ولكن جاءت واقعة نفارينو المشهورة سنة ١٨٢٧ فتلف بها الاسطول المصري والاسطول التركي ثم جاءت معاهدة لندن فحرمتهُ من ثمرة حربهِ في بلاد اليونان . وأرسلت الجنود الفرنسوية لاخراج الجنود المصرية من تلك البلاد ولكنهُ جنا شيئاً آخر وهو ان جنوده ُ تمرَّنت على الحروب المنتظمة حتى فازت في المعارك التي وقعت بينها وبين الجنود العثمانية كما سيجيء

تعمير البلاد

لا نريد بتعمير البلاد هنا ترقية اهاليها وتسهيل سبل الكسب لهم وحفظ ما في يدهم من الاموال والمقتنيات كما تفعل الممالك المتمدنة الآن . بل تكثير خيراتها وترويج متاجرها حتى ينال واليها النفع الاكبر منها . هذا هو الغرض الذي كان محمد علي يرمي اليهِ في ما فعلهُ في البلاد ودليلنا على ذلك انهُ كان يناظر التجار ويحاول احتكار التجارة والاستئثار بالمكاسب كلها واذا بلغهُ ان احداً من الاهالي جمع ثروة طائلة صادرهُ فيها حتى يبتزها منهُ وقد يبتز روحهُ معها . وتاريخ الجبرتي مملوء من هذه المصادرات حتى ان الثروة كانت اكبر بليَّة على الناس. والظاهر ان الايام لينت طباعهُ في اخريات ايامهِ فصار حليماً رؤوفاً يرأف بالناس ولو اثروا وقد ينعم عليهم بالاموال الطائلة

اما الملوك الذين غرضهم الاول تعمير بلادهم فلا يتصدون للتجارة ولا يناظرون الناس في اعمالهم ولا يصادرون الاغنياء بل يكرمونهم ويحسبونهم من دعائم ملكهم

وقد اورد الجبرتي اخباراً كثيرة عما كان محمد علي يفعلهُ في احتكار التجارة قال في حوادث سنة ١٢٢٥ هـ انهُ "سافر الى الاسكندرية ليبيع الغلال التي جمعها من البلاد بالفرض التي فرضت على الاهالي فباع الافرنج اكثر من مئتي الف اردب كل اردب بمئة غرش وسعر الاردب في مصر ثمانية عشر غرشاً وهو لم يشترِها ولم تكن عليهِ بمال بل اخذها من زراعة الفلاحين من اصل ما فرضهُ عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل والزامهم بكلفة شيلهِ واجرة نقلهِ الى المحل الذي يلزمونهم بوضعهِ فيهِ واخذ من الافرنج ثمنهُ اصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسه والبضائع من الجوخ والقرمز والقصدير". فهذه مئتا الف جنيه وكأنها خرجت من جيوب الفلاحين ودخلت جيبهُ

وقال في حوادث سنة ١٢٣١ انهُ "استمرَّ في بناء السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلي وبحري الى الاسكندرية لتباع للافرنج الاردب من الحنطة بستة آلاف فضة . وكان اذا استوفى كل المطلوب من الفلاحين وبقي عندهم شيءٌ من الحبوب اخذهُ منهم وحسبهُ لهم بنصف ثمنهِ ولا يعطيهم هذا النصف بل يحسبهُ لهم من اصل المال الذي يطالبون بهِ في العام المقبل . ولرغبتهِ في التجارة انشأ سفناً بحر الروم وبحر القلزم واقام لهُ وكلاء في كل الاساكل حتى ببلاد فرنسا وانكلترا ومالطه وازمير وتونس ونابلي والبندقية واليمن والهند واعطى اناساً مقادير عظيمة من الاموال ليسافروا بها ويجلبوا البضائع وجعل لهم الثلث في الربح نظير سفرهم وخدمتهم فمن ذلك انهُ اعطى للرئيس حسن المحروقي خمسمائة الف فرانسه ليسافر بها الى الهند

ويشتري البضائع الهندية ويأتي بها الى مصر ولخص آخر ستمائة الف فرانسه وكذلك لمن يذهب الى بيروت وبلاد الشام لمشترى الحرير. وعمل في مصر مصانع لنسج القطن والحرير والجنفيص واحتكر ذلك وابطل دواليب الصنّاع واقامهم يشتغلون وينسجون في المناسج التي احدثها ويأخذ من ذلك ما يحتاج اليهِ وما زاد يرميهِ على التجار وهم يبيعونهُ للناس باغلى ثمن وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفاً بعد ان كان يباع بنصفين"

وقال في مكان آخر انهُ "اخذ كل ما ورد في مراكب التجار من البضائع على ذمتهِ ثم باعهُ للمتسببين بما احب من الثمن. وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبهُ اخضر وجرمهُ اكبر من جرم البن اليمني الذي يأتي الى مصر في مراكب الحجاز فاخذهُ في جملة ما اخذهُ في معاوضة الغلال ورماهُ على باعة البن في مصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونهُ بالزيادة ويخلطونهُ مع البن اليمني وهو دون البن اليمني في الطعم واللذة وبينهما فرق ظاهر". ولخص تلك الاقوال في حوادث سنة ١٢٣٥ حيث قال "ان اسباب الخراب التي نصَّ عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة وزاد على ذلك احتكار جميع الاصناف والاستيلاء على ارزاق الناس فلا تجد مرزوقاً الاَّ من كان في خدمة الدولة متولياً على نوع من انواع المكوس او مباشرًا او كاتباً او صانعاً في الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينمُّ بها عليهِ فيحاسب عن مدة استيلائهِ فيجتمع عليهِ جملة من الاكياس فيلزم بدفعها وربما باع دارهُ ومتاعهُ فلا يفي بما تأخر عليهِ فاما يهرب ان امكنهُ الهرب واما يبقى في الحبس هذا اذا كان من ابناء العرب واهالي البلد واما اذا لم يكن منهم فربما سومح او تصدَّى لهُ من يخفف عنهُ او يدخلهُ في منصب او شركة فيرتفع ويرجع احسن مما كان"

وهذا ابلغ وصف رأيناهُ للاسلوب العقيم الذي جرى عليهِ محمد علي في تعمير القطر المصري ولا عجب اذا زالت آثار اعمالهِ النافعة لانها كانت مرتبطة بهِ ومتوقفة عليها فلما زال زالت ولم يبقَ منها الاَّ ما هو عمومي مثل الترعة المحمودية التي اوصل بها الماء الى الاسكندرية وجعلها كافية للملاحة. وسد ابي قير الذي ردَّ بهِ غوائل البحر عن مديرية البحيرة. والقناطر الخيرية وهي وان لم تفد في زمانهِ لكنها افادت في هذا العصر بعد ان قوّيت ووثقت جدرانها فوائد لا تقدَّر بمال لانهُ لولاها ما امكن زرع القطن في الوجه البحري ولو لم يبنها هو لبنيت في هذا العصر

وكتب المستر باركر الذي كان قنصلاً لانكلترا في هذا القطر يصف اشتغال محمد علي

بالتجارة قال لما اتيت هذا القطر كنت احسب ان سموّهُ يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميلهِ مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا من القطن في السفينة الفلانية وطيهُ ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابقِ صافي الثمن تحت امري . وظننت انهُ يمكنني ان اقنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاختبار ان التجار يخونونهُ اذا ائتمنهم ولذلك فالطريقة الفضلى لهُ ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعهُ بالمزاد لمن يرسو عليهِ اعلى سعر ويكون الثمن نقداً . ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيهِ مشروعاتهُ من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدّم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة او ستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة اعشار الثمن نقداً واتعهَّد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا . وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفاً والباقي عند التسليم . ويقول الذين ذاكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيهِ غبن كثير على المشتري . واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انهُ يبقى عندهُ جانب من الثمن طلب منهُ ان يرسل اليهِ بعض الآلات الثمينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنهُ الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديوناً لا دائناً حاسباً ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبهُ منهم لكي لا يخسروا معاملتهُ

ثم كتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يصف استعداد محمد علي لمحاربة السلطان قال ان الباشا باذل اقصى جهدهِ في تحصين الثغور البحرية لانهُ يحسب ان السلطان سيعود اليهِ ويناقشهُ الحساب بعد فراغهِ من حرب الروس . وعندهُ الآن خمسون الفاً من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفاً من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيرًا لا تزال ترهبهُ . وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس . ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فاتلف من المزروعات ما يقدَّر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنهُ لم يتأخر عن التأهُّب مخافة من ان يقصدهُ السلطان بمكروه . وغاظهُ عقد الصلح بين الدولة والروس لانهُ اراح السلطان . وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولها خمسون مدفعاً بناها لهُ رجل تركي امي لا يقرأ ولا يكتب. وعندهُ رجل فرنسوي اسمهُ ده سريسي وهو الذي يبني سفنهُ عادةً وقد بنى لهُ الآن بارجة

محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال يبني ثلاث بوارج أخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب سنة ١٨٣٠ يقول لم تبقَ شبهة في ان محمد علي ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم . وقد تكلم ابرهيم باشا مع ضباط جيشهِ وبيَّن لهم عزمهُ على مناوأة الدولة كأنهُ يريد ان يؤثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونهُ . ومما قالهُ لهم " ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منهُ شربة ماء لمنعها عنا . ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عندهُ كاولادهِ وبفضلهِ وكرمهِ وصلنا الى ما صلنا اليهِ انا وانتم . مصر لهُ اخذها بسيفهِ ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيره "

وكتب يصف بعض المصانع التي انشأها محمد علي قال لما صرنا على مقربة من رشيد التفتُ الى الشاطىء فاذا انا بجبل من بالات القطن فيهِ الف وخمسمائة بالة وبجبل آخر من أكياس الفول يصعد عليهِ السياح فيطلون على المدينة والبلاد المجاورة لعلوهِ . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرهِ ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً فاخراً لعمل الطرابيش المغربية لم يستطع الاوربيون ان يناظروهُ . وفي هذه المعامل ثلاثة آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين

وكتب سنة ١٨٣١ يقول ان محمد علي شرع في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون اكبر بوارج الدنيا طول جسر قاعدتها مئتا قدم وعرض ظهرها نحو ستين قدماً . وقد بلغ قطنهُ هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندهُ زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وقد نجحت زراعة شجر التوت لتربية دود الحرير ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكر والروم . والمدبغة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي لاحذية الجنود والبحارة

وزبدة القول ان محمد علي امتلك الديار المصرية بالحرب والحيلة وجرى على الاساليب التي كان يجري عليها معاصروهُ من اهل المشرق وكال لخصومهِ بالكيل الذي كانوا يكيلون لهُ بهِ لو تمكنوا منهُ . ثم سمت نفسهُ الى توطيد قدمهِ وتوسيع ملكهِ فاعدَّ ما استطاع من عدة واستخدم ما اتصلت اليهِ يدهُ من الوسائل لتنظيم الجيوش وعمل الاسلحة وبناء البوارج واوجد ما يلزم لذلك من الاموال الطائلة باستغلال البلاد واصلاح زراعتها واخذ كل ما امكن اخذهُ من اهاليها والقبض على ازمة الصناعة والتجارة . وقد اضطرهُ ذلك الى حماية الاوربيين وترغيبهم في الاقامة فيها فروعيت حقوق الناس رويداً رويداً الى انتسخت اساليب الجور القديمة . اما الحملة على بلاد الشام وما جاورها فسنفرد لها فصلاً خاصاً في الجزء التالي

ألرجل أسعد ام المرأة

يتفنن اصحاب الجرائد الغربية تفنناً غريباً في ابتكار المواضيع وابتداع الطرق والاساليب لترويج جرائدهم وفتح باب المناقشة والمناظرة في المواضيع الادبية والاجتماعية التي يتشوق الجمهور اليها ويقبلون عليها مثل مسألة العزوبة والزواج والمقابلة بين الجنسين الرجال والنساء في الخَلق والخُلق كقولهم "ايُّ اجمل الرجل او المرأة" وقولهم "ايُّ اسعد عيشاً الرجل او المرأة" فيقبل الكتاب على الكتابة في امثال هذه المواضيع وكلٌّ يرى رأياً ويذهب مذهباً

ومن هذه المواضيع ما اقترحهُ صاحب مجلة بيرصون في جزء حديث. فانهُ كان يتنزه في بعض الغياض فرأى سنجاباً يتسلق شجرة فتمنى لو مسخ مثلهُ يوماً واحداً ثم عاد بشراً فيخبر بما كان يشعر بهِ في اثناء مسخهِ. وخطر في بالهِ ان يسأل قراء مجلتهِ من العلماء الطبيعيين السؤال الآتي وهو "لو أُتيح لكم ان تمسخوا حيوانات فاية الحيوانات تختارون" فمنهم من اختار الفيل ومنهم من اختار الوعل ومنهم من اختار القرد او السمكة او الذبابة او العصفور. والذي اختار الذبابة انما اختارها لسرعة طيرانها في الهواء فتتمتع من مناظر الطبيعة ومشاهدها بما لا يتيسر لانسان ولكن لم يرضهِ قصر عمرها. ومن اختار العصفور قال انهُ اختارهُ لانهُ ملك الهواء يتقلب في طبقاتهِ كيف شاء ويحوم على الاشجار ذات الاثمار ويتنقل في الرياض بين الازهار

وفائدة الكتابة في هذه المواضيع شاملة للكاتب والقارئ. فالاول يجد فيها متسعاً للتصورات والتخيلات مما يشحذ القرائح ويعوّد القلم السيولة في كلّ ما ينتدب اليهِ. والثاني يتعلم منها ما لم يكن يعلمهُ ولاسيما اذا كان الكاتب ممن حوى ووعى

عرفنا استاذاً كان يقترح على تلامذتهِ الكتابة في مواضيع على هذا المنوال ظاهرها تافه مضحك وباطنها مفيد مهذّب. منها "لو كنت هرًّا" اي ان يحسب كلٌّ منهم نفسهُ هرًّا ويكتب تاريخ عمرهِ من لدن شبَّ حتى درج وما جرى لهُ في حياتهِ وما ارتكب من السرقات وما اتى من المنكرات. فكان كلٌّ يكتب ما تملي عليهِ مخيلتهُ وتجود بهِ قريحتهُ

كتب بعضهم في الموضوع الذي سبقت الاشارة اليهِ في صدر هذه المقالة وهو "ايُّ اسعد عيشاً ألرجل او المرأة" فوضع نفسهُ تارةً موضع الرجل وطوراً موضع المرأة. فذكر المزايا التي للرجل على المرأة كما يشعر بهِ هو ثم المزايا التي للمرأة على الرجل كما صوّرهُ لهُ الخيال

واراهُ الاختبار والمشاهدة ثم وضع مزايا كلٍّ في كفة من كفتي ميزان خيالهِ فرجحت كفة المرأة وحكم انها احسن حالاً واسعد عيشةً من الرجل . قال

يمتاز الرجل على المرأة بانهُ اقوى بدناً واقل تأثرًا وشعورًا . وهو يعتقد انهُ اسعد حالاً من المرأة واعتقادهُ هذا يساعدهُ على احتمال كثير من متاعب الحياة ومشاقها بلا تأفف ولا تذمُّر . ولعل هذا الاعتقاد وهميٌّ لا اساس من الصحة لهُ ولكنهُ متأصل في صدور الرجال الى حدٍّ ان اشقاهم حالاً وانحسهم طالعاً يأبى ان يكون امرأة ولو كانت اهنأ النساء عيشاً واسعدهنَّ طالعاً . وعندهُ ان اسعد النساء اشقى من اشقى الرجال

على ان الكون كلهُ اوهام في اوهام ولولا ذلك لباد السلام وساد الخصام . فان النساء يعتقدن اعتقادات ليست اقلَّ تاصلاً في صدورهنَّ من الاعتقاد المتقدم في الرجال بل ربما كانت ارسخ في نفوسهنَّ واثبت . اما تاثير اعتقاد الرجال المذكور آنفاً فيهم فهو انهُ يجعلهم لطفاء في معاملة النساء راغبين في العمل والسعي لعيالتهنَّ حريصين على الذود عنهنَّ . وهذا الامر طبيعي لازم لانهُ اذا ربي فتى كملت فيهِ صفات الرجولة بين فتيات قويات البنية مستقلات الراي عظيمات النفوذ والسلطة عليهِ ضعفت فيهِ صفات الرجولة ونشأ اشبه بالنساء منهُ بالرجال . وبعبارة اخرى ان اختبارهُ للفتيات اللواتي نشأ بينهنَّ لم يعلمهُ ان المرأة ضعيفة تستحق عطف الرجل عليها ومساعدتهُ لها كما هو اختبار الرجال عادة بل انها اقوى منهُ فينحط لذلك من مقام الرجال . وهذا شان الرجل الذي يتزوج امرأة مترجلة فانهُ يخضع لها في الغالب وتفتر همتهُ وتضعف عزيمتهُ

هذا ولما كان الرجال اكثر حرية واستقلالاً من النساء كانوا بالطبع اكثر تعرُّضاً للخطر منهنَّ فان حريتهم في الشغل والعمل جعلتهم اقوى بنية واكثر تعرُّضاً للمشاق والمخاطر . ثم ان الرجال اكثر تعلماً من النساء وتمرساً بشؤُون الحياة وعليهِ ينتظر منهم اكثر مما ينتظر منهنَّ فاذا قصروا طولبوا على قدر معرفتهم واستحقوا اللوم على قدر اختبارهم لان الذي يعرف كثيرًا يطالب باكثر

ويقاسي الرجال من مناظرة اقرانهم ومنافستهم اكثر مما يقاسي النساء ولكن النساء لا يعلمن ذلك لان الرجال قلما يخبرونهنَّ بهِ والمرأة لا تخشى اختها مثلما يخشى الرجل اخاهُ . فانك كثيرًا ما ترى الرجل يقضي عليهِ يأساً بسبب ما يلقى من نكران الجميل وقلة الاخلاص والوفاء واللؤم ممن كان يظنهم خلَّص الاصدقاء فضلاً عما ينالهُ من كيد الاعداء وانتقامهم . اما المرأة فقلما ينالها مثل ذلك

والعمر اشبه بمرسح او ميدان صفّت حوله المقاعد والمجالس فيتصارع الرجال في ساحته ويتطاعنون ويقتل بعضهم بعضاً على ان النساء يجلسن في كراسيهنَّ ويشاهدن ما يجري وجهد ما يلقين من العناء انهنَّ يتزاحمن على المقاعد الامامية وغاية ما ينال المغلوبة منهنَّ انها لا تجد لها كرسيًّا فتقف خلف المقعد الاخير بعيدة عمَّا يتعرض له المتبارزون من الموت او العار

ثم ذكر الكاتب بعض هموم النساء ومشاغلهنَّ فقال ان منها هموم الزواج والازواج والاولاد والخدم والخياطات. ثم هموم العزوبة وما فيها من العزلة وما تجرهُ من الكآبة والسوداء فتشتغل الغنيات منهنَّ بالمبرات. ومتوسطات الحال بالاقتصاد حتى تستفيد الواحدة من الدينار قدر ما تستفيد الغنية من خمسة دنانير. والفقيرات اما باحتراف الحرف واما بارتكاب المعاصي. ومن رأيهِ انهُ مهما كثرت هموم النساء ومشاغلهنَّ فهي دون هموم الرجال ومشاغلهم

المرأة بين الغيرة والحب

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يشتهيها احد لعدوٍ فضلاً عن صديق — وقفا بين عاملين قويين تنازعاهما وتجاذباهما كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليهِ الَّا اذا قلَّت قوة الآخر او صارت اقرب اليهِ منها الى الآخر

ففي تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديدتين حبّ بلادهِ وحبّ ولي عهدهِ فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهدهِ على ما كان بهِ من السفه والطيش والعناد يجرُّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتلهِ براً بوطنهِ

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروسيّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حب الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قائلة الزوج والاولاد فداء البلاد وهجرت بيتها براً بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حُكم على ولي عهدهِ بقلع عينيهِ فاما ان يعفو عن ابنهِ فيسخط العدل ويرضي الرحمة او ان ينفذ الحكم فيهِ فيرضي العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنهُ لذة بصرهِ فاختار الثاني ولكنهُ فقأ عيناً من عيني ابنهِ وعيناً من عينيهِ فوفق بين العدل والرحمة بما يرضيهما كليهما

وفي الرواية المعروفة باسم "غرام وانتقام" وقف بطل الرواية بين حب معشوقتهِ

والانتقام من ابيها قاتل ابيهِ فاختار الثاني دون الاول ولم يمنعهُ هوى حبيبتهِ عن الاخذ بالثار ازالة للعار

ومن اجمل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة أُوقفت موقفاً حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليهِ من بنات جنسها . ومتى عرفت ان الغيرة اظهر صفات المرأة واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركت حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرير الخبر ان اميرة حبشية احبت فتى من رعايا ابيها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنتهِ بان يقاد الى مشهد لهُ بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امرهُ بان يفتح الباب الذي يختارهُ فاذا كان وراءهُ الوحش مزقهُ ارباً او كان وراءهُ الفتاة زوجهُ اياها حالاً واطلق سبيلهُ وعفا عنهُ

فحار الفتى في امرهِ وادار نظرهُ في جمهور المشاهدين حولهُ فوقعت عينهُ على عين الاميرة حبيبتهِ وكانت هي وحدها تعلم ما في كلٍّ من الغرفتين فأشارت اليهِ ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لقي —

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الاميرة حبيبها على الباب الذي كان الوحش وراءهُ فلقي حتفهُ او دلتهُ على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءهُ فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرتها من الفتاة الجميلة التي اختارها ابوها ليزوجهُ اياها فدلتهُ على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرتها على حبها فدلتهُ على الغرفة الاخرى حيث افترسهُ الوحش الضاري مفضلة موتهُ على تزوجهِ بفتاة اخرى غيرها

فلبى الكتّاب دعوتها رجالاً ونساء وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان الاميرة دلت حبيبها على باب نجاتهِ ومن ذاهب الى انها دلتهُ على باب حتفهِ . واكثر الكاتبات من الفريق الاول وحجتهن في ذلك انهُ وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة فانهُ لايهون عليها ان ترى حبيبها يمزق ارباً امام عينيها . وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منهُ لانها اذا كانت مخلصة في حبها لهُ ضحت كل شيءٍ لتفتديهُ وتنقذهُ

وقالت اخرى انهُ وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرتها الى حد الجنون الّا انها لا بدَّ ان تكون قد قالت في نفسها ما دمتُ في قيد الحياة ففسحة الامل

واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كلَّ ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بابعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

وقال كاتب ارى ان الاميرة عقدت نيتها على انقاذ حبيبها فلا تفقده بوقوعهِ بين براثن الوحش المفترس وان كان انقاذها لهُ يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانهِ بفتاة غيرها . والسبب في عقدها النية على تخليصهِ علمها انهُ وان تزوج غيرها لم يفنِ العمر عن ان يحلها المحلَّ الاول من قلبهِ وهذا مما يعزيها لانهُ ما من شيء تطمح المرأة اليهِ في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لها المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عندهُ علماً منها بميل الرجل ميلاً فطرياً الى الارتقاء في المناصب. ثم انها تؤمل ان تموت زوجتهُ فتتزوجهُ بعد موت ابيها وهذا الأمل يوسع مجال العيش في عينها ويمكنها من احتمال المحنة بالصبر والسكينة

وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشدَّ من الحبّ ثورة ولكن الحبَّ يتغلب عليها اخيراً فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنتهُ عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب . وهو لم يسيء اليها وانما اساء اليها ابوها بالحكم الذي حكم بهِ على الشاب

وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات

لا ريب عندي ان الاميرة دلَّت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع فائرة الدم لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذلك

وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصاً قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمَّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهنَّ امواتاً على ان يتزوجوا غيرهنَّ اذ لا بغض اشدَّ من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلَّمت الاميرة حبيبها الى الهلاك عفواً واعتباطاً . وقال آخر ان غيرة المراة اشدُّ وطأة من حبها

ومن الكتَّاب من مزج المزح بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات اليها وطلبت منهُ ان يضع في احدى الغرفتين نمراً كان حبيبها قد رباهُ وعلمهُ الصراع وصارعهُ مراراً في المرسح امام ابيها وغيرهِ من المشاهدين . فلما أُطلق عليهِ لم يمسَّهُ بسوءٍ بل جعل يدور حولهُ متودداً اليهِ ثم انقلب على جنبهِ كأنهُ ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ابنتهُ باحتفال حافل

الطعام واللباس

من المسائل التي يكثر تداولها على الالسن قولهم ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس . وقد ظهر بالاختبار ان ما نحتاج اليهِ من الطعام يختلف كثيرًا باختلاف الاحوال واخصها الاقليم الذي نسكنهُ والحرفة التي نحترفها فان الذين يحترفون الحرف الشاقة من بدنية وعقلية يحتاجون الى مقادير من الطعام اكثر مما يحتاج اليهِ الذين لا شغل لهم ولا عمل بل يقضون معظم الوقت في البطالة والكسل . وطعام الذين يسكنون الاقاليم الحارة يجب ان يختلف في كميتهِ ونوعهِ عن طعام سكان الاقاليم الباردة

ومعظم الناس يأكلون اكثر مما يجب ان يأكلوا ولا يمكن تعيين كمية واحدة من الطعام لكلّ احد . ولكن وجد بعد البحث ان متوسط ما يلزم للبالغ من الذكور من الطعام الجامد في اليوم بين ٥٠٠ و ٧٠٠ درهم ومن الماء بين ٦٠٠ و ٩٠٠ درهم . والاناث يحتجن الى اقل من ذلك

وهذا الطعام الجامد اما ان يكون كلهُ نباتًا او خليطًا من الاطعمة النباتية والحيوانية والطعام المختلط خير من غيرهِ والناس يميلون اليهِ . وهم اقل حاجة الى الطعام في الصيف منهم اليهِ في الشتاء والسبب في ذلك ان الطعام مصدر حرارة الجسم ولما كان الجسم يشعُّ من حرارتهِ شتاء اكثر مما يشعُّ منها صيفًا كانت حاجتهُ الى ما يعوّض الحرارة في الحالة الاولى اكثر منها اليهِ في الحالة الثانية

واكثر مواد الطعام توليدًا للحرارة اللحم وخصوصًا الدهن وكأن الناس عرفوا ذلك بالغريزة فترى سكان الاصقاع الباردة يكثرون من اكل اللحوم وبعضهم يقتصر عليها دون غيرها وترى سكان المناطق الحارة يكثرون من اكل ما تنبت الارض من حبوب وبقول واثمار . وكأن الطبيعة تروم تنبيه الناس الى الاقلال من اكل اللحوم في الصيف والاكثار من المواد النباتية فتكثر الاثمار والبقول صيفًا

واكثر الخضر غذاء البازلاء واللوبياء والفصولياء والاثمار الموز . اما الاثمار الكثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال وما اشبه فانها قليلة الغذاء ولكن لها فوائد كثيرة

والانسان يشرب عادة في فصل الحر بين ٦٠٠و٩٠٠ درهم من الماء كلّ يوم ولكن طلب الماء يتوقف على درجة افراز العرق فكلما زاد افرازهُ زاد طلب الماء وكلما قلّ قلّ . وافضل ما يخفف العطش ويبرد الظمأ الماء المعتدل البرودة . ولكن اذا برد الماء كثيرًا وشربت منهُ

جرعات كبيرة كان منهُ ضرر وهكذا يقال في جميع المبردات فانها تضرُّ المضم وتسبب التخمة اذا أكثر الانسان من شربها او شرب منها جرعات كبيرة . اما شرب الماء المبرَّد جرعات صغيرة فانهُ يخفف العطش ولا يضرُّ

ومن احسن المبردات الليموناده وسائر ما يدخلهُ الليمون على شرط ان يصنع من الليمون الطبيعي . اما ما يصنع من حامض الطرطير وحامض الليمون والحامض اللبنيك فمضرٌّ جدًّا والسوائل الغازية مثل الغازوزة منعشة للجسم لاحتوائها على غاز الحامض الكربونيك

وليس اضرُّ من شرب المشروبات الروحية في الحرّ . فان الذين يكثرون من شربها اقلُّ احتمالاً من غيرهم للحرّ واكثر عرضة للاصابة بالرعن (ضربة الشمس) . وقدّ اشتدَّ الجدال بين الاطباء على ما اذا كان الكحول مغذياً يحسن شربهُ في حال الصحة او لا . والاكثرون على انهُ اذا لم تزد كمية ما يشرب منهُ في اليوم على ١٢ درهماً فهو مفيد على الغالب اما الخمور التي هي اقلُّ كحولاً واخفُّ فعلاً فيجوز الشرب منها الى حدّ ثمانين درهماً . واذا مزجت بالغازوزة انعشت في الحرّ

اما اللبس فخير للانسان أن لا يلبس ملابس غامقة اللون في الحرّ لانها تمتصُّ من الحرارة اكثر من غيرها واحسن الالوان الابيض فالاصفر فالضارب الى الحمرة فالضارب الى الخضرة فانها اقلُّ امتصاصاً للحرارة واسرع اشعاعاً

اساطيل الدول

اتَّضح الآن ان للاساطيل الحربيَّة الشأن الاكبر لدى الدول البحرية وان للبوارج المقام الاول بين الاساطيل لانها اقوى من غيرها في الهجوم واصبر في الدفاع . وقد عني قلم المخابرات البحرية في الحكومة الاميركية بالمقابلة بين اساطيل الدول ووصل في هذه المقابلة الى اول يونيو الماضي اي الى ما بعد المعركة البحرية الاخيرة بين الروس واليابان . وجعل اساس المقابلة كبر السفن الحربية وعمرها . وقسم السفن الى تسعة اقسام الاول البوارج التي من الطبقة الاولى وهي التي تفريغها عشرة آلاف طن فاكثر . والثاني حاميات السواحل من البوارج الصغيرة والسفن المراقبة . والثالث الطرادات المدرعة . والرابع الطرادات التي تفريغ الواحد منها اكثر من ٦٠٠٠ طن . والخامس الطرادات التي تفريغ الواحد منها بين ٦٠٠٠ و ٣٠٠٠ طن . والسادس الطرادات التي تفريغها بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ طن . والسابع متلفات قوارب الطوربيد .

والثامن قوارب الطوربيد . والتاسع الغوّاصات . وقد حُسب بين الطرادات كل السفن الحربية غير المدرعة التي تفريغها اكثر من الف طن وأُهمل وصف الطرادات المحمية لان كل الطرادات صارت محمية بدروع تحمي آلاتها

ولقد كان ترتيب الدول البحرية في اول هذا العام هكذا : بريطانيا . فرنسا . روسيا المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . النمسا . فكانت نتيجة المعركة البحرية الاخيرة ان هبطت قوة روسيا البحرية من المقام الثالث الى المقام السابع وصارت تحت اليابان فصار ترتيب الدول البحرية هكذا : بريطانيا . فرنسا . المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . روسيا . النمسا . وصارت نسبتها بعضها الى بعض هكذا

بريطانيا	١٥٩٥٨٧١	طن	ايطاليا	٢٥٤٥١٠	طن
فرنسا	٠٦٠٣٧٢١	"	اليابان	٢٥٢٦٦١	"
المانيا	٠٤٤١٢٤٩	"	روسيا	٢٢٤٢٣٧	"
الولايات المتحدة	٠٣١٦٥٢٣	"	النمسا	١١٢٣٣٦	"

وقد ذكر في الجدول التالي عدد ما عند كلٍّ منها من البوارج والطرادات وقوارب الطربيد الخ

	بريطانيا	فرنسا	المانيا	اميركا	ايطاليا	اليابان	روسيا
بوارج من الطبقة الاولى	٥١	١٩	١٦	١٢	١٣	٥	٧
حاميات السواحل	٦	١٧	١٦	١٢	١	٥	٧
الطرادات المدرعة	٢٩	١٨	٤	٢	٥	٨	٣
طرادات فوق ٦٠٠٠ طن	٢١	٤	٠	٢	٠٠	٠٠	٤
" بين ٦٠٠٠ و ٣٠٠٠	٥٠	١٨	٩	١٦	٠٥	١١	٣
" بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠	٥٦	١٨	٢٧	٢١	١٢	١١	٧
متلفات قوارب الطربيد	١٢٦	٣١	٣٧	١٦	١١	٢٢	٣٣
قوارب الطربيد	٩٠	٢٣٨	١٠٥	٢٧	١٠١	٨١	٨٢
غواصات	٠٩	٣٧	٠١	٠٨	٠١	١١	١٣

وفي اول يناير الماضي كانت قوة روسيا البحرية ٤٤٧٣١٥ اي اعظم من قوة المانيا وكانت قوة اليابان حينئذٍ ٢٢٠٧٥٥ فخسرت روسيا نصف قوتها غرقاً واسراً فصارت ٢٢٤٢٣٧ وكسبت اليابان ما محمولهُ ٣٢٠٠٠ طن فصارت قوتها البحرية ٢٥٢٦٦١ وستزيد قوتها بانتشال بعض البوارج والطرادات الروسية واغتنام ما دخل المرافئ المحايدة في جملة غرامة الحرب

ثم ان جانباً كبيراً من العمارة الباقية لروسيا محصور في البحر الاسود لا يستطيع الخروج منهُ وتفريغهُ ٩٣٠٠٠ طن فالباقي لروسيا مما تستطيع ان تلقى بهِ اعداءها في عرض البحار لا يزيد على ٢٣٧ ١٣١ طن . واذا استولت اليابان على السفن الروسية اللاجئة الى المرافىء الاجنبية زادت عمارتها بارجة وخمسة طرادات ومدفعية وستة من قوارب الطربيد فتصير قوة اسطولها ٣٠٠٥٢١ طنًا فتفوق ايطاليا وتقارب الولايات المتحدة الاميركية واذا تقاضت غرامة الحرب من روسيا فلا بدَّ لها من ان تبني بوارج ومدرعات فتفوق الولايات المتحدة بل قد تفوق المانيا ايضاً وتصير عمارتها الثالثة في الدنيا

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

في مثل هذا الاوان من السنة الماضية اهدى الينا حضرة المؤرخ المدقق رفيق بك العظم الجزء الثالث من كتابهِ " اشهر مشاهير الاسلام " وكان الكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص . واهدى الينا الآن الجزء الرابع وهو يتضمن سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان احد الصحابة ومن اشتهر في دولتهِ

والكتاب ابواب تبحث في نسب عثمان واسلامهِ وصحبتهِ وخلافتهِ وفتوحهِ ومآثرهِ واخلاقهِ وكتبهِ وخطبهِ ومقتلهِ . ويلي هذه الابواب كلام عن عبدالله بن عامر وحبيب بن سلمة الفهري وتاريخهما

وقد ضمنهُ من المباحث السياسية والاجتماعية ما يدلُّ على اصالة رأيهِ وصدق وطنيتهِ ورغبتهِ الشديدة في مصلحة امتهِ وبلادهِ مع الاعتدال التام في ذكر الاسباب كقولهِ في فصل عقدهُ للخلافة والدين

يؤْخذ من مجمل ما نقلناهُ بهذا الصدد ان البيعة وان كان يتوقف عقدها على رضى الجمهور الَّا انها لم تتأسس على قاعدة محض الاختيار اعني اختيار الامة او من ينوب عنها من اهل الحل والعقد ولو تأسست على تلك القاعدة لكانت الحكومة الاسلامية اقرب للجمهوريَّة منها للملكية وكذلك لو استقر العهد بالخلافة من واحد الى اخر على شرط تقيد الامير بقانون

الشورى لكان اسلم عاقبة واسد لذرائع الخصام والانقسام كما قال ذلك معاوية بن ابي سفيان لابن حصين حين وفد عليه. ولكن لما لم تكن كذلك واخذ اصل البيعة شكلاً بين شكلين شكل الشورى وشكل الاستبداد او شكل الاطلاق والتخصيص تولدت في ثنايا الخلافة جراثيم النزاع حتى افضى الامر بعدُ الى التغالب والغالب بالضرورة قهار قلما يراعي اميال الامة وتحري قاعدة الشورى التي نوّه بمحاسنها الشرع فلا جرم ان تستحيل حكومة ذلك مآل رئاستها الى استبداد قاهر بعيد عن مقاصد الاسلام غالب للمسلمين على امرهم كما حصل بعد وكان سبباً عظيماً لكمون الضعف في ثنايا القوة المريعة التي قامت بها دول الاسلام حتى اذا آن اوان الراحة والنزوع الى التمتع بجني الاسلام اخذ ذلك الضعف يظهر في كل جزء من اجزاء الامة وفي كل عضو من اعضائها حاكماً كان او محكوماً حتى بلغ لهذا العهد غاية تنذر بانحدار سريع: لا وقوف معهُ: من شاهق ذلك المجد القديم والقوة الماضية التي بلغت في عصرها اقصى ما تبلغهُ قوى الدول القائمة في ابان زهوها

ان الدول ما زالت تقوم وتقعد وتضعف وتقوى والامم كذلك. غاية ما في الامر ان الضعف اذا تناهى يغير احياناً شكل الامم كما لو قيل ان الرومان اخلفهم الطليان وان اليونان اخلفهم البزنطيون وان هؤلاء اخلفهم الاروام والاصل في الحقيقة لكل شعب واحدٌ تقمص قديمهُ بجديدهِ في شكل آخر ولو مزيجاً واقام لهُ دولة غير الاولى. وهكذا الشأن في كل امم المغرب مع ما لاقتهُ من ضروب الشقاء والاستبداد وما انتابها من القوة والضعف فانها ما زالت تسقط وتقوم وتعالج انواع الارزاء وتحاول بعد الهبوط الى الحضيض العروج الى السماء حتى بلغت من الحياة هذا المبلغ الذي يرى الآن وتقمصت في شكل جديد لم ترَ مثلهُ عين الزمان

رب سائل يسأل كيف اذن لم يتلافَ المسلمون امر ذلك الضعف واستمروا منذ اخذوا بالتقهقر في منحدرهم الذي لا نهاية لهُ غير الموت والخذلان مع ما يشاهدونهُ من حال الملل الاخرى التي صار اليها ملك الاسلام. فالجواب عنهُ ان ذلك الضعف الذي اشرنا الى انهُ كمن في ثنايا القوة منذ تأسست دولة المسلمين انما منع المسلمين عن تلافيهِ بل ألجأهم للاعراض عن معالجتهِ امران: الاول: ما قدمناهُ من عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث اخذت الخلافة شكلاً ترك ثغرة كبرى للولوج اليها من طريق القوة والتغالب فاوجد نزاعاً مستمرّاً من اجلها في الامة افضى الى مصير الامر ليد الغالب والغالب لا يتقيد بالشورى ولا يجاري رغائب الامة بالضرورة

والامر الثاني اصطباغ الدولة منذ نشأتها بصبغة دينية مهدت السبيل لاولياء امر الامة

بعد الخلفاء الراشدين للاخذ على ايدي الرعية وافواهها باسم الدين وجعل الحياة السياسية للامة حياةً دينية لاسبيل معها لنوابغ الامة وعقلائها للتنقل بها في مدارج الرقي الطبيعي الذي تقتضيهِ حالة كل عصر سواء كان في حياة الامم السياسية او حياتها الاجتماعية لاسيما بعد ان قالوا بحرمة الاجتهاد ووقفوا عند حد محدود من الفروع وهذا ما جعل ذلك الضعف الكامن ينمو في جسم الامة نمواً جعلها تأنس بحياة السكون والاستسلام وتعطي بازمتها الى الامراء والحكام حتى في عصر زال فيهِ الاعتقاد بوجوب الطاعة العمياء للامراء وجوباً دينياً وعرف اكثر عقلاء المسلمين ان الدين لن يكون مانعاً من قيام الدول على قاعدة مراعاة الاصلح وانما هو تأثر النفوس بحكم العادة المألوفة للاباء اخذ باعنة الابناء الى سلوك سبيل الاقتداء

واعلم ان الشارع جوّز الاجتهاد باحكام المعاملات دون العبادات وهي العقائد والاعمال لان الاولى تتعلق بمصلحة المسلمين الدنيوية والثانية تتعلق بمصلحتهم الدينية . والنصوص الدينية لا اجتهاد فيها لانها قطعية واما المعاملات فقد اعتبرها الشارع دنيوية واجاز فيها الاجتهاد تيسيراً على الامة في وضع الاحكام بازاء الحوادث التي لا تتناهى . هذا في المعاملات فما بالك بامور الامة السياسية التي يناط بها قيام الدول لا جرم انها اولى ان تعتبر دنيوية وان تكون لذلك حياة المسلمين السياسية غير حياتهم الدينية . ولا يعترض هنا ان الكتاب الكريم امر بالشورى ووعد المؤمنين بالاستخلاف في الارض وان في هذا اشارة الى كيفية وضع الحكومة ووجوب كونها شوروية فاستلزم ذلك ان تكون دينية اذ هذه اصول او كليات يتمشى عليها ما يتمشى على كليات الاحكام الاخرى من جواز الاجتهاد في جزئياتها وفروعها لجعلها دائرة مع المصلحة الدنيوية . ومقومات الحكومة كثيرة لا تنحصر في الكليات ولا تختص بزمان او مكان بل هي تابعة للحاجة سائرة مع ترقي الزمان ومن ثم كانت حياة المسلمين السياسية بعيدة بالضرورة عن الحياة الدينية لانها قائمة بالاجتهاد السائر مع الحاجة الدائر مع المصلحة

لا جرم ان الصحابة عرفوا هذا الاصل فجنح الخلفاء الراشدون منهم الى الشورى في تدبير امور الدولة كما رأيت من سيرة الخليفتين ما فيهِ الكفاية وعرفوا ان لهم ما وراء ذلك الاصل ان يأخذوا بما هو نافع لهم من مقومات الملك لانهُ منوط بالمصلحة التي يقتضيها التيسير على المسلمين وتستلزمها حاجة الدولة فاخذوا اصول الحكومة الادارية عن الفرس كتدوين الدواوين وفرض العطاء ومسح الارضين واحصائها ووضع الخراج عليها واستعمال التاريخ وغير ذلك مما مر بك ذكرهُ في هذا الكتاب . وفاتهم ان ياخذوا عن الرومان اصول الحكومات النيابية الثابتة التي تقوم بالتكافل بين افراد الامة وتضمن استمرار قاعدة الشورى التي اوجبها

الكتاب الكريم وانما اذهلهم عن هذا ان ليس لديهم تاريخ في اصول الحكومات يرجعون اليهِ وكانت الحكومات النيابية بعيدة العهد يومئذٍ من مجاوريهم الرومانيين فلجأُوا الى اناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة ومضى هذا على وجههِ حتى جاء عصر كان الامام فيهِ هو المتسلط على كل شؤون الدولة تسلطاً ملازماً لتسلطهِ الديني فكما ان لهُ ان ينيب عنهُ اماماً في الصلاة فلهُ ان ينيب عنهُ قاضياً للقضاء وكانت الخلافة لذلك اشبه بالدينية منها بالسياسية وامتزجت بسبب ذلك السياسة بالدين امتزاجاً ادّى الى استمرار سير الحكومة على نمط واحد وجمود الافكار على مبدإ الخضوع المطلق للامير باعتبار ان الامير رئيس ديني تجب لهُ الطاعة مع التغاضي عما يجب عليهِ في مقابلها من العدل

ان اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين حوّل الاحزاب السياسية التي تقوم في الدول لخير الامة ومصلحة الشعب الى فرق دينية كانت في الاسلام آفة الدين ومفرق شمل المسلمين . مثالهُ ان الاحزاب السياسية التي قامت في الصدر الاول لمطلق الغرض السياسي او الانتصار لزيد والاخذ بناصر بكر ما لبثت ان انقلبت الى فرق دينية ومشت الى الانتحال في الدين كالخوارج مثلاً فانهم بعد ان كانوا يذهبون الى عدم لزوم الخلافة ووجوب العمل بمبدإ التعاون العام في امور الدين والدنيا انقلبوا الى نحل دينية فرقت شمل المسلمين . وكالشيعة فانهم بعد ان كانوا ينتصرون لعليّ رضي الله عنهُ لاعتقاد انهُ اهل للخلافة و يريدونهُ عليها ولو بالقوة انقلبوا ايضاً الى اعتقاد وجوبها لآل البيت وجوباً دينياً وانفردوا بمذاهب خاصة كلها ترمي الى الدين وبالدين . وكان في غضون ذلك ما كان من الفتن التي انهكت قوى المسلمين وصبغت بدمائهم اديم الارض باسم الدين . والدولة الاسلامية واقفة بين كل هذه الفتن والشقاق والتحزب والافتراق في مركز واحد ومتجهة الى وجهة واحدة لم يطرأ على صبغتها تغيير الاَّ بتحولها من الشورى الى الاستبداد مع ان المعهود في الدول التي تنتابها الفتن وتقوم فيها الاحزاب ان ينتاب صبغتها التغيير وتنقلب اشكالها بتقلب الزمان وقيام الفتن بين الاحزاب السياسية في كل زمان

هذا الاجمال ينبئك كيف استحكم داء الضعف في الامة الاسلامية مع انهُ عارض قد كان في الامكان تلافيهِ قبل ان يستحيل الى جمود اذهل الامة لهذا العهد عما يحيط بها في هذا الوجود وظهر اثرهُ حتى على اعمال المسلمين واخلاقهم وعقائدهم وعوائدهم بحيث صاروا لا يقبلون اي جديد الاَّ باسم الدين ويرفضون كل امر نافع اذا لم يعرف عن اسلافهم الميتين حتى سبقتهم في مضمار الحياة كل الامم المسيحية والوثنية وسادت على دولهم اضعف الدول الغربية

وهم يدافعون الخير ويأبون مجاراة الامم لمطلق التوهم في ان مجاراة السابقين خروج عن الدين وان الاسلام والعياذ بالله قد حرَّم كل امر نافع على المسلمين الأَّ ما قال بحلهِ شيخ من الشيوخ الماضين . وهذه غاية من الهوس بالدين لم تبلغها امة في الاولين ولا الاخرين . والله يشهد ورسولهُ والملائكة والعقلاء كافة ان الاسلام بريء مما يزعمون

اصلاح الازهر

الازهر اكبر المدارس واقدمها ولكنهُ دون كثير من المدارس العليا في نفعهِ لطلابهِ وفي انتفاع البلاد منهم لما كان يعتور نظامهُ من الخلل . وقد وُجهت العناية حديثاً الى اصلاح ادارتهِ واصلاح طرق التدريس فيهِ " لتحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن محدود بطريقة سهلة التناول والتحلي بثمرة تلك العلوم وهي محاسن الاخلاق والاعمال . وقد قسمت فيهِ العلوم الى مقاصد ووسائل والمقاصد علوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصولهُ والاخلاق الدينية . والوسائل المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة ومصطلح الحديث وضمَّ اليها الحساب والجبر . وهذه العلوم بقسميها هي التي يُلزم طالب الامتحان لشهادة العالمية بالامتحان فيها . ثم ان هناك علوماً أُخر تستوجب لمحصلها التفضيل على مَن في درجتهِ في التوظف والمرتبات وهي تاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة " وقد كان الابتداء بهذا الاصلاح سنة ١٣١٤ فوضعت قوانينهُ وامر الجناب الخديوي بالعمل بها " وصارت مشيخة الازهر مشيخة نظامية ولم يبقَ عليها الأَّ الجد في العمل بهذه القوانين والمحافظة على ان تكون كل اعمالها مطابقة لها ومراقبة تنفيذها على الوجه الاكمل وتمتع العلماء والطلاَّب بثمراتها . ولم يكن ذلك بالامر السهل القريب المنال ولهذا كان التعب والعمل للتنفيذ فوق ما يحتمل في العادة ولكنها المقاصد القوية تسهل الصعب وتخفف ثقل العناء وتصحح العزيمة للدأب على الاعمال "

وقد نشر الآن كتاب عن اعمال مجلس ادارة الازهر يتضمَّن البيان السابق ونتيجة العمل بالنظام الجديد والتوسع فيهِ . ومما جاء في هذا الكتاب ويحسن نقلهُ عنهُ تعميماً لفائدتهِ وصف دار الكتب التي انشئت حديثاً في الازهر ووصف اصلاح التعليم . وهاك ما جاء فيهِ عن دار الكتب

" ان المبلغ الذي قرر للمكتبة الازهرية وهو ٤٦٤ جنيهاً قد خصص لمرتبات الامين والمخبر والكاتب والخادم (الفراش) ولاربعة من العمال الموقتين انتخبوا من العلماء ليعملوا جميعاً في جمع الكتب وترتيبها تحت ملاحظة الامين ومنهُ مبلغ ١٥٠ جنيهاً لشراء كتب جديدة

والتكميل بعض النواقص من الكتب الموجودة وتجليد ما يوجد منها بلا جلود. ثم زيدت هذه المرتبات سنة بعد سنة بحسب مقتضيات الاحوال كما زيد في عدد العمال ووضع مجلس الادارة لهذه المكتبة قانوناً عاماً سار العمل فيها عليهِ الى الآن سيراً حسناً . ولاجل ان يعرف ما هي هذه المكتبة واين كانت كتبها وكيف كان حالها وما هو شأنها اليوم نذكر طرفاً من خبرها ليعلم مقدار العناية في جمع تلك الكتب وترتيبها على هذا النظام التي هي عليهِ الآن

كان في الازهر خزائن كتب وضعت في بعض الاروقة والحارات وبعضها في المساجد القريبة كجامع الفاكهاني وجامع العيني ونيط حفظها جميعها باشخاص يقال لهم المغيرون فتصرفوا فيها تصرفاً سيئاً للغاية صح معهُ اطلاق اسم المغيرين عليهم لانهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها ومزقوا جلودها واوراقها وتركوا ما لا عناية لهم بهِ منها في التراب يأكلهُ العث ويبليهِ التراب وهذا غير ما تصرفوا فيهِ تصرف الملاَّك وصار بايدي باعة الكتب يباع على نفاستهِ بالثمن البخس ولم يبالِ المتصرف الاول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ولا لينتفع بها لعدم امكان الانتفاع

ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب في مكان واحد واصلاح ما افسدتهُ منها هذه الايدي وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف في الازهر برواق الابتغاوية وكتب لديوان الاوقاف في سنة ١٣١٤ فارسل من اخذ المقايسة لاصلاحهِ وانشاء ما يلزم لهُ من الخزائن التي توضع فيها الكتب ثم عرض الامر على الجناب العالي فاقرهُ مستحسناً لهُ وخرج هذا العمل من القوة الى الفعل وتهيأ المكان لما وجد لاجلهِ من وضع الكتب وحفظها فيهِ من الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات وشرع عمالها في انفاذ ما عهد اليهم من اول سنة ١٨٩٧ افرنكية الموافق شعبان سنة ١٣١٤ وهنالك ظهر العجب العجاب

حملت تلك الكتب من خزائنها السابق ذكرها الى ذلك المكان الجديد فكان يأتي بها اولئك المغيرون محشوة في الزكائب والمقاطف ثم يفرغونها تلالاً واكواماً عليها خيوط العناكب وبينها الاتربة وبتخللها الجلود البالية وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع الا ما لا يكاد يذكر وجلس بجانبها اولئك الموظفون المكلفون بجمعها وترتيبها واعضاء المجلس والامين يراقبون عملهم ويرشدونهم الى الطريق الاقوم فعملوا وكدوا واستخلصوا من بين هذه الدشوت والاوراق المتفرقة كتباً معتبرة في كل الفنون وكان معهم مندوب من ديوان الاوقاف وموظف آخر نيط بهِ تقويم كل كتاب وجد او جمع بالثمن اللائق بهِ وقيدت في دفاتر باعداد متسلسلة واستلمها الامين باثمانها المقدرة لها ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون وقرروا لكل فن موضعاً

مخصوصاً من المكان وقد استغرق عملهم هذا ازماناً طوالاً كانت كلها اتعاباً ومشاق . واني لاعرف كتباً كثيرة مما تجدهُ الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضهُ في خزانة فلان وبعضهُ الآخر في خزانة فلان وباقيهِ في خزانة فلان ولم تجتمع اجزاؤُهُ بعضها على بعض الاَّ بطريق المصادفة الحسنة واعرف كذلك ان بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبأ بهِ احد ممن تولوا تغييرها للطلاب ولم يعنَ بفرز الدشت لتوجد تلك النفائس بين اوراقهِ الاَّ بعد ان كان صدر امر احد مشايخ الجامع باحراقهِ وتدارك الامر من يعرف قيمة العلم ولا يبالي بالتعب في المحافظة عليهِ . وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهي بين الاتربة مع انها من اجود المصاحف خطاً وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها وغير ذلك كثير فنكتفي بما ذكرناهُ فما الغرض الاَّ بيان حالها قبل جمعها وفي هذا القدر ما يكفي لذلك

بعد ان عرف ان في الازهر دار كتب اقبل عليها اهل البر فاعانوها بهدايا من الكتب النفيسة واهم هدية قدمت اليها هي هدية كتب المرحوم سليمان باشا اباظه فان ورثتهُ حياهم الله لثقتهم ببعض اعضاء المجلس سمعوا قولهُ وقبلوا اشارتهُ وقدموا كتب ابيهم الى دار الكتب الازهرية مشترطين ان تجعل لها خزائن مخصوصة في مكان مخصوص فكان كذلك وجاءت تلك الكتب كالعروس تجلى لصاحبها ليلة الزفاف لان الباشا رحمهُ الله كان ممن يتعشق الكتب ويحب فنون الآداب العربية والتاريخ وهي في كتبهِ شيءٌ كثير فكان ورثتهُ قدوة لغيرهم من الناس وبذلك كلهِ تكونت مكتبة جميلة منتظمة لا ينقصها الآن سوى الفهرس العام والعمل فيهِ سائر سيراً حسناً وان كان بطيئاً ولعلهُ يتم فيما بعد ان شاء الله تعالى

ولم يكتفِ المجلس بهذا القدر بل رجع الى الاروقة الشهيرة في الازهر وهي اروقة الترك والشوام والصعايدة والمغاربة وجعل الكتب التي بقيت فيها تحت مراقبة امين المكتبة الازهرية وطلب من ديوان الاوقاف مبالغ اخرى لترتيب كتبها وتنسيقها فاجيب الطلب وتعينت العمال ورتبوا الكتب في تلك الاروقة على الطريقة التي رتبت عليها المكتبة ثم وضع الكثير منها بعد جمعها وترتيبها في خزائن جديدة صنعها ديوان الاوقاف على نفقتهِ بالاروقة المذكورة تحت مراقبة هذا الامين ولا تزال العناية موجهة الى تجديد خزائن لباقيها

ولقد تفضل الجناب العالي بزيارة دار الكتب الازهرية عدة مرات وما من مرة الاَّ واظهر سرورهُ مما رآهُ فيها من حسن الوضع والنظام وهي الآن مطرح انظار السائحين ومحط رحال المطالعين ومكان النفع العام للعلماء والطالبين

وقد زيد في مبلغ المائة والخمسين جنيها المخصصة لشراء الكتب واصلاحها وتجليدها مائة جنيه في كل عام فاصلح وجلد كثير مما كان من الكتب بلا جلود واشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاق بها المكان على سعته فاضطر المجلس الى اخذ مكان آخر من الازهر اصلحهُ ديوان الاوقاف وعمل فيهِ ما عمل في الاول وامتلأت خزائنهُ ايضاً بمعتبرات الكتب ونفائسها مما يتجدد شراؤُهُ كل يوم

ولم يصل المجلس الى هذا الحد من صيانة تلك الكتب وجعلها بمأمن من الضياع والتلف الأ بعد عناء شديد وجهد جهيد في مقاومة تلك الافكار العتيقة ومطاردة تلك الاطماع التي كان يقصد منها بيع تلك البقية بذلك الثمن البخس . واني اعرف كثيرًا من اهل الفضل والدين ارجعوا الكتب التي كانوا اشتروها من اولئك الباعة الادنياء الى مكتبة الازهر لعلمهم انها صارت دار الحفظ والصيانة لهذه الكتب الموقوفة على المتعلمين اما بعض اهل الشهرة من كبار العلماء وصالحيهم فقد جيء من بيوتهم بالكتب في الزنابيل والغرائر لا يعرف لكتاب منها اول ولا آخر

وما جاء فيهِ عن اصلاح التعليم

وفي اول السنة الدراسية من سنة ١٣١٤ الداخلة في سنة ١٣١٥ شرع مجلس ادارة الازهر في تنفيذ بعض مواد القانون فبدأ بالمادة الثانية والعشرين لانها اساس ترقي التعليم وهي القاضية على الحواشي والتقارير في الاربع السنين الاولى من سني التعليم فحدد الكتب التي تقرأ فيها بدون تلك الحواشي وتلك التقارير التي تحول بين الطالب وبين الفهم وتشوش عليهِ موضوعات العلوم فاصدر قرارًا في ٦ شوال سنة ١٣١٤ بان الكتب التي تقرأ في السنين الاربع الممنوع فيها الحواشي والتقارير تكون في علم النحو من الاجرومية الى ابن عقيل وفي فقه الحنفية من مراقي الفلاح الى العيني وفي فقه المالكية من ابن تركي الى الشرح الصغير وفي فقه الشافعية من ابن قاسم الى التحرير بدخول الغاية في الجميع وحتم في القرار منع قراءة شرح الكفراوي على الاجرومية لانهُ اضر الشروح بالطلبة المبتدئين ثم الزم الاساتذة بان يبدأوا دروس الفقه في كل سنة من السنين الاربع برسالة في علم التوحيد قاصرة على سرد العقائد ومجردة عن البراهين الكلامية وان يختتموا دروس الفقه في كل سنة منها برسالة صغيرة في علم الاخلاق حتى يشب الطالب متحلياً بالآداب الشرعية وكذلك حتم على الاساتذة ان تكون قرءاة الكتب المعتاد قراءتها في ايام العطلة الدراسية مجردة عن الحواشي والتقارير

وقد لاحظ المجلس اثناء تلك السنة الدراسية ان بعض الطلبة وكثيرًا من المشايخ قد

تعودوا ان يطيلوا مدة البطالة الرسمية فاصدر قرارًا في آخرها ليكون عليهِ العمل من اول السنة التالية الدراسية (١٣١٥ الداخلة في سنة ١٣١٦) ابان فيهِ مدد المسامحات القانونية وحددها تحديدًا في غاية الوضوح حتى لا يحتجَّ طالب ولا يتأول عامل وحتم على كل استاذ وكل طالب ان لا يخلي من ايام العمل القانوني يومًا واحدًا من القاء الدروس او تلقيها وقرر العقوبات على كل من يخالف بقطع الجرايات فيما ليس فيهِ شرط واقف وبقطع المرتبات النظامية التي رتبت بمقتضى القانون فيما لا يسمح شرطهم بقطع الجراية فيهِ

وكذلك لاحظ المجلس في اثناء القاء الدروس في تلك السنة الدراسية ان في الازهر عادة مستحكمة وهي اهمال الاستاذ للطالب في آدابهِ وفي مواظبتهِ على الحضور في الدروس واهمال الطالب لانهُ لم يتعود من مشايخهِ المراقبة عليهِ فاهمل في احترامهِ لهم وتباطأ في اعمالهِ ولم يبالِ بحقوق اخوانهِ الطلبة ففسدت اخلاق الطلاب وضاعت آدابهم الدينية وتلاشت عوائد حسن المعاشرة بينهم فاصدر المجلس قرارًا في ٢٩ شعبان سنة ١٣١٤ ليكون دواء لتلك الادواء بيَّن فيهِ ما على الطالب من الحقوق وما على الاستاذ من الواجبات فحتم على الطالب ان لا يتلقى اقل من ثلاثة دروس في اليوم وان لا يشتغل اثناء الدرس بغيرهِ ولا يكلم فيهِ غير استاذهِ وان لا يسأل الطالب استاذهُ في الدرس اكثر من ثلاث مرات في الموضوع الواحد فان بقيت لديهِ شبهة كلمهُ فيها بعد الفراغ من الدرس . وان تكون سيرتهُ الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين وان يحترم استاذهُ في الدرس فلا يرفع صوتهُ عليهِ ولا يجلس بين يديهِ بهيئة تنافي الآداب وان يعامل جليسهُ في الدرس بالحسنى فلا يؤذيهُ بالقول ولا بالفعل وان يستمر في تلقي الكتاب الذي ابتدأ فيهِ على الاستاذ الذي شرع في تلقيهِ عنهُ حتى يتمهُ فاذا بدا لهُ الانتقال الى شيخ غيرهِ وجب عليهِ ان يخبر شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها . واذا شرع الطالب في تلقي كتاب وجب عليهِ اكمالهُ فلا ينتقل الى كتاب ارقى منهُ قبل ان يتمهُ وكل هذه الآداب التي قررت للطالب كانت العادة جارية بين الطلبة بمخالفتها وضررها بالتعلم والاخلاق لا مرية فيهِ

واما الاستاذ فقد حتم عليهِ في ذلك القرار ان يكون القدوة الحسنة للطلبة في حسن الاخلاق والسيرة الشخصية وان يتعهد الطلبة الذين يحضرون دروسهُ بنفسهِ ان كان مبصرًا او بمن يستنيبهُ ان كان ضريرًا ليعرف من يتغيب منهم عن الدرس فيخبر عنهُ شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها ليخبر شيخ الجامع بانقطاعهِ عن الدروس وان يراقب حال الطلبة اثناء الدرس حتى لا يأتي احدهم بما نهي عنهُ فاذا خالف نبههُ الشيخ اول مرة فاذا عاد زجرهُ فاذا عاد ابعدهُ

عن الدرس واخبر شيخ جهتهِ ليخبر شيخ الجامع ليعاقبهُ بما يراه . وان يجتنب الاستاذ حتماً تلك العادة القبيحة عادة سب الطلبة وشتمهم الشتم القبيح بسبب الآباء والامهات وضربهم بالعصي والنعال وان يوجه ذهن الطالب الى تعقل المسائل وفهم المعاني من اقرب الوجوه متجنباً الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف . وان يحضّر الاستاذ درسهُ قبل إلقائهِ فيراجع ما يحتاج لمراجعتهِ من الكتب لتصحيح الفاظ الشعر التي تذكر في الشواهد حتى لا يضيع وقتهُ في التفاهم مع الطلاب وان كان ذلك لا يمنعهُ من قبول رأي التلميذ ان كان صواباً وان لا يأتي الاستاذ للطالبين في اثناء الدرس بما يشوش عليهم الفهم فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بتلك الاحتمالات المضيعة للاوقات وان لا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الأ مسألة جاءت عرضاً وتوقف عليها فهم المقام فيتكلم عنها الاستاذ بعبارة قصيرة على قدر ما تدعو اليهِ الضرورة في الافهام . وجعلت مدة الدرس بحيث لا تنقص عن ساعة ولا تزيد عن ساعتين

وكل هذه التكاليف التي نيطت بالاستاذ كانت العادة جارية بعدم ملاحظتها وكان همُّ معظم المشايخ الكبار هو التشدق بالاحتمالات البعيدة وتضييع الاذهان تفتيها كما يزعمون ولا يبالون أفهم الطالب ام اشكل عليهِ الامر اصحت القاعدة ام ضاعت هباء . أعرف شيخاً من كبار المالكية قد شهر بالتقدم في السن كان يقرأ درساً في علم المنطق ايام المسامحات من كتاب الخبيصي ويحضر درسهُ هذا كل الباقين من المجاورين في الازهر تقريباً . وعرض في درسهِ ان حاشيتهُ اعترضت على الشرح فاخذ الشيخ يدفع الاعتراض بالتمحلات والاحتمالات النحوية حتى استقرّ رأيهُ على تصحيح كلام الشرح فقال لهُ بعض الطلبة وانا اعرفهُ ايضاً "يا مولانا انهُ يترتب على هذا التصحيح تغيير حكم القاعدة المنطقية فبعد ان تكون الكلية تنعكس جزئية مثلاً يصير عكسها كلية ولم يقل بهذا المنطقيون" فاجابهُ الاستاذ : ليس في هذا من ضرر يا كيت وكيت اذا صح الاعراب واندفع الاعتراض فما علينا من القاعدة الاصلية وما يطرأ عليها من البقاء او الانقلاب : واعرف شيخاً آخر من كبار الشافعية قرأ في درسهِ لعدم مراجعة الكتب قبل القاء الدرس البيت المشهور (كادت نفوس القوم عند الغلصمة) بالفاء بدل الغين فقال لهُ احد الطلاب وانا اعرفهُ ايضاً انها الغلصمة بالغين لا بالفاء فسبهُ وشتمهُ واهانهُ كثيراً واصر على انها بالفاء . كل هذا قد لاحظهُ المجلس ووضع لهُ ذلك القرار تخفيفاً لتلك الاضرار ومراعاة لمصلحة المعلمين والمتعلمين بما يقضي بهِ الشرع الشريف ويطالبنا بهِ الدين القويم . انتهى

وما دام روساه الامة وقادة الافكار قد انتبهوا للازهر واهتموا باصلاحه فلا تتعذر عليهم طرق الاصلاح فيجُنى منهُ النفع الذي يجب ان يجنى من مدرسة كبيرة تضم الوفاً من الطلاب

تاريخ دول العرب والاسلام

تعجبنا من نفر من الادباء انهم يقضون ساعات الفراغ من اعمالهم المختلفة في تأليف كتاب او ترجمة رواية او كتابة مقالة كأنهم يحسبون الوقت كنزاً اثمن من ان يضاع باللهو والجلوس في القهاوي . ومن هذا النفر حضرة محمد بك طلعت حرب مدير قلم القضايا في الدائرة السنية فانهُ ألّف كتاباً نفيساً في تاريخ دول العرب والاسلام طبعهُ اول مرة فراج ونفدت نسخهُ وطبعهُ الآن طبعة ثانية بعد ان نقحهُ وزاد عليهِ زيادات كثيرة مفيدة . وقد صدر الجزء الاول منهُ الآن وهو يبتدئ بكلام تمهيدي في جغرافية بلاد العرب واشهر من ساح فيها من الافرنج وعلى ذلك حواش مصدرها الجرائد الفرنسوية . ولو صبر المؤلف الى الآن وطالع ما تقولهُ الجرائد الفرنسوية لرأى ان منهاجها قد تغيَّر كثيراً لان اكثر كتَّاب الصحف الاوربية لا يهمهم الأ مصالح قومهم فيدورون مع الاهواء كشراع السفينة . وقد ذكر في هذا التمهيد الاقوال المتباينة في مساحة بلاد العرب وعدد سكانها وقال " ان سبب هذا الاختلاف ليس بالامر الغريب لتعلقهِ ببلاد قلَّما دخلها اوربي او عالم اجنبي لشدة حرارتها ووعورة مسالكها وجهل لغات اهلها وعوائدهم وتمسكهم بدينهم وشدة ابائهم دخول الاجنبي بلادهم " . اما من حيث شدة الحرارة ووعورة المسالك وجهل اللغات والعوائد فهذه كلها لا تمنع رواد افريقية من ان يرودوا بلاد العرب لاسيما وان داخلها جبال واودية وسهول ونجود من اجمل واخصب ما خلق الله ولو كانت في ايدي اناس غير اهلها لكانت جنة الله في ارضهِ . واما اباء اهلها فممدوح ولكن يجب ان يقترن بعمل ما يغني عن الاجانب وهنا محل النظر والعبرة

ويلي ذلك كلام مسهب عن السياح الاوربيين الذين دخلوا بلاد العرب من عهد نيبهر سنة ١٧٦٢ الى الآن وعن احوال البلاد السياسية في الزمن الحاضر وبذلك ختم المؤلف التمهيد وشرع في فصول الكتاب فتكلم على العرب قبل الاسلام جارياً مجرى مؤرخيهم وذكر من اخلاقهم واطوارهم ما يستحسن وما يستقبح وبين تأثير ذلك في احوالهم الاجتماعية اي ان حال البدو الآن وتأخرهم عن جميع الامم المتاخمة لهم ناتجان عن احوالهم الاجتماعية فلو كانت احوالهم صالحة مثل احوال اهالي سويسرا مثلاً او مثل احوال اهالي فرنسا لوجب ان يكونوا

مرتقين مثل اهالي سويسرا واهالي فرنسا والاّ فطينتهم دون طينة اولئك وهذا لا يسلم بهِ حضرة المؤلف ولا نسلم بهِ نحن · فما هي الاحوال الاجتماعية التي ابعدت النجاح عن امة فيها "كثير من الصفات التي تبرهن على ميلها للسعادة والارتقاء الى درجة عظيمة ومن تلك الصفات التي امتازت بها عن سائر الامم علو الهمة وشرف النفس وحفظ حرمة الجوار والمحاماة عن المظلوم والوفاء بالوعد وصدق العهد والجرأة والاقدام وحب عظائم الامور والكرم والجود"

وقد ابان المؤلف بُعَيْد ذلك " انهُ لم يكن في العرب طبيعة الانتظام فان ارواحهم الوطنية منيت من فطرتهم بسوس قبيح ابقاها مأكلاً للشقاق ومرتعاً للانقسام ... فكان دأبهم التقاطع وغزو بعضهم بعضاً قبل تألفهم والانقسام والخروج عن طاعة الدولة الحاكمة بعده فدلوا بذلك على انهم لا يحسنون سياسة الملك وان احسنوا تاسيسهُ ومن الاسف ان قد سرى هذا الداء في جميع دول الاسلام بعد ذلك فنخر عظام المسلمين حتى تداعت كل الاعضاء او كادت"

والكلام في هذا الفصل والفصول التالية بعضهُ منقول عن كتب العرب وبعضهُ عن كتب الافرنج الذين ساحوا في بلاد العرب او كتبوا عنهم وبعضهُ تطبيق واستنتاج من المؤلف · والبحث في اكثر المواضيع موجز جدًّا فالبحث في خرافات العرب ومعتقداتهم ملأ صفحتين وبعض صفحة مع ان الذي كتب في هذا الموضوع في المقتطف ملأ بهِ اكثر من عشرين صفحة · والكتاب كلهُ كما قال فيهِ حضرة القاضي الفاضل حفني بك ناصف جمع في اوراق كثيرة ما تفرّق في اسفار جليلة واقتصر على اللباب وانتصر للصواب

والفصل الثاني من الكتاب في العرب البائدة كقوم عاد وثمود وطسم وجديس وهذا البحث يقتضي تمحيصاً كثيرًا · والثالث في العرب المستعربة وهذا ايضاً يقتضي البحث الدقيق لان الشك اول مراتب اليقين وكل ما قيل في كتب الاقدمين عن عاد وثمود وقحطان وعدنان وابرهيم واسمعيل امسى الآن في معرض الشك عند العلماء المحققين وكذا القول عن العرب المستعربة في الفصل الرابع

اما الكلام على العرب بعد الاسلام فلهُ باب آخر في فصلين الاول في تاريخ النبي من حين اظهر دعوتهُ الى حين وفاتهِ والثاني في الاسلام وانتشارهِ بسرعة

وقد طبع الكتاب على ورق جيد بقطع صغير وهذا هو الجزء الاول وسيليهِ ثلاثة اجزاء الاول ينتهي بسقوط بغداد والثاني في الدول التي انشقت من بني عباس ودول الاسلام في الاندلس والثالث في تاريخ الدولة العثمانية فعسى ان يوفق الى اتمامها على ما يريد خدمة للقراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد بيتية

طرد النمل على انواعهِ من البيت : اذا اردت طرد النمل الاحمر من بيتك فازرع النبات المعروف بعاشق الشجر او نوع آخر من النبات الذي اذا نما فرش الارض كاللباد ويدعى بالانكليزيَّة (winter-green) ولطرد النمل الاسود ازرع نبات الافسنتين . واما لوقاية السكر من الحشرات فاتِ بالطباشير وارسم خطًّا واضحًا حول فم الوعاء الذي فيهِ السكر فبهذا تبعد النمل عنهُ لا محالة

الدوخة المسببة عن ازدياد المرارة او غير ذلك : الاحتياط من هذا المرض يكون بالطريقة الآتية . اولاً اعصر ليمونةً في نصف كاس ماء بارد وحرك المزيج هنيهةً ثم اخلط معهُ قليلاً من الصودا بعد ان تغلى على النار وحركهُ ايضًا واشربهُ وهو على تلك الحالة . هذا الدواء يستعمل ايضًا لوجع الرأس يشربهُ المتألم عند ابتداء الوجع

لسع الحشرات ولذعها : يغسل محل اللسع او اللذع حالاً بماء النشادر

عضة الكلاب الكلبة : اكوِ الجرح بحجر جهنم ثم دع المجروح يشرب مقدارًا كافيًا من الويسكي او غيرهِ من المسكرات حتى تنومهُ حالاً

الاحذية : لمنع دخول الماء في جلد الاحذية خذ قليلاً من زيت الخروع وادهن الجلد بقطعة من القماش

تنظيف القناني (الزجاجات) : تغسل القنينة بالماء السخن وقليل من الفحم المدقوق

الفحم : يحفظ الفحم بوضعهِ في الزوايا المعتمة والرطبة من البيت

منع لهيب النار من التصاعد بقوة شديدة في المداخن او الوجاقات : ارمِ في النار قليلاً من الملح او حفنة من الكبريت

تنظيف زجاجة القنديل : اذا اخذت نقطة او نقطتين من الكيروسين وفركت الزجاجة بها تراها بعد برهة تلمع كالبلور

الكي والحرق : اعجن قليلاً من كربونات الصودا بالماء وضع المعجون حالاً على المحل المحروق ففي الحال يبطل الوجع ويقي المحروق الالتهاب

وجع الصدر المسبب عن البرد : اغلِ الماء او الزيت وغطس فيهِ قطعة من الفلانلا ثم ضعها على صدرك قبل النوم

ازالة اثر الحامض عن الثياب : ملح النشادر خير دواء لذلك

السعال : اغلِ اوقية من بزر الكتان في ١٥٠ درهماً من الماء ثم صفها وامزجها بقليل من العسل واوقية سكر نبات وعصير ثلاث ليمونات ثم اغلِ المزيج واسق المصاب منهُ

الجرح بالسكين وغيرها : لتوقيف جريان الدم نقط نقطة او نقطتين من الكرياسوت على الجرح يقف الدم حالاً

التطهير من العدوى عند ازالة العفونة : خذ زجاجة من كلوريد الكلس وصب قليلاً في المحلات القذرة المسببة العفونة . والاحسن ان تداوم هذا كل اسبوع

طرد الذباب والبعوض : خذ ٢٠ نقطة من الحامض الكربوليك وبخرهُ في الغرفة التي تنوي طرد الذباب منها واذا حرقت قطعة من الكافور تطرد البعوض

البراويز المذهبة : لصقلها واعادة لونها امسحها باسفنجة قد صُبَّ عليها قليل من التربنتينا

القماش الملوث بالشحم : لازالة هذه البقع افركها اولاً بالتربنتينا ثم ضع قطعة من الورق النشاف تحت البقعة وقطعة أُخرى فوقها واضغط عليها فحينئذٍ يشرب الورق الشحم وتزول البقعة

تنظيف الشعر : ايتِ باوقية من كربونات الصودا مع ربع اوقية من ملح الطرطير و ١٥٠ درهماً من الماء الصافي وامزجها معاً ثم اغسل رأسك جيداً

ازالة الصدإ من الاقمشة البيضاء : امسح البقع بعصير الليمون او الملح المذوب وضع القماش بعدئذٍ في الشمس وكرر هذا العمل حتى يزول الصدأ او ضع القماش الملوث في كيس من الشاش واغلهِ

العث : لوقاية الاصواف وغيرها من الاقمشة القابلة العث . اولاً قبل وضع الثياب في الخزائن اضربها بعصاً ضرباً خفيفاً ونظفها من كل الاوساخ والغبار ثم ضعها في كيس من

ورق وخط فم الكيس بكل اتقان

ازالة الدهان عن الاقمشة : الكلوروفورم خير علاج لذلك

دهن الوجاق : ادهنهُ بالتربنتينا او بالقرنيش الاسود كل ثلاثة اشهر مرة

طرد الجرذان : ضع في المحل الذي تكثر الجرذان فيهِ قليلاً من كلوريد الكلس فتهرب من رائحتهِ

الآنية الفضية : يمكنك ان تبقي الآنية الفضية تلمع دائماً اذا وضعتها في كيس مع قطعة من الكافور

اخراج اللولب او البرغي : احمِ مغزلاً من الحديد وضعهُ حالاً على راس البرغي ثم اخرج البرغي وهو حامٍ

ازالة رائحة البصل : افرك يديك بورقة من الكرفس فتزول الرائحة حالاً

ازالة الحبر : اغسل اولاً ما اردت تنظيفهُ بالماء ثم ضع عليهِ الحامض الاكساليك واذا تغير فاغسلهُ بماء النشادر

ازالة اقذار البيض عن الملاعق : امسح الملاعق جيداً بالملح المدقوق

ازالة وسخ الاثمار الحامضة عن اليدين : اغسل اليدين اولاً بالماء ثم نشفهما قليلاً واشعل عوداً من الكبريت وضع يديك على اللهيب ثم اغسلهما مرة ثانية فيزول كل قذر او افرك يديك بقليل من الملح الناعم ثم اغسلهما بعصير ليمونة واخيراً بالماء

النشا : بعض الاحيان يحمض النشاء بعد غليهِ فلمنع هذا ضع معهُ قليلاً من كبريتات النحاس (الشب الازرق)

غسل الثياب : اذا وضعت ثلاثة ملاعق كبيرة ملآنة من الكيروسين في الماء وغليت الثياب فيهِ هونت عليك تنظيفها

بيروت عزيز سليم كريدبان



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

يجيبني والحق يقال قول المقتطف في صدر باب المناظرة (اذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم) وعليهِ جئتكم بهذه العجالة تنويهاً بشأن العالم الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات الذي اعترف ضمناً بغلطهِ فاصلحهُ بنفسهِ وذلك فيما كتبهُ عن الجذام في رسالتهِ المدرجة في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين من المقتطف وجه ٢٨٦ حيث قال وهو (اي الجذام) من العلل التي تزمن وعدواهُ معتقد بها دائماً وقال ايضاً ما نصهُ بالحرف الواحد وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ بالوسائل الصحية الخ . قال ذلك الآن بعد قولهِ في كتابهِ المسمَّى حفظ الصحة وتدبير المرض المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ وجه ١٦٧ ما نصهُ وعندي انهُ (اي الجذام) غير معدٍ ولو جاء في الحديث فرَّ من المجذوم فرارك من الافعى . فنثني على هذا الفاضل لرجوعهِ عن الغلط بعد خمس وعشرين سنة لما تبيَّن لهُ الحق وهذا يوافق ما جاء في المقتطف جزء ١١ مجلد ٢٢ وجه ٨٢٤ وهو بنصهِ " فانتقض القول بانهُ مرض وراثي وثبت القول القديم وهو انهُ مرض معدٍ ينقل بالعدوى " فالرجاء نشر رسالتي هذه افادةً للقراء ولكم الفضل

دمشق احد المشتركين

[المقتطف] ان المذهب الذي اتبعهُ استاذنا الدكتور ورتبات في الطبعة الاولى من كتابهِ كان المذهب المتبع عموماً عند علماء الطب كما رأيتم من خطبة الاستاذ وركو وهو

اشهر علماء الطب بالاجماع . ثم تغيَّر هذا المذهب العلمي باكتشاف ميكروب الجذام فاشار الدكتور ورتبات الى ذلك في الطبعة الثانية من كتابهِ المشار اليهِ التي طبعت سنة ١٨٩٣ حيث قال في الصفحة ٢٠٣ ما نصهُ "واختلفوا في هذه الايام في كونهِ (اي الجذام) معدياً والارجح انهُ غير معدٍ الا على سبيل التلقيح وذلك انهم اكتشفوا في هذه العلة باشلساً خاصاً بها شاهدناهُ في صديد المصابين فاذا كان خدش في يدي من يخدمهم فربما دخلت المادة السامة على هذا السبيل الى دمهم وظهر المرض فيهم". ثم ثبت ذلك فعلاً فان كاهناً من اهل التقى كان يمرض المجذومين فاصيب بالجذام ومات بهِ

علاج لسع العقرب

حضرات الافاضل المحترمين اصحاب المقتطف الزاهر

يؤْتى بقطع من كبريت العمود وتوضع على موقد فيهِ نار حتى يتصاعد دخان الكبريت ثم يوجه موضع اللسع الى هذا الدخان مدة ١٠ دقائق او اكثر فيزول الالم ويبرأُ الملسوع باذن الله

كاتبه

مصر القاهرة محمد سليمان

وصف الباخرة

مخرت بنا بعد الهزيع الثاني تجري كرخٍ همَّ بالطيرانِ
بقوائمٍ في الماء تحت مناكبٍ فوق العباب تشقهُ بسنانِ
في جوفها ترِبٌ وملء فؤادها نارٌ ويزفرُ انفها بدخانِ
تعلو وتسفل فوق موجٍ مزبدٍ كفؤاد صبٍّ دائم الخفقانِ
موجٌ يهاجمها بقلب سميذعٍ ويعودُ عنها هارباً كجبانِ
ينقضُّ حول جدارها متدافعاً سخطاً فتسحقهُ كبعض قنانِ

***

زنجيةٌ من قبل نوحٍ لونها — الليليُّ يشهد انهُ سوداني
ما حامُ جدٌّ للزنوجِ ألا ترى كيف احتوتهُ مدة الطوفانِ
نشأت بصيدونَ القديمة أُمها اما ذووها من بني كنعانِ
مملوكة منذ القديم تحكمت فيها الرياحُ تحكُّمَ السلطانِ

حتى اذا عتقوا الرفيقَ تزوَّجتْ هذا البخارَ فقادها بعنانِ

**.*

سارتْ تجرُّ الذيلَ ابيضَ نيِّراً وكذا الحنادس ذيلها نوراني
من فوقها فلك وتحت نعالها فلكٌ وحول محيطها أُفقانِ
فكأنها في الجوّ جرم سابحٌ يحكي الدراري السبعَ بالدوَرانِ
وكأنها بين العوالم عالمٌ عنها استقلَّ بحيز وكيانِ
يحوي المآكلَ والمشاربَ جمةً ويعيش فيهِ الوحش كالانسانِ

**.*

فيها شهدنا الشمسَ حال غروبها في البحر تهبط نحوهُ بتوانِ
سلطانة الآفاق تجري حكمها منذ الصباح بغيرةٍ وتفانِ
قد مسها نصبٌ فاصبح وجهها عند الاصيلِ مزعفر الالوانِ
لما دنا وقتُ المبيتِ تبرقعت خجلاً وعاطفة بأحمر قانِ
مشت الهوَينا والملالُ يزيلها عن دَست عزتها الرفيع الشانِ
حتى اذا بلغت حمى محبوبها غاصت ببحرٍ ازرق كتاني
وهناك غشَّاها دثارُ اشعةٍ بدربةٍ فتواصل القمرانِ

**.*

فتلصَّصتْ زُهرُ النجومِ عليهما كالغيدِ تشرفُ من كوى ايوانِ
نظرتْ فهيجها الغرامُ وشاقها حتى غدتْ كالطافحِ النشوانِ
فتدحرجتْ وهوتْ يدافع بعضها بعضاً فصارتْ في أثيرٍ ثانِ
اشرفْ على ماء الخليج يريكها غرقى تلوحُ مثالثاً ومثاني

**.*

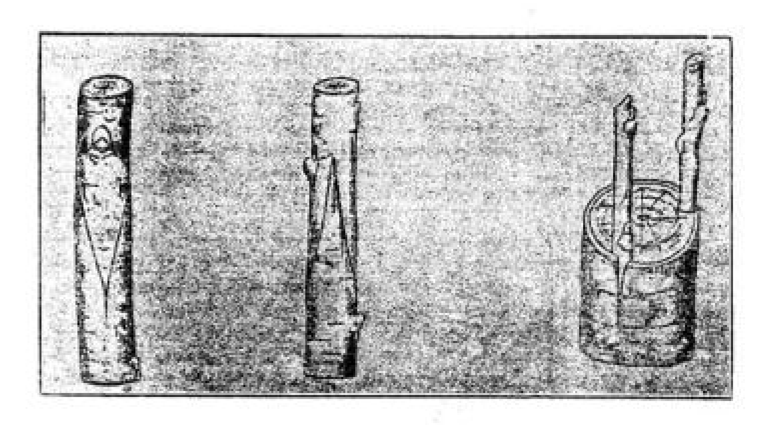
ان كان ضم البحر اجرامَ السما مالي ارى منها النجوم تراني
أَمَا ترى الاكليلَ يعلو جبهةً فوق البطين وتحتهُ الشرطانِ
ومناكب الجوزاء يثقل عنقها عقدُ الثريّا الساطع اللمعانِ
فالافقُ أُفقٌ والنجومُ ثوابتٌ اما الظلالُ تلوح في الخلجانِ

سليم عنحوري

باب الزراعة

تطعيم الاشجار

ذكرنا في الجزء الماضي بعض طرق التطعيم ومرادنا ان نذكر الآن ثلاث طرق اخرى وهي الطريقة الاسفينية والطريقة السرجية والطريقة المزلوفية. اما الطريقة الاسفينية فرسومة فوق الرقم ٥ وهي ان يبرى المطعوم من تحت البرعم حتى يصير كالاسفين ويقطع الغصن الذي يراد تطعيمهُ قطعاً فرضياً حتى يدخل الاسفين فيهِ قيلاً فرضهُ كما ترى فوق الرقم ٥ ثم يربط بقشرة او بخرقة



والطريقة السرجية عكس الطريقة الاسفينية وهي ان يبرى الغصن الذي يراد تطعيمهُ كالاسفين ويفرض الطعم حتى يركب على الاسفين ويركَّب عليهِ كما ترى فوق الرقم ٦ ويربط الجزءان معاً

والطريقة المزلوفية اكثر انتشاراً من غيرها وهي شائعة في تطعيم الليمون والزيتون وذلك بان يقطع ساق الغرس بمنشار ويسوَّى اعلى القطع بسكين ماضية وتقطع مزاليف من الشجرة التي يؤْخذ الطعم منها وتجعل اطرافها كالاسافين وتدخل بين القشر والخشب كما ترى فوق الرقم ٧ ويسهل ذلك بان تصنع مزلوفاً من الخشب الصلب مثل الطعم تماماً وتدقهُ بين القشر والخشب حيث تريد ان تضع الطعم حتى تجعل لهُ مكاناً هناك ثم تنزعهُ وتضع الطعم مكانهُ وتلف الخرق والطين حول المطعوم

الندوة العسلية

لا تزال الندوة العسلية شغلاً شاغلاً للحكومة لانها تخشى ان تصيب القطن فتتلف جانباً كبيراً منهُ كما حدث في العام الماضي فانها وقعت في كثير من اطيان البحيرة فاتلفتها وكنت ترى الطين منها واشجار القطن فيهِ مسودة الورق يابسةً لا لوز فيها او فيها قليل من اللوز الدميم . وما لم يتلف كلهُ جاء قطنهُ قليلاً دنيًّا في رتبتهِ بيع قنطارهُ بمئتين وخمسين غرشاً حينما كان القنطار من غيرهِ يباع بثلثمئة او بثلثمئة وخمسين غرشاً

وقد نشرت نظارة الداخلية بالامس النشرة التالية

بالنسبة للمذكرة الصادرة من النظارة في اول يوليو سنة ١٩٠٥ بخصوص ندوة العسل قد علم انهُ في بعض الجهات لم يدرك الزراع ان الواجب افراغ كل جهد لابادة البعوض الصغير الاخضر المسمى (Aphis) بحال ظهورهِ (وهو المعروف عادةً بالمن)

فانهُ كما توضح بالمذكرة المشار اليها مجرد تغذي البعوض بطريق المص لايقتل الاوراق (ولو انهُ بدون شك يضعفها) ولكنهُ يترك عليها مادة عسلية لزجة وقت تغذيهِ منها

وهذه المادة اللزجة تجلب اليها جرثومة الفطر الاسود التي تكون منتشرة في الهواء وتستقر في الاماكن التي توجد فيها تلك المادة

ويقول كثير من الزراع (وهم مصيبون) ان ندوة العسل تأتي متأخرة عن هذا الاوان ولكن يلزم ان يكون مفهوماً لدى الجميع انهُ قد ظهر لحد الآن انهُ متى جاءت الندوة لا يبقى في الامكان مقاومتها

والامر الوحيد الذي يجب اجراؤهُ هو ابادة البعوض (Aphis) حال ظهورهِ باستعمال الرشاشة اذا كانت موجودة والاَّ فيصير تنقية الاوراق واحراقها وعند اللزوم يصير قلع بعض الشجيرات واذا وجدت وريقات عليها شيء من تلك المادة اللزجة وجب ايضاً تنقيتها واحراقها حتى حين مجيء الندوة الآن او فيما بعد لاتجد شيئاً يجلبها اليهِ فتفوت بدون احداث ضرر

وجميع ما ذكر قد سبق ايضاحهُ في المذكرة السابقة ولكن حيث انهُ لا يزال يوجد التباس عند كثيرين من الزراع فيكون من الضروري جدًّا اتخاذ الوسائل السريعة لايضاح الحقيقة لجميع من يهمهم ذلك

وقد شوهد البعوض (Aphis) والمادة العسلية ايضاً في جهات كثيرة وفي بعض الاماكن

التي ظهر فيها موءخراً ضباب كثيف في الصباح قد نزلت الندوة على الاوراق المصابة فاسودت الشجيرات وماتت

فيلزم استنهاض همم المزارعين للبحث حالاً عن البعوض والمادة العسلية لانهم اذا اهملوا ذلك لحين ظهور الندوة يكون قد فات الوقت الذي يمكن مداركة هذه الآفة فيهِ

حياة البزور

البزر الذي يؤخذ من النبات هذه السنة يزرع في السنة التالية . هذا هو الغالب المتبع وبعض البزور لا يصلح للزرع اذا مضى عليهِ اكثر من سنة ولكن اكثرها يصلح ولو مضى عليهِ اربع سنوات كبزر البطيخ والخيار . وقد يحتاج المزارع ان يعلم كم سنة تبقى البزور حية صالحة للزرع ولذلك نشرنا الجدول التالي

البزر					البزر				
بزر الهندباء	يمكن زرعهُ	بعد	٩	سنوات	بزر السبانخ	يمكن زرعهُ	بعد	٥	"
" الباذنجان	"	"	٧	"	" الكوسى	"	"	٥	"
" الفول	"	"	٦	"	" الطماطم	"	"	٥	"
" الخرشوف	"	"	٥	"	" اللفت	"	"	٥	"
" البنجر	"	"	٥	"	" المليون	"	"	٤	"
" الكرنب	"	"	٥	"	" الجزر	"	"	٤	"
" القنبيط	"	"	٥	"	" البازلا	"	"	٤	"
" الخيار	"	"	٥	"	" اللوبياء	"	"	٣	"
" الخس	"	"	٥	"	" الذرة	"	"	سنتين	
" البطيخ	"	"	٥	"	" الكراث	"	"	"	
" الفجل	"	"	٥	"	" البصل	"	"	"	

ورق التوت وتعليف الغنم

مَن رأى الغنم المعلَّفة في جبل لبنان وكل خروف منها يزن اربعين او خمسين اقةً من اللحم والدهن وعلم ان اكثر علفها من ورق التوت مع قليل من الحبوب كالكرسنَّة ونحوها علم ان في ورق التوت غذاء كثيراً . ثم ان عليهِ الاعتماد في علف المواشي زمن الخريف حينما تيبس المراعي وقبل ان تهطل الامطار ويظهر العشب . فاذا اكثر اهل الزراعة من زرع

التوت على جوانب الترع والمساقي والمصارف فمنهُ فائدة كبيرة من هذا القبيل تفي بنفقات غرسهِ والارض التي يشغلها . وقضبانهُ اصلح القضبان للوقود وخشبهُ اصلح انواع الخشب لعمل السواقي ونحوها لانهُ يقيم في الماء ولا يبلى ولحاء قضبانهِ متين يربط بهِ وتجدل منهُ الحبال . ولهُ ظلٌّ ظليل زمن الصيف عند اشتداد الحر فتقيل المواشي فيهِ وقت الظهيرة . وهذه الفوائد يجب ان ترغب اهل الزراعة في الاكثار من زرعهِ . ثم انهم اذا تعلموا كيفية تربية دود الحرير واعدوا مكاناً لتربيتهِ كان لهم منهُ فائدة أُخرى كبيرة جداً

الاغراس في الفدان

يضطرُّ الفلاح احياناً كثيرة ان يعرف مقدار الاغراس ألتي يمكن غرسها في كل فدان اذا كان البعد بين الغرس والآخر عدداً معلوماً من الاقدام ليعلم كم يشتري من التقاوي اومن الفسائل او كم يستعمل من السباخ . وقد اثبتنا هنا الجدول التالي وهو يبتدئ بالاشجار الكبيرة التي يجعل بين الشجرة والشجرة منها اربعون قدماً وينتهي بالمزروعات التي تزرع في خطوط البعد بين الخط والآخر منها قدم فقط وبين البزرة والاخرى نصف قدم او ثلث قدم كالبصل ونحوهِ

البعد بين الاغراس	عددها في الفدان
٤٠ قدماً في ٤٠	٢٧
٣٥ " " ٣٥	٣٥
٣٠ " " ٣٠	٤٨
٢٥ " " ٢٥	٧٠
٢٠ " " ٢٠	١٠٩
١٨ " " ١٨	١٣٥
١٦ " " ١٦	١٧١
١٤ " " ١٤	٢٢٣
١٢ " " ١٢	٣٠٢
١٠ اقدام " ١٠	٤٣٦
٩ " " ٩	٥٣٨
٨ " " ٨	٦٨٠

البعد بين الاغراس	عددها في الفدان
٧ اقدام في ٧	٨٨٩
٦ " " ٦	١٢١٠
٥ " " ٥	١٧٤٢
٤ ٤ " ٤	٢١٥١
٣ " " ٣	٢٨٤٠
٣ " " ٢	٧٢٦٠
٣ " " ١ ١/٢	٩٦٨٠
٣ " " ١	١٤٥٢٠
٢ ١/٢ " " ٢	٨٧١٢
٢ ١/٢ " " ١ ١/٢	١١٦١٦
٢ ١/٢ " " ١	١٧٤٢٤
٢ " " ٢	١٠٨٩٠
٢ " " ١ ١/٢	١٤٤٦٦
٢ " " ١	٢١٩٦٩
١ ١/٢ " " ١ ١/٢	١٩٦٦٨
١ ١/٢ " " ١	٢٩٠٤٠
١ ١/٢ " " ٠١/٢	٥٨٠٨٠
١ " " ١	٤٣٥٦٠
١ " " ٠١/٢	٨٧١٢٠
١ " " ٠١/٣	١٣٠٦٨٠

تربية العجول

ربّى بعضهم العجول من غير لبن مطلقاً فانهُ كان يشتري العجل وعمرهُ عشرة ايام لا غير ويطعمهُ عصيدة مصنوعةً من سبعة ارطال من مدقوق بزر الكتان الذي عصر زيتهُ وسبعة ارطال من الحنطة و ١٥ رطلاً من غلاية القش او الدريس و ٣٠ رطلاً من الماء الحار ويمزج هذه العصيدة بالماء في الصباح يمزج اربعة ارطال منها باربعة ارطال من الماء ويسقيها للعجل ويفعل مثل ذلك في الصباح

ولكن تربية العجول على غير اللبن وهي صغيرة غير سليمة العاقبة ومتى كبرت العجول قليلاً ودفئ الهواء تترك حول الدوار او العزبة لترعى ويجب ان تظلل في النهار من الشمس واذا دخل فصل الشتاء واشتدّ البرد وهي صغيرة وجب ان تزرب في مزارب كبيرة وتطعم الجذور ومسحوق الشعير وكسب البزر

واذا مضى الشتاء وجاء الربيع تطلق في المراعي لترعى النهار كله ويحش لها البرسيم لتأكله ليلاً وليس من الحكمة ان تترك لتمرح وتلعب كثيرًا اذا اريدت للذبح لان الحركة العنيفة تضعفها وتقسي لحمها ويحسن حينئذٍ ان تربى في مكان مظلم على قدر الامكان ويقدم لها كل ما تستطيع أكله من العلف . واذا اريد تسمين العجل فلا بد من اطعامهِ مدقوق الشعير او مدقوق الفول مع الرضّة (النخالة) . ومدقوق الحبوب خير من كل انواع العلف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فرس البحر

المنزه . بدران افندي احمد

(١) جاء في كتاب لاحد الفضلاء ما نصهُ " نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلي رحمهُ الله تعالى ما صورتهُ قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة انهُ لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الاخرى في سنة اثنتين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى ارض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر واذناها كاذان الجمال وعيناها مثل الناقة ولها ذنب طولهُ شبر ونصف طرفهُ كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبناً وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها اربعة انياب اثنان من فوق واثنان من اسفل طولهن دون الشبر وعرض اصبعين وفي فمها ثمانية واربعون ضرساً وسناً مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن

ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة باربعة اظافر كاظافر الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمس عشرة قدماً وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها احمر وزفرتهُ مثل السمك وطعمهُ كطعم الجمل وغلظ جلدها اربع اصابع ما تعمل فيهِ السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقلها على جمل بعد جمل واحضروهُ الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوهُ تبناً واقاموهُ بين يديهِ

فما هي هذه السمكة وهل يوجد من نوعها الآن ام هي من الاسماك المنقرضة

ج يظهر من وصفكم ان هذا الحيوان فرس البحر الذي كان كثيرًا في النيل ولا يزال كثيرًا في اعاليهِ. ذكر عبد اللطيف البغدادي ان واحدةً كانت ببحر دمياط ضربت على المراكب تغرّقها وصار المسافر في تلك الجهة مغررًا وضربت اخرى بجهة اخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل واعمل الناس في قتلهما كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجدِ شيئاً فاستدعي بنفر من المريس صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها في اقرب وقت وبأهون سعي واتوا بهما الى القاهرة فشاهدتُهما فوجدت جلد احداهما اسود اجرد ثخيناً جدًّا وطولها من راسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها وراسها . وفي مقدم فيها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من اسفل المتطرفة منها نصف ذراع زائد والمتوسطة انقص بقليل . وبعد الانياب اربعة صفوف من الاسنان على خطوط متساوية في طول الفم في كل صف عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلهما واذا فغر فوها وسع شاةً كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع زائد غليظ وطرفهُ كالاصبع اجرد كانهُ عظم شبيه بذنب الوبل وارجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها خف شبيهٌ بخفّ البعير الّا انهُ مشقوق الاطراف باربعة اقسام وارجلها في غاية الغلظ اه . والظاهر انهُ لم يدقق النظر في اسنانها لان كل صف من اضراسها ستة لا عشرة كما قال ولكن الثلاثة المتأخرة من هذه الستة تكون مزدوجة الراس . وأمسكت فرس من افراس البحر في المنصورة في ايام محمد علي باشا جد العائلة الخديوية . فقد ذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٣٣ انهُ ظهر بالارز بالبحر الشرقي بناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي قدر الجاموس العظيم فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقيأ اكثرهُ وكان ظهورهُ من العام الماضي فيجتمع

عليهِ الكثير من اهل الناحية ويرجمونهُ بالحجارة ويضربون عليهِ بنادق الرصاص فلا يؤثر في جلدهِ ويهرب الى البحر واتفق انهُ ابتلع رجلاً الى ان اصيب في عينهِ وسقط وتكاثر عليهِ الناس وقتلوهُ وسلخوا جلدهُ وحشوهُ تبناً واتوا بهِ الى بولاق وتفرج عليهِ الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآهُ انهُ اعظم من الجاموس الكبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولونهُ لونهُ وجلدهُ املس ورأسهُ عظيم يشبه رأس ابن عرس وعيناهُ في اعلى دماغهِ واسع الفم وذنبهُ مثل ذنب السمك وارجلهُ غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوهُ الى بيت الافرنج وانعم بهِ الباشا على بغوص الترجمان الارمني وهو بيعهُ على الافرنج بثمن كبير

(٢) الارضاع بعد الموت

ومنهُ . وجاء في الكتاب المذكور ما يلي وهو ان كتب الى زين الدين الرجبي انهُ وجد بالقاهرة كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوماً واللبن يخرج من ابزازها من الجانب الاعلى واما الجانب الاسفل فانهُ يبس . فكيف تعللون ذلك اذا كنتم تصدقونهُ

ج اننا لا نميل الى تصديقهِ ولكن ان كان صحيحاً فلا تكون الكلبة ميتة بل تكون مصابة بحالة صرعية مثل الحالة التي ينام فيها بعض الناس اياماً كثيرة متوالية لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يتحركون لكن لم يذكر حتى الآن في ما نعلم ان هذا الداء اصاب الكلاب

(٣) اليد اليمنى

سان جوان . البرازيل الخواجه جبران قدوم . نرى اليد اليمنى اقوى من اليسرى فهل ذلك ناتج من الاستعمال او هو طبيعي فيها

ج بل هو ناتج من الاستعمال لان الذين يمرنون يدهم اليسرى تصير قوية فيهم كاليد اليمنى في الذين يمرنونها . ولكن السبب الذي يدعو الى تمرين يدهم اليمنى دون اليسرى طبيعي كما سيجيء

(٤) سبب استعمال اليمنى

ومنهُ . ما الذي اوجب استعمال اليد اليمنى اكثر من اليسرى

ج السبب ان الجانب الايسر من الدماغ اقوى من الجانب الايمن وهو متسلط على اليد اليمنى والجانب الايمن على اليسرى فتصير اليمنى اقوى من اليسرى ولكن يتفق ان يكون الجانب الايمن من الدماغ اقوى من الجانب الايسر فتصير اليد اليسرى اقوى من اليمنى

(٥) حروف العميان

ومنهُ . من وضع حروف الطبع للعميان وفي اي زمن كان ذلك

ج يقال ان اول من حاول تعليم العميان القراءة هو المسيو برنولي الرياضي وكان ذلك

سنة ١٦٥٧ واول من حاول تعليمهم بحروف بارزة مصنوعة لذلك هو المسيو هوي الباريزي وذلك سنة ١٧٨٤ ومن ثم انشئت المدارس لتعليمهم في اماكن كثيرة في اوربا واميركا وهو اول من استنبط طبع الكتب للعميان بحروف ناتئة لكي يقرأُوها لمساً باناملهم وقد اختار رسم الحروف الافرنجية المائلة كما ترسم في الكتابة ورأى رجل اسكتلندي اسمهُ غول كتب العميان المطبوعة في باريس فرغب في اصلاح حروفها لكي تسهل قراءتها على العميان فغير رسم الحروف وجعلها كلها مركبة من الخطوط والزوايا من غير خطوط منحنية فيها وطبع الكتاب الاول بهذه الحروف سنة ١٨٢٧ . ثم اصلح هذه الحروف وجعلها مركبة من نقط لكي يسهل على انامل العميان الشعور بها . وزارهُ رجل اميركي اسمهُ هو واقتبس منهُ استعمال الحروف ذات الزوايا واشاعها في اميركا

واستنبط رجل اسمهُ لوكاس علامات خصوصية لحروف الهجاء العلامة منها نقطة مفردة او نقطة وخط مستقيم او اعقف او خط قائم او افقي او مائل الى اليمين او الى اليسار فحرف a نقطة وحرف b نقطة وخط اعقف كالواو العربية وحرف t خط قائم وحرف s خط افقي وهلم جرًّا

واستنبط غيرهُ علامات اخرى غير هذه وغرضهم تسهيل القراءة على العميان . الى ان قام المسيو لويس بريل وهو ضرير فرنسوي فاستنبط الحروف المؤلفة من النقط فشاعت حروفهُ حالاً لان العميان وجدوا ان الشعور بها اسهل عليهم من الشعور بغيرها فحرف a فيها نقطة واحدة وحرف b نقطتان الواحدة فوق الاخرى وحرف c نقطتان الواحدة الى جانب الاخرى وحرف d ثلاث نقط على زاوية قائمة الى اليمين وهلم جرًّا ويتعلم العميان القراءة بهذه الحروف والكتابة بها ايضاً بسهولة تامة وقد وجدوا ان نسبة السهولة في قراءة الحروف المؤلفة من النقط الى قراءة الحروف المؤلفة من الخطوط كنسبة ٩٥ الى ٤٨ وسنزيد ذلك بسطاً في فرصة أُخرى

(٦) اسوداد الشعر بعد شيبهِ

ومنهُ . اعرف رجلاً سنهُ اكثر من اربعين شعرهُ اسود حالك وقد بدأ الشيب فيهِ منذ عشر سنوات فشاب عشر شعرهِ بسرعة ثم توقف الشيب ولم يعد يزيد فما سبب ذلك

ج لا تزال مسألة الشيب من الغوامض التي لم تحل كل فروعها والامر الذي ذكرتموهُ مشاهد كثيرًا وقد شوهد اناس اعتراهم الشيب ثم عاد شعرهم اسود كما كان لا لان الشعر الابيض يعود اسود بل لان للشعرة حياة محدودة فتقع وينبت غيرها مكانها فاذا وقعت شعرة سوداء ونبت مكانها شعرة بيضاء

زاد الشيب انتشاراً واذا وقعت شعرة بيضاء ونبت مكانها شعرة سوداء قل الشعر الشائب رويداً رويداً . ولا بدَّ من ان يكون قد حدث ذلك للرجل الذي تشيرون اليهِ . ويقال ان بعض الادوية يقوي منابت الشعر فيصير الشعر الاسود ينبت مكان الشعر الابيض فاذا كان ذلك صحيحاً (ونحن نرجح صحتهُ) فيكون سبب الشيب الذي اعترى صاحبكم ضعفاً اصاب منابت الشعر ثم زال هذا الضعف فصار الشعر الاسود ينبت مكان الابيض

(٧) معتقد الامير بشير

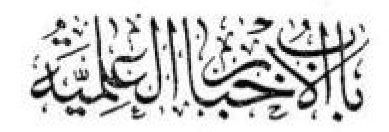
مصر . الخواجه ابرهيم سروسي . احقيقي ان الامير بشيراً الشهابي كان معتنقاً الديانة المسيحية سرًّا

ج كذا يقول الذين كتبوا تاريخهُ والذين لقيناهم من معارفهِ

(٨) مستقبل بني اسرائيل

ومنهُ . يقال في الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين ان يعقوب دعا بنيهِ وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم في آخر الايام ولكنهُ لم يخبرهم بما يصيبهم في آخر الايام فلماذا ذلك

ج ان المفسرين من علماء الديانة المسيحية يقولون انهُ اخبرهم بمستقبلهم الى ان يولد المسيح منهم وتنقضي دولتهم . والبحث في المسائل الدينية التي من هذا القبيل لا يوصل فيهِ الى نتيجة قطعيَّة لانهُ مبنيٌّ على آراء الناس وهي تختلف باختلافهم اذا لم يحكم عليهم بقبول تفسير مخصوص دون غيره



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الربع الاول	٦	٦	٩	صباحاً
البدر	١٣	٨	١٠	مساء
الربع الاخير	٢٢	٨	١٤	صباحاً
الهلال	٢٨	.	.	

السيارات

يظهر عطارد في منتصف الشهر صباحاً ولا يظهر في اولهِ ولا في آخرهِ

المريخ يغيب نحو الساعة ١٠ ١/٢ مساء الشهر كلهُ

المشتري يشرق الساعة ١٠ ١/٢ مساء في اول الشهر والساعة ٩ في آخرهِ

زحل يشرق بُعَيد غروب الشمس ويرى الشهر كلهُ

اوقات الكسوف المقبل

لم تتصل بنا حتى الآن اوقات الكسوف التي حسبها المرصد الخديوي لمدن القطر المختلفة ولكننا رأينا جدولاً وضعهُ حضرة محمد افندي ابي الفضل الفلكي وفيهِ اوقات الكسوف للمدن التالية

	ابتداء الكسوف		وسط الكسوف		انتهاء الكسوف	
	دق	س	دق	س	دق	س
مكة وجدة	١	٤	٤	٥	٢	٦
اصوان وكوم امبو	٢٣	٣	٣٦	٤	٣٧	٥
الاقصر	١	٣	١٨	٤	١٣	٥
القاهرة	٩	٣	١٨	٤	٢٣	٥
تونس	٠٠	١	٢٠	٢	٢٣	٣

ولا يكون الكسوف كلياً في القاهرة بل تظهر الشمس فيها كالهلال

داء السرطان

اصدرت اللجنة الانكليزية الملكية التي انيط بها البحث في السرطان وعلاجهِ تقريراً في احصاء حوادثهِ ونموّهِ في الاحوال الطبيعية والامتحانية. فقالت عن الامر الاول انهُ لا يمكن الحكم في ما اذا كانت زيادة حوادث السرطان زيادة حقيقية او ظاهرة فقط فان هناك امراضاً كثيرة تشبه السرطان شبهاً عظيماً حتى يصعب التفريق بينها وبينهُ فاذا اصابت عضواً من الاعضاء الداخلية لم يخرج تشخيصها عن حدّ الظن والتخمين. وكثيراً ما اتفق شفاء امراض شخصت سرطاناً ولكن ظهر فيما بعد ان التشخيص كان خطاء وانها لم تكن سوى امراض مشابهة للسرطان. والسبيل الوحيد الى تمييز السرطان من غيرهِ انما هو الفحص المكرسكوبي الدقيق يأتيهِ المجربون في هذا الفنّ

وهناك امر جدير بالاعتبار وهو انهُ ظهر ان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ على الغالب. فزيادة حوادثهِ قد تكون دليلاً على تناقص الوفيات بالامراض الاخرى وكثرة المتقدمين في السنّ بين الناس و بالتالي على زيادة متوسط الاعمار

وقالت عن الامر الثاني انهُ لا علاقة ظاهرة بين قابلية الاصابة بالسرطان واعتياد الاكل من احد الوان الطعام. فمن ٥٠٥ انفس من الهنود اصيبوا بالسرطان ١٤٦ نفساً كانوا يأكلون الاطعمة النباتية و١٣٧ نفساً كان معظم طعامهم اللحم و٢٢٢ كانوا يأكلون من الصنفين وقد كان بعض الاطباء يزعمون ان قابلية الاصابة بالسرطان تزيد بمجرد الافراط في الاكل مهما كان نوع المأكول ولكن هذا الزعم ظاهر البطلان اذ ليس بين العوامل التي يتعرض الانسان لها ما هو اشد فعلاً في تقصير اجلهِ من الافراط في الاكل

وثبت بالتجارب الكثيرة الدقيقة ان السرطان انما هو تغيير يطرأ على خلايا العضو الذي يصاب بهِ بحيث تنمو وتتوالد مستقلة وتشذ عن قوانين نموّ الجسم التي هي فيهِ وتؤلف جسماً غريباً يسطو على الجسم ويمتص حيوتهُ ويهدُّ بنيانهُ كما لو كان حملة خارجة عنهُ . فاذا مات الحيُّ المصاب بهِ مات هو ايضاً وسبب موتهِ فقد الغذاء اللازم لقوامهِ فانهُ نشأ جسماً ذا وجود مستقلّ بنفسهِ ويمكن توالدهُ الى ما لا نهاية لهُ بقطع قطع منهُ وزرعها في تربة صالحة لهُ كما لو لقح بها حيوان من نوع الحيوان المصاب فانها تنمو فيهِ وتكبر وتفعل بهِ فعلها بالاول . فقد قطعت بثرة سرطان حجمها بقدر الحمصة من جسم فارة ولقحت بها فئران اخرى فنمت وكبرت حتى بلغ حجم المواد المستخرجة منها حجم كلب كبير

هذا وقد جربوا تطعيم حيوان بسرطان اخذ من حيوان آخر يختلف عنهُ في نوعهِ فلم يفلحوا . ثم ان التلقيح قلما يفلح بين اصناف النوع الواحد اذا كانت متباعدة ولو قليلاً كاصناف الفئران البرية التي تؤخذ من بلاد مختلفة . وقد ظهر بالامتحان ان السرطان لا يعدي الاَّ بالتلقيح من حيوان الى حيوان . فقد وضعوا فئراناً سليمة مع فئران مصابة بالسرطان في قفص واحد مدة طويلة فبقيت سليمة

ومما ثبت ايضاً انهُ وان كان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ عادة الاَّ انهُ اذا لقح بهِ حيوان صغير السنّ قوي البنية فتك بهِ فتكاً اشدّ من فتكهِ بالكبير

هذا ما توفقت اللجنة المذكورة اليهِ . بقي ان يعلم ما هو سبب السرطان وما هي الاحوال التي تلائمهُ ولماذا يصاب بهِ المتقدمون في السنّ اكثر مما يصاب بهِ غيرهم وما هو التغيير الذي يطرأ على خلايا العضو المصاب بعد اصابتهِ بالداء

وكتب الاستاذ هيولت مقالة مسهبة في الجزء الاخير من جريدة نأتشر وصف فيها ما وصل اليهِ البحث عن حقيقة السرطان واسبابهِ وعلاجهِ وخلاصة ذلك ان السرطان متولد من خلايا تحوّلت عن حالتها الطبيعية وصارت من النوع المولّد كالخلايا التي يتولد منها الجنين . وسببهُ في النبات تهييج الخلايا فتصير مولدة وقد علم بالمشاهدة ان بين السرطان والتهييج المستمر في الحيوان علاقة سببية فيحتمل ان يكون التهييج السبب الاكبر للسرطان . ولم يكشف حتى الآن علاج شافٍ لهُ ولكن ثبت ان استئصال الغدد السرطانية حالما تظهر خير علاج لها وظهر ايضاً ان اشعة رنتجن تفعل بالسرطان السطحي كأن هذه الاشعة تؤثر في الخلايا المولدة اكثر مما تؤثر في الخلايا العادية التي يتكون الجسم منها فتضمر الخلايا المولدة وتتلف من غير ان يلحق الجسم ضرر ويحتمل ان هذه الاشعة تزيد الانقسام في نسيج

الاورام السرطانية فتتعرَّض لتغذيتها. ومن المحتمل ان اشعة رنتجن تهيج الخلايا السرطانية وتردها خلايا جسمية فتصير لجسم غريب. وقد لاحظ كلوز وغابلرد ان سرطان الفئران يتولاهُ الفساد احياناً ويزول من نفسهِ وان ذلك يحدث احياناً قليلة في الانسان ايضاً وان الفئران التي فسد سرطانها فشفيت يفعل مصل دمها فعلاً شافياً في غيرها من الفئران المصابة بالسرطان فيحتمل ان يوجد علاج شافٍ للسرطان في مصل دم الذين يشفون منهُ من تلقاء انفسهم

رواتب وزراء انكلترا

حددت رواتب وزراء انكلترا سنة ١٨٣١ ولم تزد شيئاً حتى الآن عما كانت عليهِ حينئذٍ والوزراء ووكلاؤُهم واتباعهم اوارباب المناصب السياسية ٦٢ نفساً يتناولون ١٥٨٥٨١ جنيهاً في السنة واعلى راتب ٥٠٠٠ جنيه واوطاهُ ٣٣٦. وليس لرئيس الوزارة راتب ولكنهُ يتقلد زمام احدى الوزارات مع رئاسة الوزارة ليستحق الراتب وكثيراً ما يتقلد منصب ناظر الخزينة الاول

ومن اكثر الوزراء شغلاً رئيس مكتب التجارة ولكن راتبهُ قليل في جنب شغلهِ فانهُ يتناول الفي جنيه في السنة. واكثرهم شغلاً بلا خلاف وزير ارلندا ولكن راتبهُ ٤٤٢٥ جنيهاً. على ان اعظم الرواتب راتب حاكم ارلندا فانهُ ينقد ٢٠٠٠٠ جنيه و٣٠٠٠ جنيه علاوة ويعطى منزلاً رسمياً للسكن ومنزلاً آخر خصوصياً

ومن المناصب ثلاثة لا شغل لاصحابها ولا عمل غير تناول الراتب وهم رئيس المجلس الخاص وناظر الختم الخاص ومستشار دوقية لنكستر

ورئيس بيت الملك يتناول ٢٥٠٠ جنيه وكلٌّ من اللوردات حشم الملك ٧٠٢ وهم سبعة. وناظرة ملابس الملكة ٥٠٠ جنيه وهي دوقة في الغالب. اما الناظر الذي لا ينقد راتباً فهو صراف الخزينة اي الذي يدفع الرواتب

جوائز مجمع العلوم الفرنسوي

عين مجمع العلوم الفرنسوي المسمَّى بالاكادمي عدة جوائز تمنح للسابقين في الفروع الآتية بين هذه السنة وسنة ١٩٠٩. وهذا بيان بعضها

جائزة سنويَّة قدرها ٤٠ جنيهاً انكليزيًّا تعطى لمن يؤَلف احسن رسالة او يكتشف احسن اكتشاف لتعميم استعمال الكهربائية

جائزة قدرها ١٠٠ جنيه تعطى كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافاً مهماً لترقية علم الفلسفة الطبيعية

جائزة قدرها ١٢٠ جنيهاً تمنح كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافاً مهماً (من

الفرنسويين) في الكهربائية

جائزة قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى هذه السنة لمن يثبت ان مؤلفاته في الفلسفة الطبيعية رقت هذا العلم اكثر من مؤلفات غيره

جائزة سنوية قدرها ١٦٠٠ جنيه او جائزتان سنويتان قدر كلٍّ منهما ٨٠٠ جنيه تعطى او تعطيان لمن يثبت ان ما اكتشفهُ او كتبهُ في الفلك او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او علم المعادن او الجيولوجيا او الميكانيكيات العملية فاق بهِ الاقران

جائزة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى من سنة ١٩٠٦ لمن يؤلف احسن مؤلف مدة خمس سنوات ويشترط ان يكون المؤلف مبتكرًا من الطبقة الاولى

جائزة قدرها ٢٠٠٠ جنيه تعطى سنة ١٩٠٧ لمن يكتشف اكتشافًا جديدًا مهمًّا في الرياضيات او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او التاريخ الطبيعي او الطب

اما الجوائز المعينة لهذه السنة فقد ختمت المسابقة عليها في غرة يونيو الماضي

رحلتان الى القطب الشمالي

اشترى دوق دورليان باخرة اسمها بلجكا وجهزها بمؤونة سنتين وسار بها في ٢٤ مايو بقصد الاصقاع القطبية للاكتشاف ويقال ان في نيتهِ الاجتماع بحملة زجلر التي قصدت القطب برئاسة المستر انتوني الاميركي وكانت هذه الباخرة قد سافرت الى جهات القطب الجنوبي في سنة ١٨٩٧ وعادت سنة ١٨٩٩

وسافر القومندان بيري الاميركي في ١٦ يوليو الماضي لاكتشاف القطب الشمالي في سفينة سميت "روزفلت" باسم رئيس الولايات المتحدة الاميركية . وقد صنعت بحيث اذا اطبق الجليد عليها من جوانبها وضغطها ارتفعت من الماء ولم يمسها الجليد بضرر . وقد سار بالطريق الاميركية وقصدهُ بلوغ مكان يبعد ٥٠٠ ميل عن القطب فاذا بلغهُ ترك السفينة هو والذين معهُ وركبوا المزالق على الجليد في فبراير القادم . وفي السفينة مؤونة تكفيهم سنتين

الراديوب

اشرنا في الجزء السادس الى هذا الجسم وقلنا انهُ نامٍ متوسط بين الحي والجماد وقد صنعهُ المستر بطلر برك وذلك انهُ صنع مرقًا من الجلاتين وعقمهُ ووضع فيهِ قطعة صغيرة من بروميد الراديوم فتكوَّن فيهِ اجسام كالميكروبات وكانت تنمو وتنقسم كالاجسام الحية وتفرق عن الميكروبات في انها لا تنمو في جسم آخر اذا طُعِم بها كما تنمو الميكروبات في الاجسام التي تطعَّم بها . وقد كثر البحث عن هذه الاجسام فلم تعلم حقيقتها حتى الآن وسماها صانعها راديوبات لكي تقابل

الميكروبات وتدل على علاقة الراديوم بها

كلف الشمس

عادت الكلف الكبيرة الى الظهور على وجه الشمس فظهرت كلفة منها في ١٣ يوليو الماضي بلغ قطرها نحو مئة الف ميل وكانت ترى بالعين المجرَّدة وقد رآها البعض في لبنان وكتبوا الينا يقولون "كنا على رابية في الخامس عشر من الشهر وكانت الشمس مائلة الى المغيب وهي محجوبة بضباب رقيق فشاهدنا على سطحها بالعين المجرَّدة كلفةً سوداء كبيرة وكانت في اسفلها تقريباً منحرفة الى جانبها الايمن وفي صباح اليوم التالي سوَّدنا زجاجةً ونظرنا الشمس من ورائها فرأينا الكلفة في مكانها في اعلى الشمس وبقينا نراقبها يومياً فكانت تصغر رويداً رويداً وترى في اعلى الشمس والشمس في الشرق او في اسفلها وهي في الغرب الى ان اختفت"

مؤتمر السل

يعقد مؤتمر السل في باريس من ٢ اكتوبر القادم الى ٧ منهُ . وسيكون اربعة اقسام الاول الباثولوجيا الطبية برئاسة الاستاذ بوشار وسيبحث في معالجة الذئب الأكّال بالطرق المستحدثة وفي استقصاء السل في اول درجاتهِ بالطرق المستحدثة كذلك . والثاني الباثولوجيا الجراحية برئاسة الاستاذ لانلونغ وسيبحث في انواع السل المختلفة وعلاقة الجراحة بتدرن الدماغ وغشائهِ وعلاقة الجروح الكبيرة بالسل . والثالث العناية بالاولاد في سنّ الطفولة دفعاً للسل برئاسة الاستاذ جرانشر . والرابعة العناية بالبالغين كذلك . والخلاصة ان المؤتمر لا يترك باباً من ابواب السل الاَّ ويطرقهُ وقاية منهُ قبل حلولهِ وتخفيفاً لشرّهِ بعد الاصابة بهِ

المرأة في اسوج

المرأة في اسوج من اكثر نساء الارض ارتقاء ومساواة للرجل في العلوم والفنون ففي السنة الماضية نالت ثلاث سيدات شهادة دكتور في الفلسفة وتسع شهادة دكتور في الطب . وعينت سيدة نافلة لشهادة دكتور في الشرائع استاذاً لهذا الفنّ في كلية ابسالا ومادام سونيا كوفالسكي الرياضية المعروفة عند الرياضيين استاذاً للرياضيات في كلية اخرى . وبين الكتَّاب كاتبتان اسوجيتان اشتهرتا في اوربا بالمقالات والخطب وهما آلن كاي وسلمى لاجرلوف

مكتشف دورة الدم

المشهور ان مكتشف الدورة الدموية هو وليم هارفي الانكليزي اكتشفها في اوائل القرن السابع عشر ولكن احد الاطباء الاميركيين كتب مقالة قال فيها ان الاسبانيين

يزعمون ان رجلاً منهم اسمهُ سرفتوس هو الذي اكتشفها والايطاليين ان ثلاثة منهم اكتشفوها والفرنسويين ان رابليه مكتشفها. والحقيقة ان اكتشاف دورة الدم اقتضى لهُ نحو الف سنة — من زمن ارسطو وجالينوس وان الرجل الاول الذي استنتج نتائج منطقية صحيحة مبنية على اختبار مئات من السنين انما هو وليم هارفي

ضغط الهواء وسرعة النبض

ظهر لبعض العلماء ان سرعة النبض تزيد زيادة منتظمة كلما قلَّ ضغط الهواء. وضغط الهواء يقلُّ في الصعود الى رؤُوس الجبال وعند ما يشبع الهواء بخارًا مائيًا فان البخار المائي اخف من الهواء فاذا كثر فيهِ قلَّ ثقل الهواء فقلَّ ضغطهُ . وعليهِ فان ما يشعر بهِ الناس من ضيق الصدر والخلق في الايام التي تكثر فيها الرطوبة سببهُ سرعة النبض الناشئة عن ضغط الهواء

عطارد والكسوف المقبل

كتب المستر ستوني الى جريدة ناتشر الانكليزية يوجه فيها انظار الفلكيين الذين ينوون رصد الشمس في الكسوف المقبل الى السيار عطارد ويشير عليهم برصدهِ ايضاً قائلاً انهُ يكون وقت الكسوف قريبًا جدًا من الخط الواصل بين الارض والشمس

همة العلماء

عرض الاستاذ جنسن على مجمع العلوم الفرنسوي تقريرًا وصف فيهِ تسلقهُ بركان يزوف حديثًا وعمرهُ ثمانون سنة فقال انهُ وصل الى شفا فوهة البركان والقى فيها دلوًا ذات صمامات تفتح وتغلق كما يشاء فلما بلغت الدلو عمقًا عظيمًا فتح الصمامات حتى امتلأَت الدلو غازًا ثم اغلقها وانتشلها . وسيمتحن ما فيها من الغاز ليرى نسبتهُ الى ما يتصاعد عن الشمس من البخار

قطاراتٌ بلا سوَّاق

في المانيا قطارات نقل تسير وتقف بلا سائق يديرها وهي تسير بقوة الكهربائية وقوة قاطراتها ٢٤ حصانًا فاذا دنت من محطة قرع فيها جرس من غير ان تحركهُ يد انسان فينتبه ناظر المحطة ويستعد لاستقبالها ومتى وقفت واراد تسييرها بعد ذلك صعد الى القاطرة ووصل المجرى الكهربائي فتمشي

الحسّ في النبات

يرى احد علماء الالمان ان الخلايا التي تؤَلّف سطوح اوراق النبات هي مكان الحس منهُ وان شكلها ومحتوياتها تمكنها من ان تفعل فعل العدسية في جمع اشعة النور

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثلاثين